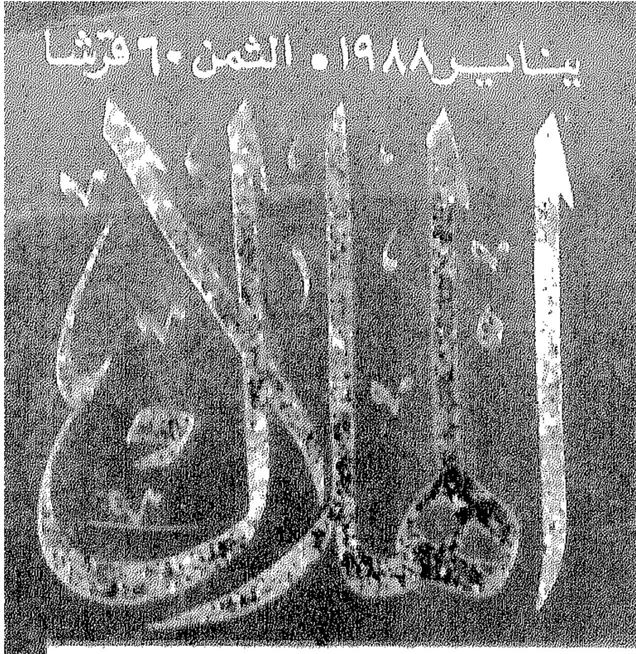
يناير ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا

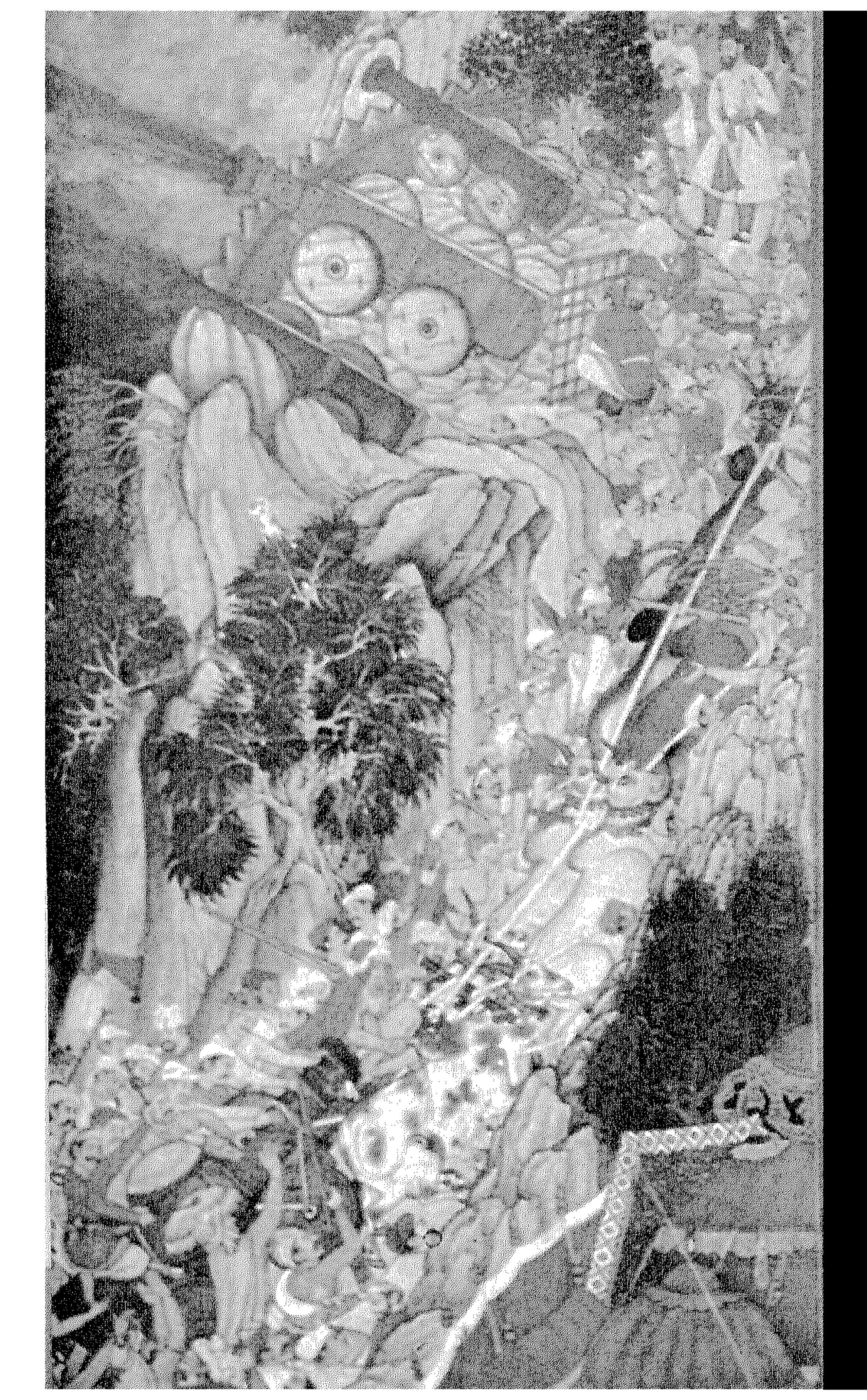


عدد خاص

هذا العالم المتغير

الأيقونات القبطية

بقلم: البابا شنودة





السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية
تصدر عن دار الهلال
اسسها جورجي زيدان عام
١٨٩١ م - اول يناير ١٩٨٨ م
١١ جمادى الاولى ١٤٠٨هـ

رئيس مجلس الإدارة
مكرم محمد أحمد

رئيس التحرير
مصطفى نبيل

المدير الفنى
عادل ثابت

سكرتير التحرير
عاطف مصطفى

سكرتيرا التحرير الفنيان
محمود الشيخ
عيسى دياب

من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفن الاسلامى رسمها الفنان ((مسكين)) تمثل الهجوم على حصن ام بحور فى راجستان بتركيا عام ١٥٦٨ وقد رسمت اللوحة فى عام ١٦٠٠ ميلادية وهى تعبر عن تكاتف الجيوش من اجل تحقيق النصر وهى احدى لوحات عديدة رسمها الفنان حول نفس المعركة .

واللوحة محفوظة فى متحف فيكتوريا بلندن وتبلغ مساحتها ((٣٣ × ٢ر٢١ سم))



الغلاف : تصميم : الفنان
حلمى التونى

في هذا العدد

● عالم متغير ●
● جزء خاص ●

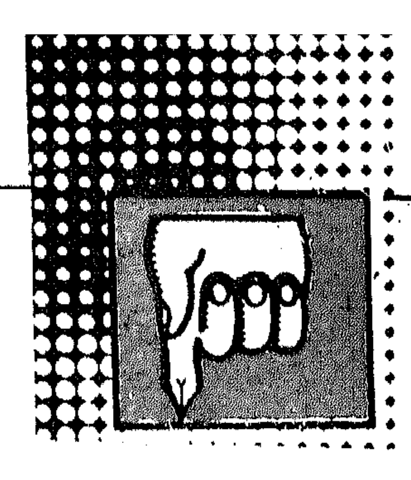
● فكر وثقافة ●

● فن تشكيلى ●

● قصة وشعر ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزي القارئ

نحن ... وهذا العالم المتغير

التغيرات العاصفة في العالم من حولنا ، تبدو أسرع من البــرق ، وأعجب من الخيال ، وأعنف من كل التوقعات .. مع أن التغير هو القانون العام فى الكون كله : الجديد يحل محل القديم ، وكل شىء تتحكم فيـه الصيرورة الدائمة والتغير الذى لا ينقطع ابدا .

وتشمل التغيرات الآن كل شىء فى العالم من حولنا ، ونعنى عـالم المتقدمين الذى تتصدره الدولتان العظميان فى الشرق والغرب .. ويتمثـل التغير هناك فى ثورة التكنولوجيا، وثورة علوم الفضاء ، وثورة المعلومات، وثورة التوجهات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والفكرية والأدبيـة والفنية الخ ..

ان كل شىء عندهم يتحرك ويتغير بلا هوادة ، باحثا عن اقصر السبل وأسرعها للتقدم ، لأن التوقف معناه التخلف الذى أصبح يساوى الدمـار والانحلال كما حدث ـ مع الأسف ـ فى بلدان العالم الثالث التى توقفـت بعد ثورات تحررها الوطنى ، فعادت القهقرى الى السيطرة الاستعمارية،وان اختلف أسلوب السيطرة الجديد عن الأسلوب القديم .

وقد وضع كل من الغرب والشرق برنامجه البعيد المدى لدخول القرن العشرين فى قفزة واحدة ، بحيث صار العالم من حولنا يتغير كل يــوم تقريبا ، ويستبدل بالقديم الذى كان جديدا بالامس القريب ، جديدا آخـر مبتكرا يطلق أحدث صيحات التقدم فى كل مجالات النشـاط البشرى التى اتسعت حتى شملت الفضاء الأعلى ، وحسبك أن السفينة الفضـائية التى سوف تهبط على المريخ بعد ثلاثين سنة ، يصنعونها منذ الآن ! ..

وقد ادرك الشرق والغرب كلاهما أن التغيير لا يتم على أكمل وجه الا بعد التخلص من عبء التسليح القاصم ، فعقدا معاهدة ازالة الصواريخ المتوسطة المدى ، وهي بداية لم يكن يتصور أحد منذ سنوات انها يمكن أن تبدأ ، ولكن روح التغيير اكتسحت العقبات التى وقفت فى طريقها ! ..

وقد بلغت الوتائر التى يتغير بها العالم ما لم يشهد التاريخ له مثيلا منذ بدء الخليقة ، ومع ذلك تمر أعاصير التغير على أمم كثيرة فلا تحرك ساكنا كأنما استغرقت هذه الأمم فى كهف نوم عميق ! ..

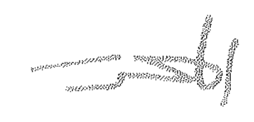
وقديما سقط العالم العربى فى امتحان التغيرات المتلاحقة خلال الاربعمائة سنة الماضية منذ بداية عصر النهضة الأوربية ، مع أن تلك التغيرات كانت فى غاية البطء بالمقياس الى التغيرات التى نشهدها الآن ، وقد بلغ بنا العجز انه لا يوجد حتى يومنا هذا بلد عربى واحد يمكن وصفه بأنه صناعى متقدم بالمعنى الذى يعنيه التقدم الصناعى فى وقتنا الحاضر ، وهو يعنى ببساطة انتاج آلات الانتاج البالغة التطور ، واستخدامها الاستخدام الأمثل ، مع القدرة على السير جنبا الى جنب مع المتقدمين فى جميع الأحوال ! ..

وكل ما بلغناه استيراد بعض آلات الصناعة ، وتجميع بعض الأجهزة، وتجديد بعض مصانعنا الخفيفة التى استوردناها منذ عشرات السنين ـ كمصانع النسيج مثلا ـ تجديدا بالغ التواضع بالنسبة لما وصل اليه المتقدمون !.. وتجرى فى الوقت نفسه تهيئة المجال للشركات العملاقة العابرة للقارات والقوميات لتبنى عندنا فروعا لبعض صناعاتها الكاسدة ، مما يعد امتثالا للتخلف والعجز عن التطور والتغير فى عالم لا يكف لحظة عن التسابق فى هذا المجال ..

وكل ذلك ينعكس على الأدب والفن وجميع فروع العلم والثقافة التى يتلقاها الانسان العربى ! .. ان الأديب والفنان والمفكر ، لا يبدع أحدهم مختليا بنفسه فى كوكب الزهرة أو كوكب عطارد ، بل ينتج أو يبدع فوق أرضه وبين قومه ، وفى عصره ، ناقدا وداعيا الى التطور والتغير ، أو مجتذا وداعيا الى الجمود والرجوع الى الوراء .

وليس عجيبا ـ وحالنا كذلك ـ أن يجيء الكثير أو ما يشبه الكثير من ابداع الأدب والفكر فى بلادنا ، رافضا ما يقع فى العالم من تغيرات ، أو محملقا فيه بغير فهم ، أو هاربا من القرن الواحد والعشرين الى القرن الحادى عشر !..

ويقدم « الهلال » فى هذا العدد بحوثا متنوعة فى معنى التغير فى بلادنا وفى العالم ، ويتجلى فى هذه البحوث تطلع شعبنا ومفكرينا الى التغيير والتطوير فى كل مجال .. وليست الدعوة الى التغيير والتقدم الا الدعوة الى الحياة الأرقى ، والمجتمع الأكثر عدالة وانسانية !..





التكنولوجيا أداة التنمية والتقدم في العالم المعاصر

بقلم : د. عصام السيد جلال

منذ أواسط هذا القرن اتضحت حقائق التنمية فى العالم المعاصر ، ولم تعد مكونات الإنتاج هى العمل وراس المال والمواد الأولية كما كانت فى المرحلة السابقة ، بل أصبح التقدم التكنولوجى مسئولا عن اكثر من ٨٥٪ من الزيادة فى الدخل ، بالنسبة لكافة الدول الصناعية .

وفى نفس الوقت يتدهور سعر المواد الأولية فى السوق العالمية لما يطرحه العلم من بدائل مثل ، الألياف الصناعية بديلا للصوف والقطن ، وألياف الزجاج بديلا للنحاس ، واللدائن بديلا للخشب والحديد .

وقد وعت كثير من الدول النامية هذه الحقائق ، بحيث أصبحت الدول النامية المتقدمة مثل البرازيل والهند وكوريا وتايوان وامثالها تصدر سلعا صناعية بما يصل الى ٧٠ بليون دولار ، منها اكثر من ٢٠ بليون دولار من

● الاستاذ الدكتور عصام السيد جلال : رئيس اللجنة الاستشارية للامم المتحدة للعلم والتكنولوجيا

السلع المعتمدة على تكنولوجيا متقدمة مثل الكومبيوتر وأجهزة الفضاء .

وتقوم دول منها بتصدير مصانع متكاملة ، مثل محطات توليد الكهرباء ، ومصانع الأسمنت ، وانتاج آلات الانتاج نفسها .

ولتحقيق هذا التطور ، تعتمد هذه الدول على أجهزة فنية وعلمية قادرة على نقل التكنولوجيا من الخارج مع تطويعها وتطويرها ، ولكنها تنشىء المؤسسات القادرة على تقييم واختيار وادارة تسويق هذه التكنولوجيات ، بدرجة عالية من الكفاءة .

ومن الواضح أن كل هذه النشاطات تتوافر لها الخبرات ، والخبراء اللازمون لها فى مصر ومع ذلك تأخرت مصر التى كانت من الدول الرائدة ، والسابقة فى أوائل الستينيات الى أواخر صفوف الدول النامية التى تعلمت منها فى هذا الوقت .

وأصبحنا فى حالة اعتماد كامل على الغير ، ويستنزف ذلك ملايين وملايين من دخلنا الشحيح ، اضافة إلى البلايين التى تستنزفها الديون والخلل فى الميزان التجارى .

وفى الحقيقة لم يعد يمكننا الاستمرار فى اهدار الكفاءات ، والخبرات مع اهدار الموارد والفرص ، أصبح من اول الضرورات لمصر ان تلتزم بسياسة تنموية طويلة المدى ، تعمل على تعبئة الموارد والكفاءات لتحقيق مردود عال يغطى احتياجات الـ ٥٢ مليونا من السكان

ولتحقيق ذلك لابد أن نبادر الى اعتماد وتطبيق السياسة القومية للتنمية التكنولوجية ، التى وافقت عليها الحكومة منذ خمس سنوات ومازالت ملقاة فى أراشيف البيروقراطية التليدة .

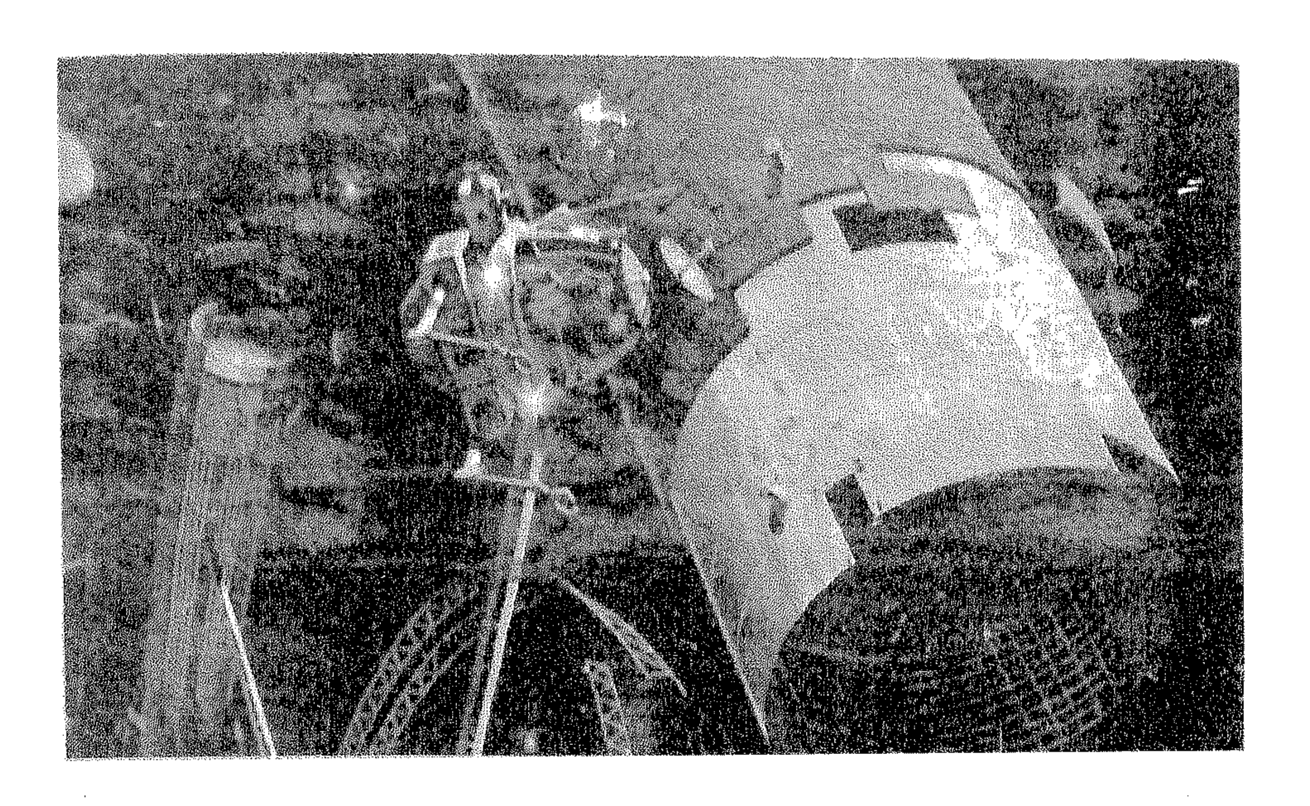
● تحديد الأهداف

وتهدف هذه السياسة ، الى تحديد أهداف تكنولوجيا قومية فى مجالات القطاعات الاقتصادية الحاكمة ، مثل النسيج والاسكان والصناعات المعدنية ، وأهداف تكنولوجيا فى مجالات متقدمة ، مثل الطاقة والاتصال والمواد الجديدة .

وتلتزم كل القطاعات بنصيب فى المسئولية نحو تحقيق هذه الأهداف ، فترسم برامج التعليم بما يوفر الكفاءات اللازمة لتحقيق هذه الأهداف القومية ، حسب البرامج المعتمدة وتلتزم أجهزة التخطيط والتمويل باعطاء الاستثمارات الأولوية اللازمة ، وتلتزم أجهزة الاستيراد والتسويق بحماية الصناعة المحلية ، ودعمها واعطائها الحوافز اللازمة ، وكذلك كتعاون الضرائب والجمارك الخ .

ومن هذا التوجه القومى المتكامل والجهود المشتركة ، نستطيع ان نحقق ماحققته هذه الدول من تقدم واكتفاء ونستطيع أن نخلق فرص العمل ونحقق

التكنولوجيا أداة التنمية والتقدم في العالم المعاصر

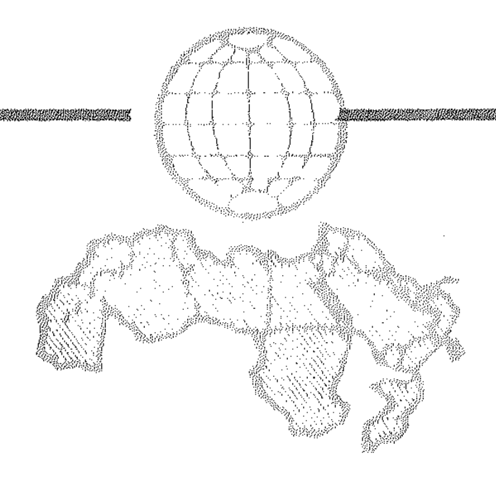


مستويات الدخل التى تحفظ لنا عقول ابنائنا ، وخبراتهم التى تستنزفها الهجرة ونمول نحن نمو الآخرين الأكثر مالا وأقل احتياجا .

وفى الحقيقة ان خبرة مصر الماضية ، وماتملكه من اعداد ضخمة من الكوادر الفنية والعلماء ، تؤهلها لأن تحتل مركزا مرموقا فى مجال البحث العلمى والتطوير التكنولوجى ، ولكن بدون سياسة قومية واضحة محددة ، واهداف قومية ملزمة ومبرمجة وتخطيط سليم ومتكامل وادارة علمية واعية ، سيستمر تبديد واستنزاف الموارد والقدرات وتتضاعف الفجوة بيننا وبين العالم المتقدم .

واذا كان لكل الدول النامية حوافز لسلوك هذا الطريق ، فحوافزنا اكثر الحاحا خاصة مع الأزمة الاقتصادية التى نعانى منها والانفجار السكانى ، واستنزاف العقول والخبرات من وراء الهجرة والتهديد للأمن والاستقرار فى المنطقة التى نعيش فيها .

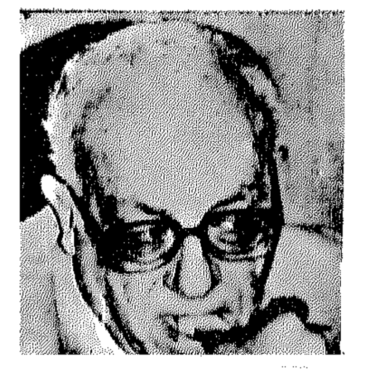
وكل هذه الضرورات الملحة ليس لها حلول الا تقدم وتطور علمى وتكنولوجى يضعنا على بداية الطريق نحو غد مشرق ومجتمع مستقر ونام .



أقوال معاصرة


محمد حسنين هيكل


اميل حبيبى


د. فؤاد زكريا

● "لا أتكلم فى السياسة الداخلية لبلدى وانا خارجه"
ريمون بار رئيس وزراء فرنسا السابق

● "إسرائيل هى الخطر الرئيسى الذى يهدد الأمن القومى العربى"
محمد حسنين هيكل

● "لم يبق من اطراف المؤامرة الكبرى على شعبنا من لم يعترف بدوره فيها سوى الطرف العربى"
الأديب الفلسطيني **اميل حبيبى**

● "لا أستطيع العودة الى وطنى قبل كتبى"
الأديب الروسى **الكسندر سلچنتزين**

● "إننى منفى فى اللغة الفرنسية"
الشاعر الجزائرى **مالك حداد**

● "البكارة تثبت شرف البنت ، فما الذى يثبت شرف الصبى"
ميشيل خليفة المخرج الفلسطينى

● "قدر كبير من الطاقات الذهنية لمفكرى الأمة العربية يضيع هباء فى امور كان ينبغى ان نكون قد تجاوزناها"
الدكتور فؤاد زكريا

● الولايات المتحدة ليس لها وجهة سير عقلانية ، إنها تترنح بين مواقف مسرفة فى التطرف"
ماتى ستينبرج ـ الجامعة العبرية بالقدس

بقلم : د. شكري محمد عياد

مستقبل الاشتراكية

أعلنت السيدة مرجريت تاتشر ، غداة فوز حزبها للمرة الثالثة في انتخابات مجلس العموم البريطاني ، أن مهمتها الرئيسية في وزارتها القادمة ستكون القضاء على الاشتراكية

هكذا اصبح القضاء على الاشتراكية هدفا يعلن ، كما يمكن أن يكون القضاء على الفساد ، أو القضاء على الجريمة ، أو القضاء على الفقر والجهل والمرض ، هدفا لبعض الحكومات . كان أعداء الاشتراكية ، حتى وقت قريب ، يسمونها بأسماء أخرى : النظم الشمولية ، البيروقراطية الحزبية ، سيطرة الدولة ، الخ . أى أن الهجوم كان موجها الى الأشكال السياسية للنظام الاشتراكى ، لا الى الأساس الاقتصادى . الآن ، وقد هزمت أحزاب اليسار فى المانيا وفرنسا ، وبقيت مقصاة عن سلطة الحكم فى ايطاليا ، أصبح الأساس نفسه وهو الملكية الجماعية لوسائل الانتاج ، بحيث يمتنع استغلال الانسان للانسان ، هدفا لهجوم القوى المحافظة .

وفى الوقت نفسه أخذت الأحزاب الاشتراكية التى تتربع على سدة الحكم منذ عشرات السنين ، فى الاتحاد السوفييتى والصين والى حد ما فى دول أوربا الشرقية ، دون شريك ولا منافس ولا معارض ، أخذت هذه الأحزاب تراجع الأشكال السياسية التى تحكم من خلالها فتسمح باختلاف الآراء ، وتسمح بحرية النشاط الفردى غير المستغل .

معنى هذا أن الأحزاب الاشتراكية قد اضطرت الى الاعتراف بأخطائها السياسية ، فى حين أن الأحزاب المحافظة لا ترى مايدعوها الى مراجعة

مبادئها الاقتصادية التى تتلخص فى النشاط الفردى الحر .

والمعنى الأعمق هو أن النظام الرأسمالى فى أوربا الغربية يتطور بسرعة نحو النمط الأمريكى ، نمط التوسع المستمر فى الانتاج والاستهلاك معا (أن تأكل الكعكة وتحتفظ بها ـ أو تزيدها ـ فى الوقت نفسه) وهو نمط ديناميكى ، مرن ، لا يسمح لعلاقات الانتاج بأن تتحدد بحيث تأخذ شكل تناقضات تتطلب حلولاً جذرية ، ولكنه ـ لهذا السبب نفسه ـ مضطر الى أن يتمدد رأسيا وأفقيا ، بدون توقف . ومادام هناك مجال يتمدد فيه فلن يصادف أزمات خطيرة تهدد كيانه .

● ثقل الديون الخارجية

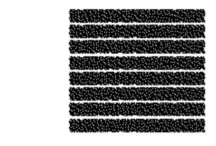
لقد وصل هذا النمط الى قمة ازدهاره ، مصطحباً فى يده "أسلوب الحياة الأمريكى" من كوكاكولا وأفلام وسوبر ماركت وبلوجينز الخ . وان أخذت تلوح بعض الصعوبات التى نشأت عن امتداده فى أوربا الغربية واليابان . ولكن هناك امكانيات واسعة فى أقطار العالم الثالث ، بل فى الكتلة الشرقية نفسها ، التى بدأت بعض أقطارها ـ يوغوسلافيا ، رومانيا ، بولندا ، المجر ـ تشكو مثلنا من ثقل الديون الخارجية ، وزيادة الاستهلاك على الانتاج .

وهذه هى المقدمة الضرورية لاستيراد التكنولوجيا الغربية المتقدمة ، والانخراط ـ من ثمَّ ـ فى النظام الاقتصادى العالمى الجديد الذى يسيطر عليه الرأسمالى الامريكى .

ولعل هذه هى المرة الاولى ، فى تاريخ جيلنا ، التى يقف فيها المعسكر الاشتراكى ـ كما يسمى احيانا ـ موقف المدافع . لقد حاربت روسيا السوفييتية ، فى اوائل العشرينيات ، ضد جيوش الروس البيض ومن ورائها الدول الرأسمالية الأوربية فيما سمى بحروب التدخل . ولكن « النظام » السوفييتى ، و« الايديولوجية » الماركسية اللينينية ، كانا يهاجمان الرأسمالية فى عقر دارها ، بينما كان الجيش الأحمر يحارب الغزاة على الأرض الروسية . **الموقف الآن مختلف ، فالدول الاشتراكية تحاول ترتيب بيتها ، لكى تحاول الصمود لغزو من نوع آخر : غزو اقتصادى تكنولوجى إيديولوجى ، مصحوب بكل « اكسسوارات » الغزو من تجسس ودعاية الخ .**

ما هى الخطط ، والخطط المضادة ، التى تفرخ الآن فى كل من المعسكرين ؟ هل يأمل المعسكر الشرقى فى أن تزيد التناقضات داخل المعسكر الغربى ؟ هل يفكر فى الوسائل التى يمكنه اللجوء اليها لاذكاء هذه التناقضات ؟ هل يأمل المعسكر الغربى فى أن ينفجر المعسكر الشرقى من الداخل حين يفرض على مواطنيه حرمانا أشد ، من أجل توفير الاعتمادات الهائلة اللازمة لمواجهة برنامج « دفاعى » مثل حرب النجوم ؟ هل ... وهل ... وهل ...

ربما كان الاسترسال فى هذه التساؤلات ـ ونحن شعب من مشجعى الكرة ، كما اننا مشهورون بالفهلوة ـ ظريفا ومسليا ولكننا يجب الاَّ ننسى ـ فى الوقت نفسه ـ اننا دولة ذات نظام اشتراكى ، واننا انفتحنا قبل الصين والاتحاد السوفييتى ، فلسنا بعيدين ، عن هذه المعمعة التى تدور بصمت وذكاء بين العملاقين . بينما تتعالى



أصوات الشعوب الصغيرة المشتبكة في حروب طاحنة في أجزاء كثيرة من العالم . ومنها ـ مع الاسف الشديد ـ مايدور على أبوابنا ، ولانعرف له حلا .

والأسئلة المطروحة علينا كثيرة وعويصة ، ومنها ماهو عاجل وملح ايضا . ولعلنا لاندرك مدى الأخطار التى تهددنا ، ولكننا يجب ان ندرك ـ من واقع اتصالاتنا الدولية وأوضاعنا الداخلية معا ـ أننا غير بعيدين عن الصراع الدائر بين النظامين الرأسمالى والاشتراكى ، واول مايجب علينا لفهم طبيعة هذا الصراع وموقفنا منه ان نتبين أصوله وتحولاته حتى لا ننخدع بالتحولات الوقتية او المحلية .

فاشتراكيتنا تمثل نمطا من التنظيم الاقتصادى السياسى خاصا بالعالم الثالث . وأهم خصائص هذه النظم هى انها تزامنت مع الحصول على الاستقلال السياسى والبحث عن الهوية القومية ومحاولة تحقيق شىء من الرخاء الاجتماعى ، وهذه البدايات تؤذن باختلافات عميقة عن النموذج الاشتراكى الذى تخيله ماركس او لنين او حتى ماوتسى تونج ، وامكن تطبيقه ، بدرجات مختلفة من النجاح ، فى روسيا والصين واقطار اوربا الشرقية . ومهما قيل من أن الاشتراكية تتشكل باشكال مختلفة تبعا لاختلاف البيئات وخصائص الشعوب فانها ترتكز دائما على « حزب » يمثل مصالح الطبقة العاملة ويسيطر على جهاز الدولة والجيش . وربما كان على الحزب ان يتمم مرحلة الاستقلال السياسى وان يعجل بالتنمية الاقتصادية ليحقق مستوى معيشة أفضل لغالبية الشعب ، ولكن سياسته تظل مرتكزة دائما على الجانب الاجتماعى ـ كما يدل الاسم « الاشتراكية » ـ اى على الملكية الجماعية لوسائل الانتاج والاشتراك العادل فى ثمراته ، اما فى دول العالم الثالث التى حصلت على استقلالها او استكملته بعد الحرب العالمية الثانية فقد امتزجت الأهداف الثلاثة : تأكيد الاستقلال السياسى (متمثلا فى إقامة كيان قومى كبير) وتنمية الموارد وحسن توزيع الدخل . يضاف الى ذلك ان معظم اقطار العالم الثالث « فوجئت » بالاستقلال ـ فى واقع الأمر ـ فلم تكن لديها أحزاب ذات كوادر قادرة على قيادة هذا التطور بجوانبه الثلاثة ، وتقديم جانب

على جانب تبعا لاستراتيجية واضحة ومرنة فى الوقت نفسه . ومن ثم اصبح جهاز الدولة الوطنية هو المسيطر ، مرتكزا ـ فى معظم الأحيان ـ على القوة المادية للجيش ، بالرغم من أن هذا الجهاز كان فى نفسه هشا بحكم حداثة تكوينه .

● اشتراكية .. ولكن !

ونظرا لتمركز النظام السياسى الاجتماعى حول الدولة ، بدت « اشتراكيات » العالم الثالث ، لكثير من المراقبين ، اشبه بالنظم الفاشية . فالنظم الفاشية ايضا جعلت للدولة السلطان المطلق على الأفراد والطبقات ، واعتمدت على اذكاء الروح القومية بحيث جعلت منها عقيدة جامعة وقوة دافعة . على أن اشتراكية العالم الثالث لم يكن بمقدورها

ان تكون فاشية كاملة كما لم يكن بمقدورها أن تكون اشتراكية كاملة ، لأن جهاز الدولة على الرغم من قوته النسبية بالقياس الى الحزب ، لم يكن يملك الدعائم المادية ولا الخبرة التنظيمية اللازمة للهيمنة على جميع قوى الشعب ، بل كثيرا ما لجأ الى ضرب هذه القوى بعضها ببعض .

لهذه الأسباب مجتمعة لجأت اشتراكيات العالم الثالث الى الحلول الجزئية والوقتية . فلم تحاول ان تدخل تغييرا جوهريا على نظام الانتاج الزراعى فيما عدا شراء بعض المحاصيل الرئيسية - ولاسيما التصديرية منها - بالسعر الذى تحدده والقيام بتسويقها فى الخارج . وبقى قطاع الزراعة كله - فيما عدا استثناءات قليلة - قائما على الملكية الفردية . ووقفت فى صف مستأجر الأرض ضد المالك وبقى قطاع الاسكان كذلك - ويشمل الاسكان الاستثمارى - قائما على الملكية الخاصة ، مع اعطاء جميع المزايا للمستأجر . وانحصر نظام الانتاج الاشتراكى فى القطاع الصناعى ، الذى أممت الدولة ماكان قائما منه وتوسعت فيه كما أضافت صناعات جديدة . وساعد على نمو هذا القطاع الأخير أنه استجاب لجميع الأغراض التى طمحت الى تحقيقها الدول الاشتراكية حديثة الاستقلال فى العالم الثالث : زيادة الانتاج ، عدالة التوزيع ، الاستقلال الوطنى العزة القومية . ولكن الجمع بين هذه الأهداف كلها كثيرا ماتم على حساب الملاءمة الاقتصادية ، التى تنحصر فى انتاج سلعة قادرة على منافسة السلع الاجنبية المماثلة من حيث الجودة والسعر . ولم يكن ثمة حل لذلك الا تقييد الاستيراد . ولكن ضعف الانتاج المحلى مع تزايد الاستهلاك جعل الاستمرار فى هذا التغيير مستحيلا . وهكذا لجأت اشتراكيات العالم الثالث الى فائض المجتمعات الرأسمالية . فكانت مشكلة الديون .

القطاع العام .. الى أين ؟

ومشكلة دين مصر العام - أصبحت معروفة ، ولو أن الماليين يختلفون فى تقدير حجمها تبعا لاعتبار بعض الودائع الكبيرة قروضا أو عدم اعتبارها كذلك . ولكن يكفى أن نذكر هنا بأن الرقم الذى يعطونه عادة وهو أربعون مليار دولار تقريبا يعادل - مع التسامح فى التقدير - أربعة أمثال الناتج القومى الكلى ! ووضع كثير من الدول فى العالم الثالث لا يختلف كثيرا عن وضع مصر .

بعض الناس يسارعون الى القول : ان النظام الاشتراكى اثبت فشله فى بلدان العالم الثالث ، متأثرين ، ولا شك ، بتراجع الأحزاب الاشتراكية فى دول غرب أوربا ، وقيام حكوماتها المحافظة بتحويل كثير من مؤسسات القطاع العام الى القطاع الخاص ، بينما اخذت بعض الدول العريقة فى الاشتراكية - وعلى رأسها الاتحاد السوفييتى والصين - ترفع بعض القيود عن النشاط الفردى .

فهل صحيح أن النظام الاشتراكى ، بقطاعه العام ، اصبح عبئا على كاهل شعب كشعبنا ، بدلاً من أن يكون أداة لتحقيق التقدم والرخاء ؟

ان المساحة الواسعة التى تركت للقطاع الخاص فى الخطة الخمسية الجديدة قد لا تعنى تحولاً ، ولا بداية تحول ، عن النظام الاشتراكى الى النظام الراسمالى . فالتجارب الماضية ، فى حياة

القفز على الأشواك

الشعوب كما هى فى حياة الأفراد ، لا يمكن أن تمحى . من الذى يمكنه أن يتخيل ـ مثلا ـ صناعة كصناعة الأسلحة ، أو صناعة التعدين ، مملوكة للقطاع الخاص ؟ ان هذه المؤسسات الضخمة ، وما أشبهها ، قائمة فعلا ، ولا طاقة للقطاع الخاص على النهوض بها . ولكيلا نظلم القطاع الخاص الصناعى فى بلد كبلدنا يجب أن نقرر أن له تاريخين لا تاريخا واحدا . فتاريخه الأول يرجع الى أوائل العشرينيات حين أسس بنك مصر وشركاته ، وكان نموذجا احتذته مؤسسات أخرى كبيرة وصغيرة . هذه هى النواة التى تسلمها القطاع العام ونماها وأضاف اليها الكثير . أما التاريخ الثانى الذى بدأ بعد الانفتاح فلا يكاد يذكر بجانب النشاط التجارى المحموم الذى جلب لأصحابه ثروات ضخمة بدون مجهود ولا مخاطرة . ان هذه الأموال لا ينتظر أن تسهم فى بناء الاقتصاد المصرى ، ولو استطاعت الحكومة أن تستولى على نصيبها منها بتحصيل الضرائب المتأخرة عليها لكان ذلك مرضيا ، ولو استطاعت أن تقنع أصحابها بتحويل قسم منها الى سندات حكومية ذات عائد جيد لكان ذلك أقصى مانطمع فيه . ولكن ذلك لن يحدث ، بطبيعة الحال ، الا اذا عجزت هذه الفئات عن ممارسة نشاطها المعهود ، أى اذا توقف الانفتاح الاستهلاكى .

أما القطاع الخاص الانتاجي فقد فتحت له الخطة الجديدة أبواباً عدة للاستثمار ، منها الاسكان والاستزراع . ولكننا نشهد مايشبه أن يكون بداية تناقض بين رجال الأعمال وأجهزة الدولة . فرجال الأعمال غير مطمئنين الى جعل القطاع الخاص "تابعا" للقطاع العام ، فمعنى هذه التبعية أن يكونوا خاضعين لخطة كاملة تضعها الدولة ، ويمكن أن يراعى فيها تحقيق أهداف سياسية واجتماعية قبل الأهداف الاقتصادية ، ورأس المال الخاص لا يعترف الا بمبدأ واحد وهو مراعاة متطلبات السوق . بجانب ذلك هناك الشكوى المستمرة من "البيروقراطية" ، وهى كلمة مهذبة تتضمن أشياء مثل الرشوة والمحاباة ، ورأس المال الخاص يمكن أن يقبل الأولى (اذا لم تتجاوز حدوداً "معقولة") ولكنه يجزع أشد الجزع من الثانية .

واذا تتبعنا تاريخ القطاع الاشتراكى ، أو الاشتراكية عموما فى العالم الثالث ، جاز لنا أن نقول إن الرأسمالية الجديدة ، المنتجة ، تخشى أن تنتقل اليها عدوى القطاع العام ، التى نخرت فى أساس الاشتراكية نفسها ، ومرجعها الى جرثومتين : تقديم المصلحة السياسية العاجلة لنظام الحكم (المظهرية ، التحبب الى الجماهير ، الخ .) على المصلحة الاقتصادية للمجتمع ككل ؛ واستغلال النفوذ لتحقيق مكاسب خاصة .

● مستقبل مظلم

ولكن كيف أمكن أن يحدث ذلك ؟ هذا سؤال يجب أن يطرح ويناقش بصراحة تامة ونحن نبدأ خطة خمسية جديدة ، ونعلم أن **الاقتصاد المصرى ان لم يسترد عافيته خلال هذه السنوات**

الخمس فسوف يكون المستقبل مظلما حقا ، بل حالك الظلام . ويضاعف من اهمية هذا السؤال أن هناك اموالا ضخمة مجمعة فيما يسمى شركات توظيف الأموال ، تقف مترددة ، لم تدخل بعد ، دخولًا حقيقياً ، ميدان الانتاج ولا تلام . الخطأ ، فى تقديرى ، يرجع الى البداية .

ولا يهم ، فى هذه البداية ، أن يكون الذى لعب الدور الأول هو الجيش ، أو حزب من الأحزاب . فالمهم هو النتيجة : إن الجيش او الحزب تمخض عن "زعيم ملهم" قال انه جاء بالاستقلال ، وجاء بالحرية ، وكما جاء بالاستقلال والحرية سيجيء بالرخاء للمعدمين ، وكل ماعلى الشعب هو أن يسير خلفه ويهتدى بهداه .

لقد خرجت الجماهير من معركة الاستقلال السياسى راضية بأنها تملك حكومة من أبنائها . **ولكنها فوجئت بهذه الحكومة تتصرف وكانها أصبحت هى المالكة لها . ولم يكن امام الجماهير هدف آخر ، بعد ان أوصلت "حكومتها الوطنية" الى الحكم ففقدت رابطة الأمة ، ولم تبق لها سوى رابطة القطيع .**

هل يكفى أن تقترن الاشتراكية بالديمقراطية لتصحيح الخطأ ؟ ان هذا السؤال أصعب من سابقه . فنحن مازلنا فى أول التجربة الديمقراطية . ولكن اذا جاز لنا ان نتنبأ بالمستقبل ، اعتمادا على استقراء التاريخ (وهو معنى أن نختار) فإننا نرى أن الديمقراطية وحدها لا تكفى .

فالديمقراطية صيغة سياسية اجتماعية ابتكرها الغرب لتحقيق التوازن بين المصالح المختلفة . أى أنها لا تشكل بذاتها قوة دافعة للتقدم . انها لا تسير العربات فى الطريق ، ولكنها تنظم المرور . أما القوة الدافعة للتقدم فلا يمكن الا أن تكون مثالا للحياة الطيبة . وقد كان المثال الذى قام عليه الاقتصاد الغربى والمجتمع الغربى كله هو المصلحة الخاصة . أنك اذا عملت لتحقيق مصلحتك الخاصة فقد أفسدت المجموع أيضا ـ فالغش والخيانة لا يعودان بالضرر على المجتمع فقط ، بل ان ضررهما الأكبر يقع على الخائن والغشاش .

المهم لنا الآن أن مجتمعاتنا لا تستطيع أن تقتبس هذا المثال الرأسمالى ولا أن تتناساه أيضاً (فسيظهر على كل حال فى شكل انحرافات لا تحصى داخل النظام الاشتراكى) ونحن نعتقد أن المجتمعات الناشئة (ونحن مجتمع ناشىء) لا يمكن أن تجد هذا المثال الا فى الدين . ان المصلحة الشخصية لا يمكن أن **تجعلنا ـ على احسن الفروض ـ الا تابعين أذلاء . أما المثل الدينية التى تعيش الماديات بقيمها المعنوية فيمكن أن ترد علينا كرامتنا ، حتى ولو بقينا فقراء . فالشريعة لم تحدثنا عن الديمقراطية بل حدثتنا عن الشورى ، ولم تحدثنا عن راسمالية ولا اشتراكية بل حدثتنا عن عدل واحسان وليس معنى هذا ان الاشتراكية والديمقراطية نظامان غريبان مقيتان ، بل هما نظامان من صنع البشر ، يمكننا ان نقتبس محاسنهما وننفى سوءاتهما ، ناظرين الى احوالنا ، ومسترشدين بالمثل العليا التى حوتها الشريعة .**



المستقبل واستشراف المتغيرات

● النخبة العربية ضحت وعانت ولكنها لا تقبل الرأى الآخر بل تحاول الانقلاب عليه

● كثيراً ما تردد ما قاله الآخرون عنا والسؤال الآن: لماذا لا ننزل إلى أرض الواقع وندرسه بأنفسنا

●● ما هى المحاور الاساسية التى يجب على المفكر العربى والمثقف العربى من صفوة المجتمع ان يضعها فى اهتمامه فى الفترة الراهنة ؟

ما هى اولويات العمل الفكرى واين نحن من الغرب ، وما هو موقفنا من بعضنا البعض ، كفئات متعددة وكفاعليات مختلفة ، وما هى الخطوات المطلوبة من اجل استشراف المستقبل والوعى بالمتغيرات التى ستشكل صورة العالم فى القرن الواحد والعشرين؟

كيف نرى تاريخنا وتاريخ الاخر ، وما هى العوامل المؤثرة حقا فى مسيرته ، وما هى ادوات التحليل الفعالة التى يجب علينا التسلح بها من اجل الوقوف على الحقيقة ؟

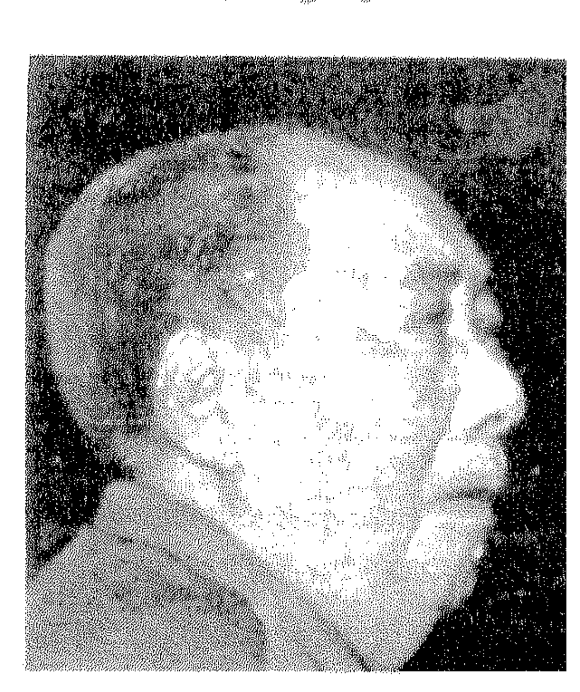
هذه الاسئلة وغيرها ، كانت موضع حوار طويل بين الهلال وبين المفكر العربى ((رشدى فكار)) هنا نص ما ادلى به من اجابات كما جاءت على لسانه بطريقة تدفق فيها الكلام ففرض الشكل الذى نعرضه للقارىء فى الصفحات التالية : ●●

ـ ١ ـ

لا شك أن إنسان القرن العشرين مطالب باستيعاب عدة محاور ، يأتى فى مقدمتها محور ذاته ، ويتطلب هذا عمقا تاريخيا لا يعتمد على الرؤية الانشائية ، وانما على ثوابت التاريخ ·· وهنا ستطرح ـ بالنسبة للانسان المعربى ، أو انسان أمتنا المعاصر ـ مدى استيعابه لواقعه التاريخى ·

أقول : استيعابه ولا أقول الالمام أو التصفح ، باعتبار أن الواقع التاريخى كما تطرحه الابستمولوجيا ـ أو التقدير المعرفى ـ فى نهاية القرن العشرين يتطلب تجاوز المؤرخين الى علمية وفلسفة التاريخ ، وأيضا نسيولوجية التاريخ ، ونعنى أولا أن التاريخ السردى ، أو التواريخ المسترسل ينظر اليه الان بعد هذه الانطلاقة التى وصل إليها التقنين المنهجى لعلوم الانسان على أنه صياغة « فكرانية » من المؤرخين فى غرفة مغلقة ، فهم لا يصوغونه فى قلب الاسواق ، ولا فى قلب الممرات الدموية فى التاريخ ، بمعنى أن المؤرخ يعيش عصره فعلا ، ولكنه حينما يصوغ هذا العصر التاريخى فانه يفعل ذلك فى غرفته ، أو فى مكتبه المغلق عليه ، ومن هنا لا يمكن أن ينفصل عن تذوقه أو انتمائه ، أو ميوله المذهبية وتصفية حساباته مع الاخرين ، وخصوصا حساباته مع عصره ، فهل هذا العصر الذى يعيش فيه كان عصرا معطاء بالنسبة له أم عصرا مستبعدا له بالفعل ·

ـ ماوتسي تونج



ـ جورباتشوف



المستقبل
واستشراف المتغيرات

ومن هنا تبرز لنا البصمات التى يضعها المؤرخ فى صياغته التاريخية، يضع معاناته هو من عصره ومدى خسارته أو نفعيته منه ، لهذه الرؤى الحالية المتكاملة لتراث الانسان أو صياغة الشخصية التاريخية له ٠

ويمر المؤرخ بعد هذا التسلسل بتصفية وغربلة باسم علمية التاريخ ، لا فكر التاريخ ، فالفكر من صنع المؤرخ ، وفعل التاريخ من صنع البشر ، وفعل التاريخ هو الوقائع (وننفى هنا مصطلح مادية التاريخ التى يتشدق بها البعض) ٠

ـ ٢ ـ

الفعل التاريخى هو محاولة بناء التاريخ من وقائعه الصغرى ، أى استبعاد التاريخ المسترسل الذى صيغ فى غرفة الى التاريخ الذى يبنى لبنة لبنة انطلاقا من الوقائع الصغيرة التى تمثل المنهج العام ، ثم بعد ذلك يبدأ البناء ، فيضاف الى الواقع الاقتصادى والعامل البيئى والعامل التربوى والعامل النفسى والعامل الدينى والعامل الديموجرافى والعامل السلالى ٠

هذه الصياغة الهائلة لعلم التاريخ ٠٠ لنفس الفترة ، تمر بالغربلة الثالثة وهى فلسفة التاريخ ٠ وهى لاتعنى فقط الوقوف عند ثوابتومحة التاريخ ، وانما تعنى التعليل ٠

ففيلسوف التاريخ هو فيلسوف المتعرجات الكبرى للتاريخ ، فالتاريخ يكون مسترسلا وايقاعيا ، وليس لدى فيلسوف التاريخ ما يقوله ، وانما يتحرك عندما يتزلزل التاريخ ، حينما يخرج عن استرساله الايقاعى وتحدث سقطة أو اقامة ، كالاحداث الكبرى التى تغير التاريخ ، هنا يخرج فيلسوف التاريخ كى يعلل لنا ٠

ـ ٣ ـ

هل عالم التاريخ يتحرك من موقف مسبق يصوغ على ضوئه الفعل التاريخى ؟ أم انه يترك الفعل التاريخى ليصوغ رؤياه هو ؟

هذه نقطة بالغة الاهمية والحساسية ٠٠ تضيف الى الهم هما اخر ، هو هم المعانى فى القرن العشرين ٠

كان المفروض أن تصاغ علمية التاريخ فى واقعها ، فى عصرها انطلاقا من أن الواقع التاريخىيتحدث عن نفسه ، ولكن لان انطباع المؤرخ يحدده ، فان عالم التاريخ يعطى فى النهاية انطباعا عن الواقع ، لانه يتقمص دور فيلسوف التاريخ ٠

وبالنسبة للتراث فاننا يجب أن نميز بين تراث البشر وتراثالمسلمين ٠٠ نميز بين الجانب الالهى والجانب النبوى الذى من المفروض أن يكون له قناعة ايمانية غير قابلة للمضاربة ٠

فنحن حين نؤرخ لهذه الامة فاننا نتناول العصر النبوى فى اطار المعنى، فهناك المؤمن به وهناك الرافض له ، وهناك المتسائل ، وكل له خطابه ٠

فالمؤمن بالعصر النبوى واضح فى منهجه بلا شك فى الهداية ، أما الرافض له فيعلل لماذا رفض ويقود التحدى والمواجهة معه انطلاقا من معطيات العصر ، لانه فى عصر الرفض ، أما المتسائل فانه يطرح لماذا يتساءل حول أى نقطة للاجابة

● د. رشدى فكار: إنسان القرن العشرين مطالب باستيعاب العديد من المحاور التى يأتى فى مقدمتها محور ذاته.

● الفعل التاريخى هو محاولة بناء التاريخ من وقائعه الصغرى لبنة لبنة من الوقائع المحسوسة

على هذا الرفض ، هذه هى جوانب ذات طابع قدسى ، لذلك لا يجب أن نتضارب أو نحشر بهـا باسم تراث البشرية .

فتراث البشرية هذه ، فى رحلة ما بعد النبوة عبارة عن سلف صالح وائمة وفقهاء ومجتهدين ومؤرخين ومتكلمين ... الخ . وهم بلا شك قد اجتهدوا ، ودور المجتهد أن يتقبل رأى المجتهد الاخر ، أى لا تتم المصادرة والالغاء .. والمفروض أن **نضع فى حساباتنا – عندما نتعامل مع التراث الذى خلفه لنا البشر – ما اسميه بنظرية التلوث التاريخى ، او الافتعال التاريخى .**

– ٤ –

ما المقصود بالتلوث التاريخى ؟

انه نتاج الصراعات التى اجتاحت مثـلا العصر الاموى وعرفت باسم الفتنة الكبرى التى تجعلنى أتساءل الى أى حد اشتعلت – بعد وقوع المواجهات – واخذت فى طريقها المصداقية ، وبالتالى يمكن أن نبرر فتنا أخرى فى المستقبل . فاذا كان الصحابة قد افتتنوا فلماذا لا نفتتن نحن ؟ هناك جانب هام للغاية فيما يخص هـذه القضايا على مستوى التلوث فيما يعني افتعالات وانتماءات وترسيبات ، لانه لابد أن نضع فى اعتبارنا أن البشر ليس من السهل غسلهم بالمساحيق خلال فترة زمنية .. هناك الانسان المتناقض كما يقول « يونج » احد كبار علماء النفس ، وهنـاك النموذج السلعى اللاجمعى المترسب فى اللاشعور ، فمن الصعب أن يتخلى عن نفسه ، وحوله ترسبات قد تكون سلالية أو طائفية أو عقائدية أو لاشعورية ، وبالتالى يرى الامور من معيارها ، لذا لابد أن نعى التزييف التاريخى .

ثم نأتى الى قضية المصادرة التاريخية ، فكثير من الاحداث تتم مصادرتها ، ليس لانها تافهة ، ولكن لانها أكبر من أن تروى أو تقال ، فتصادر ، حادث كبير يقع فى مدينة ، وتسرق دجاجة فى مدينة أخرى ، فيتكلم النـاس عن سرقة الدجاجة ، ويسرى على الحدث الكبير المصادرة ، فهو لم ير ولم يسمع .

اما اذا تحدثنا عن نظرية الضياع التاريخى ، فالكثير من الوثائق أما انها ضاعت فى الغزوات والمواجهات او المعارك الحربية الكبرى ، كمـا حدث فى سقوط بغداد أو انها مازالت ضائعة ، مخطوطات لم يطلع عليها احد ولم تنشر بعد .

– ٥ –

بعد محور التراث هنـاك محور

المستقبل
واستشراف المتغيرات

المعاصرة وهو ينشطر الى شقين : واقعى المعاصر ، وواقع الاخرين ، فالمفروض أن الانســـان حتى يعى متغيرات العصر لابد أن يعى واقعــه الذى يعيشه والواقع المحيط به ، وكى نكون صرحاء ، فالكثير من النـزعة المكتبية تســـيطر على رؤية الواقع المعاش فيه ، فبدلا من أن ينزل الباحث الى الواقع ويســـتنطقه ويستكتبه ، فانه يكتفى بمراجعته فى مكتبه لبعض الكتب التى كتبت عن واقعه المعاصر وما قاله الاخرون ويتبناه • ونحن فى أشد الى الحاجة الى أن لا نقف عند قالوه عن ماضينا ، وقيـــل عن ــ وقالوا عن ــ حاضرنا • وسنقول عن مستقبلنا • هذه رؤية تجريدية على المستويات الثـــلاثة • المفروض أن الواقع المعاش فيه يلمس عن طريق الاستنطاق والاستجواب •

وعلى سبيل المثال فاننا كثيرا مـا نستشهد فى مؤلفاتنـــا بمـــا قاله المستشرق فلان ، هذا المستشرق الذى نزل الى الميدان ، ونردد ما قاله خبير تتعرف الامم المتحدة ، السؤال : لماذا تنزل أنت الى القرى ؟ لماذا لا تنزل الى الميدان وتمارسه وتتعرف عليــه . وعلى أنعكاسات الواقع ، لكى تتعرف على مردود العقل وتستوعب المتغيرات •• مثلما يمكن أن تجســـده فى كتب مكسيم رودنسون وجاك بيرك وغيرهما من المتقدمين ، أما الاخرون أمثـــال جيب ومار جوليتز والكثير من الاسماء الاخـرى فهم من الذين يســـتحقون المهجوم

هـــذه هى التى أسميها النـــزعة الاستشراقية المكتبية • طبعـــا هنـــاك استشراق مكتبى • المستشرقون منـذ خمسين عاما وأكثر كـــانوا ينزلون ويعيشون مع الناس ، أما الان فهناك نزعة استشراقية مكتبيـــــة ، حيث يجلس الواحـد منهم فى مكتبه يراجع ويســـتخرج من بين هـــذه الكتب والمقتطفات التى يستعملها منها •

ان عمليـة المتعـايش المدروس مع الواقع مهمة لهذا الواقع •

لــماذا ؟

لان واقع الاخرين ومدى المصداقية فى التعامل معه مرتبطان بأحاسيس واقعة ، لان أساس الاخر دائما هـو الاخر• والمفروض حتى تتسلح بمواجهة موضوعية مع الاخـــر وتقيم حوارا معه ، على رزانة وجدية ، لابد أن تكون واعيـــا من أنت ، لا بما قالوه عنك •• واعيا بمن أنت ، بمعنى انك عرفت واقعك •

هناك أهميـــة للتعرف على واقع التـــراث قبل التعـــرف على واقع الاخرين ، لان التعـــرف على واقـع الاخرين فانه لن يدرى ما وقعه الا من خلال الاخرين ، ويصبح محسوبا عليه لا محسوبا علينا ، أصبح يتـــرجم انعكاساتهم ، ويترجم آفاقهم الدينية من خلال هذا الواقع ، نقول ان من أخذ على عاتقه مهمة التنظير أو مهمة البحث ، أو مهمـــة التـــواجه مع المتغيرات أو هموم الامة ، المفروض أولا أن يســـتوعب ذاته ، ثم يبدأ التعرف على واقع الاخرين •

وتبـــدأ قضية واقع الاخـــرين بالسؤال : هل يتعـــرف على واقع الاخرين بنيـــة الرفض ، أى بواقع

رفضى هو أن اتحدى الاخر واستحوذ عليه واحتويه ، أم انه يدخل الى هذا الاخر بمعيار المستعصى المتطلع اليه. الاول هو القدوة والاخر هو السائد ، فحضارة الغرب حضارة سائدة . وفى تصورى الشخصى أعتقد أن كلتا النقطتين مستبعدتان ، أن يدخل الى الاخر من منظور رفضه ، أو أن يدخل الى الاخر من منظور تقبله واستعطافه اذا ما حاول أن يستوعبه ، أى يدخل اليه عن طريق تفهمه .

لكن عندما يراد التغلغل لفهم الحضارة الغربية ، فهى ليست حضارة شكلية ، بل هى حضارة « رهيبة » لها من المعاناة ، والهموم ، والتصفيات الكبرى والمسيرة ، والتجاوز فى اطار الفلسفة والعلوم والمنهج ، لابد أن يجعل الانسان يفكر فيما هو أمامه .

بمعنى أن التنظير الغربى ليس بالسطحية التى يعتقدها البعض ، أبدا ، بل هو تنظير متمرد ، شقى ، رهيب ، خاصة انه انطلق من مبدأ الاحتجاج والرفض واعطاء البدائل ، أى انه من البداية كان يريد أن يلعبها ، فهو ليس الانسان المتهيب أو المتردد ، بل هو انسان يحتج ويرفض ويعطى بدائل .

وبالتالى فان القرن التاسع عشر هو عصر البدائل باسم فلسفة الانسان ، حيث قام بتصفية حسابات الماضى كله ، هناك من صنفها فى اطار نظرية التطور ، ومن صنفها باطار نظرية الوضعية مثل قوانين الاحوال الثلاثة عند أوجست كونت ، هناك أيضا تصنيفات عملية ، واحتجاج وتجاوز .

الان هذا التلاغ للانسان الذى نظر اليه على انه بديل واقتنع به البعض بدرجة انه انفجر مثلما حدث عند نيتشة فى أخلاق السادة ، واعتبر أن الماضى هو أخلاق العبيد وهناك أخلاق السادة ، هذه الامور حقيقة ـ ليست بالبساطة ، ولهذا فعلينا فى البداية أن نطرح واقع الاخرين قبل أى شىء اخر .

ـ ٦ ـ

واذا كان لابد من الكلام عما يجرى على ساحة الفكر فى الوطن العربى ، فاننى أعتذر مسبقا لمخالفتى لرأى الاخرين ، فانا افضل تعدد حيثيات الامة فى المواجهات .. ولا أميل مطلقا الى الاراء أحادية الرؤية ، وقد أتيح لى أن أتعدد فى حيثياتى ، فلدى حيثيات الحضارة العربية الاسلامية ، ثم حيثيات الحضارة الغربية ، ولا أعتقد أن التجربة كانت تجربة سيئة ، فتعدد الحيثيات أكسبنا نوعا معينا من الاضواء ، فالى حد ما لا أعتقد انه تم الغاء ، بل تم احتواء وتجاوز ، بمعنى تخريج للحيثيات ، (أى حيثية متجاوزة على مستوى جدلى بحت) بمعنى أن هناك حيثية الام ، وحيثية النقيض ، ثم حيثية متجاوزة ، بمعنى اننى لست طفيليا على حضارة الغرب .. ولا غريبا على حضارتى ، فانا ابن الدار ، ولهذا لا أعتقد أن هذه قضية علينا أن نتحاشاها ، بل أن نلقى بأنفسنا فى خضم الكون الذى يتحرك حركة شديدة فى اختزال الازمنة والاشياء وحتى الانسان .

ـ ٧ ـ

لابد من الاعتراف بأن الغرب هو « المتغير » ، ومن الصعب أن نرى غرب العصور الحديثة ، غرب عصر

المستقبل
واستشراف المتغيرات

التنوير ، غرب عصور البدائل فى القرن ١٩ . ثم غرب حضارة التقنية المتطورة ، لانني أعتبر أن المغرب عبر الحضارة المغربية من كل فترة زمنية تاخذ رداء يتمشى مع الاختزال والتجاوز . ففى البداية جاءت المدارس النقدية الفلسفية ، ثم جاءت فترة المدارس العلمية ، أى التنظير العلمى ، ومحاولة الشعور بلذةتشريح الظواهر الطبيعية وادخالها المقابر ، وتشريح بعض القوانين منها ، بدأت تفتح الشهية لتشريح الانسان ، ومحاولة التعرف على أعماقه ، والتعرف على علوم الانسان ، وعلم النفس ، والانثروبولوجيا .. الخ .

هذا التنظير العلمى ، تأتى اليه المعرفة التقنية فتكسبه رداء آخر ، وهو رداء الاندفاع والاختزال ، لان الحضارة الغربية الان تركز أساسا على السرعة أكثر ما تركز على الابداع والخلق الجذرى . لان لديه حصيلة ضخمة من القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين ، وتسرع الان فى الهضم عبر التكنولوجيا . ولدى البعض التباس فيما طرحته فى بعض مؤلفاتى فى نظرية المراهنة الصناعية ، حيث حدث التباس دائم حول « من يقود من يرى » بمعنى أنه فى عصر التنوير كانت الفلسفة تقود ، ثم جاء دور العلم الذى يرتكز على الفلسفة ، ثم جاءت الصناعة وبدأت تقود العلم مرتكزة على التكنولوجيا ، ثم جاءت التكنولوجيا لتقود العلم والصناعة ، أى أننا الان فى عصر التكنولوجيا التى أصبحت مساعدا للصناعة المستأنسة بالعلم . بمعنى أن الصناعة كانت فى فترة ما المعيار ، حيث نقول : القائدالمعلم ، القائد الصناعة، القائد المعرفة التكنولوجية ، حينما كان الخلق والابداع والتنظير العلمى هو القائد . فقد كان كل شىء فى خدمة العلم والمعرفة ، بعد أن كانت تابعة للعلم ، أصبح العلم تابعا لها . أصبحت الصناعة تطلب من العلم أن يتقدم ، وتقوم الصناعة بهذه المهمة بعد أن استأنست العلم ، ولم تضع فى حسابها أن التكنولوجيا ستقوم معها بنفس المنهج ، وهى أن التكنولوجيا بدورها كانتمجرد وسيلة للانتاج والتسلسل والسبيل الصناعى للتنميات القروية . نقول : « الصناعى » حتىنتجنب « المردودية » فالمستقبل الان للتكنولوجيا لا فى « المردودية » . ولذا ما نلاحظه الان فى صناعات كثيرة تلقى «بمردوديتها» فى الهواء الطلق ، عن طريق تجربة تكنولوجيا تؤكد مصداقية التكنولوجية ولا تؤكد مصداقية الربح ، بمعنى أن الملايين يتم صرفها على القمار أو صواريخ أو أشياء يلقى بها فى الهواء ، فأصبحت التكنولوجيا هى التى تقود الصناعة وتقود العلم .

هذه التكنولوجيا اختزالية لان التكنولوجيا أساسا نوع من «التقنن» والضغط عن طريق التنسيق والتنظيم والانضباط وتوزيع العمل وتصميم التخصص ، انها عملية رهيبة ، وبالتالى ، فان ما تنبأ به فى نهاية هذا القرن أن التكنولوجيا ستقوم بعملية اختزال لمجالات رهيبة ، ليس

فقط اختـــزال المسافات واختـــزال الاجهزة ، بل اختزال الادوار ، يعنى أن شيئا سيقوم بعدة أدوار فى اطار محـــدد للغاية · وهـــكذا سيكون الاختزال مشكلة كبرى ، لان المجالات ستتسع عن طريق الاختزال ، وهناك من يختزل ويخطو خطوات عملاقة ، واذا فسرنا القضـــية حسب تقنينى المعرفى ، فاننا نجد أن الدول العظمى تتسابق الآن فيمـــا أسميه بدورات الحلقات الخمس ·

والمعروف أن للعلم ثلاث حلقات ، وللمناهج حلقتين ، وحلقات العـلم هى : وصف ، تعليم ، استكشاف ، أما المنهج فحلقتاه هما : مناهـــج البحث ، ومناهج الشرح ، منـــاهج البحث للوصف وجانب من التعليل ، ومنـــــــاهج الشرح للاســـــتنتاج والاستكشاف ·

والمفروض أن يتم اختزال هـــــذه الحلقات الخمس من ١٥ ـ ٢٥ عاما بعد أن كان ذلك يحدث كل ٤٠ عاما · فلنفرض أن باحثـــا بدأ يتـــدرب ويتخصص فى الحلقـــات الخمس ، وقضى عشر سنوات فى التدريب ، لكنه يكتشف بعدها أنه لم يفعل شيئا ، فقد تغيرت المناهج وتغيرت الحلقـــات ، فيراها بصورة مبسطة فيما يســمى الان بالتجسس العلمى والصناعى · وبعض الـــدول العظمى لا تضـــيع الوقت ، وتنتظر حتى ينتهى الاخـر من التصميم وتقـوم بتصويره ، لانه سيكون هناك من يقوم بالتصميم بعد ٥ سنوات ، فى هذه الناحية الدقيقة من التخصص التى قد يكون الاخر قد تجاوزها ، وهذا الصراع الاعظم له امكانات كبرى فى قضـــية اختزال الدورات ، وانا أعتبر أن الاتحـــاد الســـوفييتى فى هذا ذا دفعـــات عمودية ، اما الولايات المتحدة فــان دفعاتها افقية ، وهـــذا لان لديهـــا امكانيات اقتصادية وفائضـــا هائلا من التراكم المعـــرفى الذى يســـمح بالتصويب والتخطيط ، ويسمح لنفسه باكثر من طريق ، اما الاخر فليس لديه هذه الامكانات ، لذا فانه يفعل المستحيل كى يختزل ، وهو يختزل فى الامور الشديدة · أى يريد أن يسبق فى اختزال الزمن السابق اختزاله فى زمانه ، أى يلعب أدوار القرن الحادى والعشرين ·

ـ ٨ ـ

اين نحن من كل هذا ؟

لى شخصيا رأى أعتقـــده ، فانت حينمـــا تكون فى سباق غير متعـــادل فهل من الاولى أن تدخل هذا السباق غير المتكافىء فى وسائله أو فى تعرفك على أرضـــيته ، ولا فى امكـــانك استيعاب قدراته ، أم الاولى أن تبحث عن طريقة أخرى للسباق ؟

لقد طرحت هذا مع مجمـــوعة من الباحثين فى الغرب ، وأنا أتفق معهم فى هذا التطور فيما يسمى بنظرية التباين فى التقدم ، ولكن القضـــية ليست سهلة ، وحسب رأيى ـ وقـد يكون رأيا خاطئا وقد أصححه ـ هو أن السباق مع المتقدم حاليـــا قضية صعبة ، وكل ما تستطيع أن تفعله ، أن تخفف من وقعه بخلق حواجز له عن طريق بعض الامور ، ما نراه الان فى الازمـــات الاقتصـــادية والمواد الاولية ، ولكن المغرب يمتلك من قوة التقنين والقدرات الهائلة : [illegible]

المستقبل
واستشراف المتغيرات

والعلمية والمنهجية وهو ما يجعله يجد البديل بسهولة ، فيأخذ البدائل من نفسها ، لذا فانني أعتقد أن السباق فى هذا المضمار ضرورى ..
فالمتقدم يتمنى أن تسابقه فى ميدانه ، وهذا ما اكتشفته شخصيا فى التقنين المعرفى لتعميمه على علم الانسان ، فقد كان الهدف من تاليف موسوعتى فى علم الانسان — وهى فى أربعة أجزاء — هو محاولة الوقوف ، ولا أقول التمرد — امام هذا التعميم الرهيب الذى يعمق انتصار المتقدم فى العلوم التجريبية ، فقد انتقد فى كل شىء ، لقد انتصر فى العلوم التجريبية ، ولكنه بقدراته الذهنية الهائلة ادعى أنه انتصر فى كل شىء ، بما فى ذلك علوم الانسان ، وقد يكون انتصاره فى علوم الانسان تدميرا لعلوم انسانك وتدميرا لك .. انتصاره هو اكتشافه لكل خباياك ونقاط ضعفك ، وهو فى النهاية سيعطيك نسخة ذم انسانه ولكن حسب المقاس ، فهو الذى يصوغ ، لهذا اعترضت على التقنين المعرفى لعلم الانسان فى كل مكان ، فلكل انسان تقنينه المعرفى الذى ينطلق من همومه ونشاته . فالتجريد العلمى هو سيد الحضارة الغربية بشقيها لان الحضارة المغربية كل لا يتجزأ . ليبرالية وماركسية ، لانها ترتكز على الوسائل الثلاث : التقدم العلمى ، المعرفة التكنولوجية ، التطبيق الصناعى .

ثم الى جانب هذا الحلقات الخمس التى تحركها ، وكلا الاتجاهين يتم تبنيهما ، وقد استطاع الغرب القيام بعملية الحضارة السائدة ، وقد يختلف الاتجاهان الرئيسيان فى الغايات أو فى التقنين للمجال الزمانى ، أو فى وسائل الوصول حسب طبيعة كل بيئة ، لان هناك من لديه التراكم ، والامكانات ، وهناك من ليس لديه شىء ، فيحاول التحرك فى شكل قفزات وليس فى شرائح ، ويمكن أن نسميه — مثل حالة الاتحاد السوفييتى مع جورباتشوف — محاولة تحقيق قفزة ، فقد شعر بأن التموج لا يؤدى الى نتيجة ، ولا فائدة من حراس الثورة ، ووجد أنه يريد قفزة ، لانه يشعر بالمواجهات التى تنتظره ; بينما الاخر موجات وشرائح ، فالانسان لديه فائض هائل من التراكم المعرفى ومن الامكانات الهائلة ، وحدث هذا الاختيار لان لديه أيضا مخزون ومستودعات عقول تاتيه من الغرب ، فكل شاب غربى يجد فى نفسه الامكانية يتجه الى الولايات المتحدة ، وهكذا يحدث فى العالم الثالث .

فالولايات المتحدة لديها ما يسمى بجنة الاختيار ، أما الاخر فيعرف أن قضيته وطبيعته لا تجعلانه مؤهلا لهذه القضية ، ولذا فان محاولة القيام بقفزات محسوبة ومنضبطة بقناعة ، وانها ليست مخاطرة ، واعتقد أن جورباتشوف عقل رهيب ، وأن افقه الذهبى ليس بالبساطة التى يعتقدها البعض . فهو انسان الساعة بالنسبة للاتحاد السوفييتى . انسان الاجابة . الرد على المرحلة .

اما المشكلة بالنسبة لنا فهي كيف نتنفس في هذا الجو الخانق ؟

هذا العالم الذى يبدو كصالون ذئاب ، فالذئاب متوحشة فى صالون لا يؤذن لها بالجلوس فيه الا بحسبان .. ولابد من مؤهلات متعددة حتى يسمح لها بالجلوس بحسبان ، وعلى ان أعود وأكرر أنه لابد أن نرى الامور بمعيار التكتلات الكبرى ، فاكبر خطأ يقع فيه البعض هو أنه من الصعب أن يسمح القرن القادم للاجساد القزمية بالبقاء والتنفس ، وسوف يحتويها ولكن بطريقة عقلانية ومحسوبة ، وبالتالى من يريد أن يبحث ، فالقرن ٢١ سيكون قرن التهميش المجانى ، أى لن يلزم أن يهمشك ، بل أنت نفسك ستقول : لقد قبلت التهميش ، لان ليس لدى ما أقوله ، فالركض صعب ، وبالتالى حتى لا نخرج من هذا التهميش المجانى ، فعلينا أن نتطلع الى التكتلات الكبرى ، كيف يكون هناك تكتل يسمح بخلق قدرة مواجهة ، **لان القرن ٢١ سيشهد بلورة تكتلاتكبرى ، الصين ، والهند، والولايات المتحدة الاوربية ، تكتلات بدات البحث عن هويتها ، فلا مجال في الصالون القادم لاى جسد مرتخ ، او ضعيف .**

نحن أيضا فى حاجة الى التخفيف من الانا المتضخم ، بحيث لا نكون على مستوى القرارات حتى بالنسبة للشعوب .

فلا داعى ان نلقن الشعوب من الان أن البقاء لن يكون الا للتجمعات الكبرى ، وهذه الانا المتضخمة موجودة حتى في الاسرة . فالاسرة منتفخة . تحاول أن تطرح هذه القضية فى البناء الانسانى : بناء الانسان ، بناء الطفل . بمعني أنه من الصعب على الانسان الذى كون بطريقة قهرية حضارية أو على طريقة « هكذا تسير الامور » أن تنتظر منه اجابات ابداعية . لانه ملزم أن يتحرك ، فما أحوجنا ان نطرح نسقا موحدا للطفل . اتمنى أن يجتمع البعض - وانا لا أميل الى التنظيمات كما لا اضع من نفسى موجها - على الاقل من الان لخلق نسق بدا حوجى للطفل الموحد القادر أن يواجه القرن الحادى والعشرين . ونعطى له بعض المبادىء أى الابجديات هذه القضية أطرحها . لان بناء الشوارع والامتداد العمرانى فهذا سيأتى تلقائيا لان هذا من طبيعة العصر - وما أراه كباحث هو أن هناك أشياء باتفاق القاعدين أن يجتمع العظام ويصلون الى رأى . ففى رأيى أن بقاء الحال من المحال . اذن حتى تبقى دار أم لقمان على حالها علينا أن نهيىء لها .. ونستعيد هذا المحال . وهذا من طبيعة التغيير الجذرى . كيف ؟

أن يظل هذا الفائض من مليارات البشر المخمسة تحت تصرفنا الدائم . بمعنى أن هذه هى التنمية . وها نحن موجودون حتى لا تغرقوا فى الديون والتبعية وتتابع الازمات . ولكن الاخر حريص دوما على أن نكون تابعا فى طريقه ، منعزلا ، واذا قررت الا تسلك هذا الطريق . فسوف يطرق من أسفل الباب ويقول لك : هذا طريقى . لانه يعلم جيدا أنك يجب الا تسلك طريق الاخر - ويحدث هذا فى تجربة الصين .

فتجربة الصين حاليا هى أكبر

بليل على الاستئناس ، فلدى اقتناع أن الدول العظمى فى العالم المتقدم تكنولوجيا وصناعيا وعلميا اذا ما وجدت نموذجا بدأ يفلت منها · فانها تفعل المستحيل من أجل استئناسه بكل الطرق · وهنا يأتى المحك الاكبر لان جانبا كبيرا مرتكزا على تغيرات · لان ركيزة كبرى لتقدمك هو أن تسير فى ركابه فى الوقت الذى تبـدأ فيه تتحفز ، لا لتهاجمه أو تحاربه ·· ولكن كى تقول له : « لقد تعبت » · كى تجلس ، سيقول لك انا فى حاجة لمن يأكل ما تبقى من موائدى · أو من يحمل المتاع عنى أو يغسل لى الاوانى ·· أو ما أشبه ذلك · أو انا فى حاجة لان أفرغ له الامور · لابد أن يأخذك معه · لذا فان تجربة الصـين هى تجربة رائعة حقا · لانها تؤكد ان هناك ايقاع كونى ·

بالاضافة الى ذلك فاننى أعتقد أن القضية فى الصين لها ظروف · ولا أعتقد أن معزوفة الصـين اصبحت نهائية · فتصـفية الحسابات فى الصين بدأت بين القيادات بعد رحيل ماو تسى تونج واثرت على مسـيرة الصين حاليـا ، وانا اتصور ان الجانب الذى استبعد هو الذى أخذ المبادرة ·

ان ماو تسى تونج هو كونفوشيوس بعباءة ماركسية · حتى يحمى نفسه من الدب الابيض الذى بجـانبه · عباءة مضادة للروس ، والمعروف أن لمـاو رؤية صينية صينية ، ولـكن القضية أصبحت أن الامم كثيرا مـا تعانى · والمشكلة قـد تستعمل فى النهاية · فهل كان التصحيح عـلى مستوى النخبة أو القيـادة صاحبة القرار ــ مع احترامى لقيادة الصين ــ حتى فى عصر ماو · فالتركيز اكثر مما يجب على تقبل الجمـاهير هو الذى أدى الى ما هو عليه الامر الان

اتصـور لو أن ماو ارتكز على النخبة أكثر من أن يرتكز علىأسطورة القرار القدسى لمـاو أو على ثقـل الجماهير · هو فى الواقع الرصـيد الاكبر · ربما اتفق هنا مع تحـاليل ماكس ليندر والتحـاليل الخاصة للوكاتشيه حول النخبة فى انها ليست صاحبة القرار فى النهـاية · لان القرار هو للقيـادة ولكن ضمان لاستمرار الصلاحية · وانمـا تغير النخبة هو الذى يؤمن استيراد تجربة أو لا يؤمنها ·

ــ ١٠ ــ

وبالنسبة للنخبة العربيـة فحاشا لله أن أكون مجاملا · فهذه النخبة تركز أكثر على المنظم وصاحب القرار ·· وانا اتساءل فى النهاية : هل هى صاحبة القرار ؟ هى شىء اخر بالنسبة لمـا تتأثر به وتؤثر فيـه · والشىء الذى يلفت النظر بالنسـبة للنخبة العربية انها نخبة لا اقول تجاهلت أو نسيت ــ وانما أقول انشغلت بمـا افتعل لهـا من دور ، وصهرت فى دور ، وكان عليها أن تعى ان لهـا دورا أولا · وما تبقى من دور تؤديه كما يطلب منها · كيف ؟

نلاحظ ان النخبة وظفت لمواجهة الاستعمار · ونجحـت · ولابد أن

أسجل لها هذه الاصابة المباشرة ٠٠ بمعنى ان النخبة فى الوطن العربى كانت على مستوى المسئولية ووصلت الى درجة التضحية والفداء بالروح والموت وبقناعات هائلة ٠ وبالتالى كانت احد الجيوش الاساسية ٠ وقد سعى الاستعمار الى أن يؤثر فى هذه النخبة ولكن محاولاته لم تنجح مثل البعثات والاغراءات ٠ وقد وجد نفسه امام نخبة قالت له : « لا » ٠٠ ولعبت دورهـــا حقيقة فى الاستقلال ٠ ولا يمكن انكار هذا الدور ٠ ولو كـانت هذه النخبة غير واعية ٠ وغير مؤهلة له ٠ فلا يمكن أن نقول ان الجماهير يمكن أن تتحول الى وقـــود ٠ لان وسائل الاستعمار وســائل تدمير ، النخبـــة كانت اقوى من وســائل الجماهير المستضعفة المغـــلوبة على امرها ، ولكن وســائل التعبئة التى كانت محصورة فى امكانات محدودة للغاية خصوصا فى الاحتماء بالذات، هذه النخبة الواعية بدورها فى مواجهة الاستعمار ، لم تكن نخبة ملجمة ، بل جربت المعـــاناة والهموم ٠ وترجمت المعاناة ٠٠ وكان يمكنها أن تستخدم الطريق السهل ٠ هذا ايضا جانب من النخبة لاحظته فى الجامعة العربية ويســـتحق أن نسجله حتى من باب الوفاء ٠

يبقى الدور الاساسى ـ وهو محور الارتكاز ـ وهو شـــعور النخبـــة بمسئوليتها فى تيسير حركة المجتمع ٠ فقـــد كـــان المفـــروض أن تعلن عن وجودها ـ ولا اقول تتحدى ـ فقـــد لاحظت مرات كثيرة أمام ســـخونة الساحة او صعوبتها انها بدأت ـ ولا اقول تتراجع ـ تعتبر ان الدور الذى تقوم به ليس له اهمية ٠ فلو أن نخبة فى مجتمع ما بين المجتمعات العربية دون اللجوء الى الدم أو الانقلابات أو المذبح ، وما الى ذلك ، استطاعت أن تعطى ايقاعا متجانسا فى تفهمها لذاتها وتظهر انها مهياة لان تتفهم ، لكان الامر مختلفا ٠

الان الكثيـــر من الادوار تلغى عن طريق الانفعال والاندفاع ، حقيقة كان المفروض أن تتفهم هــــذه النقطة ، بمعنى أن تستوعب قوتهـا أولا حين تتفهم ويتطلب هذا من النخبة ، أن تتفق على حد أدنى ، أعتقد أن النخبة خسرت فترات كبرى فى اطار الالغاء ٠ فالكل يلغى الاخـــر ، كل على حـــق ولكل دوره أن يلغى الاخر ٠ ودوره أن يلغى الاخر ٠ فكانت نخبة الغائية ٠٠ كان المفروض أن تتقبـــل الساحة الرأى والرأى الاخر ٠ وعلى النخبة أن تبحث عن وضع اطار كحد أدنى للتفاهم باعتبار أن الاهم ليس أن أحد الطرفين أهم من الاخر ٠ بل الهدف كيف نبلغ هـــذه الرسالة ـ لاننا فى النهاية أصحاب رسالة وعى وتعبئة ٠ وهـــــذا ينعكس على القيـــادة ، وينعكس فعـــل القيادة علينـــا ، وينعكس فعل القيادة على الجماهير ثم يعكس ويترجم من الجماهير الى القيادة ٠ أى تقوم بدور توصيلى نزيه بعيدا عن العنف والاندفاع ٠

واتصور ـ كنخبوى ـ فى الغرب وفى الموجات الفكرية أن هناك حقيقة غائبة عنا من البداية ، فحين اشـــعر بمن لا يتفق معى فى الرأى الغيه ٠٠ بينما فى المغرب ـ وقـــد عشت معهم تجارب كبـــرى ـ انه حين يختلف الواحد فى الرأى مع الاخـــر فانه يحاول أن يستوعبه ٠ بمعنى أن يكون أكثر اقترابا ، أى يحاول أن يدافع عنه ، ويبدأ التفاهم ٠



حاضر المجتمع المصرى ومستقبله

بقلم : د . سيد عويس

لكى نحكم على أى مجتمع نتعرف على مايلى :

● مكان المرأة فيه ومكانتها الاجتماعية .

● مستوى رعاية الطفولة فى هذا المجتمع من حيث (الرغبة فى الانجاب ، المستوى النوعى للأطفال ذكورا او اناثا ، ومن حيث عددهم مثلا) .

● مستوى سيادة الاتجاه العلمى الحديث والتكنولوجيا العصرية فى هذا المجتمع .

● مستوى الحياة التى يعيشها أعضاء هذا المجتمع من حيث :

ـ المستوى المادى (الصحة العامة ، نوع التغذية وكفايتها ، المسكن اللائق مثلا) .

ـ المستوى المعنوى (المستوى الفنى ، مستوى الثقافة بمعناها العام ، المستوى الفكرى مثلا) .

واذا تأملنا ماسبق ، نلاحظ انه فى ضوء ظروف المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر سواء أكانت اقتصادية ام سياسية ام اجتماعية ثقافية فانه يواجه

مشاكل عديدة منها بل أهمها المشكلة الاقتصادية . وهذه المشكلة ذات أهمية قصوى لأنه يصاحبها عادة مشاكل اجتماعية لها تأثيرها على اعضاء هذا المجتمع سواء أكانوا أطفالا ام شبابا أم كبارا .

ويبدو أننى فى ضوء الخبرة المنتظمة التى مارستها فى موقع العمل الذى اعمل فيه منذ فترة طويلة ، سأركز على المنهج الذى اقترح اتباعه ، وهو ليس بجديد ولا يخفى على أحد من القادة الثقافيين المصريين المعاصرين . لأننى كباحث علمى اجتماعى قد تأكد لى ، دون شك ، ان هذا المنهج الذى امارسه انا وزملائى الباحثون العلميون الاجتماعيون يوميا فى بحوثنا ودراساتنا هو المنهج السوى الذى يجب ان نأخذ به .

● من هنا نبدأ

اننى ارى ، بادىء ذى بدء ، ان نبادر بما يلى :

– ان نحاول معرفة ما هو كائن فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر ، وماهو كائن موجود فعلا فى مؤلفات قادتنا الثقافيين المصريين المعاصرين ، أى أن ماهو كائن عن المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر من وجهات نظر هؤلاء السادة من المتيسر التعرف عليه حتى وان اختلفت وجهات النظر هذه وتباينت . لأن هذا الاختلاف او التباين يضفى الثراء ، مافى ذلك من شك ، على هذه المعرفة .

واقصد بما هو كائن فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر كما سبق ان ذكرت ماهو معروف فعلا عند هؤلاء القادة . ذلك ان المجتمع المصرى فى ضوء تاريخه القديم المستمر وفى ضوء ثقافته ذات المصادر المتعددة وفى ضوء ظروفه الاقتصادية والسياسية وغيرها ، هو فى حقيقة الامر موسوعات ثقافية حية لايمكن ان يحيط بها ، كلها ، كل القادة الثقافيين المصريين المعاصرين .

إننا ، وهذا ما اقترحه بكل تواضع نستطيع ان نلقى الضوء على خبرات السادة الأجلاء على ماهو كائن فى المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر وذلك لأننا اذا عرفنا ما هو كائن نستطيع ايضا اقتراح تغييره تغييرا مقصودا الى مايجب ان يكون او الى مايمكن ان يكون .

وأبادر بالقول بأن ماهو كائن ليس كله بالضرورة شيئا بغيضا . فما هو خير موجود وما هو شر موجود ايضا . اى أن مقومات وجود المجتمع المصرى المعاصر واستمراره موجودة مافى ذلك من شك .

وليس ادل على ما اقول سوى ان ننظر الى تاريخ هذا المجتمع القديم قدم الدهر ، المستمر استمرار الحياة ونفيد من التجارب ونحفظ الدرس . وفى ضوء ظروف مجتمعنا الحاضر فاننا نلاحظ اننا ، فى مسيس الحاجة الى الخبرة المنتظمة .

ولكى نعرف ماهو كائن فى المجتمع المصرى المعاصر عن طريق الخبرة المنتظمة فانه يجدر بنا على سبيل المثال

حاضر المجتمع المصرى ومستقبله

محاولة الافادة من المنهج الفنى والمنهج العلمى العصرى معا .

ذلك ان الفن الصادق فضلا عن المتعة التى ييسرها للانسان وفضلا عن كونه نافذة من النوافذ الاجتماعية السوية التى تنفس النفس البشرية عن طريقها التوترات التى تكون عادة نتيجة للاحباطات التى تنبثق من الظروف الاجتماعية المعاشة ـ هو أى الفن الصادق مثله مثل العلم ييسر الحصول على الحقائق عن الماضى وعن الحاضر وعن المستقبل . ومن ثم فنحن فى حاجة الى نوع من المصالحة بين الفن الصادق وبين العلم . اى ان الحاجة الى الاثنين فى ضوء ظروف مجتمعنا حاجة ملحة .

ـ والملاحظ انه لايوجد غد (او مستقبل) الا فى ضوء الماضى وفى ضوء الحاضر فالماضى هو الحاضر الذى كان ، فى حين ان المستقبل هو الحاضر الذى سيكون .

أى أن الماضى والحاضر والمستقبل كلها تمثل متصلا واحدا .

● بعض التحديات

ومعرفة ما هو كائن عن طريق الفن الصادق وعن طريق المنهج العلمى العصرى (لكى نحصل على الخبرة المنتظمة المرجوة) ليست سهلة ولكنها ليست مستحيلة . اى ان جمع الحقائق او الوصول الى الافتراضات او الفروض التى فى ضوئها تجمع الحقائق عما هو كائن فى مجتمعنا الحاضر على الرغم من صعوبتهما امر ميسور . وحتى تحليل هذه الحقائق لتيسير عملية استخراج النتائج امر ممكن . ولكن مشكلة المشاكل فى ضوء تباين الخلفيات الثقافية هى عملية التشخيص . ومن الوان هذا التباين بل من اهم هذه الالوان تباين البناء الايديولوجى (اى القيم الثقافية العامة) .

ويبدو ذلك واضحا جليا عند مناقشة مفهومى :

ـ تغيير ماهو كائن إلى مايجب ان يكون .

ـ تغيير ماهو كائن الى مايمكن ان يكون .

ولعل مفهوم « بناء الانسان » او « إعادة بنائه » الذى يتردد كثيرا فى هذه الايام أن يصلح ليكون مثالا يوضح الصعوبة التى تنجم عادة من عملية التشخيص المشار اليها . فالملاحظ ان المجتمع المصرى لم يتفق حتى الآن على مفهوم : (المواطن المصرى الصالح) .

إن الأقوال فى هذا الموضوع عديدة جدا وتكون متعارضة احيانا ومتنافرة احيانا اخرى . والملاحظ ان الاتفاق على معنى هذا المفهوم ليس سهلا ولكنه ممكن . والملاحظ ايضا ان هذا المفهوم متغير . اى ان شخصيات المواطنين الصالحين فى المجتمعات المتباينة ، متباينة ايضا . ومن ثم تكون الادوار الاجتماعية لكل مواطن صالح ، التى يتوقعها منه كل من هذه المجتمعات ،

متباينة كذلك . اى ان نظرته نحو الحياة وعلاقاته الاجتماعية واتجاهاته واسلوب تفكيره وآماله وألوان معاناته تختلف بالضرورة حسب المجتمع الذى ولد فيه ويعيش .

والملاحظ أن مفهوم « بناء الانسان » أو « اعادة بنائه » غير واقعى . فالطفل منذ ان يولد يعطى قبل ان يأخذ . فمنذ ولادته تصبح الزوجة اما ويصبح زوجها ابا ، وقد يصبح الطفل عما او خالا او عمة او خالة . واذا كان ذكرا يكون عقبة فى سبيل ميراث الآخرين . والمثل الشعبى المصرى يقول : « الصبى يمنع العدو » .

أى أن الطفل لايبنى . فهو يعطى ويأخذ ، وبقدر ما يأخذ يعطى . أى أن هناك علاقة بينه وبين من يقوم على تنشئته . علاقة ايجابية عندما يعطى وقد تكون سلبية عندما يأخذ . فهو ليس جدارا يبنى وانما هو كائن حى ينشأ .

والملاحظ أيضا أننا اذا اعتبرنا ان ثروة مصر الحقيقية هى شعبها فاننا نجد ان النظرة نحو اعضاء هذا الشعب نظرة غير رشيدة فى معظم الأحيان ، نجد ان رموز السلطة فى الأسرة وفى المنظمة التربوية وفى العمل وعلى مستوى المجتمع ككل اى على مستوى مؤسساته فى الأسرة وفى المدرسة وفى المستشفى وفى الجمعيات الاستهلاكية وحتى فى المحكمة وغيرها وغيرها .. هذه الرموز سواء كانوا آباء أو أزواجا أو مدرسين أو أطباء أو رؤساء - لايعاملون أعضاء الشعب المصرى المعاملة اللائقة . والأمثلة على هذه المعاملة غير الرشيدة عديدة جدا . وفى ضوء البحوث والدراسات العلمية التى قمت باجرائها أو أشرفت عليها نجد أن الضحايا الحقيقيين لهذه المعاملة هم الأطفال والشباب والمرأة ماعدا تلك التى تؤدى دور الأم . ذلك ان النماذج السلوكية الواجب عليهم ان يتخذوها عديدة ومتباينة لعدم وجود الاستراتيجية الاجتماعية (بمعناها العام) الواضحة المعالم والأهداف اى التى تستند الى الايديولوجية الواضحة المعالم والأهداف ايضا .

والنماذج السلوكية العديدة المتباينة تفرض بالضرورة الحيرة والقلق والتوتر على اطفال المجتمع المصرى وشبابه ، وهؤلاء يشكلون القطاع الأكبر من أعضاء المجتمع المصرى الذين يتحملون او سوف يتحملون عبء عمليات التغيير الى الافضل ، اى يتحملون او سوف يتحملون عبء عمليات تنمية المجتمع المنشودة . وهى عمليات لايمكن ان يقوم بها الا هؤلاء الاشخاص فهى بهم تتحقق وثمارها إن تحققت لهم وللاجيال القادمة من بعدهم . وعلى الرغم من ذلك نجدهم ، فى ظل الضباب الذى يحول بينهم وبين الرؤية الواضحة ، لايشتركون فى تحمل عبء صياغة القرار وإصداره . وفضلا عن ذلك تراهم يواجهون الثنائيات (العقل والنقل ، السلف والخلف ، الاصالة والمعاصرة ، الكم والكيف ، القومية الوطنية مثلا) ، ومن هنا تقع البلبلة وتصادم الافكار ، ولن يجدى عن ذلك ابدا الوصايا المفروضة من اعلى . بل على العكس تكون لهذه الوصايا المفروضة آثار وخيمة . منها واخطرها ضعف الانتماء الاجتماعى . ويزداد خطر هذا الاثر عادة اذا خلت الساحة من النماذج السلوكية السوية ، ومن ثم يحاول ان يملأ هذه الساحة الادعياء من أصحاب

الدعوة ومعتنقى الآراء فتبرز النماذج التى لاتلائم مايصبو اليه المجتمع الجديد مجتمع المستقبل .

والملاحظ كذلك ان العبرة ليست فى الاتفاق على معنى مفهوم "المواطن المصرى الصالح" فحسب بل ان اكثر من ذلك اهمية هو الاتفاق على الوسائل التى تحقق اعداد المواطنين المصريين الصالحين . فالاختلاف على هذه الوسائل فى ضوء ظروف المجتمع المصرى المعاصر هو السائد . فقد يتفق البعض على أجهزة تكوين المواطن المصرى الصالح (الاسرة والجيرة والمنظمة التعليمية والمنظمة الدينية ومنظمة شغل اوقات الفراغ والمنظمة السياسية فضلا عن اجهزة الثقافة والاعلام مثلا) ، ولكن الاختلاف والتباين بل والتنافر تكون كلها عادة حول اى الأجهزة اصلح واجدى

من نتائج هذه التحديات

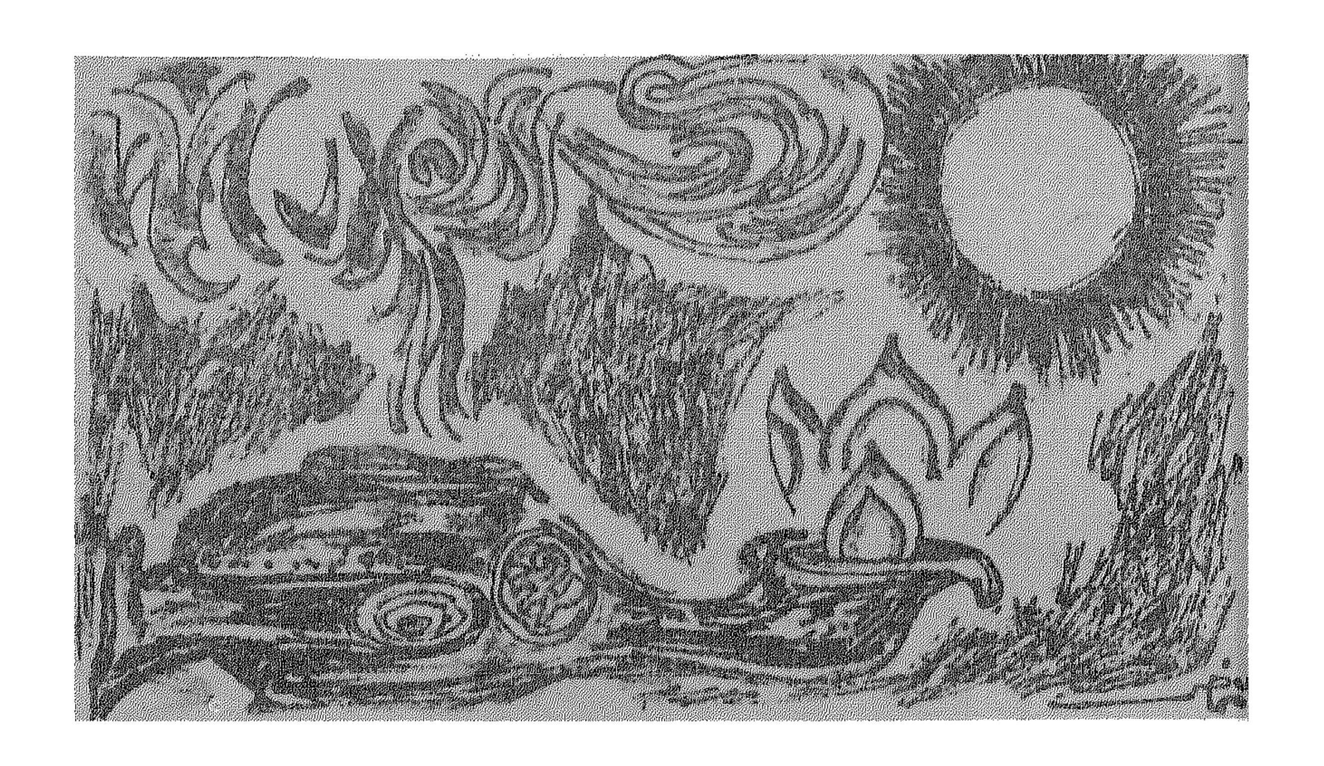
ويلاحظ أن أهم نتائج التحديات التى ذكرت من قبل هو وجود ظاهرة الازدواجية الثقافية التى تعنى ببساطة انه ليس كل مايقال يمارس ، أو بمعنى أكثر صراحة ليس كل مايقوله القادة الثقافيون فى المجتمع اى مجتمع يمارسونه . ومن هؤلاء القادة على وجه الخصوص القادة السياسيون . انهم يعظون الآخرين ولايمارسون مايعظون به .

وتوجد هذه الظاهرة فى كل المجتمعات الانسانية ولكننا نلاحظ ان عوامل وجودها تختلف فى مجتمع عنها فى مجتمع آخر . وذلك لان المجتمعات الانسانية مختلفة تاريخيا وثقافيا . وبالاضافة الى ذلك نجد ان مستويات المعيشة فى المجتمعات الانسانية ونظرة اعضائها نحو الحياة فضلا عن مستويات تحقيق الاساليب التكنولوجية فيها تكون عادة مختلفة .

والملاحظ أنه منذ ان بدات سياسة الانفتاح فى المجتمع المصرى ، فان ظاهرة التغير الاجتماعى قد بدت واضحة . وان هذا التغير الاجتماعى لم يكن على اساس التخطيط العلمى . وكان من نتائج هذه الحقيقة المؤلمة ان وجدت :

- ظاهرة التخلف الثقافى . وظاهرة التفكك الاجتماعى .

والمعروف ان الظاهرة الثانية تكون مصحوبة عادة بالعديد من المشاكل الثقافية الاجتماعية . ومن هذه المشاكل التى واجهها اعضاء المجتمع المصرى وبخاصة الشباب الذين يكونون حوالى ثلثى اعضائه ، مشكلة اللامعيارية . واصبح الكثير من اعضاء المجتمع المصرى المعاصر مجرد أشياء أو بضائع يلهثون من اجل استهلاك البضائع التى لايقدرون على انتاجها ، واصبحت سياسة الانفتاح فى الواقع سياسة للانفتاح



الاستهلاكى وليس للانفتاح الانتاجى . ولم يكن من نصيب الخبراء المصريين الاكفاء ان تتاح لهم الفرصة لابداء أرائهم او ان يعطوا الفرصة للاشتراك فى عمليات تطبيق هذه السياسة . وكانت نتائج حرمان هؤلاء الخبراء الاكفاء من القيام بواجبهم الوطنى ان برزت من مكمنها قيم المظهرية والحسد والنفاق وعدم الانتماء الوطنى والتفاخر وغيرها من القيم غير الحميدة . وسادت من أجل كل هذه الظروف مشكلة اللامعيارية التى سبق ذكرها .

ولعل من النتائج الخطيرة التى يواجهها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر وجود ظاهرة الهجرة الداخلية والخارجية دونما تخطيط علمى سليم . ونحن اذ نلاحظ مدينة القاهرة فى الوقت الراهن نجد انها ليست فقط مدينة مزدحمة ولكنها فى ضوء أنماط سلوك اعضائها أصبحت مدينة حضرية ريفية كذلك .

ويعنى كل ذلك أننا أصبحنا نلاحظ وجود ألوان من الصراعات الثقافية والعيوب الاجتماعية فى محيط اعضاء المجتمع المصرى الذين يعيشون ليس فقط فى مدينة القاهرة بل فى معظم انحاء هذا المجتمع . ومن هذه العيوب الاجتماعية قد نجد الشعور بالعداوة نحو كل او بعض مؤسسات الدولة . ونلاحظ أن الجرائم غير المنظورة (الاجرام الخفى) فى ازدياد فى الوقت الحاضر . ومن هذه الجرائم نذكر جرائم الرشوة وتعاطى المخدرات والاتجار فيها ، والجرائم الجنسية وانماط عديدة من التهريب والسرقة بأسلوب النشل .

ومن نتائج بحوث المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية اتضح مايلى .

حاضر المجتمع المصرى ومستقبله

- يبدأ تعاطى المخدرات فى سن الشباب فنجد ان :
نحو ١٣,٨٪ بدأوا التعاطى فى سن ١٦ .
ونحو ٥٧,٩٪ بدأوا التعاطى فى سن ١٦ - سن ٢٢ .
ونحو ٣٨,٣٪ بدأوا التعاطى فى سن لايزيد على ٢٨ عاما .
- وعلى وجه العموم لوحظ ان العمر الذى يغلب ان يبدأ فيه التعاطى هو مابين ١٥ - ١٧سنة أى العمر الذى يبدأ الشاب عنده تدخين السجاير .
وتعاطى الادوية النفسية (مايسمى بالمواد المخلقة) .
والمخدرات الطبيعية (كالحشيش والأفيون) .
وشرب الكحوليات .
- وتكرر ظهور هذه الحقيقة بالنسبة لتلاميذ المدارس الثانوية والمدارس الفنية المتوسطة وفى دراسات على شرائح أخرى من المجتمع المصرى .
والملاحظ ان الهجرة الى الخارج ، مؤقتة كانت او دائمة ، قد اتاحت الفرصة لوجود مشاكل اجتماعية معينة . فالذين يهاجرون ليسوا فقط من اعضاء المجتمع ذوى المستوى الثقافى الرفيع ، ولكنهم من العمال المهرة ونصف المهرة الذين يحرمون مصرنا الخالدة من خدماتهم . كل ذلك فى نظير بعض المال من العملات الحرة . ومع ذلك فاننا نجد ان قيمة "المظهرية" تتغلب على الكثير من تصرفات هؤلاء المهاجرين فبدلا من ان يأتوا بالمال الذى تحتاج اليه البلاد فانهم يسرفون فى شراء السلع الاستهلاكية . وانتهى الامر بهم الى ان يحققوا القيم غير الحميدة التى من وراء المثل الشعبى المصرى :
« امشى على عدوك معرش ولاتمشيش عليه مكرش » و« لبس البوصة تبقى عروسة » مثلا ... .

● النظرة الى المستقبل

يواجه المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر تحديات خارجية تتضمن التقدم العلمى العصرى والتكنولوجيا الحديثة وبخاصة ماتحقق من ذلك فى حضارة البلاد الغربية وعلى راسها الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة . ومن ثم فأننى ارى ان الظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية التى يواجهها المجتمع المصرى المعاصر تؤكد على ضرورة العمل الجاد فى ضوء العلم العصرى . ولعل اول مايهتم به القادة الثقافيون المصريون فى الوقت الحاضر ان ييسروا التعرف على « هويتنا » بمعنى « ذاتيتنا الثقافية » اى التعرف على الاجابة عن السؤال من نحن ؟
فالاجابة عن هذا السؤال تيسر لنا ان نتبنى الدعوة الى احد الموقفين التاليين :
- اما أن نجد أنه ليس فى الامكان

ابدع مما كان فنؤكد الهوية المتفق عليها فى نفوس اعضاء المجتمع المصرى ، ونسخر لها اجهزة التنشئة الاجتماعية لكى تغرس سماتها فى نفوس اعضاء هذا المجتمع .

- واما ان نحاول تغييرها فى ضوء استراتيجية نتفق ، كما سبق ان اوضحت ، على اهدافها ووسائلها وامكاناتها المالية والبشرية . حتى تواكب الحضارة العصرية السائدة التى أرى وأرجو ان يتفق معى أولو الأمر على ان ابرز سماتها :

- سيادة العلم العصرى . والديمقراطية بأنماطها . واحترام انسانية الانسان المصرى .

● ما الذى يجب علينا عمله ؟

وعلى الرغم من تفاؤلى بمستقبل المجتمع المصرى المعاصر الذى اراه بحق فى فترة مخاض فى الوقت الحاضر ونحن على مشارف القرن الواحد والعشرين ، فإننى اود بكل تواضع ان الفت النظر الى مايحدث فى الشارع المصرى ودواوين الحكومة والمحاكم والشهر العقارى والجمعيات الاستهلاكية والمقابر والمزاد العلنى وملاعب الكرة فضلا عن بعض ملامح من التطرف الدينى والتطرف السياسى والتطرف الاجتماعى (ارتكاب الجرائم مثلا) .

وهذا امر متوقع . فالقادة الثقافيون وصفوة المجتمع المصرى يعلمون فى ضوء تاريخ مصر الطويل ان شعبها قد عانى كثيرا وبخاصة فى خلال الفترة من عام ٥٢٥ ق . م حتى عام ١٩٥٢ اذ كان كل حكامها غير مصريين وكان معظم هؤلاء الحكام قساة ظالمين ، ومن ثم فأننى اقترح مايلى :

١ - التأكيد على الحقيقة التى تقول ان مصرنا الخالدة هى لكل عضو من اعضاء محتمعها

٢ - الحاجة الماسة الى الدعوة الى العلمانية بمعنى الفصل بين الدين والدولة . أى ان يكون الدين لله جل وعلا والوطن للجميع .

٣ - غرس الحاجة الى الانتماء الوطنى فى قلوب وعقول كل المصريين .

٤ - الحاجة الماسة الى تعريف مفهوم المواطن المصرى الصالح ، بمعنى المواطن الذى يستطيع عن وعى اداء ادواره الاجتماعية التى يتوقعها المجتمع المصرى .

٥ - الحاجة الماسة الى وضع الاستراتيجية الاجتماعية التى فى ظلها يتيسر للقادة الثقافيين المصريين القيام بواجباتهم موضوعيا لكى يتيسر لنا مواجهة المشاكل الثقافية الاجتماعية وغيرها التى يعانى منها المجتمع المصرى فى الوقت الحاضر حتى يستطيع اعضاؤه ان يواجهوها ويوجهوها الى الافضل ، ومن ثم يستطيعون ان يواكبوا ركب الحضارة الغربية اوروبية او سوفييتية او امريكية ، فضلا عن حضارة البلاد المتقدمة والصناعية الاخرى .



خطوط البداية للوفاق الثانى بين العملاقين

بقلم: د. سامح منصور

إن معطيات الأشهر الأخيرة من عام ١٩٨٧ المنتهى تحمل للعام الجديد متغيرات أساسية ربما لم يشهدها عام جديد منذ حقبة السبعينيات

وهى متغيرات وإن كانت تحمل الأمل في استرخاء التوتر بين العملاقين فى أوربا ، فهى ترفع علامة استفهام عن أثر الاتفاق على الساحات الأخرى للصراع وفى مقدمتها الشرق العربى ! ...

ورصد أهم المتغيرات التى حدثت فى نصف العام المنتهى هو المدخل الطبيعى لفهم ملامح الأحداث فى العام الجديد .

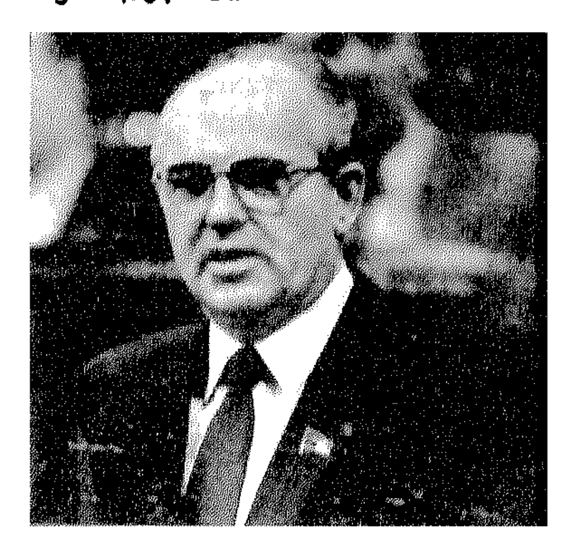
أولا : يشهد الاتحاد السوفييتى تغيرات اقتصادية بالدرجة الأولى وان كانت سياسية الدلالة ، وهى ليست مجرد تعديل طبيعى يصحب أى تغيير فى الزعامة ولكنه فى جوهره أبعد من ذلك وأعمق بحيث يشمل مجمل السياسات السوفييتية فى الداخل والخارج .

وبعيدا عن تفاصيل المتغيرات فى سياسة القيادة السوفييتية الجديدة ـ فانها تعنى فى النهاية أن ضربة قوية



رونالد ريجان

ميخائيل جورباتشوف



توجه الى قوى اليسار المتطرف داخل التجربة السوفييتية **لصالح مايطلق عليه مجازا "الليبرالية الماركسية"**

ثانيا : تشهد الولايات المتحدة فى غيبة عن الاعلام العربى بوجه عام والمصرى بوجه خاص متغيرات يمكن دون مبالغة القول انها ثورة على الطريقة الأمريكية ، بمعنى أنها ثورة بدون مدافع وتظاهرات وقتلى رغم أن ضحاياها سياسيا كثيرة .

فمنذ وصول ريجان للحكم وأقصى اليمين الأمريكى يتحكم فى أقدار السياسة الأمريكية فى الداخل والخارج ، وإعادة انتخابه كانت اشارة بأن هيمنة هذا التيار سوف تطول رغم ان سلوكه فى الداخل والخارج كان يفتقد الى أبسط ماتحتاج إليه دولة عملاقة مثل الولايات المتحدة وهو العقل ! ...

وقد بدأت القوى الليبرالية تنظم صفوفها لانقاذ الولايات المتحدة . وفعلا أمكن ولأول مرة منذ سنوات طوال أن تصبح السيطرة فى الكونجرس بمجلسيه لحزب غير حزب الرئيس وبالتالى يصبح الرئيس الأمريكى مجرد رمز عاجز عن تحقيق سياسات التيار الذى أوصله إلى البيت الأبيض ، واستطاع اليمين الأمريكى أن يبحث عن بديل ، وكان فى مجلس الأمن القومى والمؤسسات المعاونة مثل المخابرات المركزية ، ولكن الأمر لم يستقر طويلا اذ سرعان مافجرت فضيحة تبادل السلاح بالرهائن وهى ماعرف بفضيحة ايران جيت . والمهم فيها انها كشفت عن مدى انهيار القيم لدى اليمين الأمريكى ، فهو يكذب حتى على المؤسسات الدستورية ، وهو فى الوقت الذى تقوم دعايته على محاربة المخدرات يتاجر فيها لحساب ثوار نيكاراجوا . وهو فى الوقت الذى يتحدث فيه عن الكرامة القومية يدخل فى مساومة رخيصة مع ايران للافراج عن الرهائن حتى اصبحت

الهيبة الأمريكية نفسها هى الرهينة لدى ايران وربما لدى غيرها أيضا ! ...

ولم تقف الثورة على الطريقة الأمريكية عند حد استخلاص السلطة التشريعية من أيدى أقصى اليمين وكسر مؤسسات الرئاسة وفضح حقيقة قيم هذا التيار .

لقد تجاوزت الثورة على الطريقة الأمريكية العمل السلبى وهو هدم قلاع اليمين واتجهت الى الايجابى بفرض السياسات التى كان يدينها ليس ليقبلها بل لينفذها بدون قناعة قبل أن يخرج ... وكانت أداة الفرض والتغيير هى الأزمة الاقتصادية التى بدأت فى بورصة نيويورك .. وبعيدا عن تفاصيلها فالمهم أنه ترتب عليها قبول تيار اليمين المتطرف بقيادته فى البيت الأبيض فرض الضرائب على اصحاب الدخول العالية للحد من العجز فى الميزانية . وهو ماكان يرفضه هذا التيار منذ بداية سيطرته على المقدرات الأمريكية .

وكان أيضا وهو مايعنينا بالدرجة الأولى فى هذه الدراسة ان قبل هذا التيار مجبرا تخفيض الاتفاق الحربى الذى تضاعف فى ظل سيطرة سياسة التوتر وصنع الأزمات التى اتبعتها الولايات المتحدة منذ الثمانينيات ... والحرب العراقية الايرانية ـ وهو محركها ـ تجسيد فعلى لفلسفة هذا اليمين المتطرف ! ...

وترتب على ذلك أنه فرض على هذا التيار أن يمد الجسور التى كان من أول انجازاته حين وصل إلى البيت الأبيض ان نسفها وهى التى توصل الى الاتحاد السوفييتي ... ولعل ذلك يفسر العصبية الهيستيرية التى أصيب بها بعض أعضاء الكونجرس حين قيل إن الزعيم السوفييتي سوف يتحدث الى الكونجرس بمجلسيه ! ...

ولعله من المفيد أن نتذكر ان هذه الثورة الأمريكية قد أطاحت برءوس رموز اليمين الأمريكى المتطرف ابتداء من كيركباتريك رئيسة الوفد الأمريكى فى الأمم المتحدة وانتهاء بوزير الدفاع الأمريكي وبينهما اكثر من مستشار أمن قومي وأكثر من مساعد ... وكانت معركة اختبار القوى الأخيرة هى معركة تعيين احد القضاة فى المحكمة العليا حيث اختار الرئيس المرشح بعد الآخر من اقصى اليمين وكان كل مرشح يسقط فى معركة الحساب وفتح الملفات .

وكانت محصلة التغيير فى واشنطن لصالح التيار الليبرالى الأمريكى وهنا لابد من تسجيل ملاحظة بالغة الأهمية وهى أن التغيير يشير الى انه لم يتم لا فى موسكو ولا فى واشنطن تصفية التيار الآخر تماما ... فذلك ليس فقط لأنه مستحيل ولكنه ايضا غير متصور .

واستمرار وجود التيار الآخر سواء فى موسكو أو واشنطن يعنى ليس فقط استمرار الصراع من اجل التغيير بل وهو المهم أن السياسة المطروحة فى كل عاصمة منهما تعكس التوافق او على حد

التعبير الشعبى « توليفة » بين التيارات المتعارضة ...

ثالثا : أن الصف الثانى من عمالقة كل تحالف يشهد تغيرات هى بالصدفة جاءت مع متغيرات العملاقين .

فنجد فى الصين تغيرا ليس فقط فى جيل الكهول الى من هم أكثر شبابا نسبيا وإنما أيضا فى الخط السياسى ، فاذا كان الخط قد جنح أو شطح الى اقصى اليمين بعد ماوتسى تونج ... وهو أمر طبيعى كرد فعل انسانى فانه بعد تذبذب كان لابد له من الوصول الى نقطة وسط وهو مايجرى بالفعل .

ونجد فى اليابان بصدفة لاتتكرر فى جيل واحد هى الأخرى تشهد انتقال السلطة من جيل الى آخر ، وهو يرتبط فى نفس الوقت بمتغيرات سياسية مثل فتح اسواق اليابان للسلع الأجنبية ، وفى مقدمتها الأمريكية وهو مالم يكن متصورا طرحه من قبل .

وخوفا من تشعب المعلومات لكثرتها فلابد من مقاومة إغراء جاذبية هذه التفاصيل اكتفاء بالمؤشرات التى تتعلق بمستقبل العلاقات الدولية على العام الجديد .

واعتقد ان اهم مايعنيه التغيير فى الصف الثانى من عمالقة كل تحالف هو ان التغير فى الصين والذي جاء ملازما للتغير السوفييتى وان لم يكن اى منهما نتيجة الآخر قد اتاح فرصة طال انتظارها وهى وقف الصراع بين عملاقى المعسكر الشيوعى ، ومعطيات الأحداث فى الأشهر الأخيرة من العام المنتهى تشير الى ان الوصول الى هذه النتيجة فى العام الجديد أمر ممكن بل ووشيك الوقوع .

واذا كان الخلاف السوفييتى الصينى يتجه نحو الحل أو على الأقل الحد من درجة الصدام فإن الأمر على العكس تماما فى المعسكر الغربى حيث بدات ملامح صراع ناشىء بين الولايات المتحدة واليابان ، وإن كانت جذوره بالغة العمق وقديمة فإن الأزمة الاقتصادية هى التى فجرت المخزون ... ومهما كانت قدرة القيادة فى واشنطن أو طوكيو على التحكم فى هذا الصراع فإن المؤكد استحالة منعه على كل منهما ، بل ان المؤشرات كلها تدل على أن المانيا الغربية سوف تدخل دائرة الصراع مع واشنطن لنفس عوامل الصراع مع اليابان فى القريب وقد يكون هذا القريب هو العام الجديد او الذى يليه على أفضل الفروض ، ولعله لابد من التذكرة بأن كلا من اليابان والمانيا كان البطل المهزوم أمام التحالف بقيادة واشنطن فى الحرب العالمية الثانية وترك مجال السياسة للعمل في الاقتصاد حتى اصبح عملاقا يهدد العملاق الأمريكى المريض ! ..

وهكذا يتحدد الملمح الثالث بانه فى الوقت الذى قد تخف فيه درجة الصراع داخل التحالف الشيوعى ، فهو يتصاعد وبسرعة داخل التحالف الغربى ومع عناصر قادرة على الاستمرار فيه .

هذه هى أهم معطيات العام المنتهى الى العام الجديد لتشكل توجهات احداثه ، ويبقى أن نحاول قراءة ملامح احداث العام الجديد ، وهى باليقين ليست عملية « تخمين » او قراءة

نجوم ، وانما هي عملية ترجمة لمعطيات العام السابق ، وبقدر ماتكون دراسة هذه المعطيات دقيقة ، بقدر ماتقترب القراءة من الواقع باستثناء المفاجات غير المحسوبة .

فالواضح من أن المتغيرات في واشنطن وموسكو قد أدت الى لقاء القمة في آخر أشهر العام المنتهي ومعه اتفاقات العملاقين على صواريخ اوربا وغيرها وبذلك تبدأ مرحلة جديدة من الانفراج - الوفاق - الثاني ، وانتهاء الحرب الباردة التي كانت قد عادت في ظل ريجان .

● تعبير عن النوايا

والواقع أنه من الخطر المبالغة في التفاؤل باتفاق العملاقين فهو بالنسبة للعالم مجرد تعبير عن النوايا بامكان التخفيف من حدة التوتر اذ أن جوهر الاتفاق بينهما يعود بالفائدة عليهما بالدرجة الأولى ، فهو اساسا يحقق تخفيفا في أعباء الانفاق الحربي على اقتصاد كل منهما .

فقد أكدت الأزمة الاقتصادية الأمريكية الحادة سقوط نظرية أقصى اليمين الأمريكي بأن الاقتصاد الأمريكي ليس فقط يحتمي بل وينتعش بالمزيد من الانفاق الحربي على عكس الاقتصاد السوفييتي ، وظهر أن كلا منهما لم يعد يحتمل هذه الأعباء مهما اختلفت درجة العبء بينهما ، فقد وصلت بمرور الزمن الى حد الخطر على اقتصادهما .

ثم إن الاتفاق في حد ذاته ليس أكثر من تحصيل حاصل ، فالتوازن في قوة هذه الصواريخ على الجانبين بالغ الدقة مع ترسيخ فكرة استحالة أن تكون أوربا ساحة حرب مرة أخرى ، وبفرض المستحيل بأن كانت الساحة فانها لايمكن أن تقتصر على أوربا بل هي باليقين اكثر من غيرها ستمتد الى كل منهما ولذلك كان الاتفاق على إزالة الصواريخ متوسطة المدى المنتشرة في أوربا على الجانبين أي إزالة الخطر من احتمال الصدام بين العملاقين .

وليس معنى ذلك التهوين من قيمة الاتفاق بل هو مجرد معالجة للجانب الأخر منه ، فمؤكد انه اتفاق تاريخي بمعنى انها المرة الأولى التي يتفق فيها العملاقان على تدمير سلاح أي سلاح ! ...

وتأكيدا على أن الاتفاق ليس اكثر من خطوة لابد أن يكون واضحا أن زعيم كل من الدولتين رغم كل مايتمتع به من سلطات وصلاحيات هو ليس صاحب الرأي النهائي أو على الاقل الوحيد .

معنى ذلك ان توقيع الاتفاق بين الزعيمين لابد أن يتبعه الحصول على توقيع مؤسسات كل دولة وفق نظامها ... وهو ماقد يبدو للبعض سهلا ولكنه في الواقع غير ذلك ، ويكفي ان اتفاق سولت ، بين العملاقين لم يصدق عليه من الكونجرس الأمريكي حتى الآن .

صحيح أن الكونجرس يسيطر عليه تيار أكثر قبولا للمعاهدة الجديدة وأن تيار اليمين لايمثل نسبة تعوق دون الحصول على النسبة المطلوبة لاقرار الاتفاق ، ولكن يبقى احتمال اجراء اى تغيير فى الاتفاق ، وهو مايعنى العودة مرة أخرى الى السوفييت .

واذا كان اليمين الأمريكى رغم انكساره قد نجح فى إلغاء جلسة الكونجرس بمجلسيه التى كان مطروحا ان يتحدث فيها الزعيم السوفييتى فان ذلك يعنى أن هذا التيار ان لم يكن قادرا على توجيه الأحداث فهو على الأقل قادر على عرقلتها .

وأعتقد رغم كل التحفظات ان احتمال اقرار المعاهدة من الكونجرس الأمريكى هو الاحتمال الأرجح .

● محاذير على الاتفاق

حتى فى موسكو تبدو نفس المشكلة قائمة وان كانت بصورة مختلفة لدرجة ان الزعيم السوفييتى فى حديثه مع أعضاء الكونجرس الأمريكى بمقر السفارة السوفييتية قال ان اقرار المعاهدة من مجلس السوفييت الأعلى لن يكون سهلا بل وكشف ان حوالى نصف الراى العام السوفييتى لديه محاذير على الاتفاق ، وخصوصا ان الزعيم السوفييتى لم يحسم تماما الموقف مع خصوم التطوير ولكن الأرجح أن تمر الاتفاقية إذا ما اقرها الكونجرس الأمريكى .

وهو دليل على استمرار الشك بين العملاقين وعدم الثقة واذا كان هذا هو تصرف الموقعين تجاه بعضهما فانه يصبح من الطبيعى القلق من الجانب الآخر للاتفاق لدى اوربا من جانب والعالم الثالث من جانب آخر ، وهو مادفع تيارات فرنسا وبريطانيا إلى تأكيد الاستمرار فى برامجهم الذرية وتطويرها بحيث تواجه مسئولية المرحلة الجديدة .

وإذا كان رفع المظلة الذرية لكل من العملاقين عن أوربا يضع حدا لاحتمالات الصدام بينهما فإنه فى نفس الوقت يثير مخاوف الدول الأوربية ، وبالتحديد الغربية ، فهو يؤكد المقولة التى طرحها ديجول فى الستينيات بأن الولايات المتحدة لايمكن أن تعرض أمنها للخطر بسبب أوربا ، وأنه لابد من انشاء قوة ذرية أوربية . **والواضح أن الاتفاق بين العملاقين سوف يدفع بالتحرك الأوربى نحو اتخاذ خطوات عملية على الأقل لتنسيق القوة الذرية بينهم ان لم يكن توحيدها وهو مايخرج من سيطرة العملاقين .**

ووضحت ترجمة الاتفاق على الدول الأوربية فى ظهور بداية تقارب عسكرى مازال فى مرحلة المحاور ، واكثرها وضوحا محور باريس المانيا الغربية ومحور باريس لندن ثم لندن بون . واذا كانت المحاور متكاملة فإنها مازالت فى اطار التقارب والتشاور ويصعب رسم الصورة لمستقبل هذه الحركة وخاصة اذا مارست واشنطن ضغطا حقيقيا على هذه الدول سواء بالايجاب او السلب ، إذ ان صمت واشنطن أمر يصعب تصوره .

الاخطر من ذلك هو ان الاتفاق على اخراج أوربا من دائرة الصراع بين العملاقين يعنى بالنفى أن العالم الثالث هو ساحة الصراع المفتوحة بينهما وخاصة انها ساحة بلا صواريخ ولا قنابل ذرية ! ..

ويصبح الصراع بين العملاقين صراعا على مناطق النفوذ دون مخاطر الصدام المسلح ، وهو يعنى أن المرحلة الجديدة من الانفراج مالم يتم الاتفاق سريعا بين العملاقين سوف تكون فى العام الجديد هى مرحلة تصاعد الصراعات الاقليمية .

وقد حرصت الولايات المتحدة على تهدئة عدد من جبهات الصراع الاقليمى حتى انعقاد مؤتمر القمة بواشنطن وذلك حتى لاتوضع أى منها على مائدة المباحثات .

فالولايات المتحدة حرصت على اقناع اسرائيل بعدم القيام فى هذا الوقت بالذات بأية عملية انتقامية على عملية الطائرة الشراعية حتى لايكون الصراع الفلسطينى الاسرائيلى على مائدة القمة ، وأرجو أن يكون واضحا أن استخدامى لتعبير الصراع الفلسطينى الاسرائيلى ليس من باب السهو أو الخطأ كما حرصت واشنطن على دفع جنوب افريقيا بسحب قواتها من انجولا قبل المؤتمر . وبالتالى لايبقى مطروحا سوى مسألة اليهود السوفييت أو قوات كوبا بانجولا ! ...

وإذا كان هذا هو الهدف الأمريكى فان الغريب الا تحاول الأطراف الأخرى ان كانت لها مصلحة فى إثارة قضاياها للعمل على عكس ذلك فمثلا لو كان موعد العملية الفدائية الرائعة التى قام بها أربعة شباب فلسطينيين بالطائرات الشراعية قد تم يوم افتتاح مؤتمر القمة بين العملاقين إلا إذا كان وهو ما أتمناه ، أن الموعد قد اختير بالقصد بعيدا عن مؤتمر القمة تأكيدا بأن الحل لن يكون غير فلسطيني ! ...

وإذا كان هناك حرص أمريكى على أبعاد بعض الصراعات الاقليمية عن مؤتمر القمة فإن هناك حرصا سوفييتيا على ابعاد مايهمه من صراعات ايضا عن المؤتمر .

وأعتقد أن الصراع الإقليمى المرشح للاستمرار رغم انه كان ومازال مشتعلا قبل المؤتمر وبعده فهو الحرب العراقية الايرانية . ولا أعتقد أن العام الجديد يحمل بوادر أمل فى الوصول الى اتفاق ، فهى الصراع الأمثل لتحرك العملاقين ، إذ أن استمرار الحرب قد حقق مالم يكن ممكنا أن يحدث بدونها

فقد حققت سياسة إيران فى الحرب بقصد أو بدون قصد كثافة الوجود البحرى الأمريكى مدعما ببقية أطراف حلف شمال الأطلنطى ، واستمرار الحرب هى ضمانة استمرار الوجود الأمريكى المكثف ، وهو ماكان مرفوضا من دول الخليج العربى ، بل وكان مصدر ادانة لمن يمد يده لتشجيع أى تواجد عسكرى أمريكى بالمنطقة .

واستمرار الحرب ايضا أتاح للسوفييت ماكان مستحيلا أن يتحقق فى الظروف الطبيعية ، فالعلم السوفييتى يرفرف فوق أربع ناقلات كويتية تعبر الخليج رغم تعتيم الاعلام .

كما أن استمرار الحرب مع الوجود البحرى الأمريكى قد دفع البرجماتية الايرانية الى تصحيح موقفها من السوفييت ، وهو ماكان صعبا تحت راية

الثورة الاسلامية ، وايران هى واحدة من ثلاث دول تقع على حدوده ، وهو حريص على أن يكون له وجود فيها ، ولايبقى منها أمامه سوى تركيا ! ..

وقد لايعرف البعض أن هناك اتفاقا بين ايران والاتحاد السوفييتى منذ الحرب العالمية .. وأن ايران الثورة أعلنت الغاء الاتفاق وهو مالم يعترف به السوفييت لسبب بسيط أن هناك نصا فى المعاهدة يحرم الالغاء من طرف واحد ، ووفق هذه المعاهدة يصبح من حق السوفييت الوجود عسكريا على أرض ايران فى حال تعرضها لغزو .. وطبعا لن يتحرك السوفييت الا اذا كان الغزو امريكيا ... وهو ماتحرص ايران الآن على توضيح أن المعاهدة موضع الحوار مع السوفييت حتى تذكر واشنطن بهذا البند من المعاهدة مع اننى أعتقد ان فكرة توجيه ضربة أمريكية لايران غير مطروحة ولكن المهم أن السوفييت قد وجدوا لهم مكانا فى صراع الخليج رغم أن مواقف دول المنطقة وفى مقدمتها ايران كانت ضد اى وجود سوفييتى حتى ان بعض الدول كانت لاتسمح حتى ولا بسفارة . فأصبحت الدول التى بلا سفارة سوفييتية مجرد واحدة ! ...

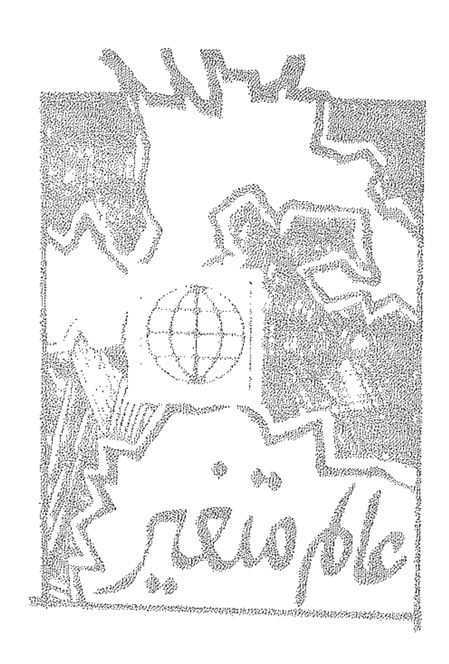
ويبدو ان العام الجديد سوف يكون عام الصراعات الإقليمية . وهو اختبار النوايا بالنسبة للانفراج الثانى - الوفاق - بين العملاقين .

فاليمين الأمريكى المتطرف وهو مازال برمزه الأعلى ريجان فى السلطة سوف يسعى الى تحقيق اى مكاسب حتى ولو كانت ببعض المغامرات المحسوبة باعتبار ان ذلك هو الأمل الوحيد لامكان تحقيق انتصار فى معركة الرئاسة التى تبدأ حملتها مع نهاية العام الجديد ، وهو سوف يختار مجالا يكون السوفييت طرفا فيه سواء مباشرة أو غير مباشرة حتى تضع دوائر صنع القرار الأمريكى ان الاتفاق مع السوفييت تهديد مباشر للأمن الأمريكى .

وأفضل دائرة صراع اقليمى لتحقيق هدف اليمين الأمريكى هى أمريكا اللاتينية وفى مقدمتها نيكاراجوا وهو ماحدث بالفعل بأكبر عملية للمتمردين قبل نهاية العام ..

ولعل هذه الحسابات التى يتوقعها السوفييت لتحرك اليمين الأمريكى المتطرف هو أحد العوامل وراء تأجيل بعض الاتفاقات التى كان يمكن أن توقع فى مؤتمر القمة بواشنطن الى صيف العام الجديد لمؤتمر القمة التالى فى موسكو قبل انتهاء مدة ريجان مباشرة ، وهو مايحد من حرية اليمين الأمريكى الى حد ما خوفا على الاتفاقات التى لم توقع وبالتالى يفقد الرأى العام الأمريكى اى يفقد الانتخابات .

فالواضح أن العام الجديد ليس عام الانفراج ولكنه عام اختبار النوايا بين العملاقين والأطراف الدولية الأخرى صاحبة المصلحة سواء فى الحرب او الانفراج أما السلام فهو مازال حلما بعيد المنال . ولعل مؤتمر القمة بين العملاقين فى الربيع القادم ينجح فى تحويل الانفراج الى وفاق ، ومهما كان تطور الصراع بين العملاقين فان المعنى الجوهرى لاتفاقاتهما وخلافاتهما هو أن القوى الوطنية فى اى صراع اقليمي هى وحدها القادرة على تحقيق أهدافها .



التغيرات فى النظام العربى

بقلم : د. أحمد صدقى الدجانى

البحث فى المتغيرات الجارية فى مختلف جوانب حياتنا وثيق الصلة بالعصر الذى نعيشه . فقد شهد هذا العصر منذ بدايته في أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ما يسمى بتفجر ثورة العلم ، وتفجر ثورة التحرير . وما أكثر ما يتردد الحديث فيه عن "عصر الانفجار المعرفى وتدفق المعلومات" ، وعن "تغيرات فى سائر الميادين بعامة وتطورات مذهلة فى ميدان العلوم وتطبيقاتها بخاصة" ، وعن "تقلص الأبعاد وسيادة قانون الاعتماد المتبادل فى الاقتصاد ، وعن « أخطار الانفجار السكاني والأسلحة النووية وتخلخل طبقة الأوزون المحيطة بأمنا الأرض » . والحق ان هذا الحديث الذى أخاض فيه الباحثون يدعونى كلما تناولت موضوع ما يوصف "بالتغير المتسارع فى عالمنا المعاصر" الى لفت النظر بداية الى حدود هذا التغير ومحدداته .

إن من الضرورى عند الحديث عن التغير الذى نعيشه التمييز بين الافكار الكلية التى تمثل اساسيات العلم والمعلومات الجزئية التى تتعلق بالتفاصيل فحديثنا عن ان معرفة الانسان المعاصر تضاعفت مرات عن معرفة اسلافه يصدق

على المعلومات الجزئية . وحديثنا عن التغير يدعونا الى استحضار الثوابت التى تحددها طبيعة الانسان فى تفاعله مع المكان والزمان .

● نظام إقليمي

والبحث فى التغيرات الحادثة فى « النظام العربى » يدعونا بداية ايضا الى تحديد مفهومنا لهذا الاصطلاح ، ومن ثم التعرف على نشاته ، وأصوله ، ومواثيقه وواقعه .

النظام اصطلاح جديد يستخدم فى اكثر من علم . وهو يعنى بصورة عامة مجموعة القواعد والاتجاهات العامة التى يشترك فى اتباعها افراد او دول ، ويتخذونها اساسا لتنظيم حياتهم الجمعية وتنسيق العلاقات التى تربط بعضهم ببعض وتربطهم بغيرهم ، ويقوم عليها بناء سياسى او اجتماعى او اقتصادى او ثقافى ، وما يجرى فى هذا البناء من تفاعلات ، والعلاقات المحددة لطريقة اداء العملية السياسية . وقد استخدم اصطلاح النظام الاقليمى فى علم السياسة ليشير الى "مجموعة العلاقات والتفاعلات بين مجموعة الدول التى تقع داخل إقليم جغرافى واحد ، وتخضع لقواعد وقوانين منتظمة ، وتستوحى الولاء لفكرة وسلطة عليا » .

"النظام العربى" هو "نظام اقليمى ساحته هى الوطن العربى ، واعضاؤه هم الدول العربية ومنظمة التحرير الفلسطينية" . ومفهومه مفهوم حديث حداثة ولادته عند قيام جامعة الدول العربية فى اعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤٥ ، لان اصطلاح النظام يتعلق بدول وكيانات رسمية تتعاهد فيما بينها على العمل معا ضمن صيغة معينة . وقد ظهرت ارهاصات قيام هذا النظام منذ نهاية القرن الماضى بفعل تحولات حدثت فى بنية الفكر العثمانى السياسى الذى اخذ يتاثر بالنموذج الغربى ، ووضحت هذه الارهاصات عند قيام الثورة العربية عام ١٩١٦ ثم عند اقدام اتاتورك بالغاء العمل "بنظام الخلافة" عام ١٩٢٤ ، وفشل محاولات الحفاظ على هذا النظام التى جرت فى اكثر من بلد عربى . واشتدت الحاجة منذ ذلك الحين الى قيام نظام عربى وانظمة اخرى لملء الفراغ الذى حدث بفعل هذا الالغاء .

قام النظام العربى ينظم العلاقة بين دول عربية استقلت حديثا بعد ان تسلط عليها الاستعمار الغربى فترة واعتمدت هذه الدول المفهوم الغربى للدولة الوطنية ذات السيادة . وكانت شعوب هذه الدول وشعوب اخرى تعيش قبل تسلط الاستعمار الغربى عليها فى ظل نظام الخلافة الذى حكم "دار الاسلام" على مدى ثلاثة عشر قرنا . وكانت لهذا النظام مفاهيمه حول مختلف القضايا الداخلية والخارجية ، وما يتصل من علاقات فى مختلف المجالات التشريعية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية . ولقد وجدت فى ظل هذا النظام كيانات سياسية ، ولكنها كانت اجزاء من الكيان الكبير الواحد الذى هو المعبر عن استمرارية "الدول العربية والاسلامية" . وكانت تقوم بين هذه الكيانات علاقات قننها الفقهاء . ومن امثلتها ما اورده القلقشندى العظيم صاحب "صبح الاعشى فى صناعة الانشا" فى فصل المهادنات عن "صاحب مواد البيان" "وقد يتعاقد عظماء اهل

الاسلام على التوادع والتسالم واعتقاد المودة والتصافى ، والتوازن والتعاون والتعاضد والتناصر . ويشترط الاضعف منهم للاقوى تسليم بعض مافى يده والتفادى عنه بمعاطفته ، والانقياد الى اتباعه ، والطاعة والاحترام فى المخاطبة والمجاملة فى المعاملة ، او الامداد بجيش ، او امتثال الاوامر والنواهى وغيرها مما لا يحصى" ثم يعقب القلقشندى وقلت "وقد يكون الملكان متساويين فى الرتبة او متقاربين ، فيقع التعاقد بينهما على المسالمة والمصافاة ، والمؤازرة والمعاونة وكف الاذية والاضرار وما فى معنى ذلك ، دون ان يلتزم احدهما للاخر شيئا يقوم به او اتاوة يحملها اليه ، ولكل مقام مقال .."

إن ما نقصد اليه من ايراد هذا النص ومن استحضار نظام الخلافة عند الحديث عن نشأة النظام العربى ، هو ان نلاحظ التغير الذى حدث ابتداء من مفهوم "شرعية النظام" فى الدولة الحديثة وصولا الى مفهوم "الجنسية والمواطنة" ، وان ننبه الى ان العلاقة التى تقوم بين الدول فى "النظام الغربى" القائم على مفهوم الدولة الغربية الحديثة تختلف عن تلك التى كانت تقوم بين "الامارات" و "عظماء اهل الاسلام" فى ظل "نظام الخلافة" ، فى أنها علاقة بين دول تقوم

بينها "حدود" ولكل منها "سيادة" ، بينما كانت تلك علاقة بين كيانات تقع فى ظل دولة كبيرة واحدة وتفصلها خطوط ادارية ولها مرجع اعلى واحد هو رأس "نظام الخلافة" .

● ميثاق جامعة الدول العربية

لقد نشأ النظام العربى فى ظل الوضع الدولى الذى شهد قيام منظمة الامم المتحدة . وكانت شعوب امتنا العربية تتابع نضالها من اجل تحرير وطنها وتحقيق وحدته . وقد نظمت العلاقة بين الدول العربية السبع التى توافقت على تأسيس هذا النظام مجموعة مواثيق اعتبرت اساسا له تلتزم بها كل دولة تريد ان تصبح عضوا فيه . وابرز هذه المواثيق هو "ميثاق جامعة الدول العربية" .

وتم إقرار ميثاق جامعة الدول العربية يوم ١٩٤٥/٣/٢٢ ، وجاء مقصورا على تفصيل البنود الخاصة بتنظيم العلاقات العربية . وترك الحديث عن تفصيل البند الخاص بالتعاون والبند الخاص بتقوية الروابط فى بروتوكول الاسكندرية الى "معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادى بين دول الجامعة العربية وملحقها العسكرى" التى وافق عليها مجلس الجامعة فى ابريل ١٩٥٠ .

إن استذكار ما تضمنته هذه المواثيق ضرورى لرصد التغيرات فى النظام العربى ، ولاستشراف مستقبله وتشوقه ورؤيته وصنعه . ولنا ان نشير الى ما تضمنه البند الاول من البروتوكول وهو خاص بالجامعة العربية المزمع انشاؤها ان "لكل دولة ان تعقد مع دولة اخرى من دول الجامعة العربية او غيرها اتفاقات خاصة لا تتعارض مع نصوص هذه

الاحكام او روحها .. ولا يجوز فى اية حال اتباع سياسة خارجية تضر بسياسة جامعة الدول العربية او اية دولة منها . "كما نشير الى ماتضمنه البند الخامس وهو قرار خاص بفلسطين ينص الجزء الاول منه على ان فلسطين ركن مهم من اركان البلاد العربية ، وان حقوق العرب لايمكن المساس بها من غير اضرار بالسلم والاستقرار فى العالم العربى ..

وتعلن اللجنة تأييدها لقضية عرب فلسطين ، بالعمل على "تحقيق امانيهم المشروعة ، وصون حقوقهم العادلة" ولقد خصص ميثاق الجامعة ملحقه الاول لفلسطين مشيرا فيه الى ان "البلاد العربية المنسلخة من الدول العثمانية اصبحت مستقلة بنفسها غير تابعة لاية دولة اخرى ، بعد ان سقطت عنها ولاية تلك الدولة ، وان "معاهدة لوزان" اعلنت ان امر هذه البلاد لاصحاب الشأن فيها . واذا لم تكن قد مكنت من تولى امورها ، فإن ميثاق العصبة فى سنة ١٩١٩ لم يقرر النظام الذى وضعه لها الا على اساس الاعتراف باستقلالها ، فوجودها واستقلالها الدولى من الناحية الشرعية أمران لاشك فيهما ، كما انه لاشك فى استقلال البلاد العربية الاخرى ، واذا كانت المظاهر الخارجية لذلك الاستقلال ظلت محجوبة لاسباب قاهرة ، فلا يسوغ ان يكون ذلك حائلا دون اشتراكها فى اعمال مجلس الجامعة . ولذلك ترى الدول الموقعة على ميثاق الجامعة العربية انه نظرا لظروف فلسطين الخاصة ، والى ان يتمتع هذا القطر بممارسة استقلاله فعلا ، يتولى مجلس الجامعة امر اختيار مندوب عربى من فلسطين للمشاركة فى اعماله . وقد اصبحت فلسطين ممثلة بمنظمة التحرير الفلسطينية عضوا كامل العضوية بالجامعة عام ١٩٧٦ .

ما الذى نستخلصه من دراسة مواثيق النظام العربى التى أرست أساسه ونظمت عمله ؟

هنـاك مجمـوعـة حقـائق يمكن استخلاصها ، وهى تمثل الأركان التى يقوم عليها هذا الأساس ، ولنا أن نذكر منها بخاصة مايلى :

أولا : ـ أن النظام العربى ينطلق من فكرة انتماء اعضائه الى أمة واحدة فى وطن كبير يشمل جميع الدول العربية . وهو من ثم يتبنى اهداف هذه الأمة فى تحرير اراضيها الرازحة تحت الاحتلال الأجنبى ، وفى تحقيق التعاون بين شعوبها وصولا الى صيغ وحدوية متقدمة ، وفى الدفاع عن الوطن العربى الكبير ، وفى تأمين المصالح العربية . وتمثل فكرة الانتماء هذه إطاره المرجعى

ثانيا : ـ ان النظام العربى يقوم على توافق اعضائه على الالتزام بمواثيقه ، وتعاقدهم على العمل المشترك فى مختلف المجالات وفق ما قرروه معا . وهذا التوافق ضرورى لأن عدم الالتزام يهدد النظام .

ثالثا : ـ ان النظام العربى ملتزم بقضية فلسطين ، ودفع اخطار الغزو الصهيونى للوطن العربى ، والعمل على تحرير الأراضى العربية الواقعة تحت الاحتلال الاجنبى .

رابعا : ـ أن مصر قامت بدور خاص فى إقامة هذا النظام ـ وتحملت مسئولية خاصة فيه بحكم كونها دولة

المقر ، ومقر اللجنة العسكرية .

خامسا : ـ أن الدول الأخرى المؤسسة للجامعة لها ثقلها فى هذا النظام . وأن لهذا النظام أعمدة عدة حددتها مواقع اعضائه واستطاعاتهم .

لقد بدت هذه الحقائق بمثابة الثوابت التى تحكم النظام العربى عند قيامه . ولم تلبث أن طرأت احداث كثيرة خلال العقود الأربعة الماضية حملت معها تغيرات ، ووضعت النظام العربى على المحك ، وأوصلت الى مانراه من واقع النظام اليوم . فإلى أى مدى مست التغيرات الثوابت ؟ وكيف نتعامل مع واقع النظام العربى ؟

● موجات التحرير

لنا أن نشير من بين الاحداث التى طرأت الى إقامة الكيان الصهيونى العنصرى على جزء كبير من أرض فلسطين عام ١٩٤٨ واعلانه دولة باسم "أسرائيل" ، وانتهاجه سياسة عدوانية توسعية تجاه الأمة العربية والأرض العربية متحالفا مع قوى الاستعمار الغربى القديم والجديد . وقد بلغت هذه السياسة ذروتها عام ١٩٦٧ ثم عام ١٩٧٨ ثم عام ١٩٨٢ ، من خلال حروب شنتها .

نشير أيضا الى نجاح عدد من البلاد العربية فى التخلص من نير الاحتلال الاجنبى وقيام دول عربية مستقلة فيها ، انضمام هذه الدول الى عضوية النظام العربى التى وصل عددها الى اثنين عشرين فضلا عن فلسطين .

ونشير الى استقلال عدد كبير من البلاد الآسيوية والأفريقية وجزء كبير منها تسكنه شعوب اسلامية ـ ضمن تدفق موجات التحرير ، وقيام عدد من الدول المستقلة فى هذه البلاد . ولقد قام نظام الدول غير المنحازة ليضم فى عضويته الكثير من هذه الدول اثناء الستينيات ووسط وضع دولى أشتد فيه التنافس بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفييتى . ثم قام نظام دول المؤتمر الاسلامى إثر الاعتداء الصهيونى على المسجد الاقصى عام ١٩٦٩ ليضم فى عضويته الدول الاسلامية وقام فى الفترة بين قيام النظامين نظام الوحدة الافريقية ليضم دول القارة الافريقية

وكان للنظام العربى مكانه الخاص ودوره الخاص فى جميع هذه الأنظمة ، وبخاصة فى النظام الاسلامى .. ويلفت النظر هنا أن جل الدول الاعضاء فى هذه الأنظمة الأربعة فى بلاد كانت تقع ضمن نظام الخلافة أو تحكمها علاقات قوية به .

نشير أخيراً إلى ماتعرض له النظام العربى بخاصة وهذه الأنظمة الثلاثة الأخرى بعامة من ضغوطات القوى الكبرى لفرض التبعية عليها .

● عدم المساس بالثوابت

لم تمثل الاحداث التى طرأت فى العقود الثلاثة الاولى من قيام النظام العربى مساسا بثوابته ، لان اتساع العضوية فيه كانت دعما له ، ولان الاحداث الاخرى لم تجر فى داخله ولكن العقد الرابع من عمر النظام شهد الحدث الذى احدث تغيرا إساسيا فيه ـ وهذا الحدث هو ابرام مصر

معاهدة سلام منفرد مع الكيان الصهيوني .

كان لهذا الحدث اثاره على "النظام العربي" . وقد نجم عنه توقف مصر عن عضويتها فى الجامعة العربية ، ونقل مقر الجامعة الى تونس ، وقطع العلاقات الدبلوماسية بين مصر وجل الدول العربية ، وواضح ان خطورة اثاره مرتبطة بكونه تعرض لثوابت النظام حين لم يتحقق فيه شرط التوافق ، واتخذ موقفا مغايرا فى الصراع العربى الصهيونى ، وحمل فى طياته تصورا مختلفا لدور مصر فى النظام العربى .

لقد اشتدت الاخطار على النظام العربى فى العقد الماضى من السنين ، حتى بدا للبعض انه آيل للتداعى ، وانه على وشك الانهيار . وكانت هذه الاخطار على نوعين خارجى وداخلى . ولعل الخطر الخارجى الاكبر الذى هدد هذا النظام هو محاولة الولايات المتحدة الامريكية فرض تسويات منفردة بين الدول العربية المجاورة لفلسطين والكيان الصهيونى وصولا الى انهاء النظام العربى واستبداله بنظام اقليمى تكون "اسرائيل" فيه اليد العليا . ولا يزال هذا الخطر ماثلا ومتضمنا فى صيغة المؤتمر الدولى المظللة التى تتبناها الولايات المتحدة الامريكية كاطار للتسوية ولانهاء الصراع العربى الصهيونى وتستهدف هذه المحاولة تصفية قضية فلسطين ، وتمكين اسرائيل من فرض شروطها على الدول العربية المجاورة ، واسناد دور لها فى المنطقة ككل ويجعلها القوة الاولى فيها .

ولقد تعددت الاخطار الداخلية وتنوعت على صعيد اوضاع القطر العربى الواحد ، وعلى صعيد العلاقات الثنائية بين قطرين عربيين ، وعلى صعيد العلاقات العربية داخل النظام . ومن امثلتها ما تسببه قوانين الجنسية القطرية من اضعاف للاقتصاد العربى ، وبخاصة فى غياب تقنين مبدأ المواطنة العربية ، وذلك بعرقلتها التنقل والعمل واضعافها حركة الاستثمار . ومن امثلتها ايضا تدخل الدولة القطرية غير المدروس فى اقتصاد الامة بالقوانين التى تصدرها ارتجالاً او من خلال نظرة ضيقة تغفل حقيقة الانتماء إلى وطن عربى كبير . ومن امثلتها تشجيع قيم الاستهلاك فى مجتمعاتنا . وهذه الامثلة جميعها على الصعيد الاقتصادى وهناك ما يماثلها على الصُعد الاخرى .

استطاع النظام العربى ان يصمد فى وجه ذلك الخطر الخارجى الاكبر الذى هدده ، وإن اصابه الوهم . وقد اثبت قدرته كنظام على الاستمرار ، وبدا البديل المطروح له مفزعا . واكدت مجريات الاحداث فى المنطقة حقيقة توجه السياسة الصهيونية للعدوان والتوسع من جهة ، وحقيقة انه لا غنى لاية دولة عربية عن الارتباط بهذا النظام العربى .

● صمود النظام العربى

لقد جاء انعقاد قمة عمان فى نوفمبر ١٩٨٧ ليقدم دليلا اخر على صمود هذا النظام العربى وقدرته على الاستمرار . كما جاء تعبير مصر عن حرصها على تأكيد انتمائها العربى ليوفر مناخا صالحا لمعالجة ما أصاب النظام من شرخ حين تجمدت عضوية مصر فيه . وواضح ان هذه المعالجة تتطلب من جميع اعضاء النظام العربى ان يحسموا فى اختياراتهم الوطنية والقومية والدولية فيما يخص

تعاملهم مع الصراع العربى الصهيونى ومواجهتهم للسياسة العدوانية الصهيونية التوسعية ، فلا امن قطرى الا من خلال امن قومى ، ولا يمكن للانتماء القطرى ان يتنكر للانتماء القومى ، ولا ان يكون ضحية اصطناع تصادم معه . ولا مجال للتخلى عن النظام العربى او لاستبدال نظام اقليمى به يدخل فيه الكيان الصهيونى الدخيل . وان التهديد الاساسى والرئيسى لاى قطر عربى وللوطن العربى كله هو الاستعمار الاستيطانى الصهيونى التوسعى ويختلف هذا التهديد بطبيعته عن اية تهديدات اخرى ناجمة عن نزاعات بين اعضاء النظام العربى او مع دول الجوار الجغرافى للوطن العربى . ولابد من توثيق الصلة بين النظام العربى والنظام الخاص بدول المؤتمر الاسلامى ، واحكام آلية للتعاون بينها فى مختلف الميادين وفيما يتعلق بقضية فلسطين بخاصة . والامر نفسه يصدق على النظامين الافريقى وعدم الانحياز . ولا جدوى من الوقوع فى اسر الاستقطاب الدولى لانه يعنى الحكم بالتبعية على اية دولة تستقطب . ومن هنا فلا مجال لقبول مؤتمر دولى ، ولا لتسويات منفردة تحاول الولايات المتحدة فرضها . ولابد ان تتجسد هذه الاختيارات فى تشريعات وممارسات توجد الحقائق الوحدوية بين اعضاء النظام العربى .

إن هذه الاختيارات هى الاستجابة الفاعلة لثوابت النظام العربى ، وان التمسك بهذه الثوابت لا يقطع الطريق أمام حدوث تطور صحى فى هذا النظام ، يحسن من آلية عمله . وما اكثر ما تردد الحديث على مدى اربعة عقود حول اعادة النظر فى صيغة النظام العربى ، وقد اقترن احيانا بمراجعة للمواثيق الاساسية والانظمة . ولكن ذلك لا يعنى الاخلال باساس هذا النظام من خلال المساس بثوابته . فالتوافق العربى هو السبيل فى معالجة القضايا العربية انطلاقا من الانتماء العربى . والالتزام بقضية فلسطين ومواجهة الغزو الصهيونى هو السبيل لحماية الامن القومى والامن القطرى . والقيام بالدور فى اطار الكل هو السبيل امام الجزء كى يحقق وجوده . والجزء هنا هو الدولة القطرية والكل هو النظام العربى بمجموعه .

واضح ان نهوض النظام العربى بمسئولياته يقتضى تكثيف الجهود لانهاء الحرب بين العراق وايران ، وقد نشبت هذه الحرب ضمن الدائرة التى تُمثل نظام المؤتمر الاسلامى بين دولتين عضوين فيه تنتمى احداهما فى الوقت نفسه للدائرة العربية ، وهى تنذر اليوم بالتوسع فى المنطقة وبالامتداد ، الامر الذى يهدد النظامين معا ، ويخل اخلالا شديدا بمتطلبات مواجهة التوسع الصهيونى وسياساته العدوانية .

ومن هنا فالحاجة ملحة الى بناء موقف واحد من قضية فلسطين والقدس يرأب الصدع فى النظام العربى ويمكنه من توفير الثقل اللازم لانهاء الحرب ، واعادة الوئام الى الدائرتين العربية والاسلامية ، وتنظيم علاقة قوية بينه وبين نظام المؤتمر الاسلامى يتحقق من خلالها تامين عمق وطننا العربى وصولا الى بلوغ اهدافنا وقيامنا بدور فعال فى عالمنا .

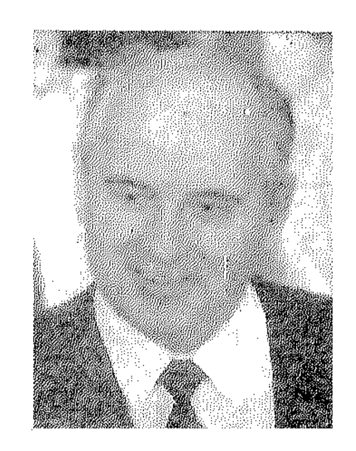


الخطوة التالية في عام ١٩٨٨

لقاء الرفاق على مفهوم جديد للاشتراكية

بقلم : عبد الرحمن شاكر

إذا كان العام المنصرم ١٩٨٧ ، قد توج قرب نهايته ، باللقاء في واشنطون بين ريجان وجورباتشوف ، لتوقيع ما وصف بأنه الاتفاق التاريخي على إزالة الصواريخ النووية القصيرة والمتوسطة من أوربا ، فإن لقاءً آخر ، قد دار "الغزل" ، أو الحوار حوله ما بين جورباتشوف ، وزعيم الصين دنج سياو بنج ، في أواخر العام المنصرم أيضا . وفي هذه الصورة يبدو جورباتشوف وكأنه "واسطة العقد" ما بين زعماء العالم ما بين ريجان ودنج سياو بنج ، مرورا بالمسز تاتشر التي قابلها في طريقه الى واشنطون ! ولعل "شبابه" النسبي إزاء هؤلاء الزعماء جميعا ، يساعده على حفر صورته التاريخية ، وترك طابعه على العصر ، فهو المرشح لأن يبقى في حكم بلاده أكثر من أي واحد منهم . والعكس صحيح أيضا : فحاكم في مثل عمره لإحدى القوتين الكبيرين في العالم ، يجعله جديرا ، بل ومسئولا عن أن يكون أقدر على التعبير عن "روح العصر" ، أكثر من قرنائه من زعماء العالم .


جورباتشوف


ريجان


مرجريت تاتشر

وحتى الآن ، لم يقصر جورباتشوف فى اثبات جدارته فى هذا المضمار ، فالاتفاق الذى تم بينه وبين ريجان ، انما كان بناء على مبادرة منه ، اى جورباتشوف ، وهو جزء من تطبيق نظرته الكلية الى الاوضاع السياسية ، سواء داخل بلاده ، أو فى علاقاتها الدولية ، فهو أول زعيم سوفييتى ينجح فى تخطى حاجز الخوف المتبادل ، أو جانب كبير فى هذا الحاجز ، ما بين بلاده والعالم الخارجى ، خاصة الدول الرأسمالية أو الامبريالية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية ، ويدرك أن هناك خطرا يفوق احتمال الهزيمة السياسية لهذا البلد أو ذاك ، هذا النظام الاجتماعى أو الآخر المنافس له ، هو خطر دمار الجماعة الانسانية ، وربما الحياة برمتها ، لو وصل الصراع ما بين المعسكرين ، الى حد نشوب الحرب النووية بينهما . أما عن الاوضاع الداخلية ، فجورباتشوف ايضا هو أول زعيم سوفييتى يعترف بالتخلف الاقتصادى فى بلاده إزاء ما تم انجازه فى العالم - والجزء الرأسمالى منه - من ثورة تكنولوجية . ويعتبر ان المدخل لتخطى هذا التخلف ، هو فى سياسة "العلنية" التى تسمح بالاعتراف به وبسواه من أوجه القصور ، والعلنية تقود الى الديمقراطية ، اى حرية النقد والتعبير عن الرأى ، واختيار القادرين على الاحساس بنبض الجماهير الشعبية والفوز بثقتها ، ومما يمثل جسرا بين تفهمه الجديد لأوضاع بلاده ونظرته الى العالم خارجها ، اعترافه بان الملكية العامة لوسائل الانتاج ، التى هى عصب النظام الاشتراكى فى بلاده ، ليست هى الكلمة الاخيرة او

الوحيدة فى تحقيق التقدم الاقتصادى ، وانما هناك جوانب فى النشاط الاقتصادى أولى بها المبادرات الفردية ، ولآليات السوق دورها فى دفع عملية الانتاج ، وتخليصه من الركود البيروقراطى ، بل وتقريبه من العدل الاجتماعى ، حيث يكف الذين ينتجون سلعا لا يريدها أحد ، عن تقاضى أجور غير مكتسبة ، تمثل عبئا على المجتمع برمته ، وتعوق ديناميكية اقتصاده وقدرته على الانطلاق الى آفاق أعلى .

● الاقتصاد والتغيرات الاجتماعية

ومن هنا مدخل اللقاء بين جورباتشوف ودنج سياو بنج ، الزعيم "الجديد" للصين الشعبية ، الجديد بافكاره وان كان شيخا طاعنا فى السن ! فلا يسع جورباتشوف الا ان يعترف بان النظرة الاقتصادية الواقعية قد بدأ بها دنج سياو بنج فى الصين ، ربما لأن الاقتصاد الصينى اكثر تخلفا من السوفييتى ، وربما لأن الغلواء المذهبية فى السنوات الأخيرة لماوتسى تونج قد فاقت كل الحدود من خلال ثورته الثقافية ، التى أراد بها للصين ان تقفز مباشرة الى "الحكم الشيوعى" ، اى المساواة شبه التامة ، حتى ما بين العمل اليدوى والعمل الفكرى دون اعتبار للحقائق الاقتصادية ، فلم يجن الا مساواة فى الفقر ، وعرقلة فى النمو الاقتصادى ، حتى اضطر دنج سياو بنج الى التصريح بان الحقائق الاقتصادية فوق النظريات ، بما فيها ما قاله ماركس أو لنين . وكان ماركس مظلوما معه ـ حيث كان أول من حذر الاشتراكيين من محاولة "حرق" المراحل التاريخية للنمو الاقتصادى وما يستتبعه من تغييرات اجتماعية !

يعترف حاليا كل من جورباتشوف ودنج سياو بنج بان على بلادهما ان تتعلم الكثير ، وتكتسب الكثير من تكنولوجيا الغرب المتقدمة ، وان تعدل من الاوضاع الداخلية فيهما حتى تستطيع استيعاب عناصر تلك الثورة التكنولوجية ، وهذه النظرة الاقتصادية الواقعية هى وشيجة نسب لا يمكن تجاهلها ما بين زعيمى الدولتين الاشتراكيتين الكبريين فى العالم ، لو كانت الاشتراكية او الماركسية اللينينية لم تكف فى الماضى لتحقيق التقارب بين بلديهما وحزبيهما ، بل كانت ـ بوجه من الوجوه ـ موضعا ، وربما سببا للنزاع الطويل المستمر بينهما !

● الديمقراطية والقومية

من بين ما اتهمت به الصين الاتحاد

السوفييتي ، حينما نشب النزاع بينهما فى الستينيات فى عهد كل من ماوتسى تونج وخروشوف ، أنه يتبع ازاءها سياسة تعبر عن "شوفينية" الدولة أو الامة الكبرى ، خلافا لما تقضى به "الدولية البروليتارية" ، حيث تعنى الشوفينية ضربا فى التعصب القومى ، والرغبة فى بسط النفوذ والسيطرة على امم اصغر أو اضعف . وذلك حينما امتنع الاتحاد السوفييتي عن تسليم الصين سر القنبلة الذرية ، ورفض تسوية اقتصاده باقتصادها ، أو التنازل لها عن جزء من سيبريا تعتبره من حقها ، وهى أولى به لحاجتها الى مزيد من الأرض الزراعية بالنظر الى ضخامة عدد سكانها . واخيرا حينما سحب خبراءه وأوقف مساعداته الاقتصادية لها ، مما هدد الصناعة الصينية الوليدة فترة بالشلل والحق بها اضرارا ملموسة .

والواقع ان شوفينية الأمة الكبرى لم تكن الصين البادئة بتوجيه تهمتها الى الاتحاد السوفييتي ، من بين الدول الاشتراكية ، بل سبقتها الى ذلك يوغوسلافيا أيام تيتو وصدامه الشهير مع ستالين . وهذه التهمة تتململ من تحت أى عمل صارخ لجأ اليه الاتحاد السوفييتي لفرض أوضاع معينة على احدى الدول الاشتراكية ، بما فى ذلك تدخله العسكرى فى المجر ، وفى تشيكوسلوفاكيا ، وفى المانيا الشرقية ، والتلويح بذلك لبولندا فى ازمتها خلال الاعوام الماضية ، وحاليا تتهم الصين الاتحاد السوفييتي بممارسة تلك السياسة ذاتها بالتدخل المباشر فى افغانستان ، وغير المباشر عن طريق فيتنام فى كمبوتشيا ، حتى ان دنج سياو بنج قد صرح اخيرا بانه لن يقبل اللقاء المقترح مع جورباتشوف الا اذا "أمر" اتباعه فى فيتنام بالانسحاب من كمبوتشيا ! وزاد على ذلك دنج سياو بنج زرائية على اللقاء الذى تحقق بين جورباشوف وريجان ـ قبل ان يتم اللقاء بينه هو وجورباتشوف ـ بانه انما تم لينسق زعيما القوتين الكبريين فى العالم خطواتهما لبسط نفوذهما المشترك عليه ـ اى على العالم ! معيدا بذلك الى الاذهان ما درج عليه الصينيون أخيرا من وصم السوفييت بانهم اشتراكيون امبرياليون !!

على ان الاتحاد السوفييتي لم يعد يحتمل تهمة اخرى بالشوفينية . ليس فى علاقته كدولة كبرى بالمجتمعات الاخرى فحسب ، بل ايضا فى علاقاته الداخلية . فالاتحاد السوفييتي دولة اتحادية كما يدل اسمه ، تتكون من عدة قوميات ، وتهمة الشوفينية يمكنها ان تمتد ليلحق غبارها بالقومية الكبرى داخله وهى القومية الروسية . وقد ادت المتغيرات الجديدة بما فيها ما تم اكتسابه فى عهد جورباتشوف من حريات ديمقراطية ، الى بروز تعبيرات

من هذا النوع ، من جنس التظاهرات التى وقعت فى موسكو من جانب التتر المطالبين بحقهم فى العودة الى شبه جزيرة القرم التى أقصاها عنهم ستالين إبان الحرب العالمية الثانية ، والاضطرابات التى وقعت فى كازاخستان ، حينما اقصى سكرتير الحزب الشيوعى بها - بتهمة الفساد - واسمه "دين محمد كونابيف" - وحلّ محله رجل روسى ! وكذلك الاضطرابات التى شهدتها بعض دويلات البلطيق للمطالبة بالاستقلال عن الاتحاد السوفييتى ، فضلا عن "الصراع المزمن" التى تقف وراءه الولايات المتحدة الأمريكية والصهيونية العالمية باسم حقوق الانسان ، التى لا تعنى عندهم سوى حق اليهود فى الهجرة من الاتحاد السوفييتى وحريتهم فى الدعوة الى ذلك ، مهما يكن ما تعنيه تلك الهجرة من تخريب للاقتصاد السوفييتى ، او تسريب لبعض اسراره الهامة اقتصاديا وعسكريا !

ديمقراطية جورباتشوف الجديدة ، تستلزم منتهى الحذر والحساسية فى التعامل مع القوميات الاخرى داخل الاتحاد السوفييتى او خارجه . وجزء من الديمقراطية لا يتجزأ المساواة التامة فى حقوق السيادة القومية وحق تقرير المصير ، والاحترام المتبادل والمراعاة فى كل ما يتعلق بالعلاقة ما بين القوميات المختلفة صغيرها وكبيرها ، قويها وضعيفها ، وذلك ما لابد من ان يدخل بشكل كامل صادق ، فى صياغة الفكر الاشتراكى الجديد ، فى ظروف عالمية جديدة ، بل يصبح المدخل الأولى والكلمة الأولى فى الاشتراكية ، هى حرية الشعوب أولا ، حريتها من القهر الخارجى او الاستبداد الداخلى ، واختيار نظامها الاقتصادى واوضاعها الاجتماعية من منطلق هذه الحرية ، دون تدخل او وصاية من جانب الشقيق - او بالاحرى "الرفيق" الأكبر - مهما تكن توجهاته ، وايا ما كانت درجة سلامة نيته ومقاصده - حيث الطريق الى جهنم - كما يقال - قد يكون محفوفا بدوره بالنوايا الحسنة !

● اشتراكية جديدة

وعلى ذكر التصور الجديد للفكر الاشتراكى وما يقتضيه فقد كان لدى الصينيين ، تعديل "رومانسى" الطابع لمقولة الماركسية الشهيرة عن البرجوازية والبروليتاريا باعتبارهما قطبى التناقض الاجتماعى ، وكثيرا ما عبر عنه الصينيون خلال احتدام صراعهم بالسوفييت ، بقولهم ان الانقسام الطبقى الحقيقى فى العالم الان هو انقسام هذا العالم الى "برجوازية" هى المجتمعات الصناعية الاشتراكى منها والراسمالى على

السواء ، أما "البروليتاريا" فهي المجتمعات المتخلفة المحرومة من التطور الصناعي ، وكانوا يعتبرون بلادهم ، الصين ، منتمية الى تلك البروليتاريا ، وطليعة بلدان العالم النامي ـ أو المتخلف ـ ازاء مجموعة الشمال البرجوازية !

هذه المقولة ينبغي أن يتأملها جورباتشوف فهي تصف الكثير من الاوضاع الاقتصادية في العالم ، وينبغي له هو ودنج سياو بنج ـ اذا ما قدر لهما ان يلتقيا ـ ان يتناجيا حولها طويلا ، والا يكتفيا بمجرد الحديث عن المشاكل المباشرة بين بلديهما . فمما يليق بهما كرفاق ، ومن موقع مسئوليتهما عن أكبر بلدين اشتراكيين في العالم أن يتعاطيا الهموم النظرية للفكر الاشتراكي في مجمله ، وما ينبغي ان تكون عليه صورته في عالمنا المعاصر .

فمن موقع التسليم المشترك بان الحرية والمساواة ما بين الشعوب أمر لا غنى عنه حتى يتحقق العدل الاجتماعي على نحو صحيح ، والتسليم المشترك ايضا بان الديمقراطية هي القاعدة الذهبية لحكم الشعوب مهما يكن توجهها الاجتماعي ، يستطيعان ان يعيدا من جديد حديث وحدة الحركة الاشتراكية في العالم ، الذي بدأ في عهد خروشوف ثم توقف ، وكان الصراع الصيني السوفييتي واحدا من أهم عناصر توقفه ، ولا أعني بذلك الوحدة ما بين الاحزاب الشيوعية فحسب ، بل بينها وبين الجناح الاخر للحركة الاشتراكية العالمية ، وهي الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية في غرب اوربا ، وذلك ما تتجه اليه حاليا الشيوعية الأوربية في تلك المنطقة من العالم ولاشك في ان المؤازرة الصينية السوفييتية سوف يكون لها اكبر الاثر في تعزيز هذا الاتجاه .

أما من الناحية الاقتصادية والعدالة الاجتماعية ، فمن موقع التسليم المشترك ايضا بان بلديهما بحاجة الى الاستعانة بالتكنولوجيا المعاصرة التي انتجتها المجتمعات الغربية ، وربما الى مواردها المالية ايضا ، وما يقتضيه ذلك من تعديلات داخلية في النظام الاشتراكي يجعله اقرب الى فكرة الاقتصاد المختلط ، والتسليم الى جانب ذلك بالمقولة الصينية عن انقسام العالم الى شمال برجوازي وجنوب بروليتاري ، وما آلت اليه اوضاع العالم الثالث من تدهور شنيع في ظل الانقسام العالمي ما بين المعسكرين وصراعهما على مناطق النفوذ ، يجعلهما يسلمان ـ اي جورباتشوف ودنج سياو بنج ـ بان العدل الاجتماعي الحقيقي ، أو التحول "الاشتراكي" الفعلي الذي يمكن ان يتم في عالمنا المعاصر ، هو استخدام الامكانات

الاقتصادية والعلمية الجبارة التى تملكها الدول المتقدمة صناعيا وتهدر الكثير منها فى صنع وسائل الدمار ، فى تنمية الموارد الاقتصادية لدول العالم الثالث "المضروبة" او المضروب عليها بكل وسائل الاستغلال والتبعية بما فى ذلك الديون التى تعجز معظمها حاليا عن سدادها نتيجة للمبادلات الطويلة الظالمة ما بين منتجاتها من المواد الخام والسلع الصناعية . وان ذلك التوجه لتلك الامكانات الاقتصادية هو البديل الوحيد لانتاج وسائل الدمار التى كان اتفاق ريجان وجورباتشوف هو الخطوة الأولى فى الكف عن التوسع فى انتاجها ، كما أنه المخرج الوحيد الصحيح من الكساد الكبير فى الاقتصاد الرأسمالى العالمى الذى كان الانهيار الاخير فى اسعار الاسهم والسندات فى البورصات العالمية واحدا من نذره الكبرى بعد انهيار عام ١٩٢٩ .

وغنى عن القول ان تحولا اجتماعيا عقلانيا على هذا النحو فى العالم ، يقتضى أول ما يقتضيه تصفية مختلف اشكال القهر القومى والعنصرى اللذين تعانى منهما كثير من شعوب العالم مثل ضحايا الصهيونية فى فلسطين والتمييز العنصرى فى جنوب افريقيا ... ، فهل يغلب التعقل وحسن الادراك على حكام العالم ام تستبد بهم ، وبمصيره معهم ، احلام الطامعين واطماع المتعجرفين ؟!

سياسة الدولة

قيل إن ارسطو طاليس كتب كتابا إلى الاسكندر الأكبر يعلمه فيه كيف يسوس دولته ، فقال : إعلم أن العالم بستان سياجه الدولة ، والدولة سلطان تحيا به السنة ، والسنة سياسة يسوسها الملك ، والملك راع يعضده الجيش ، والجيش أعوان يكنفهم المال ، والمال رزق تجمعه الرعية ، والرعية عبيد يتعبدهم العدل ، والعدل مالف وهو صلاح العالم .

الاسلام والقومية والوحدة العربية

بقلم: د. محمد عمارة

من الناس من يعجب لماذا لم يشهد تاريخنا الفكرى الحديث ، فى مصر ، جدلا حقيقيا حول علاقة العروبة بالاسلام ؟!.. ثم يكتشف هذا البعض أن سبب ذلك كامن فى أن "العقلاء لا يناقشون البديهيات ؟!" .. واذا كان الشطط فى الجدل حول هذه القضية هو آفة دخيلة على العقل العربى المسلم الناضج .. فلقد يكون مفيدا التذكير بالحقائق التى تحكم هذه العلاقة ، مع تكثيفها فى عدد من النقاط .

إن الاسلام ، من حيث هو عقيدة وشريعة ، هو "وضع إلهى" ، جاء به الرسول ، صلى الله عليه وسلم للناس كافة .. فهو دين عالمى ، ليس خاصا بجنس من الأجناس أو قومية من القوميات .. وهو ، بهذه الصفة ، وبهذه الطبيعة يؤلف رابطة "الأمة" - أى الجماعة والجامعة - بين كل الذين يتدينون به ، من مختلف الأجناس والقوميات واللغات ..

لكن هذا الاسلام العالمى ، فى عقيدته وشريعته ، قد تميز وامتاز بأنه دين الفطرة ، [فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ..][1] .. ولذلك ، فإنه - فى الأمور الحياتية - لا يقفز على "الواقع" ولا ينكره ولا يتجاهله ، مادام غير مناقض لمقاصد الشريعة ، التى جُماعها : تحقيق انسانية الانسان ، كخليفة عن الله ، سبحانه ، فى هذا الوجود ..

والانسان المسلم اذا عاد الى فطرته ، فى موضوعنا ، لا شك أنه واجد مايلى : لهذا الانسان المسلم حنين وروابط وولاء وانتماء لموطن ولادته ومرتع نشأته ومحل ذكرياته .. وله مثل ذلك نحو "الوطن" الذى شب فيه ... وكذلك نحو "وطن" الأمة التى يشترك معها فى اللغة الواحدة ، التى تسهل سبل الاتصال والتفاعل والوحدة ، ومن ثم تنمى الألفة وعوامل الانتماء والولاء - وخاصة اذا ماكانت هذه اللغة هى لغة دينه الأقدس وتراث هذا الدين وفكره .. وله كذلك حنين وولاء وانتماء الى الجماعة التى تدين بدينه ، وهى أمة الاسلام ... ثم هو ، من

وراء ذلك ، انسان مدعو الى أن يكون عضوا عاملا ومتفاعلا ـ بالتأثير والتأثر ـ مع روابط الانسانية التى تضم كل بنى الانسان .

انها "الدوائر" التى تنطلق من الأخص الى الخاص الى العام فالأعم .. من القرية ، الى الاقليم ، الى الوطن ، الى الدائرة القومية ، الى الجامعة الاسلامية ، الى العالم .. دونما تعارض أو تناقض أو تضاد ...

وهى ذات الفطرة التى تنفى التناقض بين ولاء الانسان المسلم لأسرته ، وعائلته ، وشعبه ، وأمته ، والانسانية ..

وهى ذات الفطرة الانسانية التى لم تعرف التناقض بين حب الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، لمكة ـ التى خاطبها عند الهجرة بقوله : « إنك أحب أرض الله الىّ ولولا أن قومك أخرجونى ماخرجت » ! ـ وهو الحب الذى تحرك حنينا جارفا عندما قدم الصحابى أصيل بن عبد الله الهزلى من مكة الى المدينة ، فسأله الرسول :

ـ يا أصيل ، كيف عهدت مكة ؟

ـ قال : عهدتها قد أخصب جنابها ، وابيضت بطحاؤها ، وأعذق اذخرها(٢) ، وأسلب ثمامها(٣) ، وامشر سلمها » !(٤)

ـ فقال له صلى الله عليه وسلم : حسبك يا أصيل !.. دع القلوب تقر .. لا تُحْزِنَّا » !(٥)

هى ذات الفطرة التى لم تعرف التناقض بين هذا الحب الأخص الذى امتلأت به نفس الرسول لمكة ، وبين انتمائه الجديد ، منذ الهجرة للمدينة ، التى سأله أهلها ـ يوم العقبة ـ :

ـ « هل عسيت ، إن أظهرك الله ، أن ترجع الى قومك وتدعنا » ؟!

ـ فكان جوابه : « بل الدم الدم ، والهدم الهدم ـ [أى منزلى فى منازلكم .. وقبرى فى مقابركم .. ومن طلب دمكم فقد طلب دمى !] ـ أنا منكم ، وأنتم منى ، أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم » !(٦)

ولقد استمرت هذه الفطرة الاسلامية تعصم "وطنيتنا" من ضيق الأفق الذى يخلق التناقض بينها وبين "قوميتنا" ، كما يعصم "قوميتنا" من التعصب الذى يصطنع العداء بينها وبين جامعتنا الاسلامية ، التى هى السياج العام لوطن الاسلام والمسلمين ، **فكان التدرج فى الولاء والانتماء فطرة انسانية ، لا علاقة بينها وبين العصبية الجاهلية** ، التى نهانا عنها الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، عندما قال : « دعوها ، فإنهامُنْتِنَة »(٧) ، وميز بينها وبين حب الانسان لقومه فى الحق ، ونصرته لهم فى الحق .. عندما سأله الصحابى واثلة بن الأسقع :

ـ « يارسول الله ، أمن العصبية أن يحب الرجل قومه » ؟

ـ فأجاب الرسول : « لا ، ولكن من العصبية أن ينصر الرجل قومه على الظلم »!(٨)

وعندما علمنا ، صلى الله عليه وسلم ، **أن عروبتنا ليست "عرقية ـ عنصرية" وإنما هى دائرة انتماء حضارية وثقافية** ، فقال : « أيها الناس ... ليست العربية بأحدكم من أب ولا أم ، وإنما هى اللسان ـ [اللغة] فمن تكلم العربية فهو عربى(٩) » !

ولقد استمرت هذه الفطرة الاسلامية الانسانية تنفى التناقض بين دوائر انتماء

الانسان المسلم ، حتى وجدنا صياغتها الجيدة والدقيقة عند داعية الاسلام ومجد فكره فى القرن الرابع عشر الهجرى الامام الشهيد حسن البنا [١٣٢٤ ـ ١٣٦٨ هـ ١٩٠٦ ـ ١٩٤٩ م] الذى قال :

« كان الاخوان المسلمون أشد الناس حرصا على خير وطنهم ، وتفانيا فى خدمة قومهم .. فالاسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها ، أن يعمل كل انسان لخير بلده وأن يتفانى فى خدمته ، وأن يقدم أكبر مايستطيع من الخير للأمة التى يعيش فيها ، وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحما وجوارا ، حتى أنه لم يجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر إلا لضرورة ، ايثارا للأقربين بالمعروف ، فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التى هو عليها ، وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه ... فالاخوان المسلمون يحبون وطنهم ، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار ، ولا يجدون غضاضة على أى انسان أن يخلص لبلده ، وأن يفنى فى سبيل قومه ، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار هذا من وجهة القومية الخاصة .

● الاسلام نشأ عربيا

ثم ، إن هذا الاسلام الحنيف نشأ عربيا ، ووصل الى الأمم عن طريق العرب ، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين ، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان ، يوم كان المسلمون مسلمين !. وقد جاء فى الأثر : اذا ذل العرب ذل الاسلام . وقد تحقق هذا المعنى حين ذال سلطان العرب وانتقل الأمر من أيديهم الى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن اليهم . فالعرب هم عصبة الاسلام وحراسه ومن هنا كانت وحدة العرب أمرا لابد منه لاعادة مجد الاسلام واقامة دولته واعزاز سلطانه . ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لاحياء الوحدة العربية وتاييدها ومناصرتها . وهذا موقف الاخوان المسلمين من الوحدة العربية ...

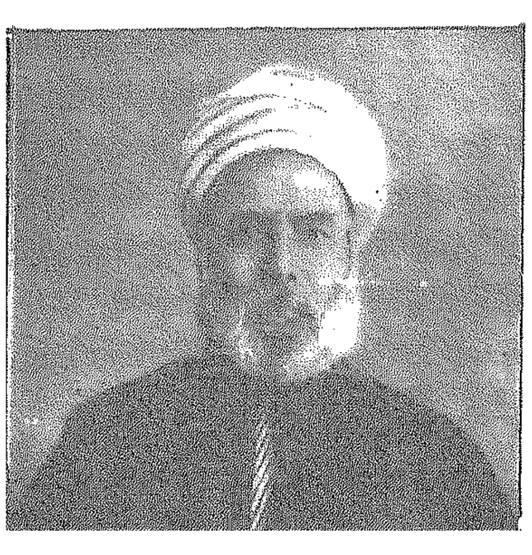
إن الاخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة ، باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشود ، ولا يرون بأسا بأن يعمل كل انسان لوطنه ، وان يقدمه فى العمل على سواه . ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية ، باعتبارها الحلقة الثانية فى النهوض ، ثم هم يعملون للجامعة الاسلامية ، باعتبارها السياج الكامل للوطن الاسلامى العام . ولى أن اقول بعد هذا : إن الاخوان يريدون الخير للعالم كله ، فهم ينادون بالوحدة العالمية ، لأن هذا هو مرمى الاسلام وهدفه ، ومعنى قول الله تبارك وتعالى : [وما أرسلناك الا رحمة للعالمين] .(١٠)

وانا فى غنى ، بعد هذا البيان ، عن أن أقول : إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار ، وبان كلا منها تشد أزر الأخرى وتحقق الغاية منها .. »(١١)

تلك هى كلمات الإمام الشهيد حسن البنا ، تؤكد علاقة "الوفاق ـ والاتساق" بين "الوطنية" و"القومية" و "جامعة



الامام حسن البنا



الشيخ محمد عبده

الاسلام" ، فى فكر المسلم ونشاطه العملى ، وتنفى التعارض والتناقض بين هذه الدوائر انطلاقا من الفطرة الاسلامية ، واستهدافا لتحقيق المصلحة الخاصة والعامة للمسلمين .

تلك هى : علاقة الاسلام وجامعته بالقوميات والأوطان ـ التى هى واقع فى إطار هذه الجامعة ـ ..

إن القومية ـ بهذا المعنى ـ ليست مذهبا مناقضا لعقيدة الاسلام ، وليست فكرية . [أيديولوجية] ـ مناهضة للاسلام ـ الذى هو فكرية الأمة ـ وانما القومية هنا "دائرة انتماء" ، تسبقها "الوطنية" وتتلوها "جامعة الاسلام" ..

● **ففى العقيدة الاسلامية : لا اثر لاختلاف الواقع .. وتعدد القوميات .. وتنوع اللغات ولا لتغاير الزمان والمكان .**

● **وفى السياسة الاسلامية : اعتراف بالتنوع ، الذى يثرى فكر الأمة وتجاربها .. دون أن يصل الى التناقض الذى يفتت وحدتها ويبدد قواها .**

● **الفكرة الثانية فكرة "الوحدة العربية" ..**

وهذه الفكرة تعنى ، نظريا وعمليا : الدعوة لـ "الوحدة العربية" ، والعمل على اقامة "دولة عربية" للجماعة البشرية التى تتحدث العربية ، والتى تعيش فى الوطن العربى ... انها تعنى : ضرورة :

● وحدة الدولة ..

● وعروبة هذه الدولة .. فى وطن الأمة العربية .

وفى إعتقادى ـ انطلاقا من منطق "الفطرة الانسانية الاسلامية" ـ ان **الانسان المسلم لن يستطيع تحقيق وحدة أمته الاسلامية الا عبر تحقيق وحدة أمته بالمعنى القومى ، وهو لن يستطيع تحقيق وحدة أمته ، بالمعنى القومى ، الا عبر تحقيق الوحدة والنهضة فى "الوطن" الذى يعيش فيه** ... فقضية "الوحدة" مثلها مثل

قضية "الانتماء والولاء" ، فيها "الدوائر" التى تلى الواحدة منها الأخرى ، دونما تعارض أو تناقض أو تضاد ..

ثم ، إن **"عروبة الدولة"** ليست بالفكرة الطارئة على الفكر السياسى الاسلامى ، ولا هى بالدعوة الغريبة عن إبداع مجتهدينا ومجددينا ...

● فالأستاذ الامام الشيخ محمد عبده يرى أن **"عجمة الدولة" التى طرأت على الدولة العباسية قد كانت كارثة سياسية ، تعدت أضرارها من "الدولة" الى "الدين" !.. فنراه يتحدث عن هذه السلبيــة التى تمثلت فى سيطرة "الترك" على الخلافة ـ الدولة ـ العربية ، فيقول :**

« **انظر ، كيف صارت مزية من مزايا الاسلام ـ [تسامح المساواة] ـ سببا فيما صار اليه أهله : كان الاسلام دينا عربيا ، ثم لحقه العلم فصار علما عربيا ، بعد أن كان يونانيا** ، ثم أخطأ خليفة ـ [المعتصم العباسى] ـ فى السياسة ، فاتخذ من سعة الاسلام سبيلا الى ماكان يظنه خيرا له ، ظن أن الجيش العربى قد يكون عونا لخليفة علوى ، لأن العلويين كانوا ألصق ببيت النبى ، صلى الله عليه وسلم ، فأراد أن يتخذ له جيشا أجنبيا من الترك والديلم وغيرهم من الأمم التى ظن أنه يستعبدها بسلطانــه ، ويصطنعها بإحسانه ، فلا تساعد الخارج عليه ، ولا تعين طالب مكانه من الملك ، وفى سعة أحكام الاسلام وسهولته مايبيح له ذلك ، **هناك استعجم الاسلام وانقلب عجميا** . خليفة عباسى اراد أن يصنع لنفسه ، وبئس ماصنع بأمته ودينه ، أكثر من ذلك الجند الأجنبى ، وأقام عليه الرؤساء منه ، فلم تكن الا عشية أو ضحاها حتى تغلب رؤساء الجند على الخلفاء ، واستبدوا بالسلطان دونهم ، وصارت الدولة فى قبضتهم ، **ولم يكن لهم ذلك العقل الذى راضه الإسلام ، والقلب الذى هذّبه الدين ...** »[١٢]

فعروبة الدولة كانت سبيل قوتها ومنعتها ، وعجمتها كانت بداية الجمود والضعف والانحطاط ..

● والامام الشهيد حسن البنا يرى نفس الرأى ، عندما يعرض ـ فى رسالة [بين الأمس واليــوم] ـ لأسباب تــدهور المسلمين .. فيقول :

إن « **من أهم عوامل التحلل فى كيان الدولة الاسلامية ... انتقال السلطة والرياسة الى غير العرب ، من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذقوا طعم الاسلام الصحيح ، ولم تشرق قلوبهم بـأنوار القـرآن لصعوبـة إدراكهم لمعانيه !** .. »[١٣]

● **وكما دعا حسن البنا الى الوحدة** العربية ، بقوله : « **إن العرب هم عصبة الاسلام وحراسه .. ومن هنا كانت وحدة العرب امرا لابد منه لاعادة مجد الاســلام واقــامــة دولتــه واعــزاز سلطانه** » .. دعا إمام الاحياء الاسلامى فى الجزائر الشيخ عبد الحميد بن باديس [١٣٠٥ ـ ١٣٥٩ هـ ـ ١٨٨٧ ـ ١٩٤٠ م] الى وحدة الدول العربية المستقلة ، وحدة سياسية ، والى تحرير الأوطان العربية

المستعمرة ، لتلحق بهذه الوحدة العربية ، فقال :

إننا « اذا قلنا : العرب ، فإننا نعنى هذه الأمة الممتدة من المحيط الهندى شرقا الى المحيط الاطلانطيقى غربا ، والتى تنطق العربية وتفكر بها وتتغذى من تاريخها وتحمل مقدارا عظيما من دمها ، وقد صهرتها القرون فى بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة . هذه الأمة العربية تربط بينها ـ زيادة على رابطة اللغة ـ رابطة الجنس ، ورابطة التاريخ ، ورابطة الألم ، ورابطة الأمل . فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها لا محالة ... والوحدة السياسية بين شعوبها المستقلة استقلالا حقيقيا .. تُمكن .. وتجب .. »[١٤]

إذن .. فتميز العرب فى محيطهم ، والدعوة الى عروبة "دولتهم" والى "وحدتها" ، ليس بالفكر الغريب عن فكر الاسلام السياسى ، ولا هو بالغريب عن ثمرات اجتهاد المجتهدين والمجددين الاسلاميين فى فكرنا الإسلامى ..

ولذلك ، فلم يكن غريبا على "إسلامية" الثورة الايرانية أن يشترط دستورها "ايرانية . رئيس جمهوريتها الاسلامية »[١٥] .. ولا غريبا على النهج الاسلامى فى السودان الشقيق كون رئيس الدولة فيه سودانيا ..

هوامش

(١) الروم : ٣٠

(٢) الادخر : نبات حجازى . وأعذق : صارت له افنان .

(٣) والثمام : نبت حجازى . وأسلب صار له خوص . (٤) أى أورق .

(٥) ابن الأثير [أسد الغابة فى معرفة الصحابة] ترجمة الصحابى "أصيل" . طبعة دار الشعب القاهرة .

(٦) رفاعة الطهطاوى [الأعمال الكاملة] جـ٤ ص ١٥٩ ، ١٦٠ ـ نهاية الايجاز فى سيرة ساكن الحجاز ـ دراسة وتحقيق د . محمد عمارة . طبعة بيروت ١٩٧٧ م .

(٧) رواه البخارى والترمذى .

(٨) رواه الامام احمد وابن ماجة .

(٩) [تهذيب تاريخ ابن عساكر] جـ٢ ص ١٩٨ . طبعة دمشق .

(١٠)الأنبياء : ١٠٧ .

(١١) [رسالة المؤتمر الخامس] ص ٤٥ ـ ٤٩ . طبعة دار الاعتصام . القاهرة ١٩٧٧ م .

(١٢) [الأعمال الكامة للامام محمد عبده] جـ٣ ص ٣١٧ ، ٣١٨ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة بيروت ١٩٧٤ م .

(١٣) [مجموعة رسائل الامام الشهيد] ص ١٣١ ، ١٣٢ . طبعة دار الشهاب . القاهرة .

(١٤) ابن باديس [كتاب آثار ابن باديس] جـ١ مجلد ٢ ٣٩٨ ص ـ ٤٠٠ جمع وتعليق : د . عمار طالبى . طبعة الجزائر ١٩٦٨ م .

(١٥) انظر [الدستور الاسلامى لجمهورية إيران الاسلامية] طبعة مؤسسة الشهيد . ايران . قم ١٩٧٩ م .

الأيقونات القبطية

بقلم: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

كلمة أيقونة لها اصل يوناني بمعنى صورة أو شبه او مثال.. ولكنها تستخدم فى الكنائس بمعنى اصطلاحى، يقصد بها الصور المقدسة المكرسة او المدشنة، سواء للملائكة او الشهداء او القديسين المعترف بهم رسميا في الكنيسة. مثال ذلك ايقونة رئيس الملائكة ميخائيل وهو يهزم الشيطان، او صورة الشهيد مارجرجس او الشهيد مارمينا، أو القديس انطونيوس مؤسس الرهبنة، او القديس الانبا بولا اول السواح او اول النساك، او القديسة دميانة الراهبة والشهيدة، او امثال هؤلاء القديسين الذين تبنى على اسمائهم كنائس..



وبعض هذه الايقونات خاص بالاعياد المسيحية، أو بعض حوادث هامة فى التاريخ الكنسى، وبعضها خاص بالسيد المسيح له المجد أو ببعض تلاميذه وحوارييه، أو ببعض معجزات أو أحداث وردت فى الانجيل المقدس.
ولعله من أشهر الايقونات، تلك الايقونه التى رسمها القديس لوقا الانجيلى للسيدة العذراء مريم وترجع الى عشرين قرنا من الزمان.



● ايقونة الملاك ميخائيل رسمها الفنان ابراهيم ويوحنا الارمينى فى المتحف القبطى

الأيقونات القبطية

والايقونات تنال تكريما خاصا فى الكنيسة ، هو توقير منسوب أصلا الى القديسين الذى تمثلهم الايقونات ، مثلما يعلق شخص فى بيته صورة والده أو جده ، أو صورة أحد الرؤساء أو القواد ، احتراما وحبا لهذا الاب أو الرئيس أو القائد ، وتكريما له ·

وفى الكنيسة توقد الشموع امام الايقونات المقدسة ·

وذلك اعترافا بأن هذا القديس كان نورا لجيله أو لاجيال كثيرة ، وأن حياته كانت منيرة · واعترافا بأنه كان يبذل حياته لاجل الاخرين ، مثلما تذوب هذه الشمعة وهى تضىء غيرها ، وتظل تضىء حتى تنتهى حياتها ·· او أن هذا القديس كان يهدى غيره فى طريق الرب ، مثلما تهدى الشمعة بنورها من يسير فى الظلمة · وفى ايقاد شمعة أمام صورة القديس ، تذكر لقول السيد المسيح فى الانجيل « انتم نور العالم » ··

والايقونات المقدسة يرفع البخور حولها أيضا ·

ذلك لان البخور فى الكنيسة يرمز الى الصلوات المرتفعة الى فوق ، الى السماء ، الى الله مثل البخور · وكما أن البخور زكى الرائحة ، كذلك تكون الصلوات · والبخور الذى يرفع أمام صلوات القديسين يرمز الى انهم كانوا رجال صلوات ، وكانت صلواتهم زكية الرائحة تصعد الى السماء مقبولة امام الله ·

● حامل الأيقونات

ويوجد فى كل كنيسة ما يعرف باسم الايقونامسكاس أى حامل الايقونات وهو أمام الهيكل ، ويعرف أيضا باسم الحجاب ، وتعلق عليه ايقونات معروفة توضع بترتيب خاص ·· منها أيقونة العذراء تحمل السيد المسيح فى الناحية البحرية ، وأيقونة يوحنا المعمدان فى الناحية القبلية ، وايقونة العشاء الربانى من فوق ، وحولها أيقونات تلاميذ المسيح ، مع أيقونات أخرى ··

● الأيقونات والفن

وقد كانت الايقونات مجالا واسعا تبارى فيه كبار الفنانين فى العالم ، فانتجوا لوحات رائعة ازدانت بها اشهر الكنائس والكاتدرائيات الكبرى فى الشرق وفى اوروبا وفى بلاد مصر
·· وتنوع فن الايقونة ، فهناك الفن القبطى ، والفن البيزنطى ، والفن الايطالى ، والفن الروسى · وكل نوع من هذه الانواع له طابعه الخاص الذى يتميز به · ووجد من يرسم بالريشة · ومن يرسم بالفحم او الزيت · ووجدت أيقونات بالفريسكا ، وأيقونات بالموازييك (الفسيفساء) · وأصبحت هناك مدارس لفن الايقونة ، تهذب وتنمى المواهب وتقودها فى طراز معين تتميز به ·

وشاهد عصر النهضة فى أوروبا فنانين عظاما أمثال ميشيل انجلو الذى كان نحاتا تتلمذ على دوناتللو وعلى دمنكو جرلنداريو وتأثر بفن باكيو دى لاكورشا · وهو الذى زخرف كنيسة سوستينا بالفاتيكان برسوم على مساحة تبلغ ثلاثة الاف متر مربع · ومن أشهر الفنانين فى ذلك العصر أيضا رافائيل سانزيو

وقد زخرف أيضا قاعات فى الفاتيكان أطلقوا عليها اسمه ·

الفن القبطى

ابتعد الفن القبطى عن نحت التماثيل ، ونبغ فى رسم الايقونات · **ولا شك أن الاقباط قد ورثوا كثيرا عن أجدادهم الفراعنة الذين كانوا قد نبغوا فى الرسم·ووجدت على جدران** معابدهم صورا للفراعنة وزوجاتهم وجنودهم وخدمهم · ولكن الايقونة القبطية أخذت هذه الروح الفنية ، وأسبغت عليها الروح الدينية ، سواء من جهة الروح أو الاشخاص ·

وان كان الفن القبطى قد تأثر بالفن الفرعونى ، فانه فى فترة معينة من الزمن قد تأثر أيضا بالفن الاغريقى الرومانى · ولكنه ما لبث أن نفض عنه هذا الاثر ، ورجع قبطيا خالصا، وبخاصة لانه لم تعد له صلة بالطابع البيزنطى ابان الخلاف والصدام بين الاقباط والدولة البيزنطية ، سواء من الناحية السياسية أو الناحية الدينية · وهكذا صارت للفن القبطى خصائصه المميزة له ·

● وجه ملائكى فى ايقونة



الفرق بين الصورة والايقونة

الفارق الاول والاساسى هو أن الايقونة لها طابعها الدينى ، بينما الصورة قد تمثل أى شىء · فهناك فن قبطى شعبى لا علاقة له بالدين ، يمثل الحياة الاجتماعية ، أو فيه صور طيور أو حيوانات أو أشجار ، وكل هذا لا علاقة له بالدين ، ولا تسمى مثل هذه الصور أيقونات ·

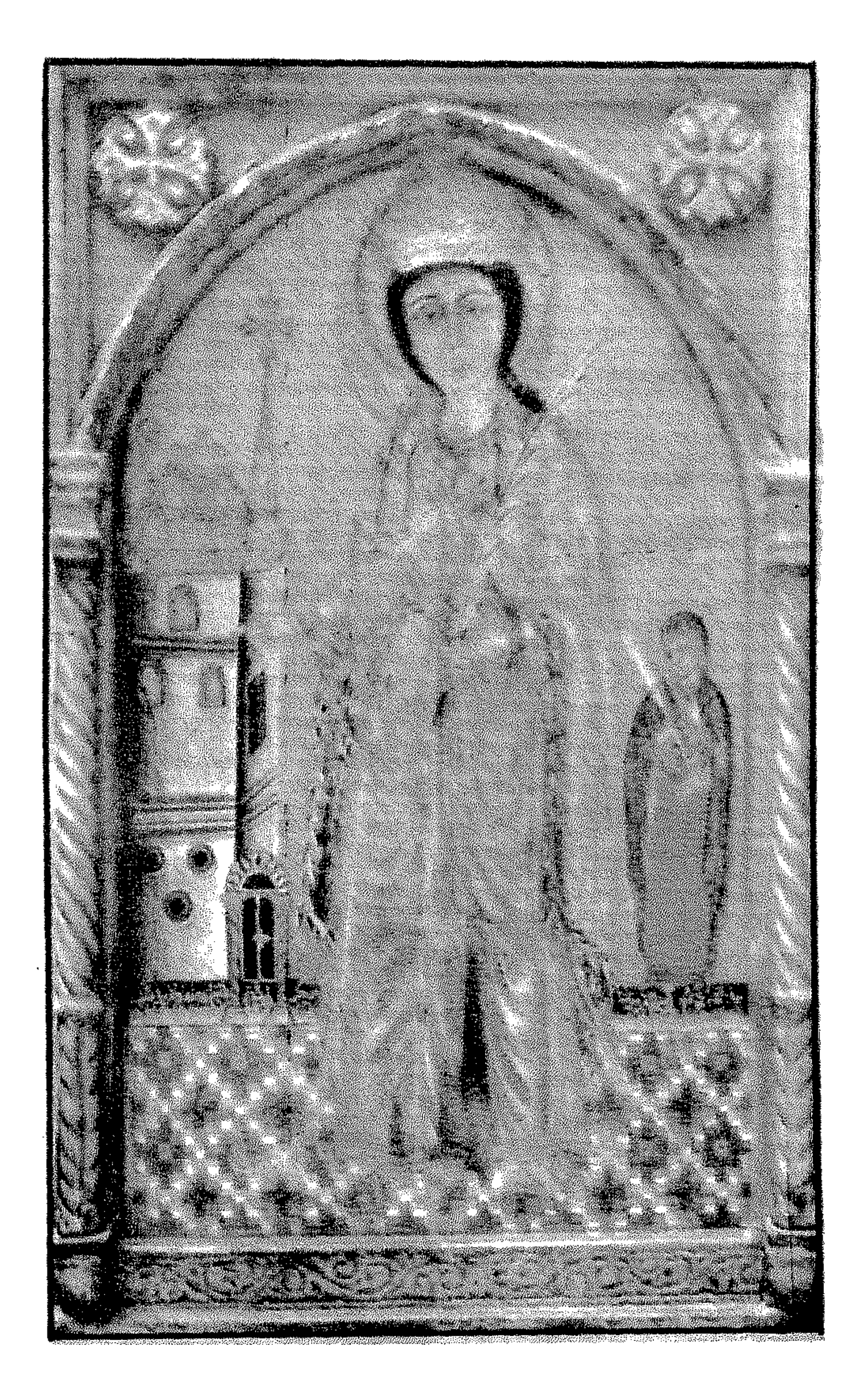
الفارق الثانى هو المادة التى ترسم عليها الصورة · فهناك بلا شك صور دينية قد رسمت على عظام أو على فخار ، أو فى مخطوطات · ولكننا لا نستطيع أن نسميها ايقونات بالمعنى الدينى المحدد · انما هى صور أو رسومات ، ولذلك يمكننا أن نقول القاعدة الاتية:

كل ايقونة هى صورة · ولكن ليست كل صورة تسمى ايقونة ·

وهذا لا يمنع من وجود صور رائعة ، ونقوش جميلة جدا فى داخل كثير من المخطوطات القبطية ، تزينها وتسبغ عليها طابعا فنيا فى منتهى الابداع · ولكنها ليست من الايقونات الا بالمعنى اللغوى ، وليست لها نفس معاملة الاكرام والتقديس الخاصة بايقونات الكنائس التى تدشن بزيت الميرون المقدس وتوقد حولها الشموع ···

حرب الايقونات

ظهرت فى أوروبا بوجه خاص فى بدء قيام البروتستانتية فى القرن الخامس عشر ، حيث كثرت التماثيل فى العالم الكاثوليكى ووضعها فى الكنائس وتقديس الناس لها · وكان الانتقاد الاساسى الموجه لها هو ما



– القديسة بربارة استشهدت من اجل الايمان بالمسيحية فى عام ٢٣٧ ميلادية

الصورة الاولى للقديس الانبا انطونيوس وبجواره الانبا بولا والثانية للسيدة العذراء والطفل يسوع والصور بدير الانبا انطونيوس بالبحر الاحمر

الآيقونات القبطية

قاله الرب فى الوصية الثانية من الوصايا العشر فى سفر الخروج : « لا تصنع لك تمثالا منحوتا ، ولا صورة ما مما فى السماء من فوق ، وما فى الارض من تحت ... » .

ولكن الرد على ذلك كان تكملة الاية وهى قول الرب : « لا تسجد لهن ولا تعبدهن » (خر ٢٠ : ٥) .

فهناك فرق بين اكرام الصور ، وعبادة الصور :

فالايقونات ليس المقصود بها العبادة ، وانما اكرام صاحب الصورة ، وتذكر حياته المقدسة ومحاكاتها . كما انها شرح عملى وتوضيح لما ورد من قصص فى الكتاب المقدس ، واشتراك للحس مع العقل فى التأثر والفهم . وقد تتقدم الصورة تأثرا أعمق بكثير من الكلام .

والفن القبطى وقف فى وضع متوسط .

فلا هو أنكر الايقونات انكارا كاملا كما فى البروتستانتية ، ولا هو أجاز وضع التماثيل فى الكنائس كما فى الكاثوليكية ، وانما استبقى الصور فقط لتأثيرها الروحى . ولاتزال الصورة الدينية تستخدم فى كل كنائس العالم فى دروس التربية الكنيسية التى تقدم للاطفال .

ولم تقم فى الكنيسة القبطية اطلاقا حرب ايقونات كما حدث فى المغرب .

الايقونات فى الكنائس :

شملت هذه الايقونات أنواعا متعددة ، منها :

١ ـ ايقونات الفريسك على جدران الكنائس واعمدتها وفى داخل قبابها :

وعرف الاقباط فى هذا المجال الرسوم الملونة .ومن أمثلة ذلك صور رائعة للسيد المسيح وللرسل والقديسين على جدران كنيسة دير البراموس بوادى النطرون ، وصورة للعذراء فى ميلادها للمسيح ، وفى انتقالها من هذا العالم على جدران قباب كنيسة دير السريان بوادى النطرون أيضا .

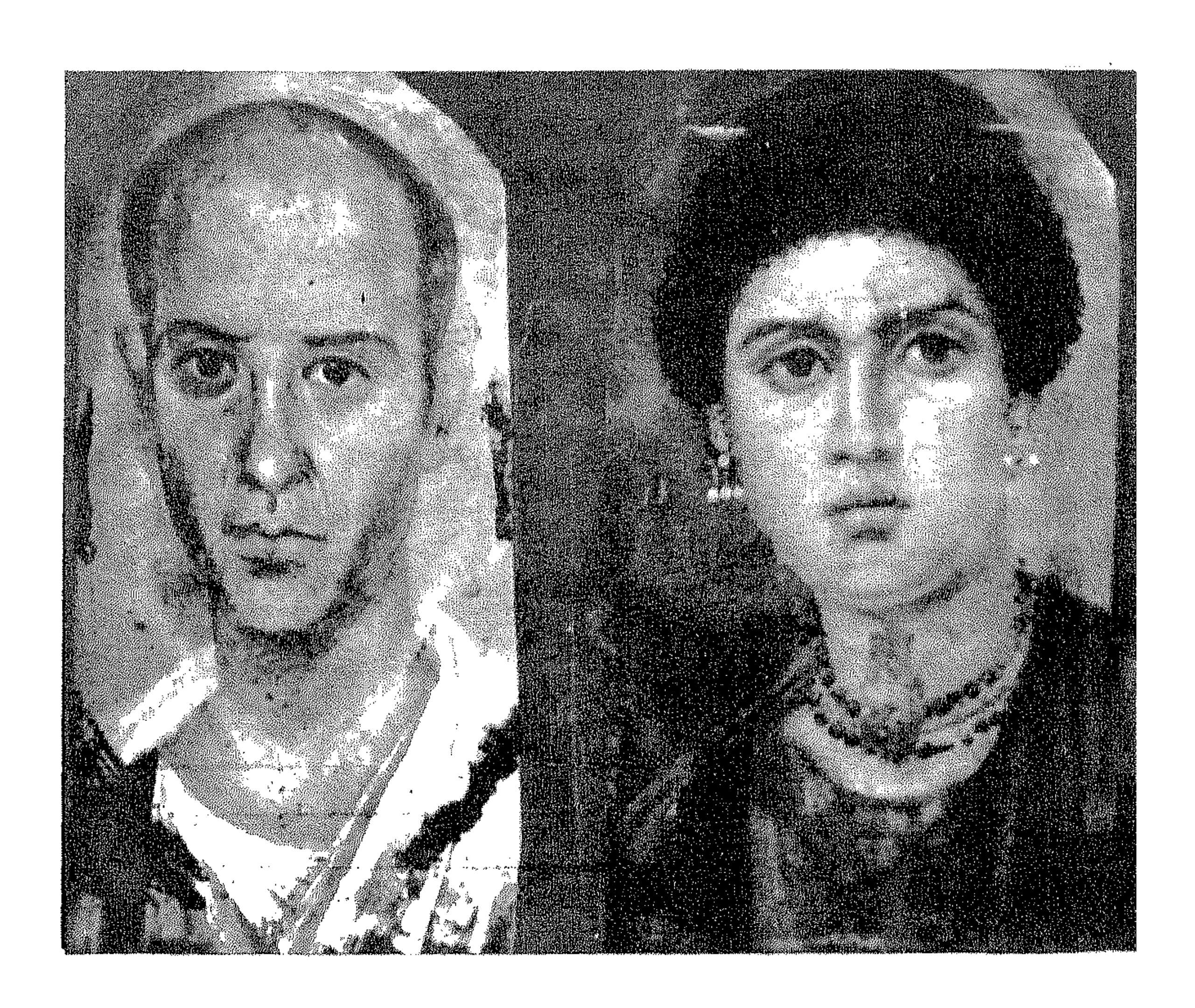
وأيقونات لبعض القديسين فى دير القديس ارميا بسقارة ترجع الى القرن السادس . ولوحات فى دير باويط ترجع الى القرن الخامس ، وأيقونة للفتية الثلاثة ترجع الى القرن الخامس ، وأيقونات لمشاهد من الانجيل توجد على جدران دير « ابو حنس » المنحوت فى الجبل . وتوجد لوحات فى باويط تمثل داود النبى فى حربه مع جليات ، واخرى له وهو يعزف على قيثارته .

وتوجد أيقونة جميلة فى المتحف القبطى ترجع الى القرن العاشر (بالفريسك) تمثل آدم وحواء وهما يأكلان من الشجرة المحرمة ، مع منظر مجاور لهما بعد أن أكلا .

وتوجد ايقونات جميلة منقوشة على اعمدة كنائس أبى سرجة والمعلقة وغيرهما فى مصر القديمة . كما توجد أيقونات أيضا على جدران هياكل البجوات فى الواحات الخارجة . وكذلك أيقونات مماثلة فى الدير الابيض بسوهاج ، وفى دير القديس سمعان بأسوان ، وفى دير ارميا بسقارة .

٢ ـ توجد أيقونات قديمة بالموزاييك (الفسيفساء) :

كما فى بلدة فاو بقنا ، وفى دير طور سينا . ومن أهمها صورة للتجلى فيها السيد المسيح مع موسى النبى



● فن الحفر على الخشب الذى جاء لمصر من العصر الرومانى اليونانى

وايليا النبى ·

٣ ـ توجد أيقونات منقوشة على الخشب :

سواء بالحفر أو بالبارز · اذ يوجد باب فى المتحف القبطى يرجع الى القرن الخامس ، كان فى كنيسة القديسة بربارة بمصر القديمة · وهو من خشب الجميز ، ويحتوى على عدة حشوات فى واجهته تمثل مناظر للسيد المسيح داخل اكليل يحمله ملاكان · وأيقونة لقديس داخل مقصورة يحمل كتابا ·

ويوجد فى الكنيسة المعلقة بمصر القديمة افريز من الخشب يرجع الى القرن الخامس ، عليه نقش بارز يمثل دخول السيد المسيح الى أورشليم ·

وتوجد أيقونة رائعة للبشارة محفورة على الخشب ، ومحفوظة حاليا فى متحف اللوفر ، وقطع كثيرة فى المتحف القبطى بالالوان المذابة فى الغراء ·

وتوجد أيقونات على القباب الخشبية التى تقام فوق المذابح فى الهياكل :

كصورة السيد المسيح على عرشه التى فى المتحف لقبة الكنيسة المعلقة وكذلك لوحات فى كنيسة أبى سيفين بفم الخليج ، وباب كنيسة أبى سرجه وقد وجد الاقباط أن الخشب أكثر

ـ ايقونه الشهيد مارجرجس رسمها الفنان ابراهيم فى عـــام ١٤٠٩ ميلادية



● وجه مصرى .. وعينـــان لامعتان فى ايقونة



ثباتا من لوحات الفريسك التى كانت تطمس أو تخرب أحيانا ·

٤ ــ توجد أيضا ايقونات قبطيـــة على النسيج :

وقد اشتهر هذا الفن وبخاصة فى أخميم · وتوجـــد كثير من الستائر لابواب الهياكل فى كل الكنائس عليها صور للمسيح أو العـــذراء أو بعض القديسين · وبعض من هذه الستائر والمنســوجات موجـــود فى متحف اللوفر · كذلك صور كثيرة تنسج فى الملابس الخاصة بالخدمة الكهنوتية · وقد روى المقريزى شهرة الاقباط فى النسيج ونقوشه · وكان هذا الامر معروفا من عصور الفراعنة فى مصر القديمة ·

٥ ــ وتوجد أيقونات على الخــزف والعـاج :

مثل صورة للعذراء وللمسيح فى المتحف القبطى ، وأخرى لمعجزة اقامة لعـــازر من الموت ، وأخـــرى لمعجزة شفاء الاعمى ·

وما أكثر الصور التى على خزف المسارج التى كانت توجـــد فى دير مار مينا بمريوط ·

٦ ــ توجـــد ايقونات على بعض المعادن كالذهب والفضة والبرونز :

وأحيانا كانت توجد فى ميداليات خاصة بالاســـاقفة ، أو نقوش على بعض المجامر أو الكئوس ·

ملاحظـــات :

ونلاحظ أن كثيـــرا من الايقونات كانت تحمـــل كتابات اما باللغـــة القبطيـــة فى العصور القديمة ، أو بالقبطية أو العربية فيما بعد ·

ولا شك أن فن الايقونة قـــد تاثر بالروح الدينية وبالرهبنـــة وبقصص الكتاب · وأصبحت كثير من الايقونات تمثل رموزا معينة ومفاهيم دينية · وما أكثـــر الايقونات التى تمثـــل القديسين الرهبان · ولعل من أشهرها أيقونة القديس أنطونيوس ومعه الانبا بولا · وأيقونة اخرى مشهورة للسيد المسيح يضع يده على كتف الانبـــا مينا (رئيس دير) · وترجع للقـــرن السادس ، وتوجد حاليـــا فى متحف اللوفر ·

وفى عصرنا الحـــاضر ، كثرت الايقونات فى الكنـــائس ســـواء بالفريسك أو الموزاييك · ورأينـــا أسماء بارزة من الفنانين أمثال راغب عيـــاد ، وحبيب جورجى ، وايزاك فانوس ·

وتستخدم الايقونات فى الكنائس وفى غيـرها · وفى الاماكن المعرضة للهواء والشمس يستخدم الموزاييك اكثر من الفريسك لانه اكثر ثبـــاتا واحتمـــالا للاوضـــاع الجوية ، أو يستخدم نقش الايقونة على الخشب ·



حول "شخصية مصر التاريخية"

د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

تناول الصديق مصطفي نبيل في عدد اول نوفمبر ١٩٨٧ من مجلة الهلال موضوع « مصر وشخصيتها التاريخية » واستعرض فيه ما رآه من شخصيات عامة للشخصية المصرية وفند ماقيل من اتهامات وجهت الي شعب مصر دون أن ينزلق الي مستوى الشوفينية مستشهدا في عرض موضوعه بآراء بعض الكتاب من مصريين وأجانب · وفي ثنايا كل ذلك نجده يحلق فوق فترات التاريخ الفرعوني والقبطي والاسلامي وهي فترات لا يصح ان يجرى تناولها بمثل هذه السرعة وفي مثل هذا المقال المحدود · وهو يكاد يدلي بدلوه مع من ذهبوا الى أن مصر مقبرة الغزاة : يأتون ثم يرحلون او يبتلعهم وادى النيل او تمتصهم تربته - فيتمصرون » وكأن شيئا لم يكن · ومثل هذه الآراء لا يمكن أخذها على عواهنها دون ربطها بالسياق التاريخي : فالذين تمصروا

من الغــزاة هم الذين دالت الامبراطورية التى انتموا اليها فى السابق فلم يجدوا سوى الوطن الثانى ليضمهم وينتموا اليه فى مواجهةالسادة الجدد وما أكثرهم !

ولعل الفترة الفرعونية التى امتدت الاف السنين وخلفت للعالمكل هذه المنشآت والكنوز الأثرية هى أخصب فترات التاريخ المصرى ٠ولن نأخذ بتفسير واحد حول أصل المصريين وقيام الحضـــارة فى وادى النيل منذ أقدم العصور ٠ فهناك رأى يذهب الى أن المصريين القدماء من أصل افريقى ـ ويأخذ بهذا الرأى المؤرخون الأفارقة المحدثونالذين يباهون بحضارة مصر الفرعونية ، كما يأخذ به المؤرخ الانجليـــزى الشهير أرنولد توينبى الذى يذهب الى أن المصريين القـــدماء كانوا متوسطى القامة فلم يستطيعوا الصمود أمام الأفارقة الطوال الــذين زحزحوهم عن أماكنهم وألجئوهم الى المستنقعات التى كانت تغطىمصر نتيجة لفيضانات النيل ٠ وهناك بدأ المصريون يواجهون تحدى البيئة، وعبر مئات ، بل آلاف السنين بدءوا يواجهون فيضان النيل وقحطه ، فبنوا الوادى ونظموا الرى وتوزيع المياه واكتشفوا الزراعة وأقامـــوا حكومة مركزية تسخر الجهود وتسيطر على كل شىء للحصول عــلى الفائدة المشتركة أو لدرء الخطر المشترك ـ **وتوج كل ذلك توحيـــد الوجهين ، وحينئذ تعدت الحضارة المصرية القديمة مرحلة المحـــاولة الخطأ وبدأت تبنى وتشيد وتؤسس دولتها ودياناتها وأساطيرهـــا ٠** ورأى توينبى هذا يتعارض مع ما قاله المؤرخ الاغريقى هيرودوت الذى ذهب الى أن مصر هبة النيل ـ اذ يؤكد توينبى أن مصر هى هبـــة المصريين ٠٠ اذ النيل يمر بعدة بلدان لم تشهد أحداها قيام حضـــارة شبيهة بالفرعونية ٠ أما سير فلندرن بترى فانه يربط قدماء المصريين ـ أو حكامهم على الأقل ـ بهجرات شعوب جنوبى شبه الجزيرةالعربية وهى الهجرات التى ينسب اليها الفينيقيون والحضارات الفينيقية ٠

على أن مما ساعد على نمو الحضارة المصرية القديمة أن مصـــر ظلت فترة طويلة بمنأى عن الغزوات الخارجية الكبرى مما وفر فرصة للاستمرار والتراكم الحضارى ٠ فالبحر المتوسط يحدها شـــمالا والصحراء تحيط بها من الشرق والغرب والشلالات والجنادل تحميها من الجنوب ٠٠ **وكل ذلك مما سهل الدفاع عنها فترة طويـــلة الى أن ظهرت شعوب أخرى اخترقت هذا النطاق ووفرت تحديا جديدا للمصرى القديم الذى أتته غزوة الهكسوس حتى طردهم وتعقبهم الى عقـــر دارهم ليقيم أول امبراطورية فى التاريخ المصرى ، وحينئذ اتســـعت** آفاق المصرى بحيث ظهر التوحيد للمرة الأولى على ضفاف النيل عـــلى يد الفرعون أخناتون ٠ وما أن تفككت الامبراطورية الفرعونية بفعـــل ضغط شعوب محاربة كالحيثيين وشعوب البحر المتوسط البحرية حتى سهل على الامبراطوريات التى تشكلت فى العالم القديم أن تحتل مصر الواحدة تلو الأخرى ، وظل الحال على هذا المنوال حتى ظهـــرت





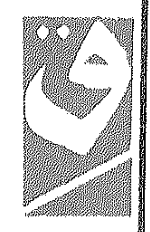
امبراطوريات اخرى أخرها الامبراطورية البريطانية التى غابت شمسها فى الأمس القريب نتيجة لظهور دولتين اقوى منها ـ وحينئذ استعادت مصر استقلالها للمرة الاولى بعد مئات ـ بل الاف ـ السنين . ولقد أدى كل ذلك الى قول القائلين بأن المصريين غير جديرين بالاستقلال ، وممن رددوا هذا القول سير رجنالدونجت حين قابله سعد زغلول وصحبه فى أعقاب الحرب العالمية الاولى يطلبون منه السماح لهم بالسفر الى باريس لعرض قضية استقلال بلادهم على مؤتمر الصلح. فلقد ذكرهم ونجت بسلسلة الامبراطوريات التى احتلت البلاد منذ اقدم العصور ، وذهب الى أن بريطانيا أحسن هذه الامبراطوريات وأحنها على المصريين ـ فلم اذن فصم العلاقة والمطالبة بالاستقلال !!

واذا تمعنا قول ونجت هذا لأدركنا ما ينطوى عليه من مغالطات . فمصر لم تخضع لغيرها برضاها ، بل انها أرغمت على ذلك ، ولطالما انتفض المصرى وثار ، الا أن ثوراته لم تنجح لانه فى كل مرة كان يواجه عدوا أقوى . **والمسئول عن ذلك كله هو موقع مصر الجغرافى الفريد ما بين آسيا وافريقيا واوروبا مما جعل كل امبراطوريات العالم تطمع الى السيطرة على البلاد** ، ولو أن الدكتور جمال حمدان يعتز « بعبقرية المكان » هذه نتيجة لكونه قد جعل مصر تحتك بشتى الحضارات التى قامت فى العالم القديم . فرغم أن هذا المكان «العبقرى» هو الذى جعل مصر تاخذ بالديانة المسيحية وتطبعها بطابعها، ثم بالدين الاسلامى الذى كانت القاهرة فى العصور الوسطى بمثابة مركز الدائرة بالنسبة اليه ليس فقط من الناحية الثقافية ، وبخاصة بعد تدمير بغداد على أيدى التتار ، ولكن كذلك من الناحية الحربية حين قضت على الخطر الصليبى وأوقفت المد المغولى . **وهذا المكان « العبقرى »هو المسئول ايضا عن انفتاح مصر على الحضارة الغربية فى العصر الحديث** ، وان يكن من ناحية أخرى قد عرضها للغزو الفرنسى فى أواخر القرن الثامن عشر وللاحتلال البريطانى فى عام ١٨٨٢ . وهو أيضا الذى أغراها بمحاولة تزعم العالم العربى الذى كانت تتوسطه وتقع على أرضها اكبر قاعدة للغرب فى الشرق الأوسط،

ومن ثم فان بريطانيا هى التى اثارت الخطوة الأولى صوب محاولة توحيد العرب سياسيا وثقافيا واقتصاديا وذلك لخدمة مصالحها فى المنطقة بمسايرة المد القومى العربى الصاعد .

ورغم ان مصر واكبت مسيرة التاريخ من أولها الى آخرها ما بين مد وجزر فهل بامكاننا أن نحدد تعريف من هو المصرى ؟ لقد اختلط الشعب المصرى بشعوب كثيرة أخذ منها وأعطى : فبدل لغته المرة تلو الأخرى كما بدل ديانته وثقافته . ولكن الا توجد ثوابت مافى طبيعته ؟ والملمح الواضح أن المصرى متدين سواء أكان يعبد رع أو آمون أو ثالوث البطالمة أو كان موحدا حسب دين المسيح أو دين الاسلام . والمصرى أيضا صلب ويتشبث بما يراه حقا ، وهذا ما أورثه اياه القهر الذى عاناه عبر تاريخه الطويل . أما السلبية التى أشار الصديق مصطفى الى اتهام البعض المصرى بها، **فانها ليست اصيلة فى طباعه ، بل انها ناتجة عن احساسه عبر تاريخه بانه لا يجنى ثمرة كده ، بل هو يعمل ويشقى من اجل آخرين ياخذون دون ان يعطوا .. فاذن لماذا يجهد المصرى نفسه فيما لا طائل من ورائه ؟**

وفى معرض مقاله يود الصديق مصطفى لو كثرت المؤلفات التى تجمع أطراف تاريخ مصر من أوله الى آخره وان يكن من ناحية أخرى يشير الى صعوبة ذلك ، وهى صعوبة لا يمكن تذليلها إلا بتعاون عدد من المتخصصين فى شتى مراحل التاريخ المصرى تحت اشراف لجنة تضم فطاحل المؤرخين . وفى الواقع لقد جرت محاولات لكتابة مثل هذا التاريخ الشامل ـ ومن ذلك سلسلة « تاريخ مصر » التى صدرت فى بريطانيا فى ستة أجزاء وتوقفت عند مشارف التاريخ الحديث . وهناك أيضا سلسلة « تاريخ الأمة المصرية » التى أصدرتها الجمعية الجغرافية « الملكية » المصرية ، وهى السلسلة التى كتبها كبار المؤرخين الأوروبيين الذين بذلوا جهدا كبيرا فى تأصيل التاريخ المصرى ولو أن الأجزاء الخاصة بتاريخ مصر الحديثة كانت منحازة بوجه عام الى الأسرة الحاكمة التى تداولت الحكم منذ عهد محمد على . كما قامت جامعة القاهرة بجهد متواضع حين أصدرت فى عام ١٩٤٢ كتاب « المجمل فى تاريخ مصر العام » الذى اشترك فى تأليفه نخبة من المتخصصين فى شتى مراحل التاريخ المصرى . حقيقة لقد جرت محاولات تالية على الأقل لاعادة كتابة مايتعلق بتاريخ مصر الحديث ، الا أن حصيلة ذلك لم تر النور لأسباب تتعلق بصعوبة العمل الجماعى فى بلادنا . ولعل محاولة جديدة تتبناها الدولة كفيلة بخروج هذا الحلم الى حيز التنفيذ، خاصة وقد كثر عدد المتخصصين فى شتى مراحل التاريخ المصرى . أما أن يتولى هذا العمل شخص واحد وهو ما يلمح اليه الصديق مصطفى فان هذا الجهد يحتاج الى عمر المؤلف فيما لو آثر الكتابة العلمية الدقيقة . واذكر بهذا الصدد أن المؤرخ الفرنسى فرنالد برودل قد أمضى ربع قرن فى كتابة مجلداته الثلاثة الخاصة بتاريخ البحر المتوسط فى القرن السادس عشر .





بل الذكرى الواحدة والستون

وداد عبد الله

خلال قراءتي للهلال اسعدتني رحلة الأستاذ محمد سيد كيلاني بوابوره العتيد في ربوع ماضينا القريب ، وان كنت قد افتقدت خلالها محطة أراها هامة جليلة الأثر في تطوير مجتمعنا متميزة كظاهرة اجتماعية في حياتنا الحاضرة وهي السينماالتي وفدت الينا في أواخر القرن الماضي ضمن مستحدثات العصر التي تمخضت عنها ثورة الصناعة حينذاك كالقطار والباخرة والترام والمنطاد وما الى ذلك من مخترعات ذات طابع جماهيري يتفق وروح العصر بوجه عام • ولعل ما أثر عن سائقي قطارات الأمس من دقة في المواعيد والتزام بالعمل هو ما يجعلني أشك أن سائق الوابور قد تجاوزها سهوا خاصة أن أمامه على الخط اكثر من « سيمافور » ينبه الى وجودها مثل مطلع الأغنية السينمائية التي اتخذها سيادته عنوانا لمقالة أو التنويه بعصر الكهرباء التي تعد السينما احدى ثمارها اليانعة أو حديث أستاذينا الكبيرين مصطفى درويش ورفيق الصبان على مقربة منه عن الذكرى الستين للسينما المصرية بافتراض أن مولدها تم في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٧ على يد السيدة / عزيزة أمير بطلة ومنتجة فيلم « ليلى » •

ويؤسفني أن أقرر هنا خطل هذه المعلومة التاريخية الشائعة لما تحويه من مغالطة صارخة لا يصح ولا يجدر بنا أن نسلم بها أو نعكف عليها وقد بلغنا شأوا بعيدا في مضمار الدراسة والبحث والمنهجية العلمية • والرأى عندى أن مرجع هذا الخطل هو أننا نغفل أو نتغافل في نظرتنا الى بدعة السينما عن ازدواجية طبيعتها أولا كاختراع تكنولوجي تطور تدريجيا الى تخليق فن مركب شامل وثانيا كصناعة

ولود تحمل فى أحشائها بويضات هذا الفن المركب ان جاز التشبيه ٠ وقد صدق الناقد الانجليزى روجر مانفيل حين أطلق عليهـا الفن / الصناعة ٠

ان مولد السينما المصرية جاء مساء يوم فى الشهر الأول من عام ١٨٩٦ ـ كما يقرر جورج سادول عميد المؤرخين السينمائيين فى كتابه « تاريخ السينما فى العالم » حينما اقبل مصورو اخوان لوميير ـ المخترع الفرنسى بالاتهم السينمائية وعرضوا صورهم المتحركة أمام أنظار الحاضرين من رواد قهوة « زوانى » بالاسكندرية او صالة « سانتى » بالقاهرة فانبهرت انفاسهم رهبة واعجابا ثم الفوها وتعايشوا معها حتى أصبحت جزءا من نسيج حياتهم مثل سائر المخترعات المستوردة ٠ فاذا كنا أرخنا لمولد القطار بين ظهرانينا بعام ١٨٥٤ وللترام بعام ١٨٩٦ وللسيارة بعام ١٨٩٨ ٠٠ وهلم جرا، لماذا لم نؤرخ لنشأة السينما عندنا بعام ١٨٩٦ خاصة اننا نعلم جيدا أن بذرة اختراعها مختلطة الأمشاج وأن الجهاز السينمائى الذى اخترعه لوميير بمصنعه فى فرنسا وحمله مندوبوه معهم فى سباق تسويقه عالميا ـ كان « بروحين » أى يصور المشاهد الواقعية ثم يعرضها ، مما أتاح له أن يدخل قلوب الناس ويمتزج بها ويكسب جنسيتها ؟ ونحن لا نتجنى بهذا على الحقيقة فقد بدأ مؤرخو السينما فى شتى البلدان التى نزل بها مصورو لوميير ببضاعتهم الجديدة التأريخ لنشأة السينما الوطنية عندهم بأول عرض للصور المتحركة شد انظار مواطنيهم ؟ فلماذا استثنينا أنفسنا وحرمنا السينما المصرية من سنوات طوال يمكن أن تطاول بها عمر السينما العالمية ؟ السبب أنه لم تكن ثمة دراسات جادة تصاحب نشأة السينما فى بلادنا وكانت ساحتها فى بواكير هذا القرن ملعبا مفتوحا لكل من هب ودب يدخله من أية ناحية ويمارس فيه أى نشاط يعجبه دون تأهيل علمى ويهرف بما يعرف وما لا يعرف فكان أن أطلق أحد كتاب الصحافة المأجورين ـ وما أكثرهم وقتذاك ـ فرية أن صناعة السينما بدأت على يد السيدة / عزيزة أمير ورددها من بعده آخرون حتى شاعت وأصبحت من مسلمات تاريخنا السينمائى الى يومنا هذا ٠٠ ولنقرأ ما نشره الأستاذ مصطفى أمين فى مقاله الأسبوعى بأخبار اليوم تحت عنوان « عزيزة أمير مؤسسة صناعة السينما » منذ أسابيع قليلة ٠

واذا كانت الدراسات الجادة المتأنية قد طعنت فى صحة هذه المقولة وأرجعت التاريخ الذى نشأت فيه صناعة السينما ـ ولا ننسى انها أحد شقى المسمى الذى قال به روجر مانفيل ـ الى تواريخ سابقة عليه مثل سنة ١٩١٢ التى شيد فيها المخرج السينمائى توجو مزراحى « استديو » سينمائيا بمدينة الاسكندرية أو مثل سنة ١٩١٧ حين أسس بعض موظفى الحكومة تحت رعاية الأمير عمر طوسون شركة لصناعة الأفلام أو مثل سنة ١٩٢٣ التى رشحها شيخ السينمائيين





المرحوم أحمد كامل مرسى فى مقالة بكتاب دعم السينما لعام ١٩٨٧ ـ أى قبل وفاته ببضعة أشهر ـ بدءا للتاريخ السينمائى، فاننا نلاحظ مرة أخرى انها خلطت جميعا بين وجهى العملة السينمائية كما يخلط المرء بين تاريخ سك العملة الفضية فى مصر وبين تاريخ ضرب القطعة المعدنية المدون على أحد وجهيها • وهو خطأ كما ترون مبين •

ولقد سبق أن نبهت الى حقيقة عمر السينما المصرية فى تقرير رفعته بوصفى مديرا عاما للأرشيف القومى للفيلم عام ١٩٨١ الى لجنة السينما بالمجلس الأعلى للثقافة ، ولكن تبين لى يا سيدى أنه لا أحد فيها يعنيه أرقام التاريخ بقدر ما يعنيه أرقام الكسب والخسارة فى صناعة الأفلام •

وارجو ـ انصافا للسينما المصرية الرائدة والقائدة ـ أن تصححوا تاريخ مولدها فى عام ١٨٩٦ وأن تشهروا عمرها الحقيقى ـ أى الواحد والتسعين ـ حتى يكون الاحتفال بذكراها شهادة حق موثقة تقطع دابر الأباطيل والأقاويل الطائشة التى غلفت بداية حياتها • ولعل جهد الباحثين الجادين المقتدرين على الغوص فى بطون التاريخ يكشف لنا عن جديد يؤكد ما انتهيت اليه • وفقنا الله جميعا •



قصة قصيرة



الهانم.. والبائعة الصغيرة

بقلم :
نادية كيلانى

• رفلت فى ثوب فضفاض ، يكشف عن ذراعيها وجزء كبير من صدرها .. وقد تضوع الجو بعطرها .

أدارت قنوات التليفزيون حتى ارتضت احداها .. استرخت فوق أريكتها المريحة المفضلة .

على الحائط رقم لا تعيره التفاتا ولكن نفاذه الى مخيلتها اقوى من تظاهرها بعدم المبالاة ، فلم تجد بدا من مواجهته .

قاسية جدا هـذه النتيجة .. تتسـاقط أوراقها فى سرعة عجيبة تذكرنا بحقـائق من الافضل نسيانها .

قاسية جدا يدنا التى تثبتهـا قبالة العين فى الحاح .

الثالث عشر . يصمد امام عينيها . يتحـدى ذاكرتها . تداعت المعانى .. لم يبق معهـا من مصروف الشـهر سوى عشرة جنيهات فسألتها:

ــ هـل سـتكفى الجنيهات العشرة حتى آخر الشهر ؟.

قالت النتيجة :

ــ كيف ؟.. والراتب كله ضـاع فى أقل من نصف الشهر .

لم تهزمها الاجابة ، فعاجلتها قائلة :

ــ ولكن بالبيت كـل شىء تقريبـا .. المزيد يكفى حتى آخر الشهر .. اللبن الجاف موجود .. الثـلاجة عامرة باللحم والبيض والمربى والجبن ..ديون الشهر الماضى مدفوعة بالكامل. مشـكلة المشـاكل تغلبت عليها.. مصروف الاولاد .. أعطيت كـل واحـد منهم مصروف الشـهر كله .. ولن أسمع كلمة « هات .. هـات .. فى أوقـات الضيق ..

النتيجة مصرة على ازعاجها :

ــ الخضـار .. الفاكهة .. الخبز .. انتفضت واقفـة ..

اذن فلن تكفى جنيهاتى العشرة .. شامتة فى أنت أيتهـا النتيجة .. ما أقبـح نظـراتك الصفراء .. لا بأس : اذا احتجت الى عشرة جنيهـات أخـرى أو عشرين فالبركة فى ماما ثم أعيـدها فى بداية الشهر القادم كالعادة.

عادت تسترخى وقد لانت ملامحها اثر خاطر شجع البسمة أن تغزو شفتيها .

ــ لعـل الله يرزق باضافى أو منحة ليست على البال .. المهم لا معنى للقلق ، والعشرة جنيهـات .. لاتزال « صحيحة » .

استرخت .. تتـابع باهتمـام برنامجهـا المفضل ..

دق جرس الباب .. تسابق اليه الاطفال .. جرى أحدهم الى أمه :

ــ فتاة صغيرة تبيع عدسا وارزا وبقـولا جافة ..

ــ لا أريد شـيئا من هذا .. دعها تنصرف.

عاد الصـغير الى الفتـاة .. ارتد الى أمه :

ــ تقول اشترى ولو نصف كيـلو .. فهى تريـد شراء طعـام لاخوتها .

ــ ادخلها ..

لفافات .. لفافات من الأثواب فوق بعضها البعض تلف أنسـانا صغيرا يتدحرج عـلى الارض .. صدا الجسم يطل من بين نوافـذ الاثواب وأبوابهـا .. يضم الرأس منديل .. يـكاد يعصره ، وقـد نفـرت بعض خصـلاته المجعـدة المغبـرة .. انتشرت فوق هذا الكائن طبقة كثيفة من القشف:

ــ اشـترى أى شىء يا ست هانم .. ربنـا يسترك .. أريد شراء طعام لاخوتى ..

مأسـاة تمشى عـلى قدمين ــ صـوت حزين ووجه بائس .. عينان تائهتان .. تجربة ثرية لفنان مرهف الحس ، يعتصره الالم يجسدهـا قصيدة أو رسـما أو نحتا .

ــ اجلسى ..

تربعت الفتـاة فوق الارض .. أسـندت رأسها الى كفهـا فوق ركبتها هكذا اكتمـل التمثال المشرد ..

ــ أنت التى تطعمين اخوتك ؟..

ــ نعم ياست هانم .

ــ كم عددهم ؟

ــ أربعـة .. كلهم أصـغر منى .. أبى وأمى شيخان لا يقدران على العمل ..

ــ أين بضاعتك ؟

ـ بضاعتى ثقيلة .. احملها فوق رأسى، تركتها أسفل العمارة عند البواب .

ـ لم لا تعملين عند احدى الاسر .. خيرا من اللف فى الشوارع؟

ـ الناس فى (حتتنا) يقولون لمن تشتغل فى بيت (يا خادمة) لكنى لا أرفض اذا طلبت منى احدى السيدات اللاتى أبيع لهن .. مسحا.. غسيلا .. أى شىء .

تلفتت حواليها .. دققت فى «بلاط» الشقة بعينين صغيرتين مدورتين وقالت :

ـ أتريدين أن أمسح لك الشقة ؟

قفز قلبها وراء نصف المبلغ الذى تمتلكه .. تخيلته يذوب ويتحول الى كفين صغيرتين تدوران فوق (البلاط) وهو يئن تأثرا بأنينها .

نظرات الفتاة وهى ترجو الموافقة تترنح فيها دموع يبدو أنها لم تسفحها منذ ساعات .

أما الصوت فمرتعش تعس يحبس رغبة قوية فى البكاء .. نهضت السيدة لتنجو بنفسها من حصار النظرات والصوت .. غابت قليلا وعادت بكوب من عصير الليمون .. اختطفته الفتاة بسرعة وأخذت تلقى به فى جوفها على دفعات بنهم .. لكنها أبطأت فى ثلث الكوب الاخير ، فاخذت ترشف منه على مهل وهى تتلذذ به خوفا من نفاذه .. أخيرا وضعت الكوب ومسحت فمها بكم جلبابها :

ـ أتريدين عدسا .. أو فريكا أو فولا ؟

ـ عندى كل هذا حتى الشهر القادم .

ـ ربنا «يخليك» يا ست هانم .. ويخلى لك عيالك .. اشترى ولو نصف كيلو .. سأشترى طعاما لاخوتى

قاطعتها :

ـ بكم كيلو الفريك ؟

ـ جنيهان .

ـ معى عشرة جنيهات صحيحة .. أظنك لا تستطيعين فكها .

هب التمثال .. تحول فجأة الى مارد .. دست يدها فى جيب جلبابها الطويل المقلم .. اخرجت رزمة من الاوراق المالية مختلفة الفئات وشرعت فى استبعاد الاوراق الكبيرة حتى وصلت الى جوف الرزمة حيث ترقد الجنيهات .. وبدأت فى العد .. واحد .. اثنان .. ثلاثة .. ثمانية .. تفضلى يا ست هانم .. ناولتها ورقتها المالية الوحيدة .. تابعتها بعينيها حتى تمددت بجوار اخوتها من الفئة نفسها وغابت معهم فى الجيب الطويل .

انفرجت شفتاها عن ابتسامة ساخرة وهى تدير ناظريها ناحية النتيجة فخالتها تزهو ببسمة المنتصر .

ـ ها أنت ذى لم تستطيعى حماية العشرة جنيهات من يد البائعة «الصغيرة» .

أفاقت على صوت الفتاة :

ـ خذى كيلو لوبيا .. ربنا يخليك ..

ـ لا .. كفى .. أسمعت ؟

ـ حاضر يا ست هانم .

عاد لصوت الفتاة حزنه ولوجهها شقاؤه ، وقالت :

ـ اعطينى ثوبا قديما .. أطال الله عمرك .. ليس عندى «هدوم» .

ـ ليس عندك «هموم» .

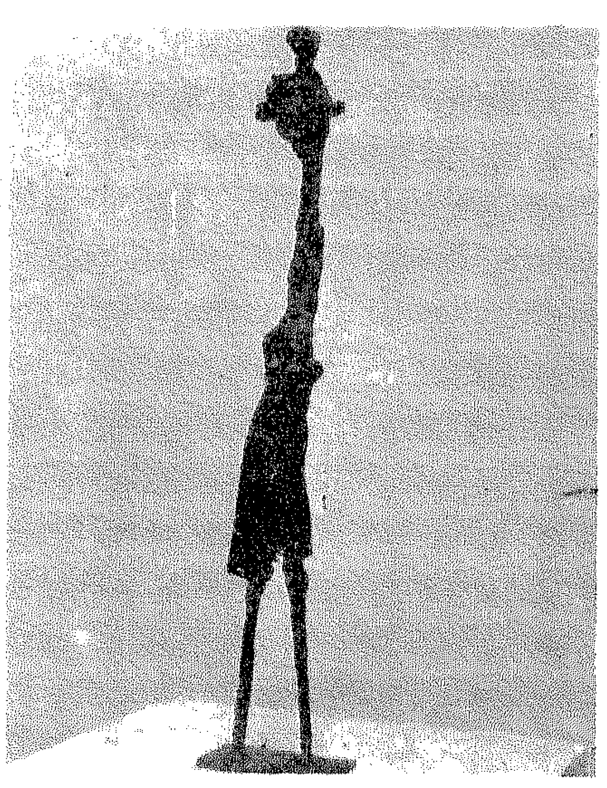
ـ ماذا قلت يا هانم .. ؟

ـ لم اقل شيئا .. أكلم نفسى .

أعادت الفتاة طلبها:

ـ ارجوك يا هانم.. اعطينى جلبابا ..

ـ هانم !.. للاسف ليس عندى يا ست الهوانم .



انسان القرن العشرين .. للفنان صبحى جرجس



معاناة .. للفنان محمد هجرس

تأملات فى معرض النحت المصرى المعاصر

بقلم : محمود بقشيش

قدم المركز القومى للفنون التشكيلية عرضا شاملا ، هاما ، فى مجال النحت . وأهمية هذا المعرض تكمن فى كونه أول معرض فى تاريخ الحركة التشكيلية المصرية ، يضم إبداع النحاتين المصريين منذ عشرينيات هذا القرن حتى الآن ؛ أى منذ « محمود مختار » حتى جيل الشباب . ورغم خطورة هذا المعرض فإنه لم يحظ بما تحظى به أية ممثلة ناشئة من الإعلام ، والإعلان عنها ، لهذا لا تندهش إن صادفك جمهور يمكن عده على أصابع اليد الواحدة ، أو اليدين على أحسن تقدير ، وربما اكتشفت بينه وجوها مألوفة ، تتردد بحكم عملها فى مجال الفن !

● لكن ... لنتجاوز هذه المحنة ، ونفترض أن بين الزوار الخمسة اثنين يهتمان بالفن ، ويختلفان فى التلقى والتفسير ؛ أحدهما يحتشد بتصورات مسبقة ، ويرى ضرورة أن يكون للفن ملامح قومية ، ولا يجيز العمل الفنى « بصك » الإعجاب إلا إذا التزم شروطه المتصورة . أما الثانى .. فقد جاء للمتعة الخالصة . صافى النفس . غير عابىء بما إذا كانت تلك المظاهرة من المنحوتات ضمها زمن واحد ، أو أزمنة مختلفة . وقرر الاثنان تبادل الرأى فيما يخص الانطباع الأول - المتعجل !

أتصور أن يقول الأول : « إننى ألمح تلك الملامح القومية .. بصورة واضحة .. فى الجيل الأول ، غير أنها تتراجع خطوة . فخطوة مع تقدم الزمن ، وسرعة الاتصال ، فأرى ازدياد تغلغل النموذج الغربى ، وانخفاض سطوة الموروث الفنى المصرى »

ويرد عليه الآخر ، الذى ظن أن المنحوتات تنتمى الى جيل واحد من الفنانين : « بل إن هناك مشتركا لايمكن إغفاله . ذلك المشترك . المسيطر . هو الطابع السكونى ، والميل الى البنائية ، والهندسية ، والاناقة ، ومراوغة البوح ! .. حتى الشطط .. الذى نلمحه فى بعض الأعمال .. لا يخرج - جوهريا - عن تلك الروح المسيطرة . المحافظة ! »

إن كليهما ، وإن اختلفا من زاوية الرؤية ، قد تكاملا . ومن ثم .. فمن الأصوب أن نصحبهما فى جولة مع ذلك المعرض التاريخى ، حتى نتمكن من التشخيص ، والمتعة فى نفس الوقت ، وأن نتحلى بمرونة فى عبور الأزمنة ذهابا وإيابا .. إذا استدعت ضرورة المقارنات ، أو استخلاص حكمة ما .. ذلك !

● رائد النحت المعاصر

تستقبل الزائر .. مباشرة - نماذج من أعمال « محمود مختار » .. رائد النحت المصرى المعاصير ، وأول من طرح على مستوى الانجاز النحتى ، والفكرى ، قضية الخصوصية القومية فى الفن . ولا تزال القضية مطروحة . ولا تزال الاجتهادات ، والاجابات تأتى - إيجابا وسلبا - بما يؤكد أن ما تركه هذا المبدع الكبير يعيش فى ضمائر الفنانين ، محركا لنوازع الخلق لديهم .. بالتحدى ، والاضافة ، أو مغريا بالتقليد .

ضمت مجموعته نماذج - مثالية - لرجال ونساء القرية ؛ أمثال .. حارس الحقول ، وشيخ البلد ، وفلاحات بالغات الرقة ، يقمن بالعمل ، أو ينصرفن الى ذواتهن ، وتغرينا تلك التماثيل بمصاحبتها فى حالاتها المختلفة - والمعتدلة فى نفس الوقت - كما تدعونا إلى تأمل كتلها الصافية ، التى تلبس - بحساب ، واختيار - أقنعة . مستخلصة من ملامح المنحوتة

الفرعونية ، وتخاطبنا برسائلها الاخلاقية التى تتوحد مع الكتل نقاء وهدوءا .

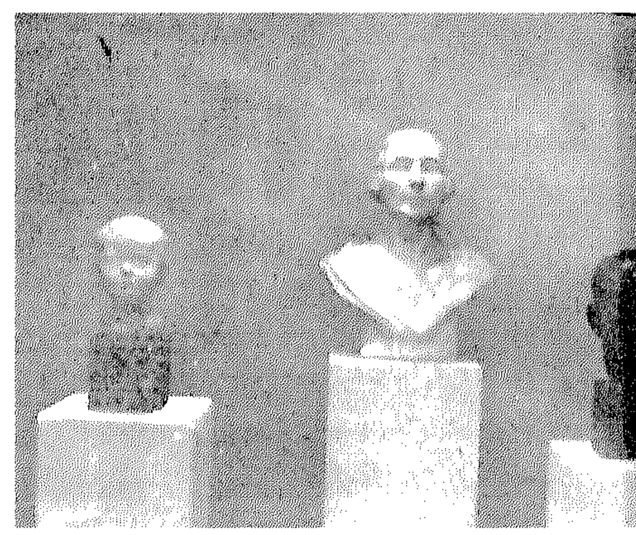
إن منهج « مختار » - الفنى والأخلاقى - يجعله يعمد إلى كبح جماح الرغبات الداخلية بكواتم الحياء - كما فى تمثال : عند لقاء الرجل - حيث يخفى معالم الوجه الفاضحة ، ولايترك لمعالم الجسد الأنثوى سوى الهمس فى إعلان الوجود ! ، . فإذا "حزنت" المرأة حال دون سقوطها فى اليأس برصانة الكتلة الجرانيتية اللامعة ، وأقواسها المعبدية الحانية ، وأناقة خطوطها الخارجية والداخلية !

إن مجمل إبداع « مختار » كان ، ولا يزال ، دعوة للمصالحة مع الموروث الفنى المصرى : (البنائى - السكونى) ، والموروث (الاخلاقى - الدينى) ، وإن خرجت منحوتة « الخماسين » من أسر القناع الفرعونى ، ولكنه خروج غير مكتمل ، وبتعبير أدق : خروج محكوم بالحذر ، والتوجس ! اضطر اليه اضطرارا حتى يستطيع أن يقدم دعوة صريحة إلى المقاومة

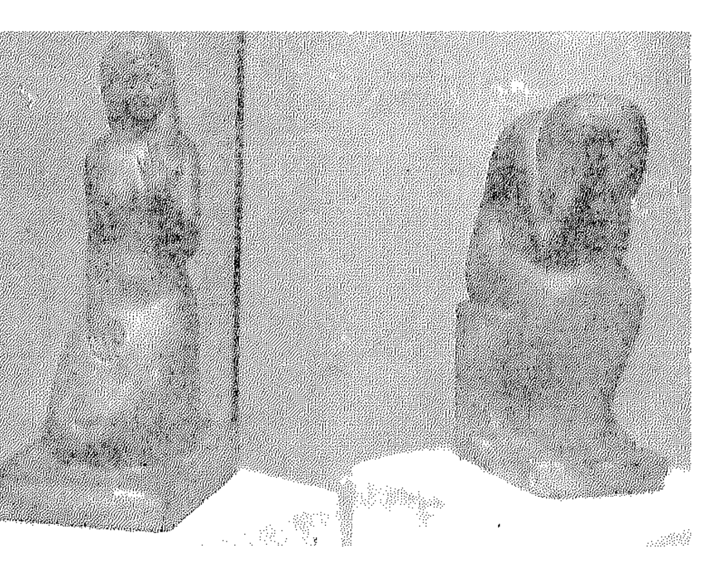
● التزام بالأسلوب الأكاديمى

كان تأثير منهج « مختار » (التوفيقى) كبيرا على الجيل اللاحق له ، وبدرجات متفاوتة على الأجيال الأخرى . جاء الجيل اللاحق له من النحاتين مبهورين بما أنجزه ؛ شاهدوا نموذجا واضح المعالم ، يجسد ملامح البيئة ، والتراث ، وشيئا من روح العصر .

وأزعم أن الحس النقدى لذلك الجيل كان خابيا - على النقيض من زملائهم من المصورين - فتلقوا التقدير الذى ناله « مختار » فى صالون باريس المحافظ باعتباره تقديرا غير مشروط ، ولو تأملوا الأمر لأدركوا أن « مختار » نال تقدير الصالون لكونه - أولا - محافظا فى فنه ، ففى الوقت الذى قبلت فيه منحوتات « مختار » رفضت لوحات أبرز مؤسسى حركة الفن المعاصر فى العالم ، ومن ناحية أخرى فقد كان للالتفاف الجماهيرى المصرى حول تمثال نهضة مصر أثر ساحر فى ذاكرة ذلك الجيل .. الذى حرص على ما أنجزه الأستاذ ، خاصة فى مجال الموضوعات ، بينما التزموا التزاما كبيرا بالأسلوب « الأكاديمى » فى موضوع « الصورة الشخصية » (البورتريه) - كما فى أعمال الفنانين : (إبراهيم جابر ١٩٠١ - ١٩٧١ ، أحمد عثمان ١٩٠٨ - منصور فرج ١٩١٠ ، عبدالقادر رزق ١٩١٢ - ١٩٧٨ ، عبدالحميد حمدى ١٩١٧ - ١٩٧٨ ، أنور عبدالمولى ١٩٢٠ - ١٩٦٦ ، مصطفى متولى ١٩١١ ،



مجموعة تماثيل للفنان عبد القادر رزق



نماذج من اعمال الفنان انـور عبد المولى

كمال عبيد ١٩١٨ ، كامل جاويش ١٩١٩) وغيرهم .. على أن هذا النجيل قدم خدمة جيدة للأجيال اللاحقة ، فقد كان أكثرهم أساتذة فى الكليات الفنية ، واحتل بعضهم مناصب وظيفية مؤثرة ، وكان نتيجة ذلك أنهم خلقوا ـ دون قصد ـ جيلا متمردا على الجمود الأكاديمى ، مجددا التواصل مع رسالة « محمود مختار » عبر دروب أخرى !

● علامة ثانية فى النحت

تتجاور منحوتات « جمال السجينى » مع منحوتات « محمود مختار » و« السجينى » هو العلامة الرئيسية الثانية فى النحت ، وقدم اجتهادا ، وإجابة مختلفة على نفس القضية التى طرحها « مختار » ؛ فقد وسع من مصادر الإلهام .. فلم يكتف باستلهام « الفرعونية » بل امتد الى « الاسلامية » ، والعمارة الفطرية ، والفن الشعبى بالاضافة إلى استلهام إنجازات النحت المعاصر الغربى ، وبالذات إنجازات « هنرى مور » « وزادكن » ، ونوع فى الخامات ، ومجالات الابداع ؛ فمارس الرسم ، والتصوير ، والطرق على النحاس ، والخزف ، إلى جانب إبداعه الأصيل فى مجال النحت ، ونوّع فى « ظاهر » الأساليب الفنية .. فتارة يقترب من الأصول « الواقعية » شكلا ، « والدعائية » مضمونا ، وتارة ينبذ المباشر فى التأثير ويلوذ بالرمز ، وأحيانا ينغمس فى الزخرفة .. وعلى الرغم من هذا التنوع فى « الظاهر » فإن المشترك بينها جميعا هو الاحتفال بالرموز ،

و« الميل » إلى « الحركة » الناشئة من التحليل التكعيبى « أحيانا » ، وأشدد على لفظة « الميل » ، لأن « الحركة » عنده « داخلية » ، كما فى منحوتة بعنوان « أمومة » .. سنتحدث عنها ، أو « ملمسية » كما فى منحوتته الزخرفية [التمساح] ، أو وصفية كما فى مطروقة بعنوان (شجرة المصير) وهى بشكل عام حركة جزئية ، تلمس عنصرا من العناصر المجردة أو المشخصة ، لكنها لا تمس جوهر التصميم الهرمى (فى معظم الأحوال) ، غير أن هذه الحركة الجزئية ، والمذاق اللاذع المتسلل إلى نحت ورسوم « السجينى » ، تميزه عن منحوتات « مختار » الرقيقة ؛ التى بدت إلى جوار منحوتات « السجينى » أكثر مما ظنناه لها من صفاء ، وهدوء !

ظهرت آثار « هنرى مور » ، واثار عشق « السجينى » المتأخر للعمارة الريفية فى سبيكة نحتية ، جمعت بين الكتلة العمارية ، والفراغ ، والشكل الانسانى ، والمنحوتة بعنوان [أمومة] ، وتعد من أنضج منحوتاته ، وتكتسب ـ فى تقديرى ـ كثافة شعرية ؛ ففيها اكتفاء بكل ماهو جوهرى ، و« حبكة » مدهشة فى الشكل والمضمون .. وعلى الرغم من براعة « السجينى » التى لانظير لها فى مصر ، فى مجال المطروقات النحاسية ، فإن مطروقاته قد افتقدت إلى شاعرية وإحكام هذه المنحوتة ، التى تتبدى فى فطرية أسرة . إن الفراغين اللذين يقتحمان جوف الكتلة يقومان برسم وجه الطفل المستغرق فى التهام ثدى الأم .. فى استمتاع ، وأمان ، كما يقومان برسم وجه الأم المتطلعة فى حنوّ إلى رضيعها ، بينما هو يغوص فى خدر فى السرير الدافىء . الطرى . الذى شكلته أمه بساقيها الممتلئتين . القويتين ! .. إن الفراغين المقتحمين لايقومان فقط بدور الرسام بل « يسهمان إسهاما فعالا فى "التعبير" فبهذين الفراغين تحقق التحام فم الطفل بثدى الأم بصورة موحية بالالتهام لا الرضاعة ! .. كما أوحى بارتفاع الوجه ، الذى بدا كما لو كان « يراقب » حالة الرضاعة ، أو الالتهام فى سعادة ! .. ، فى نفس الوقت قام الفراغان بإثارة انتباه المشاهد الى منطقة التفاعل الدرامى ، وخلق « حركة » عن طريق الحوار بين الكتل وفراغاتها ، وكان من الطبيعى أن يقدم الحماية لمنطقة التفاعل عن طريق الشكل الهرمى الراسخ ، الذى تعلوه قبة تحنو على الجميع !

● نحاتا الخامات الصعبة !

هما ، بغير منازع ، « محمود موسى » ١٩١٣ ، « عبدالبديع عبدالحى » ١٩١٦ .. ولم تكن الأحجار الصلبة ، بالنسبة لهما ، مجرد وسائط نحتية ، بل

باعتبارها فلسفة ، وإن اختلف موقفهما من تلك الفلسفة ؛ فإذا كانت الأعشاش الهشة لسكنى الطير ، والبيوت لسكنى الانسان ، فمشتقات المنحوتات الفرعونية ـ لكى تعيش بدورها ـ يجب أن تسكن أصلب الأحجار .. وهذا مايراه « محمود موسى » . وتستطيع أن تلحظ فى منحوتاته التزاما بقوانين السلف فى الكتلة ، وأعماله « توحى » بفنان موصول الذاكرة بانجازات النحت الفرعونى ، وإذا كان « مختار » قد تطلع إلى النموذج الغربى دارسا ، ومستلهما منه ما يتسق مع طبيعته فإن « محمود موسى » قد قاطع هذا النموذج مقاطعة كلية ، ونكاد نشعر مع منحوتاته أننا أمام نحات فرعونى « يحاول » التجديد ! .. وتشكل الطيور والحيوانات الأليفة الموضوع المحورى فى أعماله ؛ وهى كتل تتسم بالدقة فى البناء ، والأناقة فى التنفيذ ، ونقاء فى معالم الشكل . أما الطرف الثانى فى الثنائى الشهير فهو عاشق للجرانيت لسبب مختلف ؛ يعشقه لصلابته لا لتاريخيته! .. ومن هنا لاتعنيه المشابهة بين منحوتاته وأصول الفن الفرعونى ، بقدر ما يشغله استخلاص أقصى إمكانات الخامة ؛ وهى خامة تفرض الحذر ، والاحترام على من يتعامل معها . لا تغتفر أى هفوة ؛ فالخطأ الصغير معناه الفشل . ليست متسامحة كخامة الخشب ، التى تسمح باقتحامها من الداخل والخارج بيسر .. بل عنيدة .. تترك لك سطحها الخارجى الصلب ، وتحذرك من مغبة المجازفة ، وتجاوز حدود السطح ! .. ورغم ذلك فقد نجح « عبدالبديع » فى تحدّيها فى عدد من منحوتاته ، منها منحوتة « القط والثعبان » المعروضة بالمعرض ، حيث فرّغ ما بين الساقين الخلفيتين للقط .

إن « عبدالبديع » يستعير قناع الفرعونية ، بل يستعير الحجر ـ نفسه ـ ملاذا لمعظم منحوتاته . يسجل به الواقع كما هو ـ خاصة فى الوجوه ـ أما طيوره وحيواناته فقد كرس أغلبها لثنائيات رمزية ، تستطيع أن تستخرج منها إيحاءات شتى ؛ كما فى منحوتته « القط والثعبان » ، التى تمثل قطا منقضا على ثعبان بكامله . أنيابه فى رأسه ، وجسده يضغط على كامل جسد الثعبان ! .. وفضل أن يختار لحظة الانتصار الساحق للقط على الثعبان ، وإن لم يكشف جسد القط الناعم . اللامع ، وجسد الثعبان ، غير المصقول ، عن أى أثر من آثار المعركة ، بل قد « يوحى » الجسد الطرى الممتلىء للقط فى وضعه هذا أنه أقرب الى المضاجعة منه إلى المعركة ! ..

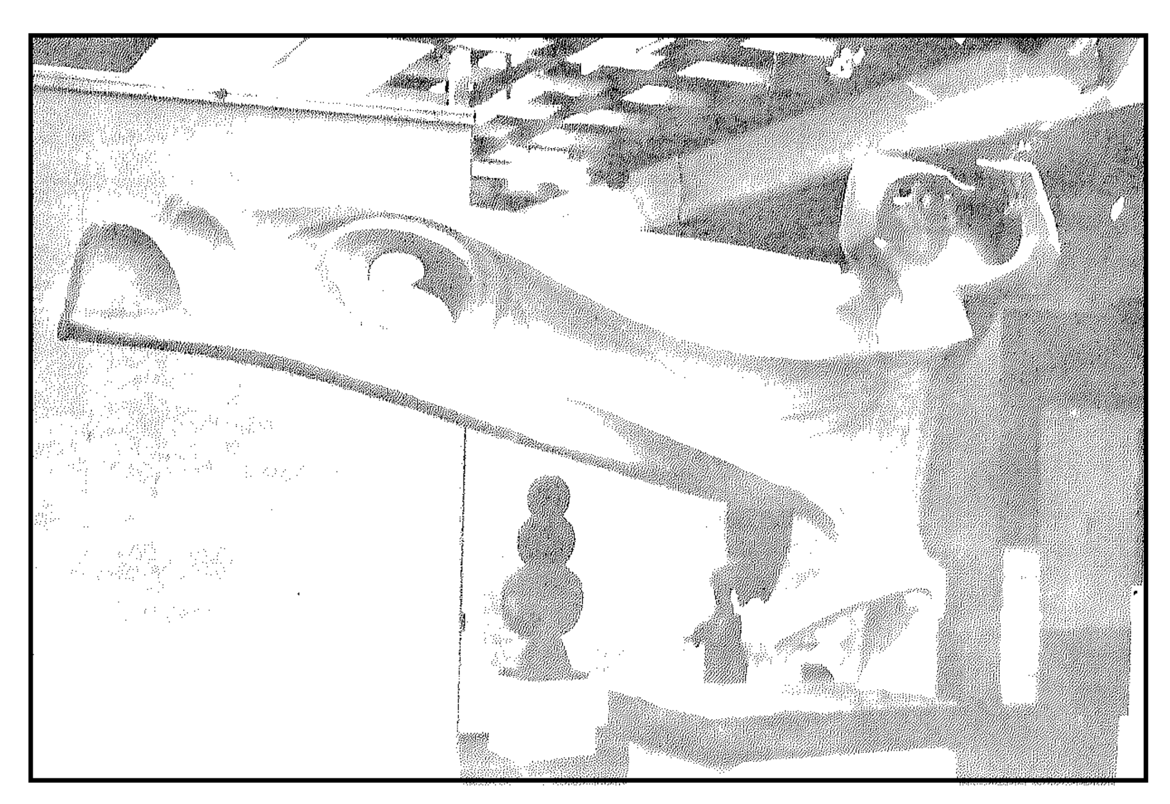
● فنانو المعادن الصلبة !

يُعد « صلاح عبدالكريم » أبرز مبدعى « النحت الحديدى » فى مصر ، وأول من مارسه ، وروّج له ، بعد عودته من بعثته إلى فرنسا وإيطاليا عام ١٩٥٨ ، والطريف .. أنه لم يكن فى نيته أن يكون نحاتا ! .. والمصادفة

حدثت عندما شاهده « بيكار » يصنع سمكة وحشية من نفايات الحديد ، كان يريد لها أن تكون شكلا للزينة ، فشجعه على الاشتراك فى بينالى « ساوباولو » ، واشترك بالفعل ، وكانت المفاجأة أن فاز بالجائزة الأولى ! .. وأعقبتها جوائز دولية ومحلية ، ونشر تمثاله « الصرخة » فى قاموس « لاروس » العالمى ، وهو معروض ضمن مجموعته فى هذا المعرض . إن « أهم » منحوتاته تدور حول الحيوانات والحشرات والأسماك ويختار من بينها المتوحش ، والشرس ، ولم يظهر الانسان فى منحوتاته إلا مرتين : مرة .. شهيدا ، والأخرى مبدعا ! .. وأعماله المعروضة وغير المعروضة تتسم بخصوبة الخيال ، والبراعة فى جمع شتات من الأشكال الاستعمالية كالمفكات والمقصات والمسامير والصواميل والبلى وشرائح الحديد المهندسة .. الى غير ذلك من الأشكال غير المتجانسة ، يبنى ، ويحلل ، وينغم بها أشكالا مجسمة .. تلتزم النسب الواقعية ، إلا إذا شاء لها أن تكون شكلا زخرفيا للزينة . ورغم الطابع الوصفى لاشكاله النحتية فإنه يمدها بشحنات تعبيرية . واللافت للنظر ، أنه .. مع الأدوات السلسة كأدوات التصوير الزيتى يتجه الى التحريف التكعيبى ، بينما مع أدوات النحت الصلبة . غير المتجانسة . يحرص حرصا شديدا على ترويضها لكى تحقق النسب الواقعية ، والهيئة الوصفية ، ذات الطابع السكونى ، رغم الاشارات التوضيحية الدالة على فعل عنيف ؛ كانفتاح فم حيوان إيحاء بصرخة ، أو ارتفاع أرجل إحدى الحشرات إيحاء بقتال . إن مثل تلك الاشارات لا تعدو التنبيه الى النوايا ؛ فكتلة الحشرة ـ على سبيل المثال ـ « تنوى » القتال .. دون أن تبدو فى حالة قتال فعلى . إن الحركة عند « صلاح عبدالكريم » تشبه الحركة عند « السجينى » من حيث تموضعها فى (الجزء) دون أن تمس الهيكل الكلى للعمل الفنى .



نعود مع منحوتات « آدم حنين » ـ ١٩٢٩ ـ إلى استلهام الموروث الفرعونى .. مع التشبع بروح الكتاب المقدس . اتسمت أعماله بطابع شعرى . رقيق . هادىء . يكمن فى داخله حزن دفين مقاوم . كتل طيوره نحيلة . موجزة . تشابه الانسان فى وقفته . تحتج بالصراخ ، وتستشهد بالصلب . إن طيوره المرهفة (المثقفة !) تبدو غريبة عن كل طيور المعرض إذا وضعت الى جوار أوزة « عبدالبديع » الحجرية . المتوحشة . ضاعت ! وإذا وضعت إلى جوار حمامة « كمال عبيد » الممتلئة بالصحة والعافية والطمأنينة .. تبددت ! ..



استشراق للفنان عبد الهـادى الوشاحى

ويختار الفنان « أحمد عبدالوهاب » ـ ١٩٣٢ ـ طريقا أكثر صراحة ووضوحا إلى الفرعونية . ينتخب منها وجه « إخناتون » بعد أن زاده نحافة ، ورهافة ، وأظهره فى تجليات مختلفة تدور جميعها فى إطار التأمل . صفَّ وجوه « إخناتون » صفوفا .. لا ندرى إن كانت قد جاءت لتحاكمنا ، أم تدعونا للعودة معها الى الزمن السحيق ! ..

إن منحوتات « أحمد عبدالوهاب » تدخل فى إطار « النحت الشعرى » ، وهذا الاطار ليس مدرسة ، أو أسلوبا فنيا بالطبع ، ولكنه « حالة » شعورية مزاجية تمس عديدا من فنانى هذا المعرض أمثال : آدم حنين . كمال خليفة فاروق إبراهيم . محمد سيد توفيق . سمير ناشد . صبرى ناشد .

عشاق المنحوتات الخشبية !

ويمثلهم فى المعرض : محمد هجرس . صبرى ناشد . سمير ناشد . محمد سيد توفيق . صالح رضا . ومادمنا قد أشرنا للعشق . فنستطيع أن نقرر أن « صبرى ناشد » هو أول من أقام معرضا كاملا من هذه الخامة ، وهو يعترف ـ والاعتراف سيد الأدلة ! ـ بأنه العاشق الولهان الأول ! .. ضمت مجموعته عملا نحتيا معقدا بعنوان (مصير الانسان) أبرز فيه كل مهاراته فى التوغل فى كتلة خشبية واحدة . استخرج منها (مظاهرة) من العناصر البشرية

المتراكبة ، والفراغات ، كما ضمت مجموعته منحوتات تمثل نباتات .. اتسمت بالرقة ، والبساطة ، والرشاقة ، ويشاركه « سمير ناشد » فى رشاقة منحوتاته ، واقترابها من التلخيص التجريدى ، الذى لايفقدها أصولها الواقعية ، ويتميز « محمد سيد توفيق » ببلاغة الايجاز ، وليونة الأشكال ، وهدوئها .. سواء فى أعماله التجريدية أو التشخيصية . واشترك « محمد هجرس » ببعض الأعمال من النحت الخشبى تميزت بالحيوية والحدة والجرأة .. خاصة تمثال بعنوان [جذع] .. يمثل « إيحاء » بجذع إنسانى مندفع . وأعماله المعروضة تشكل صرخة احتجاج ضد واقع مستفز ؛ فشكل الجذع ـ على سبيل المثال ـ يوحى بلحظة التحام فى معركة ما ، ولقد أضاف التحليل التكعيبى لمنحوتاته ـ ذات الطابع « الدينامى » ـ حدة . ويشكل إبداع « هجرس » ـ فى تقديرى ـ جملة اعتراضية مع منحوتات « مختار » ، وإن اختلفت عن جملة « صلاح عبدالكريم » الاعتراضية .. فى كون اعتراض « هجرس » اعتراضا نقديا ، وهو ما سنراه ـ بصورة أوضح ـ عند الحديث عن أعمال « عبدالهادى الوشاحى » ، وإذا كان قبس « مختار » قد توقف عند الحاجز النقدى لابداع « هجرس » ، فقد توقف لأسباب أخرى عن الوصول إلى إبداع « صبرى ناشد » و « سمير ناشد » فى حين تسلل هذا القبس إلى إبداع « محمد سيد توفيق » ملونا بروح شاعرية أخاذة ، أما « صالح رضا » فيستحق وقفة خاصة ! .. فهو يختلف مع بقية عشاق هذه الخامة ، كما يختلف مع « مختار » فى مفهوم « النحت » .. دون أن يرفض بصورة قاطعة قومية الابداع التشكيلى ـ وبمعنى أدق ـ ينحاز فى « بعض » إنتاجه ـ بصورة واضحة ـ إلى النموذج الغربى ، ويتعلق فى البعض الآخر بالموروث الاسلامى ، والشعبى . يحدث هذا الازدواج .. أحيانا .. فى فترات متعاقبة ، ويتداخل .. أحيانا .. فى الفترة الزمنية الواحدة ، وفى المعرض الواحد . وإذا كان بقية زملائه يتعاملون مع منحوتاتهم تعاملا مباشرا فإنه يترك للمساعدين ، وللمخرطة مهمة التنفيذ .. بينما يقوم هو بدور المصمم والمشرف على التنفيذ . وتمثل مجموعته تنويعات على « وحدة » الخرط العربى .. وقد طلاها بالألوان البراقة : الذهبية والحمراء ، وشكل بها عرضا أقرب إلى العرض المسرحى .. وبالنسبة لى فقد استمتعت بالتنوع ، والرنين المعدنى للألوان البراقة .. ذلك الرنين الذى كان يتركنى دائما عند السطح !

رهافة شعرية

وإذا كان « مختار » لم يغفل الكلاسيكية الاغريقية والرومانية ، وسمح

لبعض آثار هذا الاعجاب أن تظهر فى كثير من ملامح فلاحاته الفاتنات ، فقد بالغ « فاروق ابراهيم » ـ ١٩٣٧ ـ فى هذا الاعجاب ، وسمح له بتجاوز الوجه الى غطاء الجسد ، فصارت الثياب الشفيفة ، والكثيفة بطلاً .. يبرر وجود التمثال ... وإن اكتسى كل هذا برهافة شعرية . ومن أجمل الأمثلة على ذلك تمثال عنوانه الوصفى [امرأة تسير] .. يمثل امرأة عملاقة ، ينبت فى قمتها رأس طيفى . صغير .. يؤكد صرحية الجسد . قدماها صغيرتان . تلمسان الأرض لمسا خفيفا . وتمنح الثياب الفضفاضة المرأة جلالا أسطوريا ، تسهم فيه خطوة لاتكاد تبين للقدم اليمنى ، ولقاء رقيق بين اليدين .

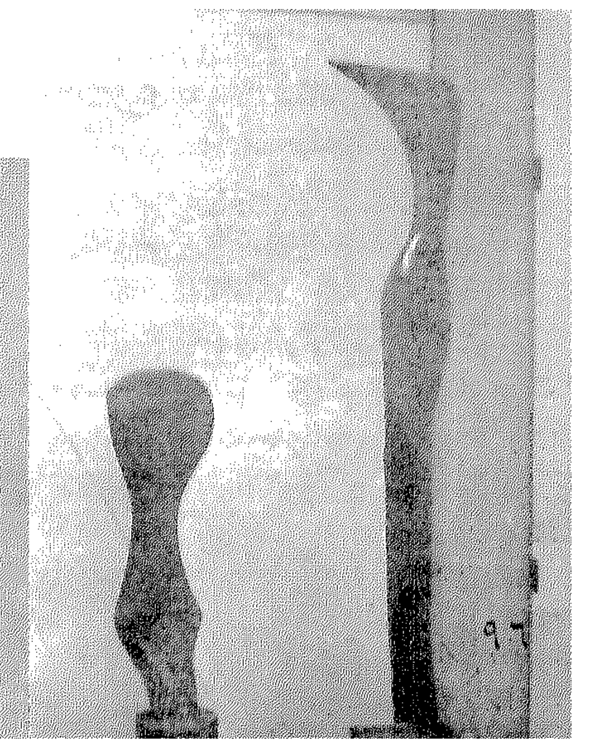
ورغم أن هذا التمثال صغير الحجم .. فالعين تراه صرحيا ، يناسب فراغا طبيعيا إلى جوار النيل ، أو فى مداخل قناة السويس ويتفق مع هذه الروح الشعرية ، ويختلف فى المنابع « محيى الدين طاهر » الذى يقيم جسور التواصل مع « مختار » .. مع الاحتفاظ بخصوصية إنتاجه يلجأ إلى البسيط من الموضوعات ، وتكويناته خالية تماما من أى ترهل « ميلودرامى » ، فأجساده رشيقة . رقيقة ، ووجوهه سمحة ، وعالمه سلامى ، يدعوك دائما إلى الاستزادة من المسرات الصغيرة .. رغم مأساوية حياته الشخصية ! ... وإذا كان المعرض بشكل عام ـ يبتعد عن ملامسة واقع الناس المباشر .. محلقا ـ على أحسن الفروض ـ فى نطاق المثل الأعلى .. أو تائها فى ضبابية رومانسية .. فإن المثال « محمد مصطفى » هو الفنان الوحيد الذى انشغل بموضوعات من واقع الناس البسطاء . الكادحين .. دون أن يسقط فى تشنج الدعائية ، وترهل « الميلودرامية » ، فهو يلتزم الواقع موضوعا ، دون أن يفقده هذا الالتزام البناء المحكم ، والتوازن المحسوب بين الكتلة وفراغاتها

● الحوار الخلاق

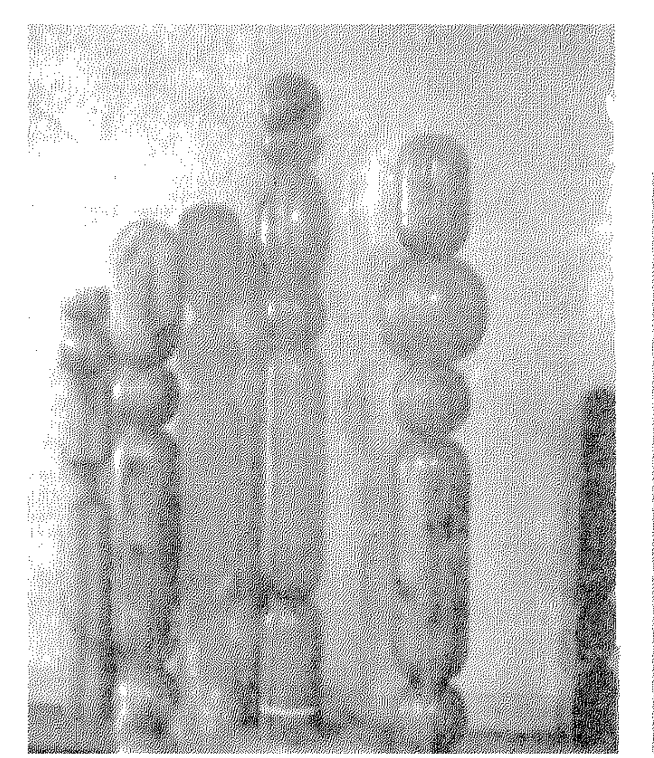
ترتفع درجة الاثارة ، والاشتباك الخلاق مع « مختار » عندما نصبح فى رحاب رباعية « عبدالهادى الوشاحى » النحتية . تتوسطها رائعته ـ التى أتمنى أن أشاهدها فى ميدان من الميادين ـ وعنوانها : [استشراف] عندما عُرض هذا التمثال للمرة الأولى فى بينالى القاهرة العربى الثانى ، لفت أنظار النقاد ، والفنانين اليه . وتنوع شكل الاهتمام ، وتباين ، ورغم ذلك ، فقد كان هناك إجماع .. جاء صريحا أحيانا ، ملتويا أحيانا أخرى ، حول الحضور المفاجىء لهذا الشكل المنحوت .. ففى المنحوتة جرأة فى التكوين ، وحيوية فى الأداء ، وخروج على الطابع السكونى ، الذى يميز المنحوتة المصرية ، وفى نفس الوقت تعبير عن أحلام واقع إنسانى لم تنطفىء آماله بعد ، ومثل « مختار » .. حاول أن يقيم جسور التواصل مع الموروث المصرى والوافد ، وإن اختلفت درجات الاستلهام . ويمثل التمثال

اندفاع كيان نحتى إنسانى . شبه مجرد . وطيرانا جريئا لكتلة غطاء جسد . إن تلك الكتلة المزدوجة ، وكتلة « مختار » فى الخماسين .. تمثلان كيانين نحتيين يقاومان رياحا واقعية ، ورمزية ، وفى حين يركز « مختار » على عنصر المقاومة ، والاصرار عليها ، يضيف « الوشاحى » عنصر التطلع ، واستشراف الآفاق البعيدة .. وفى حين اختار « مختار » للحظته المشحونة ـ لحظة اندفاع الكتلة ـ واقعية النسب ، وواقعية ردود الأفعال ـ وإن أسقط التفاصيل ـ تحرر « الوشاحى » ـ بمباركة مشروعية إنجازات الفن المعاصر ـ من كل هذا .. وفى الوقت الذى التزم فيه « مختار » ـ أو بمعنى أدق ـ تمرد تمردا « محسوبا » فى هذه المنحوتة .. على الطابع السكونى ، طير « الوشاحى » غطاء الجسد ، ووضع نفسه ومتلقيه أمام كتلتين ،. أو مشكلتين ! .. وبدلا من أن تكون كتلة الكيان الانسانى ملء العين كمنحوتة « مختار » .. استقطبت الكتلة الطائرة فى الفراغ الاهتمام الأول . أنشأ « الوشاحى » علاقة مركبة بين الكتلتين ، ويكتشف المتأمل لهما أن اندفاع تلك الكتلة الطائرة ليس رد فعل « ميكانيكى » لاندفاع كتلة الكيان الانسانى إلى الأمام ، فهى لا تندفع باستقامة نحو الأمام ـ مثل فلاحة « مختار » ـ بل تجمع بين الاندفاع والسكون ، الاندفاع إلى أكثر من اتجاه ، والسكون

طيور للفنان سمير ناشد



نماذج فنية .. لصالح رضا



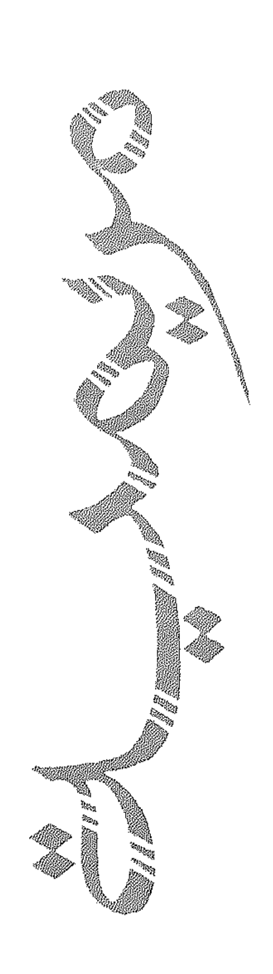
المتشبث بركائز ثابتة . الاندفاع العنيف . المضطرب . والسكون المشحون



إن حركة أجيال النحاتين المصريين تؤكد أن « محمود مختار » : مبدعا ، ومنظرا كان ولا يزال فى ضمير الفنانين - إيجابا وسلبا - أى بالانحياز لأسلوبه .. تقليدا ، أو إضافة ، أو تمردا ، غير أن الابداعات المتمردة عليه ، والناقدة له اتسمت بالفردية ، ولم تحفر تيارات أسلوبية ، « فيكاد » أن يسود أسلوب فنى واحد عبر أزمنة الأجيال المختلفة .. هو الأسلوب (الرمزى - التعبيرى) مع قليل من (التجريد) ، وهذا ملمح لا مثيل له فى حركة النحت الغربى - مثلا - حيث تتعاقب ، وتتداخل الأساليب الفنية المتنوعة والمتصارعة . أما الموجات الجماعية التى حدثت فهى موجات كانت تخص إمكانات « الخامات » الجمالية والتعبيرية « معزولة » عن المصارعات الفكرية الخلاقة ، وبعيدة عن ملامسة الواقع .

● الحصاد التشكيلى للعام الماضى

كانت أبرز الأحداث التشكيلية فى العام الماضى هى : بينالى القاهرة العربى الدولى ، والمعرض العام للفنون التشكيلية ، ومسابقة الصحراء وقد كان بينالى القاهرة فرصة للاحتكاك بين الفنانين المصريين ونظرائهم من الوافدين من دول أجنبية .. غير أن ارتباك الادارة ، وضآلة الميزانيات حالت دون تحقيق هذا الهدف ! .. فلم تتمكن الادارة - على سبيل المثال - من استضافة لجنة التحكيم الأجنبية ، كما اضطرت الى الاستعانة ببعض المراكز الأجنبية للحصول على لوحات فنان كانت معروضة ،. لأن دولته لم تهتم بالاشتراك أو حتى بالرد على طلب الاشتراك فى البينالى ! .. كما استعارت « الادارة » لوحات فنان مات منذ زمن بعيد .. والمسابقات - كما هو معروف ، وبديهى - للاحياء فقط ! .. كما اضطرت « الادارة » أيضا إلى إلغاء الجوائز المادية والاكتفاء بالميداليات التذكارية ! .. لكن مهما كانت النواقص - غير المفاجئة - فإن وجود تظاهرة إبداعية لمبدعين من العرب والأجانب شىء يستحق التقدير والاهتمام . ويأتى المعرض العام ليؤكد إستمرار سياسة ثبت خطؤها وهى سياسة فتح الأبواب لكل من (هب ودب) بدلا من الاختيار الدقيق .. بحيث يصبح الاشتراك فى المعرض العام إعترافا رسميا بالفنان ، كما يتيح هذا الاختيار فرصة تقديم صورة موضوعية للابداع المصرى فى مجال الفن التشكيلى .. أما العروض التشجيعية للمبتئدين فمكانها قصور الثقافة ، ومراكز الشباب .

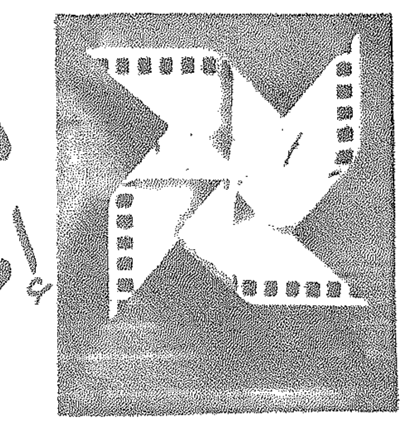


شعر: ماجدة بركة

شىءٌ ما فيك يحيرنى
شىء ما ..
يتفتح اول معناى
كالزهرة تتفتح إذ يلمسها ناى
ينفخ فيه محبوبٌ روحه
يغمرنى فيضْ
من بحرك يغمرنى فيضْ
اكتب
هذا دينُ فى عنقى لك
امنحك دثارى .. تمنحنى ظلّكْ
تلمسنى بعصاك السحرية فى آخرها نجمة فجرٍ وهاجه
تخلقنى من طينٍ ابيضْ
طين يُجبل منه الغُرباء
وتُشكّل منه الشمس المبتردة فى ملكوتِ الماء
وعلى اطراف اناملىَ البللورية
اكتب بالنقش حروفا من تعويذتك المسحورة
ألمسُ وجه الاشياء
تصحو مبهوره !
انا قلبٌ متبوّل أوسعه الوجد جراحا
راعية الأرض الجبلية
واقفةٌ فى الفجر
بالعنق المرفوع
والكتفين المسدلتين
تنتظر الظلّ
تتقافز بين يديها أغنام بيضاء طفله
توجعنى حيا
توسعنى دمعا
تنثرنى زهراً أبيضَ
يجرفه نهرْ
فى كرمٍ مجدول الاغصان
أغفو .. إغفاء الفنان
يتناوبنى ظِلُ .. ضوءٌ
ضوءٌ .. ظلْ



أغمس فى ضوئك اهدابى العطشى
أرحل فى لمحة ضوءٍ بزغت
فى بحة صوتْ
اكل من كرمك
اشرب من
إبريقكِ
أترع برحيقك
أغفو فى الصحو
تحصى شعرى وتراً وتراً
شعرى ، ناموسيتك الليلية
تُخبّىءُ سِرّك فى شفتىّ
تُودِعُنى آخر انفاسك
ينحسِرُ البحرُ الابيض عن ساقىّ
فألملم فوقهما الاصدافْ
والسحبَ الَغواصة بالرائحة البحرية



مهرجان السينما
من القاهرة إلى الجليل

بقلم : مصطفى درويش

تميز مهرجان القاهرة السينمائى الأخير بنجاح وإقبال من الجماهير منقطعى النظير .

ولا غرابة فى هذا ، ففى خلال أربعة عشر يوما تحولت القاهرة إلى كعبة للأطياف ، يحج إليها المشاهير من نجوم الفن السابع فى العالم مثل "روبرت وايز" المخرج الأمريكى صاحب "قصة الحى الغربى" و"صوت الموسيقى" و"جون بورمان" المخرج الانجليزى صاحب "الآمل والمجد" ، "ليو الاخير" و"ماى زتيرلبخج" المخرجة السويدية صاحبة "العاشقة" ، "العاب الليل"

تتساقط عليها الافلام من مشارق الارض ومغاربها ، من استراليا والصين ، مرورا بشبه القارة الهندية والعراق ، حتى الأرض السليبة فى فلسطين .

من النرويج وكندا فى اقصى الشمال حتى مشارف القطب الجنوبى فى الارجنتين .

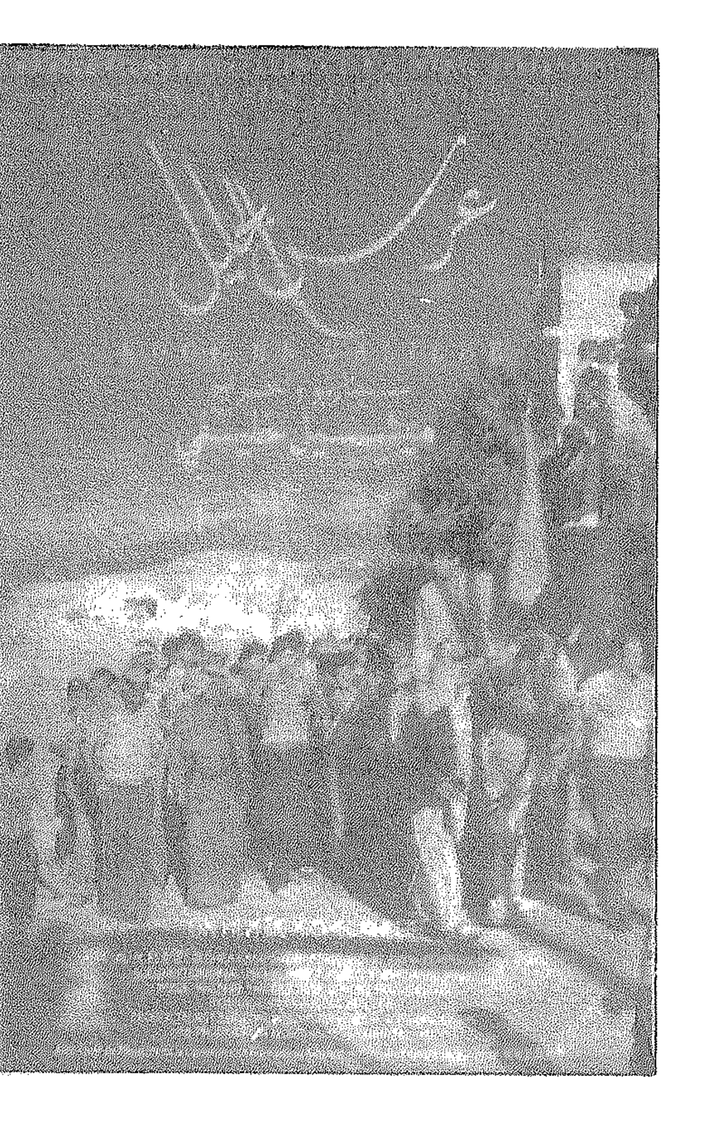
تقام فيها - ولأول مرة - عروض لكوكبة من أفلام خمسة من كبار مخرجى العالم تكريما لهم "وايز ، ميترلنج ، فيلليني (ايطاليا) اراجون (اسبانيا) ، عاطف يلمز (تركيا) .

يبتدع عرض بانورامى لبعض افلام ممثل هو "ميشيل بيكولى" الذى قام باداء دور "كافاريللى" الجنرال الفرنسى صانع السلام فى "الوداع يابونابرت" للمخرج "يوسف شاهين" ، ودور "كسار" فى "الرجل المحجب" لصاحبه المخرج

اللبنانى "مارون بغدادى" الهارب من جحيم بيروت متأبطا شر "الطائفية" المقيت .

● ضجيج بلا طحن

والمدهش ان ينجح المهرجان كل هذا النجاح رغم ما وضع فى طريقه من عقبات **لعل اهمها تعنت القائمين على شئون الرقابة وجنوحهم الى التمسك بتعليمات ومحظورات عفا عليها الزمن فى محاولة يائسة منهم لمنع اربعين فيلما او يزيد ، او بمعنى اصح التحول بالمهرجان الى أطلال .**
وثانيا حملة التشكيك التى تبناها نفر من النقاد محترفى السفر الى الخارج ، فى محاولة منهم لحجب نور المعرفة السينمائية الحقة عن جماهير المتفرجين .



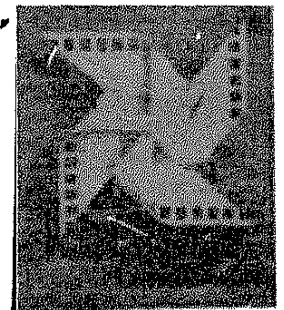
عرس الجليل .. حدث هـام فى المهرجان

ومهما يكن من أمر هذا الانتصار الذى لم يكن ليتحقق ألا بفضل ارادة صلبة تقف صامدة لعربدة الصارخين ، الطامعين فى الا يكون للسينما مهرجان على ضفاف النيل ، فالاكيد ان صفوة المهرجان لن تقاس بالافلام التى عرضت ، وكم تبلغ عدا ، وانما ستقاس بما سيترك بعده من آثار .

والآن ، وقد وصل فُلك المهرجان الى بر الامان ، وانتهى كل شىء بسلام ، فماذا عرض فيه من افلام ، وهل بعضها سيغير من خصائص النفس بحيث يضطرها الى انحاء من التصور والتصوير لم تكن مألوفة من قبل ، وبالتالى يقوّى فى فن السينما عندنا عنصر التطور والانتقال ؟

● القديم الجديد

بداءة كان للسينما الامريكية ، كما هو الحال فى أغلب المهرجانات العالمية ، وجود كبير ، وكان لافلامها نصيب الاسد من الاقبال .
وهى فى هذه المرة ، لم تكتف



بالاشتراك بافلام مصنع الاحلام فى هوليوود ، كما "القطيفة الزرقاء" ، "سر نجاحى" ، "نافذة غرفة النوم" ، "أطفال الصمت" و"الأرملة السوداء" .

وإنما اشتركت ـ ولأول مرة ـ بأفلام متمردة على هوليوود ، رافعة راية الاستقلال .

وأول ما يلاحظ على أفلام هذه السينما المسماة بالمستقلة أنها خصبة ، مختلفة بعض الشىء عما ينتجه مصنع الأحلام العتيق ، وبنفقات اقل بكثير .

وهى فى سعيها للتجديد انما تحاوله على استحياء شديد ، ودون ان تنظر الى انماط السينما القديمة نظرة سخط .

فمثلا فيلم "فتاة الصين" للمخرج "آبل فيرارا" لا يعدو ان يكون تكرارا لقصة الحى الغربى المستوحى من مأساة "روميو وجولييت" مع أخذ يسير بسبيل البساطة المتحررة نوعا ما من قيود الانتاج الكبير .

و"الرقص القذر" لصاحبه المخرج "اميل اردولينو" ـ انجح افلام تلك السينما فى المهرجان ـ اشبه فى أوجه كثيرة "بحمى امسية السبت" الذى جعل من "جون ترافولتا" نجما ، اقرب اليه روحا واتجاها .

وكذلك الحال بالنسبة لسائر أفلام تلك السينما ، "فأنّا" ينسج مخرجه "يوريك بوباڤيتش" على نفس منوال "كل شىء عن حواء" الفيلم الحاصل على جائزة الاوسكار منذ حوالى اربعين عاما .

و "الارض الموعودة" لصاحبه المخرج "مايكيل هوفمان" يذكرنا بافلام الطريق التى حاولت هوليوود ان تجدد بها شبابها قريبا من نهاية الستينيات .

و "ابن البلد" لصاحبه المخرج "چيرولد فريدمان" مستوحى من قصة بنفس الاسم للاديب الامريكى الاسود "ريتشارد رايت" ، وهى قصة كثر الكلام عنها ، وكاد النقاد يجمعون على الاعجاب بها ، الامر الذى حدا بمؤلفها الى الاسراع ، بل قل الاندفاع ، الى اخراجها فى فيلم فاتر ، فاشل قريبا من نهاية الاربعينيات .

هذا ، وقد تحمس لها «طه حسين" ، حتى انه لخص خير مافيها لقارىء مجلة "الكاتب المصرى" فى سالف الزمان .

● التيه العظيم

فاذا ما تركنا السينما الامريكية القديمة ، الجديدة معا ، والتى تجترّ افكار افلامها السابقة ، وتدور بهذا الاجترار فى حلقة جهنمية لافكاك منها .

وانتقلنا الى افلام المهرجان الاخرى استطلاعا للمجهول ، وجدنا انفسنا فى متاهة تشابكت فيها المسالك وتشابهت .

فما اكثر الافلام ، وما اقل النقد الجاد الجيد الذى يقودنا الى حيث العمل السينمائى الذى يستحق التضحية بالوقت والمال .



عروس الجليل

والى اليوم السابع من المهرجان ، كان الجمهور يلهث حائرا وراء الافلام الممتازة ، دون مرشد يهديه ، يستمتع بصورها دون فهم لجوانب اخرى منها كالحوار والافكار ، ذلك ان جميع الافلام - باستثناء فيلمين صينيين - كانت بدون ترجمة عربية .

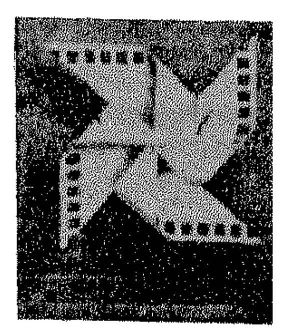
بل ان جميع اعمال "فيلليني" المتكلمة بالايطالية كانت فيما عدا فيلم الافتتاح "مقابلة" و "چولييتا والارواح" بدون ترجمة انجليزية او فرنسية .

حقا ، قد تحقق قدر من الفهم لبعض الافلام الاوروبية التى تتناول قضايا انسانية لها اتصال بمشاكل وطننا أو القيم المبثوثة فى وجداننا .

● روميو وجولييت

فمثلا مأساة "بيير وجميلة" فى فيلم المخرج الفرنسى "جيران بلان" ، كانت فى متناول الفهم ، لانها عبارة عن قصة حب بين فتى فرنسى وفتاة عربية من اصل جزائرى ، تنتهى بمقتل الفتى بطعنة من شقيق "جميلة" التى تنتحر كما "جولييت" فى مسرحية شكسبير

وكأن صاحب الفيلم يريد ان يقول ان اى حب بين اثنين لهما اصول خلقية



وثقافية مغايرة ، لابد ان ينتهى بهما الى الضياع والهلاك

● الحجاب الحاجز

ومأساة المرأة الريفية المتزوجه فى "اربعون مترا .. ألمانيا" أول عمل للمخرج التركى "توفيق باصر" هى الاخرى لم يتعثر كثيرا فهم المشاهد لها .

و"باصر" فى فيلمه هذا ، قد شاء لبطلته التى اصطحبها زوجها التركى المتزمت الى "المانيا الغربية" حيث يعمل من اجل لقمة العيش ، شاء لها ان تبقى رهينة شقة ضيقة سعتها اربعون مترا مربعا ، لا تخرج منها ابدا حتى يجيء الموت زوجها او سجّانها .

فاذا بها تواجه المستقبل المجهول ، وحيدة ، مقصوصة الجناح فى بلد غريب لاتعرف من امره شيئا .

وكأن المخرج التركى الواعد يريد بفيلمه ان يسلط الضوء على عادات وتقاليد لا تتناغم مع روح العصر ، لا تستقيم مع حضارة محورها العلم والانفتاح .

● اليوم السابع

كل هذا كان حتى اليوم السابع ،

الرقص القذر .. سينما قديمة جديدة



وبالتحديد حتى الساعة الثامنة من مساء هذا اليوم ، عندما صفق جمهور سينما مترو المبهور لا لفيلم من الافلام ، وانما لنفيسة من نفائس الفن السابع جاءته من ارض الجليل ، تحمل من زرقة سمائها ، وطيب مائها وهوائها ، ولألأة نجومها عطرا للنفوس العطشى الى فلسطين .

حقا ، لقد كان الجمهور فيما يشبه الانخطاف من فرط ما رأى امامه من روعة وبهجة ، حتى ان "ميشيل خليفي" صاحب "عرس الجليل" قد مر في خاطره اثناء هذه النشوة ان رائعته النفيسة قد ولدت من جديد .

وهنا قد يكون من المناسب ان اروى عن نفسى اننى لم اشاهد افلاما روائية عن فلسطين تستحق الوقوف عندها الا فى ثلاث لحظات متباعدة .

اولاها كانت عندما شاهدت فى بغداد رائعة "توفيق صالح" "المخدوعون" المستوحاة من قصة الشهيد "غسان كنفانى" .

اما اللحظة الثانية ، فكانت عندما شاهدت رائعة "برهان علوية" (لبنان) "كفر قاسم" فى مهرجان قرطاج بتونس .

وكانت ثالث اللحظات عندما شاهدت "عرس الجليل" هنا فى القاهرة .

● يوم الحساب

وهى عندى اكثر اللحظات الثلاث روعة وجمالا ، لا لأن عرس «خليفى" آت الينا من بقعة عزيزة على قلبنا .

ولا لأنه أول فيلم عربى يتوج بجوائز كبرى فى ثلاثة مهرجانات عالمية (كان ، سان سباستيان ، مونتريال ١٩٨٧) فى غضون أشهر قليلة .

ولا لأنه أول فيلم روائى عربى عن فلسطين روح الوطن العربى يخرجه واحد من ابنائها ، ولد فى الناصرة منذ سبعة وثلاثين عاما ، ولايزال ، رغم الاحتلال ، يبدع اعماله السينمائية على ترابها ، ووسط اهلها .

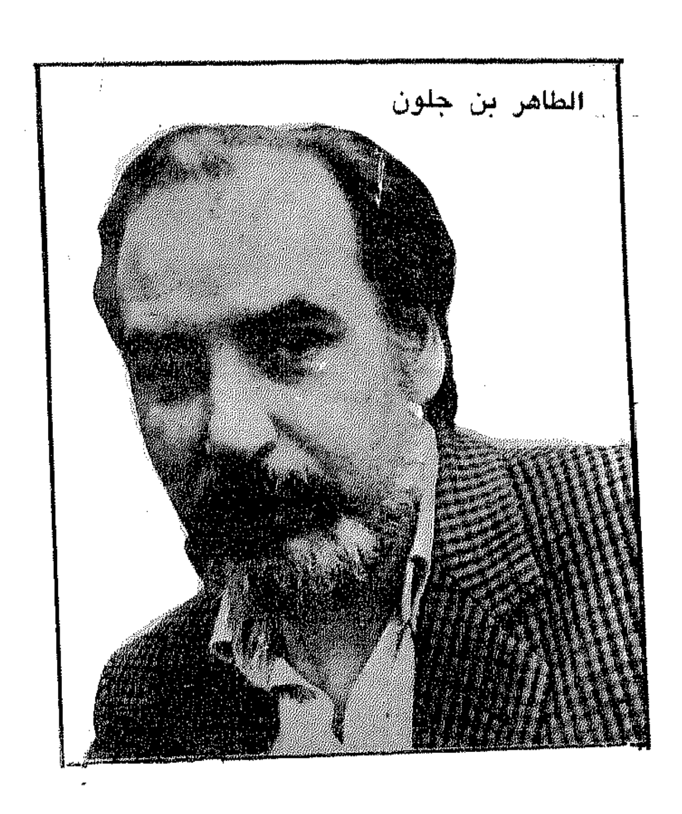
وانما لأنه أول فيلم عربى سياسى على مستوى راق من الوعى والجمال ، تنفتح له ابواب عقول وقلوب الجماهير فى عاصمة الوطن العربى .

فمناط النجاح بالنسبة لاى عمل سينمائى عربى كبير ، ليس بعرضه فى مهرجان اورشليم "القدس» السينمائى كما "اليوم السادس" ليوسف شاهين او فى غيره من المهرجانات ، وانما بمقدار استقبال الناس له هنا فى مصر ، الاقبال عليه من منطلق الحب والفهم ، الاستمتاع به غذاء روحيا تتجاوز به النفس مصاعب الحياة .

ولقد تحقق كل هذا لنا فى اليوم السابع من المهرجان بفضل ابن فلسطين "خليفى" وفيلمه "عرس الجليل" الذى اراه عرسا للسينما العربية

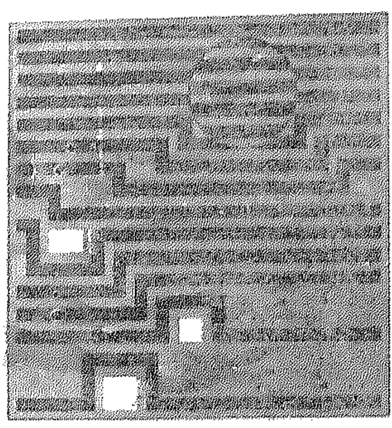


فاز الكاتب المغربى الطاهر بن جلون بجائزة جونكور فى نوفمبر الماضى عن روايته « ليلة القدر»، وهو أول أديب عربى يحصل على هذه الجائزة ويتناول الناقد الكبير د. على الراعى الرواية بالنقد والتحليل .


الطاهر بن جلون

من مادة الاحلام والاساطير والطقوس والتهاويم والخيال الجامح والواقع المحيط ، كتب الروائى المغربى الطاهر بن جلون روايته المستفزة الاخاذة الغريبة: ((ليلة القدر)) عملا فنيا يشوق ويمتع ، عجن فيه بن جلون هذه المفردات الفنية المتناثرة ، وجعل منها وحدة آلفت بين الاضداد ، ولحمتها جميعا فى جسم العمل الفني .

و « ليلة القدر » رواية واقعية فى بعض ملامحها . غير ان هذا الواقع متحفز ، متوفر يتحرق شوقا الى ان يطير الى اجواء الخيال لدى ادنى فرصه تواتيه ، او يقدر على خلقها . لم يعد الامر هنا أن الواقعية تسعى الى مزيد من الثراء بالتفتيش فى محتويات اللاوعى . انها فى الواقع تنس ب هى نفسها فى الوعاء الفنى وتلتحم بما يحويه من الوان . وتصبح جزءا من كل متناسق وجميل فى اكثر مواضعه . وطول الرواية لا تكف المشاهد الواقعية عن التحول الى ما هو لا واقعى . يبدأ الصعود من أسفل درجات الواقع مثلما يحدث فى ساحة المرواة ، وفى الماخور وفى مشهد الاغتصاب وفى السجن ثم يتحول هذا الواقع السفلى فجأة الى أعلى درجات الوهم ، والنبوءة والشعر ، والخيال كما هو الحال فى فصلى «الروض العطر» ، « والميثاق » وفى هذا الاخير يحكى معلم القرآن قصة تردده على بلد خيالى عجيب الشأن ، فيه خزانة للكلمات ، وكتب يحفظها رواة من الرجال والنساء الجميلات .. بلد وصل اليه المعلم فوجد الاشجار تظلله والسماء تمطر بللورا ، وطيورا تسبقه







لترشده الى السبيل ٠ والتقى فيه بأنبياء نفوسهم فرحانة واصدقاء للطفولة غابوا عن نظره وصبايا عشقهن حين كان صغيرا ، الى آخر مفردات الخيال المجنح الذى تحمله « الف ليلة » ، التى يرد ذكرها ضمن كتب المخزانة وتتعهد طائفة من الجميلات بأن تروى حكاياتها ، وكل منهن ترتدى ثياب شهر زاد ٠

ثم يبلغ تحول الواقع الى خيال أقصاه حين تؤدى التراتيل والترانيم والرؤى والعيش فى جنبات طبقة رقيقة جدا من الضباب او العتمات الى ان تلتقى الفتاة مع مشرفة الحمام وأخيها معلم القرآن ، بعد أن أصبح هذا وليا يقصده الناس طلبا للبركة ٠ يلتقى الثلاثة وقد لفهم الضباب ونأى بهم عن الواقع نأيا تاما ٠ اصبحوا أطيافا او رؤى تضطرب بين واقع كانوه وحاضر لم نعرف معه هل حدث لهم ما حدث ام ان الامر كله مزيد من الهلوسة والخيال الجميل المعربد !

تقول الفتاة التى تروى حكايتها : « قصتى ليست عظيمة ولا تراجيدية ٠ هى ببساطة : غريبة ٠ تغلبت علىّ كل انواع العنف لكى استحق العاطفة واستحق ان اصير لغزا ٠٠ ما سأسره لكم يشبه الحقيقة لقد كذبت ٠ احببت وخنت ٠ عبرت البلاد والقرون، وغالبا ما نفيت نفسى وحيدة بين الوحيدين ٠٠ كنت طفلة مضطربة الهوية ٠٠ بنتا كنت ، مقنعة بمشيئة أب أحس بنفسه ناقص الرجولة ومهانا لانه لم يرزق ولدا ٠

ومن ثم عاشت البنت اكذوبة كبرى٠ ارغمها ابوها على أن تلبس وتعيش كالاولاد حين ابصرها طفلة حديثة الولادة لم ير فيها الا ولدا ٠ عميت عيناه عن رؤية أعضائها الحقيقية ولم ير فيها الا المولد الذى ادمن حمله فى خياله حتى انتهى الى التصديق بوجوده ٠ هكذا كان الاب ينتقم من حظه ومن زوجة لم يحبها ابدا : زوجة باهتة ، خائفة ، ومن بناتها اللواتى قذفته بهن الواحدة تلو الاخرى ، كأنما كانت هى الاخرى تتآمر عليه ٠
وحين حضرت الاب الوفاة ليلة السابع والعشرين من رمضان — ليلة القدر المباركة — طلب من ابنته المغفران ٠ اعلن انه يعتقها ، وحثها على ان تغادر الدار اللعينة ، ان تسافر وتعيش وتترك وراءها النكبة الوشكة ان تلحق بالاسرة عقب وفاته ٠

ولم تكن البنت فى حاجة الى من يحثها على الانطلاق ٠ ما ان انتهت مراسم الدفن التى راستها بوصفها الذكر الوحيد فى الاسرة ، حتى فتحت روحها وجسدها للحياة المقبلة، واطلقت كل قوى خيالها الجامح ٠رأت لدى المقبرة عروسا تقبل نحوها وتضع على كتفيها برنسها الفاخر ، وتقول : اذهبى اليه فهو ينتظرك على فرس بيضاء مرقطة بالرمادى ٠ ثم تمتد ذراع قوية تحيط بخصرها وترفعها الى الفرس ٠

هكذا تزور الفتاة واحدا من الاماكن الكثيرة التى تعمر الرواية والتى يضطرب وجودها اضطرابا قلقا

بين الحقيقة والخيال تحتار الفتاة نفسها : أفي الحلم يقوم المكان أم في الحقيقة ؟ زارت جمهورية الاطفال - قرية من مائة طفل بين ذكور واناث يربط بينهم جميعا انهم جاءوا هربا من ظلم ، وانهم قد اوقفوا الزمن ، وجعلوا من القرية سفينة تمخر عباب مياه صاخبة ، وقطعوا كل رباط لهم بالماضي · والان ها هي ذي فتاة تهبط عليهم من العالم الذي افلحوا في نسيانه ،وتهدد بزلزال يفشي اسرار القرية المسبعة ، ويسلمها الى الدمار· لقد وقع الراشد الوحيد في الجزيزة - الفارس الجميل الذي اختطفها - في اسر الفتاة ، واخذ يفشي السر الاول ، واعدا بالمزيد · لهذا تقرر طرد الفتاة من القرية · قال لها احد الاطفال : انت نفسك طيبة ، ولكنك تحملين معك الشؤم حيثما حللت ·

وخرجت الفتاة من القرية - من الروض العطر كما سمتها - ولكن بعد أن انزلقت عن روحها وجسدها اخر الاربطة · تخلل الهواء والضوء والعطر جسمها الذي عاني طويلا من القيود والاحباس ، واصبحت الان حرة في الروح والبدن ·

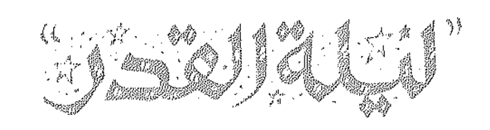
● الحق وحرية التفكير

وتمضي من بعد تمارس حريتها الجديدة · يغتصبها رجل في دغل ، فلا تبدي مقاومة ، وتسجل أن هذه هي المرة الاولى التي يشتبك فيها جسد ما مع جسدها ! ويسلمها الرحيل الىحمام عام في بلدة ، تقصده لتغتسل مما أصاب جسدها من آثار الاغتصاب · فتتعرف الى المشرفة على الحمام : امرأة لحيمة ، قوية ، تقرر ان تصحبها الى بيتها وتلحقها بخدمة اخيها الضرير ·

اخوها هذا معلم للقرآن في كتاب الناحية· ربته أخته منذ طفولته الباكرة، بعد ان فتك المرض ببصره ، وفتك بها هي نفسها فشل مخز في الزواج · هجرها زوجها وتركها لا زوجة ولا مطلقة، فغسلت الملابس في بيوت الاكابر وطبخت في الاعراس · وحصلت لاخيها على منحة خيرية ، فصار معلم القرآن لاطفال الحي ·

بين الاخ واخته وحدة لا تنفصم · لا يفصمها الا مجيء الفتاة · سرعان ما يأتلف المعلم مع الضيفة ، ويدور بينهما النقاش الفلسفي العميق ، ويتحاور جسداهما في علاقات جنسية حميمة تبدأ في ماخور ! تقول الفتاة لمعلم القرآن : أعرف المنافقين جيدا · يستندون الى الدين للسحق والهيمنة · وأنا استند الى الحق في حرية التفكير وحرية الاعتقاد من عدمه · انني في قطيعة مع العالم · أو على الاقل مع ماضي الشخصي · أحاول أن أكون سعيدة ، أعيش حسب قدراتي، بجسدي الخاص ·

بهذا الفهم الرومانسي للحرية - اقتلاع الفرد لنفسه من الوسط المحيط - رفض الارتباط بشيء حتى لا يربط الفرد شيء - انكار الدار والاهل والاطفال ، العيش دائما على أهبة الاستعداد ، عيش سابق على العقبات وربما سابق على الزمن أيضا ، بهذا العتاد الرومانسي الهش تمضيالفتاة في طريقها مؤمنة ان هذا خير رد على صلف الرجال ، وقسوتهم · وحين تقتل عمها الشرير البغيض الذي جاء يطاردها مطالبا بارث ال اليها بغير حق ، تستعرض وهي في السجن حياتها في الاسرة وتلحظ أن اباها وضعها تحت الزجاج ، في منأى من الغبار واللمس، محمية من الريح والبرد والجوع ، حبيسة عائلة هي بدورها حبيسة المرض.



والخوف والمتة . ثم تقرر ان حياتها كرجل متنكر كانت اكثر من خطيئة . كانت نفيا . ولو كان قدر لها ان تكون فتاة بين الفتيات ، فلربما حلت بهسا الاحداث العنيفة ، ولكنها لم تكن لتكون بائسة ملطخة بالعار والسرقة والكذب .

لكن « ليلة القدر » لا تشغل نفسها بحياة وحرية فرد واحد وحسب ، هو الفتاة ، وانما تلتفت التفاتا عميقا ومؤثرا الى مصائر غيرها من النساء . أمها أولا : ما أبشع الصورة التى ترسمها لتسلط الاب الهمجى عليها وقهرها قهرا يخرب الروح والبدن . تقول الام لابنتها : كل ما أطلبه شهر أو شهران أعيشهما بعد موت أبيك . أود ان اتنفس لبضعة أيام . لا أريد أن أرحل فى حياته ، لاننى سأرحل مجروحة بشكل مضاعف مخربة على على نحو مرعب ومهانة . أود أن أصرخ صرخة واحدة تصعد من أعماق النفس. صرخة لابدة تنتظر ، وأريد أن أعيش لكى لا أموت وهى ما تزال تأكلنى وتفتك بى .

ولكن هذا المطلب العزيز يمتنع على الام . سرعان ما تسقط فى غياهب الجنون ، وتغادر دارها الى بيت احدى الخالات ، تغادره وهى تمشى على أربع ، مثل حيوان تعس لا يرغب فيه أحد ! .

أما الاخوات السبع ، فان تحرش الاب بهن دائم . يصرخ ويتوعد ولا يحتمل ادنى تقصير فى خدمتهن له ، احداهن تخلع جلبابه والاخرى تغسل له رجليه ، والثالثة تنشفهما ، بينما تعد اثنتان اخريان الشاى . ولويل لمن ترتكب أقل هفوة . وفى مقابل هذه الخدمات يكن الرجل لبناته الكره العميق والرغبة فى القتل . حين يعم الناحية وباء التيفود ، يتناول هو عقاقير التحصين ، ويحرمها على بناته وزوجته ، أملا فى ان يمتن جميعا !.

تبدأ « ليلة القدر » بداية شديدة الجذب . ساحة خالية وصلت اليها العجوز التى كانت فتاة الرواية يوما ما ـ وصلت بعد طول السفر تبحث عن الراوى الذى دمرته قصة حياتها : حاول ان ينسجها فتعذر عليه ذلك . وحين رأته العجوز وجدت الناس قد انفضوا عنه . تنكروا لماضيه الطويل حين كان سيد الساحة وضيف الملوك والامراء واخرج جيلا من الشعراء الجوالين ، ولكن الحمق وخرق فى الذاكرة قد سلبه فنه وجمهوره معا .

ثم جلست الى راو اخر ، كانت هى مستمعه الوحيد . وجدته ينهال باللوم على الزمن ، زمن عديم الطعم ، الخبز فيه بائت واللحم فاسد وزبد الناقة زنخة . يتبين الراوى فى العجوز شيئا اكبر مما تبديه الوجوه : لها سر تصونه فى قلبها ، ومن ثم فهى لا تصلح للمماحكات مع الرواة . ويجد راو اخر انها لا تصلح للتعامل معه . هو يروى عن طريق اعادة تركيب الحياة موضوع الرواية . يخرج من صندوقه اثارا شخصية لاسرة من المستعمرين الفرنسيين ويروح يصفها ويتخيل من استعملها كيما تشترك الصور مع الكلمات فى بعث حياة مضت ، فلما تتبرع العجوز للراوى بخاتم تحمله ،

يعتذر من عدم قبوله ويعيده اليها فهو ثمين ، معبأ ويحفل بالمذكريات ·

واستخدمت راوية امـــرأة أسلوبا آخر · ادارت شريط كاسيت يحمـــل موسيقى بربرية ورقصت قليلا ثمجعلت تتكلم بالايات والحكم · فاعترض عليها المستمعون وقالوا جئنا نسمع الموسيقى ونراك ترقصين · الحكاية حكايةوليست موعظة · غير ان المرأة ما كانت راوية حكايات وحسب · انها حاملة التراث، أوفدها الاجداد بكتاب لم يفتح ابـــدا لتنبه أهل العصر وتقول لهم وتعيـــد وتحذرهم من مصير المنافقين ·

وتنصرف الراوية بعد ان تســـأل العجوز : من انت ؟ تنصرف قبل ان تسمع جوابا · ومن ثم لا تجد العجوز بدا من ان تكون هى راوية حكايتها ، تقص احداثها وفصولها علينا فنتلقى منها شكلا متميزا لفن الرواية ، تقـدم بعض من وصفه ·

وننهى قراءة « ليلة القدر » فترن فى اسماعنا كلمة العجوز فى وصف حياتها مع ابيها متنكرة كرجل · قالت «ان هذه الحياة كانت اكثر من خطيئة · كانـت نفيا » · وندقق النظر فى هذا القول . فنجده ينطبق على الطاهر بن جـــلون ذاته · منفاه فى اللغة الفرنسية التى كتب بها روايته ، قد جعل الروايـة تبدو كأنها وضعت فى صـــندوق من زجاج ــ الصورة ذاتها التى استخدمتها العجوز فى وصف حياتها · الروايـــة عربية ولا عربية ·فرنسية ولا فرنسية· مثلما كانت الفتاة رجلا ولا رجـــل · بنتا ولا بنت · ولو كان قدر لابن جلون ان يكتب روايته بالعربية ، فلربمــــا داخلتها بعض العيوب ، ولكنها بالقطع كانت تكون أكثر صدقا ·

كما هى الآن ، الرواية تعكس رؤية مثقف مغربى يضع على عينيه منظارا من صنع فرنسا · وقد اضافت الترجمة التى قام بها محمد الشركى ــ عـــلى جمالها وجلالها وشاعريتها ــ الى هـذا الشعور بعدم الانتماء الكامل للتـــراب المغربى ، بما فعلته فى مواضع كثيرة من التزام شـــكل الجمل الفرنســـية وتراكيبهـــا ·

وصف الهوى

سئلت اعرابية عن الهوى فقالت : لامتع الهوى بملكه ، وقبض الله يده واوهن عضده ، فإنه جائر لاينصف فى حكم ، أعمى لاينطق بعدل ، ولايقصر فى ظلم ، ولا يرعوى للذم ، ولاينقاد لحق ، ولايبقى على عقل وفهم ، ولو ملك الهوى واطيع لرد الأمور على ادبارها ، والدنيا على أعقابها .

الغناء العربي بين التطوير والتغيير

بقلم : كمال النجمي

يثير مشروع دار الأوبرا الجديدة في القاهرة الذى مازال حتى مطلع هذا العام الجديد تخطيطا على الورق ، مسألة مستقبل فن الأوبرا فى مصر ، ثم فى البلاد العربية من وراء مصر ، لأن كل شىء يدخل مصر سرعان ماتفتح له البلاد العربية أبوابها ..

● ويزعم بعضهم أن الغناء الأوربى كله بجميع ألوانه ـ وليس الغناء الأوبرالى فقط ـ سوف يتحول تدريجيا الى بديل للغناء العربى ، الذى هو لون من ألوان غناء العالم الثالث ، أما الغناء الأوربى فهو غناء العالم الأول ، وقد بدأ العالم الثالث يغير جلده ، وأول مايجب تغييره فيه هو الغناء ! ...

ويقولون إن الألحان العربية بمقاماتها وضروبها ، وزخارفها المعروفة وغير المعروفة لاتصلح للمسرح الغنائى الحقيقى ، فلا مناص إذن من أن نمد أيدينا بسرعة وجرأة إلى مائدة الموسيقى الأوربية الحافلة ، لنستعطى منها لمسرحنا الغنائى مايقوم بأوده ، غير مبالين بما ينالنا من نظرات السخرية ، تسلطها علينا أحداق الأوربيين وأبناء عمومتهم ، أو خئولتهم الأمريكيين ! .

ولكن المتفائلين ـ وأنا منهم ـ يقولون إنه من الممكن جدا قيام مسرح غنائى عربى ، بالموسيقى العربية وحدها ، إذا توفر على خدمتها وتطويرها وتثبيت مناهجها جماعة من الموسيقيين العلماء الموهوبين ، ولا أعنى بالعلماء خريجى الكليات والمعاهد الموسيقية وحدهم ، فان هؤلاء يدرك حقيقة علمهم بالموسيقى من أعطوهم شهادات التخرج ، وبينهم أشباه اميين فى علوم الموسيقى ، وفى تذوقها الفطرى .. دعك من الأمية الفكرية وغيرها .

لقد حان الوقت للبدء فى إقامة صرح للموسيقى العربية ، يستقل بكيانه عن



أم كلثـــوم



محمد عبد الوهاب

صرح الموسيقى الأوربية ، ولايكون بينهما ـ مع ذلك ـ عداء ولا شحناء ، ولكن أخذ وعطاء ، بدون أن نهيل التراب على موسيقانا ونرفع راية الموسيقى الأجنبية خفاقة فوق الرءوس ! ...

● لغة الوجدان العربي

هذه مهمة صعبة ، لكنها واجبة ، لأن الموسيقى العربية لغة الوجدان العربى ، فلا يستطاع ولا يصح نبذها ثم التطفل على لغة الوجدان الأجنبى ! ... وما أشبه حالها هنا بحال اللغة العربية التى تجتاز الآن أتعس أوقاتها ، ولكن أحدا من العقلاء لايمكن أن يتصور طرد اللغة العربية من بلادها واحلال لغة أوربية مكانها بدعوى صعوبة النحو والصرف والاملاء ، واستغلاق علم العروض وعلم القافية على الأفهام ، وتعذر التعامل مع كتب الخليل بن أحمد وسيبويه والمبرد وثعلب والزجاج وابن دريد وأمثالهم ! .

إن الموسيقى العربية البحتة ، وألوان الغناء العربى ، تحتاج إلى عمل كثير ، أساسه الاخلاص والغيرة ، وهما لايوجدان إلا فى أهل هذا الفن العربى المحبين له ، الحريصين على بقائه ونمائه ...

وعلى ذكر محبى الغناء العربى والموسيقى العربية من الموسيقيين العلماء الموهوبين ، أقول إننى سمعت أخيرا عند بعض الأصدقاء جزءا من تسجيل أوبرا دون جوان « موسيقى موزار » ... وكانت احدى الفرق

الايطالية قد عرضتها فى دار أوبرا القاهرة القديمة قبل احتراقها ...

استرعى انتباهى صوت المطرب الايطالى الذى يغنى فى دور « دون جوان » مقطعاً أوبراليا على عزف ماندولين منفرد . وهذه القطعة الغنائية بالماندولين ، انفردت بها هذه الأوبرا الموزارية .. وقد أدهشنى أن الماندولين ـ وهو يستخدم فى الأغانى العربية أيضا ـ يمضى مع مطرب الأوبرا ، وترتفع نبضات أوتاره مع « زعقات » الصوت « الباريتون » اللامع .. كما ترتفع هذه النبضات مع صوت شجى الأداء من الأصوات العربية ...

وأنا لست من هواة الأصوات الأوبرالية .. وأعرف كيف يدربونها ويتخذونها بديلا للأصوات الطبيعية التى لايستقيم الغناء العربى إلا بها ، ويشدونها بطريقة غير انسانية حتى يصبح المغنى كأنه « أسد » يزار فى غابة ، وتصبح المغنية كأنها « أسدة » تجاوب قرينها الأسد بمثل زئيره ، أو أشد منه ! .

● احترام الآلة المنفردة

ومع ذلك استمتعت بهذه القطعة الأوبرالية مع الماندولين المنفرد .. وقلت لنفسى : ها نحن أولاء أخيرا نرى الآلة « المنفردة » المضطهدة من بعض نقادنا الموسيقيين ، تعمل بكل طلاقة وطلاوة فى اوبرا من تأليف الموسيقار موزار ، لا من تأليف الموسيقار حسب الله عميد « الآلاتية » فى شارع محمد على بالقاهرة قديما .

ويا طالما نظر الجهابذة عندنا شزرا الى الآلة المنفردة واعتبروها رجسا من عمل الشيطان لأنها فى رأيهم رمز للألحان العربية « الميلودية » ذات الصوت الواحد الذى لم يرتفع بعد إلى عالم الهارمونى والكونتربوينت وتعدد الأصوات والتأليف البوليفونى ...

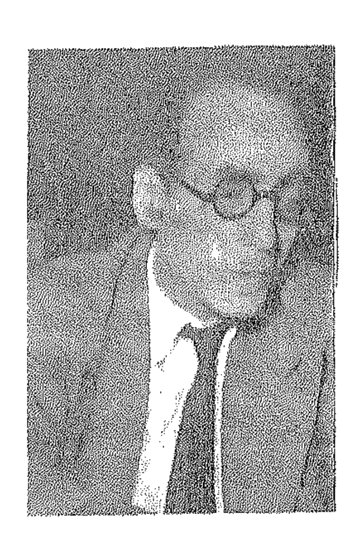
صحيح ان عزف الماندولين فى أوبرا موزار مع مطرب باريتون ، يختلف عن عزف القانون المنفرد مثلا وراء مطرب كصالح عبدالحى ـ رحمه الله ـ ولكن الاختلاف هنا لايحجب مغزى الدور الفنى للآلة المنفردة ، واهمية وجوده حتى فى أكثر ألوان الموسيقى تركيبا ، وناهيك بموسيقى موزار تركيبا وتعقيدا .

إن القانون والناى والكمان العربى والعود والبزق وآلات الايقاع العربى ، لايمكن طردها من اية موسيقى عربية متطورة ، ولايمكن طرد الموال الأحمر والموال الأخضر والدور والموشح والطقطوقة من اى غناء مسرحى عربى ، بل ينبغى أن تصعد جميع هذه الفنون والآلات فوق خشبة المسرح .

كل ماهنالك انه يجب وضع كل أولئك فى مواضع صحيحة جديدة من فن الموسيقى وفن الغناء عند تطويرهما ورفعهما الى مستوى العزف الأوركسترالى ، والغناء الأوبرالى .. إلى آخر مايعرفه سادتنا الموسيقيون من قريب ولا نعرفه إلا من بعيد .



رياض السنباطى



محمد القصبجى

ويقتضى ذلك أن تتطور الموسيقى العربية والغناء العربى فى طريق مستقل ، فيكون لها صرح ، وللموسيقى الأوربية صرح ، ويكون منا نحن العرب أمير فى دولة هذا الفن ، ومن الأوربيين أمير .. فلا يستبدون بنا ولانستبد بهم ، ولا يلغون فننا ، ولانلغى فنهم ! ..

● قضية الغناء والموسيقى

ثمة مشكلات فنية وعلمية « وتشريحية » تتحكم فى قضية الغناء والموسيقى ، وتصنع الفروق الأساسية بين لون من الغناء ولون آخر .. ولكن هذا كله لايعنى انقطاع كل صلة بين الغناء العربى وألوان الغناء الأوربية ومنها الغناء الأوبرالى ، بل هو على رأسها ، وإن أوشك أن يصبح غناء متحفيا عند كثير من الأوربيين ، وعند الأكثرين من الأمريكيين ..

ومن الممكن الوقوف فى بعض الألوان الغنائية فوق أرض مشتركة بين غنائنا وغنائهم ، وبخاصة الغناء الكلاسيكى العربى الدينى الذى نسميه غناء المنشدين ، فانه يلتقى فى بعض مواضعه الصوتية والفنية مع الغناء الأوبرالى ، مع أن الأوبرا الغنائية هى بنت شرعية للتراتيل الكنسية الكاثوليكية الأوربية القديمة ذات التاريخ المعروف ، وقد تحدثنا عن ذلك فى مقالة سابقة بالهلال ، فنجتزىء بها عن الاستطراد فى هذا الاتجاه ..

هذا معناه انه لاضرر من تمرين الأصوات العربية على الغناء العربى المتقن ـ الكلاسيكى ـ وعلى الغناء غير العربى ايضا كغناء الأوبرا ، ولاخوف من تشويه الأصوات العربية الطبيعية المشدودة على النطق العربى الفصيح كما ورد فى القراءات القرآنية السبع أو العشر ، ولكن الانحراف عن الأصول الصحيحة فى التدريب يشوه الأصوات العربية تشويها يؤذى اسماع العرب ... وأسماع العجم ! ...

والصوت الجميل القوى يصبح أجمل وأقوى إذا تم تدريبه على أصول الغناء العربى المتقن والغناء الأوربى الكلاسيكى بلا خلط بينهما ولا تضارب ... **ويمكن أن يقال ان أم كلثوم تلقت جانبا من التدريب على الغناء الأوربى**

الكلاسيكى باشراف الملحن الكبير المرحوم محمد القصبجى ، كما تلقى محمد عبدالوهاب فى شبابه الأول - خلال العشرينيات - تدريبا من هذا القبيل على أيدى موسيقيين أوربيين فى القاهرة .

● هز الغناء العربى

ولكن هذا التدريب لم يخلط الماء العذب الفرات بالماء الملح الأجاج ، فلا أم كلثوم ولا عبدالوهاب أصبح أحدهما مطربا « فرانكو آراب » ... بل حافظ كلاهما على عربية لسانه وغنائه طوال حياته ، ولم يعرف أحدهما فى أى يوم كيف يغنى بصوت مستعار كما يفعل الأوبراليون ، لأن الصوت العربى اذا بلغ الغاية فى التدريب ، يصبح أقدر على التحليق فى أجواز الدرجات الصوتية العليا من الأصوات الأوبرالية المستعارة ... وكذلك كانت أم كلثوم كما نذكرها جميعا فى ألحان السنباطى وزكريا أحمد والشيخ أبى العلاء .

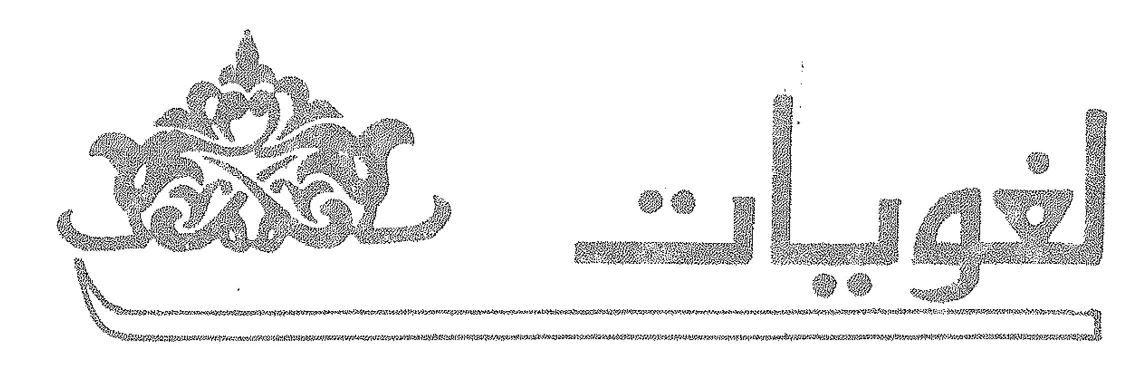
ولو عاشت أم كلثوم لما غنت على مسرح الأوبرا الذى يبنيه لنا اليابانيون الا أغانيها العربية ، كما غنتها قديما على مسرح الأوبرا الذى بناه لنا الخديو اسماعيل ثم احرقه القضاء والقدر سنة ١٩٧١ بعود من الكبريت ! ...

الا أن العشرات من خريجات وخريجى أقسام الأصوات فى كلية التربية الموسيقية والكونسرفاتوار ، سوف يشقون طريقهم الى مسرح الأوبرا اليابانى فى أرض الجزيرة ، فقد امتلأت بلادنا بدارسى ودارسات فن الأوبرا ... ومن حسن الحظ أنهم يدرسون معه الغناء العربى دراسة وافية ، حتى ليقال ان من بين مغنيات الأوبرا الجديدات عددا لايستهان به ممن يستطعن أداء الألحان العربية أداء صحيحا ، مطربا ، ولكن هذا الطريق ليس ممهدا ولا سهلا ، وهو ملىء بالأشواك لا بالأزهار والرياحين .

ومهما تكن الأحوال اليوم أو غدا ، فانه ينبغى هز الغناء العربى بعد رحيل أم كلثوم وصمت عبدالوهاب هزا عنيفا ، فلابد لنا من غناء وموسيقى ينحسم معهما التطفل الذى طال أمده على مائدة الموسيقى الأوربية فى مجال الموسيقى البحتة بوجه خاص ...

وسيبقى فننا بغنائه وموسيقاه ... عربى الوجه واليد واللسان ، وسيتاح له أن يتطور الى جانب الموسيقى الأوربية ، مستقلا عنها ، قائما الى جوارها قيام الند لا قيام التابع فى ظل المتبوع ، أو قيام التابع تعظيما للمتبوع ...

وآخر القول وأوله ، أن الموسيقى العربية والغناء العربى هما بنت اللغةالعربية وابنها ، ولا يمكن اسدال الستار عليهما ، الا بعد اسداله على اللغة العربية ! ... أى على الأمة العربية ذاتها ، بقضها وقضيضها ، من المحيط الى الخليج ، وأرجو الا يكون ذلك ممكنا ، فان كان ممكنا فأرجو الا يحدث فى حياتنا ، وأن يتركنا نموت عربا كما عشنا عربا طوال هذه الحياة الصعبة الجهمة التى نحمد الله على مكروهها ، ولايحمد على مكروه سواه ! ....



● نسمع بعضهم يقول « المنصة » بفتح الميم ، يقصد المكان العالى او الكرسى الذى يجلس عليه الرجل ، والصواب كسر الميم ، لأن المنصة بفتح الميم هي الحجلة التى تعد للعروس ..

● احد مذيعى كرة القدم يذكر قدامى اللاعبين دائما فيقول«القدامى» بفتح القاف ، وهو خطأ ، والصواب ضمها .. وهناك كلمتان صحيحتان اخريان هما : القدماء ، والقدائم ..

● يقال للمغضوب عليه : اذهب .. الى حيث القت رحلها امقشعم!. وأم قشعم هى ناقة لرجل عربى قديم نفرت فألقت رحلها فى النار التى يستدفىء عليها القوم ، فسارت مثلا .. ويقابلها عند الافرنج قولهم : اذهب الى الجحيم ! ..

● يقال فى الأمثال : ويل للشجى من الخلى !.. والشجى هو الحزين ، والخلى هو الخالى من الحزن والهم ، يحاول أن يشرك الشجى معه فى فرحه ومرحه ، ولا يبالى أن « الشجى » حزين مهموم !..

● « التى » ... تصغيرها « اللتيا » بفتح التاء وتشديد الياء ،وكان اعرابى قد تزوج امرأة طويلة فسماها « التى » واكتفى بهذه اللفظة،فاساءت اليه فطلقها وتزوج امرأة قصيرة فسماها « اللتيا » تصغيرا لها بسبب قصرها فنالته بالسوء أيضا ، فطلقها وعزم ألا يتزوج بعد هاتين المرأتين ، وقال : « بعد التى واللتيا لا اتزوج ابدا » .. فذهبت مثلا ! ..

● اذا كتب احد الأدباء : « لا غرو من كذا » فمعناها : لا عجب من كذا » .. ومثلها : « لا غروى » ! .. ولكن الأدباء لا يستعملون الآن هذه اللفظة الأخيرة .. ومن الفعل « غرا .. غروا » جاءت كلمة « غراء »وهى المادة اللاصقة المعروفة ، ولفظها عربى صحيح ، ويظنها بعضهم عامية!..

وتريات إنجي

بقلم : كامل زهيري

المثلث الذهبى للرسامات المصريات الثلاث تحية حليم وانجي افلاطون وجاذبية سرى يكتشف مصر .. بعيون نسائية . وجاذبية سرى اقرب فى لوحاتها للموسيقى النحاسية . فالوانها رنانة . واغلبها فصيح وصريح وصارخ . وتحية حليم بين الثلاثة هى عازفة الناى الشجى الحنون ، وهى فى لوحاتها قمة الحنان والشجن .

اما انجى افلاطون فهى اقرب الى الموسيقى الوترية .. اى عائلة الكمان والفيولا والفيولانسيل .

أن ألحان الكمان العذب والمعذب تعلو من لوحاتها .. !

● مصر بعد الحرب العالمية الثانية ، وقبل الثورة ، وصلت نهاية طريق مسدود . وبين الحرب والثورة كانت حرب فلسطين . وهزيمة ٤٨ . وبين وباء الكوليرا وحريق القاهرة كان عصيان الفلاحين ومظاهرات الطلبة .

وهكذا عرفت مصر الحرب والثورة ، والكوليرا والحريق ، والعصيان والمظاهرات وكان كل شىء يؤذن بالانهيار والانقطاع .

وظهرت خلال الحرب وبعدها مباشرة دعوة السورياليين . واستلهمت جماعة « الفن والحرية » اسمها وعقدت القران بين الحرية والفن استلهاما لبيان الشاعر الفرنسى "اندريه بريتون" مؤسس السوريالية فى فرنسا و "ليون تروتسكى" صاحب فكرة "الثورة الدائمة" . واطلقت الجماعة على نفسها اسم "المستقلين" . واصبحت لها مجلة اسمها "التطور" اقترضتها من سلامة موسى . ومجلة اسمها "دون كيشوت" بالفرنسية . واعتزت بالماركسية تفسر لها المجتمع . والفرويدية تفسر لها الانسان . وشنت حربا هوجاء على الاكاديمية . واتهمت

الاكاديميين انهم سجناء الاكاديميات . ورفعت ستار البحث فى المجهول ، والبعد عن المألوف ، واعادة الاعتبار للخيال ، واستلهام اللاوعى والصدفة والتلقائية ، واعتبرت الفن ـ كما قال رائدها الشاعر جورج حنين ـ مخزنا للبارود « لان الفن لا يمكن ان يكون عاطفيا » . فهو ضد النظام القائم ، وضد الطبقة الحاكمة . وضد الخنوع ، وضد الركوع البوذى" .

واذا كانت هذه الحركة قد عجزت فى النهاية عن تغيير مصر كما اطلقت احلامها . او تبجحت فى عناد ، وحدثت احداث سياسية واجتماعية ابتلعت اهدافها ، وسحبت الارض من تحت اقدامها . فقد نجح السورياليون فى تغيير انفسهم على الاقل . وانضم اليهم عشرات من الفنانين المصريين والمتمصرين والاجانب . وكان بعضهم على موهبة فذة . والتحقت اسماء ، واختفت اسماء ، ومنها فؤاد كامل وابو خليل لطفى وراتب صديق وعايدة شحاته (وبعدها حسن التلمسانى وسمير رافع) وغيرهم . لكن المثلث الذهبى « لهذه الحركة كان بلا شك يتكون من جورج حنين الشاعر ، وكامل التلمسانى الرسام والسينمائى فيما بعد ورمسيس يونان الرسام والكاتب .

وكان الشاعر أغزرهم ثقافة . وكان المحرض . وأيضا الجسر الذى يصل جماعتى القاهرة وباريس . فقد كان يكتب بالفرنسية . وكان صديقا لاندريه جيد وهنرى ميشو وايف بونفوا ـ وكان الشاعر بريتون يكاتبه صائحا : « كم أحتاج اليك » على الرغم من أن الحركة السوريالية امتدت من فرنسا لالمانيا الى أسبانيا والمكسيك . وكان فيها من الرسامين والشعراء النابهين سوبو واندريه ماسون وماكس ارنيست وبيكاسو وايلوار واراجون قبل انشقاقهما .

وكان اعقل الثلاثة واكثرهم صمتا هو رمسيس يونان ، وكان صمته يستمر اياما يقربه من البوذية التى كان كتمانها يخفى عنفاً شاعرياً هائلاً . وكان يملك ناصيتين هما الكتابة والرسم . ولكن أعنفهم وأكثرهم صخباً واغناهم تجربة كان كامل التلمسانى .

ولا اظن ان احداً يمكن ان يرى الرسام التلمسانى مرة واحدة ويستطيع نسيانه . فقد كان سريع الملل ، عاطفياً مشحونا بالقلق جياشاً . وكان صوته عريضاً اجشاً وفكه يعبر عن فحولة . وحاجباه ثقيلان متقاربان . وشاربه كث كثيف . ولا يحمل تحته فماً . بل فوهة . تظنها فوهة مدفع او فوهة بركان .

وتميز الثلاثة ـ حنين والتلمسانى ويونان ـ بانهم متعددو الموهبة يؤمنون بوحدة الفنون . وبالعلاقة بين الصوت واللون ، وبين الكلمة والخطوط ، وهو التقليد الذى أرساه الشاعر بودلير والكاتب زولا مع الرسام مانيه ، وتأكد فى العلاقة الحميمة بين أدباء وفنانى وشعراء السوريالية من بودلير وميشو وسوبو ودالى وارنيست وليجيه .

● التعبير بخطوط جديدة

وقد وصلت انجى افلاطون مبكرا ، وهى فى السابعة عشرة ، وعبرت جماعة الفن والحرية . واكتشفت هواية الرسم مبكرا ، وكان والدها استاذ العلوم يطلب منها نقل صور الحشرات الملونة ، وعمدت

وتريات إنجي

لنقل صور البطاقات البريدية ، ثم ذهبت ـ وكانت تسكن وسط القاهرة الافرنجية أو الرومية على تعبير الجبرتي ـ فى شارع شمبليون لمراسم الفنانين وأغلبهم من الفرنسيين والطليان . ولكنها تمردت على تعليمهم أو لم تسترح بخيالها الجامح وعصيانها المبكر لدروس هؤلاء . وكانت خالتها متزوجة من رسام كبير هو أحمد راسم . وكانت المتذوقة لوسيين فاركاش المثقفة من مرتادى المعارض وتعرفت على معارض الفن والحرية ، وكانت لوسيين صديقة الطفولة والصبا لوالدة انجى وخالتها ، فنصحت بأن يقوم كامل التلمسانى بتدريس الرسم للصغيرة التى ترفض الرسم الأكاديمى .

وقد ظن كامل التلمساني أن تلميذته تعتبر تعلم الرسم نوعا من الثقافة النسوية الجميلة ، مثل تعلم البيانو أو اتقان البروردريه . وكانت المفاجأة انه وجدها تعبر فى رسومها عن عالمها الداخلى بخطوط جديدة وشحنة نفسية هائلة .

وتتذكر انجى أفلاطون هذه الأيام ، انها كانت فى مدرسة داخلية تتعلم الفرنسية ، ولاتدرس التاريخ العربى ، والمدرسة الداخلية النسائية لها أسوار عالية ومن ورائها اشراف حديدى . ولم تكن الصغيرة تجد متنفساً من هذا الجو الا فى الخيال التاريخى ، اثناء دروس التاريخ ، وتاريخ

من وراء القضبان



الثورة الفرنسية بالذات ، فقد كان الفصل ينقسم الى فريقين كما انقسمت فرنسا . وكانت انجى افلاطون تختار جانب اليعاقبة والجبليين اى المتطرفين الذين تصارعوا مع الجيروند سكان السفوح !

ولأن ثقافة كامل التلمساني كانت غنية ، تحطمت فيها الحدود بين المسرح والأدب ، وبين الرسم والنحت ، فكان ينتقل بها - فى فرنسية غنية من القراءة وركيكة فى النطق - بين عصور الفن العديدة ، وكان أعظم ماقدمه الأستاذ لتلميذته انه لم يلقنها ، ولم يفرض عليها مدرسته ، بل ولم يعرض عليها رسومه خشية التأثير عليها ، وتركها للتعبير عن نفسها كما تحس ويتراءى لها .

وقد تراءت لها فى هذه المرحلة المبكرة صور تشبه الأحلام العنيفة ، فرسمت صورتين شهيرتين منها « الفتاة والوحش » ، لفتاة تخرج من وسط اللهب ، واشجار تشبه الثعابين المحنطة ، وطيور خيالية جارحة تنقض من السماء .

وعرضت انجى افلاطون - صغرى أعضاء جماعة الفن والحرية - عام ١٩٤٢ فى المعرض الجماعى للرسامين ، وكان بينهم رائد آخر يشق عصا العصيان على التعاليم الاكاديمية ويبحث عن التعبير الصادق والحر عن مشاعره وهو محمود سعيد .

ولقيت يوما انجى افلاطون ترحيبا من شاعر كبير مثل جورج حنين - وهى لازالت فى السابعة عشرة - حتى انه يكتب عنها فى جريدة الأسبوع المصرى بالفرنسية عام ١٩٤٢ :

- « إن مفاجأة المعرض .. هذه الفنانة الشابة - معرض فنانى مصر المستقلين - وهى تستثمر الامكانات المحدودة نسبيا المتاحة لها بذكاء نادر ، فانها تقطع كثافة وتداخل غصون اشجارها بمساحات معبرة شفافة لإراحة نظر المشاهد ، وهى تحدد بمهارة بؤرة لوحاتها متمثلة تارة فى منطقة اضاءة ، تنبعث من تحت الورق ، وتارة أخرى فى طائر احلام يتحدى سكون الفضاء ، وحوله باتقان كل عناصر عالمها الخيالى » .

وهكذا كان جواز سفرها الأول للالتحاق بجماعة الفن والحرية هو الخيال ، وكان درسها الأول هو الاستقلال عن الرسم الاكاديمى الذى ينقل العالم الخارجى كما هو ، أو يقلد الطبيعة .

وقد ظلت انجى افلاطون تستفيد من هذا الدرس الأول مستعينة بخيالها فى رحلة طويلة طالت أكثر من أربعين عاما .

★★★

على أنه من الانصاف لهذه الجماعة أن تؤكد أنها لم تعلن عصيانها على الرسم الأكاديمى رغبة فى اشعال النيران فى الماضى تماما ، لأننا نجد كامل التلمسانى يهاجم الجيلين الأول والثانى ، من الفنانين المصريين الذين سافروا ليتلقوا الفن فى أوربا ، وقفوا - على حد تعبيره - موقف الضعيف المحتقر أمام القوى السيد ، فأخذوا ينقلون من السيد صورة ويقلدونها ، فوقع فى ذلك النسخ وهو أن التقليد سجين « للمتاحف وحبيس فى الأكاديميات » . ويقول التلمسانى أنه يستثنى من هؤلاء « العبيد » راغب عياد ومختار ومحمود سعيد .

ويكشف رأيه فى محمود سعيد عن رؤيته فيقول :

- ان محمود سعيد - من رجال المدرسة



وهكذا حافظت انجى افلاطون منذ الدروس الاولى على يد كامل التلمسانى على فكرة الاستقلال الفنى ، والحفاظ على ثروة الخيال المتمرد والمتدفق ، ولكنها لم تبعد طويلا فى هذه الحركة ، كما ان الحركة نفسها استمرت لمعرضين اخرين ، حتى المعرض الخامس ، ثم تعثرت بسفر البعض للخارج ، وكان اخر معارضها هو معرض فؤاد كامل ١٩٥٩ ، وظلت انجى قرابة عامين من العشرين عاما التى امتد فيها عمر حركة الفن والحرية . لأن انجى افلاطون سرعان ما انقطعت عن الرسم وانخرطت فيما هو اكبر واخطر ، نعنى بذلك الحركة السياسية اليسارية والحركة النسائية المصرية ..

القديمة ـ إلا أنه الوحيد الذى استطاع أن يعبر عن داخلية نفسه ، بطريقة بها الكثير من الاحساس الصادق العميق والشعور المرهف والتأمل الدقيق فى عالم قلبه ووجدانه ، وهو الوحيد الذى نجح لدرجة ما فى خلق الجو الشعرى فى صوره .. الجو الذى يتخلله نسيج من العتمة والظلام ، حالك الخطوط فى الوانه صاغها حسه من عواطفه التى وجدت فى اللون والصورة» .

● استرداد المصرية

وكان ذلك فرصة هائلة لتعرف نفسها وتكشف عيوبها واخطرها انها تجيد الفرنسية ، وترتبك بالعربية ، وانها لا تعرف عن المجتمع المصرى شيئا كثيرا ، وانخرطت بما تسميه استرداد المصرية او التمصير ، وكشف لها العمل مع الاخرين انها لم تكن فقط سجينة الطبقة ، بل سجينة المدرسة الداخلية ، بل قادها التمرد من سجن المدرسة وسجن الطبقة الى السجن فقط .

واى تفسير للعلاقة بين الرسامة والطبيعة لابد ان يدخل فى اعتباره تكرار السجن فى حياتها ، بالمعنى المادى والطبقى والروحى ، واللغوى ايضا ، حتى اصبح الفن عندها هو انعتاق مستمر ، واصبحت الطبيعة شيئا اخر غير ما تراه من الاشجار والاغصان ، او المناظر الطبيعية .

ان خمسة اعوام فى الضيق تلد الشوق للرحابة ، وقد تدربت انجى على رسم شجرة قائمة امامها فى سنواتها الخمس .

ان قفل الابواب مع الغروب والصحو مع الفجر يعيد ارتباط السجينة بالضوء والطبيعة . ويفرض عليها اكتشاف الضوء الساطع والضوء الساخن والضوء الذابل .

والخروج من السجن الى الرحابة ، ومن الضيق الى النسيم ، هو نفسه خروج من العتمة الى الضوء .

وقد كانت حياة انجى افلاطون متميزة فريدة ، ولعلها من الرسامات القليلات فى العالم اللائى جربن تجربة السجن السياسى وتجربة العمل الاجتماعى ، وتجربة الخروج من العتمة الى الضوء . ونستطيع ان نزعم ان تجربة السجن الاخيرة ـ عام ٥٩ لم تكن سوى تكرار لسجون اخرى هى سجن الطبقة وسجن المدرسة . ولهذا اصبح الخلاء حرية ، ولم

عنبر المعتقلات ١٩٦٠

الفتاة والوحش سنة ١٩٤٢

وتريات إنجي

يعد الفضاء فراغا بل اصبح انعتاقا . وبقدر ما نضجت انجى افلاطون داخليا ، اتسعت نظرتها للعالم الخارجى ، ولم يعد المنظور الخارجى منظورا اليه من الخارج ، ولم يعد الضوء يسقط على الاشياء ، بل اصبح الضوء داخليا ينبع ايضا من المنظور .

الاقتراب من الحوشية

ولوحات انجى افلاطون ليست سوى لوحات نفسية ، لانها اصبحت ترتب الاشجار والغصون وحركة الفلاحين او العمال او السجينات ، ترتيبا تفرضه رؤيتها الداخلية . ومن هنا كان التبسيط والتحوير وحرصها على الالوان المضيئة .

فالالوان عند انجى افلاطون مشعة ، وظلالها مضيئة ، لان اللون ـ وهنا تقترب انجى من الحوشية والوحشية ـ لترسم لوحات مشمسة تسطع منها الشمس . وهى لوحات مشرقية تسطع فيها الشمس ، لان الشمس لا تسطع من الشرق الجغرافى ، بل تسطع من اللون واللوحة .

والشمس فى مصر تشعل اللون كما ان الليل يطفئها . ومصر فيها الشمس ساطعة ، والنور من كل الزوايا والجوانب ، وهو يسقط فوق الشيماء ، وينبع منها ، انه يتخلل كل شىء .

ومن هنا كان ابتكارها لتقطيع الخطوط . وكما ابتكر بعض الوحشيين التنقيط ـ وقد حاولت انجى اثناء السجن استخدام التنقيط فى رسم صديقتها الشجرة ـ ابتكرت انجى افلاطون او اطاعت ما بداخلها فاخرجت فى لوحاتها طريقة جديدة وخاصة متميزة فى رسم الخطوط ، وهو التقطيع . ويؤدى تقطيع الخطوط الى خدعة بصرية .

وكما كان التاثيريون يستخدمون الالوان ـ الاصلية والمكملة ، لكى تستنتج العين اللون الساكت المكتمل ، فان انجى افلاطون استخدمت تقطيع الخط ، لتقوم العين بالتحرك ما بين الخطوط المتقطعة المتقاربة .

ان خطوط انجى افلاطون تشبه حبات السبحة او ثقوب المشربية لكن تتابع الخطوط ، والخبطات اللونية ، وضربات الفرشاة فى خط متقطع متواصل غير متصل يدلى دائما بالحركة ، تماما لحركة الموج الهادىء فوق سطح الماء .

وهكذا انتقلت انجى افلاطون من عالم الخيال المتمرد ، ومن انتقام الشجرة (١٩٤٢) والفتاة والوحش (١٩٤١) ومن الطائر الاسطورى والنسور الجارحة والغربان الناعقة والمناظر المأساوية المؤلمة والنباتات المتشابكة كالادغال ، ومن هذه القتامة والعتمة الى اللون كلغة مستقلة . ولم يعد اللون تابعا ، ولكنه يعبر تعبيرا مستقلا . وهى تقدم لنا بذلك عالمها الخاص ، لان اللوحات تقدم الطبيعة ، ولكنها لوحات نفسية ايضا ، تقدم المعادل للضوء ، وهو اللون النقى ، ولهذا ملأت لوحتها عن اخرها ، لان اللون هنا ممزوج بالخيال ، واللون لا يصبح مجرد صباغة بل لونا مشعا فى ذاته

وكما يقول احد الوحشيين ، جوستاف مورو : اننى لا اومن بما ارى ، ولا بما

المس ، ولكن بما احسه داخليا . فاننا نجد انجى افلاطون تقدم الطبيعة كما تحسها ، وهى اقرب الان للمدرسة الوحشية التى قدمت الجديد وقمتها ماتيس الذى لعب الضوء المشرقى عنده دورا كبيرا ومتفجرا ، وعند مورو وماركن ومانجان وديران ودونى وبراك وغيرهم .

وقد تكون انجى افلاطون اكثر اعتدالا ، او اقل جرأة من غلاة الوحشيين الذين آمنوا بحرية اللون او بما يسمونه اللون النقى ، بان تصبح الاشجار – فى اللوحة – بنفسجية ، والارض حمراء – والبيوت خضراء ، كما قال ماتيس .

ان اللون عند انجى افلاطون يمتزج بالخيال ، وبغير الخيال يصبح اللون صباغة . وهو لون مشع بالضوء . وكأن لوحتها المضيئة اصلا – بالفراغات البيضاء – تضيف اليها الوانا واضواء مشعة .

● قضية المنظور

وكما تطرح انجى افلاطون فى رسومها قضية الحركة ، ومعالجتها بالتقطيع ، فهى ايضا تطرح قضية الضوء المشرقى . وهى قضية لا تقتصر على رسامى البحر الابيض ، ولم تبدأ منذ زيارة ديلاكروا للجزائر ، او اقامة بول كلى فى المغرب العربى ومصر ، او ماتيس فى جنوب فرنسا وجنوب البحر الابيض ، لانها قضية تشغل عيون كل رسامى المشرق من اليابان والصين وفارس والهند ايضا . وهى تثير قضية المنظور عند رسامى النهضة ، لان النور يسقط على الاشياء من الخارج ويؤدى الى الظل ، بينما رسام الشرق يوجد وسط النور ، حيث تتعدد مصادره من خلفه وامامه ، وفوقه وتحته ، وبذلك تبهت الظلال ، وتشع الالوان ، وتختفى المقدمة فى اللوحة والمؤخرة ، وقد خطت انجى افلاطون خطوات حثيثة نحو الغاء البعد الثالث فى لوحاتها ، لان الانتقال يكون باللون ، والتقديم والتأخير ليست بينهما مسافة بصرية بل مسافة نفسية . ومن هنا كانت لوحاتها – كما قلنا لوحات نفسية – وان كان اغلبها من الطبيعة المصرية ، واعتمدت كثيرا على موسيقية التوافق والتناغم وإنشاء العلاقات بين غصون الشجر وأذرع البشر والحركة المتوافقة بين النبات والمخلوقات ، وبين الارض والافق .

ولعل ما يشبع عينيها هو تلك الخصوبة المصرية العجيبة . لان السماء فى مصر مليئة بالطيور ؟ والارض مزدانة بالخضرة المزدحمة غير المنمقة والجو خصب . يئز بالحركة التى تظهر فى الحصاد والجمع والزرع والحرث والغرس والرى والنقل والتقاط الثمار .

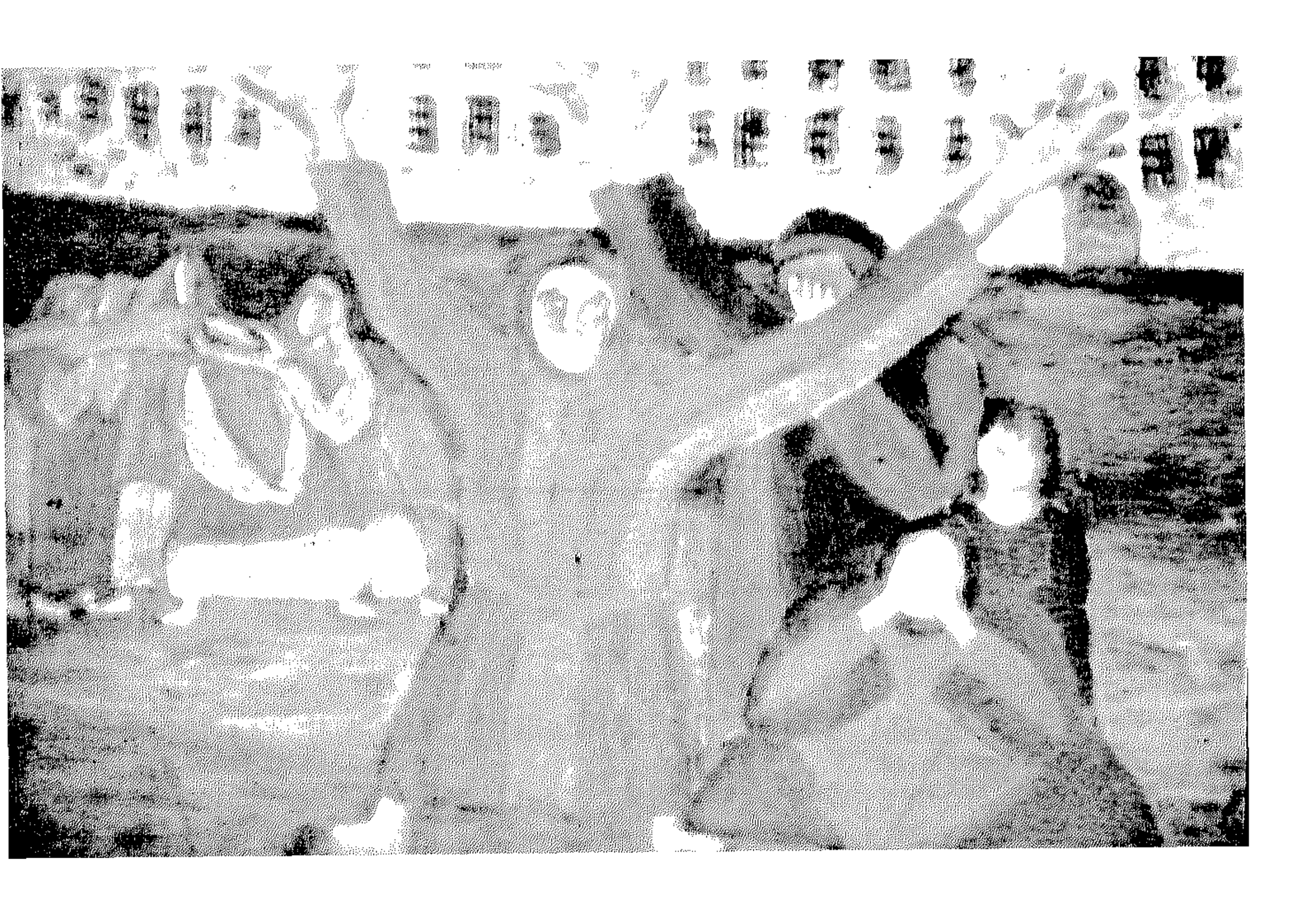
وقد شغفت الرسامة بهذه الحركة التى تملؤها بالحرية ، واستطاعت كما تقول بضربة الفرشاة ، واتجاهاتها الصريحة والوانها النقية ان تعبر عن الحركة حولها وامامها وداخلها .

واذا كانت قد استفادت من حركة الفن والحرية بدرس الاستقلال الروحى ووحدة الفنون ، فقد شغفت بالتنقل بين ربوع مصر ، خارج القاهرة الى المنيا وبنى حسن و "ابو قرقاص" ، وقرية نجاة ، ودير "ابو قرقاص" ، وجراجوس على بعد ساعة من الاقصر ، والاقصر فى البر الشرقى ، واسوان والجزر النوبية و سيناء والعريش وجنوب سيناء والواحات وسيوه . وكانت رحلتها فى ربوع مصر الضوئية



صورة ذاتية للفنانة
انجى افلاطون سنة ١٩٥٨

الترحيل الى
الواحات ١٩٥٨



واللونية غذاء لعينها وروحها ، فاكملت لنا رؤية مصر بعيون نسائية كما فعلت زميلتها تحية حليم وجاذبية سرى .

وكانت انجى متميزة فى تجربتها للخروج من سجن الطبقة ودخول سجن المرأة ، والخروج من سجن القناطر الى الطبيعة . واستطاعت ان تحافظ على الدرس الاول وهو الاستقلال ، فلم تسقط فى الزخرفية ، وان نبغت فى التنسيق والموسيقى بين الخطوط والالوان ، ولم تسقط فى الواقعية الاشتراكية الدعائية ـ حتى فى عام ٥١ او انتماء رسمها للفدائيين وعروس الجنوب سناء المحيدلى .

قادها الاستقلال والعصيان الى التمرد والثورة ، ثم دخلت اخيرا مرحلة النقاء اللونى والصفاء النفسى لانها كابدت خلال رحلة طويلة حب مصر واستطاعت ان تخرج من عذابها عذوبة نسائية خاصة ، جعلت لوحاتها اشبه الى الوتريات التى تحس منها ان صوت الكمان العذب ـ او المعذب يعلو من انحائها .

الدراسة العلمية لبيئة حفرة المركب الثانية للملك خوفو

بقلم: د. فاروق الباز

د. فاروق الباز عالم الفضاء المصرى ، ومدير ابحاث الفضاء بجامعة بوسطن ، يعد من أبرز العلماء المشتغلين بابحاث الفضاء فى العالم ، حيث شغل منصب نائب الرئيس للعلم والتكنولوجيا فى مؤسسة آتيك ، كما عمل فى معامل بلل بمدينة واشنطون كمشرف على التخطيط للدراسات القمرية واستكشاف سطح القمر.

قام بالاشراف على أهم كشف علمى داخل الحفرة الموجودة جنوب الهرم الاكبر ، واحضر ادق الاجهزة العلمية والمتقدمة فى العالم ، وطوال الفترة الاخيرة عكف على التوصل لحدث علمى كبير ، هو اكتشاف مركب جديد داخل هذه الحفرة .

د. الباز يكتب للهلال عن تجربته المثيرة التى سوف تغير مفاهيم جديدة فى البحث عن الاثار وطبقها فى مصر ام الحضارات فى الدنيا .

منذ أكثر من عامين سؤلت من قبـــل هيئة الاثار المصرية عن امكانية دراسة بيئة الحفرةالثانية جنـــوب الهرم الاكبــر والتى اكتشفت مع الاولى فى عام ١٩٥٤ أثناءازالة أتربة كانت قد تكدست على السطح الجنوبى للهرم ..ومنذ ذلك الوقت عـكفت عـلى اعداد ما يلزم لمثل هـذا العمـل الدقيق مع ضرورة عدم المساس بمحتويات الحفرة أو بيئتها بـأى شكل .

وفى بادىء الامر تشكلت لجنة علمية من علماء متخصصين فى فروع العـلم المختلفة بالولايات المتحـدة الامريكية للنظر فى المراحل المختلفة وعرضها على اللجنة الدائمة للآثار ولجانها العلميـة المتخصصة فى هيئة الآثار المصريةوالتى تشمل العديد من الخبراء المصريين من الجامعات ومراكز البحوث المختلفة . وخطوة بخطوة تم اعداد الخطة البحثية وبدأت التجارب على معدات البحثوالتى أعدتلهذه المراحل :

أولا : الحفر فى احدى الكتل المغطية للحفرة المكونة من حجر طره الجيرى بعمق حوالى مترين أو أقل دون استخدام هواء مضغوط .

ثانيا : فصل الحفار وكل المعـــدات البحثية عن الهواء الخارجى حتى لا يتم أى تلوث للهواء الموجود داخل الغرفة (اذا كانت محكمة الاغـلاق كما كـان محتملا) .

ثالثا : أخذ عينات من الهواء بداخل الغرفة لتحليلها . اذا ماكانت الحفرة مغلقة تماما تكون عينـات الهواء هـذه هامة من الناحية العلمية لانها تدلنـــا على تركيب الغلاف الجوى للارض كما كان فى عهد القدماء المصريين أى قبـل تغييره فى عصر الصناعة واحـــتراق كميات هائلة من الوقود التى نتج عنها زيادة فى نسبة ثانى أكسيد الكربون .

رابعا : تصوير مكونات الحفـــرة ومحتوياتها دون استخدام ضوء يزيد من درجة الحرارة بداخل الحفرة .

خامسا : اغـــلاق الحفرة باحكام واعادتها الى ما كانت عليه .

وبعد تجارب عديدة ومناقشات علمية مثمرة فى مصر وفى الولايات المتحـــدة الامريكية اتفقت آراء العلماء علىأفضل السبل للوصول الى الهدف المنشود . وبدأت التجربة فى الاسبوع الثانى من شهر أكتوبر عام ١٩٨٧ ، واســـتمر العمل لمدة اسبوعين أمكن بعدها الاجابة على كل الاسئلة التى كانت قد طرحـت قبل البدء فى العمل .

وقبل بداية العمـــــل قامت أجهـزة الرادار بتوضيح معالم الحفرة . وهذه الاجهزة تبث موجات رادارية الى بطـن الارض ثم تقيس عودة هذه الموجـــات عندما تصطدم بفارق ما بين طبقتين من الصخور أو ملتقى الصخر بالهـــواء داخل الحفرة . ونتج عن ذلك اختيـار انسب أماكن الحفر تقريبا فى ثلـث المسافة فى الحفرة أى على بعد عشرة

مواقع البحث العلمى تغطيه خيمة بجوار متحف الملك خوفو جنوب الهرم الاكبر

موقع الدراسة يعتليه علم هيئة الآثار المصرية وفى الخلف هرم خوفو



أمتار من نهاية الحفـــرة الشرقية لان الحفرة طولها ٣٣ مترا ٠

وتم اختيار الكتلة للحفر فى هــــذا المكان وبدأ اعدادها بتسوية سـطحها حتى يتم لصـــق الاسطوانة المعـــدنية لجهاز الاحكام فيهـــا لكى لا يتسرب هواء الى داخل الجهاز أثناء عمليات الحفر أو التصوير أو أخذ العينات ٠

الدكتور فاروق الباز وبيده الحفار الذى استطاع أن يعمل حفرة قطرها ٩ سم



وبدأ الحفر باستخدام حفار لايستخدم ماء أو أى شىء اخر للتبريد ، صنعته خصيصا مؤسسة بلاك أند ديكر والتى كانت قد صنعت حفارا استخدمه رواد الفضاء على سطح القمر لاخـذ عينات دون المساس بمكوناتها الكيميائية ٠٠ وهذا الحفار يتكون من ثلاث دوائــر أكبرها ٩ سنتيمترات لانه لابد وأنتدخل أجهزة التصوير والتى قطرها ٨ر٥ سم٠ وكان الحفار يقوم بحفر بوصة واحدة فى حوالى دقيقة ونصـف ويتـــوقف العمل لازالـــة ناتج الحفـــر بشافطة للاتـربة والفتـات والتى أخـذت منهـا العينات دوريا للتعرف على خصـائص الكتلة ٠ وبعد حفر كل بوصة تترك آلة الحفر لتبرد تماما حتى لا تـزيد مـن درجة حرارة الصخور لانها لا تستخدم مبردا ٠ واستمر العمل فى الحفر لمـدة ٤٦ ساعة تم فيها حفر ١٦٠ سم وهـو السمك الكلى للكتلة المختارة ٠

وكانت عمليات الحفر تتم أثناء قياس دقيق للضغط المعرض له الجهاز ٠ ولم يتغير هذا الضغط على الاطلاق منبداية الحفر وحتى نهايته ٠ كذلك لم يتـــغير الضغط عند اختراق سقف الحفـــرة والتعرض للهواء بداخل الحفرة ، وكان فى ذلك دلالة أولى أن الحفرة لم تـكن محكمة كما كان محتملا ، لانها اذا كانت محكمة فينتظر زيادة الضغط بداخلهـا مع الزمن ٠

● الغربون داخل وخارج الحفرة

بعد ذلك بدأنا فى أخذ عينات الهواء فى أوعية معدنية معقمة ومفرغة مـن الهواء امتلأت بحوالى ٧٠ لترا مـن هواء الحفرة للتحليل فىالمعامل المختلفة وخصوصا معامل هيئة الارصاد الجوية الامريكية « نوا » فى ولاية كولورادو ٠

الدراسة العلمية لبيئة حفرة المركب الثانية للملك خوفو

واتضح من التحليل المبدئى لبعض الغازات أن الفريون يتواجد بنفس النسبة داخل وخارج الحفرة أى أن هناك اتصالا بين البيئتين ٠ أما نسبة ثانى أكسيد الكربون فاتضح أنها توجد داخل الغرفة تقريبا ضعف قيمتها بالخارج ، وربما كان سبب ذلك هو انتاج غاز ثانى أكسيد الكربون من محتويات الغرفة وهذا أمر طبيعى اذا كانت محتوياتها عضوية مثل الخشب والقماش وما اليها ٠

واثناء أخذ عينات الهواء تم تمريرها فى محاليل معقمة وكذلك فى فلتر دقيق لحجز أى أحياء مثل البكتيريا أو الميكروبات ٠ واتضح من دراسة المحاليل فى جامعتى الازهر وقناة السويس وكذلك هيئة الطاقة النووية المصرية أنها خالية تماما من البكتيريا ٠ ودراستنا للفلتر فى معامل جامعة بوسطن أيضا اثبتت عدم وجود أى بقايا لخلايا ٠ **ولاننا نعتقد أن الحفرة لابد وأن تكون بداخلها بكتيريا لان بيئتها الداخلية تسمح بذلك ومكوناتها أيضا تشجع ذلك فاننا نعتقد أن العينات خالية لانها أخذت من ارتفاع متر تقريبا من سطح مكونات الحفرة حيث تكون قد ترسبت البكتيريا على هذا السطح بعيدا عن الهواء المأخوذ منه العينة ٠**

أما عن الكاميرا الأساسية التى استخدمت للتصوير فهى من تكنولوجيا متقدمة كانت قد صنعت أساسا لدراسة جدران المفاعلات النووية للكشف على أى شقوق دقيقة بها ، أضيف على هذه الكاميرا ضوء لا تشع منه الحرارة من صنف « فيبر أوتبكس » وكان فى داخل سلك قطره سنتيمتر واحد حوالى ٨٠٠ خط لنقل الضوء المصنع خارج الحفرة ليضيىء ما بداخلها دون تغيير بيئتها ٠

● اكتشاف مركب جديد

وأوضحت هذه الكاميرا تفاصيل سطح محتويات الحفرة والتى كان بها شبه كبير لمحتويات الحفرة التى فتحت فى عام ١٩٥٤ وهى المركب المقسم الى أجزاء بعضها مغطى بالحصير ٠ ولا شك فى أن مجموعة الأخشاب على سطح المحتويات هذه تشير الى أن الحفرة الثانية أيضا تحتوى على مركب ربما اختلف عن الأول فى أنه أصغر حجما وليس على سطحه مجاديف ٠

وأوضحت الصور أيضا أن المؤشرات بتعامل الهواء الخارجى مع الهواء بداخل الحفرة حقيقى وأن لها مؤشرات تعضدها منها :

(أ) وقوع أجزاء كبيرة وكثيرة من المونة ما بين كتل سقف الحفرة ٠

(ب) تسرب بعض الماء ما بين كتلتين وبخط واضح على حائط الحفرة ٠

(ج) وضوح مستوى كان الخشب يصل اليه من قبل ثم هبط ٠

(د) تهشم بعض الاخشاب تماما كما كان الحال فى الحفرة الأولى وخصوصا فى طبقات الخشب القريبة من قاعدة الحفرة ٠

كل هذا يدل على أن البنية داخل

الحفرة التالية لم تكن محكمة الغلق كما كان محتملا · ويدل أيضا على أن التجربة قد نجحت نجاحا باهرا فى التعرف على بيئة الحفرة وما فيها ودون المساس بها ، ومن الجدير بالذكر هو أن قياس درجة الحرارة فى الحفرة أعطى ٣١ درجة تقريبا ونسبة رطوبة عالية تصل الى ٩٢٪ تقريبا · وربما كان من أسباب الحفاظ على أخشاب المركب الثانى هذا تلك النسبة العالية من الرطوبة الدائمة أى أنها لا تقل أو تزداد ·· ومن المعروف أن درجة الرطوبة كانت قد قيست فى حالة الحفرة الأولى وكانت ٨٨٪ أى قريبة من نسبتها فى الحفرة الثانية · وتجرى الآن دراسة هذه الظاهرة لما لها من أهمية فى الحفاظ على أخشاب الحفرتين · بعد الانتهاء من الخطوات العلمية المدروسة تم اغلاق الفتحة باستخدام خليط من الحجر الجيرى الذى نتج عن الحفر والجبس تماما كما فعل قدماء المصريين فى اغلاق الفتحات ما بين كتل سقف الحفرة ، ومعنى ذلك أن جميع العمليات وحتى نهاية المشروع قد تمت بدون المساس ببيئة الحفرة أو محتوياتها ·

وأهمية هذا المشروع تجىء فى نتائجه التى تشتمل على ما يلى :

أولا : تطبيق تكنولوجيا متقدمة وطرق فريدة فى علوم الآثار للدراسة العلمية لبيئة موقع أثرى هام دون اصابته بأى أضرار من أى نوع ·

ثانيا : التعرف على بيئة الحفرة والتى اتضح انها على اتصال بالبيئة خارج الحفرة ولكن مكوناتها الغازية تختلف (مثلا الزيادة فى نسبة ثانى أكسيد الكربون) وهى أكثر حرارة ورطوبة من البيئة الخارجية ·

ثالثا : ايضاح مكونات الحفرة وحالتها ـ وكان مفروضا أن تكون الأخشاب فى حالة سيئة للغاية نتيجة للوضع البيئى المشار اليه ، وربما كان السبب أن الخشب مازال محتفظا ببعض صفاته المتينة هو ثبات نسبة الرطوبة (مع علوها) · وربما كان هذا موضوع بحث لأهميته فى ترميم والحفاظ على اثار مماثلة من الخشب ·

رابعا : وضع صورة كاملة عن محتويات الحفرة وبيئتها لهيئة الآثار المصرية حتى يمكن لمتخصصيها أخذ القرارات الصائبة فى كيفية التعامل مع هذا الأثر العظيم ، والتأنى فى التصديق على رفع المركب أو ابقائه فى مكانه ·

خامسا : اهتمام علماء الآثار بنتائج المشروع بين أن له تطبيقات مستقبلية عديدة ليس فقط فى مصر ولكن فى انحاء كثيرة من العالم ·

ولذا فاننى أعتقد أن هيئة الآثار المصرية وكل مستشاريها فى الجامعات والمعاهد المصرية لهم أن يفخروا بهذا العمل العلمى الفريد المرموق · ولنا جميعا الشرف أن أول تطبيق للتكنولوجيا المتقدمة فى علوم الآثار تم هنا على أرض مصر أم الحضارات وبالقرب من الأثر الوحيد من عجائب الدنيا السبع الذى ما زال قائما الا وهو الهرم الأكبر ·

استفتاء الأدباء والفنانين (*)

١٩٨٨

الأدب والفن والثقافة بين عامي ١٩٨٧ و ١٩٨٨

استفتاء يشترك فيه ٢٠ كاتبا وفنانا ويجيبون عن ١٠ أسئلة هامة

ماذا دار فى ساحتى الفكر والثقافة فى مصر والعالم خلال عام ١٩٨٧ . والى اى مدى ينعكس هذا على ثقافة العام الجديد ..

كان هذا مدار الاستفتاء الذى استطلع فيه ((الهلال))

آراء مجموعة من الادباء والمفكرين الذين يمثلون مختلف الاتجاهات والمدارس الادبية والفكرية

وتفرع هذا السؤال الشامل الى عشرة اسئلة اتفقت حولها واختلفت آراء الأدباء والمفكرين الذين اجابوا عنها (*)

١ ـ احسن كتاب باللغة العربية او اللغات الاجنبية قراته فى عام ١٩٨٧

٢ ـ اهم رواية (مصرية ـ عربية ـ عالمية)

٣ ـ اجود ديوان شعر او قصيدة

٤ ـ ابرز كتاب ادبى

٥ ـ اعمق كتاب دينى

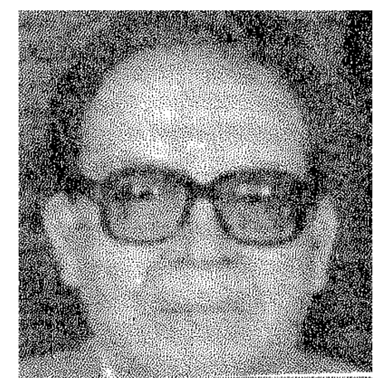
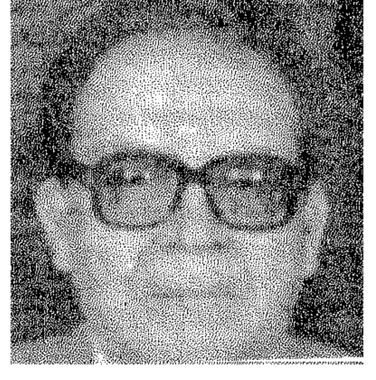
٦ ـ اشمل كتاب سياسى

٧ ـ اجمل معرض تشكيلى واحسن لوحة فنية

٨ ـ انجح مسرحية ـ فيلم ـ مسلسل تليفزيونى

٩ ـ امنياتك للثقافة فى عام ١٩٨٨

١٠ ـ مشروعاتك الادبية او الفنية لعام ١٩٨٨ .

د. احمد ابوزيد




المخرج أحمد زكى

اسامة انور عكاشة

● لم يفز كتاب بعينه باكبر الاصوات وان كانت بعض الاراء قد اتفقت على مؤلفات المفكر فهمى هويدى الاخيرة . واكد البعض الاخر ان كتاب "ملفات السويس" والكاتب الصحفى محمد حسنين هيكل لا يزال هو كتاب العام

● اكدت معظم الاراء ان مؤلفات علاء الديب وبعض الروائيين العرب هى افضل ما صدر فى عام ١٩٨٧

● تباينت الاراء حول دواوين الشعر ولم يتفق اثنان حول نفس الرأى ..

● حظى معرض رواد السوريالية فى مصر على مركز الصدارة بين معارض ١٩٨٧ ..

● فيلم العام هو "زوجة رجل مهم" رغم انه لم يعرض جماهيريا بعد . والمسلسل هو "ليالى الحلمية" . حسب اتفاق معظم الاراء .

● امنيات المفكرين للعام الجديد وردية طوبوية كعادة اهل الفكر .

● جعبة المفكرين للعام الجديد مليئة بالعطاء والوعود بالانجاز .

● اعترض بعض النقاد والمفكرين على الاشتراك فى ابداء الرأى لتكرار الاسئلة فى مجلات وصحف اخرى سواء هذا العام او فى الاعوام السابقة .

● بعض المفكرين يتعاملون مع الفنون المرئية بالكثير من التجامل .

● احسن كتاب سياسى فى العالم هو "اعادة البناء والتشييد" لجورباتشوف

● اخر استفتاء من نوعه قدمته الهلال عام ١٩٨٤ . وهناك فرق واضح بين الاراء فى كلا المرتين وقد اجاب على هذه الاسئلة تسعة عشر كاتبا ومفكرا هم بحسب ترتيب الحروف الابجدية : د . احمد ابوزيد ـ اسامة انور عكاشة ـ بهى الدين الرشيدى ـ جلال السيد ـ جمال قطب ـ حسن محسب ـ سناء البيسى ـ صلاح منتصر ـ د . غالى شكرى ـ فاروق جويدة ـ فاروق شوشة ـ كامل زهيرى ـ محمد عودة ـ مصطفى بهجت بدوى ـ هشام ابوالنصر ، احمد زكى ، محمود امين العالم ـ محمد جلال ـ د . مصطفى عبدالمعطى

د. احمد ابو زيد

١ ـ مراسلات ومكاتبات داروين (جزءان) ٠

٢ ـ « رواية المطبخ » للكاتب الفرنسى انطوان لوران وهى مكتوبة مباشرة بالانجليزية ٠

٣ ـ « أشعار قديمة » (لاراجون)٠

٤ ـ أنتجونات (جورج شتاينر) ٠

٥ ـ ايران من الداخل (فهمى هويدى) ٠

٦ ـ صنع القرار السياسى (سيد عليوة) ومؤلفات سيد ياسين ٠

٧ ـ محاولة احياء السريالية ٠

٨ ـ أوبرا تانهاوزر لفاجنر التى شاهدتها فى لندن ٠

٩ ـ زيادة فى ازدهار حركة الابداع ٠ رغم ما لوحظ أن أغلب الروائيين الجدد يتسمون بالسطحية ويفتقرون الى المعمق ٠٠ وعدم الاهتمام بالدراسة ٠

١٠ـ استكمال تاليف « معجم الاعلام فى الانثروبولوجيا وعلم الاجتماع » تمهيدا لاصداره ٠ ودراسة الصحارى المصرية بتكليف من المركز القومى للبحوث ٠

احمد زكى وكيل وزارة الثقافة لشئون المسرح

١ ـ مائة عام من العزلة (جارثيا ماركيز) ٠

٢ ـ النداهة (للدكتور يوسف ادريس) ٠

٣ ـ هذى بلادى (صلاح عبد الصبور) ٠

٤ ـ مسرح ٨٦ (فؤاد دوارة) ٠

٥ ـ المصحف الشريف ٠

٦ ـ ملفات السويس (محمد حسنين هيكل) ٠

٧ ـ معرض أنجى أفلاطون ٠

٨ ـ زمن حاتم زهران (فيلم) ـ ليالى الحلمية (مسلسل) ٠

٩ ـ عودة المسارح المغتصبة لهيئة المسرح ٠

١٠ـ اخراج تاجر البندقية لشكسبير والبهلوانات لتوم ستوبارد ٠

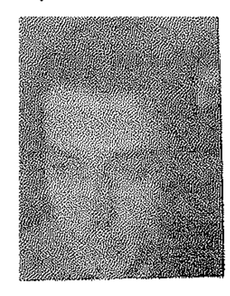
اسامة أنور عكاشة

١ ـ الصحوة الاسلامية فى ميزان العقل (د٠ فؤاد زكريا) ٠

٢ ـ الرحلة (لطفى الخولى) ٠

٣ ـ أنغام سبتمبرية (صلاح جاهين) ، دواوين محمد عفيفى مطر ٠

حسن محسب



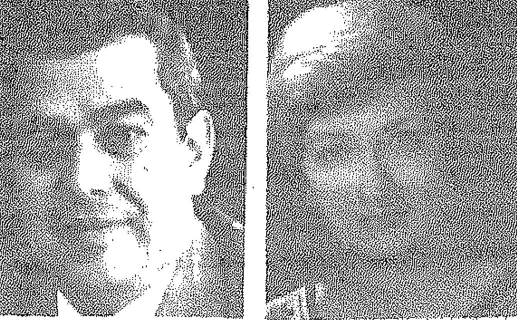
جمال قطب



٤ ـ ثوار الفكر في عصر النهضة (د. لويس عوض) .
٥ ـ على امام المتقين (عبد الرحمن الشرقاوى) .
٦ ـ أمن مصر القومي في عصر التحديات (حافظ اسماعيل) .
٧ ـ بينالى الاسكندرية .
٨ ـ نحن نشكر الظروف (مسرحية) ضربة معلم (فيلم) ، عصفور النار ، ليالى الحلمية (مسلسل)
٩ ـ افتتاح الاوبرا الجديدة ، اعادة طبع سلسلة الالف كتاب .
١٠ـ اصدار مجموعة قصصية جديدة (مقاطع من أغنية قديمة) ، اكمال مسلسل « ليالى الحلمية » وكتابة مسلسل « أيام حسن المصرى » .

● بهى الدين الرشيدى « سفير بوزارة الخارجية »

١ ـ ملفات السويس (محمد حسنين هيكل) .
٢ ـ الفجر لاول مرة (اقبال بركة) رغم صدورها منذ سنوات فلم اقرأها سوى هذا العام .
٣ ـ دواوين صلاح جاهين .
٤ ـ سبع معارك فاصلة فى العصور الوسطى (جوزيف واهموس ـ ترجمة د. محمد فتحى الشاعر)
٥ ـ التسامح الدينى والتفاهم بين المعتقدات (اصدار اتحاد المحامين العرب) .
٦ ـ بريستوريكا (جورباتشوف) ، وترجمته « اعادة البناء والتشييد » .
٧ ـ معرض الفنان أحمد الرشيدى

سناء البيسى   صلاح منتصر

رائد المدرسة التعبيرية فى مصر .
٨ ـ نحن نشكر الظروف (مسرحية) ، البداية لصلاح أبو سيف (فيلم) عصفور النار ، ليالى الحلمية (مسلسل) .
٩ ـ النزول بالثقافة للشارع المصرى فى مضمون علمى وأدبى قومى وعالمى مبسط وجذاب .
١٠ـ البدء فى تسجيل واقعنا القومى من خلال أحداث الماضى وتطلعات المستقبل .

● جلال السيد

١ ـ أمن مصر القومى فى عصر التحديات (حافظ اسماعيل) .
٢ ـ زهرة الليمون (علاء الدين) .
٣ ـ خطاب الديكتاتور الموزون (محمود درويش) .
٤ ـ فى دائرة الابداع (د. شكرى عياد) .
٥ ـ التدين المنقوص (فهمى هويدى) .

٦ ـ من يملك مصر (سامية سعيد) ·
٧ ـ ······
٨ ـ العسل عسل والبصل بصل (مسرحية) ، عصفور النار (مسلسل) ·
٩ ـ صدور موسوعة عربية ·
١٠ـ اصدار كتاب عن المؤرخ الكبير د· محمد انيس ·

● جمال قطب

١ ـ عبقرية الحضارة العربية (اشترك فى تاليفه عشرة كتاب عالميين) ·
٢ ـ البهلوان (يوسف ادريس) ·
٣ ـ ديوان عزيز اباظة ·
٤ ـ اعادة قراءة الشوامخ من الكتب · مثل عبقريات العقاد ·
٥ ـ القرآن الكريم ··· فقط ·
٦ ـ ······
٧ ـ بينالى الاسكندرية ·
٨ ـ ليالى الحلمية كمسلسل ، أما المسرحيات فهى تهريج فى تهريج ·
٩ ـ أن نتحول الى الابحاث المجدية والثقافات الرفيعة ·
١٠ـ نشر باقى السلسلة الفنية التى صدر منها (الفن والحرب) ، (روائع الفن العالمى الحديث)

● حسن محسب

١ ـ ثقافتنا فى مواجهة العصر (د· زكى نجيب محمود) ·
٢ ـ مائة عام من العزلة (جارثيا ماركيز) ·
٣ ـ دماء على ستار الكعبة (فاروق جويدة) ·
٤ ـ فى صالون العقاد (انيس منصور) ·
٥ ـ القرآن الكريم دائما ·
٦ ـ ملفات السويس (محمد حسنين هيكل) ·
٧ ـ منعتنى ظروفى الصحية من مشاهدة معارض ···
٨ ـ اعادة رؤية ريا وسكينة ـ عصفور النار لمحمد فاضل و (رفاعة الطهطاوى) ·
٩ ـ اللهم أصلح أحوال الثقافة والمثقفين والمثقفات ·
١٠ـ نشر رواية « رفاعة الطهطاوى » و « الاحلام المتوحشة » الرواية التي تنشر مسلسلة الان فى مجلة كويتية ·

● سناء البيسى

١ ـ ايران من الداخل (فهمى هويدى) ·
٢ ـ رواية غابريللا (قرنفل وقرفة) للكاتب البرازيلى خورخه آمادو ثلاثية رأفت الهجان (صالح مرسى) ·
٣ ـ الاعمال الكاملة لفاروق جويدة·
٤ ـ ······
٥ ـ ارساليات فى البيت النبوى (صافى ناز كاظم) ·
٦ ـ ······
٧ ـ معرض رواد السريالية فى مصر ·
٨ ـ الواد سيد الشغال (مسرحية) ، زوجة رجل مهم (فيلم) ، ليالى الحلمية (مسلسل) ·
٩ ـ اقامة معرض لاعمالى الفنية ، الانتهاء من كتابة أول رواية طويلة ، وارتفاعا فى أسهم الفن التشكيلى · وأن ينال الفنان فى حياته قدرا من التكريم ·

● صلاح منتصر :

١ ـ الهجرة الى العنف (عادل

جـودة) ، أولى المعادلات (جيفرى آرثر) ·

٢ ـ أبو الرجـال (د· يوسف ادريس) ·

٣ ـ أغنيات لعشاق الوطن (محمد التهامى) ·

٤ ـ ······

٥ ـ ······

٦ ـ أمن مصر القومى (حـافظ اسماعيل) ·

٧ ـ لوحات صلاح طاهر

٨ ـ ضربة معلم (فيلم) ·

٩ ـ ······

١٠ـ ان تخطو الدولة خطوة ايجابية بتدعيم انتاج الكتاب ·

● د· غالى شكرى

١ ـ الارهاب الدولى فى العـالم (نوام تشوسكى) ·

٢ ـ سيدة القاهرة (نويل باربيير)·

٣ ـ ديوان عفيفى مطر ·

٤ ـ ذاكرة النسـيان (محمود درويش) ·

٥ ـ الفكر الاسلامى (محمـد اركون) ·

٦ ـ الانفتـاح واعادة البنـاء (جورباتشوف) ·

٧ ـ معرض الفنان عدلى رزق الله المقام فى آتيليه القاهرة ·

٨ ـ مسلسل ليالى الحلمية ·

٩ ـ انعقاد مؤتمـر وطنى للمثقفين المصريين لبحث مشكلات الثقافة الحقيقية ·

١٠ـ الانتهـاء من دراسة حـول « الموجة الجـديدة فى الادب المصرى الحديث » · ثم انجاز الجزء الثانى من « ديكتاتورية التخلف العربى » وكتابة فصول حول الانتاج الثقافى فى مصر ابان السـنوات التى عشتهـا بباريس ·

● فاروق جويدة

١ ـ أمن مصر القـومى (حـافظ اسماعيل) ·

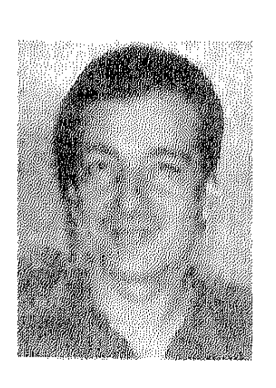
٢ ـ روايات نجيب محفوظ الاخيرة·

٣ ـ يوميات سياف عربى (قصيدة نزار قبانى) ·



د. غالى شكرى

فاروق جويدة



فاروق شوشة



كامل زهيرى

٤ ـ لا يوجد
٥ ـ .....
٦ ـ .....
٧ ـ معرض يوسف فرنسيس .
٨ ـ مسرحية لا يوجد ، فيلم البداية (لصلاح أبو سيف) .
٩ ـ افتتاح الاوبرا الجديدة ، وعرض مسرحيتى « دماء على ستار الكعبة » .
١٠ـ مسرحية جديدة عن الخديو اسماعيل ، ديوان شعر جديد ، وترجمة « الوزير العاشق » الى الانجليزية .

● فاروق شوشة

١ ـ ثورة حضارية زاحفة ، وماذا عن مستقبل مصر (راجى عنايت) .
٢ ـ بقايا النجوم (عبد الوهاب داوود) .
٣ ـ الاعمال الكاملة لمحمد ابراهيم أبو سنة .

محمد جلال



٤ ـ قصيدة وصورة (د. عبدالغفار مكاوى)
٥ ـ الشيعة والمهدية والدروز (الشيخ عبد المنعم النمر) .
٦ ـ ملفات السويس (محمد حسنين هيكل) .
٧ ـ معرض تجليات للفنان الدكتور عبد الرحمن النشار .
٨ ـ .....
٩ ـ محو الامية ، ودور أكبر للمثقفين فى صياغة المجتمع المعاصر والغاء القيود علىحركة الكتاب المصرى .
١٠ـ نشر ديوانى الجديد (يقول الدم العربى) ، وكتابى « مواجهة ثقافية » ، واضافة رصيد جديد من ثروة العقل المصرى الى المكتبة التليفزيونية .

● كامل زهيرى :

١ ـ كتاب بالفرنسية عن الفيلسوف ديكارت .
٢ ـ الف سنة من العزلة (رشيد بوجدرة) .
٣ ـ ديوان الفيتورى ـ المجلد الثالث .
٤ ـ .....
٥ ـ .....
٦ ـ ايران من الداخل (فهمى هويدى) .
٧ ـ السريالية فى مصر .
٨ ـ مسرحية (لاتوجد) ، فيلم (زوجة رجل مهم) ، مسلسل ليالى الحلمية) .
٩ ـ .....

١٠ـ اعادة طبع كتبى القديمة « امبل فى خطــــر » ، « الموســـوعة الاشتراكية » .

محمد جلال

١ ـ توفيق الحكيم وأسطورة الحضارة (د. ناجى نجيب) .

٢ ـ زهر الليمون (علاء الديب) .

٣ ـ قصيدة لأمل دنقل تقول : من قال لا .. فلم يمت .

٤ ـ الفن والحرب (جمال قطب) .

٥ ـ لم أقرأ بعد الكتاب الذى يناقش الافكار التى يتبناها التطرف .

٦ ـ تاريخ المصريين (سلسلة يحررها د. عبد العظيم رمضان

٧ ـ معرض انجى أفلاطون .

٨ ـ ع الرصيف (نهاد جاد) ، البيه البواب (فيلم) ، على الزيبق (مسلسل) .

٩ ـ أن تورق أحلام وزير الثقافة فاروق حسنى أعمالا تبدأ بالاوبرا حتى تصل الى أصغر قرية مصرية .

١٠ ـ انتهى من كتابة رواية جديدة اكمل بها ثلاثية : عطفة خوخة، قهوة الموردى ، فرط الرمان .

محمد عودة

١ ـ رسائل الى بورقيبة (محمد مزالى) .

٢ ـ رواية بريطـــانية حازت على جائزة أحسن رواية لعام ١٩٨٧ حول مصر ابان الحرب العالمية البريطانية لمؤلفة من مواليـــد مصر .

٣ ـ أشعار عبد المعطى حجازى .

٤ ـ الشيخوخة لكاتبة مصر الاولى لطيفة الزيات .

٥ ـ « الاســـلام والثورة » للكاتب الهندى أصغر على انجنير .

٦ ـ اعادة البنـــاء والتشـــييد لجورباتشوف .

٧ ـ معرض انجى أفلاطون .

٨ ـ العســل عسل والبصــل بصــل (مسرحية) ، بلاتون (فيلم) ، الكتـــابة على لحم يحتـــرق (مسلسل) .

٩ ـ أن تبدأ الثقافة من القاع والا تقتصر على المدينـة وأن توزع بالعدل على المواطنين .

١٠ـ كتابة ثلاثية تاريخية حـــول الثورة العربية ـ ثورة ١٩٣٩ ـ ثورة ١٩٥٢ .

محمود أمين العالم

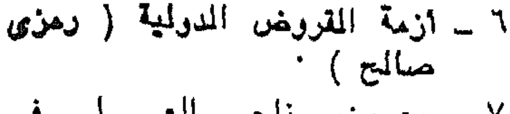
١ ـ الاسلام والحداثة (عبـــد الله المداوى) صدر بالفرنسية

٢ ـ مدن الملح (عبـــــد الرحمن منيف) .

٣ ـ انت واحـدها وهى أعضـــاؤك انتثرت (عفيفى مطر) .

٤ ـ النص كموضـــوع فلســفى (بالفرنسية) .

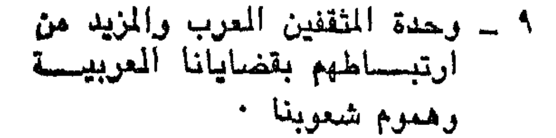
٥ ـ .....



٦ ـ أزمة القروض الدولية (رمزى صالح) .

٧ ـ معرض ناجى العسلى فى المتجمع .

٨ ـ مسرحية « قضية قديمة » للفرنسى روبير حسين ، اليوم السادس (فيلم) ، عصفور النار (مسلسل) .



٩ ـ وحدة المثقفين العرب والمزيد من ارتباطهم بقضايانا العربية وهموم شعوبنا .

١٠ـ الانتهاء من كتابين أحدهما عن الشعر والاخر عن القصة .

مصطفى بهجت بدوى

١ ـ اللوبى الاسرائيلى فى الكونجرس (كتاب أمريكى) .

٢ ـ حديث شخصى (بدر الديب) .

٣ ـ قصيدة فى تحية مصر للشاعر العراقى عبد الرازق عبد الواحد

٤ ـ فى صالون العقاد (أنيس منصور) .

٥ ـ وثائق الرد على البهائية (د. بنت الشاطىء) ، الفاروق عمر (عبد الرحمن الشرقاوى) .

٦ ـ السلام الدامى (محمد ابراهيم كامل) ، من قتل حسن البنا (محسن محمد) .

٧ ـ معارض لوحات الفن التاثيرى لا التجريدى .

٨ ـ ٢ تحت الارض (مسرحية) ، عودة مواطن (فيلم) ، ليالى الحلمية (مسلسل) .





محمود امين العالم   مصطفى بهجت بدوى

٩ ـ منذ عام ١٩٥٢ اتمنى حملة فعالة لمحو الامية .

١٠ـ الانتهاء من كتاب « هكايات سبتمبر ٤٢ » ، اصدار ديوانى الثامن .

مصطفى عبد المعطى

١ ـ مصر فى عيون الغرباء (ثروت عكاشة) .

٢ ـ رأفت الهجان (صالح مرسى) .

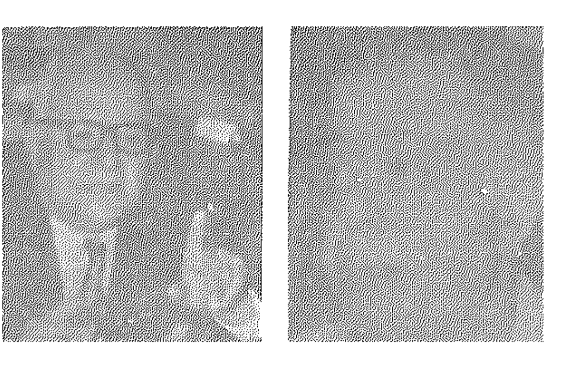
٣ ـ قصيدة شهوة تتقدم فى خرائط المادة (أدونيس) ، قصيدة سلوان (فاروق جويدة) .

٤ ـ شخصية مصر (جمال حمدان) .

٥ ـ قبل السقوط (فرج فودة) .

٦ ـ ملفات السويس (محمد حسنين هيكل) .

٧ ـ معرض فن النحت المصرى المعاصر ـ منظر للفنان الايطالى جنتليتى .



محمد عودة　　　يحيى حقى

٨ ـ ايزيس (مسرحيـــة) ، صيف بيكاسو (فيلم) ، الحـــــرب (مسلسل تلفازى) ٠

٩ ـ أن تشـارك المؤسسات فى مصر فى النشاط الثقافى ٠

١٠ـ معرض لاعمـــالى فى التصوير فى نهاية مارس القادم ٠

● د٠ هشام ابو النصر

١ ـ ملفات السويس (لمحمد حسنين هيكل) ٠

٢ ـ اللجنة لصنع الله ابراهيم ٠
٣ ـ « تلك الايام » لبهيج اسماعيل ٠

٤ ـ هناك كتب كثيرة ٠
٥ ـ محمد رسول المصـــرية لعبـــد الرحمن الشرقاوى ٠
٦ ـ التطـــرف الدينى من يونيـــة ١٩٦٧ لعادل حمودة ٠

٧ ـ معرض جرافيت ٠

٨ ـ (مسرحية) : ابن البلــــد ، للدكتور عبد العزيز حمودة ٠
(فيلم) : لا يوجد ٠

(مسلسل) : ليالى الحلمية ٠
٩ ـ الا يستمر الكساد الفنى الـذى عرفناه فى عام ١٩٨٧ ، وتدخل الدولة لمساعدة المثقفين والثقافة خاصة فى السينما والمسرح ٠
١٠ـ فيلم « جبل ناعسة » عن رواية لمصطفى نصر ، فيلم « الفخ » عن رواية لاحمد يونس ، واعداد لافلام آخرى منها « المراهقون » و « يحدث فى مصر الان » عن رواية يوسف القعيد ٠
١ ـ ليلة زفاف بنت الرئيس (حسن عبد المنعم)

● يحيى حقى

٢ ـ الليل ٠٠ الرحم (محمد روميش)
٣ ـ ٠٠٠
٤ ـ ٠٠٠
٥ ـ ٠٠٠
٦ ـ ٠٠٠
٧ ـ ٠٠٠
٨ ـ ٠٠٠
٩ ـ ان تتحول حالة الركود النسبى التى نشعر بها الان الى يقظة ســـواء من جانب النقـاد أو المبدعين ، وان يتوالى سطوع الانوار التى بدأت تظهر نجومها فى سمائنا ٠ وينبغى موالاة تشجيعهم والمراهنة عليهـــم ، وأتمنى ان يحـظى باب عرض الكتب بايجاز وباب عرض الكتب باسـهاب بجمال أوســـع فى وسائلنا الاعلامية كالصـــحف والاذاعة والتليفزيون ٠
ولا أريد أن يصدر كتاب واحـــد دون أن يرد له ذكر فيها مع ذكـر اسم الناشر والثمن ، وحـــبذا لو اضيفت على هذا الباب اسماء بعض الكتب الهامة التى صدرت حديثا فى مختلف اقطار العالم العربى



رأى فى الثقافة

سوق الألقاب الرخيصة

شاعت وانتشرت في حياتنا الثقافية هذه الايام القاب لا حصر لها ، ان دل شيوعها على شيء فانما يدل على غيبوبة الوعي العام وغياب النقد الجاد الذى يقيم الخبيث من الطيب ويضع الامور فى نصابها الصحيح ويوضح مراتب الناس والكتاب منهم بصفة خاصة ٠

واخطر واكثر هذه الالقاب التى يمنحها من لا يملك لمن لا يستحق لقب الكاتب الكبير الذى اطلقه البعض على شاب فى عشرينيات العمر لم يكن قد نشر بعد كتابا ، ومنحه البعض الآخر لكاتب من كتاب الدرجة الرابعة الذين لم نر ناقدا جادا أمال رأسه ناحية أعماله حتى ولو « بشتيمة » ، ومنحه البعض الآخر لكاتب كل افضاله انه قدم سلسلة من أحط واخس مسلسلات السينما التجارية الرخيصة التى سيلعن الناس عصرنا لانها انتشرت وشاعت فيه ، ومنحها البعض الآخر لموظف فى أحد دواوين الحكومة قبع فى غفلة من الزمن على جهاز للنشر ، فامتلك على الناس قدرة المنع والمنح ٠

هل سيمتنع الناس عن المشاركة فى هذه الهوجة بالكتابة عنها ؟ لا نظن ، كل ما نرمى اليه بمثل هذه الكلمة أن نسجل الشهادة ، لان أغلب الناس أضحوا بلا ثقة فيما يكتب أو يقال ٠ ما هى اذن الا كلمة للتاريخ ، لان الشيء الوحيد المتوفر الان هو النواح على الماضى والحاضر ، ربما من أجل التاريخ وللتاريخ فقط ! ٠٠

عبده جبير

تليفزيون

امسية ثقافية مع السيد ياسين

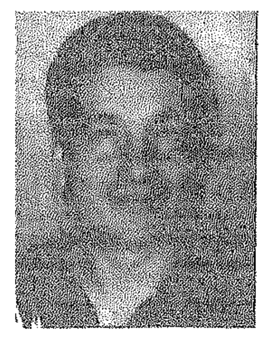
لا شك انها كانت واحدة من أهم الامسيات الثقافية التى يقدمها فاروق شوشة أسبوعيا ، مثل هذه الامسية تساهم بحيويتها التى نكاد نفتقدها فى بعض الاحيان ، حينما تستضيف الوجوه المعادة من دكاترة الجامعة العواجيز ٠





● « ابن البلد » والجرائم المسرحية

● افتتح المسرح القومي موسمه الشتوى بعرض مسرحية « ابن البلد » عن نص « الظاهر بيبرس » للدكتور عبد العزيز حموده واخراج أحمد زكي. والعرض كما يشير اسمه الاصلي يتخذ من سيرة بيبرس مادة لتناوله المسرحي .. وبعيدا عن الدخول في قضايا المسرح التاريخي أو التراثي ، يمكننا في البداية ان نزعم بديهية بسيطة فحواها : ان الفن لا يمكن أن يكون بديلا عن التاريخ أو عن أي شيء آخر ، لانه - ببساطة - فن له معطياته وقوانينه المختلفة عن كل ماعداه . فاذا كان الظاهر بيبرس بطلا مظفرا حقق انتصارات كبيرة لشعبه ولامته ، فيمكننا من خلال الفن أن نفترى على التاريخ ونكذب على الناس ونراه - كما نحب - خائنا وفاسدا ومعزولا عن الجماهير ، أقول يمكننا ذلك ، شريطة أن يصبح لكل هذا ضرورة فنية وقيمة فكرية تجب الحقيقة التاريخية في الاهمية . ومسرحية « ابن البلد » التي تبدأ بتغيير الاسم الاصلي ، تعتمد في معطيات بنائها على عدة محاور ، أهمها محور السلطة الذي يمثله الحاكم المنتصر بيبرس الذي يريد الانفراد بالحكم غير أبه بالشرعية ،وفي مواجهته محور الشعب الذي يجسده البطل الشعبي عثمان بن الحبلي الذي سانده في انتصاراته وأراد مشاركته الحكم بحثا عن تحقيق حلم العدل والحرية للشعب . وأخيرا وليس آخرا محور الفن في قلب كل هذا ويعتليه الفنان الشعبي صاحب المقامات التي كان يدور


فاروق شوشة

لكن هذه الامسية التي جرت مع السيد ياسين كانت من الحيوية والاهمية مما يدفعنا الى دعوة مقدم البرنامج للسير في الطريق ، وتضفير الحلقات بمثل هذه الوجوه الجادة من مفكرينا الذين لم تنته بضاعتهم بعد ، ولديهم ما يقولونه للمشاهدين من المهتمين بالثقافة الذين يكاد الملل يقتلهم من المسلسلات والاغاني والرقص المجاني الذي هو لا بالفن ولا حتى بالتسلية .

كان قول السيد ياسين في هذه الحلقة الهامة عن أن الثقافة لم تعد « هواية » للمثقفين وانما ضرورة لتنمية المجتمع ، وانه لا خلاص لمجتمعات العالم الثالث دون برنامج واضح وصارم من اجل العودة الى ادراك اعتبار الثقافة أهم وأدل الخطوات الجادة للخروج بها من المأزق الكبير الذي تعيشه ، كان هذا القول وغيره مما جاء في هذه الامسية الهامة دليلا قاطعا على أنه لم يزل بيننا ، خاصة من بين العاملين بالكتابة السياسية ، من هم في عداد الاحياء ، وسط وجوه كثيرة يعلوها الاصفرار وترتسم على ملامحها البلاهة .

ولا نملك حيال مثل هذه الامسية الهامة الا المطالبة باعادتها والاعلان عنها بشكل بارز في حلقة تسبقها .

بها فى الاحياء الشعبية وراء حيلـه المسرحية البدائية ·

هذه المحاور الثلاثة يمكن اذا أحسن استخدامها أن تصـنع بناء مسرحيا سامقا وتخلق صراعا لا يهدأ وتحمل أفكارا وآراء جديدة ، يمكنها بالتـالى ان تبرر للمؤلف سبيله لتزييف التاريخ ولى عنق الحقائق ·

ولكنـك تفـاجأ أن المؤلف لا يتعب نفسه بصنع شيء مما وقع عليـه من شخصيات ، يمـكنه ـ ان اراد ـ أن يخلقها خلقا ، فتحيا وتتصارع ، أو من هذه اللحظة التاريخية الخصبة ، ولا يشغل فكره بكشف أغـوار كل هذا ، وتكتشف أن سـعيه للتاريخ ليس الا مجرد حلية يتخفى وراء منمنماتها لـكى يغرقنا بآرائـه الشخصية فى قضـية الحـكم ، انه يأخـذ من الشخصـية قشورها وشكلها الخارجي ويبقى عـلى الاسماء والمعانى المجردة ، ويسـوق على لسانها كل ما يريد أن يقوله وكأننا فى محاضرة ، ولا يتورع أن يستنطق الشـخصية بما يراه وبما يعيه هـو ويفهمه ، ومع الاختلاف المفروض بـين الشخصيات تجد الجميع يتحـدث نفس الحديث بنفس المنطلقات ، اذ تصـبح الشخصية بوقا له يريد ان يقـول من خلالها رأيه كمؤلف وهو : أن الحـاكم الفرد لا يمكن أن يصنع شيئا بمفـرده وبمعزل عن جماهيره ، حتى ولو كـان مثل بيبرس بانتصاراته الساحقة ·

وهذا كلام جميل حقا ، يمكنـه أن يفيد لحظتنا الحاضرة مما يضفى بعض المعاصرة على القضية القديمة ، ولكننا هنا لا نستخلص هذا الكلام من الدراما الحية ، ولكن من عبارات تلقى هنـا وهناك ، يسوقها المؤلف بعد ان بسدد وقته ووقتنا بشكل مباشر وسط كلمـات متتابعة عن حب مصر والعمل من أجل مصر ·· الى أخر مولد الغناء السـقيم الذىافتتحه د· رشاد رشدي بمسرحياته فى مطلع السبعينيات ولم ينفض بعد !

والمؤلف يبرر قلة حيلته فى « نشرة العرض » بتصريح يرفض فيـه مسرح التطهير الزائف الـذى يشحن المتلقى ويستفزه ، اذن هو يريد ان يقدم مسرحا للتأمل ، لا بأس ··وتبحث أنتفىنص المؤلف عن شيء يدعو للتأمل فلا تجـد الا الرثاء ، فأكداس الكلمـات هى التى تلاحقك ، وهو لا يفتأ أن يضـعـها ـ أيضا ـ وسط مزاعم « المعطيـات القومية لتطوير شكل مسرحى قومى » ـ وهذا نص كلماته !! ـ فهو يضع رأيـه غير المسرحى على لسان شخصـيات نمطية ، ويحشو نصه بنقل أبواب كاملة لشمس بن دانيال وتجسـيدات لخيـال الظل والاعيب للاراجوز ورواة وغنـاء شعبى ورسائل الى بيبرس ـ يسـتغرق القاء احداها على المسرح ربع سـاعة كاملة ! ـ الى آخر هذه المخزعبـلات التى يتشيع لها كرادلة الهوية المفتقدة للمسرح المصرى ·

وأسوأ ما فى هذا الاتجـاه الـذى يتبناه المؤلف ، والممتد من السبعينيات حتى الآن ، هو تعلقه كغيره فى معظم الاعمال التى تكتب على هذا النحـو بشخصية عاهرة ، فيها كل الصـفات المنحطة والوضيعة ، نجدها كغيرها من الشخصيات تبرر كل تصرف لها باسـم مصر (!!) وقد تتعجب من هذا ، ولـكن يزول تعجبك حين تقرأ كلمة المؤلف : حبى لا يعرف الحدود لمصر ولكل ما هو مصرى !·

أيوجد أكثر من هذا امتهانا وابتذالا للكلمة ؟·

ناهيك بعـد كل هـذا عن التأثرات الكثيرة واللافتة للنظر بالدرامـا الشكسبيرية ـ وخاصة فىتكنيك المشهد، وكذلك النقل دون تنقيح لبذاءات الفن

الشعبى القديم ، فتفاجأ باباحية ممجوجة لا ضرورة فنية لها ، وبالفاظ تخدش حياء المتفرج .. فما بالك وهذا يجرى على خشبة المسرح القومى ومن خلال مخرج لا حول له ولا قوة ، ولا يمتلك رؤية واضحة ومحددة ، اذ تختلط عليه فى العرض عدة مدارس اخراجية ، وظهرت موهبته المحدودة فى القص واللصق الذى لم يقم بشىء غيره ، وانحصرت حركة الممثلين – كما فى معظم أعماله – فى التجوال والفسحة على خشبة المسرح ، بلا معنى أو هدف، وهو يزيد من هذا اذ يجمع الرواة الشعبيين لكى يقفوا صفا واحدا فى مقدمة المسرحكلما عنله ذلك لكىيرووا السيرة البيبرسية فى ايقاع مميت يأخذ بكل شىء ، ان كان هناك شىء ، ومعه مهندس ديكور انجليزى ، صمم ديكورات تلتهم ثلاثة أرباع خشبة المسرح ، فى معنى تشكيلى يبتعد عن الرؤية المسرحية والروح المصرية والفهم لطبيعة الحى الشعبى والقلاع المملوكية – وبعد هذا يتحدثون عن الهوية ! – ومعه طاقم ردىء من الممثلين ، يتبارون فى التشنج والزعيق ، ولا يعرفون ضمن ادواتهم ما يسمى بضبط الانفعال، فالكل يصرخ فى وتيرة متصاعدة استجداء لتصفيق جمهور واجم منصرف الى « افيهات » لفظية وجنسية وحركات مبتذلة ومعهم مسخ مشوه الصقوه بممثل قزم صار وجوده مع اقرانه موضة المسرح فى السنوات السابقة ..

والخلاصة أن هذا العرض فى مجمله ليس الا روشتة ناجحة فى اصابة المسرح المصرى بعاهة مستديمة ، وانه محصلة جيل افقد المسرح دوره وعليه ان يحمل أوراقه ويرحل بعيدا عن المسرح .

محمد الشربينى

• فن تشكيلى

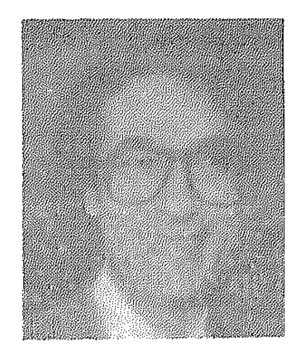
• ماذا اصاب بينالى الاسكندرية

لم تعد زيارة بينالى الاسكندرية يصاحبها المتعة التى تنتاب المشاهد عندما يهم بدخوله، فلا شك أن «الخطاب يبدو من عنوانه » هذا المثل القديم الشهير الذى ينطبق تماما على مدخل متحف الفنون الجميلة بالاسكندرية ، فتحس معهأنك تدخل الىمصلحة حكومية لا تملك شيئا سوى حطام زرع تحول لونه من الاخضر الى « الترابى » ..

كنت أتوقع عند زيارتى للبينالى فى دورتهالسادسة عشرة أن أجد فى صدارة المعرض صورتين للراحلين حسين صبحى رائد الحركة الفنية بالاسكندرية والاب الروحى لها والراحل كمال الملاخ الذى كان له اكبر الاثر والتشجيع لفنانين اصبحوا الآن فى قمة الشهرة ويتقلدون مناصب راقية ، لكن المثل القائل « البعيد عن العين بعيد عن القلب » هو السيد الان ..

وتتوالى المفاجآت داخل صالات البينالى بدأية من اضاءات لا تفى بأى

فاروق حسنى وزير الثقافة



غرض وانتهاء بعدم العنـــاية بحسن الاخراج الفنى والخلفيات ·· وقديكون هذا التقصير من جهات عديدة لا جهة واحدة بعينها ، لكن فى النهاية هـــو المظهر العام لكل زائر للبينالى ·
وبداية فقد بهرتنى أعمال الفنـانين الأسبان ، ليس ابهار العمل الفنى الذى يحترم عقلية المشاهد ولكنه ابهـــار المساحة الكبيرة التى تصدم الفنـــان المتخصص نفسه ·

وبرغم أن الف باء البينالى ـ أى بينالى ـ الحداثة والتجـديد فــانني لم ألحظ هذا الجديد·· اللهم الا بعض الأفكار السانجة التى تستخف بعقـول المشاهدين القليلين جدا ، والذى أطفأت السيدات الموظفات بمتابعـــة الزوار الأضواء قبل الانتهاء بنصف ساعة أى فى الثانية عشرة والنصف ظهرا ، وكان يوما فى منتصف الأسبوع ·

مررت مرور الكرام على أجنحـــة فرنسا ويوغوسلافيا والبانيا وقبـــرص وخلافه ·· حتى جناح مصر وهـــو الجناح الرئيس بالدور العلوى لم يلفت نظرى شىء جديد ·· لوحـات مكررة ، وأسماء مكررة ومقررة ·

تمنيت فى ختام جولتى للبينــالى ، أن يتنبه ابن الاسكندرية الفنان التشكيلى فاروق حسنى وزير الثقافة الذى لـــم يعمل يوما واحدا فى سلك التـــدريس الجامعى ، أن يتنبه ويستعد للبينـــالى السابع عشر من الآن بنظم جـــديدة ، وقوانين مرنة ، تتيح الفرصة لشـبان عديدين من الفنانين الذين لم تتح لهم فرصة العمل فى التدريس بكليات الفنون ·· لأخذ مواقعهم على خريطة البينالى القادم ·

عادل ثابت

▪ رسائل جامعية

● الدعاية الانتخابية والنظام السياسى

نوقشت بكلية الاعلام رسالة دكتوراه عن(وسائل وأساليب الدعاية الانتخابية فى النظم السياسية المختلفة) ، للباحث صفوت العالم · تناولت الرســـالة أساليب الدعاية الانتخابية مع التطبيق على انتخابات مجلس الشعب الكويتى فى فبراير ٨٥ ، وانتخابات مجـلس الشعب الهندى فى ديســـمبر ٨٤ ، وانتخابات الرئاسة الأمريكية فى نوفمبر ٨٤ · ثم أعقب ذلك بدراسـة حالة عن انتخابات مجلس الشـعب المصرى فى مايو ٨٤ ·
وناقش الباحث د · محمـــد علـى و د· على عجوة الاستاذان بقسم العلاقات العامة بكليـة الاعـلام ، و د · السـيد عليوة وكيل كلية التجارة بجامعـــة حلوان ·
وفى معرض تناول الباحث لانتخابات مجلس الشعب المصرى ـ عام ٨٤، كان من أهم ما استوقفه الشعارات التى خاض بها حزب العمل الانتخابات السابقة اذ ركزت فى معظمها على اعتبار الحـزب امتدادا لحركة مصر الفتاة ، واعـلان الحزب فى ندواته وملصقاته تمســكه بالاشتراكية كنهج ومبدأ والتاكيد على التلازم بينها وبين فكر حركة مصـــر الفتاة · أيضا اهتم حزب العمـــل بالتاكيد على ارتباطه بثورة يوليو ·
وعن الانتخابات الكويتية أكـــدت الدراسة على ملامح المجتمع القبـــلى الذى يبدو واضحا فى الكويت ومـدى تاثير ذلك على العملية الانتخابيـــة · فتصبح مسألة العلاقات الاجتماعيـــة والاقتصادية هى الأهم بالنسبة للمرشح ،

الذى يقيم الولائم تدعيما لعلاقاته تلك، نظرا لتأثيرها الكبير فى المجتمعات القبلية حيث تسود القيم العربيةالقديمة من ايثار الكرم والفخر بالانساب ٠ وأكبر دليل على ذلك هو ذكر الاسم الرباعى للمرشح ، لمساعدة الناخبين على معرفة الأصول القبلية للمرشح ٠

أما المناقشة فقد بدأها د ٠ على عجوة بأن أخذ على الباحث اعتماده فى تعريف الدعاية ، على مراجع قديمة وغير متخصصة ٠ وقال ان الدعاية وتعريفها العلمى الحديث يعتمدان أساسا على كون الدعاية وسيلة رئيسية للاستمالة والاقناع وأصبحت اليوم علما كاملا له مناهجه وأسسه وأساليبه ٠

وقال د ٠ على عجوة أن الرسالة لم توضح موقف الصحف المسماة بالقومية من الاحزاب المختلفة فى الانتخابات، وعما اذا كانت قد اتسمت بالحياد فى النشر عن الاحزاب المختلفة أم أنها اقتصرت على الدعاية للحزب الحاكم ٠ وقال د٠ على عجوة أن هذه المسألة الهامة كان يجب أن يتنبه اليها الباحث فى رسالته ٠

وعن اقتراح الباحث بانشاء صندوق قومى لتمويل الدعاية الانتخابية للأحزاب ، حتى يكون هناك تكافؤ بين كل حزب وآخر ، قال د ٠ على عجوة أن هذه الفكرة لا تلائم مجتمعنا، لأنه يصعب بدقة تحديد الوضع المالى لكل حزب ٠

وبدأ د ٠ السيد عليوة مناقشته للباحث قائلا انه موضوع غير تقليدى وهام فى نفس الوقت ، لأنه يتناول أزمة الديمقراطية البالغة التعقيد لاحتوائها على مجموعة عناصر، تناول **الباحث واحدا منها ٠**

واتفق د ٠ عليوة مع ما قاله د٠ على عجوة فى أهمية توضيح موقف الصحف القومية ، ومدى انحيازها للحزب الوطنى الحاكم أثناء الانتخابات٠

وأخذ د ٠ السيد عليوة على الباحث غياب منهج التحليل المقارن بين أنظمة الانتخابات المختارة كعينة للدراسة ، وأيضا غياب المقارنة بين أساليب الدعاية الانتخابية المختلفة فى وسائل الأعلام مثل التليفزيون واللافتات والملصقات والندوات وغيرها ٠

ثم تساءل د ٠ عليوة عن سبب اختيار الباحث للنظم الانتخابية فى كل من الهند والولايات المتحدة والكويت للدراسة ٠

وفى النهاية ناقش الباحث د٠ محمد العوينى المشرف على الرسالة ، فأثار بمناقشته عددا من القضايا الهامة ٠ وقال ان أهمية الدراسة تكمن فى أنها بالاضافة الى تحليلها للواقع المحلى للنظام الانتخابى ، فانها لم تغفل البعد الدولى للنظم الانتخابية ٠

وعن أسباب اختيار الباحث لدراسة النظم الانتخابية فى كل من الهند والكويت والولايات المتحدة ، قال د ٠ العوينى لأنها نماذج غير تقليدية ورائدة على الأقل بالنسبة للهند والكويت ـ وان لم تكتمل فيها التجربة الديموقراطية ـ ولكنها دولة صغيرة لديها العديد من العناصر البحثية التى يمكن تطبيقها على بلاد أخرى ٠فأحيانا يحتاج الباحث الى عينة صغيرة لدراستها وتحليلها٠ أيضا جاء اختيار الكويت لانها نموذج لنمو حجم التجربة الديموقراطية بها ـ فى فترة معينة ـ بالمرغم من انخفاض عدد سكانها ـ والذى كما قال د ٠ السيد عليوة ـ انهم فى مثل عدد سكان دائرة انتخابية واحدة فى مصر ٠

وأضاف د٠ العوينى ، أما الهند فتم اختيارها لتجربتها الرائدة بالنسبة لدول العالم الثالث فى مجال الانتخابات ٠ **اذ تشكل فى الهند لجان انتخابية**

مكونة من هيئة مستقلة من القضاة يشرفون على الانتخابات وينظمونها تنظيما دقيقا .

فالانتخابات فى الهند تخضع لنظام صارم ، يحرم الرشوة ، وانتحال شخصية الناخبين واكراههم على انتخاب مرشح معين . وهذا دون شك يفتح باب الأمل لنا فى دول العالم الثالث ، ويطرح للمناقشة قضية هامة للغاية .

وقال د . العوينى انه مما يحسب للباحث انه لم يبدأ بالنموذج الأمريكى نتيجة عقدة الانبهار التى عادة ما يقع فيها البعض .

ثم أشار الى نقطة هامة وهى عدم خضوع الانتخابات عندنا لنظام دعائى معين ، بل ان الدعاية الانتخابية لدينا تقوم غالبا على « الفهلوة » وبلا أسس علمية . نظرا لعدم الاعتماد على الخبراء فى مجال العمل الدعائى . وعن الانتخابات كقضية تتعلق بوجود رأى عام ، قال د . العوينى انه حتى اليوم لا نعرف فى مصر الاستفتاءات التى يمكنها قياس ميول وآراء الناخبين فى فترات مختلفة ، أيضا تنقصنا الاستفتاءات واستطلاعات الرأى عن فاعلية البرامج الانتخابية المختلفة ، ثم تنقصنا الاستفتاءات فى قضية هامة وتشغلنا كثيرا وهى مسألة احجام معظم ناخبينا عن الادلاء بأصواتهم فى الانتخابات .

ووجه د . العوينى نداء الى صناع القرار فى مصر وقال أن هناك حاجة ملحة للبدء بعمل استطلاعات الرأى ـ حتى وان رغبوا فى أن تبقى سرية ـ وقال انه شىء ضرورى وهام أن يعرف صناع القرار تأثير سياساتهم على الناس ، وعدم ترك مهمة اجراء هذه الاستفتاءات على « الآخرين » ..

وختم د . محمد العوينى مناقشته بقوله ان النظام الانتخابى الحالى فى مصر يساعد على التفسخ الوطنى والاجتماعى ، لأن نظام القوائم يعتمد على وضع مرشح على رأس القائمة ، غالبا ما يكون اعتماده على البعد العشائرى والقبلى .

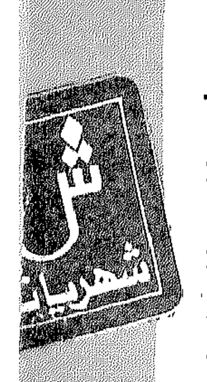
هبة عادل عيد

■ ندوات

● هوجولوتشر : ومشكلة اللغة فى الأدب الغربى . والسويسرى

تجىء أهمية الندوة التى عقدت فى الشهر الماضى مع الروائى السويسرى هوجولوتشر من خلال عدة نقاط تثير النقاش أولها السؤال ما هو السبب الذى من أجله يمكن لكاتب أن يزور بلدا آخر . هل للتعرف على أدب هذا البلد وأدبائه أم لتقديم نفسه . أم للاثنين معا .. بالنسبة للوتشر . فقد جاءت زيارته لهذه الأسباب جميعا . فهو مثل أقرانه من الأدباء السويسريين يعانون من تعتيم اعلامى شديد خارج حدود بلادهم . وذلك للازدواجية الشديدة التى يعانيها الكاتب فهو محاصر بين انتمائه لبلاده سويسرا . وبين لغة بلد آخر يتكلم بها ويعبر عنها . ويوجه أدبه فى المقام الاول لأبناء هذا البلد . بل انه يتعامل فى المقام الأول مع الناشرين فى هذا البلد . وعليه فان من الصعب أن نقول أن كاتبا مثل لوتشر ألمانيا لأنه سويسرى الجنسية والانتماء . لكن كتبه تطبع فى ألمانيا ويوزع جزء منها داخل الجزء الألمانى من سويسرا .. وعليه فهو شبه مجهول لأبناء وطنه الذين لا يقرأون بالألمانية .

وهذا هو حال الأدب السويسرى فى مجمله والذى يسمى بأدب اللغات الأربع



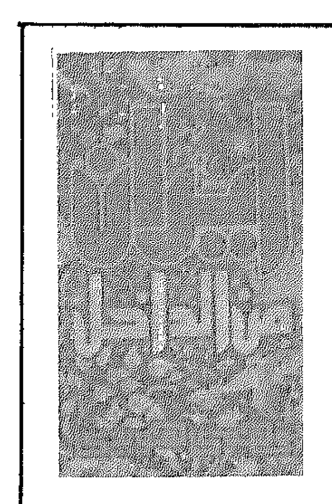
وهى الفرنسية والألمانية والايطاليـــة والانجليزية ٠ ورغم اجادة بعض الكتاب لهذه اللغات حديثا وكتابة ٠ فـــان الأدب له لغة واحدة فقط ٠ فلا يمكـن للوتشر أن يكتب روايته الواحدة بأربع لغات٠ أو أن يتعاقد مع أربعة دور نشر لنشرها وقد يجيء هذا عفـــوا عنـد نجاح احدى الروايات مثلما حدث فى مسرحيات فردريش درينمات ومـــاكس فريش ٠ الا أن لغة المسرح تختلف تماما عن لغة الرواية ٠٠ وعندما واجهـــت الكاتب ـ مولود عام ١٩٢٩ ـ بملحوظة أن الكاتب السويسرى معزول وغيـــر معروف بالمرة أخذ يحدثنى عن جسان جاك روسو ٠ وعـن كاتب فـــاز منـذ سنوات بجائزة جونكور الفرنسية٠دون أن ينفى أن العشرات من الأدباء الذين يتضمنهم كتالوج الادب الســـويسرى المعاصر مجهولون تماما خارج بلدهم٠ والسبب الرئيسى هـو اللغـة وليسـت القيمة الأدبية٠ والطريف هنا أن اللغات الأربع هى أكثر اللغات انتشارا فى العالم ٠

وحول اللغة واللهجات اســـتغرق الحديث ساعتين ونصف ٠ وكان مـن المفروض فى هذا اللقاء أن يتم الحديث حول نقاط أخرى ثلاث منها : الأشكال الأدبية التى أخـــذها الادب العربى الحديث عن الأدب الأوربى ٠ ومصادر الأدب العربى ٠ ثم الالتزام بالأدب ٠٠ ولكن الحوار الساخن حـــول الادب واللغة « أكل » الوقت وتضاربت الآراء التى عبر عنها كل من الكاتب الكبيـــر يحيى حقى وأدوار الخراط والدكتـــور صبرى حافظ ورضوى عاشـــــور ود ٠ فتحى عبد الفتاح ٠

من أغرب ما لاحظته فى النـدوة ٠ أن الأساتذة الكبار قد لا يجيدون ادارة ندوة محدودة العدد ـ رغم أهميتها ـ لا من حيث الموضوعات المطـــروحة والامساك بها ٠ ولا من حيث اللغـــة التى يمكن بها ادارة الندوة فقـــد تحدثت الندوة بلغات عربية والمانيـــة وفرنسية ٠ ثم جاء لوتشر بذكاء خارق ليدير الحديث بالانجليزية فاصـــبحت لغة الندوة فى النصف ساعة الأخير٠ بينما استهلكت عملية الترجمة أكثـــر من نصف الوقت ٠

محمود قاسم

مكتبة الهلال



الكتاب : ايران من الداخل
تـأليف : فهـمى هويدى
الناشر : مركـــز الأهرام ،
٤٠٨ ص ، ٧ ج م

« ليست قضية هـــذا الكتاب هى الدفاع عـن الثورة الايرانيـــة ، أو

ادانتها واتهامها ، وانما قضيته الأساسية وهدفه الأول هو محاولة فهم الذى يجرى هناك ، من خلال الاتصال المباشر والجهد الميدانى ، ودون وصاية أو وساطة ، فقد أزعم أن سلوكنا العام تجاه الحدث الايرانى فريد فى بابه ، لا هو مسبوق ولا هو ملحوق، وأزعم أن هناك قرارا ضمنيا يرفض أى نوع من المعرفة أو الفهم الموضوعى والمحايد لجريات ذلك الحدث الكبير ، الذى هز العالم فى عام ١٩٧٩، وقد رتب هذا الرفض حالة من الخصام والقطيعة ، لا للسياسة الايرانية ولا لرموزها ، ولكن للمعلومات المتعلقة بمجمل الوضع الايرانى ، من مصادرها الطبيعية الأمر الذى عزلنا بالكامل عن ادراك الحقيقة فى أى جانب من جوانب الواقع الذى استجد بعد الثورة » .

بهذه الجملة الخطيرة التى تعكس قضية من أخطر قضايانا ، بل يمكن القول انها انها أخطر أسباب تخلف العالم النامى ، يبدأ فهمى هويدى هذا الكتاب ، الذى هو أشبه بالموسوعة العلمية النابضة بالحيوية والدليل العلمى لفهم الوضع ومجريات الامور فى ايران ، وربما تكون هى المحاولة الاولى من نوعها فى هذا الاتجاه ، اتجاه أن نبدأ أولا بالتعرف على المعلومات الكاملة لاى حدث ، ثم تأتى أى خطوة تالية .

فى هذا الكتاب الفذ لا يأتى هويدى بالرأى والموقف مجردا من الاستناد للوقائع ، كما لا يكتفى بالوقوف عند الحدث ، بل هو يتتابع الجذور والاصول، ليتقدم بها فى تطورها الذى حدث بالفعل دون أن « يفتى » أو يخطب تلك الخطب الصماء التى تضلل الكاتب نفسه قبل قرائه .

فهمى هويدى يقدم لنا مرجعا مهما نرى خلاله بالفعل ايران من الداخل، ليس فقط من داخل الحدود ، وانما من داخل الايديولوجيا ومن داخل التاريخ ، الامر الذى يدفعنا للاعتذار عن قصور هذا التعريف المختصر على أن تكون لنا عودة للكتاب على صفحات الهلال .



الكتاب : الفن والحرب
تأليف : جمال قطب
الناشر : دار مصر للطباعة ـ ١٤٦ ص،

بعد رحلات طويلة ممتدة بين متاحف العالم والكتب واللوحات يتوقف فناننا المعروف جمال قطب صاحب الاسلوب المميز فى رسم أغلفة كبار كتابنا المشهورين والرسوم المصاحبة لابداعاتهم ليجمع حصيلة هذه العريضة الممتدة فى الزمان والمكان فى سلسلة من الكتب الفنية التى تصاحب فيها الكلمة الصورة ويبدأ فى نشرها بأول كتاب عن الفن والحرب .. الذى جمع

فيه أهم اللوحات العالمية التى استلهم فيها الفنانون حروب التاريخ ومواقف البطولة والاحداث الساخنة ، ليرسموها فى لوحات أصبحت من معالم الفن العالمى ·

وهنا لا يقوم الفنان بمجرد نشر هذه المستنسخات فقط بل انه يقوم بدرسها وتعريف القارىء بها وتبيان مواطن الجمال والعظمة فيها من جميع النواحى التى تشكل عناصرها الفنية ·

انه كتاب نادر من مكتبتنا العربية التى تفتقر الى أمثاله من الكتب الفنية الكبيرة التى تضم فى جنباتها اللوحات بالوانها الاصلية · ونرجو أن يتمكن الزميل الكبير من نشر بقية السلسلة حتى تعم الفائدة ·

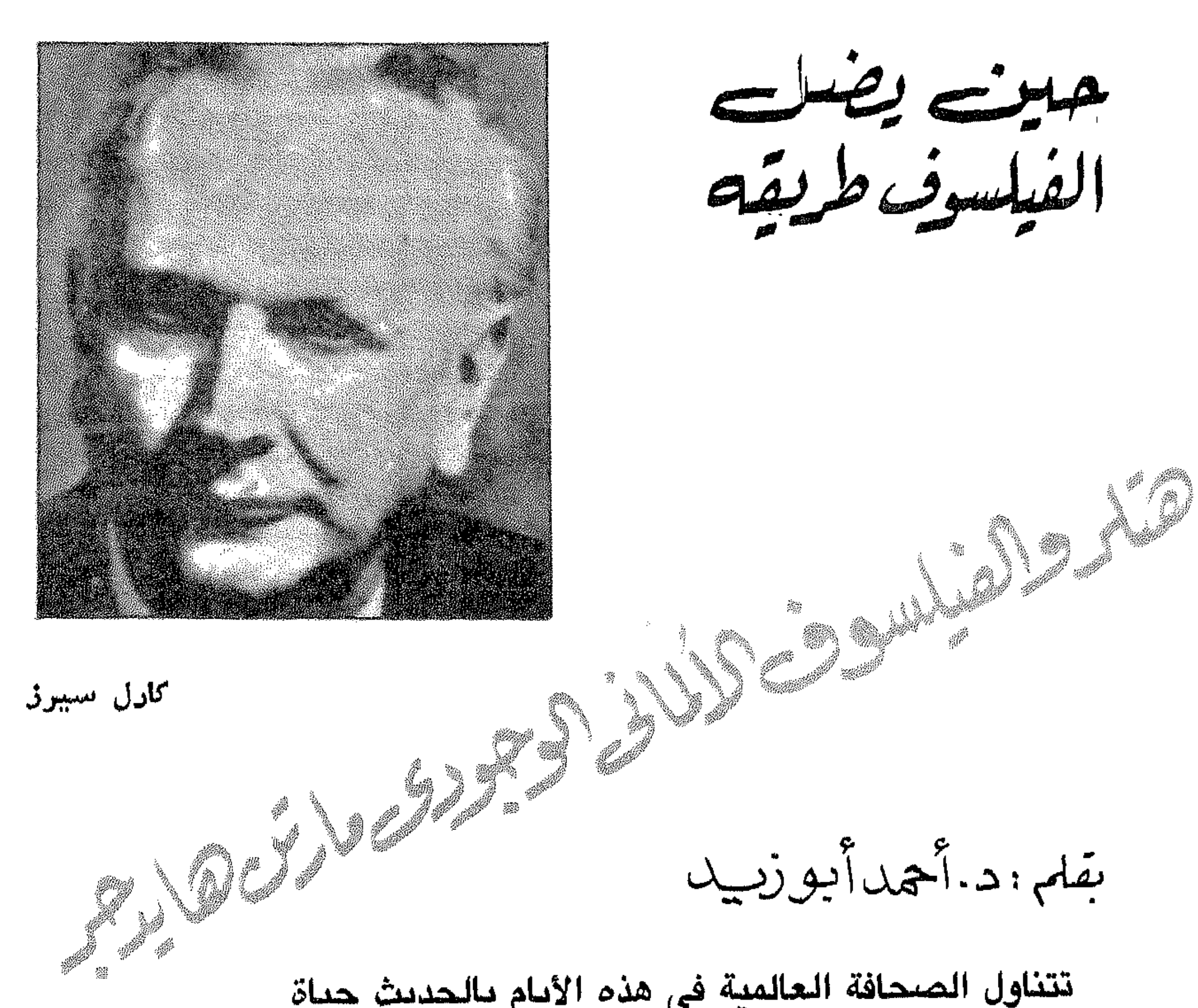
الكتاب : سوسيولوجيا الغزل العربى
تأليف : الطاهر لبيب
ترجمة : مصطفى المسناوى
الناشر : دار عيون ـ المغرب
١٩٢ ص ، ٣٥ د م



الطاهر لبيب مفكر تونسى وأستاذ علم الاجتماع بالجامعة التونسية ، والامين العام للجمعية العربية لعلم الاجتماع ، هو واحد من الباحثين العرب الجدد الذين يسعون الى فتح مجالات جديدة للبحث والدراسة · وكان قد صدر له من قبل كتاب اخر عن دار عيون المغربية بعنوان : « سوسيولوجية الثقافة »

ثم ياتى هذا الكتاب الذى كتبه الطاهر لبيب بالفرنسية وترجمه (للمرة الثانية بعد ترجمة أخرى صدرت له فى دمشق قام بها حافظ الجمالى) وهذه المرة يترجم الكتاب القاضى المغربى مصطفى المسناوى رئيس تحرير مجلة بيت الحكمة ، فى صياغة عربية رفيعة، ودقة علمية شديدة ، فالمترجم أيضا من هذه النوعية القليلة من الكتاب العرب الذين يركبون الصعب ويسعون للدقة ويعملون بجدية · على أى حال يدرس هذا الكتاب الشائق ظاهرة تفشت فى القرن السابع (الميلادى) ابان العصر الاموى اذ شرع عدد معين من الشعراء فى التغنى بالحب ، خارج القواعد المحددة حتى ذلك الحين، وتغنوا بما يسميه المؤلف بالحب العذرى والحب المغامر ، ويسعى الى محاولة معرفة لماذا حصل هذا الامر فى الزمان والمكان وعلى حد ما قاله أندريه ميكل الكاتب الفرنسى فان الطاهر لبيب « أول من وضع اصبعه على هذه الحقيقة» الذى لاحظ أن نمط الحب الذى كان يتغنى به هذا الشعر الجديد ولد فى بعض القبائل التى قلصها التاريخ وهمشها الى حد بعيد ، والتى تساهم ، أو ساهمت قليلا ، فى الحركة الكبرى لتوسع القبائل العربية خارج الجزيرة العربية فى عقود الاسلام الاولى · انها دراسة شائقة تستحق الاهتمام والقراءة بتمعن من باحث شاب يبشر بالكثير من العطاء ·

حين يضل الفيلسوف طريقه



كارل سبيرز

بقلم : د. أحمد أبو زيد

تتناول الصحافة العالمية فى هذه الأيام بالحديث حياة الفُيلسوف الألمانى الشهير مارتن هايدجر الذى يعتبره الكثيرون أبا للفلسفة الوجودية وأحد المفكرين الكبار الذين أثّروا فى فكر سارتر ولعبوا دورا كبيرا فى توجيه الفكر الأوربى خلال فترة طويلة من القرن العشرين ، ومع أن كتابات هايدجر لم تلق من الذيوع والانتشار مالقيته كتابات ومؤلفات غيره من الفلاسفة الوجوديين لغموض تفكيره فى كثير من الأحيان وصعوبة أسلوبه واستخدامه كثيرا من التعبيرات التى يصعب ترجمتها إلى اللغات الأخرى ، ومع أن بعض أفكاره تعرضت إلى كثير من النقد والهجوم بسبب (المنطق) ـ أو انعدام المنطق ـ الذى يكمن وراءها على مايقول بعض معارضيه ، فإن هذه الكتابات والأفكار ذاتها تعتبر احدى الركائز الصلبة التى قامت عليها الوجودية ، وإن كان هو نفسه يتنصل من هذه الفلسفة ويأبى على نفسه أن يوصف بأنه فيلسوف وجودى .

ويرجع هذا الاهتمام المفاجىء بفلسفة هايدجر وحياته الى ظهور كتاب جديد عنه يكشف ـ كما يقال ـ عن علاقة الفيلسوف بالنازية ويحاول التدليل والبرهنة على أنه كان من أشد أنصار الاشتراكية الوطنية والضالعين مع الحركة الهتلرية ، وظهرت إثر ذلك عدة مقالات فى الصحف والمجلات الفرنسية بالذات تهاجم الفيلسوف وفلسفته وتسخر منهما ، وكان من الطبيعى أن يتصدى إلى ذلك الهجوم بعض مشايعى فلسفة هايدجر فيتولون الدفاع عن الرجل الذى مات عام ١٩٧٦ ولم يعد قادرا بذلك على الدفاع عن نفسه بنفسه ، وتلقفت بعض الصحف العربية ـ كعادتها ـ هذه الأخبار وكتبت عن هايدجر وصلته بالنازية دون أن تدرى ـ فى الأغلب ـ أن القصة قديمة ومعروفة للجميع وأن الحلفاء كانوا على علم بها حين احتلوا ألمانيا وأن هايدجر خضع للتحقيق الدقيق وأن حياته وعلاقاته كانت موضع بحث وتدقيق ومساءلة وأن كل تلك التحقيقات الطويلة لم تسفر فى آخر الأمر عن شىء ذى بال ولذا لم يحرم الحلفاء الفيلسوف من حقوقه المدنية وان كانوا منعوه من التدريس بالجامعة لعدة سنوات عاد بعدها الى تلاميذه وإلى دروسه .

والظاهر أن بعض (الأصابع) كانت وراء إثارة المسألة من جديد بعد كل هذه السنين ، وقد يكون ذلك جزءا من الحملات الضارية التى يشنهـا يهود العـالم والصهيونية العالمية على كل من يرتابون فى أنه كانت له علاقة من قريب أو بعيد بالنازية كما حدث مثلا بالنسبة لمستشار النمسا كورت فالدهايم الذى يبدو أن قضيته لم تنته بعد ، ففى الأخبار الأخيرة جاء ان التليفزيون البريطانى خصص مليون جنيه استرلينى لاخراج برنامج تليفزيونى عن هذه القضية وأنه جند لذلك عددا كبيرا من الكتـاب والمؤرخين


مارتن هيدجر

والساسة والعسكريين لمناقشة الموضوع من كل جوانبه فى أسلوب درامى مثير ، وأنهم اتصلوا بكورت فالدهايم نفسه ليظهر فى البرنامج ، ولكن الرد على ذلك الطلب جاء « باردا كالثلج » ، حسب التعبير الذى استخدمته جريدة التايمز التى أوردت هذا النبأ منذ أسابيع قليلة ، ولن تكون قصة مارتن هايدجر على أية حال آخر القصص ، وانما هى مجرد حلقة واحدة ضمن مسلسل طويل يتتبع فيه اليهود أمثال هؤلاء الأشخاص بالمحاكمة أو القتل والاغتيال اذا لزم الأمر أو الاكتفاء بالتشهير وتلطيخ السمعة اذا كان الموت قد سبقهم وخطف منهم الفريسة .

ولكن من هو مارتن هايدجر الذى تقوم حوله كل هذه الضجة الآن ؟ وما أهميته فى تاريخ الفكر الفلسفى المعاصر ؟

● ● ●

ولد مارتن هايدجر فى عائلة كاثوليكية فى ٢٦ سبتمبر عام ١٨٨٩ فى مدينة صغيرة فى جنوب غربى ألمانيا . وقد تلقى تعليمه الجامعى بجامعة فرايبورج حيث تلمذ على يد الفيلسوف الألمانى الشهير دموتدهوسرل مؤسس المذهب الفينومنولوجى أو نظرية الظاهرانية كما يترجمها بعض الدارسين ، وقد أبدى هايدجر اهتماما خاصا بدراسة اللاهوت الكاثوليكى والفلسفة المسيحية فى القرون الوسطى ولذا كانت رسالته عن الفيلسوف الاسكتلندى الفرنسيسكانى دنز سكوتس (القرن الثالث عشر) وبعدها انخرط فى سلك التدريس بجامعة فرايبورج ، والواقع انه كان قد ابدى بعض الميول القوية نحو الدين منذ الصغر ، بل انه حين أنهى دراسته الثانوية التحق لبعض الوقت بالجزويت كما أن اهتمامه بالفلسفة يرجع ، هو ايضا ، الى أيام الدراسة الثانوية حيث قام بدراسة مركزة عن الفيلسوف الكاثوليكى فرانتس برنتانو (أواخر القرن التاسع عشر) وأدى به ذلك الى الاهتمام بالفلاسفة الاغريق السابقين على سقراط والذين كان يمتزج فى تفكيرهم الشعر بالفلسفة بالعلم وتؤلف كلها عندهم وحدة فكرية متكاملة .

● اتجاه للوجودية

كتاب هايدجر الأول والأساسى كان عن « الوجود والزمان » وقد صدر عام ١٩٢٧ وأهداه الى استاذه هوسرل ، وفى العام الثانى تقاعد هوسرل وشغل هايدجر الكرسى الذى كان يجلس عليه الأستاذ ولكنه لم يسر فى نفس الاتجاه الذى رسمه هوسرل ، فقد كان واقعا تحت تأثيرات فكرية وفلسفة أخرى هى التى أدت به الى الوجودية ، فقد كان هناك تأثير الفيلسوف الدينماركى الشهير سورين كيركجور الى جانب بعض التأثيرات من كتابات فيلسوف المانيا العظيم نيتشه ، والاثنان يعتبران من المبشرين بالوجودية والمؤسسين لها ، وبظهور هذا الكتاب الأول ارتبط اسم هايدجر بالوجودية ، وقد اهتم فيه بدراسة الوجود الانسانى على اعتبار أنه نوع أو شكل الوجود الذى يعرفه الانسان أفضل من بقية الاشكال أو الأنواع والصور الأخرى للوجود ، وكان هايدجر يحاول دائما أن يتخذ من الوجود الانسانى

« نافذة » يستطيع أن يطل منها على الوجود فى ذاته ، ولكنه لم يحاول ان يبين لنا بوضوح مايقصده من ذلك ، وعلى الرغم من غموض الكتاب وصعوبته فانه انتشر انتشارا كبيرا كما أن كثيرا من المصطلحات والعبارات التى تمتلىء بها كتابات الفلاسفة الوجوديين والتى ساعد سارتر بالذات على انتشارها استمدت فى الأصل من كتاب « الوجود والزمان » واذا كان عصر ازدهار الوجودية قد انتهى بنهاية الخمسينيات فان تأثير هايدجر ظل قائما ومستمرا وأخذ يزداد وينمو بعد فترة الخمسينيات ، وهو أمر غريب بالنسبة لمفكر عاش عيشة هادئة وتكاد تكون منزوية ومنعزلة ولاتتعدى نطاق الدراسة والتحصيل والتعليم .

ومع ذلك فان الوقائع تشهد بان مارتن هايدجر كان قد انضم الى صفوف النازية فى بداية ظهورها عام ١٩٣٣ ثم انصرف عنها بعد شهور قليلة وعلى التحديد فى شهر فبراير من العام التالى (١٩٣٤) وان كان هناك من الكتاب من يرى انه ظل على صلة بها حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

وليس من شك فى أن « الاشتراكية الوطنية » كانت قد جذبت اليها عددا كبيرا من المثقفين ، أول الأمر ، فلقد شاهد هؤلاء المثقفون الأوضاع المتردية فى أوربا بوجه عام وفى ألمانيا بوجه خاص فى أعقاب الحرب العالمية الأولى (الحرب الكبرى) وعاصروا التغيرات الجذرية التى طرأت على أنماط التفكير التقليدى ونوع البلبلة التى وقع ضحيتها عدد من كبار المفكرين والأدباء والكتاب بحيث انقاد بعضهم وراء بعض الدعاوى الايديولوجية البراقة التى لم تسفر فى آخر الأمر عن شىء ، كما أصبحت بعض النظريات الكبرى الراسخة تعتبر فى نظر الكثيرين (موضة قديمة) كما حدث بالنسبة مثلا لكتابات فيبر وترويلتش فى ألمانيا ، ووجد الأساتذة الشبان فى الجامعات الألمانية بعد موت أو اختفاء الأساتذة الكبار نوعا جديدا من الاثارة الذهنية فى أعمال لوكاتش وماكس شيلر التى أرست قواعد ما أصبح يعرف باسم (سوسيولوجيا المعرفة) ، وسيطر الشعور بالاغتراب على عقول بعض هؤلاء المثقفين ازاء هذه الأوضاع وأحسوا أن الطريق الوحيد للتخلص من ذلك الشعور المؤلم هوالبحث والتفتيش فى أعماق الذات والتعمق فى فهم الأمور على أمل أن يؤدى ذلك إلى ايقاظ روح الشعب والى ولادة المجتمع ولادة جديدة ، كما كانوا يرون ان كل المذاهب والبرامج الليبرالية والماركسية الشائعة لن تستطيع تحقيق ذلك الاحياء الجديد ، وعلى ذلك نظر الى الاشتراكية الوطنية على انها الملاذ الأخير الذى قد ينقذهم وينقذ المجتمع كله من الضياع .

ولقد تراجع كثير من هؤلاء المثقفين عن موقفهم حين أدركوا أبعاد الهتلرية التى كانت تتخفى وراء دعوى الاشتراكية الوطنية وان كان معظمهم لم يجاهروا بعدائهم لها وبذلك اعتبروا فى كثير من الأحيان ضالعين مع النازية أو على الأقل متعاطفين معها كما هى الحال بالنسبة لمارتن هايدجر ولكنه ربما كان من أخطر مايؤخذ على هايدجر فى ذلك هو تنكره تحت تأثير الاشتراكية الوطنية لأستاذه الفيلسوف الألمانى اليهودى إدموند

هوسرل . وهو موقف يكشف عن مدى الضعف الأخلاقى ولا يمكن التهوين منه رغم كل ماقد يقال عن أن تنكر التلاميذ لأساتذتهم مسألة شائعة وظاهرة تكاد تكون عادية فى كثير من الأوساط العلمية والأكاديمية .

● تأييد مطلق للفوهرر

وعلى أى حال فان استيلاء هتلر على السلطة عام ١٩٣٣ كان نقطة تحول رئيسية وخطرة فى حياة هايدجر ، فقد رحب الفيلسوف علانية ودون مواربة بمجىء الفوهرر وقيام الاشتراكية الوطنية واعتبر ذلك بداية عصر جديد لألمانيا ، وربما يكون هناك من المثقفين والكتاب والمفكرين فى ألمانيا من رفض النازية ولكنه آثر الصمت بينما حاول عدد قليل منهم مثل الروائى الكبير توماس مان أن يرفع صوته معربا عن عدائه لها كما آثر نيتشه النزوح لبعض الوقت الى سويسرا ، ولكن مارتن هايدجر ومعه عالم النفس التحليلى جوستاف يونج كانا من بين المثقفين الذين وجدوا فى أنفسهم الشجاعة للاعلان صراحة عن تأييدهم للاشتراكية الوطنية والسير فى ركابها ولو الى حين .

ولقد كانت الجامعات الألمانية ـ حتى قبل مجيىء هتلر الى السلطة ـ تعانى كثيرا من الضغوط والتوترات وتموج بالدعوة الى قيام نوع من الثورة الوطنية وتسيطر عليها روح الرفض والتنكر والمقاومة للأساتذة والعلماء اليهود بحيث كانت آراء وأفكار ونظريات هؤلاء العلماء تجد كثيرا من الاهمال أو النقد والهجوم ولم يسلم من ذلك أينشتاين نفسه ونظرية النسبية ، ووصل ذلك العداء الى الذروة تحت الحكم النازى بحيث ان مدير جامعة فرايبورج الذى كان يعارض النازية وعداءها لليهود وموقفها من حرية الفكر وجد نفسه مضطرا الى الاستقالة من منصبه احتجاجا على ذلك المناخ غير الصحى ، واختار الأساتذة هايدجر بالاجماع ليكون المدير الجديد للجامعة .

وجاء خطاب هايدجر الافتتاحى بمناسبة تعيينه رئيسا للجامعة تأييدا صريحا للنازية ، ووصل به الأمر الى حد التهجم على كثير من المبادىء الأكاديمية والثناء على الغاء الحرية الاكاديمية التى كان يرى انها تحمل فى ثناياها كثيرا من الأخطار وتهدد الروح المعنوية للشعب . ولكن من الانصاف مع ذلك ان نذكر أن هايدجر لم يختم خطابه بالشعار المألوف حينذاك والذى يتضمن تمجيد هتلر (هايل هتلر) وانما ختمه بعبارة من جمهورية أفلاطون هى « إن الأشياء العظيمة تتعرض الآن للخطر » . ومع ذلك فكثيرا ماكان هايدجر يشيد بالفوهرر وبالهتلرية فى أحاديثه وخطبه التى كان يلقيها فى مختلف المناسبات ، ويعزى اليه أنه قال فى احدى هذه الخطب : « إن الفوهرر نفسه ، وهو وحده ، يمثل حقيقة ألمانيا فى الحاضر والمستقبل كما أنه هو قانونها » . وعلى أى حال فإن الفترة القصيرة التى شغل مارتن هايدجر فيها منصب مدير جامعة فرايبورج كانت فترة مليئة بالخطب والأقوال والأحاديث التى تمتزج فيها ـ على حد قول أحد مؤرخى الفكر

المعاصر – مصطلحات الوجود والزمان بألفاظ وشعارات الأيديولوجيا النازية التى كانت تدور فى معظمها حول فكرة الدم والأرض .

ورغم هذا كله فإن من الصعب أن يقال ان فلسفة هايدجر الوجودية كان لها صلة بالنازية أو أنها أثرت فيها أو مهدت لها الطريق للانتشار والذيوع ، كما أنه من الانصاف ان نقول أيضا أن علاقة هايدجر بالنازية تدهورت أو على الأقل ضعفت وتراجعت بسرعة فائقة ، وانه لم يلبث ان هاجم الهتلرية بعد الحرب ووصفها بأنها انفجار تاريخى لمرض بنائى أصاب جسم البشرية ككل واعترف بأن التخلص من سموم النازية القاتلة ليس بالأمر السهل أو الهين وأنه سوف يحتاج الى وقت طويل .

★★★

والواقع ان مسألة علاقة هايدجر بالنازية كانت قد أثيرت على نطاق واسع منذ أواخر الحرب العالمية الثانية بحيث اضطر هايدجر الى أن يتوقف من تلقاء نفسه عن التدريس بالجامعة عام ١٩٤٤ ، وفى عام ١٩٤٥ خضعت هذه العلاقة والدور الذى لعبه فى الحركة الهتلرية للفحص والتحقيق الرسمى أمام محكمة شكلت خصيصا لذلك الغرض ، وقد انتهت المحكمة الى تصنيف هايدجر ضمن الفئة « الأقل مسئولية » عن أفعال الحزب النازى وجرائمه وان كانوا « متعاطفين » مع ذلك مع الاشتراكية الوطنية وهذا معناه أن هايدجر لم يكن عضوا عاملا فى الحزب النازى ولم يكن نشطا فى تنفيذ سياسته أو تحقيق أهدافه ؟ .

ولذا سمحت المحكمة له بالعودة الى ممارسة عمله بالجامعة والتمتع بكل حقوقه الوظيفية والمهنية ، ومع ذلك لم تسمح له سلطات الاحتلال (الحلفاء) بالعودة الى الجامعة الا فى عام ١٩٥١ وقد يظل يلقى المحاضرات والدروس حتى تقاعده عام ١٩٥٩ ، وكان لمحاضراته ودروسه فى تلك الفترة تأثير قوى وفعال إذ كانت تجد لها صدى فى أوساط المشتغلين بالفلسفة بوجه خاص فى ألمانيا ، بل ان تأثيرها تعدى حدود ألمانيا الى فرنسا باعتباره أحد أساطين الفلسفة الوجودية التى كان سارتر يحمل لواءها هناك ، فكأن موقفه عام ١٩٢٣ لم يؤثر تأثيرا جديا على مكانته وسمعته فى الأوساط الفلسفية ويستوى فى ذلك أتباع الفينومثولوجيا أو الوجودية وان كان ذلك لم يمنع بعض المفكرين من أمثال كارناب وكارل بوبر من أن يسخروا من كتاباته ومن أسلوبه الصعب المعقد وأن يصفوا المصطلحات التى يستخدمها بأنها نوع من الهراء اللفظى .

● محاولات غير صريحة

ولقد كان البحث عن معنى الوجود الانسانى ومعنى « انسانية » الانسان من أهم المشكلات التى تشغل فكر مارتن هايدجر ، ولكن كلامه حول هذا الموضوع يسوده الغموض الذى يعتبر خاصة مميزة لمعظم كتاباته وقد تحول هذا الغموض فى أواخر حياته الى نوع من « الشاعرية » ربما نتيجة لتأثره بأعمال شاعر ألمانيا الغنائى العظيم هولدرلين ١٧٧٠ – ١٨٤٣ الذى كان قد طال اغفاله ونسيانه حتى تم (اكتشافه) من جديد فى أوائل هذا القرن ، ويذهب بعض مؤرخى الفكر الغربى المعاصر الى أن كتابات هايدجر عن الوجود هى محاولة غير صريحة للبحث عن الله كما أنها تعبير (مقنع) عن

الايمان بوجود الله وأن التعبيرات الغامضة الصعبة تخفى وراءها نفس المواقف التقليدية القديمة ازاء الدين ، فعلى الرغم من موقفه الوجودى الذى يبدو لأول وهلة رافضا لفكرة الله ومنكرا لوجوده ، فان هايدجر كان ينتمى قبل كل شىء الى عائلة كاثوليكية وأنه كان يبدى منذ الصغر اهتماما بالدين كما درس اللاهوت والفلسفة المسيحية فى الجامعة وقد انضم لبعض الوقت الى الجزويت على ماسبق أن ذكرنا ، وربما يكون هايدجر اهتم بإثارة كثير من التساؤلات حول الوجود وماهيته ولكنه لم يكن يبدى اهتماما مماثلا بالوصول الى أجوبة قاطعة أو محددة لتلك التساؤلات ، فقد كان المهم فى نظره هو أن يثير الانسان التساؤلات طيلة الوقت دون أن ينتظر اجابات لها أو حتى يستمع لأى جواب ان كان ثمة جواب .

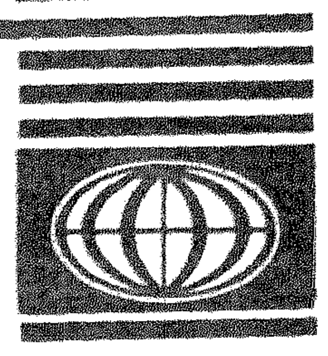
وحين تقاعد هايدجر من عمله بالجامعة عام ١٩٥٩ آثر أن ينسحب من الحياة فى المدينة ويعود الى موطنه الأصلى فى منطقة الغابة السوداء الشهيرة ، وهناك استمر فى الكتابة حول موضوعات متنوعة ابتداء من فلاسفة الاغريق قبل سقراط الى طبيعة الفن والعمل الفنى الى الشعر الى معنى التكنولوجيا وغير ذلك من المشكلات التى تهم الانسان المثقف الحديث ، ولكن الموضوع الرئيسى الذى ظل يشغل فكره طيلة الوقت رغم ذلك كان دائما هو البحث عن معنى الوجود مع الاهتمام باللغة باعتبارها أداة التعبير عن الوجود وأوضح مظهر له ، فالانسان على أكثر تقدير هو « راعى الوجود » الذى يكشف عن حقيقته وماهيته عن طريق اللغة .

ومات مارتن هايدجر فى المدينة الصغيرة التى ولد فيها وهى مدينة مسكيرش فى بادن بجنوب غربى ألمانيا ، وكانت وفاته فى اليوم السادس والعشرين من شهر مايو عام ١٩٧٦ .

وبعد احدى عشرة سنة من وفاته وبعد اثنين وأربعين عاما من تبرئة ساحته أمام القضاء الألمانى من تهمة الانتماء الى الحزب النازى والدعوة الى النازية والمشاركة فى تنفيذ سياستها ثم اضطرار الحلفاء الى رد اعتباره اليه بعد سقوط كل هذه التهم ، يظهر فى أوربا من يحاول اثارة القضية من جديد على زعم انه تم العثور على وثائق وأدلة جديدة تدينه وتكشف عن مدى تورطه مع النازية .

وأيا ماتكون الحقيقة وراء هذه الدعاوى الجديدة فان مجرد اثارة هذه القضية من جديد وبعد طول هذا الزمن هو فى حد ذاته مؤشر واضح على المكانة التى كان يتمتع بها مارتن هايدجر فى الفكر الأوربى المعاصر ومدى التأثر بآرائه وكتاباته ؟ كما أنه من الناحية الأخرى دليل على أن أصحاب الفكر الأصيل يفرضون أنفسهم دائما ـ وبصرف النظر عن حياتهم الخاصة وأهوائهم الشخصية ـ على العالم وهم أموات بنفس القوة التى كانوا يشغلون الناس بهم وبأفكارهم وآرائهم أثناء حياتهم ، وهذا هو الدرس الحقيقى الذى يمكن أن يخرج به المرء ليس فقط من هذه القضية ولكن ايضا من دراسة حياة هؤلاء المفكرين المبدعين الأفذاذ .


كتاب الهلال
يقدم:
مصر في عيون أبنائها
ثلاثة قرون من الزمان
مذكرات: محمد عبد الله عنان
يصدر
٥ يناير
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
الشمس العارية
تأليف: اسحاق عظيموف
ترجمة: محمد جلال عباس
تصدر في
١٥ يناير ١٩٨٨



العالم في سطور



باريس

نهر النيل .. راقصة

« اعتقد انه لا توجد رحلة اشهر فى الادب الفرنسى من تلك الرحلة التى قام بها مكسيم ديكا وفلوبير الى الشرق » ..

بهذه الجملة عرض الكاتب الفرنسى جان دوتور ـ عضو الاكاديمية الفرنسية ـ للطبعة الحديثة من كتاب « رحالة فى مصر عام ١٨٥٠ : النيل » ففى عام ١٨٤٩ كان مكسيم ديكا اديبا متفتحا مليئا بالحيوية . وكان معجبا بفلوبير الى حد بعيد الذى كان يناهزه عمرا . ولم يكن يرغب سوى فى اعداد كتيبات ادبية . وقد فكر الشابان فى القيام برحلات حول العالم وامكنه الحصول على بعثة للسفر الى القاهرة . وعاد ليكتب وقائع رحلته فى كتاب شائق ضم فى طبعته الاولى مجموعة من الصور الجميلة للمدينة عبر نهرها العظيم بلغت سبعين صورة .

ويقول دوتور ان الشاب الفرنسى ديكا عندما جاء الى مصر لم يضع عينيه فى جيبه . بل بدا مشدوها بالشرق وعالمه . لذا جاء كتابه اخاذا ساحرا . وان هذا الجو لم يكن يفسده شىء سوى الادارة التركية .

ولم يزر ديكا القاهرة وحدها . بل اخذ يجوب مصر بالكملها من صعيدها الى الدلتا . ومن شرقها الى غربها المدن والقرى . وقد اهتم بكل ما رآه سواء فى الاثار او التاريخ او العلوم.

واطرف ما قاله دوتور عن الكتاب ـ مجلة لوبوان فى ٣٠ نوفمبر ١٩٨٧ ـ ان ديكا قد وصف نهر النيل بشغف غريب فى صفحتين متكاملتين . وبدا كأنه يمارس مع النهر رقصة الاستريبتز التى يتأمل فيها الرجال بشغف امرأة تنزع ملابسها قطعة وراء اخرى حتى تظهر فى النهاية بادية الحسن . ومن هنا تصدق مقولة « من يشرب من النيل فلابد ان يعود اليه ثانية » .

ورغم ان مكسيم ديكا قد وضع كتبا اخرى .. مثل كتابه « ذكريات أدبية » المنشور عام ١٨٨٢ ـ فان كل اعماله قد تلاشت اهميتها الى جانب كتابه عن النيل ..



الـــربـــاط


رشيد بوجدرة

● الادب المكشوف غريب فى وطنه

هل العرب هم اكثر الناس عشـقا للجنس ؟

قد يبدو السؤال غـــريبا · لكن الملحق الذى اصدرته مجلة « اكتوى » الفرنسية ـ العدد ٩٤ ـ منذ شـهرين حول الادب الاباحى كشف عن ظاهرة غريبة · وهى انه بعيدا عن القيــود الاجتماعية والرقابيـــة فان الكاتب العربى يطلق لخياله العنان··ويصبح اشد اباحية من كتاب كثيرين فى بلاد العالم المعروف بتحطيمه لحواجـــز التابو ·

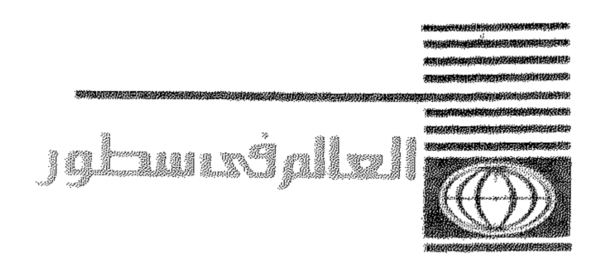
فبعد الجنس المكشـــوف فى رواية « ليلة القدر » لابن جلون · فان هـذا الملحق يضم نصوصا من الادب الاباحى لادباء متعددين يكتبون باللغةالفرنسية وبالاطلاع على النماذج المختـارة من هذا الادب سوف نرى ان ثلاثة منهـم من العرب · هم الجزائرى رشــيد بوجدرة فى روايته « المرث » والمغربى محمد شكرى فى روايته « الخبـــز الحافى » والاديب محمـــد مرابط فى روايته « الحب من اجـل بضــــعة شعيرات » ·

الغريب ان هذه النصوص مترجمة مباشرة عن اللغة العربية · عدا النص الذى كتبه مرابط فهو مترجـــم عن اللغة الانجليزية · وتحت عنـــوان « ويسكى فى الصحراء » يمـــكن ان نشاهد نموذجا مخففا للغاية من هـذا الادب ·

استندت مينا على المقعد وبدأت فى التعرى · فخلعت رداء نومها الاخضر ومشدها ثم ظلت لحظة واقفـة بلا اى ملبس سوى ســروالها · ثم اتجهت اخيرا الى السرير · استدار محمد وجلس فوق المقعد واخذ يحتسى ببـطء حتى لم يعد يتبقى شىء من الوسـكى احس بالندم لانها شربت حتى الثمالة لقد تصور انه قرر كل شىء ولكنـــه احس ان مينا لن تفعل شــــيئا الا برغبتها معه وتساءل كيف تنتابهـــا الرغبة فى ان تنام فوق هذا الســـرير القذر ؟

قام ، وخلع سترته وقميصـــه ثم بنطلونه · وتردد ثم جلس على السرير بسرواله وبمجرد ان نام وضـــعت ذراعها حوله · فعانقها وقبلها وتبادلا كلمات الحب وكرراها بالتبادل » ··

السؤال الان ·· هل هناك تفسـير لهذه الظاهرة · هل ما يحدث امـــر طبيعى ؟ ام هى محاولة للخروج من كل محرمات المجتمع الذى يعيشون فيه ·· الغريب انه فى الوقت الذى يقابل فيه العرب هذه الاعمال بمفاهيم ضيقة ويرفضونها · فان دور النشر الغربية تفتح لها ذراعيها وتنشرها على قارىء غير عربى ·· ويصبح الادب العربى غريبا فى وطنه !



مدريد

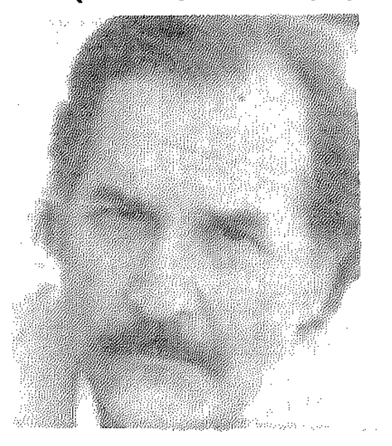
● اضخم جائزة ادبية في العالم .. اسبانية

في موسم الجوائز الادبية العالمية، منحت جائزة سرفانتس للكاتب المكسيكي المعروف كارلوس فونتس .

قيمة الجائزة هنا انها تمنح للادب المكتوب باللغة الاسبانية ايا كان موقع كاتب هذه الرواية . لذا فهي قد تروح الى اي كاتب في امريكا اللاتينية . وليست محصورة داخل الادب المكتوب في اسبانيا وحدها .. وليت القائمين على الجوائز الممنوحة للادب العربي يقرءون هذه الفقرة ..

اما كارلوس فونتس فهو احد المع كتاب الرواية المكسيكية المعاصرة وهو – ٥٨ عاما – كاتب غزير الانتاج ليس فقط في عدد رواياته . ولكن في عدد الصفحات التي تضمها هذه الروايات مثل روايته قبل الاخيرة « ارضنا » التي تقع في الف صفحة كبيرة . وكذلك رواياته الاخرى « اغنية الضرائر » و « اكثر الاماكن هدوءا » و « المنطقة المقدسة » واغلب هذه الروايات سياسية في المقام الاول . فهي تتحدث حول تاريخ المكسيك الحديث في حكايات شهرية مثل روايته ارضنا التي تدور احداثها في قرن كامل من الزمن . وهذا ليس غريبا على كتاب امريكا اللاتينية جميعهم وبصفة خاصة على فونتس نفسه . فهو ليس كاتبا متحررا او معارضا . ولكنه يشكل ظاهرة غريبة عرفت عن الكثير من ادباء القارة اللاتينية : حيث يعمل الكثير من الادباء في السلك الدبلوماسي لبلادهم . ويعملون وظيفيا كسفراء في العديد من الدول . مثل اليهولكار بنتير . واوكتافيا فيوباث واخرون . اما فونتس فهو يعمل منذ سنوات سفيرا للمكسيك في باريس

تتميز جائزة سرفانتس بأنها تمنح الكاتب الذي يفوز بها اكبر مبلغ يمكن ان يحصل عليه كاتب فائز بأية جائزة عالمية على الاطلاق . فاذا كانت القيمة المادية لجائزة نوبل تبلغ ٣٩٠ الف دولار . فان المبلغ الممنوح في جائزة سرفانتس – وهو بالطبع اسم الكاتب الشهير صاحب دون كيشوت – يصل الى ٥٠٠ الف دولار . لذا فان الجائزة لا تمنح عن عمل بعينه بل مجموعة اعمال الكاتب الفائز بها ..



كارلوس فونتس

أطلنطا

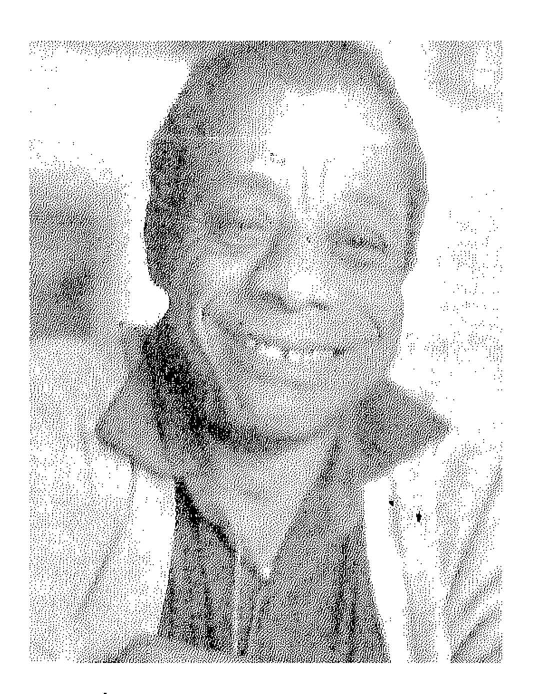
● الحارس الجديد .. زنجي

فقد أدب الجنوب الامريكي في عام ١٩٨٧ اثنين من ابرز رجاله في

القرن العشرين . وهما ارسكين كالدويل الذى رحل فى مايو الماضى . ثم الاديب الزنجى جيمس بولدوين الذى مات فى اوائل ديسمبر وهو احد الذين تصدوا للتفرقة العنصرية وخصصوا اقلامهم لمناهضتها وقد استقى الكاتب وقائع رواياته من الحياة التى عاشها اقرانه فى منعزلات الزنوج فى المجتمع الامريكى .

ولد بولدوين فى عام ١٩٢٤ بحى هارلم . وعن معاناته فى هذا الحى يقول : « كنت طفلا حين عوملت لاول مرة كزنجى قذر . طفل صغير بين الخامسة والسابعة من العمر . لم نكن ندرك الامور جيدا . ولكن كنا نشعر اننا مهانون . ومما زاد الطين بلة ان يلاحظ المرء فيمن حوله ان امه واباه واخواته ايضا من الزنوج القذرين . فتشعر فجأة انه من المحتم عليك ان تعيش بين بشر يحتقرونك انت واسرتك . وسوف تكتشف السبب : انك لست ابيض فبمجرد ان يولد طفل فى اسرة زنجية فان ابواه يعرفان انه سيعود يوما الى المنزل متسائلا : ماما . من هو الزنجى ؟ . وعن وعى او دونه سيحاول الابوان ان يعدا نفسيهما لهذا اليوم . للاجابة على هذا السؤال » .

عن هذا العالم عبر بولدوين فى رواياته العديدة منها « ذلك البلد الاخر » المنشورة عام ١٩٦٠ و« النيران فى الزمن القديم » ١٩٦٣ . و « احرق ياطفلى احرق » عام ١٩٦٥ . وروايته الذائعة الصيت « جرائم قتل فى اطلنطا » المنشورة عام ١٩٨٦ وهى عبارة عن تحقيق روائى حول حادث

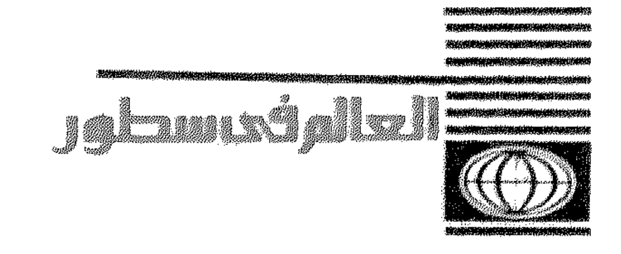


جيمس بولدوين

حقيقى دار فى احدى المدن الامريكية يتعلق بالتفرقة العنصرية .

ورغم ان بولدوين لم يكتب شيئا سوى عن الجنوب الامريكى : فانه اختار الاقامة بجنوب فرنسا منذ حوالى اربعين عاما . وعندما اختار ان يعيش بعيدا عن الولايات المتحدة ردد : « لست سوى شبح ، فاللعنة عليك يا امى » .. ورغم ذلك فان بولدوين كان يرى ان المعاناة التى عايشها هو واهله فى بلاده كانت لها دور كبير فى تعميق ابداعه.وحول هذا يردد : « ليس من الممكن ان تكون انسانا او فنانا دون ان تكون لك قواك المعنوية فالحياة الانسانية هى اكثر الاشياء تقديسا . ونحن حراسها » .

ولكن ماذا يمكن ان يحدث اذا سقط الحارس .. قانون الحياة يقول ان هناك حارسا جديدا سوف يقوم بالدور



لنـــــــــــدن

● العلم يقتل الطيور

دافنى دى مورييه هى صاحبة اشهر ثلاث روايات فى الادب العـــــالمى المعاصر .. وقد قدم الفريد هيتشكوك روايتين منها الى السينما وهمـــا « ربيكا » . ثم « الطيور » .

احتفلت دافنى فى الشـــهر الماضى بعيد ميلادها الثمانين . وانضـــمت بذلك الى زمرة الكاتبات الانجليزيات اللاتى بلغن العقد التاسع وعلى رأسهن بربارا كارتلاند (٨٠ عاما) أيضـــا بربارا كوبر (٩٠ عاما) وفرانسيس بارتدج (٨٧ عاما) .

وبمطالعة هذه الاسماء سـنجد ان السيدة دى‌مورييه هى‌اسعد بنات‌جيلها حظا رغم أن بربارا كارتلاندا أكثر منها شهرة . الا ان اعمال الكاتبة تحظى باهتمام النقاد والقراء معا . ورغم ان الكاتبة قد توقفت عن الابداع منـــذ سنوات فان رواياتها تعاد طباعتهـــا بشكل مكثف فى دور النشر العالميـة والعربية ايضا .

الطريف ان الكاتبة قد بدأت حياتها كفنانة تشكيلية . كانت شــــديدة الاعجاب بالفنان الايطالى مايـــكل انجلو . وقد دفعهـــــا حب الفن التشكيلى الى الاقامة فى مدن عديدة منها باريس وبرلين . وتمنت أن يهبها الله القدرة على ان تكتب مثل كاترين مانسفيلد . وبدأت كتابة روايتهـــا الاولى « ربيكا » عام ١٩٢٩م . وتقول ان الذى دفعها للكتابة ان « الافـكار بدأت تموج فى رأسـها اشـــــبيه بالبشر الذين يتحركون فوق رصـــيف احدى المحطات المكتظة » . ورغم ذلك فلم تستطع الانتهاء من روايتهـــــا «ربيكا» الا بعد تسع سنوات.وتركتها لفترات من الوقت كى تكتب روايـات اخرى منها « حانة جمايكا » المنشورة عام ١٩٣٦م . وفور ان ظهـــرت رواية « ربيكا » التقطها هيتشكوك واخرجها فى فيلم يعد علامة بارزة فى تاريخـه الفنى . واسند دور الــــزوج الى لورانس أوليفييه أما دور الزوجـــة فقد قامت به « جوان فونتين » .

من اشهر روايات دافنى الاخرى : « ابنة العم راشيل» ١٩٥١«وابدا قبل منتصف الليل » عام ١٩٧٢م . فضـلا عن رواية « الطيور » التى اخرجهـا هيتشكوك أيضا فى فيلم شهير .

اغرب ما يتعلق بحياة الـكاتبة . انها قد هجرت عالم الادب تماما منذ عام ١٩٧٠م وكرست كل جهدها من اجل البحث العلمى .



لقطة من فيلم الطيور

جنيـــــف

● متشرد وخالد

قبل ايام ، وبالتحديد ليلة عيـــد الميلاد « الكريسماس » منذ عشرة اعوام اسلم اشهر متشرد فى العالم الروح عن عمر يناهز التسعين ٠

وبين اول بيان صحفى تحت كلمة « المهد » من مجلة » المـــــاجنت » الانجليزية الصادرة فى الحادى عشر من مايو ١٨٨٩ يعلن للملأ عن مولـده فى الخامس عشر من الشهر الماضى

واخر بيان يعلم الانسـانية فى مشارق الارض ومغاربها بوفساته فى منفاه الذهبى ببلدة « فيفى » بربـــوع سويسرا ٠

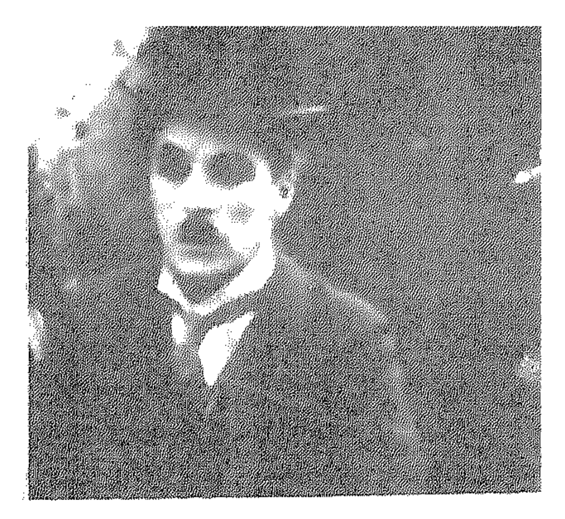
عاش شارلى شابلن حياته بالطول والعرض ٠

فلقد اخرج ومثل وانتج عشـــرات الافلام عبر خمسين عاما أو يزيد ٠

منها القصير « كسب العيش ١٩١٤»، والطويل « الصغير ١٩٢١ » الصـامت « معظم الافلام » والمتكلم « المســيو فيردو ١٩٤٦ » الكوميدى والتراجيدى « اضواء المسرح ١٩٥٢ » ، الابيض والاسود والملون « الكونتيسة من هونج كونج ١٩٦٤ » ٠

تبادل الحب مع كوكبة من فاتنـات هوليوود ، لعل اشهرهن « بولانجرى » ملكة اغراء العشـرينيات و « بوليت جودارد » التى اختارها ممثلة امامه فى رائعتيه الدكتـاتور العظيـــم ١٩٤٠ » « الزمن الحـديث ١٩٣٥ »

تزوج ثلاث مرات وفى كل مـرة كانت الزوجة تصغره بكثير «فاونا» ابنة الاديب الكبير « اوجين اونيـل » واخر الزوجات ، كانت فى عمـــر



شارلى شابلن

الزهور (١٨) ، عندما تزوجها ، وله من العمر ٥٥ عاما ٠

وفوق كل هذا نجح فيما لم ينجح فيه فنان او سياسى من قبل او من بعد ، نجح فى ان يكون معبـــود الجماهير ، لا فى بريطانيا وطنـه الاصلى ، ولا فى الولايات المتحـدة وطن آطيافه ، بل فى كل ركن من اركان المعمورة ، حتى ولو كان قصيا ٠

ومن وقائع حياته التى لا تنسـى ما حدث له عند اول عـودة له الى وطنه الاصلى (١٩٢١)

فلقد استقبلته الجماهير استقبال الابطال ، حملته على الاعنـاق من قطار « المركب » الى محطة ووترلو ٠

ومن وقائعها الاخرى ، وقفتــه الشجاعة ضد النازية وجرائمهـا فى « الديكتاتور العظـيم » ، كشفه للعسكرية وتآمرها فى « مسيو فيردو » نضاله ضد المكارثية وبشائعهـا فى « ملك فى نيويورك » (١٩٥٧)

ويضطره خطر المـكارثيه ــ وهـو خطر غير قليل ــ الى مغادرة الولايات المتحدة سعيا الى الحرية (١٩٥٢)

ويظل بعيدا عن الارض التى انجب فيها روائعه ، لا يعود اليها الا بعـد عشرين عاما ٠

وهكذا اصبح المتشرد الشقى حملا وديعا ٠ او كما تقول الاغنية الامريكية « حبه سهل » لانه لا خطــر منه ، ولا خوف على مصنع الاحـلام ٠٠ ومن هنا التكريم !!

٨٠ عاماً على ميلاد :

ألبرتو مورافيا

بقلم : محمود قاسم

احتفل الكاتب الايطالى المعروف البرتومورافيا منذ عدة اسابيع بعيد ميلاده الثمانين . تجىء اهمية هذا الخبر أن مورافيا ــ رغم هذا السن ــ لايزال كاتبا معطاء ، لايكف عن الابداع الادبى . وكتابة النقد السينمائى وتتصدر رواياته الجديدة قائمة المبيعات فى ايطاليا وخارجها .

وها هو مورافيا يحمل سنواته الثمانين ــ المعنية بالخصوبة والتدفق ــ فوق كاهله ويأتى الى القاهرة فى اواخر يناير الحالى فى زيارته الثانية لها وذلك بدعوة من الهيئة العامة للكتاب لحضور المعرض الدولى العشرين للكتاب .

السؤال : هل هــذا الخبر مفرح الى هذا الحد ؟

لتعرف أن مورافيــا ــ وهو أهم كتاب اللغة الايطالية الذين على قيد الحياة ــ لايزال يكتب بنفس الحمية والحماس اللذين عرفا عنه منــذ أن نشر كتابه الاول ، وكأنه كاتب شــاب يبحث عن الشهرة رغم أنه حصل على أعلى درجاتها منذ ستين عاما . هذا فى الوقت الــذى جذبت فيــه قريحة كتــاب عــديدين وصلوا الى سن الشيخوخة وأصبحوا « حالات » أدبية من الماضى .

ومورافيــا يتربع الان على عرش الادب الايطالى الحديث رغم امتــلاء الخريطة الادبية بالاف الاسماء التى تنشر أدبها تباعا . ولم يجىء تربعــه فوق الساحة من خلال أعمال أدبية أصبحت الان فى ذمة التاريخ . بل انه لا يزال يكتب أعمــالا أدبية تثير النقاشات ، كما انه يكتب مقالات أدبية ونقــدية بصفة منتظمــة فى الصحــف

والمجلات منها بابه الاسبوعى فى النقد السينمائى بمجلة « اسبرسو » ، وهى نفس المجلة التى خصصت عنه ملفا ضخما قبل الاحتفال بعيد ميلاده الثمانين بشهر واحد ٠

ومورافيا ليس غزير الانتاج الادبى ٠ بمعنى أنه لم يقدم الكثير من الروايات خلال عمره الادبى — ٦٠ عاما — فرواياته لا تزيد على العشرين واحدة ٠ الا ان هذه الكتب قد حققت دوما أعلى المبيعات وترجمت الى أغلب اللغات المقروءة ٠ منها اللغة العربية فى طبعات عديدة بعضها ترجمات كاملة ٠ والبعض الاخر ترجمات مختصرة ٠ وقد أصبح مورافيا موضة للقراءة فى النصف قرن الماضى ٠ وزادت شهرة هذه الروايات أكثر بعد أن أصبحت أفلاما سينمائية قام أشهر المخرجين باخراجها ٠ وأسندت بطولتها الى شهيرات نجمات السينما الايطالية والعالمية ٠

جاءت أهمية مورافيا من قدرته على الغوص فى أغوار النفس البشرية ٠ يصف ضعفها ويتغلغل فى كوامن قوتها ٠ فجعل من قلمه مبضعا حادا يشرح به النفوس والمجتمع ٠ فاهتم بالطبقات الاجتماعية التى ظهرت فى ايطاليا منذ سنوات عديدة خاصة أبناء الطبقة البرجوازية ٠ وقد اهتم مورافيا بصفة خاصة بالعلاقة بين الرجل والمرأة خاصة عندما يتسرب اليأس الى جدرانها فيتشقق ويتهدم

الصرح ٠ واذا كان البعض قد تصور أن مورافيا كان اباحيا فى بعض سطوره ٠ فان كل الذين حاولوا التقلد به قد فشلوا وراحت أعمالهم أدراج الريح بينما بقيت روايات مورافيا ٠

● الاصل هو الشاذ !

ولد البرتو بينكرله المعروف باسم موراقيا فى الثامن والعشرين من نوفمبر عام ١٩٠٧ بالعاصمة الايطالية روما ٠ وكان يشكو فى طفولته من مرض سل العظام مما اضطره الى ملازمة الفراش لاكثر من خمس سنوات ٠ وخلال سنوات المراهقة بدأ موراقيا فى كتابة روايته الاولى ٠ ولم يكن قد تعدى السادسة عشرة ٠ وقد كتبها موراقيا وهو حبيس جدران احدى مصحات الاستشفاء الواقعة فى منطقة الالب ٠ لذا جاءت روايته « زمن اللامبالاة » بمثابة ملحمة عائلية ٠ وهى تدور حول اليأس الذى أصاب عائلة ايطالية موسرة فتفسخ

أوامرها . وتحطم هيكلها الشامخ . « المرض يعطيك نظـرة مختلفة الى الحياة . مختلفة بالمقارنة الى نظرة الانسان الصحيح والمعافى . ولكن المرض فى حد ذاته ليس سببا لليأس. فاليأس هو أن تنظر الى الحياة كما هى عليه وعلى الانسان أن يحدق دون مواربة فى وجه الواقع ، والحياة تملك تلك الابتسامة المشرقة التى يتصورها البعض » .

والملاحظ أن اليأس هو البطل السرمدى لاغلب روايات مورافيا .

منذ روايتــه الاولى المنشورة عام ١٩٢٩ وحتى روايته الاخيرة « الرجل الذى ينظر » المنشورة عام ١٩٨٥ . واليأس هو مزيج من حالات شعورية عديدة منهـا الكآبة والملل والوتيرة الواحدة . والشعور بأن لا مخرج من هذه الحالة النفسية الا بالانتحار . وقد واجه مورافيا هـذه الحـالة عنـد محـاولة زوجته الكاتبة السامورانته الانتحار يوما ما . . « اليأس هو الوضع الطبيعى للانسان والامل هو الشاذ » .

ورغم هـذا فان حيـاة الكاتب الخاصة والادبيـة كانت تخلو من اليأس والكآبة . فقد عرف النجـاح منذ الوهلة الاولى . ولم يعـرف الفشل يوما . وعقب ظهور روايتـه التحق بالعمل فى العديد من الصحف الايطالية التى أوفـدته فى سفريات عديدة داخل وخارج ايطاليا . ورغم قيامه بالرحيل الى العـديد من دول العالم كالولايات المتحـدة والمكسيك والصـين والكويت ومصر . فـانه كان يميل الى البقـاء فى مدينـة ايطالية بعينها مثل مدينة كابرى التى اقام بهـا خمس سنوات فى أوائل الثلاثينيات وخصص عنهـا رواية تحمل عنوان ١٩٣٤ وهى احدى أحدث رواياته . أما أشهر أعماله فقد كان يكتبها فى أجواء معينة حيث يوحى لنفسه أنه محبوس داخل جـدران لا مخرج منها مثلما حدث مع روايته « أوجستينو » المنشورة عام ١٩٣٦ . ثم « أنا وهو » المنشورة عام ١٩٧٩ والتى قيـل أن الكاتب استغرق فى كتابتها اكثر من سبع سنوات .

أما اشهر روايات الكاتب الاخرى فهنـاك « الممتثل » ١٩٤٧ ، « الحب الزوجى » ١٩٤٩ ، « امرأة من روما » ١٩٤٩ ، « الاحتكـار » ١٩٥٤ ، « امرأتان » ١٩٥٧ ، « الملل » ١٩٦٠ ، « الانتباه » ١٩٦٥ ، « الملك العارى » ١٩٧٨ .

● البرجوازية فاسدة

وبالنظر الى هذه الروايات نجد الكاتب يشهر قلمه لانتقاد أبناء الطبقة البرجوازية التى تحمـل فى طياتها عوامل فنائهـا . فهى التى ساعدت على وجود الفاشية الايطالية . ولم يسع مورافيا الى تغريب عالمه ، بل قدمه واضحا مكشوفا . فلم تهرب شخصياته الى الغيبيات والفلسفيات وما وراء الطبيعة . وقد أعلن الكاتب دوما أنه تلميـذ نجيب فى مدرسة فيدور دوستويفسكي وتولستوى . ثم

انه تجاوز ابداع هـذين العملاقين محاولا صبغ أدبه بصبغة معاصرة ٠

وعن حياته الخاصة ٠ فقد ارتبط الكاتب بثلاث من النساء خلال حياته ٠٠ الاولى كانت الكاتبة المعروفة السامورانته حيث ارتبطا معا لعشرين عاما امتدت بين عامي ١٩٤١ و ١٩٦١ ٠ ورغم انفصالهما فانهما ظلا صديقين إلى أن رحلت فى عام ١٩٨٥ ٠ أما المرأة الثانية فهى الكاتبة داتشيا ماريانى احدى المهتمات بالمشاكل النسوية ٠ وقد ارتبطا معا منذ عام ١٩٦٢ وحتى عام ١٩٨٠ ٠ ويقول حول هذه التجربة : « تزوجت مرتين وعرفت من خلالهما أن للمرأة تأثيرا غير محسوس ، ومن الصعب أن يشرح الانسان حقيقة شعوره بالنسبة الى نفسه أو بالنسبة للاخرين » ٠ أما الارتباط الثالث فقد تم فى عام ١٩٨١ مع فتاة تدعى كارمن لليرا تصغر الكاتب بسبعة وأربعين عاما ٠ ويقول فى مجلة لونوفيل أوبسرفاتور حول هذه التجربة : « الحب شيء مختلف تماما عن الزواج ٠ فزواج المرء عن حب قد لا يدوم وقتا طويلا » ٠

اعتكف مورافيا سبع سنوات بأكملها كى يكتب روايته « انا وهو » المنشورة عام ١٩٧٩ ٠ واستنفد أيضا الكثير من الوقت فى المحاكم الايطالية حتى يمكن السماح بنشر هذه الرواية ٠٠ والشخصية الرئيسية فى هذه الرواية فتاة صغيرة تدعى آمنية ٠٠ يشير اليها الكاتب بضمير « أنا » ٠ فهى تجلس أمامه تروى له حكايتها ٠ فهى فى التاسعة عشرة من عمرها ٠٠ تحدثه عن السنوات الخمس الاخيرة من حياتها ٠ أو بالاحرى سنوات المراهقة التى يعتبرها الكاتب أكثر السنوات ثراء فى حياة المرأة ٠ الا أن آمنية تسميها « سنوات الجرم » ٠٠ فقد حاولت فيها أن تدمر أمها والشاب اليسارى الذى أحبها ٠ تقول انه كان عليها أن تمارس ما يمكن أن تعيشه الفتاة فى مثل هذه السنوات٠ التجربة الاولى ٠ العلاقات السرية ٠ والبحث عن مفاتيح الاشياء ٠ والسؤال عن الالغاز المحاطة بها ٠

وسعيا وراء معرفة جذور الاشياء يسعى الكاتب الى لقاء الام ٠٠ التى تخبره أن آمنية ليست ابنتها ، وانها تبنتها ذات يوم من امرأة ـ الام الحقيقية ـ تعمل غانية ، وتتحدث فيولا أن الفتاة لم تمش فى ركاب أمها لانها كانت تفتقر الى الجمال ٠ وعندما استطاعت أن تقلل من وزنها وتجرى عملية تجميل لم تتورع عن لفت نظر الرجال والارتباط بهم ٠٠ وتخبره المرأة أيضا أنها تتمنى لو احبتها ربيبتها وعاملتها كأم حقيقية٠

ويهتم الكاتب بأن يحدث مواجهة بين آمنية وفيولا فيما يسميه بالحرب المدنية الاجتماعية ٠ فيكتشف ان كلتا المرأتين مصابتان بحالة من اليأس رغم انهما مسلحتان بما يمكنهما من مواجهة المعتركات التى حولهما ٠

ويقول مورافيا ساخرا فى هـــذه الرواية ان الحروب تولدت فى التاريخ من اثر ما يدور فى مخادع النساء . وان ما دار بين أمنية وامها ليس سوى احد هذه الحروب .

● لست مناضلا ..

اذا كانت السامورانته قد وضعت عينيهـــا علـى رواية « امـراتين » لمورافيا وهى تسطر اخر رواياتهـــا « تاريخ » المنشورة عام ١٩٨٣ . فان البرتو مورافيا قد وضع عينيه على رواية « الجبل السحرى » وهـــو يكتب روايته ١٩٣٤ . كما وضع عينيه على رواية اخـــرى الكاتب الامريكى ويليام ستايرون هى « اختيار صوفى » .. والياس الذى يصيب البشر هو البطـل المطلق فى هـــذه الروايات جميعها . وهو حالة ياس عام يمكن للمرء أن يستشفها من خـــلال بعض الاشخاص . ولوتشيو بطـــل رواية ١٩٣٤ شاب فى السابعة والعشرين من العمر . مصاب بمرض عضال . لذا فهو ينتظر قـــدوم الموت بين لحظة واخرى . ويساعد هـــذا المرض فى زيادة شعوره باليأس . وكلما سـعى الى فتح دائرة يلج منهـــا الامل . تنغلق حوله دوائر من اليأس . لذا فانه يقرر الذهاب الى مدينة كابرى . نفس المدينة التى عاش فيها الكاتب فى نفس هذه السنوات خمسة أعوام. ورغم جمال المدينة فان لوتشـيو لم يجد شيئا فيها يجذبه من حالته التى يجتازها . وسعيا للهـروب من هذا الشعور فانه يقرر كتابة رواية تدور احداثها فى الثلاثينيات . أو بالتحديد فى عام ١٩٣٤ . هذا العام الذى كان هتلر قد استولى قبله تمســاما على مقاليد الحـــكم لكن بطلنـــا يقرر الانفصال تماما عن الزمان والمكان الذى يعيش فيه . فيتصور أن بطـل روايته التى يكتبها مصاب مثله بحالة تدفعه الى الانتحار .

وتبدأ أحداث الرواية فوق سفينة صـغيرة تنقل الشاب الى كـابرى . وفوق ظهـر السفينة يروعه زوجـان المانيـــان جاءا الى ايطـــاليا فى رحلة سياحية . وبمراقبـــة الزوجة يتصور أن عينيها تشعان يأسا أقرب الى ما يعانيه . « كنت أنظر اليهـا وتنظـــر الى . فاندهشت واكتشفت شيئا كنت أحسه ولم أعشه قط .. وهو اننا غير قادرين على أن نتلاقى أو نتصل من خلال النظرات فحسب . بل بالحوار أيضا وباسلوب مميـــز وواضـح » .

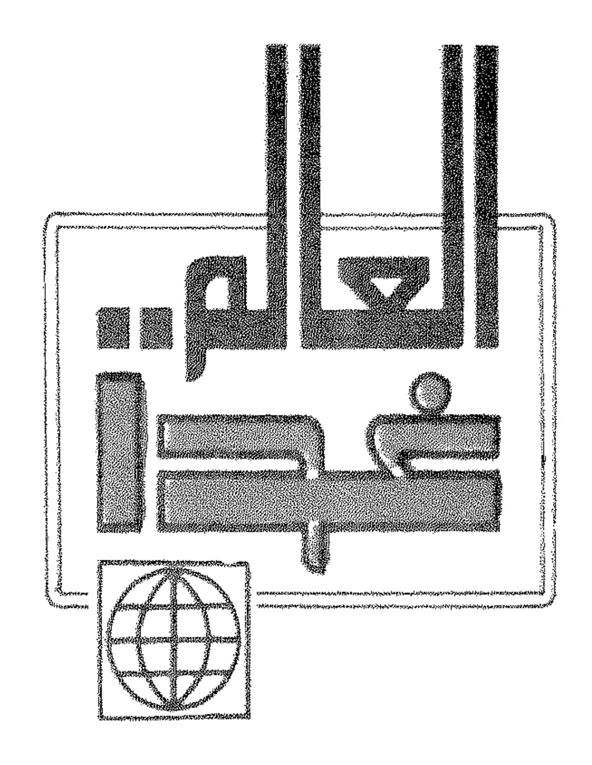
وكأنه وقع أسير هـــاتين العينين البائستين . فيقرر أن يتابع المرأة . فيقيم فى نفس الفنـدق الذى ينزلان به . وكأنه ســتنجر بطل روايـــة

« اختيار صوفى » · ويحاول سدى ان يتلاقى بالمرأة أو يحاورها لكن بلا جدوى · فهى لا تريد منـــه سوى النظرات فحسب · ويصر لوتشيو على محادثتها أمام حمام السباحة فتجبره ان يكتب لها رسائل · وتعده أن ترد عليـــه · وفى رسالتها الاولى اليه تحدثه عن انتحار الشـاعر الالمانى هاينرش فون كلايست مع حبيبته فى عام ١٨٢٨ ــ راجع مقالنا حوله فى مجلة الكويت ١٩٨٣ ــ وقد انتحـر الاثنان عندما شعرا أن حبهمـا فى طريق مسدود · ويتكهن لوتشيو ان المرأة تبقى لو تكررت صـفحات التاريخ · وكأنهـا بذلك تدعـوه للانتحار معها ·

ولا يبـــرر الكاتب الاسباب التى تدفع المرأة الى هذا السلوك فزوجهـا رجل غيور يحبهـا · ويميل الى تصويرها دائما · لذا تقرر الرحيـل مع زوجها فجأة رغم انها تعرف ان أختها التوأم سوف تحضر الى الفندق بين ساعة وأخرى · وفى هذه الاثناء يكون لوتشيو قد تعرف على امـرأة أخرى تدعى سونيا · وهى مخـلوق غامض · تكبره بسـنوات طوال · وتعمل امينة فى احد المتاحف · ويقال انها هربت من روسيا خوفا من بطش السلطات · ولانهـا امرأة غامضـة يقرر العودة مرة أخرى الى أختهـا الالمانية · وعندما يقابل أختها التوأم تحدثه انها تختلف كثيرا عن شقيقتها ·· وانهـا تهتم بالسياسة · وتأتى معها بزميلة المانية وتخبره أن النساء الالمانيات يحبون فى الرجل الايطالى النمـوذج الكازانوفى ·· ويكتشف الشباب أن اليأس ليس حالة فردية تصيبه وحده بل هى حالة الكثير من البشر ·

وعنـد سؤال الكاتب عن الدافع الـذى من أجله اتجه الى الكتابة السياسية تحـدث الى مجلة « كـل العرب » قائلا : « لست منـاضلا ، ولكننى الكاتب الاوربى الوحيد الذى ذهب الى دمشـق من أجل اجـراء مقـابلة مع ياسر عرفات · وكنت المثقف الاوربى الوحيد الذى شـارك فى مؤتمر الفلسطينيين بالكويت ·· الوحيـد الذى كان موجودا فى بكين اثناء الثورة الثقافية · لا أريد أن أناضل · بل أن افعل · والمسألتان مختلفتان ··

لا شك أن السينما قد لعبت دورا كبيرا فى تقديم الادب الى جمهـور أوسع · ويمكن للسينما أن تحقق شهرة كبيرة لادب الكاتب · وقـد وضعت السينما عينيها على روايات مورافيا منذ سـنوات طوال · وقد تباينت الافلام المأخوذة عن روايات الكاتب · فحقق بعضها شهرة عالمية كبيرة ·· ومر بعض هذه الافلام مرور الكرام ·



● دواء مصرى للايدز

يقيم د ٠ أحمد شفيق حاليا فى زائير لتجربة الدواء الذى اكتشفه لعلاج مرض فقدان المناعة المكتسبة (الايدز) ، وذلك بناء على توصية من منظمة الصحة العالمية ، بعد نجاح التجارب المعملية التى أجريت على الدواء ٠

ويعمل الفريق الذى يرأسه د ٠ شفيق فى اطار المركز العالمى لابحاث مرض الايدز فى زائير ، الذى يشارك فى ابحاثه أكبر المعاهد العلمية المهتمة بالمرض مثل المعهد الامريكى للايدز ومعهد باستير الفرنسى والمركز الاوربى لابحاث الايدز

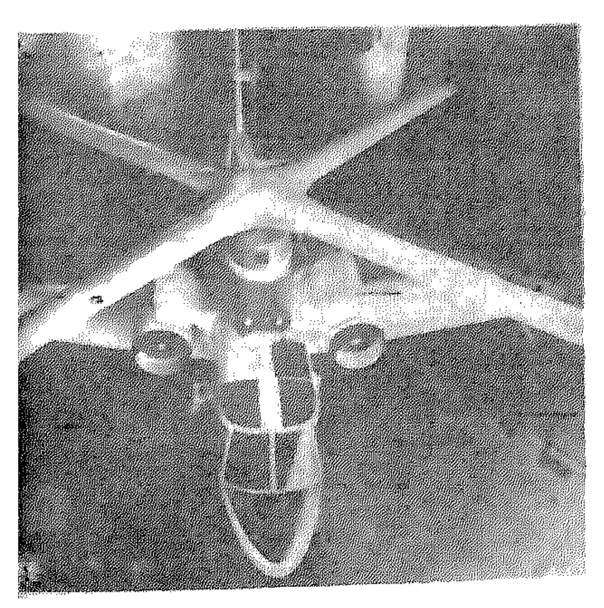
وقد أثبت الدواء الذى توصل اليه د ٠ شفيق فعالية كبيرة مقارنة بالعلاجات التقليدية المتبعة حاليا والتى لا تجدى فتيلا مع هذا المرض ٠٠

وجدير بالذكر أن القاهرة ستشهد خلال شهر مارس مؤتمرا دوليا للايدز، سيشارك فيه الى جوار أمريكا وفرنسا وزائير عدد من الدول الاوربية والعربية ، وسيكون الدكتور شفيق مقررا عاما للمؤتمر الذى يركز فى ابحاثه على الجديد فى طرق العدوى والعلاج ٠٠

المعروف أن وزارة الصحة المصرية تقوم بحملة مكثفة لفحص المشتبه فى اصابتهم بالمرض (مرضى الحميات ومدمنى المخدرات والمقبوض عليهم فىقضايا الاداب والمساجين والعائدين من الخارج) وفحص مشتقات الدم المستوردة ، وصرحت مصادر وزارة الصحة أن ما تم العثور عليه يناهز ٣٠ حالة ايجابية (حاملة للفيروس) منهم ١٦ أجنبيا أعيدوا الى بلادهم . والباقون مصريون انتقل اليهم المرض فى الخارج ٠٠

● طائرة هجين

نتشرت أخيرا ظاهرة صناعة الطائرات التى تجمع بين صفات الحوامات (الهليوكبتر) والطائرات العادية ، بغية الاستفادة من أحسن ما فى الطائرتين : السرعة ، الاقتصاد



فى الوقود ، القــدرة على الهبوط العمودى فى أى مكان ٠

وقد صممت وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) طائرة من هذا النوع مع شركة سيكورسكى تحت اسم « دبليو وينج » تقـوم بالاقـلاع عمـوديا ، وحين تصل الى ارتفاع معقول تكف مراوح الحوامة عن الحركة لتواصل الطــائرة رحلتها كطائرة عادية ، بسرعة تصــل الى الف كيلومتر فى الســاعة ٠٠ أى تفوق بثلاث مرات سرعة أحدث طائرة حوامة قتالية ٠٠ وجدير بالذكر أن حاسبا الكترونيـــا متقـدما جدا هو الذى ينسق حـركة الطائرة الجديدة ٠٠

● التراث العربى فى خطر

ذكر تقرير صادر فى الكويت عن حركة « الثقافة العربية » أن التراث بجميع أنواعه مهدد فى كافة الدول العربية ، لمجموعة من الاسباب أهمها وجود المناطق الاثرية وسط الانشاءات الحديثة ، وعدم الوعى بأهمية التراث وعمليات السرقة والنهب التجارى ٠

وقد أكد التقرير على انتشـــار عمليات تزييف التراث ونهبه فى كثير من البلـــدان العربية رغم حمـــاية التشريعات ، وان هنـــاك محاولات تبذل بمساعدة اليونسكو ، لاستعادة عدد من القطع الاثرية التى نهبت ٠٠

هذا كما أكد التقرير غياب الطرز العربية والاسلامية فى تصميم المدن العربية الحـــديثة ، وبين أن هناك عجزا هائلا فى مجلات الطفل وكتاب الاذاعة والتليفزيون والمسرح ٠٠

● اوربا تغزو الفضاء

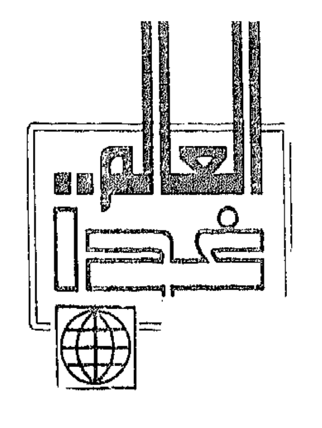
● أقام معهد الدراسات والبحوث بالاسكندرية محـــطة لتحليل بيانات الاقمار الصناعية للاغراض البحثية والتعليمية ، بالتعـــاون مع منظمة اليونسكو ، وقد تكلف انشاء المحطة ٤ ملايين دولار ٠

● **وافقت الـــدول الاوربيـــة على تنفيذ برنامج من الانشطة الفضائية يتكلف ١٣ مليار دولار حتى عـــام ٢٠٠٠ ، وذلك فى اطار وكالة الفضاء الاوربية ، ويتضمن البرنامج تطوير صاروخ الحمـــــل « أريان ـ ٥ » ، على أن يتم اطـــلاقه عام ١٩٩٥ ، وصنع مكوك فضاء (هرمز) وصناعة أربع كبسولات فضائية ٠٠**

● ظهر فى الاســـواق اليابانية تليفون يتمتع بقدرات غير عادية ، اذ أن له ذاكرة تستوعب ٩٩ رقما ، ويتلقى الرسائل المصورة ، ويحوى وحدة لنسخ الصورة (الصــــورة المرفقة) ٠

● فى ندوة دولية عقدت فى بكين أعلن اســـتاذ أمريكى أن الابـــر الصينية أثبتت فاعليتها فى عـــلاج الاشخاص المصـــابين بمرض فقدان المناعة المكتسبة (الايدز) ٠ وأكد ان العلاج بالابر الصينية لا يســـمح فقط بالحماية والوقاية من المرض على المدى الطويل ، ولكنه أيضا يمكن أن يخفض من احتمالات الانتكاسة ٠





● مستعمرات على المريخ

سيجرى معهد الابحاث الفضائية التابع لاكاديمية العلوم السوفييتية برنامج دراسات من فوق أحد قمرى كوكب المريخ ، وتحمل السفينة التى ستطلق اليه أواسط هذا العام نفس اسمه « فوبوس » وستكون مثقلة بالاجهزة والمعدات التى تقوم ببرنامج البحث . ويشارك فى التجارب العلمية لرحلة فوبوس ١٢ بلدا من بينها فرنسا والمانيا الاتحادية وسويسرا والسويد ، بالاضافة الى وكالة الفضاء الاوربية .

وستكون السفينة عرضة للشمس طوال الرحلة التى تستغرق ٢٠٠ يوم لذا ستقوم الاجهزة المختلفة



بدراسة المناطق المشعة من الشمس والبنية الداخلية لها ، علاوة على نبضات شدة الاشعاع الشمسى ، كما ستقوم بدراسة الظروف الفضائية المختلفة على امتداد الرحلة .

وستقوم السفينة بتجارب مكثفة تستغرق ٢٠ دقيقة وهى لا تبعد عن قمر المريخ الا عشرات الامتار ، وستستخدم لاول مرة أشعة الليزر لتبخير مواد التربة ، توطئة لالتقاطها ثم تحليلها ، وسيتم خلال ٢٠ دقيقة أخذ عينات من حوالى ١٠٠ موقع على سطح فوبوس .

هذا كما سيجرى تصوير سطح فوبوس بالالوان وبدقة ستمكن من وضع خريطة له . وستقوم السفينة أيضا بتصوير المريخ والنجوم البعيدة تصويرا ضوئيا . كماسيجرى تصوير فوبوس بالاشعة تحت الحمراء لدراسة المواد الكامنة تحت سطحه ذلك بينما سيهبط جهازان من السفينة على سطحه أحدهما ثابت سيقوم بحفر التربة وتحليل عينات من الحفر ، والثانى متنقل (يقفز من موقع الى اخر) سيقوم بفحص طبيعة سطح فوبوس وارسال قياسات خاصة بالاهتزازات والزلازل .

وبالاضافة الى مواصلة برامج دراسة المريخ من المنتظر ارسال سفينة أخرى الى قمره الثانى ديموس .. والاهتمام بالقمرين يأتى من منطلق ترجيح وجود مواد على سطحيهما تساعد فى بناء المستعمرات على المريخ ذاته .

● تليفزيون السنوات القادمة

أمكن أخيرا انتاج تليفزيون يبلغ قطر شاشته ٩٥ سنتيمترا ولم تستخدم شاشة بهذا الحجم من قبل

الا فى نظام العرض بالاسقاط ..
ويشعر المشاهد أمام التليفزيون الجديد أنه جالس أمام شاشة سينمائية بالفعل ..

ومن المتوقع أن يجرى قريبا انتاج شاشات تعرض ١١٢٥ خطا (بدلا من ٥٢٥ خطا فى التليفزيون التقليدى) وذلك يعنى أن وضوح الصورة سيرتفع بدرجة يجعلها تنافس فى الجودة صور أفلام ٣٥ ملليمترا .

هذا ولن يمضى وقت طويل حتى يبدأ العرض بأجهزة تليفزيون الحائط الذى يعمل بشاشات عرض من الكريستال السائل ، وذلك بدلا من أنابيب الكاثود المستخدمة حاليا .

ولن ينصرم القرن الحالى الا والعالم يشهد نوعا جديدا من التليفزيون (الرقمى) الذى سيمكن المشاهد من المشاركة فى العرض الجارى على الشاشة ..

● قياس التسمم بالتدخين

فى اطار اقناع المدخنين بالاقلاع عن هذه العادة القاتلة تمكنت احدى الشركات الاوربية من تطوير جهاز سهل الحمل والاستعمال يقيس نسبة غاز أول أكسيد الكربون ، وهو من الغازات السامة ، فى زفير المدخن .
ويتم ذلك عن طريق نفخ المدخن فى حلقة بلاستيكية ليدخل الغاز الموجود بالزفير فى تفاعل كيميائى مع مادة موجودة فى اداة استشعار الكترونية لتنتج شحنة كهربائية تتناسب مع كمية الغاز ، وتحرك مؤشر القياس فى الجهاز ..
وبينت القياسات باستخدام هذا الجهاز أن نسبة الغاز فى زفير المدخن أكبر بعشر مرات من كميتها فى زفير غير المدخن ، والطريف أنه ظهر أن معدل وجود الغاز فى زفير المدخن أكبر منه لدى غير المدخن ، حتى أثناء عدم التدخين .

● اقدم متحف طبى فى العالم

تحتفل الاوساط الثقافية والطبية فى المانيا الشرقية هذه الايام بمرور ٧٥ عاما على افتتاح المتحف الصحى الالمانى فى مدينة « درسدن » والذى يعتبر أقدم متحف من نوعه فى العالم ، وأهم معروضاته هو « الانسان الزجاجى » الذى اشتهرت بصناعته المانيا وهو نموذج للجسم البشرى من الزجاج يوضح كل أجزائه الداخلية .
والمتحف عبارة عن مركز قومى للبحوث الطبية وللمعلومات المتعلقة بالتعليم الصحى ، ومركز لصناعة تصدير الادوات التعليمية الطبية ونماذج المعارض الصحية لشتى أنحاء العالم ، (نموذج الانسان الزجاجى الموجود فى متحف القاهرة الصحى جاء الى مصر من هناك) ، ويتكون المتحف حاليا من ١٥ قاعة عرض يبلغ اجمالى مساحتها أكثر من ألف متر مربع وهو حافل بالاجهزة الالكترونية الحديثة التى تجعل من الممكن لزائر المتحف أن يقوم باجراء التجارب المختلفة بنفسه .. ولا يقتصر دوره على مجرد المشاهدة فقط .

صفحات مجهولة من حياة

ناظم حكمت

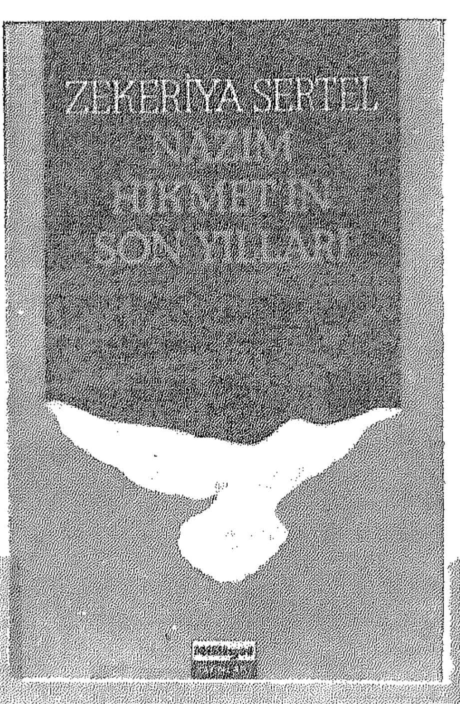
عندما يصمت الشاعر قهرا

بقلم : د . محمد حرب

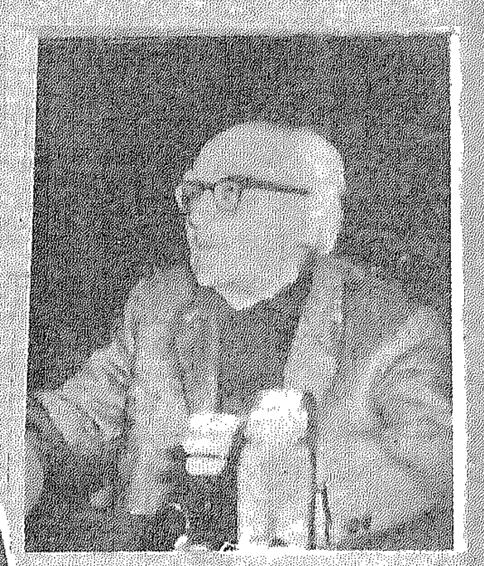
ازعم هنا انني اقدم لقارىء الهلال ، صفحات مجهولة عن ناظم حكمت « (١٩٠٢ - ١٩٦٣) » ، ستكون صدمة لمحبي ناظم ولكل الشعراء المصريين الذين تأثروا به في الخمسينيات وفي الستينيات من هذا القرن ، ولكل من احبه من المثقفين ، وهؤلاء يعرفون حياته وتطوره الفكري والشعري حتى عام ١٩٥١ ، اما بعد ذلك فصفحات مجهولة عن ناظم في تلك الفترة حتى مماته ، من شأنها القاء الضوء على فنه وادبه .

● وناظم حكمت ليس جديدا على العالم الثالث ، ومنه مصر ، فلقد زار مصر ، وعن العدوان الثلاثي وصمود بورسعيد كتب قصيدته المشهورة ، وكان صديقا شخصيا للعديد من كتاب مصر وشعرائها : عبد الرحمن الخميسي وصلاح عبد الصبور وغيرهما من مجموعة أعلام الشعر الحديث في مصر . كما قدمه من الروسية الى العربية ماهر عسل وقدمه من التركية مباشرة الى العربية في ترجمة قوية وجميلة الدكتور أكمل الدين أحسان ، مدير المركز الاسلامي باستانبول ، حين ترجم عن ناظم ملحمته الذائعة الصيت حرب الاستقلال ، ومسرحيته البديعة : قصة حب أوفرها دوشيرين ، وصدرت الترجمتان في القاهرة في الستينيات ، كما ترجم له كاتب هذه السطور بعض قصائد عن التركية عندما كان يجرب ما تعلمه من الترجمة من التركية الى العربية أثناء مرحلة ما قبل الوعي ، وأسهم محمد البخاري بترجمة مجموعة قصائد لناظم عن الفرنسية الى العربية . وناظم شاعر ترك بصماته على الأدب العالمي ، وحاز اعجابا لا مثيل له ، فترجمت أشعاره الى اللغات

ناظم حكمت ..
١٩٠٢ - ١٩٦٣ م



- غلاف مذكرات زكريا سرتل
"ناظم حكمت في سنواته الأخيرة"



- زكريا سرتل
صاحب المذكرات

الواسعة الانتشار والى اللغات المحدودة الانتشار ،ترجم الى الروسية والى الانجليزية والى الفرنسية ، كما ترجم الى العربية ـ وخاصة فى العراق ـ كما ترجم الى مختلف اللغات الآسيوية الافريقية .

قال عنه الاتراك : « ناظم حكمت أكبر شاعر فى القرن العشرين ، وليس فى العالم كله شاعر يضارع ناظم حكمت عبقرية شعرية » وقال عنه بابلونيرودا : « اننا لا نحسب فى عداد الشعراء عندما نقف بجوار ناظم حكمت » .

وسبب زعمى ، أن صدرت فى استانبول ، مذكرات على قدر كبير من الأهمية الأدبية والفنية ، هى مذكرات زكريا سرتل ، رفيق ناظم حكمت ، ومصاحبه فى المنفى ، منذ خروج ناظم من تركيا وحتى موت ناظم عام ١٩٦٣ .

وزكريا سرتل ، كاتب تركى مشهور كان عضو نقابة الكتاب الأتراك ، كما كان أقرب الناس الى قلب ناظم . وكان منفيا مثله ، وكان مؤنسه فى غربته ، واستمر نفى زكريا حتى بعد موت الشاعر ناظم حكمت ، الى أن قامت الحكومة الاشتراكية فى تركيا بقيادة بولند أجاويد ، فاستصدرت أمر عفو عن زكريا سرتل ، فعاد الى بلاده . واستقبل استقبالا كبيرا ، واستكتبته الصحف ، واستكتبته دور النشر ، وتسابقت فى ذلك . وكان ان استجاب لطلب جريدة كون آيدين اليومية (وكون ايدين كلمة تركية معناها صباح الخير) ، فكتب لها وفيها مذكراته مع ناظم حكمت فى البلدان الديمقراطية الاشتراكية . وطبعت هذه الجريدة ، هذه المذكرات بعد ذلك فى كتاب بلغ ٢٨٨ صفحة .

كانت المفاجأة كبيرة والصدمة اكبر **اثناء نشر هذه المذكرات ، فاجتمع اتحاد نقابة الكتاب الاتراك اجتماعا طارئا ليتخذ ، قرارا تاريخيا ، بفصل زكريا سرتل من الاتحاد ، ومن نقابة الصحفيين .**

قام الكاتب والأديب التركى عزيز نسين ـ المشهور فى مصر وفى العراق ـ باعلان استقالته من نقابة الكتاب الاتراك ، ومن رياستها ، بسبب اتخاذ قرار فصل زكريا سرتل، خاصة انه ـ آى عزيز ـ كان متغيبا

ناظم حكمت فى سجن بورصة



عن الاجتماع . قال عزيز نسين . ان فصل هذا الكاتب الكبير من الدنيا ، نس شيء عمل موجه ضد حرية الكاملة .

● قصة كاذبة

من الجديد في هذه المذكرات وهي بعنوان : « ناظم حكمت في سنواته الأخيرة » ان القصة التي حكاها ناظم حكمت ـ عندما كان في مصر ـ عن هربه من تركيا ، كانت قصة كاذبة اختلقها ناظم اختلاقا .

يقول زكريا سرتل : لماذا كان ناظم حكمت مضطرا لمغادرة وطنه ؟ ثم يجيب على هذا بقوله ان ناظم حكمت كان قد قضى في سجون تركيا ثمانية عشر عاما ، وكان بعدها عاطلا . ولم يكن يحب أداء الخدمة الوطنية (العسكرية) في وطنه تركيا . ولما عرض عليه رفاقه تهريبه من تركيا ، وافق . القصة التي يرويها ناظم هي (: العام : « ١٩٥١ » قارب بخاري يشق عنان البسفور بعد الفجر ، بهدوء ويتجه الى سفينة رومانية بيضاء متجهة من استانبول الى رومانيا . تنتشل هذه السفينة ، الشاعر ناظم حكمت . يصعد عليها . فاذا به يجد صورته تتصدر المائدة في قاعة احتفال أعدها القبطان . وتتجه السفينة الى بوخارست . وفي مينائها يجد ناظم ، وزيرة الخارجية الرومانية ، على رأس وفد من كتاب رومانيا وشعرائها ، في استقباله)

يقول زكريا سرتل ـ رفيق ناظم حكمت ، وأقرب الناس الى قلبه : ان هذه القصة غير حقيقية ، وأشك فيها . لأن ناظم كان يميل الى المبالغة وكان مفتونا .

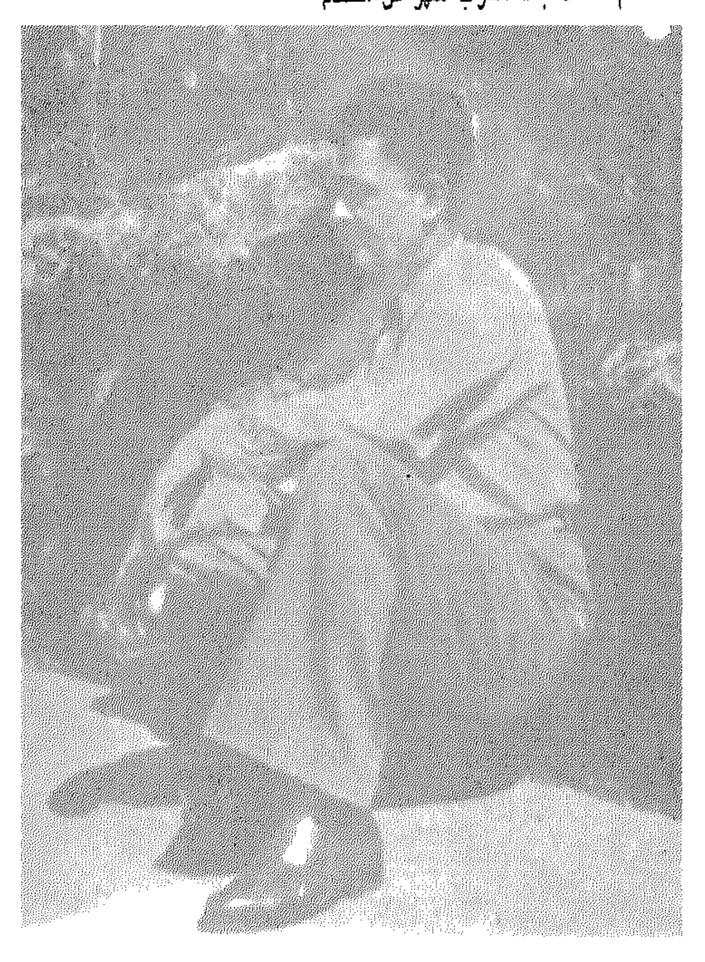
● صمت الشاعر قهرا في بولندا

ومن رومانيا ، الى المجر يذهب ناظم حكمت وسط احتفالات الكتاب به، لكن ناظم ـ كما يقول سرتل في مذكراته ـ (لم يستطع فهم المأساة التي يعيشها المثقفون المجريون) .

ومن المجر الى بولندا . وبولندا هي موطن ناظم حكمت الأساسي ، **ويجدر القول هنا ان ناظم حكمت ينتمي الى أسرة بولندية تسمى آل بورجنسكي .**

في بولندا ، استقبل البولنديون ، ناظم حكمت ، لا على انه شاعر تركي بل على انه بولندي منهم لذلك كان استقباله في بولندا حافلا . يقول سرتل (وهناك في وارسو ، زاره أقاربه البولنديون . وفي وارسو مثلت مسرحيته العبيط . وكان كل

ـ ناظم حكمت بعد اضراب شهر عن الطعام



بولندى يقابل ناظم فى بولندا ، يحدثه عن ظلم ستالين ، وان ستالين اقتطع جزءا من الأراضى البولندية ، وضمها الى أوكرانيا • لكن ناظم سكت قهرا) •

ومن شعر ناظم حكمت وهو فى بولندا :

« **حبيبتى ! •• واحد من أجدادى هاجر من بولندا**
وترك بلاده فى عام ١٨٤٨ •
قد يكون لهذا ، شاربى أشقر •
وقامتى مديدة
والأغنية البولندية تهزنى » •

● صمت الشاعر قهرا فى بلغاريا

وجهت الحكومة البلغارية دعوة الى ناظم حكمت لزيارتها باعتباره العالمى المعروف ، لكى يقوم بدور الوسيط بين بلغاريا والاتراك القاطنين فى المنطقة التركية من بلغاريا • وكان السكان هناك يشتكون من حرمان منطقتهم من الكهرباء ، ومن الطرق المرصوفة ، ومن الطرق الرئيسية ، ومن اضطهاد اللغة التركية ومن القانون البلغارى الذى يجبر الأتراك هناك على تغيير اسمائهم بأسماء بلغارية (ومازال الكلام لزكريا سرتل) فوصل ناظم الى بلغاريا وتوجه الى المنطقة التركية وقابل الأتراك ، وأخذ يقنعهم بقبول الواقع ، واذا بهم يتكلمون ويتكلمون قالوا له : يا أخانا ناظم انهم ينظرون باحتقار شديد الى مساجدنا •• انهم يا أخانا ناظم يريدون منا أن ننسى لغتنا الجميلة •• يريدون منا ان ننسى •• (على ذلك صمت الشاعر قهرا) •

● صمت الشاعر قهرا فى أذربيجان

كان لناظم حكمت مآس فكرية وروحية فى منفاه ، فقد كانت اشعاره تمر ـ بموجب قانون النشر ـ على رقباء لا يمتون للأدب ولا للفن بصلة، وكان من حق الرقيب أن يتصرف فى أشعار ناظم دون أن يأخذ رأيه فيها• مع العلم بأن ناظم اعتاد فى تركيا أن تنشر أشعاره أولا ، فاذا رآها المسئولون مخالفة للنظام ، قدم الشاعر للمحكمة) •

وفى المنفى كان ناظم حكمت يسأل عن أصدقائه فيسمع اجابات غريبة : أعدم البعض ، ونفى البعض الى سيبيريا ، وقتل البعض الآخر •• ويسمع الشاعر هذا فيصمت قهرا •

وفى آذربيجان ، وهى منطقة تركية يتحدث أهلها التركية • قابل ناظم ـ وهو فى المنفى ـ رئيس جمهورية آذربيجان : ميرزا ابراهيم • **اقترح الشاعر الضيف على الرئيس أن يصدر قرارا بأن تكون اللغة التركية هى اللغة الرسمية الأولى فى آذربيجان لأنها لغة شعبها ، خاصة ان دستور جمهورية أذربيجان ، يعطى أهلها الحق فى هذا ، فأصدر الرئيس ابراهيم ميرزا قرارا جمهوريا** بذلك ، لكن قرارا أعلى صدر بعزله من رياسة الجمهورية وتقديمه للمحاكمة بتهمة الخيانة ، وكان أن ورط الشاعر ناظم حكمت ، الرئيس ميرزا ابراهيم • وعندما عوتب ناظم فى هذا صمت قهرا •

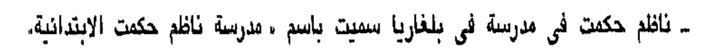
وعندما أذاع المؤتمر العشرون للحزب الشيوعى السوفييتى ، مآسى ستالين : (بأوامر من ستالين ، قتل عشرة ملايين مسلم) ص ١٦٥ من



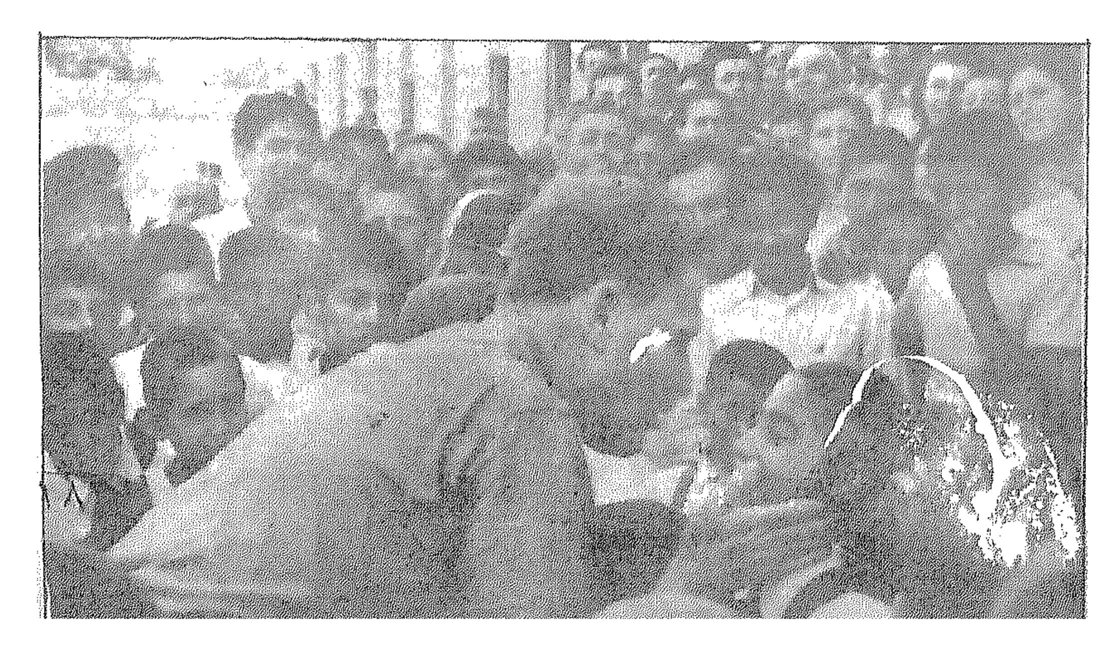
ـ ناظم حكمت مع زوجته منوّر

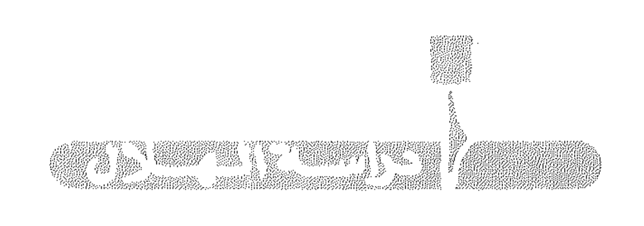


ناظم حكمت مع عابدين دنيو (١٩٥٠)



ـ ناظم حكمت فى مدرسة فى بلغاريا سميت باسم « مدرسة ناظم حكمت الابتدائية»





المذكرات . (بأوامر من ستالين نفى شعب القرم التركى الى صحارى قازاخستان نفيا جماعيا فوريا) ص ١٦٥ أيضا . بدأ ناظم حكمت ينقد سياسة ستالين فى قصيدته المشهورة (الأمل) التى قال فيها :

انى انظم الأشعار . لن تطبع !
لكنها ذات يوم ، سترى النور .
انى انتظر خطابا ياتينى بالبشرى .
قد يكون يوم وفاتى ، مقدمه .
لكنه سياتى بالتأكيد .

يستمر الكاتب التقدمى زكريا سرتل فى حديثه عن رفيق كفاحه قائلا : **عاش ناظم حكمت بورجوازيا فى بلاد البروليتاريا ، وكانت أول** مسرحية تمثل له فى موسكو هى فرهادوشيرين .

تمنى ناظم حكمت أن تشتهر أشعاره فى أوربا وأمريكا ، فارسل قصيدته (السلام) الى هيمنجواى ، طالبا منه ترجمتها الى الانجليزية ، وأرسل الى المغنى الزنجى الأمريكى بول روبسون ليغنيها بعد أن ينتهى هيمنجواى من ترجمتها . لكنهما لم يحققا له أمنيته رغم الحاحه عليهما ، وهنا أيضا صمت الشاعر قهرا .

تبدأ قصيدة ناظم حكمت (السلام) بقوله :

شابا ، كان ، ذلك الصياد اليابانى
ذاك الذى قتلته : سحابة فى البحر .
استمعت الى اغنية له ، غناها لى اصدقاؤه .
وكان الوقت ، مساء احد الأيام الشديدة الصفرة ..
فى الباسفيك

أما أكثر فصول مذكرات زكريا سرتل ، الكاتب الاشتراكى الذائع الصيت فى تركيا ، هى التى تحكى تنكر ناظم حكمت ، لزوجته ورفيقة كفاحه : السيدة منور . مع أن ناظم كتب فيها أشعارا ترجمت الى لغات كثيرة ، واذكر أن قصائده فى زوجته منور ظهرت فى ترجمتها العربية فى مجلة الكاتب القاهرية فى أواخر الستينيات تقريبا ، بعنوان (الى زوجتى الحبيبة) ويقول ناظم فيها :

أفكر فيك يا مدينة استانبول ..
يا مدينتى ذات العينين الزرقاوين
زرقة عينى زوجتى ..

والسيدة منور ، بلغارية ، كما يبدو من قصائد ناظم اليها ، وقد وصل عدد رسائل الحب المتبادلة بينهما ٨٠٠ رسالة أثناء الغربة والنفى ، وفى قصيدة عنها نظمها ناظم فى صوفيا عاصمة بلغاريا ، يقول :

تسلمت خطابا من
زوجتى الحبيبة منور ، تقول لى فيه :
حدثنى عن صوفيا .. كأنى
يا ناظم اعرف اللغة البلغارية .
كيف هى صوفيا يا ناظم ؟
كنت اسمع من امى : ان صوفيا مدينة صغيرة .
كانت تكبر ..
تخيل !! كان ذلك منذ واحد واربعين عاما .

عندما هرب ناظم من تركيا ، هرب على أمل أن تلحق به زوجته السيدة منور وابنهما محمد . وبعد محاولات مضنية تمكنت منور من السفر بابنها الى وارسو عاصمة بولندا ، وهناك أرسلت لناظم وجلست تنتظره . ولكن المفاجأة أن ناظم كان قد وقع فى موظفة روسية تسمى فيرا . كانت فى الرابعة

Dört nala gelip uzak Asya'dan
Akdeniz'e bir kısrak başı gibi uzanan
bu memleket bizim,

avuçlar kan içinde ayaklar çıplak
ve ipek bir halıya benzeyen toprak
bu cehennem bu cennet bizim,

kapansın el kapıları bir daha açılmasın
yok edin insanın insana kulluğunu
bu davet bizim

Yaşamak bir ağaç gibi tek ve hür
ve bir orman gibi kardeşçesine
bu hasret bizim

Nazım Hikmet
2/7/ Paris
1963

والعشرين من عمـــرها وناظم فى الثامنة والخمســين · تزوجـا · وبعـــدها تلقى خبر وصـول زوجته التركية منور وابنهمـــا محمد ، الى وارسو · كانت مفاجـأة سيئة لناظم حكمت · قابلها فى وارســـو متبلد الحس والذهن · اعتذر لها وقال : « يا منور لن استطيع الحياة معك » فانهارت · وعندما أفاقت قال لها : وماذا بيدى ! انى مضطر للحياة فى موسكو ، فابق انت هنا فى وارسو· البولنديون طيبون · وسيجدون لك عملا وسكنا ·

وكان الطفل محمد ناظـــم حكمت فى تلك اللحظة يتقدم نحو أبيه ، الذى غرست منور فى قلبه الحب الكبير له · لكن ناظم لم يعد كسابق عهده · لم تتحرك فيه شاعريته ، ولم تستيقظ فيه عاطفـــة الأبوة ، فلم يتحـــرك لاحتضان ابنه محمد ·



ـ ناظم حكمت فى مهرجان شباب برلين

وعاد ناظم حكمت الى موسكو ، الى زوجته فيرا الروسية ·

وفى ٢ يونيو عام ١٩٦٣ مات ناظم حكمت فى موســـكو على أثر نوبة قلبية أصابته · وعرف العـــالم كله النبأ بعد أن قطعت اذاعة موســكو ارسالها لتذيع الخبر ·

ومات ناظم حكمت بعيدا عن وطنه، وفى أرض لم يعد يحبها ، مات بعيدا عن زوجته منـــور ذات العـــينين الزرقاوين ، وبعيدا عن ابنه محمد الذى نظم فيه الأشعار · ·

مات الشاعر التركى الكبير ناظم حكمت بعد أن أسمع صوته واشعاره الى العالم كله ·

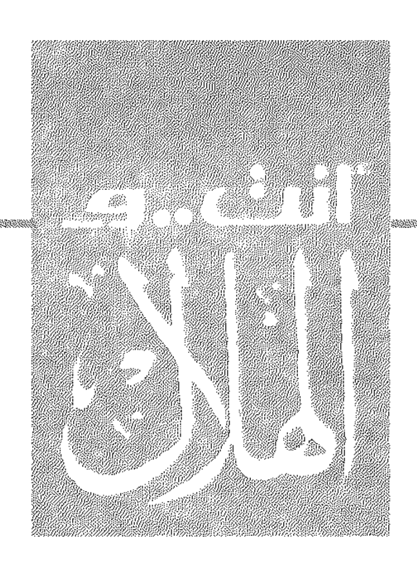
ومات بعد قليل من نظم قصـــيدة يقول فيها :

ترى ·· هل من حوش منـزلى : تخرج جنازتى ؟!

ولكن كيف تنزلون جثتىمن الطابق الثالث ؟!

فالمصـــعد الكهربائى لا يتســـع لتابوتى !

وسلالم بيتى ضيقة ·· أضيق من ان تسعه ·



• يا وابور قل لى •

● طالعنا فى عدد نوفمبر من « الهلال » مقالة « يا وابور قل لى » مع ما صاحبها من الصور الوثائقية والرسوم التاريخية القيمة ، ولذا نود أن نهديكم ملاحظتنا التالية بشأن هنة صغيرة شابت تلك المقالة اللطيفة المفيدة ، فقد ورد بالمقالة أن كلمة « وابور » تحريف بسيط للكلمة الانجليزية Vapour وهذا غير صحيح ، فان كلمة وابور تحريف لكلمة Vapeur الفرنسية ، واليكم الاسانيد الدامغة على ذلك :

– قطار السكة الحديد يسمى بالفرنسية Train á Vapeur بينما يسمى بالانجليزية Railway Train

– أما القاطرة البخارية – كقاطرات ذلك الوقت وليس كقاطرات الديزل المعصرية – فهى تسمى بالفرنسية Locomotif á Vapeur وبالانجليزية Steam Locomotive

– لاحظ أن البخار الناتج عن غليان الماء يسمى بالانجليزية Steam ، أما كلمة Vapour الانجليزية فتطلق على البخار الذى يتصاعد من أى سائل فى درجات الحرارة العادية التى هى دون درجة غليان السائل . واذا نظرت فى أى قاموس انجليزى/فرنسى تحت كلمة Steam الانجليزية ستجد أن الكلمة الفرنسية المقابلة لها هى Vapeur – فمثلا المحرك البخارى اسمه بالانجليزية Steam Engine وبالفرنسية Machine a Vapeur ذلك أنه لا توجد فى الفرنسية كلمتان مختلفتان للبخار الناتج عن الغليان وللبخار الذى يتصاعد على درجات الحرارة العادية ، فكلاهما Vapeur ، بينما تختلف الانجليزية فى أن البخار الناتج عن الغليان يسمى Steam

وقبل الاحتلال الانجليزى لمصر لم تكن اللهجة العامية المصرية تحوى كلمات من أصول أوروبية غير الايطالية والفرنسية واليونانية . وحتى بعد الاحتلال الانجليزى لم تدخل العامية المصرية

كلمات انجليزية تذكر • هذا بينما الكلمـــات الايطالية الاصل فى العامية المصرية بالعشرات حتى الان ، تليها فى العـــــدد الكلمات الفرنسية ثم اليونانية ، أما الانجليزية الاصل فقليلة جدا •

فمثـــلا : بعض المصريين يسمون للثلجـــــات الان باسمها الانجليزى Ice Cream ولكن حتى منتصف القرن الحالى كانت تسمى أحيانا « جلاس » ـ كما فى أغنية عبد الوهاب : « عشـــان تحرمى تاكلى جلاس وتدوبى فى قلوب الناس » ـ وهـــو الاسم الفرنسى منطوقا كأصله بلا تحريف ، ولـــكن أغلب المصريين كانوا يستخدمون الاسم الايطـــالى « جيلاتى » Gelatti أى مثلجــــات منطوقة نطقا ايطاليا سليما • أما الجيل السابق ـ فى القـــرن التاسع عشر ـ فكان يسمى المثلجات « دندورمة » وهو الاسم التركى للمثلجات •

ومازال بعض المصريين يستخدم كلمة جيلاتى الى الان • كمـــا انك تسمع فى الموالد فى الريف باعة المثلجات ينادون عليها باسمها التركى « دندورمة » •

هذا وقد جمع هذا الضعيف الذى يخاطبكم اكثر من مائة لفظ مصرى حديث مأخوذ عن الايطـــــالية ، ولعل اللغويين يستطيعون استقصاء اكثر من ذلك من الكلمات العامية المصرية الايطـــالية الاصل •

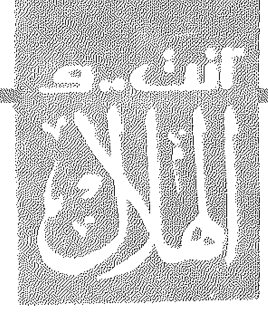
ومن أشهر الكلمات اليونانية الاصل واكثرها استخداما فى اللغـــة الدارجة المصرية كلمـــة « ترابيزا » أو « ترابيزه » بمعنى منضدة أو مائدة ، وهى بنفس نطقها اليونانى تقريبا •

وفى سوريا ولبنـــان لا يقولون ترابيزة مثلنـــا بل يقولون « طاولة » (بكسر اللام) ويتصورون أنها عربية بينما هى ايطالية Tavolé بمعنى منضدة ـ Tavola بمعنى مائدة • والصحفيون المصريون يقولون « تنس الطاولة » ويتصورون انها تعريب سليم لكلمتى Table Tennis بمعنى لعبة الـ Ping Pong بينما التعريب يجب أن يكون « تنس المنضدة » •

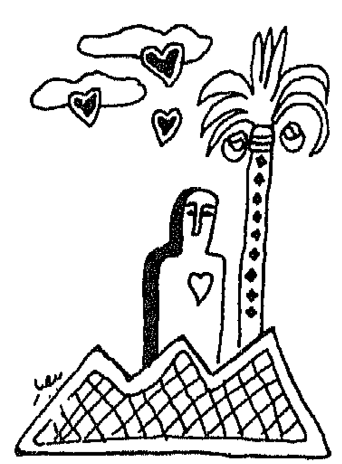
ومن الغريب أن كلمة « مائدة » العربية بمعنى « منضـــــدة الطعام » قد اختفت من اللهجات العامية المعـــاصرة فى البـــلاد العربية ، ولكنها ـ سبحان الله ! ـ مازالت تستخدم فى مالطة ، فان أهلها يقولون « مايدا » Maida فى مقابل كلمة « السفرة » المصرية أو Tavola الايطالية • ولا يخفى أن اللغة المالطية نصفها تقريبا من أصول عربية والنصف الاخر كلمات ايطالية •

هذا حديث ذو شجون ، وشكرا لكم على تلك المقالة الطلية

قارىء مصرى



• مــواطــن •



على ســحب الايام يحملنى المحب
فينثرنى فى روحه الوطن الرحب
فيجمعنى فى ومضة الضوء مضغة
مخلقة تحوى الوفا اينمــا يصبو
فيحضنها طفلا ، يباركهــا فتى
وينفقها .. اين استطال به الجدب
ومن يحفظ الاوطان ودا ـ تهب له
على الدهر خلدا روحه دمعها العذب

عبد الرحيم الماسخ
سـوهاج

• وفــاء •

● لفت نظرى فى « الهلال ـ نوفمبر ٨٧ » تخصيصكم صفحتين ونصفا للقارىء أحمد عامر وكنت أتمنى أن تخصص هذه المساحة لعدد من الاصدقاء سواء كان ذلك للرد أو للنشر ، ففى رأيى أن ذلك كان أجدى ، لان هذه الصفحات هى نافذتنا الى دنيا الادب وليس بمعقول أن يحتل قارىء واحد النافذة لمدة شهر بينما هى تتسع للعشرات .

ويسعدنى أن أرسل اليكم هذه الابيات :

اذا مــا رأيت شــموسا تجلت
وبدرا يغــالب بدر الســماء
وطيرا وديعــا يرفرف حــرا
يمد الجنــاح بعرض الفضــاء
وضحكة طفل على الخلق تزهــو
تمثل فيها جمــال الصــفاء
واما رؤما تهدهد طفــلا
وعن ناظريه تذب الهــواء
اذا ما رايت نبيــل المعــانى
وطيب الخصال . كذا الكبــرياء
اذا مــا رأيت ســناء يبــدد
ظلمــة ليل وينضــو الرداء

اذا ما رايت قلـوبا تصـافت
على المعهـد او اقسمت بالولاء
اذا مـا رايت دلال الصـبايا
وعقل الشيوخ ... فهـذى وفاء

عبد الرحمن عبد المحسن البطة
المنصـورة

• غروب الحضارة •

ليت شـعرى اين نحن
وقـد اصبحنا هشيما
عن جيل ابدع فى كـل
مجـال صـورا
من البطولة وعمق الفكر
لم يخـونوا ابـدا
كان العقاد عمـلاقهم و
غـدير يرنو بعيـدا
وشوقى شاعرهم الفـذ
واصـدق من تغنى
فى حب الرسول انشدى
وبرديته خير شـاهدا

اين نحن ؟...
في زمن صرنا نخطىء ونحسبه صوابا
لا يا رفاق الحياة ما هذه شيمه
الاحـرار
ولا لمسة الأدباء
ولا فكر العقـاد

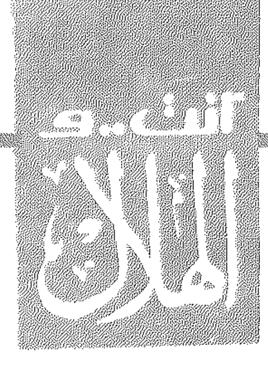
عبد السلام فاروق عبد العظيم
غراب
كلية الاعلام ـ جامعة القاهرة

● تعليق :

ـ هذا ليس شعرا يا بنى ، لان الاوزان تنقصه ، ولا نقصـد البحور ، بل مجرد التفعيلات ، دعك من المعـانى ، اما الصـحافة فتستطيع ان تصبح صحفيا بعد استكمال دراستك اذا كنت موهـوبا فى الصحافة لا مجرد حامل لشهادة فى الاعـلام ، ولا يشـترط فى الصحفى ان يكون شاعرا على الاطلاق ، بل لعل العكس هو الصحيح ، ولكن يجب ان تكون على قدر كاف من العلم باللغة العربية التى تكتب بها ، فضلا عن اللغة الاجنبية .

• الوهم السحار •

يتبدل زمنى ما يلبث
يتقـدم يرجع ينهـار
وانا مـلامح التشـبث
بسار ضـد التيـار
يدركنى صحبى ناصية
لافتـة من فوق جـدار
بعيونى تسـبح اشرعة
ضاقت بهداها الانهـار
فى صـدرى تصـدح اغنية
منعت فى كل الاقطـار
كالطير اهاجر كى ابحث
عن ارض تهوى الاشـعار



بيمينى زهــرات تالق	بشمالى سيف بتــار
بجوارى ظل يتـــرفق	يتكتم غضبة أعصــار
ما فتر طموحى ما اخفق	والحظ يولى الادبــار
فالموت يا ولدى ان نياس	ونسمى الكبوة اقــدار

د٠ عبد الفتاح ابراهيم تركى
كلية التربية للبنات
مكة المكرمة

• طـرائف •

● زار شاعر اسمه توفيق أحد أصدقائه من الشــعراء وكان يملك مصنعا للاحذية فأهداه حذاء كتب عليه هذين البيتين :

لقــد اهديت توفيقــا حــذاء
فقـــال الحاسدون وما عليـــه
اما قال الفتى العــربى يومـــا
شــبيه الشىء منجــذب اليـــه

فرد عليه توفيق بهذين البيتين :

لو كان يهدى الى الانسان قيمته
لكنت اسالك الدنيا وما فيهـــا
لكن تقبلت هــذا النعل معتقــدا
أن الهدايا على مقــدار مهديهـــا

● رشح بيــرم التونسى الزجــال حسين شفيق المصرى كأمير للشعر الحلمنتيشى يقول عنه : يكفى انه تفوق على كل الشعراء فى هذا النوع من الشعر انه شخصية لا تتكرر والشعر الحلمنتيشى أصعب بكثير من الشعر المألوف ومن أجمل ما قاله شفيق المصرى على غرار ما قاله ابن الفارض ولكن بالطريقة الحلمنتيشية :

فى فؤادى لحبيبى عـــزبة	زرعت شوكا وفيها الدمع رى
وبأرض الحب أشجار لهــا	ثمر ياكله المشـــتاق نى
اننى من وحشـتى فى ظلمة	ومحياه كلوب فيـــه ضى

ولم يدم الحال على ما هو عليه ففى ندوة أدبية حضرها عدد

من الزجالين على رأسهم بيـــرم التونسى وحسين شفيق المصرى وأبو بثينة هاجم حسين شفيق بيرم التونسى فما كان من بيرم الا أن رد عليه قائلا :

يا حسين ابن شـــفيقه ضـــجرت منك الخليقـــه
أبدا تصـــدر كالناقوس أصـــواتا عتيقـــــه
هل ترى الناقوس قد غيـــر فى الدنيـــا زعيقـــه
أم رأيت الجحش يســـتبدل ما عـــاش نهيقـــه

● كان الشاعر البائس عبـد الحميـد الديب يسكن حجرة مهملة حقيرة فى منزل متهدم فمر عليه صاحب البيت وكان موسرا فقال الديب :

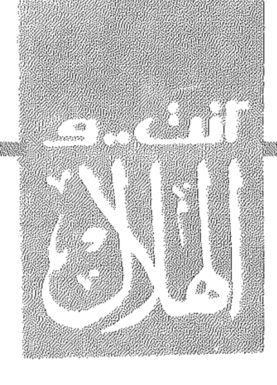
يمر على سكناى فى ذيل بيتـــه
مرور عيون الموسرين على الفلس
أرانى بها كـــل الاثاث ولا أرى
سوى قلم ثاو على الارض أو كرسى
فقلت له هذى حدودى كمـــا ترى
فما مسكنى فى البيت بل أنا فى رمسى
وأسمعته صوت الـــدراهم فانثنى
يقدم أعـــذار اليهود من الوكس
وأخضع فقـــرى كبـــره وثراءه
وأى غنى للمرء غير غنى النفس؟
اذا كانت السكنى بأجـــر مذلة
فما أرحب المجان فى غرفة الحبس

● فكر الاستاذ فكرى أباظة رحمه الله فى الزواج وكان قد بلغ الخمسين فلجأ الى خاطبة تدعى أم هناوة وأعطاها صورة له كتب خلفها الشروط التى يطلبها فى زوجة المستقبل وكانت :

أخاصمها تصالحنى وأغضبها فترضينى
وآمرها فتسمعنى وتخضع لى تجاريني
فان أصبحت فى كدر تواسينى تسلينى
وان أمسيت فى فلس تعدل لى موازينى
بهذا الشرط أقبلها وهذا الشرط يكفينى

ومن الطريف أن الخاطبة ظلت أكثر من عشر سنوات تبحث له عن عروس تتوفر فيها هذه الشروط دون جدوى حتى توفيت الخاطبة وقضى فكرى أباظة حياته كلها بلا زواج ٠

محمد أمين عيسوى
هيئة قناة السويس ـ
الاسماعيلية



● حـالـة ●

قمر يمر على السحاب وينتحب
شجر يسافر فى الفؤاد وفى البلاد ويحترق
ما بين جرحى والتقاء الاعين العاشقة
كلمـــات حب
يطويهـــا الغمـــام
ويذيعهـــا اهزوجة
خدشت سكون الافق عاصفة
ويعيدها مطرا ··· سلاما ··· اغنية
ويعود للركن القصى
وأنزوى فى حجرتى
بحثا ··· عن وجه قاتلتى التى
سلبت صفائى ثم قالت : راحلة
يا صاحبى لا تندهش
فالقلب لو مر الحمام على ذراه
قــد يتخدش



عزمى احمد عبد الوهاب

● مع الأصدقاء ●

● **محمود عبد الحفيظ عبد العزيز ـ اداب الزقازيق :**
ـ قصيدتكم التى عنوانها « الى الشاعر البيطرى » ·· شديدة اللهجة أيها الشاعر الشاب ، ولن يتحملها الشاعر احمد عامر ، فاسمح لنا بأن نكتفى بهذه الاشارة اليها ·· والطيب احسن ·

● **عبد السلام فاروق عبد العظيم ـ كلية الاعلام ـ القاهرة :**
ـ نرحب بالانتاج الادبى للشباب ، وننشر منه الجيد والناضج بلا نظر الى الاسماء ولا الى السن التى بلغها الكاتب أو الشاعر ·

● **ايمان ابراهيم عبد المعطى ـ ميت الحلوج ـ دكرنس :**
ـ قصائدك التى تلقيناها ينقصها الوزن ، والمهم وأنت فى هذه السن الصغيرة التزود بالعلم والقراءة ، وسيجىء النشر فيما بعد ان شاء الله ··

● **عبد الله السمطى ـ آداب عين شمس :**
ـ هون عليك يا بني ، فمازلت فى أول الطريق ، وسوف تجد

فرصتك ذات يوم ان شاء الله ، ولا تسـخر من شعراء جيلك ولو كانوا ضعافا فى الشعر فانهم مازالوا ناشئين • وسينجح الموهوبون ويستمرون ، ويفشل الادعياء وتنقطع بهم الطريق !

● **سمير أبو الحمد حافظ ـ الاسماعيلية :**

ـ لم نقصد اضحاك أحد على أحد ، ولكن أردنا تقديم صورة من المتاعب التى نلقاها فى التعامل مع قلة محدودة من هواة النشر •• ونشكركم على رسالتكم •

● **منير فوزى ـ المنيـا :**

ـ شعرك لا بأس به ونتوقع لك مزيدا من النضج ، ولكن نرجو ألا تهاجم فى رسائلك الينا زملاءك من الشعراء ، فنحن لا نعـرفهم شخصيا ، وانما نعرف ما يرسلونه الينا من أشعارهم وننشر منه ما يصلح للنشر • وليس صحيحا أن ما ننشره من الشعر أقل طبقة من الشعر الذى أرسلته الينا •• وقاك الله غرور الشباب ! ••

● **محمود أحمـد المصلى ـ المنصورة :**

ـ قصائدكم الكثيرة التى تلقيناها تدل على حبكم لنظم الشعر فى كل وقت • ولكن المجال ـ كما ترى ـ أضيق من أن يتسع لكل ما نتلقاه من الرسائل ، فمعذرة !••

● **جمال جابر على ـ البلينـا :**

ـ قصيدتكم المسماة « الشعر والشيطان » لا تخلو من الاخطاء النحوية واللغوية ، ولا عبرة بأن تكون الابيـات موزونة اذا كان الكلام حافلا بالاخطاء ، يفتقر الى المعانى ••

● **على حوم ـ اذاعة شمال الصعيد بالمنيا :**

ـ الخفر فى اللغة معناه « الحياء » وليس « الحياة » كما فى رسالتك ، والخفراء الذين يحرسون القرية غير الخفر الذى هـو الحياء •• وقولك انك برسالتك الينا الحافلة بالشتائم قد « أشفيت غليلك » خطأ لغوى أيضا ، لان « أشفى » معناها « أهلك » ـ من الهلاك ـ والصحيح أن تقول : « شفيت غليلى » •• ولو كان فى ردك غير الشتائم لنشرناه بلا خوف من رئيس التحرير ، يا عزيزى الناشىء اللطيف !•• وقد حولنا رسالتك الى رئيس التحرير كنموذج من بلاغة بعض الشعراء الجدد •• وكان الله فى عون صديقنـا الاستاذ فهمى عمر رئيس الاذاعة ، فما عساه يصنع فى مذيعين يتركون الميكروفون ويتعلقون بالشعر الذى لا شأن لهم به ؟!

● **السيد محمود خضير الحجاجى ـ الاقصر :**

ـ اقتراحاتك كلهـا منفـذة فى الهلال ، فحـاول أن تدقق فى القراءة ، أما شعرك فينقصه الوزن ، فحاول أن تتعرف على العروض

● **د• أحمد عامر ـ شربين :**

ـ لك عندنا قصائد كثيرة جـدا ، فأنت غزير الانتـاج ، وسنحاول أن نجتزىء من بعضها ما يصلح للنشر ان شاء الله فلا تقلق !••

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

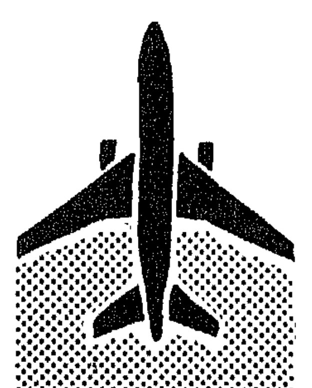
دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

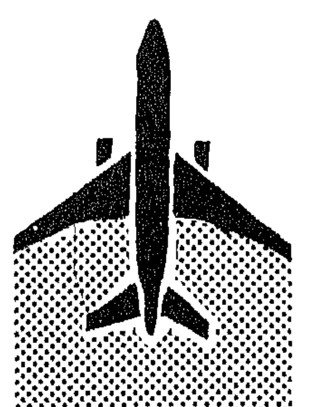
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

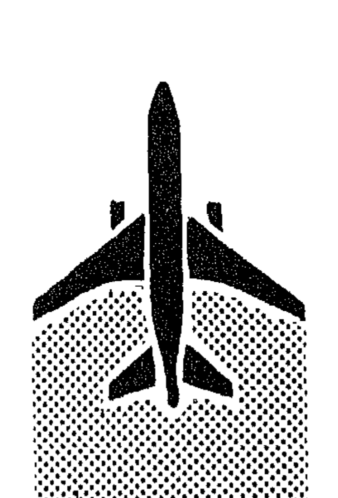
وكيل الاشتراكات بالكويت السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

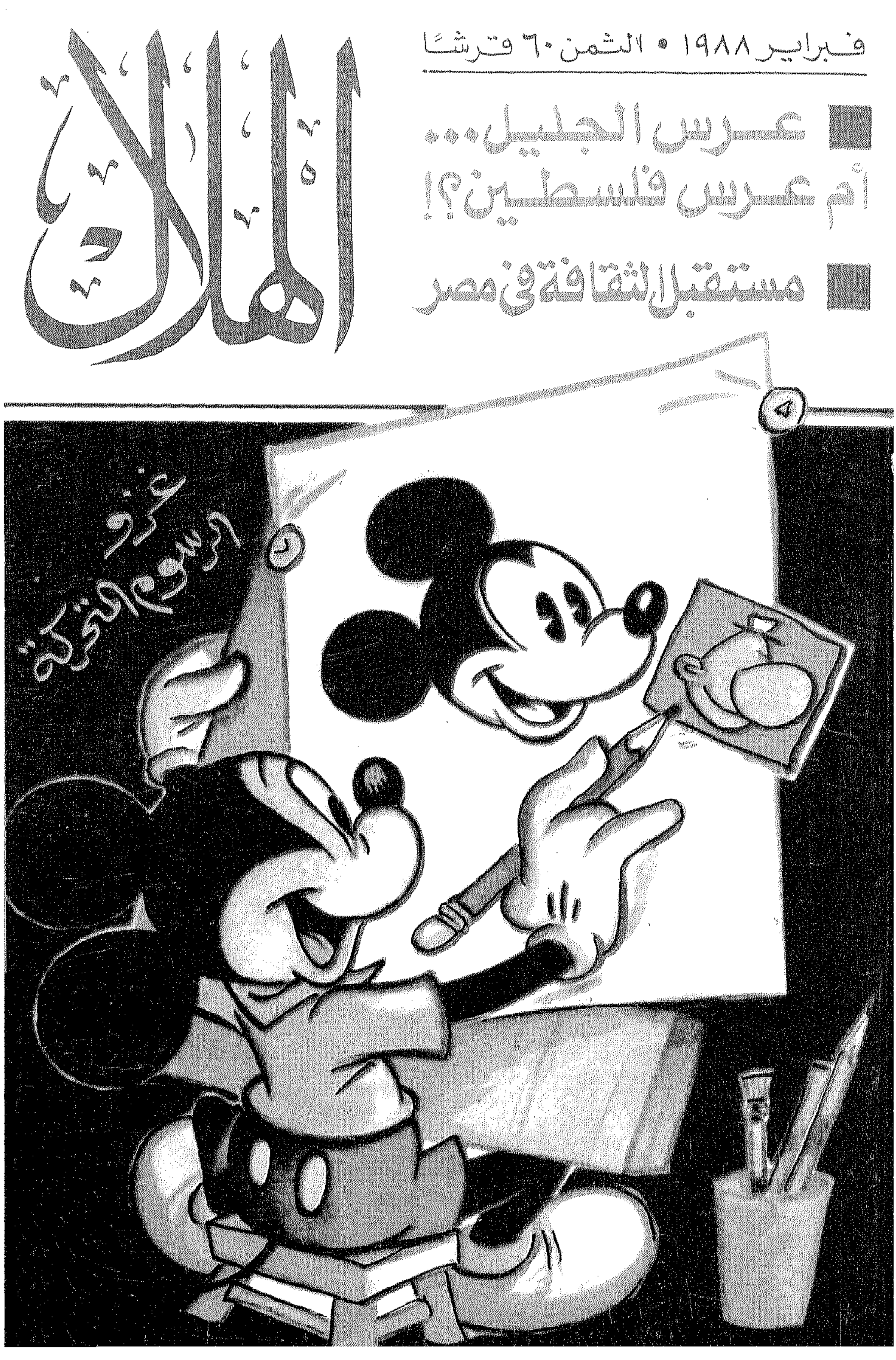
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا










فبراير ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا
الهلال
عرس الجليل...
أم عرس فلسطين؟!
مستقبل الثقافة فى مصر
عدد الرسوم المتحركة



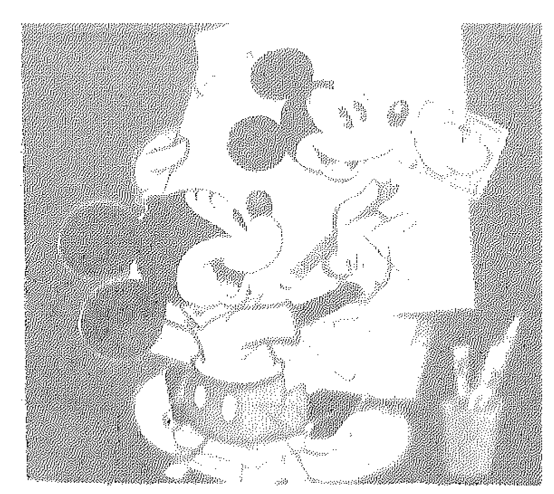
من روائع الفن الإسلامى

لوحة من الفـــن الاسلامى تحمل عنوان ((الحياة فى المدينـــة)) رســمها الفنان سعيد على مستوحاة من خماسية الشاعر الايرانى نظيمى وهى احدى لوحتـــين كبيرتين تعبـــران عن انماط الحياة فى مدينة تبريز ابان القرن السادس عشر . ويعتبر سعيد على احسن الرسامين الذين ينتمون الى مدرســة تبريز فى الرســـم . وتتميز رســـوماته بالمنمنمات البالغة الدقة مما يكشف الى اى حد بلغت موهبة الفنان ..

الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جرجى زيدان عام ١٨٩٢ م - اول فبراير ١٩٨٨ م ١٣ جمادى الثانى ١٤٠٨ هـ ...



الغلاف : تصميم الفنان
محمود الشيخ

● فكر وثقافة ●

ص

●● قضايا حيوية :

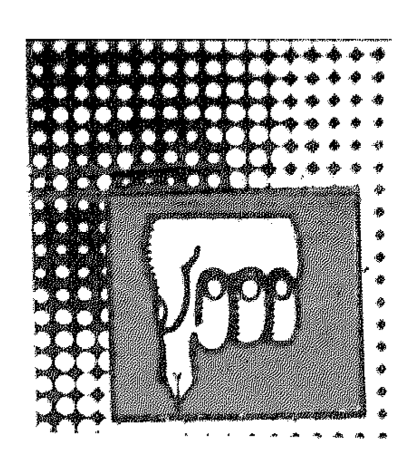
● رسائل صحفية ●

● فن تشكيلى ●

● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

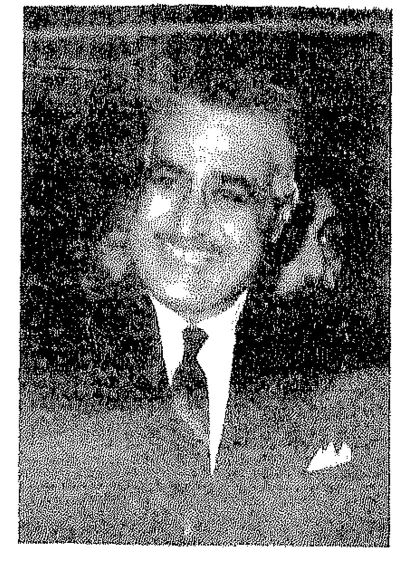


عزيزى القارئ

نستعير عنوان كلمتنا هذه من كتاب "مستقبل الثقافة فى مصر" للدكتور طه حسين ـ رحمه الله ـ لمناسبة انقضاء نصف قرن على صدور هذا الكتاب الذى كانت له عند صدوره سنة ١٩٣٨ أهمية كبيرة، ومازالت حتى الآن أهمية حاضرة باقية ذات شأن، فضلا عن أهميته التاريخية.

لقد عالج طه حسين فى كتابه هذا قضايا كثيرة، مثل هوية مصر، والتعليم المصرى، والثقافة المصرية .. وكان متفائلا فى نظره إلى هذه الأمور وغيرها .. ففى تلك الأيام ـ منذ خمسين عاما ـ كانت مصر تبدأ مرحلة من استقلالها السياسى الذى انتزعته من الاستعمار البريطانى بعد نضال طويل، وكان مشروع بناء المجتمع المصرى فى عهد الاستقلال مطروحا بكل جدية وتفتح واستبشار، تحف به الآمال العريضة فى قيام الدولة المصرية العصرية التى مهدت لها خطوات الاستقلال سبل التقدم، بعد أن تخبطت مصر مدة عقدين أو ثلاثة فى بداية الاحتلال البريطانى تتطلع للعودة إلى الماضى، إيالة عثمانية تستظل براية خاقان البرين والبحرين فى اسطنبول .. ثم عاشت عقب الحرب العالمية الأولى بضعة عشر عاما تقارع الاحتلال البريطانى حتى عقدت معاهدة سنة ١٩٣٦ فكانت برغم عيوبها خطوة استقلالية جوهرية فى حينها، فتحت الباب للتفكير والعمل من أجل بناء مشروع دولة عصرية مستقلة كبيرة الموارد، عظيمة الآمال فى الحرية والديمقراطية والرخاء والتطور والتقدم بلا انقطاع.

وخفتت عندئذ تلك الأصوات القليلة ذات النشاز التى كانت تتمسح فى تاريخ مصر القديم بمختلف أطواره وأدواره .. فصمت دعاة الفرعونية ودعاة الالتحاق بأوربا جملة وتفصيلا، من القبعة على الرأس إلى الحروف اللاتينية على صفحات الكتب والجرائد، وصمت دعاة التفرقة الدينية، وجفف الباكون على الخلافة العثمانية دموعهم،



عبد الناصر



د. طه حسين

وانكمش دعاة تقليد الأسلاف فى كل شىء من إطلاق اللحية حتى إطالة شعر الرأس وتقصير القميص أو الجلباب ، وإسدال الحجاب على المرأة .

وأدرك الجميع كما يقول طه حسين فى كتابه .. "أن السياسة شىء ، والدين شىء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية ، قبل أن يقوما على أى شىء آخر" ..

فلا يمكن عمليا العودة إلى أنماط حياة اندثرت ومضت عليها القرون الطوال كما مضت على كنوز توت عنخ آمون ، وآثار سلاطين الدول المصرية المتعاقبة .. ولا يمكن التعلق بحلم المدينة الفاضلة والحياة الطوبائية فيها ، لأن هذه المدينة لم يكن لها وجود قط على امتداد تاريخ مصر الفرعونية أو مصر الرومانية أو مصر الأمويّة أو مصر العباسية أو مصر الطولونية أو مصر الاخشيدية ـ حتى فى عصر كافور الإخشيدى الذى امتدحه المتنبى !.. أو مصر الفاطمية ، أو المملوكية أو العثمانية ، أو مصر مراد بك وابراهيم بك التى ألقت سيوفها المطعمة بالذهب تحت أقدام بونابرت !.. فلا معنى لبناء مشروع مصر المستقبل على أوهام تساور بعضنا عن مصر الماضى !..

لقد كان كتاب "مستقبل الثقافة فى مصر" عند صدوره وبعد صدوره بأكثر من ثلاثين عاما ، برهان التفاؤل والثقة بمستقبل الثقافة فى مصر ، لأن مستقبل مصر فى الثقافة والحياة بوجه عام ، كان أيامئذ يبعث التفاؤل والثقة . ولم يكن ثمة ما ينذر بالردة الثقافية أو الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية الخ ..

فإذا كنا نرى الآن نذر هذه الردة بعد أن صار الكتاب وثيقة تاريخية ، فلا بأس بأن نسأل : ألم تكن لطه حسين إذن بصيرة نافذة إلى المستقبل ؟!..



عزيزى القارىء

بلى !.. كانت لطه حسين هذه البصيرة النافذة إلى المستقبل ، ولكن المستقبل اضطرب مساره وتبعثر ، بل خرج عن مساره وأوشك أن يتبدد فى التقلبات العاصفة التى جاء بها عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية ، عالم الحرب الباردة ، والمواجهة النووية ، فلم يسلس المستقبل قياده لمصر ولا لأية دولة فى العالم الثالث ، أو حتى فى العالم المتقدم .. ولا يمكن اعتبار ما يجرى الآن فى عالمنا الثالث ردة نهائية إلى الماضى ، ولكنه انقطاع مؤقت فى الطريق إلى المستقبل ، وإن كان انقطاعا شديد الوطأة برغم طابعه المؤقت ، وهو يستلزم الأناة واليقظة والعمل الدءوب وعدم الاستسلام لليأس ..

وتصادف ذكرى نصف قرن لكتاب "مستقبل الثقافة فى مصر" افتتاح معرض الكتاب الدولى فى القاهرة ، والسؤال المتعلق به : ماذا فى هذا المعرض مما يساهم فى بناء مستقبل مصر ؟!..

كما توافق هذه الذكرى مرور سبعين عاما على ذكرى ميلاد جمال عبد الناصر قائد ثورة ٢٣ يوليو التى حققت نداء طه حسين بأن يكون التعليم والثقافة كالماء والهواء لجميع المواطنين ، وتحطيم احتكار التعليم لطائفة قليلة من أصحاب الامتيازات الطبقية الأنانية ، كانت تفرض الجهل وعدم مواصلة التعليم على أغلبية الشعب .

ولكن مياهاً كثيرة جرت فى نهر المجتمع المصرى بعد كتاب طه حسين وبعد وفاة عبد الناصر ، وصار من الضرورى النظر إلى مستقبل الثقافة فى مصر من جديد لكى تصبح هذه الثقافة سلاحا فى يد الشعب المصرى ، لا فى يد القلة الأنانية ، فهذا هو الطريق لبناء مصر المستقبل ، ودرء أخطار الرجوع القهقرى إلى ظلمات الكهف والرقيم والنوم الذى هو والموت سواء ..

إن هذا الهدف الوطنى الحيوى قد ناقشته مجلة الهلال مع عدد من المفكرين والكتاب ليعالجوه فى مقالات وبحوث ننشرها تباعا ابتداء من من هذا الشهر ..

فبلادنا الآن أمام خيارين : أن تتقدم نحو المستقبل فتعيش مع سائر الأمم التى تتقدم !.. أو تتجمد ثم تتراجع بظهرها إلى الهاوية ، فتعيش فى لفائفها وضماداتها كما تعيش المومياء ، تنتسب إلى الماضى بموتها ، وإلى الحاضر بوجودها ماثلة تحت أنظار المتفرجين على عجائب التحف والآثار !..

بقلم : د. أحمد أبو زيد

الذين يتابعون عن كثب معالم النشاط الثقافى والفكرى فى مصر والعالم العربى لابد أن يكونوا قد لاحظوا بعض الظواهر التى أخذت تطفو على سطح حياتنا الثقافية فى السنوات القليلة الماضية والتى قد يكون لها نتائج بعيدة، وخطيرة على مستقبل الثقافة وعلى قدراتنا على تجديد العقل المصرى والفكر العربى بوجه عام . ولعل أخطر هذه الظواهر هو الموقف العدائى الذى تقفه قطاعات معينة بالذات فى مجتمعنا المصرى من فكر الغرب وثقافته، ومحاولة التهوين من جدوى ذلك الفكر والتشكيك فيه وفى الدوافع التى تكمن وراءه . وقد تذهب فى ذلك إلى حد اتهام الثقافة الغربية بأنها تشكل تهديدا مباشرا للهوية الثقافية المصرية العربية الاسلامية . ومن هنا كثر الحديث فى الآونة الأخيرة عما يطلق عليه أحيانا اسم الامبريالية الثقافية أو الاستعمار الثقافى، وأحيانا أخرى اسم الغزو الثقافى أو غربنة الثقافة أو تغريبها وغير ذلك من تسميات لم يكن لنا عهد بها من قبل .

● بل إن هذا الموقف العدائى كثيرا ما يمتد الى الجهود التى يقوم بها بعض المفكرين والمبدعين فى مصر ممن تأثروا بالثقافة الغربية فى محاولاتهم إعادة النظر فى أوضاعنا الثقافية وتقويم هذه الأوضاع، وقد يصل الأمر بهذا العداء إلى حد السخرية والاستهزاء من هذه الجهود والاستهانة بأداء هؤلاء المفكرين والمبدعين وتسفيه أفكارهم والتشهير أحيانا بأشخاصهم والانتقاص من أقدارهم، بل والتشكيك فى انتمائهم الوطنى وفى عقيدتهم الدينية واتهامهم

بالمروق والتنكر لقيم المجتمع وتقاليده وأعرافه وأخلاقياته إذا هم عارضوا الأوضاع الاجتماعية التقليدية المتوارثة أو انتقدوا بعض التصرفات ومظاهر السلوك العامة وطالبوا بتغييرها وتطويرها لكى تتمشى مع متطلبات العصر . وكثيرا ما تفلح هذه الأساليب فى قمع الفكر ووأد الآراء والتفسيرات الجديدة وصرف أصحابها ـ فى الظاهر على الأقل ـ عن الافصاح عن وجهات نظرهم حتى يجنبوا أنفسهم الحرج والعنت .

القيود .. وحرية الرأى

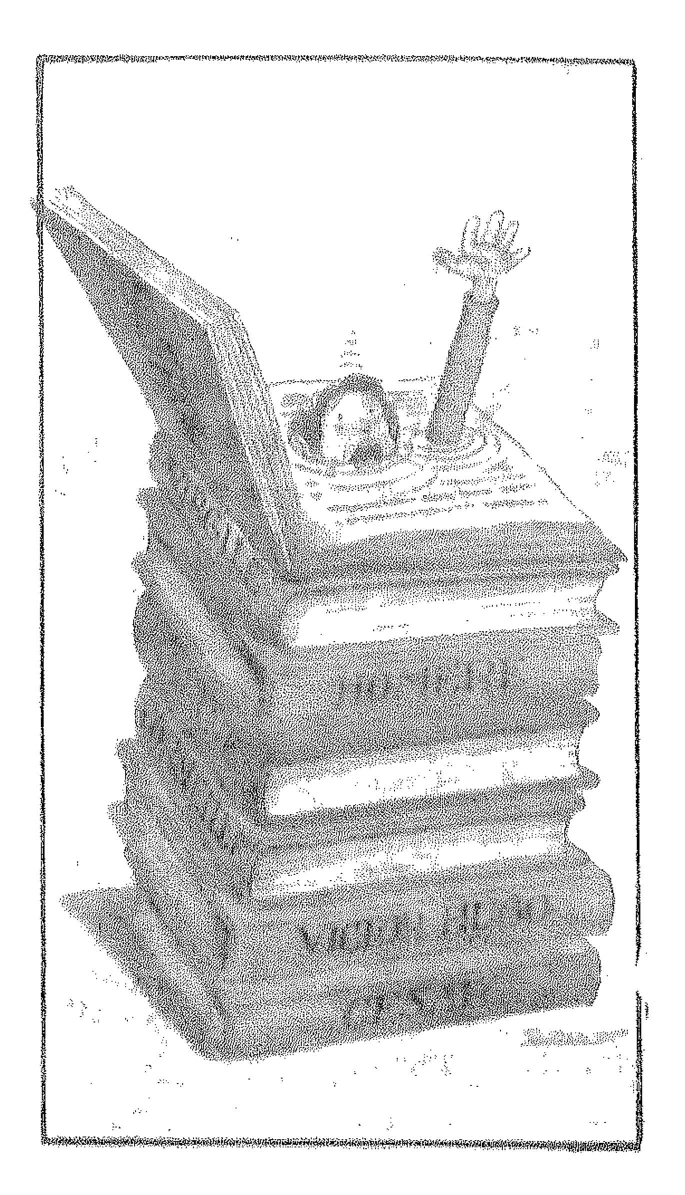
وتمثل هذه الظواهر الجديدة أحد جوانب أزمة الثقافة والمثقفين فى مصر وفى العالم العربى بأسره . كما أنها تكشف من ناحية أخرى عن بعض نواحى القصور فى حياتنا الثقافية وفى فهمنا للثقافة ومقوماتها ودورها فى بناء الفرد والمجتمع . فمصادرة الفكر وفرض القيود على حرية الرأى ووضع القيود والعقبات أمام الأفكار الجديدة والاجتهادات الرائدة فى ميدان الثقافة لن يؤدى إلا إلى العزلة والانغلاق والابتعاد عن التيارات الثقافية العالمية وبالتالى الى التخلف الفكرى والثقافى ، فالفكر يزيد عمقا وثراء ونموا من خلال الاحتكاك بالافكار والآراء الأخرى والاستعارة الواعية من مختلف الثقافات عن طريق الاختيار والانتقاء مع التصدى فى الوقت ذاته للأفكار التى لاتتلاءم مع القيم والأوضاع الاجتماعية **ليس بالمصادرة والمنع والقمع وإنما بالمناقشة والدراسة والنقد مع الارتقاء ـ أو الترفع ـ عن تحويل قضايا الفكر الى معارك شخصية تضيع معها المشكلات الثقافية الهامة .**

هذه وغيرها أمور مطروحة الآن للدراسة والبحث على نطاق واسع فى المجتمع المصرى وفى بعض المجتمعات العربية الأخرى ، لأن الظاهرة تكاد تكون عامة وتهدد الثقافة العربية كلها بالعزلة عن اتجاهات الفكر العالمى والاكتفاء بالالتفاف حول الذات . وقد بات كثير من المفكرين والكتاب والمثقفين بل وبعض الهيئات العلمية والمؤسسات الأكاديمية يدركون أهمية العمل على فحص واختبار الواقع الثقافى الذى نعيش الآن فيه وتقييم ذلك الواقع فى ضوء الأبحاث الميدانية الموضوعية التى تدرس هذا الواقع وترصده من كل جوانبه . وليس أدل على ذلك الاهتمام من أن مؤسسة علمية مرموقة مثل المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية يكرس الآن جهوده لدراسة هذا الواقع الثقافى من خلال مشروع بحثى يهدف الى إمكان وضع سياسة ثقافية جديدة تقوم على أسس صلبة ومتينة وراسخة من البحث والتحليل والفهم والتقييم . ويستعين المركز فى إتمام هذا المشروع الضخم بعدد من المهتمين بمشكلات الثقافة والمتخصصين

والدارسين الذين يعكفون الآن على وضع خطة البحث الذى ينتظر أن يستغرق بضع سنين .

ولكى تثمر هذه الجهود فإن النظرة الى الثقافة فى هذه الحالة لابد أن تكون

نظرة عامة وشاملة بمعنى أن تؤخذ الثقافة فى كل أبعادها الاجتماعية



والسياسية على اعتبار أن الثقافة لاتوجد أبدا فى فراغ وإنما هى ترتبط دائما بمجتمع معين وتتفاعل مع النظم والانساق الاجتماعية السائدة فى ذلك المجتمع . والتى تؤثر بالضرورة فى الحياة الثقافية وتنعكس فيها بشكل أو بآخر . ولن يتيسر ذلك إلا إذا أخذت ، الثقافة بمفهومها الواسع الذى يأخذ به علماء الأنثربولوجيا والذى يتجاوز المفهوم الضيق للكلمة أو المعنى الدارج والشائع بين الناس . فالمفهوم الانثربولوجى للثقافة حسب تعريف إدوارد بيرنت تايلور

فى كتابه عن « الثقافة البدائية » .. يشمل « ذلك الكل المركب الذى يتألف من المعرفة والعقائد والفن والاخلاق والقانون والعرف وكل المقدرات والعادات الأخرى التى يكتسبها الفرد من حيث هو عضو فى مجتمع » . فالثقافة بهذا المعنى تشمل إذن السلوك والتصرفات والانجازات الابداعية والمبادىء والقيم التى تكمن وراء هذا السلوك ووراء تلك الانجازات . ويقول آخر إن الثقافة هنا تعنى « كل المظاهر الروحية والمادية فى المجتمع من حيث إنها تصدر عن القدرات الابداعية

للانسان أو تقوم على تلك القدرات » . وهذا هو التعريف الذى استقر عليه الرأى فى مؤتمر (السياسات الثقافية فى أوربا) الذى عقد فى هلسنكى عام ١٩٧٢ . وقد يمكن اختصار كل هذه التعريفات وغيرها للثقافة فى عبارة قصيرة وموجزة وهى أن الثقافة .. أسلوب الحياة فى المجتمع .. بكل ما يتضمنه ذلك « الأسلوب » من سلوك وتصرفات ومن معارف وإبداعات وقيم .

ولكن إذا كانت الثقافة بهذا المعنى الواسع لاتوجد أبدا فى فراغ وإنما ترتبط دائما بالاتساق والنظم السائدة فى المجتمع الذى تقوم فيه تلك الثقافة فإنها لاتوجد بالتالى بمعزل عن غيرها من الثقافات الأخرى التى يتاح لذلك المجتمع أن يتصل بها ويتبادل التأثير والتعامل معها نتيجة لانتشار وفاعلية وسائل الاعلام والاتصال الجماهيرى التى تلعب دورا أساسيا وهاما فى ذلك والتى يتعدى تأثيرها وفاعليتها كل الحواجز والحدود السياسية والدولية والعرقية والاجتماعية . **والواقع أن الأوضاع الثقافية فى مصر تتأثر من هذه الناحية بكثير من الآراء والأفكار والتيارات الفكرية الواردة من الخارج وذلك بحكم موقعها الجذاب** وليس المقصود بذلك الثقافة العربية الاسلامية التى تعتبر الثقافة فى مصر على أية حال جزءا عضويا منها وامتدادا لها ، وإنما المقصود أيضا التأثيرات الثقافية الأجنبية الوافدة من الغرب بحكم الاتصال الثقافى والتى تلقى كما ذكرنا بعض التصور والهجوم من بعض قطاعات وقضايا المجتمع لأسباب لا داعى للدخول فيها الآن وإن كنا نرجو أن نعرض لها فى مقال آخر .

وهذا كله معناه فى آخر الأمر أن أى محاولة لوضع سياسة ثقافية شاملة يجب أن تأخذ فى الاعتبار كل هذه الابعاد والعناصر المعقدة المتباينة وأن تحيط بمكونات الثقافة ومضمونها قبل أن تعكف على تقيمها لمعرفة جوانب القوة والضعف والقصور فيها تمهيدا لوضع سياسة ثقافية جديدة تعالج هذه النقائص .

● ● ●

وبيس وضع سياسة ثقافية جديدة للمجتمع بالامر السهل الهين . فعلى الرغم من كل ماقيل وما يقال وما كتب ولايزال يكتب حتى الآن عن الواقع الثقافى فى

مصر وعن الحاجة الملحة الى التخطيط الثقافى وضرورة وضع سياسة ثقافية جديدة تسترشد بها الدولة وصانعو القرار فى مشروعاتهم المستقبلية فإن معظم هذه الكتابات تعتمد على الانطباعات الشخصية وتعبر عن وجهة نظر خاصة بأصحابها فحسب دون أن تقوم فى الأغلب على دراسات أو بحوث ميدانية أو دراسات منهجية وموضوعية . ولذا فإن معظم تلك الكتابات التى تمتلىء بها الآن الصحف بوجه خاص كتابات عامة تنقصها الدقة والعلمية وتصاغ فى الفاظ **فضفاضة** وتمتلىء بالاحكام التقييمية التى تنقصها الدقة والتفاصيل ولاتكاد تعتمد على معلومات مؤكدة وصحيحة . وصحيح أن هناك بعض الدراسات التى أجريت على بعض جوانب النشاط الثقافى فى مصر

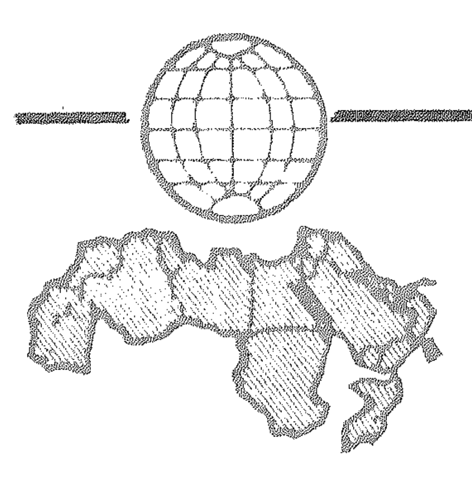
مثل حركة المسرح ورصد الحركة النقدية فى فترات معينة وما الى ذلك ، ولكن هى فى الأغلب دراسات أكاديمية بحتة لاتكاد تجد طريقها الى غير المتخصصين وقليلا ماتكون فى متناول الكتاب الذين يعرضون على صفحات الجرائد والمجلات لموضوع السياسة الثقافية على الرغم من أهمية هذه الدراسات والبحوث الاكاديمية .

وهذا كله معناه أن أى حديث عن رسم سياسة ثقافية لابد من أن تسبقه وتمهد له دراسات ميدانية وبحوث مسحية شاملة ترصد لنا بدقة وبطريقة علمية واقع الحياة الثقافية فى مصر ومختلف أوجه النشاط الثقافى العام بحيث تكون أمامنا خريطة واضحة وتفصيلية عن هذا الواقع وتكشف بجلاء عن التيارات الفكرية والادبية والفنية ونوع التفاعل بينها ودورها الذى تلعبه فى أثراء الحياة الثقافية واستجابة المجتمع بفئاته المختلفة لها ومدى ملاءمتها لاحتياجات المجتمع من حيث الكم والنوع واسهام المثقفين بمختلف انشطتهم الابداعية ونظرة المجتمع الى أعضائه المفكرين والمبدعين والمكانة التى يحتلونها فيه ورأى الدولة فيهم ورأيهم هم أنفسهم فى الدولة ونظام الحكم والحريات التى يتمتعون بها والتى تسمح لهم الدولة بها والقيود التى قد تكون مفروضة عليهم وعلى آرائهم وكتاباتهم والمسئوليات التى يضطلعون بها فى تغيير المجتمع والمؤسسات الثقافية الرسمية وغير الرسمية ومجالات نشاطها الثقافى وتقييم ذلك النشاط وغير ذلك من الموضوعات التى لانكاد نجد لدينا معلومات وافية ودقيقة عنها رغم أهميتها القصوى لفهم الواقع الثقافى من ناحية واستخدامها كأداة وركيزة يمكن أن نقيم عليها أية محاولات لوضع سياسة ثقافية جديدة .

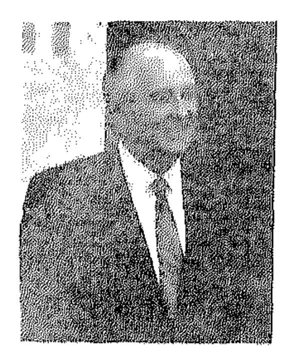
وإجراء هذه البحوث الميدانية تعترضه بغير شك كثير من الصعوبات وربما كان أهون هذه الصعوبات ، هو الحصول على المعلومات الرقمية والاحصائية الخاصة بمظاهر النشاط الثقافى المختلفة رغم صعوبة ذلك فى حد ذاته ، مثل عدد الهيئات والمؤسسات الثقافية وعدد المحلات العامة والمتخصصة فى كل فرع من فروع الثقافة وعدد الكتب ونوعيتها ونوع القراء الذين يقبلون على كل نوع منها والوقت الذى يخصصونه لكل نشاط ثقافى على حدة وعدد دور السينما والمسارح ونوع الافلام والمسرحيات التى تعرض فيها وساعات الارسال الاذاعى والتليفزيونى موزعة على البرامج المختلفة ومدى الاقبال عليها وما الى ذلك من معلومات . وهذه معلومات مهمة وأساسية بغير شك ولكنها لاتكفى فى ذاتها لاعطاء المؤشرات الصحيحة للاتجاهات الثقافية فى المجتمع كما أنها لاتكفى لتكوين فكرة واضحة ومتكاملة عن نوعية الثقافة والمستوى الثقافى العام ومدى التجاوب والتفاعل بين المفكرين والمبدعين أو من نسميهم بوجه عام صانعى الثقافة وجمهور المتلقين لهذا الابداع أو لتلك السلع الثقافية رغم نجاح ذلك التعبير ، كما أنها لاتبين مدى إسهام المفكرين والمبدعين فى الحياة العامة ودورهم فى تغيير نمط هذه الحياة وما الى ذلك .

ومن هنا فإن البحث فى هذه الأمور الثقافية عن طريق الاكتفاء باستخدام قوائم الأسئلة التقليدية التى يعتمد عليها الكثير من الباحثين فى دراسة الظواهر والنظم الاجتماعية لن يجدى كثيرا فى دراسة هذه الظواهر الثقافية المعقدة وإن كانت تساعد بغير شك مساعدة فعالة فى توضيح الصورة كما أنها قد تؤكد وتساند وتعزز التحليل الكيفى حين يحتاج الأمر الى ذلك . فالأمر يتطلب إذن الاستعانة والالتجاء الى أساليب ومناهج اخرى للبحث تتفق مع طبيعة الظواهر الثقافية والمبادىء وأنساق وأنماط القيم التى تكمن وراءها والتى تقوم عليها هذه الأوضاع الثقافية . وليس هنا على أية حال مجال للحديث عن هذه المناهج والوسائل والأساليب . ولكن المهم هو ألا تقتنع البحوث والدراسات التى يتم إجراؤها بأية وسيلة وطبقا لأى منهج بأن تكون ذات طابع تقريرى بحت أو أن تقتنع وتكتفى بتسجيل الواقع دون تقييمه حتى يمكن تعرف آراء الناس ووجهات نظرهم إزاء هذه الانشطة الثقافية المختلفة وبخاصة من حيث مدى تلاؤمها أو تنافرها مع القيم الاجتماعية ومع التراث ومع رغبات الناس وتصوراتهم لمفهوم الثقافة والدور الذى يجب أن تحتله فى حياتهم وحياة المجتمع وذلك على اعتبار أن الناس هم فى آخر الأمر أصحاب المصلحة الحقيقية أو المستفيدون من هذه المشروعات الثقافية .

ومن المؤكد أن أجراء هذه البحوث والدراسات يحتاج الى كثير من الجهد والوقت والمال وأنه نشاط يصعب أن يضطلع به فرد واحد أو عدة أفراد وإنما هو مشروع قومى ضخم لايمكن أن تقوم به إلا هيئة قومية لها قدراتها البشرية والعلمية والمالية على السواء . وهذا هو الذى دفع المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الى القيام بهذا المشروع ضمن برنامجه الضخم لتقييم السياسات الاجتماعية بوجه عام **والمبدأ المهم الذى لابد من الاسترشاد به هو ضرورة معالجة شئونه الثقافية بالأسلوب العلمى الرصين الدقيق بعيدا عن الدعاية والتشنجات والانفعالات والأحكام الذاتية المغرضة عن التعصب والتزمت وضيق الأفق . فوضع سياسة ثقافية رشيدة سيتعلق فى آخر الأمر بمستقبل المجتمع والانسان المصرى ومستقبل الأجيال كلها . واتباع المنهج العلمى الدقيق السليم الرصين وأساليب البحث العلمى الموضوعى ادعى الى ان تأتى خطط العمل الثقافى اكثر شمولا ودقة واكتمالا واشد فائدة وفاعلية وتأثيرا فى تحديد مستقبل الانسان المصرى والمجتمع .**



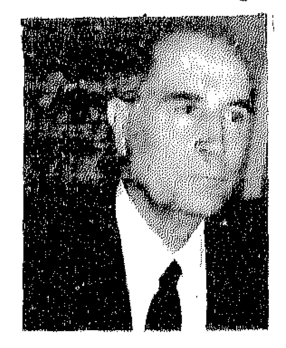
أقوال معاصرة



جورباتشوف



يوسف ادريس



فرانسوا ميتران

● فلنتوقف ونفكر .. ان الروح المحافظة والرغبة فى القفز فوق المراحل هما وجهان لعملة واحدة .. »

جورباتشوف

امين عام الحزب الشيوعى السوفييتى

● « ما يحدث فى فلسطين يهز ضمائرنا وضمائر العالم .. »

البابا شنوده الثالث

● « المنظر الطبيعى الذى اوثره هو الوجه الانسانى»

نستور المندروس مصور سينمائى

● « لا ترضى ابدا بالجيد المتوفر ، ابتكر الاجود »

ريموند لوى المصمم الصناعى الفرنسى

● اذا كنا قادرين على العظمة فلماذا التفاهة ؟

د . يوسف ادريس

● صداقتنا مع اسرائيل اساسية لا تتزعزع »

جورج شولتز

وزير الخارجية الامريكى

● « اوربا غائبة ، فى الوقت الذى يقررون فيه مستقبل العالم »

الرئيس الفرنسى

فرانسوا ميتران

● « اليابانيون لا يدعونك تقهقه ضاحكا منهم سوى مرة واحدة »

بول ميدمنت

المحرر بمجلة الايكونمست

اللحظة التاريخية لكتاب مستقبل الثقافة فى مصر

بقلم : د. فؤاد زكريا

التطلع إلى المستقبل من سمات اللحظات التاريخية المتفائلة ، على حين أن العودة إلى الماضى والتغنى بما كان عليه الأجداد لا يشيع إلا فى عصر يسوده التشاؤم والإحباط .. هذه الحقيقة البسيطة والواضحة كل الوضوح تمثل فارقا اساسيا بين لحظتنا التاريخية الراهنة ولحظة الأمل والتفاؤل التى ظهر فيها كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » . فقد كان محور « المستقبل » هو المسيطر على الكتابات التى أنتجها العقل المصرى فى اللحظة التى كانت جميع الشواهد فيها تدل على أن أمورنا قد آلت إلينا ، وعلى أن الدفة التى ستوجه مسار المجتمع المصرى قد تحولت ، أخيرا ، إلى أيدينا بعد أن ظلت طويلا فى أيدى الآخرين ..

أما اليوم ،وبعد أن مضى نصف قرن على ذلك العصر المتفائل ، فإن البؤرة التى تدور حولها الكتابات والمناقشات والندوات هى الماضى والتراث و « الأصالة » أما المستقبل فيقف على الدوام موقف الدفاع ، فاقصى ما يحلم به الكاتب « التقدمى » هو أن يكون للحديث عن المستقبل مكان مشروع





د. طه حسين

وسط طوفان الكتب والأحاديث والخطب التى تدور كلها حول محور الماضى . وإذا استطعنا اليوم أن نقيم ندوة أو ندير نقاشا عن المستقبل ، أعنى عن مجتمعنا فى عام الفين ، مثلا ، فإن الآراء التى نعرضها تدور كلها حول فكرة يغلب عليها طابع التشاؤم ، هى هل سنتمكن من الحفاظ على أوضاعنا الراهنة عندما يحل القرن القادم ؟ وحين نطرح هذا السؤال ، فإن شغلنا الشاغل ، حين نفكر تفكيرا « مستقبليا » ، هو أن نحتفظ بهذا « التردى » بحيث لا يتحول إلى « انهيار » ، ومشكلتنا الكبرى هى أن يستمر الكفاف المادى والمعنوى الذى نقنع به اليوم ، لأن الغد يحمل فى طياته احتمالا قويا لزوال هذا الكفاف ذاته ، بحيث يغدو « مجاعة » على المستويين المادى والمعنوى فى أن معا ..

نعم ، إن المستقبل يشغل قدرا من اهتمامنا ، الذى تطغى عليه فى وقتنا الراهن محاولة بعث الماضى من مرقده فى ذلك الكهف الذى لبث فيه قرونا عديدة ، ولكن هذا الأهتمام بالمستقبل يتخذ طابع الخوف من الا يكون لنا أى مستقبل ..

إنه يمثل تساؤلا عن إمكان استمرارنا فى الوجود ويعبر عن رغبة ملحة ، تصاغ فى معظم الأحيان بنغمة يائسة فى أن نصد عن أنفسنا تلك الأحتمالات المخيفة التى ينطوى عليها حاضر متدهور لابد أن يفضى إلى مستقبل حالك ، وهكذا فإن فكرنا المعاصر ، إذا استطاع أن يجد مكانا للحديث عن المستقبل وسط طوفان الفكر الراجع الى الوراء ، فإن حديثه هذا لايعالج المستقبل بوصفه أملا فيما هو افضل وإنما ينتظره بقلق وتوجس ، واقصى ما يسعى إليه هو تجنب ما يحمله

المستقبل فى طياته من كوارث تنذر بهدم كل شيء ..

● التفاؤل والسذاجة :

كان حديث طه حسين عن مستقبل الثقافة فى مصر ، إذن حديث المتفائل الذى ينظر إلى المستقبل بوصفه تفتحا لامكانات لا حدود لها .. إمكانات الدولة ذات التاريخ العريق .. التى جثم الاحتلال على صدرها حينا من الدهر ثم لاحت بشائر الخلاص منه وعودة زمام الأمور الى ابنائها المخلصين ، واليوم بعد ان مضى نصف قرن على هذه النظرة الوردية التى تأمل بها طه حسين مستقبل العقل والروح فى وطنه ، يحق لنا أن نتساءل : ما الذى حدث خلال الأعوام الخمسين التى انقضت منذ ذلك الحين ، بحيث اصبحنا نرى فى هذا الكتاب اثرا من الماضى البعيد ، ونجد فيه تفاؤلا اقرب إلى السذاجة إذا ما قيس بالواقع المرير الذى عانيناه خلال تلك العقود الخمسة ..

لقد تداعت الأحداث بعد ظهور هذا الكتاب مباشرة ، بحيث سارت فى طريق كان لابد أن يؤدى إلى هدم الآمال العريضة التى كان يحلم بها مؤلفه .. فبعد عام واحد ، اشتعلت نيران الحرب العالمية الثانية .. وبغض النظر عما جلبته الحرب ذاتها من مصائب على البلاد التى دارت فيها رحى المعارك .. فإننا الآن نذكر هذه الحرب لأنها هى التى قدمت المبرر المباشر لإقامة دولة اسرائيل بعد عشر سنوات من ظهور كتاب طه حسين ، وكان قيام هذه الدولة فى قلب العالم العربى بداية سلسلة من الأحداث التى قضت على الطابع الليبرالى لانظمة الحكم فى أهم الأقطار العربية ، وأحلت محله ثورات عسكرية سيطرت على بلادها بوصفها رد فعل على تخاذل الأنظمة العربية أمام اسرائيل فى حرب ١٩٤٨ ، وأصرت على التمسك بالحكم تحت ذريعة أنها هى وحدها القادرة على التصدى لهذا العدو الذى لا يردعه إلا مجتمع عسكرى مسلح .. وبهذه الحجة اخذت الحريات

العامة .. تتداعى واحدة تلو الأخرى .. وأخذ الفكر المتفتح والمستنير .. والمرتبط بتفاؤل ما بعد الاستقلال ، يتراجع ليحل محله فكر سلطاوى مرتكز على عبادة الفرد ، وبلغت الكارثة ذروتها حين تبين أن تلك المواجهة العسكرية التى اتخذتها ثورات الجيوش العربية ذريعة لحكم بلادها ، قد أسفرت عن هزائم تفوق فداحتها كل ما وقعت فيه الحكومات المدنية من قبل .. وارتبط بالهزائم العسكرية الفادحة ، انكماش متزايد لمشروع النهضة الوطنية وجمود بل تراجع ، فى مستوى تفكيرنا ونوعية المشكلات التى تنشغل بها عقولنا ، وظهور نزعات سلفية رجعية لم تزدهر بفضل مزاياها الخاصة بقدر ما ازدهرت بفضل سوء

بصرف الحكومات المتعاقبة معها .

* * *

ولا جدال فى أن محاولة تقديم إجابة مفصلة عن السؤال الأساسى : ما الذى حدث بالضبط خلال نصف القرن الذى انقضى منذ ظهور « مستقبل الثقافة فى مصر » ؟ هذه المحاولة تعنى تقديم عرض شامل لتاريخ مصر خلال هذه الفترة الحاسمة ، ولابد أن يكون التاريخ المقصود هنا « تاريخ حضارة » ، بكافة جوانبه الأجتماعية والثقافية والاقتصادية ، فضلا عن الجانب السياسى بطبيعة الحال .. ولما كانت تلك مهمة يستحيل إنجازها فى حيز محدود .. فضلا عن أنها تتجاوز بمراحل جهد أى فرد بعينه ، فقد بدأ لى أن من الطرق الممكنة إيضاح الفارق بين اللحظتين التاريخيتين : لحظتنا الراهنة ، ولحظة تأليف كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر اختيار بعض المفاهيم المحورية التى دار حولها طه حسين فى هذا الكتاب ، واستعراض التطورات التى طرأت منذ ذلك الحين ، والتى أضفت على هذه المفاهيم معانى متباينة ، حتى انتهت بها إلى ما أصبحت عليه فى وقتنا الراهن ..

● الشرق والغرب

كان المفهوم الأساسى الذى تبلورت حوله افكار رئيسية فى هذا الكتاب ، هو مفهوم الشرق والغرب . وكان السبب الحقيقى للأهمية التى احتلها هذا المفهوم فى الكتاب ، هو أنه يتحكم فى تحديد الاتجاه الذى ينبغى أن يتخذه مشروعنا الثقافى للمستقبل كما تصوره طه حسين : فهل يتجه هذا المشروع صوب الحضارات الشرقية ، أم يسير فى اتجاه الحضارة الغربية ؟ كان الجواب الذى أكده طه حسين بصورة قاطعة هو أن مشروعنا الثقافى للمستقبل ينبغى أن يكون جزءا لايتجزأ من الثقافة الغربية بمعناها الشامل ، لأن تاريخنا الثقافى كان على الدوام أوثق ارتباطا بالحضارة الغربية منه بأية حضارة أخرى .

ولكى يدلل طه حسين على قضيته الأساسية هذه ، لجأ إلى مجموعة من الحجج التاريخية التى كانت فى حقيقتها أقرب إلى المغالطات منها إلى أى شىء آخر . فهو يرى أن الثقافات الكبرى فى العالم تنقسم إلى اثنتين : الثقافة الغربية ، وثقافة الشرق الأقصى ، أى الصين واليابان ، ومن السهل بالطبع ، إذا كان هذا هو التقسيم الرئيسى للثقافات ، أن نستنتج أن علاقاتنا الثقافية بالشرق (مفهوما بهذا المعنى) لم تكن لها أهمية على مر التاريخ ، وانما كان المسار الرئيسى لروابطنا الثقافية يسير نحو الغرب . ومع ذلك فإن طه حسين يعترف بوجود صلات قوية بيننا وبين « الشرق القريب الذى نسميه فلسطين والشام والعراق ، أى هذا الشرق الذى يقع فى حوض البحر الأبيض المتوسط !! (★) ومعنى ذلك أن الجانب الشرقى من ثقافتنا كان يتمثل فى انتمائنا إلى ثقافة البحر المتوسط ، التى كانت وثيقة

الصلة بالثقافة الغربية خلال مراحل التاريخ .

ولعل القارىء قد لاحظ هنا أن إدراج العراق ، بحضارته البابلية والآشورية العريقة ، ضمن ثقافات البحر المتوسط ، فيه قدر كبير من التعسف ، إذ كانت تلك حضارة آسيوية بمعنى الكلمة . بل إن طه حسين يتجاهل فى هذا الصدد البعد الآسيوى والبعد الافريقى للحضارة المصرية تجاهلا شبه تام : فعلاقات مصر بوادى النيل ، أى بالسودان والحبشة وبقية البلدان الافريقية ، كانت لها أهمية تاريخية كبرى ، ومع ذلك فلا مكان لها بين هاتين الحضارتين اللتين اكتفى بهما طه حسين . وهذا ينطبق على الجزيرة العربية واليمن وإيران ، التى تنتهى إلى حضارات عريقة لا علاقة لها بالشرق الأقصى ، وليست متوسطية ولا غربية .

وهكذا كان فى التقسيم الحضارى الذى استهل به طه حسين كتابه قدر واضح من التبسيط المخل . ومع ذلك فإنه يقفز منه إلى أحكام قاطعة ، من أمثال : « وإنما كانت مصر دائما جزءا من أوربا فى كل ما يتصل بالحياة العقلية والثقافية » (ص٢٧) أو « فكل شىء يدل على أنه ليس هناك عقل أوربى يمتاز عن هذا العقل الشرقى الذى يعيش فى مصر وما جاورها من بلاد الشرق القريب ، وإنما هو عقل واحد ، تختلف عليه الظروف المتباينة المتضادة فتؤثر فيه آثارا متباينة متضادة ، ولكن جوهره واحد » (ص ٢٩) أو : « حياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوربية خالصة » (ص٣٢)

وفى سبيل الوصول إلى هذه الأحكام الشديدة التعميم ، والشديدة الخطورة فى الآن نفسه ، يأتى طه حسين بسلسلة من « الأدلة » التاريخية إثباتا لوجهة نظره فى ارتباط تاريخنا الثقافى بالتاريخ الأوربى ، ويكاد يصادر على حق الآخرين فى التشكيك فى هذه الأدلة ، إذ يؤكد أن هذه الروابط بيننا وبين أوربا « أوليات لا معنى لاضاعة الوقت فى إثباتها . » (ص ١٨) .

وهنا يحق للمرء أن يتساءل : ما الهدف الذى كان يرمى إليه طه حسين من هذا التبرير التاريخى الطويل ؟ هل كانت المسألة مجرد انبهار بالثقافة الأوربية ، كما قال خصومه ، أو « عمالة » للغرب ، كما قال أعداؤه الأشد تطرفا ؟ من المستحيل أن يقبل المرء توجيه اتهام كهذا الى رجل حمل على أكتافه عبء التنوير فى بلاده لمدة تربو على أربعين عاما ، كان حسه الوطنى خلالها فوق مستوى كل شك . ومن جهة أخرى فإن هذا الكتاب ، الذى احتوى هذا الدفاع التاريخى المتحمس عن ارتباط الثقافة المصرية بثقافة البحر

المتوسط ، ومن ثم بالثقافة الغربية ، كان هو نفسه الذى تضمّن حملة شعواء على التعليم الأجنبى فى مصر ، ندد فيها بانفصال هذا التعليم عن واقع مجتمعنا ، ودعا إلى مراقبة الدولة للمدارس الأجنبية « مراقبة دقيقة تكفل محافظتها على مقدار من التعليم يلائم حقوق الوطنية المصرية وواجباتها . » (ص ٦٧) بل إنه دعا إلى الحد بعض الشيء من حرية الصحافة والإذاعة والسينما (أى وسائل الإعلام ، بلغتنا الحالية) فى نقل معالم الحياة الأوربية إلى المواطنين ، نظرا إلى اختلاف ظروف الحياة بين مصر وأوربا (ص ٣٨٢) وحتى لا يلحق الضرر « بالذوق والخلق » (ص ٣٨٣) . وأخيرا ، فقد طالب بالتوسع فى إدخال مناهج اللغة العربية والتاريخ والدين فى جميع المدارس الاجنبية (وهو ما تحقق فيما بعد خلال عهد الثورة ، وإن لم يعترف الذين طبقوا هذه السياسة عندئذ بريادة طه حسين فى هذا الميدان)

وعلى أية حال فإن المفكر الذى ينادى بأن يدرس أبناء وطنه جميع عناصر الثقافة القومية ، بدلا من أن يكتفوا بدراسة الثقافات الغربية ، لايمكن أن يكون ناكرا لهويته وأصالته ، أو منسحقا فى الثقافات الدخيلة ، كما يحاول خصوم طه حسين أن يوهمونا . وحقيقة الأمر هى أن ما كان يهدف إليه من هذا الاندماج بالثقافة الغربية ليس إلا تأكيد استقلالنا ، الذى لايتحقق فى نظره إلا بأن نفكر ونتصرف فى كل شيء كالأوربيين (ص ٤٣ ـ ٤٥) وكذلك « أن نسير سيرة الأوربيين ونسلك طريقهم لنكون أندادا ولنكون شركاء لهم فى الحضارة . » (ص ٤١) .

ومع ذلك فإن طه حسين لم يكن يحتاج ، فى سبيل الوصول إلى هذا الهدف ، إلى كل هذه الشواهد التاريخية المصطنعة التى حاول أن يثبت بها انتماء مصر إلى حضارة البحر المتوسط ، وانفصالها عن الحضارات الشرقية . فقد كان يكفيه القول إن التطور والتقدم الحضارى العصرى يتحقق فى الغرب ، وأن أسهامنا فى هذا التطور والتقدم لن يتحقق إلا إذا استوعبنا الثقافة الغربية استيعابا تاما أى أنه كان يستطيع أن يبنى دعوته على مبدأ المصلحة القومية ، بدلا من أن يلتمس لها جذورا تاريخية غير مؤكدة ، لاسيما أنه هو ذاته الذى دافع عن مبدأ إقامة السياسة على أساس « المنافع ، والمنافع وحدها » (ص ٢٠) .

وبطبيعة الحال فلم يكن من المتوقع ، فى اللحظة التاريخية التى حدد فيها طه حسين موقفه هذا ، أن يكون تفكيره فى موضوع علاقة مصر الثقافية بالغرب ، وبأوربا على وجه التحديد ، قد اكتسب تلك الأبعاد المعقدة التى أصبحنا نفكر من خلالها فى هذا الموضوع ذاته فى عصرنا الحاضر . فمنذ ذلك الحين ، ولم تعد العلاقة بين بلادنا والغرب تسير فى ذلك الاتجاه الواحد البسيط ، اتجاه تأثر النمط الأقل تقدما بالنمط الأكثر تقدما ، وإنما

اكتشفنا ـ بعد جهد ومعاناة فى أحيان كثيرة ـ أن الغرب ليس كيانا ذا بعد واحد ، وأن أزهار التقدم الغربى يصعب فصلها عن أشواك السيطرة والعدوان المسلح والاستعمار ، وأن اعتقاد أوربا بأنها تحمل شعلة « الحضارة العالمية » ، كثيرا ما كان تغطية لنزوع شديد الى رؤية العالم من خلال مفاهيمها الإقليمية الخاصة ، وإلى فرض المعايير الأوربية على الغير بعد إعطائها طابعا « كونيا » مزيفا ، أى الى ما أصبحنا نعرفه الآن باسم « المركزية الأوربية » ومجمل القول إن الغرب كما نعرفه الآن لم يعد وجهه الوحيد هو ذلك الوجه الليبرالى المتسامح المستنير الذى عرفه طه حسين ، بل إن تجربتنا معه أضافت إليه وجها آخر عدوانيا ، استعلائيا ، شديد التمركز حول ذاته ، وهو ما يضفى على علاقتنا الراهنة بالغرب طابعا شديد التعقيد .

● التبعية والاستقلال :

وعلى هذا النحو ذاته نجد مفهوم الاستقلال يتخذ ، فى لحظة التفاؤل والأمل التى ظهر فيها كتاب طه حسين ، طابعا واضحا ، يرتبط ارتباطا مباشرا بنظرته الخاصة إلى الغرب فكما هو متوقع ، يؤكد طه حسين فكرة « الاستقلال عن الغرب باتباع أسلوبه:!! أى أنه يدعونا إلى الأخذ بالديمقراطية الغربية فى السياسة ، واتباع الأساليب الغربية فى التعليم والاقتصاد ، لأن هذا هو السبيل الوحيد للاستقلال الحقيقى عن الغرب . وهو يؤكد أن الاستقلال ليس سياسيا فقط ، وإنما تكملة تلك « الحضارة التى تقوم على الثقافة والعلم والقوة التى تنشأ عن الثقافة والعلم ، والثروة التى تنتجها الثقافة والعلم » (ص ٩) . ويبدو أن التطور اللاحق للأحداث قد اثبت أننا لم نستوعب هذه الحقيقة البسيطة جيدا ، وكان لابد لنا من الانتظار حتى تقع كارثة ١٩٦٧ لكى ندرك أن كفاحنا فى الميدان السياسى قد طغى على اهتمامنا باكتساب أسباب القوة فى ميدان العلم والثقافة ، وأن الفجوة الحضارية بيننا وبين أعدائنا كانت أحد الأسباب الرئيسية للهزيمة الساحقة التى لحقت بنا . وربما كان طه حسين يتنبأ بالمجرى الذى اتخذته الأحداث فى هذا الميدان حين أعرب عن خشيته من ألا نعرف كيف نتفع من الاستقلال ، فقال : « أخاف أن نقصر (بعد الاستقلال) فى ذات انفسنا ، فنهمل مرافقنا ... فنتأخر ... وننحط » (ص ١٠) .

على أن ماينبغى أن نتوقف عنده هو الفكرة الرئيسية التى أكد فيها أن الاستقلال الحقيقى عن الغرب لايتحقق إلا باتباع أسلوب الغرب نفسه . فهو يسير على هدى من المبدأ القائل إننا إذا عرفنا كيف نسلك ونفكر ونتعلم

ونتثقف بالأسلوب الغربى ، كان هذا أقصر الطرق وأفضلها للتخلص من سيطرة الغرب . ولاشك أن مياها كثيرة قد تدفقت فى هذا المجرى منذ أن طرح طه حسين أفكاره هذه فى لحظة التفاؤل والأمل التى ألف فيها هذا الكتاب . فقد أصبح الاتجاه السائد فى الفكر العربى الحالى هو النظر إلى هذا النوع من الأخذ بالأسلوب الغربى فى الفكر والحياة ، لا على أنه الوسيلة المضمونة لتحقيق الاستقلال ، بل على أنه مظهر مؤكد من مظاهر « التبعية » . وأصبح مفهوم الاستقلال عندنا مرتبطا بالتحرر من النموذج الغربى ، فى كافة مظاهره واشكاله ، وتتفاوت درجة هذا التحرر ما بين الدعوة الى اتخاذ موقف نقدى من هذا النموذج ، والدعوة إلى رفضه رفضا قاطعا ، مع العودة الى نموذج مرتبط بتراثنا الحضارى وبهويتنا الأصيلة . ولكن المهم أن دورة الزمن خلال نصف قرن قد أضعفت كثيرا مبدأ تحقيق الاستقلال عن الغرب باتباع أساليب الغرب ، ودعمت إلى حد بعيد المبدأ القائل إن الاستقلال عن الغرب لايكتمل إلا بالبحث عن نموذجنا الحضارى الخاص ، المستمد من تراثنا وتاريخنا .

ومع ذلك فمن الصعب القول إن المشكلة ، بعد أن مرت بهذا التطور الكبير ، وانتقل تفكيرنا فيها من طرف الى الطرف المضاد ، قد وجدت أخيرا حلها النهائى فى عصرنا الحاضر . ذلك لأن عددا لايستهان به من زعماء حركات التحرر المعاصرة ، ومن كبار المثقفين الوطنيين فى آسيا وافريقيا ، كانوا متأثرين بالنموذج الغربى تأثرا واضحا ، دون أن يقلل ذلك من وطنيتهم أو يضعف من سعيهم إلى تحرير بلادهم من قبضة الغرب . ويبدو ، فى بعض هذه الحالات على الأقل ، أن مبدأ استخدام النموذج الغربى وسيلة للاستقلال عن الغرب لم يعلن إفلاسه تماما ، حتى فى عصرنا الراهن . ومن جهة أخرى فإن السعى إلى إيجاد نموذج تقليدى أو تراثى ، مستقل عن النموذج الغربى ، لم يثبت دائما نجاحه فى تحقيق هدفه . فالعودة إلى السلفية فى بعض المجتمعات الإسلامية المعاصرة مثلا ، لم تحقق لهذه المجتمعات نهضة حقيقية ، بل إنها أدت ، من الوجهة العملية ، الى مزيد من التبعية للغرب فى الميدان الاقتصادى والعسكرى والسياسى ، على الرغم مما تدعيه لنفسها - على المستوى الإعلامى - من عودة إلى الأصالة وتحرر من العناصر الدخيلة و « المستوردة » . وهكذا يبدو أن قضية الاستقلال والتبعية فى الميدان الثقافى مازالت مفتوحة بعد نصف قرن من النداء المتفائل الذى وجهه طه حسين إلى أمته فى أول عهدها بالاستقلال السياسى .

● الليبرالية

من الأوصاف التى تشيع نسبتها إلى مفكرى التنوير المصريين فى النصف الأول من القرن العشرين ، وعلى رأسهم

طه حسين ، صفة الليبرالية ، وترتبط هذه الصفة فى الأذهان بمجموعة من السمات التى تميز بها المجتمع الأوربى منذ القرن السابع عشر ، والتى ازدادت وضوحا بعد الثورة الصناعية على وجه التحديد . فالليبرالية هى التعبير الفكرى والسياسى عن دفاع الرأسمالية عن الحرية الاقتصادية ، أى عدم تدخل الدولة فى آليات العرض والطلب فى السوق ، ومايترتب على ذلك ، ويرتبط به ارتباطا وثيقا ، من تمثيل نيابى وضمان لحريات التفكير والتعبير والتجمع وتكوين الأحزاب ، الخ .. وكثيرا ما يوجه إلى أقطاب التنوير من المصريين انتقاد مؤداه أن اتجاههم الليبرالى قد استعار نظاما ظهر فى أوربا فى فترة صعود البورجوازية ، ولايمكن أن يفهم إلا فى هذا الإطار ، ومن ثم فهو لايصلح لبلاد العالم الثالث فى مرحلة التحرر والسعى إلى التنمية الشاملة وتغليب العدالة الاجتماعية على الحريات الشكلية التى تتمسك بها الليبرالية لكى تجعل طريق الرأسمالية ممهدا وميسورا .

ومع ذلك يبدو أن هذا التزمت فى تفسير الليبرالية ، وفى تأكيد الارتباط بينها وبين الأصل الذى نشأت فيه (وهو فى ذاته ارتباط صحيح بغير شك) ، ولا يساعدنا على فهم النزعة الليبرالية فى العالم الثالث فهما كافيا . إذ يبدو أن كثيرا من المفكرين المستنيرين فى العالم الثالث يفصلون بين الليبرالية وبين أصلها الأوربى البورجوازى ، ويتعلقون بها بسبب ما تنطوى عليه من مكتسباب بشرية يمكن الانتفاع بها خارج الإطار الذى ظهرت أصلا فيه . وهذه بالفعل سمة تميز الأفكار والاتجاهات العقلية الكبرى فى تاريخ البشرية : فصحيح أنها تظهر فى الأصل مرتبطة بإطار معين تدين بوجودها له ، ولكنها تغدو بعد ذلك قادرة على كسر هذا الإطار ، ولدى بعض عناصرها على الأقل القدرة على أن تبنى لنفسها حياة مستقلة عن ظروف نشأتها ، وتغدو مكتسبات للبشرية جمعاء ، بعد أن تثبت التجربة أن لها قيمة تسمح بتطبيقها فى نطاق أوسع بكثير من ذلك الذى ظهرت فى إطاره .

وبدون هذا التوسع فى تفسير معنى الليبرالية يستحيل أن نفهم ظواهر كثيرة فى التاريخ المعاصر للعالم الثالث . وفى هذا الصدد نكتفى بالإشارة إلى حالة طه حسين كنموذج له دلالته الواضحة . ذلك لأن الرأى الشائع ، الذى يضع طه حسين ضمن كبار الشخصيات الممثلة للفكر الليبرالى فى التاريخ المصرى المعاصر ، لابد أن يراجع تعريفه لليبرالية حين يجد طه حسين يدعو بقوة إلى إشراف الدولة على التعليم بجميع مراحله ، فيقول « الدولة هى المسئول الأول ، والمسئول الأخير ، والمسئول قبل الأفراد والجماعات ،

وبعد الأفراد والجماعات ، عن تكوين العقلية المصرية تكوينا يلائم الحاجة الوطنية الجديدة التي .. تنحصر في تثبيت الديمقراطية وحياطة الاستقلال » (ص ٧٧) هنا تظهر مفارقة لدى هذا المفكر الذى كان يدعو طيلة حياته إلى الأخذ بأسلوب الديمقراطيات الغربية ، ولكنه في الوقت ذاته يقدم برنامجا مفصلا يقوم كله على فكرة إشراف الدولة إشرافا كاملا على التعليم ، أى أنه ينتزع الإشراف على التعليم من أيدى الأفراد والهيئات والمؤسسات الخاصة بكافة أنواعها ، ويجعله خاضعا لتخطيط مركزى تتولاه الدولة .

ولا يخرج طه حسين عن الإطار التقليدى لليبرالية في هذه المسألة فحسب ، بل إنه يشير إشارات واضحة إلى ضرورة تخطيط سياسة المجتمع ككل لصالح الطبقات الفقيرة . فهو حين يتحدث ، مثلا ، عن خطر انتشار البطالة نتيجة للتوسع في التعليم ، يقول : « كل هذا خطر لاشك فيه ، ولكنه لا يعالج بتضييق التعليم ، ولا بإنشاء نظام الطبقات ، ولا باحتكار العلم لطائفة قليلة وفرض الجهل على كثرة الشعب ، وانما يعالج باصلاح النظام الاجتماعى نفسه ، وجعله قادرا على أن يتيح لأبناء الوطن جميعا أن يعيشوا على أرض الوطن ، وأن يعيشوا من كدهم وجدهم وعملهم ، لا أن يعيش بعضهم على حساب بعض ... ولا أن يذوق بعضهم البؤس ... ليستمتع بعضهم الآخر بهذا النعيم الآثم البغيض ... يجب أن يتعلم الشعب إلى أقصى حدود التعليم ، ففي ذلك وحده الوسيلة إلى أن يعرف الشعب مواضع الظلم ، وإلى أن يحاسب الشعب هؤلاء الذين يظلمونه ويذلونه ويستأثرون بثمرات عمله وجده . » (ص ١١٧) .

وهكذا توضع قضية التعليم في إطارها الاجتماعى الصحيح ، ويصبح نشر التعليم عملا ثوريا من الطراز الأول ، بل يصبح خطوة أساسية نحو إزالة الفوارق الاجتماعية ، ونحو الثورة على الأوضاع الظالمة والتفاوت الطبقى الصارخ . ومن المؤكد أن إشارة طه حسين الاخيرة إلى أن وصول الشعب الى أقصى حدود التعليم هو الذى يمنحه الوعى الكافى لمحاسبة مستغليه ومضطهديه - هذه الإشارة تعلل ، إلى حد بعيد ، استمرار ظاهرة الآمية بنفس نسبها القديمة تقريبا في معظم أرجاء العالم العربى حتى يومنا هذا ، على الرغم من كل ما مر به من « ثورات » !

ولكن الأمر المهم حقا هو أن المفكر الليبرالى ، في العالم الثالث ، كثيرا ما يجد لزاما عليه أن يوسع معنى الليبرالية بالقياس الى ماهو مألوف في التراث الغربى البورجوازى ، ولايرى باسا من الجمع بين عناصر ليبرالية وعناصر تنتمى إلى صميم الفكر الاشتراكى في مركب واحد ، وهذا تعديل وتطوير ينبغى أن يؤخذ دائما بعين الاعتبار ، حين نتناول تاريخ مايسمى بالفكر « الليبرالى » في بلادنا ،

بحيث لانطبق على الليبراليين في مجتمعنا نفس الأحكام التى اعتدنا أن نطلقها على هذا المذهب فى الفكر البورجوازى الغربى .

حدود العودة إلى الماضى :

وآخر ما أود أن أعرض له ، فى هذا الحديث عن اللحظة التاريخية لكتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، هو المقارنة بين الموقف الذى اتخذه طه حسين فى هذا الكتاب من التراث ، وموقفنا الراهن من هذه المشكلة ، ففى الوقت الذى ظهر فيه هذا الكتاب ، لم تكن مسألة الجمع بين الدين والسياسة واردة على اى نطاق واسع ، ولذا تحدث طه حسين عن هذه المسألة بلهجة واثقة ، إذ قال « فالمسلمون إذن قد فطنوا منذ عهد بعيد إلى أصل من أصول الحياة الحديثة ، وهو أن السياسة شيء والدين شيء آخر ، وأن نظام الحكم وتكوين الدول إنما يقومان على المنافع العملية قبل أن يقوما على اى شيء آخر » (ص ٢١) . وعلى أساس هذا الموقف الذى يتخذه ويدافع عنه بكل ثقة ، يبدو له الحديث عن العودة إلى نمط للحياة عرفناه فى عصور ماضية ، كالعصر الإسلامى او غيره حديثا يدعو إلى السخرية : « وإنى لأتخيل داعيا يدعو المصريين إلى أن يعودوا إلى حياتهم القديمة التى ورثوها عن آبائهم فى عصر الفراعنة او فى عصر اليونان والرومان أو فى عصرها الإسلامى ... وأسال نفسى : اتراه يجد من يسمع له ؟ ... فلا أرى إلا جوابا واحدا ... وهو أن هذا الداعى ان وجد لم يلق بين المصريين إلا من يسخر منه ويهزأ به » بل انه يذهب إلى حد القول إنه حتى المتطرفون فى التمسك بالتراث لن يقبلوا مثل هذه الدعوة للرجوع إلى الماضى : « والذين نراهم فى مصر محافظين ومسرفين فى المحافظة ، ومبغضين أشد البغض للتفريط فى التراث القديم ، هؤلاء أنفسهم لن يرضوا بالرجوع إلى العصور الأولى ، ولن يستجيبوا لمن يدعوهم إلى النظم العتيقة إن دعاهم إليها » (ص . ٣٥) .

هكذا كانت تطرح مشكلة الدين وعلاقته بالسياسة منذ خمسين عاما فى مصر : استبعاد تام لوجود اية علاقة بينهما ، واستخفاف بالدعوة إلى تطبيق أى نموذج تراثى على الحياة المعاصرة ، وفصل كامل بين النظم التى ينبغى أن ندير شئوننا العامة بموجبها والنظم الموروثة عن عصور سابقة ، وحين نمعن النظر فى هذا الجو العقلى الذى كان يعيش فيه طه حسين ، ونرى إلى أى حد انحدر مستوى مناقشتنا لهذه الموضوعات فى عصرنا الحاضر ، لا نملك إلا أن نحس بالأسى على ذلك التراجع الذى اصاب حركة التنوير العقلى فى مصر خلال نصف القرن

الأخير . فقد استطاع الأصوليون وخاصة فى العقدين الأخيرين ، أن يفرضوا على الفكر المصرى تنازلات هائلة ، ولم تعد مشكلة تطبيق النظم التى وصفها طه حسين بأنها « عتيقة » تقابل بالسخرية أو بالاستبعاد ، وإنما اصبحت تؤخذ بجدية شديدة ، وتصوَّر فى أحيان كثيرة على انها السبيل الوحيد « للنهضة » ! والأدهى من ذلك أن التفكير الشعبى قد انتقل بعد اعتناق المبدأ العام ـ مبدأ تطبيق نظام ينتمى إلى عصور سالفة بوصفه المخرج الوحيد من أزمة العصر الراهن ـ إلى التمسك الشديد بالتفاصيل ، كالدفاع المتحمس عن اللحية والحجاب ، وأحيانا النقاب ، وكأنه جزء لايتجزأ من عناصر « النهضة » المزعومة ، والأخطر من هذا كله أن الفكر المستنير ، الذى نجح خصومه فى إثارة العداء تجاهه بعد أن أطلقوا عليه اسما لايعرف عنه أكثر الناس سوى انه اسم يدعو الى الكراهية ، هو « الفكر العلمانى » أصبح يجد نفسه فى موقف الدفاع ، حتى غدا الحوار لدى معظم « العلمانيين » يدور على نفس الأرض التى يقف عليها الطرف التراثى ، أى أنه أصبح حوارا حول النصوص ، وحول آراء الفقهاء الأقدمين ، بحيث أصبحت غاية معظم « العلمانيين » هى إثبات وجود نصوص دينية أو أقوال للفقهاء تدعم وجهات نظرهم « التقدمية » ، ومعنى ذلك ، بكل بساطة ، أنهم يدعمون المنهج النصِّى الذى يفكر بموجبه الطرف الآخر ، فى نفس الوقت الذى يظنون فيه أنهم يعارضون أفكاره ، وتلك هى الهزيمة بعينها ! .

* * *

وبعد ، فإن الزاوية التى اخترت أن أتأمل منها كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » ، لمفكرنا التنويرى العظيم طه حسين ، كانت زاوية المقارنة بين لحظته التاريخية الخاصة ، بكل ماكان يشرق فيها من أمل وتفاؤل بالمستقبل ، ولحظتنا الراهنة ، كيما يدرك القارىء مدى رحابة الآمال التى كنا نعقدها على استقلالنا فى مستهل عهدنا به ، ومدى إحباط التطور اللاحق لهذه الآمال ، وقد اخترت أن أقوم بهذه المقارنة من خلال مجموعة من المفاهيم الأساسية التى طرأت عليها تغيرات جوهرية منذ صدور هذا الكتاب المهم حتى وقتنا الراهن .

وكل ما آمله هو أن تحفز هذه المقارنة قارىء هذا المقال على التفكير بكل جدية ، وبلا أدنى محاولة للتنصل أو التهرب ، فى السؤال الأساسى الذى طرحته فى مستهل هذا المقال : ما الذى حدث بالضبط خلال نصف القرن الأخير ، وقضى على آمال طه حسين وتصوراته المتفائلة لمستقبل الثقافة فى مصر ؟ .

بقلم: د. محمد عمارة

طبيعة الخلاف بين الإسلاميين والعلمانيين

إذا نحن شئنا أن نكتشف الحديث فى هذه القضية « المشكلة » والمثارة - على نحو متفجر وجاد - فإننا نستطيع أن نجمع خيوطها وحقائقها فى عدد من النقاط:

- ١ -

إن طبيعة الخلاف بين الاسلاميين - الذين يرون الاسلام دينا ودولة - وبين العلمانيين الذين يرونه دينا لادولة هى طبيعة سياسية، وموضوعها هو « الفروع » .. وليست طبيعة دينية، موضوعها العقائد والأصول ..

وهذه الحقيقة على جانب كبير من الدقة والأهمية، ويؤدى اغفالها أو إهمالها الى منزلق خطر فى الأحكام الفكرية بواقعنا الاسلامى الراهن على وجه الخصوص ..

ذلك أن موضوع هذا الخلاف بين الاسلاميين والعلمانيين ليس عقائد الاسلام وأركانه .وإنما موضوع الخلاف هو « الدولة» .. ونحن اذا استثنينا إخوتنا الشيعة الامامية فسنجد سائر تيارات الفكر الاسلامى مجمعة على أن « الدولة - الخلافة - الإمامة » هى من «الفروع» وليست من «اصول الدين وأركانه» ... ولذلك فان الخلاف فيها انما يجب تصنيفه تحت احكام وأوصاف : « الصواب » و « الخطأ» و «النفع» و «الضرر» وليس تحت أحكام وأوصاف : «الكفر» و « الإيمان» .

وإذا كان لى أن أسوق من فكر السلف نصوصا شاهدة على هذه الحقيقة الفكرية. فإننى اشير الى :

● قول الشهرستانى [٤٧٩ - ٥٤٨ هـ ١٠٨٦ - ١١٥٣ م]: « إن الإمامة ليست من أصول الاعتقاد .. »(١)

● وقول عضد الدين الايجى [٧٥٦ هـ ١٣٥٥ م] والشريف الجرجانى [٧٤٠ - ٨١٦ هـ ١٣٤٠ - ١٤١٣ م] : «إن الإمامة ليست من أصول الديانات والعقائد، بل هى من الفروع المتعلقة بأفعال المكلفين .. وإنما ذكرناها فى علم الكلام - [وهو علم أصول الدين] - تأسيا بمن قبلنا، اذ قد

جرت عادة المتكلمين بذكرها فى أواخر كتبهم »[٢]

● وقول حجة الاسلام أبو حامد الغزالى [٤٥٠ ـ ٥٠٥ هـ ـ ١٠٥٨ ـ ١١١١ م] **« إن نظرية الامامة ليست من المهمات ، وليست من فن المعقولات فيها ، بل من الفقهيات .. ولكن ، اذ جرى الرسم باختتام المعتقدات بها أردنا أن نسلك المنهج المعتاد ، فان القلوب عن المخالف للمألوف شديدة النفار .. »[٣]**

● وقول الجوينى ، إمام الحرمين [٤١٩ ـ ٤٧٨ هـ ـ ١٠٢٨ ـ ١٠٨٥ م] **« إن الكلام فى الامامة ليس من أصول الاعتقاد »[٤]**

● وقول شيخ الاسلام ابن تيمية [٦٦١ ـ ٧٢٨ هـ ـ ١٢٦٣ ـ ١٣٢٨ م] **إنها ليست من أركان الاسلام الخمسة ، ولا من أركان الايمان الستة ـ [وهى الايمان : بالله ، والملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ، والقدر] ـ ولامن أركان الاحسان ـ [التى هى : أن تعبد الله كأنك تراه ، فأن لم تكن تراه فإنه يراك][٥]**

● **وقول العلامة ابن خلدون [٧٣٢ ـ ٨٠٨ هـ ـ ١٣٣٢ ـ ١٤٠٦ م] : « وشبهة [الشيعة] الإمامية فى ذلك إنما هى : كون الإمامة من أركان الدين .. وليس كذلك ، إنما هى من المصالح العامة المفوضة إلى نظر الخلق »[٦]**

« فالدولة ـ الخلافة ـ الإمامة » ـ بكل مايتعلق بها ـ هى من مباحث « الفروع » ، وأحكام وأوصاف الفكر والمفكرين المختلفين فيها يجب الا تتعدى اطار « الخطأ » و « الصواب » الى اطار « الكفر » و « الايمان » .. وهذا الاطار ـ اطار « الخطأ » و « الصواب » و « الضرر » و « النفع » هو ـ فى اعتقادى ـ الاطار الذى يجب أن يحكم خلافنا ، نحن الاسلاميين ، مع العلمانيين الذين لايتبنون « العلمانية ـ الثورية ـ الشمولية » الداعية الى اقتلاع الدين من اعتقادات الافراد والشعوب .

ـ ٢ ـ

وهذه الحقيقة « الفكرية ـ الاسلامية » تزداد أهمية وتأكيدا ، عندما ننظر اليها فى اطار الاسلام وضوء فكره الذى دعا ويدعو الى « التحرج الشديد » فى الحكم على معتقدات من يشهدون بتوحيد الله ونبوة محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وخاصة إذا كان هذا الحكم فى اتجاه « التكفير » واخراجهم من حظيرة الاسلام ..

وإذا كان لى أن أسوق شواهد على هذه النعمة التى تميز بها الاسلام ، ودعانا الى التزامها والحرص عليها ، فى مواجهة « الكهانة والكهنوت » و «السلطة الدينية» للأحبار الذين انتزعوا لأنفسهم سلطان الله فى الحكم على معتقدات البشر .. فإننى أشير الى :

● قول الله ، سبحانه : [يأأيها الذين امنوا اذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولاتقولوا لمن القى اليكم السلام : لست مؤمنا تبغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة ، كذلك كنتم من قبل فمنّ الله عليكم فتبينوا ، إن الله كان بما تعملون خبيرا[٧] .

● وقول الرسول ، صلى الله عليه وسلم ـ فيما يرويه اسامة بن زيد ـ قال :

«بعثنا رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فى سرية ، فصبّحنا الحرقات (مكان) ـ من جهينة ، فأدركت رجلا ، فقال لا إله إلا الله فطعنته ، فوقع فى نفسى من ذلك ، فذكرته للنبى ، صلى الله عليه وسلم .

فقال : «أقال : لا إله إلا الله وقتلته ؟! ، قال : قلت : يارسول الله ، إنما قالها خوفا من السلاح ، قال ، صلى الله عليه وسلم : « أفلا شققت عن قلبه حتى تعلم أقالها أم لا » ؟! .. فمازال يكررها علىّ حتى تمنيت أنى أسلمت يومئذ ! »

ـ [أى حتى يجب الاسلام هذا الذنب العظيم] ــ !! ..

وبعد أن مضى عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حدث ان تدارس بعض الصحابة هذا الحديث ودلالاته ... « فقال رجل - فى صيغة التبرير لقتل ذلك الذى قال : لااله إلا الله - :

- ألم يقل الله : [وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ويكون الدين كله لله][8] ؟!

فرد عليه صحابى ممن شهد هذه السرية ، التى حدث فيها هذا الحدث ، قائلا فى صيغة الاستنكار لهذا المنطق :

- لقد قاتلنا حتى لاتكون فتنة . وأنت وأصحابك تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة »[9] !!

فقتل من يشهد أن لاإله إلا الله - وإن بتكفيره - والتفكير ، اسلاميا ، قتل ! هو ، فى نظر الاسلام « فتنة » ، ولايمكن ان يكون « منعا للفتنة » بحال من الأحوال ! ..

● وقول حجة الاسلام الامام الغزالى : **« ينبغى الاحتراز من التكفير ماوجد الانسان الى ذلك سبيلا ، فان استباحة الدماء والأموال من المصلين الى القبلة ، المصرحين بقول : لا إله إلا الله محمد رسول الله ، خطأ . والخطأ فى ترك الف كافر فى الحياة أهون من الخطأ فى سفك محجمة[10] من دم مسلم** »[11] !

● وقول الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده **« لقد اشتهر بين المسلمين ، وعرف من قواعد أحكام دينهم أنه اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه ، ويحتمل الايمان من وجه واحد ، حمل على الايمان**[12] .

- ٣ -

ولم يكن هذا الفكر الذى امتاز وتميز بسماحة الاسلام ، والنهى عن الحكم على الضمائر بالكفر .. لم يكن مجرد « فكر نظرى » بل لقد تميزت به المسيرة الاسلامية ، وعرف طريقه الى «الممارسة والتطبيق» .. ولعل من المفيد ان نشير الى موقف مماثل عرفته حياتنا الفكرية فى العقد الثالث من هذا القرن الميلادى العشرين ..

ففى ابريل سنة ١٩٢٥ م خرج واحد من علماء الأزهر وقضاة المحاكم الشرعية بمصر ، وهو الشيخ على عبدالرازق [١٣٠٥ - ١٣٨٦ هـ - ١٨٨٧ - ١٩٦٦ م] على الناس بكتابه : [الاسلام وأصول الحكم] ، وفيه قال بعلمانية الاسلام ، وانفرد دون علماء الاسلام بالادعاء ان الاسلام دين لادولة ، ورسالة روحية خالصة ، كالرسالات التى سبقته ، لاعلاقة له بسياسة المجتمع وتنظيم شئون العمران .. وقال الرجل ، ضمن ماقال : « إن محمدا ، صلى الله عليه وسلم ، ما كان الا رسولا **لدعوة دينية خالصة للدين ، لاتشوبها نزعة ملك ولاحكومة** ، وإنه ، صلى الله عليه وسلم ، لم يقم بتأسيس مملكة ، بالمعنى الذى يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها . **ما كان الا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل** ، وما كان ملكا ولامؤسس دولة ، ولاداعيا الى ملك »[13]

فماذا كان موقف علماء الاسلام من هذه الدعوة للعلمانية والزعم بعلمانية الاسلام ، والتسوية بينه وبين المسيحية التى طلبت من اتباعها أن يدعوا مالقيصر لقيصر ومالله لله ؟؟ ..

إن علماء الأزهر الشريف - ممثلين فى "هيئة كبار العلماء" - وكانوا يومئذ أئمة الإسلام على امتداد عالمه - لم يدر بخلدهم

« تكفير» على عبدالرازق ، ولا القاء الشبهات على عقيدته وايمانه .. وكل الذى فعلوه ، بعد أن اجتمعوا ، فى صورة « هيئة تأديبية » هو تقرير « عدم لياقة» صدور مثل هذا الفكر من «احد العلماء» الشرعيين ، فأخرجوه من «زمرة العلماء» دون أن يتهموه فى عقيدته الدينية(١٤) ! فكان ذلك موقفا عمليا تطبيقيا لعلماء الاسلام :

● يرفض العلمانية وفصل الدين عن الدولة رفضا قاطعا لا لين فيه ولاتردد ..

● لكنه لايكفر العلمانيين ، لأن الخلاف معهم « سياسى» فى «الفروع» ، وليس فى ركن من أركان الاسلام أو عقائده وأصوله .

● **والعلمانية** : ـ بما تعنيه من فصل الدين عن الدولة ـ هى وافد غربى ، لامكان لها فى واقعنا الاسلامى ، لأنها : «حل أوربى لمشكلة أوربية » .. والحوار مع دعاتها ضرورة اسلامية ، من أجل هزيمة منطقها وتخليص عقول « المتغربين » من سلطانها .. **لكن الخلاف معهم هو خلاف « فكرى ـ سياسى » ، موضوعه « الدولة » .. وهى من « الفروع » التى تقف أحكام وأوصاف الخلاف والاتفاق فيها عند «الصواب» و «الخطأ» دون أن تتجاوزه الى «الكفر» و «الايمان» !..**

إننا يجب ان نميز «أحكامنا» عن «أحكام الله » سبحانه .. وأن نمتنع عن آفة تقليد أهل الديانات الاخرى ، الذين اغتصب كهانهم وأحبارهم سلطان الله فى الحكم على الضمائر والعقائد ، وفى اضفاء الطبيعة الدينية الكهنوتية ـ تحليلا وتحريما ، وغفرانا وحرمانا ـ على أحكامهم البشرية .. وقدوتنا فى ذلك حديث الرسول ، صلى الله عليه وسلم .. فلقد روى أنه «كان اذا أمّر أميرا على جيش او سرية ، اوصاه : إذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فإنك لاتدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا ؟ » صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم .

الهوامش

(١) [نهاية الاقدام فى علم الكلام] ص ٤٧٨ طبعة وتحقيق الفريد جيوم . بدون تاريخ ولامكان الطبع .

(٢) [شرح المواقف] ج ٣ ص ٢٦١ طبعة القاهرة سنة ١٣١١ هـ .

(٣) [الاقتصاد فى الاعتقاد] ص ١٣٤ . طبعة صبيح القاهرة . بدون تاريخ

(٤) [الارشاد] ص ٤١٠ . طبعة القاهرة سنة ١٩٥٠ .

(٥) [منهاج السنة] جـ١ ص ٧٠ ـ ٧٢ طبعة القاهرة : سنة ١٩٦٢ م .

(٦) [المقدمة] ص ١٦٨ . طبعة القاهرة سنة ١٣٢٢ هـ

(٧) النساء : ٩٤

(٨) الأنفال : ٣٩

(٩) رواه مسلم وأبو داود وابن ماجة والامام أحمد

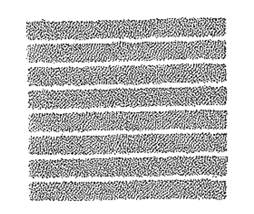
(١٠) المحجمة : كوب صغير يجمع فيه « الحجام » ـ بالفصد ـ الدم الفاسد

(١١) [الاقتصاد فى الاعتقاد] ص ١٤٢

(١٢) [الاعمال الكاملة للامام محمد عبده] جـ٣ ص ٢٨٣

(١٣) على عبدالرازق [الاسلام وأصول الحكم] ص ١٥٤ . طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م

(١٤) انظر حيثيات حكم هيئة كبار العلماء فى المرجع السابق . ص ٧٢ ـ ٩١



القفز على الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

بيع القطاع العام

الحمد لله ، لم يعد سادتنا الاقتصاديون من وزراء حاليين وسابقين ومتربصين (باصطلاح إخواننا الجزائريين) بقادرين على صد العوام أمثالنا عن الكلام في الاقتصاد ، منذ فتحوا على أنفسهم هذا الباب بالكلام في بيع القطاع العام . فقد شعر مئات الألوف - ولعلي أقول الملايين - من العاملين في هذا القطاع ان الموضوع يمسهم مباشرة ، وبما ان قادة الرأى من سياسيين واعلاميين يهتمون عادة بما تهتم به الالوف والملايين ، فقد وجدوا من الضرورى ان يخوضوا كالذى خاضوا .

لم نعد نقرأ كلاما مبهما عن «مشكلاتنا الاقتصادية» ، أو اخبارا مكتوبة عن «جدولة الديون» او شكوى عبثية من «خسائر القطاع العام» بل اصبحنا امام خيار عملى مطروح لمواجهة المشكلات ومعالجة الخسائر ، وحل معضلة الديون من الاساس ، واخذ علماء الاقتصاد بكل سماحة ورحابة صدر يدبجون المقالات ويعقدون الندوات ، ويعلنون مادار فيها للجمهور وهى علامة من علائم الصحة التى كنا نفتقدها فى حياتنا العامة قبل سنوات ، مثلها مثل « شركات توظيف الاموال » التى استقطبت مدخرات مليون عائلة مصرية او اكثر (حسب تقديراتنا الجزافية المعهودة) فجعلت مشكلات علم الاقتصاد داخلة فى اهتمامات كل أسرة ، كما اجبرت الدولة - بكل مؤسساتها وعلى كل مستوياتها - على مخاطبة الملايين فى أمور الاقتصاد .

أليست هذه بشائر النهضة ؟ أليست هذه هى القاعدة المادية لديمقراطية

حقيقية ؟ وسط كل المظاهر السلبية التى تحيط بنا ، بل بسبب هذه المظاهر الكثيرة ، يجب ان نسجل كل بادرة ، مهما تكن صغيرة من موارد الانتعاش . **ولكننا فى الوقت نفسه يجب الا ننسى ان اخطر ادوار المرض يمكن ان يكون دور النقاهة لذلك نطالب بالمزيد من الحرص ، والمزيد من الفهم والمزيد من إخلاص النية فى العمل . وسنظل نشاغب الاقتصاديين لا استهانة بعلمهم الغزير ، وخبرتهم الواسعة ، بل لنذكرهم بحقائق الحياة العادية التى ربما نسيها المختص .**

وحقائق الحياة تفرض نفسها دائما بطريقة تتجاوز علم العلماء كما ان التعامل مع هذه الحقائق يمكن ان يجرى بطريقة يسيرة جدا ، قريبة المنال جدا ، لا تحتاج الا الى فكر صحيح ، وعزم صادق والحلول الجذرية - كما تسمى - يمكن ان تظهر بالتدريج ، بل ان للمصادفة دورا فى اكتشاف هذه الحلول ولكن المصادفة اذا وردت على ذهن واع مترقب كشفت له مجالا واسعا للتنظير والتطبيق . ولكنا نعرف قصة اكتشاف ارشميدس لقانون الاجسام الطافية وقصة اكتشاف الكسندر فلمنج للبنسلين ولا أظننى انتقص من ذكاء رجال السياحة او خبرتهم حين أقول ان « اكتشاف » امكانية الاستثمار السياحى الواسع عن طريق انشاء القرى السياحية الكثيرة على امتداد الساحل الشمالى وسواحل سيناء والبحر الاحمر ، قد تم بما يشبه المصادفة ولكننى اتصور ان هذه المصادفة يمكن ان تفتح مجالا واسعا ، بل مجالات للاستثمار لم تكن داخلة فى حساب المخططين

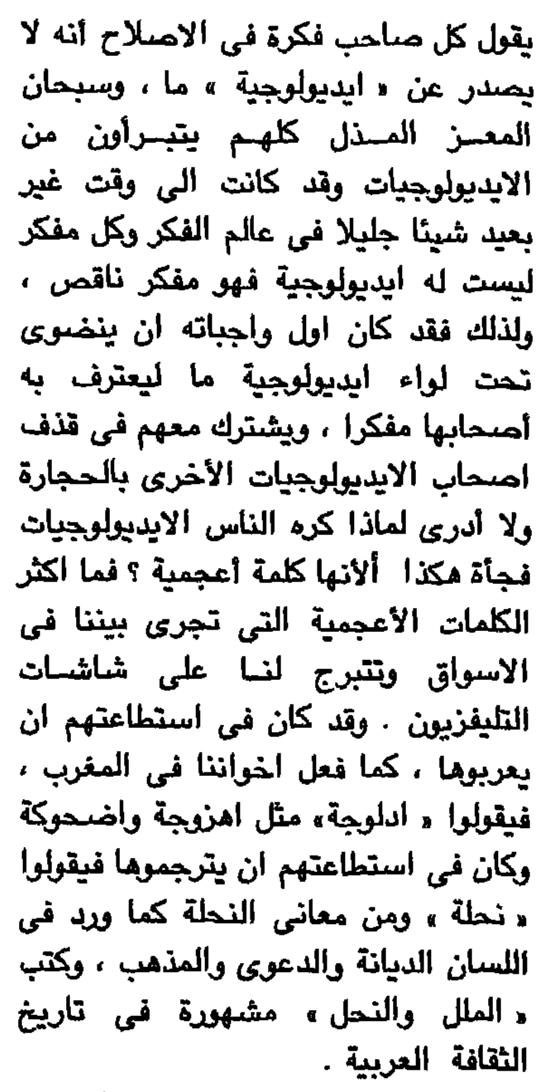
فآفتنا الكبرى هى أننا حين نخطط وحين ننظر ننقل عن علوم الدول المتقدمة وننسى واقعنا . وما من نظرية فى الاقتصاد الا وهى نابعة من واقع معين ، مرتبط بزمان ومكان معينين ، وظروف مادية وبشرية معينة ، ويبدو لى ان هناك فجوة بين مذهب الفزيوقراطيين ونظرية ، آدم سمث يجب ان نملأها (صديقى القارىء : لا تهتم بهذه الالفاظ فانا لم ارد بها الا التبجح ، او ان اكيل للاقتصاديين بصاعهم). ان مزايا المكان والارض يجب ان تستغل فى الوقت الراهن اكمل استغلال الى ان يتم تطوير انتاجية العمل كذلك يجب ان يكون دور الدولة فى توجيه الاقتصاد مختلفا عن التخطيط الاشتراكى وعن تصحيح المسار الرأسمالى لأن بلدا متخلفا كبدلنا يحتاج الى تنمية القدرات البشرية كحاجته الى تنمية الثروة ، ومن ثم فتشجيع المبادأة الفردية وصقلها بالتعليم والتدريب ، ثم رعاية المشروعات التى يستطيع الافراد القيام بها ، والاضطلاع بالمشروعات الكبيرة التى تدعمها اقرب الى تحقيق التطور المطلوب . كما ان خفض الانفاق الحكومى والعائلى - او ابقاءه منخفضا - يجب ان يكون سياسة ثابتة للدولة فحيث يكون الناتج الوطنى الاجمالى اقل من المعدل المنشود فعدالة التوزيع تعنى فى الحقيقة العدالة فى توزيع الاعباء ، او ان شئت عبارة اكثر صراحة وقسوة العدالة فى توزيع الفقر ولا عيب فى هذا .

● وماذا عن « الايديولوجيات » ؟

لقد اصبحت البدعة فى ايامنا هذه ان



القفز على الأشواك



يقول كل صاحب فكرة فى الاصلاح أنه لا يصدر عن « ايديولوجية » ما ، وسبحان المعز المذل كلهم يتبرأون من الايديولوجيات وقد كانت الى وقت غير بعيد شيئا جليلا فى عالم الفكر وكل مفكر ليست له ايديولوجية فهو مفكر ناقص ، ولذلك فقد كان اول واجباته ان ينضوى تحت لواء ايديولوجية ما ليعترف به أصحابها مفكرا ، ويشترك معهم فى قذف اصحاب الايديولوجيات الأخرى بالحجارة ولا أدرى لماذا كره الناس الايديولوجيات فجأة هكذا ألأنها كلمة أعجمية ؟ فما اكثر الكلمات الأعجمية التى تجرى بيننا فى الاسواق وتتبرج لنا على شاشات التليفزيون . وقد كان فى استطاعتهم ان يعربوها ، كما فعل اخواننا فى المغرب ، فيقولوا « ادلوجة» مثل اهزوجة واضحوكة وكان فى استطاعتهم ان يترجموها فيقولوا « نحلة » ومن معانى النحلة كما ورد فى اللسان الديانة والدعوى والمذهب ، وكتب « الملل والنحل » مشهورة فى تاريخ الثقافة العربية .

فاذا كنا نتبرأ اليوم من الايديولوجيات او نأبى ان ننتسب الى نحلة ما حتى لا يقال عنا اننا نردد فكرا مستوردا ، او نروّج مذهبا غربيا فاسدا ، او شرقيا ملحدا فلنطرح الكلمة دون معناها فمعناها مشتق من الفكر وهل يكون فكر بدون فكر ؟ ولكن الكلمة طالت شيئا ما لتدل على ان الفكر ايضا يجب ان يستطيل ويطرد ليحيط باطراف الواقع وبذلك يمكننا ان نتخذ موقفا معينا منه . وأظن أن هذه أيضا صفة ضرورية للفكر المنتج .

وليس الجمود الفكرى أو التسليم الأعمى شرطاً للأيديولوجية أو المذهب أو النحلة إلا لدى الجامدين المستسلمين ، ولا الاستفادة من أفكار الآخرين وتجاربهم لاصلاح أحوالنا عيباً إلا اذا استعبدنا لهذه الافكار والتجارب . هذه القضايا تعد من المسلمات ، ولكننا نحتاج إلى أن نسلم بها حتى نستطيع أن نفكر فى مشكلاتنا الكبرى تفكيراً سليما مستقيما ، وعلى رأسها مشكلة القطاع العام ، وهل يكون علاجها بالتخصيص بعد التعميم أو التأميم .

لن نستطيع أن نحل مشكلة واحدة من مشكلاتنا بدون "ايديولوجية" أو نحلة أو مذهب . ولن نستطيع أن نحلها بإيديولوجية مستوردة ولا بتجاهل الواقع العالمى المعاصر . منذ أقيم القطاع العام ونحن لا نعرف لأنفسنا "إيديولوجية" معينة . صحيح أن تملك الدولة (باسم الشعب ، كما يقال) لوسائل الإنتاج المهمة (وغير المهمة أحيانا) سمة رئيسية من سمات النظام الاشتراكى ، ولكننا كنا نتحدث فى الوقت نفسه عن "الرأسمالية الوطنية" ، كما كنا نتخاصم حول "اسم" اشتراكيتنا : أهى اشتراكية علمية أو اشتراكية عربية . وبعد عشر سنين من هذه الاشتراكية جاءت عشر أخرى من "الانفتاح" : انفتاح إلى الداخل للسلع المستوردة ، وانفتاح إلى الخارج للبعثات والزيارات .

وأظن أننا مازلنا اشتراكيين اسماً ، ولو أن أحداً من العاملين فى الاقتصاد أو المال لا يمكنه أن يجيبك بأننا كذلك فعلاً . ولذلك فضل العقلاء منا أن ينفضوا أيديهم من "الإيديولوجيات" جملة وتفصيلا . أما غير العقلاء فبعضهم يدافعون عن القطاع العام باسم "أموال الشعب" و "مكاسب الطبقة العمالية" ناسين ان "اشتراكيتنا" لا تعترف بالصراع الطبقى ، وبعضهم يدعون إلى تصفيته باسم "الحلول البرجماتية" ناسين أن "البرجماتية" هى أيضا إيديولوجية يمكن أن تؤدى إلى أشياء من قبيل "إيران جيت" .

أى أن الذى يتخلى عن "الإيديولوجية" قلما يسلم من رشاشها . ولكن الأدهى أنه ربما تخلى أيضا عن قواعد التفكير السليم .

هذا أستاذ من أساتذة الاقتصاد نعرفه ، ونجله ، ونفيد من علمه ، ونحترم مواقفه ، يبدأ دفاعه عن القطاع العام بايراد الأرقام المتوقعة لأرباح هذا القطاع فى ميزانية العام الحالى (٨٧ ـ ٨٨) . وهذا استدلال ضعيف من وجهين : الأول أنه مبنى على توقع أو احتمال ، لا على واقع ، والثانى أنه مبنى على علامة (وهى مقدار الربح بالنسبة إلى إيرادات الدولة من أبواب أخرى) لا على موضوع الإثبات نفسه (نسبة الربح إلى رأس المال) ، وهما وسيلتان للإقناع الخطابى لا تقبلان فى البرهان العلمى . ومن الواجب أن نقرر أن الكاتب لا يلبث أن يعدل عن هذه الطريقة ويأخذ فى مناقشة صلب القضية وهو أن القطاع العام فى مجمله لا يحقق العائد الذى يعد مقياساً للنجاح الاقتصادى ، ثم يتساءل عن أسباب هذا الإخفاق ، وهل ينتظر أن يتكفل "التخصيص" بإزالة هذه الأسباب ، أو ينبغى البحث عن وسائل أخرى .

وعلى الطرف المقابل يطالعنا اقتصادى كبير أخر بدعوى أن بيع القطاع العام انما يعنى فى الحقيقة تمليكه للشعب . وينسى أو يتناسى أن السواد الأعظم من "الشعب" لا يملك ما يشترى به قسماً صغيراً من هذا القطاع العام ، وأنه إذا أريد تمليك بعض شركاته للعاملين فيها كما يقال أحياناً فلابد من تشريع خاص يجعلهم مالكين له دون أن يدفعوا ثمنه ، كما ملكت أراضى الإصلاح الزراعى للفلاحين ، أو بشروط ميسرة جداً كما توزع الأراضى المستصلحة حديثاً على شباب الخريجين ـ وهذه فكرة لم تطرح على الإطلاق ، وقد تكون غير قانونية أو غير عادلة بالنسبة للشركات الرابحة ، ولكنها حل يمكن أن يكون مقبولاً لمشكلة الشركات الخاسرة .

أما المغالطة المنطقية فى دعوى هذا الاقتصادى الكبير فكانت فى رده على اعتراض المعترضين بأن القطاع الخاص قد أثبت فى السنوات الأخيرة أنه ليس أكثر نجاحاً من القطاع العام . فقد أرجع ذلك إلى التعقيد البيروقراطى والفساد الإدارى (فى أجهزة الحكومة) . إذن فهذه هى العلة : الإدارة الحكومية التى تعوق نشاط القطاع العام كما تعوق نشاط القطاع الخاص . ومن يدرى ؟ فقد لا تكون الإدارة الحكومية مجرمة إلى هذا الحد ، وقد تكون القوانين القائمة كافية ، إذا طبقت بحزم ، لمعالجة انحرافاتها . ولابد من ترشيد الإدارة الحكومية

وتطهيرها فى جميع الأحوال ، لأنها داخلة فى جميع مرافق الحياة ، ولأن تداخلها فى شئون الاقتصاد بالذات سمة من سمات المجتمعات المعاصرة ، حتى أشدها تمسكا بالحرية الفردية .

● لماذا إذن هذه الضجة ؟

يتساءل المراقب من بعيد : إذا كانت هذه حقيقة الأمور بالنسبة إلى القطاع العام والقطاع الخاص ، فلماذا طرحت قضية "بيع" القطاع العام فى هذا الوقت بالذات ، حين أثقلت ضمائر الناس بمشكلة الديون (والدين هم بالليل وذل بالنهار) ، وعيل صبرهم من الأخبار اليومية المستمرة عن مفاوضات الحكومة مع البنك الدولى ، وصندوق النقد (كدت أكتب صندوق الدين) ، ونادى باريس ؟

هل يراد تحطيم ما بقى من معنويات هذا الشعب ؟

إن الواحد منا يستحى أن يبيع قيراطين فى قريته ورثهما عن أبيه . فكيف يبيع "العدة" التى يأكل منها هو وعياله ؟

وكيف يستقيم القول إن القطاع العام ملك "للحكومة" ، وليس ملكا للشعب ، بينما نملأ الجو كلاماً عن "الديمقراطية" ، والديمقراطية هى حكم الشعب ؟

وهل صحيح أننا تخلينا عن التحيز والهوى ، حين تخلينا عن "الأداليج" ؟

إن "الأداليج" أو الإيديولوجيات ، تعبر عن مصالح ، وتعارض الإيديولوجيات يعنى تعارض المصالح ، وقد تذهب الايديولوجيات ولا تبقى سوى المصالح ، متنكرة فى ثوب النفع العام ، ولكن المنطق المتهافت يكشف كذب هذا الادعاء . فإذا أريد "النفع العام" حقيقة فلتسقط الأقنعة أولاً عن المصالح المتعارضة ، حتى يحل الوفاق محل الخداع . ويصدر العمل عن اقتناع .

والذين يدافعون عن بقاء القطاع العام متهمون بأنهم إنما يدافعون عن الأوضاع القائمة لأنهم يستفيدون من فسادها : فهم بين عامل استمراء "التسيب" فى الجزاءات والإجازات ، وسياسى يتملق هذا العامل ، وإدارى يستوى لديه الربح والخسارة ، مادامت مصلحة الجهاز أو المؤسسة مسخرة لقضاء مصالحه الخاصة . ولهذه الاتهامات كلها شواهد من الواقع .

والذين يطالبون "بالتخصيص" متهمون بأنهم يخدمون مصالح الإمبريالية العالمية واعين أو غير واعين . وهى تهمة لا تحتاج، إلى دليل ، لأن "الإمبريالية العالمية" لم تزل تصرح فى كل مناسبة بتأييدها للقطاع الخاص ، وربما ربطت ما تقدمه من معونات بتشجيع القطاع الخاص وتوسيع مجاله . وقد لاحظنا من قبل أن التغيرات الداخلية قلما تسلم من مؤثر خارجى . على أن العوامل الخارجية لا تفعل فعلها إلا حين تصادف استعداداً داخليا . ولعلنا لا نبعد عن الصواب إذا استنتجنا وجود هذا الاستعداد وطبيعته

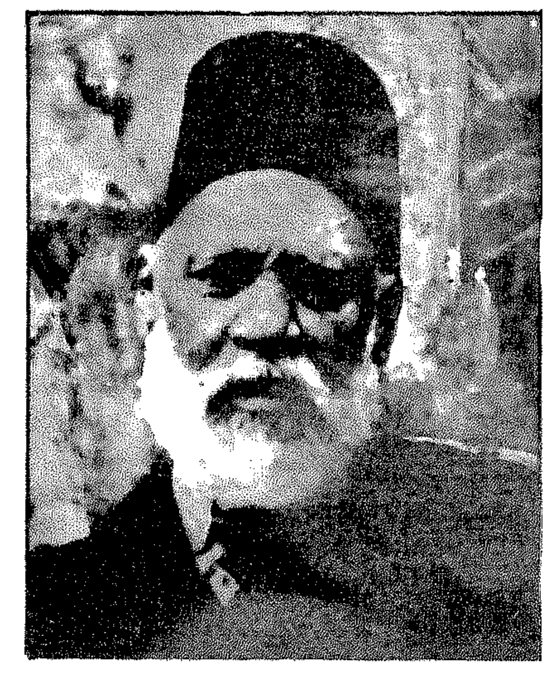
من قول دعاة التخصيص إنهم لا يطالبون بتخصيص القطاع العام كله بل جزء منه فقط . وحين يسألون عن ماهو هذا الجزء : الرابح أم الخاسر ؟ يرتبكون قليلاً ثم يضطرون إلى الاعتراف بأنه لابد أن يكون الجزء الرابح ، إذ من البديهى أن المشترى لا يشترى مؤسسة خاسرة ، فإن فعل فبأبخس الأثمان . وربما ذهبوا إلى أن واجب الدولة أن تنشىء المؤسسات الاقتصادية وتقوم بإدارتها إلى أن تصل إلى درجة الربحية ثم تبيعها للناس . وربما ضربوا المثل باليابان . وربما ضربوا المثل بالقرى السياحية . وهنا يرتاب المرء فى أن فئة معينة لها مصلحة فى شراء أقسام معينة من القطاع العام . وهل تكون هذه الفئة إلا من رأيناهم فى مزادات القرى السياحية من أثرياء عصر الانفتاح ، الذين جمعوا ثروات ضخمة من عمليات الاستيراد والاستثمار العقارى ذات العائد السريع (ولا نقول أكثر من ذلك) ؟ هؤلاء كونوا ثرواتهم على حساب المصلحة العامة ، أى على حساب المواطنين العاديين ، واحتالوا على الحكومة أو عملوا على فسادها ، وقد ضاق المجال أمامهم حين قلت الأموال السائلة ، وقل الاستيراد تبعا لذلك ، واضطروا إلى أن يخوضوا فى الخفاء معركة ضارية ضد فئة رأسمالية أخرى ، فئة الرأسماليين الحقيقيين الشرفاء الذين يقبلون على التنمية والتصنيع بحسب إمكانياتهم المتوسطة أو الكبيرة أو المتواضعة أحيانا ، ولا يطالبون «بتخصيص" القطاع العام ، فمجال الاستثمار أمامهم طويل عريض كطول هذا الوادى ، وعرضه ، وطول آماله وعرضها ، ولكنهم - على العكس - يطالبون بتدعيم القطاع العام مع ترشيده وتطهيره من بؤر الفساد التى غرستها فيه الفئة الأولى .

لو جمعت محصلة هذا النقاش كله ، وأسقطت منها ما هو ظاهر البطلان ، لبدا طريق الإصلاح واضحاً لاحباً لا يحتاج سلوكه إلا إلى شيء من العزيمة ، والصدق مع النفس ومع الآخرين . يومئذ يمكن أن تتلاقى الأفكار على إيديولوجية تنير لنا الطريق ، إيديولوجية نابعة من واقعنا ، معبرة عن مصالحنا ، لا ينعت أصحابها بالتبعية أو الجمود .

هدايا

ركب الرشيد وجعفر بن يحيى عن يساره فالتقى الرشيد فى طريقه بأحمال ثقيلة مقبلة ، فسأل عنها فقالوا له : هذه هدايا خراسان من على بن عيسى وكان الرشيد ولاه عليها بعد الفضل ابن يحيى .. فقال الرشيد : اين كانت هذه الهدايا ياجعفر أيام أخيك ؟ فأجاب جعفر : كانت فى منازل اصحابها ياأمير المؤمنين !

من أسرار الثورة العرابية



احمد عرابى

مستشرق كبير يحترف الجاسوسية



●● ظهرت الكتب التاريخية موجزة ومطيلة ، تتحدث عن الثورة العرابية ، ومفصلة ماكان من أحداثها ووقائعها ومع تعدد هذه الكتب وتشعب دراساتها المختلفة ، فإننى لم أجد من خص فظائع الجاسوسية الإنجليزية ببحث يوضح مراميها البعيدة ، تلك التى كان لها أثر كبير فيما تمخضت عنه الثورة من نتائج خطيرة ، وأقرب مثال نستشهد به فى هذا المجال ، كتاب المؤرخ الكبير الاستاذ عبد الرحمن الرافعى عن الثورة العرابية ، فهو على إتساع أبوابه ، ووفرة معلوماته ، لم يتحدث عن الجاسوسية الإنجليزية التى تمثلت فى جهود المستشرق الإنجليزى المسمى « بعبد الله بالمر » وليست أعماله بالخافية ، فقد تحدث عنها من كتبوا من الإنجليز انفسهم عن الثورة العرابية فى حيدة ونزاهة واقرب مايفد الى الذهن من هؤلاء هو المؤرخ المعاصر للأحداث الدامية « ولفريد بلنت »●●

وكلنا نعلم ان الرجل الكبير قد شارك فى توجيه الاحداث قدر المستطاع وانتشر ماكتبه عن مأساة الاحتلال الانجليزى انتشارا مدويا فى الشرق والغرب ، وانا اعجب كيف فات مؤرخى الثورة العرابية من كتاب مصر ان يقفوا وقفات متأنية عند حديثهم عن هذا المستشرق ! وكأنهم خدعوا بما يكتب عن جهاده العلمى فى ميدان الاستشراق تبشيريا وغير تبشيرى ، وليس ذلك بالعذر الناهض ، فهذا الجاسوس المحترف قد لقى حتفه بعد موقفه الخائن ، وقامت محاكمة إنجليزية ظالمة أدانت البرىء لتأخذ بثأره دون أن تتحرى الوقائع الناطقة بالصواب ، كما قام من الكتاب الانجليز أنفسهم من أدان هذه المحاكمة الظالمة ، وكل ذلك مما يلفت الذهن إلى دور هذا الجاسوس الذى اتشح برداء البحث ليصبح الة فى ايدى الاحتلال القاهرة ، ولئن جاز ذلك من محترف سياسى لايمت الى دنيا العلم بادنى الصلات فكيف يجوز ممن تصدى للتدريس فى اعرق الجامعات ، وكتب وحقق ونشر ، وذهب له فى دنيا الاستشراق صيت بعيد ، بل كيف تنحط كرامة العالم الى مستوى اللصوصية الدنيئة حين يكون الة للتضليل والتغرير بالاميين السذج ممن لايفهمون فى امور السياسة كثيرا أو قليلا ، واذا لم يؤتمن مثل هذا الجاسوس على مسلكه الشخصى ، افيؤتمن على ابحاثه العلمية ، والامانة صفة عامة تشمل السلوك الانسانى كما تشمل البحث العلمى لانها روح تفيض ، واتجاه يسيطر فاذا تعذرت فى جانب ، فقد كشفت عن تغلغل عميق فى جميع الجوانب ، دون نزاع .

قلت ان الذين تناسوا صنيع هذا الجاسوس قد خدعوا بما كتبه زملاؤه وتلاميذه عنه ، حين تحدثوا عما سموه بجهوده العلمية دون أن يشيروا فى قليل أو كثير إلى دوره السياسى الخائن ، مع أنه لقى حتفه عقب قيامه بهذا الدور ، وكان من واجب المؤرخ أن يقف عند


الشيخ عبد الله ادرين بالمر

مصرع من يتحدث عنه باعجاب وتقدير ، فيتساءل كيف صرع وما المقدمات التى أدت إلى ذلك ، ولكن الذين يلبسون الحق بالباطل من هؤلاء التلاميذ والزملاء يكتفون بقولهم انه مات فى ظروف غامضة وكلمة الظروف الغامضة لاتقال إلا حين تغيب الحقائق ، وتسكت الوقائع فيقع المؤرخ فى لبس أمام مايرين حوله من الصمت الحائر ، أما حين تدون هذه الحقائق ويكشف عنها النقاب فى عدة كتب ، بل حينما يقوم إنجليزى غيور فيكشف دور هذا الخائن بما لامزيد عليه من الأدلة الشاهدة ، فكيف نقول بعد ذلك أنه قتل فى ظروف غامضة إلا إذا كان المقصود هو إسدال الستار عن جرائم شنيعة أصبحت ملكا للتاريخ وحده لانها لاتتعلق بالرجل فحسب ، بل تمتد إلى تاريخ أمة مسكينة لم تحارب فى ميدان واحد ، بل حوربت فى عدة ميادين ، وكان من بينها ميدان الجاسوسية الذى جند له الاحتلال أعوانه من رجال السياسية الخادعة ، ثم إمتد إلى أساتذة الجامعات فى إنجلترا ليكونوا بعض هؤلاء ! أرايت ايها القارىء العزيز كيف يقوم الجاسوس بدوره فلا يسجل عليه فى تاريخ الثورة عندنا ، ثم نجدُ من يعلم حقيقة هذا الدور المنكر من تلاميذه فيحاول ان يطمسه بما لا يدل عليه من العبارات العائمة ، ومع ذلك نشيد بالجاسوس مؤلفا ، وبالمتحدث عنه مؤرخا ، وكلاهما لا يسير مع الحق فى الطريق .

● من التاريخ العلمى

لدينا كتب خاصة بالاستشراق الاوربى انجليزيا وغير انجليزي ، كتبها أساتذة من إخواننا العرب ، ولكنهم رجعوا إلى المصادر الاوربية وحدها ، وقد غفلت عمدا عن وقائع فادحة لامجال لاخفائها ، وماكتبه المستشرقون عن زملائهم « ادورد هنرى[1] بالمر (١٨٤٠ ـ ١٨٨٢م) الذى سمى نفسه (الشيخ عبد الله بالمر) فلم يكتف ان يكون عبد الله ، بل انتحل المشيخة ليظهر بمظهر احد علماء الازهر الشريف ، أقول ماكتبه هؤلاء عن زميلهم كان المصدر لمن تحدثوا عنه من اخواننا الباحثين فسكتوا عن دوره الجاسوسى تبعا لسكوت القوم ، واظهر من دون تاريخ « بالمر » هو المستشرق الانجليزى الاستاذ « برنارد لويس » المحاضر فى مادة الدراسات الاسلامية بجامعة لندن ، حيث عقد عدّة فصول تحت عنوان (مشاركة الادب الانجليزى فى الدراسات العربية) وخص فيها « بالمر » بتاريخ حافل قال فيه انه اظهر منذ طفولته قدرة ماهرة على تعلم اللغات فاجاد الانجليزية والفرنسية والايطالية بطلاقة ، ثم تعرف باحد الهنود من المسلمين فجذبه الى دراسة اللغات الهندية والفارسية والعربية ، واختص العربية بعناية حيث صارت لغته المفضلة التى يكتب بها الابحاث وينظم الشعر العربى ايضا !! ثم اتصل بالمر بجامعة كامبردج وواصل دراساته الاسلامية دراسة متوغلة جعلته يطمح الى زيارة الشرق العربى سنة



فردينان ديلسبس

١٨٦٩ موفدا عن جمعية كشف فلسطين ، وهى فى اصلها جمعية يهودية ! ولنضع النقاط على الحروف نقول ان الرحلة كانت ذات اهداف سياسية تظهر البحث العلمى وتخفى الكيد الصهيونى ! ثم عاد إلى إنجلترا ليكون أستاذا للغة العربية فى كامبردج ! واشترك فى الكتابة الصحفية بالجرائد الإنجليزية مختصا بمسائل الشرق ! والمستشرق الجاد المتجه للبحث العلمى يعكف على مصادره العلمية دون ان يكون كاتبا بالجرائد اليومية ليساير الاهواء الاستعمارية !! ثم يقول الاستاذ برنارد لويس عن صاحبه مانصه « وفى سنة ١٨٨٢ (سنة الثورة العرابية) زار مصر مرة اخرى وقام برحلة جريئة على ظهور الخيل فى شبه جزيرة سيناء ، وهى منطقة يعرفها جيدا لزيارته لها من قبل ، وقد أصبح ركوب الشيخ عبد الله فى الصحراء يذكر بين المستشرقين كما تذكر الاساطير ، وكانت خاتمته فاجعة ، فقد كان ذلك الوقت زمن الاضطرابات فى الشرق الادنى ولذلك كانت الاشعار فيه اكثر من مخاطرة عادية ، فقتله قطاع الطرق من البدو فى عودته من رحلته فى الصحراء ، وإنقطعت بذلك تلك الحياة الحافلة عن عمر مبكر يناهز اثنين واربعين عاما »

هذا ماكتبه برنارد لويس ! وحديثه يشى بتعمد اخفاء الحقائق ، لان كلامه عن اضطرابات الشرق الادنى يعنى قيام الثورة العرابية ، وهى لم تكن مصدر خطر على من يذهب الى سيناء وحدها ! بل **يكمن الخطر لدى من يعبر القناة إلى السويس ليتصل ببعض العرب ويفرق الذهب كما سنشير من بعد ! وهنا تتضح جاسوسيته حين يدعو إلى مساعدة الانجليز فى قمع الثورة ، فيثور عليه بعض المخلصين ، ويلقى حتفه ! أين قطاع الطرق إذن ؟**

ثم يواصل برنارد لويس حديثه عن مؤلفات (بالمر) فيقول إنه ليس دارساً للعربية فحسب ، بل تعمق روح الأمة العربية وتغلغل فى استشفاف لغتها ، وكان يخاطب زملاءه بالعربية لا بالانجليزية لأنه يجيدها أكثر من إجادته لغته الأصلية ، وكان ينظم شعرا ، مثل قوله :

ليت شعرى هل كفى ما قد جرى
مذ جرى ما قد كفى من مقلتى

والحقيقة أن البيت من شعر ابن الفارض الشاعر المصرى الكبير وقد ادعاه (بالمر) لنفسه ، وهذا ما يؤكده (إخلاصه) العلمى العميق الذى أشاد به (برنارد) ! ولا نطيل فى سرد ما ذكره الباحث عن مؤلفات الرجل ، فهى فى صميمها لا تفيد العرب قدر ما تفيد الاستشراق من باحثى العربية ليكونوا

اعواناً لوزارات الخارجية والإدارات الاستعمار أما نحن العرب فمؤلفات الرجل بإزائنا لا تضيف الجديد !

هذا مجمل التاريخ العلمى "لإدور هنرى بالمر" الذى تسمى باسم الشيخ عبد الله ، وأطلق لحيته ، وحمل مسبحته ، وارتدى الجبة والقفطان ، أما جاسوسيته التى أدت إلى مصرعه ، فقد جاء موعد الحديث عنها :

● تخطيط استعمارى

كان عرب سيناء على صلة بمشايخ العرب الذين يسكنون حول القناة فى بلاد مصر ، وقد عرفت وزارة البحرية البريطانية عمق هذه الصلة بما لاحظته من كثرة التزاور بين الفريقين ، على حين تخوفت من أن ينضم عرب سيناء إلى عرب مصر فيعملوا على ردم القناة ، مما يعوق تقدم الجيش الانجليزى ، ويمهد الطريق لنصرة عرابى باشا فيما يعتزم القيام به من مجابهة حربية لأعداء البلاد ، وقد علمت أن الأستاذ "ادوارد بالمر" الذى يجلس على كرسى الاستاذية بجامعة كامبردج كان على صلةٍ تامةٍ بمشايخ العرب فى سيناء ، ويستطيع أن يحملهم على أداء مهمتهم السياسية إذا أغراهم بالمال ، وفعلاً هيأت له وزارة الحربية عدة أكياسٍ ذهبية بلغ مجموعها عشرين ألف جنيه ذهبى ، وللجنيه الواحد رصيده القيم إذ ذاك ، إذ يستطيع العربى أن يشترى به جملاً ونعجة ، فاستجاب (بالمر) لهذه الدعوة المنكرة ، مرحبا وقد جاء فى خطاباته التى كتبها لزوجته ، وهو فى عمله الجاسوسى شرقى سيناء ما يفيد أن باب الكسب قد اتسعت منافذه لديه ، وأنه ادخر من المال ما سيجعله يعيش بعد عودته فى لندن هانئاً ناعما ، ومعنى ذلك أنه حرص على أن يحتفظ بمبلغ خاص مما أخذه ليرشو به الذين لا يفقهون شيئا من أمور السياسة ، أو الذين يسهل بيعهم وشراؤهم من عرب الطَّمَاوِيَّة وأمثالهم بالشرقية ، وقد أثبتت الحقائق أنهم كانوا فى مقدمة الخونة ، فكانوا ساعداً آخر لعلى خنفس الذى أغراه محمد سلطان بالخيانة ، وقد اتجه (بالمر) إلى يافا وجمع فريقاً من مشايخ البدو بعد أن فرق عليهم ما يطمعهم فى مهمتهم الصعبة ، فوافقوا على الفور ، وأعدت الوسائل لسفر مجموعة منهم الى السويس تحت قيادته ، وقد التقى بالأسطول الانجليزى وهو يروح ويغدو حينئذ فى القناة دون حائلٍ ، لأن عرابى باشا قد صدق الوعد الكاذب الذى قطعه "فرديناد دِليسبس" بحياد القناة ، فسارع ضباط الأسطول باستضافة (بالمر) وتهيئة السبل إلى إنجاح مهمته ، وخف القادمون من البدو لأداء رسالتهم الملوثة ، ونجحوا فعلاً فيما اعتزموه ، ثم قامت المعركة الرهيبة فى (التل الكبير) وقرّبها (بالمر) عيناً ، إذ جاءت الرياح بما يشتهيه ، فتأكد أنه سيرجع غانماً ، وكتب الرسائل الى زوجته مبشرا ، وقد طبعت هذه الرسائل بعد وفاته ، فكانت شاهداً خطياً كتبه بيده معترفا ، ليدل على معدنه الخلقى الهابط ، وما كان

يدرى حين بادر بإعلان فوزه المادى لزوجته أن القدر وراءه بالمرصاد

● مصرع الجاسوس

عرف المخصلون من الاعراب حقيقة الدور البشع الذى قام به (بالمر) مع رفيقين من الانجليز أحدهما ضابط برى والآخر ضابط بحرى ، فدبروا لهم كمينا قاتلا فى ظلمة الليل ، وأوردوهم مورد الموت ، وتركوا جثثهم فى العراء حتى جاء الخبر إلى الكولونيل الإنجليزى "وارين" الحاكم البريطانى بالسويس ، فأراد أن يحتاط لنفسه ، فساق جنوده العتاة ليعتقلوا من يرونه من العرب ، رجالاً ونساءً وأطفالاً ، حتى امتلأ بهم المكان ، وبعد نقاش صورى أصدر حكمه بإعدام خمسة من الرجال الأشداء ، باعتبارهم القاتلين ، وهى جريمة منكرة تدل على همجية متوحشة ، حين يؤاخذ البرىء بما لم يقترف ، وحين تلصق التهم إلصاقا بأبرياء كل جريمتهم أن سوء الحظ أوقعهم فى هذا المكان عند هجوم الجنود ! فساقوهم الى الإعدام ، وإذا كان الكولونيل "وارين" قد عزا قتل الإنجليز الثلاثة إلى رغبة الاستيلاء على ما كان بأيدهم من الذهب ؟ فلماذا لم يجد منه قليلا أو كثيراً لدى من صدر الحكم بإعدامهم ، وقد هوجمت خيامهم وبعثرت أدواتها ، وطرحت فى العراء ، دون أن يوجد بها درهم واحد ! إن الأكثر غرابة فى هذا التصرف البغيض أن الأقلام قد سكتت عن تدوينه ، رهبةً من سطوة المحتل ، حتى قيض الله كاتبا انجليزيا كبيراً عرف بحبه للعدل والإنصاف ، وأشتهر بصداقته لأبطال الثورة المصرية ، وفى مقدمتهم الأستاذ الإمام محمد عبده ، وله عن المفتى الأكبر مذكرات يومية تدل على إعجاب زائد بمواقف الأستاذ الإمام ، كما كان أبرز من سجل فظائع الاحتلال الانجليزى فى كتابه الشهير (التاريخ السرى للاحتلال الانجليزى لمصر) وقد ترجمه الأستاذ عبد القادر حمزه ونشر متتابعاً بجريدة البلاغ اليومية ثم جمع فى كتاب خاص ، هذا الكاتب الأمين هو الأستاذ (ولفريد سكاون بلنت) وأذكر أن كتاب الهلال قد نشر بعض آثاره منذ أشهر فذاعت بين الناس .

● دفاع بلنت

بدأ الاستاذ بلنت تحقيقه التاريخى مؤكدا ان الاستاذ « بالمر » عالم ممتاز فى العربية يدرس أصولها وادبها فى جامعة كمبردج ولكنه استجاب للّورد نور ثيروك حين دفعه للقيام بمهمة سرية لدى البدو فى شرق قنال السويس ، مزودا بمبلغ كبير يتجاوز عشرين الفا من الجنيهات الذهبية ليشترى بها ضمائر الضعفاء ضد حكومة القاهرة .

يقول بلنت « وبما اننا فى وقت حرب بكل معانيه ، وبما ان الحقيقة المرة ان الاستاذ (بالمر) ومرافقيه البحرى والعسكرى كانوا يرتحلون متنكرين ومعهم ثلاثة الاف من الجنيهات ، فانه واضح كل الوضوح ان اولئك الانجليز الثلاثة يقومون بدور الجواسيس ، فليس قتلهم اذن جريمة عادية ، **ولكنه جريمة سياسية تقع تحت العفو الشامل الموعود** ، ولكن هذا لم يَحُلْ دون الاصرار على الانتقام الشنيع .

اما كيف حصل هذا الانتقام فان الاستاذ بلنت قد شرحه دون لبس حين قال :

من أسرار الثورة العرابية

ارسل القائمقام « وارين » الى الصحراء قوة عسكرية كافية ، كما أمدته حكومة الخديو توفيق ببعض البدو ، وما ان وصل الركب الى المكان حتى شرع فى عملية القبض على الاعراب بالجملة رجالا وأطفالا ونساء ، خبط عشواء ، وقفل راجعا بمن قبض عليهم ليودعوا بسجن السويس رهن التحقيق ، واخذوا فى اقامة قضية ضد خمسة رجال ليلقوا القصاص الرئيسى عن قتل ثلاثة من الانجليز ، ثم ارسلوا الى الزقازيق ليعانوا شكليات مضحكة امام محكمة اصدرت عليهم الحكم بالاعدام ، وفق تقرير كتبه انجليزى لا يعرف اللغة العربية ، ولم يسمع اى اعتراف من المتهمين يدل على ارتكاب شىء محظور ، واقيمت المشانق فورا للتنفيذ العاجل دون امهال وقد ظل اقاربهم من النساء والاطفال والشيوخ معتقلين دون اتهام باى جريمة حتى قام « بلنت » نفسه بعرض قضيتهم الفاجعة على « السير بنسون ماكسويل » فتم الافراج عنهم وقد تعجب ماكسويل كثيرا لسجن النساء والاطفال »

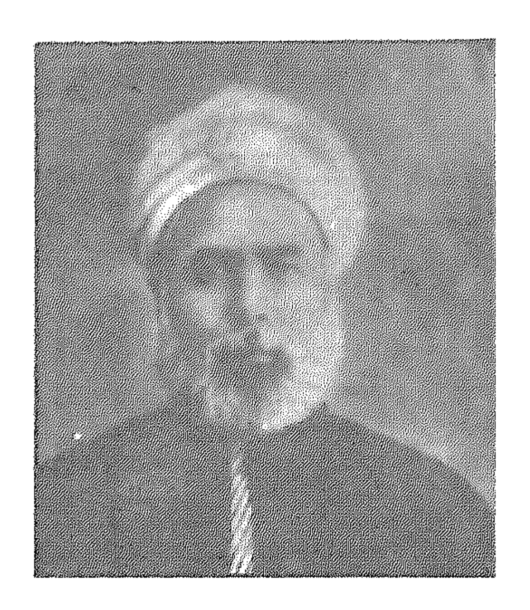
ان هذه المحاكمة الفاضحة لا تقل همجية عن مأساة دنشواى ، وقد سجلها كاتب انجليزى لايتهم بالاختلاق الكاذب على بنى قومه ولكنه جوبه بمنكر فظيع فلم يطق السكوت .

● تاريخ الثورة العرابية

لعلنا القينا الضوء على بعض النشاط الجاسوسى الذى لم يدون اكثره ، فتاريخ الثورة العرابية قد ظل فى منطقة الظلام حقبة طويلة تجاوزت نصف قرن ، لان بعض الذين لانشك فى اخلاصهم الملتهب قد اساءوا الظن بزعيم الثورة وقالوا عنه انه اشأم رجل عرفته مصر ، هذا ما قاله مصطفى كامل نفسه ، فاجتذب الى اتجاهه نظرا ممن كتبوا تاريخ الثورة فلم يبذلوا غاية الجهد فى تمحيص الحقائق ، بل اندفعوا الى تسجيل التسرع وعدم الحنكة السياسية والتكبر المتغطرس من قائمة الصفات الخاصة بالبطل المفترى عليه احمد عرابى ، ومازالت مقالات الصحف فى مناسبات ما سُمِّى بالفتنة العرابية تتوالى منكرة كل فضل للزعيم الامين ، واذكر ان قلينى فهمى كتب عدة مقالات عن عرابى باشا مؤيدا وجهة نظر القصر الحاكم فلم يجد من يرد عليه غير عبد السميع عرابى نجل الزعيم ، وكان الرد لا ينشر بتمامه ، على ان الحق لا يعدم انصاره ، فقد قام الاديب المؤرخ الاستاذ ابو السعود بكتابة بحث تحليلى عن الثورة العرابية انصف فيه الزعيم المضطهد انصافا كبيرا ولكن عوامل خفية شاءت ان تحجب انتشاره ، فلم يكتب له الذيوع على وجه يجعله واسع التداول ، متعدد الطبعات لموضوعه الخطير ، اما الاديب الممتاز حقا ، والمؤرخ المِدرهُ تحليلا واقناعا ودعما بالمنطق والاسناد فهو الاديب الشاعر الاستاذ محمود الخفيف اذ اصدر مؤلفه الضخم (احمد عرابى المفترى عليه) بعد ان والى نشر فصول منه فى مجلة الرسالة ، وقامت الحرب العالمية الثانية فاحتج الانجليز على مواصلة البحث فى قضية الاحتلال الجائر وموقفهم من الالمان حينئذ لايبشر بالفوز ،



مصطفى كامل



الشيخ محمد عبده

فارجأت الرسالة مضطرة ما اعده الاستاذ الخفيف للنشر ، ولكنه واصل البحث فى حمية مؤمنة حتى فاجأ به القراء بعد عامين من انتهاء الحرب ، واذا كان احمد شوقى ، قد وصم احمد عرابى بالصغار والهوان فان الاستاذ فخرى ابا السعود رحمه الله قد نظم قصيدة خالدة فى تمجيد بطل الثورة ، رد فيها على من انتقصوا الكفاح البطولى لابطال مصر فى معركة التل الكبير فكان مما قال فى تحفة ممتازة نشرت بالرسالة

ولم أَرَ يوم التل عاباً وسبّة
ولم اره الا أَغَرَّ مخلدا
أَنخجلُ أَنْ قمنا نذود عن الحمى
ويسحب اذيال الفخار من اعتدى
فيا من رأى ابناء مصر اذ انبروا
الى غول الاستعمار جيشا مجردا
فلما رأى وعر الطريق ولم يجد
كما ظن نهجا للنجاح معبدا
تسلل من شرق البلاد محاذرا
هزيمته فى الغرب ان تتجددا
ومال الى الاعراب والغدر طبعهم
يريد من القوم اللصوص مؤيدا
جرى بتره فيهم وسالت سفينه
تمزق عهدا للقناة مؤكدا
كفته خيانات اللئام عدوًّه
ومابث من جند الفساد وارصدا
سلام على ليث تولى زمامها
اعف الورى قصدا وأنفاهموا يدا
جريرته ان رام مصر عزيزة
وشاء لها ان تستقل وتسعدا

ومثل هذا الشعر الصادق لايجد من يرويه ، وهو جدير ان يكون على كل لسان ، وان يقرأه الطلاب فى المدارس لانه ينصف مظلوما ، ويحيى مجدا ، ويؤرخ لنضال شعب كريم .

الهامش

(١) يسمى فى بعض الوثائق (ادوين بالمر)

ذلك الثوب

بقلم: البابا شنودة الثالث
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية



ألعل هذه الأفكار كانت تجول بذهن يوسف ، أو تتواثب على شفتيه ، وقد أمسكت سيدته بثوبه ...

هوذا الثوب خذيه
ان قلبى ليس فيه
أنا لا أملك هذا
الثوب بل لا أدعيه
فانزعى الثوب إذا شئـ
ـت وإن شئت اتركيه
إنما قلبى لقد
أقسمت ألا تدخليه
أنا لا أملك قلبى
وكذا لن تملكيه
عبثا قربك منه
هوذا قلبى اسأليه
زوجك الغائب قد أعـ
ـهدنى مالا وعرضا

بل وقد ملكنى فى
بيته طولا وعرضا
إنه عهد وثيق
كيف أهوى فيه نقضا
وإذا ماكنت خوا
نا أخون العهد فرضا
كيف أعصى الله ربى
وبهذا الشر أرضى
ناسيا عقلى ودينى
طارحا تقواى أرضا
فابعدى عنى دعينى
إن أخلاقك مرضى
أى فخر لك فى ثو
بى وقد أخلعتنيه
هوذا الثوب خذيه
إن قلبى ليس فيه
آه لو تدرين ما أعـ
ـلم عن إبرام جدى
قصة الطاعة والمذ
بح والابن المعد
طاعة غنى بها العا
لم من عهد لعهد
طاعة أُورثتها قد
أصبحت عنوان مجدى
طاعة لله لا للشـ
ـر ان الشر يردى
طاعة للروح لا للجسـ
ـم إن الجسم عبدى
سأطيع الله حتى
لو أطعت الله وحدى
كيف أعصى الله منقا
دا لذا الشر الكريه
هوذا الثوب خذيه
ان قلبى ليس فيه

حكاية مغربية

وقد يغضب القاضى !

د. الطاهر أحمد مكى



يوجد ولا يوجد .

يوجد الحبق والزنابق لمن يصلى على المصطفى ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى آله ومحبيه ، غمركم الله برحمته ، وأسبغ عليكم نعيم فضله ، ومتعكم بالصحة الدائمة .. ويسر لكم الزوجة الصالحة ، والأبناء البررة .

ثم الحمد لله ، واهب الجاه والثروات ، وموزع الخير والبركات ومقسم الارزاق والاعطيات ، ومانح النعم الكثيرات .

لقد فتح يده السخية للحاج قدّور الموثق يأخذ منها ماشاء بلا حساب فازدهرت اعماله ونفقت ارزاقه ، وكثر زبائنه بسرعة مدهشة لم يألفها من قبل ، وامتلأ جيبه بالمال ، وشكرا له على ماوهب ومنح تملكته الرغبة قوية فى ان يحمل لاسرته بعض ما وهبه الله من خير ، هدية

منه ، زيادة على ماعودهم اياه ، وعبر الطريق الى بيته لفته بهجة غامرة ، وراح يتحدث الى نفسه ، بصوت مسموع : ماذا افعل وماذا اترك يا اله الحاج قدور ، قدور استاذ كل الموثقين !

فيما يبدو لى من الخير ان اكمل فرحتى بأكلة عظيمة وشهية لأسرتى تملأ بطون الاولاد والبنات ، وترضى الزوجة والاخوات ، ولا تحتمل الخطأ والصواب ، وبعدها يغطون فى نوم عميق ، وأبقى انا وام البنين وحدنا يقظين نكمل المشوار ، ولكن خد بالك ، لاتنسى ان الابواب مفتحة على الخارج ، ونظرة الحسود قارصة لاذعة ، ومضنية قاتلة ويمكن ان تخلف وراءها ضحايا واشلاء .

استدار الحاج المحظوظ فجاة ، ورفع قامته وثبت خطاه واخذ طريقه الى السوق لكى يشترى خير ما هناك من لحم وفاكهة ، وهو فى الطريق مرّ به صياد ، وعرض عليه سمكة موسى كبيرة وجميلة ، وابهجت الموثق وبهرته فبرقت عيناه ، وعلا وجيب قلبه ، واوقف الصياد واخذ يساومه ويفاصله ، واحتد الامر بينهما حتى اوشك ان يتحول الى شجار وفى النهاية سلم الصياد بما اراد المشترى فدفع له الحاج قدور خمسة ريالات ، دون ان يرى فى الثمن غلوا او مبالغة .

وعلت البهجة اسارير الرجل الطيب ، واحس بالسعادة تغشاه من كل جوانبه فامسك بالسمكة ، وراح يهزها وعلى ايقاع اغنية شعبية اخذ يتغنى بها ، مرددا بعض الوصايا التى قرأها فى ألف ليلة وليلة على لسان شهر زاد واخذت الافكار تتزحلق فى خياله ، واحدة وراء اخرى الى أن انتهى عند فكرة واضحة ثبت عليها ، واستقرت فى ذهنه ، ولم تتحرك من مكانها وبدأ يردد هواجسه فى كلمات خافتة :

حمقاء وجاهلة هذه الايام التى نمر بها ، ولكنها لم تبلغ من الحمق حدا تحول فيه بين مسلم تقى وبين ان يقع على كنز ثمين فى بطن هذه السمكة ولم لا ؟ الم يحدث فى الايام الخوالى ان وجد المحظوظون احجارا نفيسة وجواهر غالية فى بطون الحيتان ؟

وجن بهذه الامال وبدا له قشر السمكة فى توهجه كأنه قطع من الماس ، ألمع من ماء بحيرة صافية ، يخفى وراءه كنوزا سوف تغنيه الى الابد ولن يحتاج معها الى العمل والكد ، ولم يخرجه من الذهول وشرود الفكر الا تحية ألقى بها عليه فتى :

– السلام على هذا الوَجه الصبوح .

– وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته يابنى .

– اصاب الله بالعمى من ينظر بسوء الى سمكتكم الجميلة ، كم كلفتك يا والدى ؟

– خمسة ريالات !

– صحة وعافية .

واصل الموثق طريقه ومضى لسبيله ، وبعد برهة من سيره التقى بسيدة محترمة منقبة ، وما ان رأت مافى يده حتى بادرته :

- بسم الله الرحمن الرحيم ، الواحد الاحد ، الفرد الصمد لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوا احد ، قل لى ياحاج قدور : كم ثمن هذه السمكة اللذيذة التى سوف تمتعك وتجعل يومك ملكيا ؟

- ريالان !

ثم اضاف الحاج قدور فى نفسه ، وقد بلغ به الضيق مبلغه : لعن الله من يندفع ليفسد علىّ متعة هذه الأكلة ، ألا يمر واحد فقط ، غنى او فقير صغير أو كبير ، دون أن يدس انفه فيما لا يعنيه ، وان يعرف من اين جئت بهذه السمكة وكم ثمنها ؟ ثم بصق فوق السمكة لكى يحصنها من الحسد ولكن ، آه ... حتى ولا هذا بعث فيه الثقة وجعله يمضى مطمئنا لان كل واحد من ابناء جيرانه يصادفه فى الطريق يمتلىء فضولا ، ويدس عينيه فى السمكة متعجبا ، او مستكثرا ، او متلهفا ، حتى ان عجوزا عوراء وقاكم الله الشر وحماكم من السوء جرأت على ان تسأله ايضا ومثلها يأتى بالسوء من اطراف الدنيا ، فتشاءم الموثق منها ، وغضب من هذه الصدفة اللعينة ، واقسم بالله ورسوله وملائكته وكتبه واليوم الاخر ، ان شرا سوف يصيبه مع اول سائل يلقاه .

ولسوء الحظ كان اول من صادفه رجل ولى ، كث اللحية ، اشيب الشعر خطيب مفوّه ، وبليغ مقتدر ، فسلم على الحاج قدور بلطف ثم سأله :

- أطال الله حياة خير فقهائنا واعلمهم ، وانقاهم روحا ، واذكاهم فهما ، انها سمكة جميلة ..

ولم يسمع الموثق اكثر من هذه الجملة ، وهاج من الغيظ ، اعماه الغضب ، فضرب وجه الرجل الطيب بالسمكة على جانبيه فى سرعة وحنق ، مما اوقعه فى اضطراب وذهول شديدين .

واحدث الاعتداء هرجا شديدا بين المارة والمشاهدين وهم يجهلون خلفيات الامر ، والسوابق التى اثارت غضب الحاج قدور وجعلته يتصرف على هذا النحو ، وقد تعاطف المارة مع الرجل الولى واظهروا استياءهم مما حدث له صراحة وفى اصوات مرتفعة وتميز من بينها كلها صوت الولى وراح فى صراخ جريح يرمى بوابل من الشتائم على الحاج والناس يسمعون :

- انت كلب وابن كلب ، ياجاحد ، يامنكر الله ، سوف اشكوك الى

القاضى ليحكم بينى وبينك ، ياملعون ، ياقليل الحياء ، انظر الى شيخوختك المليئة ، بالخزى والعار ، ضرب الله بيتك آمين .. آمين !

وما ان انتهى من كلماته حتى اتجه الى القاضى يطالب بحقه ، وتبعه المعتدى وأدخل الأثنان على القاضى .

وبدأ القاضى المحاكمة فى الحال ، وبعد ان استمع الى الشهود وكان هائجا وثائرا لفداحة الاعتداء بلا مبرر على ولى طيب واخذ يوجه الكلام الى المعتدى المسىء :

ـ هل جننت ياقدور ، ياابن الخطيئة ياوش اللعنة ؟ يجب ان تقطع يدك حتى لاترتكب ثانية هذا التصرف المنافى للعرف والاخلاق وضد من ؟ ضد هذا العجوز ذى اللحية الوقور ، عليك وحدك يقع اثم الجريمة وستنال ماتستحق من عقوبة تجعلك عبرة لغيرك سوف أجلدك كما لو كنت شيالا فى السوق ، أليس لك فى خيرة سابقيك من الموثقين وصالحيهم اسوة .

كان قدور يستمع الى حديث القاضى ، وقد تداخلت الكلمات فى سمعه وغم عليه معناها وقد استمع الى هذه الشتائم مطاطىء الرأس مطرقا زائغ العينين نصف ذاهل ، وفجاة تفجر الدهاء والمكر والحيلة فى داخله ، فقاطع القاضى :

ـ صل على النبى .

واستجاب القاضى مطيعا ومرددا الصلاة على النبى ، فذلك واجب كل مسلم عندما يسمع اسمه ، ولكى لا ينقطع حديث التوبيخ والزجر فيفقد جانبا من فاعليته ، اجاب فى سرعة وبحمية زائدة :

ـ اللهم صلِّ عليه ، وعلى آله ، وبارك فيه ، ومن دعا بدعوته الى يوم الدين .

ثم واجه المتهم ، وواصل توبيخه :

ـ قلة الحياء هذه التى حدثت منك لم نسمع بها ابدا لا نحن ولا آباؤنا من قبل .

فقاطعه الحاج قدور :

ـ صلِّ على النبى

ولم يكن القاضى فى حالة تسمح له بان يستجيب للحاج قدور ولكنه مع ذلك هز رأسه وهو يردد :

ـ صلِّ الله عليه وسلم وبارك فيه آمين .

ثم توجه الى العجوز الطيب واضاف :

ـ يا ابا الفضل قرين الشيطان هذا ـ لعنة الله ـ اساء اليك ..

وفجاة قاطعه الموثق ثانية :

ـ صلى على النبى

وفى هذه اللحظة استدار القاضى كى يرفع دعاءه وقد انتابه سخط شديد ، وبدأ يلعن قدور واسلافه ،

كابرا عَن كابر ، وجدوده طبقة وراء طبقة ، والله وحده يعلم الى اين كان سيصل بهم ، لولا ان المتهم اعترضه من جديد ، وفى هدوء شديد ، قال له ؛

- صلِّ على النبى .

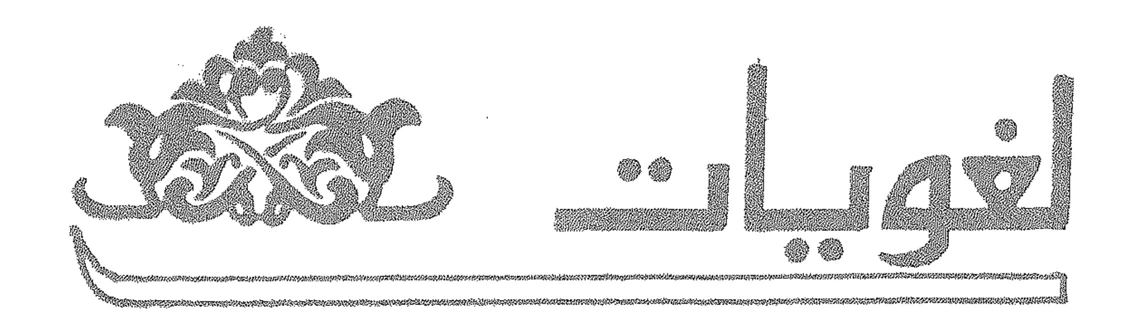
وهنا كان الغضب قد بلغ من القاضى غايته واستحوذ عليه كلية فخلع خفه ، وبقوة قذف به فى وجه الحاج قدور الذى قابل صفعة الحذاء فى انفه بابتسامة ، وقال :

- ياسيدى القاضى طيبتك شاعت فى الافاق وعدلك اشتهر بين كل الناس ، وعرف عنك القاضى والدانى فكرك المتزن ، وجدك فى تناول القضايا ، ومع ذلك أتى فعلك على كل ماتخيلته فيك ، وتصورته كغيرى لقد غاظك صبرى .

ومازلت صابرا ولن اطلب منك شيئا غير ان تصلى على نبينا صلى الله عليه وسلم ، وان تدعو الرحمن الرحيم ان يسعدك ويوسع لك فى الرزق .

ترى الى مدى كان سيبلع بك الحال ياسيدى القاضى لو كان ماطلبته منك إثما او شيئا طائشا ؟





● البرد الشديد فى هذه الايــام يسمى « البرد القارس » بالســـين لا بالصاد كما يكتبها الان بعضهم ·· ويقال : قرس البرد ، اى : اشــتد ·· أما الفعل « قرص » بالصاد فلا شـأن له بالبرد أو الحر ، ومعناه فى العربية كمعناه فى العامية تماما ، وهو القرص بالاصبعين فى موضع من الجســم فى عز الشتاء أو فى عز الصيف ، أو فى أى فصل من فصول السنة ! ··

● بعض الناس يسمى ابنـه الاول « عبد الله » ·· فاذا رزق ابنا ثانيـا سماه ـ على سبيل التدليل أو التصغير ـ « عبد اللاه » ·· وهذا الاسم الثانى هو نفســه الاسم الاول ولكنـه منطـوق كأنما سبقه حرف جر ، كقولك : « ·· الى عبد الله » ·· أو كأنما هو مضاف اليه كقولك : « ·· بيت عبد الله »·· فان لفظ الجلالة هنا ينطق وكأنه مرسوم هكذا : « عبد اللاه » ·· ومن هنا جاء اسم « عبد اللاه » الذى لا أصل لـه الا هذا ، ولا يصح نطقه هكـــذا الا بالشرط النحوى الذى ذكرناه ، مـــن الجر أو الاضافة ·· وقديما كان الادباء يتندرون بقول عبدالله النديم : « لا حول ولا قوة الا بالله،اشتبه المراقب باللاه» ·· فان قوله : « بالله » ينطق تمـاما كقوله « باللاه » ·· وهذا « جناس » لفظى كما يسميه الادباء . وكان النديم يريد بقـــوله « اللاه » أن يقـــول : « اللاهى » ·· أى الذى يلهو ، فحذف الياء تخفيفا ، وأعطى « الجنـاس » حقه ·· وهذا مثل تخفيفهم كلمـــــة « الوادى » الى « الواد » ومنـــه فى القرآن الكريم : « وثمود الذين جابوا الصخر بالواد » ·· والشعر العــربى حافل بالتخفيف فى الالفاظ ، وممـــن خفف « الوادى » الى « الواد » ··أمير الشعراء أحمد شوقى فى أبيات كثيرة من شعره ، كقوله :

وربوة الواد فى جلباب راقصة　　　الساق كاسية والنحــر عريان

● يقولون : خش ·· يخش ، أى : دخل ·· يدخل ، وقولهم هذا صحيح فصيح ··

● ويقولون : سمعنا خشخشـــة النقود الفضية ! ·· ومعنى:تخشخشت النقود أو الحلى : اصطك بعضها ببعض فأحدثت صوتا ، والعامى هنا مثـــل الفصيح نطقا ومعنى ··

● ويقول أولاد البلد : فلان لغمط يديه بالطعام ، والاصل الفصيح هــو « لعمظ » بعين بدلا من الغين ، وظـاء بدلا من الطاء ، فكأنما نقل أولاد البلد نقطة الظاء الى العين ، لا أكثـــر ·· وهذا نوع من التصحيف يحــدث فى الكلام الفصيح أيضا ··

والفعل الفصيح « لعمظ » ـ بالعين والظاء ـ معناه : نهش اللحم مـــن العظم ، وقريب من هذا معنى اللفـظ العامى « لغمط » كما ينطقونه فى الكلام الدارج ! ··



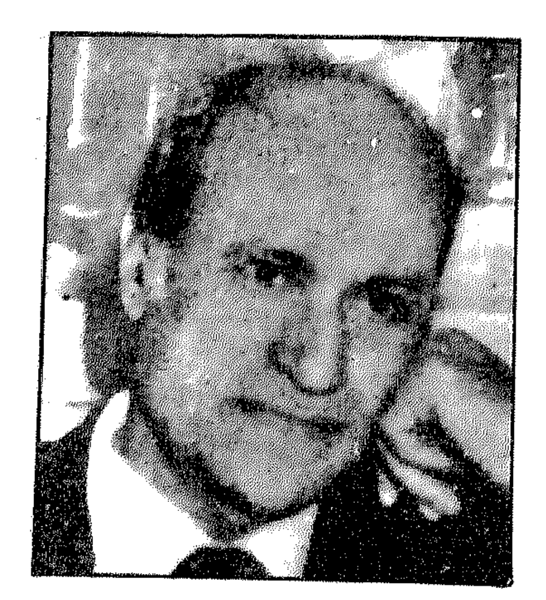
من الذى يكتب التاريخ..؟

بقلم: محمد حجازى

طالعتنا الصحف بخبر مقتضب، يعلن تولى الدكتور عبد العظيم رمضان الاشراف على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر، الذى يضم لجنة علمية من كبار أساتذة التاريخ المعاصر، وأن الذى أصدر هذا القرار هو الدكتور سمير سرحان رئيس الهيئة العامة للكتاب ..

والخبر علاوة على انه يثير الدهشة، فأنه يثير اعتراض قطاع كبير من المهتمين بقضية كتابة تاريخ مصر والذين يعنيهم فى المقام الأول الوثائق والمراجع التى تشكل المصادر الاساسية لمادة هذا التاريخ ويستند الاعتراض على عدد من الأسباب الموضوعية فى مقدمتها : ـ

أولا :



د. عبد العظيم رمضان



د. سمير سرحان

أن هذا الخبر جاء خاليا من أي ملامح أو تفاصيل تحدد على نحو واضح ومفهوم المهمة التى على هذه اللجنة أداؤها ؟ ... أو يفسر الدافع الذى ادى الى انشائها ....

وهل هى كيان تنظيمى جديد يجرى ابتداعه وانشاؤه ؟ ! ... أم أنها صورة معدلة ، ... واستطراد متغير الشكل لهيئة سابقة مثل لجنة كتابة التاريخ مثلا ؟ !

واذا كان ذلك كذلك .. فهل استحداث هذه اللجنة ينسخ ما سبقها ؟ !

ويلغى ما كان قبلها أو ما كان على شاكلتها من لجان أو هيئات أخرى ؟ ! .. وهل لها نفس الهدف أم هى ذات هدف مختلف ومهمة متغيرة .. ؟ !

● تشويه التاريخ !

ولايمكن للمرء الا أن يتساءل عن الدور الذى ستقوم به اللجنة فى وقت أصبحت فيه كتابة التاريخ سوقا يتزاحم فى ساحتها أصحاب الغرض والهوى .. وفى زمن يجرى فيه تشويه تاريخ مصر قديمه وحديثه مع سبق الإصرار والترصد وباجتراء لم يسبق له مثيل ، ولحساب قوى خارجية وداخلية غير خاف عداؤها السافر لقضية مصر الوطنية وأمانيها القومية .

فهل أتت اللجنة لتقوم ما أعوج ولكى تحق الحق وتزهق الباطل ..

ثانيا :

واذا كان ذلك هدف اللجنة وغايتها ، فانه يملى بالتبعية اتخاذ معايير بالغة الدقة لاختيار من يتولى رئاستها ؟ .. ولا يكفى أن يكون ذلك الشخص حاصلا على المؤهلات العلمية التى تتطلبها طبيعة الوظيفة ، أو مستوفيا لمسوغات التعيين حتى يكون ذلك مبررا لشغله هذا المنصب الهام ..

ولكن أهم من ذلك كله ، أن تتوافر فيه الموضوعية وعدم التحيز حيال أحداث ووقائع التاريخ ، ... وأن تكون سيرته الذاتية شاهدا له بالحيدة والتجرد من الانتماء لفكر دون فكر ، وتيار دون آخر ، أو تفضيل جماعة سياسية على غيرها ، والا يكون متورطا فى الخصومات



والصراعات الحزبية على اى نحو ..
ولا نحسب أن الاستاذ عبد العظيم رمضان هو ذلك الشخص .. بل أنه هو النقيض تماما ، وأبعد ما يكون عن الموضوعية التى تؤهله لشغل هذا المنصب ...

صحيح أنه من حق الاستاذ رمضان أن ينحاز لاتجاه سياسى بعينه ، وأن يخاصم اتجاها آخر ، .. ومن حقه كذلك أن يعطى لأحداث التاريخ ووقائعه الترجمة التى تنسجم مع موقفه من هذه الأحداث ، وأن يفسرها على النحو الذى يبرهن صواب رؤيته وسلامة نظرته ..

ولكن ذلك كله يتم ، من الموقع الذى اختار أن يحتله .. وينطلق من المنظور الذى ارتأى ـ تفضيلا أو تمحيصا ، أو لأي أسباب أخرى ـ أن يطل منه على هذه أو تلك من مراحل التاريخ ، ... وبقصد دعوة آخرين غيره الى تبنى أحكامه ووجهة نظره والانضمام الى موقفه الذى أختاره لنفسه .. لكن هذه كلها اعتبارات توجب إعفاءه من هذا المنصب الحساس ، خاصة فى الظروف الحالية ، وتنحيته عن الحكم فى قضية هو على أوثق الصلات بأحد أطرافها ..

ثالثا :

وهذا يفرض علينا بالتبعية التعرض الى موقف الدكتور رمضان، بصفته أحد الكتاب الذين عالجوا أحداث ووقائع التاريخ المصرى المعاصر وتناولوه بالنقد والتقييم وصدرت منه بالتالى على الأحداث والأشخاص أحكام حددت له موقفا معروفا تجاه هذه الأحداث والشخصيات .

فالدكتور رمضان مارس على مدى ما يقرب من ثلاثين عاما كتابة ما قال عنه إنه .. تأريخ .. وبغض النظر عن مدى صواب أو خطأ ما كتب فانه دوّنه فى اطار المعارك السياسية الحادة التى شهدتها الساحة السياسية المصرية منذ رحيل الرئيس جمال عبد الناصر حتى الآن

وبعد اشارة البدء للحملة المعاديا لثورة يوليو ولقائدها ..

● انحياز واضح

وفى خضم هذه المعركة الضارية التى مازالت دائرة الرحى ، أدلى الاستاذ رمضان بدلوه ، واتخذ موقفا واضح الانحياز لمفاهيم سياسية بعينها فى مواجهة مفاهيم سياسية أخرى ..

ووظف كل ادواته وامكاناته لخدمة .. قضية فريق ضد فريق مقابل .. وهذا ينزع عن الاستاذ رمضان صفة الحيدة والموضوعية ..

وغنى عن أى قول أو تعليق ان الجهد الذى سيبذله الاستاذ رمضان فى مجال السرد أو التحليل او التعليق .. او التقييم لأحداث تاريخنا المعاصر ، بما فى ذلك

جهده المنتظر فى اللجنة التى تشكلت برئاسته ، سيكون متأثرا أشد التأثر بوجهة النظر التى تبناها وكرس من أجلها فكره .. وجند فى خدمتها أدواته ..

وحتى لو اقتصر ذلك الجهد على مجرد تجميع الوثائق والمستندات فانه سيكون اكثر ميلا واهتماما فى البحث والترويج للوثائق التى ترجح وجهة نظره ، وتثبت ما توصل اليه من نتائج واحكام ، ... وأقل اكتراثا بالبحث والتنقيب عن أية وثائق أخرى تدحض هذه النتائج وتشكك فى تلك الأحكام ..

● تذبذب وعدم استقرار

رابعا :

أنه بمراجعة ما كتبه الاستاذ رمضان ، عن أحداث ووقائع التاريخ المعاصر ، يتضح أن مواقفه حتى وقت قريب تأرجحت فى الانتقال من جبهة الى جبهة ، ومن معسكر الى معسكر ، بشكل كان يعكس التذبذب وعدم الاستقرار ، ويؤكد أن الشيء الثابت الوحيد فى حركة التبدل التى اتسمت بها أراؤه ومواقفه ، على مدى حقبة من الزمن انتقلت فيها فى نفس الوقت مقاليد السلطة من قيادة الى قيادة ، وتغيرت فيها توجهات الحكم من النقيض الى النقيض .. فبينما كانت كتابات الدكتور رمضان فى بداياتها تبين أنه من اكبر المتحمسين والمؤيدين لثورة يوليو .. اذ ينتهى به المطاف الآن الى مواقع اليمين الرجعى الذى يضمر لثورة يوليو الد الخصام ..

وبعد أن كان الدكتور رمضان عضوا فى حزب التجمع ، ... إذ به الآن مثقف سياسى لحزب بقايا الحياة السياسية لعصر ما قبل الثورة « الوفد الجديد » ...

وبطول المسافة التى قطعتها رحلة الاستاذ رمضان السياسية تنوعت كتاباته .. وتعارضت وتناقضت ولم تفلح كل المعاذير التى انتحلها فى تبرير هذا التلون ، أو فى صياغة منطق يسوغ مثل تلك التحولات ..

● تجاوز واضح !

خامسا : أن اللغة التى استخدمها الاستاذ رمضان فى طرحه وعرضه آرائه كانت فى معظمها أبعد ما تكون عن لغة المؤرخ ، بل كانت لغة السياسى الحزبى المنغمس حتى أذنيه فى معارك الجدل الحزبى ، وكثيرا ما كانت تتجاوز الأصول المرعية فى لغة الحوار العلمى المعتمد على مقارعة الحجة ، لتدخل فى نطاق التجريح والاساءة الشخصية والتعريض الذاتى بكل من يخالفه الرأى ...

ولنا أن نتصور أداء لجنة التأريخ التى شكلها الدكتور سمير سرحان تحت رئاسة شخصية حفل تاريخها بالمبارزات الحزبية وتبادل الاتهامات والحملات الصحفية ، .. وبغض النظر عن مدى انتصارها للحق أو تجنيها عليه ، فإنها أثناء هذه الاشتباكات تخلت عن أصول المحاجاة العلمية ، واستحلت اللجوء الى أساليب التنابذ الشخصى ..

وفى النهاية .. فإن كل هذه الجوانب معروفة للجميع وغير خافية على أحد ، وهذا من شأنه أن يثير التساؤل عن الحكمة التى دعت الاستاذ الدكتور سمير سرحان الى اختيار الدكتور رمضان لتولى هذا الاختيار ، بينما يوجد من علماء مصر ومؤرخيها عشرات بل مئات ، إن لم يكونوا اكثر من الدكتور رمضان علما ، فهم بالقطع اكثر منه حيدة ...

قضايا حيوية

أزمة الأستاذ الجامعي

بقلم : د. محمد عبد الحميد عليشي

تشهد حياتنا الفكرية هذه الايام احداثا متتالية فيما يتعلق بتطوير التعليم فى مصر . فمن المؤتمر القومي للتعليم ، الى المناقشات الحادة فى مجلس الشورى ، الى حركة وزير التعليم النشطة من اجل وضع قانون جديد للجامعات المصرية ، حتى يمكن أن نطلق على هذه الايام محليا اسم ايام التعليم دون مبالغة .

ولقد كثر الحديث عن الجامعة المصرية وهبوط مستوييها العلمى والادارى ، وعن دورها الاساسى والهام فى تطور المجتمع وخدمته ، كما كثر الحديث فى أحيان أخرى عن القصور والتسيب فى نظامنا التعليمى عامة ، ومحاولات تشخيص العلاج لهذه الظواهر .

ورغم كثرة المحاولات الجادة لتشخيص العلاج ، فانها جميعا ظلت قاصرة عن القاء الضوء على الدور الهام والاساسى للاستاذ الجامعى ، على طريق الاصلاح الحقيقى للجامعة المصرية خاصة ، والنظام التعليمى المصرى عامة .

لا يختلف اثنان على أن الاستاذ الجامعى المصرى - رغم كفاءته - يعانى فى السنوات الاخيرة أزمة حقيقية تكاد تعصف به تماما ، وتذهب

بالبقية الباقية من مكانته الاجتماعية التى كان يتمتع بهـا فى الماضى ٠ وتتلخص ابعاد الازمة فى الجوانب التالية :

اولا : الحرية

لا ينكر أحد ان الجامعة هى المجال الحقيقى والمتسع للجدل والمناقشات الحرة تماما ، والبعيدة عن التعصب لرأى أو فكرة ، كما انها المكان الوحيد الصـالح لتبادل الآراء والافكـار ومناقشة قضايا المجتمع ، أيا كانت صعوبة هذه المشكلات وحساسيتها ٠كما لا ينكر أحد أن الاستاذ الجامعى ـ بحكم مكوناته وخبـراته ومؤهلاته ـ قادر على ادارة هذا الحوار الحـر بروح العـلم السمحة وأساسـياته المعـروفة ٠

لكن السنوات الاخيرة شهدت ـ رغم ادعاءات الحرية والديمقراطية ـ كبتا نفسيا هائلا ، وضـغطا عقليا لهؤلاء الاساتذة وصل فى بعض الاحيان الى تجنيد بعض الطـلاب للتصنت على أساتذتهم ، والى حد السجن والتعذيب وتلفيق التهم لبعض الاساتذة والاغراء بالمناصب للبعض ، والفصل من العمل والابعاد عن الجامعة للبعض الآخر ، ومراقبة مطبوعاتهم وتسييسـها فى بعض الاحيان ٠

ولقد تسبب ذلك فى هجرة بعض علمائنا واساتذتنا ، وتركهم للوطن ، والاستقرار فى الغربة على الرغم من حبهم الشديد لهذا الوطن ، ورغبتهم فى العمل على تقدمه واسعاده ، وكذلك فى انصراف الغـالبية العظمى الى الانكفاء على محاضراتهم ودروسهم فقط ، والقـاء هذه المحـاضرات والدروس فى عبارات واضحة محددة، لا تحتمل اية تأويلات ، وعدم السماح بالمناقشات وابداء الآراء فى كثير من قضـايا الوطن الملحة والحيوية ، مما حرم الشباب من فرصة الاستفادة من خبرة هؤلاء الاساتذة ، واندفعوا يبحـثون عن اجابة لما فى انفسـهم خارج الجامعة ومن غير المؤهلين ، وفقد الاساتذة مكانتهم بين طلابهم كمربين ومرشـدين وموجهين عنـد الازمات ووقت الضرورة ٠ وبالتالى فقد شعبنا فرصا وآراء كان من الممكن أن تساهم معه فى حل أزماته ، أو تساعده على عبورها بأمان ، ولم تعد للعلماء من شعبنا مكانة يحترمها الناس بل عمدت أجهزة الاعـلام فى الصحافة المصرية وغيرها الى التقليل من هذه المكانة بتركيزها على سلبيات هذه الفئة التى يجب أن نعمل جميعا على دعمها واحترامها ٠

ثانيا : الناحية المادية

تلعب المادة دورا أساسيا فى تقييم نظرة المجتمع الى الافراد ، ونظرة الافراد الى أنفسهم ، وخاصة فى هذه الأيام التى ارتقت فيهـا المادة لكى تصبح تقريبا المعـيار الوحيد لتقييم الناس ، وساعدت أوضـاع أعضاء هيئة التدريس المالية فى حدة الازمة التى يعانون منها ، مما أصابهم بنوع من الاحـباط نتيجة للواقـع الذى يعايشونه والفكرة المفترضة فيهم ٠ ولعل ذلك سببا مباشرا فى انصراف أساتذة الجامعة ـ على الاقل البعض منهم ـ عن اعطاء العملية التعليمية حقها الكامل من وقتهم وجهدهم ، والى ظهور مشكلة الدروس الخصـوصية بين الجامعيين ٠

ثالثا : الحقوق المدنية

ونصل هنا الى مشكلة أساسية فى حياة الاستاذ الجامعى وهى من يدافع عن حقوق الاستاذ الجامعى ؟ فالتدريس الجامعى مهنة ، وهى وان كانت من



اشرف المهن فانها لا تتســاوى فى الحقوق مع غيرها من المهن داخل هذا المجتمع · وليس أدل على ذلك من عدم وجود نقابة أو هيئة ينتظم فيهـا كل أعضاء هيئة التدريس فى الجامعات المصرية ، تسعى للحفاظ على حقوقهم أو تعمل على توفير هذه الحقوق لهم ·

هناك ما يسمى « نوادى هيئــات التدريس » · وهى نواد خاصة بكل جامعة على حدة ولا يربطها ببعضها الا صــلات واهية · وهذه النوادى لا تزيد فى كونها على مراكز اجتماعية يلتقى فيها بعض الاعضاء فى بعض الاحيان ليس الا ، وليس لها دور يذكر فى نشاط اجتمــاعى أو سياسى أو وظيفى لاعضاء هيئات التدريس ·· وبعضـــها يخضـــع لاشراف وزارة الشئون الاجتماعية ، ويتقاضى اعانة ســنوية لا تزيد على حد علمى على خمسمائة جنيه مصرى وحين تطلعت بعض الاندية الى أن يكون لهـــا دور على مسرح الاحداث العــامة ، مثل محــاولات نادى هيئــــة التدريس بالاســـكندرية ، حين استغل فرصة اللقاء السنوى لسيادة رئيس الجمهورية الراحل مع أعضـــاء هيئة التدريس بجامعة الاســكندرية ، ليناقش معه بعض القضايا العامة ، ولينقلوا اليه فى أدب واستحياء بعض مشاعرنا ، اذ بالنادى يفرغ من محتواه بتعيين رئيسه عضوا فى مجلس الشـورى ، والغاء اللقاء السنوى الذى كان يعقد فى السادس والعشرين من يولية ، ذكرى رحيل الملك عن مصر فى عـام ١٩٥٢ ، ونظـــم لقاء آخـــر ــ فى الاســـكندرية ــ فى ذكرى ١٥ مايو واقتصر على خطاب لرئيس الجمهورية فقـط ·

اما باقى الاندية ، فانها تعانى من المشاكل لتدخل السلطة السياسية فى انتخابات أعضاء مجالس ادارتها ·ويكفى خضوعها لقانون العيب كما انها مجبرة بحكم هذا القانون على عرض أسماء المرشحين لمجلس ادارتها على المدعى العام الاشتراكى ، وأن تمنحــه مدة ٣٥ يوما للموافقة على أسماء السادة المرشحين · وهـذا القيد الثقيل يتســبب فى انصراف الغالبية العظمى عن المشــاركة فى أنشطة الاندية وانتخاباتها ·

● من المسئول ؟

اذن من المســـئول عن الاســـتاذ الجامعى ؟ أهى وزارة التعليم العالى ؟ لقد الغيت هذه الوزارة من مدة طويلة بحجة استقلال الجـــامعات ،

مما حرم هيئات التدريس من وجود وزير يمثلهم فى مجلس الوزراء وتسبب ذلك فى الفصل بين الجامعات وصعوبة التنسيق بينها • ولست أعنى بذلك التقليل من دور وزير التعليم فى هذا المجال باعتباره رئيس المجلس الاعلى للجامعات ، لكن المشكلة أن المجلس ركز اهتمامه فى القضايا التعليمية دون مشاكل الاساتذة وقضاياهم •

دور رئيس الجامعة :

قد يرد على الخاطر مباشرة أن رئيس الجامعة هو المسئول عن كل ذلك ، ولا ننكر مسئولية رئيس الجامعة عن قضايا كل العاملين فى الجامعة ، لكن مشكلة رئيس الجامعة أنه محمل بأعباء كثيرة لا يمكن حصرها • ويأتى على رأس الجامعة بالتعيين دون انتخاب حر ديمقراطى من رجال الجامعة مما يضع الرجل فى موقف حرج بين متناقضات متطلبات وظيفته •

ان جعل منصب رئيس الجامعة بالانتخاب ، وعدم القابلية للعزل ، قد يجعله مدافعا عن حقوق أساتذة الجامعة التى هى أولى الاساسيات لاصلاح نظام التعليم • كما يجب أن يكون الرئيس متفرغا ، ولا يحق له الجمع بين رئاسة الجامعة وعضوية المجالس النيابية حتى يتفرغ لاعباء منصبه •

الحصانة الجامعية :

هل نختلف فى أن كرامة الاستاذ الجامعى هى الاساس فى اعطائه قيمته الحقة ، وهل نختلف فى انه قد وصل الى مكانته هذه بعلمه واجتهاده ومن ثم يجب الحفاظ له على ذلك ،وأن نصونه بعيداً عن أى امتهان أو تقليل من مكانته •

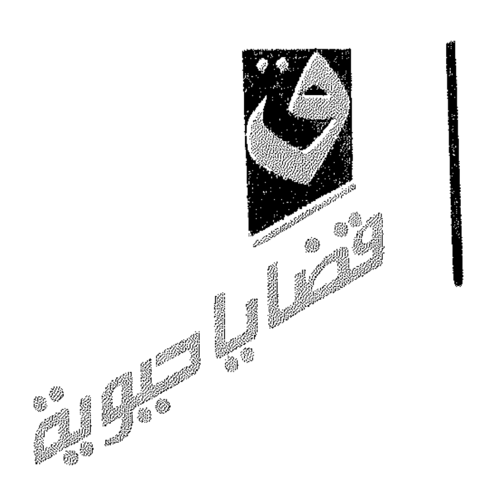
ان بعض فئات المجتمع الخاصة تتمتع بحقوق دستورية تحفظ لها هيبتها ومكانتها ، فرجال الجيش لا يتم التحقيق معهم الا بحضور مختصين من النيابة العسكرية ، والقضاة مستقلون لا يعزلون ، والصحفيون تدعمهم نقابة الصحفيين ، والمحامون من خلفهم نقابة المحامين ، فمن للأستاذ الجامعى ؟ أكررها ، وهو الذى علم هذا القضاء ، وعلم ذاك المحاماة •

ترى أليس من حق الاستاذ الجامعى ألا يقبض عليه أو يحقق معه الا بحضور أحد أساتذة كلية الحقوق فى جامعته أو من تنتدبهم الجامعة لحضور هذا التحقيق فى حالة التعرض للمساءلة ؟ • انني لا أطالب أن يكون هناك أحد فوق القانون ،لكننى أطالب فقط بالحفاظ على مكانة الاستاذ الجامعى وهيبته ، لان حريته وكرامته من حرية الوطن وكرامته • وليس من المطالب المبالغ فيها أن توجد حصانة جامعية تمنع القبض على الأستاذ الجامعى ، وتمنع عزله أو ابعاده عن عمله الا اذا توافرت الادلة الحقيقية على انحرافه وارتكابه ما يستوجب العقاب ، وأن نحافظ على سمعة الاستاذ الجامعى ولا نشهر به حتى تثبت ادانته قضائيا ، ويجب أن يعلم الجميع أن أعضاء هيئات التدريس بشر ، وأن انحراف أحدهم أو بعضهم لا يضير مجتمعم بكامله •

رابعا : التامين الصحى

قضية أخرى أشير اليها ، وهى حرمان أعضاء هيئات التدريس من





نظام العلاج أسوة بكثير من المؤسسات والشركات والهيئات • فليس هناك فى الجامعات مشروعات لعلاج الاعضاء وأسرهم سواء بالمجان أو بالاجر المخفض ، رغم أهمية هذه المشكلة •

انتى أشيد هنا ـ بهذه المناسبة ـ ببعض الزملاء الكرام من أساتذة كليات الطب الذين تبرعوا بتخفيض أجور الكشف لزملائهم فى نفس الجامعة بنسبة ٥٠٪ ولكن ذلك لا يكفى لان قضية العلاج أساسية ، وتتطلب حلا قوميا على مستوى كل جامعة أو الجامعات جميعها • ومن ثم أطالب بايجاد نظام متكامل للكشف والعلاج فى حدود امكانيات الاعضاء •

بالاضافة الى كل هذه المشاكل ، هناك قضايا أخرى كثيرة تتعلق بنظام الترقى ، والسنوات المطلوبة لكل فترة من فترات حياة الاستاذ الجامعى ، والتفرقة القائمة فى هذا المجال بين الجامعات الاقليمية والجامعات المركزية مما سبب خللا فى الكادر الوظيفى بين أعضاء هيئات التدريس ، وأثار بينهم عوامل منافسة وعدم تكافؤ ، وليس هذا مجال التعرض لهذه المشكلات •

الى جانب ذلك كله ، أعترف بمسئولية أعضاء هيئات التدريس عن الكثير من جوانب النقص ، وأن هناك الكثير من السلبيات الناجحة عن سلوكهم ومن أنفسهم ، وعلينا أيضا أن نناقشها بنفس الصراحة ، حتى نطهر مجتمع أعضاء هيئات التدريس من الكثير من الشوائب التى تؤخذ عليه •

هل يكفى ذلك كله للفت نظر المسئولين الى واقع أساتذة الجامعات لاخذه فى الاعتبار على أساس أنه الخطوة الاساسية الاولى فى اصلاح التعليم الجامعى ، ومن ثم تطوير التعليم عامة فى مجتمعنا ، مما يساهم فى نهضة بلادنا وتطورها • أدعو الله ، والله ولى التوفيق •



لحظات الإبداع

شعر: عبده محمد سلطان

إذا نظرتمْ إلى نظمى وأقوالى
بكلّ حرْصٍ كما كنتم لأمثالى
وَحُكِّمَ الْعدل فى شعرى وحكمَتِهِ
وأفصح الشّعر عمّا دار فى بالى
وجاد شرحاً لما أبغى وآمُلهُ
وأظهر المُختفى عنكمْ بأحوالى
لَرَاقكمْ كلّ نظمٍ خطّهُ قلمى
وإنْ سلوتم قريضى لسَتُ بالسّالى
"هلالكم" راقنى حتىّ تملّكنى
شوقٌ لألقاهُ يوماً بعد ترحالى
فلا يَصُدّنّكُمْ شعرى لكثْرتِهِ
فقد أتانى بوفرٍ بعد إقلال
هيهات يأتى إذا ولّى لمقصِدِه
وصدّنى الْهمُّ عنْ تحقيق آمالى
كم من ليالٍ سهرت الليل أطلُبُهُ
وقد جفانى ولم يوفى بإقبالِ
والنّاس قاطعتهم حتى أُهذّبهُ
من غير خلٍّ ولا راعٍ ولا والِ
فَأسْألُ اللّه أنْ تبقى مَودّتَنا
وَيُعْجَبُ النّاس من شعرى وأقوالى

قصة قصيرة

بقلم: د. محمود اسماعيل

السادة المحترمون

اشياء

غرفة فسيحة قمينة.. صور سريالية تطل خلال بقايا طلاء رمادى داكن .. « اخناتون » يختنق فى غبار لوحة يتيمة .. مروحة - تشبيبا - تعارك - عبثا - اشعة شمس خريفية متلصصة .. منضدة زان مستطيلة تتحدى جبروت الزمان .. مفرش جوخ اخضر يستر ما أمكن من عورات المنضدة .. أوراق مسطرة واخرى مقسمة الى مربعات تدارى ثقوب المفرش المهلهل .. فوق المفرش تناثرت أقلام بعضها ثمين ومعظمها بخس .. مقاعد خشبية فى عمر المنضدة تنظر شذرا لمقاعد من جلد - زائف - تصغرها سنا - كليم أسيوطى يفرش ربع مساحة الغرفة المتربة .. تليفون صامت - بلا أرقام - يرقد مستسلما فوق مكتب « ايديال » حديث ..

اشياء اخرى

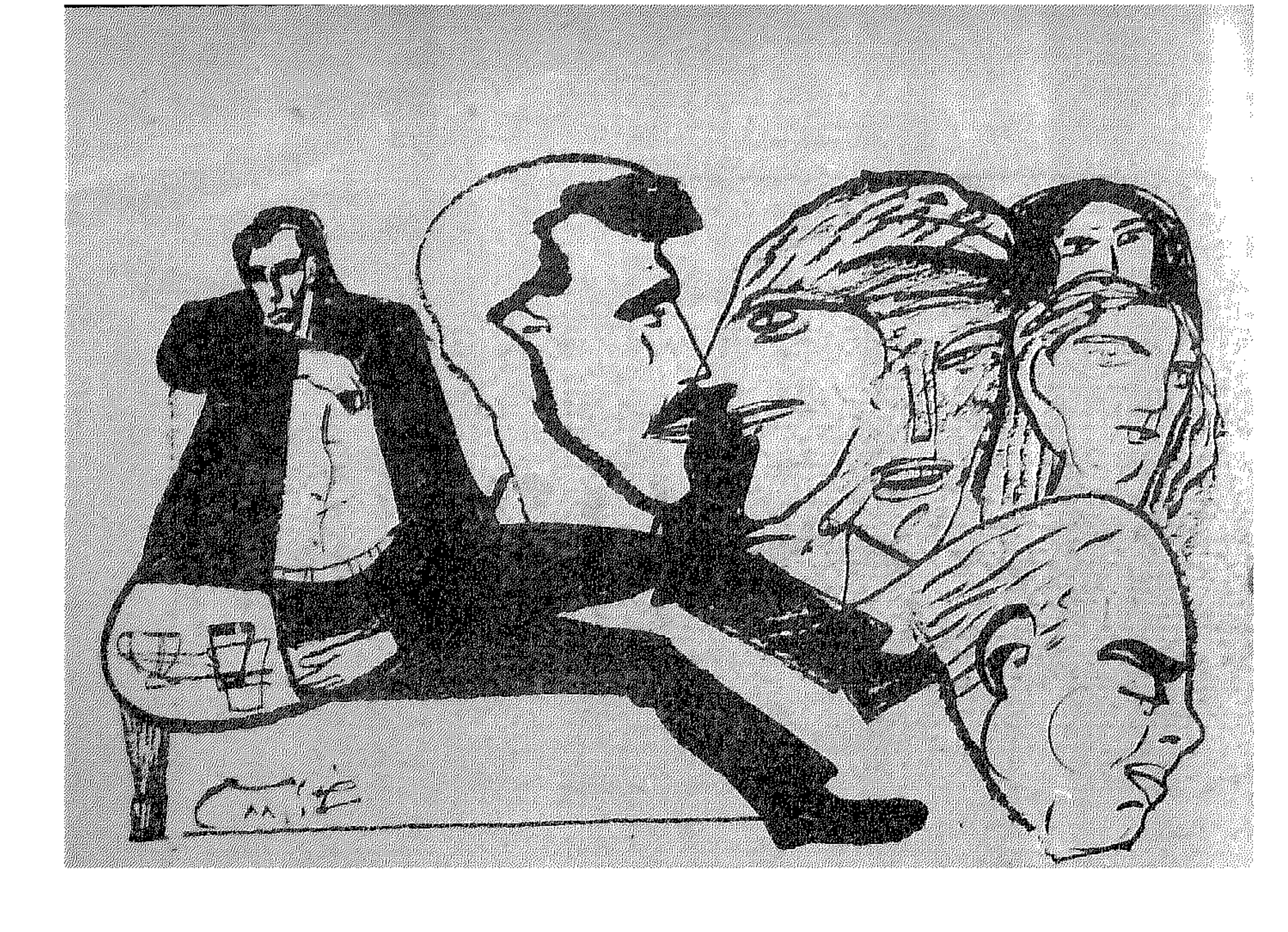
وجوه آدمية متباينة الملامح والاعمار تصطنع وقارا حول المنضدة .. صناديق تبغ أجنبى ومحلى تنتظر حكما بالاعدام حرقا .. عدد من القداحات وصناديق الكبريت تترقب لحظة تنفيذ الحكم .. مطفاتان من بللور محلى بخس.. عدد من فناجين القهوة واكواب الشاى والحلبة والكركديه بعدد الافواه الملتفة حول المنضدة .

ملامح الوجوه

من الصعب رصدها لعدم استقرارها على حال .. !! ويمكن القطع بانها تختزل كل انفعالات السعادة والتعاسة .. الجهامة والانفراج .. الاستحسان والامتعاض .. الانفة والاحتقار .. الزهو والخنوع .. الخبث والسذاجة .. الصرامة واللطافة .. العجلة والصبر .. التوثب والانساب .. التوثب والانسحاب .. الاكتئاب والابتهاج .. العدوان والمسالمة .. الاقدام والاحجام .. الوضوح والابهام .. التحفز - التطاول .. العدوان .. !!

حركات الايدى

قبضة تلوح بالسبابة .. كفان تلتقيان عند نقطة نظام .. ابهام بين الاسنان .. يد تعبث بالنقود .. أخرى تلكم المنضدة .. ثالثة ترسم بالسبابة والابهام حرف الـ ٧ .. رابعة تكتب .. خامسة تشطب .. سادسة تصافح .. سابعة تمد سبابتها لعين مجاورة .. ثامنة تلكز ..تاسعة تلكم ..عشرات تفصل .. !!



حركات الارجل

بعضها بحذاء بعض .. بعضها فوق بعض.. بعضها منفرج .. بعضها ملتئم .. بعضها يدوس بعضها .. رجل تنبه .. اخرى تحذر .. ثالثة ترتعش .. رابعة تنتفض .. خامسة تستند على جارتها .. سادسة تخلع حذاءها .. سابعة تركل .. ثامنة تتأوه ..تاسعة تهرب .. عشرات تغادر .. !!

اصوات

انا الاستاذ .. انا تلميذك .. هذا فى اطار التخصص .. شهادتى من اكسفورد .. مؤلفاتى اكثر .. انت غير متفرغ .. كنت فى اعارة .. صالح الطلبة.. النصاب القانوني ـ الساعات الاضافية.. عشرون الف دولار .. الميزانية لا تسمح.. رأى الاغلبية .. هذا تطفل .. هذا تطاول .. ساعتذر نهائيا .. اخزى الشيطان .. المسألة زادت عن الحد .. قسما بالله .. والمسيح الحى .. انا .. أنتم.. أنت .. انت وغد .. انت نصاب .. ياابن الـ .. !!

الاشياء مرة اخرى

الغرفة كما هى بمحتوياتها.. ما استجد هو : توقفت المروحة .. زحزحت المنضدة .. المقاعد مختلطة .. صناديق التبغ خاوية .. المطفاتان طافحتان .. سودت وجوه بعض الاوراق المسطرة برسوم ساذجة لزهور ووجوه آدمية وحيوانية وطيور وخطوط متداخلة وكلمات غير مفهومة واشكال هندسية .. سودت وجوه بعض المربعات وبعضها الآخر على حالته الاولى .. وبعض ثالث مزق..

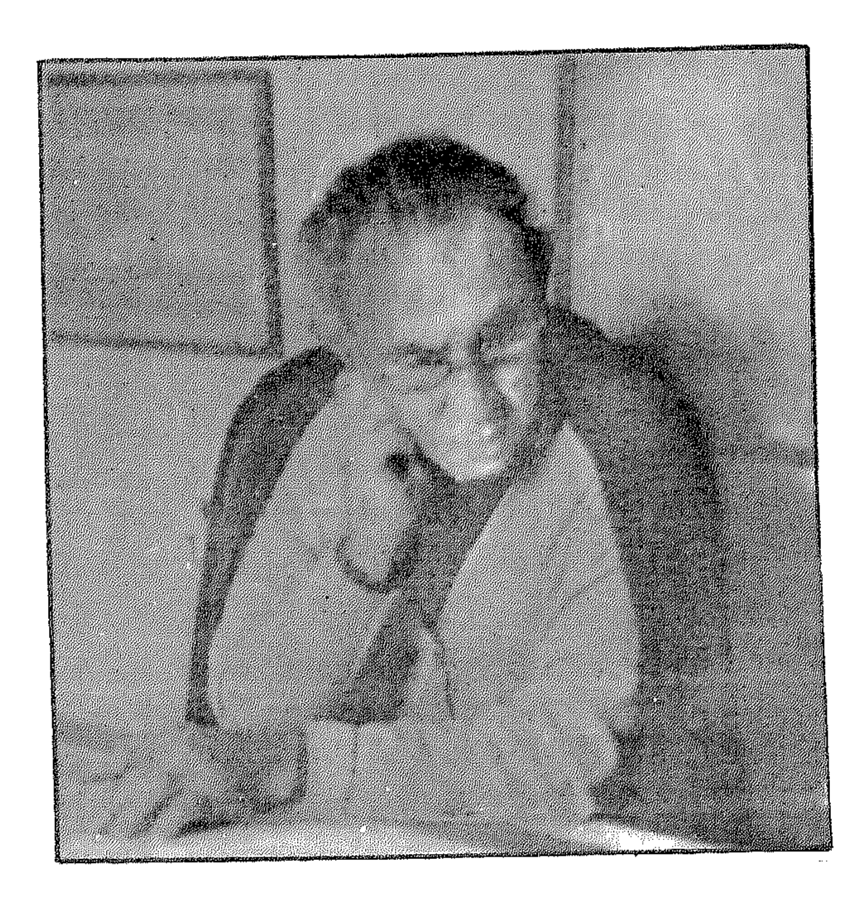
الغرفة خالية الا من الرئيس .. الرئيس فى تشنج يدق راس التليفون الاخرس .. يرد عامل .. يصيح فيه الرئيس : وصلنى بالسيد العميد فورا .. !!

فشل السادة المحترمون في توزيع مواد العسام الدراسى الجديد .. !!

حسن فتحي

والهوة بين النبوغ والواقع

بقلم: محمد فتحي



الركن الجنوبى من احد المبانى التى صـــممهاحسن فتحى

بيت رياض ٠٠ نموذج شهير من تصـــميمات المهندس حسن فتحى

حسن فتحي

خمسون سنة تقريبا والمهندس النابغ حسن فتحي لا يكف عن الدعوة لا افكاره بين ظهرانينا ، دون ان يجد منا اذنا صاغية ، او تجد افكاره ما تستحقه من تجسيد فى ربوع بلادنا .. لكننا ننخرط اليوم ، مع مجيء اسم الرجل الينا على متن جائزة عالمية ، فى التصفيق له والتمسح فيه ..
ورغم ان هذا التصفيق قد يرضى جانباً من نفس حسن فتحي فان نابغة زاهداً مثله لا يمكن ان يقتنع بجائزة اقل من خدمة افكاره لمواطنه ((الانسان الفقير)) الذى كرس حسن فتحي حياته كلها له ، ومن خدمة هذه الافكار لشعبه ، بدرجة لا تقل عما خدمت به شعوب العالم الاخرى ..

لعلها حقيقة من اقسى الحقائق على نفس الانسان الذى يهب حياته مخلصا لمواطنيه أن يجد العالم كله مقتنعا بأفكاره دون أن يستجيب لها بنو جلدته .. وأن يجد افكاره تخدم الناس فى الشرق والغرب (من الهند حتى امريكا الجنوبية) بل وحتى فى اسرائيل (!) دون أن يستفيد منها اقرب الناس اليه .

ولكونها حقيقة مؤسية تكشف عن الهوة بين النبوغ الفردى والواقع الاجتماعى يستلزم الامر الوقوف عندها ، بما تستحقه من اسهاب .. ولا بأس أن نبدأ القصة من أولها .

● **عقدة الذنب والمسئولية**

لم تكن علاقة المهندس الشاب حسن فتحي بالريف تتعدى ، حتى يوم تخرجه ، علاقة السماع عن بعد .. ويوم بدأ عمله الهندسى وقاده هذا العمل الى طوخ ، ثم الى واحدة من عزب والده العديدة ، كانت صدمة مروعة ربطته ، هو سليل الاغنياء ، بالفقراء مرة والى الابد .

امام بيوت الطين المعتمة المقذرة ، المبنية بلا نوافذ ولا دورات مياه ، المكومة على بعضها فى كآبة ، التى يتجاور فيها الناس مع المواشى فى حيز واحد .. امام ذلك كله احس حسن فتحي بما يشبه عقدة الذنب ، كما احس بمسئولية شخصية عن هذه المأساة .

بات المهندس الشاب وشغله الشاغل

هو البحث عن حل لهذه المشكلة ، وقادته روافد عديدة الى حل ناجع أخذ عليه لبه ووجدانه فكرس له حياته .

احد هذه الروافد نبع من دراسة العمارة الفرعونية والقبطيةوالاسلامية من جانب والعمارة « الشعبية » فى مختلف الوان تجسدها من جانب اخر، حيث استخلص الرجل خلال الدراسة المسهبة المتأنية عوامل الاستمرارية فى كل من العمارتين .. ولم يكن ذلك تمسكا بأهداب الماضى بقدر ما هو فهم للعلاقة العضوية بين البيئة والانسان وضرورة ارتباط العمارة بهما ، الامر الذى لابد أن تنعكس « نثرياته » فى حركة البناء على امتداد التاريخ .

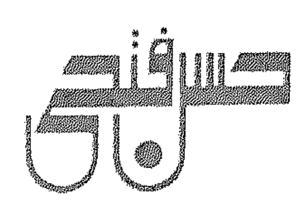
وعلى أهمية هذا الرافد المعمارى ظل الشىء الاساسى الذى يحكم فكر حسن فتحى هو الطابع الانسانى للمسكن .. أى الطابع الذى يجعله يلبى احتياجات الانسان النفسية والعاطفية بقدر ما يلبى احتياجاته المادية .

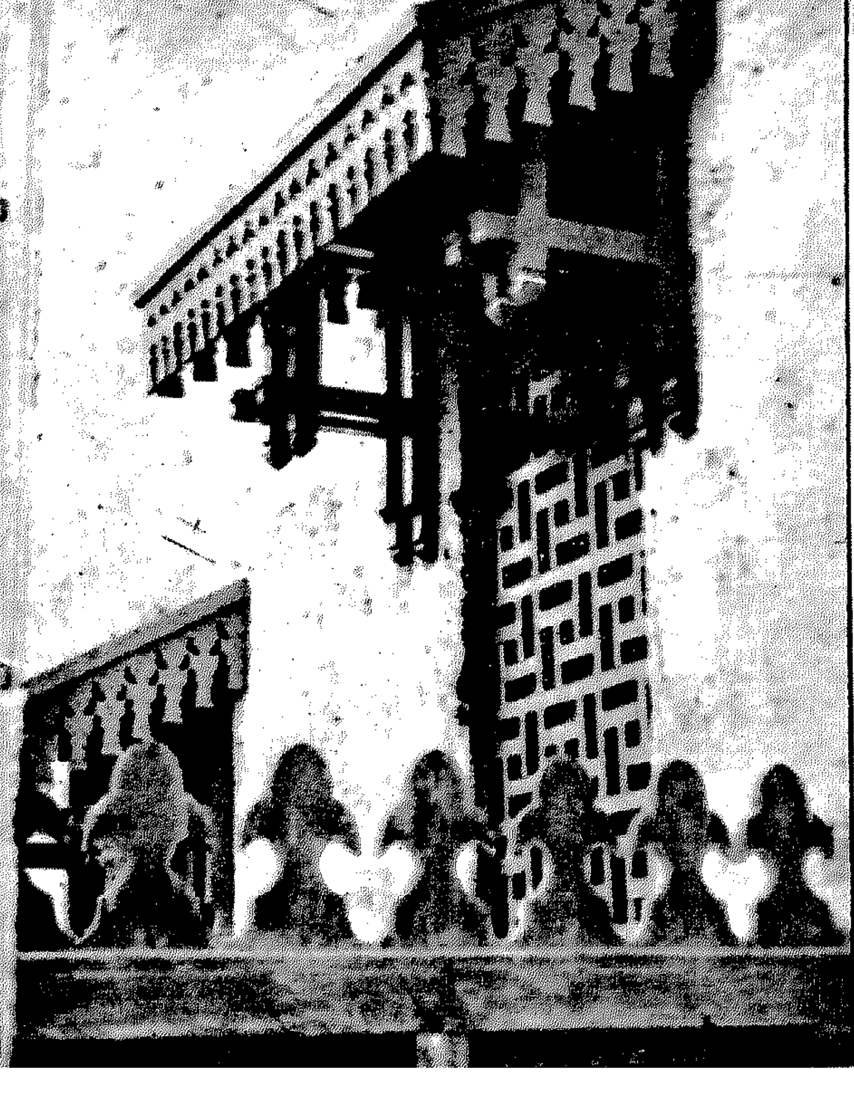
● عمارة الانسان الفقير

المهم انه مشاركة فى الزخم الوطنى الذى لف المجتمع مع ثورة ١٩١٩ ، واعتمادا على الثقافة الشاملة التى تجمع بين الرسم والدين والموسيقى والادب ، واستلهاما للتراث فى ضوء التجارب الابداعية الحديثة ، خرج حسن فتحى بحل عبقرى لمشكلة بناء مسكن للانسان الفقير يبدأ من ضرورة تعبير الناس عن احلامهم وآمالهم بصدد البيوت التى يرغبون فى سكناها وأخذ ما يعبرون عنه بعين الاعتبار ، ويمر بتدريبهم هم أنفسهم على طرق الانشاء التقليدية بعد اخضاعها للقوانين الهندسية والظروف البيئية المختلفة ولمفاهيم العلوم الانسانية (الاجتماع ، والسكان ، و ...) ، مع الاعتماد أساسا على الامكانات المحلية فى البيئات المختلفة (الحجر الجيرى ، والطفلة ، و ...) ، والاحتفاء بالقبة كعنصر عمارى أساسى كحل لمشكلة السقوف المسطحة ، وكعنصر لتكييف جو المسكن صيفا وشتاء ، مع الاهتمام بالرونق العام والمسحة الجمالية الجديرة بالانسان .. وتلك كلها أمور لا تحصر فقط التكاليف واستخدام المواد الغالية المنقولة والمستوردة (حديد التسليح ، والاسمنت ، والاخشاب ، و ...) فى أضيق نطاق ، بل تساعد على راحة الانسان وتحفظ له آدميته وصحته البدنية والنفسية ...

ولم يكتف المهندس النابغ بالتصور النظرى العام الذى توصل اليه ، بل جاهد فى بناء نماذج متعددة مثل قرية القرنة بالبر الغربى للاقصر وقرية باريس فى الواحات ، واستراحة الساحل الشمالى فى سيدى كرير .

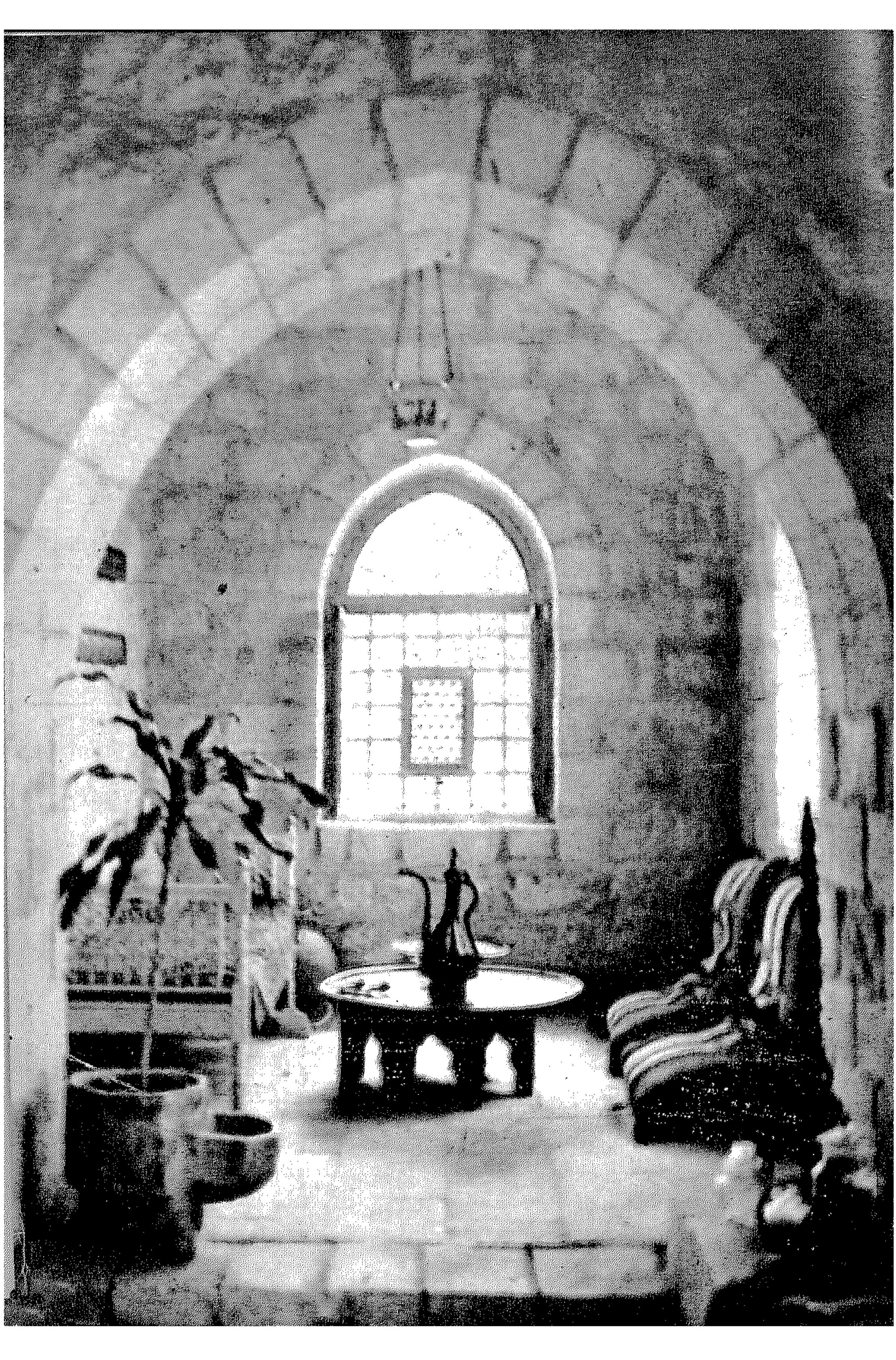
وتطلعا منه الى تعميم هذه النماذج راح يحلم بانشاء مؤسسة علمية غير تجارية أو معهد للتكنولوجيا الوسيطة يكون ضمن مهامه وضع دليل عمل لتصميمات وانشاءات « العمارة





النافذة العربية .. الشكل الجمالي والشمس والهواء ...

نافورة .. مغزولة بالارابيسك ...



حسن فتحي

الانســـانية » ، واقامة مشروعــات ارشاديه ونماذج للبيوت ، يمكن أن تبنى بالتعاون بين الناس ، باستعمال التكنولوجيا الوسيطة والمهـــارات الاساسية ، وتربية المشرفين الــذين سيحتاج اليهم الناس خلالعملية البناء الذاتي ، ذلك بالاضـــافة الى تدريب البنائين والصناع المهرة

● غياب الابعاد التنموية الاستراتيجية

وعلى الرغم من كون التصـــور السابق تصورا استراتيجيامتكاملا من وجهـــة النظر التخصصية المهنية ، فانه لم يتجـــاوز اطـار المشـــروع الرومانسي ، ولم يكن ليمر فى مجتمع تأسر الباب المتخصصين المتقربين فيه العمارة الاوربية الباهظة التكاليف ، التى لا يمكن التفكير معها فى بيوت لجموع الفقراء ، بالذات ومن يحترف بناء البيوت لا يفـــكر الا فى نوعية البيوت التي يمكن أنتدر أرباحا كبيرة ·· **ذلك بالاضافة الى حاجة مشروع من هذا النوع الى سياسة متكـاملة لادارة الاسكان وتوفير الاراضي ضمن تصورات استراتيجية ابعد تاخذ بعين الاعتبـار السـياسات الاقتصـــادية وسياسات التنميـــة ، بجوانبهـــــا الاجتماعية والحضـــارية والبيئية ، وبالذات فيما يخص انشاء مجتمعات** جديدة بعيدة عن الرقعة الزراعيـــة ووادى النيل ، وتلك كلها أمور تطرق أبواب المجتمع طرقا هينا بعد ، فمـــا بالنـــا بمصـــر الثلاثينيـــات والاربعينيات ·

المهم انه حين كل حسن فتحى من الصراخ والسعى لجأ الى القلم وخط صفحات كتابه « قصة القريتين » · **لكن ناشرا عربيا لم ير أهميـــة لان يخرج هذا الكتاب الى النور · وما كان من حسن فتحى الا ان ترجم كتابه الى الانجليزية ، لا ليجد طريقــــه الفورى الى النشر فقط ، بل وليحدث دويا هائلا ··**

● قبلة فقراء العالم

لقد جاءت أفكار النـــابغ المصرى تلبية لحاجة عالمية عارمة يمـــكن أن ندركها اذا عرفنا أولا أن احصائيات الامم المتحـدة تبين أن خمس سكان كوكبنا (الف مليون نسمة) يعيشون فيما يشبه العراء ، وأن خمسين الفا من هؤلاء يموتون سنويا بفعل ظروف التشرد القاسية ·· وأن المستقبل فى هذا الصدد سيكون أشد قتامة فعـدد من لا مأوى لهم سوف يتضاعف اذا ما تطور الامر على النحو الراهن ، ليصل قبل نهـــاية القرن الى ٢٠٠٠ مليون شخص ·· واذا عرفنا ثانيا أن دراسات مختلفة تكشف أن عـدد المساكن الواجب اقامتها خـــلال ما تبقى من سنوات القـــرن العشرين ، للتغلب على هذه المشكلة ، ينبغى أن يتجاوز ما بنته البشرية جمعاء منـذ أن عرف الانســـان كلمة المأوى أو البيت ، بعد أن كان يعيش فيالكهوف منذ فجر التاريخ ·

لم يكن بمقدور المعـــارى المغربى (ومن باب أولى المتغربون) ان يعى ظروف العـــالم الثالث أو الفقيـــر ، الذى يعيش فى بيئة مختلفة تماما ، ولم تكن القضايا التى أثارها حسن فتحى تقتصر فى أهميتها على مصر ،

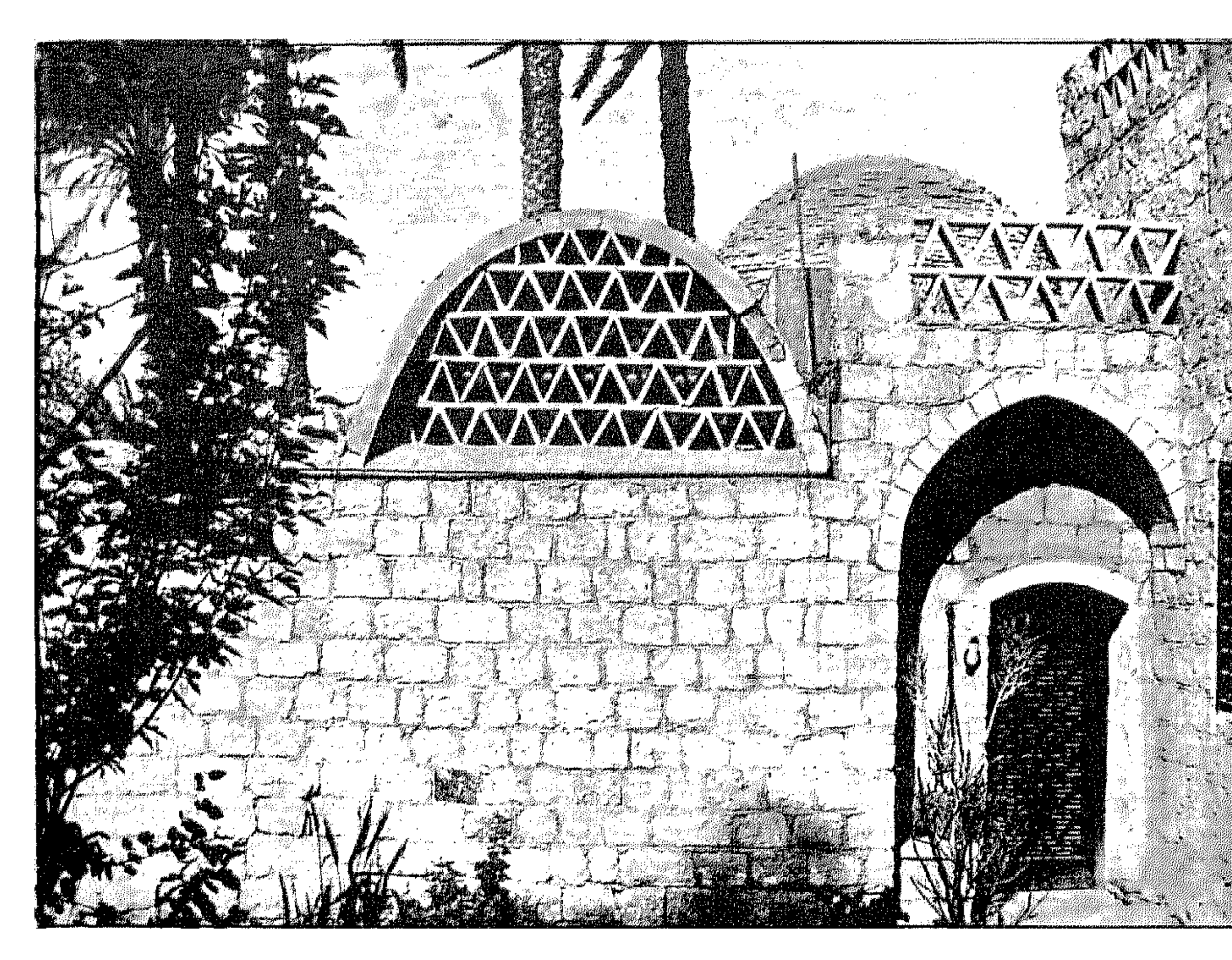
لهذا توالت الطبعات الانجليزية من كتابه ، وترجم الى ٢٣ لغة ، وصار مرجعا أساسيا من مراجع العمــارة فى جامعات العــالم ٠٠ ولم يقف الامر عند هذا الحد ٠

مع الزمن صــار حسن فتحى قبلة البلدان الفقيرة فارسلت انديرا غاندى تطلب حضوره الى الهنـــد ليمارس نشاطه هنــاك كمواطن شرقى يحوطه التبجيل والتكريم ٠ واستدعته بعض بلدان أمريكا الجنوبيـــة ليبنى لهم نماذج من عمارته ، وليعلم النــاس طرق انشائها ، وباتوا يستغلون مــا تعلموه منه حتى صـــاروا يبنون مطــاراتهم (سان تافى) بالطــوب النيىء ٠٠

ومع الزمن تصــاعدت مظــاهر الاحتفاء بأفكار حسن فتحى ، وجهود الاستفادة منها حتى بلغت درجةيمكن أن ندرك أبعــادها من تبنى الامم المتحدة طوال عام ١٩٨٧ (العـــام الذى أعلنته عاماً لايواء من لا مسكن لهم) افكار « عمارة الانسان الفقير »

والطريف أن الصيحة التى أطلقها حسن فتحى حول البنــاء الافقى مع

البوابة الداخلية لبيت رياض ٠٠ يمثل الواقع المجسد لحلم المهندس حسن فتحى



حسن فتحي

مراعاة الظروف البيئية ، وبصفتها عمارة للفقراء ، تجد طريقا حاليا كصيحات مستقبلية تحاول انتشال انسان المدن الكبرى الذى يعيش بعيدا عن الطبيعة ، غارقا وسط مؤثرات سلبية مثل الكثافة السكانية وعجلة الحياة المتسارعة والضوضاء والاهتزازات ، والهواء والمياه الملوثين ، بعد أن ظهر ما تنطوى عليه الغابات الخرسانية من عوامل تحث الاصابة بالازمات القلبية والقرح المعدية والامراض العصبية والنفسية و ... ، وخير دليل على ذلك مشروع المعمارى الامريكى باولو سولارى ، الذى اشتهر فيما مضى بقدرته على تخطيط المدن العصرية وتنفيذ أعقد التصميمات واكثرها غرابة ، ثم كرس حياته أخيرا لوضع مشروع يدور فى فلك افكار حسن فتحى هو مشروع مدينة اركاسنت فى ولاية اريزونا ، ووقف نشاطه على تنفيذه بالجهود الذاتية .

● التكريم الحقيقى لحسن فتحى

وكان من الطبيعى بعد ذلك كله أن تتوالى الجوائز ومظاهر التقدير على حسن فتحى من جميع أنحاء العالم . وهكذا وصلنا الرجل من الغرب ،

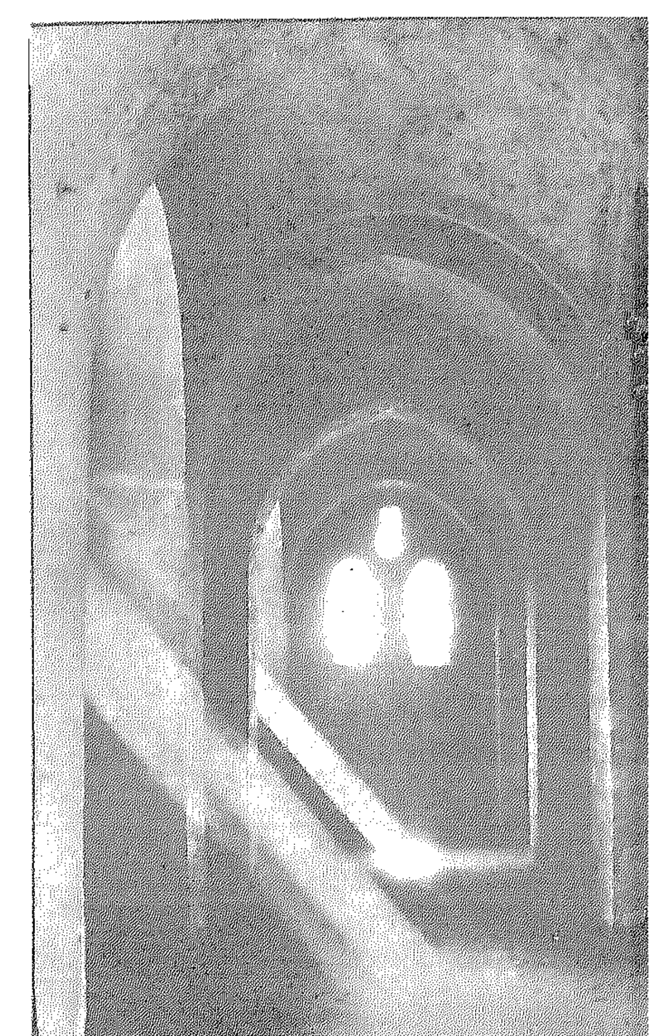
منزل القبة : التهوية والاضاءة .. والاتساع



وهكذا رحنا نهلل ونصفق له ونتمسح فيه • وكل ذلك يمكن أن يبقى مجرد مظاهرة مرضية ما لم نتجاوزه الى ماهو أجدى بالنسبة لمجتمعناوبالنسبة للتكريم الحقيقى لحسن فتحى – كما يراه هو نفسه – وهو أن يستفيد الانسان المصرى الذى بذل الرجل حياته فى سبيله •• من أفكار عمارة الانسان الفقير •

لقد بينا من قبل كيف عاكس الواقع المتخلف المشروع الرومانسى الطليعى لحسن فتحى لكن ظروف مصر تغيرت كثيرا ، حتى أنه لا يكاد يمر يوم الا ونسمع أنه لا أمل للانسان المصرى فى عيش كريم ما لم يخرج من الوادى الضيق للنيل ، الى جوار أحاديث عن

الممر •• الاضاءة والاتساع



ضرورة بناء المجتمعات الجديدة والهجرة الى الصحراء وبناء وحدات سكنية لاستيعاب الاسر التى تعيش فى الاكواخ والمدافن ، وللقضاء على ظاهرة اشتراك أكثر من أسرة فى شقة واحدة ، ذلك بينما نسمعتأكيدات رسمية حول تبنى الدولة توفير الاراضى ومواد البناء •• ان كنا قد وصلنا الى هذه الاقتناعات فعلا فهل يمكن ان يشب بنا الطوق لتطور كل هذه الاحاديث الى تصورات استراتيجية تأخذ بعين الاعتبار السياسات الاقتصادية والانمائية ، بجوانبها الاجتماعية والحضارية والبيئية ، بما يجعلنا نطاول القامة العملاقة لحسن فتحى ونستفيد من أفكاره •

ان المرء قد يفهم حدوث التباس فى فهم مدى حاجة المجتمع الى أفكار عالم نابغ مهتم بشئون الفضاء مثل فاروق الباز ، أو عالم نابغ مهتم بزرع الاعضاء مثل مجدى يعقوب ، أو عالم نابغ ليكتشف أقمارا جديدة لكوكب زحل مثل عصام معروف ، أو عالم نابغ يقدم فتحا علميا وعالميا جديدا فى مجال أشعة الليزر مثل أحمد زويل •• أقول قد يحدث التباس فى ذلك كله لكنها مأساة فيما يخص مجتمعنا الفقير (قبل ان تخص حسن فتحى) أن يظل الرجل يدعو بين ظهرانينا الى عمارة الانسان الفقير ما يقرب من نصف قرن بينما تأخذ بخناقنا أزمة الاسكان ، ناهيك عن موجات الانشاء السرطان فى الريف والمدن على حد سواء •

مع يحيى حقي ... في ذكرى ميلاده
خطوط في صورة من بعيد

بقلم: محمد روميش

بقصة « قنديل أم هاشم »
شارك مباشرة في التساؤل

الذي يمور به ضمير الشعب في مصر ـ ان لم يكن ضمير الشعوب في الشرق ـ « انظر الحى اللاتينى لسهيل ادريس ، وموسم الهجرة الى الشمال للطيب صالح » ·· هذه الحضارة الغربية الكاسرة ، وفي لحظة انتصارها هذه ، ماذا نأخذ منها ، وماذا ندع ·· واذا كان هذا هو تفسير « القنديل » الذى ارتضيه على ما سيأتي تفصيلا فان « السلطة » بغبائها التاريخي ، فهمت « القنديل » على نحو اخر ، فبعد نشرها « سنة ١٩٤٤ » استدعى أحمد حسنين باشا ، رئيس الديوان الملكي ـ فيما كان ـ يحيى حقي ، الذي تأنق وذهب مختالا، وأدخل الى احمد حسنين ، كان واقفا وراء مكتبه ، وعاجل يحيى حقي ، مستنكرا وامامه نسخة من القصة :
ـ ايه ده يا يحيي اللى بتكتبه ··
مش شايف قدامك الا الفقراء ··

« مجموعة القنديل تتضمن قصصا أخرى عن اهالي الصعيد » « ويتابع احمد حسنين » يا أخي اعمل زى نجيب الريحاني !!

وتذكرني هذه الواقعة ، بما كتبه · لويس عوض ، وكان بصدد تحديد موقف الاديب نجيب محفوظ ، من ثورة يوليو ·

« ان نجيب محفوظ فى ثورة يوليو كنجيب الريحانى من النظام الملكى ·· كلاهما ينتقد النظام من داخله » ·

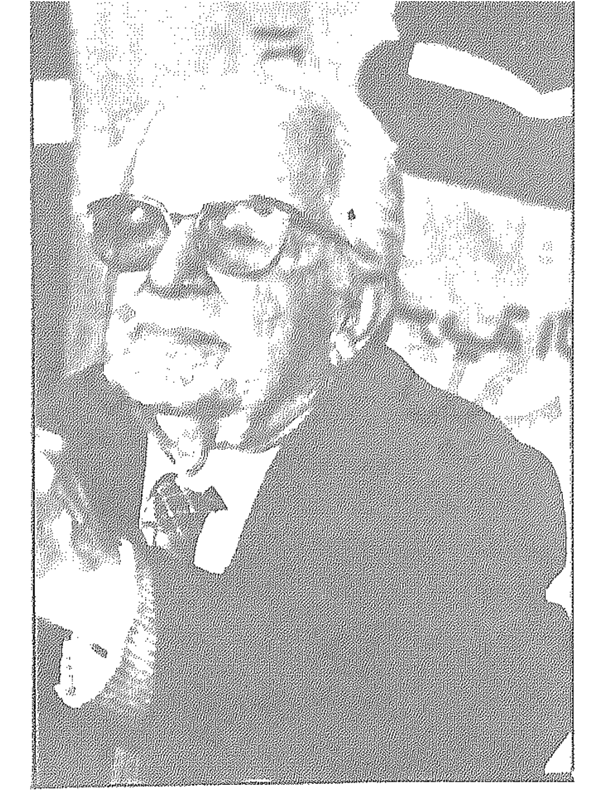
وبقصة « صح النوم » أحب اعمال يحيى حقى القصصية الى نفسه ، لانها « تطبيق صارم للمبدأ الذى نادى به من ضرورة التزام الدقة والعمق فى اسلوب الكتابة »

« أشجان عضو منتسب ـ فى مقدمة المجلد الاول من الاعمال الكاملة ص ٥٣/٥٢ » ومن خلال هذه القصة اشتبك يحيى حقى ـ مع ثورة يوليو فى جدل عنيف ، فى وقت كان الكثيرون يترقبون وينتظرون · « هى أول عمل فنى فى أدبنا العربى تناول ثورة ٢٣ يوليو ، صدرت ولم يكن قد مضى على الثورة ثلاث سنوات (ابريل ١٩٥٥) ولعلها كتبت قبل ذلك التاريخ بكثير ، أى فى أعقاب الثورة ·· « سبعون شمعة فى حياة يحيى حقى ص ٢١٩ » ·

ويحيى حقى نفسه يذكر انه فى قصته هذه قد تنبأ وحذر من الديكتاتورية العسكرية ·· وفى القصة مشهد لا يغيب مغزاه ·· فالراوى ـ فى القصة ـ بعد قيام الثورة ، فوجىء أن من يتولى تسيير أحوال البلد من « الامس » الى « اليوم » قد

عصر النهضة . صورة صادقة وعميقة الغور للنفس الانسانية ، ويكتشف عبر المعنـاة الدءوب ، مازال ونحن قراءه معه ، تشابك النفس الانسانية وتعقدها ، مجموعات « أم العواجز » و « الفراش الشـاغر » و « دماء وطين » و « قنديل أم هاشم » و « صح النوم » و « عنتـر وجوليت » .. **وهو فى ابداعه القصصى ابن « المدرسة الحـديثة » ذلك الاصـطلاح الذى لا يخلو منه كتـاب يؤرخ لتـاريخ القصة المصرية ..**

وكانت كلمة المدرسة الحديثة تطلق اطلاقا عاما ، واطلاقا خاصا ، ويقصد بالعام ، كل كتاب الطليعة ، الذين يثورون عـلى القـديم ويدعـون الى التجديد ، .. أما من حيث الإطلاق الخاص ، فللآداب أنصـار جدد ، انشـطروا بحكم نزعات تفكيـرهم ، الى مدارس متحدة الغاية ، مختلفة الوسائل .. هناك مدرسة لطفى السيد وهناك مدرسة المازنى وعبد الرحمن شكرى والعقـاد .. وهناك مدرستنا» جريدة الفجـر ٢٥ مارس ١٩٢٥ ـ أحمد خيرى سعيد ـ أو ناظر المدرسة كما يسميه يحيى حقى ـ وتمتاز هذه المدرسة بالمعناية بالعلوم الحـديثة والفنون الجميلة ، اهتمامها بالآداب « القصة القصيرة فى مصر ـ ص ٨٩ ـ عباس خضر ـ » ويضيف سيد حامد النسـاج أن « خلود العمل الفنى وبقاءه فى نظر اصحاب هذه المدرسة فى فن القصة ، كامن فى بعـده عن القديم من ناحية ، وفى تجنبه محاكاة الاعمـال التى لم تنبع من البيئـة المصرية الواقعيـة ، وفى ارتباطـه بالواقع المصرى شـكلا وموضـوعا واسـلوبا .. متمسكة بالشـخصية المصرية المستقلة « تطور فن القصـة القصيرة فى مصر ـ طبعة ١٩٦٨ ص ١٦٧ » .



يحيى حقى

اطلع على أوراق ومذكرات الراوى فى غيبة منه .. وكـأن الراوى ـ فى القصة أيضا ـ يحـذر من استـفحال أمر العسس ، التى لا يجب أن يطلق لها العنان ، ويحيى حقى حين يتحدث عن قائد الثورة ، له تعبير محـدد لا ينساه ولا يغيره ، ويذكره كلمـا ذكرت الثورة وقـائدها « انه رجل صـعب » وهو يعنى أنـه ليس من الصـحيح أن تدين الرجل ، وتكتفى بذلك ، وأنت مرتاح الضمير ، كما أنه ليس من العـدل أن تبرئه عن الاخطاء ، وفيك روح المؤرخ المحايد.. « انه رجل صعب » ..

وبقصة « البوسـطجى » كان أول من استخدم « الفلاش باك » أى البدء بالاحـداث المتأخرة فى القصـة « اشجان .. ص ١٥٢ »

وقد انعتق من تعثر بدايات الرواد ليسجل استشرافا ابداعيا باقيا .

وبعدد متواضع ـ نسـبيا ـ من القصص القصيرة ، نسج على مهل ، على امتداد نصف قرن ، وبروح فنانى

مع يحيى حقي .. في ذكرى ميلاده
خطوط في صورة من بعيد

ويرجع يحيى حقى نشأة « المدرسة الحديثة » فى القصة وتمسكها « بالمصرية » الى ثورة ١٩١٩ « ان القصة القصيرة تملصت بصعوبة من ابناء القصور ليتولاها ابناء الشعب ، ولم يكن هذا التملص الا انعكاسا ومجاوبة لتملص مصر ذاتها فى ثورة ١٩ من عهد التبعية والاحتلال والحماية الى عهد التحرر وتثبيت الشخصية والاستقلال ٠٠ وكان لابد ان يتحول الادب من الرومانسية الى صراحة المذهب الواقعى ٠٠ ولكن كما ان ثورة ١٩ فقدت سريعا قدرتها على التحول من الانقلاب السياسى الى الانقلاب الاجتماعى ، كذلك بقيت المدرسة الحديثة عند اسفل السلم لم تتجاوزه الى فوق ، فقد اقتصر اغلب انتاجها على الوصف الفوتوغرافى ٠

« فجر القصة القصيرة ـ المؤلفات الكاملة ـ ص ٢٥٢ »

وبفكره الثاقب ، وبروحه الصافية قدم فى ابداع الناقد ، مشاهد حية ، من تاريخ القصة المصرية ٠

وصاحب مدرسة « نقد ادبى » شجاعة وجسورة ، اقرأه وهو يقيم مسرحية « أهل الكهف » لتوفيق الحكيم « تبدو للكثيرين ـ الاشارة واضحة الى توفيق الحكيم أن الادب فى مصر فردى لا يصدر عن روح عامة قوية هى التى تعطى لتاخذ وتوحى لتستمع ، لكن ليس من العدل ان نلقى الذنب على مصر ، الذنب كله واقع على الكتاب الذين همهم أن يعلموها قبل أن يفهموها ، وعلى احساسهم الضعيف المنقطع عن روح مصر ٠ لذلك فان هذا « الادب الفردى » لا يفترق عن الصرخة تدوى فى واد أو عن الهباء يتناثر ، واذا نفق امام أعيننا ، فانه يمضى لا يستحق منا الشفقة والرثاء ٠٠ ثم يتابع ٠٠ هل لنزعات التصوف محل فى مصر ، ان مصر فى ميدان قتال مادى يستلزم منها أقصى ـ الجهاد ، وسلاحها فيه اعتداد بالنفس والتسامى بها والشعور بقيمة هذا الشعب المظلوم المردوم فى الطين ٠٠ فقصة « أهل الكهف » خطرة على شبابنا لانها تذيغ أبصارهم عن هذه الحقائق ٠٠ على حين انه لا خلاص لمصر الا على يد « مجهود مشترك » يبذل فيه كل شخص أقصى ما لديه دون نظر الى منفعته المباشرة ٠٠ « أهل الكهف » بالنسبة لتوفيق الحكيم نجاح ٠٠ وبالنسبة لمصر مؤلف مشكوك فى فائدته ٠٠

وشارك ـ يحيى حقى ـ بهذا كله فى تخليص اللغة العربية من قبضة العصور الوسطى ، وبرطمة الاجانب والمستعمرين والاغراب من مماليك واتراك وشركس ، وارناؤود ، وهو يرضى أن تغفل جميع قصصه وكتاباته ٠٠ اذا لم يلتفت أحد الى دعوته الى التجديد اللغوى ٠٠ وهو يطالب بأسلوب يتميز بالحتمية والدقة والوضوح ٠٠ لان اللفظ وعاء الفكر ، ولا وضوح للفكر الا بالاسلوب العلمى الدقيق ٠

« أشجان ٠٠٠ ص ٤٥ » ولا مجال لان يصبح أدبنا أدبا انسانيا ، الا اذا تخلص أسلوبنا من عيبين كبيرين : الميوعة والسطحية ، لنعتنق بدلا عنهما التحديد والحتمية ٠٠ أما صفة الصدق فأمر مسلم به « خطوات فى النقد ـ المؤلفات الكاملة ـ ص ص ١٥٨ » ٠

وهو مع ايمانه باللغة العربية الفصيحة « لانها هى الاقدر على بلوغ المستويات الرفيعة ، على ربط الماضى

بالحاضر ، على توحيد الامة العربية « اشجان ٠٠٠ ص ١٨ » فانه لايتردد فى استعمال كلمات عامية « لاننا كنا نتلهف أن يكون الادب صادق التعبير عن المجتمع » « المرجع السابق ص ١٨ » اقرأه وهو يرثى الفنان حسين رياض : ٠٠٠ كان حضور حسين رياض ينسيك أن تنشغل الشغل كله بأوصافه البدنية ، فلا ندرى أهو مكلبظ ، هل له كرش ، هل هو قصير الرقبة ، هل هو ملظلظ الاوداج « مدرسة المسرح ص ٩٦ » ، ولا أحد يجمع كلمتى « ملظلظ » و « الاوداج » معا الا يحيى حقى ٠

الا انه لا يطلق دعوته الى استعمال الكلمات العامية دون قيود ، انه يضع لها ضوابط وقوانين ، الا تكون فى اللغة العربية الفصيحة كلمة تؤدى نفس معنى الكلمة العامية ، وأن تحمل الكلمة العامية شحنة لا تتوافر فى الكلمة الفصيحة المقابلة ، وقد يعن لنا ان نختلف مع يحيى حقى ، فهو يرتكب الفعل ، ثم يبحث عن تبريره وتنظيره والرأى عندنا انه نشأ فى بيت « غلب عليه الشغف برشاقة اللفظ ٠٠ والتنبه لزلة اللسان مهما كانت طفيفة « اشجان ٠٠٠ ص ٢٧ » ٠

الا أن البيت الذى نشأ فيه يحيى حقى يقع فى حى شعبى عريق هو حى السيدة زينب ، وكان يحيى حقى وهو خارج مصر يغلبه الحنين الى مصر والى تعابير مثل « يادلعدى » ٠٠ « اجرنه » أى ان البيت لقنه العربية الفصيحة ، والحى الشعبى دس فى روحه حب اللغة العامية ٠

٠٠٠ صاحب مدرسة أفراد من الاجيال الجديدة ، فقد رأيناه وان انتسب الى « المدرسة الحديثة » التى أعقبت ثورة ١٩ ، فقد أحس الجمود الذى أصاب هذه المدرسة ، وواصل هو مسيرة معاناة الخلق والابداع ، وحين عين فى أبريل ١٩٦٢ رئيسا لتحرير مجلة « المجلة » حتى ديسمبر ١٩٧٠ ، كانت فرصته أن يحول مقر « المجلة » الى ندوة متصلة لا تكاد تنفض « أشجان ٠٠٠ ص ٤٨ ـ ٤٩ » ويموقعه هذا قدم للحياة الادبية جيلا من القصاصين والنقاد والشعراء ، جيلا شكل ظاهرة أدبية ، لم تتكرر ، جيلا نشأ فى ظل سلطة سياسية قوية، واحتفظ أفراده باستقلاليهما الفكرى والفنى فى مواجهتها ، ولذلك سدت فى وجوههم منافذ النشر ، والنفاذ الى قرائهم ٠٠ ودفعوا الثمن ٠٠ ذلك هو ما عرف بجيل الستينيات ، الذى حول يحيى حقى مجلة السلطة الى « ندوة متصلة لا تكاد تنفض » يجد فيها أفراد هذا الجيل ، من يستمع اليهم ، ويناقشهم ويرعاهم ، ويفتح لهم صفحات « المجلة » بعد أن كانت قبله ، وقفا على غيرهم ، بل ان يحيى حقى كان ينشر الاعمال الفنية ، التى لاتتفق مع منهجه هو فى الابداع ، الا انها كانت على مستوى النشر ، وهذا كاف ٠٠ وقد خاض يحيى حقى معركة شريفة فى ترقية هذه الكتابات ، وقد ضم كتابه « أنشودة البساطة » وصاياه العشر لذلك الجيل الذى كان جديدا ٠٠ وفى بيت يحيى حقى كانت تمتد الندوات ، نحمل أوراقنا ، وبتهيب شديد ، ندق الجرس ، ويجىء الصوت الابوى الجميل الودود ، نسمعه ، وهو يفتح الباب ، وقبل أن نراه :

ـ أهلا أيها الصديق العزيز ٠٠٠

ونفرد أوراقنا ، تحمل طين الدلتا ، وصحراء الصعيد وتحوم مقولته « ان القصة المصرية قد تملصت بصعوبة من قبضة أبناء القصور ، ليتولاها أبناء الشعب للتعبير الصادق عن الشعب »

رسالة فى الصبابة والوجد

محاولة روائية فى رحاب التصوف

محمد السيد عيد

هذه هى أحدث روايات جمال الغيطانى ، الذى قدم لنا من قبل : الزينى بركات ، الزويل ، وقائع حارة الزعفرانى ، الرفاعى ، والتجليات .

ويعرف الذين يتابعون الغيطانى أنه شديد الولع بالتراث ، وأنه يقيم بناءه الروائى فى معظم أعماله على أسس تراثية ، ويعرفون أيضا أنه فى الفترة الأخيرة اهتم اهتماما خاصا بالتصوف .. ومن هنا تصبح « رسالة فى الصبابة والوجد » حلقة فى سلسلة متصلة .

ولعله من المفيد قبل أن ندخل إلى الرواية أن نقف وقفة قصيرة عند التصوف حتى يتسنى لنا أن نفهم ما أراد الغيطانى أن يعبر عنه ، وكذا طريقته فى التعبير .

وبداية نقول إن تعريف التصوف ليس أمرا سهل المنال ، فقد قدم له الصوفية مئات التعريفات دون أن يتفقوا على تعريف نهائى ، ومن هذه التعريفات مايقوله الجنيد :

« التصوف هو أن يميتك الحق عنك ويحييك به » .

ومنها تعريف الكتانى :

« التصوف صفاء (أى صفاء النفس) ومشاهدة (أى مشاهدة لله) » .

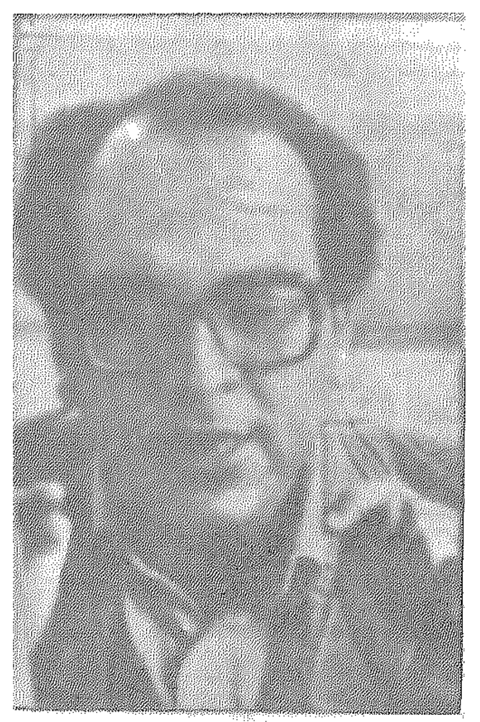
ومنها قول جعفر الخلدى :

« التصوف طرح النفس فى العبودية (أى العبودية لله) والخروج من البشرية ، والنظر الى الحق بالكلية » .

ومنها قول الشبلى :

« بدؤه معرفة الله ونهايته توحيده .

فى العصر الأموى ، عندما تراكمت الثروة لدى الفاتحين ، وعرف المجتمع



جمال الغيطانى ..
متصوف فى محراب الرواية

رسالة فى الصبابة والوجد

بقلم
جمال الغيطانى

دار الهلال

الاسلامى الترف ، وسكن العرب القصور بعد الخيام ، وأكلوا طعام الأمصار بعد التمر واللبن ، واقتنوا الجوارى الروميات والفارسيات ، وعرفوا مناطحات الكباش ، ومناقرات الديكة .. فى هذا العصر دخلت الحياة الروحية منعطفا جديدا ، إذ ارتبط التعبد عند البعض بالهروب من المجتمع ، فذهب العباد الى الجبانات فرارا من الحياة المغرقة فى الترف المادى ، وفرضوا على أنفسهم جوعا اختياريا ، وراحوا يذرفون الدمع غزيرا حتى رمدت أعينهم من كثرة البكاء .. وأصبح الخوف ـ هو سيد الموقف .

ولم يلبث الخوف الا قليلا ثم تراجع أمام شىء جديد بدأ يظهر فى الساحة ، وهو : الحب .. إذ رأى بعض العباد أن عبادة الله خوفا من ناره ، أو طمعا فى جنته ، انما هى عبادة التجار الذين يبحثون عن المنافع من وراء العبادة ، فاستبدلوا بهذا وذاك عبادة الله دون النظر لمنفعة ، لأن الله يستحق أن يعبد لذاته ، وقد عبرت رابعة العدوية عن هذه المعانى فى أقوالها بشكل جيد .. تقول رابعة :

« ماعبدته خوفا من ناره ولا طمعا فى جنته فأكون كالأجير السوء .
عبدته حبا له وشوقا إليه »

ولم ينته المطاف بالحب عند هذا الحد ، إذ ظهر رجال غالوا فى هذا الحب ، وراحوا يعلنون اتحادهم بالله ، أو حلوله فيهم ، وكان الحلاج يقول « مافى الجبة إلا الله » ، وكان يقف فى قلب السوق يصيح شاكيا من دلال الله عليه قائلا :

« يا أهل الاسلام أغيثونى ، فليس يتركنى ونفسى فآنس بها .

محاولة روائية في رحاب التصوف

وليس يأخذني من نفسي فأستريح منها وهذا دلال لا أطيقه » .

قصة رحلة علمية ولغة تراث

كانت هذه مقدمة لابد منها ، ندخل بعدها إلى رسالة الغيطاني في الصبابة والوجد .. روايتنا عبارة عن رسالة طويلة من شخص الى آخر يروى له فيها قصة رحلة علمية قام بها الى الاتحاد السوفييتي لحضور مؤتمر في الآثار فقابل خلالها فتاة شعر نحوها بالحب فجأة ، إذ رآها بين شجرتي توليب ذات صباح ، فراح يقترب منها ، ويدور في فلكها حتى شغفت به ، ثم تجاوبت معه قرب نهاية المؤتمر ، إلا أنه لم يكن يطمح في علاقة جسدية كاملة بينه وبينها ، بل كان يريد فقط أن يبدى وعورة الشوق ، ويحظى بالوصل ، ويحتفظ في خياله بصورة للمحبوب يسترجعها في كل حين .

ولاتلبث أن تنتهي الرحلة ، ويعود بطلنا الى القاهرة ، لكنه لاينسى ماكان ، فيستمر في الاتصال لكن الفتاة الروسية لاتتجاوب حتى يشعر بالضنى ، فيكتب الرسالة الى صديقه يشرح له فيها حاله .

والرواية بهذا الشكل يمكن أن تكون قصة حب عادية الا أن الغيطاني يحرص كل الحرص على أن يجعل الأمر غير ذلك ، بأن يهدم كل الجوانب الواقعية للقصة .

في الصفحة الأولى يشككنا الكاتب في أن القصة كلها قد حدثت ، إذ يقول لصديقه :

« قوى على الشك أن ماجرى ، جرى » .

وفي الصفحة الثانية يزيد من تشكيكنا ، إذ يقول لصديقه في سبب كتابته إليه :

« هكذا وليت بهمي صوبك ، لعلى باسترجاع ماتبدد ، وروايتي لما يخيل الى أنه جرى ، أقف على توكيد يطمئنني ، يرسخ الحجة عندي » .

ولايقف الأمر عند هذا الحد ، بل يتجاوز ذلك الى التشكيك في وجود الصديق نفسه (الذى توجه اليه الرسالة) ، ونشعر من السياق أن هذا الصديق ربما كان هو الراوى نفسه :

« لكن يشفع لي عمرا (كذا) انقضى بيننا ، جعلك كأني ، حتى لو عسرت المودة ، وانفرط العقد ، وتباعد الشمل ، وندرت اللقيا ، بقيت أنت كالجهة التي لاتدرك بالحواس ، وانما يتوجه المرء اليها » .

ثم يلقى الكاتب في الطريق بعبارة توحى لنا بأن البطلة ربما كانت غير موجودة هي الأخرى ، وأنها مجرد وهم تجسد للبطل ذات يوم عاكسا صورة من صور التجلي الإلهي ، اذ يصفها بقوله :

« فبقدر ماهي محدثة ، بقدر ماهي قديمة ، موغلة » .

والقِدم كما هو معروف عند دارسي الفلسفة صفة لله ، وهو مقابل للحدوث كصفة لكل ماعداه سبحانه .

وفي نهاية الرواية يأتي الغيطاني بحكاية تؤكد أن مارواه لم يحدث ، وأن المحبوب ليس بشرا ، وأن الأمر كله رمز لعالم صوفي أبعد مما تعطيه الصورة الحسية المروية .. تقول الحكاية التي يرويها شيخ جليل

« وقد بلغ بى قوة الخيال أن كان حبى يجسد لى محبوبى من خارج لعينى ، فلا أقدر أنظر اليه ويخاطبنى وأصغى اليه وأفهم عنه ، ولقد تركنى أياما لا أسيغ (كذا) طعاما كلما قدمت لى المائدة ، يقف على حرفها وينظر الىّ ، ويقول لى بلسان اسمعه بأذنى : « تأكل وأنت تشاهدنى ؟ »

فأمتنع عن الطعام ولا أجد جوعا ، وأمتلىء منه حتى سمنت ... الخ » .

هكذا ضرب الغيطانى الحدث والشخصية من الناحية الواقعية ، لكنه لم يكتف بهذا ، بل استخدم لغة خاصة لتوجيه أنظارنا الى الجهة التى يريدها ، ويؤكد من خلالها لا واقعية الحدث .. لغة تراثية غير لغتنا اليومية المألوفة ، تبدأ دوما بكلمة « إعلم » كما تبدأ الكتابات التراثية العربية .

اللغة الصوفية

ولا يكتمل الحديث عن دور اللغة التراثية فى تحقيق الاحساس بالانفصال عن الواقع الا بالوقوف بشكل خاص عند اللغة الصوفية التى تعتمد عليها الرواية الى أبعد الحدود ..

وأول مانلمحه فى لغة الرواية عموما هو اعتمادها على القاموس الصوفى بشكل هائل .

ونلاحظ هنا أن الكاتب وظف هذه المفردات بشكل جيد للتعبير عما يريد ، ولا بأس هنا من تقديم نماذج لبيان توظيف اللغة الصوفية :

● يصف البطل حبيبته قائلا : « لم تكن تسعى انما تفيض » .

والفيض مصطلح صوفى اشراقى ، يرى أن الله الكامل ، تفيض ذاته بما هو دونه ، كما تفيض الشمس بالأشعة مثلا ، أو يفيض العطر بالرائحة .

والفيض عند الصوفية يمثل نظرية فى وجود العالم واستمراره ، وغير ذلك ، ولولا أن الله يفيض ماكان هذا الكون ولا كنا .

واستخدام كلمة « تفيض » هنا يوحى بأن البطلة تشع من ذاتها على العالم المحيط بها وكأنها تمنحه صورته التى يراها الكاتب ، كما توحى باكتمال المحبوبة وطبيعتها غير الانسانية .

● ويتساءل بطلنا عما يريده من حبيبته فيقول :

« هل أبغى الفناء ، الاتحاد ؟ لا أدرى » .

والفناء والاتحاد مصطلحان صوفيان ، يشير الأول الى ذوبان ذات الانسان فى الذات الالهية ، ويشير الثانى الى مرحلة من مراحل العبادة الصوفية ، يتحد فيها الانسى بالإلهى ، ويصبح الانسان والله كائنا واحدا .

تعبيرات المتصوفة

والملمح الثانى من ملامح اللغة الصوفية فى روايتنا ـ بعد القاموس ـ هو : انتشار التعبيرات الخاصة بأهل التصوف .

وهى جميعا تعبيرات ذات دلالات خاصة ، يفهمها أهل التصوف ، ويعرفون ماترمى اليه من ابراز لعدم قدرة الحواس والعقل على ادراك كل شىء ، وتصوير لحال الصوفى فى خوضه بحار التعبد ولججه من أجل الوصول لله وتبيين لحالته حين الوصل به ... وغير ذلك من المعانى ... ولاشك فى أن هذه التعبيرات ذات الدلالة الخاصة قد ساهمت فى إشعار

محاولة روائية في رحاب التصوف

القارىء بأن الرواية ترمي الى ماهو أبعد من الحدود الواقعية للحدث أو الشخصيات وهذا ما أراده الكاتب اساسا باستخدام هذه اللغة .

ويتجاوز الأمر فى روايتنا المفردات والتعبيرات الى الجمل الكاملة ، ولعله من المناسب هنا أن نذكر أن الجملة الصوفية لها خصائصها التى سبق أن أشرنا اليها مثل : الرمزية ، والشاعرية ، والشفافية ، وغير ذلك من السمات التى نجدها فى لغة روايتنا ...

ومن أمثلة الجمل الرمزية :

● يصف البطل نفسه فى حالات عدم الوصل بقوله : « فلا يتبقى الا قفر المفازة وغول الطريق » ..

وقوله « مفازتى موحشة » .

والقفر ، والمفازة ، والغول ، والوحشة ، كلها ليست أشياء حقيقية هنا ، بل هى مجرد رموز تصور حالة البطل الداخلية .

وإذا تركنا الحديث عن الطابع الرمزى للغة الى الطابع الشاعرى الشفاف لها لوجدنا الكثير مما يقال ، فنحن هنا أمام لغة شاعرة ، فياضة ، والأمثلة كثيرة :

● يصف كاتب الرسالة حاله فيقول :

« ... فأنا حائم ، ماض دوار ، مأسور ، محترق بذاتى ، منتقل من كينونة الى كينونة ، لا راد لى ولا كابح » .... الخ » .

● ويصف ما رآه فى عينى محبوبته :

« حاولت النفاذ عبر عينيها ، فأقلعت عبر رياض ومفازات ولمست قمم أشجار نادرة ، وجزت وديانا وبيدا ، وطفت بمدن لم أطأها ، وفاتتنى أرض لن أبلغها الا بشق الأنفس ، رافلا فى نعيم .... الخ » .

إنها لغة شفافة ، تحرك المشاعر بايقاعها السريع ، ومفرداتها الموحية ، لكن ينبغى هنا أن أطرح سؤالا ، هو :

هل اللغة الشعرية وقف على لغة التصوف ؟

الاجابة : لا ...

لكن الشاعرية هنا جزء مكمل للطابع العام للغة الصوفية ، وتسهم مع القاموس الصوفى ، والتعبيرات الصوفية ، والسمات الأخرى للجملة الصوفية فى رسم الجو العام الذى أراد به المؤلف أن يضرب الواقعية فى روايته .

●

فى ضوء ما مضى إذن يمكن القول : إن النظرة الصوفية أصبحت هى الطريق الوحيد أمامنا لتذوق هذا العمل ..

وأعنى بالتذوق هنا المفهوم الصوفى للكلمة ، من حيث أن الادراك الذوقى (القلبى) هو ضد للإدراك العقلى .

والرواية فى ظل هذه النظرة الذوقية تعكس تجربة روحية رمزية للكاتب ، حظى فيها بالوصل مرة ، ثم عاش محروما من تكرار الوصل ، يتذكر ماكان ، حتى بعدت به المدة ، وداخله الشك فى أن ماحدث قد حدث ، فراح يجأر بالشكوى لنفسه ، إذ اتحد فيه الشاكى والمشكو اليه فى وقت واحد .

تشكك فى نسبة العمل للرواية

وقد يعترض القائلون بأن الرواية عمل فنى موضوعى على تجربة الغيطانى باعتبارها تجربة ذاتية ،

باطنية ، وبالتالي يرون ضرورة ابعادها من ميدان الرواية .. لكن مانلاحظه أن الغيطاني كان يحدس بهذا ، لذلك قدم في روايته مستويين :

- **مستوى باطني**
- **مستوى ظاهرى**

وقد تحدثنا من قبل عن المستوى الباطنى ، وسنواصل الحديث عنه بعد قليل ، لكنا نتوقف قليلا للحديث عن المستوى الظاهرى ..

القضية الأولى التى تبرز على هذا المستوى هى قضية الزمن ...

إن دوران الزمن يزعج بطلنا طوال الوقت ، لأنه يجعل كل شىء يحمل فى ذاته نقيضه ، نهايته ، وهذه الحقيقة أفسدت عليه حياته ، ضيعت بهجة اللقاءات ، وفوتت عليه فرصة الاستمتاع بأية لحظة جميلة ..

وتصل مشكلة البطل ذروتها حين يشعر أن الحياة نفسها تحمل بذرة الموت ، لأن هذه الحقيقة تصيبه بما يشبه الكابوس ، وتنتهي به الى محاولة الانتحار ، والتردد على عيادات الطب النفسى ، والقلق الدائم حتى نهاية عملنا الفنى .

ولاشك فى أن الغيطانى كان ذكيا اذ اختار هذا البعد بالتحديد ليكون البعد الظاهرى الأول فى روايته ، لأن فكرة الزمن ليست بعيدة عن جوهر تجربته ، بل هى مدخل اليها ، والتأكيد على الطابع الزمنى للانسان ومايتتج عنه من أحاسيس ومشاعر مثل : حتمية الموت ، وعدم بقاء أى شىء ... التأكيد على هذا يجعل التفكير فى الخروج من محدودية الطبيعة البشرية ، والسعى للتعلق بما هو إلهى ودائم أمرين مشروعين .

والقضية الثانية التى تبرز على المستوى الظاهرى هى التحول الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى فى الستينيات ... فبطلنا الذى يحمل فى نفسه رغبة فى اصلاح العالم ، كان مضطرا الى الوقوف فى وجه الأوضاع التى عاصرها فى هذه الفترة ، وقد شارك ـ حين فاض الكيل ـ فى التظاهر ضدها ودفع ثمن ذلك أياما ثقيلة فى المعتقل ، شعر بعدها بالانكسار وابتعد عن المشاركة الايجابية ..

وصديق البطل الذى رافقه فى رحلته العلمية الى الاتحاد السوفييتى ، كان عليه أيضا كرجل عمارى شريف أن يخوض حربا مع اللصوص الجدد ...« لصوص المقاولات » ... وناضل كى يثبت على الطريق ولا يميل مع من مالوا الى الهوى ...

ومما يحسب للغيطانى قدرته على الربط بين هذه القضية الظاهرية والبعد الباطنى لروايته ، ولعل النص التالى من الرواية يوضح هذا :

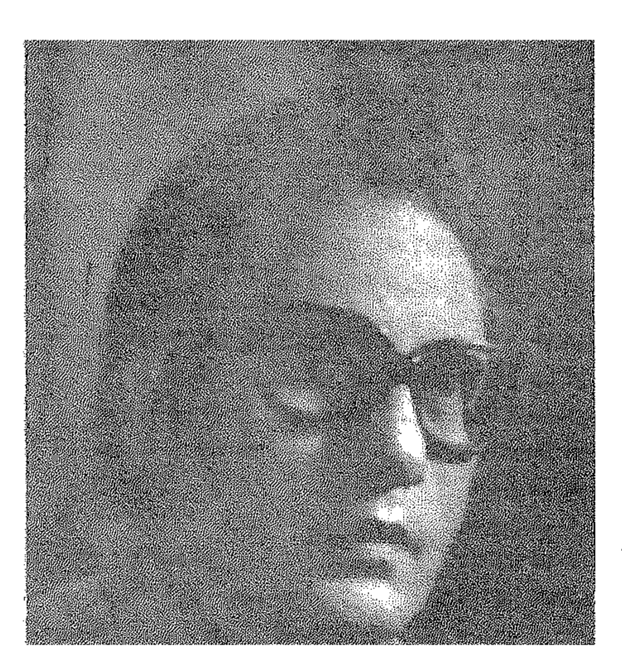
« ... حتى حلت سنوات العقد السابع فتدنت الأحوال ، وتقهقرت الأمانى ، وتقلصت الساحة ، حتى ضاقت فأصبحت ذاتي ، صار همى أن أقيم المراصد والقلاع على عجل حتى يبقى الجوهر سليما والنواة بمنأى » .

إن هذا النص يقدم لنا التبرير لتحول البطل الى عالم الصوفية ، لذا فإنه رغم ارتباطه بالبعد الظاهرى يلقى لنا ضوءا على البعد الباطنى (فيما يتعلق بشخصية البطل) .

الشاعر فتحي سعيد في ديوانه

بعض هذا العقيق

بقلم : الشاعرة جليله رضا



فتحي سعيد

جواز سفرى : العالم
الغربة : مسكنى
العنوان : عاصمة الاحزان
رقم البنيان : ميدان النسيان
الاسم : مسافر
المهنة : شاعر
الريح : جواد
البحر : مداد
مجهول السن من كثرة ما ترك الزمن من البصمات
يبدو في سن الاهرامات
يتألم لكن لا يتكلم . وجهته شطآن . نحو المبهم .. نحو المبهم .

هذا هو شاعرنا الكبير « فتحي سعيد » يتكلم عن نفسه في صدق وصراحة . وجزاه الله خيراً فقد كفاني حيرة وصفه .

وعندما أسعدني الحظ وهممت بقراءة ديوانه « بعض هذا العقيق » احسست أولا في العنوان عذوبة لفظ شفاف ثم أوغلت في صفحاته هامسة :

هذا شعر جيد وهذه أفكار فنان موهوب ·
والحق أقول · ان شعره لم يدهشنى فالشاعر فتحى سعيد أحد الذين يتزعمون المدرسة المتحررة الابتداعية ·
وله قصائد فى غاية الجودة والاصالة وديوانه هذا يحتوى على الكثير منها ·
وانى اذ ابدأ بعرض الديوان اقتطف من كل حوض زهرة دون أن اتقيد بموضوع القصيدة ·
لقد عرف شاعرنا كيف يسمو بشعره حين أضفى عليه لمسات ذكاء وخيال فخرجت الابيات مغلفة بتركيبات مبتكرة يتطلع اليها القارىء برهة قبل أن يستوعب معناها ثم يكمل رحلة القراءة فى متعة واعجاب ·
ومادام القارىء قد تفهم مضمون القصيدة فقد وفق صاحبها فى توصيل تجربته اليه وهذه أولى عوامل النجاح ·
مثال ذلك في قصيدة « الليلة ماذا » يقول الشاعر :

« الليلة ماذا ؟ الليلة تقتات بطعم تذكارى
نقبض بالمنظار الى ايقاع الافكار
نوقعها بحبائل رؤيا عشوائية
الليلة ماذا ؟ ·· الليلة قلبى هاجر
يقرع اجراسا كاتدرائية
ينقض على مملكة الكلمات الميتة الحبلى
بعجائب دنيانا السفلى
نغمد نصل المتناهي فى قلب الاخطاء السرية
ونشد بها قوس الاشعار المطوية »

● الانفعال والتجربة

وهكذا فالشعر الجيد لا يقف عند حدود التعبير الواقعى بل يتخطاه مستحضرا ما هو فوق الطبيعة ·
وكثيرا ما ينبثق الشعر الجيد من ذلك المزيج العجيب الذى يحدثه اقران الذكاء بالخيال ·
ولكن ذلك لا يمنع من وجود الموسيقى العذبة فى شعر صاحب الديوان ولا من الانفعالات المصاحبة للتجربة ·
فلكى تؤدى الصورة مقاطع دورها لابد أن تساير الانفعال وجوه ·
وفتحى سعيد متأثر بشعر شارل بودلير شاعر فرنسا الكبير فيهتف موجها اليه قصيدته :

« يا شاعرى الرجيم ، يا طفلى اليتيم ·· يا صاحبى العظيم
الجرح ·· والسكين ·· والجلاد ·· انت والغريم ·
أرجوحة الشذى وليلك السقيم
مباخر السموم ·· بواخر الكروم »

وهكذا يميل شاعرنا الى الشاعر الفرنسى رغم ما فى حياة بودلير من أحداث جسام ولكن شاعرنا ينظر الى الجوهر ويعطف على اخيه الفنان البائس وينظر الى فنه بعين الدهشة والانبهار ·
والحق فان بودلير كان عظيما فى شعره كتب عنه جاك مارتيان يقول :

« ان الدور الرئيسى الذى لعبه بودلير ورامبو هو كونهما ادخلا على الفن الطريقة المؤدية الى الروح • انهما اداروا ظهريهما للشعر العالم الرومانتيكى الذى يعج بالاناقة اللفظية ويخب فى ثوبه الفضفاض • واندمجا على عكس ذلك فى الابهام لانهما شعرا أن عليهما أن يستقبلا الحياة بهذه الوسيلة حتى يتسنى لهما حل الغازها » ••

أجل •• لقد أغنى بودلير ورامبو الشعر بتصوراتهما الجديدة واحتلا آفاقا لم تكن قد اكتشفت بعد وادخلا فى الشعر نوعا من الحزن أما لغز الوجود •

ويمضى الشاعر فتحى سعيد فى قصيدته «الافعى» وهى تعبير عن ذات القصيدة وصفتها • وانى أرى انها تدعو الى قراءتها بما فيها من طرافة وحبكة فنية ولقد ذكرتنى بقصيدتى التى أسميتها « الزائرة الحسناء » صفة للقصيدة •

ويصف شاعرنا كيف فتح الباب ذات مساء شديد البرودة فيقول :

اشتد عواء الريح • فاصطك صرير الباب
انفرج فقلت انجاب
الله الغائب آب •• فاطلت راس الأفعى •
جاءت تسعى • دارت بالغرفة طافت بالاركان
فتحت السنة النيران
وثبت اعانقها ، أفسحت مكان •
رجفت •• رقصت واعتصرت من دمها قارورة عطر
ولبست لها جلد الثعبان •• قدمت لها كأسا •• شربت
قدمت لها أخرى • ثملت ، خرجت تترنح سكرى
وتلوت فى الاحشاء •• قصيدة شعر ••

● حزن مؤلم

ونأتى بعد ذلك الى شعره الوطنى فى ديوانه « بعض هذا العقيق » فهو وان كان قليلا لكنه على اية حال واجه جميع احداث الوطن فى تحد وعنف •

ففى قصيدة « كل شىء » وانا اسميتها القصيدة السوداء • فان كل شىء على وجه الارض يخيل الينا عند قراءتها انه مات • حتى شبح الموت نفسه وذلك عقب أحزان يونيو فى عام النكسة حيث يقول :

كل شىء جف •• مات • الهوى والاغنيات
فرحة الاطفال •• احلام البنات
نشوة الآباء •• زهو الامهات
الفراشات وزهر الربوات
الق الحقل وأعواد النبات
باحة الدار وصيف الامسيات
كل من فيها موات فى موات

تصوير محزن مؤلم تشدنا اليه قسوة المعاناة الشعرية والعذوبة المنطوية تحت عبء الكلمات الحزينة والبحر الجنائزى وموسيقاه الشجية وهذه الالفاظ وكلها كلمات تبكى مع القصيدة • مثل فرحة ، احلام ، نشوة ، زهو ، الهمس والناى وأعواد النبات وبقية القصيدة لا تقل روعة وجمالا عما سردت من أبيات قلائل •

واليوم وقد ســاد الشعر الهادف وازداد نتاجه وبرز المشـهد السياسى والقومى والاجتمــاعى تحت الاضواء · فقد واجه الشعراء مشكلات الارض وما عليهـا ·

وهكذا يعرض لنا فتحى سعيد مواضيعه اليومية بكل ما تعج من مظاهر واحداث ، يعرضها فى لغة سهلة واضحة احيانا وحينا يكتنفها غموض سائد ولكنه ملىء بالطرق الايحائية للتعبير عن ذاتيته وترجمة اســـــراره ·

وفى رأيى مهما كان الشعر غامضا فبالقليل من التأمل نصل الى نفس تفهم الشعر الواضـــح ·

ذلك أن الغموض ـ شبيه بعضهم ـ بالهبوط اللولبى للفر ـــة نحو الزهرة حيث يبدو عليها التردد فى كل نقطة من نقاط طيرانها ثم بغتة نرى ، عندما تلمس الفراشة الزهرة ، أنها كانت متجهة نحوها منذ بدء طيرانهـــا ·

وعلى كل فالمهم فى الشعر أن يثير وأن يؤثر · يثير صاحبه ويؤثر فى قارئه سواء غمض أو وضح ·

فهناك اذن موازنة رائعة تقوم بين عقل وحس شاعرنا ·

تلك الموازنة التى تشهد على توحد العالم الخـــارجى والداخلى لديه وبينه وبين الحقائق المنطوية فى أغوار نفسه ·

وييأس الشاعر من وفاء الاصدقاء ومن اخلاصهم وتعاونهم فيشكو كما يشكو كل انسان من أخيه الانسان ·

ولكنه شاعر · حزنه أشد وطأة وأعمق · وليس له من وســـيلة للشكوى غير الشعر يتلوه فى اذن صديقه فيتثاءب :

شكوت مرة لصاحبى فضاق بى
وقلت دعه للمســاء ربما اذا الشراب
امتد بيننا وطاب ·· يحلو له الاصغاء ، يشتهى السماع ··
واقبل المساء ·· ودب فى عروقنا الخدر
وعندما شرعت فى تلاوة القصيدة
تثاءب الضجر · ومد كفه يعابث المذياع
ومد عينه يقلب السطور فى الجريدة !
ويتلو شكواه على القريبة لكنها :
مالت ·· علا غطيطها · سحبت فوق الغطاء
نامت ··
وفى الصباح اقبل الاثنان
والصقا بى تهمة الكتمان

وفى قصيدة « حادث يومى » يتجسد القصـــيدة بكل ما فيها من معان فى حقيقة الحادث حيث يتقابل الغرباء فى مكان ما يتيحه القدر ، يتبادلون الحكايات وأنباء الزوجات والابناء ويحلو السهر · حتى اذا انفض السامر مضى كل فى سبيل كأن ما كان لم يكن :

وتبادلنا القبـــلات
وتبادلنا الاحضـــان
وكتبنــــا فى الورقات
الهـــاتف ·· والعنوان

ثرثرنا كالعادة حول قضايا الانسان
وبكينا الاطلال ومسحنا بالاركان
وتذاكرنا ضجر الزوجـات
وبعض شقاوات الابناء
ونفثنا حلقـات الدخان
فى نهم ·· وقصصنا أجنحة الاشياء
ونفضنا أعقاب سجائرنا فوق حروف الشعراء
وينهى الشاعر قصيدته فى سخرية :
وابتلعتنا الطـرقات
وانحدر كلانا تتعثر عيناه خلف العدسات
فى أول منعطف صادفناه
مزقنا الورقـــات »
قصيدة صريحة صراحة الشـاعر نفسـه لانفاق فيهـــا ولا ميوعة عاطفية ، هى حادث يومى يتواجـــد فى كل مكان ولكن الامر هنا يتعلق بالشاعر ، بل بشاعر مرهف وعين لماحة ورغبة فى أعماقه تصيح « لو كانت الحيـاة غير ذلك » ·
وقبل أن أترك ديوان « بعض هذا العقيق » للشـــاعر فتحى سعيد استعرض مع القارىء بعض أبيات من قصـــيدة « كان ليلا » وهى عن شهيد كربلاء · ويقول الشـــاعر فى حزن ·
كان ليلا مترع الشجو يتيم الانبياء
خضب الدم حناياه ففر الندماء
تحت جنح من ســواده
فذراع فى الهواء
وذراع تنزع النجمة من صدر السماء
وذراع تدفع الريح وتجرى فوق ماء
كشراع
وذراعفى نجيع الشـــهداء
وذراع فى ذراع فى ذراع
تتدلى فى العـــراء
فتردى عن جـــواده
مستطار اللب مسلوب النداء
واســـتفاقت كربلاء
بعض أشـــلاء وأنهار دماء
ذات ليل موجع الشجو يتيم الانبياء ·
وأظننى بعد هذا قد تناولت الكثير من قصائد فتحى سعيد ووضعت أمام القارىء صورة واضحة جلية لا يعوزها الشرح يستطيع من خلالها أن يدرك اتجاهات الشاعر الفنية ·
ان الشاعر فتحى سعيد شخصية أدبية مستقلة فى التفكير والتعبير ، ذو ثقافة واسعة استمدها من قراءاته واطلاعه ·
وديوانه « بعض هـــذا العقيق » يمثل عقلا نفذ الى أعماق الوجـود والحيـــاة ··

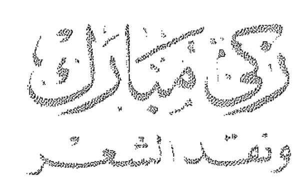
عرض كتاب :

زكي مبارك ونقد الشعر

بقلم: صافي ناز كاظم

مع مجموعة من ظلموا من اعلام تاريخنا الادبي ،الذين تاهوا في صراعات التعصب حين تركزت بقع الضوء الاعلامية على اسماء بعينها لتتوجها بمفردها اعلاما للاستنارة والنهضة في مصرنا المحروسة ، بينما غمط حق من وقفوا باقدامهم ثابتة وحدهم دون مريدين او اصدقاء او مزورين ، مع مجموعة من ظلموا هؤلاء يقف الدكاترة زكي مبارك رائدا شامخا من روادالنقد العلمي الفني ، الادبي ، الابداعي .

ولقد استشعر الدكاترة زكي مبارك هذا الظلم حتى ابان شهرته وهو على قيد الحياة يملك قلما بتارا مشهورا مثل السيف المصلت الحاد ، عبر من خلاله عن شهادته بعبقريته وشهادته كذلك بانه نبي مهان في أرضه وانه لو توفاه الله فلن يعوض : « ... اذا كان لي ما ابكي عليه يوم وفاتي فهو ذلك المعنى ، سأذكر ان الدنيا كان فيها رجل واحد يشقى ليسعد الصديق ويموت ليحيا الصديق .. ثم ماذا ؟ سأذكر حين أموت انني كنت أكرم خلق الله في رعاية الجمال وسأذكر ان الله اصطفاني لهذه الرسالة الروحية ... سأسى عليكم يا بني آدم حين أموت فقد كان في نيتي أن أسعى لتحقيق فكرة السوبرمان لتعيشوا في دنياكم عيشة شاعرية ، ولكن ماذا أصنع وأنا كما تعلمون لا أملك فسحة الاجل ولا طول البقاء ؟ سأتحسر يوم أموت على ضياع الثورة الشعرية التي تموج في قلبي ووجداني ولن يكون لي الا عزاء واحد ، هو أن الله شاء أن يحرم العالم من رجل كله قلب ووجدان ، لان العالم لا يستحق أن يحيا فيه قلب مثل قلبي ولا يستأهل أن يعيش فيه رجل يملك ما أملك من عظمة النفس وقوة الروح والعالم من بعدي هباء في هباء .. ! »



زكي مبارك

ونقد الشعر

(زكى مبارك ونقد الشعر ص ٢٢ ، ٢٣) ٠

ولد زكى مبارك بقرية سنتريس ، بالمنوفية فى ١٨٩١/٨/٥ وتوفى فى ١٩٥٢/١/٢٣ ، أى انه لم يكد يبلغ من العمر الا الستين ، حصل خلالها على أكثر من شهادة دكتوراه فى الادب والنقد من مصر ، ومن فرنسا حتى استحق أن يلقب : بالدكاترة زكى مبارك ٠ كسب عداء معظم أقرانه وأبناء جيله الذين رموه بالغرور وسلاطة اللسان ، واذا كانت هذه حقيقة فهى نتيجة للاحساس بالظلم : فالظلم والتجاهل يولدان نقيضين : اما النهوض للدفاع ، بكل أسلحة الدفاع ، أو الاكتئاب واليأس والاستسلام للجحود بل وأحيانا بالتزلف له فى هزيمة كاملة !

ولم يكن الدكاترة زكى مبارك ممن يرضون بالهزيمة أو التصاغر ، ولذلك كان استحضاره لفرديته « السوبرمانية » ليخرج على الجميع فارضا عبقريته بالقوة : قوة العمل الجاد المتواصل الدءوب العميق الغور ، والذى لا يخلو فى نفس الوقت من الدعابة و « الدردشة » مع الرشاقة وخفة الظل المتناهية الذكاء ٠ ومع قوة عمله كانت لديه ايضا قوة الاستغناء عن تقييم الاخرين له ، مفضلا أن يقيم نفسه بنفسه : « فى يقينى أننى سأحول النقد الادبى فى مصر تحولا جديا وسأعلم القراء كيف يبحثون عن **الحجج والبراهين قبل أن يغرموا بتلمس النزوات الصغيرة التى يلقى بها الكتاب هنا وهناك وهم يتجادلون ويتحاورون** » ٠



(زكى مبارك ونقد الشعر ص ٣٧)

***

مع مؤلفاته التى أهمها كتابه « النثر الفنى » ، تناثرت مقالات زكى مبارك الغزيرة ، ونشر معظمها فى مجلة الرسالة ، واستطاعت ابنته الاستاذة كريمة زكى مبارك – فى ولاء مستميت من جانبها – أن تجمع بعضا من هذه المقالات وتكون منها وحدة موضوع هو:

« نقد الشعر » ، وتضمنت هذه المقالات دراسات – لها أسلوب الحديث الودود المنساب كالجدول الرقراق – عن : ديوان محمود سامى البارودى والذاتية البارودية ، وديوان حافظ ابراهيم ، والجزء الثانى من الشوقيات، وتعريف بالبهاء الزهير ، وديوان علم الدين المحيوى وحياته ، وأخبار ومدرسة أبى تمام ، واشعار ابن النحاس وديوان الشاعر العراقى السيد محمد سعيد الحبوبى · وهذه المقالات هى نماذج تطبيقية للمنهج النقدى للدكاترة زكى مبارك الذى يعمد الى جذب الفاكهة من قلبها فى احتجاج غير خاف على هؤلاء الذين يملئون معدة القراء بالقشر الجاف حتى التشبع بالملل وسوء التغذية ، فلا يصلون أبدا الى بؤرة التذوق الممتع·

وزكى مبارك فى طريقته هذه يرفع قلمه ليطيح باراء د · محمد حسين هيكل فى البارودى ، والاستاذ أحمد أمين فى مقدمته لشرح ديوان حافظ ، ثم يقربنا من شخصية كل من حافظ و شوقى الانسانية بضعفها ولمحات شرها ، ويجعلك بسرد هذا الضعف والشر للشاعرين الكبيرين اكثر حبا لهما واكثر قربا ·

***

انك عندما تقرأ هذا الكتاب « زكى مبارك ونقد الشعر » اعداد كريمة زكى مبارك – وهو من سلسلة كتاب الزهراء للاعلام العربى – تتغلغل فيك **الفائدة وتشعر بالصحة الفكرية والمتعة الثقافية ، وتعرف كيف يمكن أن ترتاح وانت تزداد علما ووعيا من ناقد ابداعى كان يجب أن تؤرخ به هو بداية النقد العلمى وليس الدكتور محمد مندور – الذى جاء مع زملائه د · لويس عوض و د · على الراعى و د · أنور المعداوى جيلا من بعده – كما يزعم المدروشون المتعصبون لمذاهبهم السياسية على حساب الحقيقة والعلم والتاريخ ، هؤلاء الذين يحسبون دائما أن الدنيا ليست سوى انوفهم القريبة جدا من أعينهم والتى لا يرون غيرها لضعف بصرهم الشديد ·**



رسالة ألمانيا

من : مصطفى نبيل

■ التعويض

أحدث مسرحية تبين كيف يكفر الألمان عن عقدة الذنب!

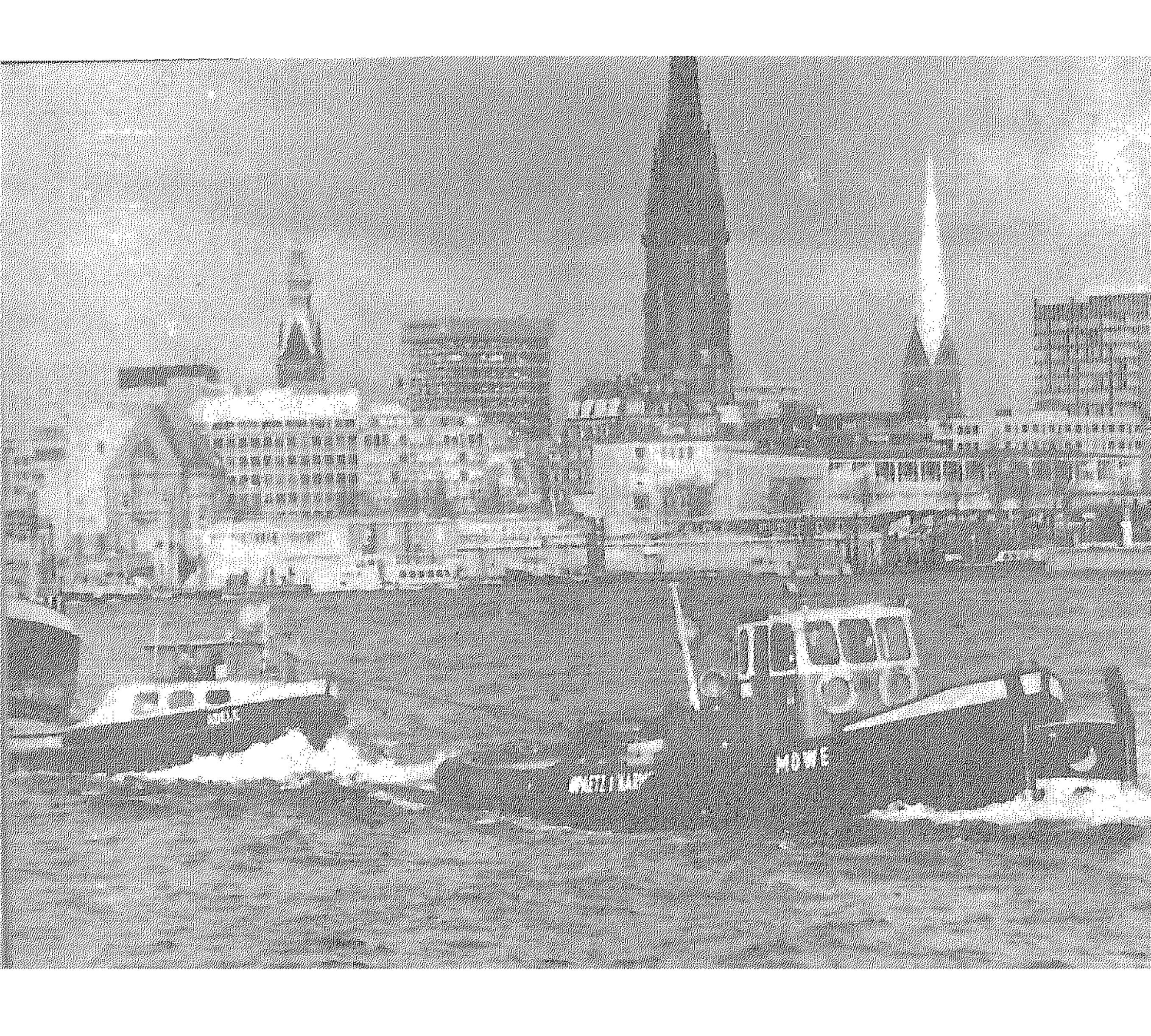
■ عندما تساءل رئيس الجمهورية.. من هو الألمانى؟

■ الوحدة العربية والوحدة الألمانية

ليس من رأى كمن سمع ، وليس من شاهد كمن قرأ ، وتلك هى حكمة السفر .

تملكنى هذا الشعور عندما كنت أتجول فى أنحاء ألمانيا الاتحادية ، بين مدنها ومصانعها ومعاهد بحوثها الاستراتيجية ، أحاور العديد من المسئولين والكتاب والمواطنين .

ميناء هامبورج ، بوابة ألمانيا على العـــالم ،
وتظهر المبانى التاريخية ، مع العمارة الحديثة



أبحث خلف السطح عن سر التقدم ، الذى حققته ألمانيا .. والذى لا نملك أمامه سوى أن نحمل معنا همومنا وقضايانا ، نقرأ الأشخاص

والأحداث والقضايا بعيون عربية ، نقارنها بالسطور المنقوشة على صفحات بلادنا ..

صور التقدم تراها فى كل مكان ..
عندما أتجول فى مصنع رونالدز ، الذى أقيم فى منطقة هادئة خارج ميونيخ ، والذى ينتج آلات الطباعة والديزل والبواخر ، الصناعة هنا هى سر التقدم ، ومحصلة المعرفة والتجربة الانسانية ، النظافة الشديدة والنظام الدقيق فى كل ما حولك ، وخلال زيارتى التى استمرت نصف يوم ، لم أشاهد عاملا يرفع عينه عن الآلة التى أمامه ، الانسياب فى المصنع يتم بصورة دقيقة لا تسمح بأية مفاجآت ، مع حركة تطور دائم ، توسيع وتجديد ، المصانع القديمة جنبا إلى جنب مع المصانع الجديدة ، عملية مبرمجة للانتقال الى عصر ما بعد الصناعة ، التى تستخدم الالكترونيات والكمبيوتر .

هل سر التقدم يكمن فى المتاحف والمعارض والمسارح المنتشرة فى كل بلدة مهما صغرت ، ؟ والتى تقدم العروض الفنية المختلفة ، والتى أبدع مصمموها وزينوها باللوحات والتماثيل ، يحتشد الألمان بنظام شديد أمام أبواب مبنى « الفيللا رمونى » فى برلين يستمتعون بروائع الموسيقى ، ويستقبلون الفرقة الموسيقية بحماس منقطع النظير ..

هل سر التقدم يكمن فى وضع كل فرد فى مكانه الصحيح ؟ ، لقد لاحظنا أن كل من التقينا بهم فى مواقع العمل المختلفة ، الرسمية أو فى معاهد البحث ، يتمتع بالكفاءة العالية ، وأن ما يقومون به ليس مجرد عمل وانما رسالة مقدسة يحملونها بكل الصدق والجدية ..

هل سر التقدم .. أن ألمانيا الاتحادية وهى الدولة الرأسمالية ، تقدم التعليم المجانى فى كافة مراحله ، بما فى ذلك الجامعات ، بل وتقدم الحكومة للطلبة غير القادرين قروضا يسددونها بعد تخرجهم ، بشرط حصولهم على أجور تمكنهم من السداد ، وأن أحد المهام الرئيسية للحكومة الاتحادية تقديم العلم ونشر المعرفة ، واعتبار التعليم المدخل الصحيح للنهضة وأتاحة الفرصة أمام كل قادر ، لذلك سبقت ألمانيا العالم فى تضافر العلم والصناعة ، ومازالت قوانين التأمين الألمانى ركنا هاما من أركان التقدم وكانت ألمانيا سباقة فى العمل بهذا النظام والذى بدأته فى سبعينيات القرن الماضى أيام بسمارك ..
ومازالت ألمانيا تقدم كافة أنواع الدعم للمنتجين .

● الخراب والعمار

تقدم تلك الصور المتلاحقة الاجابة على سؤال كيف انتقلت المانيا من الخراب والدمار بعد الحرب العالمية الثانية الى العمار والحضارة ، بعد أن دمرت معظم مدنها ، وبعد خسارتها

لسبعة ملايين من أبنائها خلال الحرب ، وكيف أصبحت أعظم قوة اقتصادية فى غرب أوربا ، فسر التقدم مرهون بارادة الانسان وقدرته على البناء ، وتصميمه فى كل الظروف على الانتصار .

فبعد هزيمة ألمانيا ، وتقلص مساحتها ، وبعد أن كانت تمتد من النرويج حتى جبال البرانس ، انكمشت واقتطعت منها أراضى السوديت وعادت الى تشيكوسلوفاكيا ، وعادت الالزاس واللورين الى فرنسا ، وعادت أجزاء من أراضيها الى بولندا ، واختفت أو كادت بروسيا ، وتوزع الشعب الألمانى إلى دول ثلاث ، ألمانيا الاتحادية وألمانيا الديمقراطية والنمسا .

وأثبتت التجربة الألمانية أنه رغم كل هذه الأهوال خرج الشعب الألمانى من الممر المظلم الطويل ، ورغم خسارته أرضه ملك إرادته وأعاد بناء معظم مصانعه التى دمرت ، بل وكانت فرصة لتجديدها وتحديثها ، ويرفض الألمان إطلاق كلمة « المعجزة » على ما تم إنجازه ، باعتبار أنها وليدة عمل الانسان وقدرته على التخطيط ، والتحرك فى إطار الفرص المتاحة ، واستفاد من الأموال الأمريكية التى تدفقت طبقا لمشروع مارشال ، ولم يبددها ، وأحسن استخدام الاستثمارات الأمريكية التى قدمت فى المشاريع المشتركة من أجل تطوير صناعته ، كما أجاد توظيف التيار الجارف من اللاجئين من المناطق الألمانية المختلفة كأيد عاملة مدربة ، واستغل تخففه من الميزانية العسكرية من أجل البناء ، وهو ما استمر حتى عام ١٩٥٥

وأصبحت ألمانيا الاتحادية اليوم أكبر قوة إنتاجية فى دول السوق الأوربية المشتركة ، تقف عملتها مع العملة اليابانية فى صدارة أقوى العملات فى العالم ، أقوى دولة صناعية بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى واليابان ، وحتى ألمانيا الديمقراطية التى تختلف فى نظامها الاجتماعى تحتل الترتيب التاسع ، وهى الأقوى والأغنى فى دول أوربا الشرقية ، ولا يسبقها سوى الاتحاد السوفييتى .

وأصبحت الأوضاع الاقتصادية لألمانيا الاتحادية تفوق الكثير من الدول التى انتصرت عليها عسكريا ، فهل يكمن السر فى الشخصية الألمانية .. ؟ فالشعب الألمانى شعب عاطفى - رغم ماتراه من تجهم - أحيانات يتفانى فيما يقوم به ، ولديه قدرة على التنظيم والعمل الجماعى ، وكل فرد يؤدى ما يوكل اليه على الوجه الأكمل ، ويتمتع الألمانى بقدرة عالية على التبسيط ، مما يساعد على الانجاز ، كما لا يفوق الشعب الألمانى شعب أوربى آخر فى كثرة المطالعة ونوعياتها الجادة ، وهو شعب فنان ، تسمع فى كل مكان الألحان العزبة ، ويكفى أنه قدم عبقريات لاتضارى فى الموسيقى ، والملاحظ أنه لم يتفوق فى كل مجالات الفنون ، فإذا كان قد قدم كبار الموسيقين فإنه لم يقدم ذات المستوى فى السينما مثلا .. !

● صورة الألمانى

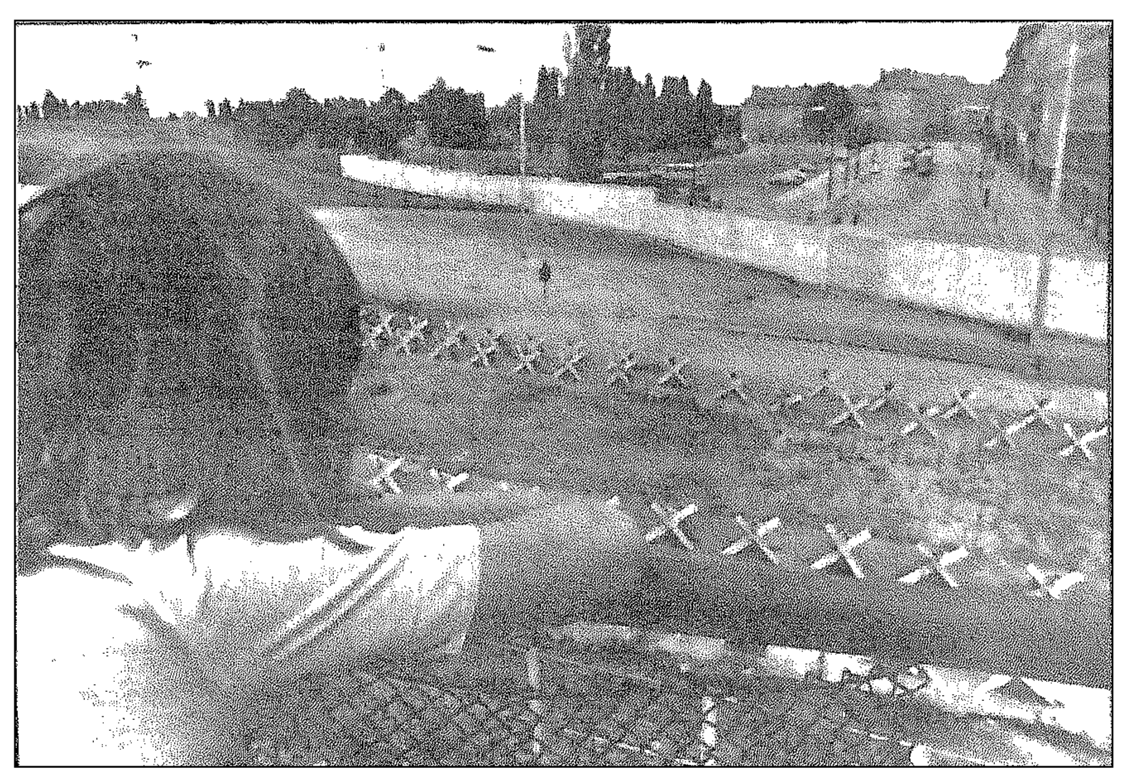
وكانت التجربة الألمانية على الدوام

محل تقدير فى عيون المصريين ، ومازالت المنتجات الألمانية هى الأفضل من سواها فى الأسواق المصرية ، فتثق فى قدرة الفن الألمانى ، ومازال يتردد على ألسنة العامة أسماء لاقتصاديين ألمان ، مثل شاخت وايرهارد ، ولعل ذلك يعود الى أن ألمانيا ليس لها تاريخ استعمارى مع العرب ، وأن المستشرقين والرحالة الألمان كانوا الأكثر إنصافا ..

ولم ينل من هذه الصورة ، ما وقع فى المانيا خلال القرن الماضى ، وأنها كانت على الدوام قوة صناعية كبيرة ، ولكنها متخلفة سياسيا ، فقد تأخرت فى تحقيق وحدتها القومية ، وحافظت طويلا على أباطرتها وملوكها ودوقاتها ، وتخلفت فى الأخذ بالمبادىء الليبرالية والديمقراطية ، وتخلفت فى المنافسة الاستعمارية الضارية التى نشبت بين الدول الأوروبية والتى كان مسرحها العالم كله ، هذا رغم ريادتها للدول الأوروبية فى العلوم والثقافة والفلسفة والموسيقى .

وكانت كلما نهضت تساق الى حرب ضارية ، وقد اشتبكت خلال المائة عام الاخيرة فيما لا يقل عن خمس حروب ، عام ١٨٦٤ و عام ١٨٦٦ وعام ١٨٧٠ وعام ١٩١٤ وعام ١٩٣٩ ، وكانت أهم

السكين التى تشق قلب برلين ، وبعد سنوات التقسيم الطويلة ، تقف على جانبى السور ، قيم متباينة ونظرة الى المانيا والعالم مختلفة ...



أسباب خسارتها فى الحربين العالميتين الأخيرتين عزلتها داخل أوربا ، وعجزها عن كسب حلفاء يعتد بهم . !

● الأزمة عندنا وعندهم

ونعود إلى جولتنا ..

يخيل إلىّ أن الكلمات عندنا لاتحمل ذات الدلالات عندهم ، فالأزمة عندنا ليست كالأزمة عندهم ، فرغم ما يتردد حول الأزمة الاقتصادية ، وأزمة البطالة ، وانهيار البورصة ، وانخفاض معدل الانتاج ، تجد الأسواق عامرة بأفخر المنتجات ، ويكاد العالم الغربى لا يعرف ارتفاعا فى مستوى معيشته مثل ما يتمتع به فى وقتنا الراهن ، صحيح تواجه المانيا بين وقت وآخر أزمات أو عقبات ، ولكنها تعالج على أنها تحديات ينبغى التغلب عليها وسرعان ما تتخطاها ، بعد أن تشخصها وتضع الحلول اللازمة لمواجهتها ، ولديها الأدوات التى تمكنها من التغلب عليها أو التقليل من تأثيرها .. ولا يتسع المقام هنا لعرض آليات النظام الاقتصادى وقدرته على تصحيح مساره ..

● التعويض

ولكن لكل شعب أزماته ومشكلاته ..

ولعل أبرز المشكلات فى ألمانيا هى الفجوة الكبيرة بين الأجيال ، ورفض الجيل الجديد للمنطق الذى تقدمه

تشكيل على الزجاج في نافذة احد المباني التاريخية ...



ترك سكان برلين الغربية هذه الكنيسة ، وعقارب ساعتها كما هي ، لترى الاجيال الجديدة أهوال الحرب ...



الاجيال التى عاشت الحرب العالمية الثانية ، مما يعكس الفجوة بين الحاضر وصور الماضى ، فالجيل الذى شهد الحرب يحتل المناصب القيادية ، وترى الأجيال الجديدة أنه مازالت تحكمه عقدة الذنب ، والجيل الجديد ليس لديه هذا الشعور ، بل ويستنكره ويطالب الجيل السابق بالكف عن تعذيب الذات ، والتوقف عن إجترار الماضى وكثرة الحديث حول جرائم النازية فى كل وسائط الاتصال !

وينعكس الجدل بين الأجيال على الكثير من الأعمال الفنية ، لعل أبرزها مسرحية « التعويض » لكاتبها مايكل شنيدر ، التى كانت تعرض خلال زيارتنا والتى تؤكد أن ذات الأسر وأحيانا ذات الأشخاص التى كانت تسيطر على الحياتين السياسية والاقتصادية أيام حكم النازى ، مازالت هى ذاتها التى تسيطر اليوم على الحياتين السياسية والاقتصادية ، مما يدفعهم الى « التعويض » عن طريق ترديد جرائم الماضى ، كأحدى صور الدفاع عن الذات واستقبلتها الأجيال الجديدة بحفاوة بالغة كتعبير صادق عن الواقع الذى يعيشونه .

ويدور جدل أخر حول التاريخ وكيفية معالجته ، وهو موضوع يرتبط أيضا بأحداث الماضى كما يرتبط « بالهوية » ويتناول قضية ساخنة ، هى .. هل الدولة هى الدولة القومية .. ؟ وهل يختلف الألمان عن الآخرين . ؟

والمؤرخ عندما يستنطق ماضيه فإنه يستنطق بالضرورة حاضره ، ونجد رئيس جمهورية ألمانيا يتساءل فى كتاب « ألمانيا .. صور تسجيلية » ماذا تعنى كلمة ألمانى بالتحديد .. ؟ !

وقد سئمت الأجيال الجديدة الاجابات التبريرية التى تعالج الماضى ، وصدر أخيرا كتاب عنوانه الهة التاريخ « لمؤلفه هايدى وايت ، يعالج ضرورة أن يستهدف التاريخ تحرير الحاضر من عبء الماضى ، بأن يقدم أبعاد الموقف الفكرى فى أحداث التاريخ وفى العصور المختلفة ، ويؤكد أن الحقيقة الرئيسية فى التاريخ هى « التغير بفعل الزمن » ، والأمم تقيم الحجج والأدلة التى تدعم هويتها ومطالبها فى التاريخ المشترك ، وقد سبق وفصمت العلاقة بين التاريخ كعلم والتاريخ كقوة محركة ، منذ حديث الفيلسوف الألمانى نيتشه حول فائدة التاريخ وأضراره العملية فى الحياة .

وهو حوار مكتوم يهدف الى تحرير الأجيال الجديدة من آثام الماضى ، ويعالج قضية الوحدة الألمانية .

ويخيل إلىّ ، أن هناك اتفاقا غير مكتوب أفراد بين الشعب الألمانى ، ينص على اختزان بعض الأهداف وعدم البوح بها ، حتى لايعيدوا الى الاذهان مخاوف لاتزال تسيطر على نفوس أولئك

الذين عانوا من الحرب واكتووا بنيران الاحتلال ، كما ينص على التسليم مؤقتا بالأمر الواقع ، عدم تجاوز الاطار الذى خطه التوازن الدولى الدقيق ، والاستفادة بالفرص القائمة فى إطاره .

● الوحدة الألمانية

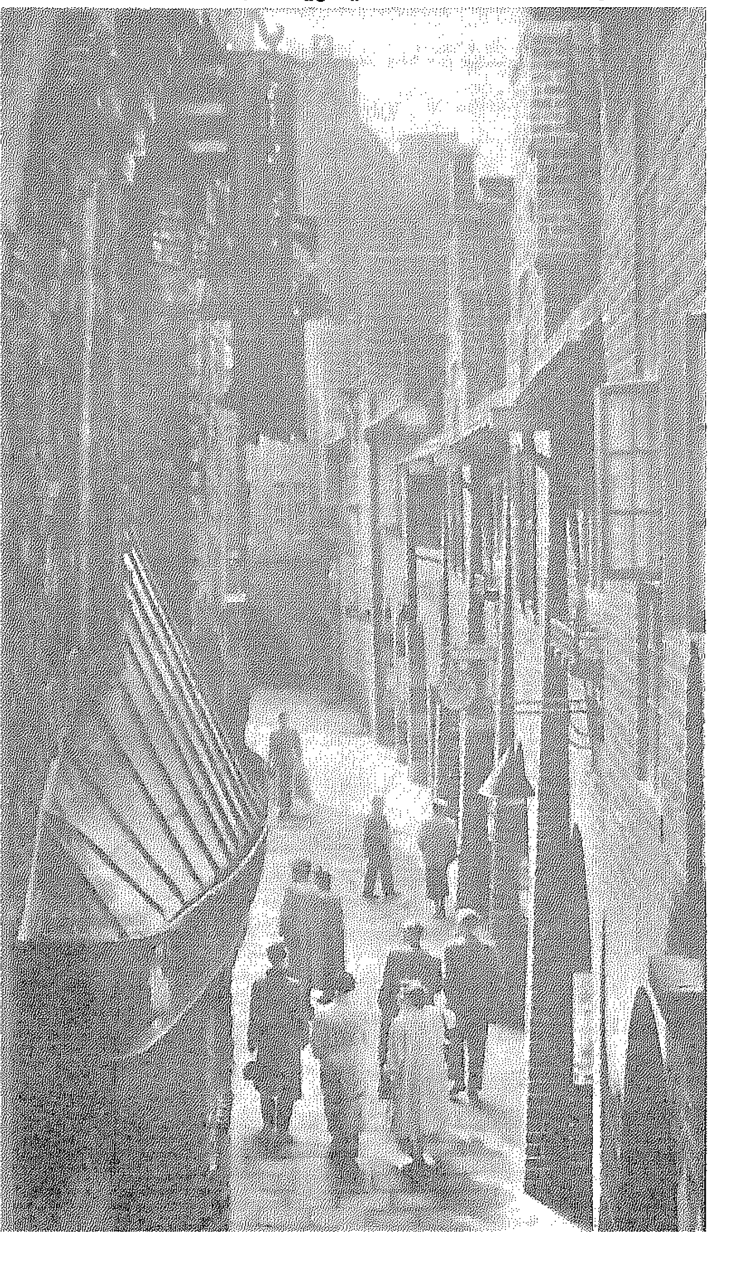
ما الذى بقى من أهداف الشعب الألمانى ، ويحتاج الى إتفاق غير مكتوب لتحقيقه ؟ هدف الشعب الألمانى تحقيق الوحدة الألمانية ، التى يصعب تحقيقها فى الظروف الدولية الراهنة .

فكيف تعامل الألمان مع هذا الهدف وكيف يبقونه حيا ؟ وهو فى نفس الوقت أحد أهداف البلدان العربية التى تسعى لتحقيق وحدتها القومية ، فكيف يعالج الألمان هذا الموضوع وكيف يعالجه العرب . ؟

غنى عن البيان التشابه ، بين أوضاع العالم العربى ، وأوضاع ألمانيا ، من جانب أن الكثير من أوضاع العالم العربى هى نتاج الترتيبات التى أعقبت الحرب العالمية الثانية ، سواء فيما يتعلق باتفاقية يالتا أو مشروع قيام اسرائيل عندما كانت على قائمة الترتيبات فكرة قيام اسرائيل ، وتهدف ترتيبات مابعد الحرب الى منع قيام الوحدة ، ويهدف المشروع الصهيونى إلى قطع الاتصال فى العالم العربى بين المشرق والمغرب ، ووضع حاجز يمنع الاتصال الجغرافى ، وإقامة عامل توتر يستنزف الطاقات العربية ، ويصرف الاهتمام عن البناء والتقدم وهذه الترتيبات وقعت فى النصف الثانى من الأربعينيات .

فى ألمانيا .. بقيت مشكلة توحيد شطريها ، بعد أن مزقتها الحرب إلى دولتين ونظامين مختلفين ، فى كل

احد دروب مدينة بريمن التاريخية ، التى تنتشر فيهـــــا الحانات ، وتنتعش الصنـــــاعات اليدوية ..



منهما قوات أجنبية ، القوات السوفييتية فى ألمانيا الشرقية ، والقوات الأمريكية والبريطانية والفرنسية فى ألمانيا الغربية ، يفصلهما ٨٢٥ ميلا من الحدود القلقة ، التى تشق الأمة الألمانية ، وأصبحت العاصمة القديمة برلين ليس فقط مقسمة ، بل جزيرة محصورة تقع داخل أراضى ألمانيا الشرقية ، وتبعد عن ألمانيا الغربية بحوالى ١١٠ أميال .

ويعرف الألمان أن أية محاولة لوصل ما انقطع ، ستصطدم بتوازن دولى دقيق ، مما سيضع العالم أمام خطر إشعال الحرب ، ومازال هذا « الأمر الواقع » محل رعاية واهتمام الشرق والغرب معا ، وتدور المنافسة حول قدرة كل طرف على استخدام هذا « الأمر الواقع » ضد الطرف الآخر .

فقيام ألمانيا موحدة يقلب الموازين وسط أوربا ، ويبرز قوة جديدة منافسة للشرق والغرب معا .

ومن أصعب الأمور تلمس التفكير الألمانى فى هذه القضية خلال زيارة خاطفة ، ولكن يمكن تلمس خطوطها من خلال مناقشات جرت ، وحقائق أعلنت .

يقوم التفكير الألمانى على فكرة بسيطة ، تقول .. « ليس حلا لمسألة ما أن تلغيها أو تفر منها وتتناساها ، وانما تواجهها وتبحث عن حل لها » ، وإذا كانت الوحدة غير ممكنة التحقيق فى المرحلة الحالية ، فلا يغيرنا تأجيلها ، فقد تحققت فى يناير عام ١٨٧١ ، ويمكن انتظارها من جديد ، ولكن علينا أن نخلق أوضاعا عملية لا تمكن أى طرف من القيام بعمل يصادر إمكانات تحقيقها فى المستقبل ، وأن تتفق الأطراف على ضبط عملها وأساليب ممارسة اللعبة السياسية بحيث تؤثر على إمكانات تحقيق الوحدة فى المستقبل .

ومن الناحية العملية لا توجد قوة سياسية تتجاهل قضية الوحدة الألمانية ، وتأخذها فى أعتبارها عند اتخاذ قراراتها ، وقد تم الاتفاق بين القوى السياسية على عدم استغلالها من أى طرف لدواع انتهازية أو غوغائية ، ولدى المحافظين بعض التحفظات خشية امتزاج سكان ألمانيا الديمقراطية الذين عاشوا طويلا فى ظل الفكر الماركسى بسكان ألمانيا الاتحادية ، وهذا ما لا تستسيغه الكنيسة الكاثوليكية لأنه يؤدى إلى إنضمام ٨١٫٣ ٪ من البروتستانت الى ألمانيا الموحدة يعيشون اليوم فى ألمانيا الديمقراطية .

أما القوة الوحيدة التى تميزت بموقف خاص ، فهو الحزب الجديد ، حزب الخضر الذى حصل فى الانتخابات الأخيرة على ٢٤ مقعدا فى البرلمان أى ٨٫٣ ٪ من أصوات الناخبين والذى يطالب بالاعتراف بألمانيا الديمقراطية ، مثلما سبق وتم

الاعتراف بالنمسا ، كما صرح المتحدث الرسمى باسم الحزب ، وأكمل قائلا .. « إن ما نشترطه هو قيام ديمقراطية حقيقية فى ألمانيا الشرقية ، وعندها يمكن أن تتحقق الوحدة بارادة شعبية .

وقد ساهم فى بلورة الاتجاهات نحو الوحدة الألمانية ، ما أطلق عليه سياسة « الأوست بوليتيك » أى سياسة التعاون مع الشرق ، التى لا تعترف سوى بوجود دولة ألمانية واحدة تمثل الأمة الألمانية ، بعد أن أصبح فى ذمة التاريخ مبدأ هالشتين ، الذى يقضى بأن تقطع بمقتضاه حكومة بون علاقاتها الدبلوماسية مع كل دولة تعترف بدولة ألمانية غيرها .

أما الموقف على الجانب الآخر من الحدود ، فتتبنى ألمانيا الشرقية بقاء دولتين ألمانيتين تحت شعار أمة واحدة ودولتين ، فاللغة الواحدة ، لا تشكل حائلا دون انفصال الدولتين الألمانيتين ، فالنمسا يتحدث شعبها اللغة الألمانية ، ولم يمنع ذلك من الاعتراف بدولة النمسا ، وأنه لا يوجد قاسم مشترك يجمع دولة العمال والفلاحين فى ألمانيا الديمقراطية مع الدولة التى ورثت الفكر الرأسمالى من النازية !

ومن تصريحات إريك هونيكر رئيس ألمانيا الديمقراطية .. « إن الجمع بين النظامين الاشتراكى والرأسمالى ، مثل الجمع بين النار والماء .. » ، ورغم ذلك قام بزيارة رسمية لألمانيا الاتحادية خلال العام الماضى ، ويذكر بعض الألمان الغربيين أنه خلال الجولة أسر هونكر فى أذن كول قائلا .. « لا مصلحة لنا فى الخلاف ، وعلينا أن نرعى مصالح شعوبنا بعيدا عن الشرق والغرب .. »

وكانت الوحدة الألمانية محل بحث عند لقاء المستشار الألمانى كول مع جورباتشوف فى موسكو وخلال الزيارة قال جورباتشوف لكول .. « لسنا مسئولين عن تقسيم ألمانيا ، ولسنا مستعدين للبحث فى وحدة ألمانيا قبل مضى ألف عام .. » !!

وقد تمكن الألمان من تحقيق الكثير فى ظل الظروف الدولية المتغيرة ، وتمكن أديناور من توحيد المناطق الألمانية الثلاث التى أحتلها الحلفاء فى ألمانيا الغربية فى ٥ مايو عام ١٩٥٥ ، وسرعان ما تمكن من إعادة تسليح ألمانيا بعد نزاع دولى عنيف ، وخارج كل ترتيبات ما بعد الحرب ، وانضمت ألمانيا الى حلف الاطلنطى ، عندما احتاجت الولايات المتحدة إلى إعادة تسليح ألمانيا لمواجهة السوفييت فى وسط أوربا .

وهاهى ألمانيا تصبح الدولة الخامسة فى تصدير السلاح بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى وفرنسا وبريطانيا ، وتنتج الدبابة ليوبار ١ و ٢ ، وصواريخ رولاند ، والمقاتلات الألفا ـ جيت بالاشتراك مع فرنسا ، وطائرات هليوكوبتر مضادة للدبابات .

وها هى الظروف الدولية ، تسمح بالتحالف بين الأعداء ، بين فرنسا وألمانيا ، ويقوم محور : أديناور ـ ديجول ، وبراندت ـ بومبيدو ، وشميت ـ ديستان ، وكول ـ ميتران .

وهذا يعني أن ألمانيا يمكن لها في ظل ظروف دولية متغيرة أن تقترب من هدفها .

فكيف تعالج ألمانيا الاتحادية مسألة الوحدة في ضوء هذه الوقائع .. ؟

تعتبر الحكومة الاتحادية نفسها السلطة المعنية بأمر جميع الألمان ، وأصدرت المحكمة الدستورية العليا لألمانيا الاتحادية حكما يؤكد إنتماء ألمانيا كلها الى أمة واحدة ، وينص الحكم على أن الدولتين ، هما جزءان من دولة ألمانية باقية بشعبها الواحد ، ولايمكن النظر الى ألمانيا الديمقراطية كأرض أجنبية » و « أن الرايخ الألماني لم يختلف نتيجة انهياره عام ١٩٤٥ ، وتعامل ألمانيا الاتحادية مواطني ألمانيا الديمقراطية كمواطن ألمانيا الاتحادية »

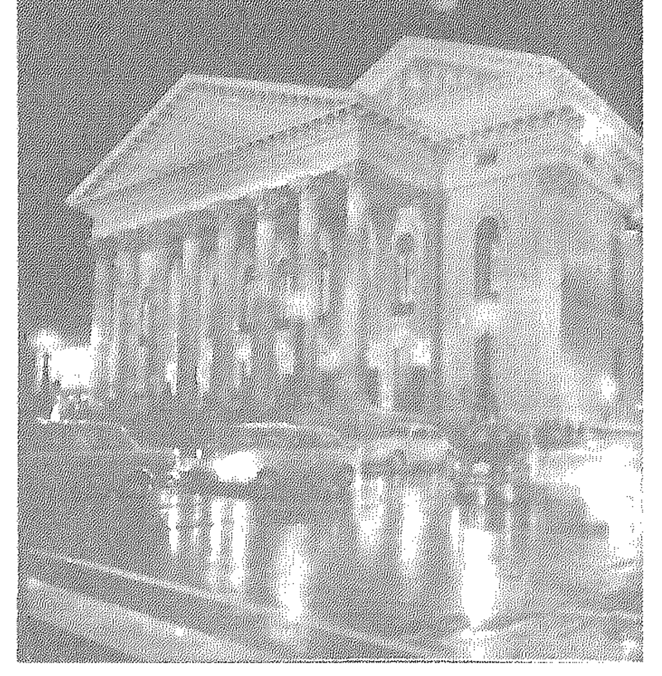
لذلك أعتبر كل ألماني تطأ قدماه أرض ألمانيا الاتحادية مواطنا يستطيع الاقامة والحصول على جواز السفر ، والتمتع بكافة حقوق المواطنة ، وقامت منظمات لرعاية وضمان حل مشاكله ، كما قامت منظمات أخرى لتعميق الوحدة بين صفوف الألمان ، مثل منطقة ألمانيا الموحدة ، التي تضم مئات الألوف من سكان ألمانيا الغربية الذين لديهم أقارب في ألمانيا الشرقية .

ومن الناحية الثقافية ، تحتفي ألمانيا الغربية بأي إنتاج علمي أو فني لكل من يتحدث اللغة الألمانية بصرف النظر عن محل إقامته .

وعندما زرنا وكالة أنباء ألمانيا الغربية في هامبورج ، ذكر مديرها ، أن ميثاق تأسيسها ينص على أن يكون مقر الوكالة في عاصمة ألمانيا ، واخترنا بعد الحرب مقرا مؤقتا لنا في هامبورج ، فمازلنا نعتبر ان برلين هي عاصمة ألمانيا ، ولكنها تعيش وضعا خاصا ، ونرى بون عاصمة مؤقتة ، لذلك استمر مقر الوكالة في هامبورج ، ولم يذكر لنا .. حتى متى يستمر هذا الوضع .. ؟ !

وكانت أهم القرارات التي اتخذتها ألمانيا الاتحادية ، التي تتناول علاج قضية الوحدة من الناحية الاقتصادية ، فاعتبرت الحكومة الاتحادية نفسها ممثلة للأمة الألمانية ، واعتبرت أن اتفاقها مثلا مع السوق الأوربية المشتركة هو اتفاق الأمة الألمانية مع السوق ، مما يتيح لألمانيا الديمقراطية تسويق منتجاتها في دول السوق وفي دول الكوميكون في ذات الوقت .

وجعلت الحكومة الاتحادية من برلين نموذجا للتعاون الذي يستهدف رفع مستوى معيشة الألمان الشرقيين ، وقدم لنا مسئول العلاقات بين الشرق والغرب في برلين المعلومات التالية : « تبلغ القيمة الكلية لما تنفقه ألمانيا الاتحادية في ألمانيا الديمقراطية حوالي ٢٫٥ مليار مارك ألماني ، بخلاف القروض والتسهيلات المصرفية . ومليار مارك اخرى ترسلها العائلات في



مشهد ليلى .. للمتحف القومى بميونخ

ألمانيا الغربية لأقاربها فى ألمانيا الشرقية » .

وتهدف الحكومة الأتحادية من هذه السياسة ، عدم مصادرة المستقبل ، وترك الأبواب مفتوحة أمام جيل جديد فى ظروف دولية أفضل ، يستطيع هذا الجيل أن يحقق وحدة ألمانيا ، مع الايمان العميق بأنه لايمكن إخماد قوة ألمانيا ..

وهنا نلاحظ أن أسلوب معالجة الوحدة الألمانية ، لا يقدم حلولا تم صنعها واعدادها ، وأصبحت صالحة للاستخدام ، وإنما يقدم طريقة حية للتفكير ، الذى لايقف عاجزا أمام المعضلات ، ولايقف حائرا أمام ماقدس من أوهام ..

ويمكن لنا الآن أن نتأمل فكرة الوحدة العربية التى كانت أحد أهم أهداف المنطقة العربية ، وأحد شعارات أقسام واسعة من الرأى العام العربى ، وعندما واجهت الفكرة العقبات ـ التى كان بعضها محليا أو إقليميا أو دوليا ـ سرعان ما ارتدت هذه القوى وأخذت تتنكر لهدفها القديم ! .

ورب قائل أن هناك اختلافا بيننا وبينهم ، ولكن تبقى تجربتهم هاديا للفكر والفعل العربى .

يملك العرب كل أسباب القوة ، فهم يزيدون على مائة وخمسين مليونا ، وأكثر من عشرين دولة ، ويملك العرب الموقع الجغرافى الاستراتيجى ، وينقصنا غياب التفكير العلمى ، وكثيرا ما نجهض الممكن فى سبيل المستحيل ، وليس لدى العرب إتفاق غير مكتوب يتناول الممكن والمؤجل ، ويختزن أهداف الأمة ، ولا نعمل العقل العربى فى البحث عن الطرق والوسائل لكى يتحول التعدد الى مصدر قوة بدلا من أن يكون عامل تفكك وتناحر ، ولم ندرك بعد انتهاء عصر حروب السيف والرمح ، التى تلعب فيها الحماسة والشجاعة الدور الرئيسى . أن الشجاعة التى نحتاج إليها هى جسارة العقل والقلب ، والقدرة على المبادرة والابداع ، وأن القوة تتمثل فى درجة التعليم واستيعاب المعرفة التكنولوجية ، وهى أيضا مدى القدرة على ممارسة حرية الفكر والضمير .

وليس لدينا دولة عربية تعتبر كل المواطنين العرب مواطنين ، ولم يتحقق بعد حتى ربط الدول العربية بشبكة مواصلات برية .

ويكفى فى ألمانيا ، أن الجيل الحاضر لم يصادر المستقبل أمام الأجيال الجديدة ، فهل نحن فاعلون .. ؟ !

قاطرة جديدة للتاريخ العربى

بقلم : عبد الرحمن شاكر

وقد اقترنت هذه الانتفاضة أو الثورة ، بتبدل آخر فى الموقف العربى ، وهو قرار مؤتمر القمة العربى فى عمان أخيرا ، بالموافقة على إعادة العلاقات مع مصر .. وهو القرار الذى ترتب عليه عودة العلاقات بين معظم الدول العربية ومصر ، وكان مفهوما أن السبب فى هذا التحول ، هو رغبة الدول العربية ، وخاصة فى الخليج ، فى استرداد الوجود المصرى باعتباره رصيدا استراتيجيا للقوة العربية لاغنى عنه ، خوفا من اتساع نطاق الحرب الايرانية ـ العراقية لتشمل طائفة أخرى من دول الخليج العربية ، وأملاً فى وضع نهاية سريعة لتلك الحرب ، وصدا لما أوجسته تلك الدول خوفا من مطامع ايرانية فيها .

نحن إذن أمام عنصرين من التحرك العربى ، أحدهما شعبى وهو مايحدث فى الانتفاضة الفلسطينية على الأرض المحتلة وردود فعله فى مختلف المجتمعات العربية ، والثانى تحرك حكومى ، من جانب الدول العربية بما فيها مصر ، وبين كلا العنصرين علاقة جدلية بحيث يؤثر كل منهما فى الآخر ، ويتأثر به ، ويمتد التأثير الى الموقف العربى فى جملته .

فمما لاشك فيه أن الانتفاضة الفلسطينية ، انما جاءت بعد قمة عمان وما تلاها من عودة العلاقات العربية بمصر ، من واقع احساس لدى الجماهير الفلسطينية الثائرة ، بالتخوف من أن تكون القضية الفلسطينية على وشك أن تغوص فى بحر من الاهمال أو النسيان ، ليس من جانب القوى العظمى وحدها التى اجتمع قطباها الرئيسيان ريجان وجورباتشوف معا فى واشنطن ، وناقشا مشكلات نزع السلاح النووى بينهما وتطرقا الى سواها من المشكلات الدولية دون أن يرد للمشكلة الفلسطينية أو مايسمى بالنزاع العربى

مما لاشك فيه أن العروبة في أيامنا هذه تشهد مدا متصاعدا بعد انحسار طويل ، وأن الانتفاضة الفلسطينية الأخيرة كانت العلامة الرئيسية لهذا المد ووقوده المحرك أيضا ، فالثورات - وهذه ثورة فعلية بمفهومها الشعبى - هى قاطرة التاريخ عند علماء السياسة ، ولايستطيع أحد أن يحسب نتائجها مقدما منذ البداية ، ولكن مما لاشك فيه أن التاريخ لابد وان يتبدل من بعدها ، وبسببها مهما يكن من ركوده قبلها .

الاسرائيلى ذكر فيما بينهما ، لم يكن التخوف من أن يكون النسيان على هذا المستوى الدولى فحسب ، بل على المستوى العربى أيضا ، حيث تبدو الدول العربية أكثر اهتماما بقضية الخليج منها بقضية فلسطين ، بما فى ذلك « تسامح » الدول العربية ازاء الصلح المصرى مع الدولة الصهيونية ، وهو ماسبق لها أن قطعت علاقتها بمصر بسببه ! ويبلغ الاهتمام العربى بقضية الخليج الى الحد الذى تعلن فيه قيادة منظمة التحرير الفلسطينية انها على استعداد لارسال مقاتليها للدفاع عن بعض الدول العربية فى الخليج ، والكويت على وجه التحديد ! وبالطبع ليس معنى ذلك أن منظمة التحرير الفلسطينية هى الأخرى كانت على وشك أن تنسى قضية فلسطين ، بل ان موقفها يعنى فى الواقع أمورا عدة ، منها أن المنظمة تحمل الهموم العربية كما تريد لسائر العرب أن يشاركوها همها الأكبر ، وأن بالخليج وبالكويت بالذات وجودا فلسطينيا واضحا هو أحد ثمار الشتات الفلسطينى الذى ترتب على الغزو الصهيونى ، ومن غير المعقول أن يشارك الفلسطينيون غنم الوجود فى الكويت دون غرمه اذا ماتعرضت للخطر أو العدوان ! وفى النهاية فان هذا الموقف يعكس بوضوح شديد جوهر القضية العربية ، وهى أن الدفاع عن الوجود العربى فى مجمله هو قضية واحدة ، ينبغى أن يحمل مؤونتها جميع العرب بجهود موحدة .

● آفاق الانتفاضة

ولقد كان من أهم الظواهر الملحوظة فى الانتفاضة الفلسطينية انضمام الجماهير العربية فى الأرض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ اليها ، وهم من قد عرفوا من قبل

قاطرة جديدة للتاريخ العربى

باسم « عرب اسرائيل » اشارة انهمّ يحملون دوليا الجنسية الاسرائيلية ، والمفروض فيهم أنهم بعض مواطنيها أو رعاياها ! لقد قيل ان هذه الجماهير قد استردت وعيها العربى بالفعل ، ولكننى ما أظن ان هذا الوعى قد غاب عنها قط ، وانما كانت خاضعة لظروف قاهرة جعلتها تقبل الهويةالاسرائيلية مرغمة بدلا من مفارقة ديارها ، تلك المفارقة التى لاتخدم فى نهاية الأمر الا الغزو الاستيطانى من جانب الصهيونية .

إن هؤلاء ماهم الا جزء من عرب فلسطين مهما تكن الهوية التى الحقت بهم ، ولكن من ينطبق عليهم تعبير « عرب اسرائيل » ، هم فيما أعتقد ، اليهود العرب ، أو اليهود الذين يتكلمون العربية ، ممن كانوا فى فلسطين قبل الصهيونية ، ومن نزحوا إليها من مختلف البلدان العربية ، وهؤلاء القوم وان كانوا محسوبين حاليا أو هم بالفعل من القوى التى تعمل فى خدمة الصهيونية ، فان موقفهم قابل لأن يتبدل اذا ما استمر المد العربى أو تصاعد ، متمثلا فى تلك الانتفاضة ومايترتب عليها فى الوضع الفلسطينى خاصة والوضع العربى اجمالا .

وشرط لهذا التبدل أن تزداد طبيعة الصراع وضوحا ، وتزداد رؤيته استقامة ، باعتبار أن الاستعمار الصهيونى الاستيطانى ، هو فى واقع الأمر غزوة أوربية أخرى مثل الغزوات الصليبية فى الماضى ، وعمادها ومؤسسو حركتها هم الخزر الأشكناز من شرق أوربا والقوقاز الروس أساسا ، ولا يزال هو المعين الذى يستمدون منه مددهم البشرى ، ويريدون تفريغ الأرض العربية من سكانها لتوطينهم ، **هؤلاء هم الذين يفرضون الوجود الاستيطانى المعادى للطبيعة العربية لفلسطين والمنطقة المحيطة بها ، وهم الذين ابتدعوا إحياء العبرية لغة للدولة التى فرضوها على فلسطين ، بعد أن كانت العربية قد استوعبت أبناء هذه المنطقة من قديم بغض النظر عن الدين الذى يعتنقونه** . هؤلاء الأوربيون الأشكناز هم عنصر العداوة الرئيسى للوجود العربى فى فلسطين ، وإذا كان منهم من يدركون خطورة الوضع الحالى ربما أكثر من « مواطنيهم » من اليهود الشرقيين « السفارديم » ، ويطالبون بسرعة التوصل الى حل تكون فيه سلامة دولتهم عن طريق التعايش السلمى مع جيرانها بمن فيهم العرب الفلسطينيون ، فهم أيضا الأكثر قدرة على الفرار الى العالم الذى ينتمون اليه ، وتشكو دولتهم الآن من أن كثيرا منهم يرحلون الى الولايات المتحدة الأمريكية ، أسوة بمعظم الخزر الأشكناز خلال القرن العشرين ، وأن مغريات الحياة واحتمالات اصابة الثراء هناك تجتذب المهاجرين من الدولة الصهيونية ذاتها ، حتى أصبحت نيويورك وحدها ، بها من حملة الجنسية الاسرائيلية من يكفون لتكوين ثلاث فرق من جيش الدفاع

الاسـرائيلى ! ... على عكس اليهـود الشرقيين ـ وخاصة « العرب » منهم ، بمعنى أن من نزحوا من البلاد العربية أو كانوا من سكان فلسطين الأصليين ، فإن مستقبلهم على المدى الطويل هو فى استرداد الاحساس بعـروبتهم ، وأن مصيرهم مرتبط بالقدرة على الاندماج من جديد مع سائر سكان المنطقة من العرب ، شريطة أن يطرحوا أوهام الصهيونية فى اعادة ملك اسرائيل من النيل إلى الفرات ، وأن نساعدهم على ذلك برفض التصوير الصهيونى لطبيعة الصراع ، واظهار المضمون القومى له ، الذى يتلبس برداء الدين .

● الفرس والعرب

والمبدأ ذاته أو قريب منه ينطبق على الجانب الآخر من هموم المشرق العربى ، وهو حرب الخليج ، ومضاعفاتها القائمة والمحتملة ، فهناك أيضا خلط شديد بين الطابعين القومى والدينى للصراع ، إلا أن الأخير فى هذه الحالة يتخذ شكل الصدام بين مذهبين كلاهما ينتسب الى الاسلام ، وهو مما يزيد الأمور تعقيدا . **فالحقيقة التى تفرض ذاتها كل يوم أن هناك أطماعا فارسية فى ذلك الجانب من جزيرة العرب ، كانت قائمة من أيام الشاه** ، وكان تكثيف الوجود البشرى ولو عن طريق تهريب الأفراد ، الى دويلات الخليج الغنية احدى وسائل تحقيق تلك الأطماع بمحاولة تغليب العنصر الفارسى على العنصر العربى ، ولم يكن لظاهرة من هذا النوع أن تمثل مشكلة فيما مضى من تاريخ هذه الأمة ، حيث كان كل المسلمين ، أو من ينتسبون الى الاسلام ، لايكادون يفرقون بينه وبين العروبة ، حينما كانوا يتخذون العربية لسانا لهم باعتبارها لغة الكتاب والسنة ، وبها جاء الاسلام ، ولكن بعد ظهور النزعات القومية واستقرارها وهذا من حق أصحاب كل لسان وتراث ثقافى متميز أن يصطنعوه ، لم يعد من حق أحد أن ينازع العرب أصحاب اللسان الذى نزل به الاسلام رايته قط ... وإذا كان الفرس قد آلوا فى معظمهم الى اعتناق المذهب الشيعى ، فى مقابل غلبة المذهب السنى على العرب ، وعلى معظم المسلمين فى الواقع ، فلا ينبغى أن يستغل الخلاف التاريخى بين المذهبين لتدليس أطماع غير عربية فى أرض العرب ، خاصة أن أصحاب هذه الأطماع قد طرحوا الالتزام بلسان العرب باعتباره لسان المسلمين ! **ومن حق العرب ومن واجبهم أن يدافعوا عن الوجود العربى فى ديارهم بكل مايستطيعون ، وعليهم أن يعوا هذه الحقيقة ويكونوا أكثر صونا لوحدة صفوفهم من أن يمزقها الانتماء الى هذا المذهب أو ذاك ، مما عرفه تاريخ الاسلام .**

إن الوعى القومى فى هذه الحالة ليس ترفا ، ولكنه ضرورة حياة ، لقد كانت النزعة الاقليمية أكثر استعلاء فى هذه المنطقة بالذات من أرض العرب ، بسبب الثروة البترولية الطارئة ، وكانت النظرة الأنانية ضيقة الأفق تصور لكثير من سكان تلك المنطقة أن العروبة نزعة عدوانية تحاول انتزاع مافى أيديهم أو بالأقل مشاركتهم فيه من موقع العوز والفقر والحاجة ، ولكن الأحداث قد أثبتت لهم أن

قاطرة جديدة للتاريخ العربى

الخطر عليهم لايأتى من عرب أمثالهم ، وانما من سواهم ، ممن يبغضون عروبتهم ، بل ينكرون عليهم البعض حتى اسلامهم ، ولو كانوا هم من نزل عليهم وبلسانهم هذا الدين !

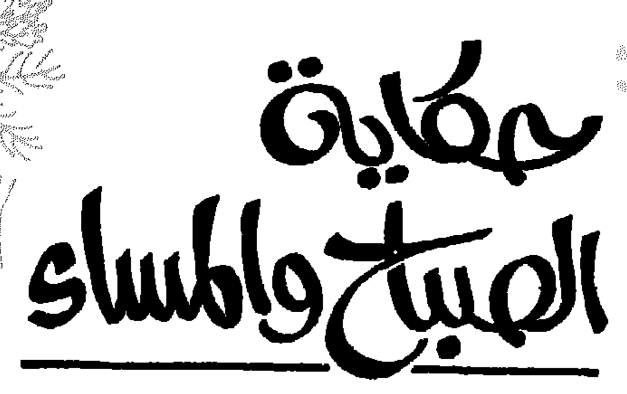
فإذا كان للإقليمية أن تنتمي لتفسح مكانها لوعى عربى صحيح ، بأن هذه المنطقة عربية واحدة ومصيرها واحد ، وأن احدا لن يفلت من المجزرة اذا استعرت وخاصة الكيانات الصغيرة التى قامت فى الخليج ، فانها تذهب وتذهب معها أيضا أوهام كثيرة عن امكان استدامة اوضاع أن أن تخرج من التاريخ ، من العصبية القبلية واهدار حقوق المواطنة ولو على المستوى الاقليمى ، فى حقن التعبير والتفكير والعمل السياسى ، وحقوق الفرد فى الرعاية الاجتماعية ... ومن شأن تطور داخل مختلف المجتمعات العربية فى هذا الاتجاه أن يزيد من تقاربها فى اتجاه مجتمع عربى واحد ، تطالبها ضرورات البقاء بأن تنجزه ، وتلح عليها فى ايجاد صيغته السياسية المستقرة .

● الدور المصرى

ومما لاشك فيه أن استرداد الدور المصرى ، بعد طول غياب عن الساحة العربية ، لا يمكن أن يكون مجرد عودة الى أوضاع ماضية ، بل ان ذلك مستحيل من بعض الوجوه ، ولكن اهم عناصر الدور المصرى الجديد ، هو مقابلة المسئولية التاريخية بما تستحقه من وعى بما تمليه على الجزء الأكبر ، والأكثر تطورا فى نواح كثيرة من الوطن العربى تجاه سائره ، ان دور الطليعة ينتظر مصر من جديد ، ولكن عن غير طريق الاملاء ومحاولة فرض الارادة الذاتية ، بل عن طريق الاقناع والاستمالة والتوعية ، وضرب المثل بما ينبغى أن يُظل الوطن العربى من حرية والتزام اجتماعى ، باعتبارهما شرطين لاغنى عنهما ـ على مستوى الأمة العربية كلها ـ لقيام التزام قومى على نحو صحيح ، قادر على خلق القوة الضرورية لمواجهة الأخطار المهددة للوجود العربى من ناحية ، وتحديات العصر من ناحية اخرى .

والمسئولية ـ كما هو واضح ـ فى ذلك كله ليست مسئولية الحكومات وحدها ، ولا القائمين عليها مهما تكن درجة وعيهم ، وانما هى فى المقام الأول مسئولية الشعوب العربية ذاتها وهى صاحبة المصلحة ، واداتها فى الوصول الى صيغة الوجود الصحيح لها هو تواصلها الفكرى والثقافى ، من خلال وعاء حضارتها وعلامة وجودها واعنى لسانها العربى !

■ ■ ■



مَلَلْتُ!

حِكَايَةَ الّذِينَ فى عُقولِهِمْ خَدَرْ
يَرَوْنَ فى مَنامِهِمْ
سَحَابَةً نَسيجُها أَشِعَّةُ القَمَرْ
فَيَرْكُضُون ، يَلْهَثُونَ خَلْفَها
وَيَرْكَبونَ فى سَبيلَها مَراكِبَ الخَطَر
يُحَطِّمونَ فى طَرِيقِهم
مَدائِنِ الكُرومِ وَالنَّخيل وَالشَّجَرْ
وَفى الصَّباحِ يُدْرِكونَ أنَّها
سَحابَةٌ بلا مَطَرْ

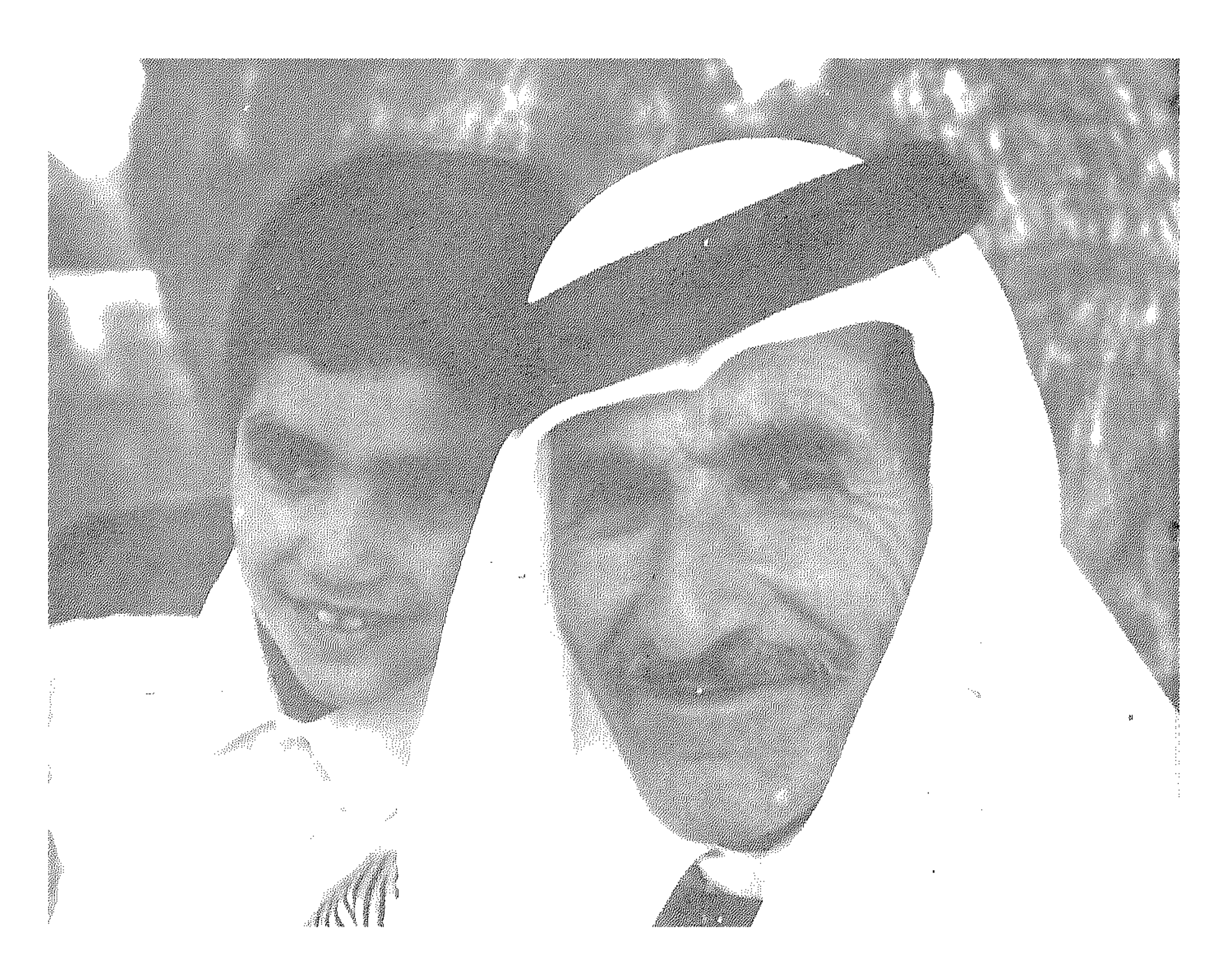
عرس الجليل ... أم عرس فلسطين

بقلم : مصطفى درويش

الاستقبال الخرافى لعرس الجليل فى القاهرة العاصمة العربية الوحيدة التى سمحت بعرضه ، والاحتفال المدهش به لايكاد أحد يتصوره أو يقدره .
الانبهار به والحماس وصلا الى حد جنوح البعض الى القول بأنه خير من ألف فيلم .
ولست محتاجا الى ان افصل هذا الاستقبال وماصاحبه من حماس وانما الاحظ ان من اهم الاسباب التى دفعت الى كل هذا ،، انه اول فيلم روائى سياسى عربى ينجح صاحبه فى الخروج به ـ رغم جهابذة الاحتلال الاسرائيلى ـ من المعتقل الكبير الذى اقامته الصهيونية للشعب العربى فى فلسطين .

● وهو خروج يذكرنا بملحمة « يلمز جوناى » ـ الطريق ـ التى نجح اصحابها فى اخراجها من ظلمات السجون فى الاناضول الى النور ـ فكان ان حققوا بذلك فتحا مبينا للسينما التركية فى مهرجان كان .

وعلاوة على ماتقدم فان فرصة مشاهدته فى عاصمة الوطن العربى واكبت الانتفاضة الشعبية الكبرى فى فلسطين **تلك الانتفاضة التى زلزلت الأرض من تحت أقدام قوات احتلال عنصرى دام اربعين عاما ، هزت ضمير العالم حتى انه اصبح لا حديث للانسانية الا ماصنعته الطير الابابيل ، ترمى جنود**



المختار وابنه حسان الذى يخاف عليه من نفسه

اسرائيل بحجارة من سجيل على امتداد فلسطين من الجنوب فى غزة حتى الشمال فى الجليل .

وفوق هذا ، فقد كان العمل السينمائى العربى الوحيد المتكلم بلغة الآباء ، الذى استطاع - من بين جميع الافلام العربية المعروضة فى مهرجان القاهرة - ان يجمع بين الجدة والجدية ، يزاوج بين الجمال والجلال .

وفى الحق - فهو يمثل انعطافة فى مسار السينما العربية ، فكما انه قبل يوم عرضه فى السادس من ديسمبر لعام ١٩٨٧ هنا فى العاصمة

عرس الجليل ... أم عرس فلسطين

« القاهرة » كان يؤرخ لسينما المؤلف فى الوطن العربى بالمومياء « ليلة حساب السنين » فانه بعد هذا اليوم اصبح يؤرخ لسينما المؤلف ذات الطابع الجماهيرى على امتداد الوطن برائعة ابن الناصرة « ميشيل خليفى » .

والان الى « عرس الجليل » نفسه فى محاولة منا لاكتشافه من الداخل ، حتى نستطيع ان نتبين كيف ملك العقول والقلوب .

● قصة حب

بادىء ذى بدء ، قد يخيل الينا اننا نستطيع ذلك من خلال القصة ، فما هى ؟

موجزها كما كتبه صاحب العرس يخلص فى أن ثمة قرية فلسطينية عربية تخضع منذ اربعة شهور لحكم عرفى فرض عليها عقب قيام بعض التظاهرات العنيفة رئيسها المختار يطلب الى الحاكم الاسرائيلى العسكرى ان يرخص له بعقد قران ابنه ، واقامة عرس لذلك على جانب كبير من الابهة ، مما يستلزم رفع الاحكام العرفية ، ولو الى حين .

يتردد الحاكم تخوفا من تحول العرس الى شغب سياسى ولكنه سرعان مايوافق مشترطا ان يستمر العرس مدة لاتزيد على اربع وعشرين ساعة ، وان يكون هو وضباطه ضمن المدعوين باعتبارهم ضيوف شرف .

يقبل المختار لانه كان يعتقد ان التسامح حتى مع العدو فى أوقات الاعياد والافراح والمآتم . أمر واجب وما أن يعود الى القرية ، حتى يسعى الى اقناع الجميع ولكن اهل القرية اختلفوا معه فى شأن هذه الدعوة . وكان عليه ان يحشدهم تأييدا لقراره ، لأنه من الواجب عليهم ان يقفوا مع حلمه مساندين .

وغنى عن القول ان هذا الموجز لعرس الجليل لايشفى الغليل .

ومن هنا كان اضطرار صاحبه الى ان

ضباط الاحتلال



يكتب مذكرة ايضاحية قصيرة تحت الموجز سالف البيان .

ومن بين ماجاء فيها ان عرس الجليل ان هو الا قصة تحد فجّر صراعا بين الهين ، بالمعنى التراجيدى للعبارة ، احدهما الحاكم القابض على زمام السلطة العسكرية والاخر المختار القابض على زمام السلطة الأبوية .

كلاهما يحاول اجتذاب القدر الى صفه . وكلاهما يفشل فيما سعى .

واذا بالشعب وحده المنتصر .

وفى ختام مذكرته يقول ابن الناصرة عن فيلمه انه محاولة لدفع الاسطورة الى الاقتراب من الواقع حتى تتحول به الى واقع مصطبغ بالشاعرية ، واقع مركب تسكنه الصورة والصوت والايقاعات والاحساسات والمشاعر ومناظر الطبيعة ، يتناغم فيه كل ذلك حاملا رسالة الحرية .

وفى الحق ، فان هذه المذكرة لاتشفى الغليل الا فى قليل .. فما هو ؟

الفيلم فى مفهوم ماتقدم ، وان كان فى الظاهر يبدو واقعيا ، فإنه ليس من السينما المنتمية الى المدرسة الواقعية فى شىء

فالقرية فيه ، وهى من قرى الجليل التى تعيش مضرجة بالدم والدمع تحت حكم الارهاب العرفى ان هى الا رمز لأرض فلسطين الطيبة .

والمواجهة فى هذه القرية ليست اساسا بين الهين .. الحاكم الاسرائيلى والمختار .

عروس الجليل .. ليلة حب



عرس الجليل ... أم عرس فلسطين

وإنما بين قوتين .. جنود اسرائيل وأهل القرية ، وهى بدورها انما ترمز الى المواجهة القائمة الدائمة بين جيش الاحتلال وشعب فلسطين .

● الألغام .. لماذا ؟

وفى هذه المواجهة الرمزية لانسمع اصوات طلقات رصاص تنطلق لتصيب فى مقتل ولانرى جروحا مفتوحة تنزف ودماء شهداء تسيل على ارض الجليل .

وانما نسمع اشعارا واغانى شعبية وزغاريد وهتافات ، نرى عروسا جمالها يخطف الابصار ، تغتسل كما الحور العين بالعطر والريحان .

وعريسا بارع الحسن ممتطيا جوادا أصيلا ، موزعا بين روعة الحب ، ولوعة الواجب .

وفرسا عربيا جامحا فى حقل مزروع بالألغام الاسرائيلية (حتى لانزرعه قمحا كما قال الصبى « حسان » شقيق العريس) يتهدده موت لاتعرف له حكمة ، ولاغرضا ولاغاية .

حتى اذا ماتصاعدت الأحداث فى الحركة الاخيرة من العرس ، منتهية بالقوة الاسرائيلية التى فرضت نفسها ضيفا ثقيلا على أهل القرية ، منسحبة من العرس وسط اللعنات وهى تجر اذيال الخيبة ، احسسنا اننا بازاء رمز جامع يشير الى وقائع خطيرة ، بازاء عمل فنى كبير استطاع ان يقول الكثير عبر صور شعرية تستلهم واقعا مجنحا بأساطير نحار أين تبتدىء ، وأين تنتهى .

هكذا كان رسم المواجهة فى « عرس الجليل » وكأن صاحبه يريد برسمه هذا ان يقول بلغة المجاز ان معركة الشعب فى فلسطين ضد المحتل الدخيل ، ماهى الا معركة فى سبيل البقاء .

● الكلمة الوليمة

وان الانتصار فيها ، انما يستلزم استعمال جميع الاسلحة المتاحة ، وفى مقدمتها الحفاظ على الهوية الفلسطينية .

فمثلا فى « المنام » حيث رأى المختار جده يطل عليه طالبا اليه اقامة عرس يكون « من اجمل الاعراس يتباهى به فى الشرق والغرب ، تلبس فيه النساء افضل فساتينهن » هذا المنام ليس من الخرافة فى شىء ، والعرس الذى تولد عنه ، هو عرس الهوية ، ذلك ان مجرد توجه المختار الى مبنى الحاكم العسكرى وقوله له « انا بدّى اعمل العرس ويكلفنى شو مايكلف » ، هو فى حد ذاته ينطوى على قدر كبير من التحدى .

ومن هنا فرض الحاكم العسكرى حضوره على العرس مع نفر من ضباط جيش الاحتلال ، كرد فعل استفزازى لهذا

التحدى ، وكوسيلة لاهدار الكرامة ، وافساد فرحة الافصاح عن الهوية .

فلا شيء اخطر على جيش الاحتلال من استمرار شعب فلسطين محتفظا بهويته ، متمسكا بها ، وذلك ان الابقاء عليها حية ، نقية ، والممارسة لطقوسها ، فيه تكذيب وأى تكذيب لدعوى الصهاينة تبريرا لاحتلال فلسطين ، والقائمة على اساس انهم جاءوا الى ارض بلا شعب ، الى صحراء قاحلة غير مأهولة فجعلوها جنات تجرى من تحتها الانهار !!

ولست مغاليا اذا ماقلت ان الهوية الفلسطينية ، هى التى تعطر عرس الجليل ، بدءا من افتتاحيته فى مقر الحاكم العسكرى حيث المواجهة الأولى بين قائد قوات الاحتلال والمختار .

وهى التى تفجر ينابيع حركاته الأربعة ، كما يحلو لابن الناصرة ، « خليفى » أن يسمى اجزاء فيلمه .

● جذع النخلة

فعندما يفشل العريس فى فض بكارة العروس ، اذا بنا نفاجأ بها - وبعد طول معاناة - وهى « تحل بكارتها » بنفسها بدلا من العريس ، وذلك حتى تمكن التراث من الاستمرار .

وعندما يهرب الطفل « حسان » من ابيه المختار الدائم الخوف عليه من نفسه ، لايجد مكانا « يأوى اليه سوى جذع شجرة زيتون » .

وعندما تتناول مجندة جيش الاحتلال مالذ وطاب من طعام نساء فلسطين ، فيغمى عليهم من المسرة ، فانها لاتفيق الا بفضل هؤلاء النسوة ، وهن يرتلن من حولها الايات ترتيلا ، وهن يخلعن عنها اللباس العسكرى الكئيب ، ويلبسنها بدلا منه ، ثيابا فلسطينية مطرزة ، تسر الناظرين .

وعندما يفر الحصان الرهوان ، فيقع فى أسر حقول الألغام ، فانه لايعود الى ارض الأمن والامان ، بفضل الطلقات النارية المزعجة التى تنطلق من فوهات بنادق جنود الاحتلال ، وانما يعود بفضل عبارات الملاطفة والمرحبا العربية ، التى يهدهده بها المختار فى حب وحنان .

وانطلاقا من هذا الاتجاه الانسانى فى « عرس الجليل » وذلك بفضل حبكته التى تركز على أهمية الهوية ، وضرورة الحفاظ عليها فى مواجهة الصهيونية ، فانه بهذه المثابة يعتبر من الافلام العربية القليلة التى استطاعت ان تنصف ماضينا وحاضرنا فى فلسطين ، وأن تعيد ادخال قصتنا - نحن العرب - فى مسار التاريخ المشترك للانسانية .

جولة المعارض

معرض سمير رافع وتواصل الأجيال

بقلم : محمود بقشيش

كان معرض المصور « سمير رافع» ألمع معارض الشهر الماضي بما جاء به من عبق الأربعينيات حيث «الجماعات» التشكيلية التي أحدثت تحولات رئيسية في الحركة التشكيلية المصرية . وجعلت «الفن» يلامس واقع البيئة . وهموم الناس بنفس الدرجة التي يستلهم بها لغة التصوير المعاصر الغربي مرورا بانجازات عصر النهضة . لم تكن تلك الجماعات جزرا مهجورة بل متفاعلة . وقد ظهر تاثيرها المتبادل ـ على سبيل المثال ـ في الملامح الأسلوبية ، وفي كثير من تفصيلات الملامح الانسانية . كضخامة الأطراف وخشونتها وفطرية الوجوه ، وربما كان الأهم هو الاشتراك في كسر « هيبة» اللوحة الكلاسيكية . و« حيادية » الأسلوب الأكاديمي ، ومد خطوط الاتصال مع واقع الناس .

● وكان الأسلوب ـ الأب ـ المسيطر على أجنحة تلك الجماعات هو الأسلوب التعبيري ، وإن ظهر بأوجه متعددة ، فقد ظهر وجهه « السيريالي » في جماعة ، ووجهه « الرمزي» في جماعة أخرى .. وهكذا ، لهذا لم يكن مستغربا أن تلمح بعض الاستعارات « السيريالية » في أعماله الأولى مشاركا في هذا جماعة « الفن والحرية» توجهها الى هذا الاسلوب ، وإن حاول أن يستلهم ـ بواسطة هذا الاسلوب ـ بعض كلاسيكيات التصوير الغربي ، ولم يحل هذا الاستلهام دون ظهور الطابع الذاتي . فظهرت المرأة ـ الاسطورة ـ كيانا جامعا بين حسية الجسد الانساني . وخشونة « بعض» مظاهر النبات ، كما في لوحة «دافني» .. ويلتقط «رافع» من « المرأة ـ الاسطورة » لحظة تحولها الى نبات ، والتزم في تلك

خـراب .. لوحة
للفنان سمير رافع



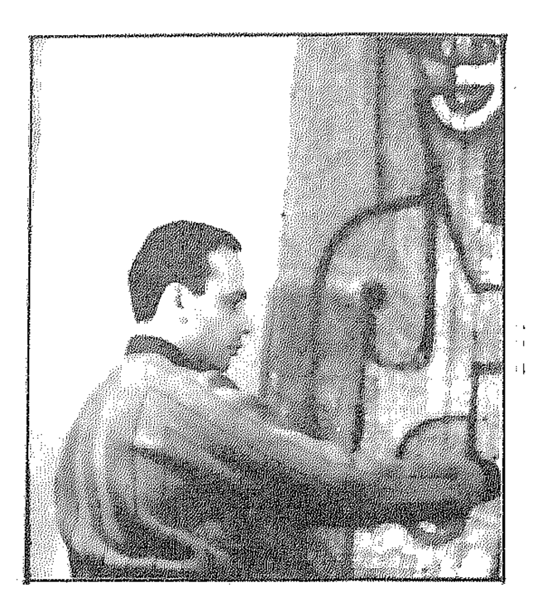
من وحي مصر .. للفنان
سـمير رافع ١٩٤٨ ..

جولة المعارض

اللوحة ـ بل قل فى لوحات تلك المرحلة ـ بكثير من النسب الواقعية ، وأسس تصميم عصر النهضة بما يتميز به من رصانة واتزان سكونى ، واقتصاد فى اللون ، وقد بالغ «رافع» فى هذا الاقتصاد .. وإن تمرد عليه فى فترة الخمسينيات ، فظهرت الألوان صريحة . متألقة . إن الايحاءات الروائية تجد ملاذا فى التعبيرية والسريالية والرمزية .. لهذا تتيح للمشاهد استخلاص عديد من القراءات وبالنسبة لى .. أعترف بأن تلك اللوحة تصدمنى كلما وقعت عيناى عليها ، وأهرب منها الى لوحة أخرى .. رغم احتفاء نقاده بها ومن أبرزهم الناقد « الكونت دار سكوت » الذى قال :

[يمكن للمتفرج أن يتخيل نفسه « ابولون » وقف فجأة عن مواصلة الجرى بينما « دافنى » الهاربة تتحول الى شجرة غار] وسأتصور نفسى (ابولون) فماذا أرى ؟ : أردافا مثيرة ، وجلدا ناعما .. وماتكاد ترتفع العينان الى العمود الفقرى حتى يصاب صاحبهما بالهلع ... ففى موضع العمود الفقرى تتصلب انياب شرسة مخترقة جسد « دافنى» الجميل ، ويتشعث شعرها ، وينتحل شكل الافرع الخريفية الحادة ! .. وإذا كانت تلك الصدمة قد جاءت من المفارقات « السيريالية » فاننا نتعاطف مع استفزاز عالم لوحة أخرى ـ بعنوان افتراضى لنقل أنه «خراب» ونتقبل تحريضه لنا بصدر رحب ! .. فقد احتشد بكل العناصر المنطقية ، والمتسقة التى تدعونا الى الوقوف مع الفنان فى موقفه من واقع يراه كريها ؛ فالاشجار منخوبة ، وثمار الاذرة مرتع للدود ، والأبقار تبدو على البعد تائهة منكسرة والسماء ملبدة بالغيوم ، والظلال الممتدة توحى بالوحشة ، وفروع ، وأوراق الشجرة والنبات تستنجد بالسماء وتتلوى ألما . ويظهر اللون صريحا فى مواضع كثيرة من اللوحة ، موحدا بين « المبنى والمعنى » فالقريب ملون بالألوان الساخنة والبعيد بالألوان الباردة ، ويتشكل بالقريب والبعيد مسرحا مأساويا ، يستفز فى المشاهد كوامن الغضب والنفور ـ ليس من اللوحة بالطبع ـ ولكن من صورة الواقع كما رآها الفنان . تحتل مفردة المرأة ركيزة محورية فى لوحاته ، وتتأرجح بين الرمز والواقع ، وهى فى معظم الحالات عارية ، تكشف عن صلة قربى بانجازات عديد من كبار المصورين المعاصرين أمثال : بيكاسو ، ورووه وماتيس وغيرهم ، كما تكشف فى نفس الوقت عن صلة القربى بجوهر المنحوتات الفرعونية من حيث وضوح المعالم ، وسكونية التكوين .. أو بمعنى أدق ما يطلق عليه : الحركة الداخلية ـ كما تظهر فى نموذج بعنوان افتراضى : « الراحة » حيث يظهر فى اللوحة شكلان انسانيان يتعاكسان فى وضعيهما المسترخى ، ويتأبطا كلاهما ذراع الآخر ، ويقف على رأس احدهما

جرو يبدو مندهشا ، ومكملا فى نفس الوقت دائرة التكوين الثنائى . نفذت اللوحة عام ١٩٥٣ ، وتظهر الالوان ، واللمسات بها أكثر صراحة ، والبعد ـ أو عمق اللوحة ـ أكثر تلخيصا وفى حين تحتل المرأة مركز البطولة يظهر الرجل هامشيا مشلول الارادة ، وتحتل البطولة الثانية ، « السمكة والطائر » : رمزان للاخصاب والحرية . إن هذا المعرض يستحق دراسة تحليلية موسعة لايتسع لها المجال الآن وربما اتيح لى او لغيرى ـ فيما بعد ـ القيام بهذه الدراسة .



سمير رافع .. فى حالة رسم

- ولد بالقاهرة عام ١٩٢٦
- حصل على دبلوم مدرسة الفنون الجميلة العليا (قسم الزخرفة) عام ١٩٤٨ ، ودبلوم المعهد العالى للتربية الفنية عام ١٩٥٠ وكان ترتيبه الأول فى الشهادتين .
- كان عضوا فى جماعة الفن المعاصر التى أسسها «حسين يوسف امين» وشارك فى جميع معارضها من ١٩٤٥ حتى ١٩٥٣ .
- نشر الناقد البلجيكى « الكونت دار سكوت » فصلا فى كتاب عنوانه : [مصورو ونحاتو مصر المعاصرين] عام ١٩٥١ .
- حصل على منحة لدراسة تاريخ الفن فى جامعة السوربون عام ١٩٥٣ .
- عمل فى الجزائر وقام بتدريس تاريخ الفن بها .
- نشر فى مصر سلسلة ممتعة من المقالات تحت عنوان [مذكرات فنان مصرى بباريس] نشرت فى مجلة الهلال .
- مقيم حاليا فى باريس منذ عام ١٩٥٣ حتى اليوم .

تجليات عبد الرحمن النشار

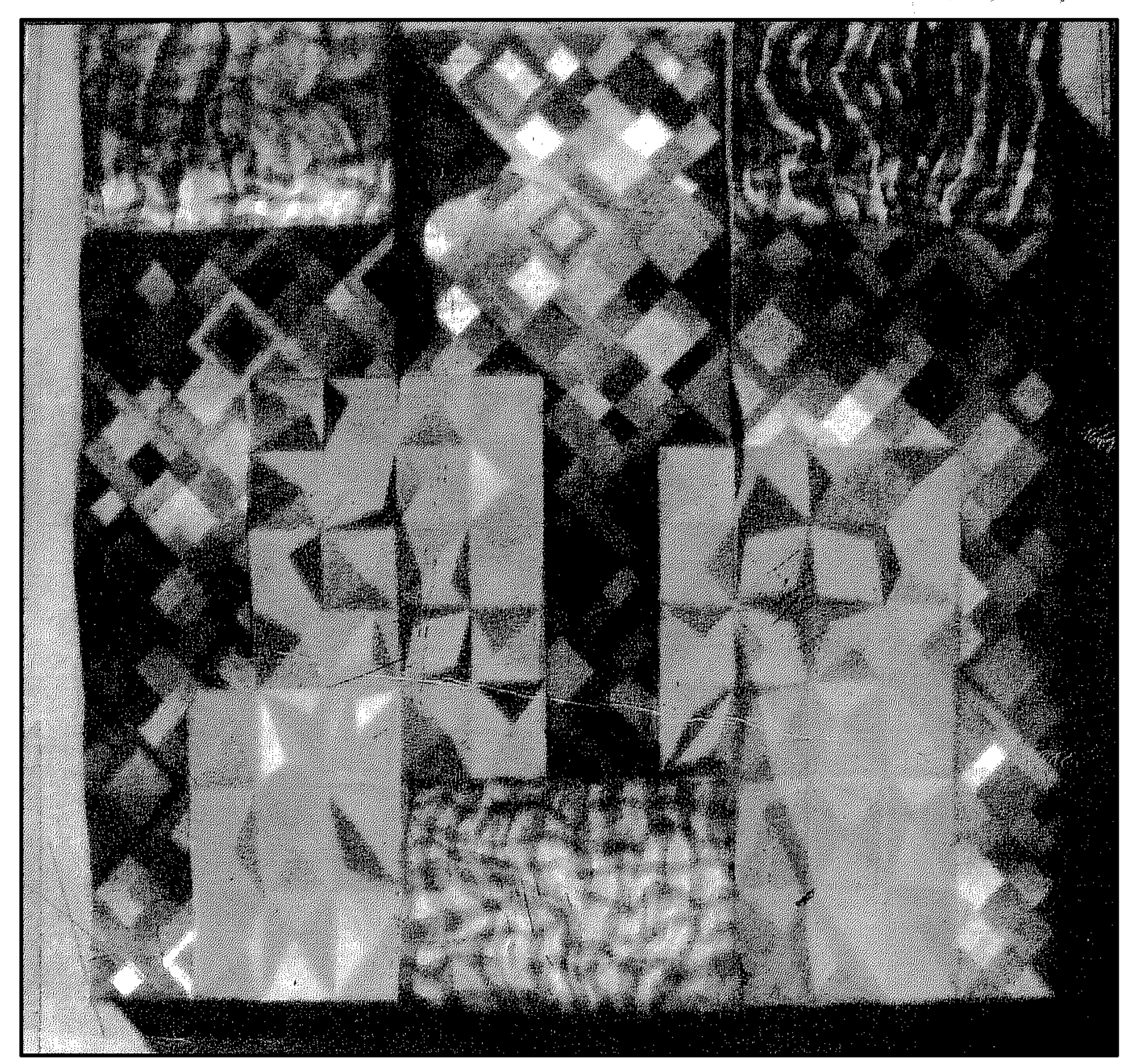
قوبل معرض الفنان « عبد الرحمن النشار » بدرجة كثيفة من التعتيم الاعلامى كما قوبل فى الندوة التى أقيمت لتقويم المعرض بمذبحة استهدفت الاجهاز على تاريخه الفنى ، ورغم تلك القسوة فاننى اعد هذا المعرض من المعارض الهامة خلال هذا الموسم . أذكر أننى عند أول لقاء بمعرضه ، وخاصة بلوحاته الثلاث الكبرى ابتهجت ، وأخذت بالبراعة والاتقان والصبر .. وحتى عندما توغلت فى عالمه واستوقفنى بعض ما أخالفه فيه .. كانت سطوة البهجة والاحترام لاتزال قائمة فى نفسى . اختار « النشار » اسم «التجليات» عنوانا لمعرضه ، ودعوة يوجه بها المشاهد الى مدخل من مداخل لوحاته ، فالتجليات مجالها «اشراق» الروح .. ولاتستطيع الكلمة المنطوقة ، أو اللون المرسوم «وصف» تلك الحالة .. بل الايحاء بها ، وعلينا فى الجانب المقابل ان نتلقى هذا الوحى لنغوص أكثر فأكثر فى ذواتنا ، فالفنان لايريد لحواسنا ان تلامس « عبثية» الواقع » أو ـ بدرجة أعلى ـ أن تشتبك معه أملا فى خلاص أرضى . لهذا كان اعتصامه بالمجردات ضرورة .. وإن أضاف هجينا من «جوهر» نظام المنمنمات ، والزخارف الاسلامية ، والمدرسة البصرية الغربية ، كان من نتيجته ـ ولمزاج شخصى يتميز به « النشار » ـ امتلاء سطح اللوحة الى حد التخمة بالألوان الصداحة . المهندسة .. غير أنها هندسة عاطفية تتكىء على التداعيات ، ولم يكتف بهذا بل شاء ان يضيف لثوابت الألوان فوق مسطحاتها ظلالا تتغير بتغير موضع اللوحة من الضوء فاصطنع تموجات مجسمة فى شكل اللوحة : المكونة من جزئيات منفصلة فى الأساس . ولقد اختار «الشكل المربع» اساسا جماليا للوحاته . ويستخرج أقصى مايستطيع من اشتقاقات المربع ، والمستطيل .. ويكسر سياق اشتقاقاته تلك بكيانات صغيرة تتميع بليونة خطية ، ومن التوافق والتخالف بين ماهو عضوى وماهو هندسى ينشأ حوار داخلى .. يسوده غطاء من درجات لون مسيطر فى اغلب الأحوال . وفى اللوحة المنشورة نلاحظ تنويعات على وحدات ثلاث ؛ فاللوحة الكلية تتكون من ثلاثة قطاعات طولية ، وثلاث وحدات من الاشكال الموحية بالعضوية تشكل فيما بينها هرما مقلوبا ، وثلاث وحدات أخرى يتسيدها اللون الأحمر يغاير به تماثل الوحدات الطولية ، والهرم المقلوب متساوى الضلعين .

رغم الجهد المضنى الذى لاتخطئه العين فى هذه اللوحة وغيرها من لوحات المعرض فاننى أعترف بأن وحداته الهندسية . الحمراء . المعترضة .

ووحداته العضوية المفروضة فرضا قد حالت بينى وبين الاستغراق فى سلام مع اللوحة ! .. غير أن أهم لوحات معرضه هى تلك اللوحات الثلاث الكبرى المسماة : « ملحمة الكون » ، فعلى الرغم من اعتمادها على التركيب المعقد بين وحدات ملتصقة فان الأغطية اللونية المسيطرة على اللوحات تكشف عن براعة وصبر تثيران الانتباه ، كما توحى بالسلاسة وتفصح عن التماسك أكثر من غيرها من لوحات المعرض .. ولو كنت مكان الفنان لاكتفيت بعرض تلك الثلاثية .

- من مواليد القاهرة عام ١٩٣٢
- أستاذ التصوير ورئيس قسم التعبير الفنى بكلية التربية الفنية
- حصل على دبلوم اكاديمية الفنون الجميلة ببودابست عام ١٩٧٠ .
- الأمين العام لنقابة الفنانين التشكيليين .
- اشترك فى العديد من المعارض المحلية والدولية ونال العديد من الجوائز
- لوحات المعرض منفذة بالالوان الزيتية على قماش مثبت على خشب .

علاقة هندسية .. للفنان
عبد الرحمن النشار



همسات ليلية

فى معرض الفنانة الفنلندية (تولا ليهتنين)

اذا كانت لوحات «النشار» تدعونا الى الانفلات من اسر الزمان والمكان فلوحات « تولا ليهتنين » تغرينا بالمكان الأليف ، ولكنها تقدمه لنا بالصورة التى تجعلنا نتساءل :

كيف لم نره على هذا النحو من قبل ! .. ولم تتعال على المتلقى غير المتخصص ؛ فلم تحرف شيئا مما تراه كل العيون ، ولم تستنسخ الواقع بما فيه من عبثية ، بل اختارت مما لامسته من متيرات واقعية ، وشكلت به مسرحا شعريا يتألق فيه همس الاضاءة القمرية ، وتشعر أن الفنانة تدعوك « وحدك» لتتأمل ذلك الذى سحرها ؛ فتعد لك مقعدا ومنضدة لتجلس وتتأمل ضوء القمر البعيد وانعكاساته على مفرش المنضدة ، وعلى نخيل الفيوم ، وقد تلبى أحلامك القديمة بالانفلات من ضوارى المدينة الى جزيرة صغيرة وسط محيط .. ليس بها سوى مظلة صغيرة . مقفلة ، ومقعد صغير هش . وربما حمدت الله لأنك لاتعيش فى هذه الجزيرة المجهولة .. لكن لأن ماتراه مجرد لوحة من صنع الخيال . فسرعان مايعاودك الحنين الى حلمك القديم ، وتتمنى أن تصير روحا هائمة ، تحلق فوق تلك (الجزيرة ـ اللوحة) وتدعونا الفنانة مرة أخرى الى همس الحقول والنخيل فى الليل .. حيث تذوب الفوارق ، وتتشكل فيما بينها كيانا كليا .. يترقب نقاط النجم المضيئة ، والفجر القادم ، وتقف بنا عند طائر ، أو زهرة ، وتدعونا برفق الى الاستمتاع بما فى اختياراتها المرئية من شعر ، ولقد ابتعدت عن الاستعراض الشكلى عبر وسيطها المفضل : الجرافيك ؛ فهى تريد أن تعلن لنا أنها ـ ببساطة ـ احبت مشاهد من البيئة المصرية وأرادت أن تنقل لنا هذا الحب ، وعلى الرغم من احتفالها بالمدى ـ الفراغ ، واختفاء العنصر البشرى ، وظهور العناصر الحية فرادى .. فاننا لانستشعر ، مطلقا ، وحشة الاغتراب الأوربى ، فهى تدعونا الى الانفلات من ضوارى المدنية : غابات الاسمنت ، والبشر .. الى لحظات نتأمل بها « وحدنا» مابنا وما بالطبيعة من جمال لنعاود الثقة فى الانسان ، أو ـ على الاقل ـ نشحذ القدرة على التعايش مع تلك الغابات !



منظر استوائى للفنانة تولا ليهتين

● ولدت فى تمبرى عام ١٩٥٦
● تخرجت فى اكاديمية الفنون بفنلندا عام ١٩٧٤ .
● شاركت فى العديد من المعارض المحلية والدولية .
● نالت العديد من الجوائز والمنح الدراسية والتفـرغ من الحكومـة والهيئات والمعاهد الفنلندية .
● هذا هو معرضها الأول فى مصر وقد جاء حصيلة لرحلة سابقة لها الى مصر .



جزيرة مهجورة للفنانة
تولا ليهستين . . .

جولة المعارض

محمود شكرى والكتل الطائرة

منذ أقام النحات « محمود شكرى» معرضه الخاص الأول عام ١٩٨٤ وهو يواظب على تقديم معرض سنوى فى مجال النحت المعدنى والخشبى المجسم ، والميدالية . تتميز أعماله بالاتقان والرشاقة ، ويميل واضح الى التلخيص الذى يقترب من التجريد دون أن يقطع هذا الاقتراب الصلة مع الأصول الواقعية ، ولايثقل اشكاله بالرموز بل يدعونا الى التوقف عند منحوتاته باعتبارها نحتا أولا وأخيرا : أى كتلا يحيطها الفراغ من كل جانب ، ويخرقها اختراقا .. ويتحالف الفراغ الخارجى والداخلى فى رسم «خطوط» الكتلة ، أو الكتلة « الخطية» .. التى تبدو مقاومة لجاذبية الأرض .. فتكاد تطير ، وكما ألهم طائر « برانكوزى » عديدا من الفنانين فقد الهم « محمود شكرى » ، الذى كرّس عديدا من الطيور فى أوضاع متنوعة ، تارة تقترب من ملامح طائر ما ، وتارة يكتفى بالايحاء به ، وينتظمه فى متتاليات توحى بالحركة والاندفاع والطيران . وتستغرقه جماليات الفراغ والكتلة فيتلاعب بهما لاقناع العين دون أن يشغله أن يكون لفنه هوية قوية أو اشتباك ما مع الواقع .. ومع ذلك تحسب له براعته الفائقة فى معالجة الخامات المختلفة ، و « محاولته » تحدى « سكونية» المنحوتة المصرية المعاصرة والقديمة .

- ولد عام ١٩٤٧ بالشرقية .
- تخرج فى كلية الفنون التطبيقية عام ١٩٦٩ .
- يعمل استاذا مساعدا بكلية الفنون التطبيقية (قسم النحت)
- اشترك فى العديد من المعارض المحلية والدولية .
- حصل على جائزة الدولة التشجيعية عام ١٩٨٤
- نال الجائزة الأولى فى مسابقة « مختلر » عام ١٩٨٥
- نال وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى عام ١٩٨٦



طيور للنحات محمود شكرى



« العاصفة » فى عيون محمد عبلة

الفنان محمد عبله :
البحث عن حلم الطفولة

بقلم : عز الدين نجيب

يمكننا ان نعتبر معرض محمد عبلة بلورة ناجحة لكل خبراته الفنية السابقة ، وانتقالا جريئا من عالم التجريد والزحام والبحث عن لغة تشكيلية ، الى عالم جديد عليه ، يمتزج فيه الفكر بالاسطورة ، والحلم بالواقع ، والمكان باللامكان ، مستعيدا من كهوف الذاكرة براءة الطفولة ، ومن صفحات التاريخ حس الخلود فى التصوير المصرى القديم ، ومن التراث الشعبى ملامح طقوسية تقف على مشارف أعمال فناننا الراحل عبدالهادى الجزار ، ومن التراث الفنى المعاصر أطيافا من الفنان الروسى العالمى مارك شاجال ، ومن السرياليين بوجه عام ، ممتلكا ـ قبل كل ذلك وبعده ـ حرية مطلقة فى التحليق نحو آفاق لانهائية .

البحث عن حلم الطفولة

لقد وصل محمد عبلة الى هذه الرؤية بعد رحلة شاقة بحثا عن أرض صلبة يقف عليها وينتمى اليها .. فبعد أن أنهى دراسته بكلية الفنون الجميلة بالاسكندرية عام ١٩٧٧ ، بدأ سلسلة من الرحلات الاستكشافية ـ أو الصعلكة الفنية ـ خارج مصر ، استغرقت ست سنوات ، طاف خلالها العراق وسوريا ولبنان وأسبانيا وفرنسا والمانيا والنمسا ويوغسلافيا وتركيا واليونان وسويسرا وايطاليا ، وأنجز خلالها دراسات فى الحفر والنحت وعلم النفس ومارس العلاج بالرسم .. وخلال كل ذلك لم يتردد فى تجريب اى اسلوب فني يعن له دون تعصب ، لكن دائما كان هناك مرفأ يؤوب اليه فى نهاية كل رحلة ، وهو الروح المصرية ، التى تتمثل عنده فى طبيعة الناس والمكان ، حيث راح يملأ دفاتره « باسكتشات » لملامح من الحياة المصرية فى الريف والأحياء الشعبية .

والبداية الفنية لمحمد عبلة مع مشروع تخرجه ١٩٧٧ الذى استمده من الحياة فى الريف ، كانت تؤهله ليكون واحدا من أمهر مصورى المناظر الطبيعية وحياة البيئة ، بما يملكه من حس مرهف لالتقاط جزئيات الطبيعة والبشر مع خبرة أكاديمية عالية ، لكنه من نوع الفنان القلق ، الباحث دائما عن الجدة والدهشة ، وفى كل تجربة جديدة يقدم عليها كان يسعى اولا الى أن يدهش نفسه قبل أن يدهش الآخرين ، لكن ما أن يفقد العمل قدرته على الادهاش حتى ينحيه جانبا ويبحث عن مصدر جديد للدهشة !

وقد بلغ هذا البحث ذروته الإبداعية عنده فى أعماله عام ١٩٨٥ ، التى لم تزد عن تراكم كميات لاتحصى من النقط اللونية متجاورة دون أن تضمها « أشكال » موضوعية أو حتى هندسية من أى نوع .. فقط وضعها لتحدث حركة بصرية متماوجة متلاطمة كجيوش النمل أو جموع البشر ، أو كخلايا ميكروسكوبية .. وقد فاز عن احدى هذه اللوحات فى العام نفسه بالجائزة الأولى فى مسابقة القاهرة فى عيون الفنانين ، التى أقامها المركز القومى للفنون التشكيلية .

وبالرغم من قدرته فى تلك الأعمال على الادهاش والابهار ، فانها كانت بعيدة عن المزاج المصرى ، لأنها وليدة ثقافة أوربية اساسا ، وربما كانت متوجهة اليها أكثر من توجهها الى المجتمع المصرى .

● ● ●

فى معرضه الجديد نرى اختلافا جوهريا ..

إن الانسان أصبح بطلا محوريا فى جميع اللوحات ، شكلا ومضمونا وقد نستطيع تتبع تطوره الدرامى (أو بنائه الهارمونى) من خلال أربعة مجموعات من اللوحات المتتالية زمنيا فى انتاجها ، قد نسميها تجاوزا حركات موسيقية .

فى المجموعة (أو الحركة) الأولى ، نراه أقرب الى المنطق الواقعى فى المقاهى والحمامات الشعبية ، من خلال جو من الفطرة والسذاجة ، وهنا نستطيع

أن نتعرف على معالم المكان المسقوف بالاقواس والعقود الحجرية ، ذات منظور هندسي واقعي ، وألوان قليلة محايدة تغلب عليها الرماديات ، والايقاع العام فيها بطيء يميل الى السكون والتوقع أو التربص .

وفى الحركة الثانية تتلاشى قليلا سيطرة المكان ويزداد غموضا ، وتتضح

الانسان بطلا محوريا فى لوحات محمد عبلة



ملامح الأشخاص من أبناء الطبقات الشعبية في جو يقترب من عالم «عبدالهادى الجزار» بما فيه من سحر وشعوذة وجنس ، وهنا تزداد الحركة الداخلية في الأشخاص والعلاقات ويتسارع الايقاع حتى نكاد نسمع ضربات الدفوف ، كاشفة عن تناقضها مع دلالاتها الواقعية .

وفي الحركة الثالثة : تختفي تماما معالم المكان ، وكذلك البعد الثالث ، لتتناثر على سطوح اللوحات مشخصات «أرابيسكية» على خضم من موجات لونية ناصعة ، تتوالد من بينها مساحات ضوئية مراوغة ، تحدث حركة بصرية لاهثة ، وتبدأ في الظهور كائنات حية أخرى بجانب الأشخاص ، مثل الطائر الرابض بهدوء ، الذى سيصبح فيما بعد عنصرا جوهريا في الحركة الأخيرة .. وهكذا يبدأ عالم الرمز يتأكد مع تباعد الفنان تدريجيا عن الواقع المباشر ، وتكتسب لمسات الفرشاة

الصمت .. لوحة لمحمد عبلة





« قهوة قاهرية » لوحة للفنان محمد عبله

سخونة وعضوية لانظير لهما فى المجموعتين السابقتين ، وتصبح الألوان أكثر اشتعالا وبعدا عن محاكاة الطبيعة ، ويتصاعد دور الطائر ـ الرمز ـ حتى يتخذ شكلا آدميا يواجه (الانسان ـ الطفل الملك) ، ليدخل بنا عالم الحدوتة الشعبية بكل ارهاصاتها ومتاهاتها السحرية ، فاذا بكل العناصر التشكيلية فى هذه الحركة (من خطوط والوان وملامس) تنبض بتوتر وحركة تتصاعد الى ذروة اللحن .

وننتقل بعد ذلك الى المجموعة (أو الحركة) الرابعة ، حيث نجدها تهدأ تدريجيا لتصل الى قرار راسخ وئيد الحركة ، كثيف الألوان ، قليل الأشخاص ، اذ نراهم غالبا فى أوضاع جانبية مستوحاة من الرسوم المصرية القديمة . مجنحين كالبراق ، رابضين كالتماثيل ، متواجهين فى مناجيات أو محاكمات سرية . وهنا يبرز دور المرأة وتزداد سطوتها على الفراغ ، كأنها حارسة لكل التقاليد والمواريث ، ويربض قبالتها « مالك الحزين» حينا ، أو يقف الطاووس بقربها مختالا .

وإذا كان ثمة مايعيب هذا المعرض الجيد ، فهو تكرار العناصر نفسها من لوحة الى أخرى بحيث أعطت تراكما عدديا كان يمكن اختصار الكثير منه دون أن يفقد المعرض شيئا من قوامه ، ومن ناحية أخرى فإن الجو الاسطورى للأعمال قد هيأ أذهاننا للولوج الى مضمون فكرى معاصر ، لكنه انتهى عند مجرد هذا « الجو » حيث يصعب أن نكتشف من خلاله فكرا فلسفيا . ولست بذلك اطالب الفنان بأن يجعل من لوحاته ناقلات للأفكار الفلسفية ، لكننى أعنى أنه طالما اختار مفردات تشكيلية ذات دلالات رمزية ، فإن عليه الا يجهض رموزه قبل أن تصل الى دلالاتها .

لكن يبقى أن الفنان محمد عبلة قد غامر بدخول هذه الغابة المتشابكة من الرؤى الجمالية والتعبيرية ، ليخرج منها بعمل فنى جياش بالحياة والأنغام .

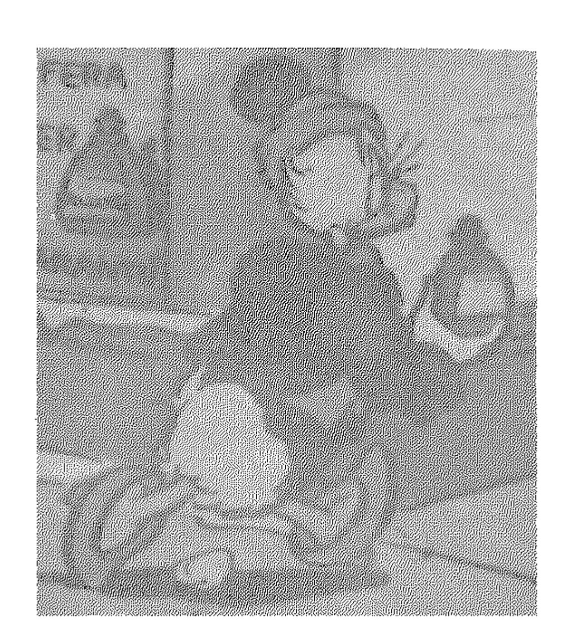
خفايا الفن التاسع

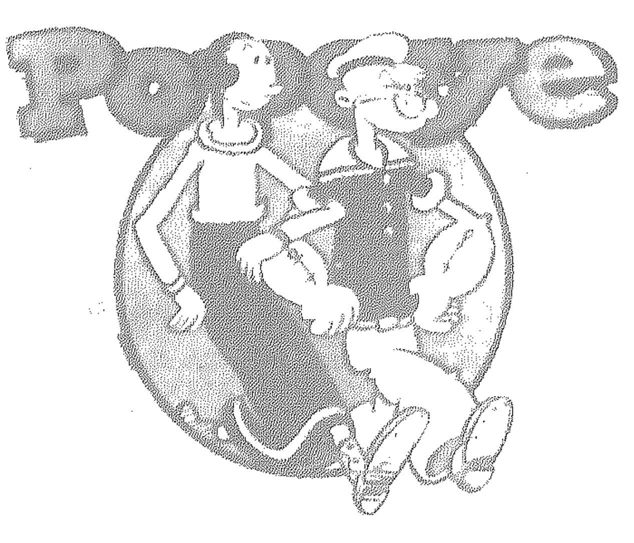
الحكايات المصورة

بقلم : محمود قاسم



من عجائب القرن العشرين انه عرف مجموعة من الشخصيات الخيالية نالت شهرة واهمية اكثر بمراحل طويلة من رجال كثيرين حكموا دولا وتزعموا عصورهم . واغلب هذه الشخصيات ولد في غرف صغيرة ضيقة قام بصناعتها شخص واحد يجلس وامامه مجموعة من الورق المتناثر يملأها بحكايات مسلية يتلقفها القراء بشغف وينتظرون المزيد . مما جعل من القصص المرسومة اكثر الفنون انتشارا من بقية فنون القرن العشرين ..





اصبحت شخصيات الحكايات
المصورة اشهر من رؤساء الدول

فلا نغالى اذا قلنـــا ان فـن القصص المرسومة اصبح اكثر انتشارا أو شهرة وجماهيرية فى بعض البلدان من فنون عديدة .. خاصة السينما فى بعض المراحـل . لذا اطلق عليه اسم الفن التاسع ـ الفن الثامن هو البوب ـ فقد قام بتصـدير مجموعة مــن الشخصيات الشـهيرة والحكايات الطريفة الى السينما . وكم تهافت السـينمائيون عـلى الحكايات المرسومة ينهلون منها ويستفيدون مـن نجاحها مثلما فعلوا مع فنون أخـرى كالرواية والمسرح .

والمتتبع لما يصدر سنويا من قصص مرسومة فى المجلات المتخصصة ـ أو فى مجلدات منفصـلة ـ فى كافة انحــاء العالم سوف يعرف ان حكايات هــذا الفن تبـلغ سنويا أضـعاف الانتاج السينمائى العالمى، وفى السنوات الاخيرة ـ مثلا ـ أرتفع عـــدد المؤسسات التى تخصصت فى اصدار مجلدات القصص المرسومة لدرجة انه فى مدينة بـاريس وحدها يصدر سنويا ٦٠٠ حكاية يباع منهـا قرابة ١٨ مليـون نسـخة . وهى اعداد اكبر بالطبع من عدد الافلام التى يتم صناعتها فى شركات الانتـاج الفرنسى . لذا فان هذا الفن قد خـلق ثقافة جديدة . لها جمهورها الخـاص المتذوق . وهو ليس جمهورا منفصلا عن الفنون الاخرى . فهو يقرأ هذه الحكايات المرسومة ثم يذهـب لمشـاهدتها فى السينما أو التليفزيون . وفى السنوات الاخيرة أصبح هذا الفن أحـد المـواد الرئيســية فى الجامعــات الاوربيـة والامريكية . وأصبح أحد ابرز الفنون الحديثة التى انبثقت عـن الفنـون التشكيلية . وبدأت تقام له المعـارض الفنية السنوية . وفى آخر معرض أقيم فى باريس منذ عدة أشهر بلغ عـدد الزوار حوالى مائة وســبعين الف زائر ..

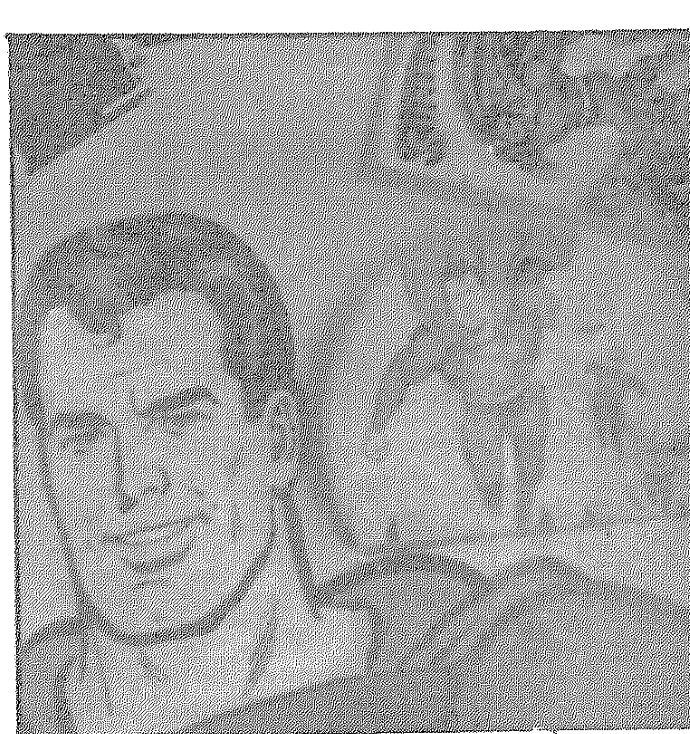
ويقـول فرانـك موبيرا فى مجـلة الاكسبريس ـ ٢٧ سبتمبر ١٩٨٥ ـ ان بعض القصص المصورة قد أعطت للفن التشكيلى المعاصر شكلا هندسيا متناسقا مثلما فعل الرسام المعروف ادجـار

الحكايات المصورة

جاكوب صاحب القصص المشهورة عن التاريخ المصرى القديم والذى استفاد من التراكيب العمارية الفرعونية وهو يرسم حكايتى « أسطورة الهرم الاكبر» و « سجائر فرعون » .

ويرى فيليب برونسون ـ العدد الاول من مجلة القصص المرسومة ـ انه فى بداية الامر لم يكن ينظر الناس الى هذا الفن نظرة جدية وان هذه القصص الان قد أصبحت فنا له اعلامه البارزون الذين يحظون بشهرة تضارع ما يتمتع به صناع السينما مثل والت ديزنى صاحب شخصيتى ميكى ماوس والبطة رونالد . والفنان الفرنسى هيلاجيه صاحب شخصية تان تان .. الصحفى الشاب . وقد تصور البعض ـ فى بادىء الامر ـ ان هذه الحكايات المرسومة نوع أدبى مميز . من السهل قراءته . وهو فن حى ينفتح على عوالم واسعة ليس من السهل حصرها . ابتداء من الخيال العلمى والمغامرات البوليسية وأدب الرحلات الى القصص الدينية . وحكايات التاريخ . ثم ـ فى السنوات الاخيرة ـ الحكايات الاباحية ..

سوبرمان .. من الالبومات .. الى السينما



ومن المهم ان نشير الى أن فن القصص المرسومة ظل طيلة عمره فنا مستقلا فى حكاياته . يتفنن أصحابه فى ابتداع شخصيات وموضوعات جديدة . ولم يلجأ الى الاقتباس من الفنون الاخرى مثلما فعلت السينما عندما اقتبست الروايات والمسرحيات . ولم يحدث هذا الا فى اضيق الحدود . ومن أبرز هذه المحاولات تلك القصص المرسومة المأخوذة عن جيمس بوند فى أوائل الستينيات . وهذه القصص مثلا مأخوذة عن النص الادبى الذى كتبه ايان فلمنج وليس عن الفيلم السينمائى .. فحكايات جيمس بوند التى كانت تنشرها جريدة أخبار اليوم أسبوعيا فى عام ١٩٦٤ لم تظهر فى السينما سوى عام ١٩٦٩ تحت عنوان « فى خدمة صاحب الجلالة » .

● الانسان .. هو الاصل

ومن الصعب حصر أسماء أبطال الحكايات المرسومة فى العالم . لكننا بلا شك نعرف ميكى ماوس وبقية عائلة والت ديزنى ـ كذلك هناك سبيرو وتان تان . والشبح . وسوبرمان . والرجل الوطواط . وقد اعتمدت الحكايات المرسومة فى أول عمرها على هذه الشخصيات . وكان على كل فنان ـ أو مؤسسة ـ ان يصنع شخصية مميزة وجذابة وفريدة عن بقية الشخصيات . فبينما اهتم ديزنى « بأنسنة »الحيوانات الصغيرة كالفأر والبط والقط . فسان

ميرجية اختار تان تان البسيط الذى يمثل مرحلة وسطى بين الطفولة والشباب يتسم بالطيبة والجرأة والبساطة وحب الخير . يساعده فى مغامراته التى لا تنتهى شخصيات عادية مثل «الكابتن هادوك» «المفتشين تيك وتاك» . وكلبه الصغير ميلو . أما مجلة فارفيل كومكس قد أصبحت فنا له أعلامه البارزون بشخصيات خارقة مثل سوبرمان وفلاشمان والرجل العنكبوت . وسوف نتحدث عن نماذج محددة من هذه الشخصيات وصناعها .

هذا العام يحتفل العالم بمرور ٦٠ عاما على ميلاد الفار الشهير ميكى ماوس . الذى سيبقى على صورته المعهودة يغالب الزمن . فلا يشيخ . ولا تصيبه التجاعيد . نشيطا . مليئا بالحيوية . يقوم بملايين المغامرات مثلما فعل طيلة عمره المديد . وميكى ماوس هو وليد أشهر فنانى الحكايات المرسومة وأفلام الرسوم المتحركة فى القرن العشرين . ففى عام ١٩٢٧ فوجىء ديزنى وهو فى مكتبه الصغير بفار صغير يخرج له من حيث لا يعلم . وينظر اليه فى ثبات . ثم يلاعب شواربه ويختفى مثلما ظهر . فى هذه اللحظة ولدت شخصية ميكى ماوس التى فكر ديزنى أن ينقلها الى عالم السينما من خلال أفلام التحريك . لكن امكانات صناعة السينما لم تسعفه فقدم أول حكاية كاملة مرسومة فى أول يناير عام ١٩٣٠ . وكانت السيناريوهات الاولى من تأليف ديزنى نفسه يرسمها فنان يدعى أوب افريكس . ثم ما لبث ان انضم اليهما رسامون آخرون . وما لبثت هذه الرسومات أن عبرت المحيطات . مما دفع ديزنى الى انشاء مجلة خاصة تحمل اسم ميكى ماوس . وسعيا للتنوع ابتدع شخصيات أخرى مثل العم بطوط وتعلوب



اتسمت رسومات الالبومات المصورة بالحركة والحياة

وعبقرينو والعم دهب ومحظوظ . وقد تمت ترجمة هذه الحكايات المرسومة الى كل لغات الدنيا . وانشئت مجلات مخصصة لمطبوعات والت ديزنى منها طبعة تصدر باللغة العربية . وفى الاربعينيات - مثلا - كانت تباع منها قرابة ٣٥ مليون نسخة فى طبعتها الامريكية .

● تان تان .. اشهر من ديجول

أما الفنان الفرنسى هيرجيه (١٩٠٧ - ١٩٨٣) فقد بدأ رساما فى العديد من الصحف والمجلات . وعمل فى البومات قصصية عديدة . ورغم انه لم يتعلم الرسم فى أى مدرسة فانه اصبح بفضل شخصية تان تان أكبر مدرسة فى فن الحكايات المصورة . وقد ابتدع هذه الشخصية ابان سنوات الحرب . وفى عام ١٩٤٦ ظهر العدد الاول من المجلة فى بلجيكا . وقد بلغت شهرة تان تان العالمية الحد الذى جعل

الحكايات المصورة

الرئيس الراحل شارل ديجول يقول معلقا لصديقه الاديب اندريه مالرو : لا يوجد منافس لي في بلادى - وخارجها - سوى هذا الصحفى الصغير تان تان الذى تبيع مجلداته سنويا اكثر من ٥٠ الف نسخة .

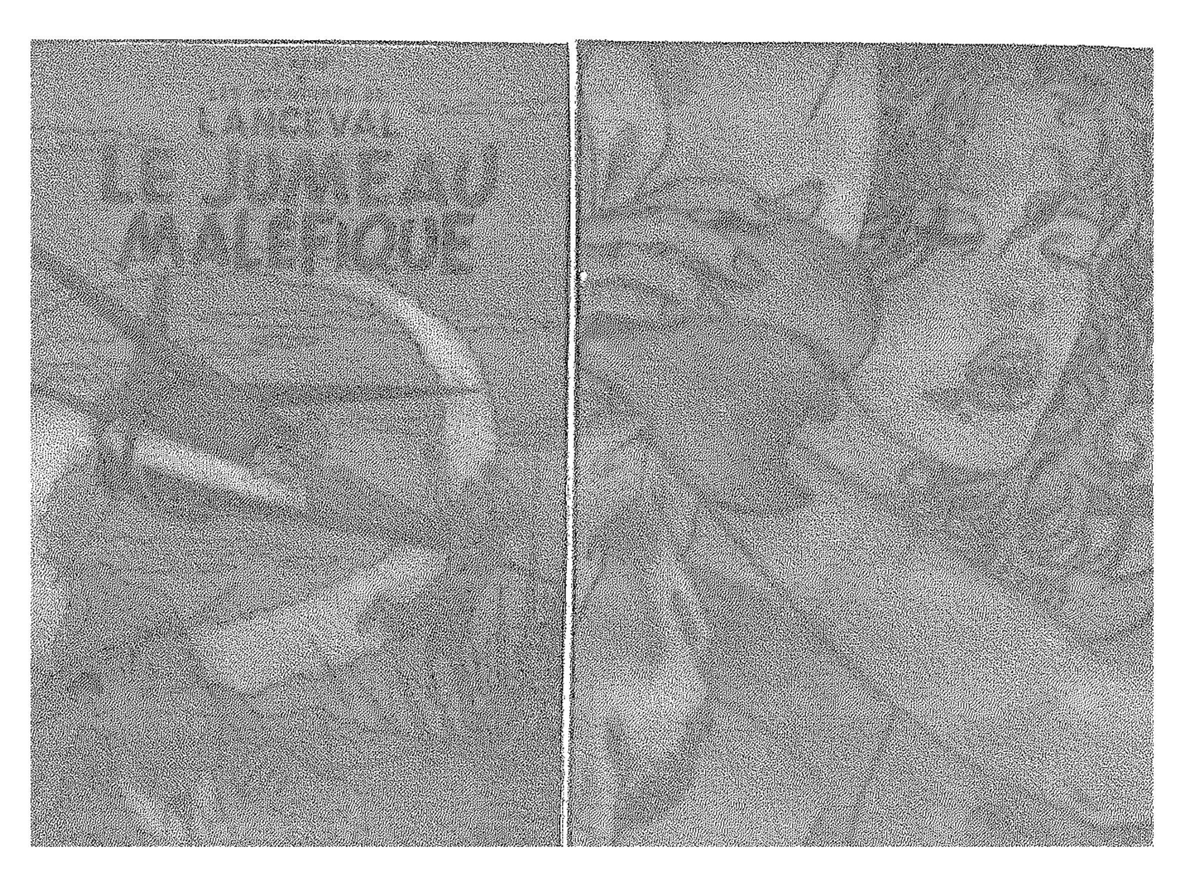
ويقول هيرجيه إن فى القصص المرسومة قد جاء امتدادا للتطور الطبيعي الذى شهدته الفنون التشكيلية. فبعد التعبيريين الذين طرحوا أهمية الضوء . والتكعيبيين الذين القوا بالموضوع أرضا وخلف نفس المهنة « أصبحنا في نفس الغاية . » . ويتحدث عن كيفية العمل فى هذه القصص : « في البداية تبزغ في اذهاننا افكار بالغة البساطة . ثم نبدا مباراة اقرب اليما يعرفه الفرسان الثلاثة. حيث نبدا فى تاليف السيناريو واجريه على من حولى. وغالبا ما ياتى السيناريو اثناء العمل . وعندمانتنتهى من الخطوط العامة نبدا فى الرسم» . ويرى هيرجيه أن صعوبة هذا الفن تاتي في أن على الفنان انيستمر حتى نهاية الصفحة « فاذا وصلت مثلا الى الصفحة ٤٢ فانك تجد ان هناك فكرة افضل لما يدور فى الصفحة رقم«١٥»، اذن بعد ان تكتب مختصرا للسيناريو فى صفحتين او اكثر . فعلينا البحث عن وريقات صغيرة ترسم فيها هياكل الشخصيات نوضح فيها الحوار والاشارات . ثم نقدم لكل منهما الحركة التي يمكن ان تتسم بها » .

لا شك أن الدور الذى لعبته مجلة مارفيل كوميكس الامريكية كان هاما في صناعة شخصيات تنتمى اغلبها الى نوع الخيال العلمى والفنتازيا . مثل الرجل العنكبوت. وكابتن امريكا ورجل اشعة الاكس . والرجل المطاط . وسوبرمان التى اصبحت فيما بعد عام ١٩٣٩ مجلة منفصلة. وقد ابتدع هذه الشخصية الاخيرة الرسامان جيرى سيجال وجوشو ستر فى عام ١٩٣٣ عقب الازمة الاقتصادية الطاحنة التى تعرضت لها الولايات المتحدة . ويقال ان سوبرمان قد جاء لانقاذ البلاد من عثرتها التى اصابتها . الا أن اول رسم لهذه الشخصية لم يظهر الا بعد ذلك بخمسة أعوام .

سوبرمان . . والازمة الاقتصادية

وسوبرمان هو البطل القادم من كوكب كريبتون البعيد . يمتلك من القوة ما لم يبلغه احد من البشر.وهو فى احد جوانبه المواطن العادى الذى يحب فتاة لا تشعر جيدا به ..وعندما يستشعر اى خطر يحوط العالم من حوله . ينقلب الى الجانب السوبر فيستطيع الطيران . ويمكنه اختراق الارض او منع قنبلة ذرية من الانفجار وسوبرمان هو احدى شخصيات الحكايات المرسومة التى تمت ترجمتها الى اللغة العربية منذ عشرين عاما.. ثم توقفت المحاولة بلا سبب ..

اما الفنان « الفى كريسلر » فقد فكر فى ابتداع شخصية محببة ذات ابعاد جديدة . وهى شخصية البحار بوباى . وهو انسان اقرب الى العادى لكنه متميز ببضعة اشياء مثل الانتفاخ البارز فى ساعديه . والغليون الذى يضعه على طرف فمه الايسر . وقبعة البحار . واندفاعه الشديد فى سلوكه العام . وغباء مميز فيتصرفاته.وهذا الغباء سبب لارتباط القارىء به . فهو يتصرف على السجية وهو شخص غير لطيف مع النساء خاصة رفيقته النحيفة اوليف . ويمثل بوباىنموذجا



فالنتينا .. نموذج الحب فى الحكايات المرسومة — تان تان .. من مغامرة لمغامرة

للبطل المضاد الذى انتشر بعد ذلك فى السينما . ساخر التصرفات وقبيح الشكل . من أشهر مغامراته « أنازى مانا » وهو أيضا احدى شخصيات الحكايات المرسومة التىوجدت طريقها الى السينما . ففى عام ١٩٨٠ أخرج روبرت التمان فيلما عن هذه الشخصية ـ وهو مخرج بالغ الحرية ـ لاقت نجاحا كبيرا . وبذلك أصبح بوباى شخصية للكبار والصغار معا . وجاء لرؤية هذا الفيلم هؤلاء الرجال الذين كانوا اطفالا فى الثلاثينيات ومعهم ابناؤهم وأحفادهم .

● فالنتينا .. امرأة خليعة

اذا كانت الحكايات المرسومة للأطفال قد وجدت بها مكانا فى الصحف والمجلات مع مطلع القرن العشرين فان الفنانين قد انتظروا ستين عاما ليقدموا حكايات للبالغين . ومن أبرز هذه القصص مغامرات « بارباريللا » التى تحولت الى فيلم سينمائى . ثم قصص الهاريكارى . وبدأت تظهر مجلدات موجهة بصفة خاصة للكبار دون الصغار . ومثلما توجد أفلام للكبار فقط . قدم الفنانون حكاياتهم لهؤلاء البالغين . وفى ايطاليا مثلا عمل الفنان كرباكس على تقديم عشرات القصص الاباحية المرسومة فى مجلدات بيعت منها ملايين النسخ وأصبحت هذه الحكايات تنافس المجلات الخليعة وتفوقها فى المبيعات . وقد ابتدع كرباكس شخصية امرأة بالغة الحسية تقوم بمغامرات ماجنة فى عشرات الحكايات . وأصبحت فالنتينا تنافس كلا من ميكى ماوس وتان تان . ويقول كرباكس أن فالنتينا هى مزيج من نساء

الحكايات المصورة

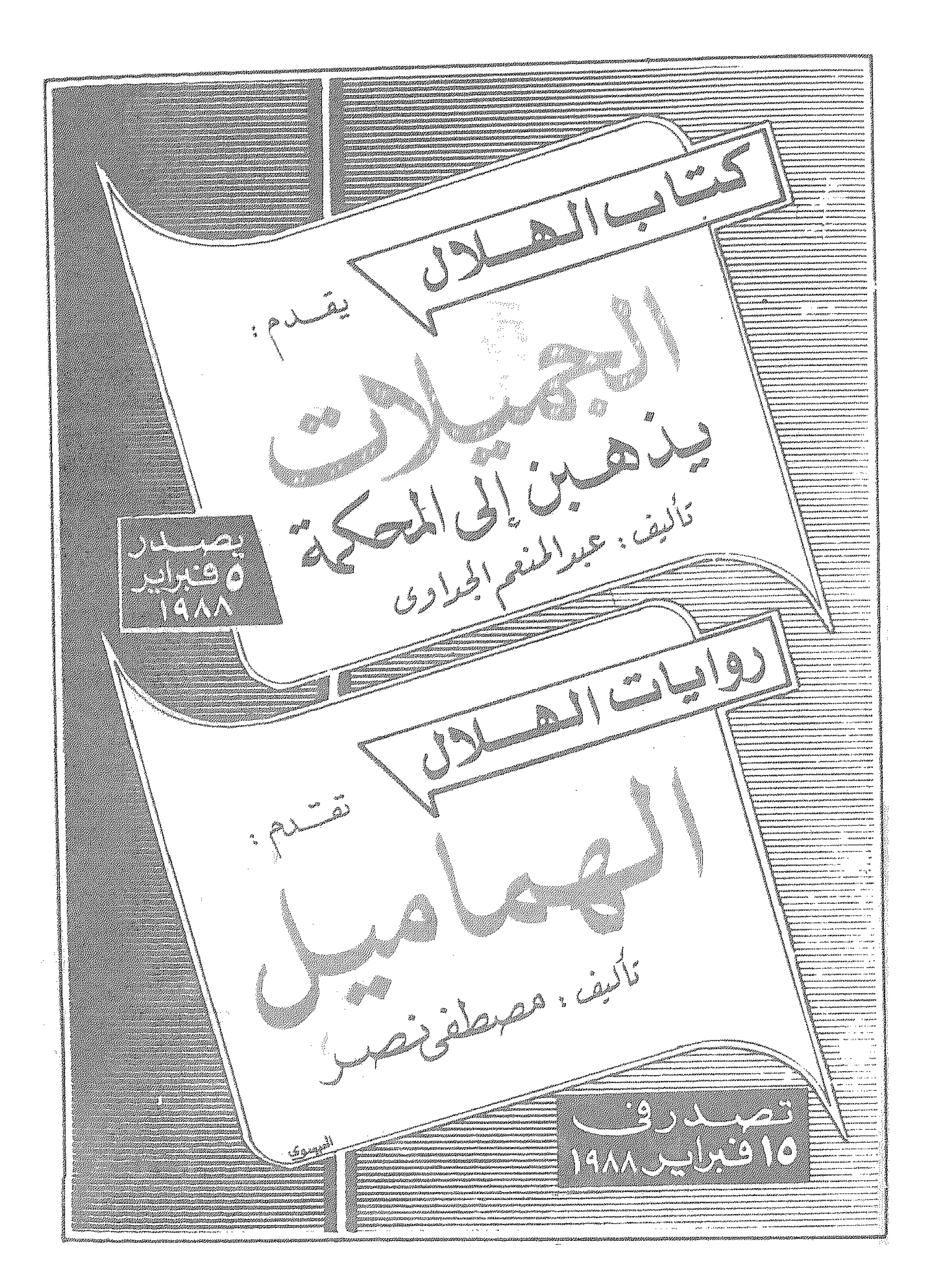
عديدات عرفهن التاريخ والادب مثل مدام بوفاري وتاييس وسالومى الى ايمانويل وجوستين . ومن الجدير بالذكر أن السينما استعانت بكرباكس كمستشار فى العديد من الافلام المكشوفة مثل « قصة أو » و « عشيق الليدى تشاترلى » وخماسية « ايمانويل » .

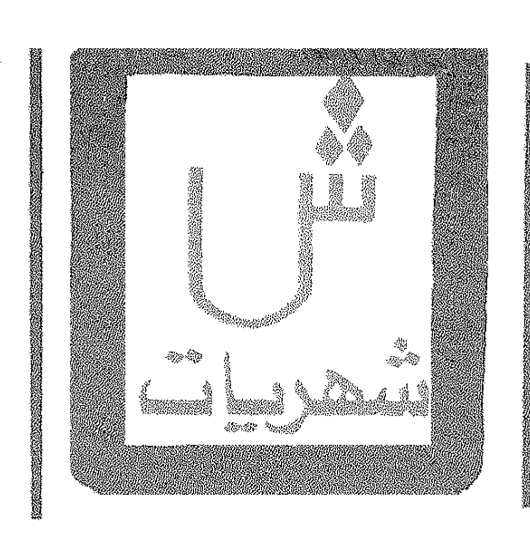
العرب .. وثقافة المستقبل المرسومة

هذا العام ، تحتفل مجلة « سمير » بمرور ٣٢ عاما على انشائها . وقد سعت المجلة طوال هذه الاعوام على خلق حكايات عربية مميزة فى مغامرات يقوم بها البواسل من الكشافة والتي رسمها الفنان الراحل المبدع هارون . ثم شخصية عصام التي رسمها الفنان روجيه كاميل الذى سافر الى فرنسا ثم بلجيكا للرسم فى مجلات الاطفال وابدع هناك شخصية عربية مرحة باسم « فوفي » .. كما ابدعت المجلة شخصيات أخرى مثل البطل العربي المغوار علاء الدين .. وشخصية الفتى الشجاع دندش . وفى السنوات الاخيرة ظهرت شخصيات اخرى مثل الجوالة العرب . وزيكو الشغوف بالعلم . ورغم كثرة هذه الشخصيات فان مغامراتها وحكاياتها لم تظهر فى البومات منفصلة حتى الان سوى اعداد بسيطة من مغامرات البواسل فى اوائل الستينيات . ورغم نجاح هذه التجربة فانها لم تتكرر الا فى اضيق الحدود . فقد نشرت رواية « المملوك الشارد » لجرجي زيدان فى طبعة شعبية مرسومة فى عام ١٩٦٧ . ونشرت حكاية تنابلة الصبيان فى عام ١٩٦٩ . ورغم نجاح هذه التجارب فان اسباب توقفها غير محددة . كما ان فكرة عدم الاستفادة من نجاحها لاستمرارها لا تزال ايضا غير معروفة الاسباب . فالبعض يرجع هذا الى ازمة الورق والبعض الاخر الى ان انتشار القصص المرسومة فى العالم ليس سوى ظاهرة عالمية مؤقتة سوف تقل اهميتها فى السنوات الاخيرة .

ورغم ان العالم العربي غني بمجموعة كبيرة من رسامى الحكايات المرسومة . فان ايا من هؤلاء الفنانين لم يتحمس لاصدار حكاياته المسلسلة فى البومات كاملة منفصلة . ومن هؤلاء الرسامين بيكار صاحب شخصية سندباد، وهبة عنايت ، وايهاب وعبد العال ، ومحمد ابو طالب ، ومصطفى حسين . وفى الفترة الاخيرة سعت « كتب الهلال للاولاد والبنات » الى اصدار بعض اعدادها التى تعتبر حكاية مرسومة باكملها مثل « كنوز الادغال » تاليف ورسم التهامي .

وايمانا بدور مثل هذه الحكايات فى المستقبل . فان القائمين على صناعتها فى دور النشر العالمية يرون انها ثقافة المستقبل لبساطتها وسهولة دخولها الى قلب وعقل القارىء . ويمكن من خلال هذا الفن المستقبلى الاستفادة من التاريخ والعلوم والفنون ليس فقط للجيل الجديد . بل للقراء فى مختلف الاعمار والثقافات ومن هنا تجيء اهمية وحساسية عصر الحكايات المصورة .


كتاب الهلال
يقدم:
الجميلات يذهبن إلى المحكمة
تأليف: عبد المنعم الجداوي
يصدر
٥ فبراير
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
الهماميل
تأليف: مصطفى نصر
تصدر في
١٥ فبراير ١٩٨٨



رأى فى الثقافة

طه حسين وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ ويوسف إدريس « هاينمان » تقرر « دشت » كتبهم !

● بينما يكون هذا العدد من الهلال بين أيدى القراء ، تكون ـ ربما ـ قد حلت بالعرب كارثة ثقافية نعرضها للقارىء ، ولمن يهمهم الأمر ، لنتدارسها ثم نسعى لوضع الحلول لها ، بسرعة ، إذا كان لايزال لدينا حس بالخبر ، وحس بالوقت ، بل إذا كان لايزال لدينا حس بالكرامة .

الحادثة التى جرت أن دار « هاينمان » للنشر فى لندن كانت تصدر سلسلة تحمل اسم « مؤلفون عرب » منذ نحو خمسة عشر عاما اصدرت خلالها قرابة الـ ٢٥ عنوانا مختلفا بعضها لطه حسين وتوفيق الحكيم ، ونجيب محفوظ ، ويوسف إدريس ، وفتحي غانم ، وعدد آخر من الكتاب العرب على رأسهم الطيب صالح ، ومحمود درويش ، وغسان كنفانى ، وزكريا تامر وغيرهم ، ولسبب أو آخر أرسلت إدارة هاينمان للمشرف على السلسلة ، المترجم والمستشرق المعروف « دينيس جونتسون ديفز » خطابا رسميا تبلغه فيه أنها قررت إغلاق السلسلة ، ومنحته فرصة قصيرة يتصرف خلالها فى السلسلة التى يملك حق الاشراف عليها بموجب التعاقد بينه وبين الدار .

وقد ساقت هاينمان سبب الخسارة لاتخاذ هذا القرار ، وحتى هنا فالدار حرة ، وليس مطلوبا منها ان تكون « شهيدة » الادب العربى ، لكن

الكارثة أن الدار أبلغت المشرف بأنها ، أيضا ، قررت التخلص (فى النص : تدشت) النسخ المتبقية من السلسلة التى تقدر بنحو خمسة عشر ألف نسخة من الخمسة والعشرين عنوانا .

وكان على دينيس أن يقوم فى الفترة الماضية بالاتصال بعدة جهات عربية على رأسها مكتب الجامعة العزبية ، والمنظمة العربية للثقافة والعلوم ، وجهات أخرى عديدة ، لتتقدم لانقاذ ، لانقول هذه النسخ ، بل الأسماء العربية الكبيرة من الدشت .. وللأسف فإنه ، وحتى كتابة هذه السطور ، لم يتقدم أحد .

لقد أبلغت وزارة الثقافة المصرية بالموضوع .

كما أبلغت هيئة الكتاب الذى أكد لى دينيس أثناء زيارته الأخيرة للقاهرة منذ نحو شهر ونصف أنه قام بالاتصال بمسئولين فيها ولم يجد لديهم أى تجاوب .

والآن هناك اقتراحان محددان هما :

١ ـ أن تقوم الجهات الثقافية المعنية بإنقاذ ولو الكتب المصرية فقط من عملية الدشت .

٢ ـ أن تسارع هيئة الكتاب بالاتصال بهاينمان لإنقاذ السلسلة ، بأن تضم مشروع ترجمة الأدب العربى للانجليزية الذى تقدم به هى نفسها ، الى « مؤلفين عرب » وهى بذلك تضم سمعتها الى سمعة دار نشر عالمية محترمة ، كما تخفف على نفسها وعلى الدار الانجليزية تكاليف الترجمة والنشر ، بالإضافة الى أنها تضمن الانتشار فى دائرة أوسع من الدائرة التى تتحرك فيها .

وقد سبق لهيئة الكتاب أن قامت بالاشتراك مع دار الشئون الثقافية العراقية ، ودار أخرى ايطالية لنشر كتب الاطفال ، وهذا يعنى أن « النشر المشترك » يدخل ضمن خططها حتى لايخرج علينا البيروقراطيون بحجج اللوائح .

فهل تتقدم الهيئة لتكون المنقذ لهذه السلسلة الوحيدة المخصصة للأدب العربى فى أية لغة حية ، لا ، بل نقول هل من يتقدم لإنقاذ أسمائنا الكبيرة من الدشت ، وأن نتحرك بسرعة وبما تمليه علينا المسئولية الأدبية .. حتى لانفاجأ بالموضوع منشورا فى الصفحات الأولى من صحف التابلويد الانجليزية التى تسعى وراء كل فضيحة ، خاصة إذا كانت فضيحة عربية ؟

● عبده جبير

الطاهر وطار : لقاء الاسئلة

●● فى إطار الاحتفاء الذى لاقاه الكاتب الجزائرى المعروف « الطاهر وطار » اثناء زيارته للقاهرة اخيرا ، كان هذا اللقاء - الندوة - الذى اقامه له اتيليه القاهرة بحضور النقاد : ابراهيم فتحى ، امينة رشيد ، محمود العالم ، والكاتبة فتحية العسال ، والقاص عبدالله الطوخى ، واداره الدكتور سيد البحراوى وأعده الباحث الجزائرى « رشيد كوارد » الذى يقوم الآن باعداد رسالة دكتوراه عن الطاهر وطار فى جامعة القاهرة ، ويتضمن النص ايضا الأسئلة التى أثارها جمهور الحضور بالاضافة الى تساؤلات النقاد ●●

● تعد رواية الطاهر وطار « اللاز » أول رواية فنية عربية ، جزائرية متكاملة ظهرت فى السبعينيات . لذلك فإن وطار يعد - كما يقول معظم النقاد - رائد الرواية العربية الجزائرية .. وحول سؤال عن بطاقته الشخصية ومراحل حياته اجاب :

●● كانت طفولتى الأولى فى قرية صغيرة بالشرق الجزائرى ، حيث رايت النور سنة ١٩٣٦ فى قرية « مداوروش » الواقعة بين مدينتى « عنابة » و « تبسة » . وسط عائلة تضم أربعة أولاد . ادخل والدى اثنين الى المدرسة الفرنسية ، والآخرين إلى المدرسة العربية وكنت واحدا منهما . هكذا عشت فى صفاء الطبيعة ونقائها ، نقاء الروح والوجود ، زودت وتشبعت بمشاهد الطبيعة الرائعة : فى السهول الواسعة أعزف الناى راكضا خلف قطعان الاغنام .. كان هذا قبل ثورة التحرير ، وبعدها ، تضافرت عدة عوامل لتكوين شخصيتى .

● قبل الحديث عن هذه العوامل ، هل واصلت تعليمك فى القرية ام خارجها ؟

●● بعد تخرجى فى مدرسة « مداوروش » انتقلت الى قسنطينة ، الى معهد « بن باديس » ، ومنه الى جامع الزيتونة بتونس فى بداية عام ١٩٥٤ .. لذلك فقد تشبعت بالتراث العربى - الاسلامى ، وهذا ما يجعلنى اقول دائما « انا التراث » فى ردى على من يسالنى عن علاقة التراث باعمالى .

● وعلى المستوى الايديولوجى

●● أعرف ما تريده من هذا السؤال : واجيب صراحة بأن أهم العوامل التى ساعدت على تكوين نضجى الفكرى ، بل اقول توجهى الأيديولوجى هى :

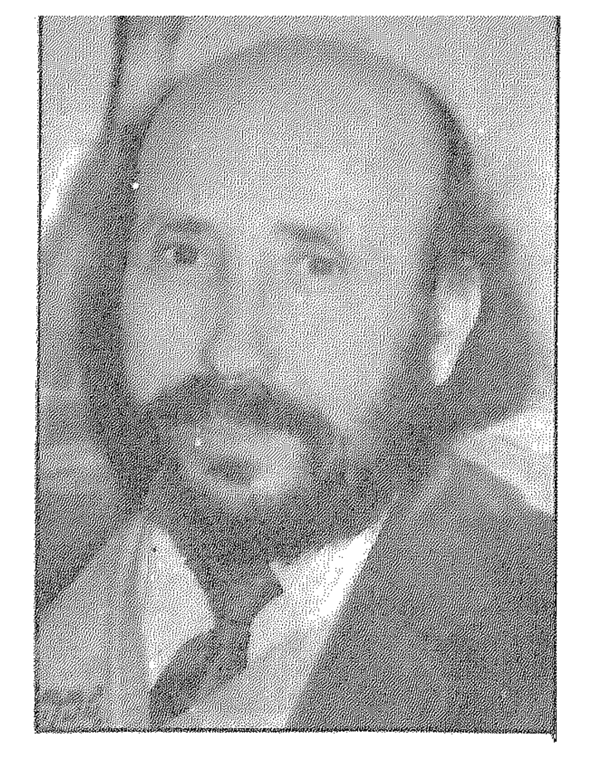
١ - عدم انسجامى مع الاساتذة او مناهج التعليم المطبقة فى ذلك الوقت سواء فى معهد بن باديس او جامع الزيتونة .

٢ - قراءاتى للأدب العربى وتاثرى بصفة خاصة بالأدب المهجرى .

٣ - الثورة الجزائرية كحركة تغيير فعلية وجذرية ، ومساهمتى فيها حيث تاكدت مقولة الفعل المتبادل بين الانسان والثورة ضمن علاقة جدلية .

٤ - ما امتاز به من روح التمرد لقى صداه فى ثورة التحرير .

٥ - الجو السياسى الذى عشته منذ



الطاهر وطار

الثورة الى يومنا هذا ، فانا جزء من النهضة الشاملة للشعب الجزائرى .

● الكتابة دفعة واحدة

● لماذا تكتب وكيف ؟

●● لا أكتب كل يوم ، بل أعيش كل يوم ، يولد الموضوع فكرة ، شحنة تهزنى ويستمر معى من ٤ الى ٥ سنوات ، اقرأ له ، أعيش له ، أصادق الناس أو أخاصمهم فى إطاره ، ثم أنفرد فى ركن ما ، بعيدا عن المدينة ، وأصب كتابتى دفعة واحدة ، أكتب لمدة عشر ساعات متسلسلة وأحيانا اكثر فالزلزال مثلا عند كتابتها كنت أشتغل ست عشرة ساعة فى اليوم ، وأعتبر هذا تحريرا » وليس كتابة أو تأليفا ، لأن الكتابة عشتها قبل هذا الوقت .. عندما ينضج العمل أعتمد على نقطتين :

١ ـ ما أسميه بالمقدمة المنطقية التى التزم بها .

٢ ـ رسم الشخصيات بأبعادها المختلفة نفسية ، اجتماعية ، ثقافية ، إقتصادية ، مثيولوجية ، فتأتى بذلك غير منقادة ، بل فى كثير من الأحيان تسبقنى فى الحركة

أنا الرائد

● هل توافق آراء النقاد على كونك رائدا للرواية العربية الجزائرية ؟

●● إن مثل هذه المكانة لايحس بها المبدع إلا بعد أن تفرض ـ إن صح التعبير ـ عليه من قبل الاخرين ، ومع ذلك أقول إننى فعلا ، رائد الرواية العربية الجزائرية ، وهى الريادة التى لم تأت من فراغ ، وإنما مما تمتاز به أعمالى من حداثة فنية ، وجرأة فى تناول الواقع ، والالتزام بقضايا مجتمعى ، وضمنها قضايا المجتمع العربى والعالم الثالث ، فقضايا الانسان فى هذا العالم .

● يلاحظ فى أعمالك التنوع فى استخدام الأساليب الفنية ، أو لنقل الشكل الفنى من رواية لأخرى ، فهل معنى هذا انك تحاول تجريب بعض الأشكال المعروفة فى عالم الرواية أم أنك بصدد البحث عن شكل جديد تميز به أعمالك ؟

●● إذا كانت قضية الشكل والمضمون قد حسمت فأقول إن الموضوع يفرض شكله ، وأنا فى أعمالى لا ابحث عن شكل وإنما اكتب بطريقة عفوية ، وفى إطار مدرسة الواقعية الاشتراكية .

● ما هى أحب أعمالك إليك ؟

●● فى البداية كانت « اللآز » لكن الآن أنا مشدود أكثر الى « الحوات والقصر » .

● لماذا ؟

●● لما تتضمنه هذه الرواية من شكل تراثى ، ومضامين إنسانية فهى قصة لما يجرى فى العالم الثالث من قمع للجريات الديمقراطية خاصة فى البلاد العربية ، والتى لم يستطع وعى على الحوات أن يفهمها .

● هناك اتهام بخصوص الحوات والقصر وهو أنها مستلهمة من ألف ليلة وليلة .. كيف ترد على الاتهام ؟

●● في الحقيقة كثير من الزملاء والقراء قالوا هذه حكاية معروفة ومستلهمة من ألف ليلة وليلة ، وأنا أتساءل هل توجد هذه الأسطورة بالفعل في ألف ليلة وليلة ، أو أى تراث آخر ؟ لقد قرأت ألف ليلة فى الخمسينيات وكتبت « الحوات والقصر » فى أواخر السبعينيات دون العودة إلى ألف ليلة ، وفى رأيى أننى خالق هذه الأسطورة من أولها الى آخرها ، ثم اننى أقول دائما : أنا التراث الانسانى كله ، وحين أكتب لا أحفر بفأس أو بأية أداة عن أية نقطة مضيئة أو مظلمة لكى أوظفها ، وإنما يحضرنى الشنفرة كما يحضرنى اسخيلوس أو المتنبى وحمدان قرمط ، فى عرس بغل مثلا حاولت ـ وهذا مالم ينتبه اليه النقاد ـ ان أتغنى بوحدة الوجود ، وحاولت أن أكتب فى إطار مقدمة منطقية معروفة تقول : « إن البورجوازية لا يمكن أن تكون ثورية إلا إذا انتحرت .

ضرورة الجنس :

● الحديث عن عرس بغل يجر بعفوية الى الحديث عن الجنس البارز بصورة حادة فى هذه الرواية .. ما هو تعليقك ؟

●● لم أذهب فى أعمالى الى الجنس كجنس مقصود لذاته ، ففى عرس بغل ، وبالرغم من أن الأحداث تجرى فى معمل للجنس (مبغى) فإننى لم أعرض اى مشهد جنس باعتبار أننى لست فى حاجة اليه أصلا ، ، يبرز فقط جمال الفتاة ، وتعطش الآخرين اليها ، وحتى البنات هنا هن عبارة عن عاملات ، مجهدات ، مرهقات ، مبتزات .

وبنفس الملاحظة يمكن تسجيلها عن اللاز ، فقد كانت هناك ضرورة فنية لاستخدام الجنس ، وهى محاولة إيجاد المعادل الذى يجعل الناس يتقززون من « بعطوش » لارتكابه جريمة مضاجعة خالته ، لأننى كنت أرى أن لفظة الخيانة لا تكفى لادانته ، إضافة إلى أن الاقدام على مثل هذه الجريمة من شأنه أن يوقظ وعيه ، وهذا ما كنت أقصده فى آخر الأمر .. ولعل هذا ما يميزنى عن باقى زملائى من كتاب الرواية الجزائرية خاصة رشيد بوجورة ، فهو بدأ ينشىء مدرسة جنسية دون أى مبرر أو ضرورة ، إنه يكتب لقراء غربيين ، الأمر الذى يجعلنى أختلف معه ، واتقزز عند قراءة أعماله .

● الآن نذهب إلى سؤال عام : هل ترى ان للرواية العربية شكلا خاصا يميزها على الرواية الغربية ؟

●● إن للغرب رواية عالمية ذات شكل عالمى ، وفى رأيى ان الرواية عندنا قد تاصلت منذ « ذات الخضر » للبستانى فى مصر ، حيث بدأت الرواية تتاصل شيئا فشيئا حتى أصبحت مثل أى لباس جاءنا من أوربا فاستوعبناه ، مثل أى موسيقى أو آلة أخرى نصنعها . فلماذا ننتظر مثلا حتى يكتب جارسيا ماركيز رواية فنجرى لنقلده ، وننسى أن لدينا منطلقا وطريقا ومجتمعا ، جارسيا ماركيز عاد فى روايته للملحمة الاغريقية فاعجب به الغرب لانه قدم لهم أصول تراثهم فى شكل جديد ، مع فانتازيا اوربى موجود بامريكا معاش لهنود حمر وشعوب أخرى ، أعجبوا به لكنهم لم يقلدوه ، بينما عندنا نحن نجد عشرات وعشرات يقيسون كل كاتب بجارسيا ماركيز .

بن جلون والجائزة :

● كيف تلقيت نبا نيل الطاهر بن جلون جائزة الجونكور ؟

●● لابد ان تفهم اولا ان هذه الجائزة تمنح قبل كل شيء لدار نشر وقد تصادف ان الطاهر بن جلون نشر عملا له هذه السنة بدار نشر معروفة هى ليسول ، لكن القول

إنها تبعث على الفخر كون عربى ينال جائزة فى وسط غربى حاقد على العرب .
وفى نهاية الندوة أبدى الطاهر وطار شكره للحاضرين ، وقرر أنه لم يكن يتصور أنه مقروء فى مصر على هذا النحو .

مسرح

ثلاثة عروض فى المسرح الحديث

● مارا - صاد

فى الخامسة من مساء كل يوم يبدأ تقديم هذا العرض الذى أعده واخرجه محمد عبدالهادى عن نص بيترفايس التسجيلى ، وهو مواجهة شعرية جسدها المؤلف عن فترة ما بعد الثورة الفرنسية باللجوء لبعض اساليب هذه النوعية من المسرحيات التى تهتم أولا بالوثائق والحقائق التاريخية والعرض الموضوعى ، ويلعب بحيلة المسرح داخل المسرح ليعرض علينا الأحداث التى يقوم بتمثيلها مرضى مصحة شارنتون العقلية فى حمام المصحة ، بمواجهات بين عدة أوجه وتيارات للثورة ، يبرز منهم وجهان : أحدهما يمثله (جان بول مارا) أحد زعماء الثورة الفرنسية الذى يؤمن بالتغيير الاجتماعى الجذرى مهما كانت التضحيات والنتائج كطريق وحيد للخلاص ، والأخر فى مواجهته (الماركيز دى صاد) الذى يعتقد بتوسيع نطاق الحرية الفردية كحل بديل ، أو بمعنى أوضح : وجه ضد الفساد الاجتماعى ، وآخر مع ضعف الطبيعة البشرية ، وقد اختزل المخرج من نص فايس الكثير وان حافظ على الروح العامة والافكار الهامة ، وبالرغم من خلطه بين ادوات المسرح التسجيلى والبيرختيه ، فإنه حاول بجهد ان يحافظ على المعنى الاول والقيمة الاساسية التى تبناها النص : فى الوقوف بين الضرورتين الثوريتين .
وساعد المخرج سبعة من الممثلين الاكفاء : احمد مختار - عزة الحسينى - عزة كامل - عبير لطفى - عبدالله الشرقاوى - محمود حميده - على خليفه ، وببعض قطع الديكور وبملابس بسيطة موحية ومن اللحظة الاولى يدخل ممثلوه الستة جمهورهم فى حالة من التوحد داخل المصحة النفسية - رغم عدم اهمية ذلك فى هذه النوعية من المسرحيات - ويستخدم ادوات الموسيقى الموهوب انتصار عبدالفتاح فى المؤثرات الصوتية بشكل لافت للنظر ، يفقدها قوتها التعبيرية وجمال ما تحدثه ، ولكنه ينجح فى النهاية فى ان يقدم عرضا جادا وطموحا ومشرفا لمجموعة من الشباب نأمل منهم الكثير .



● خمس نجوم

على النقيض من العرض الأول جاء الثانى على نفس المسرح : مسرحية « خمسة نجوم » التى كتبها أحمد ستيت واخرجها عادل زكى عن نص يقال إنه قد فاز

بجائزة تليفزيونية ، والحق انه عرض مخجل ولا يشرف المسرح الحديث ، وقد يبدو للوهلة الأولى انه يناقش قضية هامة ، ولكنه يتلمس فقط قشورها دون وعى بحقيقتها ، فهو يريد أن يعالج فى عمله مشكلة الاسكان ويطرح حلا بأن يقوم أحد الملاحظين الذين يشرفون على بناء فندق (٥ نجوم) بمخالفة الاوامر والرسومات الهندسية لكى يبنى بدلا منه عدة مساكن شعبية لكى تنهار على رءوس سكانها عديمى الاخلاق !

هكذا كانت مقولة العرض الرئيسية : ان مشكلة الاسكان هى اولا واخيرا مشكلة اخلاق ، وتنتهى بالطبع بنفس كليشيهات النصائح المباشرة المعتادة فى هذه العروض السقيمة .

فاذا كان النص والمعالجة بهذا الهزال والفجاجة ، فما بالك ومعه مخرج لم تسعفه امكاناته المحدودة فى ان يقدم رؤية فنية ذات قيمة ، فقد حشد مجموعة من الممثلين لايعنى معظمهم إلا كم استجلاب الضحكات من الجمهور ، وهم يستخدمون من اجل ذلك كل ما فى الصور المخزية والمستهلكة جريا وراء الأسلوب المتبع والسائد فى العروض التجارية ، وتفاجأ بأن الكل يمسك بالميكرفون ويغنى ويرقص أحيانا - هكذا - من أجل ماذا ؟ لا تدرى .. ولايبقى امام من شاهد العرض سوى الاسف على اضاعة الوقت فيما لانفع من ورائه أو إفاده .

● عريس لبنت السلطان

هذا نص جيد لمؤلف درامى متمكن هو محفوظ عبدالرحمن ومخرج شاب واعد هو محسن حلمى ، ولكن المحصلة للأسف لا ترضى او جاءت دون التوقع .

القيمة الرئيسية فى المسرحية تحمل قضية معاصرة ترتدى ثوبا تاريخيا ، يناقش المؤلف فيها كل القضايا المتعلقة بالحرب والسلام من خلال دراما بسيطة مفادها ان التتار يرسلون برسولهم الى بلدة تقع بين بغداد ومصر لارغامهم على الاستسلام بزواج قائد التتر من ابنة حاكم المدينة ، وهكذا تنقسم المدينة بين كتلة كبيرة تقبل ذلك مادام فى هذا نجاتها ، واخرى قليلة العدد بقيادة الرسول العربى ترفض الاستسلام من اجل كرامة البلدة وشرفها .

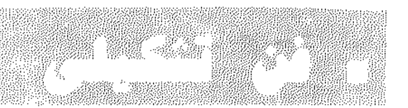
والعرض يمزق هذه القضايا الجادة ويجنح الى متاهة (الفرسكة) والتبسيط المخل بمساعدة مجموعة من الممثلين ، وضح انهم لم يكن يعنيهم سوى الظهور على اعناق الآخرين واولهم المؤلف !

والمشكلة - فى ظنى - تكمن فى هذا الاتجاه الذى يتبناه المخرج ، الذين يجنح الى تحويل الدراما المسرحية الى ما يمكن تسميته بالعروض الخفيفة من خلال استخدام وسائل المسرح المتعددة من أجل تقديم مشاهد تتحول الى وحدات منفصلة تمثل فى كل منها بناء منفردا بعد ان اضيف اليها الغناء والرقص وما شابهما ، مع تعمد واصرار على كسر ايهام اللحظة بخروج الممثل على النص او بالتلسين على قضايا يومية تعيش فى عقل وقلب المشاهد .

نحن لا نقدس النص المسرحى ، ولكننا نعرف ان اختيار النص هو مسئولية المخرج أولا ، ومادام المخرج قد اختار فلابد ان يكون امينا مع اختياره ، ويقدمه كما قرأه مكتوبا عند اختياره .

إن عرض « عريس لبنت السلطان » قد يبهجنا قليلا ويضحكنا قليلا ويذكرنا ببعض همومنا قليلا ، ولكنه يحزننا كثيرا على مخرج بدد موهبته التى لاشك فيها !

● محمد الشربينى



حوار الألوان فى مائيات ٨٧

● قدم الفنان عدلى رزق الله مجموعة من أعماله التى رسمها عام ٨٧ فى معرضه الذى أقامه أخيرا بقاعة أتيليه القاهرة .

ونرى فى هذه الأعمال طيبة وعبق الأرض التى عاش فيها الفنان بكل ما فيها من حنو وقسوة مجتمعين ، بالاضافة الى رقة الفنان الحالم الذى يرتفع فى كثير من أعماله إلى درجة الشفافية الروحانية .

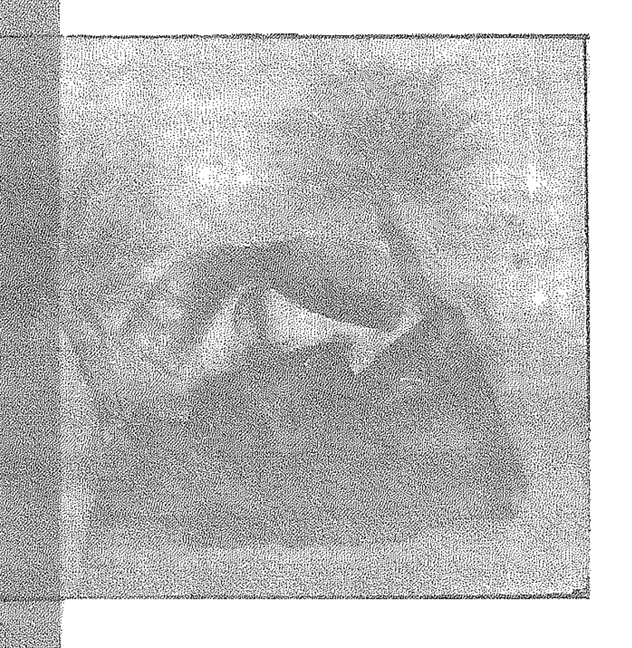
. وكعادته يتمسك الفنان بخامة الألوان المائية رغم صعوبتها الشديدة ، ومع ذلك فهو يسيطر عليها ليعلو بها الى درجات تجعله يقتنص نعومة فائقة فى الخطوط العرضية والطولية ذات الألوان المائية المتدرجة الباهرة ، تراه يحاور إبريق الماء ، ويتحدث مع الألوان يناور مع المساحات البيضاء فى دفق من الأعمال ساعده عليه تفرغه الكامل لعمله .

فى هذا المعرض الجديد كبرت المساحات ، وتأصلت معها التجربة ، وباتت تكويناته ذات بريق يلمح فيها المشاهد جدة تأخذه الى الاقاصى وتدفع الى التأمل فى سبر أغوار الحياة ، قاصدا الاستزادة من المتعتين البصرية والمعنوية اللتين تبحران فى شفافية الألوان .

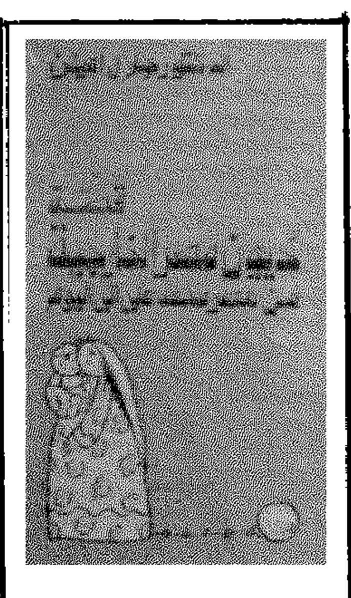
ولعل من أهم ما يتصف به عدلى رزق الله أنه بجانب عمله الفنى يحاول أن يلقى الضوء على أعماله من خلال الكروت الملونة التى تصاحب معرضه دائما مع كتالوج جديد فى فكرته ، اقترب هذه المرة من الصحيفة وضمنه كتابات لادوار الخراط وحسين بيكار وزهران سلامة وهو يقوم بدور مدير العلاقات العامة لمعارضه وهى من أصعب المهام التى يواجهها الفنان فى مصر .. فكلنا نعرف ان الفنان التشكيلى فى أوربا وأمريكا يقوم بمهمة واحدة فقط هى التفرغ للابداع والانتاج ، أما مسئولية الاعلام عن أعماله ومعارضه وتسويقها فيتولاها شخص آخر له مواصفات معينة .

● عادل ثابت

الام .. احدى لوحات الفنان
عدلى رزق الله من مائيات ٨٧



مكتبة الهلال



الكتاب : قصة ديون مصر الخارجية
تأليف : د . جلال أمين
الناشر : على مختار للنشر ، ١١٨ص

يضم هذا الكتاب بين دفتيه الدراسات التى كان الهلال قد نشرها متوالية فى أعداده السابقة ، وهى تقوم بالدراسة المتانية المستفيضة ، والتحليل العلمى العميق ، والأسلوب المتزن الدقيق الذى يمتاز به قلم الدكتور جلال أمين كما عودنا دائما فى كتاباته ، تقدم الدراسة قصة ديون مصر الخارجية منذ محاولة محمد على إنشاء أول دولة عصرية فى العصر الحديث الأمر الذى اضطره الى التعامل مع العالم الخارجى ، إن يكن من اجل تصدير المنتجات المصرية وعلى رأسها القطن ، أو من اجل استيراد المعدات التى أراد بها تكوين جيش عصرى وبناء دولة مدنية ، بعكس ما كان حادثا قبله ايام العثمانيين حيث لم تكن لمصر علاقات اقتصادية خارجية لأسباب عديدة ، ويستطيع محمد على فى النهاية أن يقيم تنمية بلا ديون .. ثم تنتقل الدراسة الى عصر سعيد باشا الذى لم يحقق فى عهده تنمية وإن كان حقق الكثير من الديون ، وتتوالى فصول الدراسة بين عصر إسماعيل وعصر الاحتلال الانجليزى لمصر ثم ديون عبدالناصر الذى كان اللجوء الى الاقتراض فى عهده مبررا تماما (وهى لم تزد على اى حال فى الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦٥ على ٨٠٠ مليون جنيه مصرى) ولم يخلق لمصر من الاعباء ما كان يصعب عليها النهوض به مع الاستمرار فى التنمية . . ثم فترة السادات التى زادت فيها الديون زيادة مذهلة . ، حتى ينتهى إلى فترة الثمانينيات .

هذا الكتاب إذن محاولة لاعادة قراءة التاريخ الاقتصادى المصرى من زاوية النزوع إلى الاستقلال الاقتصادى والتحرر من الديون الخارجية بقلم عالم كبير ووطنى كبير

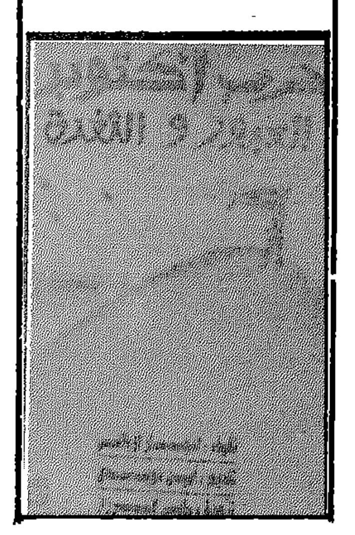
الكتاب : واشنطن تخرج من الظل
تأليف : جيفرى أرونش
ترجمة : سامى الرزاز
تقديم : محمد سيد أحمد
الناشر : دار البيادر ـ ٣٢٤ ص ٥ ج م .



تناول هذا الكتاب السياسة الأمريكية تجاه مصر فى الفترة الممتدة من عام ١٩٤٦ إلى عام ١٩٥٦ ، وكاتبه محاضر وباحث فى الشئون الدولية وصحفى متخصص فى قضايا الشرق الأوسط وعلى الرغم من أنه أمريكى فقد درس فى جامعة أكسفورد البيريطانية ، وأهمية هذا الكتاب ، كما يقول محمد سيد أحمد تكمن فى أنه يقدم الرواية الامريكية للعلاقات بين واشنطن والقاهرة ، أو بوجه أدق للسياسة الأمريكية تجاه مصر فى العقد الذى أعقب الحرب العالمية الثانية مباشرة ، وهو العقد الذى تداعت فيه الأحداث ليتوجها انتقال السلطة الى الضباط الأحرار .

وكانت السنوات ما بين ٥٤ و ٥٦ هى السنوات التى لم تحسم فيها الثورة بعد مواقفها من الولايات المتحدة ، وهى بالتالى الفترة التى لايزال يكتنفها الغموض ، لذلك فان ترجمة هذا الكتاب بما يضمه من وثائق ومستندات عمل هام ، وإضافة للمكتبة العربية ، وسد لنقص كان ينتظر الاستكمال ، خصوصا وأن الكثير من الوثائق الرسمية التى يستند اليها الكاتب لم تكن متاحة من قبل وكشف عنها أخيرا .

الكتاب : حرب أكتوبر
تأليف : إدجار أو بلانس
تقديم : أمين هويدى
ترجمة : سامى الرزاز
٣٧٦ ص ، ٥ ج م .



العنوان الأصلى للكتاب هو لا غالب ولا مغلوب عن حرب يوم كيبور وإن كان هذا يرمى من البداية بتحيز الكاتب لوجهة النظر الاسرائيلية التى أرادت أن تصور أن حرب أكتوبر قد تم إكتسابها عن طريق الثغرة ، لكن الحقيقة أن المؤلف حاول جاهدا أن يكون موضوعيا ، وأن يعبر عن وجهة نظر مستقلة كونها من خلال بحثه الذى جاء نتيجة لقاءات وزيارات للبلدان المعنية بهذه الحرب بل ولميادين القتال الفعلية ، حيث خبر ما جرى من ضباط شاركو فى القتال ، وهو على أى حال يرى وإن كان يعبر عن حذر شديد ، أنه « ربما كان العرب الذين أرادوا الحرب هم الذين كسبوا اكثر من غيرهم ، فرغم أن خيار الحرب كان ، من الناحية العسكرية البحتة ، محاولة مغرقة فى الخيال ، فإنها نجحت فى كسر الحالة المهينة التى كانت قد تبلورت تقريبا من « اللاسلم واللا حرب » والتى كان يبدو أنها تخدم مصالح الجميع عداهم .

يقول أمين هويدى (أن هذا الكتاب يتميز بوجه خاص بموضوعيته واعتداله وحياده ولا سيما عدم تبنيه لوجهات النظر الاسرائيلية : وهو الأمر الشائع فى الغرب) عن هذه الحرب العظيمة ، حيث يقدم رؤية شاملة وتحليلا نقديا متزنا لمجرياتها على الجانبين .

حكاية مع الباليه والتراث الشعبى

نجوى صالح

نوقشت رسالة الدكتوراه المقدمة من « عليه عبد الرازق » راقصة الباليه المصرى ، بقاعة سيد درويش بالهرم .. بعنوان « حكاية ايوب » وقد صاحب المناقشة ـ عرض لموسيقى المزمار البلدى والدف والسلامية والربابة وكلها آلات شعبية ضاربة فى القدم قدمها الموسيقى سليمان جميل ، بمصاحبة ثلاث راقصات اختارتهن الباحثة كمثال للباليه من التراث الشعبى « حكاية ايوب »

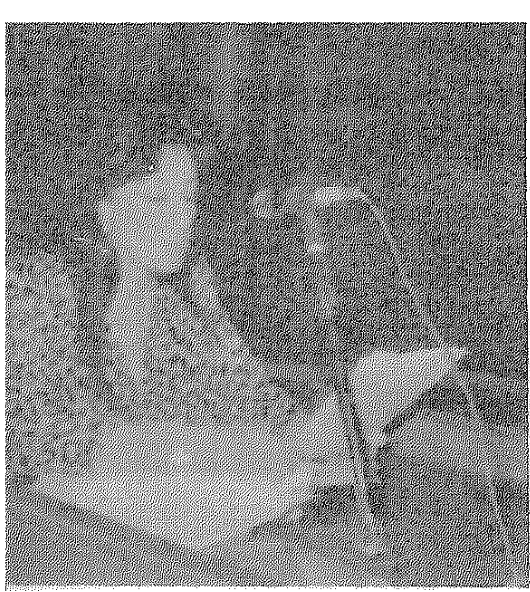
وردت حكاية ايوب فى العهد القديم فى « سفر ايوب » عليه السلام ، وعرضها القرآن الكريم فى ايات قلائل، كما تغنى بها الفنانون الشعبيون ، وقد امتد اثرها الى ادبائنا المعاصرين كفكرة للصبر والمعاناة ، وهما الثنائى المتلازم فى الدراما الخير والشر · وهى من القصص التى تناولتها الاجيال حتى وصلت الى جيلنا المعاصر كمحفوظة كاملة يميل اليها قاعدة عريضة من الشعب ·

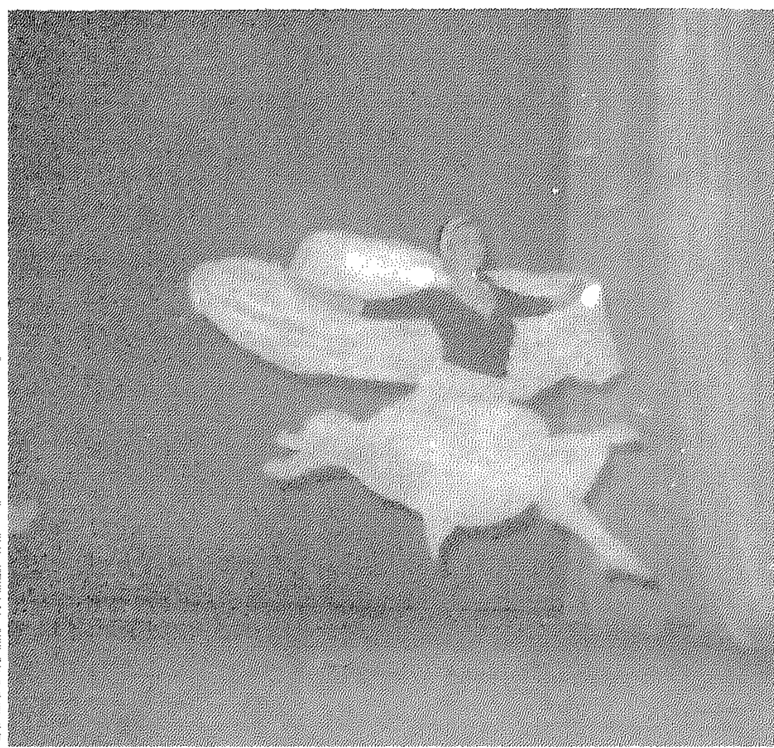
وأيوب المصرى رجل غنى ، خير ، متصدق يعرف الله ويقدم له القرابين هو وزوجته ، وأولاده السبعة ، له سوق كبيرة وتجارة واسعة ، تتضمن عدة الاف من رءوس الابقار والاغنام·

ويظهر جساس الشرير ويستشيط غضبا، لان أيوب يمتلك كل هذا الخير العميم، فضلا عن زوجة فائقة الجمال ـ فى العهد القديم والقرآن كان ثالثهم الشيطان ، وكما جاء فى العهد القديم كلم (الشيطان الرب وقال له ان أيوب يعبدك لانه يملك كل شىء) هنا أمره الرب ـ سفر ايوب الاصحاح الاول ، (فقال الرب للشيطان هو ذا كل ماله فى يدك ، وانما اليه لا تمد يدك) ـ وبدأت الكوارث تنزل على أيوب على يد جساس فيقضى على أولاده وبيته وماشيته وسوقه التجارية، وتبدأ القروح تظهر فى جسده وتنتشر ، ويبدأ لحمه فى التساقط ··

ويبدأ جساس فى اغراء « زوجته » بترك الرجل العليل ، ولكنها تأبى ،

علية عبد الرازق أثناء مناقشتها شهادة الدكتوراه





رقصة منفردة من باليه « حكاية أيوب على لحن الربابة والطبلة

وأخذت زوجها وخرجت الى الصحراء بحثا عن حياة وعلاج للعليل ·

وتمر السنوات سنة بعد أخرى وهما يعيشان فى بلاء مستمر و « أيوب » متمسك بصبره وايمانه بربه وظل على هذه الحال ثمانية عشر عاما ، وحينما اشتد بهما الجوع تذهب «زوجته» الى بلدة مجاورة ، لتبحث عن عمل تقتات منه هى وزوجها ، ولكن سيدات البلدة يرفضن مساعدة « رحمة » لغيرتهن على أزواجهن من جمالها ولكنهن يساومنها على بيع ضفائرها لتحصل على ما تريده من طعام ، ويحززن ذوائبها ، وتعود « رحمة » حاملة الطعام لزوجها ، ولكنها تجسد رجلا مهيبا جميلا ومعافى فتسأله عن « أيوب » فيظهر انه زوجها ، وقد رضى عنه ربه وهداه الى نبع من الماء يشرب منه ، والى نبات الرعراع الذى دلك به جسده حتى شفى من مرضه وبدأ أيوب يجادل « رحمة » من أين أتت بالطعام ، وبدأ الشك يأخذ منه كل مأخذ ، الى أن أطلعته على ذوائبها التى جذتها والتى باعتها لنساء القرية لتحضر له الطعام ·· فاطمأنت نفسه ثم أعاد الله عليه جميع نعمه التى حرم منها امتحانا لصبره وايمانه » ·

وقد نأخذ تصورا آخر للقصة عند الراوية الشعبى محمد اسماعيل عتريس حينما قالت رحمة لزوجها عندما سألها عن ذوائبها ·

لكن يا رحمة فين شعرك
تسعين جديلة مضفرة
قالت شعرى بعته عليك
خايفة على العرض السليم من المعيرا
ايوب توضى وصلى ركعتين
وقال يارب تعود لى شعر المرا
باذن الله استجاب دعوته
اكمنها على البلاوى صابرة
يرجع كلامى على رايحة تصحا من النوم
تلقى شعر العز مدلول من ورا
وبنى لها ايوب قصر على البحرين
وجم الناس يتفرجوا على القصور النايرة
واختم كلامى بصلاة المصطفى
يكن لنا شفيع فى الآخرة

تقول الدكتورة علية عبد الرازق ، ان الذى حدث منذ الاف السنين فى أيوب ما زال يكمن فى الوجدان المصرى عبر هذه الحقبة من الزمن فنجد فى زمن الفراعنة انهم كانوا يصبغون ملابسهم برعرع أيوب فى الربيع وهو نبات أخضر ، ولكنه يفرز صبغة حمراء اللون ، ونجد كثيرا من بنات الصعيد حتى يومنا هذا يدلكن أجسادهن فى شم النسيم بنبات رعرع أيوب ..
وتستطرد الباحثة : « ان اخذ عمل من التراث هو اكثر فعالية لادماج هذا الشعب فى العمل الفنى، واحساسه بانه قطعة من ماضيه ، وعلينا أن نستفيد من تراثنا بدلا من أن نتركه للآخرين ..
فقد رأيت فى روسيا عملين مستوحيين من التراث المصرى هما باليه كليوباترا لفوكين ، وهو يعتبر من أضخم الاعمال التى اخرجها هذا المخرج والراقص فى ان واحد وعملا اخر وهو «ابنة فرعون» للمخرج « بتى با » وهو دراسة وافية من الجانب التاريخى والديكور .

وتستطرد د . علية عبد الرازق الحاصلة على لقب فنان من موسكو ، ان اول عمل قدمته فرقة الباليه المصرية هو باليه (نافورة باختشى سراى) « لزخاروف » وهذه القصة مأخوذة من أشعار « بوشكين » الشاعر الروسى ولقد احدث زخاروف بباليه « باختشى سراى » نقلة جديدة وطفرة جديدة فى عالم الباليه باضافته فى اخراجه لهذا العمل أسلوب الاخراج المسرحى الدرامى الى لغة الحركة الراقصة « البانتوميم » وقد تم اختيار هذا الباليه بشكل خاص ليقدم كأول عرض فى مصر لانه يدور فى جو شرقى قريب من الروح المصرية، ثم ان موسيقى « أسافييف » مجسدة للشخصيات ، وقد حاولت اعطاء انغام عاطفية وموسيقى واضحة معتمدا على طابع وانغام عصر الشاعر بوشكين ، ولكن مع محاولة التجديد واعطاء الحرية والابداع عن طريق التكنيك الحديث للموسيقى ، واستطاعت بذلك أن تعبر وتنقل صورة واضحة عن المكان الذى تدور فيه الاحداث .

ان الموسيقى الشعبية لا تنصاع لقواعد التأليف الموسيقى ، ذلك أن العاطفة التى منحتنا القطعة الموسيقية المثقفة ، غير العاطفة التى منحتنا القطعة الشعبية ، والذهن الذى تحكم فى الحالة الاولى غير الذهن الذى حفظ الثانية عن طريق السماع ، واداها عن طريق التقليد ٠

والموسيقى التى تؤلف من الحان وايقاعات شعبية لا يمكن أن تقاد بالنوتة المدونة ، ذلك أن الفنانين الشعبيين لا يقرءون النوتة ولكن يتم العزف عن طريق حفظ الالحان مع الايقاعات ٠

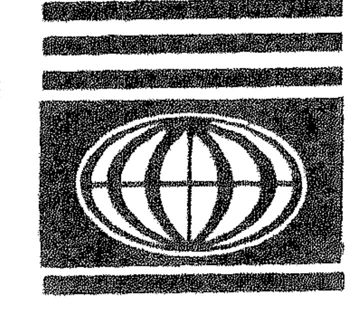
لذلك فالموسيقى الشعبية المستخدمة فى أيوب كتراث شعبى وجب أن تحوى الكثير من التلقائية حتى تتواءم مع الجو الذى ولدت فيه القصة حتى وصلت الى الرواة الشعبيين ٠ وموسيقى أيوب مختارات من الباحثة لموسيقى سليمان جميل التى لم تؤلف خصيصا للباليه، ولكنها استغلتها فى الاداء الحركى بالرغم من وجود صعوبة فى التراكيب الحركية الموسيقية ٠

وقد حاولت الدكتورة علية عبد الرازق عمل مزج شامل بين الحركة والموسيقى من خلال الالحان حتى تحافظ على البناء الحركى الكلاسيكى للباليه ٠ وهذا من الصعوبة بمكان لان الموسيقى الشعبية تعتمد على «التمبو» الواضح ٠٠ والموسيقى الغربية فى الباليه بالذات تعتمد على اللحن ٠

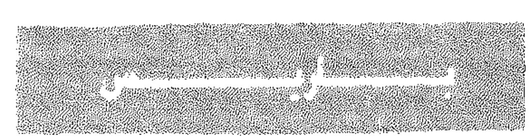
وبالنسبة للديكور فقد انجز الدكتور رمزى مصطفى ديكورا بسيطا



للغاية ، وقد سالت الباحثة عن سر بساطة الديكور فى أيوب ، خاصة انه كان يمكنها استغلال بذخ الجو القديم أيام ان كان أيوب رجلا غنيا ، وردت قائلة « لسهولة نقله وعرضه فى خارج حدود مصر ، وهذا ما اتمناه ! » ٠



العالم في سطور



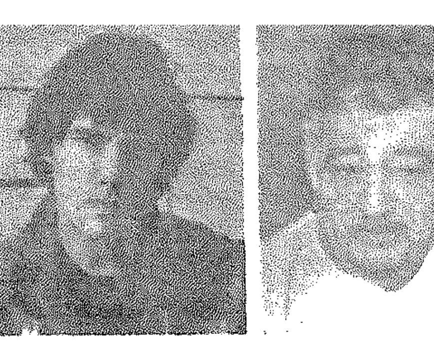
● الرواية المعاصرة .. في ندوة عربية عالمية

ماذا يعنى كل هذا الحشد الادبى الذى يتم فى الثالث من مارس القادم ولمدة ثلاثة ايام لمناقشة « الابداع الروائى اليوم » بين مجموعة كبيرة من الروائيين والنقاد العرب والفرنسيين فى معهد الاعلام العربى المطل على نهر السين .

المعانى عديدة . فهذا هو اول تجمع ادبى من نوعه بين ادباء يمثلون اتجاهات مختلفة فى فرنسا والعالم وبالاطلاع على الاسماء التى ستشارك فى هذا اللقاء سوف نرى ان القائمة قد ضمت ادباء ينتمون غالبا - من ناحية السن - الى نفس الجيل . فاثروا المكتبة الروائية بصورة مميزة ومدوها بعطاء متدفق يسرى فى شرايينها منذ ما ينيف عن العشرين عاما . مع وجود بعض الادباء من اجيال سابقة ونقاد متميزين اى ان قائمة المشاركين قد تم اختيارها بعناية فائقة . مما سيجعل النقاش ساخنا حول قضايا الرواية التى تعتبر بلا منازع اهم فنون الكتابة فى القرن العشرين .

فمن مصر سوف يحضر جمال الغيطانى ، وبهاء طاهر ، وغالى شكرى ، وادوار الخراط ، ومن لبنان هناك سهيل ادريس والياس خورى . ومن العراق جبرا ابراهيم جبرا وفؤاد التكرلى ومحسن جاسم الموسوى . ومن الجزائر محمد ديب والطاهر ومن سوريا حناميناً . ومن فلسطين اميل حبيبى .

اما من الجانب الفرنسى ، فهناك الان روب جرييه ، وشانتال شواف يمثلان تيار الرواية الجديدة . بينما يمثل ادباء اخرون كافة اتجاهات الرواية - واغلبهم من الشباب - مثل جان مارك روبير وديديه ديكوان وايف سيمون المطرب الذى تحول الى التأليف . وقد سبق للهلال ان قدمت اغلب هذه الاسماء على صفحاتها .

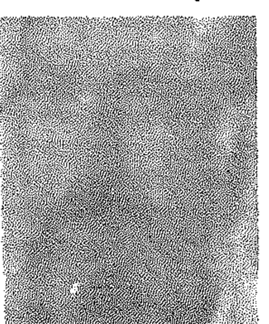


اميل حبيبى

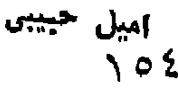
ايف سيمون



ادوار الخراط

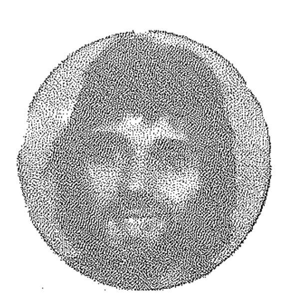


طاهر بن جولون



بروكسل

● ايف سيمون ·· من الطرب · · الى الرواية



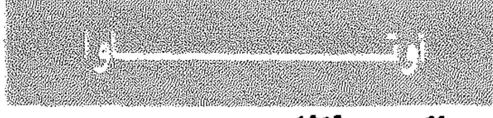
لو شاهدته منذ عشر سنوات ما تخيلت ان هذا الشاب الهيبى سيصبح مؤلفا مشهورا وان كاتبا وفيلسوفا كبيرا مثل ميشيل فوكو يقول عن روايته الاولى « المحيطات » : « لقد اثارنى هذا العمل تماما ، وبكافة اشكاله » ··

انه ايف سيمون ، اسم معروف فى عالم الطرب والغناء بفرنسا ، حققت اسطواناته اعلى المبيعات فى عام ١٩٧٥ ·· ورغم انه لم يترك الجيتار مغنيا وملحنا حتى الان ، فان روايته السادسة « المسافر الرائع » ظهرت فى الشهر الماضى لتؤكد موهبته الفذة ·· فلم تكن رواياته الخمس السابقة مجرد « حالات » تاليفية ظهرت عند ممثلات فرنسيات ·· بل بدا مدى ارتباطه بمشاكل عصره ، وبجديته فى تناولها ، واختيار الشكل الروائى المتطور للتعبير عنها ·

تدور احداث الرواية الجديدة حول شاب يدعى ادريان ·· يعمل مصورا ·· وينتقل بآلة تصويره الى ثلاث بقع ساخنة من العالم : الى كينيا كى يسجل وحشية الانسان ضد حيوانات الغابة التى تنقرض بين فرائسه يوما وراء يوم · ثم الى هيروشيما التى دمر فيها الانسان اخاه الادمى · واخيرا الى قاعدة كيب كنيدى حيث حيث يصعد الانسان للمرة الاولى ـ عام ١٩٦٩ ـ الى القمر ·· وكانه سينقل اليه دماره وليس علمه ·

وفى رحلته هذه يصحب ادريان فتاة تدعى ميلينا ، تعمل ممثلة ، ومن اصل تشيكى ، وكلما شاهد الاثنان حدثا مروعا يدور حولهم فى العالم يزداد التصاقهما ببعضهما البعض ·

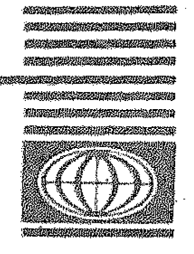
من اهم روايات ايف سيمون الاخرى : « الحب فى النفس » ، « القطار السريع » ، « الايام الملونة »، « رجل قوس قزح » وهى جميعها تتناول مشاكل ومعاناة الابرياء فوق الارض ·



● اليوم الثامن · · · ماذا يمكن أن يحدث لو ··

وكأن الجوائز الادبية عائق للاديب عن الاستمرار ·· أو كأنها هى الهدف الاسمى الذى يجب أن يتوقف عن الابداع بعد الحصول عليه ·· أو عليه أن ينتظر بضع سنوات كى يبدأ من جديد ·· فيتقدم بخطوات حثيثة ثقيلة ، كانه يكتب لاول مرة ·

حدث هذا مع الكاتبة الكندية انطونين ماييه ـ ٥٥ عاما ـ بعد أن حصلت فى عام ١٩٧٩ على جائزة جونكور الادبية · فمنذ ذلك الحين لم تصدر رواية جديدة للكاتبة التى شغفت بالتاريخ القديم ·



« اليوم الثامن » هو اليوم الذى خلق فيه الله (عز وجل) آدم .. وذلك بعد ان استراح فى اليوم السابع .. وذلك فى فجر البشرية .. آدم هنا يسمى بالسيد « المطيب » أما حواء فهى « المطيبة » التي كان يمكنها البقاء فى البلاط الملكى بالفردوس . لقد كان عليهما النزول الى الارض وانجاب أبناء كثيرين .. وأبناؤها دائما مخلوقات متناقضة ، وتوائم متنافرة . فهناك البدين والنحيف ، والطويل والقصير ، رجل الغابة وانسان المدينة .

ومن الواضح أن الكاتبة هنا تعيد نسخ الميثولوجيا الدينية بمنظورها الخاص . فتقوم باعادة صياغة للتاريخ البشرى من خلال منطوق « ماذا كان يمكن أن يحدث لو .. » :

- أن آدم وحواء لم يعصيا الامر .. وبقيا فى الجنة ؟
- أن قابيل وهابيل لم يتصارعا .. وكونا معا مدينة طوباوية ؟

وعشرات من الاسئلة المماثلة .



● الازهر .. رواية فى القمة..

« الازهر .. هبة الاسلام » ..

عنوان الرواية التى حققت اعلى أرقام فى مبيعات الكتب بيوغسلافيا خلال العام الفائت . من تأليف الكاتب ترايان بتروفسكى الذى يشغل الان منصب رئيس مهرجان الشعر الدولى باستروجا فى جنوب يوغسلافيا .

تدور أحداث الرواية حول شاب أوربى عاش فى مصر بعض الوقت . فأخذته الحياة العربية وتعاليم الاسلام وسماحة أهله . فتردد على بيوت الله وخاصة الازهر . وتناقش مع بعض الدارسين به، خاصة من يجيدون اللغات الاجنبية . ووجد نفسه أخيرا يعتنق الاسلام .

الاديب تريان بتروفسكي ـ ٤٧عاما ـ يكتب بلغته المحلية المقدونية ، وهى تختلف عن اللغة الرسمية ليوغسلافيا ـ اللغة الصربوكرواتية ـ وقد ترجمت روايته « الازهر » الى لغات أوربية عديدة فى المانيا وفرنسا وايطاليا والمجر .. وهو يكتب الشعر والقصة القصيرة الى جانب الرواية . ترجمت بعض قصائده الى اللغة العربية ، حيث صدر له ديوانان بلغة الضاد هما « دانتى فى الاسكندرية » و « صمت أبو الهول » . كما اقيمت له أمسيات شعرية بمناسبة يوم الارض الفلسطينى فى المسرح القومى بمدينة سكوبيا مصحوبة بعرض مسرحى يقدم أشعاره التى تدور حول المقاومة والحق الفلسطينى .

مهرجان أمسيات ستروجا الشعرية يقام فى اغسطس من كل عام . وقد سبق ان اهدى جائزته الذهبية لادباء مثل ماركيز والشاعر يانيس ريتسوس

عندما تتنفس الجرائم

كان الاديب الياباني سيشوماتسوموتو هو بلا جدال نجم المهرجان التاسع للرواية والفيلم البوليسيين الذى عقد فى مدينة جرونبل · وهو اجتماع سنوى يلتقى فيه المهتمون بالرواية والفيلم البوليسى فى العالم ·

وسعيا وراء تقديم سيشو للقارىء الاوربى راحت الصحف تتحدث عنه وتقارنه بالكاتب المعروف جورج سيمنون ·· فهو يكتب على طريقته ، وغزير الانتاج مثله ، ٣٠٠ رواية فى ثلاثين عاما ـ كما انه يقاربه فى العمر · لكن الفارق الوحيد بينهما ان سيمنون بدأ مع نهاية العشرينيات · وبدأ سيشو الكتابة فى عام ١٩٥٧ ·

ولد الكاتب اليابانى فى عام ١٩٠٩ · مارس مهنة الطباعة وعمل فى ميدان النشر ثم اتجه فى فترة متأخرة من حياته الى الرواية البوليسية · فنشر مجموعة كبيرة من الروايات من اشهرها « القناع » و« آنية من رمل » و« الانجيل الاسود » ، « مؤتمر الضباب » ·

يقول سيشو ان العصر الذهبي للرواية البوليسية فى اليابان قد بدأ فى العشرينيات وان هذه الروايات وجدت صدى واسعا لدى الناشر اليابانى الذى جرؤ وقام بطباعة ملايين النسخ من نفس الرواية · وقد سعى الكاتب الى الاستفادة من هذه الظاهرة فاخذ يمزج الحبكة البوليسية بالوضعية السياسية لبلاده تحت الاحتلال الامريكى · لذا فانه يرى أن أهمية الرواية البوليسية ليست فى حبكتها أو الحدث الدرامى · ولكن فى دافعية الجريمة · فالجرائم فى حياتنا كالاشجار تتنفس بيننا وتنتشر ·

النساء ·· اشباح فى حياة برجمان

المصباح السحرى ··

هو العنوان الذى اختاره المخرج السويدى لمذكراته الخاصة التى نشرت فى ديسمبر الماضى · تحدث فيه عن تجارب نصف قرن فى استوديوهات السينما وفوق خشبة المسرح عرف فيها الكثير من الفنانين والنساء ولحظات الابداع ·

جاءت اهمية هذه المذكرات فى انها تمثل وجهة النظر الاخرى حول مذكرات سابقة دونتها ممثلات ارتبطن فى حياتهن الخاصة وداخل الاستوديوهات كنظام عمل بانجمار برجمان مثل زوجتيه الس فيشر وانجريد فولين · ثم بعشيقتيه ليف أولمان وبيبى اندرسون · حيث راحت كل واحدة منهن فى كتاب منفصل تتحدث عن الرجل وافكاره وعن المخرج وابداعه ·· وبدا برجمان فى هذه المذكرات اشبه بشبح بعيد يدور فى فلك نساء جميلات وممثلات شهيرات · الا ان « المصباح السحرى » وجود حقيقى لشخص يرى فى نفسه كائنا مزعجا لكل من حوله · مشتتا ـ او ممزوجا ـ بين مواضيع عدة تتجاذبه كلما فكر فى تقديم فيلم جديد ، لذا فان هؤلاء النسوة لسن ـ بدورهن ـ سوى اشباح باهتة عليها تجسيد افكاره وخيالاته · لذا اطلق على كتابه المصباح السحرى الذى يحوى بداخله جنيا ينفذ أوامره حسبما يشاء ·



الأدب العربي ناطقاً بالألمانية

بقلم: جميل عطية ابراهيم

صدرت منذ عدة اسابيع الترجمة الالمانيــة لرواية ((اللجنة)) لصنع الله ابراهيم عن دار نشر لينســوس السويسرية، ترجم الرواية هارتموت فاندريش وهــو مستشرق آلماني معروف وسبق له ترجمه عدة اعمال ادبيـــة من العربية الى الالمانيه ، من اهمها قصص الكاتب الفلسطيني غسـان كنفاني وروايتا الكاتبــة الفلسطينية سحر خليفة ومجموعة قصصية للكاتب المصرى محمد المخزنجي ..

وبهذه المناسبة أعد برنامج حافل لمؤلف الرواية للقــاء عدد من الكتاب والمهتمــين بالادب العربى في سويسرا بواسـطة « جمعية بروهيلفيتسيا » السويسرية وهي جمعية شبه حكومة منوط بهــا القيام بمهام العلاقات الثقــافية الخارجية .

وتجدر الاشارة الى أن وزارة الثقافة المصرية قد تحملت نفقات سفر المؤلف الى سويسرا وهو تقليد جديد اتبعته الوزارة مع المؤلفين المصريين الـذين تصدر لهم اعمال بلغـات اجنبيــة فى الخارج .

وقد كشفت زيارة صنع الله ابراهيم الى سويسرا عن عدة حقائق هــامة يجب الاشارة اليها فى هذا المجـال ـ فاذا كان الاهتمـام الغربى بالعـالم العربى قد انحسر كثيرا في الســنوات الاخيرة بعد انخفاض سعر برميل النفط ، فان الدوائر الثقافية لا تزال مهتمة بمعرفة ما يدور على الساحة العربيـــة من ابداعات خلاقة ، فمـا خسره العرب على الساحة السياسية بفعل انقســامات الساســة وتردى المواقف السياسـية فى المنطقة بصفة عامة ، يعوضــه ابناء هذه الأمــة بالابداع الاصيل .

كما أن هناك حقيقة اخــرى يجب عدم اغفـــالها ، وهى ان القــارىء

الغربي مشوق الى الإطلاع على الروائع مهما كان مصدرها او منبعها ، ودور النشر التى تعمل علي أسس تجارية بحتة تسعى لتلبية هذه الرغبة بغض النظر عن الجنس او اللون او الدين ، ومعظم المعوقات يأتى اغلبها نتيجة للاوضاع العربية وضعف دور النشر العربية وفقدان أدوات الاتصال الفعالة بين الكاتب العربى ودور النشر الاجنبية ٠

وفى حديث مع المسئولين بدار نشر لينوس التى أخذت على عاتقها فى العام الماضى نشر سلسلة من الأدب العربى باللغة الالمانية ، أفادت المسئولة عن الدار ان رواية «اللجنة» لصنع الله ابراهيم وزعت ٤٠٠ نسخة فى فترة لا تتجاوز أربعة اسابيع وهى ظاهرة مشجعة وانه من المنتظر ان يتضاعف توزيع الرواية بعد الحملة النقدية الواسعة التى صاحبت زيارة المؤلف فى سويسرا حيث أبرزت الاذاعة والصحف السويسرية انباء الرواية وأفردت للمؤلف عدة صفحات فى الاعداد الثقافية لمعظم الصحف الناطقة بالالمانية فى سويسرا ٠

ولهذا ظهرت الترجمة الالمانية وعلى غلافها اعلان يقول : اشرب كوكاكولا٠

كما تسعى الدار حاليا لنشر رواية جمال الغيطانى « الزينى بركات » فى هذه السلسلة فى الشهور القادمة وقد أفاد المترجم انه على وشك الانتهاء منها ٠

والمهم هنا ليس ترجمة رواية أو عدة روايات الى لغات أجنبية ، بل هى ظاهرة يجب رصدها ، ففى الوقت الذى كان فيه صنع الله ابراهيم يطوف فى المدن السويسرية ، أتى كاتب سورى آخر يعيش فى المانيا الاتحادية منذ عشرين عاما الى سويسرا لتسلم جائزة كبرى عن الكتابة للأطفال باللغة الالمانية مباشرة هو الكاتب السورى رفيق شامى ٠ وهو كاتب صدرت له عدة كتب بالالمانية فى مجال الكتابة للاطفال حيث يجمع بين الحلم الشرقى والواقع الغربى للحياة ، وربما رفيق شامى لا يعرفه الكتاب والقراء فى العالم العربي ولكن يكفى القول انه فاز بثلاث جوائز عن كتابته للاطفال وانه يعيش حاليا من عائد كتاباته بعد ان ترك العمل ككميائى وتفرغ لادبه ٠

وعلى الطرف الاخر من سويسرا ـ والتى تشبه من الناحية الجغرافية السلحفاة ـ كان الطاهر بن جلون فى جنيف يوقع للقراء علي الترجمة الفرنسية لروايته « الليلة المقدسة » الفائزة بجائزة الجنكور لهذه السنة ، وهى رواية كتبت بالفرنسية مباشرة ثم اعاد المؤلف ترجمتها الى العربية بنفسه

ومن الجدير بالذكر أن رواية الطاهر بن جلون السابقة « ابن الرمل » قد وزعت ٨٧٠ الف نسخة فى أقل من عام ، كما ان رواية الكاتب اللبنانى أمين معلوف « ليون الافريقى » زادت المبيعات منها بالفرنسية على المليون نسخة فى العامين الماضيين ٠

واذا كانت الروايات العربية المنشورة باللغة الالمانية سواء المترجمة أو المكتوبة مباشرة بلغة جوته ، لم تحقق نجاحات تماثل المنشور باللغة الفرنسية حتى الان ، فان هذا لا يقلل من أهمية الظاهرة التى أشرنا اليها فى صدر هذه الرسالة ، وهى ان الادب العربى قد بدأ يعرف على نطاق واسع ، وان ما خسره العرب على الساحة السياسية نتيجة للانقسامات ، يعوضه حاليا ابناء هذه الامة من المبدعين بجهودهم الذاتية ٠٠

• قصة مترجمة

زهور صناعية

بقلم: جبرييل جارثيا ماركيز
ترجمة: محمود على مراد

لبست « مينا » ثوبها الذى لا أكمام له وهى تتحسس طريقها فى ظلمة الفجر وكانت فى الليلة السابقة قد علقته بالقرب من الفراش ٠ وأخذت تقلب فى الحقيبة بحثا عن الكمين المستعارين فلم تجدهما ٠ وقالت لنفسها لعلهما معلقان فى أحد المسامير المثبتة فى الجدران أو خلف الابواب، وبحثت عنهما محاولة الا تحدث صوتا لكيلا توقظ جدتها المكفوفة التى كانت تنام معها فى نفس الغرفة ٠ ولكنها ، حين تعودت عيناها على الظلمة ، اكتشفت أن الجدة كانت قد نهضت ٠ وذهبت الى المطبخ لتسألها عن الكمين ٠ وقالت الجدة الضريرة :

– هما فى الحمام ٠ لقد غسلتهما بعد ظهر أمس ٠

كان الكمان فعلا فى الحمام ، وكانا معلقين على سلك بمشبكين من الخشب ، ولكنهما كانا مبتلين ٠ وعادت « مينا » الى المطبخ ووضعت الكمين على حجارة المدفاة ٠وكانت الضريرة امامها تحرك بن القهوة وحدقتاها الميتتان مصوبتان الى جدار الطرقة المنخفض المصنوع من الطوب والذى وضعت عليه اصص زرعت فيها اعشاب طبية ٠ وقالت « مينا » :

– أرجوك يا جدة الا تقربى اشيائى فالشمس فى هذه الايام لا يمكن الاعتماد عليها ٠

وحركت الضريرة وجهها نحو الصوت وقالت :

– نسيت ان اليوم هو اول يوم جمعة فى الشهر وانه يوم القداس ٠ وبعد أن تحققت بشمة عميقة من ان القهوة جاهزة سحبت الوعاء الفخارى من الموقد وقالت :

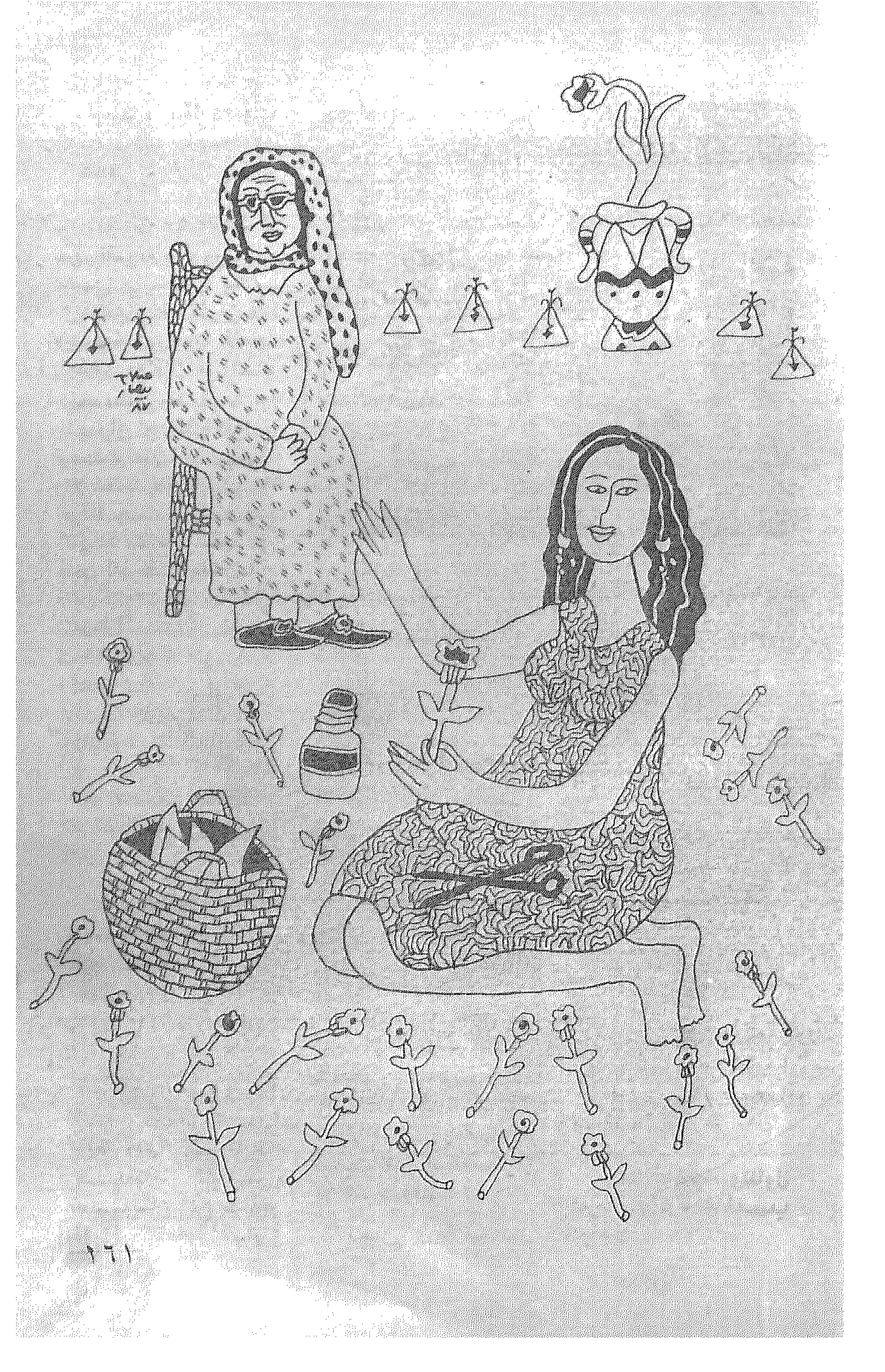
– ضعى ورقة اسفل الكمين لئلا يتسخا من حجارة المدفاة ٠

ومرت « مينا » باصبعها على حجارة المدفاة فوجدتها متسخة بالفعل ولكن بطبقة من الهباب المتجمد لا يحتمل أن توسخ الكمين اذا لم يحتكا بشدة بالحجارة ، ولكنها قالت :

– اذا اتسخ الكمان فانت المسئولة ٠

وسكبت الضريرة لنفسها فنجانا من القهوة ثم قالت وهى تجر مقعدا الى ناحية الطرقة :

– انت غاضبة، وتناول القربان والمرء غاضب حرام ٠



زهور صناعية

وجلست لاحتساء القهوة امام شجر الورد في الحوش •

وحين سمعت « مينا » صوت ناقوس الكنيسة وهو يدق دقته الثالثة التي تدعو الناس الى القداس التقطت الكمين من ظهر المدفاة •

كانا لا يزالان مبتلين ولكنها لبستهما بالرغم من ذلك فان القسيس « انخيل » لن يقبل مناولتها قطعة الخبز المقدس التي تمثل لحم المسيح وجرعة النبيذ المقدس التي تمثل دمه وهي ترتدي ثوبا بذراعين عاريتين • ولم تغسل « مينا » وجهها وازالت بفوطة بقايا احمر الشفاة من شفتيها واخذت من الغرفة كتاب الصلوات والطرحة وخرجت الى الشارع • ولكنها عادت الى البيت بعد ربع ساعة •

وقالت الضريرة وهي جالسة امام شجر الورد في الحوش :

– ستتصلين الى الكنيسة بعد تلاوة الانجيل •

وتوجهت مينا رأسا الى المرحاض وقالت :

– لن استطيع الذهاب الى القداس • الكمان مبتلان وثوبي كله غير مكوى •

وشعرت بان نظرة فاحصة تلاحقها •

قالت الضريرة :

– اول جمعة من الشهر وتتخلفين عن القداس ؟

وحين عادت « مينا » من « المرحاض » سكبت لنفسها فنجانا من القهوة وجلست الى جوار الضريرة وهي تستند الى احد قائمي الباب المصنوعين من الجير • ولكنها عافت القهوة وتمتمت حانقة وفي حلقها غصة :

– كله منك •

وصاحت الضريرة :

– انت تبكين !

وقامت ووضعت الرشاشة الى جوار اصص الزهور وخرجت الى الحوش وهي تردد :

– انت تبكين !

ووضعت « مينا » الفنجان على الارض ثم نهضت وهي تقول :

– من الغيظ !

واضافت وهي تمر غير بعيد عن الجدة :

– يجب ان تعترفي بدورك في هذه العملة للقسيس لكي يغفر لك ذنبك • انت التي حرمتني من تناول القربان في هذا اليوم المقدس •

وظلت الضريرة في مكانها بدون حركة حتى اغلقت « مينا » باب غرفة النوم ، ثم سارت حتى نهاية الطرقة وانحنت وظلت تتحسس بيديها الى الى ان عثرت في الارض على الفنجان الذي تركته حفيدتها دون ان تمسه • وبينما كانت تفرغ ما فيه من جديد في وعاء القهوة غمغمت لنفسها :

– الله يعلم الى مرتاحة الضمير •

وخرجت ام « مينا » من غرفة النوم وسالتها :

– مع من تتحدثين ؟

قالت الضريرة :

– لا اتحدث مع احد • وقد قلت لك من قبل ان عقلي قد خف •

دخلت مينا غرفتها واغلقت الباب على نفسها

وفكت أزرار « بلوزتها »، واخرجت ثلاثة مفاتيح كانت مشبوكةفيها بدبوس مشبك وفتحت باحدها درجا داخليا بالدولاب اخرجت منه صندوقا خشبيا صغيرا فتحته بالمفتاح الاخر • وكان في داخل الصندوق مجموعة من الخطابات ورقها ملون ملفوفة في رزمة وحولها حلقة من « الاستيك » • ودست « مينا » هذه الخطابات داخل بلوزتها واعادت الصندوق الى مكانه وقفلت درج الدولاب بالمفتاح ثم ذهبت الى المرحاض والقت الرزمة في قاعه •

وقالت أمها :
ـ كنت أحسب انك في الكنيسة •

وتدخلت الضريرة :
ـ هي لم تتمكن من الذهاب الى المقداس • كنت قد نسيت ان اليوم هو أول جمعة في الشهر فغسلت الكمين عصر امس •

وغمغمت « مينا » :
ـ وهما لا يزالان مبتلين •
قالت الضريرة :
ـ عملك يا « مينا » كان مرهقا هذه الايام •
فردت « مينا » :
ـ على أن أسلم مائة وخمسين « دسته » من الورد في عيد القيامة •
واشتد صهد الشمس والساعة لم تبلغ السابعة صباحا • واحضرت « مينا » الى الصالة مشغل الورود الصناعية: سبتا مملوءا بأوراق مما يصنع منه تويج الورد ، وأسلاك ، وتشكيلة من الورق المطاط ، ومقصين، و « شلة » خيط ، وإناء صمغ • وبعدها بلحظة حضرت «ترنيداد» وتحت ذراعها علبة من الكرتون وسألت « مينا » لماذا لم تذهب الى القداس •

وقالت « مينا » :
ـ لم يكن عندى « كمان » للتوبى •

قالت « ترنيداد » :
ـ كان بوسعك ان تستعيرى كمين من أى واحدة •
وجرت كرسيا لتجلس الى جوار سلة أوراق الورد التويجية •

وقالت « مينا » :
ـ كان الوقت قد تاخر •
وانتهت من صنع وردة ثم قربت السلة لتجعد بالمقص أوراق الورد • ووضعت « ترنيداد » العلبة الكرتون على الارض وانكبت على العمل •
ولاحظت « مينا » العلبة فسألت صديقتها :
ـ اشتريت حذاء ؟
فأجابت « ترينداد » :
ـ بل هي فئران ميتة•
ولما كانت « ترينداد » متخصصة في تجعيد ورق الورد عكفت «مينا» على صنع سيقان من السلك للورود كانت تغطيها باوراق خضراء• وظلت الفتاتان تعملان في صمت دون ان تتنبها الى ان اشعة الشمس كانت تتقدم في الصالة المزينة بصور لمناظر رعوية وصور عائلية • وحين انتهت « مينا » من اعداد سيقان الورود تحولت الى « ترينداد » بوجه مستغرق في ملكوت لا مادى • وكانت «ترينداد» تجعد اوراق الورد بمهارة تثير الاعجاب ولا تحرك الا أطراف أصابعها بحركات لا تكاد تحس وساقاها مضمومتان بشدة • ولاحظت « مينا » حذاء صديقتها الرجالى، وراغت ترينداد من نظرتها دون أن ترفع رأسها من عملها واكتفت بسحب قدميها الى الوراء ، ثم توقفت عن العمل وسألت صديقتها :

ـ ما الاخبار ؟
ومالت « مينا » ناحيتها وهمست :
ـ ذهب •
واسقطت « ترينداد » المقص في حجرها وسألت :

- أهذا ممكن ؟
فرددت « مينا » :
- ذهب .
ونظرت اليها «تريندداد» دون أن تطرف عيناها . وارتسم بين حاجبيها المفقودين خط رأسى . وسألت :

- ماذا ستفعلين الآن ؟
وأجابت « مينا » دون أن يرتجف صوتها :

- لا شىء .
وخرجت « تريندداد » قبل العاشرة .
وسرى عن « مينا » بعد أن أفضت بسرها الى صديقتها وطلبت منها أن تتمهل لحظة ريثما تلقى بالفئران الميتة فى المرحاض . وكانت الجدة الضريرة تقلم أشجار الورد . وقالت لها «مينا» وهى تمر أمامها :

- أراهن انك لا تستطعين أن تخمنى مافى هذه العلبة . وهزت الفئران فى العلبة .
واستمعت الضريرة الى الصوت وقالت :

- هزيها مرة أخرى .
وكررت « مينا » الحركة ولكن الخبرة لم تتمكن من اكتشاف ما بداخل العلبة حتى بعد أن استمعت الى الصوت مرة ثالثة وقد وضعت سبابتها على شحمة اذنها ، فقالت « مينا » :

- انها الفئران التى وقعت ليلة امس فى مصيدة الكنيسة .

وحين عادت « مينا » من المرحاض مرت أمام الضريرة دون أن تتكلم ، ولكن الضريرة تبعتها . وحين وصلت الى الصالة كانت « مينا » تجلس وحدها بالقرب من النافذة الموصدة لتنتهى من صنع الورود الصناعية .

قالت الضريرة :
- مينا » . اذا اردت أن تسعدى فى حياتك فلا تحكى أسرارك لغريب .

ورمقتها « مينا » دون أن تنبس . وجلست الضريرة فى الكرسى المواجه لها وارادت أن تشترك فى العمل ولكن « مينا » نهتها عن ذلك .. وقالت الضريرة :

- انت عصبية .
فردت مينا :
- بسببك !
وسالتها الضريرة :
- لماذا لم تذهبى الى القداس ؟

فردت عليها :
- انت اكثر من اى شخص آخر - تعرفين السبب .

وقالت الضريرة :
- لو أن المسألة هى مسألة الكمين فقط لما حملت نفسك مشقة الخروج من البيت .. ولكنك خرجت للقاء شخص كان فى انتظارك فى الطريق .

وقال لك هذا الشخص شيئا كدرك .
ومرت « مينا » بيدها أمام عينى الجدة وكأنها تمسح مرآة غير منظورة ، وقالت :

- انت تخمنين كل شىء !

وقالت الضريرة :
- انت ذهبت الى المرحاض مرتين هذا الصباح ومن عادتك الا تذهبى اليه الا مرة واحدة .

واستمرت « مينا » فى صنع الورود ٠

وسألت الضريرة :
ـ أيمكنك أن تريني ما تحتفظين به فى درج الدولاب ؟
ورشقت « مينا » الوردة التى كانت بيدها فى اطار النافذة دون تعجل وأخذت المفاتيح الثلاثة من « بلوزتها » ووضعتها فى يد الضريرة وضمت أصابعها عليها وقالت:

ـ اذهبى لرؤيتها بعيني رأسك ٠
وتحسست الضريرة المفاتيح الصغيرة بأطراف أصابعها ، وقالت :

ـ عينا رأسى لا تستطيعان النظر فى قاع المرحاض ٠
ورفعت مينا رأسها وأحست للتو بأن الضريرة كانت تعلم أنها تنظر اليها ٠ وقالت :

ـ الق بنفسك فى قاع « المرحاض » اذا كانت أشيائى تهمك الى هذا الحد ٠

وتجاهلت الضريرة هذه المقاطعة وقالت :
ـ أنت تكتبين دائما فى الفراش حتى يطلع الفجر ٠

وقالت « مينا » :
ـ كيف يتأتى لى ذلك اذا كنت تطفئين النور بنفسك ؟

فقالت الضريرة :
ـ أنت تضيئين « بطارية » اليد الصغيرة ومن طريقة تنفسك أستطيع أن أعرف ماذا تكتبين ٠
وبذلت « مينا » جهدا للسيطرة على أعصابها وقالت دون أن ترفع رأسها :

ـ على فرض أن هذا صحيح ، ما وجه الغرابة فيه ؟
وأجابت الضريرة :
ـ ليس فيه غرابة كل ما فى الامر أنه يفوت عليك قداس الجمعة الاولى من الشهر ٠
وجمعت « مينا » بكلتا يديها « شلة » الخيط والمقصين وحفنة من السيقان والورود التى لم تنته من صنعها ووضعت الكل فى السلة ونظرت الى الضريرة وبادرتها :

ـ تريدين أن تعلمى ما الذى فعلته فى المرحاض ؟
وبقيت المرأتان فى حالة ترقب الى أن أجابت « مينا » على السؤال الذى طرحته :

ـ ذهبت لأتبرز ٠
ورمت الضريرة المفاتيح الصغيرة الثلاثة فى السلة وتمتمت وهى تتجه الى المطبخ :
ـ كان من الممكن أن يكون هذا عذرا مقبولا ، وكان من الممكن أن أقتنع به لولا أن هذه هى المرة الاولى التى أسمع منك فيها كلمة بذيئة ٠
وجاءت أم « مينا » من الطرقة فى الاتجاه العكسى وهى محملة بأفرع شائكة ، وسألت:

ـ ما الحكاية ؟
وأجابت الضريرة :
ـ الحكاية ؟ الحكاية انى مجنونة ٠ ولكنكم ، فيما أظن ، لن تفكروا فى ارسالى الى مستشفى المجاذيب ما لم أبدأ فى رمى الناس بالحجارة !



ما أدخله القطار على اللغة والأدب

بقلم : محمد سيد كيلانى

هذا هو الجزء الاخير من رحلات محمد سيد كيلانى فى المكان والزمان عبر مائة سنة ، مع دخول القطار الى مصر وما طرأ خلال تلك الفترة من تغيرات اجتماعية وسياسية واقتصادية

يطلق المصريون كلمة « وبور » - وهى تحريف للكلمة الانجليزية Vapour ومعناها البخار - على كل مايدور بالبخار .

يقول المصريون : وبور المية ، وبور النور ، وبور الطحين ، وبور الغاز ، ربما لأنه عند تحريفهم للكلمة الانجليزية استبدلوا بحرف الـ V الذى لاوجود له فى العربية حرفا موجودا فيها هو الواو .

وقد سجل التاريخ طرفة من الطرائف التى أتى بها شاعر أراد مدح ملكة انجلترا فكتوريا فنطق الاسم بالواو « وكتوريا » .

على أية حال فإن المصريين كما استخدموا وبور استخدموا أيضا كلمة « قطار » لمجموع العربات .

والمعنى اللغوى لكلمة « قطار » يعنى ، القافلة التى تتألف من عدة جمال ، كما استخدموا كلمة « قاطرة » للعربة التى تضم الآلة التى تجر العربات و« تقطرها » وراءها .

وقد أغنى دخول القطار فى بلادنا اللغة العربية بالعديد من الكلمات الأخرى التى أطلقت على الآلات كما أطلقت على الأشخاص الذين يتعاملون مع القطار .



السينما فوق قضبان القطار .. لقطة من باب الحديد

فأطلقوا كلمة .. « عَطَشْجى » .. على العامل الذى يمد القطار بالماء ، وكلمة « محولجى » على العامل الذى يحول القضبان عند المفارق ليوجهها فى الاتجاه المراد للقطار المرور فيه ، كما أطلقوا كلمة « تذكرجى » على الموظف الذى يبيع التذاكر للمسافرين ، وقد شاعت ورسخت هذه الكلمة على الرغم من أنها فى الأصل ترجمة خاطئة لكلمة ticket الانجليزية التى تعنى : تصريح بالركوب فى وسيلة من وسائل الانتقال ، أو الدخول إلى اجتماع .

كما أطلق المصريون كلمة « مزلقان » على البوابة التى تخصص لعبور الناس ، راكبين أو راجلين ، فوق قضبان السكة الحديد ، وكلمة « محطة » لموضع وقوف القطارات فى أماكن معينة مجهزة بأرصفة ومكاتب وموظفين وتستخدم للصعود أو الهبوط من القطار .

أما كلمة « فلنكات » ومفردها « فلنك » هى بالانجليزية Flang ومعناها قضيب أو أنبوبة ، وتستعمل بالعربية فى نفس المعنى ، كما استعملوا كلمة « عنابر » ومفردها عنبر وعنوا به البناء المخصص لاصلاح وصيانة مايفسد من القاطرات والعربات ، ولاوجود لهذه الكلمة فى اللغة العربية بالمعنى الذى نقصده اليوم .

وفى أول الأمر أطلقوا على امتداد القضبان اسم « أخاديد الحديد » أو « طرق الحديد » ثم استقر الأمر أخيرا على اسم « السكة الحديد » ، وأحيانا يقولون شريط السكة الحديد .

وكما وصفوا هذه الأشياء وصفوا القطارات بأنواعها وفخامتها ، فذلك الذى يقف فى جميع المحطات فى المراكز والنواحى أطلقوا عليه اسم « القشاش » وكأنهم أرادوا أن يقولوا أن القطار « يقش » كل من هب ودب فى طريقه أما

باوابورقل

ذلك الذى يقف فى عواصم المحافظات فيسمونه « الاكسبريس » وذلك الذى يقف فى أسيوط فقط ، سواء كان قادما من أسوان أو ذاهبا اليها يقولون عنه « المفتخر » .

وكانوا أحيانا يطلقون على القطار نفسه « ويور البر » تمييزا له عن « وبور البحر » ثم أطلقوا على هذا الأخير اسم « باخرة » ، ولم ترد هذه الكلمة فى كتب اللغة على أية حال ، وهى ترجمة غير دقيقة للكلمة الانجليزية Steem Ship

★ ★ ★

أما فى الأدب فقد وقف الشعراء أمام القطار طويلا مندهشين مذهولين من هذه الآلة الجبارة ، محاولين كشف ماغمض من أسرارها ، وقد اشتركوا جميعا فى الاعراب عن حيرتهم أمام هذا الاختراع العجيب :

يقول عبدالله النديم :

نظر الحكيم صفاته فتحيرا
شكلا كطود بالبخار مسيرا

بل أن رفاعة الطهطاوى صرخ :

العقل فى الوابور حار
نرجو الجواب فلا يحير

وهكذا بدوا كأنهم لايدركون سر القوة التى تحرك هذا الجسم الحديدى الضخم ، بل كأنهم لم يفهموا أنها قوة البخار .

وقد أكثر الأدباء من إيراد الصور الخيالية من التشبيهات والاستعارات فى وصفهم لسرعة هذا الجسم ، ومن المعروف أن سر الجمال فى التشبيه هو رسم صورة للمشبه تقربه للأذهان ، وقد حاول الأدباء ذلك بقدر المستطاع ، بل بالغ بعضهم كثيرا حتى ذكر أن سرعته تفوق سرعة الضوء .. من ذلك قول البارودى :

ولقد علوت سراة أدهم لو جرى
فى شأوه برق تعثر أوكبا
يطوى المدى طىّ السجل ويهتدى
فى كل مهمهة يضل بها الخطا
يجرى على عجل فلا يشكو الوجى
هد النهار ولايمل من السرى

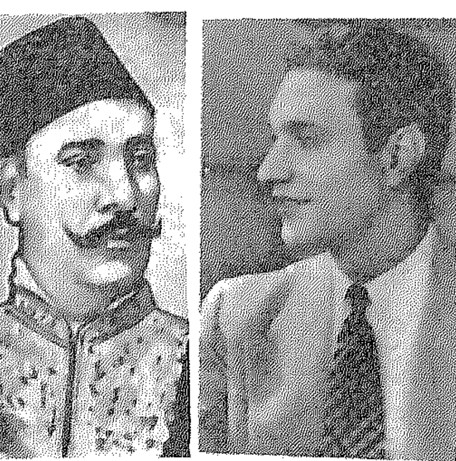
فهذا القطار يقطع المسافات الطويلة دون أن يضل طريقه أو يخطىء قصده ، وهو ليس كالجمل الذى قد يصاب بألم فى أخفافه فيعجز عن السير ، بل يمكنه أن يسير طوال النهار وطوال الليل دون أن يتعب أو يمل .

● التغنى بفضل القطار

ومن طريف مايروى فى هذا الصدد أن عبدالله باشا فكرى كان قد سافر إلى السويد على رأس وفد مصرى لحضور مؤتمر للمستشرقين انعقد تحت رعاية ملك تلك البلاد ، وكان من أعضاء هذا الوفد الشيخ حمزة فتح الله فألقى قصيدة بدأها بأبيات فى وصف الناقة على عادة العرب القدماء ، فعارضه عبدالله فكرى بقصيدة بأبيات فى وصف القطار والتغنى بفضله ، معرضا فى هذا بالناقة التى تساق بالسوط ، وتشد عليها الرحال ، والقطار يسبق الرياح ويتركها وراءه حزينة متعبة مجهدة تتعثر فى سيرها .

قال :

ثم امتطينا للسويد ركائبا
لا الركض يجهدها ولا التسيار




محمد عبد الوهاب محمود سامى البارودى

تسعى على عجل الى غاياتها
كالماء ساعد جرية التيار
سرع الخطا لا السوط هل بجلدها
يوما ولاشدت بها أكوار

على أية حال لايملك المرء إلا أن يقول إنه إذا كانْ من المعروف أن المشبه به يجب أن يكون أقوى من المشبه فإن معظم الأدباء الذين عرضوا لوصف القطار لم يوفقوا كثيرا فى تشبيهاتهم مثال ذلك قول عبدالله النديم :

تلقاه حال السير أفعى تلتوى
أو فارس الهيجا أثار العثيرا

فالقطار أقوى من الأفعى وأقوى من الفارس .

وقال آخر فى وصف قنطرة شيدت على النيل ليعبر عليها القطار :

لله ما أبهى وأبهج قنطرة
سمح السعيد بها فزانت كوثرة
وبصنعها سكك الحديد مديدها
أضحى لوافر نفعها ما أقصره
وكأنها والموج تحت رصيفها
ملك ينظم بالشهامة عسكره
وكتائب العربات تلثم أرضها
وتجوز وهى بأمنها مستبشرة

لقد أعجب هذا الشاعر بالقنطرة التى أزدان بها نهر النيل والتى ساعدت القطار على العبور فقصرت المسافات وقربت البعيد ، فاستحقت شكر العربات التى هـوت على أرضهـا تقبلهـا تقبيل الشاكرين .. تمر وهى آمنة مطمئنة ..

ومن الشعر الشعبى جاء قول أحدهم :

يامصر كم وابور نار
أضحى كطير فى القفار
يسعى بأجنحة البخار
لاتدرك الريح الغبار
منه كبرق فى الظلام
يسرى فيزرى بالعتاق
شرقا وغربا فى السباق
ويكاد يخترق الطباق
بعجيب عزم لايطاق
لم يبق للبعد احتكام
كم من تلغراف فريد
بسلوكه الوادى حميد
هو للرعايا كالبريد
يأتى به النبأ المفيد
فى لمحة من بعد عام

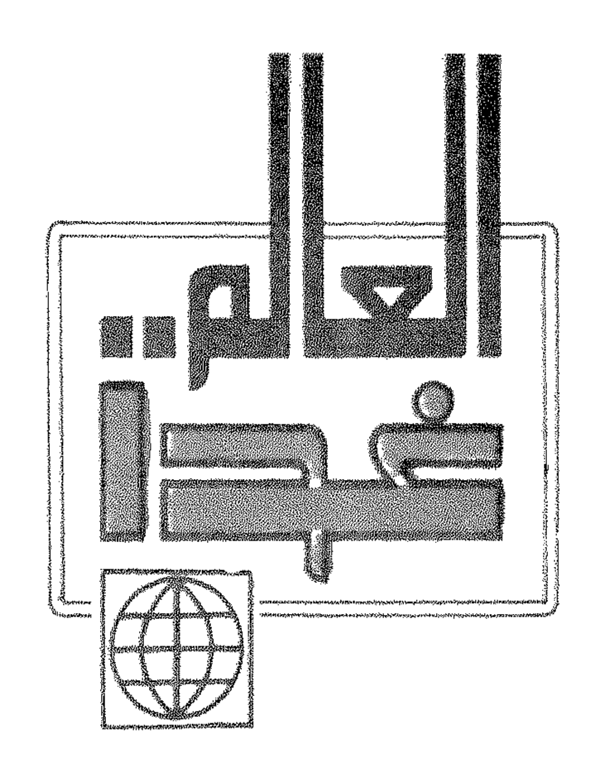
هكذا كان الناس يتغنون فى أمر القطار بمثل هذا الشعر .

ومما لاشك فيه أن شعرا كثيرا قد قيل فى وصف القطار ، ولكن لم يصلنا منه إلا القليل ..

ومن الشهير الذائع تلك الأغنية التى يتغنى بها محمد عبدالوهاب :

ياوبور قل لى
رايح على فين
عمال تجرى بحرى وقبلى
ياوبور قل لى طريقك وين

هكذا أثرى دخول القطار لغتنا العربية ، كما أثر على نواح عديدة فى حياتنا على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية .



● المؤسسات العلمية في عام ١٩٨٨

● بمناسبة بدء العام الجديد تبلورت اتجاهات انشطة مؤسسات البحث العلمي في مصر · واهم هذه الاتجاهات هو قيام المؤسسات العلمية بوظيفة بيوت الخبرة والمكاتب الاستشارية ، فيما يخص ما تحتاجه المؤسسات الاخرى من دراسات ·

ولعل أهم المحاور التي سيدور حولها نشاط هذه المؤسسات هو اهتمام البحث بالمشاكل القومية التي تحتاج الى دراسات تكاملية من الزوايا الاقتصادية والاجتماعية والعلمية ، ومنها مشاكل الصناعات الصغيرة وتنمية القرية واعداد خرائط الموارد الطبيعية ··

هذا وسيجرى خلال عام ١٩٨٨ تكثيف الجهود الخاصة بانشاء معهد الهندسة الوراثية والتكنولوجيا الحيوية التابع لاكاديمية البحث العلمي · ودعم وتطوير الشبكة القومية للمعلومات بهدف تقديم الخدمات العلمية للباحثين والعلماء ··

ومع عودة العلاقات المصرية العربية ستكثف المؤسسات العلمية من نشاطها العربي مع مواصلة علاقاتها بالمؤسسات العلمية الافريقية

وهناك امال حول ترجمة نتائج الابحاث العلمية الى جهود تطويرية في المجالات الانتاجية وتنمية الابتكارات ، وبخاصة في مجال الطاقة الشمسية ·

وستدخل المؤسسات العلمية مجالا جديدا هو مجال تبسيط العلوم حيث ستقوم بتنفيذ البرامج للاذاعتين المسموعة والمرئية ، وتصدر سلسلة من الكتب العلمية المبسطة ·

● مولود عمره الف عام

تتزايد عاصفة الاحتجاج وعدم الرضا في العالم « المتقدم » بصدد مجموعة من الممارسات الطبية التي تمس المواليد والاجنة البشرية · فقد قام مستشفى لوماليندا أخيراً بنقل قلب مولود جديد الى طفل لم يتجاوز عمره أيام ·· صحيح أن الطفل صاحب القلب المنقول كان يعاني من عيب خلقي في المخ ، لا يترك له الدنى فرصة للعيش بعد الولادة · لكن المتبع قبل هذه الممارسات كان اجهاض حاملات مثل هذه الاجنة ، بالذات وقد صار بامكان الاطباء التعرف على العيوب الخلقية في مراحل مبكرة من فترة الحمل ··

ويبرر الداعون الى الابقاء على هذه الاجنة والاستفادة من أعضائها (القلب والرئتين والكليتين ··) ·



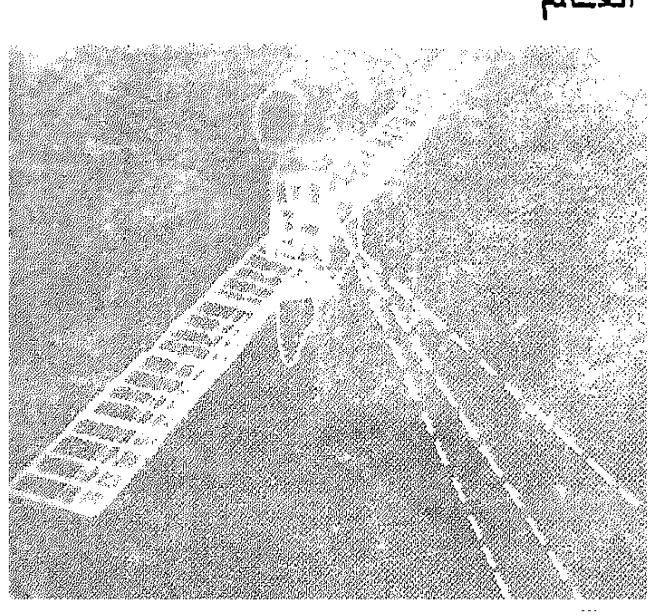
باعتماد حياة بشر آخرين على نقل مثل هذه الاعضاء لاجسادهم . وان كانت هـذه الحاجة تصلح مبررا للممارسة السابقة فان ممارسات عابثة اخرى لوكالات استئجار الارحام ـ وهى وكالات تجارية تتكسب من الانجازات العلمية ـ لا يمكن أن تثير الا ما هو سلبى من الاحكام والمشاعر .

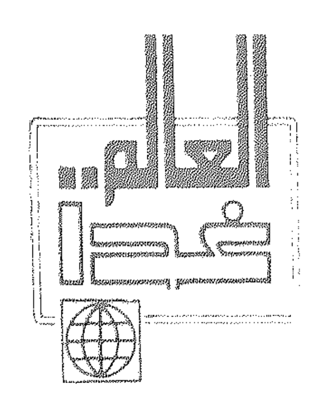
ومن هذه الممارسات تجميد الاجنة وحفظها لاى عدد من السنين لتزرع بعد ذلك فى أرحام تستأجر لاغراض الحمل . والغريب أن الامر هنا قد تجاوز الاحلام المستقبلية أو التخطيط الفكرى .. اذ اعلن العالم البريطانى ديفيد ويتنجهام أنه جمد بالفعل جنينا عمره يومان ، وسوف يجرى الاحتفاظ به ليزرع فى رحم امرأة عام ٢١٨٧ (!) ومن الغريب أنه يدافع عن مثل ذلك الاجراء بدعوى أن الجنين الذى يجرى تجميده لا يزيد على كونه مجموعة من الخلايا لا تمت من قريب أو بعيد للكيان البشرى .. الخطير ان هذه الممارسات ناهيك عن كونها عبثا بمقدسات الحياة وتجاوز من الاطباء لصلاحياتهم ، تمهد لان يصير الاطفال الاصحاء هدفا لمثل هذا العبث التجارى ..

● مكتبة الكونجرس فى القاهرة

اقيمت بالمركز الثقافى الامريكى فى القاهرة محطة استقبال لبث الاقمار الصناعية تستقبل رسالة يومية حول أحدث مجريات السياسة والاقتصاد والعلوم والرياضة من الشبكة العالمية التى انشأتها هيئة الاستعلامات الامريكية فى واشنطون ، التى تبث ارسالها الى اوروبا وبعض البلدان الاخرى ..

ومن المستحدثات التقنية التى زود بها المركز أيضا حاسب الكترونى ، ضمن الوظائف التى يقوم بها توصيل الباحثين المصريين بالمصادر الامريكية، غير المتوفرة فى مكتبة المركز (١٣ الف كتاب مع المراجع والفهارس والدوريات) .. وبين المصادر التى يستطيع المصرى أن يتصل بها الان مكتبة الكونجرس أكبر مكتبات العالم .





بدلا من قتل الخيال

تجارب عديدة جرت فى أنحاء مختلفة من العالم وعلى آجال زمنية متفاوتة استهدفت عدم حصر التلاميذ داخل دائرة التلقين والحفظ والتقنين فى اطار المقررات المدرسية ، لان ذلك يقتل روح الابتكار والابداع ولا يتيح الفرصة لتنمية الخيال ..

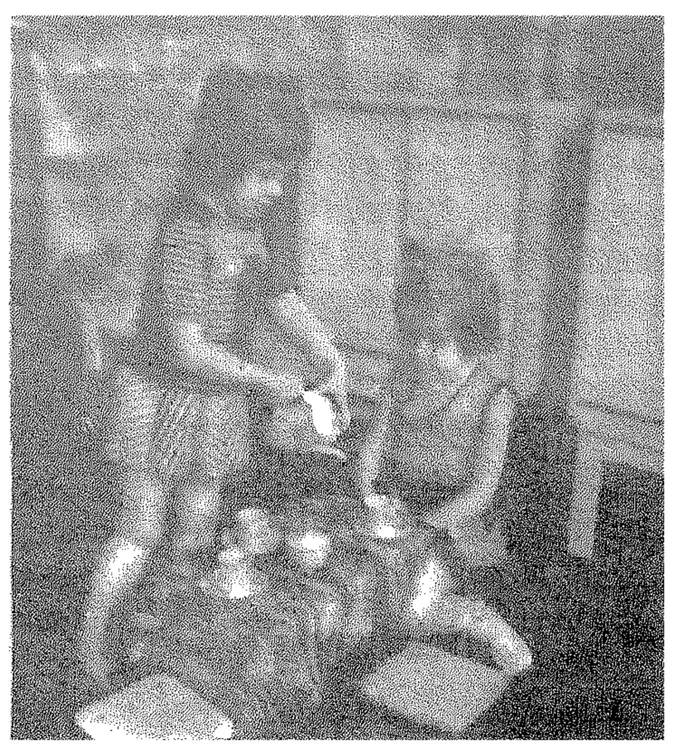
ولكن هناك تجربة جديدة تجرى فى الولايات المتحدة يرعاها · د·فيليب لوبيت (فى مدارس مدينة نيويورك) بالاشتراك مع عدد من الفنانين المهتمين بالشعر والدراما ، وهذه التجربة تكرر وتطور ما جرى فى مسرح الطفل الكوبى من اتاحة الفرصة أمام الطفل للمشاركة بنفسه فى تطوير العمل الدرامى وتنمية الحدث ، بما يتفق وتخيلاته الخاصة ، وسط جماعة سيكولوجية تتيح له جوا من الامان النفسى بل والدعم والتشجيع بما ينمى قدراته الابداعية ·

وبين أهداف تجربة د· لوميت اختيار الاطفال ذوى المواهب المتميزة فى كافة المجالات ، ورعايتهم كل فى المجال الذى يبرز فيه ·· وقد قام د · لوبيت أخيرا بزيارة للقاهرة عبر فيها عن أمله فى الا تظل تجربته سجينة الولايات المتحدة ، وأن تخرج الى بلدان العالم المختلفة ، وأن يستفيد منها الاطفال المصريون ·

الدولتان ((الاعظم)) فى الطلاق

● كشفت آخر دراسة نشرتها اكاديمية العلوم الاجتماعية السوفييتية أن الاتحاد السوفييتى يحتل المركز الثانى فى العالم من حيث عدد حالات الطلاق بعد الولايات المتحدة الامريكية · وقد ظهرت الى جوار الاسباب التقليدية للطلاق : (الادمان ، سهولة اجراءات الطلاق، معيشة الزوجين فى منزل احدى اسرتيهما ··) أسباب تبدو غريبة على الواقع السوفييتى مثل الرغبة فى انجاب الذكور ، والنفور من مشاركة المرأة فى النشاط الاجتماعى

● وافق المسئولون فى البيت الابيض الامريكى ، بصورة مبدئية ، على أن تساهم الحكومة الامريكية فى تمويل مشروع اطلاق محطة



فضائية صغيرة يديرها القطـــاع الخاص ..

● أوضح الاطباء الصينيون أن الغناء يساعد الانسان على العلاج من السعال والزكام ويرجع ذلك الى أن الغناء يضطر المرء على الاحتفاظ بالشـهيق لفترة طويلة ، الامر الذى يجعله يعتمد بصورة أكبر على التنفس البطنى (بأقصى امكانات الرئتين) ، بدلا من التنفس الرئوى السطحى ، وذلك يزيد من الطاقة الحيوية ، كمـا يقلل من الضغط على الرئة .. هذا كما أثبت الصينيون أن النشـــاط المصاحب للغناء يؤدى الى خفقـان القلب وتوتر عضلاته مما يساعد فى السيطرة على السعال .. وذلك كله ناهيك بالطبع عما يصاحب الغنـاء من مشاعر الفرح والابتهاج .

● بدأت التجارب فى عـــدد من البـــلدان المتقـدمة تقنيـا لقيـام الكمبيوتر بدور الرقيب بعد برمجته بتفاصيل المواد التليفزيونية الممنوع عرضها ..

● الازواج وآلام المخاض

من المســلم به أن بعض الازواج يشعرون بما تشعر بـه نسـاؤهم خلال فترة الحمل . وقد ساد تفسير مؤداه أن ذلك يجرى بدافع التعـــاطف لهذا كان الشـائع أن ذلك يحدث للازواج شديدى المودة والحب لزوجاتهم .

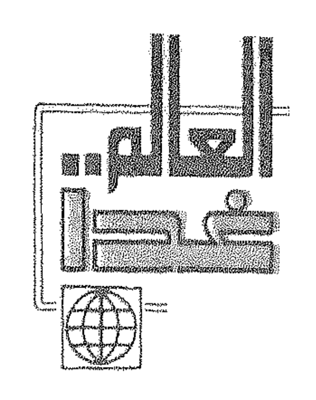
لكن دراسـتين أجريتا فى امريكا أخيرا (فى كليتين بولاية بنسلفانيا ، وأنتاريو الكنـــدية) على الازواج ونسائهم الحاملات فى نفس الوقت بينتا أن الامر لا يجرى بدافع التعاطف فقـط .

لقـــد أكدت الدراستان وجـــود عوارض الحمل لدى الرجال لكنهمـا لم تجدا توازيا بين ذلك وبين الحب ، بل وأكدتا اختفاء أعراض « التعاطف » بين الزوجين مع اقتراب الحمل فبينما يتصـــاعد قلق الحوامل يخفت قلق أزواجهن .

ولعل أطرف التفسيرات التى خرجت بها الدراســـتان أن الامر يمكن ان يكون بقـــايا « لحمى النفـــاس الاصطناعية » التى كان الاجـــداد القدامى يؤكدون بها دورهم فى عملية التناسل .. ومن التفسيرات الطريفة الاخـــرى أن يكون هدف الزوج هو الخلود الى الفراش بعد ولادة الزوجة حتى تتماســك الزوجة سريعا بعـد الوضع ولا تتهامل فى خدمته ..

● الاستعداد للذهاب الى المريخ

على متن ســـفينة الفضــــاء السوفييتية « سيوز ـ ت م ـ ٣ » عاد الملاح الكونى يورى رومانينكو (٤٣ سـنة) بعد أن قضى ٢٢٧ يوما فى الفضـــاء القــريب من الارض .. يعمل فى المحطة المدارية « مير » .. وكان الملاح قد شكا خـــلال الايام الاخيرة من تحليقه ، من حالة التبلد وفقـــدان الاهتمام .. لظـــروف العزلة التى يعيشــها الملاح خـــلال تحليقه .. ومن المعتقـــد أن يظـــل الطاقم الكونى الجديد الذى حل فى محطة « مير » محل طاقم رومانينكو فترة أطول فى الفضـــاء اذ ان ذلك ينطوى على أهمية اســاسية بالنسـبة



للبحوث الجارية حول ارسال مركبة مأهولة الى المريخ ·· فرحلة الذهاب والعودة وحدها تستغرق عامين ونصفا ··



● مفتاح كنز الطاقة

ربما لم يعرف تاريخ البشرية هدفا علميا وتقنيا اخر وظفت فيه امكانات بشرية ومالية (ما يقدر بالمليارات من الدولارات) مثلما حدث بالمنسبة لطاقة الاندماج النووى·

لقد نجح العلماء فى فك عقال الطاقة الناتجة عن انشطار نواة العناصر الثقيلة النادرة فى الطبيعة مثل اليورانيوم (القنبلة الذرية) والطاقة الناتجة عن اندماج أنوية العناصر الخفيفة مثل الهيدروجين (القنبلة الهيدروجينية) ، ثم نجحوا بالتحكم فى طاقة الانشطار (المحطات النووية المعروفة) لكن عشرات السنين من كد العلماء فى السيطرة على طاقة الاندماج لم تفلح فى الابتعاد عن دائرة الحلم ··

لكن العلماء نجحوا أخيرا فى تسخين المادة التى ستتحد أنويتها لتوليد الطاقة الاسطورية الى درجة الحرارة المطلوبة لذلك ، وهى مائة مليون درجة (نقول أن الجو حار جدا عندما تقترب درجة الحرارة من ٤٠ درجة م) وفى مضاعفة فترة الابقاء على المادة فى درجة الحرارة هذه مئات المرات ، لكن مازال ينقصهم ثانية أو ثانيتان ، لتحقيق مدة الثبات المنشودة لحدوث التفاعل ··

وهكذا يقف العلماء على عتبات افتتاح أول وحدة تجريبية لانتاج طاقة الاندماج النووى ، والمتوقع ظهور المحطات التجارية من هذا النوع عام ٢٠١٥ تقريبا · ولا تقتصر المسألة على أن الطاقة الجديدة لا تلوث الجو ولا يتبقى عنها مخلفات ضارة ، ولا على ان مفاعلاتها لا تنطوى على أية مخاطر ·· ذلك اننا نسد بها أيضا بعض الدين لاجيال المستقبل بعد أن بذرنا واسرفنا فى استخدام نصيبهم من خامات الطاقة ··

● الايدز على النمط الاسيوى ليس خطيرا ، لكنه على المستوى العربى مخيف

اذا كان المثل اللاتينى يقول أن القارة الافريقية تقدم جديدا كل يوم ، فان القارة الآسيوية هى قارة العجائب والسحر والابداع · واذا كان الفكر الماركسي قد كشف في القرن الماضى عن نمط جديد فى الانتاج بسبب

علاقات الانتاج السائدة فى البلدان الآسيوية فى ذلك الحين ، فان التقرير الاخير لمنظمة الصحة العالمية يشير الى نمط متميز لمرض الايدز فى آسيا أطلق عليه النمط الاسيوى وذلك بالمقارنة بالنمط الافريقى للوباء أو طاعون العصر « الايدز » أو مرض نقص المناعة المكتسبة القاتل • أما النمط الغربى للمرض وهو الشائع فى الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية الصناعية فله سمات مميزة تميزه عن النمطين السابقين •

النمط الغربى لمرض الايدز كوباء : يقول التقرير ان الاغلبية من المصابين بالفيروس القاتل من الشواذ جنسيا أو الذين يتناولون المخدرات والعقاقير بواسطة الحقن ـ أما القلة من من المصابين فهم من المتزوجين أو الذين اصيبوا بالمرض عن طريق نقل دماء لهم ملوثة بالفيروس اثناء جراحات او على اثر حوادث ، وفى معظم الحالات قلة نادرة مصابة من الاطفال ، وقد انتقل اليهم بواسطة الامهات قبل الولادة •

النمط الافريقى للوباء : الاغلبية المصابة بالفيروس من المتزوجين وتوجد نسبة عالية جدا من الاطفال المرضى بالايدز فى البلدان الافريقية وينتشر المرض فى افريقيا بين المتزوجين وينتقل الى الاطفال أما الاقلية فهى بين الشواذ ـ وتحذر المنظمة بالنسبة للقارة الافريقية من انتشار المرض مستقبلا عن طريق الدماء الملوثة والادوات الجراحية لضعف امكانات الكشف وتصوير الدماء قبل الحقن بها وكذلك بالنسبة لتعقيم الادوات الجراحية فى المستشفيات وغيرها •

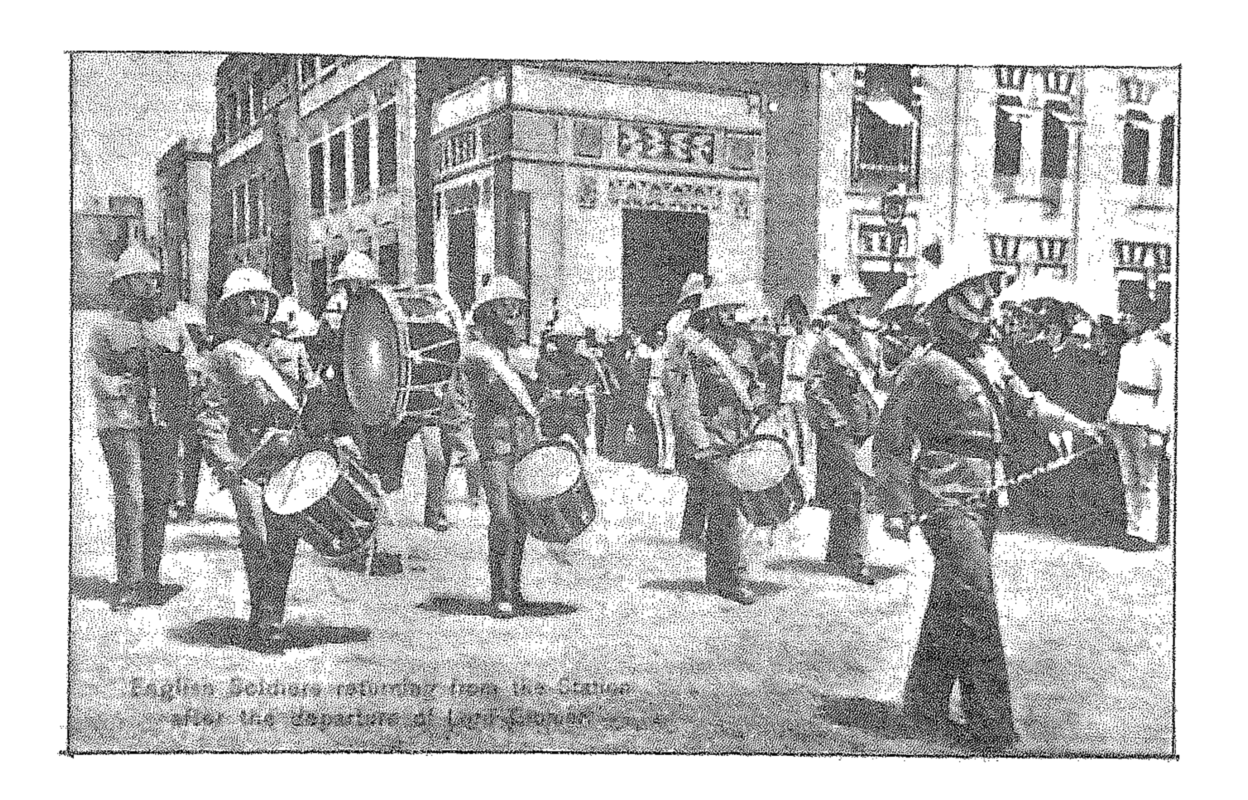
النمط الآسيوى للوباء : يفيد تقرير منظمة الصحة العالمية ان المرض لم يظهر فى البلدان الآسيوية الا أخيرا جدا وذلك عن طريق الحقن بدماء ملوثة بالفيروس أو مشتقاتها مستوردة من البلدان الغربية الموبوء بالمرض القاتل •

وقد سجلت تقارير منظمة الصحة العالمية فى ديسمبر هذا العام ٦٦ الف حالة مصابة بهذا المرض فى ١٣٣ دولة ـ وتحذر المنظمة من هذه التقديرات الرسمية وترى انه توجد مئات الآلاف من الحالات التى لم يتم اكتشافها أو تسجيلها لضعف الامكانات فى معظم البلدان كما أن هناك أربعين دولة ترفض أخطار المنظمة بتطورات المرض بها •

ويقول تقرير سابق للمنظمة ان عدد الحاملين لفيروس المرض من المتوقع أن يصل الى ١٠ ملايين حالة بنهاية هذا العقد •

وتقوم حاليا منظمة الصحة العالمية بحملة أعلامية واسعة للحد من انتشار المرض عن طريق التوعية ، ويعلن خبراء المنظمة انه ليس من المتوقع التوصل الى مصل او لقاح للقضاء على الفيروس فى المستقبل القريب على الرغم من الجهود المبذولة حاليا على نطاق واسع •

وتؤكد المنظمة فى تقاريرها ان التوعية بطرق انتقال المرض على نطاق واسع هى خير سبيل لمكافحة انتشار هذا الوباء القاتل وقد اعلنت المنظمة معارضة قوية لكل الاجراءات القمعية أو العنصرية ضد المرضى وطالبت بتوفير حياة كريمة لهم مع عناية طبية مكثفة ـ لان المخاطر الناتجة عن العقوبات او الاجراءات الشاذة سوف تؤدى الى انتشار المرض سرا بسرعة انتشار النار فى الهشيم ليس على المستوى المحلى ولكن على المستوى العالمى أيضا والعالمى أيضا •



صورة رقم « ١ »

مجموعة البومات تصور أحداثا تاريخية للقاهرة والأسكندرية

تحقيق: سمير عبد المجيد

مواطن سكندرى هـوايته الاحتفاظ بالصور القديمه التى تفسر تاريخ بلاده وتبين حضارتها وتقديمها على فترات مختلفة فى مطلع هذا القرن .. وهـذه الصور التى قام بتجميعهـا لمحافظة الاسكندرية الجميلة .. ومحافظة القاهرة العاصـمة الام .. ومدن القناة رمـز البطولة والكفاح .

وقد بدأت الهـواية عنـد المواطن المصرى عبد الوهـاب عبده محمد منذ ثـلاثين عاما فيقول : « بدأت افـكر فى الاحتفاظ بهذه الصور ابتداء من عام ١٩٥٠ حينمـا قامت مجلة « المصور » بنشر مذكرات الامير محمد على توفيـق على عدة مراحل من بينها ضـرب الاسكندرية . فوجدت مجموعة



صورة رقم « ٢ »

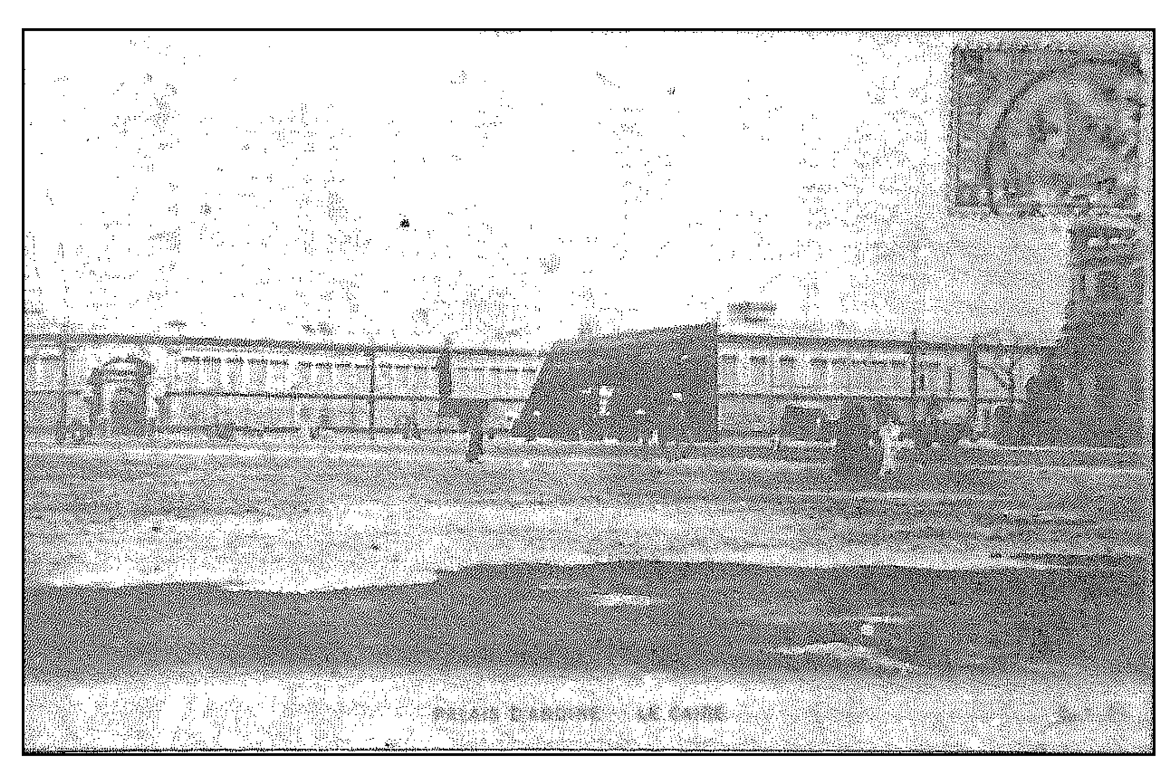
من هذه الصور فاشترت ان احتفظ بها طيلة هذه السنوات .. كما اثار ذلك فضولى لأن اجمع معلومات مصورة عن بلدى خلال هذه الفترة .

● كيف جمعت هذه الصور؟

يقول المواطن عبد الوهاب عبده : فى الخمسينيات كنت اذهب الى منطقة المنشية التى كان بها انذاك مكتبات تبيع هذه الصور وكان ثمن الصورة الواحدة ٥ مليمات وجمعت هذه الصور فى البومات للقاهرة والاسكندرية ومدن القناة ، وتضم اكثر من ١٢٠٠ صورة منذ اوائل هذا القرن حتى قبيل تحرير البلاد فى يوليو ١٩٥٢ .. وهذه بعض الصور التى اخترناها من بين هذه الالبومات .

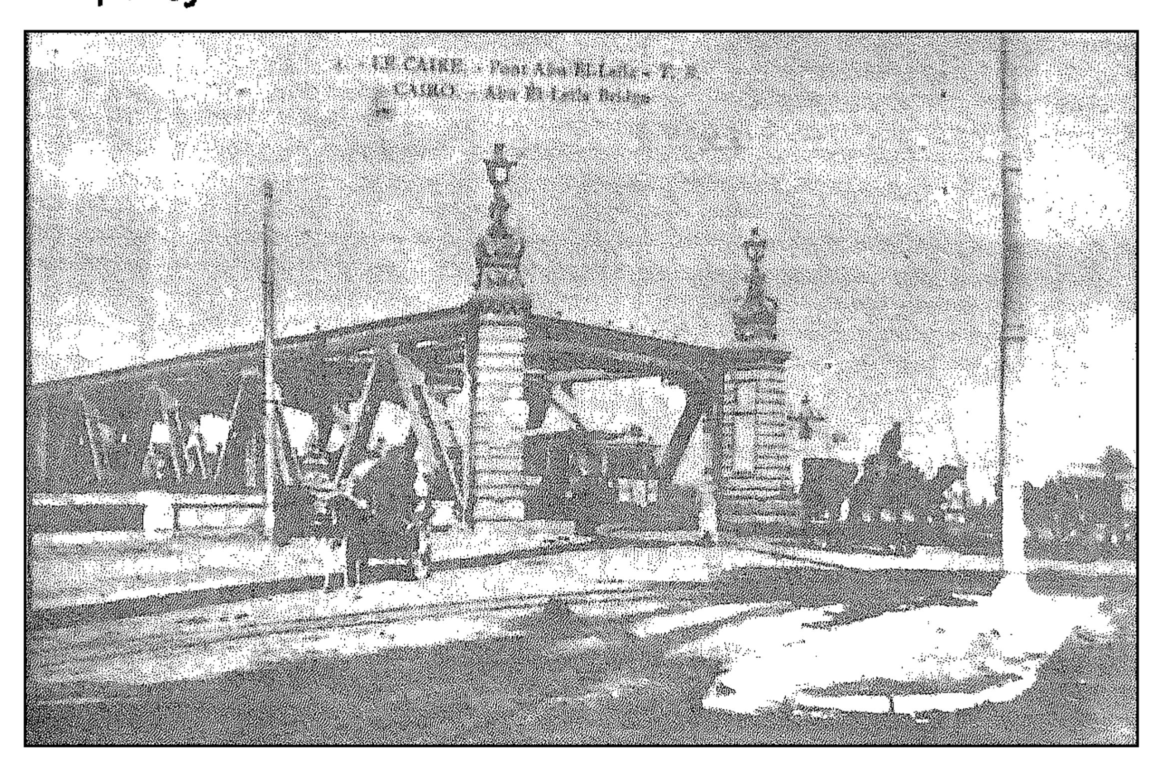
الصورة الاولى تبين محطة رمسيس بالقاهرة ويظهر بالميدان جنود فرقة الموسيقى الانجليزية عائدين من المحطة عام ١٩٠٧ بعد وداعهم للورد كرومر الذى تقرر طرده من مصر فى هذا الوقت بعد نشر مصطفى كامل لفضائحه فركب من القاهرة الى الاسكندرية ليسافر عبر البحر الى بلاده .

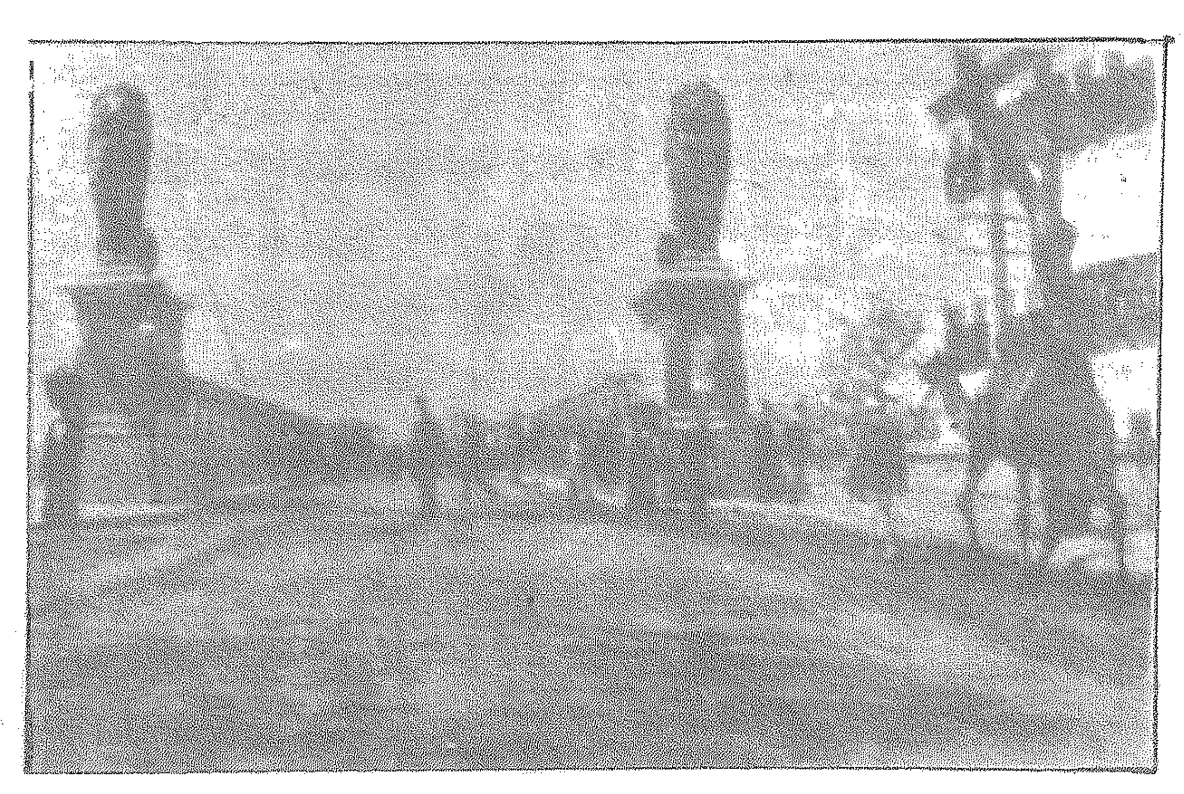
الصورة الثانية لمحطة القاهرة عام ١٩٠٧ وتوضح الصورة الشكل العمارى الرائع الذى كانت به المحطة فى ذلك الوقت ولم يكن بالمحطة السور الذى اقيم ، ثم تمت



صورة رقم « ٣ »

صورة رقم « ٤ »





صورة رقم « ٥ »

ازالته وترى الابواب خالية من المسافرين والزحام وترى عربات «الحنطور» و «الكارو» وبعض المارة والترام الذى كتب عليه «ترعة الاسماعيلية» وترى فى الصورة خلو الميدان المظلوم الان من الكبارى العلوية والسيارات المزدحمة ومئات الالوف من الجماهير كانهم يوم الحشر ٠

الصورة الثالثة لقصر عابدين عام ١٩٠٩ فى عصر الخديو عباس حلمى الثانى ٠٠ وترى امام القصر جملا وحمارا وعربة «كارو» ويظهر بالصورة أن الشارع كان ترابا ولم يكن معبدا ولعلك عزيزى القارىء تعرف ماذا يضم هذا الميدان الان من اسوار وابواب وكبارى وزحام !!

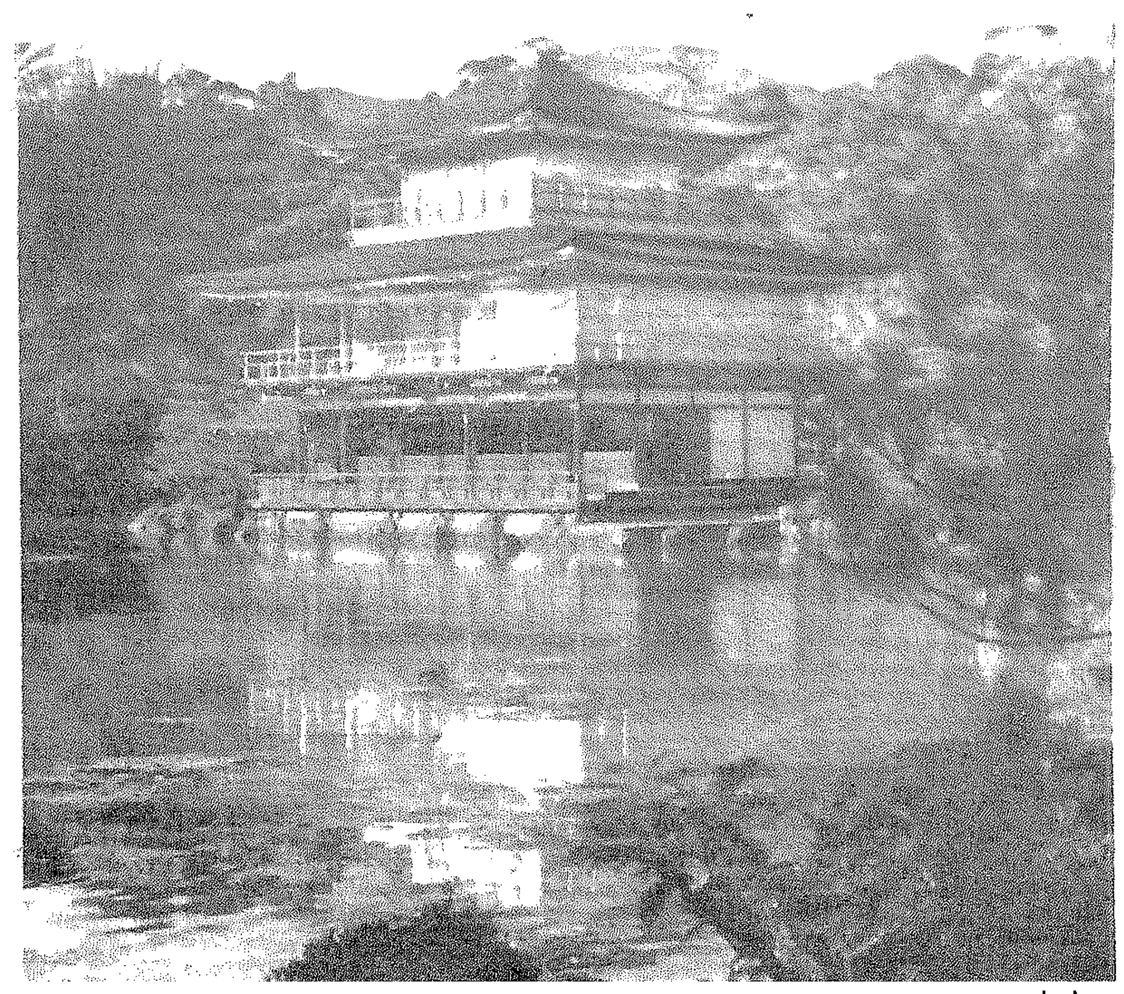
الصورة الرابعة لكوبرى « ابو العلا » الذى اقيم عام ١٩٠٩ وترى فى الصورة بعض الجمال وبعض المارة وعربات « الكارو » ولم تكن الشوارع من الاسفلت بل كانت ترابا فى ذلك الحين ٠

الصورة الخامسة لكوبرى قصر النيل عام ١٩١٩ وثكنات قصر النيل لم تكن قد ازيلت فى هذا الوقت ٠٠ وقد شاهدت هذه الثكنات احداث الثورة العرابية وحكم الاتراك والشراكسة من قبلها ٠ وتبين الصورة ايضا الهدوء وراحة البال زمان ويظهر بالصورة جمل يقوده صاحبه وبعض المارة ٠٠ واليوم ماذا نقول ٠٠ ؟!

عن المقومات الثقافية في التجربة اليابانية

بقلم: د. السيد أمين شلبي

في عام ١٩٤٥ ، وبعد هزيمتها النهائية في الحرب العالمية الثانية ، كانت اليابان تقف وسط الحطام : فقد محيت إمبراطوريتها القوية من الخريطة وتقلصت إلى ما كانت عليه عام ١٨٦٨ حين بدأت خطواتها الثابتة نحو التحديث والمكانة ، ودمرت مدنها ومراكزها الصناعية ، وبدا شعبها الذى انهارت معنوياته مشرفا على المجاعة ، وباختصار ظن العالم أن اليابان قد انتهت ..



إلا أنه في عام ١٩٥٠ ، أى بعد خمسة أعوام من الانهيار بدأت اليابان تستعيد استقرارها المالى ، وتعيد بناء الجزء الاكبر من مدنها ومؤسساتها الصناعية ، وتوفر الطعام لشعبها ، وتوسع من تجارتها وتزيد من إنتاجها الصناعى مرتين عما كانت عليه فى الثلاثينيات .. وترفع من دخل الفرد فيها إلى مستوى ما قبل الحرب . ومع عام ١٩٥٥ ، وكانت اليابان قد حققت هدفها الأول فى أن تستعيد تماما قوتها الاقتصادية ، توجهت جهود اليابان كلية إلى تحقيق الهدف الثانى والذى تاقت له منذ زمن طويل وهو اللحاق بالغرب ، وفى الحقبة ما بين ١٩٥٠ - ١٩٦٠ بلغ معدل النمو السنوى للدخل القومى ٩,٥٪ وكان بذلك أعلى معدل نمو فى العالم ، وبلغ فى الستينيات ١٠٪ ، ومع عام ١٩٦٨ وصلت اليابان الى العملاق الثالث فى العالم من حيث القدرات الاقتصادية والصناعية بعد الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ، وتشير التوقعات أنه مع نهاية هذا القرن سوف تتجاوز اليابان الولايات المتحدة فيما يتعلق بالانتاج الصناعى ودخل الفرد ..

وقد أثار هذا الأنجاز الذى حققته اليابان عددا من الأسئلة المتصلة بالمقومات التاريخية والحضارية .. ويدور السؤال الأول عما إذا كان هذا التقدم متصلا أو مقطوع الصلة بالتاريخ والتطور اليابانى ، ويتساءل المسئول الثانى عن كيف حقق اليابانيون هذا الانجاز وبعبارة أخرى ماذا لديهم من مقومات وخصائص روحية وثقافية وحضارية ، جعلت هذا الذى حققوه ممكنا ..



النموذج الثقافى الاوربى يسيطر على الروح اليابانية المعاصرة



بوذا ونرفانا العصر ..

أما السؤال أو القضية الثالثة التى أثارتها الظاهرة اليابانية فتدور حول أزمة الشخصية اليابانية والتى نشأت عن الصراع بين ما تبنته اليابان من أساليب وأسس الحضارة الغربية وبين المقومات والخصائص الذاتية للشخصية اليابانية ..

الأصول التاريخية للتجربة اليابانية

ولمناقشة السؤال الأول فسوف نجد أن الأنطباع الخاطىء عن هذا الانجاز اليابانى أنه نتيجة عمل وأداء الفترة التى تحقق فيها ، والحقيقة هى أن هذا التقدم الاقتصادى والصناعى والعلمى الذى بلغته اليابان أخيرا هو النتيجة الطبيعية لعملية تحدث تذهب بعيدا فى التاريخ اليابانى .. مرغم حقيقة انه حتى وقت حديث جدا تطور المجتمع اليابانى والثقافة اليابانية فى عزلة نسبية فإن هذا لا يعنى بأية حال أن الأمة اليابانية قد بزغت من فراغ غير متاثرة بقوى اجنبية .. فمع بداية القرن السادس كان احد ساسة اليابان المرموقين (شوتكو) يرسل البعثات للصين لدراسة امجاد الثقافة الصينية ويستورد التكنولوجيا والمؤسسات الاجتماعية والسياسية الصينية المتقدمة ورغم الموقف الصارم الذى وقفه الحكام اليابانيون من بعثات التبشير الغربية ، وممن نجحت فى تحويلهم إلى المسيحية ومنع أى يابانى من السفر إلى الخارج ، وعدم السماح لاى من الأوربيين بالعيش فى اليابان اللهم إلا حفنة من الهولنديين انحصروا فى جزيرة صغيرة فى ميناء نجازاكى ، رغم هذه العزلة المفروضة على النفس فانها لم تعن أن اليابان بقيت على جهل تام بالتطورات فى الخارج .. فقد قدم هذا المركز الهولندى نافذة على العالم ، وأصبحت الهولندية لغة التعلم الغربية فى اليابان ومن خلال كتب أحضرت من هولندا تمكن الدارسون اليابانيون من أن يبقوا جزئيا ، على الأقل ، مسايرين للتقدمين العلمى والثقافى فى الغرب ونتيجة لذلك ، وحين التحقت اليابان بالعالم وتعرضت لعناصر التحديث كانت تمتلك مجموعات صغيرة من الرجال قادرين على تناول التكنولوجيا الغربية ومفاهيمها ، غير أن عملية الاندفاع نحو بناء أمة حديثة بدأت بشكل جاد مع عهد الامبراطور ميجى (١٨٥٢ ـ ١٩١٢) وخلال عهده الذى بدأ عام ١٨٦٨ . وتؤرخ به نهضة اليابان الحديثة ، واستمر أربعا وأربعين سنة ، بدأت اليابان فى الانفتاح اكثر فاكثر على العالم الغربى وسافرت بعثات يابانية إلى الخارج ، والتحقت بالجامعات وعملت فى المعامل والمعاهد وقدم البناء الصناعى المتقدم لفرنسا وبريطانيا نموذجا للمصنع اليابانى ، وأصبح جيش اليابان الحديث تكرارا للجيش الألمانى ، والأسطول البحرى اليابانى على نموذج الأسطول البريطانى اقوى الأساطيل البحرية فى العالم .. وهكذا يمكن أن نستخلص ان الظاهرة اليابانية ليست شيئا مستجدا او عارضا وإنما هى شىء مستمر ومتصل ولها جذورها فى التاريخ اليابانى ..

الخصائص الثقافية للفرد والمجتمع اليابانى

والقضية الثانية التى تثيرها التجربة اليابانية تتصل مباشرة بالفرد اليابانى : بخصائصه الذاتية ، وقيمه الروحية والثقافية بعلاقاته بذاته وبيئته ، بمؤسسته التى يعمل فيها وبمجتمعه ، كما تتصل بالمجتمع والأمة اليابانية ومقوماتها العرقية والثقافية ، وجميع هذه الخصائص سواء المتصلة بالفرد او المجتمع ، إنما

تقدم مفاتيح نلج بها إلى الفهم والاجابة عن التساؤل عما مكن اليابانيين من تحقيق ما حققوه .. فى هذا يتفق رجال التاريخ ، والاجتماع ودارسو الحضارة اليابانية على عدد من الخصائص المميزة للشخصية والكيان اليابانى :

أ - الاهتمام بالجوانب الروحية :

رغم كل مظاهر التغير فى الحياة اليابانية ثمة شيء يبدو مستمرا وصامدا فى الحياة والشخصية اليابانية هو الاهتمام بالأمور المتصلة بما يسمى باليابانية Seishien وهو ما يترجم تقريبا بالروح Spirit ويرتبط هذا العامل بالقدرة على تحمل المعاناة ، والألم ، والثبات والجلد كما يشير إلى حالة عقلية لا تحتوى على تناقضات او مؤثرات داخلية . والاهتمام بأمور الروح انما يستهدف أهدافا عملية فالتأمل لساعات طوال وتحمل المشاق الجسدية ، واتباع نظم روحية أخرى ، إنما يقصد لأهداف دنيوية من تحسين الأداء فى العمل أو الدراسة ، ويحكم هذا الاتجاه الاعتقاد بأن الانسان يستطيع أن يحقق غير المتوقع وما هو فوق طاقة البشر حين يعمل قواه الروحية . ووفقا لهذا الاتجاه فإن الصعاب لا تحتمل بشكل سلبى اومن أجل ذاتها ، وإنما من أجل تهذيب النفس وتدريبها على التعامل مع مشاق الحياة ويصور مثل يابانى قيمة المعاناة بقوله « ليس هناك شيء أجمل فى الشخصية الانسانية من الملامح التى تعكس المعاناة العظيمة » غير أن التأكيد على المعاناة ومعانيها لا يعنى استبعاد المسرات الجسدية فهى شيء مقبول ولكن يجب أن تكون فى موضعها ، والشخص الجاد الناجح هو الذى يوائم بينها وبين مطالب الروح أو يخضعها لها فلكى يسيطر الانسان على أى موقف أو عمل يجب أن يسيطر أولا على نفسه ويتجه مفهوم الروح الى تاكيد فكرة السلطة والتدرج الرئاسى فالشخص الذى يقبل هذه الفكرة هو الذى يتصرف فى عمله بولاء وهو نفس الشخص الذى يصبح فى الوقت المناسب ، قائدا صالحا ..

وفى سياق هذا النظام يتعلم الفرد التغلب على الرغبات الشخصية التى تعوق إنجاز الجماعة ، وفى موقف احترام السلطة فأنه لايطلب من الفرد أن يتخلى عن حياته كما كان الحال فى نموذج الساموراى وانما يطلب منه أن يتخلى فى موقف ما عن مسراته الشخصية وارائه الفردية وامتيازاته اذا ما تناقضت مع إنجاز اهداف وواجبات أعظم .. هذا العنصر إنما يقف على النقيض من المادية والفردية الغربية ، وأصبح من العوامل الفريدة التى تمتلكها الشخصية اليابانية ، وأصبح التقدم اليابانى الحديث شهادة على روح اليابان الخاصة وطابعها القومى بحيث أنه إذا ما تراجعت هذه الروح وهذا الطابع القومى ، وهو ما يخشاه اليوم كثير من اليابانيين فربما تهدد ما حققته اليابان ..

ب - تجانس المجتمع اليابانى :

رغم أن اليابانيين نادرا ما يعترفون بذلك ، فإن مجتمعهم مغلق مقصور عليهم . والطريقة الوحيدة لاكتساب القبول الكامل من اليابانيين هى أن تولد فى قبيلتهم فهى إذن عملية طويلة من الانصهار الثقافى والعرقى التى جعلت اليابان من اكثر الأمم تجانسا فى العالم ، وهو السبب الرئيسى وراء قدرة اليابانيين على الأخذ بالأساليب والقيم الغربية ومع هذا مازالوا محتفظين بإحساس حاد بشخصيتهم الخاصة كما أن هذا الاشتراك فى خلفية عريضة مشتركة يفسر قدرة اليابانيين على قراءة عقول ووجوه بعضهم البعض ، ولهذا فإنه ليس من الممكن لمهاجر أو لأبناء المهاجرين أن يصبحوا يابانيين بالطريقة التى يصبحون بها أمريكيين .. فالطريقة التى تصبح بها يابانيا هى نفس الطريقة التى تكون فيها من

قبيلة الزوكو أو الشونا فى افريقيا : أن تولد فى القبيلة . لذلك ، فإن شعب اليابان أو على الأقل ٩٧٪ منه ، هم حقا أعضاء قبيلة عظمى واحدة متوحدون ليس فقط بالمواطنة المشتركة أو اللغة المشتركة إنما برابطة الدم الواحد والذاكرة المشتركة والقواعد القبلية المشتركة والتى يرجع بعضها الى ما قبل التاريخ ، وعلى هذا فحين يقول أحد اليابانيين « إننا نحن اليابانيين ١٠٠ مليون من الأشقاء » فإن هذا ليس من قبيل المبالغة أو الخيلاء ، انه فقط يحاول أن يفسر ماذا يعنى أن يكون المرء يابانيا ..

جـ ـ الإحساس بالمسئولية وروح الجماعة :

يسيطر على الياباني إحساس بالمسئولية تجاه المجموعات المختلفة التى ينتمى اليها : شركته ، مؤسسته ، مجتمعه ، وهكذا . ومع هذا الأحساس المسيطر بالانتماء لدى اليابانى ثمة إدراك حاد بتعرضه وتعرض مجتمعه للخطر . واليابان التى تبدو الآن قوية بشكل يدعو لحسد العالم الخارجي وتمتلك اكثر اقتصاديات العالم تقدما وكفاءة تبدو بالنسبة لليابانيين معرضة للخطر بشكل مستمر ، فثمة اعتقاد دائم بالخطر الكامن ، ربما كان مدفوعا بالزلازل والأعاصير التى تخرب الجزر اليابانية عبر كل تاريخها المعروف ، وهو الاعتقاد الذى تدعم بحقيقة أن اليابانيين عام ١٩٤٥ كانوا هم وحتى الأن الأمة الوحيدة التى تعرضت لهجوم ذرى ..

وقد يجادل البعض بأنه رغم أن المخاوف التى يخشاها اليابانيون قائمة ، فإن أحدها لن يتفق أو على الأقل فى صورة كارثة . ومع هذا فثمة اقتناع بأن الضغوط التى تفرضها هذه المخاوف على اليابانيين هى ضغوط حقيقية وهى تساعد على دعم مظاهر أخرى فى الشخصية اليابانية : القيم القبلية ، الأخلاق الكونفوشيوسية ، التركيز القوى على تدرج السلطة والولاء .. كل هذه العوامل أنتجت مجتمعا تأخذ فيه مسئولية الفرد نحو الجماعة أولوية لا تتقهقر فى أية أمة شرقية أو حتى فى التى تأخذ بالنظم الجماعية مثل الأتحاد السوفييتى ..

وبينما يميل الأمريكيون مثلا الى النظر الى العمل والتفكير الجماعى كشىء يعوق المبادرة ويؤخر التقدم ، فإن اليابان تقدم نموذجا حيا على ان هذا ليس بالضرورة كذلك ، فثمة فارق مهم بين الأمر اليومى للأدميرال البريطانى نلسون الى جنوده « إن إنجلترا تتوقع ان يؤدى كل رجل واجبه » وبين امر الأدميرال اليابانى توجو لجنوده خلال الحرب الروسية اليابانية « إن مستقبل امتنا وامبراطوريتنا يعتمد على أداء كل فرد منكم » فهنا نجد أن الأدميرال اليابانى اكثر بكثير فيما يطلبه ويتوقعه من جنوده مجسدا لمبدأ أن لا حدود لما يدين به الفرد اليابانى لمجتمعه ..

د ـ العمل وفقا لتوافق الآراء :

يبغض اليابانيون اسلوب المواجهة المباشرة ، ولتفادى ذلك فانهم غالبا ما يعملون على اساس من توافق الاراء ورغم ما قد يسببه هذا من عوائق فإنه فى النهاية يمثل مصدر قوة ... ويترتب على هذا الأسلوب فى العمل ان الفرد الذى ينشد تحقيق مصلحته الشخصية على حساب

الرفاهية الجماعية إنما ينظر إليه كشىء مكروه لا يلقى أى تشجيع .. ووفقا للسلوك اليابانى العادى فإنه قبل أن ترتبط اية مجموعة بعمل جديد ، فإن كل أعضائها أو على الاقل هؤلاء الذين لهم اختصاص بالموضوع يجب أن يدرسوه ويوافقوا عليه .. وهذا المبدأ والأسلوب الذى يتم إنما ينظر إليه كشىء مفيد فى تجنب الصراعات الشخصية ...

ازمة الهوية اليابانية

أما القضية الثالثة التى اثارها التطور اليابانى والتى بدأت تظهر بحدة فى اوائل السبعينيات فهى اتجاه اليابانيين الى البحث فى ذواتهم وعن هويتهم ، حدث هذا أولا بفعل وطأة الاحساس بأن اندفاعهم وراء أساليب وقيم الحياة الغربية قد يؤدى الى طمس شخصيتهم القومية ومقوماتها والتى كانت فى نهاية الأمر أساس ما حققته اليابان ، كذلك شهدت بداية السبعينيات ظهور آلاف الكتب تحاول أن تجيب عن سؤال من هو اليابانى ، كما تسود اليابان اليوم موجة من التطلع الى الماضى وتاخذ مظاهر عدة فى الحياة اليابانية ، وقد عبر أحد الكتاب اليابانيين أخيرا عن هذا الاتجاه بقوله « إن اليابانيين يريدون أن يعودوا الى زمن كانت فيه اليابان اكثر يابانية » ..

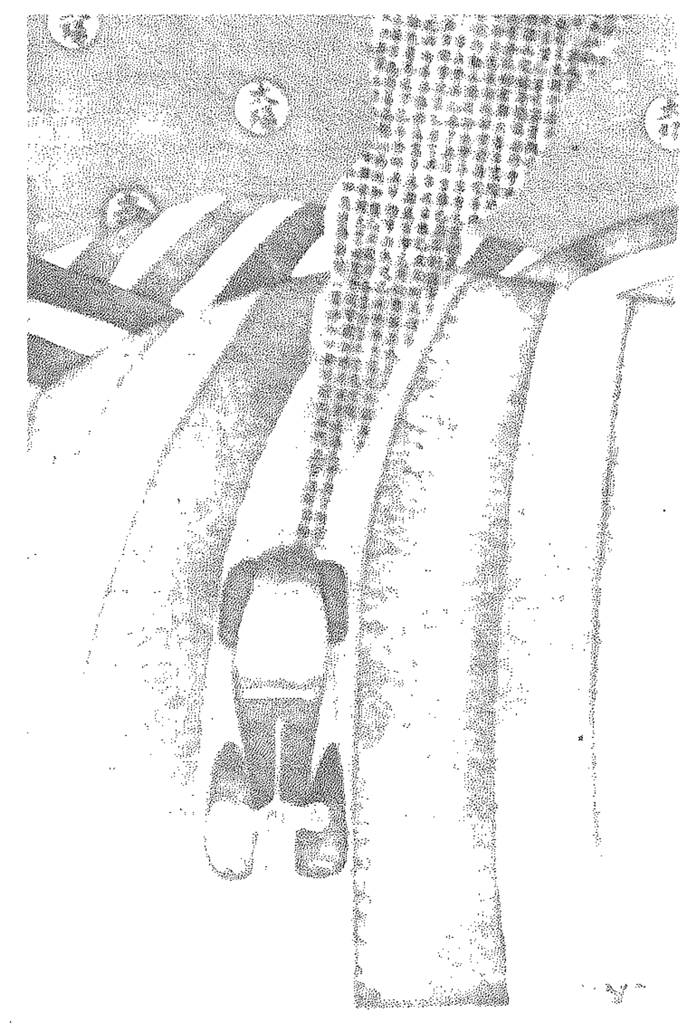
وفى بحث علماء الاجتماع اليابانيين عن تفسير لظهور هذه الموجة من البحث عن الذات والاحساس بأزمة الهوية اليابانية يعتبرون أن أكثر التفسيرات شيوعا هو أن اليابان عبر تاريخها الحديث قد احتاجت واتبعت عمليا .. نموذجا لسياستيها

اصبحت الطفلة لوحة فنية
فى عيد الشمس (ايسوبه)



زخارف من الفن اليابانى
القديم (القرن السابع عشر)





غزت الحكايات اليابانية المصورة عالم الاطفال فى جميع انحاء تلفازات العالم

الداخلية والخارجية وفى هذا قد قدمت غرب أوربا وبدرجة أقل الولايات المتحدة هذا النموذج فى سنوات ما قبل الحرب ، وقد جاهدت اليابان لكى تلحق بهذا النموذج بل وتتجاوزه . وبعد الحرب كانت الولايات المتحدة هى البلد الوحيد الذى قدم النموذج لليابان ، وخاصة فى مجالات الدفاع والعلاقات الخارجية حيث اتبعت الحكومة اليابانية بشكل متماسك قيادة الولايات المتحدة للعالم الغربى ، غير أنه فى نهاية الستينيات تجاوزت اليابان الغرب المتقدم فى التكنولوجيا والانتاج القومى ، ونتج عن هذا أن الغرب لم يعد يقدم نموذجا صالحا لتقليده .. وجاءت الهزيمة المعنوية للولايات المتحدة فى الهند الصينية ، وتراجع الديمقراطية الأمريكية لكى تجرد اليابان من نموذجها الأخير ..

وهكذا بقيت اليابان بدون نموذج خارجى لتقليده واصبح على اليابان الآن ان تخلق رؤيتها الخاصة لماهيتها والى اين تتجه ..

وإذا كان تراجع النموذجين الغربى والأمريكى من دوافع اليابان للبحث فى التراث والبحث عن هويتها الخاصة ، فإن دافعا اكبر لذلك جاء من الصين ، فمنذ عهد الميجى حتى نهاية الحرب العالمية الثانية حاولت اليابان بشكل متزايد الابقاء على الصين ضعيفة ، واستمر هذا ليكون حجر الزاوية فى السياسة اليابانية حتى فترة مابعد الحرب ، غير أن تطبيع الولايات المتحدة لعلاقاتها مع الصين ، وتطبيع

اليابان أيضا للعلاقات معها جعل اليابان للمرة الأولى فى تاريخها الحديث تواجه صينا موحدة ومتقدمة عسكريا ، وكان هذا بمثابة صدمة حضارية لليابان ، فبعد فترة طويلة من العيش على النموذج الغربى ، واجهت اليابان فجأة عملاقا لم يحتفظ فقط بقيمه الشرقية وتكامله كامة وانما انجز أيضا إصلاحا اجتماعيا بعيد المدى ، وهكذا اجبرت حقيقة الصين الجديدة اليابانيين على أن ينظروا إلى الماضى وإلى تراثهم الحضارى ، وإعادة تقييم أسلوب التحديث لا فى ضوء المستويات الغربية وانما من خلال تقييم قيمهم الذاتية .

ومن مصادر ازمة الهوية اليابانية وضع اليابان ومكانتها ونظرتها إلى نفسها فى محيطها الآسيوى . فمنذ بداية عملية التحديث زجت اليابان بنفسها فى عالم يسيطر عليه الغرب ، ولم تكن اسيا وافريقيا جزءا من هذا العالم ، وكانت القيم الغربية هى المعايير العالمية . وقد ولد هذا لدى اليابان ، البلد الآسيوى ، إحساسا بالنقص تجاه الغرب إلا أنها فى نفس الوقت شعرت بتفوقها على جيرانها الآسيويين لأن اليابان قد نجحت فى تبنى التكنولوجيا الغربية وهو الإحساس الذى اقامت عليه اليابان مطالبها بالزعامة الآسيوية ، وهكذا وبعد أن نبذت اليابان أسيا المتخلفة تعود الآن وبعد أن اصبحت غير اسيوية وقوة صناعية وعسكرية لكى تدعى أن عناصر تفوقها تؤهلها لأن تقود اسيا . وهكذا فإن اليابان الحديثة ليست غربية تماما ولا اسيوية كلية ، ومع هذا فهى تتطلع لأن تكون عضوا ، وعضوا بارزا على الأقل فى كلا العالمين وهنا يكمن احد عناصر أزمة الهوية اليابانية ..

● عتاب

قالت الزوجة تعاتب زوجها : قبل الزواج كنت تدللنى وتدعونى « عروستك الصغيرة » فرد الزوج قائلا لها : وكيف رضيت بالاقتران برجل يقول مثل هذا السخف ؟!

● تحذير

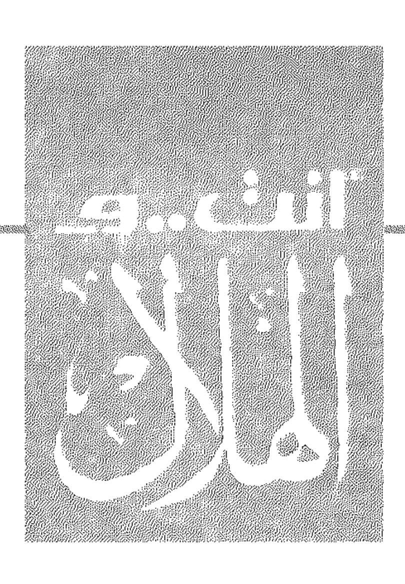
كانت النجمة الفاتنة تتأهب للقاء منتج معروف فقالت لها صديقتها :

ـ كونى على حذر .. فهذا المنتج سيىء السمعة ، واذا اختلى بك فى مكتبه فقد لا يتورع عن تمـزيق ثوبك فقالت النجمة : اشكرك على هذا التحـذير .. ومادام الامر كذلك فمن الافضل ان ارتدى ثوبا قديما !!

● عقبة وحيدة

قال الممثل الهزلى « جاك بار » عندما أتطلع الى الوراء تبدو حياتى كسباق طويل واحد للمواقع وانا العقبة الوحيدة فى هذا السـباق !

ابتسامات



● ملاحظات على عدد ديسمبر ١٩٨٧ ●

● هذه ملاحظات على عدد ديسمبر الماضى من مجلة الهلال :

ــ فى قاع ص ٥٧ توجد نبذة داخل اطار بعنوان « الهوى » هذه النبذة بذاتها مكررة فى قاع ص ١٦٥ ، بأرضية مختلفة !!

ــ فى ص ١٠٢ س ١٢ جاء ذكر « محمد شعراوى باشا » ، وصحة الاسم « على شعراوى باشا » . وقد ترتب على ذلك أن أختار سكرتير التحرير صورة الاستاذ محمد شعراوى نجل على شعراوى باشا (وهدى هانم شعراوى) لنشرها مع المقال (ص ١٠١) !!

ــ فى صفحة ١٠٤ نشرت صورة جاء تحتها انها السلطان عبد الحميد (الثانى) الذى هو اخر سلاطين العثمانيين وقد توفى عام ١٩١٨ . ولا علاقة بين صاحب الصورة والسلطان المذكور ، اذ انها تمثل السلطان عبدالحميد الاول (١٧٢٥ ــ ١٧٨٩) !!

ــ فى صفحة ١١٣ صورة لبشارة الخورى رئيس جمهورية لبنان الاسبق على أنها صورة الشاعر بشارة الخورى الذى ورد اسمه فى المقال (وكان يلقب : الاخطل الصغير) . وبالطبع لا علاقة بين الصورتين .

قارىء

● تعليق

ـ نشكركم على هذه الملاحظات ، وقد وقعت هذه الهنات سهوا في زحمة العمل فمعذرة الى القراء ، وقد حذفنا من رسالتكم السطور الحادة اللهجة لأنه لا داعي لها ، اذ أن هذه الاغلاط ليست مقصودة بطبيعة الحال . ويحدث مثلها واكثر منها في الصحف اليومية والاسبوعية وغيرها .. وانت نفسك كنت ناسيا رقم صفحة ١١٣ في فقرتك الاخيرة فوضعناه لك مما يدل على اننا نعرف أين وقعت الاغلاط ،واذا كانت الصور خطا فلاشك أن سكرتير التحرير يعرف الفرق بين عبد الحميد الاول والثاني وبين محمد شعراوى الذى لم يكن « باشا » وبين على شعراوى باشا ، وبين بشارة خليل الخورى الذى كان رئيسا للجمهورية اللبنانية وبشارة عبد الله الخورى الشاعر المشهور الذى ورد اسمه كاملا في المقال لمنع اللبس بين الاسمين ..

● الرجوع الى الحق

● لقد أسعدنى كثيرا · وغدوت لفضلكم أسيرا · ما نشرتموه على صفحات مجلتكم الغراء · العظيمة الشماء · التى لا تنالها الخطوب ولا تزعزعها الانواء من نشركم لتلك الرسالة · وتعليقكم على هذه المقالة · فانى يا سيدى لك شاكر · ولمعروفك ذاكر · فلك من الله حسن الجزاء · ولك منى جزيل الثناء· فقد دللت على الطريق وكنت الناصح والصديق · فالآن أتضحت هويتى وهى مطلبى وبغيتى · « وطالما أن الشعر » لاحظ لى فيه·ولا دراية لى بضبط أوزانه وقوافيه ، فالابتعاد عنه أفضل · والنثر بالمرء أجمل ·

ولكنى أراك يا سيدى تحسب على الهنات · وتتلمس لى العثرات ولان تقع منى هذه الهفوات ، فتلك بعض المضحكات · ولقد قيل : « ان لكل جواد كبوة ، ولكل سيف نبوة ، وقد يخطىء المرء ويصيب · وليس هذا فى البشر عجيب والى لقاء قريب ·

جمال محمد جمال طلحة
اشنواى ـ الغربية

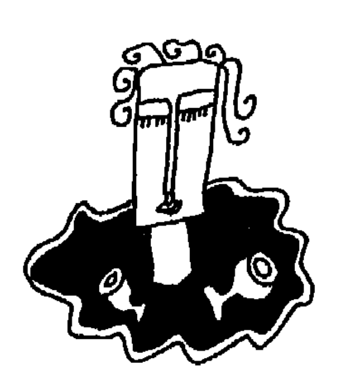
● تعليق :

ـ نهنئك فأنت مثل يحتذيه الادباء الشبان فى الرجوع الى الحق ، فقد نصحناك أن تترك الشعر لأنه ليس من طباعك وأن تتفرغ للنثر وحده ، فصدعت بالحق وتركت الشعر وشكرتنا على النصيحة ونحن نشكرك على قبولها ، أما نثرك فلا يعيبه الا السجع المتكلف ، فاكتب نثرا غير مسجوع لان زمن السجع قد انقضى ، وأنت تقول فى رسالتك هذه : « طالما ان الشعر لاحظ لى فيه »ولا يصح هنا قولك « طالما أن » وهو خطأ شائع جدا حتى على أقلام وألسنة مشاهير الكتاب ، والصواب أن تقول : « ما دام الشعر لاحظ لى فيه » ·

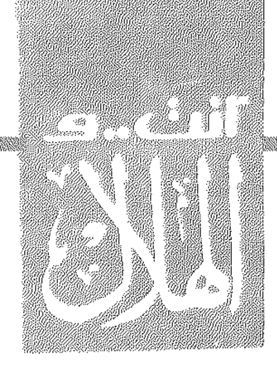
وقولك : ليس هذا فى البشر عجيب » صحته أن تنصب الكلمة الاخيرة لأنها خبر « ليس » فتقوله : ليس هذا ·· عجيبا ··

● لااغتراب

انا تائه فى بلاد السفر
فكيف أعود لأرضى مصر
فتلك الخلاعة لا ·· لم « ترى »
يزف عليها شراع السهر
« فاشتقت ان يبقى فى مقلتيها»
بقايا حياد لهذا البشر
أخذت الكئوس « واقذفتها »
فدوى صداها لكى تنكسر
« وثورت » وغادرت هذا المكان
ملاذ المجون جنون الحضر



رافت زكى صادق
من ديوان ((أسرار))



● تعليق :

ـــ اجتزأنا من قصيدتك بهذه السطور أو الكلمات لكي تأذن لنا بــأن نصارحك أن لغتك العربية ينقصها النحو والصرف ، وأن شعرك تكثر فيــه الأوزان المضطربة ، وقد وضعنا لك كلمة « ترى » بين قوسين لأنها خطــأ نحوى ، ووضعنا السطر الخامس بين قوسين بسبب اختلال وزنه ، ووضعنا « اقذفتها » بين قوسين لان صحتها « قذفتها » وكلمة « ثورت » خطأ املائي، صحته « ثرت » ·· ويدهشنا انك تسرعت فجمعت هذا الكم الهائل من الاخطاء بين دفتي ديوان ، وكان يجب أن تتريث وتسأل العرفاء بالشعر : أهــذا شعر ؟! ·· وتسأل العرفاء باللغة : أهذه لغة ؟! ·· ولو انك سألتهم لتبين لك وجه الحق في شعرك ولغتك ، وعدلت عن جمعهما فى ديوان !! ··

● اقتلونى عاشقا

يا فاتنتى ذهب الصيف وجاء البرد
يا فاتنتى ·· الاسئلة الان بلا رد
يا فاتنتى حملونى للأسواق فلم يجدوا لى ثمنا
قالوا الوجه ·· قديم لا يصلح لليوم ··
قالوا اليد قصيرة ··
والبئر عميقة ··
قالوا رأسك مسحوق
لا يثبت فيه النقش
مضغونى حينا ·· لفظونى ··
قالوا خذ قلبك وأرحل يا فاتنتى ·· ان الماضى اصبح رمزا ··
أصبح نوعا من أنواع الهمس ··
أصبح يحكى وكأن ··
الدنيا ماتت أمس ··
أصبحنا نبتاع هواء لنعيش ··
نرمى خبز الامس ·· ونقتات الميتة والدم ··
نأكل جسم سفينتنا ·· السائرة بعرض البحر ··

نبيل خالد ـــ المنصورة

● وحى فنى

تقول أريدك أن تستمرا
وأن تبدع الفن رسما وشعرا
فلو علمت أنها وحى فنى
تفوق الخيال جلالا وقــدرا
ولو علمت أننى فى حماها
أرى كلشىء ضياءا أو سحرا
فتنت بها روضة للجمال
ولكن جعلت افتتــانى سرا

حسن على محمد جابر
الاسكندرية

● الأخطاء المطبعية

● أود أن اذكرك اننى سبق أن أرسلت لك رسالة فى شهر ابريل ٨٦ وقرأت ردك منشورا فى عدد شهر مايو من نفس العام ترجو منى صرف النظر عن الاخطاء التى أراها فى بعض مطبوعات الهلال ، وحجتك أن الأخطـــاء تحدث فى كثير من الصحف الأخرى،سواء كانت أخطاء مطبعية أو أخطاء فى معلومات ، ولكن توالت الاخطاء كل عدد من أعداد مجلتك ومجلة كل قارىء، وحينما وصلنى عدد شهر نوفمبر ٨٧ من روايات الهلال « اماديوس » لـــم أستطع أن أمسك نفسى عن الكتابة لأظهر لك وجهة نظرى فقد طفح الكيـــل فى اللامبالاة وسوء المراجعة واهمال مراقبة الطباعة حتى وصلت أن تتجاهلوا صفحات كاملة بدون طبع ، وتحذف نهائيا من الرواية مما جعلها لا تصلح للقراءة ، بل تثير غيظ كل قارىء يتسلم عدده ، ولا أعلم كيف حدث هــذا وهل هذا الخطأ حدث فى الكتاب المرسل لى أنا فقط أم هو فى جميع النســخ المطبوعة ؟! ٠٠

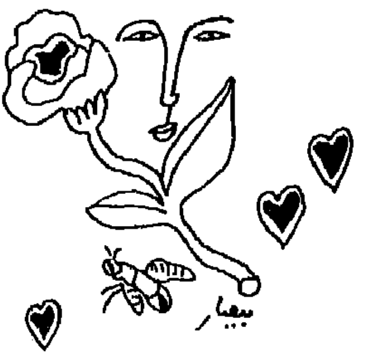
عزيزى ٠٠ أفضل الف مرة أن تقدم نصيحتك ونقدك لمن تضع يدك فى أيديهم لتخرج لنا عملا متكاملا حتى يصل الى الناس ٠٠ مـــع العلم بأننى مشترك فى الهلال وكتاب الهلال وروايات الهلال ، وابنتى مشتركة فى كتــاب الهلال للاولاد والبنات ٠

عبد المطلب مرسى عبده
ادفو شرق ـ مكتب بريد البحيرة

● تعليق

ـــ هذه اخطاء شديدة الوقع على النفس بلا جدال ، ولكن العذر فيها هو انه لابد فى الاعمال الكبيرة من اخطاء جسيمة أحيانا ، وان كانت تفتقر الى التبرير ٠ أما نصائح محرر هذا الباب لقرائه فلا شأن لها بهذه الاخطاء لان وظيفته هى الكتابة فقط ، وكثيرا ما تقع الاغلاط المطبعية فى كتاباته ذاتها، فى هذا الباب أو فى غيره من الابواب أو فى المقالات التى يحررها باسمه ٠٠ ونكرر الاعتذار ٠

● طموح



أذهب كل صباح •• أفتح نافذتي للشمس
اتنفس رائحة الورد ••
أنزل صوب زهيرات أتحسس •• اتحسس ما فعل الليل
تلسعني نحلة •• افرك خدى ! ••
ينفرط الدمع على شفتى ••
تقول زوجتى : أما زلت تبكى الزهور ••
أقول لها : سأزرع زهرا بلون جميل ••
وانى أخاف اذا فات عمرى ••
وما نلت قصدى ••
بكاء الشمس ، وطفلى الصغير ••

السيد ابراهيم عطية
كفر صقر

● شياطين



أرادت متابا ، فقالت : متابا
ويارب ، كفر من السيئات
وحجت ، وزارت ، وعادت بوجه
نقى ، وقلب نوى الطيبات
وحتى تظل على طهرها
واقبالها •• داست الذكريات
وقالت : نسيت •• بلا رجعة
حياتي قبلا بدنيا الشتات
ورقم (التليفون) •• غيرته
بمعنى : نفيت جميع الصلات
وياليت من عنده صورتى
يمزق ، يلقى •• مع المهملات !!
الى هذه الاخت الفيتنى
اقول : تضم الى المؤمنات
ويا حبذا لو دعونا لها
بصدق التواصل فى التائبات !!
ولكننى •• لم تطل فرحتى
فقد طوردت من كل الجهات
وكل يقول : ارجعى ، وارجعى
فقد ضل من كان •• ماضيه فات !!

رمضان ابو غالية
وكيل قويسنا الثانوية للبنين

● مع أصدقائنا

● **سمير عبد الصبور :**

ــ قصائدكم التى بعثتم بهــا الينا ينقصها الوزن وصحة اللغــة ٠٠

● **فكرى مبروك ادريس ـ جزيرة عليوة بمركز الحسينية :**

ــ نشــكركم على محاولتــكم بحث أســباب عدم شـعور الشــباب بالانتمــاء !٠٠

● **اشرف محمد أبو العز ـ المعصرة ـ حلوان :**

ــ طالعنا باهتمام أبياتكم التى عنوانها « عرفت الحب » ونرجو لــكم التقدم الدائم نحو النضج فى نظم الشعر ٠٠

● **ايمان ابراهيم عبد المعطي ـ ميت الحلوج ـ دكرنس :**

ــ قصيدتك التي عنوانها الى « أستاذى » لا شأن لها بالشعر ولا النثر ٠٠فاذا كنت تلميذة كما تقولين فالتفتى الىدروسكوحاولى أنتتعلمىالكتابة باللغــة العربية ، واتركى هذا التخليط الذى تسمينه شعرا !!٠٠

● **الحسين محمود خضيرى الحجاجي ـ الأقصر :**

ــ لم نحلل قصائدك ، لانه مازال بينــك وبين القصائد مسافة طويــلة نرجو أن تقطعها فى الوقت المناسب ، ولا تتعجل النشر ولا تسأل عن رأى النقاد قبل أن تكتب ما يستحق النقد ٠٠

● **أيمان محمد محمــود أحمد :**

ــ قصصك القصيرة الثــلاث تــدل على استعدادك لكتابة القصة ، فحاولى الاستزادة من العلم بفن القصة مع الاهتمام باللغة العربية ٠

● **وحيــد فهمي حســن ـ الاسكندرية :**

ــ لا ندرى ٠٠ هل تقصد أن تكتب قصة ؟ أم خاطرة عابرة ؟! أم نكتة ؟!٠ حاول أن تتفهم جيدا فن القصة ، فانه ليس بالامر الهين ! ٠٠

● **احمد فهمي غنيم ـ شبراخيت :**

ــ قصيدتك التى تقول فيها : « يا غادة اشجينى » صحيحة الاوزان ، ولكن لغتها تحتاج الى مراجعــة ، أما معانيها فنترك الحديث عنها لان المهم فى مرحلتك هذه الاوزان واللغــة ٠

● **أحمد عبد السلام احمد ـ بنى مر ـ اسيوط :**

ــ قصيدتك التى تقول فيها : « سوف أظل أبحث عنك ، لاجمع عناقيــد الحب المبتور ، فى زمن التشرد » ٠٠ ليست شعرا لانها خالية تماما من الاوزان، ويمكن أن تسميها شعرا منثورا ٠٠ ولا نتحدث عن معانيها !٠٠

● **عاصم فريد البرقوقي ـ الاسكندرية :**

ــ صفحة « ابتسامات » لم تنقطع نهائيا عن الهلال كما تظن ، أما المجلات الفكاهية المتخصصة فيبدو أنه لابد من توافر شروط اجتماعيــــة وسياسية واقتصادية لكى تنجح وتستمر ٠٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

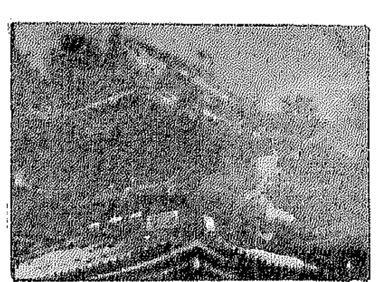
اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

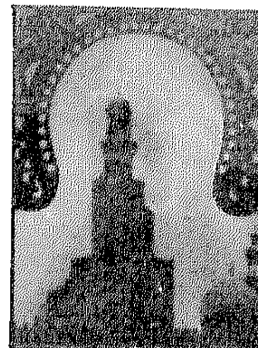
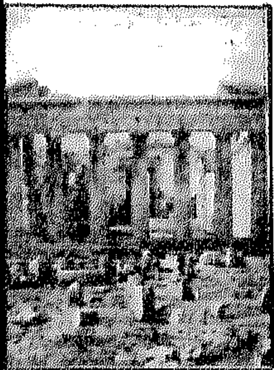
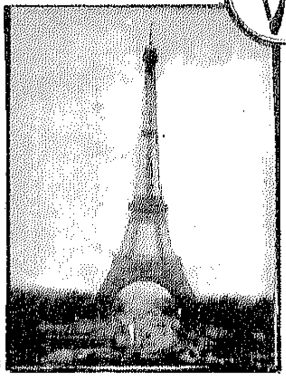
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا

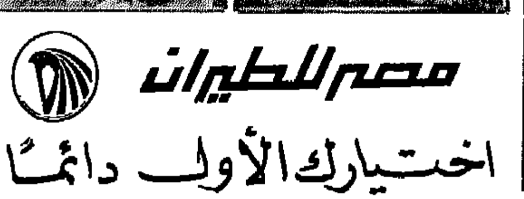
مصر للطيران

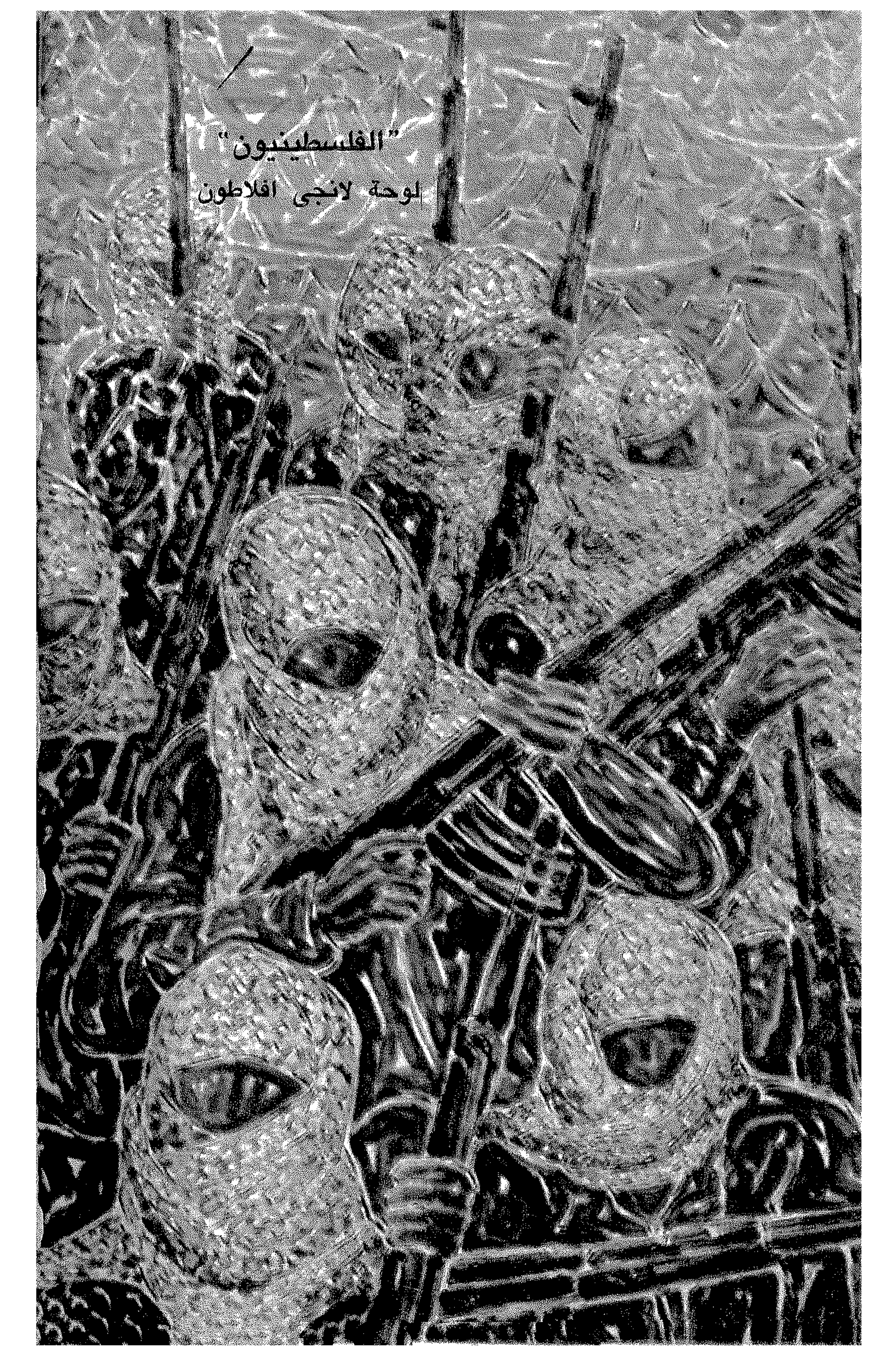
مواعيد مناسبة ... خدمة متميزة ... كرم ضيافة
على أحدث طرازات الطائرات

٨٠ مكتباً لمصر للطيران فى جميع أنحاء العالم ترحب بكم





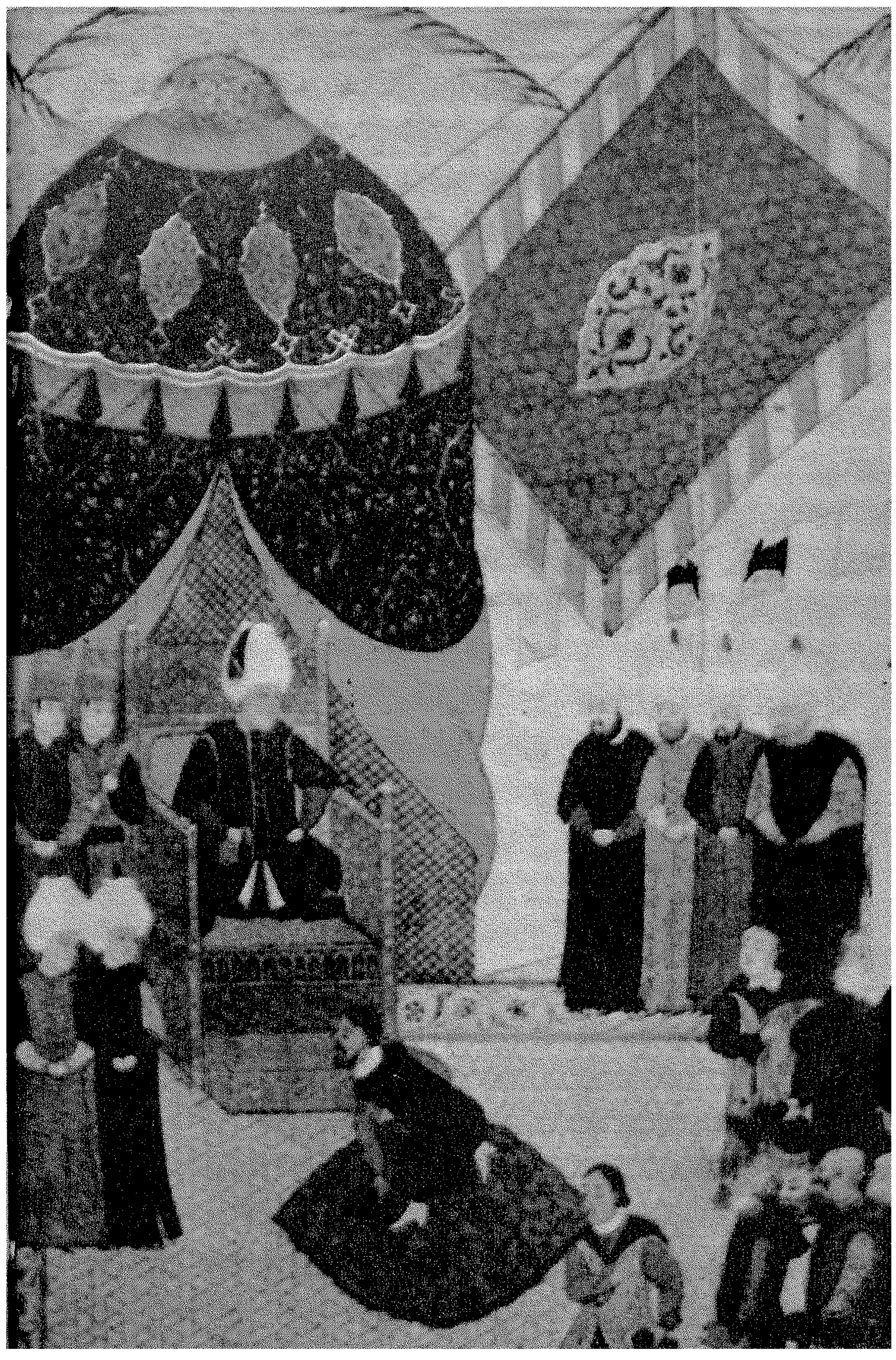
"الفلسطينيون"
لوحة لانجي افلاطون

مارس ١٩٨٨ الثمن ٦٠ قرشا

■ تونس ورياح التغيير

■ أسطورة الغزو الثقافي

■ السينما القسوة والشذوذ



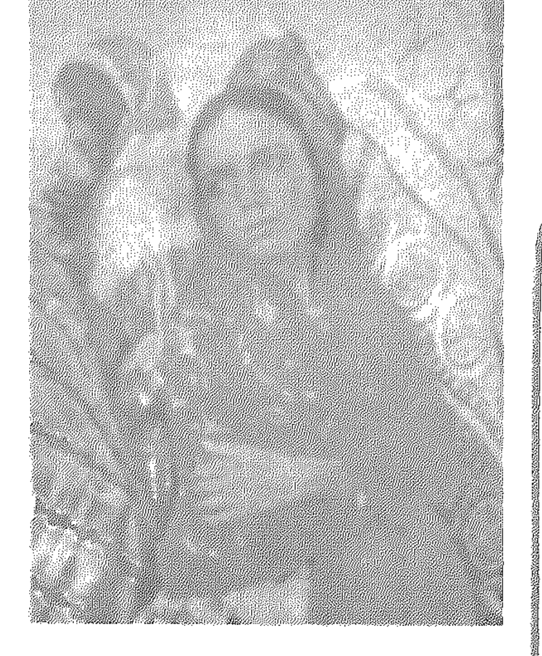


السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جرجي زيدان عام ١٨٩٢ م - اول مارس سنة ١٩٨٨ م ١٢ رجب سنة ١٤٠٨ هـ.

من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن الاسلامي تصور نافخي الزجاج وآتونهم فى سورنامة .. للفنان التركى عثمان . وهى احدى لوحات عديدة صور فيها الفنان حياة الناس فى مدينة اسطانبول . اللوحة محفوظة فى متحف توبكاي بتركيا . وهى تصور مدى اهتمام الفنان بالاتساع والالوان البهيجة ...



تصميم الغلاف للفنان
حلمى التونى

هذا العدد

فكر وثقافة

قضايا حيوية

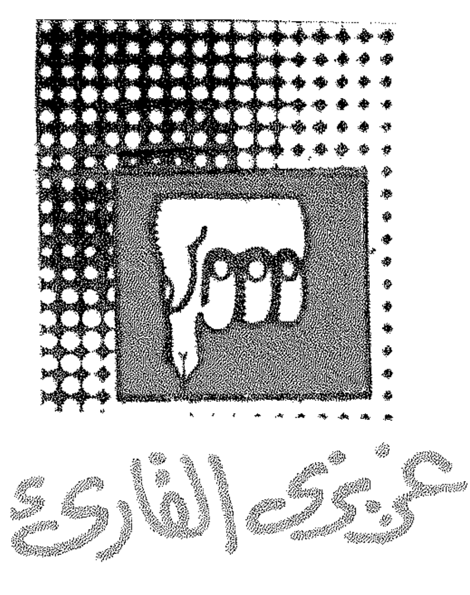
● رسائل صحفية ●

● شعر وقصة ●

● فن تشكيلى ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●



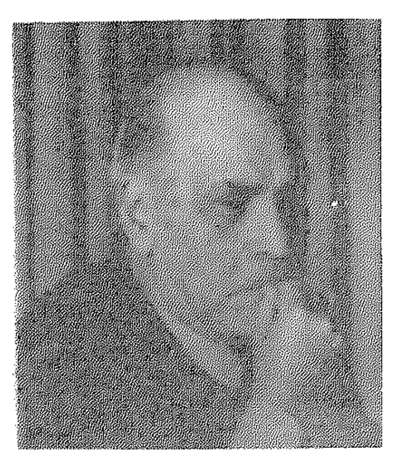
عزيزي القارئ

الأقلام العريقة على صفحات الهلال

قبل مثول هذا العدد من « الهلال » للمرحلة النهائية فى تنسيق الصفحات ، وهى المرحلة التى تسبق الطبع مباشرة ... جلسنا فى الملتقى اليومى العفوى لكتاب ومحررى الهلال ، نتحدث فى جميع الأمور كالعادة ، وألقى أحدنا فجأة هذا السؤال : من هو الآن أقدم الأدباء والشعراء عهدا بالكتابة فى الهلال ؟! ..

آثار هذا السؤال قرابة مائة عام من الزمان قضاها « الهلال » فى خدمة القارىء العربى بلا انقطاع ..

لقد كتب فى « الهلال » منذ صدوره سنة ١٨٩٢ حتى الآن أشهر أدباء وشعراء ومفكرى مصر والبلاد العربية والاسلامية ، أمثال جرجي زيدان ولطفى السيد وأمير الشعراء شوقى وشاعر النيل حافظ ابراهيم وشاعر القطرين خليل مطران وشاعر مصر أحمد محرم وشاعر العراق معروف الرصافى وشاعر لبنان بشارة الخورى وابراهيم ناجى وعلى محمود طه وجبران خليل جبران والآنسة مى ومصطفى لطفى المنفلوطى وطه حسين والعقاد ومصطفى عبد الرازق وأحمد أمين ومصطفى صادق الرافعى وسلامة موسى والمازنى ومنصور فهمى وفكرى أباظة ومحمود تيمور وابراهيم المصرى وزكى مبارك والدكتور احمد زكى وطاهر الطناحى ، والمؤرخون عبدالله عنان وحسن الشريف وعبد الحميد العبادى وعبد الرحمن الرافعى ، والفنان زكى طليمات وتوفيق الحكيم وعلى ادهم وبنت الشاطىء وأمين الخولى وزكى نجيب محمود وعبد الوهاب عزام ومحمد عوض محمد ... الى مئات آخرين من ذلك الرعيل ، ثم مئات جاءوا بعدهم ...



فتحى رضوان

وقد بارك الله فى أعمال كثير من كتاب الهلال فتواصلت كتاباتهم على صفحاته أكثر من خمسين عاما ، وعلى رأس هؤلاء ، الأستاذ فتحى رضوان الذى بشرتنا الأنباء القادمة من مستشفاه فى لندن بأنه يتماثل الآن للشفاء بعد وعكة شديدة لازمته بضعة أشهر ثم أخذت أخيرا تنقشع بحمد الله ..

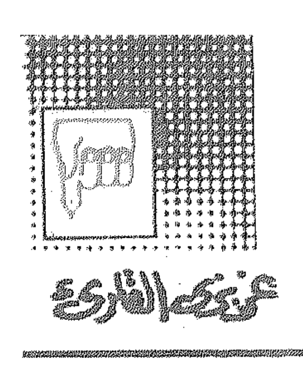
إن فتحى رضوان كاتب موسوعى غزير الانتاج ، يكتب فى الأدب والسياسة والدين والتاريخ والقانون والفن ، ويؤلف الروايات والقصص القصيرة والمسرحيات ، وأسلوبه فى الكتابة عربى فصيح بليغ يندر مثيله فى زماننا هذا الذى استعجم فيه الكاتبون باللغة العربية ! ...

ويكتب الأستاذ فتحى رضوان فى « الهلال » منذ خمسة وخمسين عاما ، ففى عدد فبراير سنة ١٩٣٣ نشر له « الهلال » مقالة باسمه الثلاثى : سيد فتحى رضوان ، وكانت عن « تركيا القديمة وتركيا الحديثة » أى تركيا فى عصر الخلافة العثمانية الطويلة الأمد ، وتركيا بعد استيلاء كمال أتاتورك على مقاليد حكمها ، وإلغائه السلطنة ثم الخلافة ، ثم الحروف العربية والأذان باللغة العربية ، فضلا عن عصفه بالعمامة والطربوش باعتبارهما رمزا للماضى العثمانى ! ..

ولم يكن فتحى رضوان قد أكمل دراسته بكلية الحقوق حين نشر هذا المقال الذى استوحاه من رحلة قام بها الى تركيا حينذاك ، فلما نال شهادة الحقوق كتب فى الهلال ـ اغسطس ١٩٣٣ ـ مقالا عنوانه : « ١٣ عاما فى مدارس مصر » يذكر فيه كيف قضى فى التعليم الابتدائى أربع سنوات ، وفى الثانوى خمسا ، وفى الحقوق أربعا ، وقد نقد فيه المناهج الدراسية فى جميع هذه المراحل ، وتحدث فيه عن تركيا الحديثة ايضا واشاد بطريقتها فى تدريس التاريخ لتلاميذها ، ونوه بأنها اسقطت من مفاخرها التاريخية جبابرة السلاطين القدماء وامثال محمد الفاتح وسليم الأول الذى جمع بين السلطنة والخلافة .. وقد أوضح فتحى رضوان فى هذين المقالين موقفه الفكرى والسياسى والاجتماعى بجلاء تام فى ذلك الوقت ..

كان فتحى رضوان حينذاك فى الثالثة والعشرين من عمره ، حديث التخرج فى كلية الحقوق ، ناشئا فى ميدان العمل السياسى الحزبى ، يتولى منصب « السكرتير العام لجمعية مصر الفتاة » التى يرأسها زميله الأستاذ أحمد حسين والتى تحولت بعد سنوات الى حزب صغير ولكنه ضخم الضجة والتأثير ...

وكان كلاهما معجبا بمشاهير زعماء الدول الاوربية فى تلك الأيام أمثال أتاتورك



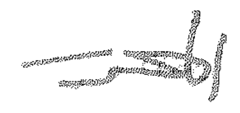
وهتلر وموسولينى ، ولكنهما سرعان ماتبينا أن هذه طفولة سياسية وأن هؤلاء المستبدين هم فى الحقيقة أعداء شعوبهم ، يقودونها بكلماتهم الحماسية المعسولة الى الدمار .. فانقلب فتحى رضوان وأحمد حسين بعد قليل من السير فى طريق الزعامة الاستبدادية ، الى داعيتين من أبرز الدعاة إلى الديمقراطية والتنديد بالدكتاتورية ودخلا كلاهما السجن فى معركتهما الطويلة من أجل الديمقراطية والحرية الاجتماعية والسياسية للشعب المصرى والشعوب العربية ..

ولم يكن نشاط فتحى رضوان مقصورا على حزبه ، بل كان يمتد إلى مجالات كثيرة أخرى ، وبعد جولة قصيرة ترك الحزب واستقل بنفسه ، ثم عاد بعد الحرب العالمية الثانية الى الحزبية ، ولكن تحت راية الحزب الوطنى ، حزب مصطفى كامل الذى كانت بقيته مازالت قائمة فى تلك الأيام ..

وقد تطورت افكار فتحى رضوان مرحلة بعد مرحلة ، منذ كتب مقالته الأولى فى « الهلال » حتى اليوم ، فأصبحت كرامة الانسان وحريته وعدالة الأوضاع التى يعيش فيها ، هى جوهر كفاح فتحى رضوان ، كاتبا وخطيبا ومحاميا وسياسيا ، وهو يرى أن الحرية هى جوهر الاسلام ، وأن الانسان بدون الحرية لايبلغ الكرامة ولايحيا الحياة الصحيحة ، وقد ذهب زمان الفرد المستبد ، أو الدكتاتور نصف الاله ــ كما يُسَمَّى ــ وجاء زمان الجموع الغفيرة ، أى الشعوب التى تضمن بعملها وكفاحها الحرية والكرامة والعدالة لجميع أبنائها ...

إن جميع كتابات فتحى رضوان منذ تخلص من حماسته الرومانتيكية فى صباه الباكر ، كانت تعبيرا عن مواقف نضالية وقفها على امتداد عشرات السنين ، دفاعا عن الحقوق الوطنية والديمقراطية والاجتماعية للشعب المصرى ولجميع الشعوب العربية ، بل إن له إلى ذلك نظرة انسانية شاملة للجنس البشرى كله .. فلا عجب أن رأيناه فى الآونة الآخيرة ينشط فى لجنة الدفاع عن حقوق الانسان ويجعل من قلمه البليغ شواظ نار على الصهيونية والاستعمار الجديد والطغاة فى كل مكان .

واننا لنرجو للأستاذ الكبير فتحى رضوان عودا حميدا بعد ذلك الغياب عن ميادينه التى طالما صال فيها وجال ... وان قراء « الهلال » الذين صحبوا مقالاته خمسة وخمسين عاما ، لفى شوق إلى المزيد من تلك النفثات الطيبات ..



اختفاء

سعيد أبي النحس المتشائل

● رواية سياسيّة متفجرة
● رواية إميل حبيبي عربيّة الشكل والمضمون

بقلم : د. على الراعى

من أنباء لندن أن رواية الكاتب الفلسطينى إميل حبيبى : "المتشائل" قد قدمت على شكل عرض مسرحى من نوع المونودراما ، نهض به الفنان الفلسطينى محمد البكرى وقدم له المؤلف إميل حبيبى .

وكان العرض قد ترجم إلى الانجليزية ، وصدرت الطبعة الثانية منه أثناء وجود إميل حبيبى فى لندن .

بعد حرب الأيام الستة ، يسمع سعيد ابو النحس المتشائل صوت المذيع وهو يدعو العرب المهزومين الى رفع اعلام بيضاء فوق اسطح منازلهم ، كى يناموا ، من بعد ، فى بيوتهم آمنين . يتردد سعيد قليلا ثم يجد من الأسلم له ان يرفع هو الآخر العلم الأبيض ، فيصنع من ملاءة فراشه علما أبيض يعلقه على عصا مكنسة ، وينصبه على سطح بيته فى شارع الجبل فى حيفا ، إمعانا فى اظهار ولائه لدولة اسرائيل .

ولا يتبين سعيد هول مافعل إلا وصديق عمره ، يعقوب ، الذى يخدم دولة اسرائيل ؛ يجره من ثيابه ويدفعه على الدرج ، مقتادا إياه إلى رئيسه الصهيونى الكبير ، ماذا حدث ؟ وكيف تكون المبالغة

اختفاء
سعيد أبي النحس المتشائل

في إظهار الولاء مستحقة للعقاب ؟ يقول يعقوب لسعيد : ياحمار ! ترفع العلم الأبيض على بيت لك في حيفا ، وهي جزء من إسرائيل ؟ تريد أن تقول إن حيفا مدينة عربية ، هزمت في الحرب ، وأبدت رغبتها في الاستسلام ؟ نداء الاستلام موجه إلى عرب الضفة وليس إلى عرب اسرائيل .

ويقول سعيد : بل أنا افرط في اظهار الولاء لحكومة اسرائيل . فيرد صديقه : أصبح الرجل الكبير يرى ان أفراطك هو تمويه على تفريطك . ويستعيد اصلك وفصلك فيجد فيهما الدليل على أنك لست غبيا ، وانما انت تتغابى ، والا ، فلِمَ لمْ تعشق سوى "يعاد" المناضلة ، ولم تتزوج إلَّا "باقية" المتآمرة ، ولم تنجب الا "ولاء" الذي يحمل السلاح ضد الدولة ، يرد سعيد : الم يسأل الرجل الكبير أيضا : لمَ لمْ أولد سوى عربي ، ولماذا لم أجد وطنا سوى هذه البلاد ؟

بهذا السؤال الساخر تبرز شخصية سعيد ابي النحس المتشائل . فهو المهذار الحكيم ، الذي يتبين الحق والحقيقة ، فيؤلمه مايرى ، ولا يجد في نفسه قدرة فورية على دفع الأذى عن نفسه وعن أهله ، فيطوي الألم بين جوانحه ، ويبدي التغابي أمام زبانية البطش وعملائهم . ثم يغلب الألم حذره . فيجد نفسه يشرع لسانه في وجوه الظالمين ، ساخرا متنددا ، فيقع في ورطة بعد أخرى ، تحمله الى السجن ، والتعذيب ، فلا يجدي العقاب في تحويله عن الطريق .

هو المهرج الفيلسوف ، اينما وجد : جحا ، أو مضحك الملك لير ، او المتشرد شارلي أو المطحون الدائم في مسرحيات الريحاني . غير ان سعيد أوفى من هؤلاء ثقافة ، واكبر نصيباً من الالم ، فهو يبكي ، لا حاله وحسب ، ولا حال مليكه ، ولا حال طبقة من الناس ، وانما هو يتقطع اربا ، حزنا على وطن ضاع ، واهل له ضيعوا الوطن ويواجه عدوا شرسا ، لايقنع بأن يغلب عدده ، بل يريد ان يلتهمه التهاما ، يأكله ويتمثله في جسده ، فيختفي جسد الضحية ويتحول الى دم ولحم يبينان المفترس ويشدان من أزره .

● تعرية فاضحة للعدو

هذا هو الاستعمار الاستيطاني ، الذي يندب اميل حبيبي بطله الفذ سعيد ابا النحس المتشائل ليعريه لنا تعرية كاملة فاضحة . سعيد هو عيننا في اسرائيل . واحد من عرب الداخل يرى ويتمزق ، ويكابد الاهوال ، ولكنه ـ أيضا ـ يتبين ، ويهتدي ، ويهدي وطنه السليب حبيبة متجددة الظهور اسمها "يعاد" وزوجة دائمة الوفاء اسمها "باقية" وابنـا مناضلا ، يمثل الجيل الجديد ، الذي يثور على خنوع عرب الجيل الحالي ـ جيل هو الأخ الأكبر لأطفال انتفاضة الحجارة التي سوف يتأتى لها ان تثور في زمان قادم .

يعاد هي حبيبة سعيد الأولى لقيها طالبة في قطار كانا يركبانه فتعلق بها





اميل حبيبى



قلبه ، وأحبته هى ، ثم فرقت بينهما غيرة زميل من زملاء سعيد ، وشى به للناظر ، ففرق مابين الحبيبين . ثم قام فراق آكبر بعد نكبة ١٩٤٨ . ذهبت "يعاد" إلى الناصرة وتسلل سعيد الى حيفا والتحق بخدمة الصهاينة . ثم تسللت يعاد من الناصرة الى حيفا لتلقى سعيد وتشكوه الى نفسه ، فقد طارت شائعة بأنه قد وشى بأبيها الى السلطات الصهيونية ، فزجوا بالأب فى السجن .

"يعاد" هى الحبيبة الدائمة لسعيد فهى تمثل إرادة العودة . وحين يتكاثر عليها عسكر اسرائيل ويدفعونها إلى داخل سيارة حفلت بغيرها من المبعدين ، تنادى بأعلى صوتها : "سعيد" ياسعيد ، لايهمك فإننى عائدة ! "وتعود" يعاد بعد عشرين عاما ، شابة جميلة واعية قوية ، تشبه أمها ، يعاد الأولى . فقد كانت هذه قد ماتت واسمت بنتها يعاد وابنها سعيد ، تأكيدا لهذه العلاقة التى لا تنفصم بين سعيد ويعاد . بين نضال عرب الداخل مع القمع الاسرائيلى وارادتهم التى لا تلين بعودة وطنهم اليهم .

● الغربة فى كل مكان

أما سعيد ، ابن يعاد ، فقد لقيه المتشائل فى سجن "شطة" الرهيب ، وكان الصهاينة قد زجوا بالمتشائل فيه جزاء محاولته "الانقلابية" رفع علم أبيض على داره فى حيفا . كان سعيد ممددا على

اختفاء

سعيد أبي النحس المتشائل

سرير ، عاريا تماما ، الا من طلاء ارجوانى ، هو دمه الذى سال بعد التعذيب لهذا سماه المتشائل "الملك" ، اشارة الى الرداء الارجوانى الذى يرتديه الملوك . يقول سعيد للمتشائل : يارجل ، يا والدى ، ويضمد جراحه بالحديث عن جراحه هو ، فتعود الى المتشائل انسانيته التى ابتزها زبانية الصهاينة بالصفع والركل واهدار كل ماهو كريم فى الانسان .

تقول يعاد الثانية للمتشائل وهى تحاوره : ان اخذنى الصهاينة هذه المرة ، فالوضع الآن يختلف . يرد المتشائل : ولكنهم لم يتغيروا . فتقول يعاد : هذه مأساتهم . أما نحن فتغيرنا فيقول المتشائل : يأخذونك الى ديار الغربة ؟ فترد الفتاة : الغربة فى كل مكان ، أخذونى أم تركونى ، فما الحل ؟ يقول المتشائل : نختبىء . تسـأل الفتاة : عشرين عاما أخرى ؟ يرد المتشائل : حتى تتغير الامور . فمن يغيرها ، تسأل الفتاة يقول المتشائل : الشعب . ترد : وهو مختبىء ؟ يقول المتشائل انا وانت نختبىء ويكافح أخوك سعيد ، تقول الفتاة : كى يهدى الحرية للمختبئين ؟ لا جدوى من الالتصاق بشيخ فى اواخر عمره لا فائدة من العودة الى البداية . ستذهب "يعاد" الثانية ولكن "يعاد" الثالثة سوف تأتى . الماء لا يترك البحر يتبخر ثم يعود فى الشتاء ، يعود انهارا وجداول . دائما يعود .

★★★

وكان سعيد المتشائل قد تزوج "باقية" ، فأفضت اليه بسر خطير . قالت له : أصبحت أملى ، ياابن عمى ، وأنا أريد العودة الى خرائب قريتى "الطنطورة" . ففى كهف فى صخرة ، صندوق حديدى ملىء بذهب كثير ، مصوغات أسرتى ، وضعه والدنا هناك ، وأنبأنا بأمره ، حتى يلجأ اليه كل محتاج منا . أريد ان ننتشل الصندوق ، فيغنينا عما أنت فيه . فلا أريد لأولادى إحدوداب الظهور .

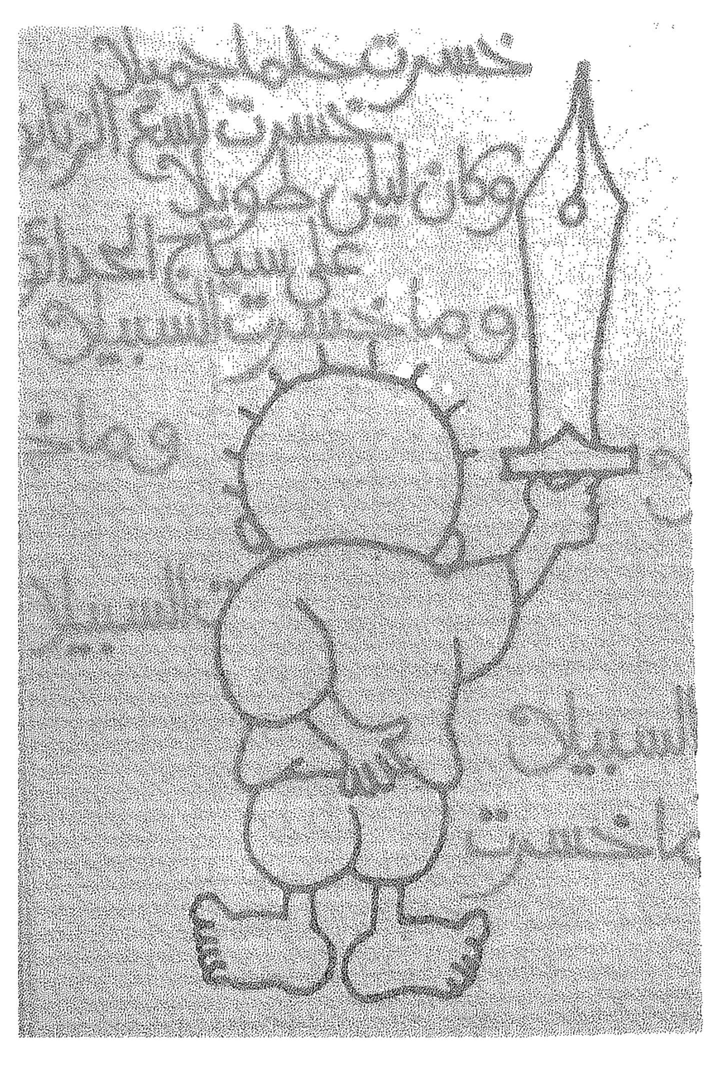
وكان من داب أسرة المتشائل أن يمشى افـرادها وظهـورهم محنيـة ، وأبصارهم فى الأرض ، بحثاً عن مال سقط سهواً من صرة عابر سبيل ، لعلهم يهتدون الى كنز يبدل حالهم تبديلا . أما سعيد المتشائل فقد قرر ألا يموت مقوس الظهر كأسلافه ، فاقلع منذ طفولته الباكرة عن البحث عن كنز الخلاص تحت قدميه ، وراح يبحث عن اكنز فيما فوق ، فى الفضاء اللا نهائى ، تلمسا لكائنات أرقى من البشر ، أخذ يحلم بأنهم قادمون يوما ما ليبدلوا حياته المملة ، أو يأخذوه معهم . ظل فى هذا الحلم حتى قامت دولة اسرائيل الغاصبة ، فلم يفارقه الانشغال بخلاص يأتى من الفضاء السحيق .

والآن ، ها هوذا كنز حقيقى وقع له . فماذا يفعل به هو وزوجه باقية ؟ قررا أن يخفيا أمره عن الناس ، حتى عن ابن ولد لهم فسمياه ، ولاء ، بعد اعتراض الكبير

الصهيونى على الاسم المقترح : فتحى ! كبر ولاء ، وجعل لنفسه حياة خاصة ، وأخفى وراء حياته وقلة حيلته أمام مشاكل الحياة الصغيرة ، سراً خطيراً : أنشأ مع اثنين مع زملاء الدراسة ، خلية سرية ، وانتشلوا الكنز واشتروا به سلاحا وذخيرة ومتفجرات وأقاموا مخزنا ومخبئاً . ثم قبض على الزميلين بينما التجأ ولاء إلى المخبأ فجاء عسكر صهيون يطاردونه ، ويجرجرون والديه لاقناعه بالتسليم . وتحاول الأم اقناعه ، ولكنه يرفض التسليم ، ويدفع بأنه سئم حياة الذل التى يحياها الفلسطينيون تحت نير الاحتلال الاسرائيلى . ولا يطول الحوار بين الام وابنها ، فما تلبث الأم ان تنضم الى "ولاء" ويختفى الاثنان ، لا يدرى أحد ـ ولا الصهاينة ـ أين ذهبا . لم يغرقا . لم يلفظهما البحر وإنما اختفيا وحسب . فقرر الصهاينة حبس نبأ اختفائهما عن التداول ، حفظا لماء وجه العنجهية الصهيونية .

★★★

كما تتطور فكرة الكنز من وسيلة للخلاص الفردى لدى "المتشائل" وأسلافه الى أداة للنضال ضد المغتصبين ، خدمة لقضية كبرى ، كذلك يتغير "المتشائل" من موقف "الصامت ذلا" ـ كما يصف نفسه ـ إلى موقف الشديد الرغبة فى الخلاص ، حين تكون "يعاد" بجانبه ، العاجز عن الخلاص حينما تنأى عنه . تقول له "يعاد" أعود فى الشتاء ، فلما تعود وتجده عاجزا عن الحركة تقول : هذا شتاؤك وحدك ويقول له شاب يمسك بصحيفة وقد رآه يجلس على "خازوق" العجز : من لا يريد



"الخازوق" ، عليه ان ينزل الى الشارع معنا .

ولكن "والمتشائل" يتشبث بخازوقه ، ولا يلبث ان يطير به الخيال الى رجل الفضاء الذى يأتى لينقذه . يطير الاثنان ، "والمتشائل" محمول على ظهر الرجل . وترى "يعاد" المنظر فتقول : حين تمضى هذه الغيمة تشرق الشمس !

● كنوز الحكمة والفكاهة

تغوص هذه الرواية الفذة غوصا بارعا فى التراث القصصى العربى ، تصل الى أعمق أعماقه ، ثم تطلع محملة بكنوز من

اختفاء

سعيد أبي النحس المتشائل

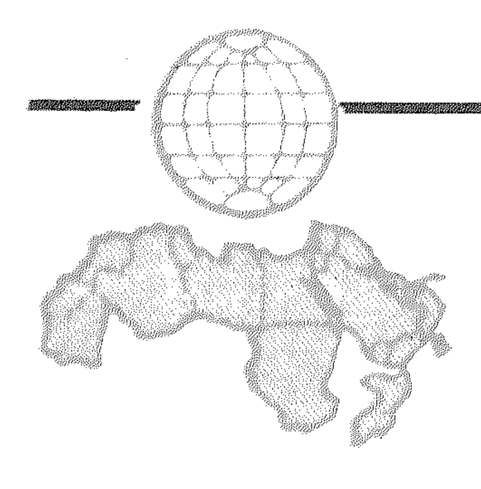
الحكمة والفكاهة والسخرية والخيال المجنح ، توظفها جميعا فى خدمة موضوع متفجر شديد الالتصاق بالواقع ، هو أحوال عرب فلسطين تحت الاحتلال الصهيونى الغاشم ، وتخرج علينا ـ في الوقت ذاته ـ بشكل فذ للرواية هو ـ بالقطع ـ عربى الهوية والروح والمنطلق .

تقرأ الرواية فتدرك على الفور لماذا قامت انتفاضة الحجارة ، وتوقن ان مايصوره اميل حبيبى من تصدٍ بطولى للحكم العنصرى الاسرائيلى ، هو حق واقع ، وليس بلاغة كاتب، أو امنية مطحون عاجز . وقد تسأل : لماذا جعل إميل حبيبى شخصيته الرئيسية رجلا رضى بأن يعمل مع الصهاينة ، فلا تلبث ان تتبين انه انما أراد تصوير تمزق بعض عرب الداخل بين ضرورة الخضوع لأمر واقع ورغبة لا تهدأ فى التحرر من هذا الواقع . كذلك اتخذ الكاتب من بطله اداة للسخرية من المتعاونين والمتخاذلين ، ومن بعض العملاء الملتحفين بالرفض النارى القاطع لدولة اسرائيل ، اخفاء لتعاونهم الفعال معها (شخصية الباذنجانى المحامى) . كما عبَّر إميل حبيبى التعبير الفنى البليغ عن عبث محاولة العمل مع الحكم الاسرائيلى وانتهاء هذه المحاولة إلى طريق مسدود يحوطه العجز من كل مكان . ترمز الرواية الى هذا القبول بالخازوق الذى يقعد عليه كل فلسطينى يتعاون مع اسرائيل . يجلس عليه الى الابد ، لا هو يتحمله ، ولا هو قادر على الهبوط منه الى الأرض ، بل قد تشتد أزمته فإذا هو يقاوم كل من يحاول تخليصه منه . إذ ذاك لا يكون أمام المتعاون مع اسرائيل الا أن يذهب عقله ، فيطير على أجنحة الجنون الى الفضاء السحيق ، كما حدث لسعيد أبى النحس المتشائل .

لكى يخرج إميل حبيبى الشكل العربى للرواية امتص رحيق الف ليلة ، وشملته روح الجاحظ الساخرة حينا ، المتفاكهة حينا آخر ، وصدر فى روايته عن طريقة كتابة الرسائل فى التراث العربى ، وعن حكمة كليلة ودمنة ، ثم لم يقتصر على التراث العربى ، بل رفده بالتراث العالمى ، حين انشأ علاقة ما بين روايته ورواية فولتير : "كانديد" .

والمحصلة النهائية : رواية فذة ، عربية الشكل والمضمون ، لعلها الأولى التى تثبت بجدارة ان فى وسع الرواية العربية المعاصرة أن تترك جانبا الشكل الغربى الذى اتخذته وعاء لها فأقامها حتى الآن ، الى شكل خاص بالعرب ينبع من تراث قصصى زاخر وطويل .

ذلك أنه اذا كان بوسع بعض الناس ان يظلوا يماحكون فى ان الادب العربى الشعبى قد عرف المسرح ، فليس فى قدرتهم ان ينكروا ذخائر العرب القصصية وحيويتها الفاتنة الباقية بعد ازدهار الاهتمام بالف ليلة وغيرها من قصص العرب وبعد ما قدم اميل حبيبى من برهانه الناصع هذا .




حسنى مبارك

- « انتهت كامب ديفيد ، وعفى عليها الزمن •• »
- « المشكلة هناك •• فشامير لا يريد •• وبيريز لا يستطيع »

● **الرئيس حسنى مبارك**

- « افعال اسرائيل كلها مبررة ، والمذنب هو الطفل الفلسطينى الذى دفع الجندى الى ارتكاب الخطا •• »

● **الشاعر محمود درويش**


محمود درويش

- « اسرائيل ستغرق تحت وابل من الحجارة اذا لم تنتبه الى حل القضية الفلسطينية •• »

● **المحامية الاسرائيلية « فيليشيا لانجر »**

- « حكومة ريجان اسوا واغبى واعند حكومة شهدتها هذه البلاد فى تاريخها •• »

● **المفكر الفلسطينى « ادوارد سعيد »**

- « السينمائيون العرب يفتقدون الجنون •• »

● **المخرج التونسى « مرزاق علواش »**


ادوارد سعيد

- « هل على الانسان ان يتوقف عن العمل حتى لا يصبح هدفا سهلا •• » !

● **جمال الغيطانى**

- « دارسو التكنولوجيا من الشباب هم احصائيات تجارة المستقبل •• »

● **جى روكفللر عضو مجلس الشيوخ الامريكى**

سوانح في ثورة الحجارة

شعر: نزار ... وغناء: فيروز

بقلم: كمال النجمي

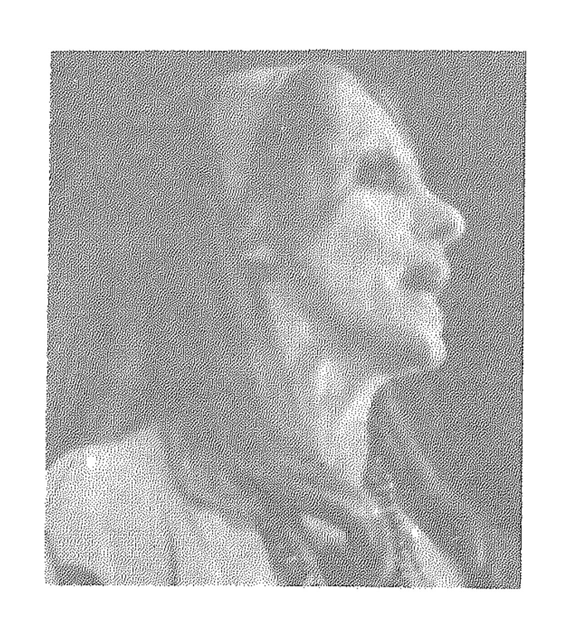
هل سمعت او قرات الاشعار التى القاها بعض الشعراء والشاعرات فى معرض الكتاب الدولى اخيرا؟!

ان كثيرا من هذه الاشعار قيل تمجيدا لثورة الحجارة فى فلسطين العربية .. وقد اشتهرت من بين هذه الاشعار قصيدة نزار قبانى التى نظمها متكاملة الاوزان من بحر ((الخفيف)) .. ولكن الصحف نشرتها مقطعة الى تفعيلات وكلمات كما كان الشاعر كامل الشناوى – رحمه الله – يفعل بشعره حين ينشره ، فقد كان يتعمد تقطيع الابيات المتكاملة الاوزان الى تفعيلات، فيظنها غير العارفين بالشعر – وما اكثرهم – شعرا تفعيليا مبتكرا من اخر طراز ، ويكتب عنها بعض النقاد ويتحدثون بوصفها من صميم الشعر التفعيلى

● ونزار قبانى هو فى صورة من الصور ، ابو العتاهية الجديد ، ولكن مقلوبا او معدولا ، او زائدا او ناقصا .. فان نزارا شعبى اللغة حتى لتظنه احيانا شاعرا زجليا لا شاعرا فصيحا ، او تظنه كاتب عمود صحفى سريع

لا ناظم قصيدة شعرية رصينة ..

ولولا ان نزارا فى ظاهر شعره هو شاعر اللذة والمرح والرقص كانه ابو نواس ، وان ابا العتاهية كان شاعر الالم والاكتئاب والسخط على الدنيا ، لقلنا : هـذا من ذاك !.. فانهما يشتركان فى اللغة الشعرية



فيروز

نزار قبانى

الشعبية وتعبيرات الشارع ، حتى ان الشطار والعيـــارين والرقاصين أو « الزفانين » والجوارى المخـــادمات والفعـلة والمـــلاحين ، والسوقة فى شوارع بغداد ـ على عهد الرشيد ـ كانوا يترنمون بشعر أبى العتاهية كما تترنم شوارع المدن العربيـــة الان بشعر نزار !..

وكما انتقلت عدوى أبى العتاهية فى عصره الى بعض الشـــعارير والشعرورات ، فقلدوه بدون ابداع وبدون شاعرية ، فكذلك أصابت عدوى نزار بعض الشـعارير والشعرورات فى أيامنا ، فقلدوه تقليـد الغرابيب للطاووس ..

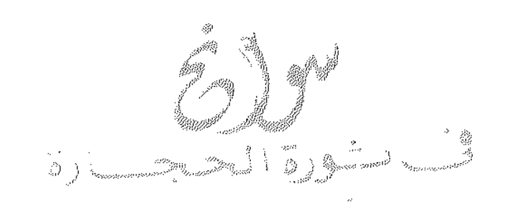
وقد سمعت ورأيت فى التليفزيون ـ أيام معرض الكتـــاب ـ احـــدى الشعرورات القادمات من بلد شقيق ، تلقى قصيدة عن انتفاضة الحجارة ، سلخت معانيها وألفاظها بغلظة وبلا ذكاء من قصيدة نزار ومن أشـعاره الاخرى ..

● وقد أعادت انتفاضة الحجارة لى بعض الذكريات الادبية والفنية ..

منذ عشرين عاما كتب نزار قبانى قصيدته المشهورة « هوامش على دفتر النكسة » .. وصودرت هذه القصيدة فى مصر ، وكنت حينـذاك محـررا بمجـلة المصور ، فحملنى الاجتراء وقلة التبصر ، على أن أكتب نقـدا عنيفا ضد « الرقابة » التى صادرت القصـيدة ، وذهبت بمـا كتبت الى الاستاذ أحمد بهاء الدين رئيس تحرير المصور أيامئذ فأمر بجمع المقـالة ونشرها .. وقد تم جمع حروف المقالة فعلا ، أما نشرها فلم يتم ، لان النشر كان بيد الرقيب ، وقـد أدى الرقيب مهمتـه على أحسن وجه ، فشطب المقالة من أولها الى اخرها ..

وكان رد الاستاذ بهاء الدين على الرقيب بسيطا .. فقد أعطى نسخة من « بروفة » المقالة لاحد المسافرين الى بيروت وطلب اليه تسليمها الى الشاعر نزار الذى كان مقيما هناك .

ومازال تعليق نزار على هـــذه



« البروفة » موجودا عندى مع نسخة من قصيدته التى أدهشنى حين تسلمتها أن طباعتها شديدة الاناقة كأنها طباعة ديوانه « طفولة نهد » .. مع أن « النكسة » شىء آخر !..

ظلت قصيدة النكسة ممنوعة فى مصر حتى رأى عبد الناصر السماح بتداولها .. وفكرت أم كلثوم عندئذ فى غناء شىء منها كما غنت - مثلا - شيئا من رباعيات الخيام ، ولكنها وجدت كلاما عنيفا ومؤلما ، فعدلت عنها الى قصيدة من شعره عن « البندقية الفلسطينية » غنتها فى أواخر الستينيات ثم اختفت القصيدة فى محفوظات الاذاعة مع جميع الاغانى الاخرى التى يتردد فيها اسم فلسطين !..

كانت « البندقية » هى الشعار الواقعى والبديهى للتحرير .. تحرير مصر أو تحرير سوريا أو تحرير فلسطين ، ولكن كانت هناك وجهات نظر أخرى لم أعرفها الا حين « حصلت فى دمشق » - أى نزلت فى دمشق زائرا ، وذلك حسب التعبير القديم البليغ - وكان حصولى بدمشق فى أواخر سنة ١٩٦٩ مع زملاء كرام الذكر منهم محمد عودة وفيليب جلاب ومجيد طوبيا ، وكنا جميعا ضيوفا على وزارة الاعلام السورية !..

● تعبير بالرمز الفنى

وأرادت الوزارة اكرامنا فدعتنا الى شهود مسرحية غنائية كانت المطربة فيروز تقدمها فى دمشق ، ولعل اسم هذه المسرحية - اذا صدقتنى الذاكرة - هو « جبل الصوان » .. أو قريب من هذا الاسم !

ظهرت فيروز على المسرح فى البداية تغنى قصيدة فى مدح « بنى أمية » .. ففهمت من غنائها أن بنى أمية فى دمشق هم غير بنى العباس فى بغداد .. وغير الفاطميين فى القاهرة !..

وكان ذلك مضحكا حقا .. فان بنى اسرائيل هم الذين يحتلون أرض أمية ابن عبد شمس بن عبد مناف ، فما معنى هذا الغناء الذى كأنه يقول لنا : « اياك أعنى فاسمعى يا جارة » ؟!

ثم جاءت المسرحية الغنائية ..

وكانت تدور حول فلسطين « السلبية » .. بالرمز الفنى لا بالخطابة المنبرية .. وكان التعبير بالرمز الفنى أشد وضوحا من الزعيق المنبرى ، فمن السهل أن أعظك وأرفع صوتى فى سمعك وأهزك من الاعماق مادمنا فى معركة ، ولكن من الصعب أن نصنع فنا للمعركة أو من المعركة ، أو نتحسس بالفن الصراح اشواك المأزق ومخالب المشكلة ! ..

مع ذلك خرجت من هذه المسرحية الغنائية ساخرا من عبثيتها ، وبخاصة خاتمتها ، وكتبت عنها مقالا يجمع بين الاعجاب بالفن والسخرية من قصور الفهم السياسى لقضية فلسطين ..

فالمسرحية تبين لنا أن الغزاة الصهيونيين قد اقتنعوا فى النهاية - نهاية المسرحية - بأنهم يجب أن يرحلوا من الارض التى غزوها

بالحديد والنار ، واجتمعوا فيها من اربعة أركـان الدنيـا ، واغتصبوها ومزقوها بالفتك والهتك تمزيقا لم يكن ليخطر فى بال برابرة الفاتحين أمثال هولاكو وهتلر !

لقد أوحت المسرحية الى الغـزاة السفاكين أن يندموا ويذرفوا الـدمع السـخين ويجمعوا أمتعتهم ، ثم يرحلوا عائدين الى البـلدان التى جاءوا منها ، تاركين الارض المروية بالدمع والدم لشعبها الذى غلبوه على أمره وسلبوه حقوقه واستبعدوه !.

وهكذا جمع « ايزاك شـامير » متاعه القليل ، ووضع عصـاه على كاهله وشد رحاله الى بلاده «بولندا» التى خلع نفسه من أرضها منـذ خمسين عـاما ليزرع نفسه فى أرض فلسطين ، ويقتلع منها نفوس أهلها.. فيالهـا من معجزة ، تشبه معجـزة « كسر الحاجز النفسى » ذات السمعة السيئة ..

قلت لبعض من كان الى جانبى فى المسرح :

– كيف يندم الغزاة ويسلمون بالحق دون أن تلحق بهم هزيمة فى ميادين القتـال ، وكيف يردون سيوفهم الى أغمـادها وهم منتصرون وأصحاب الارض منهزمون ، هزيمـة الهنود الحمر فى معركتهم ضـد الوحش الاوربى الاشقر ؟!...

● وأذكر الان أن بعض ما كتبتـه عن هـذه المسرحية كـان مؤداه : « كيف تصح فى الاذهان هذه النهاية السعيدة الرومانتيكية المثالية التى لا تقع ولا فى الاحلام ، فالصهيونيون لم يهجموا على فلسطين ولم يرتكبوا فى حق أهلهـا جرائم يفزع منهـا الشيطان نفسه ، لكى يثوبوا فى نهاية « المسرحية » الى الرشـد ويعـلنوا التوبة ويرحلوا كالملائكة الاطهار دون أن تخدش وجوههم أظافر طفل عربى واحد » !

● طفل فلسطين .. سيد الموقف

ومن حسن الطالع أن ما أشرنا اليه من أظافر الطفل العربى قد صـار حقيقة ، وأصبح هـذا الطفل سيد الموقف بعد عشرين عاما من عرض تلك المسرحية التى زفت الينا البشرى بعودة الصهيونيين الى الآدمية بعـد امعانهم الوحشية عشرات السنين فى فلسطين وما حولها من اقطـار بنى أمية وبنى العباس وبنى أبى طـالب ابن عبد المطلب ، الذين هم جميعـا أبناء عبد مناف بن قصى بن كلاب .. الى اخر النسب المتوج بجدهم مضر ابن نزار بن معد بن عدنان ! .

● وأذكـر أن المرحوم عاصى رحبانى جاء مع فيروز الى مصر بعد ذلك بعام أو عامين ، فناقشنى فيمـا كنت كتبته من ملاحظات ونقدات لفكرة المسرحية .. وكان رأيه أن النهـاية الرومانتيكية لهذه المسرحية لا تعيبهـا من الناحية الفنية ، وان عابتهـا من الناحية السياسية ، فوافقتـه على رأيه ، لان النهـاية الرومانتيكيـة المستحيلة الوقوع هنا ، انما جـاءت تعبيرا عن تعـلق مؤلف المسرحية بشرف الانسـان وضميره .. ولكن المؤلف قد نسى أن الانسان يفقـد شرفه وضميره وفهمه للخير والشر ، **عندما يعتنق الصهيونية التى هى بنت عم النازية ، بل هى أم النازية ، لان**

سوانح في ثورة الحجارة

هرتزل جاء قبل هتلر ، وبن جوريون قبل جورنج وروزنبرج وهملر !...
فكيف يمكن أن يتعلق مؤلف مسرحي بما لا وجود له وهو شرف المغازي الصهيوني وضميره ؟!. لقد كنا نرجو طبعا أن يكون وجود ذلك ممكنا ، ولكن « أنى يكون وليس ذاك بكائن » .. وقد استحالت أسباب وجوده ؟!...

● مسرح سيد درويش

لقد كان سيد درويش في مسرحه الغنائي قبل خمسة وستين عاما أقرب الى « المعقل » من مسرحية « جبل الصوان » .. مع أنه كان يصرخ فوق مسرحه بكلام يقول : « دقت طبول الحرب يا خيالة » .. و « أحسن جيوش في الامم جيوشنا » و « الجيش رجع م الحرب بالنصر المبين » .. ولم تكن ثمة حرب ولا جيوش ولا نصر مبين ولا غير مبين .. كان هناك شعب أعزل في قبضة جيش احتلال ، ولكن المسرح الغنائي المصري كان يشتعل بالحماسة لضرب العدو ، ولم يخطر على بال سيد درويش قط أن عميد قصر الدوبارة البريطاني سوف يحمل عصاه ويرحل في لحظة نادرة من لحظات يقظة الضمير ! .

كانت مسرحيات سيد درويش الغنائية تتعلق بالتاريخ ، وتحاول ان تصله بحاضر الشعب وتثير حماسته للعمل الجاد بما تعرضه على عينيه من احلام اليقظة المسرحية .

والفن حين يغني لكفاح شعب من الشعوب ، لا يكون هدفه أن يردد الشعارات أو يلتزم بالحروف ، فان الفن الصادق البليغ حين يعبر عن كفاح شعبه يتحول الى جزء من وجدان الشعب !.. كان هذا رأيي ومازال في مسرحية فيروز وفي مسرحيات سيد درويش وما يجري مجراها فوق المسرح أو على الشاشة أو على أمواج الاثير ، فان القوانين التي تتحكم في سير معركة أو مصير حرب ليست هي القوانين التي تتحكم في التعبير الفني ، وان كان الفن بقوانينه ومواصفاته الخاصة لا ينكص عن خطوات أبناء شعبه ، ويتلقى الفن في حالات الهزيمة والنصر ، نصيبه من الويلات أو الثمرات !.

ان الغناء المسرحي وغير المسرحي حين يشارك في الكفاح الشعبي ، قد يبدو أحيانا كأنه شارد أو تائه أو مبعثر الادوات والاساليب ، ومع ذلك يبقى داخل دائرة الكفاح ، مادام صادق التعبير ، وليس مجرد تلفيق كلمات ، او تلفيق الحان ، او تزويق شعارات ...

ومن أسف انه لا يوجد الان من هذا الفن شيء يذكر ، لان بواعثه لم تعد قائمة ، الا أن ثورة الحجارة في الارض الفلسطينية الدامية ، جديرة بأن تبعث الفن العربي من مرقده كما مست جذوتها قلب الشعر العربي فحاول أن ينبعث شعرا عربيا مرة أخرى ، ولكن الشعارير والشعرورات يسدون عليه منافذ الانبعاث !..

وما امجد ثورة الحجارة ، وما اهون اشعارنا واغانينا مهما كان بعضها جميلا ومؤثرا !..

قصيدة الانتفاضة

رسالة إلى غزاة لايقرأون!

شعر: سميح القاسم



سميح القاسم

تقدموا تقدموا!
كل سماء فوقكم جهنم
وكل ارض تحتكم جهنم
تقدموا
يموت منا الطفل والشيخ
ولا يستسلم
وتسقط الام على ابنائها القتلى
ولا تستسلم
تقدموا
بناقلات جندكم
وراجمات حقدكم
وهددوا
وشردوا
ويتموا
وهدموا
لن تكسروا اعماقنا
لن تهزموا اشواقنا
نحن قضاء مبرم
تقدموا

رسالة
إلى
غزاة لا يقرأون!

طريقكم وراءكم
وغدكم وراءكم
وبحركم وراءكم
وبركم وراءكم
ولم يزل امامنا
طريقنا وغدنا وبرنا وبحرنا
وخيرنا وشرنا
فما الذي يدفعكم من جثة لجثة
وكيف يستدرجكم من لوثة
للوثة
سفر الجنون المبهم
تقدموا
وراء كل حجر كف
وخلف كل عشبة حتف
وبعد كل جثة فخ جميل محكم
وان نجت ساق
يظل ساعد ومعصم
تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم
وكل ارض تحتكم جهنم
تقدموا
حرامكم محلل
حلالكم محرم
تقدموا
بشهوة القتل التي تقتلكم
وصوبوا بدقة لا ترحم

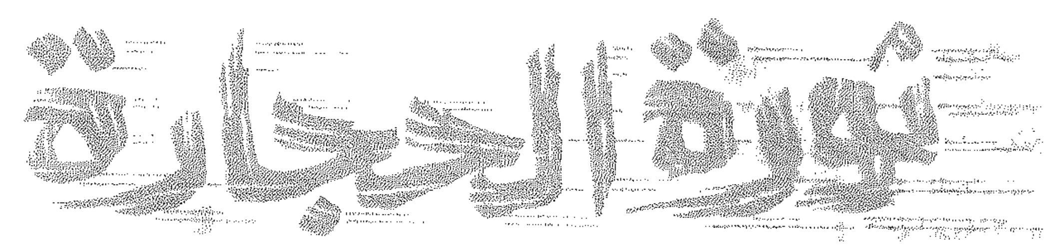
وسددوا للرحم ان نطفة من دمنا
تضطرم
تقدموا
كيف اشتهيتم واقتلوا
قاتلكم مبرا
قتيلنا متهم
ولم يزل رب الجنود قائماً ساهراً
ولم يزل قاضي القضاة المجرم...
تقدموا
لا تفتحوا مدرسة
لا تغلقوا سجناً
ولا تعتذروا، ولا تحذروا، لا
تفهموا
أولكم آخركم
مؤمنكم كافركم
وداؤكم مستحكم

فاسترسلوا
واستبسلوا
واندفعوا
وارتفعوا
واصطدموا
وارتطموا
لآخر الشوط الذي ظل لكم
وآخر الحبل الذي ظل لكم
فكل شوط وله نهاية
وكل حبل وله نهاية
وكل ليل وله نهاية
وشمسنا بداية البداية
لا ستمعوا / لا تفهموا / تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم

غزة تبكينا
لأنها فينا
ضراوة الغائب
في حنينه الدامي الى الرجوع
تقدموا
من شارع لشارع
من منزل لمنزل
من جثة لجثة
تقدموا
يصيح كل حجر مغتصب
تصرخ كل ساحة من غضب
يضج كل عصب:
الموت... لا الركوع
موت... ولا ركوع!!
تقدموا...
ها هو ذا تقدم المخيم
تقدم الجريح والذبيح والثاكل
والميتم
تقدمت حجارة المنازل
تقدمت بكارة السنابل
تقدم الرضع والعجز والارامل
تقدمت ابواب جنين ونابلس
اتت نوافذ القدس صلاة الشمس
والبخور والتوابل
تقدمت تقاتل!
تقدمت تقاتل!
لا تسمعوا
لا تفهموا
تقدموا
كل سماء فوقكم جهنم
وكل أرض تحتكم جهنم...



وكل أرض تحتكم جهنم!!
لا خوذة الجندي
لا هراوة الشرطي
لا غازكم المسيل للدموع



بين الأطراف المهشمة والانهيار العصبيّ !

يقلم : عبد الرحمن شاكر

من أول ما يسترعي النظر في أخبار الانتفاضة الفلسطينية ، التي لا تزال مستمرة حتى كتابة هذه السطور ، منذ اكثر من شهرين ، والتي عرفت ودخلت التاريخ باسم « ثورة الحجارة » ·· ان الذين نقلوا الى المستشفيات لم يكونوا الفلسطينيين وحدهم ، الذين أصيبوا بطلقات الرصاص · ومات كثير منهم · أو ضربوا وهشمت أطرافهم بأيدى جنود جيش الاحتلال الصهيوني وهرواتهم الغليظة ، من خشب الزان او الحديد ! بل نقل الى المستشفيات أيضا عدد من هؤلاء الجنود ، ليس بسبب ان بعضهم قد شجت راسه مثلا، بسبب حجر رجمه به صبي فلسطيني ، وان كان ذلك واردا وجائز الحدوث ، ولكن لان هؤلاء الجنود كانوا مصابين بما هو افدح من شبح الراس ، في ظاهر عظامها وجلدها ، مصابين من داخلها بالانهيار العصبي !

اما لماذا أصيب هؤلاء الجنود ، الذين هم أفراد من أقوى قوة مسلحة في المنطقة العربية ، التي يحلو لهم أن يسموها بالشرق الاوسط بهذا الانهيار، وهم لا يواجهون قوة عسكرية موازية في عدتها وعتادها ، بل جموعا عزلاء من السلاح ، الا من الحجارة او سكين هنا ، وقنبلة حارقة هناك ، يدوية الصنع بدائية التركيب، من الطراز المعروف باسم كوكتيل مولوتوف ·· لماذا يصاب هؤلاء بالانهيار العصبي في مواجهة تلك الجموع ، فذلك يعود الى أسباب كثيرة تتعلق بهؤلاء الافراد وطبيعة المواجهة التي وجدوا انفسهم فيها :

● عموما ، فجيش الاحتلال الصهيوني ، المطلوب منه أن يسيطر على الارض الفلسطينية المحتلة ، في مواطن هذه الانتفاضة في الضفةالغربية للاردن وقطاع غزة ، منذ اكثر من عشرين عاما ، لا يزال من الناحية العددية البحتة ، اقل بكثير من عدد الافراد الفلسطينيين الذين يحملون الحجارة ويرمونه بها ، فهؤلاء يمكن أن يكونوا ببساطة ـ كل الشعب الفلسطيني ، أو ذلك للجزء من الشعب الفلسطيني هناك ، كل صبي أو فتاة أو شيخ أو امرأة ، يستطيع أن يحمل الحجر ويرمي به فيصيب حيث يصيب ،او يفزع من يفزع من جند الاحتلال هناك ·· لن يجدي مع أحدهم ولن ينقذه من الرعب ، أن يأتيه الحجر من أى مكان ، من وراء هذا الجدار أو تلك الشجرة ، أنه يحمل أعتى الاسلحة الاتوماتيكية ، ينطلق رصاصها ، ليفتك بالجموع المتجمهرة ، أو يحمل قنابل الغازات المسيلة للدموع ، أو الهراوة الغليظة التي ينهال بها ضربا على من يقع في يده من الافراد الفلسطينيين ، حتى يهشم عظامه ، ويتحرى أن يفعل ذلك ، بل دخل بعضهم على المصابين من الفلسطينيين في المستشفيات، وضربوهم وتحروا أن يهشموا أطرافهم ، تحت شعار أن اليد المهشمة لن تستطيع أن تلقي بالحجر ! وضحايا تهشيم العظام على هذا النحو يبلغ عددهم حوالي الالف حتى الان ، بخلاف من ماتوا ويبلغ عددهم ـ حتى الان ايضا ـ قرابة المائة !

بالرغم من ذلك ، فلا تزال القلة المسلحة من جنود جيش الاحتلال ، حتى ولو كان وراءهم المستوطنون اليهود الذين جلبوهم الى تلك الارض المحتلة، ويؤازرونهم باطلاق النار مباشرة على الفلسطينيين لينقذوا ماء وجه جيش الدفاع الاسرائيلي ·· لا يزال هؤلاء وأولئك « قلة » مذعورة ازاء الاغلبية العزلاء من سكان تلك الارض ، لانهم وكأنهم مارد قد انشقت عنه الارض ، قد طرحوا عن انفسهم الخوف والرعب ، من ذلك الجيش المدجج بالسلاح وقرروا ان يواجهوه جميعا دفعة واحدة ولا يزالون يفعلون حتى الان ·· سقطت هيبة السلاح المتفوق في يد الجندي من الجيش الصهيوني في مواجهةالارض وسكانها وحجارتها ! فاستحال الرعب في قلبه من أن يأتيه الحجر من هنا او هناك إلى انهيار عصبي ينقل بسببه ـ دون أن يلحقه خدش ـ الى المستشفى !

● قد يكون من افراد الجيش الصهيوني ، حتى من اليهود ، سواء كانوا من أصول عربية ، أى من اليهود الشرقيين الذين نزحوا من مختلف البلدان العربية ، أو كانوا من سكان فلسطين الاصليين، أو حتى من الاوربيين الاشكناز الذين جلبوا الى هذه المنطقة ، من يكون لديه قدر من يقظة الشعور ، يجعله يحس بانه يخوض حربا ظالمة

بكل معانى الكلمة ، ضد جموع عزلاء ، تقيم على الارض التى ولدت فيهـا ، وتحس بأنهـا محرومة من حقوقها الطبيعية ، وتتظاهر احتجاجا على أوضاعها السيئة ، ثم نفاجأ بمن يصب عليها النيران من مدافعه الرشاشة أو قنابله المسيلة للدموع ، ويبطش بأفرادها بالهراوات الغليظة ، ربما يكون مثل هذا الجندى قد استشعر مدى الظلم الذى يجد نفسه مطالبا بايقاعه بالاخرين وربما يكون أيضا قد استشعر انه لا يخوض حربا ظالمة فقط ضد هؤلاء العزل ، بل يائسة أيضا ، ليس لها مستقبل ، فطبيعة الامور ، ليس أن يرحل سكان الارض عنها كما يشتهى غلاة الصهاينة ، بل المحتلون من مغتصبى بلادهم ، وبين الشعور بثقل الضمير واليأس والخوف ، قد يحمل الجندى اليهودى فى الجيش الصهيونى بدوره الى المستشفى ، مصابا بالانهيار العصبى ! .

● المدلول السياسى

على أن المواجهة التى ينال أحد طرفيها وهو الطرف الفلسطينى ، عقابا شنيعا قاسيا وهو تهشيم أطراف من يقعون فى قبضة جنود الاحتلال الصهيونى ، والانهيار العصبى للطرف الاخر ، الذى يوقع بهم هذا العقاب ، يكاد يكون حظ كل طرف منهما فيها تعبيرا رمزيا عن الموقف السياسى لكل منهما !

فالشباب الفلسطينى ، الذى يتعرض لهذا العقاب البشع ، الذى نال عدة مئات منه حتى الان لا شك انهم يعانون الاما مبرحة مما أصابهم ، ولكنهم يحسون نخوة الفداء والتضحية من أجل وطنهم المغتصب وحقوق شعبهم السليبة ، وهم واثقون ، أن من يعش منهم ويخرج من هذه المحنة ، سوف يكون رمزا لاجيال تاتى من بعده ، من الشباب الفلسطينى ، وقدوة لهم فى التضحية والفداء ، وربما ابعد من هذا أن يمتد هذا الشعور بالتضحية وضرورتها من اجل القضية الفلسطينية ، الى سائر شباب الامة العربية ، التى ترى فى هذه القضية قضيتها الاولى ، والتى لم تخسرها حتى الان الا لتمزق صفوفها ، وعجزها عن توحيد ارادتها ، فكانت — ولا تزال على ضخامتها — أشبه بالجسد المكسور الاطراف ، الذى يحتاج الى علاج طويل لكى يلملم شعثه وينهض فى مواجهة أعباء الحياة الحرة الصادقة ، واستمرار الانتفاضة الفلسطينية ، وهو الموهج الذى يضىء الطريق أمام هذه الامة ، فى لم شعبها ، وتجميع قواها ، وبذل ما يتعين عليها بذله من تضحية فى سبيل مبادئها العليا .

أما الطرف الاخر الصهيونى ، فان الانهيار العصبى هو مستقبله هو والكيان المصطنع الذى فرضه على بلادنا وتشى به مختلف مواقف سياسته بما فى ذلك اختلاف وجهات النظر لدى صناع هذه السياسة :

● فهناك القوى التى تدرك — داخل

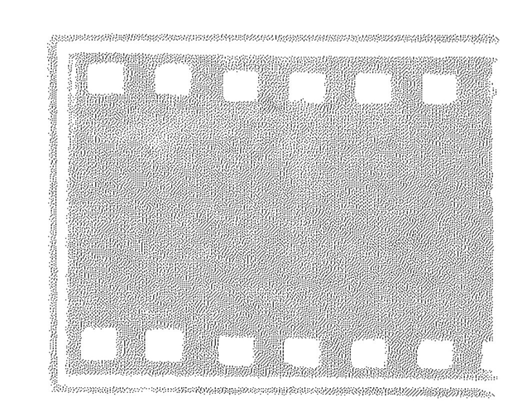
الكيان الصهيوني ـ أن الانسحاب من الارض المحتلة هو المخرج الوحيد ، من هذه المواجهة التي يمكن ان تطول الى غير ما نهاية ، ويكون لها ضحايا باستمرار من الطرفين •

وبالتالى فلا مفر من قبول مبدأ «السلام مقابل الارض »» والتخلى عن حلم « اسرائيل الكبرى » ، وأن ضم الاراضى المحتلة الى « دولة اسرائيل » ، كما يطالب المتطرفون ، معناه أن يصبح العرب بعد جيل أو جيلين أغلبية فى هذه الدولة وتفقد بالتالى طابعها اليهودى، بالنظر الى أن معدل المواليد بين العرب أكبر منه بين اليهود •

● أما الفريق الثانى فهو يرى ان الانسحاب من الضفة الغربية وغزة ليس فقط تضييعا لحلم اسرائيل الكبرى ، ولكن إيضا لا احد يدرى اذا ما بدأ الانسحاب أين يتوقف؟ ومعنى الانسحاب من الضفة وغزة أن تقوم هناك دولة فلسطينية ، ولا بد أن يتحول العرب الذين لا يزالون يعيشون فى الارض المحتلة قبل عام ١٩٦٧ ـ وقد أيدوا الانتفاضة الاخيرة بالاضراب والتظاهر ـ الى أعوان « للدولة » الفلسطينية الوليدة اذا قامت من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجى لمنظمة التحرير الفلسطينية فى دولة فلسطينية ديمقراطية يتعايش داخلها أبناء مختلف الاديان على قدم المساواة ، وهو ما يعنى عندهم نهاية الحلم الصهيونى •

وهم لا يزالون يحلمون بأن يخرج الفلسطينيون من الارض المحتلة فى الضفة الغربية للاردن وقطاع غزة ، ليحل محلهم مستوطنون يهود ممن يجلبونهم من القوقاز الروسى أساسا ، ولكن محصول هذه الهجرة وهذا الاستيطان ، لا يزال ضئيلا حتى الان، من حيث الكثافة البشرية ، ورغم انتزاع معظم أراضى الضفة والقطاع من جانب الدولة الصهيونية بمختلف الذرائع ولمختلف الاغراض، ومن شأن الانتفاضة الحالية أن تزيد من اعراض المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفييتى ، على المجىء الى هذه الارض الملتهبة بالصراع الدامى، وهؤلاء المتشنجون من الصهاينة المتعصبين ، بعضهم يفكر فى اجتياح الضفة الشرقية للاردن أيضا ، لغرض تهجير العرب فى الارض المحتلة اليها ، بل واقامة المستوطنات اليهودية فى الضفة الشرقية أيضا ! ولكن ذلك التفكير الجنونى من شأنه اذا ما نفذ أن يوسع نطاق المقاومة بالحجارة وغير الحجارة ! ومن غير المنتظر أن يتوقف رد فعله على سكان الضفة الشرقية للاردن وحدها ، بل لابد أن يشمل منطقة الشام كلها على الاقل ، ويجتذب صورا متعددة من التلاحم العربى مع المقاومة الفلسطينية •

ان ذلك هو بعض ردود ثورة الحجارة التى تشهدها الارض المحتلة من فلسطين حاليا ، وهو ان كان يفرض حالة من الارتباك السياسى « والانهيار العصبى » على الدولة الصهيونية وساستها ، بل على بعض القوى الدولية المساندة لها ، بما فى ذلك ، أو على رأس ذلك الولايات المتحدة الامريكية ، التى ترسل بمبعوثيها بمبادرة لا تريد الاعلان عنها حتى الان ! كأنها لا تعرف الحل او المخرج ، أو تعرف حتمية مضاعفاته على المشروع الصهيونى برمته وتحاول تحاشيها ، فان ذلك المردود لن يبلغ مداه التاريخى الا بمقدار استمرار تلك الانتفاضة من جانب ، وتنبه مختلف قوى الامة العربية على ايقاعها من جانب آخر ••



سينما

القسوة والشذوذ

بقلم: مصطفى درويش

حقا خير الكلام ماقل ودل ، فها هو كتاب أو بمعنى أصح كتيب قيم رغم انه يقع فى اربعين صفحة الا قليلا .

هاهو يرسم للثقافة الشعبية الامريكية صورة صادقة صحيحة تدينها بوصفها ثقافة عرجاء ، تفتقد الاستقامة والاستقلال

فما هو هذا الكتيب ، ولماذا خلص صاحبه الدكتور «لورنس ميشلاك» من جامعة ميشيجان فى رسمه لهذه الثقافة الى تلك الصورة الكريهة البغيضة .

الكتيب عنوانه «قاس وشاذ .. صور سلبية للعرب فى الثقافة الشعبية الامريكية »

وموضوعه كما يدل عليه عنوانه مداره انغماس ماإصطلح على تسميته بالثقافة الشعبية فى الولايات المتحدة ـ الاغانى النكات ، برامج التليفزيون ، الكاريكاتير الحكايات المصورة الافلام وماشابهها ، انغماسها فى أوجه من التحيز والتحامل جنح بها الى تعصب مقيت ضدنا نحن العرب .

وبادىء ذى بدء يستهل صاحب الكتيب دراسته ساخرا فعنده أن «شكوى المتخصصين فى شئون الشرق الأوسط من الجهل الأمريكى بالعالم العربى .. شعبه ، ثقافته سياساته وتاريخه ، هذه

الشكوى ليس ثمة مبرر لها من الواقع الذى يكذبها تماما .

فالأمريكيون يعرفون الكثير عن العرب ، والمشكلة ان معرفتهم هذه اكثرها كان ولايزال خاطئا.

ومن ثم فمهمة التعرف على العالم العربى لاتبدأ بالتعرف على أشياء جديدة ، وانما تبدأ بفك التعرف على الاشياء التى كنا نظنُّ اننا على معرفة بها»

● الأصل والصورة

وهو لايعمد فى دراسته لهذه الظاهرة الى الاستنباط المنطقى ، وانما يعتمد على الملاحظة المباشرة للثقافة الشعبيـة الامريكية في أوجهها المختلفة ، أكثر مما يعتمد على أى شىء آخر ، وآية ذلك نماذج هذه الثقافة التى بثها فى كل صفحة من

الوصايا العشر .. فيلم صهيوني .. لم يرد له ذكر



سينما

القسوة والشذوذ

صفحات الكتيب وهى نماذج لصورة العربى فى عيون الامريكيين .. على بابا ، السندباد البحرى ، لص بغداد ، تاجر الرقيق ، راقصة الحريم ، لعنة المومياء ، فرسان مرتدين ملابس فضفاضة يهاجمون الفرق الاجنبية حامية الحضارة ، وهكذا .. وهكذا .

وهذه النماذج تبدأ بالأغانى وتنتهى بالافلام

وطبعا كان توقفه عند نماذج مصنع الاحلام طويلا

فهوليوود بافلامها التى تصور العرب على وجه مشوه تشغل نصف الكتيب او يزيد .

ولاعجب فى هذا التوقف الطويل ، فالامريكيون مولعون بالافلام ، واقبالهم على مشاهدتها يتزايد مع كر الايام .

بل ان الافلام ، وحتى بعد ان تغادر دور العرض ، لاتموت ، بل تبعث على شاشات التليفزيون الصغيرة ، اطيافا حية

● الانبهار .. لماذا ؟

ومن غرائب هذه السينما المسيطرة على عقول وقلوب الامريكيين ، أنها ومنذ فجر تاريخها ، منبهرة بفكرة العربى .

فعندما أقام «توماس اديسون» اول استديو فى العالم (١٨٩٣) كان فيلم «رقصة الاقنعة السبعة» من أوائل الافلام التى انتجها هذا الاستديو كيما تشاهد من خلال فتحة صغيرة فى صندوق اسموه «كينيتو سكوب» وهو اختراع شبيه فى حجمه وشكله بصندوق الدنيا .

ومع تطور تكنولوجيا العرض ، خطت الافلام الى الأمام شيئا فشيئا .

واذا بها تتحرر من ضيق صناديق المشاهدة منطلقة الى رحاب المسارح ، ثم تنتشر فى جميع أرجاء العالم ، لاسيما أوروبا والولايات المتحدة .

وما أن انتهت الحرب العالمية الأولى بأوروبا خرابا متصلا ، حتى تقدمت أمريكا ابان سنوات العشرينيات لتحتل المركز الأول فى السينما العالمية ، وتظل محتلة له ، لاتتخلى عنه من ذلك الحين والى هذه الساعة .

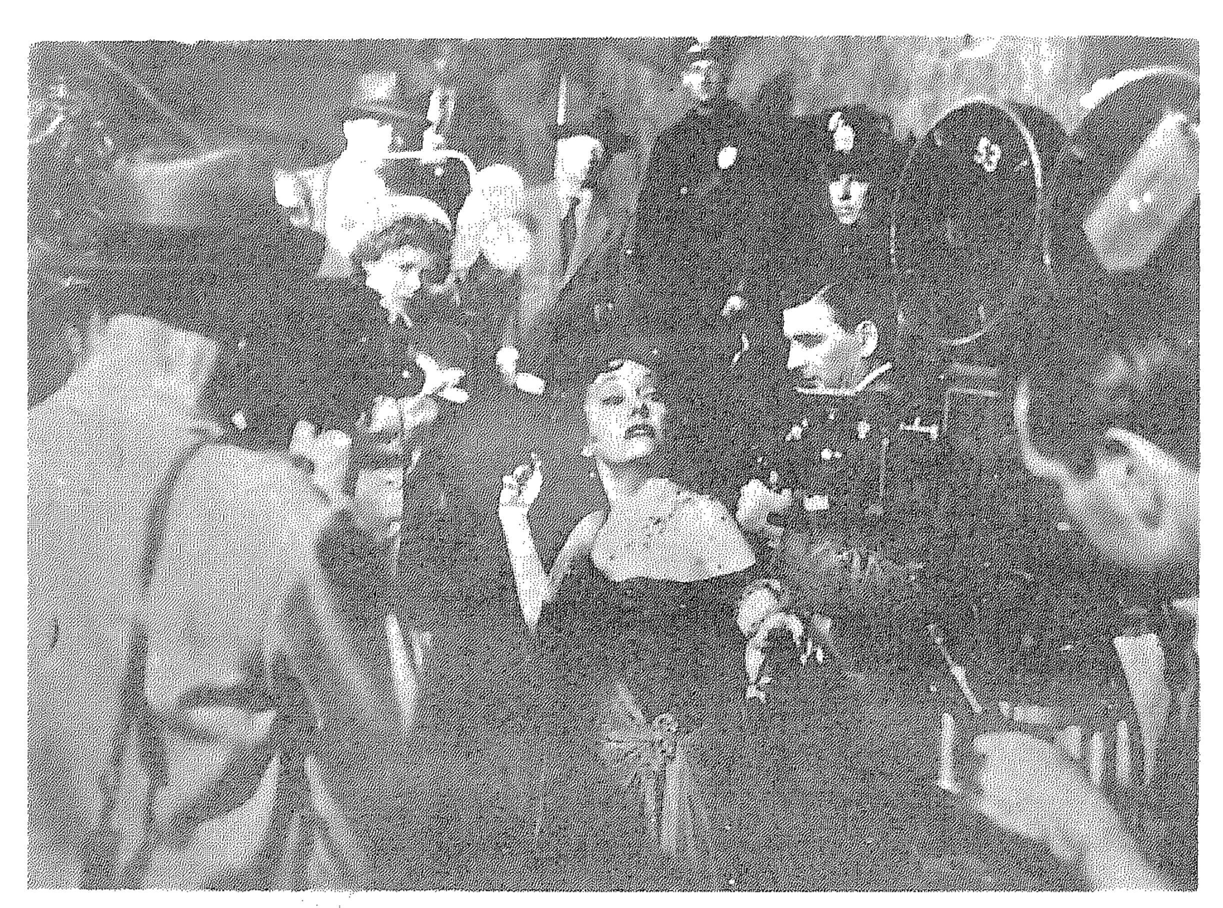
وما كان يستمتع به الجمهور على الشاشة وقتذاك ، وكما الآن ، هو الشيء المجلوب الغريب .

ومهما شطح الخيال ، فليس ثمة فى التصور ، ماهو اكثر غرابة واثارة للدهشة من الشرق الأوسط .

ومن هنا قيام هوليوود اثناء عقد العشرينيات بانتاج سبعة وثمانين فيلما على الأقل ، كل واحد منها له اتصال من قريب أو بعيد بموضوعات عربية .

ولو اطلعنا على قائمة الممثلين والممثلات الذين لعبوا ادوارا فى هذه الأفلام الغريبة العجيبة ، لما وجدنا أحدا من نجوم هوليوود إلا وله فيها بعض نصيب .

«فجارى كوبر» و «ويليم باول» و «رونالد



سالومي .. ورقصة الأقنعة السبعة منذ البدايات

كولمان» و «رامون نوفارو» حاربوا جميعا فى صفوف الفرقة الأجنبية ، انقذوا ساحرات فاتنات مثل «اليس تيرى» و «بولا نجرى» و «جلوريا سوانسون» و «نورما تالمادج» من أسر مشايخ أشرار .

«ويليم بويد» ظهر امام «مارى استور» و «بوريس كالوف» فى «فارسين عربيين» ، وهو فيلم عاطفى كوميدى تقع احداثه فى فلسطين اثناء الحرب العالمية الأولى .

● الشيخ وولده

وافلام عقد العشرينيات هذه تنقسم الى مجموعتين رئيسيتين وأخص مانلاحظه فى افلام المجموعة الأولى أنها من نوع المغامرات الميلودرامية المتسمة بالغرابة .

أحداثها تجرى فى الصحراء ، العرب فيها أهل عنف وجنس يخطفون النساء البيض ، يخرجون من البيداء همجا هامجا ابتغاء الاعتداء على الفرق الأجنبية الساهرة على الحدود حماية للحضارة .

وأذا ماانتقلنا الى المجموعة الثانية ، فسنجد أن الكوميديا الخفيفة هى المقوم الاساسى الأول بين مقوماتها ، وان العرب فيها اهل هزل ومسخرة وتهريج .

ولعل «الشيخ» (١٩٢١) و «ابن الشيخ» (١٩٢٦) هما اشهر افلام المجموعة الأولى ، فكلاهما مثله «رودلف فالنتينو» فتى الشاشة الأول حينذاك .

ونظرة طائرة على هذين الفيلمين تكشف عن مدى اجتراء السينما الأمريكية علينا نحن

سينما

القسوة والشذوذ

العرب ، وغلوها فى الاساءة الينا فما ان يلتقى الشيخ احمد فى الفيلم الأول بالبطلة ، وهى فتاة انجليزية تبحث عن متعة المغامرة فى الصحراء ، حتى يهيم بها ، يختطفها يحاول ان يرتكب معها الفحشاء .

وابن الشيخ فى الفيلم الثانى ، واسمه هو الآخر «أحمد» يقع فى حب «ياسمين» وهى راقصة وابنة أحد الفرنسيين «المرتدين» فاذا ما ذهبت به الظنون الى ان قلبها غير خالص له سعى الى اختطافها ، وهمّ أن يغتصبها لولا ان تدخل الشيخ والده فى الوقت المناسب ورده عن ارتكاب المعصية .

واضح اذن ان هذين النموذين «الشيخ وابنه» ليس فيهما شىء من شرقنا العربى .

وأن المتفرج لايخرج من الدار التى تعرض له هذين النموذجين ، حتى يكون قد ترسب فى ذاكرته اعتقاد بأن حياة العرب قوامها شهوات جامحة مدارها الاختطاف والاغتصاب والاقتتال .

وحتى بعد أن تكلمت افلام هوليوود قريبا من نهاية العشرينيات ، وبعد ان اكتست بزاهى الألوان بدءا من منتصف الثلاثينيات ، ـ وحتى بعد ذلك ـ ظل التناول للعرب بالتشهير والتحقير فى الافلام كعهدنا به أيام السينما الصامتة .

بل ان هوليوود قد هداها التفكير الى اعادة صنع العديد من افلام التشهير والتحقير هذه ، كما هو الحال مع « جنة الله » (١٩٢٧ ـ ١٩٣٦) «ولص بغداد » (١٩٢٤ ـ ١٩٤٠ ـ ١٩٦١ ـ ١٩٧٨) « وقسمة » (١٩٢٠ ـ ١٩٣٠ ـ ١٩٤٤ ـ ١٩٥٥) .

ومن اظرف ماحدث فى هذا الخصوص ان فيلم « بوجست » قد تكررت مرات اعادة صنعه على وجه لفت نظر الممثل الكوميدى الراحل « مارتى فيلدمان » فكان ان اخرج فيلما ساخرا عن الفرقة الاجنبية اسماه «أخر اعادة صنع لبوجست » (١٩٧٧) غير ان اغرب التحقير هو عندما يغلو الفيلم فى التعصب الى حد جعل العربى مجرد جزء من خلفيته ، جزء خفي او بلا وجه .

ولعل الدار البيضاء (١٩٤٢) تمثيل « همفرى بوجارت » « وانجريد برجمان » وواحد من اشهر الافلام فى تاريخ السينما ، لعله خير مثال فى هذا المجال .

فهو زاخر بالشخصيات الامريكية والفرنسية والالمانية ، بل وحتى التشيكية .

ولكن اين العرب ؟

باستثناء شخصية مغربى شرير ، وهى شخصية ثانوية لعب دورها الممثل البدين « سيدنى جرينستريت » فليس ثمة وجود لشخصيات عربية اخرى ، وذلك رغم ان قصة الفيلم تجرى احداثها على ارض المغرب .

والأعجب هو ذلك المشهد من « الدار البيضاء » الذى ينشد فيه الفرنسيون « المارسيلييز » فى محاولة منهم لاغراق صوت الالمان الذين كانوا ينشدون بحماس « احرس الراين » .

كل ذلك على ارض اجنبية ، وبالتجاهل التام لأهل المغرب المكرهين على استضافة هؤلاء الاغراب الثقلاء الذين يتنازعون سيادة العالم .

● الحرب والسلام

وفى رأى صاحب الكتيب ان الصراع العربى الاسرائيلى قد افرز نوعا جديدا من افلام الحرب المنحازة الى الجانب الاسرائيلى انحيازاً شديدا .

ففى هذه الافلام يقوم نجوم ذوو شعبية كبيرة مثل « كيرك دوجلاس » « ويول برونر » و « جون واين » و « فرانك سيناترا » و « بول نيومان » يقومون بأداء دور الاسرائيليين وأصدقائهم الامريكيين .



غزاة صندوق العهد المصرى
فيه تصوير متعاون مع النازى

أما على الجانب الأخر من الجبهة .. فالعرب جنود قساة القلب ، لا نراهم إلا نادرا ، ومن بعيد .

فهم مثلا فى فيلم « الخروج » يقتلون بوحشية فتاة لاجئة لها من العمر خمسة عشر عاما ، وفى فيلم « ألقى ظلا عملاقا » الذى وصفته جريدة « نيويورك تايمز » بأنه الفصل الاخير من تاريخ اسرائيل حسب هوليوود نراهم ضاحكين صاخبين ، وهم يطلقون النار على سيدة اسرائيلية فى سيارة نقل معطلة فى قاع واد .

واهم مايلفت النظر فى هذه الافلام انها تصور الصراع العربى الاسرائيلى على نحو ماكان يصور الصراع بين رعاة البقر والهنود ، فالعرب دائما وابدا هم الاشرار ، والاسرائيليون هم الاخيار ..

وهذا الجنوح الى وضع العرب فى قالب الاشرار ، كتب له أن يستمر طوال عقدى السبعينيات والثمانينيات ، بل وان يتعاظم فى افلام « كالريح والاسد » (١٩٧٥) و« شبكة تليفزيون » (١٩٧٧) « والاحد الاسود » (١٩٧٨) و « المهر الاسود » (١٩٧٩) و « غزاة صندوق العهد المفقود » (١٩٨١) و « الفردوس » (١٩٨٢)

● الخوف

وهنا يزعم الباحث صاحب الكتيب ان اليهود ليس لهم دور كبير فى هذا الشذوذ الذى اصاب السينما الامريكية على وجه اصبحت معه لا ترسم العرب الا فى صورة مشوهة غير مطابقة للحقيقة الواقعة ، صورة يكاد الا يستثنى منها أى فيلم .

وان مسئولية ذلك إنما تقع على اوربا ، وذلك لأنه منذ انتشار الاسلام والاوربيون يعيشون فى خوف ورعب من شعوب الشرق الاوسط ، وبخاصة بعد غزو العرب لجنوب اوربا ، ووصول العثمانيين ورثة العرب الى مشارف فيينا ..

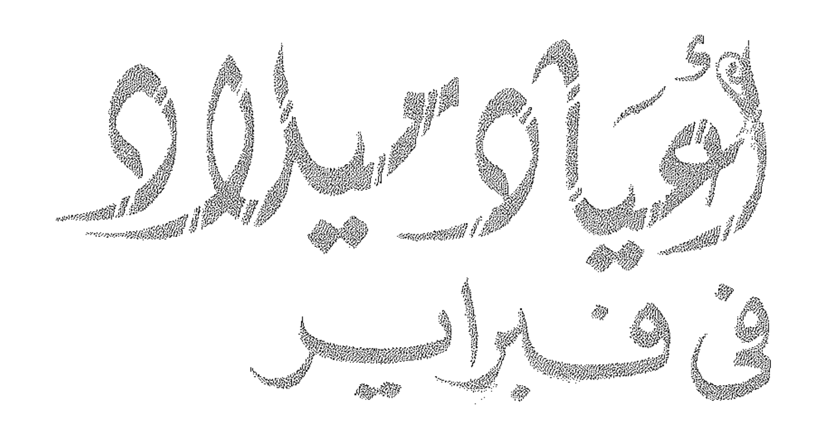
وقد انعكس ذلك على امثالهم وقصصهم ومسرحياتهم وحكايات اسفارهم ، واشعارهم ورسوماتهم .

فالمطلع عليها يلمس الوانا من التحيز ضد العرب والتحامل عليهم .

وألوان التحيز والتحامل هذه قد اصطحبها المهاجرون معهم الى العالم الجديد حيث اصبحت جزءا لا يتجزأ من تراث امريكا الشعبى .

وهذا الزعم أراه بعيدا عن الصواب .. فمن المعروف أن الصهيونية تكاد تتحكم فى صناعة الفيلم الامريكى تحكما تاما .

ومع ذلك فقد آثر صاحب الكتيب ألاّ يعرض لهذا التحكم وآثاره ، وآية ذلك اختفاء كلمة « الصهيونية » من بحثه ، فهى ورغم تأثيرها الكبير فى مسار الثقافة الشعبية الامريكية ، وبالذات السينما ، لم يرد لها ذكر ولو مرة واحدة .. الأمر الذى يملأ النفس دهشة وأسفا .



بقلم: صافى ناز كاظم

● فى طفولتى كان يوم ١١ فبراير اجازة لانه كان عيد ميلاد الملك السابق فاروق وكان برنامج حديث الأطفال بالاذاعة يحتفل به احتفالا هائلا بالاغنيات الجديدة وحشد كل المجموعات الفنائية التى يحبها الأطفال فى مشاركة جذابة . وعندما ذهب الملك توقف احتفال الدولة والاذاعة بيوم ١١ فبراير لكنه انحفر فى ذاكرتنا ولم نستطع أن ننسى انه كان عيد ميلاد الملك .

وفى عام ١٩٥٦ ـ بعد اشتغالى بالصحافة بعام ـ تعرفت على الاستاذ أحمد بهاء الدين وكان وقتها رئيسا لتحرير مجلة صباح الخير وبسبب اهتمامى بمعرفة تاريخ ميلاد كل من أتعرف عليه ، عرفت أن أحمد بهاء الدين من مواليد ١١ فبراير أيضا ولكنه ولد عام ١٩٢٧ ، أى أصغر من الملك السابق بسبع سنوات بالتمام والكمال . ومنذ ان عرفت الاستاذ أحمد بهاء الدين وهو صديق عزيز ، أختلف معه سطحيا فى بعض الامور أو جذريا فى معظم الامور لكنه ظل صديقا عزيزا على المستويين الانسانى والثقافى. والحقيقة أن اختلافاتى معه نشأت بعد أن توثقت علاقتاى الثقافية والصحفيةبه، والغريب ان هذه العلاقة الوثيقة تمت بعد أول لقاء معه ، حين ذهبت أستطلع رأيه فى

موضوع صحفي كنت أعده لمجلة الجيل الجديد التي كانت تصدرها أخبار اليوم، ولا اذكر من التفاصيل سوى انني انبهرت بذكاء الاستاذ بهاء وكتبت أقول أنه في الحقيقة الاستاذ دهاء لفرط ذكائه اذ انه الوحيد منبين من اخترتهم لموضوعي الذى اكتشف أن القطعة الادبية التي كنت اقدمها على انها من كتابتي ماخوذة من كتاب قديم لتوفيق الحكيم • وكانت فكرة الموضوع تريد أن تستشف هل الاراء النقدية تقدم رأيا في العمل الادبى بغض النظر عن مؤلفه ، أم أنها تتاثر بالرأى المسبق في الكاتب نفسه • وكان من بين من سألتهم الاستاذ العقاد والاستاذ احسان عبد القدوس الذى قال ان القطعة ركيكه وانني ـ بصفتي مؤلفتها كما تصور ـ بحاجة الى المزيد من القراءة !

وكان عنوان الموضوع « آراء مثيرة في أسلوب توفيق الحكيم » ! ـ المهم ان الاستاذ بهاء هو الوحيد الذى لم تنطل عليه اللعبة ونظر لى من فوق نظارته وهو يقول : « انت عاوزه رأيى في أسلوب توفيق الحكيم ؟! » ـ وعملت معه بعد ذلك خمس سنوات تحت رئاسته في مجلة المصور من ١٩٦٦ ـ ١٩٧١ وكانت من أخصب سنوات عملى الصحفى التي بلورت فيها شخصيتي كناقدة للمسرح والادب وكنت أكتب مستحضرة خلاصة دراستي المتخصصة في نقد المسرح وخلاصة قدراتي على التعبير البعيد عن التقليد والدارج لاكون عند حسن ظن مستوى التذوق الرفيع الذى يتمتع به رئيس التحرير أحمد بهاء الدين • وتبعد المسافات وتقترب وأرفع سماعة الهاتف أو لا أرفعها لاقول : كل سنة وانت طيب لاحمد بهاء الدين ، لكن لا يمكن أن يمر

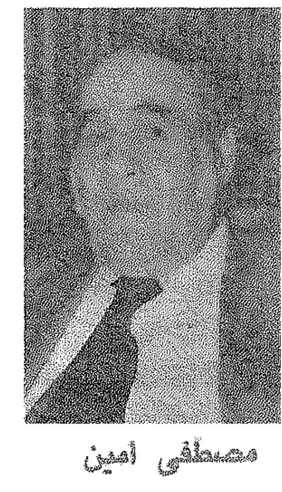


احمد بهاء الدين

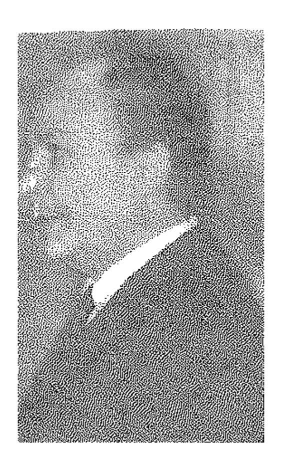
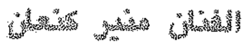
١١ فبراير من دون أن أردد بيني وبين نفسي: اليوم عيد ميلاد أحمد بهاء الدين•

● في نفس الشهر فبراير يوم ١٣ ياتى عيد ميلاد صديق اخر له فضل كبير في تكويني الثقافي والفني ، وهو الفنان منير كنعان الذى يبلغ هذا العام ٦٩ سنة •

واقف مشدوهة أمام الرقم ٦٩ عاما ؟ أنا لا أستطيع أن أتخيل كنعان الا في الرابعة والثلاثين أو الخامسة والثلاثين حين كان أول من تلقانا في أخبار اليوم يوم ذهبنا في نوفمبر ١٩٥٥ لنقابل الاستاذ مصطفى أمين ليقبلنا صحفيات تحت التمرين في مدرسة أخبار اليوم • وكان الاستاذ مصطفى أمين قد أتم في ٢١ فبراير ١٩٥٥ ، ٤١ عاما ويعلو في الصحافة المصرية ـ مع توأمه الاستاذ




مصطفى امين

الفنان منير كنعان

على امين ـ عرش الفن الصحفى وفق مفهومات جديدة خاصة بأخبار اليوم ٠ **كانت اخبار اليوم فى ذلك الوقت هى الجاذب الصحفى لكل من أراد أن يتعلم الفن الصحفى وكان الاهرام يبدو الى جوارها خاملا تقليديا فاترا** ٠ واستقبل مصطفى أمين مجموعتنا من الانسات طالبات الصحافة بترحاب شديد وكنا أول كثافة نسائية تدخل أخبار اليوم ـ (كانت المجموعة مكونة من سناء البيسى وسناء فتح الله وسناء الغزالى وسميحة صبور وصافى ناز كاظم) ـ وكانت أعمارنا تتراوح بين الثامنة عشر والتاسعة عشر ـ (أنا كنت ١٨ سنة !) ـ واذا كنت أرى الان أن الاستاذ مصطفى أمين كان فى عز شبابه ٤١ سنة فقط، الا أن الامر ساعتها عام ١٩٥٥ كان يبدو لنا مغايرا ، فقد كنا نراه من كبار السن ! وكنا نندهش انه هكذا من كبار السن وفى منتهى هذه الحيوية٠ الان ٢١ فبراير يأتى عيد ميلاد مصطفى أمين الرابع والسبعين وأراه فى عز الشباب ، ذلك لانتى أنا نفسى ـ من يصدق ؟ ـ صرت فى الخمسين من عمرى ٠٠ آه كيف حدث هذا ؟ لا أدرى !

هل تغيرت معايير الاحساس بشكل عام فأصبح سن السبعين والستين سنا شابا وصارت الاربعين والثلاثين سنا طفوليا ودون ذلك أناس لم يدخلوا الحياة بعد ، هل هذا احساس عام أم انه مجرد احساس داخلى لمن تشعر أن الخمسين التى بلغتها قفزت اليها فى غمضة عين ؟

● كلما جاء شهر فبراير أحيط يوم ١١ ، ١٣ ، ٢١ منه بدوائر واقول هذه أعياد ميلاد الذين أسدوا الى فى الصحافة جميلا عظيما : فهذا أحمد بهاء الدين الذى ساعدنى على طرح بلورتى لشخصيتى الكاتبة ، وهذا الفنان كنعان الذى أجرى فى دمائى حب الفن التشكيلى وعلمنى الاحساس بالالوان والكتلة والفراغ ودربنى على كيفية رؤية الاشياء ، وهذا مصطفى أمين الذى شق لى طريق الصحافة من أعرق أبوابها وأخذ بيدى وأنا أحبو لاشب عن الطوق لاقف أمامه وانظر اليه نظرة نقدية واقول بثقة ـ غرسها فى قلبى ـ أنا مختلفة معك ! ٠ واختلف معه فى السياسة وفى بعض ما يرفض وبعض ما يقبل ، لكننى أحس أننى اقف على أرضية أوقفنى هو عليها ، منذ البداية، أرضية تحترم مهنة الصحافة وتعتز بشرف القلم ٠ وكل فبراير وانتم جميعا بخير !٠

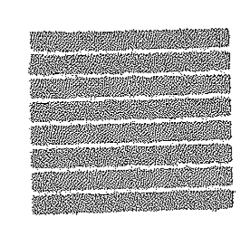
شعر:
جليله رضا

عمّى الطيب



ماذا أصنع ياربّى فى أمّى المزواجْ ؟
هل قُدّر لى أفتح للطارقِ باب المزلاجِ ؟
أن أشهد أمّى تتزيّن وتُزف لكل الخُطّاب ؟
وأنادى « ياعمّى » كل الأزواج ؟
فإذا ما عارضت يقال أدسّ الأنفْ
فأنا فى البيت الصفر .. وأنا فى البيت الضيف
أنا أعلم أنك يا أمِّى مازلت مع الدهر جميلة
لايعبث بشبابك عُمْر ... لاتشبع منك العينان
لكنك طيبة القلب وصافية النيّة ..
يُغريك خطيبك بالكلمات المعسولة
فإذا مانام على فُرشك فيِ استمتاع
صار إلها وهويت أنا يا أمى للقاع ... !
ورأيتكِ تخفين الوجه الفاتن فى صدر الأحزان .. !
ولماذا يا أُمى يدفن أزواجُكِ كل كفاءاتى ... ؟
وأنا فى سن التمييز وإبداء الرغبات ..
ولماذا تحيين مع الأزواج وقد غلّتك قيود ...
وابنك يرقص ، رقص الموت ، على حبل مشدود ...
لكني اليوم أُصلّى كل صباح ومساء :
فلعلّ الزوج الحاضر يغدو لك خير عزاء ...
حتى أدعوه ـ بلا زيف ـ يا « عمِّى الطيب » ... !

القفز على



الأشواك

بقلم: د. شكري محمد عياد

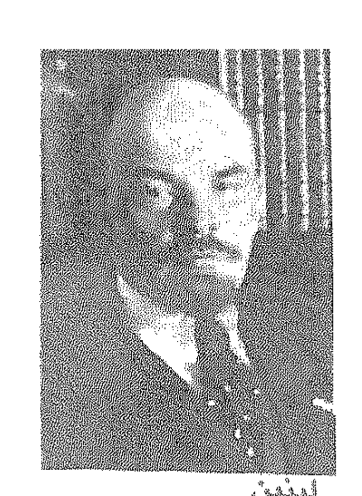
في الاقتصاد أيضًا... لكلّ مقام مقال

إذا أقبلت من أقاليم اللغة والأدب وأوغلت قليلا في علم الاقتصاد ، فسوف تجد نفسك تقول لنفسك : رحم الله أسلافنا العظام فقد علمونا قاعدة تصلح عليها الأعمال كما تصلح الأقوال» ، قاعدة لا تهدم القواعد ولا تخلط المذاهب ولكنها تعطى "المتغيرات" حقها ، فأنت تصطنع لكل مناسبة مذهبا من القول يلائمها ، نثرا أو نظما ، جدا أو هزلا ، رزانة أو طيشا . وربما أقمت مذهبك من أول الأمر على أسلوب مزيج مبتكر من شتى الأساليب ، كما يمزج المصور ألوانه ، ولكنك إذا أخذت في مذهبك لم تعدل عنه إلى ما ينافره زاعما أن مقامات الكلام تختلف في العمل الواحد بين بدءٍ ووسط وانتهاء .

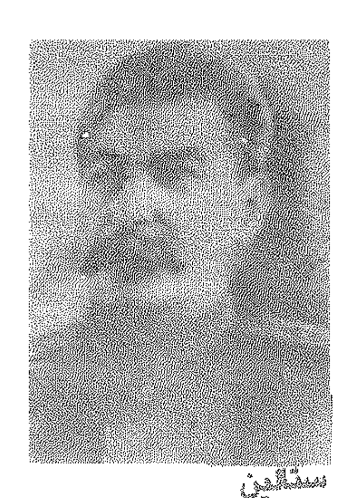
وتخيل المعرى لو دس في إحدى لزومياته شيئا يشبه كلام ابن سكرة ، أو البهاء زهير لو ضمن إحدى رقائقه شيئا من تعمق أبى تمام - كيف كنت تجدهما ؟

«لكل مقام مقال» : مبدأ معناه أن تختار على بصيرة ، ولكنك متى اخترت أصبح اختيارك التزاما ، وتحتم عليك أن تمضى فيه إلى نهايته ، لتجنى ثماره حلوها ومرها . فإنك إن ساورتك فيه الظنون حتى نفضت يديك منه وانقلبت إلى غيره كنت كالذى ينزل غزلا ثم لا يلبث أن ينقضه ويشرع فى سواه .

سيضحك منا بعض الاقتصاديين قائلين : أهل الأدب مغرمون بالتشبيه ، والتشبيه فى العلم لا يجوز ، ولكننى أسألهم : ما بال قانون شيرمان الذى سنه



لينين



ستالين

جورباتشوف

الكونجرس الأمريكي سنة ١٨٩٠ بقى معمولا به على مدى السنين ، لأن الفكر الاقتصادى السياسى الأمريكي جرى على اعتبار «المنافسة» شرطا من أهم شروط الاقتصاد الحر ، إلى درجة أن القوم اختلفوا فى الخمسينيات من هذا القرن حول السياسة التى ينبغى اتباعها إزاء الشركات العملاقة وساد فى وقت من الأوقات رأى أنه إذا كان إنتاج سلعة ما محصورا فى عدد قليل من هذه الشركات فسوف يكون من السهل أن تتفاهم فيما بينها على قتل المنافسين الأصغر حجما ، وأجبرت بعض الشركات على أن تقسم نفسها إلى عدد من الشركات الصغرى ، ولكن الخلاف ، كما نرى ، لم يتجاوز تفسير المبدأ إلى هدم المبدأ نفسه . إنما كان قصارى جهد المدافعين عن الشركات الكبرى أن التنافس فيما بينها يظل قائما ولا سيما فى مجال البحث العلمى والأبتكار التكنولوچى ، اللذين لا تقدر عليهما الشركات الصغرى .

● توجيه الفكر عندنا

وقد كثر الحديث فى الآونة الآخيرة عن «الانفتاح» الاقتصادى فى الاتحاد السوفييتى ، وكأن «الاشتراكية» آذنت بزوال فى وطن الاشتراكية الأول . ومنطق المحللين الغربيين ـ وهم الذين ينفردون بتوجيه الفكر عندنا مع الأسف الشديد ـ أن الاعتبارات العملية «البرجماتية» تغلب النظريات . وحقيقة الأمر كما نراها أن ما يصنعه جورباتشوف اليوم فى الاقتصاد السوفييتى ليس بعيدا عن الفكر الاشتراكى ، بل هو فى الصميم من هذا الفكر . وبعض الكتاب يشيرون ـ فى هذا السياق ـ إلى «السياسة الاقتصادية الجديدة» التى نفذها لينين من أوائل ١٩٢١ ، أى بعد أكثر قليلا من ثلاث سنين من استيلاء البلاشفة على السلطة ، ولم تنته إلا مع بدء التخطيط الخمسى (١٩٢٨) فى عهد ستالين . فإلى جانب السماح للقطاع الخاص بمجال واسع للاستثمار ، طلب من الشركات المؤممة أن تحقق أرباحا عن طريق المنافسة فى سوق مفتوحة ، وربما كان هذا أكثر مما يفكر فيه جورباتشوف فى الوقت الحاضر على الاقل . وربما ظننا أن هذه السياسة



الاقتصادية الجديدة كانت اجراء مؤقتا عمد اليه لينين لتفادى الأزمة ، ولكن الحقيقة هى أن النقاش حول تسيير الاقتصاد الاشتراكى لم ينقطع فى أيام لينين ولا بعد لينين والمشهور عن **الخصومة الحادة التى نشبت بين ستالين وتروتسكى ولم تنته الا بنفى الاخير ثم موته قتيلا فى منفاه ، أن محورها كان «الثورة المستمرة»** : هل يجب على الحكومة الثورية فى روسيا أن تدعم وجودها دون أن تنتظر نجاح الثورة فى الأقطار الاخرى، ولاسيما الاقطار الرأسمالية المتقدمة ، أم يجب ان تنظر الى نفسها على انها بداية فقط ، تتلوها ثورات فى سائر اقطار العالم ، كل بحسب المرحلة التى بلغها من التطور؟ ولكن نظرية « الثورة المستمرة» عند تروتسكى كانت مبنية على تحليل دقيق لطبيعة العلاقة بين أى نظام اقتصادى اشتراكى «مستقل» وبين الاقتصاد العالمى . ومع أن عامة المؤرخين لاينكرون فصل السياسة التى اتبعها ستالين لبناء مجتمع صناعى ، خلف «الستار الحديدى» المشهور ، فى صمود الاتحاد السوفييتى أمام الهجمة النازية العارمة (مهما يكن الرأى فى قسوة هذه السياسة أو فظاظة شخصية صاحبها) فان وصف تروتسكى لما يمكن أن ينتهى اليه اقتصاد اشتراكى منغلق يبدو رائعا فى تنبيه بالمرحلة المتأخرة من الاقتصاد السوفييتى . كتب تروتسكى فى سنة ١٩٣٠

« إن قوة الاقتصاد السوفييتى ترجع الى تأميم وسائل الانتاج وتوجيهها المخطط . أما نقطة الضعف فى الاقتصاد السوفييتى ، بصرف النظر عن التخلف الموروث من الماضى ، فترجع الى تخلفه الحاضر ، نتيجة لما حدث بعد أكتوبر ، ومعنى ذلك انه لايمكنه الافادة من موارد الاقتصاد العالمى ، لا على اسس اشتراكية ولاحتى على اساس رأسمالى ، سواء تمثلت هذه الموارد فى اعتمادات دولية عادية ، أم فى «التمويل» ذى الأهمية الحاسمة بالنسبة الى الأقطار المتخلفة . ان تناقضات الماضى الرأسمالى وماقبل الرأسمالى لايمكن أن تختفى من تلقاء نفسها ، بل انها تظهر بعد سنوات الانحدار والتدمير ، وتزداد شدة وحدّة كلما تطور الاقتصاد السوفييتى ؛ وللتغلب عليها او حتى تخفيفها يلزم اللجوء فى كل لحظة الى موارد الاقتصاد العالمى .

● مستقبل القطاع العام

لاشك أن أنصار الستالينية كانوا يعدون مثل هذا الكلام فى وقته كفرا . ولايمكن لعقل بشرى ، حتى فى وقتنا هذا ، ان يحكم اى السياستين كانت أصلح ، من وجهة النظر الاشتراكية ، طوال السنوات العشر التى سبقت الحرب العالمية الثانية . ولكن المهم ان كلا الرجلين ـ ستالين وتروتسكى ـ كانا يستضيئان بالنظرية الماركسية اللينينية لمعالجة مشكلات الحاضر . كانت هناك نظرة عالمية وكانت هناك فى الوقت نفسه معرفة صحيحة بالواقع المحلى ، ومواجهة

صريحة له . كان النشاط اليومي ـ والدعاية اليومية ـ يصدران عن فكر وفلسفة ، وكان الجدل ينظر الى خبرات الماضي كما ينظر الى مطالب الحاضر والمستقبل .

أخشى أن هذا هو مانفتقده نحن ، حين نناقش اليوم قضية مثل قضية القطاع العام . لم نبحث فى تاريخه : كيف نشأ ، وماذا كانت مصادره ؟ ماذا كانت علاقته بالجهاز التنفيذى ، قانونا وواقعا ؟ مادور « المؤسسات» ، ثم « الامانات الفنية ، ثم الهيئات العامة ، بالنسبة الى الجهاز التنفيذى من ناحية ، والى الشركات المنتجة من ناحية أخرى ؟ ماتأثير هذا كله فى الإنتاج ؟ من البديهى أن دراسة تاريخية وثائقية من هذا النوع ، **بعد أن سلخ القطاع العام مايقرب من ثلاثين سنة من العمر ، هى أولى الخطوات التى ينبغى القيام بها حين يطرح مستقبل هذا القطاع العام على مائدة البحث . ولاشك أن مواد هذه الدراسة موجودة فى الأدراج ، ولكنها تنتظر أن تجمع وتحلل** . . وقد لايكون اغفال مثل هذا العمل راجعا الى الكسل وحده . فهناك قدر من الشجاعة لازم لفتح الملفات القديمة ، وفيها مايسوء بعض الناس كشفه ، ولكنك لايمكنك أن تعالج المريض قبل أن تكتشف حقيقة مرضه ، وحقيقة المرض لاتتبين بدون معرفة تاريخ المرض..

ربما كنا فى حاجة الى قدر غير قليل من الشجاعة ايضا لنطرح على أنفسنا اسئلة من نوع اخر :: هل كانت ثمة فلسفة ما وراء هذا القطاع العام ؟ واذا كانت هذه الفلسفة قد وجدت ، فالى اى حد استجابت لمتطلبات الواقع ؟ والى اى حد كانت قادرة على الاستمرار ؟ والى اى حد كانت قادرة على التطور ؟ وما موقفنا اليوم من هذه الفلسفة ؟ هل نقبلها أو نرفضها أو نصححها ؟

إننا لانستطيع أن نتجنب هذه الاسئلة كلها احتماء بما نسميه اعتبارات عملية أو «برجماتية» او اقتداء بما نزعم انه .. يجرى الآن فى الشرق أو فى الغرب . **ويا ويلنا من هذه «الآن» ! فنحن نأخذ توجيهاتنا من آخر الأخبار التى تأتينا من الخارج . و « آخر» الاخبار تأتينا غالبا متأخرة ومنقوصة ـ ولهذا نسير دائما فى الذيل ، ونسير دائما متعثرين .**

و«آخر الأخبار» ان السيدة تاتشر ماضية فى تخصيص القطاع العام بهمة لاتعرف الكلل . وبما أننا لم نكن فى يوم من الأيام «اشتراكيين» صرحاء كالاتحاد السوفييتى أو الصين ، فنحن نجد مثل السيدة الحديدية أقرب الى اذواقنا . ومع ذلك فنحن لانملك الشجاعة لنقول مثل ماتقول ! ان مهمتنا ، منذ الساعة ، سوف تكون القضاء على الاشتراكية ! فالسيدة تاتشر مثل المستريجان ، ومثل الرفيق ستالين أو الرفيق تروتسكى أو الرفيق جورباتشوف ، لها فلسفة فى الاقتصاد والسياسة ، ولها شعب واع يمكنه أن يقبل هذه السياسة أو يرفضها ، ووراء الشعب والحكومة معا تقاليد ديمقراطية تلزم الفريق المهزوم ان يتقبل الهزيمة ويحاول أن يصلح من سياسته استعدادا للامتحان القادم .

والسيدة تاتشر تبدو الآن فى قمة مجدها . ولكننا قبل أن نتخذها قدوة فى الاقتصاد والسياسة ينبغى أن نقبل فلسفتها أولا . وفلسفتها فى رفض





الاشتراكية فلسفة فردية ترى هى نفسها أنها جزء من طبيعة الشعب الانجليزى . فهل هى جزء من طبيعة الشعب المصرى أيضا ؟ ثم يجب ان ننظر فى الظروف التاريخية الحضارية التى جعلت هذا الشعب يخرج عن «طبيعته» هذه ـ ان صح زعمها ويعطى صوته للعمال الذين ساروا فى سياسة التأميم خطوات كثيرة متوالية . ثم يجب الا ننسى تأثير النظام الاقتصادى العالمى وهو نظام رأسمالى يتمتع بكثير من اسباب القوة فى الوقت الحاضر ، ومايمكن ان يكسبه الاقتصاد الانجليزى أو يخسره اذا تخلى عن التأميم ودخل شريكا كاملا فى هذا النظام .

هذه كلها اسئلة يجب ان نضعها امامنا اذا اردنا ان نتعلم من درس تاتشر .

وانجلترا «المحافظة» تبدو لنا «حالة» نموذجية للديمقراطيات الغربية فى هذه اللحظة التاريخية بالذات ، مثلما كان يقال عن فرنسا حتى وقت قريب .

فالديمقراطيات الغربية ، كما يقول لصكى ، تتميز بأنها تجمع بين نقيضين : فالسلطة السياسية فى يد الطبقات الشعبية ، بينما السلطة الاقتصادية فى يد فئة صغيرة من الرأسماليين . لهذا يجرى العمل فى كل مايمس المجتمع على نوع من المصالحة بين هاتين القوتين ، وتحتاج سياسة كهذه ، من جميع المشاركين فيها ، الى مهارة عظيمة ، حتى تكون المخاطرة بنصف هزيمة ، أقل ضررا من نصر متعجل . وقد مرت السيدة تاتشر ، قرب نهاية وزارتها الأولى وفى بداية وزارتها الثانية ، بتجربة نموذجية تثبت صحة هذه النظرية :

فى سنة ١٩٨٢ نشبت حرب الفوكلاند بين المملكة المتحدة والأرجنتين . كانت الأرجنتين هى البادئة بالعدوان ، ولم تكن حكومتها العسكرية ، ذات السجل الأسود فى الارهاب الحكومى ، تحظى باحترام احد . ومع ان الأعمال الحربية التى قام بها أسطول المملكة المتحدة لم تكن دائما «نظيفة» ، بل كانت محل مساءلة فى مجلس العموم ، فان الشعب الانجليزى ، الذى لم يبق له من عظمة الامبراطورية البريطانية التى «لم تكن» تغرب عنها الشمس الا شبح الكومنولث الهزيل ، انتشى بهذه الكأس الصغيرة من خمرة النصر ، وأعاد تاتشر الى الحكم بأغلبية كبيرة .

فى هذه الظروف بالذات بدأ اضراب عمال مناجم الفحم . كان زعيم الاضراب نقابيا تعوزه الحصافة ، فلم يدرك المستر «سكارجيل» ان الوقت غير ملائم لفرض شروطه على الحكومة . ودام الاضراب حوالى العام ، حتى انهار بلا نظام كما يتبدد الجيش المنهزم . وتأكد نصر السيدة تاتشر فى الخارج بنصر فى الداخل .

لقد تضعضعت النقابات . وبدأت السيدة تاتشر تفكر فى تقليم اظافرها بسن قوانين عمالية جديدة أكثر صرامة . ولكنها ، فى الوقت نفسه اقبلت بجد على مشروعها الأكبر والأخطر : هدم

الاشتراكية ، وذلك بسحب قسم كبير من القاعدة العريضة التى يعتمد عليها حزب العمال .

● استقطاب الغنى والفقير

لقد كان من نبوءات ماركس التى لم تتحقق عتقاده بأن التطور الرأسمالى لابد ان يؤدى إلى استقطاب الغنى والفقير أى أن الأغنياء يزدادون غنى والفقـراء يزدادون فقرا ولكن الذى حدث كان شيئا مختلفا . لعل الأغنياء ازدادوا غنى بالفعل ، ولكن قسما كبيرا من الفقراء نالوا أيضا نصيبا من الغنى . ويمكن أن يقال فى تفسير ذلك إن النظام الرأسمالى أبدى مرونة غير منتظرة واستطاع أن يطور نفسه من نواح كثيرة ، ليس أقلها خطرا اجتذاب قسم كبير من الطبقة المتوسطة الى صفه ، باشراكها ـ ولو بنصيب محدود ـ فى مكاسبه . إن هذه الطبقة ـ وفئات كثيرة من الطبقة العمالية نفسها ، لا يقل خوفها من استبداد الطبقة العاملة ـ ممثلة فى النقابات وزعمائها ، أو فى «دكتاتورية البروليتاريا» الأشد ضراوة ـ عن خوفها من طغيان الرأسمالية .

هذا هو الرديف الضخم الذى تستطيع حكومة محافظة أن تعتمد عليه فى تدعيم سلطتها السياسية . وهكذا يمكن أن يختفى ـ ولو مؤقتا ـ التناقض الذى تحدث عنه لصكى بين السلطة السيـاسية والسلطة الاقتصادية . فهل يمكن أن ينتهى هذا الوضع إلى شكل جديد من أشكال الرأسمالية ، ذلك الذى يسميه بعض الكتاب «الرأسمالية الشعبية» ؟ هل انتهى دور حزب العمال فى السياسة البريطانية كما تزعم صحافة المحافظين ؟ وهل يعنى هذا انفراد المحافظين بالسلطة (ولو من خلال حزبين يتنافسان على الحكم بطريقة «ديمقراطية» ، كما هى



مرجريت تاتشر

الحال فى الولايات المتحدة الأمريكية) طوال المستقبل المنظور ؟ إنها مفاجأة طريفة ، على كل حال ، أن تنجح الأحزاب الرأسمالية فى دول أوربا الغربية فى تحقيق ما ظل الاشتراكيون الديمقراطيون يعملون لتحقيقه منذ نهاية الحرب العالمية الأولى : اعنى تصفية خصومهم ـ سياسيا ـ بهزيمتهم فى الانتخابات !

علينا أن ننتظر قبل أن نجيب عن هذه التساؤلات . فهذا حزب العمال يعيد النظر فى سياساته ، ويقرر أن يهتم بمطالب ميسورى الحال أيضا ، لا المعدمين فقط .

ونحن نتابع هذه التطورات لنكون على دراية بالقوى العالمية التى تحيط بنا . هذا مهم بدون شك ، ولكن الأهم هو أن نكون على دراية أكبر بظروف حضارتنا وتاريخنا وجهادنا القريب ، وأنا تكون لنا قيمنا التى نحاول تحقيقها محكومين بظروفنا الخاصة وبالأوضاع العالمية فى الوقت نفسه .

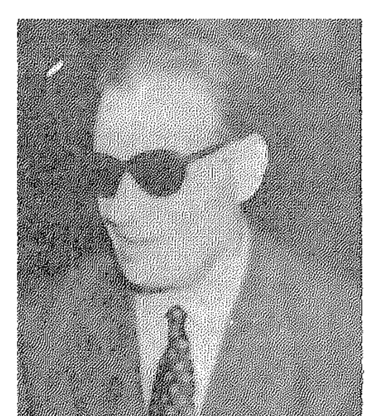
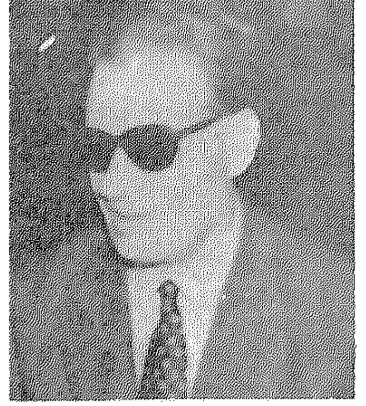
وإلى أن نعرف بالضبط ماذا نريد ، وكيف نصل إلى ما نريد ، ستظل أعمالنا ، مثل اقوالنا ، نابية عن السياق ، خارجة عن «المقام» !

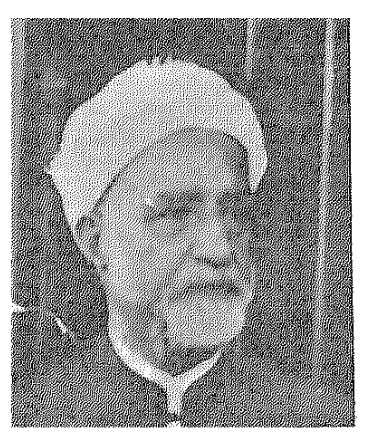
مستقبل الثقافة فى مصر
تفاؤل أم تحدّ..؟!

بقلم : د. عبد العظيم أنيس

لايستقيم الحديث عن كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » دون الحديث عن المناخ السياسى العام فى مصر عندما أملى طه حسين مادة هذا الكتاب وعندما نشره . ولقد عبر الصديق الدكتور فؤاد زكريا فى مقاله بالعدد الماضى من الهلال عن رأيه بأن حديث طه حسين فى هذا الكتاب كان حديث المتفائل الذى ينظر الى المستقبل بوصفه تفتحا لإمكانات لاحدود لها فليسمح لى د . فؤاد زكريا أن أخالفه الرأى ، وأن أقول ان طه حسين يبدو فى هذا الكتاب أقرب الى المفكر الذى يكتب وثيقة للتاريخ خوفا من أن ياتى المستقبل بما لاتشتهيه أنفس الأحرار ، وربما أقول الراديكاليين ، من أمثال طه حسين .

فالواضح من مقدمة الكتاب وآخره أن هذا الكتاب قد أملاه طه حسين مابين يوليو سنة ١٩٣٧ ، يوليو ١٩٣٨ ؛ وعندما بدأ فى املائه كانت وزارة الوفد على رأس السلطة مشغولة بصراع مرير مع القصر ممثلا فى الملك ومع الأزهر ممثلا فى الشيخ المراغى ومع أحزاب الأقلية ممثلة فى الأحرار الدستوريين ثم السعديين بعد ذلك الذين انشقوا عن حزب الوفد ، ومع جماعة الاسلام السياسى ممثلة فى الاخوان المسلمين ، لكن طه حسين انتهى من املاء الكتاب وقد طردت وزارة الوفد من الحكم فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ ، وعادت وزارة الاقليات السياسية بزعامة محمد محمود رئيس حزب الأحرار الدستوريين بانتخابات زائفة قاطعها الوفد ، وشنت على الوفد آنذاك أبشع حملة باسم الدين قادها الشيخ المراغى فى أحاديثه الدينية التى كان يحضرها الملك فى المساجد وشارك فيها بعض أصدقاء طه حسين القدامى من أمثال محمد حسين هيكل وعباس العقاد .



د . طه حسين


الشيخ المراغى


عباس العقاد

ولم يكن فى كل هذا مايدعو طه حسين الى التفاؤل وهو المفكر الذى كان يتعاطف مع الوفد ، حزب الجامعة الوطنية ، ولايتعاطف مع القصر ولا قيادات الأزهر أو جماعات الاسلام السياسى ، لعل النبرة الواضحة فى كتاب طه حسين هى أقرب إلى نبرة التحدى ، تلمسها حتى فى هذه الأبيات لأبى العلاء المعرى التى وضعها فى صدر الكتاب ، ومن الغمز الهين الموجه الى وزير المعارف ومن هجومه على سياسات الأزهر التعليمية وانتقاده لشيخه .

لقد أبرمت المعاهدة عام ١٩٣٦ مع بريطانيا ، وعاد الوفد الى الحكم بعد انتخابات حرة ، وأمن مؤقتا شر دار المعتمد البريطانى ، فأخذ يستعد لتقييد سلطة القصر ، ففى خطاب العرش للوزارة الجديدة أعلن النحاس باشا عزمه على تعيين وزير للقصر فى حكومته بحيث لايتصرف الملك فى شأن سياسى الا من خلال الوزارة ، وبحيث تستعيد الحكومة سلطتها فى الاشراف على الأزهر بما فى ذلك تعيين شيخه دون الملك ، ومن نية الحكومة فى توحيد القضاء وإلغاء الأوقاف الأهلية ، وبدأت وزارة الوفد تعد مشروعات قوانين جديدة من أهمها قانون بفرض عقوبات معينة على كل مخالفة لأحكام الدستور وانتهاك لها ، ومنها أيضا قانون انتخاب العمد انتخابا مباشرا فى القرى تحت اشراف رجال النيابة والقضاء .

وعندما طرح الشيخ المراغى فكرة تتويج الملك الجديد فاروق بالقلعة وأن يقلده هو سيف جده محمد على ثم يؤم الحاضرين للصلاة كإمام للمسلمين ، عارضت وزارة الوفد بشدة هذا الاقتراح ، واعتبر النحاس مثل هذا العمل بمثابة اقحام للسياسة فى شئون الدين ومحاولة لاحياء الخلافة وهو ماسعت له بريطانيا مع الملك فؤاد فى العشرينيات .

وكل هذا الصراع العنيف بين الوفد وحكومته من جانب وبين الملك والأزهر وأحزاب الأقلية والاخوان المسلمين من جانب آخر ، اتخذ مسارب غير شريفة فى كثير من الأحيان ، فالهجوم على الوفد تم باسم الدين وادعاء أن النحاس مطية

لمكرم عبيد والاقباط وشارك فى هذا الهجوم شخصيات كان من المفروض من واقع ماضيها أن تتنزه عن ذلك مثل عباس العقاد الذى كان يؤكد فى مقالاته أن مكرم عبيد هو المعارض الرئيسى لتتويج الملك دينيا ، ومثل محمد حسين هيكل الذى غمز فى خطابه بشبين الكوم الى نفس المعنى ، فضلا عن الشيخ المراغى الذى كان يتحدث أمام الملك فى أحاديثه الدينية عن « الثعالب الذين ركن الاسلام الى مودتهم وهم يدعون الى غير هذه المودة » ، وكان يقصد بذلك الأقباط .

أما الاخوان المسلمون فلم يكتفوا بالمشاركة النشيطة فى هذه الحملة المسعورة ضد الوفد ، واعلان أنهم رجال الملك فحسب ، وإنما طالبوا بوقف الدستور وحل الأحزاب وتقييد الصحافة باسم الاسلام ، وانتهى كل هذا الصراع بطرد حكومة الوفد فى ديسمبر سنة ١٩٣٧ وعودة وزارة محمد محمود .

● خروج طه حسين من الجامعة

لقد أخرج طه حسين من الجامعة عام ١٩٣٢ فى عهد وزارة صدقى ، ثم أعيد إليها عام ١٩٣٤ تحت ضغط جامعى وشعبى عارم ، ووقف الوفد الى جانب طه حسين فى محنته ، ومع أن طه حسين بدأ نشاطه السياسى فى العشرينيات فى ظلال حزب الأحرار الدستوريين ، حزب الفكر الليبرالى كما بدا له آنذاك ، فإن قضية العدوان على الجامعة بفصله ، والتجربة المريرة فى الصراع بين الوفد والملك فؤاد حول الدستور والحياة الديمقراطية قد أقنعت طه حسين فى نهاية الأمر بالتعاطف مع الوفد باعتباره حزب الجامعة الوطنية والدستور والديمقراطية ، ولم يتراجع عن هذا الموقف بعد ذلك أبدا .

وطه حسين لم يكن ليبراليا فقط كما قال د . فؤاد زكريا بحق ، وانما كان راديكاليا أيضا تؤرقه قضية الفقراء فى مصر وقضية تعليمهم ، ومن يراجع هذا الكتاب سيجد العديد من العبارات التى تؤكد هذا الموقف الثابت ، فهو يعلن فى الكتاب أنه من أشد الناس بغضا لنظام الطبقات فى مصر ، وهو يدعو الدولة أن تأخذ من القادرين أجر هذا التعليم وأن تحط ثقله عن العاجزين عن ادائه ، وهو يتساءل فى الكتاب ان كان الغنى يمنح الأثرياء حقوقا تحظر على غيرهم ، ويقول فى هذا السياق ان الغنى والفقر عرضان من أعراض الدنيا وأن الدفاع عن الوطن يشترك فيه الجميع وربما كان حظ الفقراء أعظم فى هذا الشرف ، وهو يقول فى كتابه محذرا « ان الخير كل الخير أن يفهم الأغنياء ودافعو الضرائب هذه الحقائق فى سهولة ويسر منذ الآن قبل أن يأتى يوم ثقيل بغيض تكرههم فيه الضرورة على فهمها اكراها ! » .

وهو يرفع صوته بأن الشعب المصرى هو صاحب الحق المطلق المقدس فى أن تشيع المساواة والعدل بين أبنائه جميعا .

هكذا تكلم طه حسين فى كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » والح على

مسئولية الدولة فى تعليم الفقراء ، ومسئوليتها فى أن تأخذ من الأغنياء لتعليم الفقراء ، فالتعليم ليس ترفا والادعاء بأن التكلفة المالية للتعليم فوق طاقة الدولة أمر لا يقنع طه حسين لأن التعليم عنده لايقل أهمية عن الدفاع الوطنى ! .

● نبرة التحدى

ليست النبرة الأساسية فى هذا الكتاب اذن هى نبرة التفاؤل ، وانما هى نبرة التحدى والدعوة الى النضال من أجل تعليم هذا الشعب ، فقرائه قبل أغنيائه ، وهو أمر مفهوم فى جو المناخ السياسى العام بمصر الذى أملى فيه طه حسين كتابه هذا ، وفى ضوء انحيازاته الاجتماعية التى لم يتخل عنها أبدا .

تلك هى الملاحظة الأولى ، أما الملاحظة الثانية فهى أنه ربما كان من الأنسب أن يسمى طه حسين هذا الكتاب « مستقبل التعليم فى مصر » ، فالموضوع الأساسى فيه هو موضوع التعليم وليس موضوع الثقافة بالمعنى الذى نفهمه من تلك الكلمة اليوم ، وان صلب الكتاب يتعلق بالتعليم العام والعالى ، واذا استثنينا الصفحات الأولى التى تتحدث عن « العقل المصرى » وكيف انه لايختلف عن العقل الأوربى ، وبالطبع فاننى اتحفظ على هذا الحديث عن العقل المصرى ... هل هناك حقا عقل مصرى يختلف عن العقل السورى أو العراقى أو اللبنانى ؟ واذا أخذنا أقوال طه حسين على علاتها فسوف نجد أنه يتحدث عن عقل واحد لمنطقة المشرق العربى كما نعرفها اليوم ، بمعنى الدول العربية المطلة على البحر الأبيض ويرى انها كلها قد تأثرت بطبيعة وضعها الجغرافى والتاريخى بالحضارة اليونانية والرومانية ربما قبل أن تتأثر أوربا ، هل يتحدث اذن طه حسين عن « عقل عربى » بهذا المعنى ؟ ربما ، كان من الصعب أن نتقبل اليوم مثل هذا الكلام حتى عن عقل عربى له خصائصه المتميزة ، اذ لو قبلنا هذا فماذا يمنع أن نتحدث عن عقل فارسى أو عقل تركى ... الخ ... وربما كان من الأسلم أن نتحدث عن ثقافة عربية أو ثقافة فارسية أو هندية ... وهذه الثقافات هى خلاصة ظروف تاريخية معينة وعصارة الاحتكاك بالثقافات الأخرى والتفاعل المتبادل بينها . ولو عاش طه حسين الى اليوم وزار طوكيو لما أحس بفارق اساسى بين العقل اليابانى والعقل الأمريكى فالاثنان ثمرة الأوضاع الرأسمالية المتقدمة فيهما ، بل ان مظاهر كثيرة للثقافة اليابانية التقليدية توشك على الاندثار بينما تزحف مظاهر الثقافة الأمريكية الى كل ركن من أركانها الايجابى منها والسلبى .

ويستشهد طه حسين ببول فاليرى عندما شخص العقل الأوربى فرده الى ثلاثة عناصر : حضارة اليونان ومافيها من أدب وفلسفة ، وحضارة الرومان ومافيها من سياسة وفقه ، والدين المسيحى ومافيه من دعوة الى الخير ، وحيث أن دول المشرق العربى قد تأثرت بحضارتى اليونان والرومان ، وحيث أن جوهر الاسلام والمسيحية واحد فان العقل المصرى ـ أو قل العقل العربى ـ لايتمايز

عن العقل الأوربي ، وانما هو عقل واحد تختلف عليه الظروف المتباينة ، فتؤثر فيه آثارا متباينة لكن جوهره واحد عند طه حسين .

ومن الواضح لى اننا عندما نتأمل هذا المنطق اليوم نجده منطقا متعسفا لاسباب كثيرة قد لايتسع المجال لشرحها هنا وربما أعود اليها فى مقال آخر ، وقد يكفى أن أقول اليوم اننى من اشد المتحفظين على مقولة « العقل العربى » أو العقل الفارسى ، أو العقل التركى ... الخ .

لكن السؤال الذى يهمنا هنا ونحن نعرض لكتابه هو : لماذا بدأ طه حسين كتابه بهذه المناقشة عن علاقة العقل المصرى بالعقل الأوربى فى كتاب موضوعه الأساسى هو التعليم ؟

إن طه حسين دعا الى العديد من الأفكار فى التعليم تشابه ماكان مطبقا فى فرنسا حتى وصل الأمر الى دعوته لتدريس اليونانية واللاتينية فى الثانوية العامة ! ويبدو أنه قد أقنع نفسه بأن تماثل العقلين يدعم من حجته فى هذا الميدان ، ولو قال طه حسين ان نمو العلاقات الرأسمالية (التى زحفت علينا من أوربا) قد فرض علينا التشبه بما حدث فى أوربا من ديمقراطية سياسية ودستور وحياة مدنية وتعليم جماهيرى ... الخ فربما كان منطقه أقوى من ذلك .

ولقد كان طه حسين على حق عندما أبرز فى كتابه أهمية توحيد المراحل الأولى من التعليم (التعليم الأولى والقسم الأول من الثانوى) فى دعم الوحدة الوطنية للشعب ، ولاشك فى أن طه حسين كان يدرك مغزى ماقاله نابليون من أن وحدة الشعب الفرنسى تتدعم من خلال الجيش والمدرسة ... وفى عهد طه حسين كان هناك التعليم الأولى والثانوى الأزهرى الذى لاتشرف عليه الدولة ، وكان هناك التعليم الأجنبى بجناحيه الدينى والمدنى ولاتشرف عليه الدولة ، وكان هناك التعليم المدنى الرسمى ... وكل هذه الأنواع من التعليم المتباينة تباينا شديداً من شأنها أن تخلق أنماطا من البشر يتفاوتون فى العقلية والقيم وشعور الانتماء والولاء للوطن ، ولهذا دعا الى أن تشرف الحكومة ممثلة فى وزارة المعارف على التعليم الأزهرى قبل العالى والى اخضاع التعليم الاجنبى لاشراف الدولة ، وتوحيد المناهج فى كل هذا خصوصا فيما يتعلق باللغة العربية والتاريخ القومى .

● الأزهر بيئة محافظة

وهو لايدعو بالطبع الى الغاء التعليم الدينى فى الأزهر وانما يريد أن يكون هناك مقدار من مناهج التعليم مشتركا بين جميع المصريين ومن الواجب أن يكون لوزارة المعارف كلمتها فى مناهجه وبرامجه .

أما مابعد هذه المرحلة للأزهر أن يذهب فيه مايشاء ... وطه حسين لايريد للأزهر أن يكون دولة داخل الدولة ، وسلطانا يطاول السلطان العام ، فالأزهر

بطبيعة تاريخه بيئة محافظة ـ كما يقول طه حسين ـ تمثل التفكير القديم ، فإذا تركنا صبيته للتعليم الأزهر الخالص عرضناهم أن يصاغوا صياغة قديمة تباعد بينهم وبين متطلبات الحياة الحديثة وجعلنا من العسير على الجيل الازهرى الحاضر اساغة الوطنية والقومية بمعناها الحديث . ألا يقول الشيخ المراغى ان محور القومية هو القبلة المطهرة !

ومن مفارقات أوضاعنا الحاضرة فى التعليم بعد انقضاء خمسين عاما على صدور كتاب طه حسين أن بعض القضايا التى الح على معالجتها فى كتابه تطرح علينا اليوم من جديد فيما يعرف باسم المدرسة التجريبية الرسمية للغات ، وأنا أشير الى مسألة تعليم اللغات الإجنبية فى المرحلة الابتدائية ومن يعلم اللغة الأجنبية فى مدارسنا : الأجانب أم المصريون ؟

إن د . طه حسين حاسم هنا ، فهو يعارض تعليم اللغة الاجنبية فى المرحلة الابتدائية ويقول ان هذا القسم من التعليم العام يجب أن يخلص للثقافة الوطنية اذا أردنا أن نخلص نفس الصبى لوطنه وأن تشتد الصلة بينه وبين هذا الوطن ، وهو ينادى بضرورة أن يتولى المصريون تعليم اللغة الأجنبية فى المرحلة الثانوية بعد أن يهيأوا لهذا العمل .

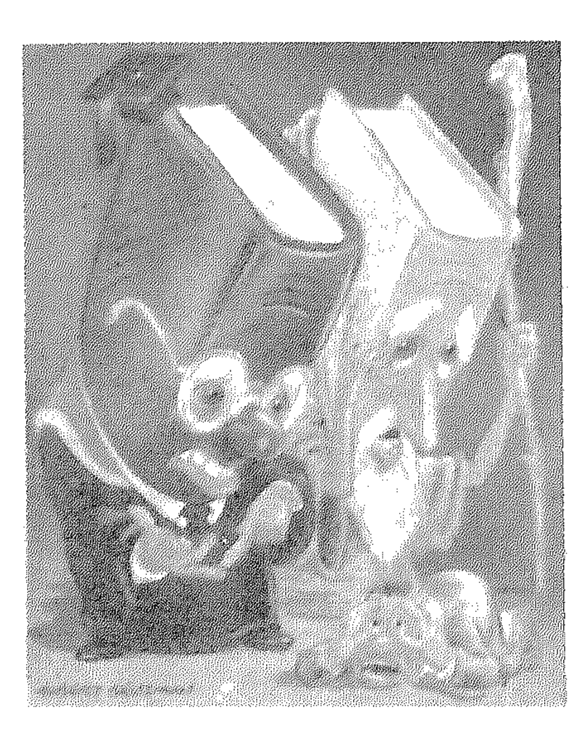
كما يثير طه حسين فى كتابه أوضاع المعلمين المالية ويتحدث عنها حديثا يذكرنا بأحوالهم اليوم وعن الحاجة الماسة الى رفع أجورهم اذا أردنا أن يؤدوا عملهم فى أمانة .

بقى أن أشير الى مقترحات طه حسين لاصلاح التعليم العالى وهى عديدة تبدأ من اصلاح احوال الثانوية العامة ورفع مستواها حتى تنتهى المقترحات الى ضم دار العلوم الى الجامعة واعداد المعلمين عن طريق كليتى الآداب والعلوم مع انشاء معهد للتربية تابع للجامعة يلحق به خريجو هاتين الكليتين .

كما يناقش فى كتابه الحاجة الماسة الى تناول تعليم اللغة العربية بالاصلاح والتيسير حتى تكون الكتابة تصويرا دقيقا للنطق ، وضرورة تيسير دروس النحو والصرف والبلاغة والتركيز على دراسة الأدب ، ومع أن طه حسين قاوم فكرة استخدام الحروف اللاتينية فى الكتابة العربية فإنه يعترف أن اللغة فى حاجة الى اصلاح كبير ويرد على اعتراضات الأزهر الدينية فى هذا الشأن .

والحقيقة أن كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » هو ثمرة فكر رجل تأثر تأثرا شديدا بالتوجهات الديمقراطية للحياة البورجوازية فى أوربا عموما وفرنسا خصوصا ، وهو ثمرة فكر رجل يحب وطنه بعمق ويعتز باستقلاليته الأكاديمية أشد الاعتزاز ، رجل يعادى الفكر المحافظ القديم مع ماله من خبرة طويلة مع الأزهر وفى ميدان التعليم لكنه ايضا مفكر ديمقراطى آمن برسالة تعليم الشعب بكل طبقاته ، واقتنع أن الحياة الدستورية دون تعليم هى نوع من الغفلة .

وهو أخيرا فكر رجل مناضل الى جانب الفقراء ، ومن هنا أشرقت فى هذا الكتاب راديكاليته وشجاعته التى لم يتخل عنها أبدا .



أسطورة الغزو الثقافي !

بقلم : د. أحمد أبو زيد

في مقال طريف تحت عنوان "الإمبريالية الثقافية" ظهر في عدد ١١ ديسمبر عام ١٩٨٧ بالملحق التعليمي لجريدة التايمز يشكو الكاتبان (ريتشارد براون وكريستوفر دانييلز) من أن مقرر التاريخ بالمدارس الثانوية ، وهو مقرر يفترض أنه يتناول التاريخ (البريطاني) من مدخل متعدد الثقافات ـ يدرس الموضوع من زاوية (انجليزية) بحتة ، سواء من حيث التوجه العام أو من حيث القيم . ويتساءل المؤلفان عن سبب ذلك الاتجاه الخاطيء ، وكيف يمكن معالجة الوضع بحيث يكون المدخل (بريطانيا) وليس (انجليزيا) ، وذلك على اعتبار أن الثقافة البريطانية تضم عددا من الثقافات الفرعية هي ثقافات انجلترا واسكتلندا وويلز وايرلنده ، أي أن الثقافة (الانجليزية) هي مجرد ثقافة فرعية واحدة ضمن ثقافات فرعية عديدة تؤلف في مجموعها الثقافة (البريطانية) .

● وحين يصف الكاتبان المدخل (الانجليزى) لدراسة موضوع (بريطانى) بأنه نوع من الامبريالية الثقافية فإنهما يأخذان فى الاعتبار بغير شك الجهود التى تبذلها القوى الاستعمارية لإحكام قبضتها على الشعوب المستضعفة التى تخضعها لسيطرتها السياسية وذلك عن طريق فرض السيطرة الثقافية التى تؤدى فى آخر الأمر إلى تحطيم وهدم وإلغاء التراث الثقافى لتلك الشعوب الذى يتمثل فى التاريخ واللغة والعادات والتقاليد وأسلوب الحياة ، وأن تستبدل به تراث الدولة الاستعمارية ذاتها . وما يحدث فى مقرر التاريخ البريطانى لا يخرج فى مجمله عن أن يكون عملية امبريالية ثقافية بكل معانى الكلمة ، إذ تخضع فيها ثقافات ويلز واسكتلنده وايرلنده ، متمثلة فى تاريخها للسيطرة الثقافية الانجليزية . وساعد على ذلك نظام التعليم نفسه الذى يعمل على إدخال قيم (غريبة) إلى تلك المجتمعات من خلال الكنيسة (الانجليكانية) واللغة (الانجليزية) التى تعتبر لغة دخيلة

بالنسبة لأهالى ويلز واسكتلندا وايرلنده ، وكذلك عن طريق "إحلال" و "زرع" عناصر انجليزية محل الصفوة المثقفة المحلية . بل إن الجامعات ذاتها والمعاهد العليا تعمل على تخريج مدرسين يجهلون كل شىء عن التاريخ البريطانى بإزاء التاريخ الانجليزى أى أنهم ينزعون التاريخ من أبعاده القومية الحقيقية التى لا يمكن بدونها فهم كثير من أحداث التاريخ فهما صحيحا .

ولقد كان الظن أن مصطلح الامبريالية الثقافية أو عبارة الغزو الثقافى وما إليهما من الألفاظ والمصطلحات الجديدة نسبيا ترتبط بالأوضاع الثقافية فى مجتمعات العالم الثالث التى تخضع لموجات عاتية من التأثيرات الثقافية التى تفد إليها من الخارج وبخاصة من الغرب ، والتى تعمل على تغيير الهوية الثقافية لشعوب تلك المجتمعات ، ولكن الظاهر - كما يبدو ومن المقال الذى أشرنا إليه - أن الفكرة ذاتها تستخدم فى نطاق أوسع بكثير من نطاق تعرض الثقافات الوطنية فى المجتمعات المختلفة والنامية لتيارات واتجاهات ثقافية أجنبية أكثر تقدما وتعقدا من تلك الثقافات الوطنية ، وأنها أصبحت تستخدم حيثما كانت هناك شبهة خضوع إحدى الثقافات لتأثير ووطأة ثقافة أخرى غريبة تتعمد تغيير معالمها أو القضاء على مقوماتها الأصلية أو إحلال ثقافة أخرى مكانها . بل إنها أصبحت تستخدم حتى فى الحالات التى تنتمى فيها كلتا الثقافتين المتصارعتين إلى مجتمع قومى واحد ، كما هو الحال فى نظرة ثقافات اسكتلنده وأيرلنده وويلز إلى الثقافة الإنجليزية ، مع أن هذه الثقافات الأربع توجد فى وطن واحد هو بريطانيا وتؤلف كلها ثقافة قومية واحدة هى الثقافة البريطانية .

● إبراز الهوية الثقافية

وظهور هذه المفاهيم والتصورات واستخدامها على مثل هذا النطاق الواسع يرتبط إلى حد كبير بنمو الشعور الوطنى أو أحيانا ازدياد الشعور بالقوميات الجزئية داخل الوطن الواحد أو المجتمع القومى الكبير ، وما يترتب على نمو هذا الشعور بالوطنية من الرغبة فى إبراز الهوية الثقافية المتميزة والتمسك بها ومقاومة التأثيرات الواحدة التى تعتبر شكلا من

أسطورة الغزو الثقافي !

أشكال (الغزو) الثقافي أو (الامبريالية) الثقافية ، ومحاولة التخلص بالتالي من (التبعية) الثقافية وتوفير أكبر قدر من (الأمن) الثقافي . وهذه كلها مصطلحات تستخدم بكثرة الآن في الكتابات التي تتعرض لدراسة ما كان يعرف حتى عهد قريب باسم ظاهرة الاحتكاك الثقافي ، بكل ما يحمله ذلك المصطلح من اتصال وتفاعل واستعارات وتأثيرات ثقافية . ولكن الإنصاف يقتضينا أن نعترف في الوقت ذاته بأن فكرة الغزو الثقافي بالمعنى المفهوم الآن ، كانت تبرز على استحياء في بعض الكتابات الأنثربولوجية منذ الثلاثينيات ، كما هو الحال مثلا في كتابة مونيكا هنتر عن "رد الفعل ضد الغزو" أو مقاومة الغزو ، وفيه تعرض بالدراسة والتحليل لظاهرة الغزو الثقافي الغربي كما يتمثل في ثقافة الرجل الأبيض في جنوب افريقيا ، وردود الفعل التي أحدثها ذلك الغزو في الثقافات الوطنية الأصلية ، وثمة ما يبرر في هذه حالة استخدام كلمة (الغزو) ومقاومة ك الغزو ، لأن الرجل الأبيض جاء بثقافته الغربية فاتحا وغازيا ومستعمرا ومستوطنا وعمل على إبادة قبائل وشعوب جنوب إفريقيا الأصليين وتدمير ثقافتهم وإزالتها تماما من الوجود . وكان من الطبيعي أن يواجه ذلك الغزو العسكري والسياسي والثقافي بكثير من المقاومة التي تمثلت ـ من الناحية الثقافية التي تهمنا هنا ـ في احياء التراث التقليدي القديم والتمسك به .

والاتصال بين الثقافات في العالم أمر واقع والتأثير بينها متبادل ولا يمكن الجدال فيه . وإذا كنا نقول دائما إن الثقافة لا توجد أبداً في فراغ وإنما هي ترتبط بكل النظم والأنساق السائدة في المجتمع فإنها في الوقت ذاته لا توجد أبداً بمعزل عن غيرها من الثقافات وإنما هي ـ بحكم وضع المجتمع الذي تنتمي اليه وعلاقاته بغيره من المجتمعات ـ تكون على اتصال دائم واحتكاك مستمر بثقافات تلك المجتمعات . وهذا يصدق حتى على المجتمعات البدائية التي كان الكثيرون يعتقدون أنها تعيش في عزلة ثقافية واجتماعية بعضها عن بعض إلى أن أثبتت الدراسات الميدانية التي أجريت بين عدد كبير من تلك القبائل عدم صحة هذا الاعتقاد . بل إن هذه الاتصالات والاحتكاكات الثقافية تعتبر من أهم العوامل التي تزيد من ثراء وغنى أي ثقافة محلية أو قومية وعنصرا هاما في تعميق تلك الثقافة وتوسع آفاقها إذا تمت هذه الاتصالات بطريقة طبيعية ولم يكن وراءها أهداف (إمبريالية) ترمي إلى تقويض أركانها والقضاء عليها تماما . فكأن التأثيرات والاتصالات الثقافية تضيف أبعادا جديدة وتفتح آفاقا واسعة ورحيبة قلما تتاح لأي ثقافة واحدة أن تحققها فيما لو أغلقت على نفسها وانعزلت عن الثقافات الأخرى ، وذلك على افتراض إمكان تحقيق مثل هذه العزلة وذلك الانغلاق ، وهو أمر غير ميسور في هذا العصر ، بل إنه لم يكن ميسورا في أي عصر من

العصور ولا فى أى مجتمع من المجتمعات ، مع التفاوت بطبيعة الحال فى مدى اتساع وشدة وكثافة هذه الاتصالات ، فليس ثمة شك فى أن وسائل الإعلام وأساليب الاتصال الحديثة تجعل كثيرا من أبواب الثقافة فى متناول الفرد العادى الآن ، بحيث يستطيع أن يتعرف جانبا كبيرا من الانجازات الفكرية والابداعات الأدبية والفنية والاتجاهات الأيديلولوجية فى كل أنحاء العالم ، ويخضع لتأثيرها المباشر بسهولة عن طريق الإذاعتين المسموعة والمرئية وغيرهما من الوسائل ، وهو أمر لم يكن فى الماضى غير البعيد حتى فى المجتمعات التى كانت تعتبر متقدمة بمقاييس تلك العصور .

● مصر وثقافات العالم

ولقد مرت على مصر فى عهودها القريبة فترات كان المجتمع المصرى فيها على اتصال وثيق بكثير من ثقافات العالم وعلى معرفة ودراية بأبعاد هذه الثقافات وأفكارها وفلسفاتها وآدابها وفنونها وأيديولوجياتها . وكان المثقفون وطالبو الثقافة فى مصر يشعرون أنهم جزء من تلك الحركات الفكرية والمدارس الأدبية والفنية العالمية . وقد شهدت مصر فى ذلك الحين مجيء عشرات من كبار أدباء ومفكرى وفنانى العالم حيث كانوا يلقون المحاضرات أو يعقدون الندوات ويلتقون بمثقفى مصر ومفكريها . بل إن بعضهم جاء للتدريس فى الجامعات المصرية فى ذلك الحين ، وقت أن كان يتولى أمر تلك الجامعات أساتذة مفكرون ومبدعون ومثقفون يعرفون معنى الثقافة الراقية ـ وهى غير التخصص ـ ويدركون قدرها . كذلك شهدت مصر ـ وشاهدت ـ فرق المسرح والأوبرا العالمية وفرق الموسيقى السيمفونية الكبرى وعرفت قادة هذه الفرق العظام الذين سجلوا أسماءهم المشرقة فى السجل الموسيقى العالمى . وقد شهدت مصر أيضا فى ذلك الحين عددا من المجلات الثقافية والفكرية التى كانت تعكس على صفحاتها تلاطم الأفكار وصراعها ، وعرفت مصر بذلك المذاهب الفلسفية والنظريات العلمية الحديثة التى يشكل البعض فيها الآن . ثم شهد المجتمع المصرى إلى جانب هذا كله حركة ترجمة قوية وواسعة ودقيقة وأمينة إلى اللغة العربية من مختلف اللغات ، وكان يقوم بها أساتذة مثقفون وعلى درجة عالية من الكفاءة والأمانة والدراية باللغات التى يترجمون عنها . والمعرفة بفروع التخصص التى يترجمون فيها ، وإتقان اللغة العربية التى يترجمون إليها . وكان ذلك عصر ازدهار للوسط الثقافى والحياة الثقافية نتغنى الآن به ونأسف ونأسى لاندثاره رغم أنه لم يمض عليه سوى بضع سنين .

وكان ذلك قبل أن يظهر فى أفقنا الثقافى ما نلمسه الآن من تخوف من العالم الخارجى ومن ثقافاته ، وقبل أن تطفو على السطح بعض الدعوات المريبة التى تدعو إلى الانطواء الثقافى على الذات ، بحجة أن التيارات والاتجاهات والمذاهب الثقافية والفكرية الأجنبية التى تفد على مصر تحمل فى ثناياها بذور السيطرة الثقافية الأجنبية على ثقافتنا القومية ، وأنها نوع من الغزو الثقافى المستتر ومظهر من مظاهر الإمبريالية

أسطورة الغزو الثقافي !

الثقافية التى قد تؤدى إلى ضياع معالم ومقومات الهوية الثقافية المصرية وتمحوها محوا .

والتخوف من ضياع أو فقدان الهوية الثقافية أمر مشروع بغير شك ، كما أن تمسك الثقافة القومية فى أى مجتمع من المجتمعات والدفاع عن ذاتيتها والمحافظة على عناصرها ومكوناتها الأصلية ، رغم اتصالها بغيرها من الثقافات والاستعارة من تلك الثقافات هى أيضا أمور طبيعية ومنطقية ومشروعة . فالهوية الثقافية جزء أساسى من الهوية القومية ، بل إنها تكاد تكون مرادفة لها .

ومن الإنصاف أن نعترف بأنه من حق الثقافة القومية التقليدية بوجه عام أن تتمسك بمقوماتها وأن تحافظ على خصائصها الذاتية إزاء الثقافات والمؤثرات الأجنبية . ومن الإنصاف أيضا أن نعترف بأنه من حق الفكر الأصيل الذى يسود فى اى مجتمع من المجتمعات أن يدافع عن كيانه وعن وجوده وان يتصدى بالنقد والمعارضة والتفنيد للفكر الوافد الجديد وان يبرز ما قد يكون به من زيف . بل إنه من الطبيعى أن يقف اى نظام من نظم الحكم موقف الحذر والشك والريبة من الأفكار والأيديولوجيات التى تتعارض مع فلسفته السياسية الخاصة ، وان يعمل على فضح تلك الأفكار والايديولوجيات وكشف ما قد يكون بها من عيوب ونقائص او ما تحتوى عليه من ميول ودعوات ومبادىء (هدامة) من وجهة نظر ذلك النظام . وهذه مسالة تتفق فيها كل الدول وكل الحكم بغير استثناء ، وإن كانت تختلف فيما بينها فى اسلوب المعارضة وطريقة المقاومة والرفض ، والمدى الذى تذهب إليه فى التصدى لتلك الآراء والأفكار والاتجاهات .

وبالمثل فإن من الطبيعى أن يدافع رجال الدين عن أصول عقائدهم وأن يقفوا فى وجه الفكر المعادى أو المناوىء للدين وأن يعملوا على تبيين ما قد يكون بذلك الفكر من تناقض وتهافت ، وهذا يصدق على جميع الأديان فى كل زمان ومكان . ولقد تعرضت الماركسية مثلا ، ولا تزال تتعرض حتى الآن لكثير من الحملات الضارية العنيفة من رجال الدين فى الغرب . بل إن بعض النظريات العلمية الحديثة التى تكاد تكون أمرا مسلما به لاتزال تلقى كثيرا من المعارضة والهجوم من بعض رجال الدين المسيحى فى الغرب مثلا لأن هذه النظريات لا تتفق تماما مع ما جاء به من الكتب المقدسة . وخير مثال لذلك هو موقف بعض الجماعات المتدينة فى أمريكا الآن من نظرية التطور التى قال بها داروين فى القرن الماضى . ولقد بدأت منذ عام ١٩٢٥ حركة المعارضة المنظمة لتدريس تلك النظريات فى المدارس الأمريكية فى بعض الولايات والمطالبة بتدريس نظرية الخلق كما وردت فى الكتاب المقدس بدلا منها . ووصل الأمر إلى عرض الخلاف على القضاء اكثر من مرة كان آخرها عام ١٩٨٢ على ما اذكر .

● التمسك بالبقاء

فليس ثمة جدال إذن فى حق القديم

والأصيل فى أن يعارض الجديد الوافد وأن يقاومه كنوع من الدفاع على الذات والتمسك بالبقاء والمحافظة على كيانه ووجوده ومقوماته ومكوناته .

ولكن ليس ثمة جدال أيضا - فى الوقت نفسه - فى حق الفكر الجديد فى أن يجد الفرصة أمامه كاملة للتعبير عن نفسه والإفصاح عن وجهة نظره والإبانة عن موقفه من الأشياء دون أن تفرض القيود عليه قبل مناقشته ودراسته . وليس من الطبيعى أن المنطقى فى شىء أن تؤدى الرغبة فى المحافظة على الهوية الثقافية إلى الخوف والاتياع من كل فكر جديد وإلى مصادرة كل التيارات الثقافية الأجنبية والنظر إليها نظرة الشك والارتياب على زعم أنها تحمل الخطر بين طياتها وأنها تهدد هذه الهوية الثقافية القومية وتدفع إلى ظلمات التخبط والضياع . كذلك فإن من الخطأ أن يستبد الخوف والهلع بالبعض ، أو يملك التطرف والتعصب وضيق الأفق أمر البعض الآخر بحيث يتشككون ليس فقط فى جدوى التيارات الثقافية الغربية وإنما أيضا فى نوايا أصحابها ومقاصد الداعين إليها ، وبدلا من أن يناقشوا الآراء والأفكار التى تحملها هذه التيارات والاتجاهات الجديدة مناقشة موضوعية هادئة يثيرون الشكوك حول أنصارها ويتهمونهم - دون سند أو دليل - بالخروج على القيم والتقاليد . وهذه نقطة خلاف جوهرية بين ما يحدث فى مجتمعات العالم الثالث بوجه عام وبين ما يحدث فى المجتمعات الأكثر رقيا وتقدما فى الغرب ، وهى مجتمعات تحترم حرية الرأى وحق التعبير عن الفكر ولكنها تخضع هذه الآراء فى الوقت ذاته - وكدليل وعلامة على احترامها واحترام أصحابها - للفحص والمناقشة والتحليل والنقد ، دون أن يخطر على بال مصادرة الرأى المخالف أو المعارض أو السخرية منه ومن أنصاره أو الانتقاص من أقدارهم او اتهامهم بالمروق والخروج على الدين والوطن والأخلاق والقيم كنوع من الضغط والإرهاب لخنق الفكر وقتله .

والغريب فى الأمر هو أن العوائق التى توضع بقصد الحد من انتشار الفكر كثيرا ما تبوء بالفشل وتخفق فى تحقيق أهدافها وكثيرا ما تؤدى إلى عكس ذلك تماما . فالفكر المصادر يجد فى العادة طريقه الى الناس بشكل أو باخر وكثيرا ما يصل إليهم فى صورة مشوهة أو منقوصة أو بها كثير من التحريف مما يزيد الأذى والضرر .

● اخطار العزلة الثقافية

ولسنا نقصد من ذلك أن تترك أمور الثقافة بغير ضابط أو رقيب . إنما المقصود هو التنبيه إلى أن مصادرة الرأى والفكر ، ووضع العقبات أمام الأفكار الجديدة الرائدة والاتجاهات الثقافية والفكرية المستحدثة أو الوافدة دون مناقشتها واختبارها لن تؤدى فى آخر الأمر إلا إلى العزلة الثقافية والتخلف عن متابعة ومعرفة ما يحدث فى العالم من حركات فكرية ومذاهب ومدارس واتجاهات ثقافية جديدة ، وأن خير رقيب على الفكر هو مناقشته وإظهار ما قد يكون به من عيب أو نقص . فالفكر والثقافة بوجه عام يزدادان ان عمقا وثراء عن طريق الاحتكاك والاستعارة واتساع دائرة الاتصال بالأفكار والثقافات الأخرى

أسطورة الغزو الثقافي !

والحوار الهادىء الرصين معها مما يتيح الفرصة للاختيار والانتقاء . والأخطار التى يتوهمها أنصار الانزواء والعزلة الثقافية أخطار متوهمة إلى حد كبير وتكمن فى عقول أصحابها وحدهم أكثر مما تكمن فى الثقافة الأجنبية ذاتها .

صحيح أن بعض مظاهر الثقافة الأجنبية وبعض أشكال النتاج الثقافى الأجنبى - أو ما يعرف باسم السلع الثقافية وهو تعبير ممجوج إلى حد كبير - قد يتعارض مع نسق القيم الدينية والاجتماعية والأخلاقية المتوارثة والمتأصلة فى المجتمع ، وصحيح أيضا أن هناك الكثيرين في المجتمع المصرى العربى بل والمجتمعات النامية بوجه عام على استعداد كامل يكاد يكون ميلا فطريا لتقبل كل ما يفد من الغرب من آراء وأفكار أو من قيم وأنماط للسلوك ، واعتناقها والدفاع عنها والاستماتة فى التمسك بها بغير تمحيص أو دراسة أو فهم . **وقد يكون السبب في ذلك هو الشعور الكامن بالتخلف العام أمام الغرب والرغبة فى التشبه به إن لم يكن فى الإمكان اللحاق به فى المجال الثقافى** . وربما كان هذا الشعور ناجما عن إدراك تفوق الغرب فى ميادين العلم والتكنولوجيا وفى الجوانب العسكرية والسياسية والاقتصادية والاعتقاد بأن ذلك يستتبع بالضرورة التفوق أو التقدم والرقى الثقافى ويحتم بالتالى تقبل حصاد الفكر الغربى وثقافته بغير مناقشته مثلما تتقبل نتاج البحث العلمى والتقدم التكنولوجى بغير مناقشة أيضا . ومكمن الخطر هنا هو أن هذا النوع من المنطق والتفكير قد يؤدى إلى تعطيل الملكات الابداعية والقدرات الفكرية مما يترتب عليه الخضوع للفكر الغربى وللقيم الثقافية الغربية والعمل بالتالى على محاكاة الغرب ليس فقط فى إنجازاته العلمية ومدارسه وإتجاهاته ومذاهبه الفلسفية والايديولوجية بل وأيضا فى أنماط سلوكه وقيمه الاجتماعية والأخلاقية . فكأن جانبا كبيرا من خطورة الثقافة الأجنبية الوافدة يرجع إلى نظرتنا نحن إلى هذه الثقافة واسلوب تعاملنا معها ، وبذلك نكون نحن المسئولين عن تلك التبعية الثقافية التى نقع فيها نتيجة لموقفنا من تلك الثقافات ونظرتنا إليها وانبهارنا بها . ولكن هذا لا يبرر مع ذلك الحجر على الفكر الأجنبى أو مصادرة الثقافة الوافدة لضمان تحقيق (الأمن الثقافى) . وهو مصطلح ظاهره الرحمة وباطنه من قبله العذاب ، لأنه يخفى وراءه رغبات أثيمة فى كتب الحريات الفكرية والقضاء عليها وخنق الفكر وتكبيل حق التعبير عن الراى .

● مواجهة التاثيرات السلبية

فالتصدى بالبحث والمناقشة هو الأسلوب السليم لمواجهة التيارات الفكرية والاتجاهات الثقافية الأجنبية الوافدة والتى قد يخشى البعض من تاثير السلبية على القيم الثقافية والاجتماعية والدينية الأصيلة ولن يتيسر ذلك بالاعداد الطويل الذى يتطلب بطبيعة الحال تعرف هذه الاتجاهات حتى يمكن التصدى لها ، إلى جانب توفر حصيلة وفيرة ، من المعلومات والمعارف والوعى والارسال العقلانى

بأمور المجتمع والتاريخ والتراث والواقع الثقافي المصرى فى أبعاده وأصوله الثلاثة الرئيسية وهى الأبعاد الفرعونية والقبطية والاسلامية العربية مع الاستعداد الذهنى لتقبل الجديد وتطوير هذا الواقع الثقافى حتى يتمشى مع التقدم العام فى بقية أنحاء العالم وبما لايتعارض بشكل صارخ مع التراث الثقافى والدينى والأخلاقى الطويل والعميق بحيث يمكن استيعاب تلك العناصر الثقافية لتصبح جزءا عضويا من ثقافتنا القومية .

فكأن المبدأ إذن هو حرية الفكر وحرية التعبير عنه وحرية التبادل الثقافى وحرية مناقشة المظاهر والاتجاهات الثقافية المختلفة والمتلاطمة والمتصارعة وحرية الاختيار والانتقاء من بين هذه الاتجاهات والتيارات . بل إن الاختيار أو الانتقاء هو بغير شك أحد خصائص وأبعاد هذه الحرية الثقافية . والانسان الحر هو الذى يكون له بالضرورة حق الاختيار والانتقاء من بين مختلف البدائل والامكانات ويمارس ذلك الحق بالفعل . ومثل هذا الاختيار يخضع بالضرورة - أو على الأصح يتم فى ضوء معايير ومحطات معينة فى إطار سياسة ثقافية واضحة ومحددة وإن لم تكن متزمتة أو ضيقة الأفق أو يشرف على وضعها وتنفيذها (رقباء) موظفون ضاقت آفاقهم وعقولهم وصدورهم عن أى فكر أو نشاط ثقافى يخالف مانشأوا هم أنفسهم عليه كأفراد .

ولكن من ناحية أخرى فإنه ليس ثمة مايبرز أبدا الاقتصار على الاتصال بثقافات الغرب أو الأخذ منها دون غيرها من الثقافات وإغفال بقية ثقافات العالم الكبرى التى يمكن أن تثرى واقعنا الثقافى وتفتح أمامنا مجالات من الفكر والابداع وأنماط الحياة لاتتوفر فى الثقافات الغربية التى طال اتصالنا بها والأخذ عنها والتأثر بها إلى درجة تدفع البعض عندنا إلى الظن بأننا وقعنا فريسة الامبريالية الثقافية الغربية . فهناك ثقافات الشرق الأقصى القديم والحديث ، كما أن هناك الثقافات الافريقية الكبرى الخصبة وثقافات أمريكا الجنوبية بكل آدابها وفنونها . وهى كلها ثقافات لانكاد نعرف عنها سوى القليل جدا . ومن الغريب أن الحركة الثقافية المزدهرة التى عاشتها مصر فى أوائل هذا القرن كانت تعطى لثقافات الشرق قدرا لاباس به من العناية والاهتمام ولكن ذلك توقف الآن . وسوف يساعد إحياء وبعث هذا الاهتمام على إثراء ثقافتنا القومية ولكنه سوف يحتاج على الجانب الآخر إلى تغيير النظرة الى عملية التنشئة الاجتماعية وإعادة النظر فى اسلوب وفلسفة وسياسة التعليم فى مصر وكذلك تغيير نظريتنا الى العالم . وسوف يحتاج هذا كله فى آخر الامر إلى تضافر جهود وزارة التعليم ووزارة الثقافة والجامعات . وهى جهود مضنية ولكنها خليقة بان تبذل من أجل الحفاظ على الهوية الثقافية الخاصة بمصر والانسان المصرى مع إثرائها وتعميقها عن طريق تنويع مصادر وميادين الاحتكاك الثقافى بالخارج . وبهذا وحده يمكن لنا أن نهدم تلك الاسطورة التى يرددها الكثيرون الآن والتى يخشونها أشد خشية - كما هو الحال لكثير من الأساطير - وهى أسطورة الغزو الثقافى .



■ المرأة فى الإسلام ■

منصور فهمي بين اتجاهين

بقلم : د. محمد رجب البيومي

كان الدكتور منصور فهمي ينشر مقالاته الأدبية فى الصحف والمجلات ، فتحدث أثرها القوى بما تتضمن من فكر نير ، وتعبير مشرق ، وخيال مُونق ، ولا أدرى لماذا لم يحرص على جمعها فى كتب متداولة ، كما فعل زملاؤه الكبار من أمثال طه حسين واحمد امين والمازنى والعقاد والبشرى ، حيث لم يترك غير مجموعة صغيرة ، أخذت عنوان (خطرات نفس) وقد اتيح لنا ان نسمع خطبته الرائعة بجمعية الشبان المسلمين ، وكلماته الرصينة بمجمع اللغة العربية ، لنتذوق اشهى مايقدمه المفكر الأديب من عطاء فياض ، كما اتيح لنا ان نسعد بمجالسته والاستمتاع بثمار خواطره فى سويعات حافلة هى من أشهر الذكريات ، إنى لأتساءل دهشا عن سر هذا الاهمال المتعمد حين يترك هذا المفكر المبدع خواطره تمضى فى طيات الصحف ، فلا يقرؤها التالون من أبناء العربية ، ولعل روح الفيلسوف قد طبعته بميسم الزهد الجانح عن المباهاة ، إذ انه رأى فى كل ماقدم من روائع ، مالا يراه الناس فحسبه قطرة فى محيط زاخر يمتد تياره من الأزل إلى الابد ، فى خضم الفكر الانسانى الرحيب ، ولو علم ان هذه القطرة الصافية قادرة على أن تبل الظما وتنقع الغليل ، ماتركنا اليوم نتلهف على مقالاته بالأهرام والسياسة والهلال والسفور ومجلة المجمع ومجلة الشبان ، كما نتلهف على حلم لذيذ طاف بالعين قليلا ونكص .

لقد طلبت مجلة الهلال أن أكتب عن الرجل الكبير فى اتجاهيه المختلفين شابا وكهلا ، ولابد لمن يلم بهذا المنحى أن يذكر طرفا من نشأته ، فيقرر أنه نشأ طالبا بمدرسة المنصورة الابتدائية ، ثم انتقل الى القاهرة طالبا باحدى المدارس الثانوية ، وانتقل الى مدرسة الحقوق حينا قصيرا ، حيث أعلنت الجامعة المصرية القديمة عن بعثة لدراسة الفلسفة بباريس ، فتقدم وامتحن وحاز السبق ، وسافر الى باريس ليقضى خمس سنوات عاملة غير لاهية ، يرجع بعدها وقد حمل رسالة الدكتوراه عن موضوع (مركز المرأة فى الاسلام) ليكون مدرسا لتاريخ المذاهب الفلسفية بالجامعة عدة أشهر فحسب ، ثم عصفت العاصفة ، فترك الجامعة مقهورا نادما حتى عاد اليها سنة ١٩٢٠ ، وذلك إجمال يتطلب بعض التفصيل .

● مركز المرأة فى الإسلام

إذا أردنا أن نتحدث اليوم عن مركز المرأة فى الإسلام ، فلدينا مئات المراجع الصحيحة عن المقررات الاسلامية كتبها الكبار من الفاقهين ، فأرسلت الضوء الكاشف ، وطوت ظلمات الإرجاف والادعاء ، وظهرت المرأة المسلمة فى أكمل ما يرجى لها من توفيق هانىء ، ولكن مانعرفه اليوم من مصادر البحث عن المرأة المسلمة لم يكن متيسرا حين نهض منصور فهمى بأداء مهمته العلمية ، إذ تكاثف الضباب الغائم حول مكانة المرأة عقب ماكتبه المرحوم قاسم أمين فى كتابيه الذائعين (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) وأقول تكاثف الضباب ، لأن بعض من تصدوا إلى معارضته قاسم أمين ، لم يفهموا ماجاء به الاسلام على وجهه الصحيح ، فدافعوا عن قيود مرهقة لايعرفها الاسلام فى شىء ، وانتشر ما قال هؤلاء بين الشبيبة المتطلعة للمعرفة ، فأحدث بلبلة طاغية ، ولو أتيح للشبيبة أن تقرأ ماكتبه المعارضون الفاقهون من أمثال محمد فريد وجدى وطنطاوى جوهرى ومحمد لطفى جمعة ، لاتضح وجه الحق من أقرب طريق ، وقد عاش الناشىء الصغير منصور فهمى فى خضم هذه المعارك ، ولم يستطع أن يقرأ كتابى قاسم أمين قراءة صحيحة ، لأن خصومه قد شهروا به فألصقوا به مالم يقل ، كما لم يقع فى متناوله كتاب ممتاز مثل كتاب (المرأة المسلمة) الذى خطه الباحث الموضوعى الأشهر العلامة محمد فريد وجدى فأجاد وأصاب ، ثم هو بعد ذلك تتلمذ على يد أستاذ ناوىء الاسلام مناوءة شديدة ، لاندرى أكانت عن جهل بتعاليمه أو عن غرض مقصود فى التجنى الآثم ، هذا الأستاذ هو « ليفى بريل » فكتب تحت اشرافه رسالة علمية موضوعها « حالة المرأة فى التقاليد الاسلامية وتطوراتها » وقد طبعت باللغة الفرنسية ، وذاعت بباريس ، ثم انتقلت الى القاهرة بعد تعيين الدكتور منصور فهمى مدرسا بالجامعة وتناقلت الصحف ماتضمنت من أخطاء فاحشة ، فرجفت الراجفة ، وكان الطرد والإبعاد .

● أخطاء الرسالة

لم يشأ الدكتور منصور فهمى أن يترجم رسالته الى العربية ، كما لم يشأ أن يرد على مهاجميه فى الصحف اليومية ،



فيعرف قراء اللغة العربية رأيه معزوا اليه بقلمه ، ولكن الذين نقلوا عن الرسالة خلاصتها الزائفة ، نقلوا أمرا منكرا ، وطعنا خطيرا ، سبق له الباحث الناشىء بتوجيه أستاذه المغرض ، فقد ترك الباحث نصوص القرآن وأحاديث الرسول ، وهما أعمدة الرأى فى تقرير مركز المرأة فى الاسلام الى الحديث الآثم الكاذب عن نبى الاسلام ، فهو لايخضع لقانون يلزم به الناس ، وينام ويؤدى الصلاة دون طهور ويستبيح من الشهوات مالا يقره لسواه » وكل ذلك افتيات صارخ ، ردده الآثمون فى أوربا ، دون أن يرجعوا إلى الحقيقة السافرة فى كتب المسلمين ، وثقافة منصور فهمى حينئذ لاتزيد فى مضمونها الاسلامى على ثقافة طالب يحمل الشهادة الثانوية فحسب ، وطبيعى أن مثله ممن لم يقرأ القرآن ، ولم يدرس تاريخ نبى الاسلام ، لا يستطيع أن يخلص من تأثير أساتذة كبار يحاطون بهالات التقديس ، ويظهرون الاخلاص العلمى للحقائق ، على حين يخفون المكيدة الآثمة لهذه الحقائق عدوانا وإثما ، فانساق الى أوهام باطلة ، سجلها فى رسالته ، وعاد إلى مصر فرحا بمرتبة الشرف التى نالها ، والباحث الناشىء لم يكن وصوليا فى انتهازالفرصة حين أرضى حقود مشرفه ، ولكنه كان جاهلا بالحقائق الاسلامية ، وقد تلقاها مشوهة كاذبة عن قوم مغرضين **فهو حين خط الرسالة لم يكن منافقا يظهر غير مايبطن ، ولكنه كان جاهلا لايعرف ابعاد مايكتب ، ونحن نقرر ذلك ، لنعرف أسباب توبته السريعة فيما بعد ، اذ اتضحت له الحقائق الخالصة دون زيف ، فاسرع اليها نادما مخلصا ، واسرع المخطىء الى تصحيح أخطائه محمدة مشكورة ، تدل على عظمة نفس ، وكم رأينا من المخطئين فى بحوثهم العلمية من يصرون على الخطأ تعاليا على الاعتراف به ، وهم من الحق بمكان بعيد .**

● توبة وإنابة

طرد الدكتور منصور فهمى من الجامعة ، ورأى نفسه فى الفضاء الفسيح دون أن ينتفع بجهوده ، وقد طلب منه أن يعلن خطأه ، فامتنع ، وهو فى اصراره المبدئى يعتقد أنه كتب ماكتب عن دراسة واعية ، ولكن مساجلات شفوية ، دارت بينه وبين كبار العلماء أقنعته أنه اعتمد على روايات كاذبة تذكر فى الحواشى خطأ ، كما الم بأن مايقال فى كتب المناقب ، منه الصائب والمخطىء ، وأن الحديث النبوى له مصطلح دقيق يعرف به الصحيح من الموضوعات ! وقد فاقت كثرة الموضوعات ماروى من الصحيح ، وعلى الدارس ان يرجع الى الصحاح من الأسانيد وأن يقف على جهود العلماء فى ايضاح المرسل والمتواتر والمتصل والمنقطع والمرفوع من كلام رسول الله حتى يعلم مايستشهد ، وما مكانه من الصحة والخطأ ، هذه المناقشات رفعت عن عين الدكتور منصور فهمى ستارا كثيفا فأخذ يبحث عن الحقيقة ، وكأنه فى صحراء مبهمة لايجد الطريق ، ومازال يبحث ويجد ، ولم تُجْدِه القراءة وحدها بل كان الاتصال بأئمة الاسلام مصباحه الوضىء .

● اعتراف مخلص

وإذا كان منصور فهمى قد اختلط

بالشباب الناهض فى الجامعة وفى جمعية الشبان المسلمين فقد حرص على أن ينقذهم من الشك ، وأن يبين فى محاضراته العامة بأن العلم الناقص شر من الجهل ، لأن الجاهل مستريح لغفلته ، لا يطرأ على ذهنه من الشكوك ما يقض مضجعه ، أما ذو العلم الناقص ، فلا يتفطن إلى نقصه ، ويظن موهوما أنه بلغ الكمال ، واذ ذاك يخوض فى بحوث لايرتفع الى مستواها ، فيتخبط فى مغالطات تهوى به ، ويضرب المثل بنفسه فى جزأة ، فيذكر كيف كانت معلوماته عن الاسلام ضئيلة لاتشفى ، فورطته فى أحكام ندّ بها عن الصواب ، وهذا الذى كرره للشباب فى مجالسه وندواته قد سجله فى الصحف صريحا واضحا دون جمجمة ، ولم يكن ممن ينكص عن الاعتراف بالخطأ ، وهو الفيلسوف البصير الذى يدرك حقائق العقل البشرى ويرصد تيار الفكر الانسانى ! كما يعلم أن الضعف فكريا وجسميا من خصائص الكائن الحى ، وليس بعيب أن تضعف ، ولكن العيب ألاّ تبحث عن القوة التى تبدد الضعف ، لتعود الى السلامة والاطمئنان .

نشر الدكتور منصور فهمى فى عدد ديسمبر سنة ١٩٥٨ من مجلة « حياتك » حديثا رائعا قال فيه قبل أن ينتقل الى رحمة الله بعام : « **كانت رسالتى فى الدكتوراه عن المرأة فى الاسلام ، واندفعت أكتب بحرارة الشباب المندفع ، ويظهر أنى انحرفت قليلا ، حيث كانت معلوماتى عن الاسلام طفيفة ، وحين قوبلت فى مصر بضجة كبرى ازددت عنادا ، ولكن الله كتب لى أن أجلس طويلا مع بعض مشايخ العلماء ، من ذوى الأفق الواسع ، والصدر الرحيب** ، من أمثال الشيخ حسونه النووى والشيخ مصطفى عبدالرازق والشيخ على سرور الزنكلونى ، وهؤلاء يمثلون رجل الدين الحقيقى ، فى عقولهم وعلومهم ، فبدأت أتخلص من الزيغ لأعود الى حظيرة الدين » .

ثم يفصل الدكتور منصور فهمى الطريقة التى شرح الله بها صدره للحق ، فيقول فى موضع آخر ، نقلا عن مجلة « لواء الاسلام » عدد شوال سنة ١٣٧٨ هـ مانصه :

« لقيت المرحوم الشيخ الأكبر حسونه النووى ، حين زرته فى منزله ، فوجدت شيخا وقورا يملأ القلب بمهابته وتقواه ، وكنت أسمع الكثير عن شجاعته وهمته ، واستهانته بشئون الدنيا ، فلما قدمت اليه ، قال لى : أأنت الذى يقال عنك انك ملحد ؟ ! فقلت : نعم ياMولاى ، فربت على كتفى ، وقال لى : اقرأ القرآن ، واقرأ البخارى ، ان لم تكن قرأتهما ، فوعدت الشيخ الوقور بذلك ، ولما خرجت استحييت ألا أفى بعهدى ، فعكفت على قراءة البخارى ، وعجبت لغفلتى الأولى ، اذ وجدت حكما ونظما ، وأخذت أقارن ذلك بما درست من الفلسفة ، فوجدت ماجاء به محمد أعلى من كل فلسفة ، وأن الالهام الصادق يبدو فى كل حديث ، فلم أجد إلا أن أقول : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله » .



● أصداء متباينة

لو شاء الله لجعل الناس أمة واحدة ، ولكن لايزالون يختلفون ، فإن اعتراف الدكتور منصور فهمى بأخطائه العلمية ، لم يصادف ارتياحا لدى فريقين متباينين ، فريق مستغرب يندد بالرجل ويقول انه

منصور فهمي

يتزلف للعامة حرصا على منصب جامعي ، وفريق متشدد يقول انه يتوب ليجد التصفيق المتواصل ، وأذكر أن الدكتور زكي مبارك نشر بجريدة المساء حوارا باريسيا دار بين الأستاذ محمود عزمي وفريق من جلسائه رمي فيه منصور بالجبن لأنه نكل عن آرائه السابقة ، فرد الدكتور زكي مبارك محتدا ، لو كان الدكتور منصور جبانا لأعلن اسلامه يوم كانت مصالحه تتوقف على كلمة واحدة يرضى بها رؤساء الجامعة المصرية ، ولكنه اليوم وقد اطمأن على مركزه ومستقبله لايحتاج الى مصانعة ما .

وماقاله زكي مبارك حق لاشبهة فيه ، لأن الندوات الاسلامية التي شهدت وقفات الدكتور منصور فهمي الاسلامية ، تنطق بحماسيته الشديدة ، وغيرته الاسلامية المخلصة ، كانت جمعية الشبان المسلمين تحتفل سنويا بعيدي الهجرة النبوية والميلاد المحمدي ، وكان أعلام الخطابة الدينية من أمثال عبدالوهاب النجار وأحمد ابراهيم وعلى سرور الزنكلوني وعبدربه مفتاح ومحمود أبوالعيون ومحمد الههياوي وعبدالله عفيفي يتداولون على المنصة فيرسلون آياتهم الرائعة في صدق خالب ، ولكن الجمهور كان ينتظر كلمة الدكتور منصور فهمي في شوق ، لأنه ينفرد بطابع خاص في الاتجاه التعليلي ، طابع يمزج الدين بالفلسفة بالتاريخ ، أذكر انه في مناسبة من مناسبات الهجرة الشريفة ، عقد موازنة بين جمهورية افلاطون ، وتعاليم محمد ، فقال فيما قال : إن افلاطون قد دعا إلى عالم خيالي في السماء لا حقيقة له ، أما محمد صلى الله عليه وسلم فقد نقل السماء الى الأرض حين أرسل بمبادىء الطهارة الخلقية ، والمساواة البشرية ، والتراحم الانساني فاستطاع ان يوجد امة حقيقة تنفذ أرقى المبادىء ، وتذعن لأسمى القوانين ، وتحقق قول الله عز وجل : « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله » وانتقل الى موازنات دقيقة حول ماجاء بجمهورية افلاطون ومانصت عليه من فوارق محتومة بين الطبقات ، وما نادى به القرآن من المساواة العادلة حين جعل الفضل في التقوى وحدها ، وهي في طوق كل انسان ، اذ لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى ، ورعاية مقدسات الأخلاق ، وقد بهر السامعون بما ساقه الخطيب الفيلسوف لأنه كان لحنا جديدا متميز الايقاع ! .

● يرد على نفسه

أخذت مقالات الدكتور منصور فهمي تتوالى بالمجلات العلمية وفيها خواطر كثيرة عن المرأة الشرقية ، والتبرج الغربي ، والاحتشام الخليق بكرامة الأنثى ، وفي عهده بكلية الأداب حين كان عميدا لها ، أصر على أن تخصص للفتيات أماكن خاصة بحيث لايزحمهن الطلاب ، ثم رأى أن يلخص آراءه الاصلاحية في محاضرة عامة القاها تحت عنوان (نساؤنا بين التقاليد والتجديد) ونشرها بمجلة الرسالة في العددين (٤٠٥) ، (٤٠٦) إبريل سنة ١٩٤١ ، قال فيها عن دعوة

قاسم أمين ، ان من حقه أن نذكر أنه كان ينشد صورة للمرأة العاملة الجادة ، الشريفة الكريمة ، وليست صورة المستهترة العابثة فى مهازل العيش وترهات المجتمع ، وان الاختلاط الذى كان يدعو اليه بين المرأة والرجل إنما هو ذلك الاختلاط البرىء من مثيرات المفاسد ، وتدعو اليه مقتضيات الحياة النزيهة المثمرة ، وأن ماكان ينادى به قاسم من الحرية ، إنما هى الحرية التى تعين على الخير ، وليست تلك التى تدعو إلى الشر والإثم » .

ثم أسهب فى تصوير ماطرأ على المجتمع من إباحية يرفضها قاسم أمين ، فذكر أن الناس قد توسعوا اليوم فى تحريك الانفعالات التافهة والشهوات الوضيعة ، فقد يزدحم النساء والرجال فى مجتمع من مجتمعات الشاى أو الخمر ، فيتحول الى معارض للتزيين والأناقة ، وإلى مضمار للتلفظ بالأقوال الرخيصة وبذل التظرف المصنوع ، واتخاذ الابتسامات المنافقة ، وإذا ذكرنا مجامع الشاى وحفلات الخمور ، فلنضف ، اليها ماهو أسوأ منها أثرا من منتديات الميسر والرقص وحمامات السباحة حيث النظرات المسمومة ، والأحاديث المهيئة لنزغات الشيطان ومايجره ذلك من هدم لسعادة الأسر .

ثم أفاض فى معنى الحرية التى اسيء فهمها مستشهدا بمفاسد الرومان والفرنجة ، والاختلاط المنحرف ، محبذا تقاليد الاسلام فى العفة والطهارة ، والحرص على مجالس الصون والعفاف ، وقد استأنس بأقوال الأستاذ محمد فريد وجدى التى نشرها فى كتاب (المرأة المسلمة) ردا على ماذكره قاسم أمين من رقى المرأة الأوربية ، وتأييد منصور للتقاليد الاسلامية دمغ صريح لأخطاء الرسالة الفرنسية ، ونزوح من شاطىء إلى شاطىء فى صدق وبرهان .

● صوفية نبيلة

إن السنوات الأخيرة التى أدركت فيها جانبا شخصيا من حياة الفيلسوف الكبير دفعتنى الى الاعجاب به ، وتذكر مواقفه المؤمنة ، كنت أصلى المغرب منفردا بمسجد جمعية الشبان المسلمين ذات مساء ، فأحسست انسانا يصلى خلفى مؤتما بى ، فاطمأننت كثيرا لأصلى صلاة الامام ، وحين ختمت الصلاة أدهشنى أن يكون المأموم ، استاذنا الأكبر منصور فهمى ، فأبديت حيرتى الكبيرة ، ولحظ الرجل الكبير مشاعرى المتسائلة ، فربت على كتفى فى لطف ، وقال فى مودة : الشاب أولى بالإمامة من الشيخ ، لأن الشاب لم يسود من الصفحات ماسوده أبوه وجده ، فقلت : وأى شاب يبلغ مبلغ استاذ الجيل ! فابتسم ، وأخذنا نتحدث عن شئون دينية حتى قدمت العشاء ! فيالها من أمسية !

وفى كتاب (خطرات نفس) موضوع رائع تحت عنوان (أنت أنت الله) يصلح أن يكون نشيدا للمؤمن المنيب ، وقد كان السلف من آبائنا يقرأون أوراد الشاذلى والبكرى والنابلسى كنمط من الأدب الصوفى الرفيع ، وفى رأيى أن ورد (أنت أنت الله) يفوق ماكتبه هؤلاء ، فهل نجعله وردا للصباح أو المساء .

جولة المعارض

إنهم يواجهون الحصار بطوفان من الإبداع !

الفنانون من عالم الطفولة .. إلى عالم الحب

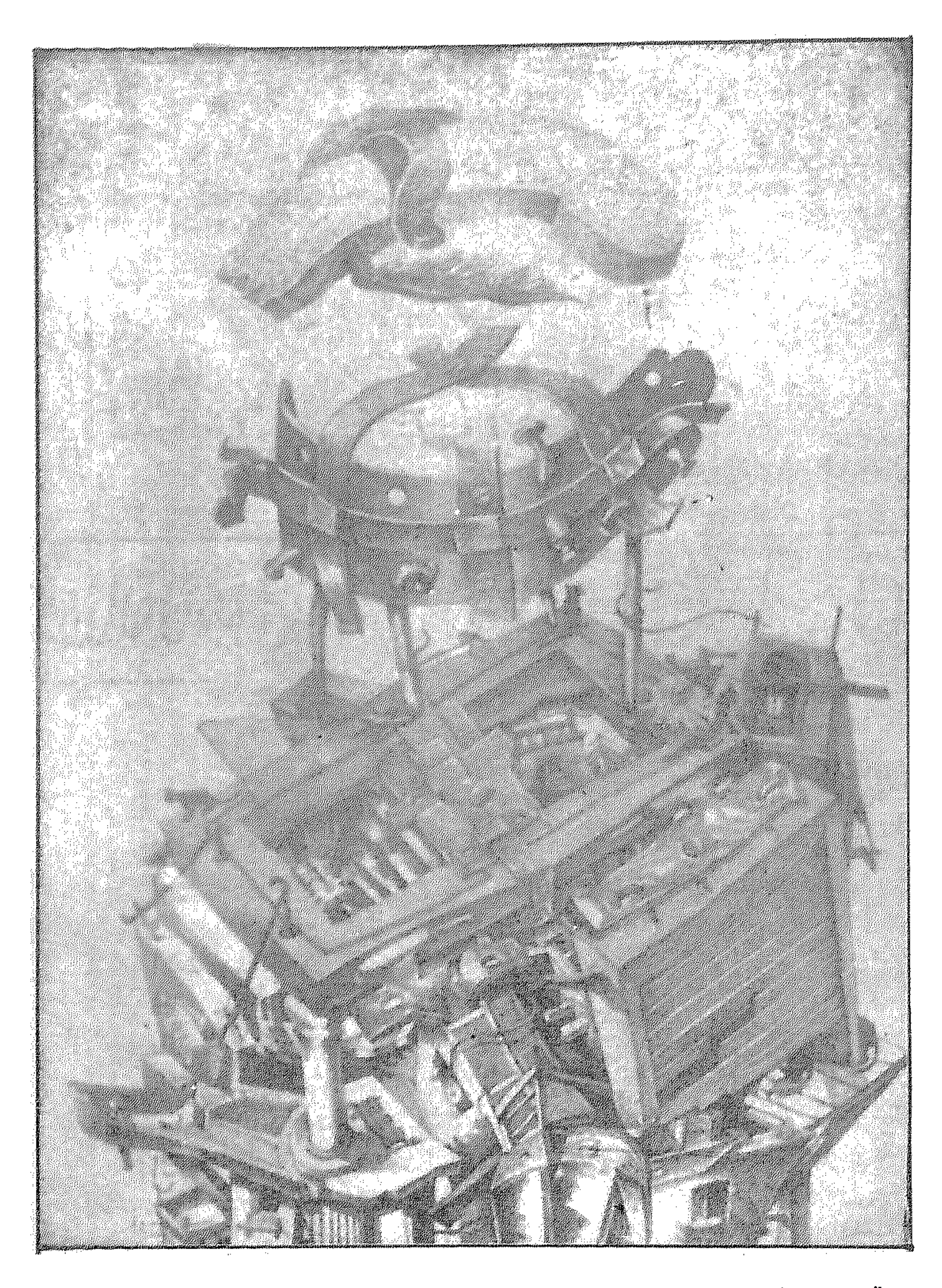
بقلم : عز الدين نجيب

هذه ذروة اشتعال الموسم التشكيلى بالمعارض والمتابع المسكين يركض لاهثا من افتتاح معرض الى افتتاح معرض آخر بين الزمالك والجزيرة وكريم الدولة (اتلييه القاهرة) دون هداة لالتقاط الانفاس ، اما الجمهور العادى، بل حتى المثقفين، فلا شأن لهم بكل هذا .. انه فقط شأن خاص بالفنانين وذويهم !

تنوعت المعارض خلال الشهرين الماضيين ، بين معارض جماعيه وفردية ، محليه ودولية ، قام المركز القومى للفنون التشكيلية بتنظيم الجانب الاكبر منها

● افتتح فى يناير المعرض العام السنوى بقاعة النيل ، وضم ٦٠٠ عمل فنى لـ ٣٠٠ فنان على الاقل ، وهو لا يختلف كثيرا عن المعرض العام السابق من حيث المستوى وان كان الفنانون قد حرصوا هذه المرة على تقديم أحدث انتاجهم وأفضله كما شهد وجودا اكبر للفنانين الشباب لكن وجودهم العددى لا يوازيه وجود مؤثر بالجدة والاصالة .. الا فيما ندر !

واقيم فى يناير ايضا - بمجمع



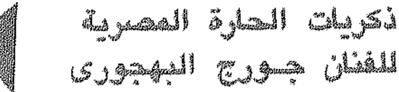
عالـم من الخـــردة
للفنان السيد القماش ..

جولة المعارض

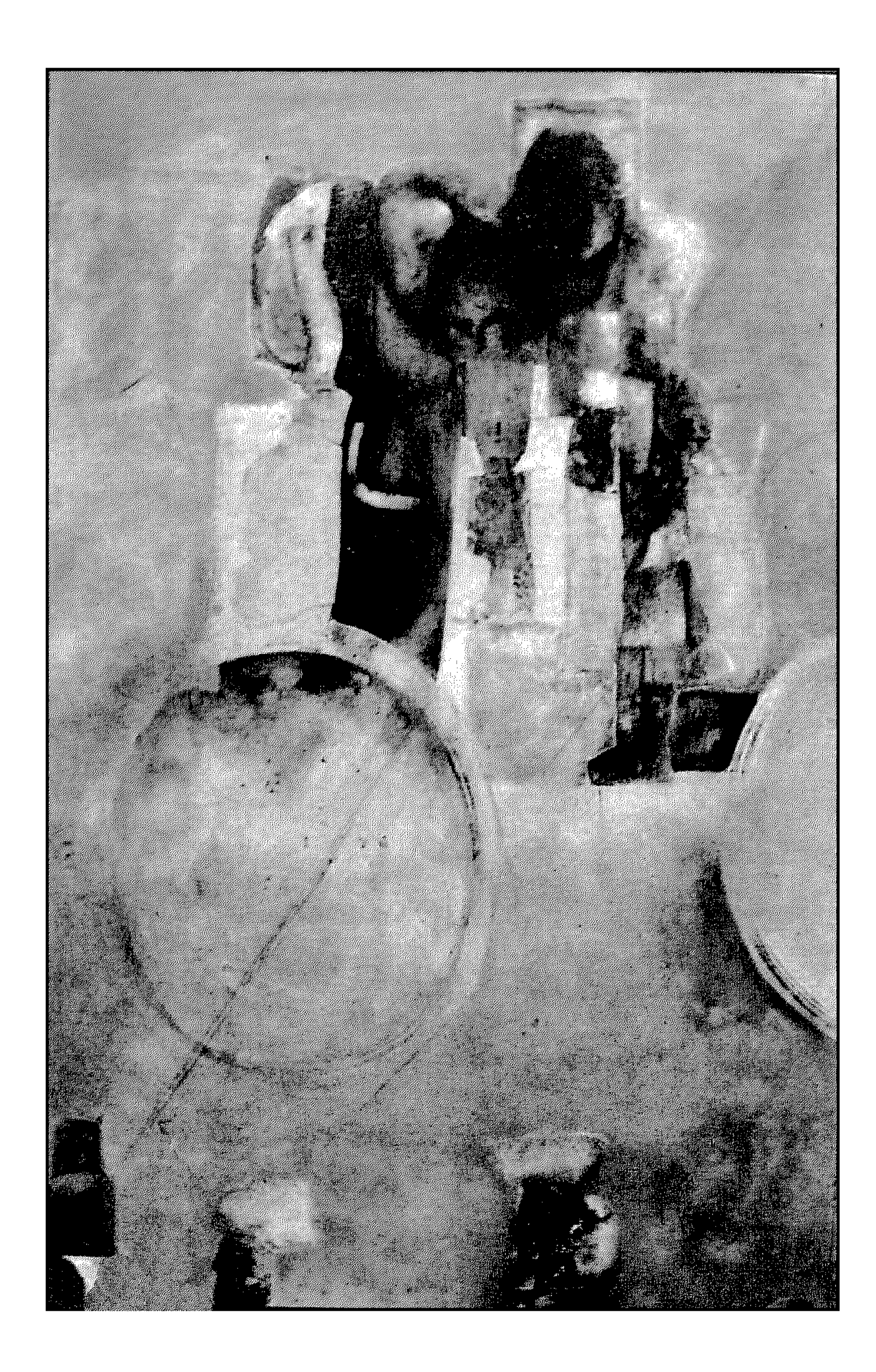
الفنون بالزمالك بقاعاته الثلاث معرض الفن الالماني المعاصر من مقاطعة بافاريا ، وضم ٩٦ فنانا فى مجالات التشكيل المختلفة ، وشمل اتجاهات فنية على مساحة عريضة من التنوع والتباين ، بدءا من « مافوق الواقعية» حتى « التشكيل الانى » ، فقد قام أحد الفنانين باستكمال لوحته بعجائن معينة امام الجمهور فى حفل الافتتاح • والمعرض فى مجمله تعبير صادق عن مسار ثقافى وحضارى لمجتمع أوربى رأسمالى فى أواخر القرن العشرين •

وشاهدنا بقاعة اخناتون (١) بالزمالك معرض النحت الانجليزى المعاصر فى الاربعين عاما الماضية ، بدءا من رائد المدرسة الحديثة هنرى مور (الذى ولد ١٨٩٨) وانتهاء ب جافن اسكوبى (الذى ولد ١٩٤٠) •• مرورا بميشيل (١٩١٢)وشادويك (١٩١٤) وادامز (١٩١٧) وتورنيل (١٩٢٢) ودالوود (١٩٢٤) وكارو (١٩٢٤) ••• وهى المدرسة التى تعد الاضافة الابداعية لانجلترا فى مسيرة الفن المعاصر ، وقد تركت بصماتها على ابداع النحت العالمى ، والنحت المصرى أيضا منذ جمال السجينى حتى اليوم ، وتسعى هذه المدرسة باختلاف روافدها الى خلاصة ما يسمى ب « الشكل النقى » المستلهم من عناصر الطبيعة فى معظم الاحيان ، بعيدا عن محاكاتها او تمثيلها ، حتى تصل الى الاشكال المجردة تماما ، لكنها لا تتخلى عن احترام القيم الاساسية لطبيعة النحت ، وهى العلاقة الديناميكية بين الكتلة والفراغ والابعاد الثلاثة ، مع التركيز على عنصر الحركة الداخلية •

ومع افتتاح معرض الكتاب الدولى الـ ١٨ بمدينة نصر فى ٢٦ يناير ، نظم المركز القومى للفنون التشكيلية معرضا ذا مستوى جيد لحوالى ثلاثين فنانا مصريا من مختلف الاجيال والمدارس ، ليشارك فى هذه التظاهرة الثقافية الجماهيرية ، تلبية لمطلب ملح وسط الفنانين والمثقفين على السواء ، ينادى بانتقال الفن الى الجماهير فى مواقع تجمعاتها وليس العكس •• لكن المؤسف انه تحول الى معرض سرى •• لقد استغرق منى البحث عن مكانه قرابة ساعة ، ولم يستطع ان يرشدنى اليه حتى المشرفون علىمعرض الكتاب الا بعد أن هدنى التعب ، فقد اختير له مكان معزول تماما عن سرايات المعرض (فوق مقر رئيس هيئة الكتاب شخصيا) ، دون لافتة خاصة به ، أو إشارة مطبوعة او مذاعة الى وجوده فى الاذاعة الداخلية التى لا تتوقف طوال النهار عن الاعلان عن الانشطة المقامة يوميا •• حتى الرقص الشعبى •• وعندما نجحت فى الوصول الى بغيتى وجدت القاعة مظلمة ، وعلمت أن التيار الكهربائى مفصول عنها منذ إنتهاء الافتتاح تخفيفا للاحمال حتى لا ينقطع النور عن مكتب رئيس الهيئة ! •• وساهم التلفزيون فى التعتيم على المعرض المنبوذ بتجاهل الاشارة



ذكريات الحارة المصرية
للفنان جورج البهجورى



جولــة المعــارض

اليه من خلال البرنامج اليومى الـذى خصص لتغطية نشاطات معـــــرض الكتاب ، حتى ان فقرات هذا البرنامج كانت تسجل يوميا بداخله دون ذكـــر كلمة واحدة عنه ، فى الوقت الـــذى تبدو اطراف من بعض لوحـــاته فى خلفية ضـــيوف البـــرنامج .. ماذا يعنى ذلك ؟ .. اهو جهل ؟ .. ام بصيرة عمياء امـــام الفن ؟ .. ام خطة للاجهاز على هذا العدو المحاصر؟

على كل : هنيئا للتليفزيون وهيئــة الكتاب بانتصارهما على زنـــــوج الحركة الثقافية .. اعنى الفنـــانين التشكيليين !!

... ونعود الى جولة المعارض .

حفلت قاعات العرض الرســـمية والاهلية خلال الاســـابيع الماضـــية بمجموعة من المعارض تتميز بالجـــدة وروح الشباب وان تفاوتت الاعمار ، بدءا من الفنان المخضرم جـــــورج البهجورى ، الذى حضر من باريس ـ حيث يقيم ـ ليقدم معرضــــــه فى التصوير الزيتى بقاعة مشربية ، الى الفنان الشاب فتحى عفيفى ، الـــذى يعـــد هـــذا معرضه الثانى باتيليــه القاهرة ، مرورا بالفنان الشـــــاب السيد القماش ، وكان معرضه ، بقاعة العلاقـــات الثقافيـــة للدبلوماسـيين بالزمالك ، والفنـــــان عبد المحسن الطوخى ، وكان معرضه باتيليـــــه القاهرة ، وقد مضى على اخر معرض له خمسة عشر عاما ، ضـــاعت فى رحلة الوظيفة والغربة الاضطرارية.. واخيرا الفنان الشاب وافر الانتـــاج والطموح : رضا عبد السلام ، بقاعة اخناتون (٢) .

البهجورى .. واسترداد الطفولة

أجاب معرض البهجورى على العديد من الاسئلة التى تدور فى اذهـان من عرفوه منذ الستينيات ، كعاشـــق لحوارى مصر واطفالهـــا ، ومحتضن لهموم ابنائها .. ماذا فعلت به سنون الغربة الطويلة فى صقيع أوربا ؟ .. أجابت اللوحات ـ كما أجابت لوحات معرضه السابق بنفس المكان منـــذ عامين ـ بان حنينه الى عالمه القـــديم لم يفتر ، وان انتماءه الى الـــوطن يزداد عمقا ، بل ان نفس شخوصه ـ وبخاصة الاطفال ـ يفرضون وجودهم على اللوحات ، بشيخوختهم المبكـرة ، حتى ولو كانوا يلعبون بالدراجـات . وعيونهم القبطية الواسعة ، وسمرتهم المحروقة .

أما الجديد : فنجده فى كثـــــافة طبقات التراث على ملابسه واشكاله ، حتى لتبدو اقرب الى الاثار المتاكلة ، ونجده أيضا فى غياب « الموضــــوع » عن اللوحات ، وتركيز الاهتمـــــام على « الاشكال » ، سواء كانت بشرا او ادوات او مساحات مجـــــردة ، والدخول بها فى حواريات غنائيــــــة (وليست تراجيدية كما كان الحال فى الماضى) ـ مع الفضـــــاء الابيض الناصع الذى تسبح فيـــه بـلا ارض محددة تقف عليها ... ونرى الجديد أخيرا فى ميل البهجورى الى التسطيح والتجريد ، بدلا من التجسيد والتحديد

لقد تراجعت ملامح الواقع المباشر ، واختفى الزمن ، واصبحنا نحلـق فى عالم مطلق سرمدى باعث على التأمل والاكتشاف ، وان ظل مغلفا بمســـحة من الحزن القـــديم ، الذى يرشح فى

نفوسنا حنينا الى الماضى ، وشوقا لاسترداد طفولتنا المستلبة ‥ حتى ولو كانت اليمة ‥

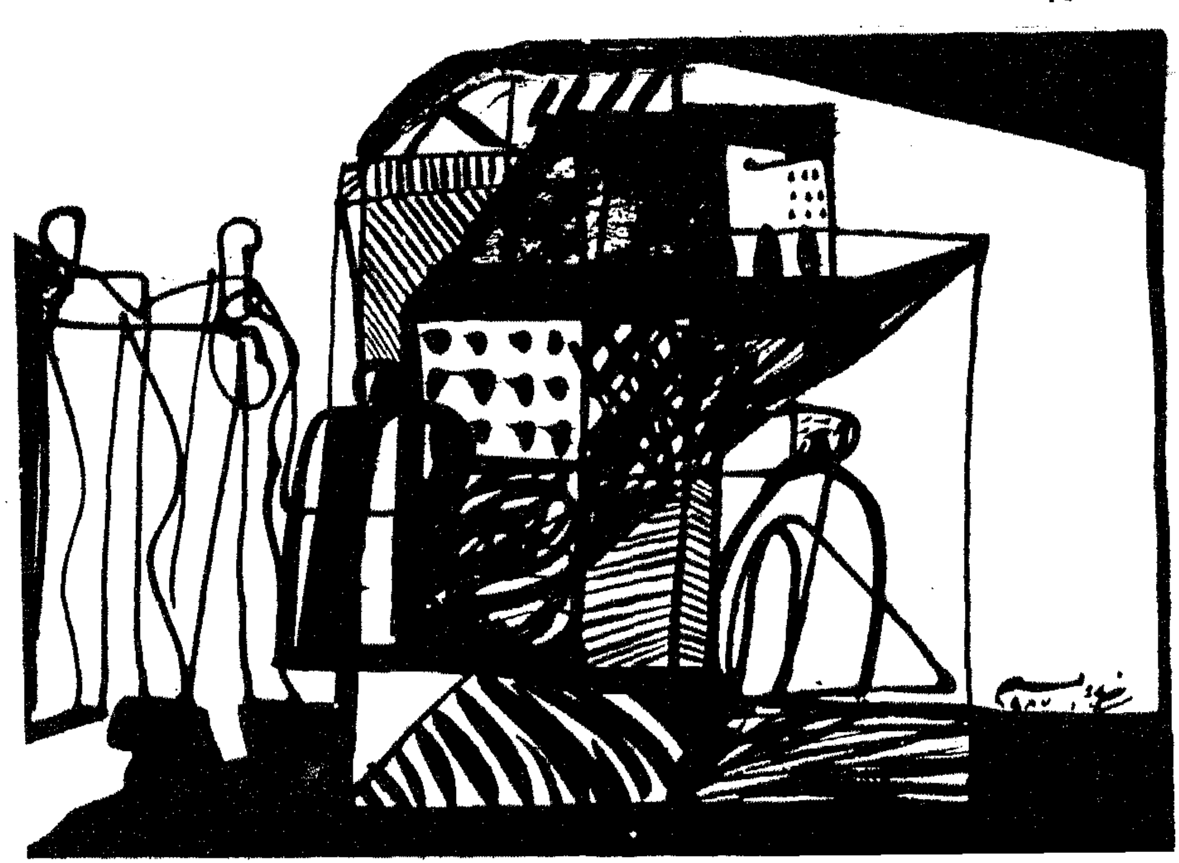
وبالرغم من مظاهر التجديد التى بدت فى اعماله ، يظل البهجورى فنانا واقعيا ملتزما ، اذا قيس بطوفان الشطحات الغريبة للفن الباريسى ، التى يعايشها منذ خمسة عشر عاما ·

القماش ‥ وعالم من الخردة

فى لوحات الرسم بالحبر الشينى للسيد القماش ، الذى يفضل استخدام هذه الخامة الفقيرة منذ أول معرض له (١٩٨٦) ، نرى محاولة اخرى لاسترداد طفولته ، وهى هنا ذكريات غريبة لا يشاركه فيها فنان اخر : فهى ترتبط بمصنع والده للمفصلات والادوات الحديدية ، حيث شب وسط اكوام منها ومن مخلفاتها ، وتعامل معها كأنها لعب وعرائس حينا ، او وهى تتشكل فى كائنات مهولة مسيطرة وحشية حينا اخر ‥ من هنا فهى ذكرى كابوسية فى أغلب الاحيان ·

وبعيدا عن « موضوع » اللوحات ، وعن « المثير البصرى » لرؤية الفنان ، فاننا امام رسام جياش الشعور ، يملك عالما تعبيريا ودراميا ورؤية تشكيلية متميزة ، تقوم على إعادة تشكيل النفايات الحديدية فى بناء معمارى يتخذ طابع الطوطم السحرى او العالم السريالى ، ربما يذكرنا — مع الفارق الشكلى والموضوعى — بأعمال نحات الخردة صلاح عبد الكريم لكن بدلا مما نجده فى اعمال عبد الكريم من شحنة مغناطيسية تجتذب اليها الاف الصواميل والمسامير والتروس الحديدية الى الداخل ، لتتماسك فى كتلة ثابتة بلا فراغات او هواء ، تختزن بداخلها — بدلا من الهواء — عوامل التحفز للهجوم ، فاننا نجد فى اعمال « القماش » انفجارات داخل اكوام الحديد الخردة، فتنطلق متناثرة الى اعلى ، وقد

الحرب .. للفنان رضا عبدالسلام ..



جولة المعارض

انصهرت وتلوت وهى تعـــوى وتئن ، حتى تتجمع بعض إجزائها فى الفضاء مكونة كائنـــــات وحشية مشـرئبة كالمرعب ، فى شكل حيوان أو ســمكة أو مخلوقات شريطية أو فردة قبقـاب أسطورية !

والقماش ·· وان كان اقـرب الى السرياليين والرومانسيين ، فان أعماله قابلة للتأويل الى معان رمزية تتصـل بالانسان والعصر ، وان كان يصـــر على العزف على الة واحدة هى سـن الحبر الاسود ، مع إسـتخدام لبعض درجات لونية باهتة فى الخلفيـــة ـ كصدى لالات بعيدة ـ (ويمكن الاستغناء عنها دون ان تفقد اللوحة شيئـــا فى الحقيقة !) فانه قادر على أن يستولى علينا بانغامه المجياشة ، بما يوازى أوركسترا كاملا ، يتمثـــل فى ثراء عناصره الخطية وتوالدها المطرد ·

فتحى عفيفى ·· لوحات بالعامية المصرية

مثلما يفتقر ادبنا الى ادباء ينبعون من داخل الطبقات العاملة ليعبروا عنها من داخلها لا من خارجها ، يفتقـــر

من وراء الجدران .. زيت على ورق .. للفنان فتحى عفيفى





من وحى جنوب سيناء . زيت على قماش للفنان عبدالمحسن الطوخى

فننا التشكيلى أيضا الى فنان مارس بيديه العمل اليدوى داخل المصنع ، ولا اعنى ان شرط الصدق هو الممارسة المباشرة فى الواقع فحسب ، بل اعنى أن معايشة العامل الحقيقى لواقعه واكتنازه لجوهر التجربة هى معبره الى الصدق ، فى الوقت الذى يكابد الفنان المثقف فى محاولة للنفاذ الى التجربة وامتلاك الصدق .

والفنان فتحى عفيفى (٣٨ سنة) ـ المولود بحى طولون بالسيدة زينب ـ نموذج ساطع لعامل مصرى بمصنع الحديد والصلب بحلوان، ممتلىء بالموهبة والحساسية والقدرة على استيعاب الجديد ، ففى خلال عامين فقط ـ بين معرضه الاول والثانى ـ تجد قفزة جريئة فى اعماله ، وتفهما للغة الشكل وبلاغتها ، لكن بعفوية اصيلة تجعله ينتمى الى سلالة الرسامين الشعبيين على واجهات البيوت فى مناسبات الحج والزواج وغيرها ، وان استطاع بعصاميته ودأبه فى الدراسة بالقسم الحر بكلية الفنون الجميلة ان يكتسب خبرات المدارس الحديثة فى الفن ويصوغ من خلالها عالمه المضمخ بعبق الحارة المصرية القديمة وحياة العمال والبسطاء من ابناء الشعب ، متخلصا من أغلب ما يقع فيه الهواة

جولة المعارض

عادة من مزالق ومغريات ، على رأسها محاولة تسجيل مظاهر الواقع المباشرة والمبالغات الميلودرامية والرمزية السانجة ، كما تعكس لوحاته درجة معقولة من الوعى الفكرى والاجتماعى .

هكذا يوظف بذكاء الاشكال الخاصة للحياة المتوارثة فى الحارة المصرية ، بيوتها ومقاهيها ونسيج علاقاتها الاجتماعية المتشابك ، ولهجتها العامية التى تشعر انه يصوغ بها زحام الجدران والبشر والنوافذ الحديدية المشغولة والشرفات (الارابيسكية) المتداعية والغسيل المتطاير فوق السطوح والمراجيح الطائرة والمقاهى المكتظة بأولاد البلد واحتفالات المهرجين والقرزان والابطال الشعبيين الذين يرفعون مقعدا غليظا بأسنانهم الى اعلى ... الخ . لكنه مع هذه القدرة على التقاط ما فوق السطح بلماحية المصور الباحث عن « علاقات الاشكال » بين فوضى الزحام ، بلغة تصويرية مفعمة بالحركة والحيوية ، فانه قادر كذلك على النفاذ الى ماوراء الظاهر ، بعين طفل تواق للاكتشاف .. ولا شك انه يحمل من الوعود اكثر مما اعطاه حتى الان .

الطوخى .. والعودة الى الينابيع

عندما كان عبد المحسن الطوخى فى بداياته الفنية بعد تخرجه فى كلية الفنون الجميلة بالقاهرة ١٩٦٦ قدملنا أعمالا مليئة بالحس الفطرى النقى ، الحميم الصلة بعالم القرية المصرية ، ذلك انه ابن لهذه القرية متشبع بها حتى النخاع . لكنه عندما ابتلعته الوظيفة بالثقافة الجماهيرية حيث كرس لها وقته وطاقته ، ثم تقاذفته بعدها رياح الظروف الصعبة فى بحار الغربة سنوات طوال خارج الوطن فقد الطريق الى فنه الحقيقى ، لانه فقد الطريق الى نفسه ، والى ينابيعه الاولى .. قريته .

ويعود بعد غياب طويل ، فيجعل من عمله الوظيفى طريقا الى ينابيعه ، فيشرف على اعداد رحلات للفنانين التشكيليين الى مواقع عديدة تحتوى كنوز مصر الحضارية المطمورة فى عمق الصحراوات شرقا وغربا ، من سيناء الى الوادى الجديد بواحاته الخارجة والداخلة ، الى مطروح وسيوة - وامتلأت اباره الناضبة بالمياه ، وبقدر ما اعطى لزملائه الفنانين فرصا ما كانوا ليحصلوا بتحقيقها منفردين ، بقدر ما اخذ وارتوى وتشبع بفيض الروح المصرية فى هذه المناطق . وشيئا فشيئا أخذ يفرزها على مهل فى اعمال تنوعت بين النحت فى الخشب والرسم على القماش ، متراوحا بين التسجيل للطابع البيئى وبين استكشاف ملامح الشخصية المجردة لهذه البيئة وانسانها الاصيل .

ولعل منحوتاته الخشبية اقرب الى تنويعات وترية على الربابة ، تتنوع بين انكماش الانسان فى سرور بالوحدة ، وبين حمل الماء فى الجرار البيضاوية رمزا للحياة .. ويبدو الطابع الفرعونى غالبا على هذه المنحوتات الساكنة الرشيقة . اما فى اللوحات الزيتية فنجد مجال الرؤية اكثر رحابة والخطوط والالوان اكثر حيوية وحركة وان

افتقرت الى كثافة اللون والملمس . وهو سواء فى النحت أو التصوير زاهد فى التفاصيل ، نافد الصبر على صقل أعماله ، حتى تبدو ناقصة فى بعض الاحيان ، لكنها مغموسة فى الصدق والرهافة والاخلاص .

لقد استعدنا فنانا واعدا بالاصالة ، فى زمن لا يعيد الا الغث ، ولا يعد بشىء جيد أو أصيل .. فمرحبا !

رضا عبد السلام .. وعالم الحرب

بالرغم من أن الفنان المصور رضا عبد السلام (٤١ سنة) من اكثر الفنانين الشباب فى مصر اهتماما بالشكل والتجريب المستمر دون تقيد بقواعد مسبقة ، فانه من اكثرهم ايضا اهتماما بالموضوع فى لوحاته ، فهو يعايش نبض مجتمعه وعصره ، لا ينغمس فى قضاياه بل يحلق فوق العواصف ووسط الامطار كطائر رشيق سريع القفزات والانقضاض والطيران ، محتضنا قوس قزح .

وفى معرضه الاخير بقاعة اخناتون (٢) يطلع علينا بموضوع رئيسى هو الحرب ، وهو لا يقدم لنا فعل الحرب أو نتائجها الوخيمة من ضحايا ودمار، بل يقدم لنا ، حالة نفسية لجو الحرب. انك تشعر بالحصار والاحزان تلف المدينة وتلتف حولك ، يهاجمك اللون الاحمر صارخا وسط المساحات السوداء المتراكمة مثل كتل الليل فوق كل اللوحات ، تتداخل الاشكال والمساحات والالوان بشكل أقرب الى التجريد ، تحتاج دائما لوقفة لالتقاط الانفاس بين لوحة وأخرى بالرغم من تشابهها .. النور قليل وسط الظلمة المخيمة ، الاشخاص فى زحام ملحمى بين كر وفر ، تبدو كأشباح طائرة ، وبرغم كثرتها فهى ضئيلة وسط زلزال الاجرام والالوان .

ان السمة العامة للمعرض هى التعبيرية التجريدية ، لكن تعبيريته سجينة لاطار اللوحة الصغيرة المحدودة التى لم تخلق لها موهبة رضا ، بقدر ما خلقت للانطلاق على مسطحات هائلة الحجم بعيدا عن قاعات المعارض التقليدية ، كما أشار الفنان عصمت داوستاشى فى تقييمه للمعرض ، ولعل اثر معايشته فى العام الماضى للحياة فى سويسرا لعدة شهور ، حيث رسم هناك عددا من لوحات هذا المعرض ـ يبدو واضحا فى هذه التجربة ، وان كنت أرى أنها استمرار للفكر التشكيلى لديه فى المراحل السابقة ، حتى ما كان منها مرتبطا بالاحتفالات والموالد الشعبية .

وكما يسجن عالمه فى مساحات ضيقة ، كذلك يسجن أثمن ما وهب من قدرة .. وهى الرسم ، فيعمد الى طمس حدود الاشكال وملامحها ، مستجيبا لقوة عنيفة بداخله لا تخلو من الفوضى.

هذا التمرد الدائم للفنان على معطيات واقعه المنظومة والساكنة ، واستنفاره السريع لمنازلة كل جديد فى العالم التشكيلى بجديد مثله ، هى عوامل ايجابية تحتاجها الحياة الابداعية فى مصر ، التى تجمدت عند قاموس لغوى لكل فنان يخشى أن يتخطاه حتى لا يتوه أو تهتز صورته .

لكن التجديد يجب ان يكون ولادة طبيعية للتفاعل بين خبرات الذات ورؤى الفكر ومكتسبات العصر وتراث الامة ، عبر مخيلة متفتحة للفنان .. وأخشى أن يكون الفنان رضا وكأنه فى سباق مع نفسه ، مما لا يتيح الفرصة لعملية التفاعل كى تصل الى مداها وتفرز خلاصة الجديد والاصيل بداخله .

رياح التغيير في تونس

الزيتونة

جامع وجامعة

بقلم: مصطفى نبيل

تهب على تونس من جديد رياح التغيير .

وكانت إشارة البدء مجموعة القرارات التى اتخذتها القيادة الجديدة ، ومن أبرزها قرار إعادة الاعتبار لجامع الزيتونة ..

ويبدو أن هذه القرارات تعنى قراءة جديدة لمسار التجربة التونسية ، فعلى اثرها ، أخذت تبرز أفكار وتتوارى أخرى ، ويحتدم الحوار حول شروط النهضة ، ودور المؤسسات التقليدية فى عالم اليوم .

وهى ذات القضايا التى شغلت القادة والمفكرين العرب فى أكثر من قطر عربى ، منذ بداية التاريخ الحديث حتى اليوم ، ولاتكاد تخمد حتى تثور من جديد ..

صومعة وصحن الزيتونة ، واعادة الاعتبار



إن إعادة الاعتبار لجامع الزيتونة يقوم على إدراك عميق لدوره التاريخى . كجامع وجامعة ، فمنذ القرن الثانى الميلادى وهو مركز إشعاع فى المغرب العربى وأفريقيا ، وأحد حصون الثقافة العربية الاسلامية ، ومع الأيام عاش الازدهار وعانى من التخلف والجمود ، ولكنه على الدوام يتجدد كأحد بؤر النهوض الوطنى ، والنبع الفياض للوجدان الشعبى .

واستمرت طويلا الهيمنة الفكرية لجامعة الزيتونة على حياة البلاد ، يمتد تأثيرها وتصل فروعها الى أغلب المدن التونسية ، وحتى المدن الجزائرية مثل قسنطينه وعنابة ، وسرعان ماتقلص دورها خلال حكم الرئيس السابق بورقيبة ، واصبح مع مطلع السنة الدراسية الحالية لايتجاوز عدد طلابها مائة طالب فى قسم واحد ..

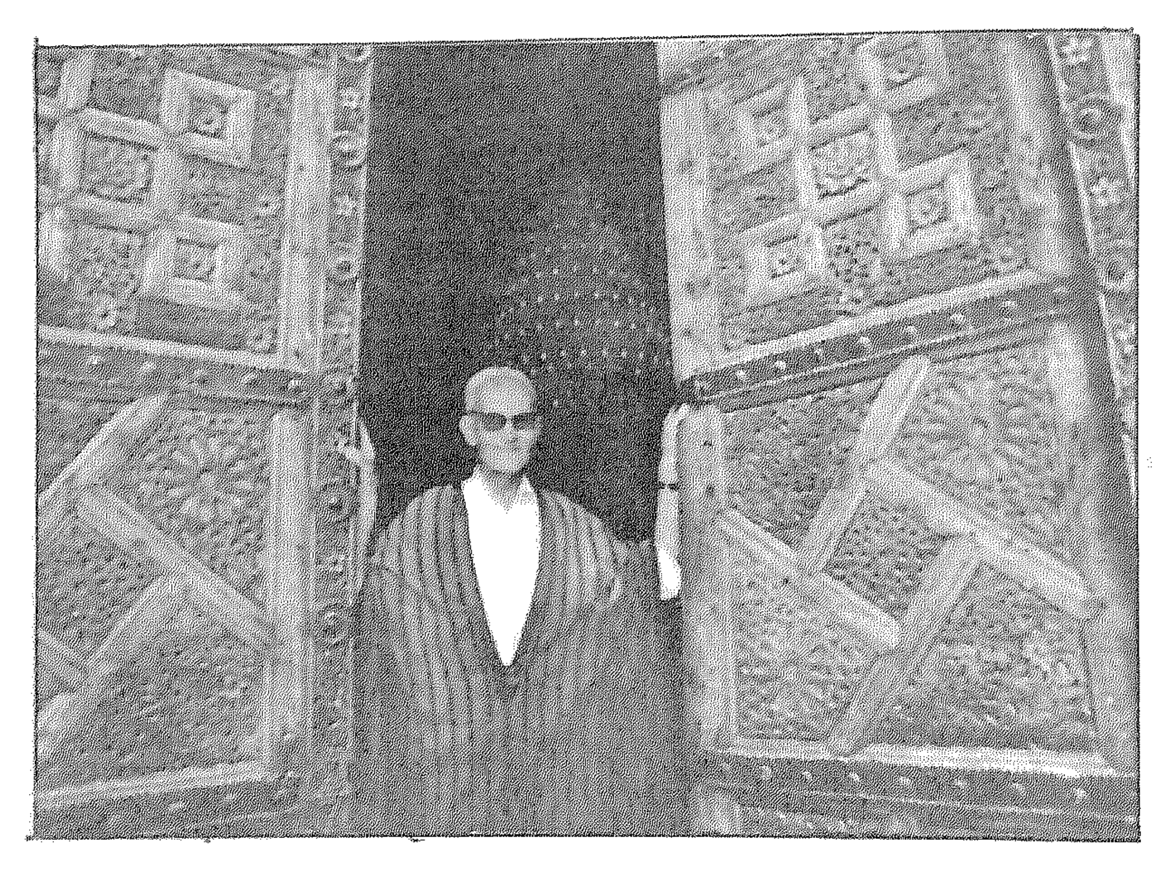
وها هى القيادة الجديدة تقرر زيادة كلياتها الى أربع ، كلية للشريعة الاسلامية وأخرى لأصول الدين ، وثالثة للآداب واللغة العربية ، ورابعة للحضارة والتاريخ الاسلامى .. ويعود جامع الزيتونة من جديد نبعا تاريخيا لايتوقف عن العطاء .

ولم يكن هذا القرار فقط الذى استقبل بالترحيب ، بل صاحبه اعادة النظر فى كل الأوضاع التى لاتراعى الهوية والمقومات الأساسية للشعب التونسى ، وعادت تونس إلى المسار الطبيعى ، وبرزت من جديد ضرورة تغيير يوم الأجازة الأسبوعية من يوم الأحد إلى يوم الجمعة ، وضرورة أن تعود اللغة العربية لغة للادارة والاقتصاد والعلوم .

ولعل التجربة التونسية الحديثة ، تفسر مغزى القرارات التى اتخذتها القيادة الجديدة ، والتى عاشت بين شقى الرحى ، الانطواء والعزلة من جانب ، واللهاث وراء النموذج الغربى من جانب آخر ، والوصول بعد التجارب الطويلة إلى المعادلة الصحيحة بين الحفاظ على الشخصية الوطنية والمقومات الاساسية للمجتمع العربى فى تونس ، مع التفاعل الخلاق مع كل الثقافات والأفكار ، بشرط استيعابها فى إطار الشخصية الوطنية ، مما ينعش الأمل فى خلق أرضية صلبة للتنمية المستقلة .

وإذا أردنا رصد التغيرات الثقافية التى تحدث فى تونس ، والتعرف على مغزى الحوار الدائر بين مدارسها الفكرية نطل على التجربة التونسية من فوق صومعة جامع الزيتونة . الواقع وسط القصبة فى الحى العتيق الذى مازال يحمل طابعه العربى ...

قام جامع الزيتونة مع كل من الأزهر الشريف والقرويين بدوره كأقدم جامعات العالم ، وفى اروقة تلك الجامعات انتعش الفكر ، وازدهرت اللغة العربية ، وحول أعمدته وفى باحاتها جلس كبار العلما محاضرين وشارحين على امتداد الزمان ..



دقة الحفر على الخشب في مدخل جامع الزيتونة .

وإذا قلبنا صفحات التاريخ ، نستلهم منه حكمة الزمن ، ونستخرج دروس الأيام ، وجدنا مكانة هذه المعاهد العلمية مسطورة ومسجلة .

فهل نتلمس البداية بعد فتح قرطاجنة على يد حسان بن النعمان ؟ .. أم نتوقف عند وراثة مدينة تونس لمدينة القيروان عندما انتقل دور جامع القيروان الذى بناه عقبة بن نافع الى جامع الزيتونة ؟ حينما اتخذ عبد المؤمن بن على مدينة تونس دارا للامارة ، ومن يومها ارتبطت حياة تونس الفكرية والروحية بحياة الزيتونة ، وأصبح تاريخ الجامع هو ذاته تاريخ تونس ، أقام الجامع حسان بن النعمان سنة ٧٩هـ ، ثم أتى عبيد الله بن الحبحاب فأتمه وجمله سنة ١١٤ هـ ، عندما كان واليا على مصر وأفريقيا والأندلس ، ويذكر البكرى فى كتابه المسالك والممالك الذى كتبه عام ٤٨٧ هـ .. « أن دور مدينة تونس أربع وعشرون ألف ذراع ، وفى سنة أربع عشر ومائة بنى عبيد الله بن الحبحاب المسجد الجامع ودار الصناعة ... » لاحظ اقتران المسجد بدار الصناعة .

ولنتوقف فى رصد التجربة التونسية ، عند بعض الأحداث الثقافية والسياسية التى تلقى الضوء على المؤثرات التى

صبت فى الحوار الداثر بين التعريب والتغريب .

● ذاكرة تونس

منذ القرن السادس الهجرى انتقل العلم والعلماء من القيروان الى تونس ، وأصبح جامع الزيتونة محط رجال طلاب العلم ، ويمثل ذاكرة تونس . يسجل علماؤه أهم الأحداث والتطورات السياسية ، ويتابعون مايقع فى عالم الاسلام ، وانتقلت اليه المعرفة من المشرق من مصر والشام والعراق ، ومن المغرب ومن الأندلس ، وأخذ يصل الزيتونة ويعبرها اجتهادات علماء المشرق والمغرب معا .

ويسجل علماؤه هجرة جماعة من علماء الأندلس وأهل الصناعة والفن إليه ، هربا من العسف الأسبانى خلال بداية الانكسار العربى فى الأندلس ، وظهر القول المأثور .. « أنه لولا جامع الزيتونة ، لبقيت تلك البلاد فى عذاب الجهالة مهين .. »

وقدم الجامع قائمة غنية للعلماء الذين يلقون دروسهم من الفجر حتى العشاء ، ويعتز ابناء الزيتونة بجامعتهم ، ويؤكدون أنها أصل المراكز العلمية كلها ، يقول محمد الحشائشى فى كتابه تاريخ جامع الزيتونة .. « من جامع الزيتونة انطلقت جيوش تونس تشارك فى فتح الأندلس ، وتأسس فى المغرب الأقصى جامع القرويين الذى احتذى جامع الزيتونة فى نشر مبادىء الاسلام ، واعلاء صرح العلم وحماية اللغة العربية ، ومن ربوع أفريقيا خرجت جحافل جوهر الصقلى ليؤسس مدينة القاهرة معقل جامع الأزهر الشريف ، الذى حمل بدوره رسالة جامع الزيتونة » .. فماذا فعلت به الأيام ؟!

● فرنسا والزيتونة

نصل إلى مرحلة الاضمحلال العربى ومرحلة المد الاستعمارى .. عانت تونس من الحماية الفرنسية مدة ٧٥ عاما ، قامت خلالها فرنسا بكل ماتقدر عليه للهيمنة على العقول والتغلغل فى الوجدان ، فالاستعمار الفرنسى لايكتفى بالأرض بل يستهدف الضمائر والأرواح ، كان هدف فرنسا المعلن ، فرنسة المجتمع العربى فى تونس ، وتحويله عن اللغة العربية ،

الخضر حسين ابن الزيتونة الذى اصبح شيخا للأزهر الشريف





خير الدين التونسي والاصلاح

واقامت نظاما تعليميا يقتلع الدارسين من جذورهم الثقافية . ولم تكن هذه مجرد أهداف بل سياسات تدعمها العقول والمدافع .

وكان من الطبيعى أن يتحول جامع الزيتونة الى معقل المقاومة ، ويكون الملاذ الأخير لعلوم الدين والمعقل الحصين للغة العربية .

وتتابعت فصول الصراع بين الادارة الفرنسية والزيتونة ، واقتحم الفرنسيون الحياة التونسية لكى ينصروا التيار الذى يجعل من الغرب نموذجه فى بناء المؤسسات وطريقة التفكير ، ضد التيار الذى يستهدف الحفاظ على الهوية والمقومات الفكرية والروحية .

وعندما بادر المستعمر بعد سبعة عشر عاما من الاحتلال الى تأليف لجنة من بعض العلماء لتطوير جامع الزيتونة ، كان من الطبيعى ان يقابل المشروع بالرفض ، وأخذت الادارة الفرنسية تحاول اختراق هذا الحصن ، فتارة تجعل جامع الزيتونة تابعا فى ادارته الى وزير المعارف الفرنسى ، وتارة يلحق بوزارة الداخلية الفرنسية ، وفى كل الأحوال كانت شئونه تعرض على الكاتب العام ووزارة الداخلية !

وخاضت الزيتونة اكبر معاركها ضد قانون التجنيس ، ونجحت فى ابطال مفعوله ، فكان على التونسى الذى يرغب فى التمتع بكافة حقوق المواطنة ان يحصل على الجنسية الفرنسية ، فأصدر شيوخ جامع الزيتونة فتوى شرعية باعتبار المتجنس مرتدا ، يحرّم دفنه فى مقابر المسلمين ، مما قلص عدد طالبى الجنسية الفرنسية .

● النهضة أم الفرنسة

وضاع الطريق ، واضطربت التجربة التونسية ، أمام حيرة كبيرة يعيشها عدد من المثقفين تائها فى الأرض الحرام بين ماض موروث وعصرية كاسحة ، وكان الموروث يعنى عند البعض الجمود والخرافة والتخلف ، والعصرية عند البعض تعنى الفرنسة والتبعية للمستعمر الفرنسى .. وربط البلاد بعجلة التبعية ، وإزاحة النخبة المتخرجة فى الزيتونة من الطريق ، وفتح الطريق للثقافة الفرنسية ،

وخاصة بعد أن ضيق النظام الاستعمارى على الحرفيين ووصل بهم إلى حافة الافلاس أمام السلع المستوردة ، مع سياسة متكاملة للمسخ والتجهيل صاحبتها محاولات التبشير والتجنيس .

وكانت خطته ترك المؤسسات التقليدية منغلقة ، على أمل ان تفقد فاعليتها وتذبل وتموت مع الأيام ، وعرف طلاب تونس عن جغرافية وتاريخ ابطال فرنسا ، أكثر مما عرفوا عن جغرافية بلادهم وتاريخها وقادتها .

ولم يكن أمام الأهالى سوى التحصن بالعروبة والاسلام سلاحا للمقاومة .

ورغم هذه الظروف الصعبة ، فكثيرا ما عارض رجال الزيتونة نظام التدريس العتيق ، وطالبوا بادخال الاصلاحات عليه ، وتزعم هذا الاتجاه بعد الحرب العالمية الثانية الشيخ الطاهر بن عاشور ، وسجلت « لجنة صوت الطلاب » التى كونها طلبة الزيتونة هذه المطالب ، والتى نادت بتعليم يجمع بين الطابع العربى الاسلامى وتدريس العلوم العصرية ، واعلن طلبة الزيتونة إضرابا عاما لتحقيق أهدافهم ، وبعد صدامات حادة تمكن الزيتونيون من تحقيق بعض مطالبهم .

ومع ذلك حسب على جامعة الزيتونة التخلف الذى يعيشه الشرق ، ولم يتساءل أحد إذا كان التجديد والاصلاح هما سنة الحياة ، فمن الذى يقوم بهما ، وكيف يمكن القيام بهما فى تحد يمس المرتكزات الاساسية للمجتمع ؟ .. وهل يقوم بهما الوطنيون أم المتفرنسون .. ؟ الذين كثيرا ما أظهروا الاستخفاف بمرتكزات المجتمع واسسه

● الخضر حسين

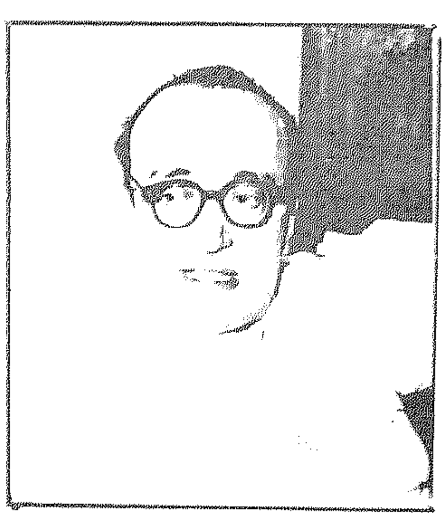
ويمكن الرصد من صومعة جامع الزيتونة ، الالحاح على الاصلاح والتجديد ، السابق على الغزو الاستعمارى الفرنسى . وتكشف هذه الصفحات قدرة عالية على تشخيص الجمود والتخلف ، ورسم الطريق للخروج منهما ..

يستعرض بعض هذه المحاولات أحد أبناء الزيتونة ، والذى تولى مشيخة الجامع الأزهر عام ١٩٥٢ ، وهو الشيخ محمد الخضر حسين .. فيقول .. « أخذت تونس فى العهد العثمانى تخرج كبار الفقهاء ، وأصبحت فى غنى عن القضاة الذين يبعثون من الاستانة ، وكان الأمير يصطفى لمجلسه صفوة العلماء فأقام للعلم سوقا نافعة ، وكان نظام التعليم يؤدى الى منافسة أصحاب المذهب المالكى والحنفى ، ينتخب للتدريس بجامع الزيتونة خمسة عشر عالما من المالكية ومثلهم من الحنفية ، ولكل أن يقرىء الدرس فى أى فن أراد ، وإذا فقد أحد هؤلاء المدرسين انتخب نظار الجامع بدله أعلم أعلم الموجودين ، وكثيرا ما عقدوا مسابقة بين من يرغبون فى إحرازها .. »

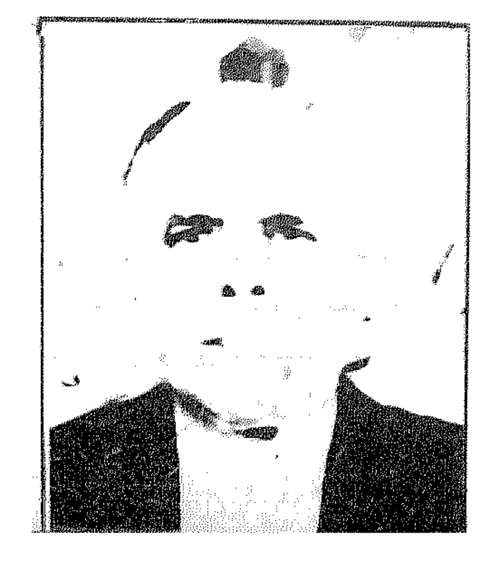
عبد العزيز الثعالبي رائد الحـــركة الوطنيـــة .



صالح بن يوسف وهزيمة ـــار الزيتـــونة .



بورقيبة وانتصار الفرنسه



الحياة التقليدية والحديثة جنبا الى جنب



أما خير الدين التونسى فيقدم مشروعا متكاملا للنهضة .

● خير الدين التونسى
١٨٢٢ ـ ١٨٨٩

يقدم خير الدين نموذجا ساطعا للسعى الحثيث للاصلاح ، نابعا من إدراك عميق بأن المعرفة الانسانية بلا وطن ، فقد سعى ضمن نخبة داخل الفكر العربى ، فى القرن التاسع عشر ، استهدفت التجديد والاصلاح ، حتى يكون الشرقى قادرا على الاستجابة للتحدى الأوربى ، كما قدم أحد شروط النهضة والتى تقضى أن تكون ضمن حركة المجتمع ومن خلاله .

وتطهر مشروع خير الدين من التوجس السيـاسى والخـوف من الاستيعـاب الحضارى ، ويقوم مشروعه على الاقتباس من الغرب ومواجهته فى نفس الوقت ، ويقوم على أرضية الثقافة الوطنية ،

ولاتتحول من خلاله الشخصية الوطنية الى مسخ ، تقلد ولاتجدد ، تتبع ولاتبدع .

وقدم خير الدين مشروعه عندما كانت تونس ولاية مستقلة ترتبط بولاء اسمى بالخليفة العثمانى ، وفى ظل تجربة محمد على فى مصر ، وبعد قيامه بجولات فى البلاد الاسلامية والأوربية ، سجل ملاحظاته فى كتاب « أقوم المسالك فى أحوال الممالك » ، **وكانت أفكاره صيحة تنبيه للمسلمين على تأخرهم ، ورسم طريق لبناء مجتمع جديد متطور** ، يقول فى مقدمة كتابه .. « إن المعرفة هى أساس التقدم ، وإن العلم والمعرفة لايمكن تحقيقهما إلاّ فى مجتمع تسوده الحرية والعدالة .. » ، ولايوجد ضمان لاستمرار حكم العدالة والحرية الا بقيام المؤسسات التمثيلية ، ... « ... حيث تقوم ببيان الأدلة الكافية لوجوب التنظيمات السياسية التى لو لم يمكن إلا تنفير الأجنبى والمتوظفين منها لكان كافيا على حسنها ولياقتها بمصالح المملكة ، وكان من أهم الواجبات على أمراء الاسلام ووزرائهم وعلماء الشريعة ، الاتحاد فى ترتيب تنظيمات مؤسسة على دعائم العدل والمشورة ، كافلة بتهذيب الرعايا وتحسين أحوالهم على وجه يزرع حب الوطن فى صدورهم ويعرفهم مقدار المصالح العائدة على مفردهم وجمهورهم .. »

واهتم خير الدين باصلاح جامع الزيتونة ، فأصدر قانون اصلاح التعليم الزيتونى المكون من ٦٧ مادة ، وأهدى الزيتونة مكتبة جُمعت من العديد من المساجد ، كما قدم مكتبته الخاصة البالغة ألفى مخطوط للزيتونة ، وطور المواد التى تدرس فيها ، وكان يكثر من التردد على الزيتونة ، وحضور حلقات الدرس والمشاركة فى المناقشات .

وتمكن خير الدين من وضع أفكاره موضع التنفيذ ، وقام بتأسيس مجلس تمثيلى كخطوة نحو قيام حكومة نيابية . بعد ان استخلص الدروس التى تفسر ما آل إليه العالم العربى وما أحرزه الغرب من تقدم ، وتضمنت مقدمة مشروع نهوض متكامل ، ويؤكد خلاله ان تحديث المجتمع وتجديده لايمكن ان يتعارضا مع الأصول الشرعية ، فالظروف تتغير وتتبدل وتأتينا بالجديد المفيد ، مايقتضى إضافات شرعية وفقهية ، ولابد من تعاون أهل السياسة ورجال الدين فى تقنينها ، فلا يمكن رفضها بحجة أنها مشروع جديد فليس كل جديد متعارضا مع الشريعة ، .... وثمة مصالح تمس الحاجة اليها ، بل تنزل منزلة الضرورة ، يحصل بها استقامة أمورهم ، وانتظام شئونهم لايشهد لها من الشرع اصل خاص ، كما لايشهد بردها ، بل اصول الشريعة تقتضيها إجمالا وتلاحظها بعين الاعتبار . فالجرى على مقتضيات مصالح الأمة ، والعمل بها حتى تحسن أحوالهم ، ويحرزوا قصب السبق فى مضمار التقدم ويذكر : لايمكن أن يكون متعارضا مع الشريعة ، كل مايحتاج إليه اتفاق النخبة

من حملة الشريعة ، ورجال عارفين بالسياسات ومصالح الأمة ، متبصرين فى الأحوال الداخلية والخارجية ومناشىء الضرر والنفع ، يتعاون مجموع هؤلاء على نفع الأمة » ، ويعيد قصة سلمان الفارسى واقتراحه على النبى حفر خندق لمنع الأعداء من الوصول إلى قواته ، ويستشهد بما قاله الرسول .. « من قاتل فليقاتل كما يقاتل » ، ويطالب برفع الظلم عن البلاد الشرقية مؤكدا .. « ان الظلم مؤذن بخراب العمران كيفما كان .. » ويرى أنه لاتعارض بين الشريعة ومايستنبطه العقل البشرى .. « وكانت القضية التى تشغل خير الدين بالطهطاوى ، تدور حول : كيف يمكن للمسلمين أن يصبحوا جزءا من العالم الحديث دون أن يتخلوا عن تراثهم » كما ذكر البرت حورانى .

وقام بفتح المدرسة الحربية بباردو ، وأصدر دستورا للبلاد ، ونقل لنا التاريخ رد فعل نابليون الثالث امبراطور فرنسا عندما قدم له نسخة من هذا الدستور وعلق قائلا .. « اذا تعود العرب على الحرية والعدالة ، فلن يكون بيننا وبينهم عدالة .. »

وقطعت فرنسا الطريق على هذه الحركة الاصلاحية عندما احتلت تونس ..

● بذور الانقسام

ونعود الى أسلوب مواجهة الزيتونة لتطوير الدراسة فى الجامعة ، فهم يدركون



الإمام محمـــد عبده وزيارة الى تونس •

أنه لايكفى الايمان والرغبة الصادقة فى الخلاص ، بل ينبغى تجديد الفكر العربى وتنقيته من العقائد الموغلة والمذاهب الباطلة والعادات الدخيلة .

وعلى الجانب الآخر أمدت الزيتونة الحركة الوطنية بقياداتها ، وعلى راسهم الشيخ عبد العزيز الثعالبى ومحيى الدين القليبى وفاضل بن عاشور ، وكانت الحركة الوطنية نتاج جهد وفكر انطلق من جامع الزيتونة .

ومع الأيام مالبثت الحركة الوطنية أن ضمت أصحاب التكوين الفرنسى مع أصحاب التكوين الزيتونى ، وانتهت المنافسة بسيطرة أولئك الذين يعتبرون التجربة الأوربية هى التى يجب اتباعها ، وتصاعدت المنافسة بين قيادات الزيتونة



والحزب الدستورى ، **وكان الصدام الذى تم بين الحبيب بورقيبة وصالح بن يوسف ، له أثر كبير ، فقد كان بن يوسف حليف وممثل الوسط الزيتونى ، والذى رفض سياسة بورقيبة واعتبرها مناهضة للعروبة ، وأصبحت تصفيته تصفية لهذا الاتجاه وفرض بورقيبة رؤيته وهو الذى يرى فى إصلاحات مصطفى كمال أتاتورك النموذج الأمثل .**

وبدأت معالم البورقيبية فى الظهور :

- ألغى الأحباس - أى الأوقاف - على مرحلتين ، الأولى فى ٣١ مايو ١٩٥٦ ، والثانية فى ١٨ يوليو ١٩٥٧ ، وبالتالى صفى المورد الرئيسى للتعليم الزيتونى .
- تم توحيد القضاء والغاء المحاكم الشرعية ، واعتماد القانون الفرنسى الى جانب الأحكام الشرعية .
- حصر صلاحيات جامعة الزيتونة ، وتبعيتها لوزارة التعليم ، وانحسارها ، فانتقل تدريس الحقوق الى جامعة تونس ، وبعدها انفصلت الآداب واللغة العربية ، وانحصر دور جامعة الزيتونة فى تدريس أصول الدين ، كما سبق أن ذكرت .
- بطلان الطلاق إلا أمام القاضى ، ومنع تعدد الزوجات ، والسماح بزواج المسلمة من غير المسلم .

ومن الجدير بالملاحظة ، أن بعض هذه الاجراءات كانت تستهدف الاصلاح ، الا ان رفضها جاء من انها تمت من خارج الوسط الزيتونى ، بل وفى صراع معه .

ولم يعد ماتشهده تونس منفصلا عن المعركة القائمة بين الفرنسة والتعريب ، ولم يعد مجرد اعادة صياغة العلاقات الاجتماعية ، ومقاومة الجمود والخرافات والفهم الخاطىء للتراث ، وتصحيح وضع المرأة المزرى ، بل تم بهدف عزل رموز العروبة وتقديمهم كرموز للتخلف .

● الأصفار ..

وتتعدد وتتراوح التجربة التونسية - فى مرحلة الاستقلال - داخل ازدواجية الوافد والموروث ، وتختل معادلة النهضة ، مما انعكس على الفكرة العربية وموقف بورقيبة منها عندما صور الدول العربية باعتبارها « **إضافة أصفار إلى أصفار** » ! ، وعند المناقشات التى تمت فى المجلس التأسيسى لوضع الدستور التونسى ، أثيرت مناقشة ذات دلالة هامة ، دارت حول النص القائل « تونس دولة لغتها العربية » **وعندما طالب بعض اعضاء المجلس بالنص على انتماء تونس إلى العرب ، تم رفض ذلك ! .**

وظهرت البورقيبية كأنها جزء لايتجزأ من سياسة مناهضة العروبة .

وأخذ الموقف يتداعى وتظهر آثاره السياسية والاقتصادية .. فمثلا فى المحاولة الانقلابية التى وقعت عام ١٩٦٢ ، لوحظ أنها ضمت بين صفوفها متخرجى الزيتونة واعضاء من الحزب الدستورى القديم وأنصار الفكرة العربية ..

وظهرت آثاره الاقتصادية فى ارتباط

تونس بعجلة الاقتصاد الغربى ، وعندما اقتصر النمو والتغيير على المناطق الساحلية ، وتجاهل مناطق الداخل ، مما وسع الفجوة بين الساحل والداخل ، وبين الاغنياء والفقراء ، واستمدت اللغة العربية هامشية بعيدة عن قطاعات النشاط الحية فى العلوم والاقتصاد .

● أحداث قفصة

وعندما تصور بورقيبة أن سياسته قد حققت الاستقرار والنجاح ، أخذت تظهر نتائج هذه السياسات ، وعانى المجتمع معاناة قاسية من آثار التغيير السريع ، وبما يحدثه من تفكك فى العلاقات ، وتفسخ فى القيم ، وساد شعور عميق من الاحباط والسخط إزاء التضحيات التى يطالب ببذلها فى أوضاع اقتصادية بالغة الصعوبة .

وظهر أنه لايمكن استمرار الحال ، الذى يكون فيه المواطن معلقا بين عالمين متباينين ، لايدرى الى ايهما ينتمى ، بعد أن تهاوت كل الأشكال القديمة ، ولم تعد القبيلة هى محور الحياة ، ولم يملأ الفراغ لا مكتب الحزب ولامقر الشرطة ، وقضت هجرة الرجال الى المدن على الترابط الأسرى ، وعجزت المؤسسات الحديثة عن اشباع الاحتياجات الروحية والنفسية للمواطنين ، وخاصة الأجيال الشابة..

وغدت تونس بلدا مفتوحا ، أمام كل التيارات والاتجاهات التى وجدت فى الشباب من أنصاف المتعلمين وذوى الكفاءات المهنية المحدودة ، ممن لايعرفون من اللغات سوى العربية ، ويجدون مشقة كبيرة فى الالتحاق بعمل فى المدن التى أصبحت تزدحم بهم ، فكانت أحداث قفصة وثورة الخبز واخيرا المتفجرات التى فى المناطق السياحية ...

وكشفت القضية الأخيرة الكثير من الأبعاد ، فعندما عجزت جامعة الزيتونة حتى عن تقديم الأئمة المؤهلين لمساجد تونس ، **وظهر فراغ علمى وروحى ، وتمزق عقائدى ، وتطرف دينى ولادينى .. مما جعل المدن التونسية تستقبل أفواجا ، من الطرق الصوفية من الجنوب الافريقى ، ومن الباكستان ومن إيران ، مستغلين ذلك الفراغ الكبير ...**

وجاءت القيادة الجديدة ، لتطرح حلولا تجمع بين التمدن والتراث ، وقطعت خطوات هامة فى هذا المسار ، على اعتبار ان الحكومة هى القادرة على خدمة الاثنين معا ، وانه قد حان الوقت لبدء سياسة المصالحة ، ومراعاة المركب الكيميائى للتقدم المستقل .

واختارت القيادة الجديدة ، ربط التعليم الزيتونى بواقع المجتمع واحتياجاته فى المجالات المختلفة ، فالرؤية الشاملة وحدها هى القادرة على مواجهة المشكلات الاجتماعية والاقتصادية القائمة ...

وهنا يمكن القضاء على التوتر الحضارى ، ويمكن السير فى طريق التنمية المستقلة فى إطار عربى .



أساليبُ الصّراع الفكريّ

بقلم : طارق البشرى

نحن مع خصومنا صرنا نرفع شعارات المفاوضة ، والتسويات السلمية ، وصرنا نتعامل أخذا وعطاء ، ولكننا مع أنفسنا أو مع حلفائنا صرنا نخرج لهم بالسلاح وبالكراع والبارود .

مشكلتنا أننا نضع الأمر فى غير موضعه ، أى نخالف مابين الأسئلة والاجابات ، ومابين التحديات والاستجابات ، قائمة رصد المشكلات تكاد تكون سليمة وكاملة ، وقائمة رصد الحلول تكاد تكون كذلك ، ولكننا فى توصيل الخيوط بين كل من بنود القائمتين ، يزيغ منا البصر وتهتز الأيدى ، فنصل بين كل مشكلة وبين عكس حلها .

وماجعلنى أفكر فى هذا الأمر لايتعلق بالسياسة بقدر مايتعلق بالفكر ، أى لايتعلق بالعمل السياسى بقدر مايتعلق بالفكر السياسى

وممارساته ، فقد بتنا نستخدم « وسائل التسوية الفكرية »، بين المتحاربين فكريا ، نستخدم أساليب التسوية مع الثقافة الغربية بعامة ، والفكر الاستعمارى بخاصة ، ونتعلم فى جامعاتهم ونتركهم يوجهون أفكارنا ونتتلمذ عليهم فى بحوثنا عن تاريخنا واقتصادنا وأحوالنا السياسية والاجتماعية والعمرانية معا ، ونحضر مؤتمراتهم ونشاركهم ونعاونهم فى بحوثهم عنا ، وبتنا نستخدم وسائل العنف الفكرى والمخاصمة والمجافاة بين المتحالفين فكريا أو المفروض أن يكونوا متحالفين فكريا ، بحسبانهم أبناء وطن واحد وعدوهم واحد ، وأهدافهم واحدة ، أو بالأقل متقاربة .

فى البداية يهمنى أن أشير إلى اننا عندما نتحدث عن الصراع الفكرى وأدواته وأساليبه ، يتعين علينا أن نشير إلى محتوى هذا الصراع أو المحتوى الذى يتضمنه كل من أطرافه التى تتمثل فى التيارات الفكرية المختلفة القائمة ، والدائرة الآن فى بلادنا ، ويتعين علينا أن نشير إلى الغاية التى ننشدها من إدارة هذا الصراع على وجه أو آخر من الوجوه .

وأول ما أود الإشارة إليه هو هذا الانفصام الحادث بين تيارات الفكر الموروث وتيارات الفكر الوافد ، وهو انفصام حاد يصدع المجتمع ، ويفت من قواه ، وهو مسئول عن تلك الغربة المظلمة التى تغشى أهل كل فريق تجاه الآخر ، حتى أضحيا وكأن كلا منهما ينتمى لكوكب منفصل وليسا على أرض واحدة فى مجتمع واحد وشعب واحد .

ثمة فكر موروث عشناه وعشنا به قرونا مديدة ، وضم برحابته تاريخا عريضا طويلا ، بحضارته ونهضته وحيويته حينا ، وبانحداره وجموده حينا ، وبصراعاته السياسية والاجتماعية والفكرية وبنزعات الاستبداد والمحافظة ونزعات التمرد والثورة .

ثم حدث فى فترة ركود ووهن أن دهمنا الاستعمار الأوربى ، وانكسر المجتمع أمام غزوته السياسية العسكرية الثقافية الكاسحة ، وهنا ظهر مايمكن تسميته بالفكر الوافد ، انتشر بالمدارس الحديثة والبعثات ، ووسائل الاعلام واسعة الانتشار ، وانزرع فى البيئة المحلية بمدارسه المختلفة الرجعية ، والمحافظة والتقدمية .

● تعبيرات متباينة

المهم أن هذه الازدواجية التى آلت إليها أوضاعنا قد صارت بها الاتجاهات والتجمعات السياسية والفكرية تتشكل وفقا لعاملين لا لعامل واحد العامل الفكرى الاعتقادى الذى يميز بين ما يمكن تسميته بتيارات الفكر الموروث وتيارات الفكر الوافد . والعامل السياسى الاجتماعى الذى يميز التغييرات السياسية والاجتماعية المتباينة داخل كل من هاتين الدائرتين الواسعتين . فنجد داخل كل من هاتين الدائرتين تعبيرات متباينة عن المواقف السياسية الاجتماعية المختلفة





وعلى ذلك فنحن لانجد تعبيرا سياسيا اجتماعيا واحدا يقدمه كل من التيارين الفكريين المذكورين ، انما نجد تعبيرات شتى ينفسح لها كل منها . كما اننا نلحظ أن الموقف الاجتماعى السياسى المعين لا يجد تعبيرا واحدا ، انما قد يجد تعبيرين فكريين عنه ، احدهما من دائرة الفكر الموروث والآخر من دائرة الفكر الوافد . ومن ثم فهناك صدع طولى يصدع الامة قسمين ويهن من قوتها . واذا اردنا ان نضرب امثلة من التاريخ على ذلك ، نجد مثلا ان الملك فؤاد كمؤسسة سياسية كانت تجد لنفسها تعبيرين سياسيين ، احدهما موروث يمثله اتجاه الشيخ الظواهرى فى مشيخة الازهر ، والآخر علمانى يمثله أمثال حزبى الاتحاد والشعب برئاسة حلمى عيسى واسماعيل صدقى على الترتيب . وكانت الحركة الوطنية يمثلها فى تعبيرها العلمانى حزب الوفد ويمثلها فى تعبيرها الاسلامى عناصر اسلامية ذات اهتمام سياسى وفكرى كالأستاذ محمد شاكر والشيخ يوسف الدجوى وغيرهما فى بداية العشرينيات ثم حركة الشيخ ماضى ابو العزايم فى اواسط العشرينيات ثم حركة الشبان المسلمين ، ثم استوت على سوقها بحركة الاخوان المسلمين التى بلورت هذا الاتجاه وحملته فيما بعد . وهكذا نجد لكل وضع سياسى اجتماعى تعبيرين احدهما يجرى من خلال الفكر الدينى الموروث والآخر يجرى من خلال اصول الفكر الوافد .

هذا أخطر ما يفلق هذه الامة الفلقتان اللتان نشاهدهما الآن ، كل تميل الى جانب قصى ، والانفلاق كما نرى يرد من الموقف من الشريعة الاسلامية ومدى ما يعترف لها به من الهيمنة على الشرعية العليا على المجتمع فى هذه الديار . نحن نروم لمّ شمل هذه الامة وترميم ما انصدع من أبنيتها وهياكلها . ونحن لا نبتغى إيجاد صيغة للتعايش فقط بين جماعات هذه الامة ، ولكننا نطمع فى أكثر من ذلك ، وهو ان نقدم صيغة للتلاقى بينها . وموضوع الشريعة الاسلامية هو ميدان الالتقاء او الافتراق ، فعلينا ان نوليه أعظم الاهتمام ، بحسبانه الشاغل الكبير الذى يتصل بالجماعة السياسية فى بلادنا .

لقد جاهدنا عشرات السنين لنقيم الجماعة السياسية لدينا بصورتها الجامعة للمسلمين والمسيحيين ولكننا لم نتحلَّ باليقظة وروح الجهاد نفسها ازاء النظرة العلمانية ، فقد تسبب عن شيوعها فتق آخر بين العلمانيين وبين اسلامية المسلمين او التيار الاسلامى بعامة وظل هذا الفتق يتسع بالتباعد الحثيث الذى تتابعت حلقاته بين الاتجاهين وها نحن نصيح بأهل الفريقين منبهين الى هذا الفتق ، والى وجوب ان يبذل اهل الفكر والسياسة ـ كل فى ميدانه ـ ما يستطيع من جهد لرأب هذا الصدع وإقامة جسور الالتقاء وكشف الصياغات الفكرية اللازمة له

نحن ندرك أن الطريق الى هذه الغاية وعر ويحتاج الى جهد الرجال الأكفاء

الاشداء ، ولكن لا مناص من سلوكه ، ولابد من الخطو فيه ان بقينا مصرين على الاستقلال والوحدة والنهوض . والأمر يحتاج الى نوع من الجراحات الفكرية ، اقرارا عاما ومتبادلا للأصل المرجعي العام للشريعة الاسلامية كنظام قانوني حاكم يهيمن على الشرعية في المجتمع ، واقرارا عاما ومتبادلا أيضا لحركة التجديد في الفقه الآخذ عن الشريعة ، بما يثبت اصولها ويدفع أحكامها في مجال الاستجابة لتحديات العصر الذى نعيش فيه .. ويقيم منها بصفة خاصة درعا يحمى الجماعة السياسية وترابطها بين المواطنين كلهم . واقرارا عاما ومتبادلا بحقوق المواطنة التى يتمتع بها الجميع وان اختلفت اديانهم .

● تكوين التيار السياسى الحضارى

انه من الخطأ أو من عدم الدقة أن نتصور ان هذا الشاغل الذى يشغلنا يتعلق بما يسميه البعض "الجبهة السياسية" . إنه أهم من ذلك وأخطر ، لأنه يتعلق بتوثيق عرى التماسك فى بنيان الامة ، انه يتعلق برتق الفتوق فى قماش الامة لتقوى أشرعتها فى مواجهة الرياح اى انه يتعلق بتكوين التيار السياسى الحضارى الغالب فى امتنا وادراك أصول المسألة الوطنية . وتشييد جسور العمل الوطنى العام . وحتى موضوع الجبهات السياسية الذى تنشغل به السياسات العملية للأحزاب ، والذى يتصوره البعض مما يكفيه قدر مقدور من التوافق فى بعض المطالب السياسية والاقتصادية الراهنة او المستقبلة ، هذا الموضوع لا يكفى فى شأنه التقارب المؤقت فى بعض المواقف الجارية ، انما تلزمه بالضرورة درجة موفقة من التقبل الفكرى والعقيدى العام من كل من التيارات المعينة . وهذه الدرجة من التقبل تقتضى جهدا فكريا ينزع خواص التنافى بين الاتجاهات الفكرية الغالبة الشاغلة للساحة الجماهيرية . وبغير هذا الجهد الفكرى فان كل ما يقال عن الجبهات فى أى من المجالات لن يعدو ان يكون ألفاظا .. ألفاظا .. ألفاظا .

يبدو لى ان شيئا فى هذا الصدد لا يتحقق الا بالجدل وبالحوار بين التيارات الفكرية ذات الذيوع فى المجتمع . وهو حوار وجدل قد يسميه البعض "صراعا فكريا" بحسبان ان كل جدل صراع ، وقد لا نعترض على التسمية ان كانت متداولة ، انما الاعتراض كله ألا يتحول الجدل الى "حرب فكرية" بين التيارات الوطنية ذات الذيوع فى المجتمع ، والشرط كله الا تعنى كلمة "الصراع" بالضرورة معنى التنافى والتغالب ولايضاح هذه النقطة يمكن ان نستعير من ألفاظ السياسة لفظى "التسوية" و "الحرب" ، لبيان الاسلوبين الغالبين فى عمليات الحوار والجدل الفكرى .

فالحوار الذى يتخذ اسلوب "التسوية الفكرية" غايته التوفيق بين وسيلتين تستهدفان غاية واحدة ، او بين مصلحتين يمكن الجمع بينهما واستبقاؤهما معا ،





او استبقاء الأكثر من كل منهما ، فهى مبادلة للرأى بغية الوصول الى تسوية واتفاق .

وهذا الهدف يقتضى استطلاعا دائما لوجهات النظر المتعارضة ، وان يعايش كل جانب تفصيل الهموم الفكرية للجانب الآخر وأن يتفهم شواغله ، ويحاول أن يدرك المنطق الداخلى للرأى المخالف ، ويحاول ان يتعرف على التوظيفات الفعلية لذلك الرأى في ظروفه الواقعية الملموسة . وهو يقتضى من الأطراف المعنية محاولة جرد المحتويات التطبيقية لكل فكرة نظرية وبيان المفاد الواقعى لكل فكرة مجردة ، او تحليل كل فكرة الى عناصرها التطبيقية ، ثم مقارنة ما لدى الأطراف المتحاورة فى هذا الشأن .

وبهذا الاسلوب تظهر نواحى التطابق وجوانب التوافق ، كما تتبدى وجوه التنافى ومجالات التعارض ، وتستبين المساحة الوسطية التى يجيز كل من الأطراف المتحاورة لغيره ان يختلف معه بشأنها دون شطط . وكل ذلك يكشف عن القدرة الفكرية لكل طرف فى ان يستوعب عناصر من الطرف الآخر ويتخللها فى مواده ويجدلها فى نسيجه .

فى الفترة الزمنية التى تدور حول اواخر السبعينيات واوائل الثمانينيات ، كان الرجاء قويا ان يجرى الحوار على هذا المنوال . وكانت اوضاع البيئة الفكرية والثقافية والسياسية تساعد على انتعاش هذا الرجاء . ولكن حدث بعد ذلك فى الأعوام التالية ان تحول اسلوب الحوار بين الأطراف المعنية الى ما يمكن تسميته "الحرب الفكرية" .

نحن لا نتتبع أحداث هذه الفترة ، ولكنها فيما نعلم جميعا ، هى فترة مدّ استعمارى كبير اتى زاحفا بعد انكسار ثورة ٢٣ يوليه ، وهى فترة « كامب ديفيد » فى السياسات المصرية والعربية . وهى من جانب آخر فترة تبلور المعارضة السياسية عن تيارات شعبية ، ومنها ظهور المعارضة السياسية الاسلامية فى العديد من التنظيمات والتوجهات الفكرية . وهى الفترة التى بدأت التيارات المختلفة تتعرف على بعضها البعض لتحدد نواحى الاتفاق والتقارب ووجود الاختلاف والتباعد ، وهى الفترة التى بدأت السلطات فيها تستشعر الخطورة من تقارب تيارات المعارضة السياسية على الصعيدين العربى والاسلامى العام والخطورة من جو التفاهم العام الذى بدا يتبلور ويسود فى مواجهة سياسات « كامب ديفيد » .

فى ظل هذه الأوضاع تفجرت الحرب العراقية الايرانية ، واستمرت وتطاول أمدها الزمنى بدم يسيل على الجانبين ، تغوص فيه وتختفى محاولات التقارب والتلاقى بين جامعتى الاسلام والعروبة . وفى ظل هذه الأوضاع تعمقت الحرب الطائفية فى لبنان ليغشى غبارها المتناثر العيون

فلا يبين عدو من صديق . ثم فى ظلها ايضا اصطنعت المعارك الفكرية والسياسية الداخلية ضد الشريعة الاسلامية ، واتخذ هذا الهجوم مجالا له فى مسألة « الحدود الشرعية » و« حقوق المرأة » ثم ارتقى بها الى قضيتى « الربا » و« حقوق غير المسلمين » . وحرب الخليج كانت تضرب فيما تضرب التقارب الاسلامى العربى ، وقضايا الحدود والمرأة كانت تثار بطريقة تباعد بين التيارات الاسلامية والتيارات الوطنية الأخرى .

يمكن هنا ان نتذكر كلمة ماوتسى تونج زعيم الصين عن التناقضات الثانوية التى يساء التعامل معها فتصير تناقضات اساسية . وقد حدث ذلك فعلا فى القضايا التى نشير اليها هنا . واذا حاولنا العودة الى رؤيتنا فى ١٩٧٨ فهل يمكننا أن نسيغ ما نشعر به الآن ونراه طبيعيا وعاديا . هل يمكننا أنْ نسيغ ان بات الفيصل بيننا هو الموقف من حرب الخليج وليس الموقف من « حروب السويس » . هل نسيغ ان قضية فرعية فى قانون الأحوال الشخصية لا تمس من قريب وضع المرأة تتقدم لتصير مجال الطعن فى الشريعة الاسلامية وتحظى بكل ما حدث من ضجيج وحدة ؟ على اننى لا اظن ان السبب يعود الى محض الخطأ أو سوء التعامل ، انما يعود فيما اتصور الى عزم مسبق للإيقاع بين التيارات الوطنية بعضها البعض .

بهذا صار الجدل يجرى على اسلوب « الحرب الفكرية » ومن مظاهر ذلك ولوازمه غلق الحدود الفكرية بين الأطراف المتصارعة ، ومنع تسرب افكار كل طرف الى الطرف الآخر ، ويجرى ذلك باتخاذ موقف المدافعة الفكرية والتقبض عن آراء الآخرين ورفض تمثلها واستيعابها . ان من عالج مهنة المحاماة يستطيع ان يدرك خصائص هذا الموقف الفكرى حيث يكون الواجب أن ادفع رأى الغير لا ان اتمثله ، وحيث يتعين ان ابذل الجهد لتكوين « اجسام فكرية مضادة » للرأى الآخر .

وان من خصائص هذا الموقف الفكرى المحارب ان يمتنع على كل طرف تمثل المنطق الذاتى للطرف الآخر وهمومه الفكرية والزاوية التى يرى منها الواقع ، كما يمتنع عليه محاولة تفهم السياق الداخلى لأفكار الطرف الآخر وآرائه .

● وجوه الخلاف

هنا ينصرف الجهد لا الى البحث عن مجالات الالتقاء أو التقارب ، ولكن الى التفتيش عن وجوه الخلاف ، والتركيز على هذه الوجوه بحسبانها « الحدود الفاصلة ». وثمة حرص لا على الاعتراف بنواحى القوة لدى الطرف الآخر ، ولكن الحرص على التنقيب عن نقاط الضعف والعمل على توسيعها والنفاذ منها والتشنيع على الخصم بها . وثمة بحث عن امراض الطرف الآخر ، لا لمداواتها ولكن للطعن عليه بها ومحاولة اغتياله منها . وثمة حرص على تضخيم الذات وتضعيف ما يقوى الغير ، وبهذا ينشأ تلازم عكسى بين ما يفيد الطرفين ، وما





يضر بهما وضعفه قوة لي والعكس على وجه التلازم والحتم . وفى النهاية فى وجودى تصفية له وابادة ولا مفر .

لذلك فإن الجدل هنا ينتقل من ساسة الأفكار الى حراس الحدود الفكرية ، وينشط رجال الأمن الفكرى يجوبون خلال الديار مفتشين عن كل ما يتعاطف مع الطرف الآخر فيقصونه ، دعما وتأكيدا للمفاصلة الفكرية والقطيعة بين الأطراف المتصارعة ، وحذر أن يقوم بين اى فريق من يتعاون مع الفريق الآخر أو يكون له فيه رأى يخالف ما تفرضه الحرب من أحكام .

هذه المفاصلة تفرض على كل فريق أن يسحب « الجنسية الفكرية » عن المتعاونين مع الطرف الآخر ويخرجهم من حظيرته ويجرى ذلك بطريقة التأكيد على وجوه الخلاف وتضخيم وجوه الخلاف مع هؤلاء ومن هنا تسقط الحلقات الوسيطة ، وتنمحى مجالات التداخل التي كان يمكن أن تقوم بدور فى التقريب بين الأطراف المعنية ، ومن ثم تزداد المجانبة والمجافاة ، يحرسها الشك وسوء التأويل . ومن ثم تتخذ التميزات الفكرية وضعا متنافيا لبعضها البعض على الجانبين .

أما ما لم ينمحِ من الحلقات الوسيطة بين الأطراف المحاربة فتتغير وظيفته ، فلا تعود مجالا للتقارب والتفاهم وتبادل الرأى ولكن تتخذ منها الاطراف المتصارعة مجالا « للتجسس » الفكرى على الطرف الآخر ، كما تستعمل اراضى الدول المحايدة فى الحروب . وتنشط مراصد استطلاع التوجهات الفكرية للأطراف المعنية ، يجرى هذا الاستطلاع لفهم التحصينات الفكرية للطرف الآخر ، وما يعده من اسلحة واستحكامات جديدة ، ويجرى اكتشاف كل ذلك ليضرب فى المهد قبل ان يشب وينمو ويتكامل ، أو قبل ان يشيع بين الناس ، كما يجرى هذا الاستطلاع لاعداد الاسلحة الواقية والأمصال المضادة او لدراسة كيف يمكن افساد الافكار الجديدة المضادة أو خروجها عن مسارها .

لقد بلغ من حدة المعركة القائمة الآن ، ان خصوم الماركسية من العلمانيين المعادين للحركة الاسلامية صاروا لايمانعون من استخدام الفروض الماركسية النظرية وتطبيقاتها كسلاح ضد الفكرية الاسلامية وذلك من باب استخدام الضرر الأهون لدفع الضرر الأكبر ، ومن باب الاستعانة بقوة الضعيف لضرب القوى .

بل من حدة هذه المعركة ان صارت هي المعركة الحاكمة لغيرها ، ترهن لها كل الموارد وتحشد لها كل الطاقات . ومن هنا برزت قضية « مسكن المرأة » مثلا عن قضية شعب افغانستان وصار تصنيف القوى السياسية لا يجرى على اساس الموقف السياسى الاجتماعى من القضايا الوطنية الشعبية ذات الالحاح ، ولكنه يجرى على اساس الموقف الفكرى المجرد من قضية « الاسلام والعلمانية » .

ولعلنا في العدد القادم ان شاء الله نستطيع أن نبين بعض اساليب الصراع الفكرى المستعملة الآن فى الجدل العربى .

قضايا حيوية

من الذى يكتب التاريخ ؟

ومن الذى يحمى وثائقنا التاريخية ؟

بقلم : د . جلال السيد

كتابة التاريخ معركة وموقف اجتماعي وسلاح مؤثر ،تستخدمه القوى الاجتماعية والاحزاب والفئات السياسية في محاولة لتثبيت مواقعها والنيل من خصومها في ساحة الصراع السياسى ، فكثيرا ما تحتاج المواقف السياسية الى الخلفية التاريخية التى تدعمها وتساندها ، لانها ليست منفصلة او معلقة في فراغ ، بل هى فى النهاية محصلة أحداث ومواقف اجتماعية وتاريخية .

وقد أدرك المستعمرون - منذ الموجات الاولى للاستعمار - أهمية التاريخ وخطورته في تكوين وعى الامم واستلهامه لنهضتها، فكانت عمليات النهب والسرقة للاثار القديمة والمخطوطات والوثائق التاريخية ،والتى عانت منها المنطقة العربية منذ القرن السابع عشر على يد معظم الرحالة والمستشرقين ، والى جانب عمليات النهب ، بسحب المصادر ومواد الكتابة التاريخية من اصحابها ، كانت خطة المستعمرين لتزييف التاريخ ، وفى مصر عانينا من هؤلاء المؤرخين الذين داروا فى فلك الاستعمار ، والمؤرخين الذين استأجرهم الملك فؤاد لكتابة تاريخ أسرة محمد على ، متجاهلين دور الشعب المصرى فى صنع تاريخه ، وكما عجز الاستعمار عن أحكام سيطرته وتنفيذ مخططاته كاملة أمام نضال الشعب المصرى ، فقد عجز عن السيطرة على الكتابة التاريخية ووجد فى كل فترة من فترات تاريخنا الحديث والمعاصر من تصدى لتزييف التاريخ ، ودافع عن الحقائق والتزم بالامانة التاريخية ، والى جانبهم وقف بعض المؤرخين الاجانب .

ومع تطور المجتمع وتغير الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية تبرز - فى فترات - الدعوة لكتابة تاريخنا القومى ، واعادة كتابة التاريخ. أو النظرة الجديدة لتاريخنا ، والحفاظ على وثائقنا التاريخية ، يعزز هذه الدعوة ظهور وثائق جديدة أو مذكرات سياسية ، قد تجلى بعض ماكان غامضا، أو تؤرخ لفئات وقوى اجتماعية لم تكن مطروحة على بساط البحث التاريخى .

ومنذ اكثر من ربع قرن من الزمان، وفى بداية الستينيات ، طرحت فكرة اعادة كتابة التاريخ بين بعض اساتذة



التاريخ الحديث بجامعتى القاهرة وعين شمس وتلاميذهم من الباحثين والمهتمين بالدراسات التاريخية ، من خلال لقاءاتهم مع من كانوا على قيد الحياة من الذين ساهموا فى تنظيمات ثورة ١٩١٩ السرية ، ومنهم على سبيل المثال: حسنى الشنتناوى ـ عبد الفتاح عنايت ـ عبد العزيز على ـ الحاج أحمد جاد الله ، ومن الذين شاركوا فى الحياة السياسية من أقطاب الاحزاب السياسية قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وتبلور **الموقف فى مشروع أعده الدكتور محمد انيس والدكتور أحمد عبد الرحيم مصطفى، ولكنه وئد اثر مقابلتهم لوزير الثقافة فى ذلك الوقت ـ الدكتور ثروت عكاشة ، والذى صدمهم بقوله : « ان تاريخ مصر الحديث يبدأ بثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ » .**

وعكف أساتذة التاريخ على أبحاثهم وحاولوا تنفيذ مشروعهم من خلال الرسائل العلمية التى كانوا يشرفون عليها ، وان ظلوا تواقين لتنفيذ المشروع ، حفاظا على الوثائق التاريخية ولجمع المذكرات السياسية المتناثرة .

وفى عام ١٩٦٢ وفد الى مصر طالب من جامعة هارفارد ـ جولد شميت ـ لدراسة الحزب الوطنى بزعامة مصطفى كامل ومحمد فريد ، وعرف بين أساتذة التاريخ الحديث أن هذا الطالب اطلع على مذكرات محمد فريد وأكثر من هذا أنه قام بتصويرها ، فى الوقت الذى لم يطلع عليها أحد من أساتذة التاريخ الحديث أو الدارسين ، وكتب الدكتور محمد أنيس مقالا بجريدة الاهرام ـ يونيو ١٩٦٣ ـ ناشد فيه وزير الثقافة، التدخل لحماية الوثائق التاريخية والمذكرات السياسية من التسرب الى خارج الوطن ، وذلك اعمالا للقانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ الخاص بانشاء دار الوثائق التاريخية القومية ، وتعطى ـ المادة السادسة من القانون ـ الحق للوزير فى حظر خروج الوثائق الهامة من البلاد أو التصرف فيها ، وقد استجاب وزير الثقافة ـ الدكتور عبد القادر حاتم ـ فى ذلك الوقت الى نداء الدكتور أنيس وأصدر قرارا وزاريا رقم ٢٣٩ لعام ١٩٦٣ فى ٢٥ يونيو باعتبار أن المذكرات السياسية الآتية ذات قيم للتاريخ القومى وهى :

مذكرات سعد زغلول ـ محمد فريد ـ مكرم عبيد ـ عبد الرحمن فهمى ـ فخرى عبد النور ـ محمد على علوبه، ثم أضيف الى هذه المذكرات، مذكرات: محمد كامل سليم ـ اسماعيل صدقى ـ الدكتور محمد حسين هيكل .

وأودعت هذه المذكرات دار الوثائق، واستطاع الباحثون الاطلاع عليها لاول مرة .

وشكلت وزارة الثقافة لجنة خاصة بمشروع اعادة كتابة تاريخنا القومى ، الا انها بحكم تشكيلها كانت عاجزة عن الاستمرار، ويكفى أن نشير الى أن أحد أعضائها وهو المؤرخ الكبير عبد الرحمن الرافعى كان يصرح دائما بأنه ضد هذا المشروع .

● نشاط ملحوظ وتغير مفاجىء

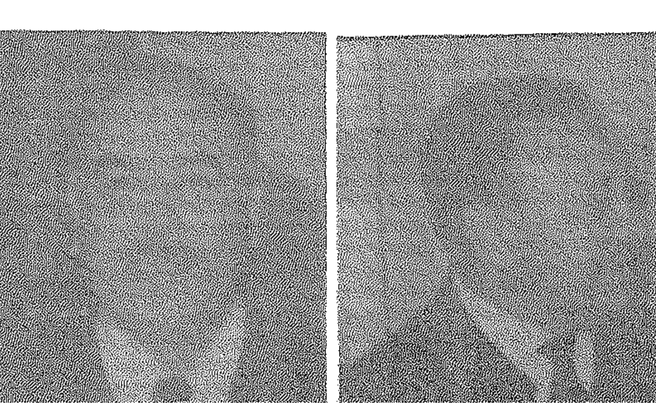
وفى عام ١٩٦٦ أعيد المشروع من جديد ، وتحمس هذه المرة الدكتور ثروت عكاشة وزير الثقافة فى ذلك الوقت ، وشكلت لجنة جديدة وبدأ المشروع يأخذ شكلا عمليا ، فقد انشىء مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر عام ١٩٦٧ باشراف

الدكتور محمد أنيس ، تابعا للوزارة ، وضم مجموعة من الباحثين منهم من حصل على الماجستير والدكتوراة ، مستفيدين فى رسائلهم بما لدى المركز من وثائق ، وشارك فى المركز أساتذة ومدرسو التاريخ الحديث باشرافهم على مجموعات الابحاث ، وقد بدأ المركز عمله فى حصر الوثائق وأماكن وجودها ، وفى الاجتماع الاسبوعى كان يقدم كل باحث ما أنجزه وما قابله من عقبات ، ثم بدأت الى جانب عملية حصر الوثائق ، عملية الاتصال بالشخصيات التى لعبت دورا فى تاريخ مصر وتسجيل ما لديهم من معلومات ، وسجل المركز للاستاذ فؤاد سراج الدين عدة ساعات ، كما زار المركز فى بداية نشاطه مجموعة من المؤرخين العرب والاجانب والتقوا بالباحثين والقى الكثير منهم محاضرات عن تاريخ الشرق الاوسط وتاريخ مصر ، ومشكلة الوثائق المصرية المعاصرة ٠ وكانت اصدارات المركز الاولى : كتاب تاريخ النظارات والوزارات للمرحوم فؤاد كرم ، وكتاب حادثة دنشواى للدكتور جمال الدين المسدى ٠ واتفاقية رودس ١٩٤٩ للدكتور محمود متولى وفى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ذهب الباحثون وأساتذة المركز الى السويس وسجلوا أحداث الحصار والمقاومة من الافراد العاديين والمسئولين والشخصيات التى لعبت دورا بارزا ٠

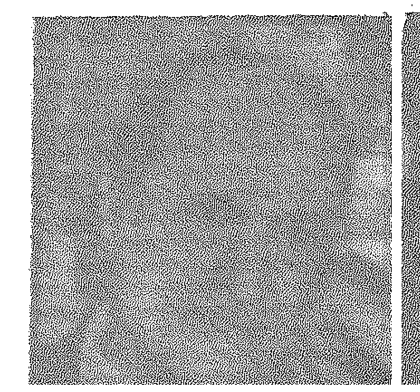
وقد انتقل المركز من مكانه بالجيزة الى الهيئة المصرية العامة للكتاب ، وبانتقاله أصبح جزءا من ادارات وأقسام الهيئة وبدأت أزمات المركز تتوالى وان كان قد أصدر أعمالا تاريخية هامة كانت معدة من سنوات مثل رسائل مصطفى كامل وأوراقه ومذكرات محمد فريد وغير ذلك مما صدر عن المركز ، كما صدرت عن المركز سلسلة « مصر النهضة » التى يشرف عليها الدكتور يونان لبيب رزق ٠

● أزمات وتدهور !

هذه مقدمة سريعة للوصول الى القضية الهامة التى أثارها الاستاذ محمد حجازى فى مقاله : « من الذى يكتب التاريخ ؟ » والذى نشر فى العدد الماضى من مجلة « الهلال » ، **ونحن نتفق تماما مع ما جاء بالمقال ، ونرى أنه بتقديم الاسباب الموضوعية لاعتراضه على اشراف الدكتور عبد العظيم رمضان على مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، فقد أثار فى نفس الوقت قضية المركز وتبعيته لهيئة الكتاب وان لم يتعرض له الكاتب ، لكنه بما**



د . ثروت عكاشة — د . عبد القادر حاتم



د . عبد العظيم رمضان



جاء فى مقاله فتح بابا ظل موصدا لسنوات طوال ، وحرك قضية يدور الهمس حولها ، ونحن نطرحها فى الضوء لمناقشتها ، وهى قضية مركز التاريخ ، والتى تركها معظم المؤرخين وأساتذة التاريخ ، أو تناسوها ، أو فضلوا الابتعاد عنها ٠

فالمركز يعانى من أزمات وتدهور منذ حوالى خمسة عشر عاما ، وتفاقم الوضع فى الشهور الاخيرة ، وما نشر فى الصحف والمجلات القومية والحزبية وما كتبه معظم الباحثين بالمركز من مذكرات يؤكد ما نقوله ٠٠ وما نشره الدكتور عبد العظيم رمضان فى مجلة أكتوبر دليل آخر على وجود الازمة ، وفى رأينا أن ما يناقش أو الذى حوله الصراع ليس جوهر أزمة المركز ولكنها أزمات نتجت عن وضع المركز وتبعيته لهيئة الكتاب ، وأصبحت هناك مشاكل ادارية ومالية معقدة واختلط الأمر بين الموظف والباحث بالمركز الامر الذى يعانى منه الباحثون الجادون، **وقد بدأت أزمة مركز التاريخ منذ أن أصبح ادارة من احدى ادارات هيئة الكتاب ، وفى غياب مشرف على المركز أو لجنة اشراف ، فالجميع موظفون تحكمهم لوائح هيئة الكتاب ،** حتى بلغ الامر أن تولى منصب مدير مركز التاريخ كبار الموظفين بالهيئة والذين لم يعرف عنهم أن لهم علاقة بالتاريخ ، منهم من كان مسئولا عن النشر بالهيئة ، وآخر فنان ومسئول عن الاعلانات بالهيئة ، وبالصدفة هما من متخرجى قسم الفلسفة !

وبالطبع نحن لا نلومهما ، ولا يقلل توصيفنا لوظائفهما من احترامنا لهما ٠

كما أن قرار رئيس مجلس ادارة الهيئة المصرية العامة للكتاب بتشكيل لجنة للاشراف على المركز برئاسة الدكتور عبد العظيم رمضان من سلطاته، ويتضح هنا الخلل ، فعلى أى أساس يستطيع أى رئيس مجلس ادارة لهيئة الكتاب اختيار مشرف على مركز التاريخ وهل مركز التاريخ ينطبق عليه ماينطبق على الادارات الاخرى كالمطابع والنشر والعلاقات العامة والتوزيع ٠٠ و ٠٠

لذلك لم تكن صدفة أن رفض أعضاء اللجنة الانضمام اليها أو الاستمرار فيها ، استمرارا لعزوف معظم أساتذة التاريخ الحديث عن المشاركة فى المركز ٠

● خطأ فى القرار

فمركز التاريخ يحتاج اليوم الى دراسة شاملة لكافة أوضاعه من خلال اجتماع موسع للمؤرخين والمفكرين وأساتذة التاريخ الحديث ، تطرح فيه الآراء كى يصبح المركز مركزا علميا حقيقيا ، على صلة دائمة بمراكز الابحاث العلمية فى مصر وخارجها ، وعلى صلة دائمة بأقسام التاريخ بالجامعات ، والجمعية التاريخية ،على أن تكون لجنة للاشراف على المركز من أساتذة التاريخ الحديث الذين عرفوا بموضوعيتهم وبعدهم عن التحزب السياسى حتى لا يستثمر نشاط المركز لخدمة غرض سياسى أو خدمة حزب بعينه ، وعلى أن يكون للمركز استقلاليته ـ خارج هيئة الكتاب ـ مركز مستقل تابع لوزارة الثقافة ، ونذكر أنه فى عام ١٩٦٣ عند تشكيل أول لجنة لمشروع كتابة التاريخ ، طرحت قضية الاستقلال

هذه . وصرح الدكتور حاتم - وزير الثقافة فى ذلك الوقت « بأن الوزارة ستشرف من الناحيتين المالية والادارية، أما الناحية العلمية فسيختص بها العلماء » .

وسيكون على رأس جدول أعمال لجنة الاشراف - اذا قدر لها أن تتشكل - التحقق من وجود الوثائق والتسجيلات الخاصة بالسياسيين القدامى ، والمسح الشامل الذى قام به الباحثون فى السويس وتسجيلاتهم لمقاومة الاهالي والجيش وذلك فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ولتوضيح الخطأ فى القرار الذى صدر باشراف الدكتور عبد العظيم رمضان على مركز التاريخ - بصرف النظر عن استمراره أو استقالته - نشير الى موقف الدكتور رمضان من المركز منذ سنوات طوال ، كما سنشير الى مواقف أخرى لتكون أساسا فى اظهار الخطأ فى القرار وسبب الاعتراض عليه .

● **مذكرات سعد زغلول :** جاء فى مقدمة مذكرات سعد زغلول التى حققها الدكتور عبد العظيم رمضان صفحة ١٤ ما يلى : « على أنى اشترطت أن يكون تحقيقى لهذه المذكرات بعقد خاص مع الهيئة ، لتجنيب هذه المهمة الجادة ما قد أجد من متاعب ، كما اشترطت أن أختار بنفسى مجموعة من الباحثين الذين يتعاونون معى ، لتوفير الضمان لاستمرارها وقد استجاب الصديق المرحوم صلاح عبد الصبور لذلك ، كما استجاب الصديق لمعى المطيعى مدير عام المركز فى ذلك الحين . » .

أى أن الدكتور رمضان تجنب مركز التاريخ تماما وكان عقده مع هيئة الكتاب ، ولم يحدث هذا فى مذكرات محمد فريد أو رسائل مصطفى كامل أو مذكرات عبد الرحمن فهمى .

● **مذكرات مصطفى النحاس :** والتى أشار اليها الدكتور رمضان فى جريدة الوفد - ١٩ مايو ١٩٨٧ - تحت عنوان : قنبلة علمية وجاء فى المقال : « كانت مفاجأة كبيرة لى حين كنت أستاذا زائرا بجامعة لندن فى عام ١٩٨٠ - ١٩٨١ عندما زارنى البروفسور فاتيكيوتيس .. ذات مساء ليفضى الى بخبر هام هو وجود بعض صفحات من مذكرات مصطفى النحاس بين يديه وأنه يقوم بفحصها بتكليف من احدى الجهات العلمية للتحقق من نسبتها اليه ، وكان مما قاله أن المذكرات معروضة للبيع مقابل عشرين ألف جنيه استرلينى » .

ثم يصل فى مقاله الى أنه تأكد من فؤاد سراج الدين بأن بعض هذه المذكرات لديه ، وأعلن فى نهاية المقال: « وقد يسعد القارىء أن يعلم أنه تم الاتفاق بينى وبين فؤاد سراج الدين على تحقيق هذه المذكرات فى أقرب فرصة ونشرها تباعا فى جريدة الوفد ان شاء الله » .

وهنا نتساءل هل اختار الدكتور رمضان موقف المؤرخ المحافظ على الوثائق والمذكرات السياسية تدعيما لمركز التاريخ ، أم اختار موقفا حزبيا؟

ألم يحرك المؤرخ فى داخله السؤال البديهى ، كيف وصلت مذكرات النحاس الى لندن ، ألم يكن دوره العمل على حمايتها وهو يعرف القانون الذى يتيح لوزير الثقافة عدم خروجها من مصر وايداعها دار الوثائق ، وبذلك يكون دوره استمرارا لدور أساتذته العظام الذين قاموا بدورهم فى مثل هذا الموقف منذ ربع قرن !

ونحن هنا نناشد وزير الثقافة التدخل لحماية مذكرات الزعيم مصطفى



النحاس والعمل على ايداعها دار الوثائق لتكون تحت يد الباحثين ، وذلك باستخدام المادتين السادسة والسابعة من القانون رقم ٣٥٦ لسنة ١٩٥٤ ،والذى حصلت دار الوثائق على المذكرات السياسية بمقتضاهما عام٦٣، فمذكرات النحاس ليست ملكا لفرد أو لاسرة أو لحزب وهى ليست قضية شخصية ، بل هى جزء من تاريخنا القومى ويجب ايداعها أو صورة منها فى دار الوثائق لتكون تحت يد الباحثين حتى لا تختفى صفحات كما حدث فى مذكرات سعد زغلول ثم يحققها بعد ذلك الدكتور رمضان وينشرها الوفد كما يريد ٠

● **اخفاء الحقائق** : فى كتابه « مذكرات السياسيين والزعماء فى مصر » تحدث الدكتور رمضان عن الذين أخفوا بعض الحقائق ، وضرب مثلا بعدم اشارة عبد الخالق فريد ـ ابن الزعيم محمد فريد ـ الى ما سبق نشره من مذكرات والده فى مجلة « كل شىء والدنيا » ويقول الدكتور رمضان « ولكنه بسبب غير معروف أخفى هذه الحقيقة » ٠ . .

وفى صفحة ٣٩ من الكتاب يقول الدكتور رمضان « على انه لم يكد يتسرب حصول بعض الهيئات العلمية الاجنبية على صورة من أوراق محمد فريد حتى اثار ذلك بعض أساتذة التاريخ بالجامعات الذين نادوا بضرورة استيلاء الدولة على الوثائق والمذكرات الخاصة بتاريخ مصر المعاصر الموجودة فى حوزة ورثة من شاركوا فى صنع الاحداث بالاستناد الى القرار الجمهورى الذى صدر عام ١٩٥٤ بانشاء دار الوثائق »

وهنا نجد الدكتور رمضان « لسبب غير معروف أخفى الحقيقة » فاشار الى « بعض » الاساتذة ثم أكد صفة الجمع بقوله « الذين » وهو يعلم جيدا أنه أستاذ واحد ، والذى قال عنه الدكتور رمضان ، فى صدر الطبعة الاولى من كتابه« تطور الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٨ ـ ١٩٣٦ » والذى صدر عام ١٩٦٨ : « طوال السنوات الست الطوال التى استغرقها اعداد هذه الرسالة لم يكن الدكتور محمد أنيس أستاذا ومعلما فحسب ، بل كان هاديا مرشدا ورفيقا كبيرا ، ولم يكن صاحب هذه الرسالة الدكتور محمد أنيس تلميذا فحسب ، بل كان متأثرا مؤتما ٠٠ بل كان مريدا » ٠

واذا كان من حق الدكتور رمضان حذف هذا الاهداء فى الطبعة الثانية من الكتاب فمن حقنا أن نشير الى ما حدث ونستنتج الدلالات ، خاصة أنه فى الطبعة الثانية من كتاب « الصراع بين الوفد والعرش » كتب اهداء للاستاذ فؤاد سراج الدين ، ولم تكن الطبعة الاولى تحمل أى اهداء !!

ولن نستطرد فى رصد مواقف الدكتور رمضان أو فى مناقشة موقفه السياسى، بل سنقف عند موقفه المتناقض من ثورة يوليو ١٩٥٢ ، وموقفه المتناقض أيضا بالنسبة لحزب الوفد ، وذلك للتدليل على خطأ القرار الصادر باشرافه على مركز التاريخ ، حتى لا يكون المركز فى خدمة « الانشقاق الاخير » من حزب الوفد ٠

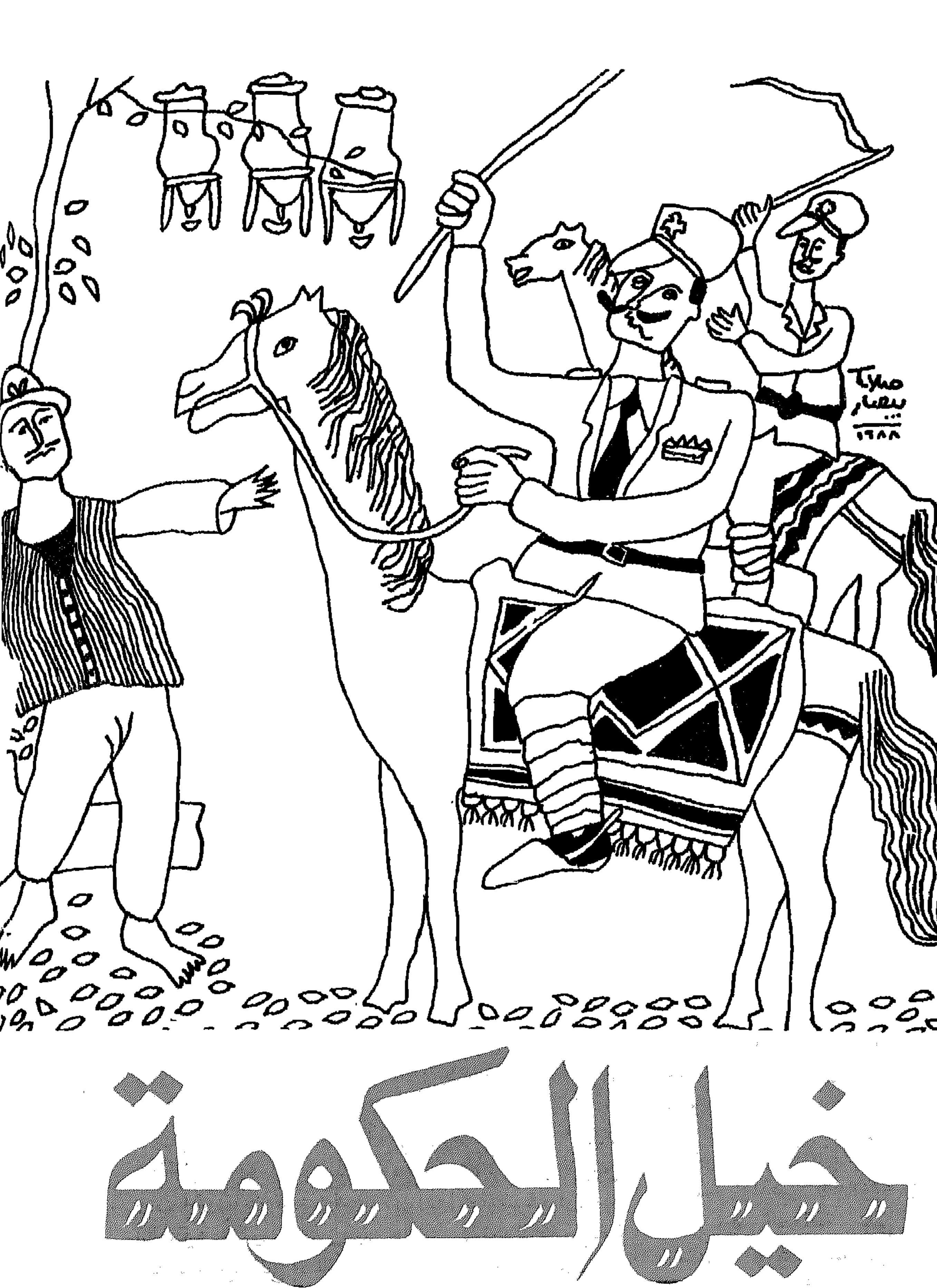
الموقف من ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ : فى كتاب « الصراع الاجتماعى

والسياسي في مصر - منذ قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ الى نهاية أزمة مارس ١٩٥٤ » يقول الدكتور رمضان في مقدمة الكتاب - صدر عام ١٩٧٥ - « وكانت الفترة من يوليو ٥٢ الى مارس ٥٤ ذروة الدراما الاجتماعية والسياسية ، حيث أخذ الصولجان السياسي الذي ظل في يد الطبقة البرجوازية الكبيرة في الفترة السابقة ينتقل الى يد ثوار يوليو ١٩٥٢ لينتقل بدوره بعد ذلك في حركته المحتومة الى يد الطبقات الجماهيرية عبر التحولات الكبرى الديمقراطية والاشتراكية على مسيرة الثورة ، ولكن القارىء قد يلمس انني كنت موزعا بين التعاطف مع الثورة والتعاطف مع القوى الليبرالية التي لقيت مصرعها على يد الثورة ·· على أن هذا التعاطف كان أشبه بوقفة تأبينية لمريض عزيز مات وكان من الافضل أن يموت أما تعاطفي مع الثورة فهو يتمثل في الموقف الفكري العام للدراسة المؤيدة للثورة واستمرارها . وهذا التعاطف نابع من ايمان عميق بحركة التاريخ واتجاهها المحتوم الى الامام ، وللانصاف فانه نابع ايضا من انني اكتب هذه الدراسة بعد نيف وعشرين عاما من الثورة ، أي بعد أن شاهدت التحولات الديموقراطية والاشتراكية العظيمة التي أحدثتها في تربة البلاد الاجتماعية والاقتصادية ، هذا الموقع التاريخي الذي أكتب منه قد أعطاني ميزة لم تتوافر للاسف الشديد للقوى التقدمية الليبرالية والاشتراكية التي التفت حول علم الليبرالية في الفترة من ١٩٥٢ الى ١٩٥٤ وهي تظن أنها تقف ضد دكتاتورية عسكرية لا ثورة حقيقية، في ذلك الحين كان موقع هذه القوى لا يتيح لها رؤية أو حتى التنبؤ بالتحولات السياسية والاجتماعية الثورية العظيمة التي تمت على يد عبد الناصر : كسر احتكار السلاح - تأميم قناة السويس - ثورة القومية العربية - تطوير الاصلاح الزراعي - قرارات يوليو ١٩٦١ الاشتراكية والقرارات المكملة لها ·· الخ » ·

والكتاب يقف مع ثورة يوليو ١٩٥٢ ضد جميع الاحزاب بما فيها الوفد « لم يلبث مجلس قيادة الثورة أن تحدى النحاس في شعبيته في الوجه البحري وفي بلدته سمنود بالذات » ويضيف: « كان الوفد يواجه أعظم تحد واجهه في حياته ، قوى ثورية من نوع جديد ، قدمت للشعب انجازات لم يستطع أن يحققها في تاريخه » ·

فهل من المعقول بعد نشر مثل هذا الكلام - وهو قليل من كثير - يأتي الدكتور رمضان بعد ذلك ويهاجم ثورة يوليو في كل انجاز من الانجازات التي عددها ، ويصل الموقف بالدكتور رمضان أن يقول عن الثورة التي تعاطف معها واشاد بما حققته ، أن يقول عنها : « ثورة يوليو التي ابتليت بها البلاد » (٢٩ يونيو ٨٦ مجلة أكتوبر) ·

لقد أخطأ الدكتور عبد العظيم رمضان ، صاحب « تطور الحركة الوطنية في مصر » - ثلاثة كتب - بمواقفه السياسية والفكرية المختلفة والمتناقضة ، وخلط كثيرا بين التاريخ والسياسة والصحافة والمواقف الشخصية ، وغيب حسه بالتاريخ ، ونسي بعض كلماته والتي نذكره بسطر واحد منها : « المؤرخ موقف فكري ومن هذا الموقف تكتسب كتابته التاريخية اهميتها أو عدم اهميتها » ·



خيل الحكومة

قصة قصيرة

بقلم: يوسف القعيد

جاءوا وقت الضحى ، الضابط والعسكرى والخفيران ، كان اليوم هو الجمعة الموعود ، طلع اليوم من بطن كل الليل ، وشقشق من ندى الفجر ، ولم يصل غياره الذى يتسلم العمل منه ، صهين « دياب أبو حزين » ولف سيجارة من علبة الدخان المصرية ، زرد زردة الشاى ، على نار الحطب الذى يجمعه من الغيطان التى حوله . ودفس زر بطاطه فى النار المصهرجة ، يسند به قلبه حتى ساعة الضحى .

لقم الشاى وقلبه بالسكر وصبه ، وبعد أول شفطة ، حبس وراءها بنفس من سيجارته اللف ، قامت « قوت القلوب » من نومها ، وشالت الزلعة لتملأها بالمياه من الترعة القريبة .

عمره مافكر فى حكاية اليوم الذى ولد فيه ، وماكان يعرف انه لابد وان يكون له يوم محدد بالعنيه ، من المفروض انه جاء فيه الى العالم .. الا عندما طلبوا منه ورقة ميلاده لكى يعمل فى هذه الشغلانة .

منذ شهر جاءته مراسيل الحكومة ، ظرف أصفر وورق ميرى وكتابة مطبوعة ، وكم واحد يلطع إمضاءه على الجواب من تحت ، أعطى الجواب لولد عايق ، صاحب عربية ملاكى يرمح بها ليلا ونهاراً وراء غوازى العب ، كلما مر عليه ، ترك وراءه غيمة من رائحة اللواندة التى يدهن بها جسمه وهدومه وعربيته .

قال له ، بعد أن القى نظرة سريعة على الورقة ، انه سيحال الى المعاش بعد شهر . حسبها دياب فى عقل باله : « شهر ؟! » فصل له الولد العايق الرايق الأمر : « تلاتين يوم » : بدا له الأمر بعيداً « حلنى » والولد الذى داس على بنزين السيارة مرة واحدة ، هون عليه الحكاية : « يامن يعيش » .

عفرت السيارة الهواء بالغبار الذى اندفع وراءها ، اكتشف أن اليد اليمنى فيها سيجارة مكنة غالية الثمن ، فلترها مذهب ، ويده الشمال فيها الظرف والجواب ، والولد جرى بالسيارة دون أن يقرب منه نار ولّاعته ، ليشعل السيجارة التى عزم عليه بها حتى يعفرها ساعة المغارب الطرية ، لم يشعر برغبة فى التدخين ، فشبك السيجارة خلف اذنه اليمنى ، يحتفظ بها ، مع غيرها من السجائر التى يبرطله بها أصحاب السيارات كلما مروا من المزلقان .

طلع قطار نواحى مصر ، ونزل قطار آخر الى الاسكندرية ، وقوت القلوب هى التى تقفل المزلقان ، وتناغش السواقين والمشاة وترد على تحيات عطشجية القطارات ، أخبرها ، فنكشت الأرض بعصا صغيرة فى يدها .. «شهر وشهير ، والثانى قصير» .. لعبت فئران الغيطان التى تلف حوله ، دايرن داير فى عبه .

فى الصباح ، أخذ بعضه ولبس الجلابية الوحيدة المعلقة على الحبل ، وركب المداس اللميع ، وخطف رجله

خيل الحكومة

الى المهندس الذى كان يزداد تخنا كلما رآه ، «يرعى فى قته محلولة» .. كان المهندس مشغولا لشوشته ، ولم يسمع ماقاله دياب ، وعندما قدم له الجواب ، نظر فيه بسرعة : «دى سنة الحياة» .

بلع «دياب ابو حزين» ريقه بصعوبة :

- «ليه عشم برضك» ..

قبل ان يكمل الجملة ، قاطعه المهندس ..

- انت كبرت وخرفت ياراجل ، دى قوانين ولوايح ..

رفع المهندس ، الذى كان عرقه مرقه ، يده التى تبدو كالمطرحة .

- «حظك فى رجليك ، مش لاقيين حد يستلم منك المزلقان» .. زغردت الفرحة فى صدر دياب ..

- «ماحدش عايز محولجى ولا يشتغل مزلقان ، لا بالنقل من عمله ولا تعيين جديد» ..

اندفعت الكلمات فى بال دياب ، كان يريد ان يقول ، انه مستعد للاستمرار فى العمل حتى يلاقى وجه كريم ، وان جاء يومه قبل يوم قوت القلوب ، فهى تشغل المزلقان ، ولية مجدع ، بنت اصول ، لو كان ربنا أراد له الخلفه ، لشغل ابنه ، أب جزم ، فى المزلقان بدلا منه . صوت المهندس اوقف الكلمات على طرف لسانه .

- «لازم حانلاقى لها حل» ..

نذر ساعتها ، ان لم يجدوا من يحل مكانه ان يسقى أولاد السبيل الشهد ، وان يوفى لسيدنا الحسين نذره .. خرج من مكتب المهندس ، على بابه ، نغزه قلبه فاحس بالوجع ، مد يده يسند قلبه ، بلع ألمه حتى لايعرف أحد ان ريقه نشف وجسمه خدل ، والدموع المالحة شكشكت جفنيه ، وشعر أن الارض توشك ان تنخلع من مكانها .. قال لنفسه وهو يضرب كفا بكف .. هوه احنا كنا عصينا ، ولزمته إيه المعاش بقى ؟

نظر دياب الى المزلقان ، والخص الذى بناه من حديد وخشب الفلنكات القديمة ، وفروع الأشجار ، رمى نظراته الى الترعة القريبة والجسر العالى ، وشواشى الشجر ، كانت الغيطان يغسلها ضوء الشمس الذهبى ، ضحك فى عبه وهل من المعقول ان يجدوا من يرضى بالضى ، والشمس والحر بالنهار ، والناموس وكلاب السكك طوال الليل ، يلضم الليل بالنهار مصلوبا على المزلقان وعيناه بزغلل فيهما الضى ، وودانه تنسد من صوت القطارات .. قال دياب للرياح والشمس وطيور السماء : " دا يبقى ولا جن مصور " .

منذ ان عمل هنا ، لم يجدوا من يبدل العمل معه ، وقال هو للمهندس " رقبتى يابيه " وضع المهندس يده على كتفه : «قدها وقدود ياراجل

ياشهم» : زن بعض عمال الدريسة في اذنيه ، أنه من المفروض ان يحصل على أجر إضافي ، فهو يعمل بدلا من ثلاثة رجال ، أما هو فعليه ان يراعي المزلقان ثماني ساعات من اليوم والباقي يأخذه راحة ، طالب بحقه ، جاء ردهم جافاً .. العاملان سيشاركانه الرزق والعمل ، مناهدة سنوات في السكن ، وقسمة الاكراميات على ثلاثة رءوس ، وقد يقلعه أحدهم من جذوره ، ومن الخص ، الأحسن له أن يشيل الجمل بما حمل ، ثم أن سكناه في الخص الذى بناه غير قانونية ، اسمها تعديات على أملاك الدولة ، وهم يغمضون عين الحكومة عنه ، مقابل ان يقفل بقه .

ملأ ازيار السبيل الثلاثة حتى عينها بالماء الصابح ، ورش الماء حولها ، وسقى الزرع الذى يضللها ، جال في خاطره ان شربة المياه للعطشان ، تحسب بقيراط في الجنة ، يوم خريفي لامع ومصقول ، مثل المرايا التي تغطى جدران المحلات في البندر البعيد ، والتى يقف أمامها طويلا لكى يرى نفسه كلما ذهب الى البندر .

استعد لأن يقضي حاجته في مكان قريب ، ثم يستنجي ويتوضأ في مياه الترعة ، حتي يصلي الجمعة جماعة في الزاوية القريبة ، ويسلم المزلقان لقوت القلوب التي عادت تحمل المياه المعين التي تملأها كل صباح من بئر اردوازية ، وهي المياه التي يشربونها ويعملون منها الشاي .

وقت الضحى رأهم على مدد الشوف ، لمحت عيناه المتعبتان غيمة العفرة التي كانت تتحرك ببطء فوق الجسر الذى يأتي من ناحية المركز .. اقترب العفار ، واستطاع ان يرى طشاش نقطتين ووراءهما نقطة اخرى ، والكل يجرى باتجاهه ، وان كان الجرى بطيئا ، والمشي سكيتي ، لأن الصوت لم يكن يصله .

كان الضابط الذى في المقدمة يركب مهراً ، والعسكرى الذى خلفه يركب حصاناً كحيانًا ، يعرج بقدمه الخلفية اليمنى وثلاثة من الخفر يجرون بين أرجل الخيل ، ووراءهم صبي لم يجف لبن أمه من فوق شفتيه ، متعب من المشي ، مهر الضابط .. كان يصهل من العافية ، وحصان العسكرى يئن ويتوجع ، وكلما توقف الشاب الصغير طلب منه الخفراء أن يسرع .

وصلوا اليه أخيراً ، رأى حوافر الخيل أولا ، عددها ثمانية حوافر ، وان كان أحدها معطوبا يجره الحصان بصعوبة ولايلمس به الأرض ، ثم اقدام الخفر التي بدون مداس ، والأصابع المفرطحة ، تبحث عن مكان يخلو من الحصى والزلط لكي تدوس فيه ، وبعدها بمسافة قدمين صغيرين في حذاء قديم ، يبدو ان صاحبه اشتراه مستعملا ، كما يفعل دياب ابو حزين عندما يشترى بلغة من سوق التلات .

خيل تجرى ووراءها أقدام ، حكاية غريبة على الريق .. سأل نفسه ، ان كان قد رأى غراب البين الأسود فوق كوم السباخ ، أو شاهد

خيل الحكومة

الحداية تحوم فى سماء الله العالية تبحث عن رمه ميتة ، أو سمع أم قويق : قال فى عقل باله : «لو جارت عليه الايام يكونوا جايين له بالعنية »

توقف الضابط ، فوقف الجميع ، تصور دياب انهم ربما وقفوا من باب التأكد ان القطار لن يمر الأن ، أو أنهم عطاشى يبحثون عن السبيل ، وسبيل عمى دياب معروف فى العب كله ، الضابط لم ينزل من فوق فرسه ، أشار الضابط للعسكرى والعسكرى نده على الخفير والخفير جاء نواحى دياب .

قبل أن يرفع دياب عينيه اليهم ، سأل نفسه : هل هى ساعة الاجابة التى تفتح فيها طاقة فى قلب السماء حتى يصل دعاءهم الى من رفع السماء بغير عمد ، أم هى ساعة النحس التى لايخلو منها يوم جمعة ؟

عندما أصبح الخفير امام دياب تماما ، قال له شيئا عن التسليم والتسلم ، واشار إلى الصبى الذى وصل متاخرا عنهم بدا ان دياب لم يفهم ، شوح الضابط بالسوط الذى فى يده .

ـ لم كراكيبك وورينا عرض كتافك .

غياره جاء أخيراً .. صبى حلم دياب طوال عمره ان يكون له ولد مثله ، عرض على الضابط ان يبقى معه ، يعلمه الشغل ويشربه الصنعة ، ورفض الضابط وصمت الصبى ، أفهمه الخفير انه لابد من مشيه ، قبل ان ينصرف حضرة الضابط ، وانهم جاءوا لهذا السبب ، نزل قلبه فى قدميه ، وروحه سحبت منه .

« أصل يابيه » حاول دياب ان يتكلم ، والضابط منعه بإشارة من الكرباج الذى فى يده ، والخفير شده الى الوراء والحصان مازال يرفع قدمه المعطوبه « أصل يابيه » عف ذباب الضحى وحط على الصوت الواهن الخارج من فمه ، وكان صوت الضابط كالكرباج الذى فى يده : « ولا كلمة » قال الضابط للعسكرى والخفير : « هيه شغلانه ؟ ينهد الخص » نظر ناحية دياب ، وطق الشرار من عينيه « مالكشى بلد » ؟! وقف السؤال فى ركن من دماغ دياب قبل ان يجيب عليه ، والضابط أكمل سؤاله .

ـ « ترجع لها » لقد نسى ان له بلداً ، لم يذهب اليها منذ سنوات ، مقطوع من شجرة ، ولا عيل ولاتيل ، حتى يذهب به ليريه بلده ، وقوت القلوب لها اقارب من بعيد . جاءهم العز فكفت خيرها بشرها ولم تعد تذهب اليهم .

رأى الخفر يتجهون الى الخص لهدمه ، فرفع يده ، اشار لهم بانه سيرحل ، « على الكراكيب ـ قال لقوت القلوب ـ وعليك الخلقات » هكذا قسم العمل بينهما بسهولة كما تعود ، وهو يجمع اشياءه سال احد الخفراء عن السبب فى



حضورهم قال له ان المهندس أبلغهم انه رجل معافر وعِنَدِى وراكب رأسه ، وأنه جاءه لطف ولن يترك المكان الا بالقوة.

أصبحنا على الطريق « على فين يا دياب » نظر خلفه ، نظر أمامه ، تلفت يمينه وشماله ، رفع رأسه ليرى السماء التى تنزل على مدد الشوف نحو الأرض « والله مانا عارف ياقوت » اصطفت على جانبي الطريق جراحهما معاً .

كانت الطيور ترحل والسيارات تكر ، والقطارات ترج الدنيا ، وخيوط الضوء النهارى الهاربة ، تتحول الى سلاسل وقضبان من الحديد وخيمة الليل اصبحت قفصا من الأسلاك الشائكة ليس له باب ولا نافذة .

لم تسعفه عيناه بدمعة واحدة ..

كانت أيام التحاريق تملأ عينيه ..

قالت قوت القلوب : " آه "

اكمل دياب : " آهين " .

الهلال والقصة

أجمل القصص على صفحات قرابة قرن

بقلم : شوقي بدر يوسف

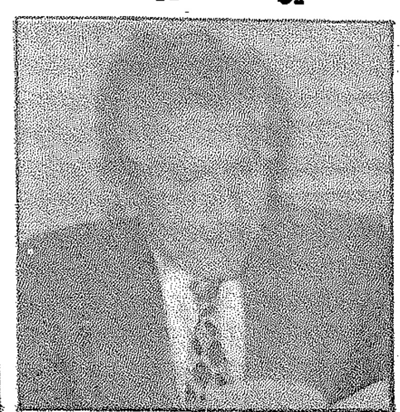
حينما كتب جرجي زيدان افتتاحية العدد الأول من مجلة الهلال في سبتمبر ١٨٩٢ لم يكن يدرى ان هذه المجلة سوف يكتب لها هذا الانتشار الكبير . وهذه الاستمرارية الدءوبة قرابة قرن من الزمان . بل لم يكن يدرى ان هذه المجلة الوليدة سوف يكون لها ابناء كثيرون وروافد عديدة تجمعهم دار كبيرة يقومون فيها على خدمة الأدب والفن والعلم ويضطلعون بمسئولية الفكر والثقافة

ولقد كان لاستمرارية صدور الهلال طوال هذه الفترة الطويلة بعد احتجاب كثير من الدوريات المماثلة كاللطائف والمقتطف ومجلتي والفجر والكاتب المصرى والسفور وفصول وغيرها اسباب عدة هو حرص القائمين عليها على الجدية والجدة والاخذ بأسباب الاصالة والمعاصرة فى كل ماتخرجه مطبعتها فى شتى أنواع الفنون والعلوم والآداب .

وقد اهتمت الهلال بفن القص اهتماما كبيرا ، يبدو ذلك من حرص منشئها على أن تضطلع بمسئولية الاشكال الحديثة من الأدب خاصة أنه كان من أبرز روائيي عصره . فضمن أولى افتتاحياته أن المجلة سوف تحرص على نشر الروايات فى باب ثابت خاصة الروايات التاريخية الادبية .

وقد احتلت «القصة القصيرة» فى اهتمامات مجلة «الهلال» مساحة متميزة فرضت نفسها على خريطة المجلة منذ منتصف العشرينيات ، بعد ان عاشت القصة مخاض ظهورها على يد المويلحى ومحمد عثمان جلال وجرجى زيدان وشوقى وحافظ وعائشة التيمورية وغيرهم الى أن بدأ ظهور اعمال المدرسة الحديثة على صفحات كثيرة من دوريات هذا العصر وعرف الأدب العربى القصة القصيرة المترجمة والمؤلفة وظهرت اسماء كثيرة فى هذا الادب مثل محمد ومحمود تيمور ومحمود طاهر لاشين وعيسى وشحاته عبيد وابراهيم المصرى وحسن محمود ويحيى حقى وحسين فوزى وغيرهم . كما عرف الناس تشيكوف وجوجول وبلزاك وجى دى موباسان وسومرست موم ومارك توين وبول بورجيه وتورجنيف وغيرهم من كبار الكتاب العالميين . واحتلت القصة مكانتها بجانب ابواب المجلة المختلفة . كما ظهر تلخيص الروايات العالمية على صفحات الهلال مما جعل الادب الروائى العالمى ينتقل الى الساحة العربية مبسطا فى باب «كتاب الشهر» الذى كان أحد الابواب التى تجذب القراء . والذى أخذته كثير من الدوريات المعاصرة عن الهلال .

وكما كان للدكتور هيكل فضل الريادة فى فن الرواية كان له أيضا فضل الريادة فى نشر أولى قصصه فى مجلة الهلال وهى قصة «حكم الهوى» التى نشرت فى عدد فبراير ١٩٢٦ بل هى أول قصة بمعناها الفنى الحديث تنشر على صفحات الهلال . وقد اعقبها الدكتور هيكل بقصة «الشيخ حسن» فى أبريل ١٩٢٦ . كما كانت أولى قصص محمود تيمور التى نشرت فى الهلال هى قصة «صابحة» وكان ذلك فى عدد مارس ١٩٢٨ . كذلك كانت أولى قصص رائد الرومانسية محمود كامل المحامى التى ظهرت فى الهلال هى قصة «حبيبه» فى عدد ديسمبر ١٩٣٠ . كذلك نشر محمود طاهر لاشين أولى قصصه فى الهلال فى عدد يناير ١٩٣٣ وهى قصة «تحت عجلة الحياة» ونشر يوسف



د . يوسف ادريس



د . بنت الشاطىء

يوسف السباعى

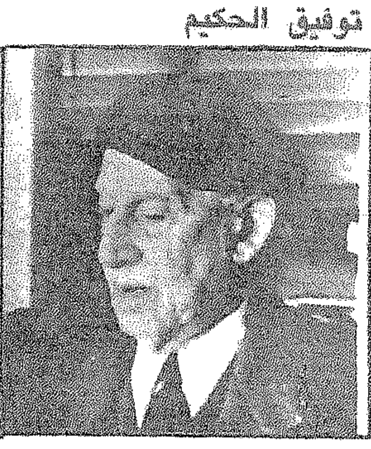
السباعى أولى قصصه وهى قصة «اريد الحياة» فى عدد مايو ١٩٤٨ ثم اعقبها فى نفس العام بقصص «آه» فى عدد اغسطس ، و« السقامات » فى عدد أكتوبر . كذلك نجد أن الهلال قد أفسح المجال لكثير من الكتاب الذين كانت القصة بالنسبة لهم هواية محببة بجانب هوايات التمثيل والسينما . فنجد أن زكى طليمات قد نشر إحدى قصصه فى عدد سبتمبر ١٩٤٩ وهى قصة «البطل» ونشر سليمان نجيب قصة «زوجتى» فى عدد سبتمبر/ أكتوبر ١٩٤٥ وفى نفس العدد نشرت العديد من القصص لبنت الشاطىء وعباس علام وغيرهم .

● احتفال بمبدعى القصة

وقد افردت الهلال للقصة اعدادا خاصة مختلفة ومتباينة تراوحت اوقات صدورها مابين شهور يوليو واغسطس وسبتمبر من كل عام وهو وقت يوافق العطلة الصيفية لكثير من الطلبة الذين يمثلون الجانب الأكبر من قراء القصة .

كما احتفت المجلة كثيرا بمبدعى القصة بيوجرافيا وذاتيا وابداعا ومتابعة ولقاء . وقد حذا حذو الهلال كثير من الدوريات الثقافية فى اهتمامها بالقصة القصيرة قضاياها وتطورها وابداعها . ومن الاعداد الممتازة التى افردتها المجلة لفن القصة القصيرة . عدد اغسطس ١٩٤٨ وقد كتب افتتاحية هذا العدد الكاتب الكبير عباس محمود العقاد وكانت بعنوان «قصة القصة» وقد لخص فيها العقاد القصة المصرية منذ اقدم العصور وحتى ظهور القصة الحديثة «لم يعرف التاريخ قصة اقدم من القصة المصرية ، السبب ظاهر هو ان المجتمع المصرى كان اقدم مجتمع عرفه التاريخ » «وكان للشرقيين السبق فى ميدان القصة بعد زوال دولة الفراعنة فظهرت القصة فى الاسكندرية وسوريا قبل ان تظهر فى آسيا الصغرى وسائر بلاد الاغريق » واستمع الناس فى مصر وسوريا وفارس الى الرواية والمحدث قبل أن تقرأ القصة فى أوربا ببضعة قرون . وكانت للقصة فى نشأتها الأولى من أقدم العصور ، كبرياؤها التى تلازم كل شباب . فكانت لاتتنزل الى الحكاية عن حادث غير حوادث العجائب والغرائب وقلما عنيت

نجيب محفوظ



توفيق الحكيم



محمود تيمور

بحديث فى الحب الا أن يكون حبا بين امير وأميرة أو بين شموس وأقمار .

وفى هذا العدد نشرت قصص «زهر المرقص» لمحمود تيمور ، قصة «القميص الاسود» للدكتور محمد عوض محمد ، «شهرزاد» للدكتورة سهير القلماوى ، «قلامة ظفر» لميخائيل نعيمة ، «على شط النيل» لبنت الشاطىء ، «صراع الروح والجسد» لعباس علام وقصة «آه» ليوسف السباعى ، «حياتنا لها بقية» لابراهيم الوردانى .

كما نشر فى هذا العدد نتيجة مسابقة الاقصوصة التى كانت قد أقامتها مجلة الهلال تشجيعا للقاصين على أظهار مواهبهم الفنية . وكانت لجنة التحكيم مكونة من الأستاذ عباس العقاد والدكتور طه حسين والسيدة أمينة السعيد والأستاذ محمود تيمور والسيدة بنت الشاطىء والدكتور أحمد زكى والأستاذ طاهر الطناحى . وقد فاز بالجائزة الأولى وقيمتها خمسون جنيها الاديب محمد عبدالحليم عبدالله الذى أصبح فيما بعد من اعلام القصة فى مصر عن قصته «ابن العمدة» وفاز بالجائزة الثانية الاديب سليم اللوزى الذى اصبح بعد ذلك رئيسا لتحرير مجلة الحوادث وأحد اعلام الصحافة فى العالم العربى عن قصته «البطل» .

من الاعداد الممتازة أيضا للقصة ذلك العدد الذى ظهر فى يوليو ١٩٤٩ والذى احتوى مقالة قيمة للاستاذ عباس محمود العقاد بعنوان «القصة والخرافة» وضّح العقاد الفرق اللغوى بين تسمية القصة فى اللغة العربية ومعناها المأخوذ من قص الاثر وبين معناها فى اللغات الاوربية والذى يطلق عليه «فكشن» وترجمتها العربية «الخرافة» كم احتوى هذا العدد على قصص عربية واخرى مترجمة ومقالات عن فن القصة . فقد كتب الدكتور أمير بقطر مقالة بعنوان «هل قراءة القصة إضاعة للوقت ؟» يبين فيه أهمية فن القصة بين سائر الفنون والاداب . كما كتب طاهر الطناحى قصة القصة المصرية منذ الفراعنة الى العصر الحديث بعنوان «يحكى ان .. فى مصر» كما نشر الهلال استطلاعا بعنوان «حيث يرقد طبيب الرواية» عن بلدة شكسبير «ستراتفورد» . كما اقامت المجلة ندوة بعنوان «اثر السينما والاذاعة فى القصة» حضرها كل من الدكتور محمد حسين هيكل والأستاذ


محمد عبدالحليم عبدالله


على احمد باكثير


احسان عبدالقدوس

الهلال والقصة

عباس محمود العقاد والأستاذ محمود تيمور والأستاذ توفيق الحكيم . تحدث فيها الحاضرون عن بعض قضايا القصة واتجاهاتها مثل «متى ولدت القصة العربية الحديثة ؟ » «اغراض القصة واتجاهاتها» «اثر السينما والاذاعة فى القصة «عناصر انتاج الادب الباقى» «لغة التأليف المسرحى» .

كما نشر فى هذا العدد قصص «اصفر الناب» لميخائيل نعيمة ، «الدير المهجور» للقصصى الفرنسى بول بورجيه ، « أنقذنى كلب» للكاتب الامريكى الساخر مارك توين ، «عقد اللؤلؤ الوردى» وهى قصة هندية لم يذكر اسم مؤلفها ، «المطلقة» للدكتور أحمد زكى كما نشرت فى هذا العدد آخر اعمال الشاعر على الجارم القصصية وهى قصة «الفارس الملثم» وكان قد كتبها خصيصا للهلال ولكن المنية وافته قبل نشرها «يوميات كيوبيد» للاستاذ حلمى مراد ، «سر الشاطىء» للأستاذة بنت الشاطىء ، «صائدة الرجال» للقصصى الفرنس جولاج فيدال ، «حياتى من اجلك» للأستاذ يوسف السباعى . كما استحدث الهلال باب من روائع القصص على الستار الفضى ، ونشر فى هذا العدد قصة «قيصر وكليوباترا» لبرنارد شو مع بعض المشاهد السينمائية لهذه القصة الرائعة .

● الوان القصص القديم

عدد آخر من اعداد الهلال الممتازة عن فن القصة صدر فى اغسطس ١٩٥٠ .

وقد حوى هذا العدد بين دفتيه لونا جديدا من الوان القص هو القديم الذى يحكى امثلة البطولة والنبالة فى الاساطير وقصص التاريخ والحديث الذى يصور المجتمع بمحاسنه وعيوبه ويعنى بالتحليل النفسى وعناصر الحكى المختلفة . ففى هذا العدد مواقف مصورة من الف ليلة وليلة منقولة من الطبعة الالمانية لهذه القصص المتميزة . كما تضمن العدد مقالة للأستاذ عباس محمود العقاد عن قصة «الاخوة كرامازوف» للاديب الروسى ديستويفسكى . وتضمن أيضا قصة مصورة للأطفال هى القصة الخالدة «سندريلا» . كما تضمن العدد مقالة طريفة بعنوان «سماع القصة خير من قراءتها» تبين ان القصة الشعبية فى كل امة ظلت تروى وتتداولها المجالس قبل أن تكتب وتدون بأعوام وأجيال مثل «ميثولوجيا الاغريق ، وحكايات الف ليلة وليلة ، واحاجى لافونتين ، وكليلة ودمنة ، والجنيات فى قصص الاطفال فى أوربا» كما تضمن العدد أيضا قصص «السهم المسموم» لعلى الجارم ، و «حبل الفضة» للكاتبة السويدية «سلما لاجرنوف ، «غالية» للدكتورة بنت الشاطىء ، «الشوق العائد» للأستاذ يوسف السباعى ، «صراع الحب» لديستويفسكى وهى تلخيص الأستاذ حلمى مراد «الاعمى» للروائى النمساوى «ستيفان زفايج» .

وفى سلسلة الاعداد المتميزة للقصة التى اصدرتها مجلة الهلال العدد الصادر فى ابريل ١٩٥١ بعنوان «قصص الربيع»

وفى هذا العدد يطالعنا العقاد كعادته فى هذه الاعداد باحدى مقالاته الرائعة بعنوان «قصة الربيع» اوضح فيها قصة المفارقة الكبرى فى الطبيعة والوجود وكيف كان

الاقدمون يتعاملون مع الربيع من خلال النماء والحصاد والنبات والفيضان وكيف يستقبل المحدثون الربيع حين يطل عليهم من تقويم العام مزهرا متفتحا ملؤه التفاؤل والبشر . كذلك يعرض الدكتور أحمد موسى موضوع «لوحات لها قصص» مثل لوحة «اول قصة» للفنان الالمانى «فراوند ورفر» ولوحة «قصة شمشون» للفنان «سولومون» ولوحة «قصة القط والفأر» للفنان الفرنسى «أ . رينشى» ولوحة «قصة ميدوسا» للفنان «و . كوتارينسكى» . كذلك كتب فى هذا العدد الدكتور محمود أحمد الحفنى قصة أحد الحان الموسيقار العبقرى «موتسارت» وهى افتتاحية اوبرا «دون جوان» بعنوان «فى ربيع العمر» وهى الافتتاحية التى كتبها موتسارت فى ثلاث ساعات فقط فى أحد ايام الربيع الساحرة .

وتمثيلية من فصل واحد « للأستاذ على أحمد باكثير ، «يوم فى حياة امرأة » للاستاذ حلمى مراد ، «الزهرة الجامحة » للكاتب الامريكى «أ . ب جلبين» ، «على فراش الموت» للروائى الروسى «ايفان تورجنيف» .

● أغرب القصص

وفى نفس العام صدر فى اغسطس ١٩٥١ عدد خاص أخر عن القصة بعنوان «اعجب القصص» ويتميز هذا العدد انه يأخذ من القصص اغربها واعجبها . ويحتفى بالاساطير وقصص الخيال . ويبدأ العقاد مقالات هذا العدد الخاص بمقالة بعنوان «اعجب قصة فى رأيى» وهى تتحدث عن قصة القارة المفقودة اطلنتس التى غاصت فى حوت الماء . ويقول عنها العقاد «انها قصة احسبها عجيبة لانها تشبه الواقع وتشبه الخيال فى آن واحد» .

ومثل ماصدر فى اغسطس ١٩٥١ عدد من الهلال بعنوان «اعجب القصص» صدر فى أكتوبر ١٩٥٢ عدد آخر بعنوان «أغرب القصص» . ويشمل هذا العدد على اغرب القصص الواقعية والخيالية والتاريخية . وقد استهل العقاد هذا العدد بمقالة ضافية عن قصة غريبة استحضرها من تاريخ الشعب المصرى وهى تتحدث عن شجاعة عالم مصرى كبير اشتهر بالشجاعة النادرة فى زمن كان الجبن فيه سائدا . هذا العالم هو «الشيخ العدوى» الذى افتى بعزل الخديو توفيق . والذى وقف فى ساحة المحكمة وهو الشيخ الهرم الهزيل يتلقى اتهام قاضى محاكمته اسماعيل أيوب باشا بكل شجاعة وهو يقول له : « ألم تجترىء على توقيع منشور تعلن فيه ان الخديو « توفيق » مستحق العزل ؟

وكأنما عاد الشيخ العدوى الى عنفوان شبابه حين سمع هذا السؤال . فيصيح بأعلى صوته : « اسمع ياباشا .. بغير حاجة الى مراجعة المنشور لأرى هل وقعته ام لم اوقعه ، أعلنك الساعة انك اذا جئتنى بمنشور فى هذا المعنى وقعته الان بغير تردد »

ومن الاعداد المتميزة التى اصدرها الهلال لفن القصة القصيرة عدد اغسطس ١٩٥٤ ففى هذا العدد الذى صدر بعنوان «الحياة قصص» .

فى هذا العدد نشرت قصص .. «شهيد الشهد» لميخائيل نعيمة ، «حليمة» لبنت الشاطىء ، « الشيخ حسن» للدكتور محمد حسين هيكل ، «الشيطان الاحمر» لوليم نويمان هيو ، «زوج وزوجة» للأستاذ احمد عبدالقادر المازنى ، «رجع الى قواعده»

لمحمود تيمور «الشيخ المنبوذ» لبرتراند رسل ، «الابكم البليغ» للكاتب الامريكى «ستيفن كيلين» «مشروع صلح» للسيدة أمينة السعيد» «الذئبة» للسيدة وداد سكاكينى «العقد المزيف» للاديب الفرنسى جى دى موباسان ، «الشجرة القاتلة» للروائية الامريكية ميريام الين ديفورد ، «بيت الاحزان » للسيدة صوفى عبدالله ، «جريز لدا الصابرة» للكاتب الايطالى الكبير بترارك .

وفى سلسلة اعداد القصة التى تصدرها الهلال .. صدر عدد سبتمبر ١٩٥٥ بعنوان «بدائع القصص » تضمن مقالة للعقاد وقصصا لميخائيل نعيمة .

وفى سبتمبر ١٩٥٦ صدر عدد من الهلال بعنوان «أروع القصص» يحوى مقالة للعقاد عن «قصص القرآن دروس وعبر» يقول العقاد فى هذه المقالة : «اذا روجعت قصص القرآن الكريم مراجعة دقيقة تبين للناظر فى مضامينها ان عبرتها الأولى دروس ينتفع بها الهداة ودعاة الاصلاح اذ كان من فرائض الاسلام الاجتماعية ان يندب من الامة طائفة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر» ، «كما برزت من قصص الانبياء قصتان مسهبتان فى اجزاء الكتاب لانهما ترويان نبأ الرسالة بين اعرق امم الحضارة الانسانية . وهى امة وادى النهرين وامة وادى النيل . وكانت قصة ابراهيم وموسى عليهما السلام من أجل ذلك أوفى القصص بين جميع قصص الانبياء . وان فى القرآن الكريم لقصصا شتى من غير قصص الدعوة او قصص الجهاد فى تبليغ الرسالة ولكنها تراد كذلك لعبرتها ولاتراد لاخبارها التاريخية ومنها قصة يوسف ويصح ان تحسب منها قصة اسماعيل عليهما السلام» .

وفى مايو ١٩٥٨ أصدر الهلال عددا خاصا جديدا من اعداد القصة بعنوان «الحياة قصص» احتوى على مجموعة من الاقاصيص لكبار الكتاب المصريين والعالميين . واحتوى العدد أيضا على آراء ثلاثة من كبار كتاب القصة هم الدكتور طه حسين والذى عبر عن رأيه بان للثورة أثرا فى تطوير القصة ، والأستاذ محمود تيمور الذى بين ان القصة العربية قد ادت رسالتها كاملة ، والأستاذ نجيب محفوظ الذى بين ان القصة تخدم القومية العربية . وقد وضح الدكتور طه حسين دور اللغة فى بلورة الاعمال القصصية وواجب الاديب وواجب الحكومة فى الحفاظ على اللغة العربية وحمايتها من عبث العابثين .

وفى أغسطس ١٩٦٠ أصدر الهلال عددا جديدا بعنوان «أحسن القصص» حوى دراسة هامة عن القصة للأستاذ الطناحى بعنوان «القصة فى ادبنا القومى» تعرض فيها الكاتب لاقدم القصص الانسانية بدءا من قصة خلق آدم وعصيان ابليس مرورا بقصص الجماعات البدائية ثم العصور على وثيقة ادبية فى عهد الملك مينا هى دراما شعرية تؤكد ريادة الفراعنة لفن القص . ثم قصة الغريق التى تحطمت سفينته بالقرب من سيناء ثم قصة الفلاح الفصيح وساكن الحقل ثم قصص الدولة الحديثة «قصة الاخوين» و« يوسف وزليخا» والملاحم

الشعبية التى تشبه الالياذة عند اليونان والشاهناماه عند الفرس .. والملاحم القومية فى مصر «انشودة الاله الوزير» «انشودة الاله آمون» ثم قصص ديوان العرب واساطير الامم والذى اقبل عليها استماعا ورواية العرب فى شتى بقاع الدولة الاسلامية ثم حرفة القصاصين فى المقاهى المعروفين بالشعراء يقصون قصص عنترة وسيف بن ذى يزن والزير سالم وابى زيد الهلالى وغيرها من القصص الشعبية . ثم التطور الذى لحق بالقصة من خلال اسلوب المقامة ثم ظهور القصة الفنية الى أن تطورت الى الاشكال الحديثة للقص .

كما حوى هذا العدد وقائع ندوة الهلال بعنوان «فلنتحدث عن القصة» وقد اشترك فيها الأستاذ محمود تيمور ويحيى حقى وزكى طليمات .

وفى ديسمبر سنة ١٩٦١ اصدر الهلال عدداً خاصا عن القصص بعنوان « المغامرات » غلبت عليه سمة قصص المغامرات والحكايات البوليسية ، وقد استهله الكاتب الكبير عباس العقاد بمقالة بعنوان «القصة بين شخص المؤلف وشخوص ابطاله «يقول العقاد» من مسائل النقد المتجددة مسألة العلاقة بين شخص المؤلف القصصى والشخوص التى يخلقها فى قصصه هل من شروط التأليف الحسن ان يودع المؤلف اولئك الشخوص أفكاره ويخلع عليها صورته ، ويمزج بها حوادث حياته ؟ وهل يعجبنا المؤلف لاننا نستشف اخباره وأراءه ومواقع هواه مما يقوله على ألسنة ابطاله وبطلاته . وما يمثله فى طبائعهم وعاداتهم وحوادث معيشتهم وعقائدهم التى يدينون بها او مقاصدهم التى يدعون اليها ؟ أوهو يعجبنا اذا كان على نقيض ذلك ينعزل عنها ويعطيها حقوقها من الاستقلال عن شخصه والانفراد بوجودها عن وجوده وبالعلاقات التى بينها وبين سائر الأبطال والبطلات عن علاقاته بمن حوله ؟

ولعل العدد الصادر فى مايو ١٩٧٢ من مجلة الهلال يعتبر من أهم الاعداد الخاصة التى اصدرها الهلال عن القصة وهو بعنوان «رواد القصة الاوائل» . وقد تعرض العدد للرواد الأوائل لفن القصة والرواية فى مصر والشرق . كما حوى على عدد من الدراسات الهامة فى مجال ريادة فن القصة والتى تعتبر مرجعا هاما للباحثين والمتخصصين .

وفى اغسطس ١٩٧٢ صدر عدد جديد من اعداد الهلال متضمنا جزءا عن أجمل قصص الحب .

ومن الاعداد الهامة ايضا التى اصدرها الهلال لادب القصة الاعداد التى صدرت فى اغسطس ١٩٦٩ ، اغسطس ١٩٧٠ ، مارس ١٩٧٧ وهى اعداد حوت كل مايتصل بالقصة تقريبا من قضايا ودراسات .

وفى عدد اغسطس ١٩٧٠ كتبت الدكتورة سهير القلماوى دراسة هامة عن مستقبل القصة القصيرة فى المرحلة المقبلة . تناولت فيها الكاتبة اثر وسائل الاعلام المرئية والمسموعة على الفن القصصى واثر الصحافة على هذا الفن شكلا ومضمونا .

وكانت الدراسات والمقالات التى حوتها الاعداد الثلاثة الخاصة الاخيرة من «الهلال» عن القصة القصيرة هى المحك الرئيسى والهام لتطور هذا الفن

نقديا ومتابعة وابداعا . فنجد عبدالرحمن ابو عوف يكتب عن «البحث عن طريق جديد للقصة القصيرة» ويكتب محمد بركات «القصة القصيرة بين جيلين» ويكتب الدكتور على الراعى عن تاريخ القصة القصيرة من المقامة بعنوان «قصة حديثة» فى عمل قديم ويكتب كمال النجمى : الجاحظ يكتب قصة حديثة ويكتب كل من سليمان فياض وجمال الغيطانى عن «تجربتهم فى الابداع القصصى» ويكتب فؤاد دواره عن «ندوة فى موسكو عن القصة القصيرة» ويكتب الدكتور سيد حامد النساج عن «الرومانسية فى القصة المصرية القصيرة «ويكتب د . سيد نوفل عن الدكتور هيكل فى تاريخ القصة العربية ويكتب الدكتور أحمد الشرباصى عن «القصة فى القرآن الكريم هل هى قصة خيالية أم قصة واقعية » ويكتب د . الطاهر مكى عن «الرواية الجديدة فى فرنسا» وتتوالى الدراسات والمتابعات والمقالات عن فن القصة لتحيل اعداد الهلال الخاصة بهذا الفن وكانها عيدا أو كرنفالا للقصة القصيرة .

كما يتضمن عدد مارس ١٩٧٧ قصة بقلم الناقد المرحوم انور المعداوى بعنوان «الشقاء المقدس» وهى تحكى قصة «مدام ريكاميه» التى كان جمالها وحيا لامير النثر الفرنسى «شاتوبريان » وامير الشعراء «لامارتين» ، وسيد كتاب الذاتية «بنجامان كونستان" . كما وقف جمالها صامدا لم يخضع لنابليون وهو قاهر الامم . فلقيت وزوجها أعنت ألوان الاضطهاد والتشريد وعانت قصة وفاء لزوجها الذى كان يكبرها بخمسة وعشرين عاما فكان شقاؤها وجمالها وحيا لاعمال فنية وادبية كثيرة .

وفى عدد القصة الذى صدر فى مارس عام ١٩٧٧ نجد بجانب الاسماء التى تربعت على عرش القصة القصيرة فى مصر اسماء اخرى ظهرت ووضحت بصماتها على الساحة أمثال شمس الدين موسى واحمد الشيخ وزينب صادق ومحمد سالم وعبد الوهاب الاسوانى وعليه سيف النصر وفاروق منيب وابراهيم عبد المجيد وغيرهم . وكما قال الاستاذ رجاء النقاش فى عدد اغسطس ١٩٧٠ « لقد انهالت على الهلال مايزيد على مائة قصة جميعها فى مستوى طيب ولكن الاختيار الصعب حال دون ظهور جميع هذه القصص فى اعداد الهلال القصصية ».

وفى وسط هذا الحشد الكبير للابداع القصصى . ووسط حركة ادبية نشطة كان محورها عددا كبيرا من الدوريات الثقافية والادبية وعلى راسها "الهلال" قفز الى ساحة الادب فى مرحلة الستينيات ما قبلها وما بعدها سؤال ظل يتردد على الشفاه يتحدث عن ازمة المسرح وازمة الشعر وازمة الرواية وازمة النقد . وفى مجال القصة طرح (الهلال) السؤال على عدد من كبار كتاب القصة والنقاد "هل هناك ازمة فى القصة القصيرة ؟" . فقال توفيق الحكيم : « عندى ان الازمة الحقيقية ليست هى ازمة القصة ولكنها ازمة

الفنان الخالق ، وعلى الفنان ان يتجاوز مايعترضه من مضايقات عصره ليفرغ لأزمته » واجاب نجيب محفوظ عن هذا السؤال بقوله : ماذا يمكن ان يفهم من معنى كلمة ازمة القصة القصيرة ؟ هناك في ظني ثلاثة مستويات او احتمالات لهذا المعنى . الاول : ان تكون ازمة مباشرة تصيب القصة نفسها كأن ينصرف عنها الكتاب او القراء الى اشكال تعبيرية اخرى . الثاني : ان تنشأ ازمة في التعبير لعدم وضوح الرؤية او لاعتبارات خاصة تتصل بالقصة . الثالث : ان تكون الازمة فيما يتعلق بالقصة وما يحيط بها من ظروف ، كأن يكون هناك ازمة نشر او ازمة نقد أو أزمة عدد .. الخ .

واجاب احسان عبد القدوس بقوله : انا لا اوافق على ان هناك مايمكن ان يسمى بازمة القصة القصيرة .. ولكننا قبل هذا وحتى نصل معا الى الحقيقة يجب ان نسأل : ماذا نقصد بالأزمة ؟ هل هي ازمة كم تتصل بالنشر والتوزيع او ازمة كيف تتصل بالانتاج القصصي ؟ واعتقد ان الازمة الواقعية هي ازمة انتشار القصة القصيرة ومدى هذا الانتشار عند القارىء اذا قيس بمدى انتشار الرواية الطويلة . واجاب يوسف السباعي بقوله : ليس هناك مايسمى بازمة القصة القصيرة ولم يكن هناك ابدا ما يمكن ان يسمى بهذا الاسم ، والدليل الذى يعطيني كل يوم مؤشرا على ان عدد القصص القصيرة يتزايد باستمرار . ولكن قد تكون هناك ازمة في نوعها . واجاب الدكتور يوسف ادريس على سؤال الهلال بقوله : انا لا اعتقد بوجود ازمة في القصة القصيرة بشكل خاص . ولكنني اوافق على وجود ازمة في التعبير بشكل عام .. اى ان هناك ازمة قائمة بين الادب كمعبر عن مجتمعه في ظرفنا الراهن وبين قدرة هذا المجتمع على استيعاب هذا التعبير .

وقد اصدر "الهلال" اعدادا كثيرة بخلاف الاعداد الخاصة بالقصة في شتى المجالات والقضايا الفكرية والادبية في مناسبات عديدة ، كالعدد الذى صدر بمناسبة مرور ٧٥ عاما على انشاء الهلال .. العددين التذكاريين اللذين صدرا في اكتوبر ١٩٧٥ ، واكتوبر ١٩٧٦ في مناسبة نصر اكتوبر المجيد . كذلك اختص "الهلال" خمسة من كبار الادباء المعاصرين باعداد خاصة هم "طه حسين والعقاد وتوفيق الحكيم واحمد شوقي ونجيب محفوظ" وقد ابرزت هذه الاعداد الجوانب المضيئة في حياة هؤلاء الاعلام من وجهة النظر النقدية والتنظيرية خاصة الجانب القصصي منها . ففي عدد طه حسين الذى صدر في فبراير ١٩٦٦ كتب عبد الرحمن صدقي عن "عميد الادب ومعجزة الايام" وفي عدد العقاد الذى صدر في ابريل ١٩٦٧ تكتب الدكتورة سهير القلماوى عن "سارة او عبقرية الشك" وفي عدد توفيق الحكيم الذى صدر في فبراير ١٩٦٨ تكتب الدكتورة لطيفة الزيات عن "قصص الحكيم" . اما العدد الخاص الذى صدر في فبراير ١٩٧٠ عن نجيب محفوظ . فقد كان عددا حافلا بفن القصة والرواية عند هذا العلم الكبير وقد شارك فيه عدد كبير من الدارسين والمتخصصين والنقاد تناولوا عالم نجيب محفوظ من كافة

جوانبه الشخصية والابداعية . كما نشر في هذا العدد قصة جديدة لنجيب محفوظ تنشر لاول مرة وهى قصة "روح طبيب القلوب" .

دور بارز للهلال

وهكذا كان لمجلة "الهلال" دور بارز هام في اضاءة الطريق لفن القصة والرواية في مصر والعالم العربي عن طريق هذه الاعداد الخاصة والتى اصبحت تمثل الان في تاريخ الادب القصصى علامة هامة ومتميزة .

كما ان المتتبع لهذه الاعداد يجد ان تتابع الاجيال يظهر بوضوع على صفحات المجلة . وان فن القص منذ حداثة عهده في مصر ظهر اول ما ظهر على صفحات الهلال . بل ان دار الهلال قد افردت سلسلة خاصة لفن القص هي "روايات الهلال"

وفي سلسلة "كتاب الهلال" .. اهتمت دار الهلال ايضا بفن القص حين اهتمت بسير العظماء وتراجمهم بجانب الاعمال الابداعية والدراسات التى تتناول الفن القصصى بالتحليل والمتابعة فظهرت طبعة جديدة لرواية "زينب" في يناير ١٩٥٣ والبؤساء لفيكتور هوجو وزهرة العمر لتوفيق الحكيم ، غادة النيل لاميل لودفيج ، يوميات نائب في الارياف لتوفيق الحيكم كما ظهرت مجلدات الف ليلة وليلة مزينة ومنقحة . كما ظهرت قصة الدكتور طه حسين وتوفيق الحكيم "القصر المسحور" . كما ظهرت ايضا روائع شكسبير ، ورواية اخر الطريق للسيدة امينة السعيد ، والاعمال الاولى لرواد القصة مثل حديث عيسى بن هشام للمويلحى وليالى سطيح لحافظ ابراهيم . كما ظهرت قصص احمد حسن الزيات صاحب الرسالة . واهتم "كتاب الهلال" بالدراسات الأدبية في مجال القصة والرواية فظهرت الرواية المصرية المعاصرة ليوسف الشارونى ، نماذج من الرواية العالمية" لمحمد الحديدى ، "القصة القصيرة نظريا وتطبيقيا" ليوسف الشارونى ايضا ، الرؤية الابداعية في ادب يوسف السباعى للدكتور عبد العزيز شرف ورجاء شعير ، "القصة القرانية » لفتحى رضوان "واعلام الفن القصصى في الغرب" لهنرى وانالي توماس واعمال اخرى ظهرت في نطاق هذه السلسلة وخارج نطاقها .

وتتتابع اعداد "مجلة الهلال" متدفقة مليئة بالحيوية والنشاط ممتلئة بثمرة الفكر ونتاج العقول وروائع الابداع تسير بخطى ثابتة نحو المائة عام كانت فيه مجلة الشرق الاولى وكانت الفنون والعلوم والثقافة والاداب هي محور اهتمامها وصلب صفحاتها . وكان الشعر والمسرح والنقد والقصة والرواية هى الصفحات المضيئة والعلامة البارزة في سطورها . وكان القص على وجه الخصوص باعداده المتميزة التى صدرت من "الهلال" هى الابتسامة الحلوة التى كان يحلو لمجلة الهلال العريقة ان تطلقها كل عام مرة او مرتين او اكثر .

رسالة باريس

صباح الخير يا باريس

بقلم : محمود بقشيش

ما أن وصلت إليها مساء الرابع من يناير الماضى حتى اكتشفت أن معارض هامة قد أفلتت منى ، وأن معارض أخرى قادمة لن أتمكن من انتظارها ، ورغم ذلك فالمتاح كثير ومتنوع ومثير للتأمل ، والتساؤل ، ومن بين هذا الكثير ما كان مفاجئا لى .

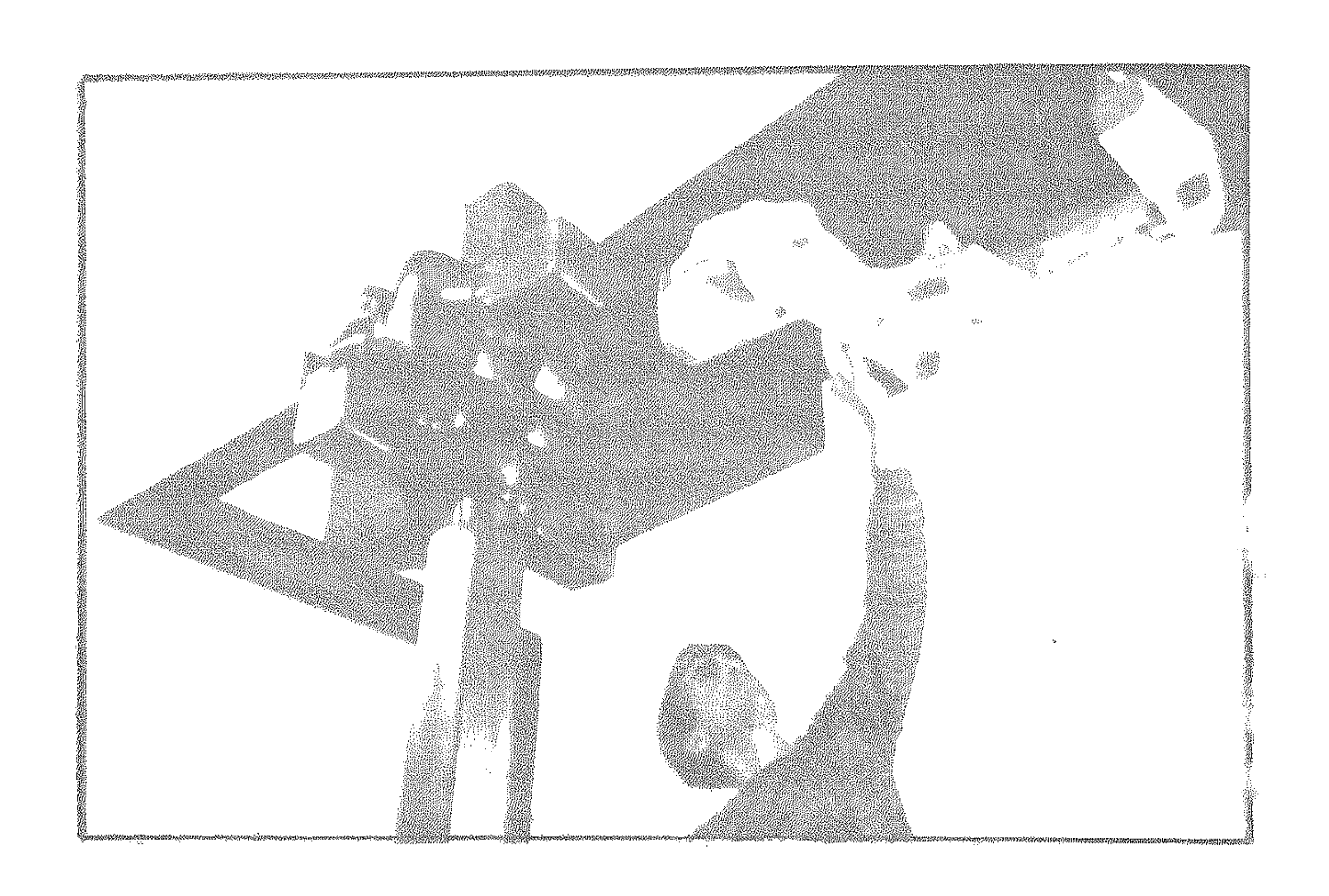
ومن تلك المفاجآت افتتاح معهد العالم العربى ، وهو مبنى ضخم يشبه - على حد تعبير "كريستيان نقاع" مديرة المتحف - "سفينة من زجاج وفولاذ مرصوصة على امتداد نهر السين" . وقد صمم هذا المبنى المهندس "جان نوفيل" وشركاؤه . وتكلف بناؤه ٣٤١ مليون فرنك . أسهمت الدول العربية (وعددها تسع عشرة دولة - حتى الآن - بـ ١٥٤ مليون فرنك ، فى حين أسهمت فرنسا بمبلغ ١٨٧ مليون فرنك) . ويتكون المتحف من سبعة طوابق ، تضم مراحل مختلفة من التراث الاسلامى فى مجالى الفن والعلم التطبيقى ، واحتلت إنجازات المعاصرين من الفنانين العرب جناحا صغيرا ، ولم يضم هذا الجناح إلّا الابداعات التى أنجزت منذ خمسينيات هذا القرن . ولقد برّر الأستاذ "إبراهيم ابن الحسين العلوى "مسئول قسم الفن المعاصر" لهذا بتبرير أراه غير مقنع ، فقد قال : (يقف وراء المجموعة التى تبدأ بإبداع الخمسينيات اعتبار تاريخى : كون هذه الفترة مرتبطة بتحقيق وعى أبان عن نفسه عبر ميادين الفكر ، ومجال الفن بخاصة) .. أما الطابقان الأرضيان فيضمان قاعات للمعارض المؤقتة . وقد ضم المتحف من أعمال الفنانين المصريين : (عبد الهادى الجزار حامد ندا . منير كنعان . أحمد نوار . عوض الشيمى . صبرى منصور . جورج البهجورى . آدم حنين) . وطبع كتاب فاخر الطباعة عن مجموعة متحف المعهد من الفن

العربي المعاصر . ضم مجموعة هامة من الدراسات لـ : إبراهيم العلوى . عبد الكبير الخطيبي . ادونيس . بلند الحيدرى . طوني مريني . عبد الوهاب المؤدب . محمد المطالسي . وتصب مجمل الدراسات فى هدف واحد ، هو الدفاع عن الحرف العربى ، واعتباره ملاذا للفنان العربى المعاصر ، وطريقا واحدا للفن لابديل له ! .. وعلى الرغم من أننى لست ضد "الحرف العربى" أو استخلاص كل إمكاناته الجمالية التعبيرية فإننى لا أرحب بأن يكون هذا هو الملاذ الوحيد للفنان العربى لمواجهة التنوع الخصيب وغير الخصيب فى الإبداع الغربى ، ولقد لاحظت ـ وهنا يظهر وجه السياسة ـ اختفاء تأثير الموروث الفرعونى من الدراسات ، .. فلم يذكر ـ باعتباره على الأقل ـ منبعا من المنابع التى تشكل قومية الملامح فى الفن ، ولم يفهم دور "مختار" ، وعد فنه دعائيا ، وربما اتيح لى ـ فيما بعد ـ مناقشة تلك المقالات تفصيلا .

اذكر اننى عندما شاهدت الصور الملونة لهذا المبنى أعجبت به .. لكن عندما احتوانى شعرت بشيء من القلق والانقباض ، فالاسقف الرمادية . واطئة للدرجة التى تكاد تلامس الرءوس او تهددها بالسحق ! .. ولاتكاد تخطو خطوة حتى تكتشف انك مراقب بدوائر تليفزيونية تتعقبك كذلك !

● فونتانا

على بعد بضع محطات قليلة تلتقى بمبنى آخر يشيع داخله وخارجه جو نفسى مناقض لجو المعهد العربى .. ذلك هو "مركز بومبيدو" أمامه تقام ، وبصورة عفوية ، احتفالات مرتجلة فى كل مجالات الابداع التى تتسم بالطرافة والمرح ، وداخله تقام معارض لفنانين حققوا شهرة عالمية ـ أو على الأقل ـ شهرة واسعة فى بلادهم (على أن تكون بلادهم أوربية !) بالاضافة للمتحف الثابت لعرض إنجازات أبرز فنانى القرن العشرين . كان المركز يقدم وقتها معرضا شاملا للفنان "لوسيان فونتانا" (١٨٩٩ ـ ١٩٦٨) منذ أعماله النحتية "التشخيصية" الاولى حتى أعماله "التجريدية" الأخيرة ، وهو فنان تتسم أعماله بالتنوع الشديد ، والاحتفال بالخامات المختلفة والغريبة مثل : النيون والسيراميك والاسمنت والنحاس والفخار وتصلح كثير من أعماله فى مجال الاعلان . وقدم اعمالا ذكرتنى بتعبير الصديق الناقد "مختار العطار" (التجريد العبثى) ! .. فما أكثر المسطحات الملونة ، وما أكثر الشقوق والخروم العشوائية التى أحدثها فى تلك اللوحات . وقد وجد "فونتانا" ـ بطبيعة الحال ـ من النقاد ما يبرر له مايراه ، فمنهم من تحدث عن علاقة المساحة الهندسية الصفراء او الحمراء بالاختراق التلقائى المشحون بالعواطف الجياشة ، ومنهم من تحدث عن جراته فى اقتحام الاناقة "البرجوازية" ! .. وبالمناسبة فإن هذا



حجر من برونز ١,٩٠ م × ٠,٥٠ م

المعرض الذى احتل كبرى قاعات العرض بمركز "بومبيدو" سينتقل بعد ذلك إلى "أمستردام" و "برشلونة" و"لندن" !

● فرويد

إن متابعاتى المباشرة ، وغير المباشرة ، لما يحدث فى الابداع الغربى يؤكد لى فى كل مرة أن "المستوى" وحده ليس كافيا للعبور إلى العالمية .. إذ لابد من وجود مؤسسات كبرى تساند الفنان ، ويتضح هذا مع فنان آخر يقام له معرض فى قاعة بالدور الأرضى بمركز "بومبيدو" .. هو المصور الانجليزى - الألمانى الأصل - (لوسيان فرويد) ، وقد فرّ مع أسرته اليهودية عام ١٩٣٣ من ألمانيا إلى أنجلترا وهناك أستقرت الأسرة . لقد أشترت له السفارة البريطانية صفحات فى الدوريات الفنية المختلفة لنشر أعماله بصورة بارزة ، ولقد عَدّه أحد محررى مجلة "تايم" وأسمه "روبرت هيج" أعظم المصورين الواقعيين الأحياء !.. ولقد جرى نفس التعبير على أقلام كتّاب الدوريات الفرنسية !.. وهو - فى تقديرى - يتضاءل إذا وضعت (بورتريهاته) إلى جوار (بورتريهات) بيكار أو عزالدين حمودة أو صبرى راغب .. !

ضم المعرض مختارات له منذ عام ١٩٤٧ حتى الآن . وموضوعاته هى موضوعات الفن التقليدى : الوجه الانسانى . العارى . ولقد ظننت للوهلة الأولى أن الأعمال المعروضة من إنتاج فنانين لا فنان واحد . فأعماله الأولى

تختلف اختلافا واضحا في أسلوب الأداء عن أعماله الأخرى ، ففي الأولى حرصٌ شديد على الرسم الخطي ، وعلى التفاصيل الدقيقة لملامح الوجه وخاصة العين والشعر .. مع تحريف واضح ومقصود للنسب ، وتكثيف الشحنة التعبيرية في العيون .. مع اتجاه الى الرمز إن وجوهه .. ومعظمها يمثل وجه زوجته الأولى .. تكشف عن وجه معبر ، وعينين وحشيتين .. غير أن ذلك التعبير اللاذع يراوغ بأناقة الخطوط ، وبرودة الألوان ، ونعومة مسطح اللون .. بحيث لاتفرق بيسر بين خامة الزيت والجواش والباستيل .. أما في المرحلة الأخرى فقد انقلب على نفسه ، وسمح هذا الانقلاب بظهور الوحشية الكامنة تحت السطح الناعم ، فاحتلت اللمسة الحادة . القاطعة . المحملة بعجائن كثيفة من اللون .. البطولة . وتخلى عن الاناقة ، والتزم النسب الواقعية إلا ما جاء عفوا . وانقلب اللون البارد ساخنا ، واحتل الجسد العارى موقعا مرموقا في إنتاجه ، غير أن هذا الجسد - البطل - صار مفضوحا . ممتهنا . صادما للمشاعر .

● عرض بانورامي

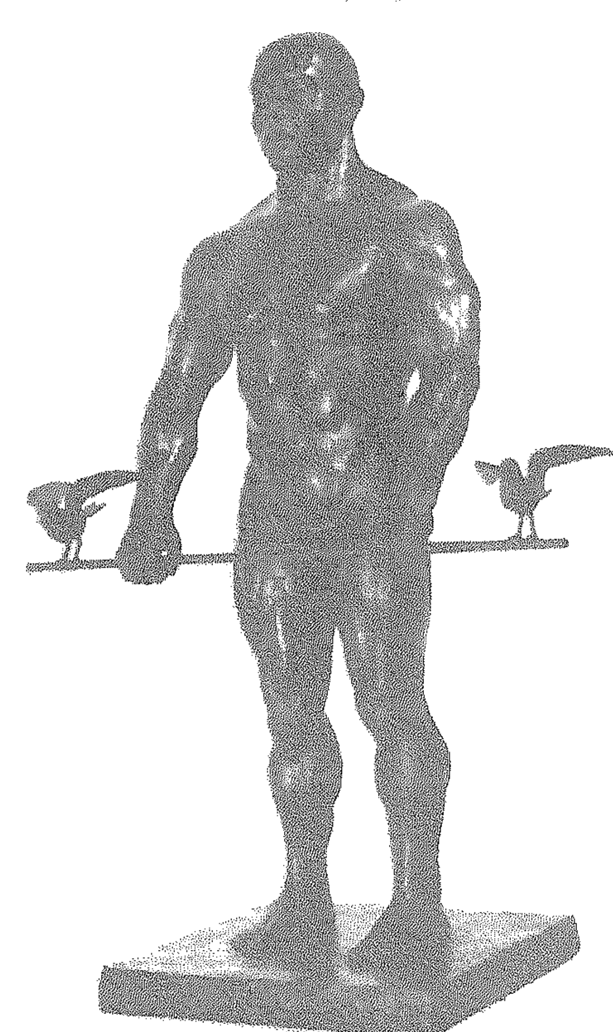
ما تكاد تخرج من قاعة العرض حتى يواجهك مباشرة عرض آخر يناقض سابقه من الألف إلى الياء . ففي الدور تحت الأرضي قاعة مفتوحة يطلقون عليها تعبيرا رمزيا هو : "ساحة المحاكمة !" تقام فيها العروض التجريبية التي تستهدف الابهار والدهشة . ما يشاهده المتلقي هو "فرجة" - على حد تعبير محرر النشرة الخاصة بهذا العرض - وهي فرجة تجمع "الشكل" و "الصوت المغنى" في وحدة بصرية . شعرية . تجذبك إلى منطقة السحر ، والانفلات من أسر المعاني المحددة . وعلى الرغم من أن هذا العرض معد عن قصة للكاتب (فيليب ك . ديك) فإن ماتراه أبعد مايكون عن سرد قصة . ربما اوحى تتابع الصور بتوالد الأزمنة والحضارات وحلم الانسان في أن يتسيد الكون . يجذبك عند الدخول الى القاعة ضوء شريطي ، تزداد حمرته وضوحا ، وهو يتجه الى بؤرة مسطح رخامي على شكل ثماني مخطط . فإذا اتجهت الى البؤرة وجدت شكلا ثمانيا آخر .. مضيئا ، ومفرغا . وتتساءل عن معنى تلك القذيفة الضوئية التي اغرتك بالتوجه إلى البؤرة .. فتكتشف ان على راس كل زاوية من زوايا الشكل الثماني "مستطيل" فيدفعك الفضول الى الفرجة ، فيسحبك "المستطيل" إلى قاع قد يمتد لأكثر من متر تحت الأرض .. حيث تستقر به شاشة تليفزيونية تعرض عليك مايدور في الشاشات التليفزيونية المثبتة في حلق المسرح .. فتختار بين ان تذهب إلى هناك او تكتفي بالعين المسحورة .. التي تذكّرك بطفولتك ، فإذا ذهبت إلى مجمع الشاشات وجدت الأحداث تحتل بعضها أحيانا ، أو تنتشر فيها جميعا بناء على نظام محكم في الاخراج . في رحاب هذه

"الفرجة" تنشط حواسك وذهنك ، وتنسى كل الاحزان التى تركها لديك "لوسيان فرويد" والعبث الذى خلّفه "فونتانا" فى ذاكرتك !

● قاعات العرض الخاصة

إن قاعات العرض الخاصة تزدحم بها باريس ـ خاصة فى شارع "سان چيرمان" و "بونابرت" و "السين" ـ تسهم فى تكوين الذوق العام ، بالاضافة إلى ما تتيحه لفنانيها من ذيوع متفاوت الدرجة . إن أصحابها

تمثال من البرونز للفنان ابيل اوجية



تجار لوحات يتعاملون مع الفن والفنانين باعتبارهم سلعاً تتفاوت ارتفاعا وانخفاضا . لهذا كان ـ لابد بالنسبة لما بينهم من منافسة ـ أن يتجهوا الى التخصص . فبعض هذه القاعات لايعرض إلا لفنانين ينتمون الى الأسلوب الواقعى ، وبعضها لايسمح إلا بالتجريد المطلق . ومنها ما أقتصر على فترات زمنية محددة .. فهناك قاعة لاتعرض إلا نحت القرن العشرين ابتداء من أوائل القرن حتى خمسينياته ، وأخرى لاتعرض إلا التصوير ابتداء من الأربعينيات حتى الستينيات فقط ! .. ولفت نظرى أن أكثر العارضين من الفنانين الأجانب ..

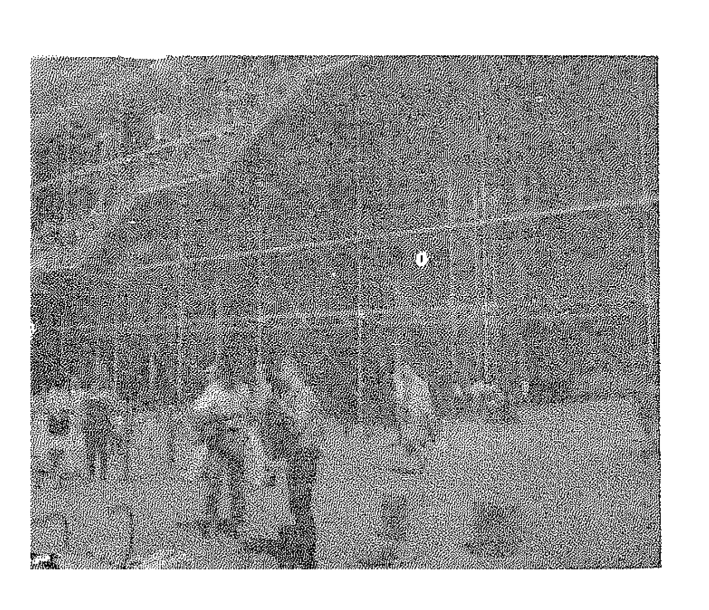
المقيمين بعض أو كل الوقت فى "باريس" . ولقد أبدى أحد سماسرة الفن دهشته عندما أخبرته بأننى أقيم معرضا مع زميلين بالمركز الثقافى المصرى ـ المجهول رغم موقعه الهام فى شارع "سان ميشيل" ـ وقال لى : كيف يمكن اختراق "باريس" من خلال مركز رسمى معزول ؟! قلت له : ليست المشكلة فى كون المركز رسميا ولكن المشكلة تكمن فيما ذكرت من عزلة .. ففى قلب شارع "سان جيرمان" يوجد مركز من أنشط المراكز الثقافية هو المركز الثقافى لألمانيا الديمقراطية ، فقد قدم فنانا المانيا بصورة لائقة" .. وإذا كان "الفن" فى مجتمع رأسمالى سلعة فكذلك "النقد" .. فالأقلام تشترى ، والصفحات فى المجلات الفنية تشترى ، كل قلم له سعر ، والمؤسسة التى تسعى لخلق "نجم" عليها أن تدفع الثمن المناسب !..

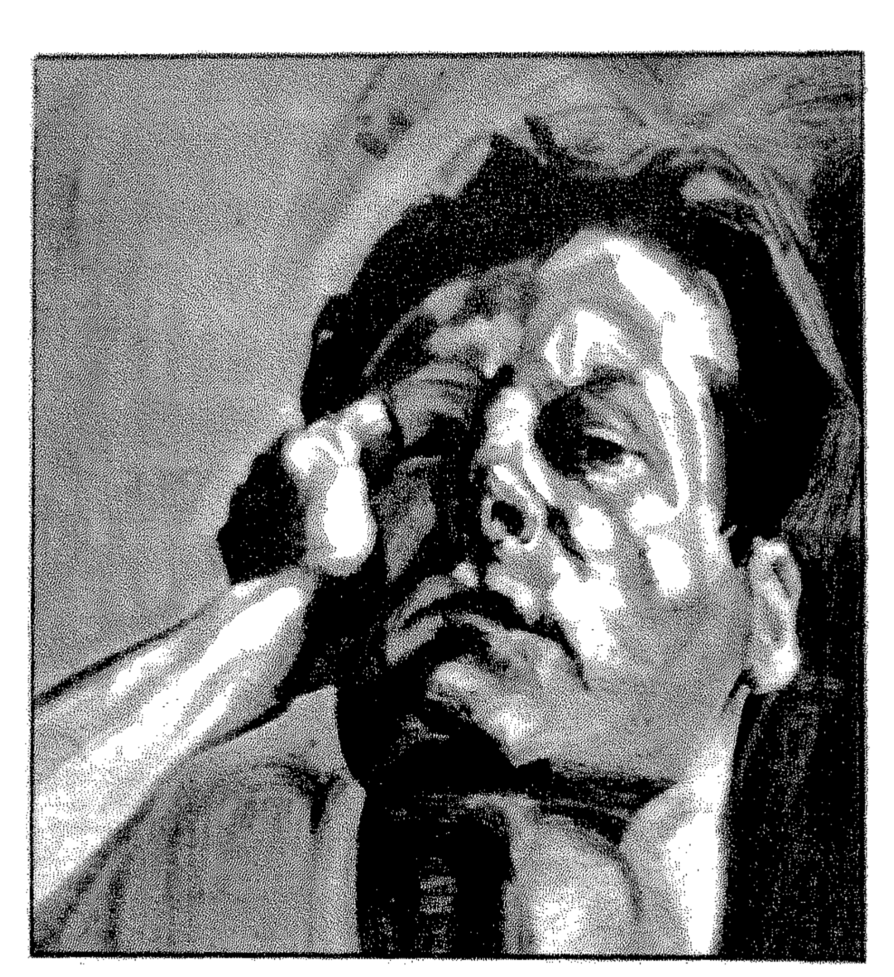
لكن لأن المركز الثقافى المصرى لايملك مالا أو علاقات مؤثرة فى المجتمع الباريسى فإن معارضه لاتلقى اهتماما إلا بالقدر الذى يبذله الفنانون انفسهم !

● ابيل اوجيبيه

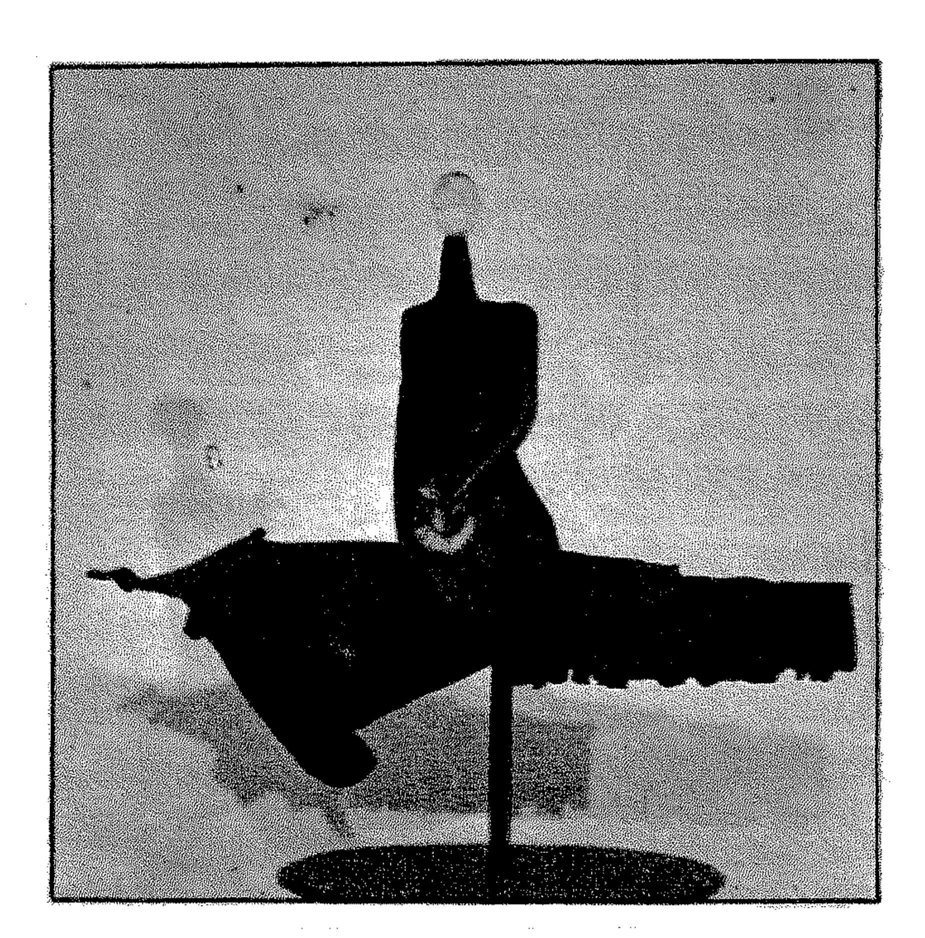
نظمت قاعة "الان بلونديل" - المتخصصة فى عرض الأسلوب الواقعى - معرضا لأحد الفنانين المقيمين فى "باريس" هو "ابيل أوجييه" ، والمعرض مقام من ١٥ ديسمبر حتى ١٣ فبراير ، وقد اقام هذا الفنان العديد من المعارض خارج فرنسا ، فى أمريكا اللاتينية وأستراليا ونيوزيلند ، كما أقام معرضا بمركز بومبيدو ، ومعنى العرض فى هذا المركز أنه حقق الاعتراف الرسمى والشعبى بموهبته . ومعرضه مثير للتامل والدهشة حقا . تطوف بالمعرض فلاتدرى اتبتسم فى مرارة ، أم تفزع مما تراه ، أم تنفر من وجهة نظره فى الانسان ، أم تعجب لبراعته فى التجسيد وإتقانه لفنه ! .. لقد انتابتنى تلك المشاعر وتداخلت اثناء مشاهدتى لمنحوتاته البرونزية ، والفخارية الصغيرة الحمراء تواجهك فى الواجهة الخارجية منحوتة تمثل إنسانا اقرب الى الدمية .. ممزقة الأوصال ، وموصولة بالجسد باسلاك . وتكتشف - بالداخل - انه كان يعد متلقيه للتلاقى مع تنويعات مع إنسان العصر . الممزق . المغترب . العاجز عن اى درجة من درجات التواصل مع الآخرين . ويبلغ من العجز درجة مخيفة . ولايجد لنفسه ملاذا سوى جلده هو . ويلح "أوجييه" على تلك العلاقة : الانسان الوحيد وجلده ، ويقدمها فى تنويعات بلغ بعضها درجة تستفز النفور ، وتسقط التعاطف مع الفنان ، وتنبذ تلك النظرة التى تغرق تاريخ الانسان فى سواد كامل . و "اوجييه" - فى أحسن حالات موقفه من الانسان - يبدو ساخرا منه .. كما فى العمل المنشور ، الذى يمثل رجلا رياضيا . سليم الجسد . قوى البنية . مفتول العضلات . متخلف العقل ، ويؤكد على ذلك بوضعه فى مفارقة كاشفة .. فذلك البطل الزائف - الانسان - يظهر متوتر العضلات استعدادا الوهم حمل ثقيل بينما هو فى الحقيقة .. مجرد عصا نحيلة عليها طائران

مركز بومبيدو اصبح إشعاعا ثقافيا





وجه الفنان
لوسيان فرويد
بـريشتــه



نحت .. للمثالة
البـرازيـليـة
ايزابيل روشيرو

صباح الخير يا باريس

صغيران ! إن رؤية الفنان العبثية مؤداه بأسلوب واقعي ، يوحي باعتماده على "موديل حقيقي"

● ثيو بالدين

على النقيض من "ابيل اوجييه" يطالعنا النحات الألماني "تيوبالدين" بالمركز الثقافي لألمانيا الديمقراطية بوجه آخر للانسان .. أو بمعنى أدق : الانسان في تجليات مختلفة ، منتصرا ، ومهزوما ، ومحتجا ، وصلبا ، وساخرا ، وشهيدا ، وداعيا للسلام ، الخ .. إن رحابة أو ضيق النظرة الى الانسان بين "تيوبالدين" و "أوجييه" ترجع الى اختلاف الفلسفة النظرية والحياة العملية التي عاشاها . عاش "بالدين" حياة سياسية حافلة ، فقد شارك في مناهضة الفاشية ، وتعرض للسجن . واضطر الى الهجرة الى "براج" . وعمل محررا ورساما في مجلة هجائية .. كما شارك في العديد من المؤتمرات الدولية . وهو على مستوى الأسلوب الفني ينتمي الى التعبيرية الألمانية ذات المذاق اللاذع الحاد مستفيدا من إنجازات النحت المعاصر .. خاصة "هنري مور" .. ومن الطبيعة خصوصا من سيقان وغصون الأشجار ، في استرسالها وتشابكها المثير مع الفراغ ، وما توحي به أشكالها وملامسها بما يذكر بالجسد الانساني . ويظهر المزج بين الأشجار والانسان في مجموعة كبيرة من منحوتاته .. اعطاها اسماء مختلفة مثل : امراة ممددة ، وجذع أحمر والمرأة النائمة والطائر الخ . وهو لايصف جسدا بعينه مثل "اوجييه" او "فرويد" - أى تقديم عينة من الجنس البشرى - بل يمنحنا ما نتجاوز به "الجزء" إلى "الكل" ، فنحن مع تمثال "امراة ممددة" نواجه بكيان جبلي . متين . وخصيب بالاستدارات الحسية (في موضع الصدر والبطن) ويشبه الجسد في ارتفاعاته وانخفاضاته موجات من الكثبان الصحراوية . نحن إذن امام وجود حي ، كلي مليء بالمخاض ، ويلجأ احيانا الى بساطة الوصف دون أن يغفل الكشف عن شخصية النموذج .. كما في العديد من "البورتريهات" التي انجزها ، غير انه ينجذب .. خاصة في العشرين سنة الأخيرة الى التوغل في اكتشاف الامكانات التعبيرية للفراغ المرسوم ، ومن ابرز النماذج على ذلك تمثال مكون من رقائق النحاس ، نفذ عام ١٩٧٦ ، فقد طوع الرقائق المسطحة لتوحي بالكتلة ، وقلم الفراغ المقتحم برسم العين ، وإعطاء عمق فراغي ، وحافظ بهذه الطريقة على حيوية الاطار الراسم للحدود الخارجية وشاعريته . كما تعكس بعض الوجوه استفادته من النحت الافريقي كما في راس خشبي ، ذي بناء تكعيبي اطلق عليه : (راس ومسمار) انجزه عام ١٩٣٩ . وضم معرضه الشامل رسومه الخطية ولوحات جرافيك تحتل فيه المراة الوطن . الطبيعة .. البطولة .. وتشترك

في تجسيد تصوره عن الانسان ذى الثلاثة ابعاد .

● إيزابيل روشيرو

من الفنانين الأجانب اللامعين المثالة البرازيلية "إيزابيل روشيرو" ، وكانت تقيم معرضا بقاعة عرض تسمى (الجاليرى) . وهي شخصية متنوعة الابداع .. فقد أبدعت في مجال الديكور المسرحي والرسوم الصحفية وعملت استاذة في معهد الفنون الجميلة ، كما قامت بتدريس التمثيل الصامت في مدارس الفن الدرامي في "ساوباولو" ، وافتتحت هناك قاعة عرض خاص قبل أن تستقر في باريس منذ عام ١٩٨٢ . كما أشتركت في بينالي "ساوباولو" الأول والثاني بأشكال "مانيكانية" ذات طابع سيريالي ، وقدمت في معرضها الأخير بباريس استمرارا لهذه التجربة الطريفة . وهي "مانيكانات" حديدية ، مطعمة بالزجاج ، وخامات مختلفة ، ويتسم أداؤها بالاناقة والاتقان ، وبالانقلابات (السيريالية) - فيما يخص الخامة بالذات - فاعارت طراوة القماش الى الحديد ، وانشات العلاقات التي تستهدف دهشة المشاهد وامتاعه

● أوراى

في الوقت الذى يبحث فيه الفنان العربى عن "روحانية" الحرف العربى فإن المثال (أوراى) - الذى يعرض بقاعة "برومهيد" بشارع "السين" - يبحث في روحانية اخرى هي "روحانية" الهندسة الميكانيكية ! .. وأشكاله لاتحاكى شيئا معلوما بل توحي به ، وهي توحي بروح جديدة تشدو بإنجازات الآلة ! .. وإذا كانت التراكيب الهندسية الموظفة لأغراض نفعية تفتننا رغم عائق الاستعمال والنفع المباشر فالأحرى أن نستمتع بتلك التراكيب بعد تخلصها من تلك العوائق . وأشكال يستعين لها بخامات متنوعة ، ويميزها بالدقة والمهارة ،

ويثريها بكل القيم النحتية . يمكنك أيها المشاهد أن تتوقف عند أناقة الأشكال ودقة تنفيذها ، كما يمكنك أن تستخرج من انضباط اشكاله "وجها" من وجوه إنسان القرن العشرين .. وهو وجه يختلف اختلافا بينا عن وجه "اوجيبه" الأسود البائس . ووجه "تيويالدين" المناضل ، و "إيزابيل" (المانيكاني) !.. غير أن "باريس" الرحبة تتسع لكل الرؤى والأساليب المتناقضة المحلى منها والأجنبي .

قبل أن أغادر "باريس" أردت أن القى الصباح على متحف "أورساى" الذى كان محطة للسكك الحديدية .. فقد ذكرني هذا الانقلاب - من المحطة الى المتحف - بانقلاب مضاد حدث في القاهرة عندما انقلب متحف الفن الحديث ودار الأوبرا الى موقفين للسيارات ! .. إن هذا المتحف يستحق حديثا تفصيليا ليس مجاله الآن .. غير أن الدرس الذى تقدمه لنا "باريس" هو حرصها على أن تكون مأوى للجمال والحرية والثقافة ، وهي لاتترك شاردة أو واردة - كما يقال - دون أن تمنحها حقها من الاهتمام .

رسالة لندن

موسم "استرالى" فى بريطانيا

بقلم : محمود أحمد



نويل فولينتون .. مدرب الجمال



ابناء المهاجرين

تعيش انجلترا ، منذ مطلع العام الحالى ، « موسما استراليا » شد الاهتمام ولفت الأنظار فى كل مكان ، والموسم الذى بدأ مع بداية يناير الماضى ولايزال مستمرا ، يأتى بمناسبة احتفال استراليا بمرور مائتى عام على نشأتها ، ومن الواضح ـ من خلال كل مايعرض ويكتب ويقال فى انجلترا ـ أن الاحتفالات مستمرة ، هناك فى استراليا ، طوال العام الحالى .. وإن كان شهر يناير هو الذى خصص ـ رسميا ـ لتسجيل المناسبة .

موسم "استرالى" فى بريطانيا

و« الحالة الاسترالية » التى تعيشها انجلترا لاتقتصر على ناحية واحدة ، وإنما امتد الاهتمام بكل ما هو استرالى ليشمل كل النواحى الثقافية والاقتصادية والسياسية والرياضية وغيرها . وقد لعب التليفزيون البريطانى دورا هاما فى تشكيل هذه « الحالة الاسترالية » التى تعم انجلترا كلها ... فالبرامج المتنوعة والغنية ، عن كل نواحى الحياة فى استراليا ، مستمرة من الصباح وحتى آخر الليل ، وهى تشمل مقابلات وتحقيقات وزيارات وأغانى وحتى « تمثيليات » استرالية تطغى عليها اللكنة المحلية . وقد نجحت بعض هذه التمثيليات جماهيريا الى حد أن إحداها وهى مسلسل بعنوان « جيران » - استطاع ان يتافس اكثر المسلسلات الأمريكية شعبية مثل « دالاس » و« دانستى » وغيرهما !

وربما كانت محطة التليفزيون المستقل (أي . تي . فى ITV) هى الأوسع تغطية ، وبالتالى الأكثر مساهمة فى تكوين هذه « الحالة الاسترالية » التى تعيشها انجلترا . فقد أوفد التليفزيون المستقل فريقا كبيرا على رأسه « آن دياموند » نجمة برنامج « صباح الخير يابريطانيا » ، وبدأ يذيع منذ أول يناير سلسلة من البرامج المتنوعة والعميقة التى تغطى مختلف مجالات الحياة .. وعلى الهواء مباشرة من استراليا . وكانت هذه البرامج تقدم فى اطار برنامج « صباح الخير يابريطانيا » ولمدة ٣٠ دقيقة متصلة (كان المفروض ان تكون المدة ٣ساعات ، ولكن اضراب الفنيين فى التليفزيون المستقل فرض اختصارها الى نصف ساعة فقط !) .

وساعد على « انجذاب » الانجليز ، أن المشاهد التى كانت تتوالى من استراليا بغير انقطاع ، كانت مشاهد بهجة - فى معظمها - مليئة بالمرح وزاخرة بالألوان .. والشمس . فاستراليا تحتفل بعيدها فى « عز الصيف » ، الذى هو شهر يناير فى نصف الكرة الجنوبى ، وكم كان مسليا بالنسبة للانجليزى المتدثر بملابسه الثقيلة واللائذ بالمبانى المدفأة ، ان يتابع مناظر الانطلاق والمرح على الشواطىء وفى حمامات السباحة وملاعب « الكريكيت » والمطاعم المفتوحة فى الهواء الطلق والحافلة موائدها بالمرطبات والمثلجات والأطعمة البحرية والفواكه الطازجة !

وشملت « التغطية » جوانب بالغة الاثارة ، من بينها عرض دقيق وعميق لنواحى الحياة فى استراليا ، مدنها وصحاريها وغاباتها وسواحلها ، وهو ماحفل بالكثير من الغرائب .. خاصة مع ما هو معروف عن التنوع الهائل للطبيعة والحياة البرية فى استراليا . فأين .. فى غير أستراليا ، يمكن أن يوجد الكنجارو ، أو الكوالا الشهير الذى يدلله الاستراليون ويحافظون عليه ويعالجونه فى المستشفيات الخاصة به ويجعلونه شعارا لبلدهم ، أو حتى الدنجو الشرس شبيه الذئب والذى يهاجم الانسان والحيوان ، وعرف الانجليز - من خلال - مثل هذه التحقيقات - لماذا اقام الاستراليون سورا من الاسلاك طوله ٣٥٠٠ ميل ، فى إحدى المناطق ، لحماية السكان من هجمات



صورة من الحياة الفنية .. على لوحة فنية

بعض الحيوانات المتوحشة ، وأوكلوا صيانة هذا السور والعناية به الى موظفين اكفاء يتولى كل منهم هذه المهمة لمسافة محددة .

● الطائرة الصاروخية

وانتشر الاهتمام باستراليا واحتفالاتها ، وامتد الى الصحف والمجلات الى حد ان « الصنداى تايمز » خصصت أحد أعدادها الملونة ـ من اوله الى آخره ـ لهذه المناسبة . وسرعان مانزلت شركات السياحة والطيران الى الميدان لعرض تخفيضات مغرية لمن يريد السفر ليشاهد كل هذا بنفسه ويشارك فيه بل ان « الحالة الاسترالية » كانت مناسبة لتجدد الحديث عن « الطائرة الصاروخية » التى تسعى بلدان عدة لانتاجها ـ وفى مقدمتها امريكا والاتحاد السوفييتى واليابان ـ وهى طائرة يعتقد أنها ستصبح حقيقة واقعة خلال عشر سنوات ، وتعتمد على الانطلاق صاروخيا على طريقة « مكوك الفضاء » الى خارج الغلاف الجوى ثم تهبط فى الموقع المحدد بسرعة ـ اعتمادا على حركة دوران الأرض ـ وبذلك يمكنها ان تقطع المسافة من انجلترا الى استراليا فى ساعة واحدة .. ويقول البعض بل فى ٤٥ دقيقة فقط !

إلى هذا الحد تغلغلت « الحالة الاسترالية » .. بل واكثر .. فعلى الجانب

موسم "استرالى" فى بريطانيا

السياسى ، كانت هناك مناقشات ومجادلات حول العديد من القضايا . لم يتناول ذلك السياسة الاسترالية وحكومتها ورئيس وزرائها « بوب هوك » ـ الذى يحب احتساء البيرة ولعب الكريكيت وحياة الثراء والبعد عن الرسميات ـ وانما تناولت امورا تعنى انجلترا والانجليز فى الدرجة الأولى . فقد أثارت « الحالة الاسترالية » أشجانا قديمة تمتد الى ايام العصر الامبراطورى ، عندما كانت استراليا ـ وغيرها ـ مستعمرات للتاج البريطانى .

وأثيرت مناقشات حول « وضع » استراليا اليوم ، وموقعها من انجلترا ومن الكومنولث ، والاختلاف الكبير الذى أصبحت عليه اليوم والتحول الذى طرأ على شعبها (الذى يتحدث « الانجليزية » !) . وكتبت « الصنداى تايمز » تقول : « لقد أعطينا استراليا ثروتنا البشرية وأسلوب حياتنا ، ولكنها انزلقت بعيدا عنا منذ زمن طويل . واليوم ، فان هذا البلد غير العادى يشهد تحولات عميقة ستجعل منه الأكثر تعددية ـ سواء

المهاجرون الاسيويون .. يقيمون حياة جديدة فى استراليا



من ناحية الأجناس او الثقافات او غير ذلك ـ فى العالم كله » .

وارتبطت بذلك مناقشات حول معاملة « الأقليات » داخل استراليا ، ومجادلات حول حقيقة تكافؤ الفرص امام المهاجرين من مختلف الجنسيات . وقال احد المعلقين فى التليفزيون ان استراليا تطبق سياسة ، لا نقول انها « عنصرية » على نحو ماهو مطبق فى جنوب افريقيا .. ولكنها تنطوى على تمييز مؤكد بالنسبة لسلالات « الأبوريجين » أبناء البلاد الأصليين . وأكد أن هناك مجموعات من هؤلاء لاتزال تعيش فى حالة بائسة ، تذكّر بما لقيه آباؤهم من اعمال الابادة والقتل العمد والسجن على أيدى المستوطنين الأوائل (الانجليز) . وتساءل المعلق عما اذا كانت كل الاجناس من المهاجرين الجدد تلقى المعاملة نفسها ، وتتاح لها الفرص بالتساوى ، مشيرا الى ان السنوات الاخيرة ـ منذ بداية الثمانينيات على وجه الخصوص ـ تشهد اغلبية واضحة للآسيويين بين موجات المهاجرين الى استراليا . وقال انه مما ساعد على ذلك ان بلدانا عديدة فى جنوب شرقى اسيا ـ وهى الأقرب من غيرها الى استراليا ـ قد شهدت ظروفا غير عادية فى السنوات الماضية .. وضرب امثلة لذلك بكمبوتشيا ، وفيتنام ، وكوريا ، والفلبين .

على الصعيد الثقافى ، اهتم الانجليز كثيرا بالاتجاهات الفنية الجديدة فى استراليا ، وخاصة المعمار والتصوير ، مع ملاحظة ان التأثيرات « الأوربية » لاتزال قوية عموما . وكان من رأى بعض النقاد ان ذلك التأثر بالاتجاهات الفنية الأوربية لايمنع القول : أن الفنون ـ التى تجنح فى استراليا الى « الواقعية » اكثر من اى اتجاه فنى آخر ـ تميزها مسحة مختلفة ربما هى ناتجة عن « مجتمع المهاجرين » الذى يطبع كل نواحى الحياة بطابع خاص . وأشار أصحاب هذا الرأى إلى أن هذا الاختلاف قد يتعذر العثور عليه فى اسلوب التعبير ، ولكنه واضح بالتأكيد فى « الموضوعات » التى يعبر عنها الفنانون . ولفت البعض الآخر النظر الى التطور الكبير الذى يحمل طابعا محليا واضحا فى الفنون غير التشكيلية ، وتوقع احد النقاد السينمائيين طفرة كبيرة ، خلال السنوات القليلة القادمة ، فى الانتاج السينمائى والتليفزيونى الذى ربما تمكن من منافسة المنتجين الأقوياء .. بما فى ذلك الامريكيون انفسهم .

وأبدت الأوساط الثقافية فى لندن اهتماما خاصا بمجموعة من الصور قيل انها شكلت معرضا اقيم فى استراليا ، بمناسبة الاحتفالات ، وهى صور نادرة التقطت بآلات تصوير بدائية لمختلف نواحى الحياة فى استراليا منذ مطلع القرن العشرين . والمدهش ان هذه الصور قد سجلت برؤية واعية ، وبهدف الحفاظ على مشاهد معينة للمستقبل ، وفى وقت كان التقاط الصورة فيه يحتاج الى نحو عشر دقائق يجب ان يكون المنظر خلالها ساكنا تماما . وقد علق احد المتخصصين الانجليز فى التصوير الفوتوغرافى على هذه الصور قائلا ان المصورين الرواد الذين سجلوها ، لابد أنهم كانوا يتحلون بحماس كبير يجعلهم يتنقلون فى انحاء القارة الاسترالية ، حاملين معداتهم « الثقيلة » ، وقاطعين

الغابات والصحارى بغير هدف سوى القيام بتلك المهمة الصعبة التى جاء نتاجها مذهلا بكل معنى الكلمة !

● ترويض الجمال

هل نشير اخيرا ، الى قصة ذلك الاسترالى الغريب الذى يروض الجمال ويدربها على السباق ؟ انه رجل يدعى « نوبل فولرتون » يقترب من الستين ، ولكنه قوى الجسم موفور الصحة ، وهو يحترف مهنة لايقبل عليها كثيرون . فقد كانت الجمال وسيلة رئيسية للانتقال فى استراليا ، فى منتصف القرن الماضى ، ولكنها لم تعد كذلك منذ مجىء السيارة وغيرها من وسائل الانتقال ذات المحركات . ويقال انه قد تم اطلاق سراح ١٢ الف جمل فى الصحارى والغابات ، ظلت تعيش طليقة الى اليوم حيث يقدر عددها بنحو ١٦ الف جمل . اما صاحبنا « فولرتون » هذا ، فقد تعلم استئناس وترويض الجمال على يد رجل افغانى

اسمه « صلاى ماهوميت » ـ أو ربما صلاح محمد ـ وقضى حتى الآن ٢٢ سنة فى هذا العمل حتى أصبح « خبيرا » . وهو يزعم ان اشخاصا فى المملكة العربية السعودية قد جاءوا به للاستعانة بخبرته فى تدريب جمال السباق ، وقال لمجلة الصنداى تايمز « أن الجمال جزء من ديانة هؤلاء الناس .. مع ذلك ، فهاهم يلجأون الىّ لأقول لهم كيف يعتنون بها » !!

بقى ان اذكر ان هذه « الحالة الاسترالية » ، ذكرتنى بحديث جرى مع القائم بأعمال استراليا فى القاهرة ـ قبل حوالى ١٥ سنة ـ وتناول « المهاجرين » المصريين . وكان مما قاله القائم بالأعمال أن المهاجر المصرى من افضل المهاجرين .. فهو دءوب ، وشاطر ، ونادر مايسبب مشاكل أو يتردد على مراكز الشرطة ، مع ذلك ، فهو « غير متردد » ، لأنه ما ان يصل ويستقر حتى يبدأ البحث عن « وظيفة » تدر عليه « مرتبا » وتوفر له دخلا ثابتا ، مهما كان قليلا فانه يفضله على أية مغامرة اخرى ، وفى هذه « الدردشة » قال القائم بالأعمال الاسترالى انه يتمنى ان يسمع أن مهاجرا مصريا قد أسس مزرعة ، أو بدأ مشروعا تجاريا ، لأنه لايذكر انه عرف حالة واحدة اقدم فيها مهاجر مصرى على بدء مشروع خاص . فهل يكون الأمر قد تغير منذ ذلك التاريخ ؟

بوب هوك .. رئيس وزراء استراليا السبيرة .
والكريكيت .. والمال

ابناء المهاجرين .. وابناء الابوريجين : ارض اجدادى .. ام ارض اولادى

ينتمي الكاتب فاروق منيب الى هذا الجيل الذى بدأ عطاؤه الادبي عامة والقصصي خاصة في عقد الخمسينيات حيث سادت الاتجاهات الجديدة في الشعر والقصة والرواية والمسرحية وقد صبغت الواقعية معظم نتاجه القصصي المبكر الذي تأثر في مضمونه بتجربته في قريته ومواجهته لآلام الطبقات الكادحة في المدينة .

الجرح والوردة

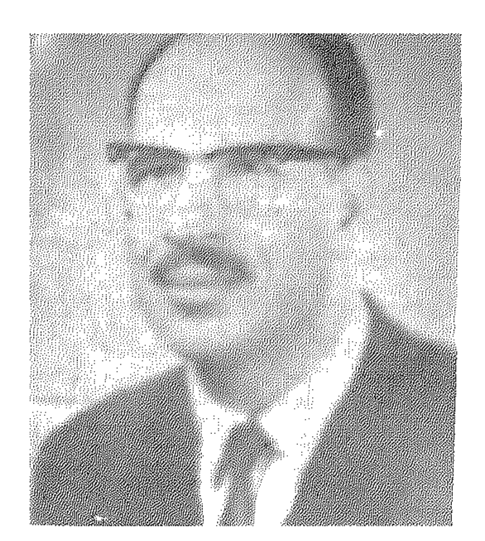
لحن الختام في معزوفة فاروق منيب

بقلم : محمد ابراهيم أبو سنه

● صدر لفاروق منيب عدد من المجموعات القصصية والروايات والدراسات والمسرحية : من المجموعة القصصية « الديك الاحمر » عام ١٩٦٠ « وزائر الصباح » ١٩٦٤ و « احزان الربيع » ١٩٦٧ و « آدم الصغير » ١٩٧٣ و « عابرو سبيل » ١٩٧٥ كما صدرت له مسرحية « المطرود » عام ١٩٦٩ ورواية « آدم الكبيــر » عام ١٩٧٩ ثم تجيء المجموعة الاخيرة « الجرح والوردة » والتي صدرت بعد رحيله بأربع سنوات تقريبا فقد رحل في ٢٦ نوفمبر ١٩٨٣ بعد معاناة طويلة مع المرض الذي اتجاه الى البقاء في لندن أكثر من عشر سنوات للعلاج . وتجيء هذه المجموعة « الجرح والوردة » كلحن ختامي لمعزوفة حياته القصصية والواقعية على السواء تحتوى على خمس عشرة قصة تنهل من عالم مركب الابعاد تنوعت مصادر تجربته وصفت فيه ينابيع الرؤية الفنية حتى التحمت فى الفة حميمة مع أبسط الكائنات فى الحياة وتسامت الى آفاق من النور والرحمة المطلقة .

● تجاوز التفاصيل

ان الالم الذى يمثل المحور الرئيسي لهذه المجموعة يفرض سيطرته على اللغة والصورة والرؤية الفنية ولكنه يواجه مقاومة باسلة من جانب الكاتب الانسان الذى اثر ان يجعل منه طريقا للاخاء البشرى ، يفصح الامل وهو يخرج متفتحا من صخرة الصمود والكبرياء من روح الكاتب فاروق منيب عن ايمان راسخ بالانسان ووعى عميق بالتآخى بين البشر على أساس من القيم الصادقة الراسخة التى تقوم عليها الحياة .



فاروق منيب

ان الجمل تميل الى القصر والتركيز والكثافة · لغة تتجاوز التفاصيل أو أو على الاقل لاتقف عندها الى مطلق من الشعور الحي يقضي الى مطلق من الفكر يقترب من مطلق اخر من الشعر · كل ذلك في سياق من التلقائية والعفوية والاتقان الفنى في نفس الوقت ·· واذا كانت اللغة تقاوم التوتر وهى تنزع الى خلق حالة من الصفاء لدى القارىء كمعادل للصفاء داخل الكاتب ، فان الصور هى الاخرى تهرب الى الطبيعة الحية المتجسدة فى الازهار والانهار والاشجار ولكن هذه الطبيعة تظل اطارا للتجربة الانسانية · ويظل الانسان وحده هدف المعاناة وان كان ضحية لها فى كثير من الاحيان ، تقترب بعض قصص هذه المجموعة من الاطار التسجيلى حيث تلح التجربة الذاتية على وجدان الكاتب وتدفعه الى البوح بأحزانه ·

ولكنه كفنان يحاول ان يشق دربا جديدا فى اتجاه الحب والوطن والخلاص الانسانى من الالم والقهر والذل والخوف · يتحقق التجاوز الحقيقى فى هذه القصص التى يلعب فيها الرمز دورا رئيسيا مفعما بالايحاءات والدلالات بل اننا نلمح هذا الرمز فى عنوان المجموعة نفسها « الجرح والوردة » مثيرا فى العقل والوجدان والشعور احساسا بالتناقض بين دلالتين تعبران عن تجربة الكاتب فى هذه المجموعة كلها فهو يعالب مرضا عضالا وأداة المقاومة الاساسية هى حبه الغامر للحياة · فالجرح اذن بكل ما يثيره من ألم وشفاء يواجه الردة بكل ما فيها من جمال ونضرة · نلحظ الرمز فى قصته الاولى «النجم الصغير» وفى هذه القصة يتجه بطل القصة الى مناجاة ولده فى مزيج مدهش من البراءة واعمال الفكر فى ولع بالبراءة واعمال الفكر فى ولع بالبراءة والمقاومة · وهو يرسم ببراعة عالم الطفولة فى بواكيره وعالم الابوة على مشارف الشيخوخة فتغلبه فكرة «الامتداد الوجودى عبر الكائن القديم من صلبه » ولان البطل لا يملك الكنوز المادية فهو يركز على كنز اخر يدرك انه أهم من كل كنوز الدنيا انه كنز القيم الرفيعة التى تبنى الحياة فى قمة شموخها وكبريائها ··

ان فكرة الامتداد ليست مجرد خاطر نفسى يدفع به البطل عن نفسه غائلة الموت بل هى رسالة الانسان على الارض رسالة الابوة الى البنوة يقول البطل لولده : « هل احكى لك فصولا من قصة حياتى ؟ حاول أبوك ان يقلل دائما من كمية الكذب والنفاق فى نفسه وان يعيش شريفا · انى مهموم بك وببلدى وبالعالم كله · لم أتعود الكسل أو البلادة · لو حدثتك عن مثلى الاعلى لقلت لك ببساطة · احب ان أكون « جدعا » كأولاد البلد الذين حاربوا الفرنسيين انهزم أكشل · نعم اتخاذل لا : ولدى هل تعرف كم كان نهرو يحب ابنته انديرا ؟ صمدت انديرا وقاومت كل المغريات والاوضاع الفاسدة فى الهند ، الف لها أبوها كتابا يحوى تاريخ العالم كله وكان الفلاح الطيب العجوز عم شاذلى يعرف الساعة

بالفطرة · يوقظ حفيدته الذاهبة الى المدرسة كل صباح · حاسته السادسة لا تخطىء من المهم الان ان تكون يا ولدى مسئولا عن زوج الحمام الذى تربيه فوق النافذة وتهدهد خروفك تصغى وترى جيدا الانتقال من الشتاء الى الربيع لا تجعل احدا يسوقك مرغما امامه او يجرك مستسلما · انى لا أحب المواعظ الميتة »

● رحلة حياة

وهكذا تأتى فكرة الامتداد الوجودى مرتكزة على تأكيد معنى الرجولة فى الانسان · وفى قصة « النهر » نرى الكاتب فاروق منيب يكاد يحكى بتركيز شاعرى مكثف رحلة حياته من البراءة الى الكدر من الفرح الغامر بالصبا الى عتمة أواخر العمر · ان القصة قصيرة جدا وتبدو بعيدة عن المغزى فى مطالعها فالبطل يبدأ رحلة عادية فى اتجاه النهر · انه يصعد التل مفعما بالامل كما يقول :

« ترف أجنحة الحب فى قلبى · أصبحت اسبح على الارض مع التيار غمزت صنارتى فانساب السمك الفضى فى حجرى دون ان اسعى اليه · لم اكن اشعر بانى ارتفع وارتفع · التل لا يزال بعيدا ولكن عينى تشرخ فطائر النسمات والاشجار اليه وقفت ودرت حول نفسى من كل اتجاه مبهورا فرحا ومنتشيا بالنية الذى يحتوينى بين احضانه وفوق رأسى كانت الحمامات والعصافير تظلل الطريق · تطفو ثم تعلو فى درجات متناسقة متناغمة خلال السماء القريبة · كنت خائفا ان يضيع منى شىء لم اره · أعود الى أيام الطفولة حيث كان التل يزهو بالخضرة اليانعة تكسو ارضه وسماءه الطبيعة الساحرة اشتاق أن يتواصل الود الخالص القديم الذى تربى بينى وبين التل على مر السنين ·

ثم ينتقل فى رحلته الى احساس جديد : « اصابنى خدر لذيذ لم أجربه من قبل · صفقت وأنا ابتهل الى الله ان يديم نعمته على الانسان تماديت فى التلاكؤ حتى اشرب الذرات الطائرة والمستكنة فى اعماق الوجود وفى لحظة واحدة أحببت العالم كله نسيت كل التعب والمعاناة · مشيت ومشيت سبحت وسبحت طرت وطرت ارتفعت وارتفعت سموت وسموت وعينى لا تزال على التل · اريد أن أعود الى طفولتى وصباى حدسى لا يخيب سوف أعود مفعما بالفرح كسرة الخبز فى يدى وجرعة الماء فى فمى » ثم لا يلبث البطل ان ينعطف فى رحلته من الفرح الى الكآبة من النشوة الى الاحباط » ·

بدأ الطريق يتلوى · الارض خشنة بعض الشىء · قدماى تغرزان فى الرمال تخلفت الطيور وتركتنى وحدى حرارة الشمس تشتد اسرعت الخطى وقعت قمت مندهشا شرخ قلبى احساس غريب ؟ ما الذى حدث ؟ هى تجربة رمزية بالغة الدلالة على خصوصية حياة الكاتب وعلى عمومية حياته فى نفس الوقت · ان العالم الذى يصوره فاروق منيب ملىء بالاغراء وحب الحياة ولكنه فى نفس الوقت حب مفعم بالكرامة والكبرياء والصمود · مزيج من الولع والمسئولية ان شرنقة الالم تظل جافة وقبيحة حتى تنفتح على الافاق البعيدة لانسانية واحدة تهفو الى العناق والحب والمودة وهذه الروح التى تسرى مشعة فى كل عناصر الكيان القصصى لفاروق منيب

وفى قصة « الجرح والوردة » يؤكد البطل أهمية المعرفة باعتبارها مصدرا للايمان يقول الكاتب فى هذه القصة :

« يا حبيبى المعرفة والعلم أساس كل شىء وارادة الله تسمو فوق كل ارادة . انى انبل ثم تكسونى النضارة من جديد لانى اعرف سر الحياة الدائم ثم يجيب الجرح بعد ان تسأله الوردة وما هو السر وما هو ذلك السر ارجوك ؟ « ان تظل شريفا وأصيلا ما دمت حيا » ان الحياة ببعدها الفطرى لا تكتسب جمالها وشموخها الا من خلال الصمود والمقاومة والشرف من خلال الفهم والعلم والمعرفة من خلال الاحساس بالكبرياء والحرية كما ان شرنقة الالم تظل سجنا معتما صغيرا حتى تلمسه يد الحب بمعناه الانسانى الكبير . الحب يربط الاب بابنه والزوجة بزوجها والمواطن بالوطن والانسان بالانسانية والفنان بالفن . عناصر تجربة فاروق منيب تقوم فى أساسها على تجاوز فكرة اليأس وتحقيق شرف الحياة . وتجربة الكاتب تتسع لهذا المفهوم الانسانى فهو يبدأ بهذه العلاقة الازلية بين الاباء والابناء ثم يتجه الى رؤية العالم الفسيح من خلال نماذجه الحية الدالة على ثراء الوجود مثل بشير الامل الذى يشارك الكاتب داءه العضال ولكنه يفيض بالبشر والحيوية كرمز للامل . ويتجلى عشقه للبشر فى ادم العربى هذا النموذج الذى يعطيه الايمان قوة هائلة تفيض على الاخرين طمأنينة وتفاؤلا ويمتد الى فكرة الوطن لا باعتبارها فكرة رومانسية وان كان النيل يرمز لهذا البعد فى كثير من قصص المجموعة ولكن الوطن يعود الى التجسيد فى البشر والعلاقات الحميمة بين الاقارب وفى قصة « محب من مصر » التى تصور حنين البطل رسالة من ذويه يسود نص احدى الرسائل التى وصلته مفعمة بالتفاصيل التى قد تبدو تسجيلية وابعد ما تكون عن الفن الا اننا نلحظ على الفور هذا النبض القوى الذى يشيع الحرارة فى اعطافنا ونحن ندخل نسيج هذه العلاقة الفريدة بين الاخوة والاقارب واثر هذه العلاقات على وجدان القريب بل انه يرسم صورة بالغة التأثير على صورة العلاقات الاجتماعية والتحولات التى أصابت الحياة فى مصر كما نلحظ هذه المهارة التى تصنع مما هو عادى شيئا باهرا متجاوزا فريدا .

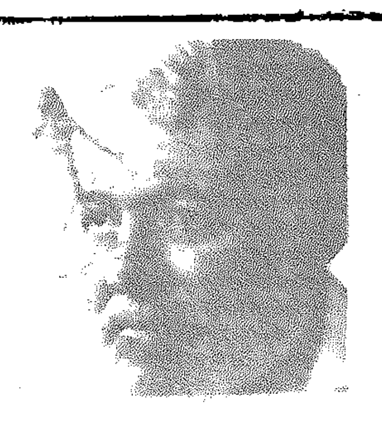
ان مفردات الطبيعة تلعب دورا واضحا وموحيا فى نفس الوقت فى رسم المناخ النفسى والوجدانى الذى يدور فيه الحدث ولكن عشق المؤلف لهذه العناصر يجعل من الالحاح عليها فطرة فيه تؤكد لنا انه لا يسعى الى توظيفها بل يحتضنها ويباركها وهو يغمرها بفيض من صفائه وسعيه الى التواصل مع القيم الشريفة فى الحياة. ان هذه المجموعة « الجرح والوردة » لفاروق منيب هى رسالة حب أخيرة للحياة وللبشر وهى رسالة مليئة بالالم ولكنها تلوح بالامل فى عتمة اليأس .

ان الكاتب يفجر الاف الشموس اللامعة على اطراف ليل يستبد به الجنون والقسوة . وكما لو كانت هذه القصص خليطا من الاعشاب يرفعها الموج الذى يوقن من اقتراب الشاطىء بينما يواجه محنة الغوص فى اعماق البحر . صرخة طائر جريح ولكنها صرخة من أجل التضامن الانسانى والاخاء والحرية . وفاروق منيب وهو يعبر فى هذه المجموعة عن أصالة موهبته يعود لتاكيد القيم الاصيلة التى تنهض عليها الحياة . كل حياة جديرة بان تعاش .

قصة لم تنشر لأرنست هيمنجواي



ترجمة : محمد جلال عباس



ارنست هيمنجواي

قصة جديدة لم تنشر لارنست هيمنجواي عثرت عليها زوجته بعد انتحاره عام ١٩٦١ . وينتظر ظهورها لاول مرة مع المجموعة الكاملة للقصص القصيرة لهيمنجواي قريبا ..

ايقظني ابي بلمسة من يده وهو واقف الى جوار فراشي في الظلام حينما احسست بلمسة يده استيقظت راسي ، لكن بقية جسمي ظل نائما لفترة ، وأنا اسمع صياحه :

ـ جيمي .. هل استيقظت ؟

ـ أجل يا ابي .

ـ اذن انهض وارتد ملابسك فورا .

وظل أبي واقفا وانا احاول التخلص من تثاقل جسمي ،

ضاع مني النوم وانا اتحرك بصعوبة من فراشي ،

ـ انها هناك فوق الكرسي .. البس الحذاء والجوارب أولا ..

وغادر الحجرة . كان البرد قارسا ، وتغيير الملابس أمر صعب بالنسبة لي وخاصة لبس الجوارب والحذاء ، فكنت اشعر بأنني لن ارتاح فيهما . وعاد ابي وجلس على طرف الفراش يرقبني وانا البس الجوارب والحذاء بصعوبة وقال :

ـ هل يؤلمك الحذاء ؟

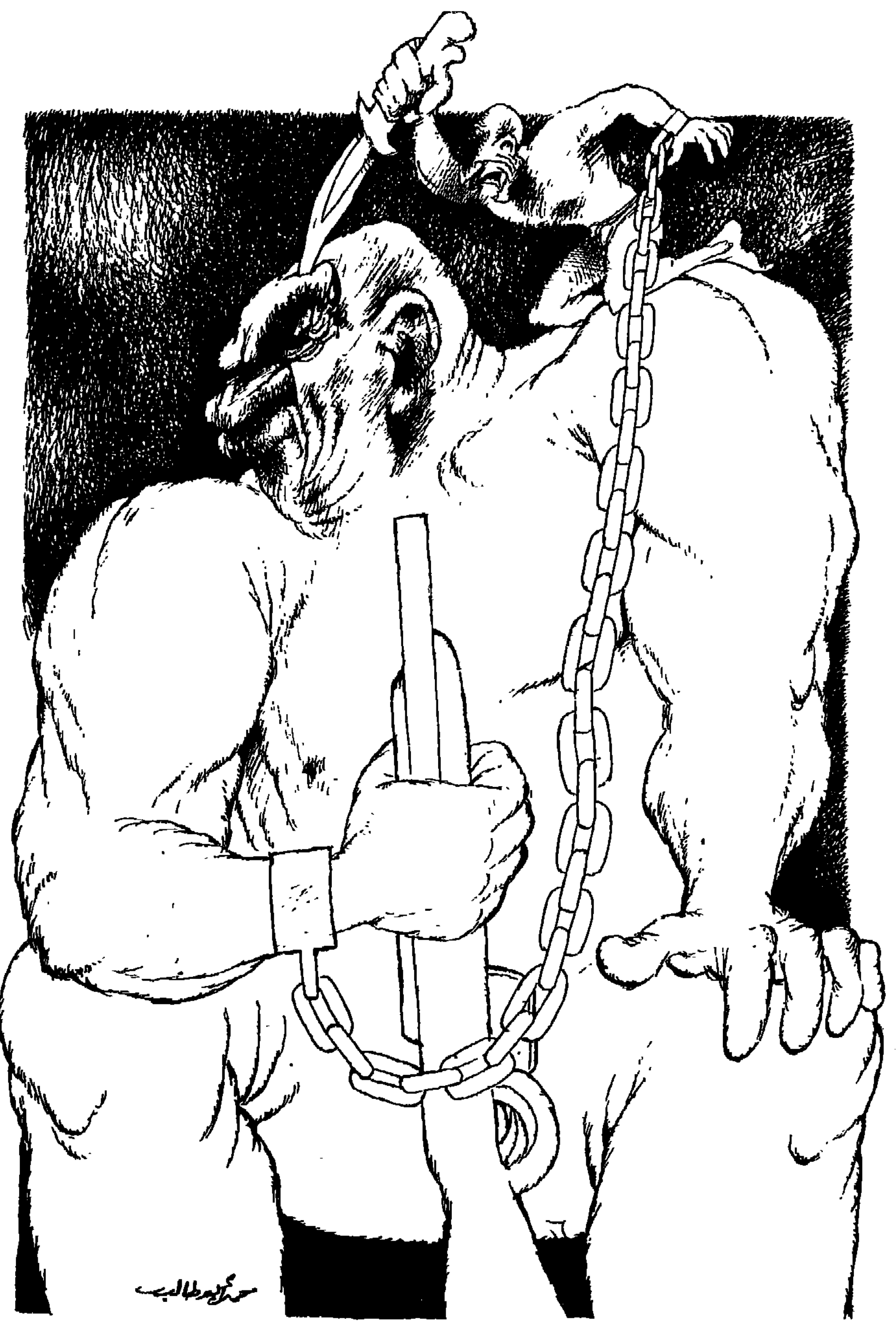
ـ اجل ، ولكني سوف ادخل اصابعي فيه بأية طريقة .

ثم قال لي واعدا :

ـ سنحصل لك على .. زوج جديد من الاحذية ، ولكن لا تعتبر هذا القول حقا لك اكتسبته ربما كان من قبيل المثال أو الحكمة

ـ اجل فهمت يا ابي .

ـ مثل قولك اثنان ضد



رحلة قطار

واحد حكمه زنجية،كذلك شراء الحذاء الجديد ٠

ـ اذن انا افضل الحكمة الزنجية على وعدك بشراء حذاء ٠

رد ابى قائلا :

ـ ولكن الحكمة الزنجية غير صحيحة ولذلك فانت تفضلها ، وربما لانها طريفة فان اكثر الفكاهات طرافة هي ابعدها عن الحقيقة ٠

كان البرد قارسا ، ولكنى اكملت ارتداء ملابسى ، وبينما انا البس بادرنى ابي قائلا :

ـ هل تفضل حذاء بازرار ام حذاء برباط ؟

ـ لا فرق ٠

ـ على كل حال يمكنك ان تحصل على الاثنين ، فلابد ان يكون لدى كل شخص حذاء بازرار ٠

اكملت لبسى وقلت :

ـ انا الان جاهز يا ابى ٠

ـ وانا جاهز ايضا ، وكل الحقائب جاهزة كذلك ٠

وسالت :

ـ ولكن الى اين نحن ذاهبون ؟

ـ امامنا سفر طويل ، قل لى، اين تريدان اذهب ؟

ـ الى كندا ٠

ـ سنذهب اليها كذلك ضمن ترحالنا ٠

واتجهنا نحو المطبخ بعد ان اغلقنا كل الابواب ، وكان المصباح مضاء وسط المائدة ، والحقيبة الكبيرة وبجوارها حقيبتان صغيرتان فى وسط الحجرة ٠ ودعانى ابى للجلوس واحضر المقلاة من فوق الموقد وبها بيض ولحم ٠ اكلنا البيض باللحم ، وصببنا القهوة وشربناها بعد ان خلطناها باللبن الثقيل ، ثم قال ابى :

ـ لتاكل كل ما امكنك٠

ومد يده الى بالمقلاة وقال :

ـ لتاخذ هذه البيضة ايضا ٠

اكلتها ونظرت حولى فى ارجاء المطبخ الصدا يغطى احد جوانب الموقد، ومقلاة بيد خشبية محطمة كان ابى قد القاها بشدة على احد الخفافيش ، وتذكرت اننى اخذت ذلك الخفاش بعد ان سقط على الارض وابقيته اياما فى صندوق بغطاء من السلك اراقبه ، واتامل عينيه الصغيرتين ، ثم اطلقته بعد ايام على الشاطيء بعد الغروب فطار وارتفع فوق الشجر ثم عاد يطير منخفضا قرب سطح ماء البحيرة ٠

كان بالمطبخ مائدتان ، على كل منهما مفرش متسخ بالدهون والزيوت ناكل على واحدة منهما ونضع الاوانى على الاخرى ٠ وجرادل منتثرة هنا وهناك كنا نحمل فيها الماء من البئر ، وخرق ومناشف معلقة بجوار حوض الغسيل وقرب الموقد والمقشة مسندة على ركن وصندوق خشب الوقود فى ركن اخر ، وعلى جانب من الحائط بعض الاوانى والمغارف معلقة ٠

نظرت حولى كى احفظ المكان فى ذاكرتى ، لاننى كنت احبه ، ولاحظنى ابى فقال :

هل تظن انك ستتذكر المكان ؟

ـ اجل يا ابى ، سيبقى فى ذاكرتى ٠

ـ وماذا ستتذكر عنه؟

ـ كل ما استمتعنا به هنا خلال الصيف ٠

ـ هل ستتذكر صندوق الخشب الثقيل وجرادل الماء التى كنت تحملها ٠

ـ لم يكن ذلك صعبا على ٠

ـ وهل انت اسف على مغادرة المكان ؟

ـ اجل ، ولكن لن يكون اسفى شديدا ما دمنا سنذهب الى كندا ٠

ـ ربما لا نبقى هناك طويلا ٠

فسالته :

ـ الى اين نحن

ذاهبون ؟
- سوف ترى .
- على كل حال لا يهمني ذلك كثيرا .
رد علي ابي وهو يشعل سيجارة :
- المهم أن تحافظ على هذا الشعور .
وقدم لي سيجارة فاعتذرت له بانني لا ادخن فقال :
- هذا أفضل .. ولنخرج الان ، فتصعد انت الى السقف لتغطي فتحة المدخنة بجردل كي لا تدخل منها الخفافيش والفئران ، ولا يتسرب منها ماء المطر الى الداخل .
صعدت على السلم المسند على الحائط بينما ابي يغلق أقفال الباب ، ووصلت الى السطح المنحدر المغطى بالمشمع ، وقاومت الانزلاق عليه حتى وصلت وغطيت المدخنة « بجردل » كبير قلبته فوقها . ومن فوق هذا السطح المائل نظرت الى الجهة الاخرى في اتجاه الغابة ، وكان ضوء الصبح ينبلج تدريجيا فيكشف المعالم الواقعة خلف الغابة فيما وراء أسوار ذلك المنزل الذي قضينا فيه الصيف، وسمعت ابي يقول :
- هل اعجبك الحال فوق السطح ياجيمي ؟
- انا نازل حالا يا ابي
- لا .. انتظر بل ساصعد اليك لالقي نظرة .
ووقف ابي معي في اعلى السطح يشاركني تامل المناظر والمعالم المحيطة وقال :
- كم وددت أن ابقى هنا .
- اذن لماذا نذهب الآن ؟
- لا أدرى يا ولدى ولكن لابد من أن نمضي .
ونزلنا نحن الاثنين وحملنا متاعنا واتجهنا نحو المرساة حيث القارب مربوط في الوتد الحديدى ، وغطاؤه مبلل ومقاعده مندداة برطوبة الندى، وحمل ابي الامتعة الى داخل القارب وفككت القارب والقيت الحبل ودفعته في الماء وقفزت اليه ، بينما أبي يجذب شداد المحرك ليديره ، وبعد عدة شدات انتظم صوت المحرك وأمسكت بالدفة ، وانطلق القارب يشق الماء مبتعدا عن الكوخ الى داخل البحيرة وقال ابي:
- سنسير في خط مستقيم .
فوجهت القارب وظهره المرسى ، ثم نظرت خلفي فاذا بالكوخ يبتعد عن نظرى تدريجيا ،ومن خلفه أشجار الغابة والتلال تصغر حجما كلما ابتعدنا، وبدا مجرى القارب خلفه ماء متماوج وسط سطح البحيرة الساكن، واختفى حاجز الرمال تدريجيا تحت الماء العميق ، وبعد فترة نظرت خلفي مرة أخرى فاذا بالكوخ والغابة والتلال قد اختفت عن ناظرى، ونحن وسط البحيرة لا نرى سوى ثلاثة من الطيور المائية فوق حاجز وتل رملي على جانب البحيرة واختفى ما بقى من هذا الحاجز الرملي ولم نر أمامنا وخلفنا ومن حولنا سوى المياه .
صوت قطار يأتي صداه من بعيد ، ثم يظهر في المنحنى الكبير من شط البحيرة الذى اخذ يتراءى أمامنا من بعيد ، صغيرا ، ومن ورائه دائرة من التلال نظرت نحوها ، ونفث القطار سحابة بيضاء من بخار صحبتها صفارة ، وبعد قليل نفث سحابة اخرى تبعتها صفارة . وكان الصبح قد انبلج واشعة الشمس اخذت تغمر السماء وتلقى بضياء على الجانب الآخر من البحيرة ، فظهر القطار يسير في خطه الملتوى يدور حول سفوح التلال وظهرت غابات الصنوبر التي تحيط بالبحيرة ، ومن خلفها التلال ، ومجرى الماء الذى يتركه القارب خلفه ظاهر بخط من زبد وسط ماء البحيرة ، وفي جانب

رحلة قطار

من الشاطىء المواجه بدت اشجار قتلتها النيران فأحالتها الى لون الرماد والفحم ، وبدا الشاطىء واضحا ونحن نقترب ، محلان للبقالة • وبعض الاكشاك ، واكوام من الزلط تحيط بنافورة يتدفق منها ماء ارتوازى يلمع فى اشعة الشمس واقتربنا من المرسى الذى ثبتت به صفوف من القوارب الراسية • والقى ابى بالحبل الى المرساة فالتقطه منه فريد كوثبرت الذى جر القارب نحو المرساة وخطونا الى خارج القارب وابي يقول :

ـ الى القاء يا فريد، نحن مغادران

فرد عليه فريد قائلا :

ـ ومتى ستعود ؟

ـ لا ادرى ، ولكن القارب يحتاج الى طلاء، فعليك ان تنفذ ذلك فى الربيع القادم •

ثم حيانى فريد قائلا:

ـ مع السلامة يا جيمى •

وصل القطار ،وتوقف فى المحطة المواجهة للمرساة ، فنزل مفتش القطار والسائق ، وفراش القطار واتجهت انا وابى نحوه وصعدنا وحمل فراش القطار امتعتنا ، ووضعها على الرف ، ووقفنا فى مؤخرة القطار وهو يغادر المحطة تلوح بالتحية لفريد وصاح ابى ثانية •

ـ الى اللقاء يا فريد

ومضى القطار فى اتجاهه ونحن واقفان ننظر الى خط القضبان يمضى الى الخلف ، والمحطة تبتعد والنافورة تختفى شيئا فشيئا • واخذ يبتعد عن شاطىء البحيرة وتظهر على جانبيه امتدادات الحشائش الرتيبة والغابات المتجمعة هنا وهناك ، ومستنقعات يمر بها على جانب او اخر ، وتلال من بعيد •• غابات وبحيرات وتلال كتلك التى كنا نقضى فيها الصيف ولكنها مختلفة تماما ، انها مثل تلك الغابات والتلال ومسطحات الماء ولكن لست فى داخلها فهى مختلفة تماما • وقال ابى :

ـ هل سنبقى هنا ؟ لو بقينا فسوف يغطينا سياج دخان القاطرة •

ـ اعتقد انه من الافضل ان ندخل •

ودخلنا الى العربه وجلسنا فى مقعدينا ، وشعرت بالسعادة الغامرة حينما كنت انظر الى كل تلك الاراضى التى تغطيها الغابات والمهامه التى تقطعها الحشائش والبحيرات التى يمر بها والمجارى المائية التى يعبرها • واحيانا نرى منازل ريفية منتثرة هنا وهناك ، والهواء النقى يلفح وجهى من النافذة المجاورة التى اطل منها واستمتع بالمناظر فى ذلك الجو الصحو • وشعرت بالجوع •• وجاوزت الساعة الثامنة والنصف ونحن فى صمت ثم سأل ابى :

ـ كيف الحال الان ، وما هو شعورك ؟

ـ اشعر بالجوع يا ابى

فاخرج من جيبه قطعة من الشيكولاتة وتفاحة وقال :

ـ هيا بنا الى عربة الاكل •

وتبعته حتى وصلنا الى عربة الاكل وجلس ابى بجوار النافذة وجلست الى جواره ، ولم تكن العربة نظيفة ، المقاعد مغطاه بالتراب الاسود فهى قريبة من القاطرة ، وبادرنى ابى قائلا : ـ

ـ انظر الى المقاعد المقابلة لنا هناك •

اراد ان يلفت بذلك نظرى الى اربعة رجال. كل اثنين منهما متجاوران يجلسان ملتصقان ،واذا بكل اثنين مربوطين فى معصميهما باغلال ، يد احدهما اليسرى مغلله فى اليد اليسرى للاخر.
وبينما احدق فى هؤلاء الرجال تنبه احدهما فقال .
- لماذا يخرجونا هكذا فى وضح النهار؟ لماذا لم تاخذ قطار الليل
فرد عليه آخر ..
- اتريد ان ننام وبايدينا هذين السجينين؟
- ولم لا ؟
- لا اعتقد اننا هكذا افضل فى امان .
والتفت الينا الرجل الصغير الجسم الجالس الى جوار النافذة وغمز لنا بعينيه ولاحظنا ضمادة على جرح فى رأسه يحاول اخفاءها بقبعته ، اما الرجل المغلل فيه فكان ذا رقبة غليظة يلبس الزى الرسمى الازرق لرجال المباحث . ونظر السجين الصغير الجسم من خلف ضابط المباحث وقال لابى .
- الا اجد معك ما ادخنه ؟
فاذا بالرجل الغليظ الرقبة يلتفت الينا ، بينما ابى يخرج علبة التبغ من جيبه ويمدها له وهو يقول :
- هل ستسمح له بالتدخين يا حضرة الضابط ؟
رد قائلا :
- لا مانع ساعطيها له .
واخذ علبة السجاير من ابى واعطاها للسجين فى يده المغلولة فاخذ منها لفافة بيده الحرة وهو يقول للضابط .
- انك طيب معى للغاية .
واعاد الحارس علبة السجاير لابى ، ولما دعاه ابى لاخذ سيجارة قال الضابط .
- شكراً انا لا ادخن بل امضغ التبغ .
وساله ابى .
- هل انتم فى رحلة طويله .
- اجل . حتى شيكاغو .
- نحن ايضا متجهون الى نفس المدينة .
فرد الرجل الصغير المغلل قائلا :
- انها مدينة جميله، لقد زرتها مرة .
فقال الحارس :
- قل انك كنت هناك.
وانتقلنا الى المقعد المقابل لهمسا مباشرة لنواصل الحديث ونظر السجين المغلل الى الارض خجلا ، ثم القى بسؤال .
- ما هى المشكلة .
فرد الضابط قائلا :
- هذان الرجلان مقبوض عليهما بتهمة القتل .
- من الذى قتل ؟
- رجلا ايطاليا
- ومن الذى قتله ؟
نظر الضابط الى السجين وقال :
- هل تهزل ؟
- لا ياسيدى الضابط انا اسال فقط من الذى قتل الايطالى ؟
تدخل السجين الاخر فى الحديث وقال : -
- هو الذى قتل الايطالى ، صوب عليه سهما من قوسه .
صاح الضابط :
- اخرس انت لاتتدخل فى الحديث
نظر السجين الصغير الى الضابط مستعطفا وهو يقول : -
- انا لم اقتل الايطالى ، انا لا اقتل ايطاليا ، وانا لا اعرف اى ايطالى .
فقال السجين الاخر :
- لتسجل عليه كل كلمة يقولها .. قال انه لم يقتل الايطالى .
فنظر السجين الصغير الى الضابط مرة اخرى وقال :
- من الذى قتل الايطالى يا حضرة الضابط .
- انت الذى قتلته .
- يا حضرة الضابط قلت اننى لم اقتل ايطاليا ولا اريد ان

رحلة قطار

اكرر ذلك .

وتحدث السجين الاخر قائلا :

- يجب ان تسجل كل كلمة يقولهسا ، وانا اسألك بحضرة الضابط لماذا قتلت الايطالي ؟

واتبعـه السجين الصغير قائلا :

- عفوا ، لقد ارتكبت خطأ يا حضرة الضابط، ارتكبت خطأ كبيرا حينما قتلت الايطالي وما كان عليك ان تقتل هذا الايطالي .

واكمل السجين الاخر الكلام .

- اي قل ذلك الايطالي

صاح الضابط غاضبا وقال :

- اخرسا انتما الاثنان ، لا تنطقان بكلمة بعد الان

ثم نظر الى قائلا :

- انهما معتوهان ، لا تعر لهما التفاتا . انهما خضيران كالبق .

فرد السجين الاخر موجها كلامه لابي .

- يجب ان تعلم ان الضابط منحدر من اسرة بريطانية عريقة واسال عنه السناتور حينما تصل الى هناك .

علق السجين الصغير قائلا :

- لاتصدق هذا الرجل فانه من جيل جورج واشنطن ولا يمكن ان يكذب ونظر الى السجين الاخر قائلا :

- الا تتكلم ايها الصبي

صاح الحارس ثانية

- قلت لكما اسكتا ولا تتكلما ثانية .

فقال السجين الصغير

- لك حق يا حضرة الضابط ، فلتسكته لانه لا يصح ادخال الصبي في مثل هذا الحديث .

قال السجين الاخر :

- الم تكن صبيا في يوم من الايام ؟

فصاح الضابط مرة اخرى :

- قلت اسكتا والاقطعت لسانكما .

وعندئذ نظر ابي الي وربت على ظهري وقال

- من الافضل ان نعود الى مقاعدنا في العربة العادية .

ونظر الى الضابطين والسجينين وقال :

- نركم وقت الغداء

وغادرنا عربة الاكل الى اماكننا الاصلية في القطار وسالني ابي :

- ماذا تستنتج مما رايت يا جيمي ؟

- لا ادري يا ابي

ورد قائلا :

- ولا انا .

ووصل القطار الى محطة كانياك ، وكان وقت الغداء . نزلنا وجلسنا امام مائدة الطعام قبل ان ياتي الضابطان ومعهما السجينان ،تناولنا غداء شهيا من دجاج وفطائر، وشربت كوبا من اللبن واكلت فطيرة بالايس كريم .

كانت حجرة الطعام بالمحطة مزدحمة ونظرت من الباب حيث كان القطار واقفا امام رصيف المحطة ، ونظرت الى الضابطين والسجينين ياكلون ... السجينان ياكلان باليد اليسرى فاليمنى في حلقة الاغلاق،والضابطان ياكلان باليمنى لان اليسرى في حلقة الاغلال . واذا بالضابط الذي يحرس السجين الصغير يشد يده اليسرى ليحمل اللحم بالشوكة الى فمه فيشد معها اليمنى للسجين ، وهذا السجين الصغير يتثاقل بيده ليتضايق الضابط ، بينما كان الضابط والسجين الاخر ياكلان في هدوء . ويتعاونان لتيسير الامور وتحدث السجين الصغير قائلا :

- لماذا لا تفك الاغلال اثناء الطعام ؟

لم يرد عليه الضابط، ومد يده الى فنجان القهوة دون ان ينظر اليه ، ورفع يده

المغلولة الى يد السجين وضربه برسغه على وجهه فادمى شفتيه ، ونطق السجين بسباب مقذع بصوت منخفض ولكن الضابط سمعه فقال :

- من تقصد بهذا السباب ؟

- طبعا لا اقصدك انت ، لا يمكن ان اقصدك وفى يدى الاغلال .

فشده الضابط من رسغه المغلولة وحدق فى وجهه وقال له بغضب :

- ماذا قلت ؟

- صدقنى لم اقل شيئا .

فنظر الضابط فى وجهه نظرة تهديد ومد يده الى فنجان القهوة ورفعه الى شفتيه فتحرك السجين الصغير حركة شدت الضابط فسقطت القهوه وسالت على المائدة وعلى ملابس الضابط ، رفع الضابط رسغه المغلول فى يد السجين وضربه على وجهه ضربتين متتاليتين اسالت الدماء على شفتيه ، فاخذ السجين يمص الدماء بحنق وغيظ ، ولكن فى هدوء شديد . وقال له الضابط .

- اظنك اخذت كفايتك ؟

- اجل يا حضرة الضابط .

- هل هدات الان ؟

لم يرد عليه السجين، وبعد قليل اتجه الاربعة الى القطار ، واتبعناهم وجلسنا فى مقاعدنا وتحرك القطار، فوقفت انظر من النافذة لاشاهد مدينة كاديلاك .

ثم جلست فى مقعدى بعد ان خرج القطار من المدينة التى لم اشاهد منها الا بعض ابنية المصانع واكوام فضلات تلك المصانع على جانبى خط القطار . وسالنى ابى .

- هل شاهدت ما حدث ؟

- اجل .

- ولكنك لم تر كل شىء ، هل رايت كل ما فعله السجين الصغير ؟

- اعتقد انه اراد ان يضايق الضابط كى يفك الاغلال اثناء الطعام .

- الم تر شيئا اخر ؟

- رايت الضابط يضربه ثلاث مرات على وجهه .

- فى اى اتجاه كنت تنظر ؟

- الى وجه السجين لارى انفعالاته نتيجة لضرب الضابط له .

هز ابى راسه وقال :

- حينما ضربه الضابط على وجهه اخذ السجين سكينا صلبا من فوق المائدة بيده الاخرى واخفاه فى جيبه .

- لم الحظ ذلك يا ابى .

- يجب ان تعلم يا ولدى ان لكل شخص يدين ، ويجب ان تراقب كلتا اليدين اذا اردت ان ترى حقائق الاشياء

وسالت ابى :

- وماذا فعل الاخران

- لم ارقبهما .

اخذت ارقب المناظر وهى تمر امامى من النافذة ، وكان ابى يقرا فى كتاب وبعد فترة بادرنى ابى بسؤال :

- الا تقرا ابدا يا جيمى ؟

- اقرا احيانا ،ولكن ليس كثيرا .

- وماذا تفعل الان ؟

- انظر ، وانتظر .

- هل تحب ان نذهب الى عربة الاكل .

- اجل . افضل

وقال :

- هل ترى ان نخبر الضابط بما حدث يا جيمى ؟

فكرت قليلا قبل ان اجيب على سؤالى بالنفى فعلق ابى على الاجابة قائلا :

- انها مسالة اخلاقية ، مسالة تتعلق بالمبادىء .

فسالت ابى :

- وهل تريد انت ان تخبره ؟

فاجاب من فوره :

ـ لا ، لا ، ابدا ٠ ان هناك مبدأ يقول ان كل متهم برىء حتى تثبت ادانته ، فربما لم يقتل الرجل ذلك الايطالى كما يقولون ٠ وربما لا يفعل شيئا ٠

وقلت متسائلا :

ـ هل هما من مدمنى المخدرات ؟

ـ لا اعرف ، وان الكثيرين يتعاطون المخدرات ، الا ان من يتعاطى الكوكايين او المورفين او الهيروين لا يتكلمون بهذه الطريقة التى كانا يتكلمان بها ٠

ـ لنذهب الى هناك يا ابى ٠

وقف ابى ليعيد الكتاب الى الحقيبة فوق الرف واخرج من جيبه شيئا اخر ليضعه فى الحقيبة ايضا ، واتجهنا الى عربة الاكل حيث رايت الضابطين جالسين وبجوار كل منهما سجينه ٠ وجلسنا فى مقعد مقابل لهما ٠ والسجين الصغير على راسه القبعة التى تخفى الضمادة ، وشفتاه متورمتان ، وعيناه مفتوحتان يقظ تماما بينما كان الضابط بجواره يغالب النعاس يفتح عينيه احيانا ويغمضهما ويحاول ان يستند على جانب المقعد على يمينه فتشده الاغلال فيعتدل ٠ وفجاه سمعنا السجين الصغير بجواره يقول :

ـ يا حضرة الضابط ٠٠ اريد ان اذهب الى دورة المياه ٠

فرد عليه الضابط باستهتار متجاهلا حاجته

ـ ليس الان ٠

واغلق عينيه ،فصاح السجين مرة اخرى :

ـ اسمع يا حضرة الضابط ، اريد الذهاب الى دورة المياه ٠

فكرر الضابط قوله :

ـ ليس الان ٠

فصاح السجين مرة ثالثة قائلا :

ـ الم تشعر بحاجتك الى الذهاب الى دورة المياه ؟ ـ لابد ان اذهب الان والا ٠٠٠

ورد الضابط وهو يقف متثاقلا :

ـ وهو كذلك ٠٠ هيا ٠

وسار فى الممر نحو نهاية العربة ، ونظر ابى الى فرأى تساؤلا فى عينى فقال :

ـ اذهب خلفهما اذا اردت لترى ٠

سرت خلفهما ، ووقفا امام باب دورة المياه يتحدثان وجلست انا فى مقعد قريب ، وسمعت السجين يقول :

ـ اريد ان ادخل وحدى ٠

ـ لا لن تدخل وحدك

ـ ارجوك دعنى ادخل وحدى ٠

ـ قلت لا ٠

ـ لماذا ؟ الا يمكنك ان تغلق الباب ؟

ـ لكنى لن افك الاغلال ابدا ٠

ـ هيا فكها يا حضرة الضابط ٠

ـ دعنى انظر اولا ٠

ودخلا الى دورة المياه واغلق الباب خلفهما ، وسمعتهما يتحدثان ، ولكنى لم اميز ما كانا يقولان ٠ وفجاه سمعت جسما يسقط يشده على الباب، ومحاولة لفتح الباب ، ثم سقطة على الارض ، ثم ضجة كبيرة ، ثم صمت قصير وضجة مرة اخرى ، وخبط على الجدران ٠

ونظرت نحو الباب فاذا بدماء تسيل من تحته تخرج الى الممر ٠ فاسرعت الى ابى اخبره فقال :

ـ اجلس انت فى مكانك ٠

ووقف واتجه نحو الضابط الاخر وربت على كتفه فايقظه وقال له :

ـ زميلك صحب السجين الى دورة المياه

- هل انت متأكد ؟
ولكن ماذا فى ذلك ؟
- ابنى جيمى راى دماء تحت باب دورة المياه ·
قفز الضابط واقفا وشد السجين من معصمه ليقف وهو يقول :
- هيا ، تحرك والاضربتك على راسك وجررتك خلفى ·
- ما هى المشكلة يا سيدى ؟
- هيا يا مجرم ؟
- لماذا هذه الاهانة يا حضرة الضابط ؟ ونحن فى سلام ·
واخرج الضابط مسدسه وامسكه فى يده اليمنى وسار فى الممر ومن خلفه السجين يجره من معصمه بالاغلال ، وشاهده الركاب وتجمعوا امام باب دورة المياه ·فصاح فيهم الضابط قائلا :
- ليبق كل فى مكانه·· وليبتعد الجميع عن الباب ·
امسك ابى بيدى ونظر الضابط فراى الدماء السائلة من تحت الباب ونظر السجين الى الدماء وقال وهو يسقط على ركبتيه باكيا :
- لا ·· لا ··لايمكن
ضربه الضابط على راسه بمقبض مسدسه فسقط السجين على الارض وفك الضابط الاغلال من يده وادار مقبض ايقاف القطار ، وبدأ القطار يبطىء ، وسمع من الداخل صوتا يصيح ·
- ابتعدوا عن الباب
وصاح الضابط فى الخارج يقول :
- افتح الباب ···
واقترب من الباب وقال :
- هل انت بخير ؟
لم يسمع ردا او اجابه فقال :
- ترى ماذا حدث
ونظر الى السجين الملقى على الارض وسط الدماء والمسدس فى يده وهو حائر ماذا يفعل ·· واذا بمفتش القطار يقترب مسرعا ليستفسر عما حدث ·
فقال الضابط :
- بالداخل شخص قاتل ·
وقال فراش القطار·
رايته يقفز من النافذة
أصاح الضابط بجنون :
- احرسوا هذا السجين ·
وحاول فتح الباب ، ولكن الباب لم يفتح لان الضابط الاخر ملقى على الارض خلفه داخل دورة المياه · اما انا فقد نظرت من النافذة فلم ار سوى السور الموازى لخط السكة الحديدية ومن ورائه غابات ممتده ، ولم ار اى احد ·
ولما فتح الباب كان الضابط الملقى على الارض مازال يتنفس وشباك الدورة مفتوح · واخرجوا الضابط المصاب ، واخذ الضابط الاخر السجين الى مقعده وربطه فى حقيبة ثقيلة وتركه ليشترك فى انقاذ زميله والبحث عن السجين الهارب · ولما توقف القطار تماما نزل الضابط ، ونزل معه الكثير من الركاب
وقال فراش القطار :
- رايته يتوغل فى الغابة وهو يحمل فى يده مسدس الضابط ·
ولما سمع الركاب ذلك لم يقدم احد على المشاركة فى البحث عنه ·
اما الضابط الجريح فقد حملوه ومددوه على احد المقاعد ، وتقدم ابى يغسل جراحه ويضمدها ·· يقطع القماش من قميصه ويستخدم بعض الورق فى تجفيف وتنظيم الدماء · كانت الصدمة فى راسه شديدة ، وكان فاقد الوعى ولكن ابى قال ان جراحه ليست خطيرة وسوف يفيق من الصدمة بعد قليل ·
وصل القطار الى اول محطة ، وحملوا الضابط الجريح الى خارج القطار ، وانزل السجين تحت حراسة ، ووقف

رحلة قطار

مصفر الوجه ينظر الى الارض والحزن باد على وجهه ، وهو مستسلم للحراس وينفذ كل ما يؤمر به وهو يبكى بشدة من الحزن •

وشعرت انا بالحزن العميق حينما عدنا الى عربة الاكل ، ورايت فراش القطار يحمل جردلا به ماء لينظف الدماء السائلة •• وجلست بجوار ابى ، وتوجه الفراش الى ابى يسأله :

ـ كيف حال الضابط يا دكتور ؟

ـ انا لست طبيبا . ولكني اعتقد انه بخير وسوف ينجو •

فقال الفراش معلقا

ـ ضابطان كبيران مثل هذين لم يستطيعا ان يتغلبا على ذلك الانسان الضئيل الجسم •• كيف حدث هذا ؟

فسأله والدى :

ـ هل رايت السجين يقفز من النافذة فعلا ؟

ـ أجل ، بالتاكيد ، ورايته وهو يجرى عبر الطريق الجانبى الى داخل الغابة •

ـ وهل تستطيع الاستدلال عليه ؟

ـ طبعا لا ، فانني لم اره من قرب •

وصمت قليلا ثم سال ابى :

ـ كيف ياترى فعل هذا يا دكتور ؟

ـ لابد انه قفز فوق ظهر الضابط •

ـ لكن عجبا •• من اين اتى بالسكين التى طعنه بها •

رد ابى بعصبية شديدة :

ـ ومن ادرانى ؟

فقال الفراش :

ـ ذلك السجين المسكين الاخر لم يحاول ان يفعل اى شيء يا دكتور ؟

ـ ابدا •

ـ لابد ان الضابط قداعطي السجين كفايته من الضرب ، هل رأيته؟

ـ نعم •

ـ مسكين ذلك السجين

وانصرف الفراش ينظف المكان ، وجلس ابى صامتا لم يقل شيئا لفترة ثم بادرني قائلا :

ـ جيمى •• ما رايك فيما حدث ؟

ـ لا ادرى •

ـ وكذلك انا لا ادرى •• ولكن هل انت ضائق لما حدث ؟

ـ اجل ضائق جسدا يا ابى

ـ كذلك انا يا جيمي، ولكن هل اصابك خوف ؟

ـ اجل ، اصابنى الخوف حينما رايت الدماء تسيل ، وقبلها حينما رايت الضابط يضرب السجين •

ـ لا ابدا •• ولكن صف لى الدماء التى رايتها يا جيمى ؟

ـ كانت ثقيلة وناعمة ولزجة •

فقال ابى معلقا على وصفى :

ـ أجل •• الدماء ثقيلة ، هى اثقل من الماء ، ولا يمكن للدماء ان تكون كالماء •• هذه يا ولدى حكمة،وهى اول حكمة يجب ان تعرفها حينما تبدأ حياتك العملية •

ـ اعتقد انها حكمة تتعلق برابطة الاسرة يا ابى •

ـ لا يا ولدى ، بل تعنى معناها اللفظي تماما •• ربما تروعك الدماء ، وانى اذكر اول مرة رايتها ••

ـ ومتى كان ذلك يا ابى ؟

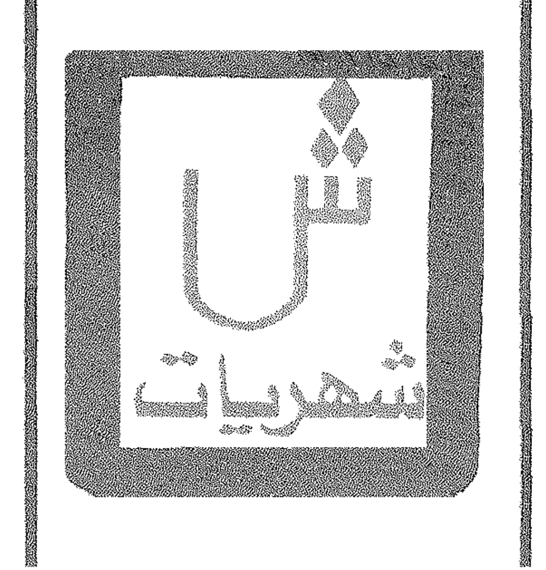
ـ فى مرة احسست بحذائى مليئا بالدماء • كانت ساخنة وسميكة وثقيلة • كانت تماما مثل الماء الذى يدخل فى حذائك حينما تخوض فى مستنقعات صيد البط •• الا انها كانت ساخنة •• واثقل واكثف •

ـ ومتى كان ذلك ؟

ـ اه يا ولدى ، منذ زمن طويل جدا •



كتاب الهلال
يقدم:
عالم الأدب الشعبى العجيب
بقلم: فاروق خورشيد
يصدر ٥ مارس ١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
عرس بغل
بقلم: الطاهر وطار
تصدر فى ١٥ مارس ١٩٨٨



رسالة مفتوحة الى دعـــاة تشغيل اللجان

● لا أعرف كيف يسمح « مثقف » لنفسه أن يتجاهل وجود القــانون المدنى والقضاء العادى (النابعين من الدستور) الذى من المفروض أن نقف جميعا أمامه سواسية ، يحكم بيننا ويعدل فينـــا ، ويدعو ـ هـــذا المثقف ـ الى تشكيل ، أى تعيين ، لجان خاصة لمنع أعمال فنية أو أدبية خارج اطار هذا القانون ، وبسلطة توضع ـ طبعا ـ بين أيدى هذه اللجان ، والاغرب أن يأتى هذا من الليبراليين دعاة الحرية والديمقراطية والاقتصاد الحر والمجتمع الحر ٠

فها هو الدكتور عماد البربرى ـ وهذا مثال من عشرات الامثلة التى تتكرر هذه الايام ـ يكتب فى العشرين من ينــاير الماضى ، وعلى صفحات جريدة « معارضة » مطالبا بلجنـــة أسماها « لجنة الاداب العـــامة والاخلاق » ، يريد لها أن تضع القواعد بحيث لا تخرج القصة أو الفيلم أو المسلسل أو المسرحية عن أهداف (هكذا دون الالف واللام) اجتماعية تفيد الفرد والمجتمع ، والكلام كله ، طبعا ، ينصب على هدف نبيل لا خـلاف ظاهريا عليه ، ولا يمكن أن يعارضه احد ٠

نقول لا خلاف على الهدف اذا ما أريد الكلام عن الاخلاق العامة ، لكن أن تكون الوسيلة للوصول اليه هى تشـكيل لجان خاصة ، خـارج القضاء ، وهكذا بالامر الفوقى ، فهذا أمر غريب ، ودون أن يحدد لنـــا بالضبط ، من يقوم بتشكيل هذه اللجان ، والمفهوم من سياق الكلام ، أن يقوم بتشكيلها من اسماهم المهتمون بالاخلاق العـامة ، وليس ، حتى ، الفنانين الجادين ، ولا روابطهم أو نقاباتهم ٠

والسؤال الان : من الذى يضمن لنـــا الا تتحول هذه اللجـــان عن أهدافها النبيلة المزعومة ؟ وتصب جام غضبها ، وتضع قواعدها ، ضـــد حرية التعبير وضد حرية التفكير التى يكفلها لنا الدستور جميعا ، بل ، وهكذا قفزا فوق رأس القوانين التى فيها ما يكفى لردع كل خارج عليه ،

وبالطرق الطبيعية التي تكفل للمتهم الدفاع عن نفسه ٠

اننا نسأل : لماذا لا توفرون أقلامكم والمساحات المتاحة لكم لنقد هذه الاعمال الفنية غير الاخلاقية ، وتكشفونها أمام الجميع ، وتنفرون الناس منها بدلا من هذه المطالب الغريبة٠ومن يضمن لنا ولكم ألا تتحول هذه اللجان الى ما يشبه لجنة الكونجرس للنشاط غير الامريكى ، التى اشتهرت بلجنة ماكارثي ، وبدأت ولم تتوقف الا بعد معركة ضروس منذ عام ١٩٣٨ وحتى عام ١٩٦٨ في الولايات المتحدة ٠ والتى أضحت الان سبة عظمى فى تاريخ البشرية ٠

اننا نسأل فقط حتى اذا دعونا ، دعونا جميعا الى اعمال القانون لا الخروج عليه ، دعونا الى الارتفاع بمستوى الاعمال الفنية عن طريق التأكيد على حرية المبدع من جهة ، وحرية نقده من جهة ثانية ، ووضع الدستور قاسما مشتركا يحكم بيننا جميعا ٠

عبده جبير

معارض

* ملاحظات لابد منها حول معرض الكتاب العشرين

الان وبعد أن مضى الوقت على معرض الكتاب « العشرين » ، وبعد أن تناولته أجهزة الاعلام والصحف بالمتابعة والنقد والتحليل هل بقى لنا شيء نقوله ؟

أعتقد أنه لايزال هناك ما يستحق القول بالنسبة لعدد من النقاط :

● فمنذ البداية أعلن عن موعد الافتتاح يوم ٢٦ يناير وأرسلت الدعاوى على هذا الاساس ، وأظن أن أهم طرف من الواجب أن تهتم بهم ادارة المعرض هم الناشرون ، وهؤلاء هم الذين أضيروا خاصة الذين لم يحضروا فى اطار رسمى تابع لدولهم، هؤلاء لم يبلغوا بتغيير الموعد ، فكان ما كان من مأساة تكررت لهم عدة أعوام متتالية ، فتأخرت كتبهم ولم تصل لبعضهم الا فى اليومين الاخيرين وكان أن صدم الزوار بمنظر الاجنحة الفارغة من الناشرين !

● ثم تأتى بعد ذلك لمنظر تأذى كل من رآه داخلقاعات العرض وخارجها، هو منظر الذين استغلوا اجنحتهم فى عرض الاكسسوارات والزهور الصناعية ، والحقائب بل الشباشب والاحذية التى اكتظ بها جناح بالقرب من قاعة دار المعارف ٠٠ أحذية فى معرض الكتاب ٠٠ هذا أمر لا يمكن قبوله ، لا من أجل كرامة هيئة الكتاب الجهة المنظمة للمعرض بل من أجل كرامة الثقافة والمثقفين المصريين الذين أرادت الهيئة أن يكون المعرض واجهتهم ٠

● وبعد ذلك لابد أن نتوقف أمام اتساع دائرة البيع والشراء ، مقابل دائرة العرض والثقافة ، فالمفروض أن يظل معرض القاهرة فى الوسط ما بين الدائرتين لا أن يتحول الى سوق « تلات » لبيع الكهنة والروبابكيا ، وأن يجبر الناشرون على وضع كتبهم الجديدة فى صدر أجنحتهم وقد لوحظ أن بعض دور النشر انتهزت فرصة السوق فجعلته أوكازيون لبيع القديم و « العاطب » وغير

الرائج من الكتب « الدشت » ·· ثلاثون كتابا بخمسة جنيهات وشيل يا مشترى ·· والغريب أن الهيئة هى التي قامت بهذا ·· بل وجعلته مفخرة اعلامية لها ·

● ثم نأتى الى الارقام والبيانات، من أين جاء للهيئة معرفة ما بلغته أرقام البيع وبلوغها ثلاثون مليون من الجنيهات كما أعلنت · قد تكون الهيئة قادرة على احصاء عدد الزوار بمعرفة عدد تذاكر الدعوات والتذاكر المباعة ·· وهذا قد يكون أقرب الى الحقيقة وان لم يكن الحقيقة كاملة ·· لكن أرقام قيمة ما باع به الناشرون أمر مستحيل معرفته ، لانه لا الناشرون يتقدمون بفواتير ، ولا يمكن أن يصرحوا بالواقع ، وأغلب الناشرين يأتون للمعرض بفواتير غير مرقمة من تلك التى تباع فى أسواق العتبة !

● ان الوسيلة أو الوسائل التى لجأت اليها الهيئة فى جمع اراء الناس ، ثم فى تصنيفها ثم اعلانها وسائل بدائية تقف عند بداية القرن ، ويبدو أنه لم يبلغ علمها بعد أن هناك شيئا اسمه الكومبيوتر علىالرغم من أنه بلغها جدا ما يوفره التليفزيون من اعلام واتصال بالناس ·

● كذلك لا يجب أن يفوتنا ما حدث بالنسبة للمدعوين من الشعراء والكتاب ، فقد أعلنت الهيئة عندعوة ماركيز ودرويش وسميح القاسم وفدوى طوقان وغيرهم ، ثم كان تضارب الاراء حول موعد حضورهم، بعد أن تأكد عدم حضور ماركيز ·

● ثم ما هى حكاية جناح الفاسى على الرغم من أنه ليس جناحا للنشر بل مجرد دعاية لرجل واحد ·

● وأخيرا فاننا نسوق ذلك لان أغلب من تناولوا المعرض بالكتابة كان التملق أحيانا ، والسير مع الرائج أحيانا أخرى ، هو دافعهم ، ولا نرى دافعا لنا الا وجه مصر وكرامتها ووضعها الثقافى الكبير ووضعها الحضارى المتميز ·· ولا نقول ذلك أيضا الا بقصد أن يأتى المعرض القادم أفضل حالا ، وأكثر تنظيما ، وأن يكون بالفعل عرسا ثقافيا ·

رسائل جامعية

يحيى بن حمزة العلوى بلاغيا

● هذا هو عنوان رسالة الماجستير التى تقدم بها فى الشهر الماضى الباحث المغربى « عبد الجليل هنوش » الى كلية آداب القاهرة باشراف أ· د· عبد المنعم تليمة ، وناقشه أ·د· رجاء عبد المنعم جبر ، و أ· د· يوسف عبد القادر خليف ·

وبعد أن عرض الطالب لبحثه ومنهجه مؤكدا على أن البحث البلاغى قد شكل قسما كبيرا فى مجال النقد الادبى عند العرب ، وقدم تصور يحيى بن حمزة العلوى اليمنى المتوفى عام ٧٤٩ هـ ، وأوضح المصادر التى اعتمد عليها العلوى من خلال كتابيه « الطراز » و « الايجاز » بدأت المناقشة بملاحظات الدكتور رجاء عبد المنعم الذى تساءل : كيف يمكن لباحث شاب أن يضيف الى البلاغة العربية ، وقد علمونا فى زمن مضى أن البلاغة العربية نضجت واحترقت ، وان الكلام فيها لم يعد الا للمعرض فقط ، ولكن الدراسات الحديثة جاءت ومعها مدارس تعنى بدراسة النص والبنية الكلامية ، والعودة الى الاسلوب للنظر فيه والسؤال السابق محل

نظر ، لا لشيء الا لان هناك من درس العلوى فى أوائل السبعينيات ، بالاضافة الى أن العلوى نفسه لم يضف كثيرا الى البلاغة فى مؤلفاته ، ولكننى للحق عندما قرأت الرسالة شدتنى اليها ، وخرجت من البحث بأن هناك شيئا جديدا ، كما وجدت منهجا فى عرض الركام والحشد الكبير للقضايا البلاغية التى نراها فى كتاب الطراز بأجزائه الثلاثة التى تصل الى ٧٠٠ صفحة ، فقد عرضت هذه الموسوعة البلاغية من وجهة نظر جديدة والفضل للمنهج الذى قدمه الباحث ، خاصة فى علم الاسلوب الذى حاول أن يطبقه بمهارة شديدة ، وقد استطاع أن يمزج بين الكتابين وكأن أحدا لم يسبقه الى دراستهما من قبل ، وخرج علينا بسبيكة عظيمة .

كما أن منهج الرسالة يغرى بمتابعة الموضوعات البلاغية ويجعلها تقرأ كأنما هى غضة ولم تكتب فيها الشروح والموسوعات التى تكرر بعضها بعضا ، وقد قام الباحث بنقل قضايا البلاغة المعروفة الى غير موضعها المألوف مثل مباحث المعانى بكل تفريعاتها تحت عنوان التركيب البلاغى للجملة ، وينقل الاستعارة من مكانها مع التشبيه ليجعلها شيئا آخر له معنى جديد ودلالة .

وهناك نقطة شكلية أخرى هى أن الباحث لم يقف طويلا مع كتب العلوى الاخرى .

كما أخذ المناقش على الباحث أنه فى الخطة العامة لم يقدم فصلا تركيبيا فى اخر الكتاب يتضمن الدراسة والمعطيات التى قام بها ، أو تلك التى وصل اليها كالخاتمة .

والرسالة التى أمامنا طيبة لا شك فى ذلك ، اشرف عليها قمتان فى البحث البلاغى هما أ . د عبد المنعم تليمه و أ . د عبد الحكيم راضى ولا شك أن بصماتهما واضحة فيها . وجل ملاحظاتى تنصب على :

ـ التعاطف الواضح مع العلوى وما عكسه هذا التعاطف على البحث مما أفقد الباحث أن يكون موضوعيا فى بعض الاحيان ، ومظاهر هذا التعاطف الدفاع عن الكتاب وصاحبه وأهميتهما ودورهما فى تاريخ البلاغة العربية ، وفى رأيى أن العلوى ليس من البلاغيين الذين نستطيع أن نضعهم مع كبار البلاغيين العرب الذين لهم دورهم فى تاريخ البلاغة العربية من أمثال أعلام المدرسة الادبية البلاغية وأعلام المدرسة الفلسفية سواء منهم عبد القاهر أو السكاكى .

وفى رأيى أن العلوى بلاغى متوسط المستوى فلا يستحق هذا التعاطف معه، ولا هذا الدفاع عن كتابيه الايجاز والطراز .. وأعتقد أن كلا الكتابين كتابان مدرسيان تعليميان ولم يصلا الى مستوى كتب المدرسة الادبية البلاغية ، وليست هذه الحقيقة من عندى ولكن هو نفسه يصرح بها فى مقدمة كتابه حين ذكر انه ربما وضع هذا الكتاب ليساعد تلاميذه على تفسير الزمخشرى .

ومن المعروف أن منهج المدرسة التى يتبعها منهج تعليمى وهو يختلف عن مدرسة عبد القاهر وأمثاله التى لم يكن هدفها هو التعليم البلاغى ، كما أن مدرسة السكاكى قامت لتعليم البلاغة لغير العرب . ومظاهر تعاطفك مثلا انك عند تعليلك لعدم انتشار الكتاب بين البلاغيين قلت بأنه ظهر فى منطقة بعيدة عن مركز الثقافة الاسلامية العربية وتصورى انه تعليل

غير دقيق وغير معقول ، لانه لم تكن هناك حواجز تحول دون وصول الكتب الى ربوع الجزيرة العربية وخاصة منطقة الحج المقدسة ٠

وقال د ٠ يوسف خليف : ومن مظاهر تعاطفك أنك اقتصرت فى مقارناتك وموازناتك على كتب المدرسة الفلسفية بصفة خاصة لتظهر صاحبك بأنه صاحب مذهب أدبى فى مواجهة هذه المدرسة ٠

ثم انك تعمدت أن تغفل قضية : أين العلوى من عبد القادر الجرجانى عن عمد ؟!

ثم هناك ظاهرة لم تعجبنى فى بحثك هى الاحساس الواضح بالانا وتضخيم الذات الذى وصل بك الى درجة الغرور وأنت فى بداية الطريق

بالاضافة الى المبالغة الشديدة فى القضايا البسيطة حتى تحولت الرسالة كلها الى مشكلات ، أى عراك فى غير معترك وكأنك تحارب طواحين الهواء

ثم انك وأنت تطالب بتجديد البلاغة نسيت كتابا مثل « فن القول » لابن الخولى ولم تشر اليه فى مراجعك ، وهو كتاب هام ، بل يكاد يكون أول كتاب أرسى دعائم التجديد فى البلاغة الحديثة ٠

وعلى أى حال فان الصورة التى قدمتها لبلاغة العلوى صورة طيبة ونحن نقدرها لك ٠

وبعد المناقشة منحت اللجنة الباحث درجة الماجستير بتقدير ممتاز ٠

مسرح

* حسن الجريتلى مخرج جديد

من يتابع الحركة المسرحية الجادة تلك التى تكاد تقف فى الظل ، تلك التى يقدم عليها فنانون جدد يعرفون الطريق الى الفن الحقيقى والصادق جيدا ، يدرك الى أى حد وصلت الحركة المسرحية المقامة على خشبات المسرح الكبير ، سواء تلك التى تتبع القطاع العام ، أو القطاع الخاص ، فالقطاع العام وصل به القائمون القيمون عليه الى درجة من العقم حينما أرادوا اغلاقه أمام أى محاولة للتجديد ،ولم يستقطبوا الا العناصر المتوسطة أو الاقل من المتوسطة فأماتوه بالسكتة القلبية ٠ أما المسرح الخاص فالكلام، مجرد الكلام خسارة فيه ٠

وتأتى هذه الفرقة المسرحية الجادة بقيادة المخرج الفنان المثقف والحساس حسن الجريتلى لتقدم عرضا من مسرحيتين هما « يموت المعلم » التى نقلتها وأعدتها عن مسرحية الالمانى بيتر هانكه الناقدة منحة البطراوى «الربيب يريد أن يكون وصيا» ، ولابد من الاشارة الى خفة الدم الشديدة التى نقلت بها المترجمة النص ٠

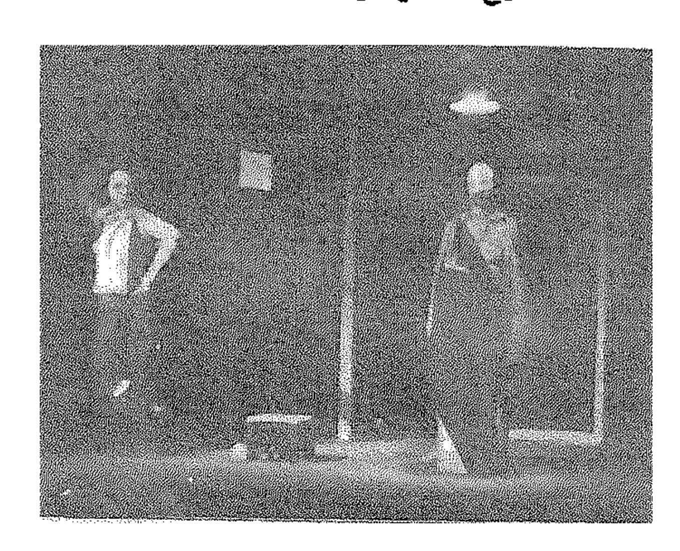
أما العرض الثانى فهو نوبة صحيان لداريوفو وفرانكاراما وهو نص ايطالى شديد العذوبة والحساسية

وعلى الرغم من أن العيب الاساسى فى هذا العرض هو لجوؤه الى نصين أجنبيين ، فان مستوى جدية المخرج والعاملين معه دفعته لبحث طويل عن مسرحيات جديدة جادة فلم يجد فكانت أمامه الساحة العالمية ليجد من بينها ٠

وانه وان كان العرض قد لف ودار على المسارح فلم يجد من يحن عليه ؟ بالمقطع خوفا من أن يظهر الخبيث من الطيب ، وحتى يركن العرض فى مسرح صغير ، ومع ذلك فقد امتلأت قاعة أعدها الفنيون العاملون فى العرض داخل احدى غرف مركز

شباب المنيل ، فكان الجمهور هو ذلك الجمهور الجاد الذى يركب المشـقة ليذهب الى عرض جيد ولو فى مركز شـباب ·

على أى حال ان هذا العرض وهذا المجهود الفنى الراقى ليستحق وقفات طوال ، وما نقدمه هنا مجرد تنويه ولكن لابد من ذكر المجهود الكبيرالذى أدته الممثلة الموهوبة عبلة كامل خاصة فى دورها المفرد فى نوبة صـحيان فأظهرت امكانيات كبيرة وقدرة على التحكم فى الاداء وغنى وتنوع يثيران الاعجاب بالاضافة الى سلاسة أداء الممثل أحمد كمال الذى اشترك معها فى العرض الاول ، وهو نص صعب للغاية ومع ذلك كان يعطى كل لحظة ويتفوق على نفسه فى كل ليلة ، ولابد من التنويه ببساطة الديكور والملابس اللذين قام بهما عمرو المراكشى والان رايت والاضاءة الحساسـة التى قام رمسيس مرزوق والموسيقى التى لا تظهر الا لتخـدم النص التى قدمها جورج كازازيان والمجهود الانتاجى الواضح الذى قامت به أميرة غزال ، ومساعد المخرج استيفان منير ·



أحمد كمال وعبلة كامل فى مشهد مسرحى

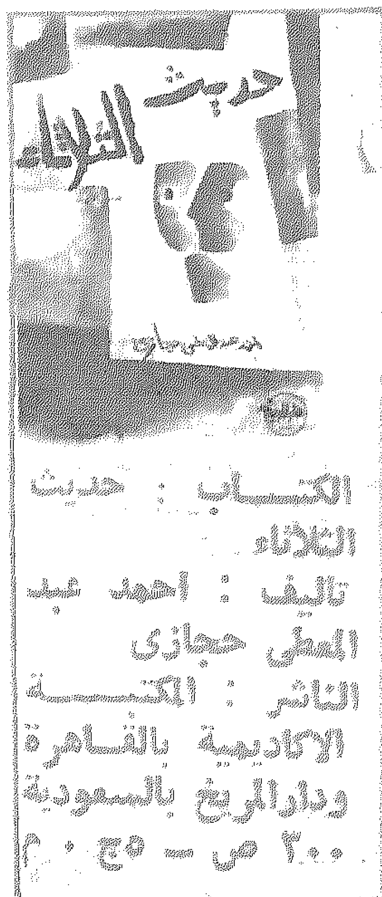


● ثلاثون فنانا مصريا يتضامنون مع الانتفاضة الشـعبية الفلسطينية ·

● ثلاثون فنـانا تشكيليا مصريا يقيمون فى الثالث عشـر من مارس الحالى معرضا لاعمالهم التى تضـم لوحات تصوير ورسوم مائية واعمال نحتية حديثة فى معرض خـاص يقيمونه للتضامن مع اطفال الحجارة والانتفاضة الشـعبية الفلسطينية العارمة فى الاراضى العربية المحتلة ·

يقام المعرض الذى يستمر عشرة ايام فى قاعتيـن كاملتين من مبنى اتيليه القاهرة للكتاب والفنانين ويأتى تحت عنوان حقوق الانسان الفلسطينى ومع الانسانية وضـد القهر الذى تمارسـه السلطات الاسـرائيلية والمستوطنون الصهاينة الذين تمادوا الى حد انهم وزعوا على اطفـال فلسطين بسكوتا مسمما بقصد قتلهم ويقدمون فيه أعمالا ذات ملامح انسانا ضد كل قهر يمارس على الشعوب التى تطالب بحقوقها المشروعة وفى مقدمتهم الشعب الفلسطينى ·

مكتبة الهلال



الكتاب : حديث الثلاثاء
تاليف : احمد عبد المعطى حجازى
الناشر : المكتبة الاكاديمية بالقاهرة ودار المريخ بالسعودية
٣٠٠ ص – ٥٥ج ٠ م

كان طه حسين قد اختار عنوانا لكتابه حديث الاربعاء الذى ضم عددا من المقالات بين دفتيه تيمنا بعنوان كتاب لاستاذه الفرنسى سانت بوف حديث الاثنين ، وها هوالشاعر احمد عبدالمعطى حجازى يطلق على كتابه هذا حديث الثلاثاء ، وهو يضم مجموعة مختارة من المقالات التى نشرها طوال عدة سنوات فى جريدة الشرق الاوسط ، وجلها استعراض للتيارات الفلسفية ، والفكرية ، والادبية التى جرت النساء وجود شاعرنا فى عاصمة الثقافةباريس ، وانكان بعضها يتناول أعمالا أدبية وفنية عربية ٠

هى اذن مجموعة من المقالات المتفرقة التى يدور كل منها حول موضوع مستقل ، أهداها مؤلفها الى عميد الادب العربى ، وهى منناحية أخرى تتميز بأسلوب شائق وروح متوثبة لمناقشة قضايا الفن والادب بجدية فائقة ٠

الكتاب : ابو الاعلى المودودى والصحوة الاسلامية
تاليف : د٠ محمد عمارة
الناشر: دار الشروق
٢٥٦ ص ، ٥ ج م

يثير الدكتور محمد عمارة فى دراسته هذه عددا من الاسئلة الهامة التى تتعلق بصلب القضايا الاساسيةالمثارة فى المجتمع الان :

مجتمعاتنا المعاصرة ، وهل ارتدت للكفر والجاهلية بعد الاسلام ؟ وهل تنفى الحاكمية الالهية كون الامة مصدر السلطات ٠ وهل للوطنية والقومية والديمقراطية مكان فى فكر الاسلام ، وهلعدالة الاسلام هى الاقتصاد الحر مع بعض القيود ؟ وما هو موقف غير المسلمين فى المجتمع الاسلامى ؟

كل هذه الاسئلة يدرسها الدكتور عمارة من خلال استعراضه لاراء ابو الاعلى المودودى الذى اثار ويثير فكرة الجدل بين الاسلاميين وبينهم وبين العلمانيين ، وقد وضع الكاتب أمام عينيه هدفا اساسيا الا وهو جلاء حقيقة هذا الفكر ، فى ضوء اصول الاسلام ، وخصوصية المجتمع الهندى موطن المودودى وساحة نشاطه الذى افرزت هذه الاجتهادات

محاولة ٠٠ يصفها الدكتور عمارة بانها

انصاف من انصاره ومن خصومه على حد سواء، وقبل ذلك انصاف الاسلام والصحوة الاسلامية من الجاهلين ومن الاعداء •

الكتاب : تولستوى والاسلام
تاليف : ليون تولستوى
الناشر : مصرية للنشر والتوزيع
٨٠ص ٢٠ ج م

يضم هذا الكتاب الوثيقة الرأى الذى كتبه الروائى والفيلسوف الروسى الكبير : ليون تولستوى عن الاسلام والرسول محمد (صلعم) الذى رأى فيه الدرجة العالية من الانصاف والعدل وحب الانسانية ودعا الى دراسة الاسلام وقراءة القرآن باعتباره نصا مقدسا جاء لخلاص البشرية من شرورها •

كما يضم رسالة الامام الشيخ محمد عبده التى كان قد أرسلها للروائى الروسى الكبير واصفا اياه بالروح العظيم ، والمفكر الانسانى الكبير، بالاضافة الى مختارات من النصوص الاسلامية التى اختارها تولستوى لقراءته ودعا الناس لقراءتها •

انه وثيقة نادرة وعمل شائق يأتى فى باكورة انتاج دار نشر جديدة شابة تستحق التشجيع على أهدافها الثقافية •

الكتاب : العتب على النظر
تاليف : يوسف ادريس
الناشر : مركز الاهرام للترجمة والنشر

عود حميد للاديب العربى الكبير يوسف ادريس الى بيته الحقيقى : القصة القصيرة• فبعد طول انقطاع للكاتب عن الابداع الادبى• عاد يوسف ادريس الى فن القصة بمجموعته الاخيرة « العتب على النظر » التى تضم خمس قصص قصيرة هى : العتب على النظر ، « أمه » ، « الخروج » ، « الختان » و « الرجل والنحلة » ورواية قصيرة جدا تحمل عنوان « أبو الرجال » •

وقد اختار الكاتب لاقصوصة « العتب على النظر » شكلا ادبيا جديدا على النثر العربى سواء فى اللغة المصاغ بها بالاضافة الى أسلوب الكاتب الذى يتمتع بتلقائية وصدق كانه الجدول المنساب بين حشائش كثيفة مثلما يقول فى احدى الفقرات •

وانضم حسن ابو على لينا •

وعلى اعلى مستوى قعدى نضبش •

وجاءنا الحل من حسن
حل مالوش مثيل •
يا ابن الايه يا حسن •
أما حتة حل •

ومهما كانت الكتابة عن يوسف ادريس ممتعة• ومهما كانت قراءة مقالاته مثيرة للعقل • فان الغوص فى عالمه الابداعى بعد مسرحيته « البهلوان » التى نشرها اخيراً يجعل المرء ينادى باعلى صوته : يوسف ادريس •• لا تترك بيتك الكبير •• القصة القصيرة

إسماعيل صدقي

بين القصر والشعب

بقلم: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

ينتمي إسماعيل صدقي إلى الجيل العملاق الذي ظهر في مصر دفعة واحدة خلال النصف الأول من القرن العشرين. ولم يقتصر نشاط هذا الجيل وإبداعه على مجال واحد، بل لقد تنوعت المواهب في كل ميدان سواء في الناحية السياسية أو الثقافية أو الفنية أو القانونية أو الاقتصادية ... إلى غير ذلك.

وفي المجال السياسي يؤكد مؤرخنا الراحل محمد شفيق غربال أن من برزوا في أعقاب ثورة ١٩١٩ من الكثرة بحيث إننا قد لا نجد لهم نظيرا في أي بلد آخر. حقيقة لقد اختلفوا وتصارعوا أو ائتلفوا، ولكن معظمهم كانوا مخلصين في الكفاح من أجل الاستقلال والتخلص من النفوذ الأجنبي. ومن هؤلاء اسماعيل صدقي الذي غمط حقه ولم تقيم أعماله في إطارها الحقيقي، ومن ثم ما اشتهر به من حيث كونه «عدو الشعب» وذلك لواقعيته ومقته للحزبية، وصراحته التي كثيرا ما كانت تصدم الرأي العام الذي تملقه الساسة العاملون على الساحة جريا وراء تصفيق الجماهير تمهيدا للوصول إلى الحكم. فقد وضع نصب عينيه تقوية السلطة المركزية والمواءمة بين المؤسسات الدستورية التي اقيمت في أعقاب ثورة ١٩١٩ وبين أوضاع البلاد التي لم يراعها دستور ١٩٢٣ الذي قال عنه عبدالعزيز فهمي إنه ثوب فضفاض. وأهم من هذا أن المستعمر البريطاني كان كثير التدخل في شئون البلاد في الوقت الذي كان فيه الملك فؤاد يود أن يملك وأن يحكم في حين كان حزب الوفد يحرز الأغلبية البرلمانية في كل انتخابات حرة. ولعل أهم الأدوار التي قام بها صدقي في تاريخ مصر الحديث يتمثل في رئاسته لمجلس الوزراء المصري فيما بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٣ وهي أطول فترة أمضاها رئيس وزراء مصري في الحكم في العهد الملكي. ولقد أطلق عليه خصومه لقب «عدو



اسماعيل صدقي

الشعب » الذى سبق ان اشرنا اليه ولصق به فترة طويلة . ولو ان المعجبين به قد خلعوا عليه لقب « رب الكفاءات » بسبب تنوع مجالات خبراته ونشاطاته : فقد كان محيطا بالتيارات العالمية والمحلية كما كان واقعيا متمرسا بشئون الادارة والاقتصاد والمال .. ومن ثم كان وصف الدوائر البريطانية له على الوجه التالى : « لاشك فى ذكائه الوقاد وهو على كفاءة عظيمة وبخاصة فى النواحى الادارية بالاضافة الى دأبه وشجاعته وإن يكن أميل الى التآمر وعدم توخى الصدق فيما يقول وذلك رغم التزامه بالوفاء بوعوده » ... « وذهنه صاف ومتوقد بشكل يدعو الى الالتفات ، وهو المصرى الوحيد الذى تشكل المحادثة معه شيئا شائقا » . واثناء توليه رئاسة مجلس الوزراء اثبت كفاءة لايضاهيه فيها احد من الساسة المصريين (إذ كان يعمل احيانا لمدة ١٨ ساعة يوميا) .

ولد صدقى فى الاسكندرية فى اسرة ميسورة الحال وفدت الى المدينة من إحدى قرى محافظة الغربية وتولى بعض افرادها وظائف حكومية هامة : فقد كان جده محمد سيد احمد باشا رئيسا لديوان محمد سعيد باشا والى مصر ، كما كان والده احمد شكرى محافظا للقاهرة فوكيلا لوزارة الداخلية فمديرا لادارة السودان . وكان احمد شكرى اداريا نشطا وطموحا ، وقد عاد من بعثته الى فرنسا شديد الحماسة للتحديث والانفتاح على الحضارة الغربية . اما والدة صدقى فكانت ناظرة لاحدى المدارس وفى طليعة المطالبات بحقوق المرأة .. ولما كان إسماعيل أصغر ابنائها فقد كانت اميل إلى استبقائه معها فى المنزل حيث كانت تتولى تلقينه مما ادى الى ولعه بالقراءة وجنوحه إلى الخيال وتامله اوضاع مصر فى ظل الاحتلال مما اورثه ميلا فطريا إلى الاقتصاد والشئون المالية والتاريخ . ولما كان ابوه معجبا بالثقافة الفرنسية فقد الحقه بمدرسة الفرير حيث اتقن اللغة الفرنسية ولفتت كفاءته وذكاؤه انتباه ناظر مدرسته مما اورثه ثقة بالنفس وشعورا بالتفوق . ثم التحق بالمدرسة الخديوية حيث تحسنت لغته العربية[١] وابدى اتجاهات وطنية . وفى عام ١٨٩٤ حصل على ليسانس الحقوق وعين كاتبا بالنيابة ثم سكرتيرا إداريا لبلدية الاسكندرية ورئيسا لقسم القضايا بها . وفى عام ١٩٠٨ عين سكرتيرا عاما

لوزارة الداخلية ، ثم مالبث أن أصبح وكيلا لهذه الوزارة . وفى عام ١٩١٤ عين وزيرا للزراعة ووضع مشروعا لانشاء الجمعيات التعاونية وأنشأ المجلس الفني الأعلى للزراعة ، ثم عين وزيرا للأوقاف ، وفى مايو ١٩١٥ أعفى من منصبه على أثر فضيحة أخلاقية أدت إلى انتحار إحدى الفتيات ، وكان ذلك سببا فى التردد فى ضمه الى الوفد الذى تشكل بعد انتهاء الحرب للمطالبة بالاستقلال وإن يكن قد عين رئيسا للجنة اهتمت بدراسة أثر الحرب على الاقتصاد المصرى ، مما جعله يهتم بالجانب الاقتصادى من المسألة المصرية . ولما كانت هذه اللجنة قد حصلت على معلومات خاصة بالبناء الاقتصادى - الاجتماعى للمجتمع المصرى وبحثت نواحى ضعفه وإمكانياته ووضعت تصورا اقتصاديا بناءً فقد اتجه سعد زغلول الى ضمه الى الوفد برغم معارضة الكثيرين . ثم اشترك صدقى فى النشاط الوطنى ضد الانجليز مما أدى الى نفيه مع سعد زغلول وحمد الباسل ومحمد محمود الى مالطة فى مارس ١٩١٩ . وبعد اطلاق

سراح سعد ورفاقه رافق صدقى الوفد الى باريس لعرض القضية المصرية على مؤتمر الصلح وتولى سكرتارية الوفد ، ورغم القيود التى فرضها الانجليز على تحركات الوفد المصرى فإن إتقان صدقى للغة الفرنسية وتعرفه على الاوساط الأوربية ومواهبه المتعددة جعلته يحرز بعض النجاح فى خدمة القضية الوطنية . ولكنه سرعان ما تبين أن مطالب مصر لن تنجح فى

إطار دولى ومن ثم كان اتجاهه الى معارضة سعد الذى طرده من الوفد فعاد الى مصر وتبعه بعض أعضاء الوفد ليستأنف نشاطه الوطنى بالشكل الذى ارتآه : فهو - كما قال عن نفسه فى مذكراته - لايميل الى تحكيم العواطف بل الى الواقع المفيد والى الوصول الى النتائج ، خاصة وقد استاء من خداع رجال الحركة الوطنية لأنفسهم ومما اعتبره « بلاهة » لدى المصريين . وقد أدى نشاطه الوطنى الى ابعاده عن العاصمة الى قريته الغريِّب ولو أن ذلك لم يغير رأى الجماهير فيه مما أكد احتقاره « لجهلها وعاطفيتها » وجعله يمقت الاستبداد والحزبية وعبادة الفرد .

ولما كان المعتدلون أكثر استعدادا للتفاوض مع الانجليز حول التوصل الى معاهدة تنظم علاقات بريطانيا بمصر ، فقد تعاون صدقى معهم وانضم الى فريق عدلى يكن الذى ألف وزارته فى مارس ١٩٢١ وشغل فيها صدقى منصب وزير المالية ، كما اشترك فى وزارة عبدالخالق ثروت (مارس - نوفمبر ١٩٢٢) وأصبح أقرب مستشاريه بحيث كان يوجه نشاط الوزارة ككل ولعب دورا هاما فى إصدار تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ الذى أعلن استقلال مصر مع تحفظات أربعة يجرى التفاوض حولها بين مصر وبريطانيا فى المستقبل ، ثم تألفت اللجنة التى وضعت دستور ١٩٢٣ الذى جرت الانتخابات على أساسه وأحرز فيها سعد زغلول وأنصاره أغلبية كبيرة - ومما يجدر ذكره أن صدقى لم يوفق فى هذه الانتخابات ، وبعد استقالة سعد



صدقى باشا عند عودته من جزيرة رودس حاملا التعديل الوزارى

على أثر مقتل السردار فى أواخر عام ١٩٢٤ تقلد صدقى وزارة الداخلية فى وزارة أحمد زيور التى تألفت فى ديسمبر ١٩٢٤ وأعلنت أنها ستعمل على « أنقاذ ما يمكن إنقاذه » فى مواجهة الانذار البريطانى الذى وجه الى سعد زغلول وأدى إلى استقالته ،

وبادر صدقى الى حل مجلس النواب وإيقاف الدستور وحاول تنظيم الادارة وإعادة الثقة لدى الموظفين الذين تضرر بعضهم من محاباة سعد لأنصاره ، ثم شن حملة ضدهم خلال الانتخابات التى أجريت وأعلنت الوزارة على أثرها أن الاحزاب غير الوفدية نالت الأغلبية على أن صدقى لم يبد استعدادا لجعل تسلط القصر أساسا للأوتقراطية الملكية فى الوقت الذى جزع فيه الملك فؤاد - الذى تلاعب بالحياة السياسية والدستورية - من ازدياد سلطة صدقى ولهذا قبلت استقالته دون تردد وإن يكن قد لعب دورا هاما فى عام ١٩٢٦ فى تشكيل الحكومة الائتلافية التى أشترك فيها الوفديون والأحرار الدستوريون والحزب الوطنى وكانت تستهدف تقليص سلطة القصر وإعادة الدستور .

وفيما بين عامى ١٩٢٦ و ١٩٢٨ كان صدقى عضوا نشطا بمجلس النواب وتولى إدارة البنك الألمانى - ولما كان الملك لا يطمئن اليه ولا يثق فيه فإنه انكب على مجال الأعمال ووسع علاقاته بالمصالح الاجنبية : فرأس شركة الكهرباء المصرية وشركة سكر كوم أمبو وشركات مختلفة أخرى ، وفى عام ١٩٢٩ أصبح نائبا لرئيس اتحاد الصناعات ، ولكنه ، من ناحية أخرى ، جعل من البرلمان منبرا لعرض آرائه الخاصة بالاصلاح الاجتماعى والاقتصادى ، فلفت النظر الى أهمية مشروع خزان جبل الأولياء فى جنوبى السودان والى ضرورة بناء محطة لتوليد الطاقة فى أسوان .

● كفاءة عالية

وفى يونية ١٩٣٠ تولى صدقى رئاسة الوزارة مع احتفاظه بوزارتى المالية

والداخلية . وخلال السنوات التى تولى فيها الحكم أبدى كفاءة عالية فى التصدى للمشكلات الادارية والسياسية الصعبة التى واجهته فى بداية حكمه شبه الدكتاتورى . وكان من رأيه أن التغلب على تجاوزات الحركة الوطنية أمر لازم للتوصل الى الرخاء والتطور ، ومن ثم كان ازماعه إيقاف الوفد عند حدوده وأن يعهد بالادارة الى عناصر تتميز بالقدرة والكفاءة وأن يتوصل الى معاهدة مع الانجليز . ومن رأيه أن « فريق الأوتقراطية (٢) كان قد جرب عدة مرات فى الحكم فأبدى فيها عجزا وأوشك أن يلحق كل مرة بالبلاد وسمعتها ضررا بليغا ـ ذلك أنه لم يسلك فى الحكم السبيل المستقيم ، فقد شغل باستدامة أسباب النفوذ والسلطان لنفسه وبتوفير وجوه المنافع لأنصاره والثأر من خصومه عما يقتضيه الحكم من توفر على النظر فى حاجات البلاد وضروب الاصلاح ... ولاشك أن داء البلاد الوبيل كان فى ذلك الحين طغيان فئة اتخذت من الدعاية التى تنشرها بين الناخبين والنواب جميعا سببا ممدودا للحكم والتحكم ، فإن هى أقصيت عن الحكم حاولت استثارة عطف الجماهير بدعوى اضطهادها ... فهى فى سبيل مصلحتها الخاصة كانت تصرف البلاد عن سبيل الخير وتشغلها عن حل مشاكلها وإصلاح شئونها » إلا أن خصومه ذهبوا الى أن الذى رشحه للوزارة هو نفوذ المصالح المالية فى مصر فى الوقت الذى ظهرت فيه بوادر الازمة الاقتصادية العالمية التى عرضت الأمن للخطر وهددت النظام . وعلى أى حال فقد اشترط صدقى لتأليف وزارته أن ينظم الحياة النيابية « تنظيما جديدا » يتفق ورأيه فى الدستور واستقرار الحكم ، فألف وزارته من أعضاء فى حزب الاتحاد ومن الحزب الجديد الذى ألفه (حزب الشعب) الذى قال بصدد تأليفه له أنه رغم عدم ميله للحزبية ونفوره من التقيد بالأحزاب فإنه رأى الأبد للوزارة من استنادها الى أغلبية برلمانية خاصة بعد اعتذار الاحرار الدستوريين عن الانضمام الى وزارته وائتلافهم مع الوفد .

ولما كان حزب الشعب وليد السلطة فقد نما نموا سريعا ـ وكان يضم عناصر تقليدية من الأعيان والموظفين السابقين والمهنيين وعددا غير ثابت من أفندية العاصمة والمراكز الحضرية بما فى ذلك المقاولين والتجار وموظفى المؤسسات التجارية . وأخذ زعماء الوفد بعد تأليف وزارة صدقى ينشطون فى عقد الاجتماعات التى هاجموا فيها الحكومة فلم تلبث أن نشبت مصادمات دموية بين الأهالى وبين الجيش والبوليس وبخاصة فى القاهرة والمنصورة والاسكندرية وبورسعيد . ولكن لما كانت وزارة صدقى تهدف الى توقيع معاهدة مع الانجليز فإنها بادرت باجراء الانتخابات بحيث يستند صدقى الى برلمان يساعده على التوصل الى المعاهدة المرجوة . على أنه كان يفكر فى مواجهة الأوضاع المحتدمة فى البلاد دون القيام باجراء غير دستورى بل بأن يسلك طريق التعديل الذى رسمه دستور ١٩٢٣ . لهذا أصدر دستورا جديدا فى اكتوبر ١٩٣٠ بمرسوم ملكى ، وكان يختلف اختلافا جوهريا عن دستور ١٩٢٣ ، فقد منح الملك سلطات واسعة ومنح سلطات تشريعية للسلطة التنفيذية خلال العطلة البرلمانية وخوّل للملك إصدار قوانين مالية ونص على عدم صدور قانون

لا يوافق عليه الملك وجعل عدد الشيوخ المعينين ثلاثة أخماس المجموع الكلى بدلا من خمسى الاعضاء طبقا لدستور ١٩٢٣ وعدل قانون الانتخابات بحيث يعطى الأعضاء الذين يعينهم الملك آمالا واسعة فى الانتخابات .

واشترك الوفديون والأحرار الدستوريون فى مهاجمة دستور صدقى وإن يكونوا قد منعوا من عقد الاجتماعات مما أدى الى اشتداد الصدام بين الوزارة وخصومها . على أن صدقى لم يكترث بذلك ومضى ينفذ برنامجه فأعاد تنظيم الادارة وأقر حكومة جمعت بين الفعالية والتمثيل النيابى . ثم كرس جهده لوضع سياسة تستند الى حماية الاقتصاد المحلى وتسعى الى تنشيط الاقتصاد وتنويعه وذلك لمواجهة كل من الأزمة الاقتصادية العالمية والفاشية . لهذا نجده يهتم بمحصول القطن وينظم سياسة التصدير ويسعى الى خفض تكاليف الحياة وضبط المالية العامة وإعادة تنظيمها وموازنة الميزانية ودعمها ومعالجة التضخم . ومن الاجراءات التى اتخذها تنظيمه للتعيينات والعلاوات والترقيات مما أدى الى سخط صغار الموظفين فى الوقت الذى حاول فيه القضاء على البطالة . كما تمت التعلية الثانية لخزان أسوان وبدىء العمل فى تنفيذ مشروع جبل الأولياء الذى كان الهدف منه زيادة كمية المياه التى تصل إلى مصر ، فى حين كان يستهدف من الاجراءات التى اتخذها بصدد صناعات الغزل والسكر السعى الى تنشيط الانتاج المحلى وحمايته باعتبار ذلك جزءا من الخطة الموضوعة لتنويع الانتاج وتنشيطه . كما أنقذت القروض الحكومية أكثر من ثلاثين ألف فدان من الضياع - إذ وفر بنك التسليف الذى جرى انشاؤه قروضا طويلة الأجل لصغار ومتوسطى ملاك الأراضى ، وفى الوقت نفسه جرت محاولات إيجاد محاصيل بديلة للقطن . وأدت كل هذه الاجراءات الى إنقاذ كل من صغار الملاك والصناعات فى الوقت الذى تم فيه التحكم فى التصدير والاستيراد ودعم بنك مصر .

● اطول فترة لوزارة

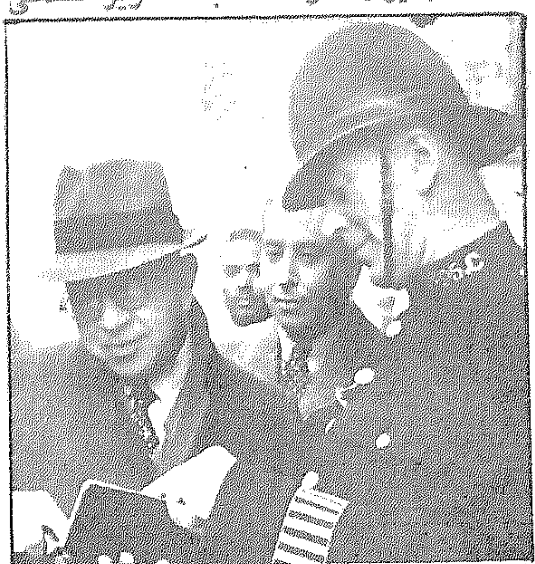
ورغم أن حكومة صدقى قد حكمت أطول فترة عرفتها الوزارات فى مصر فى العهد الملكى مستندة الى برلمان ظل قائما لأطول مدة فى فترة ما بين الحربين فإن نظام صدقى لم يضرب بجذوره بعمق فى أرض صلبة بحيث يتاح لتجربته أن تستمر فى المستقبل ، فالبرلمان الذى أوجده هزته الأزمة الاقتصادية العالمية ، ورغم مهارته فى الامساك بمقاليد الحكم خلال فترة عصيبة فان مشروعاته اصطدمت بالمفاهيم الشعبية ومزاج المصريين العاطفى المستند الى الفردية ، فهو لم يتصف بخصال الحكم النيابى التى كان يمكن أن تربط الناس به ، كما لم يؤت (الكاريزما) التى تمس عواطف الجماهير ، ونتيجة للأعباء الثقال التى ناء بها كاهله وحده فقد داهمته فى أواخر يناير ١٩٣٣ أزمة صحية أرغمته على التوجه الى أوربا مما أفسح المجال للقصر لكى يصول ويجول فى ادارة البلاد ، وحين عاد الى مصر فى سبتمبر قدم استقالته على أمل أن يفرض شروطه ولكن قبلها الملك . وحينئذ سعى الى تسخير حزبه (حزب الشعب) فى الضغط على خلفه (عبدالفتاح يحيى) ، ولكن هاجمه القصر هجوما شديدا متعمدا الترويج لسلسلة من الفضائح الادارية والمالية مع لجوئه فى

نفس الوقت الى الضغط الادارى الذى أدى الى انفضاض أغلبية أعضاء حزب الشعب عن مؤسسه . وحين اجتمع البرلمان فى ديسمبر لم يكد عدد أنصار صدقى يصل الى ١٢ نائبا مما أدى الى استقالته من رئاسة الحزب وانضمامه الى المعارضة البرلمانية . وفى مايو ١٩٣٥ أعيد انتخابه رئيسا لحزب الشعب مما أهله للانضمام الى « الجبهة المتحدة » التى تشكلت فى أواخر ذلك العام وضمت كل الأحزاب والقوى السياسية ، وكان من نتيجتها اعادة دستور ١٩٢٣ واستئناف المفاوضات مع بريطانيا وفى الانتخابات التى اجريت فى مايو ١٩٣٦ حصل حزبه على عشرة مقاعد وانضم الى هيئة المفاوضة مع بريطانيا التى توصلت الى معاهدة ١٩٣٦ .

● صراحة فريدة

ثم تلاشى حزب الشعب فعاد صدقى الى استقلاليته وأصبح ينشط فى الحياة السياسية المصرية وحيدا ـ وكلما حزب

صدقى باشا مع احد رجال البوليس الانجليزى . ومعه نجله عزيز صدقى



أمر أدلى بدلوه بصراحة فريدة ، فكانت له آراء حول وضع مصر فى الصراع العالمى الذى نشب فى عام ١٩٣٩ وفى المناقشات التى دارت خلال أزمة فبراير ١٩٤٢ . وحين جرت المحادثات الخاصة بإنشاء الجامعة العربية أبدى تشككه فى جدوى هذه المنظمة الاقليمية المقترحة وصرح بأن من الأفضل بالنسبة الى مصر أن تكون فى مؤخرة الدول المتقدمة بدلا من تزعمها لمجموعة من الدول العربية المتخلفة ناقصة الاستقلال . وحين تفاوض مع بريطانيا فى عام ١٩٤٦ ، وهو رئيس للوزارة للمرة الثانية لوح للانجليز بأنه على استعداد لمساعدتهم بصدد فلسطين التى كان يحبذ تقسيمها ما بين العرب واليهود ، فى مقابل أن تقدم بريطانيا لمصر تنازلات فيما يتعلق بالجلاء ، وكان من رأيه أن عدم التوصل الى حل للمشكلة الفلسطينية كفيل بجعل فلسطين بؤرة لانتشار الشيوعية فى الوقت الذى أبدى فيه إعجابه بارتفاع مستوى حياة الجماعات اليهودية فى فلسطين وبتعليمها ، وبالعلماء اليهود الذين كان يود الاستفادة منهم فى تعليم المصريين فى مختلف المجالات وهو مالا يمكن تحقيقه ـ فى رأيه ـ طالما بقيت المسألة الفلسطينية دون حل . ولكن توجهات صدقى بهذا الصدد لم تلق آذانا صاغية لأنه ـ فى رأى السفير البريطانى فى القاهرة ـ لم يكن يحس بالنبض العربى خاصة أنه كان شديد الارتباط بالمصالح اليهودية فى مجال الأعمال .

وخلال وزارة صدقى الثانية كاد ينجح فى التوصل الى معاهدة مع بريطانيا حمل مشروعها (اتفاق صدقى ـ بيفن) اسمه . فقد تمشى فى اتجاه بريطانيا الخاص

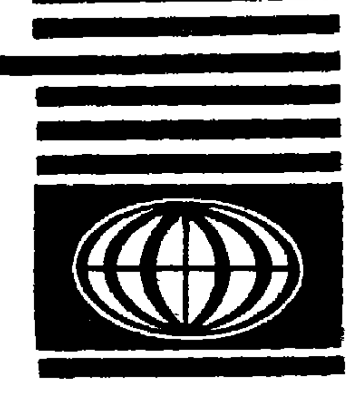
بانشاء دفاع مشترك فى الشرق الأوسط لمواجهة التغلغل الروسى وقام باعتقال عدد من الشيوعيين المصريين بعد أن واجه اضرابات تزعمتها اللجنة الوطنية للطلبة والعمال . وفى ٢٥ اكتوبر ١٩٤٦ جرى التوقيع فى لندن على مشروع المعاهدة بالأحرف الأولى وكان ينص على التزام الانجليز بالجلاء عن القاهرة والاسكندرية ودلتا النيل بحلول آخر مارس ١٩٤٧ وعن باقى مصر بحلول أول سبتمبر ١٩٤٩ . وفى مقابل ذلك وافق صدقى فى حالة العدوان على بلدان مجاورة لمصر على أن يدعو الانجليز الى العودة الى قاعدة قناة السويس وأن يتعاون معهم تعاونا كاملا وتتشاور الحكومتان ـ فى حالة تهديد أمن أى من البلدان المجاورة لمصر ـ للاتفاق حول الاجراءات التى قد تكون لازمة . ولكن لم تبرم المعاهدة بعد أن واجهت بنودها الخاصة بالدفاع المشترك معارضة شديدة فى مصر وكذلك الحال فيما يتعلق بالبروتوكول الخاص بالسودان الذى لم يقبله قطاع واسع من السودانيين الذين كانوا يطالبون بحق تقرير المصير بدلا من قيام القاهرة بالتفاوض بالنيابة عن السودان . وحين أعلن وزير الخارجية البريطانى فشل المفاوضات فى مجلس العموم عبّر عن أسفه لاضطرار الحكومة البريطانية للتعامل مع حكومة أقلية . واستقال صدقى الذى ظل حتى وفاته فى عام ١٩٥٠ يتابع أوضاع مصر عن كثب ويدلى بآرائه بصراحة حين يحزب الأمر : فكان ضد حرب فلسطين فى عام ١٩٤٨ دون استعداد ، كما حث المصريين قبيل وفاته على التمسك بالدستور .

وهكذا نكون قد عرضنا لشخصية ظلت الى عهد قريب مجالا للشك والتجريح فالحملات الضارية التي وجهت اليه خلال توليه رئاسة الوزراء مرتين كان لها أثرها فى الأحكام التى صدرت عنه من جانب الوفديين والأحرار الدستوريين والشيوعيين الذين ضيق عليهم توطئة لتنفيذ سياساته الخاصة بأسلوب تحقق الأمانى الوطنية . ولما كان صدقى لا يؤمن بالحزبية فإنه كثيرا ما واجه الهجوم عليه وحيدا خاصة أنه كان شديد الاعتداد بنفسه مع نظرة علوية الى الآخرين واتجاهاتهم . واذا كان قد ارتبط بمصالح الرأسمالية المصرية الصاعدة ارتباطه بالرأسمالية الأجنبية التى كان لها ثقلها فى المجالين العالمى والمحلى فان ذلك فى طبيعة الاشياء خلال النصف الأول من القرن العشرين الذى كانت خلاله الحركات الشعبية غير منظمة وتواجه الضغط من كل صوب . فالرأسمالية المصرية الناشئة كانت وقتها تلعب دورا وطنيا فى مواجهة جمود كبار الملاك وأنانية الرأسمالية الأجنبية المتغلغلة فى الاقتصاد الوطنى منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر . وهو بحكم وضعه الطبقى ونشأته كان لا يتوقع منه أن ينسلخ عن مصالحه وانتماءاته ـ ونحن لا نميل إلى تقويم الأشخاص وفق قوالب جامدة ، بل بحسب الطبيعة البشرية ، مع ميلنا الى التسامح وعدم تحميل الأشخاص مالا يطيقون .

---

(١) كانت المدارس الأجنبية فى ذلك الوقت لاتعير أى التفات للغة العربية .

(٢) أى حزب الوفد الذى كان من رأى صدقى أنه يسعى إلى فرض دكتاتورية الأغلبية .



العالم في سطور

موسكو

• توربينا .. أصغر شاعرة في العالم

نيكا توربينا هي أصغر شاعرة في العالم ..

تجيء أهمية هذا الحدث في أن هذه الشاعرة الصغيرة التي تبلغ الثانية عشرة من العمر قد ترجمت قصائدها الى اكثر من أثنتي عشرة لغة ، وخاصة ان أشعارها ليست محاولات ابتدائية في نظم الشعر ، بل انها قصائد منظومة جيدة تهتم فيها الشاعرة بقضايا العصر مثل علاقتها بالله والحرب والموت والمعاناة في الحياة .

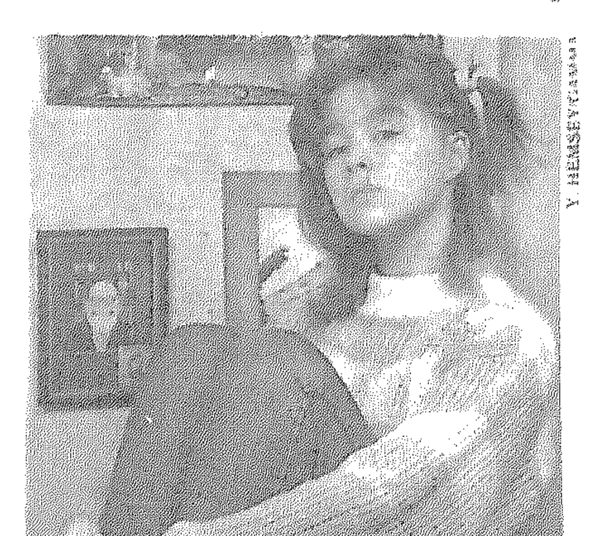
ويطلقون في الاتحاد السوفييتي على نيكا « الفتاة المعجزة » فقد أجادت الكلام بلغتها الروسية وهي في الشهر الحادي عشر ، كما تعلمت بعض الكلمات الانجليزية ، وفي سن الرابعة نظمت أولى قصائدها التي نشرت على التو في صحيفة البرافدا ، ثم توالت اشعارها التي تلقفها القراء باعجاب بالغ .. وفيما بعد قدمها الشاعر المعروف ايفتشنكو في أول ديوان لها ، ولم تجيء أهمية الشاعرة الصغيرة في قدرتها الخارقة على النظم الجيد ، بل في متابعتها للابداع الشعرى العالمي .

ورغم الشهرة التي حازتها نيكا في العالم ، فانها تتصرف كطفلة عادية .. لم تبلغ بعد سن الانوثة ، وتردد قائلة : « أنا طفلة عادية ، مثل الملايين من اقراني ولا اعتقد انني امتلك اية مواهب خاصة » .

أحدث اخبار الشاعرة الصغيرة هو الرحلة التي قامت بها الى الولايات المتحدة بدعوة من أحد الناشرين الامريكيين ، واتحاد المدارس في نيويورك ، وهناك تعاقدت على طبع دواوينها التي ترجمت الى اللغة الانجليزية ، وفي أحدى الجامعات ألقت بالقصيدة التالية :

العوينات تعاني والكلمات تتراكم في داخلي
مثل حبات الكرز
فابتهل اليك ياربي
ان تخفف من غلوائي
وان تجعل أحلامي وردية
وان يكون نهاري قصيراً
وان تسود السكينة
كل البشر

نيكا توربينا



باريس

• مستودع الذكريات .. في عالم موديانو

لا شك أن باتريك موديانو - ٤٢ عاما هو أهم كتاب الرواية المعاصرة في فرنسا . ليس فقط منذ أن نال جائزة جونكور عام ١٩٧٨ على روايته «شارع الحوانيت المعتمة» .. ولكن منذ ان نشر روايته الاولى وهو في الثالثة والعشرين من العمر .

وتجيء أهمية روايات موديانو في أن شخصياته غارقة في ذكرياتها . تبحث دوما عن ماضيها الذى تنتمى اليه . ولا يهمها الخوض داخل غمار الحاضر الا بما ياتي به الماضى من ذكريات بعيدة يصعب الامساك بها في أغلب الاحيان .

في الشهر الماضي عاد موديانو مرة أخرى الى نفس العالم من خلال أحدث رواياته «مستودع الذكريات» . ويعنى الكاتب به طفلا صغيرا لم يتعد العاشرة يروى احداث الرواية وهو يتذكر ذلك الزمن الذى كانت فيه أمه تتركه وحده كي تذهب الى المسرح لتؤدى أحدى النمر امام الجمهور . وقبل أن تذهب

باتريك موديانو



تعهد به وبأخيه الى ثلاث صديقات يسكن قريبا منها .

ويتحدث الراوية عن هؤلاء السيدات . فاحداهن - هيلين - كانت تعمل في السيرك وقد تحولت الى الادمان عقب اصابتها في سقطة قاتلة . اما - انى - فهى امرأة رقيقة لكنها بالغة العصبية بلا سبب وكأن أشباحا تطاردها . بل انها بالفعل مطاردة من الفظائع التى عاشتها في سنوات الحرب العظمى .

ويتحدث الطفل أن منزل النسوة الثلاث كان يمتلىء - في تلك الفترة - بالزوار الذين لا ينقطعون ابدا . وهم زوار كثيرون ، متضاربون في أفكارهم وأهوائهم . وكان على الراوية باتوش ان يرقب ما يحدث أمامه وأن يحاول تكوين مجموعات من الاطفال من أجل اللعب في أحد الشوارع الجانبية هروبا من هذا الجو المعبق بعالم الكبار .

تجيء أهمية رواية موديانو الجديدة من أن الكاتب يستجمع ذكريات الماضى كأنها حبات صغيرة من عقد انفرط وعليه أن يبذل اقصى جهد لجمع هذه الحبات لصناعة رواية جيدة تصبح شاهدة على الماضى أكثر من الحاضر والمستقبل .

روما

• الجنس .. في البرلمان .. وعلى المسرح

أثارت النائبة الايطالية الفاتنة شيشولينا الكثير من الجدل . منذ ان استطاعت الانضمام الى البرلمان الاوربى . فقد اصرت منذ الجلسة

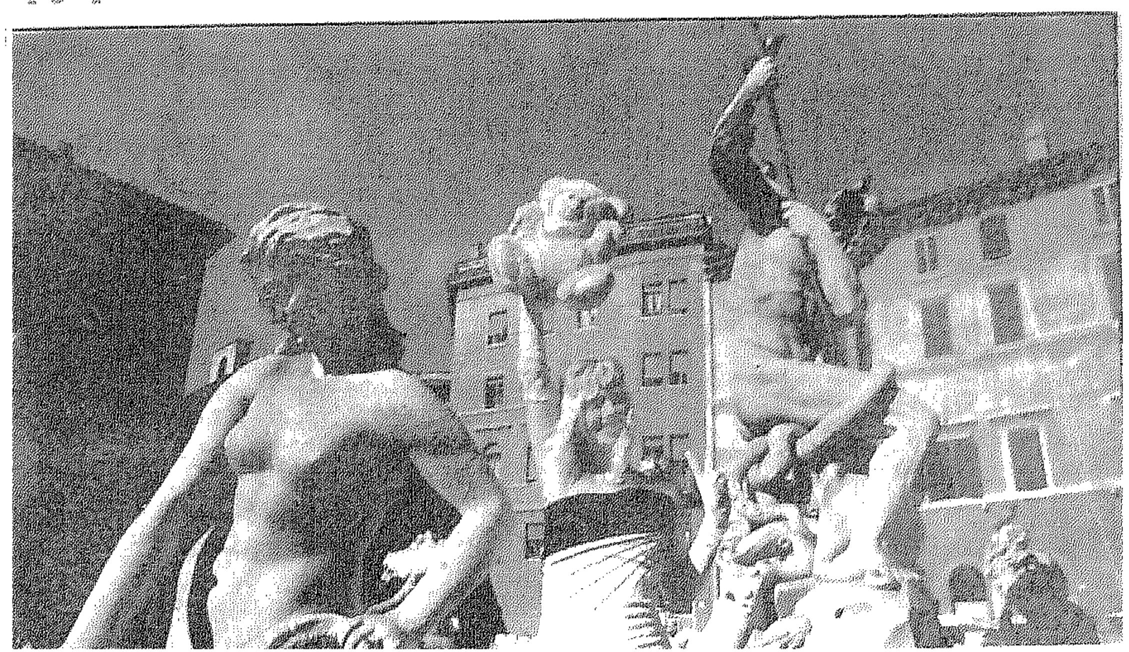


الاولى أن تحضر عارية الصــــدر . وان ترتدى ملابس تكشف من مفاتنهـا اكثر مما تخفى وقد تصور البعض فى بادىء الامر ان شيشولينا تحـاول تحقيق شهرة خاصة بهذا المسـلوك . الا انها اكدت « ان عليها ان تتصـرف بهذه الحرية » داخل وخارج البرلمان على السواء .

هذه الظاهرة استلفتت انظــــار مخرج مسرحى ايطالى يدعى ليفيــو جالاسى فسعى للاستفادة منها قــدر الامكان . وراح بسرعة يقوم بترجمـة مسرحية « النساء فى البرلمان »للكاتب اليونانى ارسطو فانيس وقام باخراجها للمسرح واستعان بمجموعة من النجوم المعروفين فى المسرح الايطالى . وتعمد أن يلتزم بالنص تاريخيا الى حد كبير ولكن رغم ان الاحداث تدور فى القرن الرابع قبـل الميـلاد . فان المتفـرج أحس ان هناك تقاربا بين كل النساء اللاتى طالبن بدخول البرلمان من أجل سيادة السلام فى عصر إرسـطو فانيس وبين شيشولينا التى لم تعلن ـ حتى الان ـ عن برنامج سـياسى او اقتصادى . بل اكتفت بالابتسـام امام عدسات المصورين . واذا كانت نساء ارسطو فانيس قد نادين بالعبارة الشهيرة « مارس الحب ولا تصـنع الحرب » . فان المخرج قد اكـد ان النساء منذ الازل قد بحثن عن الحب والجنس وعدم أيقاع الرجال فى لظى الحروب . وان شيشولينا ليست سوى احدى هؤلاء النساء . وان كانت اول من تجرأ وكشف عن مفاتنه « اكثر من اللازم » امام بقية الاعضاء الموقرين .

بالطبع ، تجيء أهمية هذا الحدث فى ان الفنانين هم اول من يستفيد من ظواهر المجتمع وفضائحه لتقديمهـا بشكل راق امام الجمهور .. وبلغت عبقرية جالاسى فى انه اسـتعان بذلك باحد أهم النصوص فى تـاريخ المسرح قاطبة .

شيشولينا



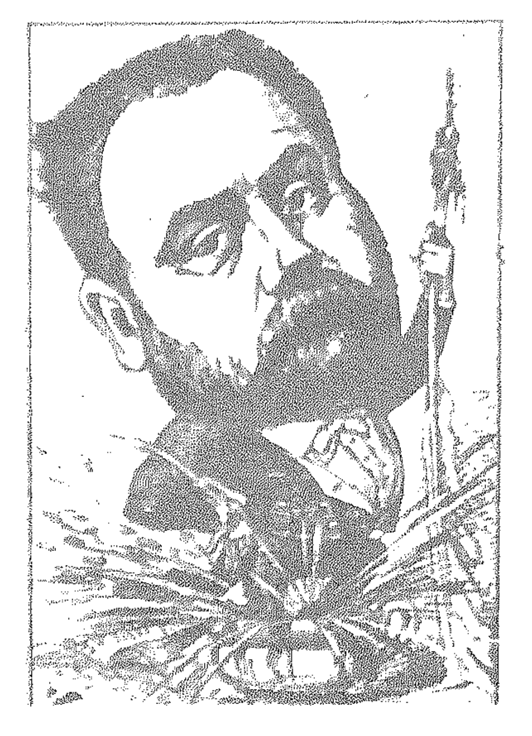
كتب من لندن

• اميل زولا ..
الانتقادات .. والفضائح

فى خريف عام ١٨٧٩ تجمع اكثر من مائتى شخص فى شوارع مدينة باريس يحملون لافتات كتب عليها « اقرأ .. نانا » ولم يقتصر اسم نانا ـ احدى اشهر روائع الكاتب الفرنسى الاشهر اميل زولا ـ على اللافتات فى الشوارع وحدها • ولكنه شاع فى جميع انحاء اوربا • حتى ان الملصقات الملونة التى تحمل اسم « نانا » انتقلت من باريس وقتئذ الى كافة المدن والعواصم الاوربية •

مثل هذه الضجة لم تكن تحيط نانا وحدها • ولكنها كانت تصاحب كل عمل جديد لاميل زولا .. ومنذ ذلك الحين وهذا الكاتب يثير شغف القارىء وشهيته • ليس فقط فيما يتعلق بادبه • بل بحياته الخاصة • والانتقادات التى وجهت اليه .. وحول هذا الموضوع اصدرت دار ماكدونالد بلندن كتابا جديدا للباحث الانجليزى الان شوم الذى اكد فى كتابه ان تلك الضجة لم تكن تنتظر حتى صدور رواية جديدة لاميل زولا ، بل انها كانت تبدأ قبل ان ينتهى المؤلف من كتابة روايته

وقد قوبل زولا فى حياته بالعديد من الانتقادات • لدرجة انه كان يوصف فى وقت من الاوقات انه اكبر شخصية هدامة فى المجتمع الفرنسى كله ، وطيلة فترة ظهور أعمال زولا لم يتوقف الجدل والنقد الحاد له •لدرجة



اميل زولا

ان رئيس الوزراء الفرنسى إنذاك قد وصف ثلاث روايات للكاتب بأنها « اكثر الكتب لا اخلاقية على الاطلاق » •

وقد استعان شوم فى كتابه بالعديد من الرسائل المتبادلة بين زولا وشخصيات مختلفة لم يسبق نشر معظمها • كما تعرض للصراع الذى دار بين إميل زولا وبين الكنيسة الكاثوليكية الفاتيكان بسبب بعض كتاباته •

ولم يهتم الباحث بأعمال زولا .. قدر اهتمامه بالانتقادات المعاصرة التى لا تزال تقال للكاتب ، خاصة ان اسمه ظل فى طى النسيان بانجلترا لفترة طويلة •

■■■

دومنيك فرنانديز

الأدب

من الشذوذ .. إلى الإيدز

بقلم : محمود قاسم

دخل مرض فقدان المناعة الطبيعية المعروف باسم الايدز حياة الانسان بشكل مباشر واصبح شاغلا لبال الجميع حتى من لم يصب بهذا المرض الذى اصبح رعب العصر ..

ولاشك ان البعض استفاد من تهافت الناس على المعرفة به فصدرت حوله الكثير من الكتب والدراسات ، وراح البعض يؤكد انه توصل الى علاج له ، بينما راح البعض الآخر يعطيه مدلولات ايديولوجية وراح الفنانون يعالجونه فى تيمات عديدة فى السينما والمسرح ، واستفاد احدهم من كونه ظاهرة فالف اول رواية اصيب بطلها بمرض الايدز ، والغريب انه عند نشر الرواية اعلنت الاوساط الصحفية ان مؤلفها دومنيك فرنانديز مصاب ايضا بمرض الايدز .

● دومنيك فرنانديز هو احد الادباء الذين يثيرون لقارئهم الكثير من الغيظ الممزوج بالقرف ، فهو لا يخفى عن الناس أنه مصاب بالشذوذ ، بل أنه كرس قلمه للحديث عن الشواذ ، سواء فى رواياته الثمانى ، ام فى دراساته أو حتى فى مقالاته ، وقد بلغت به الوقاحة ـ حسبما تقول مجلة لونوفيل اوبسرفاتور فى ٥ نوفمبر ١٩٧٩ ـ انه

يتم وضعهم فى معسكرات عمل فى كل من ايران والصين حيث يتم اعدامهم كما أنهم يتعرضون للهجوم العنيف فى كل من كوبا والارجنتين ٠

وسط هذا العالم وقف فرنانديز بوقاحة يتحدث عن الشواذ ٠ والغريب أنه فاز بعد ذلك بثلاث سنوات بجائزة جونكور الادبية عن روايته « بين يدى الملاك » التى تحدث فيها عن أشهر الفنانين العالميين شذوذا ٠ وهو الشاعر والمخرج بييرباولو بازولينى ٠

وفرنانديز (٥٩ عاما) يعمل حاليا مدرسا للادب الايطالى بجامعة رين بفرنسا ٠ كما يكتب النقد الادبى فى مجلة الاكسبريس ٠ حصل على جائزة ميدتشى عام ١٩٧٤ عن روايته الاولى « بروبينو ٠ أو أسرار نابولى » وفيما بعد أصبح عضوا فى أكاديمية ميدتشى احدى ابرز الاكاديميات الادبية التى ترعى الادب التجريبى ٠ نشر مجموعة من الروايات أهمها : « وردة تيودور » ١٩٧٦ ، « النجمة الوردية » ١٩٧٨ ، « السيد جيوفانى » « ياسمينة فى الاذن » ١٩٨١ « بين يدى الملاك » ١٩٨٢ ٠ « بركان فوق المدينة » ١٩٨٤ ، « الحب » ١٩٨٥ ٠ ثم « مجد المنبوذ » ١٩٨٧ ٠ يتحدث عن بداياته قائلا : « قرأت كثيرا فى طفولتى ٠ كنت أحب روايات المغامرات التى كتبها الكسندر ديماس كما أحببت جوستاف ايمار الذى الهمنى وأنا فى الثانية عشرة رواية من خمسين صفحة ٠ وفيما بعد كنت اقضى الليالى فى القراءة ٠٠ واذكر اننى قرأت « الحرب والسلام » لتولستوى فى ثلاثة أيام ٠ كنت أعبد دوستويفسكى واقدس عالمه » ٠

● الحرب ٠٠ تحطيم الامانى

يقول الكاتب فى روايته « النجمة الوردية » : اننا لا نختار أبدا السماء



دومينيك فرنانديز

أحد ضيوف قلائل وافقوا على ظهور فى برنامج تلفازى يحمل عنوان : « رجال متحابين » حول الشذوذ الجنسى ٠ وتقول المجلة انه من بين خمسة ملايين شخص « شاذ » فى فرنسا من الرجال والنساء ٠٠ قبل فرنانديز الدعوة للحديث فى البرنامج وذلك من بين اثنى عشر شخصا تمت المفاوضات معهم طيلة اشهر ثلاثة قبل التصوير ، وقد اصر ثلاثة اشخاص من الضيوف الا تصور الكاميرا وجوههم ٠ وتقول المجلة ان الكثير من الشواذ قد خافوا ان يكشفوا هويتهم ٠ فالخوف يستبد بالشواذ من كشف هذه الحقيقة المخزية التى لا يعلنون عنها خشية من الاقارب والزملاء والجيران ٠ لانهم يعلمون أن ما يفعلونه شىء يستوجب ذهابهم الى المثول أمام القاضى أو التردد على العيادات النفسية ٠ وأشارت المجلة ايضا ان الشواذ

دومينيك فرنانديز

ولا الساعة التى تظهر لنا فيها نجمة الحظ وساعة الحظ عند دافيد بطلة روايته لم تظهر قط .. فالنجمة الوردية بعيدة المنال . وها هو دافيد قابع في احدى عربات قطار مظلم مع مجموعة اخرى من اليهود فى طريقهم الى أحد معسكرات الاعتقال النازية (عام ١٩٤٤) . ويعرف دافيد أن مصيبته بين أيدى النازيين ستكون مضاعفة . فهو يهودى أولا . وشاذ ثانيا . مما سيعقد من موقفه . وفى العربة يتذكر دافيد طفولته المبكرة وأمه التى تولت رعايته . والحرب التى جاءت لتحطيم أمانيه . فقد عمل مدرسا للأدب فى احدى الجامعات . كما ألف كتابا عن الشواذ فى القرن الماضى .. وارتاد عيادة الطبيب النفسى لوبين كى يعالجه من الاثار النفسية التى تراكمت بداخله لشذوذه ..

وفى رواية « السيد جيوفانى » ـ هناك أثرى ايطالى يعمل فى مكتبة الفاتيكان . ويدرس تاريخ الملك فردريك الثانى الذى اغتيل عام ١٧٦٨ فى فندق متواضع . ويتتبع الباحث حياة هذا الملك المعروف فى هذا الفندق باسم السيد جيوفانى . فيكتشف أن سبب قتله هو جريمة جنسية . وهناك تشابه واضح بين هذا الرجل وروكنتان بطل رواية « الغثيان » لسارتر . وفى رحلة عن بواعث الجريمة يكشف المؤلف أن هناك تشابها بين القاتل الذى تم العثور عليه واعدامه وبين الباحث الاثرى .. ويتساءل فرنانديز : هل الرجلان شخصية واحدة .. أم ان الباحث أضفى على القتيل من صفاته الخاصة وذلك خوفا من توجيه اللوم اليه .

فى رواية « ياسمينة فى الاذن » يتحدث الكاتب حول رامون الذى يهرب من العاصمة الفرنسية راحلا الى شمال افريقيا . فيترك خلفه ست سنوات عاشها مع جوليان . ويكون هذا الرحيل بمثابة اختبار لقوة الاصرة بين رجلين ارتبطا بعلاقة غير سوية وها هما ينفصلان .. للمرة الاولى . انها نفس العلاقات التى يحاول فرنانديز التأكيد عليها وكأنه يكسبها شرعية .. فقد حاول أن يفعل ذلك بصورة أكثر وضوحا حين اختار حياة بازولينى ليدونها فى روايته « بين يدى الملاك » . ففى شهر نوفمبر من عام ١٩٧٥ تم العثور على جثة المخرج والشاعر الايطالى فى أحد الشوارع . وبعد يومين تم القبض على شاب صغير عرف فيما بعد أنه رفيقه . ويحاول المؤلف ان يكشف ان بازولينى كان مناضلا . وعبقريا فهو الطفل النابغة الذى قرأ الكثير وهو المحارب الذى انضم الى رجال المقاومة الايطالية فى مواجهة القوات النازية . وقد دفع ثمن هذا النضال من دمه حين أصيب فى احدى الحملات التى قام بها رجال المقاومة . وبعد ان اعلن عن تحرير ايطاليا من الفاشية بدأ بازولينى يدرس الادب الايطالى بعمق ويتجه الى السينما . وينشر اشعاره المجنونة . فاصبح احدى علامات الثقافة الايطالية فى الخمسينيات والستينيات .

● عن الحب .. والصداقة بين رجلين

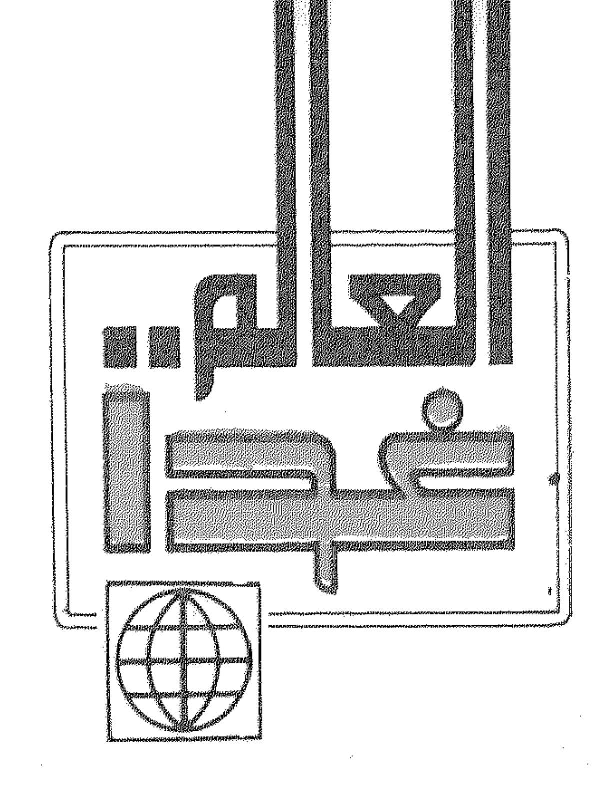
فى رواية « الحب » عاد فرنانديز مرة أخرى الى عصر نابليون . من خلال نفس الموضوع المحبب له .

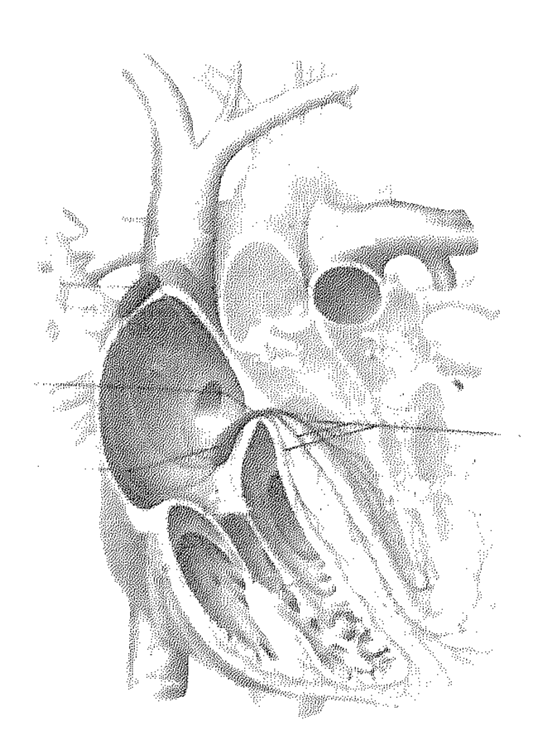
فهنـاك رجل المانى معـروف بحبه لاشياء عديدة منها الارض • والفن • والنساء انه الفنان التشكيلى فردريش أوفربيك الذى اعتبر زعيم المدرسة الكاثوليكية الرومانسية فى المانيا • وتبدأ احداث الرواية فى عام ١٨١٠ حيث يدرس فـردريش مذهب لوثر الدينى • كان انذاك فى العشرين من العمر • ويتصرف كابن لاسرة المانية ثرية •• وعندما فكر فى الاقتران بامرأة أخرى فقد اختار اليزا التى لا تقل عنه ثراء • وفى رحلته الى مدينة فيينا من أجل استكمال دراسة الرسم ، يلتقى بفرانتز وفى أثنـاء حفل لتبادل الدماء فى الشـرايين • يتم التبـادل فيما بينهما ويصـبحا صـديقين متـلازمين دائمـا • • مما جعل فردريش يبتعد عن خطيبته اليزا • وقـد عرضت هذه العـلاقة الفنان للكثير من الانتقادات والمهانة لكنه لم يفكر ابدا فى ان يفصم عراها بدأت العلاقة بين الاثنين كصـداقة قوية واعجاب بما يربطهمـا من حب للفن • ثم بدأ فردريش يعلن لصديقه انه يحبه بدلا من اليزا •• الا ان الصديق لم يشأ أن يصدق صديقه • لانه يعرف انه مصاب بمرض عضـال سوف يعجل بنهايته •• وبالفعل فعندما يموت الصديق • يقرر فردريش العودة الى خطيبته اليزا من جديد •

● الايدز عودة للتراجيديا

عندما أعلن عن صدور رواية « مجد المنبوذ » فى العام الماضى •• أعلنت الصحافة ان فرنانديز مصاب بنفس المرض الذى اصيب به برنار موران بطل هذه الرواية • وهو مرض الايدز وتدور احداث هذه الرواية حول رجل يدون مذكراته الاخيرة وهو فى قمة اصابته بالمرض • قبل أن يموت •• « نحن لا نبحث عن المكسب المادى • بل نبحث عن الحقيقة المرعبـة » • ويعترف برنار ان اصابته بالمرض قد كشفت له عن المعنى الحقيقى للحياة• فهل رجل معزول اجباريا •• ابتعد عنه الناس خوفـا من العدوى • وتركوه وحيدا يواجه مصيره • وينتظـر لحظته الاخيـرة • فلم يجد شـيئا أفضل من الانتظار وان يدون مشاعره ويتحدث عن ذكرياته • **ويعتـرف برنار ان الايدز قد اعاد التراجيديا الى الحياة مرة اخرى • ومن خلالها يمكن ان تحدث مئات النهايات الحزينة لقصص الحب • والمقصود بقصص الحب هنا تلك التى تربط بين رجلين مصابين بالشذوذ •**

السؤال الان : هل نحن فى زمن سـدوم وعمورة •• فأصـبح المرء يجـاهر بما بلى به •• وجاء على البشرية زمن يعلن فيه عن وجود أدب للمصابين بالشـذوذ وان هذا الادب جيدا ، وهام • ويسـتحق الجوائز الادبية الكبـرى •• ويقوم البعض بتنظير هـذا الادب ويصبح له نقاده الهامين ويعلن فى احصاءات رسمية ان بلدا كفرنسا ـ بؤرة الثقافة الاوربية ـ تضم خمسة ملايين من هؤلاء الشواذ واذا كان هذا قد حدث بالفعل فى عام ١٩٨٢ بعد حصول الكاتب على جائزة جونكور • فان فرنانديز يعيش الان فى عزلة تقارب تلك التى عاشـها بطل روايته الاخيرة •• لعله ينتظر نهايته ويعيش التراجيـديا المزعـومة التى تحدث عنها •• فأصبح حالة تستوجب الدراسة ليس لتحليل هذا النوع من الادب وحده •• بل لتحليل حـركة مجتمع بأكمله ، وما وصلت اليه هذه المجتمعات من انهيار ••





● مجدى يعقوب في القصر العيني

خلال زيارة خاطفة للقاهرة لم تتجاوز يومين ونصف اليوم ، وفى مستشفى القصر العينى الذى عرف د • مجدى يعقوب طبيبا للامتياز ، قبل ما يقرب من ثلاثين عاما ، أجرى الجراح المصرى النابغ ثمانى من الجراحات المعقدة لاصلاح العيوب الخلقية فى قلوب ثمانية أطفال مصريين •

وقد أختيرت الحالات الثمانية من بين ٤٠ حالة كانت قد جهزت للجراح النابغ ، حتى يختار من بينها • وقد شارك مجدى يعقوب والفريق الطبى المرافق له ،فريق من الجراحين المصريين برئاسة د • حسين جعفر و د• محمد فتحى الاشقر ، وروعى أن تكون الجراحات النادرة والصعبة تدريبا لعدد من الاطباء الشبان على أخر المستحدثات العلمية •

والمعروف أن الجراح المصرى النابغ مجدى يعقوب هو صاحب الرقم القياسى العالمى فى مجال جراحات القلب المفتوح، والجراحات المبتدعة لزراعة القلوب ، كما انه يشرف على واحد من أوسع برامج دراسات القلب وواحد من اكبر مراكز جراحات القلب والرئتين فى العالم •

● لعب ذكية للاطفال

نظم أخيرا معرض نورنبرج الدولى الشهير للعب الاطفال• وقد ضم المعرض ٣٥٠ الف من الالعاب المختلفة ، جاءت ١٥٪ منها فى بند الالعاب المبتكرة ••

وجاءت المعروضات المختلفة كايماءة الى التطور الذى يجرى على قدم وساق فى عالمنا ، ويعتمد على التقدم التقنى•

وبين اكثر الاتجاهات شيوعا فى تطور لعب الاطفال احتواء اللعبة على آلة تسجيل صغيرة تمكنها من أن تتكلم مع الطفل وتداعبه •• بل وتجرى حوارا معه •

ويتوقع الخبراء الا ينقضى وقت طويل حتى تظهر لعبات تستجيب لافعال الطفل ، فتضحك حين يدغدغها وتزمجر حين يلقى بها على الارض • ويرون أن مثل هذه اللعبات التى تتمتع بالحيوية

يمكن أن تغنى الاطفال ، بل والكبار ، عن اقتناء الحيوانات الاليفة ٠

وبعد أن تنبه الباحثون الى أن العاب الكمبيوتر تدفع الطفل الى الانزواء ، وتساهم فى تكثيف شعوره بالوحدة ، يجرى حاليا تصميم لعبات كمبيوترية جديدة لا يمكن ممارستها الا جماعة ، بهدف تلبية حاجة الاطفال الى التواصل الاجتماعى ٠٠ واللعبات الجديدة تدور حول حاسب الكترونى مركزى ، يقوم بالدور الرئيسى فى اللعب وفى التواصل، ويجد الطفل الراغب فى ممارسة اللعبة طريقه اليه عن طريق الهاتف ٠

هذا كما تلعب برامج الحاسبات الالكترونية دورا هاما ومتزايد فى مساعدة الطفل على ممارسة الموسيقى والنحت والرسم ، بمجرد التعامل مع لوحة مفاتيح الحاسب ! ٠ ونظرا لان مثل هذه الممارسة لا تتيح مجالا واسعا يستخدم فيه الانسان خياله وقدراته يرى الخبراء أن ميزتها الاساسية تكمن فى كونها تشجع الانسان مهما قلت قدراته الفنية على دخول عالم الفن ، كمرحلة أولى ، حتى يمكنهم تحصيل القدرات اللازمة لممارسة الحس الفنى الذى يرغب ، مثل اجادة العزف على الآلة التى يحب ٠٠

● نوم واحلام العافية

عقد أخيرا فى كوبنهاجن (الدانمارك) المؤتمر العالمى الخامس للمتخصصين فى دراسة النوم ٠ وقد أكدت الدراسات التى عرضت فى المؤتمر تزايد عدد من يتعاطون المنومات ، على الرغم من مفعولها الضار ، اذ بينت منحنيات نشاط أدمغة المتعاطين لهذه الادوية وجود خلل فى ايقاعات مراحل نومهم الطبيعى ، الامر الذى يؤدى الى افساد النوم بشكل يصعب علاجه ٠٠

وقد حظيت دراسة الاحلام باهتمام بالغ فى المؤتمر ٠

ورغم أن منحنيات نشاط الدماغ الكهربى بينت منذ سنوات بعيدة تسارع وتعمق نشاط الدماغ خلال فترات الاحلام (حوالى ساعة كل ليلة) ، ورغم أنه بات من المسلم به حاجة الانسان الفسيولوجية الى الحلم ، بعد أن ثبت أن ايقاف الحلم بصورة اختيارية (ايقاظ النائم كلما بدأ يحلم) يؤدى الى تزايد فترات الاحلام على مدى الليالى التالية ٠

رغم كل ذلك مازال العلماء يختلفون ويجاهدون فى سبيل معرفة الوظيفة الفعلية للاحلام فبعضهم يراها تثقيفا أوليا للمرء يسمح له بمواجهة المحيط الذى يعيش فيه عند اليقظة ، وبعضهم يرى أنها تساعد المرء على نسيان المعلومات الفائضة التى يتكدس بها الدماغ خلال النهار، والبعض يرى أنها تساعد الانسان على التكيف مع الضغوط التى تعترضه خلال النهار ، هذا بينما يذهب آخرون الى أنها تلعب دورا

العالم غدا

● الايدز فى لندن والكويت والقاهرة

يعقد بالقاهرة خلال الفترة من الثالث الى الخامس من هذا الشهر مؤتمر دولى لمرض الايدز (نقص المناعة المكتسبة) الذى يفسد جهاز اكساب الجسم مناعة طبيعية ضد مختلف الجراثيم ، فيجعله نهبا لاهوائها .
ويتناول مؤتمر القاهرة آثار المرض على النواحى الاقتصادية والاجتماعية ، ودور الاعلام والازهر (الوعى الصحى والدينى) وغيرهما للوقاية من المرض .

ومن الجدير بالذكر أن مؤتمر القاهرة هو المؤتمر الدولى الثالث الذى يتدارس فيه العلماء هذا المرض الخطير ، على مدى شهر ونصف الشهر . وقد عقد المؤتمر الاول فى أواخر يناير بمدينة لندن وجمع الى جوار المختصين من منظمة الصحة العالمية ، والمنظمات الصحية الدولية ، وزراء الصحة فى ١٤٨ دولة (ضمنها ٢٠ دولة عربية) ، وكانت المرة الاولى فى تاريخ البشرية التى يجتمع فيها هذا الحشد لتدارس تدابير مكافحة مرض من الامراض ..
ووفق احصاءات منظمة الصحة العالمية توجد حاليا ١٥٠ الف اصابة بالمرض ، فى مختلف انحاء العالم ، ولا يوجد بلد من البلدان يخلو من بعض الحالات . والمتوقع أن يتضاعف عدد المصابين بهذا المرض الخطير خلال عام واحد ..
ومما يضاعف خطورة المرض أن أيا من العقارات التى تستخدم فى مكافحته (يتكلف المريض فى الولايات المتحدة بين ٥٠ و ١٥٠ الف دولار)

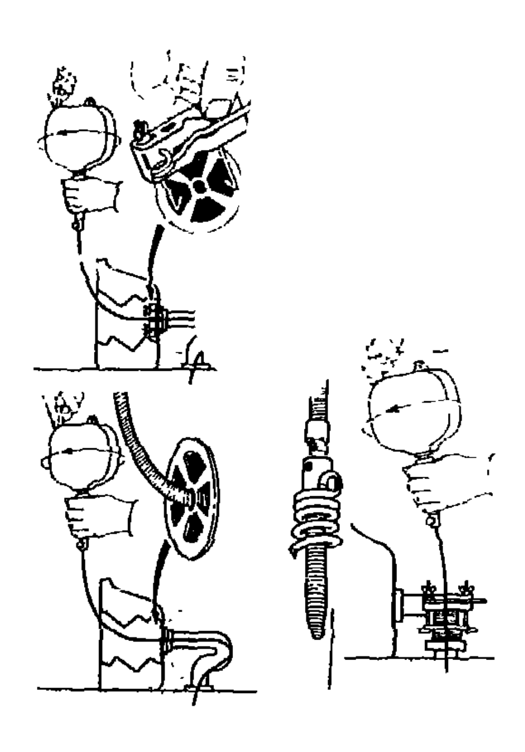


أساسيا فى انضاج الدماغ وتنظيم الجهاز العصبى المركزى خلال مراحل الحياة الاولى فعلى سبيل المثال يظهر الاطفال الرضع أثناء نومهم علامات الخوف والدهشة والفرح والاشمئزاز .. وهى من الانفعالات الاساسية التى لا تظهر لدى الطفل فى يقظته الا بعد خمسة أو ستة أسابيع من الولادة ، وكما لو كانت الاحلام تحرك فى الوليد وبصورة لا واعية التعبيرات المستقبلية .
ومن الطريف أن البعض يرون أن الحلم عبارة عن جرعة جنون مقننة ، بمعنى اعادة تنظيم المخ بأساليب غير واقعية ، لابد أن يتعرض لها المرء يوميا حتى يحافظ على صحته النفسية .. ومن أطرف ما كشفت الابحاث عنه أن تذكر الحلم يرتبط بالتربية والبيئة فمن يجرى الاهتمام باحلامهم وتشجيعهم على الحلم منذ الطفولة يتذكرون احلامهم اكثر من الاخرين بمرتين ..

لا تشفي من المرض ويقتصر مفعـــولها علي التخفيف من حالة المريض . ومن هنا فان السبيل الاساسي لمكافحة الايدز يكمن في التوعية الوقائية ..

ولما كان المرض ينتقــــل عن طريق العلاقة الجنسية أو عن طريق الدم فان أهم طرق الوقاية هي الامتنـــــاع عن العلاقات الجنسية غير الشرعية ، وعدم مشاركة الآخرين فى استخدام المحــاقن وشفرات الحلاقة وفرش الاسنان ، وكل ما يمكن أن يعلق به دم الآخرين مثــل مثاقب الاذن وآلات الوشـــــــم ..

وجدير بالذكر أن العلم توصــل الى طرق ناجحة لضمان عدم انتقال المرض من خلال عمليات نقل الدم والعـــلاج بالابر ، وغير ذلك من الاجـــراءات العلاجية ، ويجب الالتزام بمثل هـــذه الطرق ..



● الذكاء فى برشامة

★ نشرت مجلة علمية بريطانيـــة نتائج بحث زعم من أجروه أن معـــدل ذكاء ٣٠ طفلا تناولوا الفيتامينات على مدى ثمانية أشهر فاق معدل ذكـــاء الاطفال الذين لا يتناولون الفيتامينـات بتسع نقاط فى المتوسط .. وفى أعقاب نشر التقرير نفدت الفيتـــامينات فى كثير من الصيدليات البريطانيـــة ، وعقدت صفقات ضخمة مع الدول الاوربية والولايات المتحدة لمواجهة الطلب عــلى بلابيع الذكاء !

★ فى الصورة المرفقة آلة يدويـــة بسيطة يمكن استخدامها فى تســـليك الانابيب ، وخاصة عندما تكون العوائق نصف جامدة .. والآلة تتكون من سلك صلب طوله يزيد على المترين ، يـؤدى تدويره وتحريكه الى تسليك الانبـــوبة المسدودة خلال بضع ثوان ..

★ تم توقيع اتفاقية للتعاون العلمى بين الاتحاد الســـــوفييتى والولايات المتحدة الامريكية عـــلى مـــدى خمس سنوات . وبمقتضى الاتفاقية ســـيتم سنويا تبادل ٥٠ عالما للمشاركـــة فى الابحاث لمدة شهر ، كما سيعقد العديد من حلقات درس أولها فى مجـــالات التنبؤ بالزلازل وانتاج الامصــــال وسلامة المفاعلات النووية ..

★ نجحت اليابان فى تسيير قاطرات على وسائد مغناطيسية تبلغ سرعتـــها ٥٠٠ كيلو متر / الساعة وجدير بالذكر أن هذه القطارات لا تلوث الجـــو ولا يصدر عن حركتها صوت وستحل الكثير من مشاكل النقل سواء داخل المـــدن الكبيرة أو خارجها ذلك أن عرباتـــها الصغيرة الخفيفة تمكنها من صـــعود المرتفعات وبالتالي لن تكون فى حاجـة الى انفاق أو انشاءات ضخمة .

حاضر المجتمع العربي ومستقبله

بقلم: د. سيد عويس

تتناول الدراسة موضوعا هاما يتعلق بالمجتمع العربى حاضره ومستقبله وعناصر بعثه وقوته التى تحقق له المستقبل المشرق وبخاصة فى ضوء الظروف السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية المعاصرة .

ولا أدعى اننى سألم بكل عناصره ، وذلك لاننى شخص ذو خبرات محدودة لأن تخصصى محدود . ومن ثم فاننى سأتحدث فى ضوء خبراتى الثقافية الاجتماعية . وهذه الخبرات تتضمن بالضرورة بعض الملامح السياسية وبخاصة ما تعلق منها بـ "علم الاجتماع السياسى" .

وتعتمد الدراسة فى الأغلب الاعم على نتائج بعض البحوث الاجتماعية الثقافية والدراسات العلمية التى قمت باجرائها أو اشرفت على القيام باجرائها .

يعنى المفهوم عندى انه لفظ له دلالة أو لفظ له معنى . والمفهوم قد يكون مجرد مفهوم عادى أى يشير الى معنى لشىء عادى أو أمر عادى ، فاذا ما ذكر هذا المفهوم انطبعت صورته الذهنية فى ذهن السامع نذكر هذه المفاهيم عادة فى أحاديثنا اليومية فى المواقف العديدة التى نمر بها جميعا . مع ذلك فان الملاحظ ان الصور الذهنية لهذه المفاهيم قد تتباين عند السامعين فى ضوء خبرة كل سامع . مع ملاحظة أن هذه الخبرة قد تكون خبرة منتظمة (أى

علمية) . أو قد تكون خبرة غير منتظمة (أى خبرة عادية لا تكون بالضرورة علميـة) ، والأمثلة على المفـاهيم العادية لا تخفى على القارىء ولكنى أذكر هنا مفهوما واحدا هو مفهوم الماء .

والملاحظ ان المفهوم العلمى هو لفظ له دلالة مادية محددة أو له معنى مادى محدد . اى أنه اذا تحدد معنى هذا المفهوم بدقة حتى تصبح دلالته ملموسة واذا قبله المتخصصون أو أكثرهم ، لم تعد هناك مشكلة بين السامعين له أو الذاكرين له ، أى بين المتخاطبين . وكذلك بين من يكتبون المفهوم وبين من يقرءونه .

فمفهوم "الاكسجين" مثلا (وليس مفهوم الماء) معناه دقيق ودلالته ملموسة ، ويقبله المتخصصون فى كل انحاء الدنيا ، فى لندن وفى موسكو وفى نيويورك .. الخ ، على اختلاف ثقافات المجتمعات التى توجد فيها وتباين أساليب الحكم فيها . ولكن يجب ان يلاحظ القارىء انه اذا كان يحدث هذا فى محيط العلوم المادية ، فانه لا ينتظر أن يحدث ، أيضا ، فى سهولة ويسر ، فى محيط العلوم الانسانية على مستوى المجتمعات المختلفة أو حتى على مستوى المجتمع الواحد . وذلك لأن مفاهيم العلوم الانسانية مفاهيم ، فى الأغلب الاعم ، غامضة ، أى لها معانٍ عديدة . وهى أيضا فضفاضة ، أىَ لها صور متعددة . وقد تستخدم فى بعض الأحيان فى مواقف متناقضة .

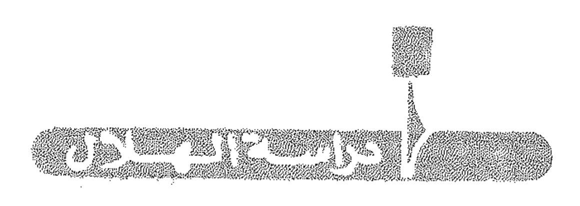
واننى ارجع غموض مفاهيم العلوم الانسانية وتعدد صورها الى بعض العوامل ، اذكر منها ما يلى :

- □ حداثة العلوم الانسانية نسبيا .
- □ اختلاف الثقافات الاجتماعية (والايديولوجيات أى القيم الثقافية العامة للمجتمع على وجه الخصوص) باختلاف المجتمعات البشرية .
- □ تبـاين معدل تقـدم العلوم الانسانية فى المجتمعات البشرية .
- □ تسرع المتخصصين فى العلوم الانسانية فى صياغة المفاهيم المتعلقة بميدان تخصصهم وتنافسهم غيـر الضرورى فى هذا المجال .

ومهما يكن من الامر فأننى أؤكد انه بارتقاء العلوم الانسانية وتقدمها ، وبالاحتكاك الثقافى ، وبسيادة روح الفريق بين المتخصصين فى العلوم الانسانية - ستتحدد مفاهيم العلوم الانسانية وتصبح معانيها أكثر دقة وربما بمرور الزمن ، تلقى قبولا عاما من المتخصصين وغيرهم ، ولعل ذلك ان يحدث اولا على مستوى المجتمع الواحد ، ثم ثانيا على مستوى المجتمعات الاخرى . (١)

□ حـــول مفهـــــوم « المجتمع » أى مجتمع

الملاحظ ان مفهوم المجتمع اى مجتمع هو فى بساطة جماعة من الناس (رجال ونساء واطفـال) يهدفـون متعاونين احيانا أو وهم فى صراع احيانا اخرى ، الى تحقيق مصالح جوهرية (حفظ الحياة وحفظ النوع



مثلا) . ويعيشون فى بيئة جغرافية واحدة بصفة شبه مستمرة فى ظل مناخ اجتماعى معين .

والملاحظ ايضا ان المجتمعات الانسانية مجتمعات شتى ، وهى أيضا عديدة اعرف ذلك ، كما ارجو ان يعرف كل قارىء ذلك ايضا . فهى مجتمعات صغيرة ، وهى مجتمعات كبيرة ، وهى مجتمعات بدائية ، وهى مجتمعات قومية ، وهى كذلك مجتمعات محلية .

ومن المجتمعات الانسانية مايعيش اعضاؤها فى تخلف . ومنها مايعيش اعضاؤها فى مستوى حضارى متقدم . ومن المجتمعات الانسانية نجد المجتمع الذى يواجه ظاهرة التغير الاجتماعى السريع وكأن أعضاءه يعيشون فى ثورة اجتماعية عارمة . ومنها مايكون معدل سرعة التغير الاجتماعى فيه اقل من هذا المستوى .

وقوام المجتمع .. اى مجتمع .. هو الجماعات لا الافراد فالفرد العادى لايمكن ان يتصور انه يعيش فى فراغ . فهو يعيش فى جماعة او فى جماعات وهذه كلها تعيش فى المجتمع كل واحد فيها يبدأ ظهوره فى المجتمع ، اول مايبدأ ، فى اسرة عادية او فى اسرة بديلة ، اى فى جماعة وهذه الاسرة تعيش فى حى فى المدينة ، اى فى مجتمع محلى ، او تعيش فى ناحية من نواحى القرية ، وهذا الحى او المجتمع المحلى ، يرتبط بغيره من الاحياء او المجتمعات المحلية فى المدينة . وهذه القرية تتصل بغيرها من القرى . وما المدينة او القرية الا جماعات ، جماعات ذات مصالح متالفة او ذات مصالح متنافرة ، او منظمات اجتماعية مثل المنظمات الدينية والتربوية والاقتصادية . وما المدينة او القرية الا جماعات قد تعيش فى طبقات ، او تحاول ألّا تعيش فى طبقات . وما المدينة او القرية الا جماعات يظلل اعضاؤها مناخ ثقافى اجتماعى معين ، مناخ قوامه العقائد والقيم الاجتماعية والعادات والتقاليد والمثل العليا وما المجتمع الا مجموعة كل ذلك ، جماعات تعيش فى مجتمعات محلية حياة جماعية ، اى يعمل اعضاؤها فى جماعة . ويتعاونون ويتصارعون ، ويظللهم مناخ ثقافى اجتماعى معين .

□ حول مفهوم « الشخصية القومية »

ان الدراسة الحالية تهتم اول ماتهتم بمفهوم « الشخصية القومية » وفى نتائج هذه الدراسة التى قمت باجرائها اتضح لى مايلى :

١ ـ ان مفهوم « القومية » لايمكن ان يعنى مفهوم « الشخصية القومية » وان مفهوم « الشخصية القومية » لايمكن ان يعنى مفهوم « الشخصية » .

٢ ـ ان مفهوم « الشخصية القومية » مفهوم مشكوك فيه من الناحية العلمية ولاييسر اجراء بحوث علمية سليمة . وفى ضوء التجارب والخبرات المنتظمة

نلاحظ ان هذا المفهوم لاثمرة فيه فى الوقت الحاضر .

٣ ـ ان العديد من الكتاب يخلطون بين مفهوم « القومية » ومفهوم « الشخصية القومية » اى بين مفهوم « القومية العربية » ومفهوم « الشخصية العربية » مثلا . والملاحظة ان القومية العربية هى حركة حديثة بدأت موضوعيا بثورة شبه الجزيرة العربية على الحكم العثمانى فى عام ١٩١٦ . وكان من نتائجها قيام « جامعة الدول العربية » فى ٢٢ من شهر مارس/ آذار عام ١٩٤٥ .

٤ ـ ان الداعين المخلصين الى « القومية العربية » فى ضوء الخبرات يرون انها مازالت مجرد حركة ، وانه على الرغم من ان مفهوم « القومية » مفهوم مستورد فانهم يتبنونه فى اخلاص جدير بالاعجاب ، علما بان العنصرين اللذين تقوم عليهما « القومية العربية » العنصر الموضوعى والعنصر المعنوى او الشعورى لم يتوفرا حتى الان .

٥ ـ ويرى الكاتب انه فى ضوء النظرة الموضوعية ان ظروف المجتمعات العربية المعاصرة ومنها المجتمع المصرى المعاصر ، تفرض علينا ان يكون الهدف الاسمى الذى يجب ان نراه ولانرى غيره فى الوقت الحاضر هو التغيير الى الافضل ، ولا يتأتى ذلك الا بدراسة ماهو كائن لكى نغيره الى مايجب ان يكون او الى مايمكن ان يكون .

٦ ـ والدراسات عديدة وهى ليست سهلة ولكنها مهمة . ولايعنى اجراء هذه الدراسات ان يقف حائلا دون الاستمرار فى دعم القومية العربية ـ على اسس سليمة . فالحركة مستمرة ويجب ان تستمر . وتحقيق الدعوة الى القومية العربية ، فى ضوء الظروف العالمية ووجود عملاقين (الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى) يمسكان بين اصابعهما ، دون مبالغة مصائر دول العالم ، مسألة مصير ومستقبل .

٧ ـ والدراسات المقترحة هى دراسة مجتمعات الدول العربية كل مجتمع عربى على حدة : المجتمع القديم ، والمجتمع المستحدث ، والمجتمع الذى لا هو بالقديم ولا هو بالمستحدث ، دراسة موضوعية .

« ولتكن هذه الدراسة دراسة اهم السمات الثقافية الموضوعية لكل مجتمع من هذه المجتمعات العربية »

□ حول مفهوم « الامة »

والملاحظ ان مفهوم « الامة » مفهوم انسانى ، اى انه مثل مفهوم « الديمقراطية » و« الحرية » و« الاشتراكية » و« القومية » و« الشخصية القومية » وغيرها ، كلها مفاهيم غامضة ولها صور متعددة ، وعندما اقول هذا المفهوم مفهوم غامض اعنى ان له معانى عديدة . فمفهوم « الامة » مثل مفهوم « القومية » مفهوم غامض اى له معان عديدة . فقد يكون مفهوم « الامة » ، لغة « جماعة من الناس تربطهم صفات وعادات

متجانسة » ، وقد يكون هذا المفهوم اصطلاحا ، « مجتمعا بشريا ذا نظم وتقاليد معينة تحقق وحدته ، وينتمى الى وطن واحد » ، والامة فى الغالب امتداد للاسرة ومن اخص خصائصها ثقافة مشتركة تنمو على مر الزمن ، وتعيش على مر الزمن ، وتعيش باهداف واحدة ، وبفضلها يتحقق وجود الافراد وتقاربهم فى تعاون وتراحم ، وقد تكون دلالة مفهوم « الامة » تعنى « جماعة سياسية مستقلة ذات اقليم محدد ، يشترك اعضاؤها فى الولاء لمؤسسة واحدة ، مما يؤدى الى احساسهم بالوحدة ، وبانهم يكونون مجتمعا » . ولا يلزم لقيام الامة ان تكون ذات اصل مشترك ، او لغة واحدة ، او دين او عنصر واحد ، وان كانت الامم تتكون عادة اعتمادا على التاريخ المشترك ووجود عناصر ثقافية اخرى متشابهة .

ولمفهوم « القومية » معانٍ عديدة ايضا . فقد يعنى هذا المفهوم مثلا « الانتماء الى أمة معينة والتوحد معها » وينطوى مصطلح القومية طبقا لهذا المعنى ، فى معظم الاحوال ، « على الاشتراك فى ثقافة واحدة بما فى ذلك اللغة المشتركة » وقد يعنى مفهوم « القومية » مجرد « الانتماء الى جماعة تشترك فى سمات ثقافية واحدة تنطوى فى العادة على لغة مشتركة وتاريخ مشترك » وقد يكون لمفهوم « القومية » معنى اخر ، فقد يعنى « صلة اجتماعية عاطفية تنشأ من الاشتراك فى الجنس واللغة والمنافع . فهى شعور مجموعة الافراد بانهم يؤلفون وحدة اجتماعية نتيجة لما يجمعهم من روابط عنصرية وثقافية ولغوية ومايشعرون به من رغبات صادقة فى تحقيق اهدافهم الوطنية السياسية » ، وقد نجد من يرى ان القومية ، قد تمتد الى اكثر من وطن ، وتشمل اكثر من امة وتصبح ضربا من وحدة الفكر واللغة والاهداف ، كالقومية العربية التى تجمع بين تونس ولبنان مثلا على الرغم من اختلاف البلدين جغرافيا واقتصاديا ، بل تاريخيا الى حد ما . وما القومية العربية الا دعوة الى الترابط بين الشعوب العربية لمواجهة التحدى الاجنبى .

ولعل القارىء الكريم ان يتقبل حديثى عن دعوة « السيد جمال الدين الافغانى » (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ) (١٨٣٩ - ١٨٩٧م) الى « حكومة اسلامية واحدة تأتم بالاسلام وتعاليمه » وقد اكتفى عندما رأى ان ليس فى الامكان خضوعها لامير واحد ، بالدعوة الى ان ترتبط اجزاؤها بروابط محكمة ، و « يكون لها مقصد واحد وتحكم الاقطار كلها بحكومات امامها القرآن ، وأساسها العدل والشورى واختيار خير الناس لتولى الامور » . وذكر ضمن ماذكر انه لا يلتمس بقوله

هذا ان يكون مالك الامر فى الجميع شخصا واحدا ، لان هذا ربما يكون عسيرا . واكد على ان يكون سلطان الجميع القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، وكل ذى ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الاخرين ما استطاع ، فان حياته بحياتهم وبقاءه ببقائهم .

والعبارة السابقة تذكر المتخصصين فى العلوم الاجتماعية بمفهوم « الجماعة المرجعية » الذى يؤكد هذا المعنى حيث اننا نجد على مستوى الاشخاص العاديين ان الحياة مع الناس تعنى اشياء كثيرة منها الشعور بالانتماء الاجتماعى الذى يتضمن مادة روحية اساسية يساعد هؤلاء الاشخاص على السير قدما مهما كانت مصاعب الطريق ومهما كانت العقبات ، واثقين من ان وراءهم آخرين يهتمون بامرهم ، ويسعدهم نجاحهم كما يسعدون هم بنجاحهم .. يفرحون بلقائهم كما يفرحون هم بلقائهم ايضا .

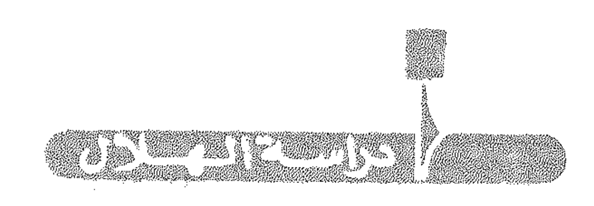
والدعوة الى الحكومة الاسلامية فى ضوء الظروف الراهنة ، اقصد الظروف السياسية العالمية ومايتعلق بها من حيث الحروب المحلية (ومنها الحرب الدائرة بين العراق وايران مثلا) وماحدث قبلها فى محيط الدول الاسلامية العربية منها وغير العربية تبدو فى رأيى المتواضع غير مواتية . وعندى ان سعد بن ابى وقاص (٥٩٥ ـ ٦٧٥) لم ينسه اعضاء المجتمع الايرانى ولا حكوماته المتعاقبة منذ ان دارت معركة القادسية (٦٣٥) حيث رفعت راية الاسلام كدين ولم تلق اللغة العربية قبولا عند هؤلاء الاعضاء .

□ المواطن المصرى المعاصر

يلاحظ ان المواطن المصرى المعاصر ، كشخص ، هو نتاج ثقافات عديدة ، ويعيش حتى الوقت الراهن فى ظل مناخها الثقافى سواء اكانت ثقافة قديمة (منها ايضا الثقافات الفارسية واليونانية والرومانية) والثقافة المسيحية والثقافة العربية (الدين الاسلامى واللغة العربية) ، والثقافة المملوكية فضلا عن الثقافة التركية والثقافة الغربية وبخاصة الاوربية والامريكية .

ولايعنى مما سبق ان المجتمع المصرى جامد محافظ على القديم ، فهو كما يقول الاستاذ الدكتور سليمان حزين فى احدى محاضراته عن موضوع « خطط الاصلاح الاجتماعى والاوضاع التاريخية والثقافية فى الشرق العربى »

« .... واذا اتخذنا مصر على سبيل المثال فاننا نجد ان من الصعب ان نسلم بان المجتمع المصرى مجتمع جامد محافظ على القديم ، ونحن نعرف ان المصريين قد غيروا لغتهم التى يتكلمون والتى يكتبون بها اكثر من مرة خلال تاريخهم . واستبدلوا بدينهم دينا اخر مرة او مرتين ، وجمعوا بين القديم والحديث فى كثير من مظاهر حياتهم والوان ثقافتهم ، واتصلوا بالعالم



الخارجي واقتبسوا عن حضاراته فى الشرق والغرب على السواء .. بل ان المصريين كانوا مجددين حتى فى الجانب المادى والعملى من حياتهم وحضارتهم ، فالزارع المصرى فى الحقل جدد ادواته فى الزراعة والرى ونوع فيها على مر الزمن وجدد انواع محصولاته فأضاف اليها نباتات جديدة من وقت لاخر ، لاسيما بعد ادخال نظام الرى الدائم .. ، كما جدد انواع الحيوان المستأنس واضاف اليها مالم يكن معروفا من قبل .

□ ضرورة إجراء بحوث واقعية

واننى ادعو الى اجراء بحوث ودراسات واقعية لمجتمعات الدول العربية للتعرف موضوعيا على السمات الثقافية لكل مجتمع . واننى اذ ادعو الى ذلك ارجو من القارىء الكريم ان نأخذ بعناصر المنهج الذى يتضمن مايلى :

١ ـ البعد التاريخي لثقافة المجتمع .

٢ ـ مدى استمرار هذه الثقافة واستقرارها .

٣ ـ مدى تعدد مصادر هذه الثقافة وتنوعها .

٤ ـ ظاهرة الازدواجية (بالمعنى الذى يقول ليس كل ما يقال يمارس) فى هذه الثقافة .

وارجو ان يكون واضحا ان هدف اهدافى فى الوصول الى المعرفة الموضوعية لهذه العناصر لكى نؤكد مايتماثل منها او يتشابه ، ولكى نواجه مايتباين منها او يختلف . اننى لا ارفع ابدا شعار .

« لا وحدة عربية بدون وحدة ثقافية »

ولكننى ادعو ملحا الى مواجهة الازدواجية الثقافية القائمة فى المجتمعات العربية . فى الوقت الحاضر وتوجيهها الى الهدف المرجو ، اقصد هدف « الوحدة العربية » والملاحظ ان وجود الازدواجية فى التراث الثقافى المصرى يرجع الى عوامل يمكن فى ضوء المنهج العلمى التعرف عليها . وقد ترجع هذه العوامل الى اثار التغيير الثقافى الاجتماعى السريع الذى يواجهه مجتمعنا المصرى المعاصر وعدم مواجهة هذه الاثار مواجهة جذرية شاملة ، او قد يرجع ذلك الى عدم وضوح الرؤية فى بعض الامور مثل الاتفاق على سمات المواطن المصرى سواء كان صالحا او طالحا . واختلاف الرأى على هذه السمات اختلافا جذريا فى بعض الاحيان . او قد ترجع هذه العوامل الى ان النظام التعليمى التربوى فى محيط اجهزة التنشئة الاجتماعية فى واد والايديولوجية (اى القيم الثقافية العامة) التى تهتدى او يجب ان تهتدى

بها هذه الاجهزة فى واد اخر . اننى لا انفيها ولكنى ارغب فى تأكيدها او تأكيد بعضها على هدى البحوث الثقافية الاجتماعية التى انادى مخلصا باجرائها حتى يعمل المسئولون فى ضوء ماتسفر عنه نتائج هذه البحوث من اجل التغيير الى الافضل .

ولعل القارىء قد لاحظ ان دعوتى الى اجراء بحوث ودراسات واقعية فى كل مجتمع عربى على حدة التى دعوت اليها فى هذه الدراسة ، ليست هى البحوث والدراسات المتعلقة بموضوع « استطلاع الرأى » . وذلك لان موضوع « الوحدة العربية » لايحتاج الى استطلاع « الرأى العام العربى » بل يحتاج الى « الاتجاه العام العربى »

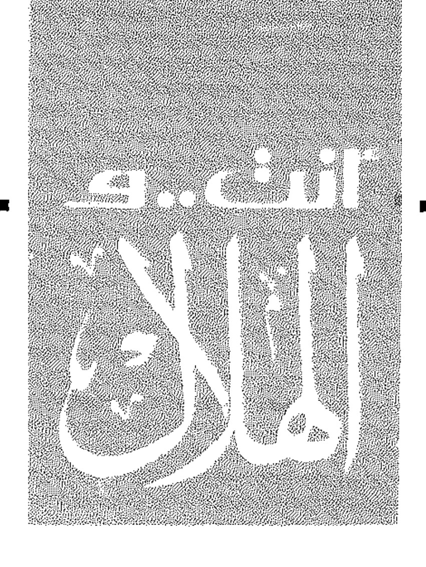
والرأى هنا غير الاتجاه (الاتجاه مفهوم نفسى اجتماعى ، وهو تكوين افتراضى ، او متغير وسيط تعبر عنه مجموعة من الاستجابات المنسقة فيما بينها ، سواء فى اتجاه القبول او فى اتجاه الرفض وذلك ازاء موضوع نفسى اجتماعى جدلى معين ، وعلى ذلك يظهر اثر هذا الاتجاه فى المواقف التى تتطلب من الفرد تحديد اختياراته الشخصية او الاجتماعية او الثقافية معبرا بذلك عن جماع خبرته الوجدانية والمعرفية والنزوعية) .

ولنا فى دروس الماضى القريب عبرة عندما صاح « القوتلى » رئيس سوريا فى خطاب القاه من شرفة رئاسة الوزارة بالقاهرة قائلا « انه يتمنى لرئيس جمهورية مصر ان يكون « صلاح الدين العصر » فى تحقيق الوحدة بين سوريا ومصر » كان ذلك فى عام ١٩٥٨ وقد اثبتت الايام ان ماقيل فى هذا الصدد كان ملقا زائفا بجانب حقائق التاريخ .

□ الدعوة الى الوحدة العربية يجب ان تسير الى مداها

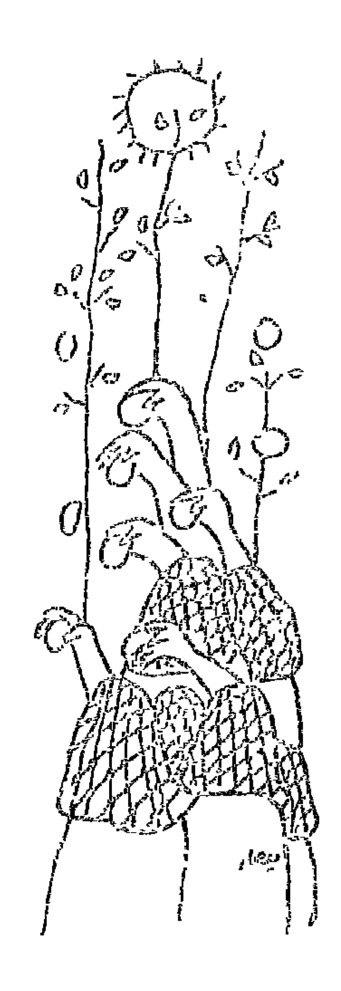
ومهما يكن من الامر فاننى ارجو ان يتاكد القارىء الكريم ، على الرغم من العقبات والنكسات التى حدثت فى الماضى ، ان الدعوة الى « الوحدة العربية » يجب ان تسير الى مداها ، اى اننى لا ادعو ، ولايمكن ان ادعو ، لكى تحقق ان ننتظر نتائج البحوث والدراسات المقترحة . فالملاحظ انه اذا كانت القوميات الكبرى او الامبراطوريات قد قامت فى الماضى على يد حاكم قوى وجيش قوى وعقيدة راسخة فان الظروف فى الوقت الراهن غير الظروف وحقائق التاريخ شاهدة على ماأقول .

واذا كنت قد ضربت المثل بالمجتمع المصرى ، وأطنبت فى ذلك فليس كل ذلك دليلا على المغالاة فى الوطنية ، بل لاننى احاول قراءة بعض سطور الموسوعة الحية لهذا المجتمع العتيد مستخدما كل ما املك من قدرات لأتعرف على بعض سمات هذا المعمل الثقافى الاجتماعى منذ فترة لاتقل عن خمسين عاما .



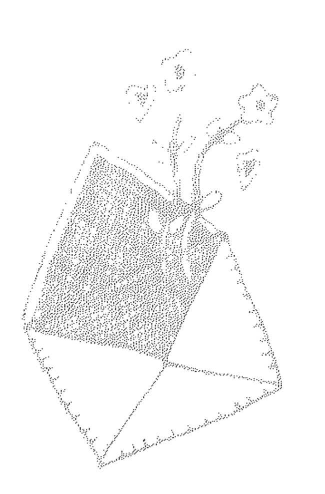
● ضيوف فلسطينية

مر بى طيفكم فى سماء اليسالة
مر بى واللظى مزق القلب شطرين ••
شطرا اليكم •• وشطرا بعرض السماء
وكانت دموعى تحاور عينى ،
فأسند راسى على الصمت ،
لتمسح جرح الأسى من جبين الطفولة ،
تجمع أحجار « غزة »
فيطلقها الطفل من فوهات العزيمة والانتفاضة ••
مر بى فى سماء التمزق يا أيها الشيخ ••
حين ولدت على عش قنبلة ،
وجعلت به موطنا لا مقام لغيرك فيه ،
وهانتذا تمزج الرمل والعشب ، والغصن
والدمع والحجر المتلظى ،
وتحضنها ثم تشعلها غضبا
ثم تقذفها جمرا فى صدور الغزاة
تباركها النسوة العائدات على وجههن عصارات ثار
ونزف •• وثوب تمرغ فى الحزن ،
يلفظن كل رجولاتنا المدعاة ،
مر بى طيفكم فى المساء / الشتاء
مر بى طيفكم فى الخيام / العراء
مر بى طيفكم فى العويل / البكاء ، مر بى فى الدماء •
وانتم هنالك طير يشقشق
غصنا من التين يستر عرى الفضاء
فاسندت راسى على الصمت
بالصمت أصرخ :
لا هدات اعين الجبناء ! ••



محمد فؤاد محمد
مطاى ـ المنيا

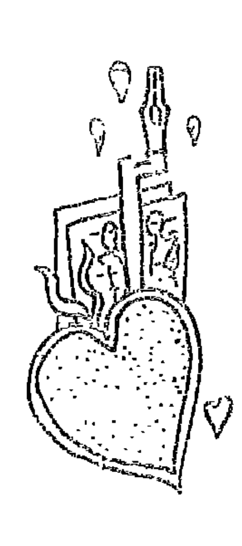
● فراق ولقاء



ولى فلذ تناءت عن ديارى
وطارت حيث عقد قد أتاها
تمر بنا الشهور بلا لقـاء
ونومى ليس يخلو منرؤاها
وشهر يعد شهر اثر شهر
وقلبى ليس يغفل عن نداها
تبادلنى الرسائل كل حين
تزودنى بما خطت يداهــا
وتكتبلى كلاما مستفيضا
عسى أن أطمئن على هناها
ولكن كيف يغنينى خطاب
صموتعنخطاب من شفاها
اتانى منـذ أيــام بشير
يقول : أعدنفسك كىتراها
ركبتالى المطارجناحشوق
يرفرف بالحنين الى لقاها

محمد صلاح الدين هلال
ناظر ثانوى

● الشهيد ناجى العلى



واذكر نـاجى حين المــــح حنظـلـه
أود لو أن القلب قد هب يسـألـه
أيسحق نبت الزهر فى طين أرضـنا
وتمتد أيدى الغاشـــــمين لتقتله
ويخنق نور البـــــدر فى عليائــه
ونخبط فى اعتى الظـــــلام واثقله
ويقصف سن الريش ·· يجف مداده
ويقتل ناجى ·· هل تحـل المشكلة
فيرفض حنــظلة الجـــواب ويختبى
ويصفق أبواب الســؤال ويقفـلـه
وأسمع همس الشـــــاردين وراءه
برغم طيوف الحـزن بالبعد مقبله
لو كنت أسطيع الوصــــــول لأرضه
وددت رفيق الدرب بالقلب احمله

عبد الرحمن عبد المحسن البطة
كلية الحقوق ـ المنصورة



● **تعليق**

ـ لماذا لم تجعل اللام فى اخر كل كلمة من كل بيت مفتوحة كلها او مكسورة كلها أو مضمومة كلها ؟!٠٠ ان « حنظلة » فى آخر الشطر الاول من البيت الاول جعلتنى أتصور أنك ستفتح جميع اللامات فى قافيتك ولكن كلمة « يسأله » فى البيت الاول مضمومة ، وكلمة « تقتله » مفتوحة اللام، وكلمة « أثقله » فى البيت الاول مكسورة اللام ، وكلمة « المشكلة » فى البيت الرابع مفتوحة اللام ٠٠ الخ ٠٠ فهل كنت تظن أن هذه الكلمات كلها فى محل واحد من الاعراب ؟! ٠٠ ليس الامر كما تظن،ولا يجوز هذا «التنويع» النحوى ٠٠ ولا يصح أن تقول « عليائه » فى البيت الثالث لأنه مخالف لقواعد العروض ٠ أما البيت الرابع فانه مكسور ، ولماذا حذفت التاء من كلمة « أستطيع » فى الشطر الاول من البيت الاخير ؟! ٠٠ لعلك فعلت ذلك ليستقيم الوزن ، وقد استقام فعلا ولكن على وزن بحر « الكامل » ، بينما قصيدتك كلها من بحر « الطويل » ٠٠ فكيف يكون صدر البيت من«الكامل » وعجزه من « الطويل » ٠

● **القطة بوسى**

قد خبت (بوسى) ، وخاب (بنوك)
فاستأسد (الجرذان) فى واديك
ما كنت٠٠قبل ٠٠ ضعيفة ، وحقيرة
ترضين بالاذلال ٠٠ اذ يأتيك
عودينا ـ فيما مضى ـ أن ترفعى
سيف الفناء بأبرع التكتيك
لم يبق (صرصور) يقول : انا هنا
أو يبق (فار) ، أو يدر بشكوك
وسعت دائرة الامان بحينا
فتوافد الجيران ، كى يطروك
واذا نزلت بهم رأيت وجوههم
بالبشر ناطقة ، وبالتبريك
ورأيتهم يتقدمون ٠٠ بمطعم
أو مشرب ، ولضيفهم وصفوك
ماذا جرى ؟! هل كل ذلك يا ترى
قد كان وهما٠٠مر٠٠ فى ماضيك؟!
أو ان أهل الشر من حسادنا
لما رأوك عظيمة ٠٠ حسدوك ؟!

رمضان أبو غالية ـ وكيل قويسنا الثانوية للبنين

● شاعر اسلامي

● فقدت الامة الاسلامية شاعرا من شعرائها هو الاستاذ عباس الدين رحمه الله الذى كتب كثيرا من الدواوين الشعرية والبرامج الدينية الاذاعيــة ٠

ومن الدواوين الشعرية التى كتبها وصدرت : ـ الى الملأ الاعلى ـ نور الصباح ـ بين أمى والقرآن ـ وصية الى ولدى ـ معارج الارواح ما بين زمزم والصفا ٠ وقدم قصيدة منذ أربعة عشر عاما هى عزاء يا بنى عام ١٩٧٤ تحدث فيها الفقيد عن الموت كأنه ينعى نفسه ٠ وفاضت روحه فى منزله بمنيل الروضة فى ١٩٨٧/١٢/١٧ وتوفى عن ٧٥ عاما ٠

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
كلية اللغة العربية ـ القاهرة

● حــبـا



كنا نلعب او نركض أو نمرح ٠٠
نقفز فوق اللامحسوس ٠٠
كنا نحلم ملء العين ٠٠
احلم انى الأوحد ٠٠
والأقرب ٠٠
لكنا ٠٠ والحلم برىء مثل الطفل ٠٠
رأينا العصافير تسقط ! ٠٠
بكينا معــا ٠٠

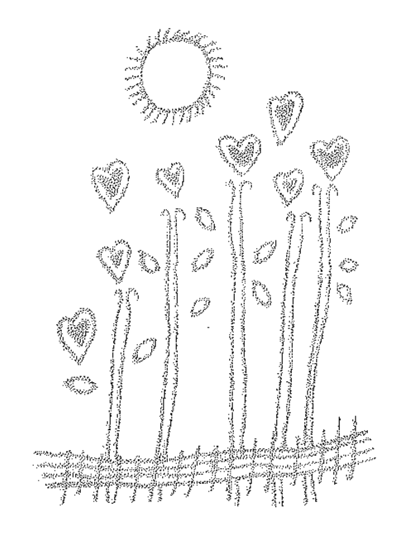
السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

● وطنى

● السلام عليكم وبعد ، ففى الحديث الشريف : «اشد النـاس عذابا يوم القيامة من أشركه الله فى سلطانه فجار فى حكمه » ٠

نتشرف بأن نكتب اليكم قصيدتنا الرائعة « وطنى ٠٠ » ٠٠ نأمل التكرم بالنشر الجميل ٠٠ والاخراج الحسن ٠

وكم بطن قد انتفخـــت ٠٠
فاين مـــدينتى انت ؟!
وكم بطـن قـد اشــتركت
فكيف بـها تجــزأت ؟!



وابحث عنك يـــــا وطنى
تعيـــدك عين فــاطمتى
اذا ابتسمت .. أرى حـزنى
تهلل : تلك قاهـــــرتى
يصب النيـــل فى فرعين ..
ذكـــرت رسـوم خارطتى
يصب النيل فى الشـفتين ..
شــــفاهك روتا نبلتى
عيـــون الحـب نورتـــا
ظــــلام دروب ازمنتى
عيـــون الحـــب صـورتا
عرفت ملامحى .. سمتى

الدكتور احمد عامر

● تعليق :

ـــ ها نحن هؤلاء قد نشرنا ما استطعنا نشره من قصيدتك التى تصفها بأنها « رائعة » .. ونحن لا نناقشك فى روعتها ، ولم نتعمد الجـــور فى حكمنا على شعرك ، ولن نكون ان شاء الله ممن يعذبهم الله يوم القيامة ، بل سيكون منهم كل من جهل قدر نفسه ، ورحم الله امرأ عرف قدر نفسه .

بقى أن نبدى هذه الملاحظات :

١ ـ تقول : « وكم بطن قد انتفخت » .. « وكم بطن قد اشتركت » .. وهذا خطأ لغوى لأن البطن مذكر ، فلزم ان تقول : انتفخ ، واشـــترك ، وبالمناسبة فان « الكرش » مؤنث ! ..

٢ ـ تقول : « اذا ابتسمت أرى حزنى » وتضع ضمة على الحـــاء وهذا خطأ عروضى ، والصواب فتح الحاء وفتح الزاى ليستقيم الوزن على أصله العروضى الصحيح ..

٣ ـ تقول « شفاهك روتا نبتى » .. والشفاه جمع شفة ، فكيف يكون الفعل « روتا » مثنى ؟! .. كيف يجتمع الجمع والمثنى هنا ؟!

٤ ـ ومثل ذلك قولك : « عيون الحب نورتا .. وصورتا » ، فـــاذا أردت العينين ـ أى المثنى ـ فلابد أن تجىء بالتثنية فى الفعل ، أما العيون ـ الجمع ـ فبأى حق تجىء اليها بالتثنية فى الفعل ؟! .. الصحيح لغويا أن عيون الحب « نورت » .. وأن العينين « نورتا » ..

٥ ـ لا نتحدث عن المعانى ولا عن غيرها ..

● وتبقين حواء

قالت على اى شيىء سوف تمدحني
وليس في جمال كالــذى تهــوى
ارجوك دعني ولا تبدأ مغـــازلتي
فما انا مثل من ســـميتها اروى
فـلا تضـع كلما في غير موضـعه
فالشيىء حبن يرى في وضعه اقوى
اما ترى البدر يبدو فيالضحاشبحا
وفي الدجى نوره سيفا اذا اهـوى
فاعجبتني بمـا قالت فقــلت لهـا
تبقين بالرغم ممـــا قلته حــوا



جهاد جميل محمد الجيوسي ـ عمـان

● الهجرة :

الهجـــرة رحلة هادينـا
حمل الاسلام لنا دينـا
فسلام الله على الهادى
والكون يردد آمينـــا
رحل الصديق عن الدار
فى صحبة خير الأبرار
صـــلوات الله تباركه
ملأ الدنيـــا بالانوار

محمد عبد الفتاح اسماعيل
شارع الكريدلي بالجيزة

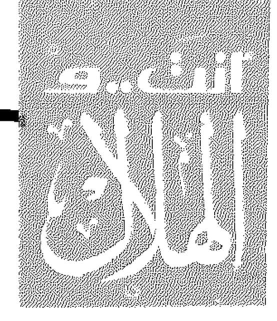
● الاخلاق

● تفضلتم بالرد على قصيدتين لى من قرابة الشهرين ، ولم يــزد الرد على خمس كلمات هى : « قصائدكم ينقصها الوزن وصحة اللغة »٠٠ فلم أفهم المقصود ، فهل يجب على التوقف نهائيا عن الشعر ٠٠ أرجو التاء نظرة فاحصة على قصيدتى هذه ، وأفادتى :

اذا الأخــلاق جمعت فى رجل
هو فى الاعين النجم الشهب
تذوب الخصـــال فيه ســـمحة
وفى حضرته يخجــل الأدب
تهفو القــلوب الى طلعتـــه
وجــه باسم وعقـــــل أرب
وتتسامى الظلال فى ضـــوئه
وتحت أقدامه تركع الســحب



سمير عبد الصبور



● تعليق :

ـــ نشكرك على حسن الظن بنا ، وسعة صدركم فى تقبل ملاحظاتنا ، اما قولنا ان قصائدكم ينقصها الوزن ، فمعناه أنها لا تدخل فى نطاق بحر من بحور الشعر الستة عشر أو مجزوءات هذه البحور أو تفعيلاتها.. وأبياتك الاربعة هذه ـ مثلا ـ نثر بحت ، وان كانت مقسمة على هيئة مصراعين فى كل سطر .. ولكنى لا أنصحك بالتوقف نهائيا عن محاولة نظم الشعر ، فلعلك بالمثابرة تستطيع أن تتعرف على الاوزان ، ونرحب برسائلك اللطيفة المهذبة ..

● الا .. انا

● كان النشر متاحا لى فى الكويت ، وأنا الآن فى بلدى مصرى وأراها مفتوحة للجميع ، للكتابة والنشر ، الا فردا واحدا هو أنا .. ليس الا .. فالجميع فى مصر يكتب وينشر ، والعرب ينشرون ويكتبون فى مصر ، والاجانب يكتبون وينشرون فى مصر ، ولا تقل كما يقول المغرضون اننى أتوهم أن الجميع يحاربنى ، فقد أكدت الايام صدق ذلك .. ولم تكن هذه المقاطعة تعليمات عليا فاننى تقدمت للترشيح لانتخابات مجلس الشعب الاخيرة وخضتها حتى النهاية .. اذن لا تعليمات عليا .. فيكون التصور اذن انها من واقع المجال الادبى والصحفى .. ألست معى فى هذا التحليل؟! .. لقد أنهيت الجزء الثانى من روايتى « سبع الليالى » .. فهل أرسلها اليكم ؟! .. اذا وافقتم أرجو أن ترسلوا لى خطابا بهذا المعنى ، محددا فيه تاريخ النشر ، واذا لم توافقوا أرجو أن ترسلوا أيضا خطابا بما يفيد الاعتذار ..

ناجى عبد السلام السنباطى
محاسب قانونى ش.م : ٣٢٧٨
رئيس تحرير مجلة السرو

● تعليق :

ـــ لا تعليمات بشأنك عندنا ولا بشأن أى انسان ، وانت دخلت الانتخابات ولم تنجح فلم يضايقك عدم نجاحك ، فلماذا يضايقك دخولك عالم الصحافة او الادب وعدم نجاحك حتى الآن ؟! .. ان الامر لا يدعو الى اليأس فانت ما زلت شابا فى الاربعين كما تقول ، وقد يجىء اليك النجاح بعد سنوات ! .. اما روايتك .. فلماذا لا تطبعها فى نفس المطبعة التى تطبع

فيها مجلتك الخاصة ؟! ·· يؤسفنا أن نعتذر اليك فان لدينا رصيدا ضخما من الروايات التى تنتظر النشر ·· حاول أن تتصل بدار أخرى للنشر فان دور النشر في مصر والبلاد العربية كثيرة جدا ··

● مع اصدقائنا ●

● **مختار يوسف عبد المعبود ـ كلية الآداب بقنا :**

ـ قصتك « الملحقة » مجرد « ملاحظة » فالقصة فن آخر ·· وأنت تطلب منا « نقض » قصتك هذه اذا « لم تلقى » القبول ! ··ولعلك تقصد أن تطلب منا « نقد » القصة لا نقضها ، أم أنت لا تعرف الفرق بين النقد والنقض؟!·· وهل تتلقى فى كليتك محاضرات فى « النقد » أم فى « النقض » ؟! وقولك « لم تلقى » صوابه « لم تلق » ·· لان « لم » تجزم الفعل المضارع، أى تحذف الياء التى فى آخره ! ·· حاول يا عزيزى أن تعرف هذه المسائل البسيطة التى نظن أن الكثيرين فى « الاعدادى » يعرفونها ! ··

● **عمرو محمد عبد الحميد ـ الاسماعيلية :**

ـ قصتك التى عنوانها « من حكايا مدينة الخوف والانشاء » ·· هى مجرد خاطرة أو سانحة ·· وقولك « حكايا » خطأ ، لان جمع حكاية « حكايات » ·· أما « حكايا » فكلمة مغلوطة انتشرت فى القصة الحديثة والشعر الحديث بسبب انتشار الجهل باللغة عند المتأدبين الجدد ·

● **أشرف دسوقى على ـ الاسكندرية :**

ـ قصيدة «بيجماليون » سائغة ، وأوزانها طيبة ، وان كانت فيها كلمات غير صحيحة كقولك : « كنتى » أى « كنت » ·· وقولك : « قتلتى»·· أى « قتلت » ·· فهذه الياء فى آخر الكلمة ليست لازمة عند التأنيث ·

● **عبد الرحيم الماسخ ـ سوهاج :**

ـ شعركم متفاوت ، فأحيانا يكون طيبا ، وأحيانا يكون معقدا ويحتاج الى اعادة نظر ·· حاول صقل ما تنظمه والتأنى فيه ، فهذا خير من كثرة النظم ··

● **محمد أمين عيسوى ـ الاسماعيلية :**

ـ نشكر لكم جهدكم فى جمع الطرائف من الكتب والمجلات ،وسننشر منها ما نراه غير معروف للقراء ، اذ أن ما أرسلتموه ليس جديدا ولا بعيدا عن متناول القارىء العادى ··

● **عبدالله سعيد بن سلمان ـ المكلا ـ جمهورية اليمن الديمقراطية :**

ـ نشكركم على رسائلكم ، ونعتذر اليكم من عدم نشر مقالتكم عن مرض الايدز ، لأنها مجرد تجميع معلومات لم تعد مجهولة لقراء الصحف··

● **السادة الفضلاء : رفعت محمد بروبى ·· خميس محمد حبيبة ·· جمال عطا أحمد ·· هشام محمد عبد الوهاب ·· حمدى ربيع ·· ايمان ابراهيم عبد المعطى ·· نشكرلكم حسن ظنكم ونرجو لكم حظا حسنا فيما ترجونه من مستقبل فى الشعر ، ونعتذر اليكم ! ··**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

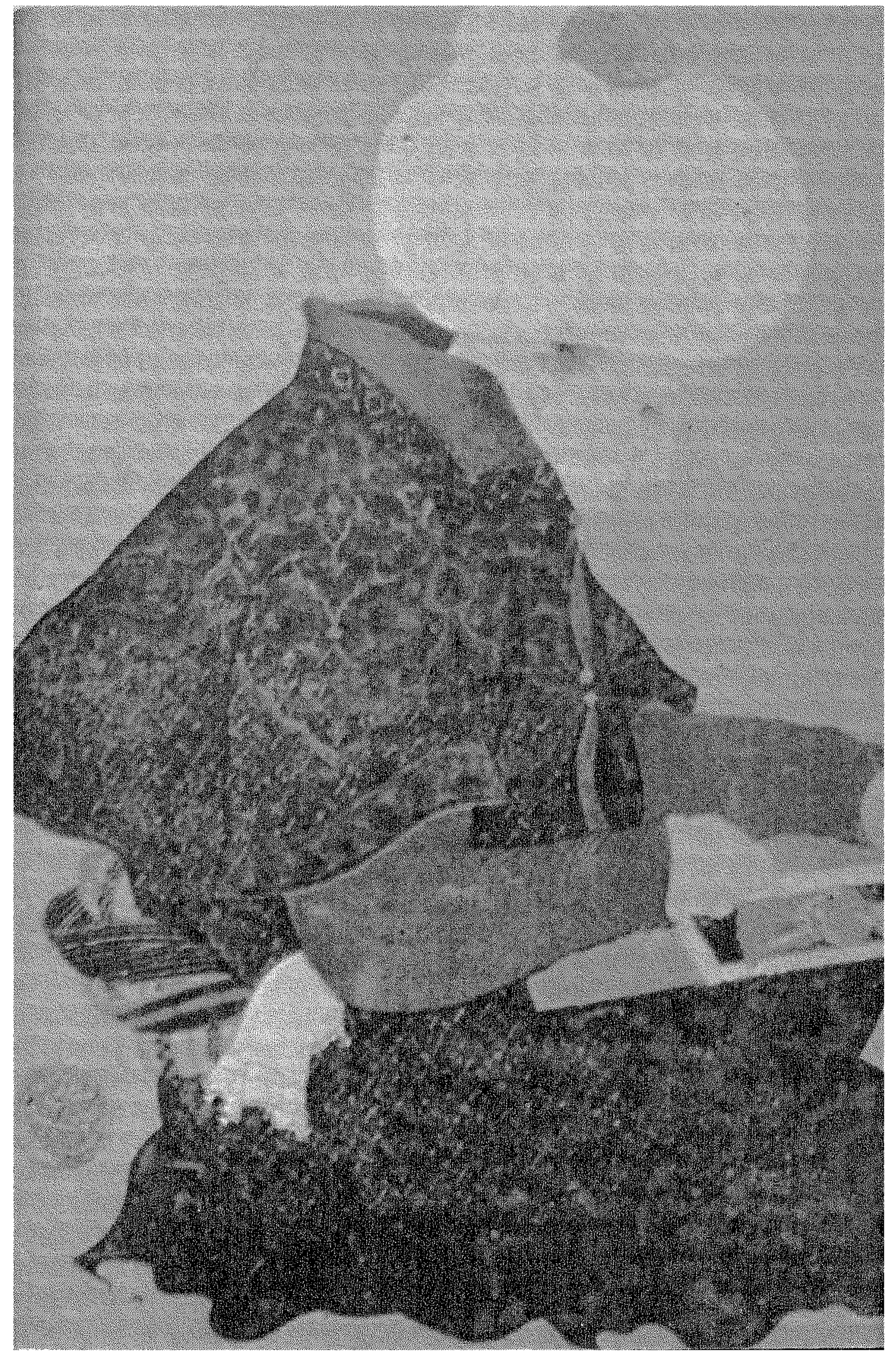
رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


الهلال
بريل ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا
مصر تبحث عن طريق
هذا النهر المتدفق من السير الذاتية لماذا؟



من روائع الفن الإسلامي

لوحة من الفن التركى تصور الأمير جم المعروف باسم جم سلطان وهو فى سنه الواحدة والعشرين . وهى لوحة تحمل توقيع الفنان بهزار لكنها ليست من رسوماته . ويقال إن الذى قام برسمها أحد تلاميذ فنان آخر يدعى بلليني .

اللوحة من الورق المقوى ومحفوظة فى متحف فرير بواشنطن . وتصور السلطان فى حالة رسم ..



السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال أسسها جرجى زيدان عام ١٨٩٢ م . اول ابريل سنة ١٩٨٨ ـ ١٤ شعبان سنة ١٤٠٨ هـ



هذا العدد

تصميم الغلاف :
الفنان محمد ابو طالب

● فكر وثقافة ●

ص

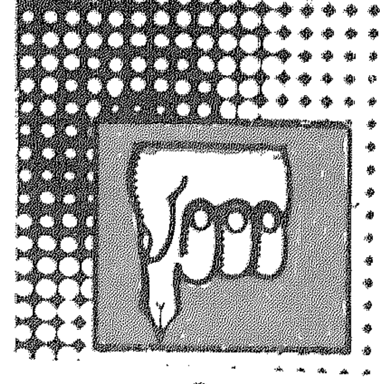
● قضايا حيوية ●

● ندوة الهلال الشعرية ●

● دراسة الهلال ●

● قصة ●

● الأبواب الثابتة ●



عزيزى القارىء

مصر تبحث عن الطريق

تطالع - عزيزى القارىء - فى هذا العدد من « الهلال » مقالات متنوعة ، تستحق كلها أن ننوه بها ونذكرها ، ونحمد الجهد الذى بذله فيها كاتبوها الكرام ، ولكنا نخص بالذكر هنا ثلاث مقالات عن ثلاث شخصيات مختلفة المنازع والأفكار والعقائد الدينية والاتجاهات السياسية والقومية ..

ذلك ان هذه الشخصيات التى ظهرت جميعها فى مصر ، كان لها اثر متميز فى جيلها وفى الأجيال التى أعقبته .

واولها الدكتور عبد الرازق السنهورى فقيه القانون الأشهر ، وفقيده الذى عادت ذكراه حية الى الأذهان لمناسبة مانشر اخيرا من مذكراته او ذكرياته او آرائه وخواطره وخلجاته وقراءاته ..

والشخصية الثانية هنرى كورييل ، اليهودى المصرى الجنسية الذى لعب فى الأربعينيات دورا بارزا فى تاليف تنظيمات ماركسية سرية فى مصر بعد ان عصفت السلطة فى أوائل العشرينيات - بعد ثورة ۱۹۱۹ مباشرة - بأول تنظيم ماركسى علنى قام فى مصر . وقد ترك هنرى كورييل وراءه ذكرياته ومذكرات ذات دلالة واضحة .

والشخصية الثالثة : الدكتور ثروت عكاشة ، من الضباط الأحرار الذين خرجوا ليلة ٢٣ يوليو مع جمال عبد الناصر وتولى الوزارة فى عهده .. وقد نشر اخيرا مذكرات ضخمة تتعلق بالسياسة والثقافة وتؤرخ للثلاثين عاما الماضية من وجوه كثيرة ..

ولاشك ان الاساتذة الافاضل الذين كتبوا لنا عن هذه الشخصيات والمذكرات قد نجحوا فى تقديم تحليل وتصوير واضحين للموضوع الذى اضطلعت به اقلامهم البليغة ..

ولكن ثمة هذا السؤال :

- لماذا هذا الفيض او الفيضان من المذكرات فى السنوات الاخيرة ؟!

لقد تكاثرت المذكرات والذكريات حتى خيل الى القارىء ان جميع حملة الأقلام المحترفين والهواة قد كتبوا مذكراتهم ..

مئات ممن شغلوا مناصب سياسية او غير سياسية ، كبيرة او صغيرة ، وممن لم يشغلوا مناصب ولااقتربوا من دست السلطة .. غمسوا اقلامهم فى

المداد وكتبوا مذكراتهم فى الصحف المصرية وصحف البلاد العربية ، ثم حولوا هذا الذى كتبوه الى كتب ضخمة كثيرة لايحصيها الا الله تتحدث عن الماضى والحاضر وتذكر لمحات من سيرتهم الذاتية .

وهذه الكتب على كثرتها الكاثرة وجدت دائما من يدفع فيها الثمن المرتفع لكى يقرأها ، حتى ان الرئيس السابق السادات كتب سيرته وطرحها فى الأسواق ..

فما الذى يجمع بين كاتبى المذكرات الكثيرين ، وقارئيها الاكثرين ؟! .. ان هناك - دون ريب - شيئا هاما يجمع بينهم ، لولاه لما كتب اولئك ، ولا قرا هؤلاء ! ..

إن الضالة المنشودة التي يبحثون عنها جميعا هى الطريق الى المستقبل .. طريق مصر وطريق الامة العربية ومايشتبك بهما من طرقات الاصدقاء والأعداء ..

فى منتصف الاربعينيات - عقب الحرب العالمية الثانية - كانت مصر تبحث عن الطريق بعد ان تمخضت الحرب عن انهيار النظام الاستعمارى القديم ، وقيام النظام الاستعمارى الجديد ، وظهور مجموعة الدول الاشتراكية ..

وفى هذا المناخ أخذت مجموعات من الشباب والشابات تبحث عن طريق مصر هنا وهناك .. وفى غمرة هذا البحث أدلى هنرى كورييل بدلوه ، وشارك بدأب شديد فى تنظيم جانب من الحركة الماركسية فى مصر ، بحثا عن طريق جديد .

ولكن هنرى كورييل والجماعات الماركسية تخلفت وسارع الى اقتحام الطريق تنظيم الضباط الأحرار السرى ، وبدأت مصر منذ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تسلك طريق الانتصارات والاخفاقات ، والايجابيات والسلبيات .. وفى هذا الطريق سار ثروت عكاشة ، وعن هذا الطريق كتب مذكراته .

وكان السنهورى أحد باشوات ما قبل الضباط الاحرار وثورتهم ، ولكنه عاونهم بعلمه القانونى فى بداية الأمر ، ثم افترقت به عنهم السبل ، وعاش بقية حياته يبحث عن طريق ..

هكذا اذن .. ليس هذا الفيض المنهمر من مذكرات اليمين واليسار والوسط وكل الاتجاهات ، مجرد قصص من الماضى القريب ، ولكن هذا الفيض المنهمر اشبه بماء نهر جديد يبحث عن مجرى .. عن طريق يسلكه من منبعه الى مصبه ! ..

ولقد شارك الكتاب والقراء فى البحث عن هذا الطريق ، ومعنى ذلك ان الملايين شاركوا - ومازالوا يشاركون - فى البحث عن الطريق ! ..

وسيبقى البحث جاريا - كما يقال - ولن تُغلق ملفاته ، مادامت الطريق المرجوة لمصر فى حاجة الى تحديد ملامحها ، وبيان هويتها ، وتجديد عزيمتها ، ومعرفة اتجاهها ! ..

عبد الرزاق السنهورى

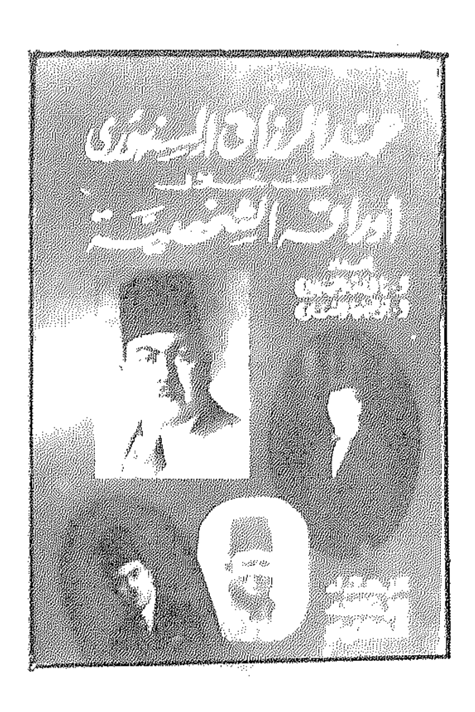
شيخ القانونيين العرب

بقلم: د. أحمد كمال ابو المجد

ليس فى العالم العربى على امتداده واختلاف منابعه الثقافية مشتغل بالقانون .. ممارسة أو تعليما أو تنفيذا .. الا وهو يدين بفضل كبير لعملاق القانون الفذ عبد الرزاق أحمد السنهورى .. وكما تتردد على ألسنة طلاب القانون والمشتغلين به فى فرنسا اسماء بلانيول ، وريبير ، ودوجى ، وجينى ، وجارسون ، وجرانمولان .. وكما يذكر المشتغلون بالقانون فى الولايات المتحدة الأمريكية اسماء روسكو باوند ، واوليفر وندل هولمز .. فإن رجال القانون العرب يتوجون اسانيد بحوثهم الفقهية وأحكامهم القضائية بالاشارة الى عبارة وردت هنا أو هناك فى كتابات العلامة السنهورى .. فيكون فيها القول الفصل ، والرأى المعتمد الذى يتلقاه الخصوم جميعا بالقبول .

وإلى عهد قريب كانت المعرفة بالسنهورى تعتمد على ثلاثة مصادر رئيسية .. أولها .. جهوده وأبحاثه التى أثمرت ثمرتها الكبرى فى صورة "مدونات" أو مجموعات القانون المدنى فى العديد من الدول العربية وعلى رأسها مصر التى





أنجبته ، والعراق التى اسهم الاسهام الأكبر فى وضع قانونها المدنى مقتربا به خطوة جديدة نحو الشريعة الاسلامية .

والمصدر الثانى : كتاباته الفقهية التى تفرد بها .. والتى تشبه البحر المحيط فى اتساعها وعمقها واحاطتها .. والتى تتميز مع ذلك بوضوح مابعده وضوح ، وجزالة فى اللفظ والتعبير توشك أن تكون معها مزيجا من الأدب والقانون .. ويستطيع أن ينهل منها ـ بغير عناء ـ المبتدون وخاصة المتخصصين على السواء .. وعلى رأس هذه المصادر « الوسيط » فى شرح القانون المدنى المصـرى الذى أخرجه ـ رحمه الله ـ فى عشرة أجزاء مطولة .. عامرة بالمراجع العربية والأجنبية والآلاف من أحكام القضاء فى مصـر وفرنسا وبلجيكا وغيرها .. والى جانب الوسيط قدم العلامة السنهورى للعالمين العربى والاسلامى رائعته الثانية : مصادر الحق فى الفقه الإسلامى .. وهو زاد رفيع المستوى ، دقيق المنهج ، لايقدر على مثله الا من كان راسخ القدم فى فهم مقاصد الشرائع والمصالح التى تدور احكامها حول رعايتها .. كما أنه يرسى منهجا علميا رصينافى تناول قضايا الاصلاح التشريعى وبعث النظام القانونى الأصيل للأمة ، وهو النظام المستمد من تاريخها والمتمثل فى حضارتها .

أما المصدر الثالث : فهو روايات الجيل الذى عاصر السنهورى وعمل معه أو تتلمذ عليه .. فهؤلاء يعرفون الكثير عن الرجل وخلقه ، وانقطاعه المطلق للبحث والتحقيق ، وجلده على مشقة ذلك كله ، كما يعرفون فضله فى علاقاته بالناس ، وترفعه على



الصغائر .. ويعرفون ـ بعد ذلك ـ أطرافاً عديدة من مواقفه الوطنية والسياسية ..

● مذكرات متفرقة

ومنذ شهور قليلة أضيف الى هذه المصادر الثلاثة مصدر جديد هو مجموعة من « أوراقه الشخصية » التى كتبها ـ رحمه الله ـ بخط يده وقامت باعدادها للنشر ابنته الوحيدة الدكتورة نادية السنهورى ، والدكتور توفيق الشاوى الاستاذ السابق بكلية الحقوق بجامعة القاهرة وأحد تلاميذه والمعجبين بعلمه الواسع ، والحريصين على ابراز توجهاته نحو تطبيق الشريعة الاسلامية واجتهاداته فى ميدان نظام الحكم كما بدت من رسالته التى كتبها عام ١٩٢٨ .. باللغة الفرنسية فى موضوع « الخلافة » .

والأوراق الشخصية التى نشرت هى مجموعة مذكرات متفرقة .. قد كتبها السنهورى ـ رحمه الله ـ لتكون نوعا من « مناجاة النفس » أو « اليوميات » الخاصة .. ولم يفكر أبدا فى نشرها .. آية ذلك أنها كثيرا ماتكون تعبيرا عن فكرة غامضة أو خاطرة تسجل عاطفة خاصة تجاه موقف عابر أو حدث عام أو خاص دون أن تبسط القول بالرأى الواضح المفصل .. كما أن السنهورى ـ رحمه الله ـ لم يعن قط بتحقيق الكثير مما اشار اليه ، من أقوال الآخرين .. بل ومن الأحاديث النبوية والأحكام الشرعية .. على غير عادته المستقرة فى كل كتاباته التى نشرها على الناس لهذا فإن وضع تلك الأوراق الشخصية فى اطارها الصحيح يبدو أمرا ضروريا حتى لايتعلق أحد بعبارة وردت فى سياق معين فيحولها الى « رأى للسنهورى » أو موقف محدد له من احدى القضايا .. كذلك لايخفى أن تلك الأوراق الشخصية قد كتبت على امتداد سنوات طوال .. فقد كتب المذكرة الأولى يوم ١٤ أغسطس ١٩١٦ .. قبل سفره الى فرنسا .. ولم يكن عمره يجاوز الثانية والعشرين عاما . وكتب المذكرة الاخيرة يوم ١١ اغسطس ١٩٦٩ ، أى أن بينهما أكثر من نصف قرن من الزمان المحمل بالتجارب والخبرات والنضج العقلى والعاطفى ، وانما تظهر القيمة الحقيقية لهذه المذكرات ـ فيما نرى ـ فى كشفها عن جوانب متعددة من شخصية السنهورى وشواغله الذاتية ، واستجاباته الذهنية والعاطفية .. وعن القضايا التى احتلت اهتمامه وهو يتدرج نموا ونضجا من مرحلة طلب العلم والرحلة المبكرة الى فرنسا .. الى ان تولى القضاء والوزارة والتدريس ومارس السياسة وخاض العديد من التجارب والمواقف الوطنية .

وليس من اهداف هذه السطور أن تقدم السنهورى الفقيه القانونى لقراء العربية .. وان كان الجيل الجديد من ناشئينا ، وخصوصا اولئك الذين يشتغلون بالقانون يحتاجون الى تمثل « القمة » الرفيعة التى تجلت فى السنهورى ، عالما محققا أمينا ، وباحثا مدققا لا يكل من طول المعاناة فى البحث .. وفقيها موصول العقل والقلب بثقافة أمته وحضارتها وشريعتها .. لم يصرفه عن ذلك ماحصله من علم بحضارة الاخرين ومن نشأة فى ظلال قيم تلك الحضارة ومعاييرها . إنما الهدف من هذه السطور امران .

الاول : الوقوف على بعض المعالم « غير المذكورة » فى شخصية العلامة السنهورى .. كما كشفت عنها « اوراقه الشخصية » التى نشرت اخيرا ..

الثاني : الوقوف عند بعض خصائص منهجه البحثي والفقهي فى القانون الوضعي والشريعة الاسلامية على السواء ، كما وصفه هو فى بعض تلك « المذكرات » .

ونختار هنا من جوانب شخصية السنهورى جوانب ثلاثة كشفت عنها اوراقه الشخصية .

اولها : موقفه الاجتماعي ، وعنايته الخاصة بحقوق العمال والفلاحين فهو يعبر في بعض كتاباته الشخصية المبكرة عن تعاطفه القوى مع الفقراء والمحرومين ، ثم يصل من ذلك الى التفكير في انشاء حزب للعمال والفلاحين .. فيكتب ـ وهو بعد فى فرنسا يطلب العلم ـ فى ٨ سبتمبر ١٩٢٣ انه « اذا استقرت الحياة البرلمانية فى مصر توجد حاجة لانشاء حزب للفلاحين والعمال يكون غرضه اشراك الفلاحين بقدر مايمكن فى حكم انفسهم بعد نشر التعليم فيهم واصلاح حالتهم المادية من جميع الوجوه ، ويأخذ هذا الحزب من مبادىء الاشتراكية الجزء العملى منها غير المتطرف » . ويعود السنهورى مرة اخرى يوم ٩ اكتوبر ١٩٢٣ فيتحدث عن هذا الحزب فيقول : حزب الفلاحين والعمال حزب يستمد مبادءه من تجارب الامم الغربية ومن التعاليم الفقهية الصحيحة التى أتى بها الاسلام والمسيحية ، وهو الحزب الذى ارى مصر فى حاجة اليه بعد ان تظفر بنصيبها من الاستقلال التام وبعد ان تستقر الحياة البرلمانية فيها ، واهم اغراض هذا الحزب على ما أرى .

١ ـ تعليم الفلاحين والعمال (تعليما اجباريا مجانيا)

٢ ـ تأليف النقابات الزراعية ونقابات العمال

٣ ـ تحسين الحالة الصحية فى مساكن الفلاحين والعمال .

٤ ـ اشتراك الفلاحين والعمال اشتراكا فعليا ـ بعد ان يتم تعليمهم ـ فى ادارة حكومتهم وفى ادارة الحياة الاقتصادية للبلاد على مبادىء بعيدة عن التطرف الاشتراكى .

٥ ـ مقاومة الاستعمار الاوربى السياسى والاقتصادى فى جميع الدول الشرقية والتفاهم فى ذلك مع عمال وفلاحى الامم الغربية ومطالبتهم بالقيام بعمل جدى فى سبيل تحقيق هذا المبدأ المشترك بين الجميع . وينتبه السنهورى رحمة الله عليه الى مخاطر تسلل الوصوليين والدخلاء الى مثل هذا الحزب . فيقول « ويجب العمل على ابعاد الوصوليين عن هذه الحركة وجعلها حركة صادقة مخلصة للعمال والفلاحين .. ويختم كلامه بقوله « واقصد بالفلاحين هنا غير كبار المزارعين ، وهم عمال الزراعة وصغار الملاك من المزارعين » .

ومن المؤكد ان السنهورى قد تأثر فى كتاباته هذه بالجو السياسى والاجتماعي الذى احاط به فى فرنسا حيث كتبت هذه المذكرات التى تتحدث عن الاشتراكية وعن حزب العمال والفلاحين .. ومع ذلك فقد بدا فى بعضها حرصه



على التوفيق بينها وبين اصول الحضارة العربية الاسلامية ، فهو يكتب من لاهاى فى ١٥ اغسطس ١٩٢٤ قائلا «لا ارى ان الروح الاشتراكية تتناقض مع الروح الشرقية (الاسلامية) ففى مصر مثلا يمكن القيام بالاصلاحات الداخلية اللازمة لتقوية الامة على اسس اسلامية تؤدى الى توزيع الثروة توزيعا اقرب الى العدل من التوزيع الحالى ، على ان رؤية السنهورى للمشكلة الاجتماعية قد تطورت فيما يبدو من مجرد دعوة إلى انشاء حزب للعمال والفلاحين إلى توجه لتصنيع البلاد» حتى يرتفع مستوى معيشة الجميع .. فنراه يكتب من دمشق فى ١٣ يناير ١٩٤٤ اى بعد عشرين عاما من تفكيره فى انشاء حزب للعمال والفلاحين قائلا : والمسألة الاجتماعية فى مصر ليست فى الاخذ من الاغنياء لاعطاء الفقراء اكثر مما هى فى رفع مستوى المعيشة للجميع فان متوسط ايراد الفرد فى مصر منحط الى درجة لاتكاد تصدق ، فاذا وزعت الثروة الحاضرة على جميع المصريين بالسواء بقى متوسط الايراد منحطا كما هو ، لذلك فان علاج المسألة الاجتماعية فى مصر هو فى نشر الصناعة فيها والاخذ بيدها باكبر جهد مستطاع . ثم يلخص الامر كله بقوله « ومحاربة الفقر لاتكون الا برفع مستوى المعيشة ، ورفع مستوى المعيشة لا يكون الا بايجاد الصناعات الكبرى » على ان هذا التوجه الجديد لا يطفىء احساسه بفقر الفقراء والحاجة الى منح الناس جميعا فرصة متكافئة فى الحياة .. فهو يكتب فى ١٢ يناير ١٩٤٤ « ان الاسلام يرشد البشر حتى يتبينوا ان اعطاء الفقير ليس احسانا عليه تمليه الرحمة بل هو حق له يفرضه القانون" ثم يعود فى ١١ اغسطس ١٩٥٧ وهو يستقبل عامه الثالث والستين فيكتب : لابذلن الجهد فى خدمة بلدى مسترشدا بمبادىء ثلاثة :

المبدأ الاول يتصل بالحياة الاجتماعية وهو تكافؤ الفرص بين الناس من يوم ان يولدوا الى ان يتم اعدادهم لمعترك الحياة وتظل فكرة انشاء حزب للعمال والفلاحين قائمة وحية فى ذهنه فيقول : ولعل هذه المبادىء .. ترسم الخطوط الرئيسية لبرنامج داخلى لحزب اشتراكى ديمقراطى للعمال والفلاحين فى مصر . اسأل الله الكريم وانا فى مستهل هذا العام الجديد من حياتى ـ ان يجعل من حظى المساهمة فى انشاء هذا الحزب »

● ثانيا : اهتمامه باللغة العربية وقرضه للشعر :

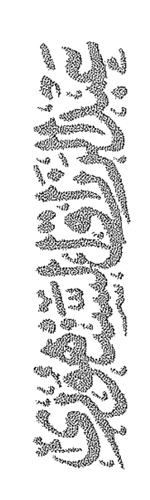
تجاوزت عناية السنهورى رحمه الله باللغة العربية حدود الاهتمام الطبيعى الذى يوليه رجل القانون عادة للغة وصحة استخدامها .. فبالاضافة الى ماتميزت به تآليف العلامة السنهورى وكتاباته الفقهية من جزالة فى اللفظ ودقة فى التعبير ووضوح فى العرض .. فقد كانت له ـ كما تظهر من أوراقه الشخصية اهتمامات واسعة باللغة العربية بلغت حد التفكير فى تطوير طريقة كتابتها .. وقد انتبه ـ رحمه الله ـ الى تأثر اللغة بالميادين الجديدة التى تعبر عنها ، فى وقت مبكر جدا حيث كتب من لاهاى فى

اول سبتمبر ١٩٢٤ ملاحظا انه فى مطلع هذا القرن دخل فى اللغة العربية اسلوب اللغة العملية فى العلوم الاجتماعية المختلفة .. وانه يحسن أن يتقصى باحث هذه الاساليب المختلفة ويتتبع طريقة اصولها فى اللغة العربية ومايجب ان يصنع لترقيتها مع عدم الخروج عن روح اللغة العربية .

كذلك ينتبه السنهورى الى دور النهضة اللغوية فى تحقيق الوحدة العربية والاسلامية ولذلك يدعو فى ٥ سبتمبر ١٩٢٤ الى مؤتمر للغة العربية ينعقد فى القاهرة .. يصدر القرارات اللازمة لتحقيق هذه النهضة من بينها - فى رأيه - تأليف مجمع لغوى لوضع الالفاظ التى تنقص اللغة العربية فى العلوم المختلفة وتأليف مجمع ادبى لتشجيع الاداب العربية وتجديدها بحيث تتفق مع روح العصر الحاضر ويشير - بصفة خاصة - الى ان من المؤلفات التى تنقص اللغة العربية مؤلف فى الاستعمار من الوجهة التاريخية ووجهة نظر القانون الدولى .. ويكتب السنهورى من دمشق فى ١٦ مارس ١٩٤٤ محللا ترتيب الحروف الهجائية فى اللغة العربية ، ومقترحا وضع قواعد جديدة لتشكيل الحروف يكون من شأنها الاقلال منه بقدر الامكان . كما يكتب من دمشق كذلك فى ١٩ مارس ١٩٤٤ عن « الحروف القمرية والحروف الشمسية ، كما يكتب عن مهمة المجامع اللغوية وقضية المصطلحات العلمية ، وفى تطوير اللغة قائلا فى جسارة وثقة ان « اللغة ليست كائنا حيا فحسب ، بل هى مجموعة من الكائنات الحية وهى الالفاظ ، ولما كان الحى يولد ويموت فان هذه السنة تجرى على الالفاظ فى اللغة ، فمنها مايموت اذا بطل استعماله ، ومنها مايولد اذا استحدثه اهل هذه اللغة ، فموت اللفظ وميلاده امران موكولان الى الاجيال المتعاقبة ممثلين فى كتابهم وادبائهم وعلمائهم .. ويصاحب هذا الاهتمام المقترن بالموقف النقدى حتى يكتب فى ١٧ ابريل ١٩٥٣ ان اللغة العربية لغة الكتابة فيها بعيدة عن لغة الكلام ، ولغة الحاضر قريبة من لغة الماضى ، وهذا انما يدل على قليل من التطور .. ويدلل على ذلك بقوله : أليست الشقه مابين اللغة العربية الفصحى فى عهدنا الحاضر ولغة العباسيين اقرب من الشقة مابين لغة العباسيين ولغة الجاهلية اليس هذا دليلا على ان اللغة العربية تطورت مابين عهد الجاهلية والعصر العباسى اكثر مما تطورت مابين العصر العباسى وعصرنا الحاضر ؟؟

واغرب من كل ماتقدم وابعده عن ظن كثير من العارفين بالعلامة السنهورى انه - رحمه الله - كان كثير الاستشهاد بالشعر ، وكان ينشىء منه ابياتا قليلة يحملها كثيرا من افكاره وبعضا من عواطفه واوراقه الشخصية عامرة بهذا الاستشهاد وذلك الانشاء .. ففى سنة ١٩١٦ ، وهو لا يزال بعد طالب فى كلية الحقوق ، يكتب فى اول ذكرياته ثلاثة ابيات يحملها همومه وهموم امته وهموم الحركة الوطنية فى مصر والعالمين العربى والاسلامى فيقول :

أأرضى ان انام على فراشى
وقومى المسلمين على القتاد
واهنأ فى النعيم برغد عيش
وقومى شتتوا فى كل واد



فلا نعمت نفوس فى صفاء

اذا نسيت نفوسا فى الصفاء

ولا يفلح علم القانون ، بانضباطه ومنطقه المحكم وقوالبه الصارمة فى ان يطفىء جذوة المشاعر الحية فى نفس السنهورى الشاب فاذا به فى ١٦ اكتوبر ١٩١٨ يعبر عن عشق عذرى يتأجج فى النفس الشابة الطاهرة فيقول من ابيات له :

واذكره فى خلوتى ومدامعى

تسيل وانفاسى جوى تصعد

اكاد اذا ماجئته ان ابثه

حديثى لولا اننى اتجلد

ومابى منه غير حب مطهر

عن الرجس والادناس والله يشهد

ويواتيه هاتف الشعر فى غير امور العشق والغزل ، فتقرأ له فى ٢٢ يونيو ١٩٣١ يصف مجلس النواب فى اعقاب الانتخابات التى اجراها اسماعيل باشا صدقى قائلا :

نواب هذا الشعب صفوا جندهم

وتحصنوا بسيوفه وحرابه

ما بالهم متوجسين كأنهم

لايدخلون البيت من ابوابه

وتحصنوا بالجند حتى يأمنوا

من كيد شعب امعنوا فى حربه

والشعب ينكرهم فهل من منصف

يأتى ليحمى الشعب من نوابه

ويتابعه هذا الهاتف الشعرى حتى وهو يدرس القانون ويتعرف على كنوز الشريعة فيكتب من بغداد فى ١٢ سبتمبر ١٩٤٣ مناجيا ابا حنيفة ، مادحا تجدد الفروع فى فقهه مع بقاء الاصول الثابتة فى منهجه فيقول :

ابا حنيفه هذا فقهكم بقيت

منه الاصول وقامت افرع جدد

ماذا على الدوحة الشماء ان ذهبت

منها الفروع وظل الجذع والوتد

وتستولى على شعره ـ فى كهولته وشيخوخته ـ نزعة تأمل فلسفى فتراه يكتب ـ فى القاهرة ـ فى ٧ اكتوبر ١٩٥٧ أبياتا عن القمر الصناعى يقول فيها :

اطلقوه كوكبا نحو الفضاء

فانظروا فى الجو هل راح وجاء

اترى جبار هذى الارض قد

صعر الخد لجبار السماء

ايهـا الانسـان لاتزه فمـا

انت فى الاصل سوى طين وماء

وتتسلل الى شعره سحابات هم دفين ، وعلامات ضيق لعلها صاحبت بداية اعتلال صحته ، فيكتب فى ٢٣ اكتوبر ٥٧ .

متى ينفد الصبر الطويل وتنقضى

ليال توالت كلها ظلمات

تعاليت هذا النور يعقب ظلمة

ويعقب مـوت المستكـن حياة

ولعل اخر ما انشأه من الشعر ، بيتان رددهما ، وهو يبدأ الحادية والسبعين من عمره :

وصلت الى السبعين ثم تركتها

وهانذا امشى لمرحلة اخرى

ومازلت اخطو خطوة بعد خطوة

وئيدا الى ان اخطو الخطوة الكبرى

ترى هل كان تلامذه السنهورى وقراء فقهه الواسع يعرفون عنه هذه الشاعرية الخفية التى جادت بها قريحته الفذة والتى كشفت عنها اوراقه الشخصية التى احتفظ بها لنفسه طول حياته

ثالثا : نظرته الى الفقه الاسلامى ، وخدمته للشريعة

كان السنهورى ـ رحمه الله ـ جادا فيما يقول ويكتب ، وكان محققا فى كل ما يبحث صبورا على مشاق البحث العلمي وما يقتضيه من غوص في المصادر الاصيلة ، واستقصاء لتلك المصادر ، وحيازته لادوات التفقه فى الشرائع المختلفة ، وهكذا كان اقترابه من الفقه الاسلامى منذ نشأته الاولى ، اقتراب الباحث عن الحقيقة المدقق فى مهمتها ، والامين ـ بعد ذلك فى عرضها .. ولم يكن اقترابه منها اقتراب المتعجل فى الأخذ او المتسرع فى العطاء او المؤثر للجهاد الاسهل على الجهاد العلمي الأفضل ، وتكشف اوراقه الشخصية فى مرحلة شبابه وطلبه للعلم عن اهتمامه بقضية اساسية هى قضية « التوفيق » بين العقل والنقل .. وهو توفيق لم يجد فيه صعوبة ولا عسرا ، فقد اعتقد ـ منذ نشأته ـ ان للعقل مدخلا الى التشريع الاسلامى ، وان الشرع والعقل لا يتناقضان .

يكتب ـ رحمه الله ـ فى ١١ مارس ١٩٢٣ وهو لايزال طالبا فى ليون بفرنسا « ان النبى (صلى الله عليه وسلم) لم يأت باحكام تتناقض مع العقل فى زمنه او توقع امكان تناقضها في المستقبل بل انه نظر الى امكان تطور العقل فأوجد فى الاحكام التى أتى بها مرونة وجعلها صالحة لكل زمان تطبق فيه .. وبعد . فهل العقل البشرى استقر على حالة واحدة ؟

ثم يعود ـ فيكتب فى ٢ سبتمبر ١٩٢٤ ، داعيا الذين يجتهدون فى استنباط أحكام الشرعية الاسلامية إلى أن يظلوا منتبهين إلى نسبية الاجتهاد ، وإلى أن الأحكام



التى يستنبطونها تظل ـ بدورها ـ قابلة للتطور .. فيقول : مهما كانت الحاجة الشديدة إلى النهوض بالشريعة الاسلامية وجعلها مطابقة لروح العصر الحاضر فلا يغيب عمن يريد القيام باصلاح من هذا القبيل أن يترك للشريعة مرونتها ويكتفى باستنباط أحكام منها تتفق مع العصر الذى هو فيه دون أن يرتكب فيقول لصلاح هذه الأحكام المستنبطة صلاحية مطلقة ، فقد يجىء عصر آخر تتغير فيه المدنية والأراء السائدة فى الوقت الحاضر ، وقد يكون بعض الأراء فى فقه الشريعة لايصلح فى الوقت الذى نحن فيه ويجب تعديله فى نظر البعض ، ثم يأتى عصر آخر يكون فيه نفس الرأى صالحا »

ومن المؤكد أن فكرة « إحياء الفقه الاسلامى » كانت واحدة من الأفكار الأساسية التى ربط بها السنهورى حياته[1] وقد تجلت فى ميادين عديدة أولها حرصه على وصل « التقنيات العربية الحديثة » بالفقه الاسلامى ، وحرصه على تصحيح منهج « الاحياء » ذاته ثم حرصه على إنشاء المعاهد والمؤسسات التى تقوم على ذلك الاحياء .. كما تجلت ـ فى النهاية ـ فيما نذر له نفسه عن الكتابة الجادة فى أدق أمور الفقه الاسلامى .

ولعل مادفعه على بعث هذا الموقف الايجابى من قضية احياء الفقه الاسلامى مالاحظه مبكرا حيث كتب من باريس فى ٢٨ يناير ١٩٢٤ قائلا : **إن المسلمين استطاعوا ان يبنوا مدنية زاهرة مع محافظتهم على عقائد الاسلام أما المسيحيون فلم يستطيعوا أن يتمدنوا إلا عندما تركوا الدين المسيحى بالفعل ..**

أما عن منهج احياء الفقه الاسلامى ، فقد حدده ـ بدوره فى مرحلة مبكرة من حياته العلمية ، حيث كتب ـ من باريس كذلك ـ فى ٢٤ فبراير ١٩٢٤ قائلا إن الاساس الذى يبنى على إحياء الشريعة الاسلامية يجب أن يكون كما يأتى :

١ ـ تمييز الاعتقاد الدينى المحض عن الشريعة باعتبارها قانونا لتنظيم علاقات البشر بعضها بالبعض (الفقه أو علم الفروع) .

٢ ـ فى نظام الفقه يؤخذ الجزء الخاص بالقانون ، ويستخرج منه القواعد العامة للشريعة الاسلامية ، وهى قواعد تصلح لعموميتها أن تطبق فى كل زمان ومكان ، وتعتبر هذه القواعد أصولا للشريعة الاسلامية .

٣ ـ هذه الأصول لاتتغير باعتبارها أصولا ، ولكن تطبيقاتها تختلف (أولا) باختلاف الدين (ثانيا) باختلاف الأمم ثم يضيف .

« وأزيد هنا أنه فى احياء الشريعة الاسلامية لاينبغى الاقتصار على كونها شريعة صالحة لتطبيقها على المسلمين فى العصر الحاضر بل على غير المسلمين أيضا وليس معنى هذا إرغام غير المسلمين على اتباع قواعد لاتعتبرها معتقداتهم وأديانهم المختلفة التى يجب احترامها احتراما تاما ، وإن معناه أن تكون حركة إحياء الشريعة الاسلامية مبنية على اساس لايتناقض مع هذه المعتقدات ..

والواقع أن السنهورى - رحمه الله - كان متنبها منذ بداية تفكيره فى قضية إحياء الفقه وتجديد نهضة العالم الاسلامى إلى أن هذه الدعوة لايمكن - أبدا - أن تكون دعوة مفرقة بين المسلمين والمسيحيين فهو يكتب من ليون فى ١٨ اكتوبر ١٩٢٣ قائلا : « وأرى أن المدنية الاسلامية هى ميراث حلال للمسلمين والمسيحيين واليهود المقيمين فى الشرق فتاريخ الجميع مشترك والكل تضافروا على إيجاد هذه المدنية » .

على أن تناول السنهورى لقضية العلاقة بين الحضارة الاسلامية والحضارات الأخرى ظل محكوما - طوال الوقت - بمنهج العلم وموضوعيته لابملاءمات السياسة وتكونها .. فنجده يقول فى مقدمة كتابه الجليل عن مصادر الحق فى الفقه الاسلامى ، فى الدروس التى ألقاها عامى ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ على طلبة قسم الدراسات القانونية بمعهد الدراسات العربية « أن همه فى البحث لن يكون إخفاء مابين الفقه الاسلامى والفقه الغربى من فروق فى الصفة والاسلوب والتصوير بل على النقيض من ذلك سنعنى بابراز هذه الفروق حتى يحتفظ الفقه الاسلامى بطابعه الخاص ، ولن نحاول أن نصطنع التقريب مابين الفقه الاسلامى والفقه الغربى على اسس موهومة أو خاطئه ، فإن الفقه الاسلامى نظام قانونى عظيم له صنعة يستقل بها .. وتقضى الدقة والأمانة العلمية علينا أن نحتفظ لهذا الفقه الجليل بمقومات طابعه ونحن فى هذا أشد حرصا من بعض الفقهاء المحدثين ، فيما يؤنس فيهم من ميل إلى تقريب الفقه الاسلامى من الفقه الغربى »

وهكذا التزم العلامة منهج الأمانة والموضوعية وهو يمارس رسالته الجليلة فى أحياء الفقه الاسلامى ... وليت منهجه هذا يكون أسوة حسنة لجيل معاصر من الشباب والنساء تؤرقه الرغبة فى إحياء الفقه الاسلامى ، ولكن كثيرين منهم يفتقدون المنهج العلمى الصحيح فى ممارسة هذه التبعة الكبيرة ، أو تضيق صدورهم عن تحمل مشقات البحث الدءوب وتبعات الجهاد الأفضل فى ميدان لايصلح له ولايغنى فيه الجهاد الأسهل ..

وبعد .. هذه إطلالات سريعة على حياة غنية بالعطاء متعددة الظلال والألوان .. عرف منها رجال القانون جانبا وغابت عنهم جوانب .. فاردنا بهذه الكلمات السريعة أن نعلن عن بعض تلك الجوانب فى شخصية عالم عاش متبتلا لعلمه منقطعا لرسالته ، عازفا عن كل صور الاعلان عن المهام الجليلة التى حملها بحقها وأدى أمانتها كأحسن مايكون الأداء .

(١) كتب - رحمه الله - فى الاسكندرية فى ١٢ اغسطس ١٩٥١ يقول «وقد إزددت يقينا وانا اليوم استقبل السابعة والخمسين فى عمرى بان مشروع الفقه الاسلامى ومايبنغى لهذا الفقه المجيد من دراسة علمية فى ضوء القانون المقارن قد انغرس فى نفسى ، واصبح جزءا فى حياتى يكبر معها ولكنه لايشيب ولايهرم .

قراءة مصرية فى :

"أوراق هنرى كورييل"

بقلم : طارق البشرى

ظهر فى يناير كتاب بعنوان « أوراق هنرى كورييل والحركة الشيوعية المصرية » تضمن سيرة ذاتية أعدها كورييل فى ١٩٧٧ وقدم فيها ذكرياته عن الحركة الشيوعية حتى سنة ١٩٤٨ ، وذلك بوصفه مؤسسا لواحد من أهم التنظيمات الشيوعية فى مصر . وتضمن الكتاب بعض تقارير كان كورييل كتبها ، ورسائل كان ارسلها فى الخمسينيات من الخارج الى بعض اخوانه فى مصر . وقدم لهذه الأوراق الاستاذ الدكتور رؤوف عباس رئيس قسم التاريخ بجامعة القاهرة . وهى مقدمة طويلة وهامة تضمنت دراسة للأوراق المنشورة واستخلاصا للدلالات التاريخية منها .

● وأهم مايلفت النظر هو دور اليهود الأجانب فى تأسيس الحركة الشيوعية فى مصر ، ومغزى نشاطهم طوال الأربعينيات ، وهو موضوع تناوله عدد من الكتاب فى السنوات الأخيرة . وكنت أنا قد واجهت هذا الموضوع عند إعدادى للفصل الخاص بالحركة الشيوعية فى كتاب لى نشر سنة ١٩٨١ بعنوان « المسلمون والاقباط فى إطار الجماعة الوطنية » . فتكشف لى دور اليهود الأجانب فى هذا الأمر ، وذلك من مطالعة مراجع الحركة الشيوعية التى أعدها شيوعيون ، واستندت فيما كتبت على تلك المراجع وعلى ما أثبته على ألسنة من شاركوا فى الحركة الشيوعية فى ذلك الوقت ، وذلك حتى لاتلتبس مصداقية الأحداث المروية ، ثم عرضت نقدا لأساليب تلك المراجع فى تجميع المادة والتطبيق عليها ، واعدت بناء الوقائع وفقا للسياق الذى بدا لى أكثر معقولية وواقعية .

وكانت النتائج العامة التى أسفر عنها البحث هى :

أولا : إن دور اليهود فى الحركة الشيوعية لم يقتصر على الأربعينيات ولا على مصر . فقد عرفهم الحزب الشيوعى الذى تأسس فى العشرينيات ، سواء مؤسسين "كروزنتال" أو مندوبين للدولة



هنرى كورييل



الشيوعية (الكومنترن) مثل « فيجدور » كما عرفتهم الحلقات الماركسية القليلة التى ظهرت فى الثلاثينيات . وكذلك عرفتهم الأحزاب الشيوعية التى ظهرت منذ العشرينيات فى بلاد المشرق العربى بصفة خاصة ، إذ كان السكرتير العام للحزب الشيوعى اللبنانى هو "كالوب تبير" اليهودى الروسى الأصل ، وتزعم الحزب الفلسطينى ، يهودى يدعى "أبو زيام" وكذلك فى العراق .

ولا نجد تلك الظاهرة بهذا الوضوح فى الاحزاب الشيوعية فى المغرب العربى ، ولذا كان يجب تفسير ذلك بأن قوة الحزب الشيوعى الفرنسى مكنت من أن تصير أحزاب المغرب العربى شبه فروع للحزب الفرنسى ، فلم يظهر دور هام لليهود فيها ، فإن سوريا ولبنان كانا تحت السيطرة الفرنسية فى الوقت ذاته ولا يبقى الا سبب خاص يجذب اليهود للعمل السياسى فى احزاب المشرق العربى . كما أن موفدى الدولية الشيوعية وكبار المسئولين فيها عن الشرق الأوسط كانوا غالبا من اليهود . وقد أثبت بعض قدامى الشيوعيين المصريين ان هؤلاء المسئولين كانوا ينفذون اغراضا صهيونية .

ثانيا : بدا لى أن هذا الوجود اليهودى الأجنبى فى الحركة الشيوعية المصرية ، لم يكن بعيدا عن التحرك الصهيونى فى منطقة المشرق العربى المتاخمة لفلسطين ، وبخاصة فى الأربعينيات ، وهو التحرك الذى اسفر عن انشاء دولة اسرائيل فى ١٩٤٨ كما أن هذا الوجود كان يوجه نشاط الحركة الشيوعية فى مصر وجهة المجابهة ضد تيار الحركة السياسية الاسلامية وضد تيار الحركة السياسية القومية المتشددة وذلك بوصف أن هذين التيارين تياران نازيان أو فاشيان مما يعتبران اكثر خطرا على البلاد حتى من الحكومات المصرية الموالية للاحتلال البريطانى .

ثالثا : ان هذا التوجه اليهودى الأجنبى للحركة الشيوعية كانت له مناسبة اخرى من منتصف الثلاثينيات ، وهى الغاء الامتيازات الاجنبية واستعادة مصر سيادتها الكاملة على التشريع والقضاء . وهذا الأمر جعل الأجانب المقيمين فى مصر يتوجسون خيفة من ضياع امتيازاتهم الاقتصادية والاجتماعية ، ويحذرون من الأنشطة السياسية المصرية التى من شأنها التأثير على القرارات السياسية للدولة مما يمس مراكز هؤلاء الأجانب . وبدأوا يسعون لأن يكون لهم دور ما فى الحركة السياسية المصرية ويشجعون عددا من أفراس الرهان منها

الحركة الشيوعية ، وحسبهم منها أن تكون ركيزة لمقاومة التيارين الاسلامى والقومى وهما تياران شعبيان ، وان تكون بوتقة لتذويب الشعور المصرى بالتميز والاختلاف عن الأجنبى .

رابعا : بدا لى ان جزءا من الصراع السياسى داخل الحركة الشيوعية ، كان مصدره سعى الأجانب اليهود لاستبقاء هيمنتهم عليها ، وسعى بعض الشباب الوطنى لتوجيه الحركة وجهة بعيدة عن نفوذ الأجانب بها .

ومن جهة اخرى فقد اغرانى النظر فى تلك الوقائع بالتنقيب عن اساليب العمل السياسى والتنظيمى التى موزست وكيف امكن لقلة اجنبية يهودية فى ظروف صعبة للغاية ان تسيطر هكذا على حركة تضم مصريين على ارض مصر وتستبقى نفوذها حتى بعد تهجيرها من مصر . وهى قلة ليس لها نفوذ فى الحكم يمكنها من استخدام ادوات الحكومات فى السيطرة اننا هنا أمام تجربة يمكن أن نستخلص منها دروسا كثيرة فى فن السياسة .

وفى ١٩٨٤ صدر كتاب « مستقبل النظام الحزبى فى مصر » للأستاذ محمد سيد أحمد ، وجاء به ، « لابد أن تستوقفنا حقيقة أن ابرز الذين أعادوا تأسيس الحركة الشيوعية المصرية فى السنوات الأولى للحرب العالمية الثانية كانوا من اليهود بالذات ، ولا أشك فى اخلاص هؤلاء اليهود ، وكان العديد منهم أصدقاء شخصيين لى ، ولكنى اقول أن ثمة سؤالا لابد أن يطرح حول الدافع الى تحركهم فى ذلك الوقت تحديدا ، وتصعب نسبة هذا التحرك الى الصدفة فقط ، فهل كان الدافع هو انشاء حركة مستقلة للطبقة العاملة المصرية كما كانوا يدعون ، وهم بعيدون كل البعد عن بيئتها ؟ أم كان الدافع الدفين غير المعلن ، ربما حتى لأنفسهم ، هو اطلاق حركة لدى الرأى العام المصرى والمثقفين الوطنيين والشباب المتحمس ، كفيلة بحمايتهم كجالية فى وجه توجه العديد من هؤلاء الى النازية . والسؤال ذو أهمية ، ذلك أن هؤلاء اليهود كانوا لابد من أن يطبعوا التنظيمات الشيوعية وقت تأسيسهم لها بطابع خاص » ثم أشار الى حادثة أكدت لديه حرص العناصر اليهودية فى الاحتفاظ بمواقع القيادة وفرض الوصاية ، وان هذا العنصر عاق الحركة الشيوعية وصار عنصرا مدمرا مع تأسيس دولة اسرائيل .

وفى ١٩٨٥ نشر سعد زهران كتابه « فى أصول السياسة المصرية » ذكر به « ان بريطانيا بعد ١٩٣٦ كانت شجعت اشكالا من النشاط الجماهيرى المعادى للفاشية بين الجاليات الأجنبية ، ونهض بهذه المهمة مجموعة من الأجانب والمتمصرين غالبيتهم من اليهود الماركسيين الذين اجتمع لديهم حافز الخوف من هتلر مع القدرة على استخدام الماركسية » . كما ذكر أن الحركة الشيوعية نشأت مقسمة متنافسة تنظيماتها ومتنابذة دون سبب واضح ، وان غالبية القيادات والكوادر المسئولة كانت من الأجانب واليهود خاصة حتى رحل عدد كبير منهم فى سنة ١٩٤٨ وان بعضا ممن ترك مصر ظل يمارس نفوذا قويا على بعض القيادات المصرية . وذكر أن العناصر المصرية لم تكن فى مستوى فكرى يؤهلها من مساجلة القادة المحترفين من اليهود الأجانب « المدربين

على استخدام النظرية وتطويع نصوصها لخدمة توجهاتهم ويتوفرون على امكانيات هائلة ، ولو يترددون فى استخدام الضغوط المادية والاغراءات الحياتية » ... « وفى أواخر ١٩٤٧ بعد قرار الأمم المتحدة بتقسيم فلسطين والتأييد الفورى الذى حظى به القرار من جانب تلك القيادات الأجنبية التى يغلب عليها العنصر اليهودى ، بل وحماستها بالتمهيد للقرار ، والاندفاع فى تزيين فكرة اقامة دولة صهيونية على أرض فلسطين ، والاستعداد للاحتفال بمولد تلك الدولة ، كل ذلك عمق الهوة التى تفصل القيادات الاجنبية عن قواعدها المصرية » ، وذكر ان الحركة الصهيونية العالمية وفقا لتقاليد اللعب على اكثر من حصان والظهور اكثر من وجه ، وكانت تقف بقدم فى المعسكر الامبريالى العالمى ، وبقدم اخرى فى معسكر اليسار العالمى الاوربى ، ثم يشير فى موضع آخر من الكتاب الى النفوذ القوى الذى تتمتع به اليهودية العالمية فى اوساط اليسار الأوربى الاشتراكى والشيوعى على سواء ، وفى الامميتين الثانية والثالثة معا ، وان السوفييت كانوا يرون صالحا لهم طويل الأمد فى اقامة دولة اسرائيل عسى ان تخلصهم من هذه الاقلية المكلفة التى تبلغ خمسة ملايين يهودى روسى .

وعندما يقال اليهود الأجانب فى الحركة الشيوعية فى مصر ، يقفز اسم كورييل كرمز وعلم وكأكبر شخصية فى هذا المجال ، لذلك كان من الطبيعى ان يحتفل المهتمون بقراءة مانشر من « أوراق هنرى كورييل » والسؤال هو ماذا نرى فى هذه الأوراق مما يمس موضوعنا هذا ، الوجود اليهودى فى الحركة الشيوعية فى مصر ، ودوافعه وآثاره ، ومن هو كورييل كوعاء نفسانى بشرى للدور الذى قام به .

وأول مايراه القارىء فى مذكراته اعتذار كورييل عما عسى ان يوجد من نقص لأن هذا هو كتابه الأول يكتبه وهو فى الثالثة والستين ، وهو لايجد اصعب على نفسه من الافصاح عما يريد « لأن الأوضاع المركبة قد يساء فهمها حين يشرحها عجوز مقتلع من جذوره » .

١ ـ وهنرى كورييل حسب ما كتب عن نفسه من اسرة يهودية نزعت الى مصر من اسبانيا حوالى ١٨٥٠ ، ولد بقصر بالزمالك سنة ١٩١٤ من اب صاحب بنك وام يهودية ولدت فى استانبول وعمدت نصرانية ، وعمدت اولادها سرا ، وانتحلت الأسرة الجنسية الايطالية مدعية نسبها الى مدينة ليفورن التى كان احترق ارشيف المواليد والوفيات بها ، وسبب انتحال الأسرة للجنسية الايطالية ان تتمتع فى مصر بالامتيازات الأجنبية ، فهى اسرة حديثة عهد بمصر اقتلعت من اسبانيا واختارت عيش الاجانب فى مصر التى نزعت اليها قبل مولد هنرى بستين سنة ، واصطنعت نسبا للايطالية تعيش به فى مصر ، وكانت عادة الأسرة ان ترسل شبابها الى فرنسا يتعلمون هناك .

ولما أجل سفر هنرى الى فرنسا فى ١٩٣٠ بسبب الأزمة الاقتصادية ارتاع وقال فى مذكراته « كان من الصعب على يهودى ايطالى تخرج فى مدرسة فرنسية ان يجد نقطة ارتباط حقيقية فى بلد مسلم ، كانت فرنسا هى الوطن الوحيد الذى شعرت بالارتباط به ، بعد أن فقدت ايمانى مبكرا » . ولما قامت الحرب تطوع فى الجيش الفرنسى سنة ١٩٤٠ ولكن لم ينفذ هذا التطوع ، وفى موضع آخر يقول انه فقد ايمانه فى سن مبكر ، فقد كان

قراءة مصرية في :

"أوراق هنري كورييل"

حسب قوله يهوديا في مدرسة كلها مسيحيون في بلد جلّه مسلمون ، فأدرك من هذا « نسبية العقائد » .

ونحن نلمح في هذا التكوين انسانا مقتلع الجذور ، ذا تكوين وجداني وتربوي خاص جدا ، لذلك يمكن أن نفهم جيدا قوله : « ان العديد من الغرائز ينقصه » . ويتساءل عما اذا كان يحتاج الى القول بأنه لم يشعر بنفور في مواجهة عملاء المخابرات الانجليزية ، وان كان حسب الأمر بأنه لايستطيع اقامة علاقات بالتقدميين المصريين وهو متورط مع الانجليز ، فاموره تتشكل وفقا لحساباته دون دخل لأي عواطف ، أو « غرائز » مثل هذا التكوين الوجداني يتلاءم بشدة مع انشطة الاستخبارات .

٢ ـ ننظر الى وجهة نظره في الظرف السياسي الذي رآه في مصر في النصف الأخير من الثلاثينيات ، وهي ذاتها الرؤية التي حركت شباب الاجانب المتمصرين للعمل السياسي في ذلك الوقت ، وكورييل واحد منهم ، يقول ان السياسة الانجليزية حتى ١٩٣٥ كانت تستند الى حماية مصالح الاقليات الاجنبية ، فلما بدأت تواجه الخطر الايطالي والألماني في سنة ١٩٣٥ اجرت تغييرا هو « التخلي الكامل أو شبه الكامل عن هذه الأقليات الأجنبية » ومحاولة التوصل الى تسوية مع الوفد ، وهذا مكن الوفد من أن يفرض على الأجانب اشراك مصريين معهم في مشروعاتهم .

ومن ناحية اخرى صارت الحركة الوطنية في مصر في ذروة الاضطراب حسبما يذكر كورييل لأن هناك عناصر « ستتحالف معظمها مع النازيين والفاشيين » .

ثم يتعرض للأجانب فيقول ان اليونانيين في مصر كانوا يناضلون داخل جالياتهم ، وهناك فرنسيون وانجليز كانوا يعملون في احزاب بلادهم ، ولكن هناك الآخرين وهم اساسا يهود من جنسيات مختلفة « لم يتأثروا كثيرا بالمشكلات الوطنية الداخلية [و] كانوا بالطبع ينفرون من الفاشية التي فتنت الكثير من الوطنيين المصريين » .. ومثل هذه التغيرات كان يشار بها في الأدب الماركسي وقتها لمصر الفتاة والاخوان المسلمين . ثم يقول كانت الشيوعية هي الجانب الوحيد الذي يعترف بهم اليهود كمصريين .

وكورييل لايرى غرابة في وجود هؤلاء في السياسة المصرية ، ولايرى غرابة في دوافعهم ، بل يجد الغرابة في العقد التي كانت لدى بعض الشيوعيين من وجود هذا القسم اليهودي من الأجانب في العمل السياسي المصري اما ان يقوم هؤلاء بوضعهم الاجنبي المتميز وبدوافع تبدأ بكونهم جاليات اجنبية ، على رأس تنظيمات سياسية مصرية تقاوم حركات شعبية اسلامية وعربية مصرية باسم انها حركات فاشية فهذا ليس غريبا لدى كورييل ، ونحن نلحظ هنا ان الأسباب التي ساقها كورييل واقعية وان نظرته تنسجم مع وضعه هو وزملائه بوصفهم اناس مقتلعي الجذور ، ولكن الغريب ان يوجد من بيننا نحن من ينظر الى الأمور بنظرة هؤلاء .

ويتفق مع وجهة كورييل نوع نشاطه

السياسى فى تلك الفترة وقد اورد ملاحظة على نوع نشاطه كانت تفوت على كثير من المهتمين بهذا الأمر ، انه يقول ان كانت المهمة الرئيسية للشيوعيين الأجانب والمصريين هى « الدعاية لأفكارهم ومضاعفة عدد الأشخاص الذين يعتنقون الشيوعية كمذهب مجرد لاتزال تطبيقاته العملية مبهمة على اقل تقدير » . فكان النشاط يتعلق اذاً بدعوة مذهبية اكثر مما يقوم كبرنامج سياسى ، يتعلق بترويج ايديولوجى فى الأساس ، واولوية هذا الأمر هنا تتفق مع الوجهة الاجنبية اليهودية من السعى لتكوين منطقة ايديولوجية فى السياسة المصرية وبين الشباب ، منطقة تصلح مكانا وموئلا للوجود الاجنبى فى السياسات المصرية ، كما نلحظ الوجهة الاجنبية ايضا فى ترتيب الأولويات بالنسبة للسياسة الدولية ، اذ تعلقت اهتمامات رئيسية ، ضد العدوان الايطالى على الحبشة ، ضد عدوان اليابان على الصين ، ضد فرانكو فى اسبانيا ، ان الأولوية هنا رسمت على اساس العداء للفاشية ، ولدول المحور بخاصة وليس العداء للاستعمار بعامة ، كما رسمت فى اطار منظور اوروبى وليس من منظور شرقى .

٣ ـ اننا فى قراءتنا لهذه الأوراق نجد أن كوربيل يرد قيام الحركة الشيوعية فى مصر الى عوامل خارجية فى الأساس ، وليس الى العوامل الداخلية والتفاعلات الاجتماعية التى يعتبرها المنهج الماركسى اساس ميلاد الظواهر وتغيرها ، يقول كوربيل ان تحقق ميلاد الحركة الشيوعية فى مصر جاء فى ظروف هى : العدوان النازى على الاتحاد السوفييتى فى يونيه سنة ١٩٤١ ، وجاءت فى ٤ فبراير ١٩٤٢ ، وانتصار الروس على الالمان فى ستالينجراد فى فبراير ١٩٤٣ ، فهى ثلاثة اسباب منها سبب مصرى داخلى واحد ، هنا تحكمت النظرة الاجنبية فى ادراك صاحب المذكرات لعوامل الظهور .

ومن أهم مايشير اليه كوربيل فى نشاطه السياسى خلال الحرب انشاء مكتبة الميدان التى كانت توزع الكتب الماركسية تسهم بها فى نشر هذا الفكر ، ويقول انها قامت بدور كبير كحلقة اتصال ، لأن مصر كان بها نحو مليون من جنود الحلفاء بسبب الحرب . وكانت المكتبة تتلقى كتبا بكل لغاتهم وهم فرنسيون وانجليز واستراليون ونيوزيلنديون وسنغاليون ويونانيون وبولنديون ويوغسلافيون وفلسطينيون ويهود ، وذلك خلاف الكتب الالمانية والايطالية التى كانت توزع فى وحدات اليهود داخل معسكرات الاعتقال ، ويمكن للقارىء ان يعجب بالنسبة لامكان القيام بهذا النشاط بين الجنود فى غفلة عن اجهزة الاستخبارات البريطانية ، التى يعترف كوربيل فى مجال آخر بان كان لها اهتمام بالنشاط المعادى للفاشية الذى يقوم به اليهود والماركسيون فى النوادى الثقافية كالنادى الديمقراطى .

وهذا التوجه الأجنبى يشير اليه كوربيل فى وضوح بالنسبة لمجموعات من زملائه كان هدفهم تكوين مجموعات من الشيوعيين الاحسن اعدادا من الآخرين وتتويج هذه المجموعة باعتراف من الدولية الشيوعية ، وهو فى مناسبة اخرى عز حديثه عن الوحدة التى جرت فى ١٩٤٧ بين الحركة المصرية للتحرر الوطنى ومنظمة اسكرا يقول « من الآن فصاعدا

"أوراق هنري كورييل"

اصبحت جميع القوميات ممثلة بدرجة كافية » ولا يدرى القارىء هل كورييل يتكلم هنا عن جماعة دولية ام عن حزب مصرى المفروض ان يضع برنامجا لتغيير الاوضاع المصرية وان يسعى للوصول الى حكمها لتطبيق برنامجه او تحقيق مايراه من اهداف عامة كبرى ، وهل يمكن ان تقوم حركة سياسية تقود مصريين ويمكن ان تصل للحكم وتكون ممثلة لجميع القوميات بدرجة كافية ... أليس هذا تحقيق امثل لمشروع كرومر الذى اعده ودعا اليه فى اوائل القرن لتحكم مصر مجالس تمثل الأجانب بحسب ان مصر فى رأيه جماعة دولية ... اننا نثير هذه الأسئلة حتى يمكن لمن يهمه الأمر ان يفرغ قليلا لبحث (مفهوم الجماعة السياسية بمصر فى نظر كورييل) .

٤ ـ وأثناء الحرب كان لكورييل وتنظيماته السياسية نشاطها مع من يسميهم « يهود فلسطين » وهى عبارة لاتلتبس لدى القارىء المصرى والعربى فهى لا تعنى لديه غير الصهاينة فيما يبدو والفرقة التى كونوها ايام الحرب لتعمل مع الحلفاء ، وهو العمل الذى اكسب الصهاينة خبرة وتدريبا استخدموه بعد الحرب فى طرد الفلسطينيين العرب وقتلهم وتذبيحهم حتى نشأت دولة اسرائيل ، كما استغلت فى قتال الجيوش العربية ومنها الجيش المصرى فى ١٩٤٨ .

يذكر كورييل ان المجلة المعادية للفاشية التى اصدرتها « الحركة المصرية للتحرر الوطنى » كانت موجهة الى معسكرات الاعتقال باللغة الالمانية وقام بتوزيعها ايضا الجنود اليهود والفلسطينيون ويبدو ان مثل هذه الانشطة وغيرها هى مما جعل الحزب الشيوعى الفرنسى يتهم كورييل بالعمل مع المخابرات البريطانية حسبى ذكر كورييل فى هذه المذكرات .

● مظاهرات ضد السامية

ويشير كورييل أيضا إلى أن « الاتحاد الديمقراطى » الذى أنشأه الماركسيون كان يعقد اجتماعاته الأولى فى مركز محفل ماسونى ايطالى ، فالماسونيون أعداء منطقيون للفاشية التى تضطهدهم وقد أصبح بعضهم مناضلين شيوعيين .

بهذه الرؤية ومن هذا الموقف ينظر كورييل إلى المظاهرات الشعبية الكثيفة التى جرت فى ٢ نوفمبر سنة ١٩٤٥ بمناسبة ذكرى وعد بلفور وتضامنا مع شعب فلسطين فى جهاده ضد الصهيونية يقول كورييل فى وصف ذلك اليوم : « حاول الأخوان المسلمون بتحريض من الامبريالية والحكومة المصرية اثارة المظاهرات المعادية للسامية وقاموا بالفعل بمذبحة حقيقية فى حماية البوليس ، ولكن الحركة المصرية للتحرر الوطنى استعدت لهذا اليوم وكشفت هذه المناورة » ..

ويذكر فى تقرير آخر كتبه فى ١٩٥٥ عن حرب فلسطين : « أعلنت الأحكام العرفية فى البلاد فى ١٥ مايو سنة ١٩٤٨ وبدأت الحرب الظالمة ضد دولة اسرائيل » ويصف هذه الحرب بأنها : « الحرب الاجرامية » وانها حرب امبريالية ظالمة .

٥ ـ بقيت بعض نقاط سريعة ، فهو يعتبر أن اعتقاله أثناء الحرب كان أول غوص له فى واقع السياسة المصرية ، فقد عرف فى تلك الفترة إلى أى مدى يكره

المصريون الانجليز ، وهكذا فإن أبجدية السياسة المصرية فى ذلك الوقت عرفها كوريبل وهو فى الثامنة والعشرين من عمره ، وعلق على هذا بقوله : « ان كان هدفهم هو النضال ضد المحور واذا كانت انجلترا تقاتل ضد المحور وينبغى مساعدتها ، فان ذلك سيؤدى الى حرمانهم من اهتمام الرأى العام المصرى ، لذلك وجد الطريق الأمثل هو اتخاذ موقف ثابت ضد الامبريالية ونشر الشعور بالحب نحو الاتحاد السوفييتى » اننا عندما نقرأ نص حديثه (ص ١٠٧) هنا نجد أنفسنا ازاء عقل حاسب مجرد ليس فيه عاطفة انتماء مرئى أو عاطفة كراهية ثابتة إلا ضد المحور ، أما العداء للامبريالية فهو خطة ووسيلة ، وحب الاتحاد السوفييتى هو أيضا خطة ووسيلة واطلاق اسم الحركة المصرية للتحرر الوطنى هو ادخال فى هذه الحسابات لولا ان المصريين أضفوا عليها من صواب موقفهم .

وهو يصوم مع صائمى رمضان فى المعتقل لأن حديث الشبعان لايحرك وجدان الجائعين ، ويفكر تحت ضغط الهجوم الألمانى على مصر ان يتمصر بأن يعتنق الاسلام ثم يعدل اعتزازا بنفسه ، ثم هو يختار لحركته الشيوعية اسما بعيدا عن هذا اللفظ لأسباب منها أن الدعاية تصور الشيوعية مرادفا لأكثر المبادىء شذوذا ، ويعتبر من اسموا تنظيمهم صراحة باسم الحزب الشيوعى المصرى يرتكبون غلطة سياسية عميقة وهى خداع الجماهير فمنطقه أن من يخفى هويته لايخدع الجماهير ومن يجهر بها يخدع الجماهير ، وعلى كل حال يعد كوريبل من اكبر من أرسى تقاليد التقية فى العمل السياسى فى مصر ، وهو اخفاء الهوية ويذكر انه هو من اقترح فصل السودانيين عن التنظيم المصرى ليقيموا تنظيمهم الخاص وذلك بغير رضاء من السودانيين .

إن كان كوريبل رجل عمل وتنظيم ، ومثل هؤلاء يغلب عليهم العمل الصامت أو حتى الكلام الصامت ، أى الحديث الذى يهدف الى احداث آثار عملية محددة فى كل ظرف محدد ، وما جعل فى حديثه بعض الايضاح لنا انه طال به الأمد بعيدا عن مصر والمصريين فصار حديثه كأنه موجه فى الأساس لقارىء غير مصرى بمراعاة المواصفات الخاصة للتكوين الفكرى للرأى العام المصرى .

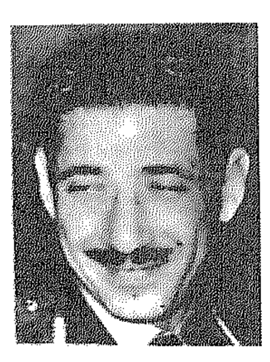
وعلى كل حال فان أوراق كوريبل تنضاف الى مراجع الحركة الشيوعية فى مصر من حيث بيان دور الأجانب واليهود بها فى زمن نشأتها ونموها خلال الاربعينيات ، وعسى أن يكون فيها ما يؤكد النتائج البحثية التى أوردتها فى بداية هذا الحديث وما يؤكد شهادات الاستاذين الكبيرين محمد سيد أحمد وسعد زهران وفقا لما اثبتاه بحكم تجربتهما الطويلة الصادقة وان الدراسة التى قدم بها الأستاذ الدكتور رؤوف عباس كتاب « أوراق هنرى كوريبل » تتميز بدقة الاستخلاص والموضوعية المفرطة وعمق التناول وبها يضيف الى المكتبة التاريخية المصرية عملا جادا رصينا كعادته فيما قدم من قبل .

كل ما أريد أن انهى به حديثى أننا قد نختلف ونتصارع حول قضايا كثيرة ولكن ينبغى أن ندرك دائما أن للفكر وللممارسة السياسية فى اطار الجماعة حدودا كحدود الوطن الجغرافية لايجوز تجاوزها ولا انتهاكها ، ومع الاحترام الصارم للاطار العام للجماعة الوطنية ومكوناتها الأصلية فلنختلف ولا تثريب .

مذكرات ثروت عكاشة

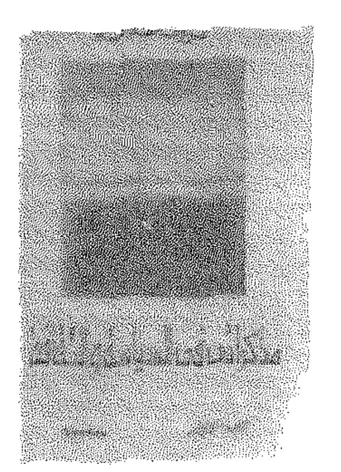
عرض وتعليق:
د . أحمد عبد الرحيم مصطفى


عبدالناصر


عبدالحكيم عامر

كثرت المذكرات التى خطها شهود ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وغيرهم وسجل فيها كل منهم خواطره عن الاحداث وتقييمه للاشخاص ، بل لقد اقحم كثير ممن جروا وراء الكسب والشهرة انفسهم على التاريخ ووضعوا انفسهم فى مركز الدائرة بالنسبة الى ما كتبوا ، مما ادى الى استشراء البلبلة المرتبطة باختلاط الحابل بالنابل ، خاصة ان وثائق هذه الفترة قد لا ترى النور قبل مضى وقت قد يطول وقد يقصر ، وقد لا يظهر بعضها الى الابد وذلك نتيجة لكون بعض الانفعالات لا تتم بالوسائل التقليدية ، بل بأدوات الاتصال الحديثة التى قد لا تترك اثرا يستفيد منه المؤرخ ، كما ان ثمة اسبابا قد تحمل المسئول على التخلص من بعض القرائن الحساسة ، ومن ذلك ما تأكد من ان انطونى ايدن قد تخلص من الاوراق المتصلة بالمؤامرة الثلاثية ضد مصر التى نسجت خيوطها فى عام ١٩٥٦ بين فرنسا وبريطانيا واسرائيل . وعلى اى حال فإن التاريخ قابل باستمرار لاعادة التشكل نتيجة لما يصدر تباعا من معلومات وخواطر وبخاصة حين تخف ـ او تزول ـ الحساسيات المرتبطة بالاحداث بعد مضى فترة ما عليها .

● والمذكرات التى نعرض لها ذات اهمية خاصة لقرب كاتبها من مسرح بعض الاحداث التى شهدتها مصر منذ اواخر الاربعينيات وحتى عام ١٩٧٢ ، بالاضافة الى كونه مؤلفا ومترجما وباحثا وذواقة للادب والفن ، ورغم تحريه الصدق والموضوعية وعدم تعمده التجريح او الامعان فى الثناء فإننى لا أتفق معه فيما



فى السياسة والثقافة

ذهب اليه من ان التاريخ لا يمكن ان يكتب بموضوعية حقة الا بعد انقضاء فترة مناسبة على الاحداث بحيث تتضح الصورة - ومن ثم فإنه يرى ان كتابة التاريخ من واقع مذكرات كتاب معاصريه تتضمن نوعا من الانحياز او العجلة او السير في ركاب السلطة القائمة ، وبالتالى فإنه يجزم بان التاريخ الحق لا يكتب الا باقلام مؤرخين غير معاصرين للاحداث حتى لا يكون ثمة ادنى شك فى نزاهتهم وبعدهم عن الاغراض والمصالح المادية .

واذا صح هذا القول فإن كثيرا من التواريخ التى سجلها معاصرون للاحداث - ومنهم الجبرتى ، على سبيل المثال - لا يجوز اعتبارها تاريخا ، وهذا من قبيل الشطط ، اذا ان اهمية تاريخ الجبرتى تكمن فى ان كاتبه كان معاصرا لاواخر العهد المملوكى ، العثمانى وللحملة الفرنسية واوائل عصر محمد على ، والموضوعية التاريخية ، اخر الامر ، مسألة نسبية ، وهى شديدة الارتباط بنزاهة الكاتب وتحريه الدقة فيما يكتب ، مع وضعنا في عين الاعتبار انه لا توجد

د . ثروت عكاشة



حقيقة مطلقة وان الباب مفتوح دائما أمام الاجتهاد ، والمادة التاريخية التى يسجلها معاصرون للاحداث وغيرهم من لم يعاصروها يكمل بعضها بعضا .

● اعتماد على الذاكرة

وامعانا من الدكتور ثروت عكاشة فى

تحرى الموضوعية فإنه يؤكد انه لم يكتب مذكراته ليؤرخ لثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ بل انه لم يسجل الا ما شارك فيه من احداث او جرى تحت سمعه وبصره ، حقيقة انه اعتمد على ذاكرته فى كثير من المواضع ولكن يبدو انه قد استعان بما احتفظ به من اوراق رسمية وغير رسمية ، وبالامكان القول بأن مذكراته تنم عن حاسة ادبية وميول فنية من شأنها ان تشوق القارىء ولو انها قد جنحت به احيانا الى الاستطراد خاصة وقد كثر اقتباسه لفقرات مما كتبه بعض الكتاب المعروفين وهذا - فى رأيى - لا يزيد عن كونه نوعا من استعراض العضلات والتفاخر .

ولكى نقيّم ماورد فى هذه المذكرات لابد لنا من إلمامة عن حياة كاتبها . وقبل ان اخوض فى ذلك فاننى أنبه الى اننى لن أتناول سوى الجانب السياسى تاركا تقديم الجانب الثقافى لمن هم اقدر منى على ذلك خاصة اذا ما كانوا ممن اسهموا فى انجازات وزارة الثقافة فى الوقت الذى تولى فيه مسئوليتها ، وقد قرن المؤلف الاحداث السياسية التى عرض لها بسيرته الذاتية ومنها نتبين انه انخرط فى سلك الخدمة العسكرية منذ عام ١٩٣٩ عقب تخرجه فى الكلية الحربية . وفى عام ١٩٤٥ التحق بكلية اركان الحرب ثم بقسم الصحافة بجامعة القاهرة الذى حصل منه فى عام ١٩٥١ على دبلوم الترجمة والصحافة المعادل لدرجة الماجستير وفى كلية اركان الحرب توثقت علاقته بجمال عبدالناصر وعبدالحكيم عامر وتعرف على زكريا محيى الدين وصلاح سالم ، وزاد توثق هذه العلاقة بين المؤلف وهؤلاء الضباط وغيرهم خلال اشتراكهم فى حرب فلسطين فى عامى ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ، خاصة ان هذه الحرب قد اقنعتهم بضرورة حدوث تغيير شامل ، وقد كان موقع ثروت عكاشة فى هذه الحرب باعتباره ضابطا للمخابرات الحربية فى القطاع الجنوبى من الجبهة مما جعله على ادراك لاوضاع الجيش المصرى والجيوش العربية الاخرى ولتطورات القتال واوضاع المشرق العربى وللاسباب التى أفضت الى هزيمة العرب فى هذه الحرب .

إشادة بعبد الناصر

وكانت كل هذه العوامل من وراء تشكيل تنظيم الضباط الاحرار الذى يؤكد المؤلف ان جمال عبدالناصر هو مؤسسه وبالتالى فلا صحة لما رواه بعض اعضاء هذا التنظيم - الذى يقطع المؤلف بانه تشكل فى عام ١٩٤٩ بان اعضاءه لم يتجاوزوا التسعين . وبهذا الصدد يشيد المؤلف بصفات عبدالناصر ويبدى تقديرا شديدا له : "فما شهدنا عليه الا نزاهة مسرفة فيما يفعل .. وتضحية من اجل الغير وانسانية فياضة وحرصا على اغاثة كل من تنزل به نازلة مادية كانت ام معنوية وبذلا لجهده وماله ووقته فى سبيل قضية مصر ... فضلا عن حنكته السياسية ودرايته العسكرية وتجرده المثالى" ، ومنذ عام ١٩٤٩ بدأت منشورات الضباط الاحرار تصدر تباعا متضمنة هجوما عنيفا على الاستعمار البريطانى وعلى عناصر الفساد فى كل من القوات المسلحة والقصر الملكى والحكومة ، وكانت هذه المنشورات



ثروت عكاشة فى صحبة عبدالناصر

ثروت عكاشة فى صحبة عبدالناصر

تحض على التمرد والثورة والعصيان بين ضباط الجيش وتكشف الظلم والفساد للشعب . وباعتبار المؤلف احد الضباط الاحرار نجده يشيد بالنضج السياسى الذى بلغوه وينفى عنهم ما اتهمهم به البعض من سرقة افكار المثقفين واقتصار دورهم على تنفيذها ، ذاهبا الى ان الثقافة ليست وقفا على خريجى الكليات المدنية او الكتاب . واطلاق مثل هذا الحكم على عواهنه يتضمن نوعا من الانحياز الفئوى . حقيقة ان قلة من الضباط الاحرار كانوا على مستوى رفيع من الثقافة ، الا ان هذا قد لا يصدق على الجميع ، اذ الثقافة لا تشق طريقها الا لدى من كان لديه استعداد لتقبلها ايّا كانت انتماءاته ، بشرط ان تكون لديه الرغبة فى الاطلاع المستمر والموهبة اللازمة لانتقاء القراءات وتمثُّلها وعلى اى حال فإن الدكتور عكاشة يبدى فى كثير من المواضع نفوره من الحكم العسكرى الممتد باعتباره ليس النظام الامثل للحكم . ورغم تقديره الشخصى لجمال عبدالناصر فإنه لم يرحب بانفراده بالسلطة بعد عام ١٩٥٦ ، فى الوقت الذى يشيد فيه بمحمد نجيب وباخلاقياته الرفيعة وثقافته الواسعة ويبدى فيه تفضيله للديمقراطية وحرية الرأى .

وما ان استقر الضباط الاحرار فى الحكم حتى عرض على ثروت عكاشة ان يمثل القيادة فى سلاح الفرسان الذى

انتمى اليه . وبعد اعتذاره عن قبول هذا العرض وكلت إليه رئاسة تحرير مجلة «التحرير» الناطقة بلسان العهد الجديد ، ولكنه مالبث أن استقال من رئاسة التحرير بعد اختلاف مع وزير الارشاد صلاح سالم ووافق على العرض الخاص بتعيينه ملحقا عسكريا فى الخارج ، وقد علم فيما بعد ان الغرض الحقيقى من اسناد هذا المنصب اليه هو ابعاده عن سلاح الفرسان وعن البلاد خاصة انه كانت له منزلة خاصة فى قلوب ضباط هذا السلاح وبالتالى خشيت القيادة انه قد يستعين بهذا السلاح فى جولة من الجولات ، وهكذا خرج من مصر فى عام ١٩٥٣ بحيث لم يقض فيها بعد قيام الثورة سوى عام واحد وبالتالى فانه حرص على الا تتعرض مذكراته لاحداث السنوات الخمس التى قضاها فى الخارج وان لا يعنى هذا قلة اهتمامه باوضاع الوطن ومراقبته لتطورات الثورة . وفى رأيه ان ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لم تتجاوز شهر يونية ١٩٥٦ حين جرى الاستفتاء على الدستور الجديد وتولى عبدالناصر رئاسة الجمهورية وبدأ "عهد مركزية السلطة" الذى يرده إلى عبدالناصر مبنى ومعنى ايجابا وسلبا ويحمله مسئولية ما حدث من اخطاء ولو انه يعود فيبرر بعض هذه الاخطاء بان الظروف الدولية التى احاطت بعبد الناصر قد اضطرته الى الانفراد بالسلطة ، هذا برغم انه فى الوقت الذى كان يحتفظ لنفسه فيه ما يراه خاصا بشئون الدولة العليا كان يستشير خاصة الموثوق بهم من اصفيائه وفى هذا المجال يندد المؤلف بكثير ممن احاطوا بعبدالناصر ويشير الى تآمرهم وايهامهم له بوجود مؤامرات ضده والى نفاقهم واساءتهم للكثيرين الذين تعرضت حريتهم للعدوان ، كما يندد بالحراسات وبسلوك اجهزة الامن ومراكز القوى الذين اقتسموا السلطة مع عبدالناصر وشكلوا اقطاعيات خاصة اهمها ارهاب الناس واستغلال النفوذ ويخلص المؤلف من كل هذا الى ضرورة منح الحرية للمواطنين مؤكدا ايمانه بالليبرالية والحكم الديمقراطى ، وفى كل ذلك ورغم تحميله لبعض الانتهازيين مسئولية الانحراف بالثورة فانه لايعفى عبدالناصر من قسط من المسئولية عن كثير مما حدث ويشير الى ما كان من مواجهته للرئيس بالاعتراض على بعض القرارات التى لم يوافق هو (عكاشة) عليها .

ومهما كان الأمر فقد عمل المؤلف بعد خروجه من مصر ملحقا عسكريا فى سويسرا ثم فى باريس ومدريد ، وكانت مهمته فى العاصمة الفرنسية تنحصر فى تزويد القوات المسلحة المصرية بحاجاتها من الأسلحة والمعدات وإعداد التقارير عما يستجد فى فنون الحرب والقتال ومتابعة النشاط الاسرائيلى هناك ورعاية حركات التحرر فى الشمال الافريقى ، ولما كان عبد الناصر يساند هذه الحركات التحررية ويدعم الثورة الجزائرية فقد استثار قطاعات واسعة من الرأى العام الفرنسى ومن المسئولين الفرنسيين ومن ثم تسليح فرنسا لإسرائيل ومناوأتها للعهد الجديد فى مصر بعد أن فشلت فى كسب وده فى مقابل توقفه عن دعم الثورة

الجزائرية وعن التنديد بالسياسة الاستعمارية الفرنسية فى الشمال الافريقى . وحين ازداد تأزم العلاقات المصرية ـ الفرنسية فى أعقاب تأميم قناة السويس انهمك ثروت عكاشة فى رصد تحركات القوات المسلحة الفرنسية ومناطق احتشادها وحقيقة أهدافها ، هذا بالاضافة الى تتبع النشاط الاسرائيلى فى فرنسا ، وقبل ساعات من بدء العدوان الثلاثى على مصر أمكنه أن ينقل الى عبدالناصر خطة هذا العدوان التى استقاها من صديق فرنسى ، وبالتالى فإنه ينفى (جـ ١ ، ص ٢١٥ ـ ١٦) ما ذكره محمد حسنين هيكل فى كتابه «ملفات السويس» من أن عبدالناصر قد فوجىء بتواطؤ فرنسا وبريطانيا مع اسرائيل ، ولكننا مع هذا لا نجاريه فيما ذهب إليه على اعتبار أن صانع القرار فى زحمة الأحداث قد لا يعير التفاتا الى خبر ما يكون موقفه منه ما بين مصدق ومكذب ، ثم ما الذى كان بإمكان عبدالناصر أن يفعله فى الساعات القليلة السابقة على الهجوم على مصر والتاريخ يفيدنا بأن معلومات من هذا النوع وصلت الى ستالين تحذره من الغزو النازى المرتقب للاتحاد السوفيتى ولكنه لم يصدقها ارتكانا منه على ميثاق عدم الاعتداء الموقع بين المانيا والاتحاد السوفيتى فى أغسطس ١٩٣٩ . وشبيه بذلك عدم تصديق هتلر للمعلومات التى وصلته عن الخطة الامريكية ـ البريطانية الخاصة بالنزول على سواحل فرنسا الغربية اعتقادا منه بأنها معلومات تمويهية دستها أجهزة المخابرات الغربية .

● **العودة إلى أوربا من جديد !**

وعلى أى حال ففى أعقاب العدوان الثلاثى ساءت علاقات مصر بالغرب وقطعت صلاتها الدبلوماسية ببريطانيا وفرنسا وبالتالى عادعكاشة الى مصر حيث عرض عليه منصب مستشار برئاسة الجمهورية ولكنه اعتذر عن عدم قبوله بعد أن نبهه صديق إلى احتمال تعرضه لتآمر مراكز القوى ودسهم ، وحينئذ عرض عليه عبدالناصر وظيفة سفير فى روما فقبلها وباشر عمله فى العاصمة الايطالية فى اكتوبر ١٩٥٧ ، وكانت أوربا الغربية حينئذ لا تزال تبدى العداء لمصر فى الوقت الذى انقطعت فيه علاقات القاهرة بكل من بريطانيا وفرنسا ، وكانت التوجيهات التى زوده عبدالناصر بها تنحصر فى أمرين : (١) إخراج إيطاليا من المعسكر المعادى لمصر واجتذابها للتعاون معها (٢) اتخاذ إيطاليا نقطة مراقبة خارجية للشئون الفرنسية وتزويد عبدالناصر باستمرار بكل ما يدور بفرنسا مما له علاقة بمصر ولا سيما ما يؤثر منه على قضية الجزائر وما يتصل بإسرائيل ، وقد استطاع المؤلف أن يزيل كثيرا من الشكوك المتراكمة حول سياسة مصر مما أدى ، بالاضافة الى مساع أخرى ، إلى العودة إلى تطبيع علاقات مصر بدول أوروبا الغربية وبخاصة فرنسا وبريطانيا .

وفى عام ١٩٥٨ عين المؤلف وزيرا للثقافة للمرة الأولى ، واستمر فى هذا المنصب حتى عام ١٩٦٤ ثم لم يلبث أن عاد إليه مرة أخرى فى عام ١٩٦٦ ليشغله أربع سنوات أخرى ، وكان خلال شغله لهذا المنصب يختلف إلى باريس مرتين كل عام على الأقل بوصفه عضوا بالمجلس التنفيذى لليونسكو فيما بين عامى ١٩٦٢ و١٩٧٠ ، وقد

مذكرات ثروت عكاشة

اعتاد عبدالناصر خلال هذه الفترة أن يعهد إليه خلال إقامته فى باريس بمهام فرعية ، ورغم عدم تعرضنا لهذه الفترة التى استفاضت المذكرات فى الاشارة الى اوجه النشاط التى شهدتها وزارة الثقافة خلال تولى ثروت عكاشة لمسئوليتها مفضلا أن يتولى تقديمها أحد من شاركوا فى هذه النشاطات أو كانوا على علاقة بالمؤلف خلال اضطلاعه بهذه المسئولية فلن تمر مرور الكرام على ما أشار اليه من عقبات اعترضت طريقه أثارها بعض من دفعهم بالنفاق كما أثارها قطاع من الصحافة لم يشأ هو أن يتملقه وأجهزة الأمن التى اعترضت على بعض المسرحيات بدعوى أنها تشكل خطرا على الأمن العام .

وخلال اضطلاع ثروت عكاشة بمسئولية وزارة الثقافة للمرة الثانية كان بصفته عضوا بمجلس الوزراء - على صلة بتطور الأحداث التى افضت الى أزمة ١٩٦٧ ثم حرب الأيام الستة ، وفى الجزء الثانى من المذكرات يشير الى الأخطاء التى افضت الى الهزيمة وعلى رأسها عدم توقع صانعى القرار لنشوب الحرب ، كما يشير الى أن عبدالحكيم عامر كان قد استغل ثقة عبدالناصر فى تحويل الجيش الى إقطاعية له وأسرف فى ترضية الضباط الذين شكل بعضهم قوة ضغط لا يستهان بها بحيث فقد عبدالناصر صلته بالقوات المسلحة التى سيطر عليها شمس بدران الذى فهم خطأ أن الاتحاد السوفييتى سيتدخل ، إذا أقتضى الأمر ، الى جانب مصر ، مما جعل القيادتين السياسية والعسكرية تتماديان فى تصعيد الأحداث دون أن تقدرا الخطر المحيط بمصر وبالعالم العربى ، وبعد الهزيمة آثر عبدالحكيم عامر الانتحار وهو ما يؤكده المؤلف على ضوء صلاته الوثيقة بكل من عبدالناصر وعامر .

وما ان تخلص عبدالناصر من عامر وبدران وعادت إليه الثقة بالنفس بعد أن اعترضت الجماهير على انسحابه من المسرح وحملته على العدول عن قرار التنحى حتى سعى الى اعادة تنظيم القوات المسلحة وتدريبها وتزويدها بالأسلحة تمهيدا لتوجيه الضربة الثأرية الى إسرائيل قبل نهاية عام ١٩٧١ ، وحينئذ تبينت له أخطاء تعلق النظام بشخص واحد ومن ثم تفضيله نظاما «يجعل كل انسان من الكبير الى الصغير يخشى المحاسبة» وإبداؤه تفضيله لقيام نوع من المعارضة وتبرمه بالاتحاد الاشتراكى الذى كان هو الآخر قد تحول الى اقطاعية يتحكم فيها بعض مسئوليه سعيا منهم الى جعله أداة للمشاركة فى الحكم والضغط على عبدالناصر .

وفى الصفحات التى خصصها المؤلف للرئيس السادات وعهده نجد المؤلف ، برغم الأدب الجم الذى نستشفه فى ثنايا عرضه للتطورات التى شهدها عهد عبدالناصر وللشخصيات

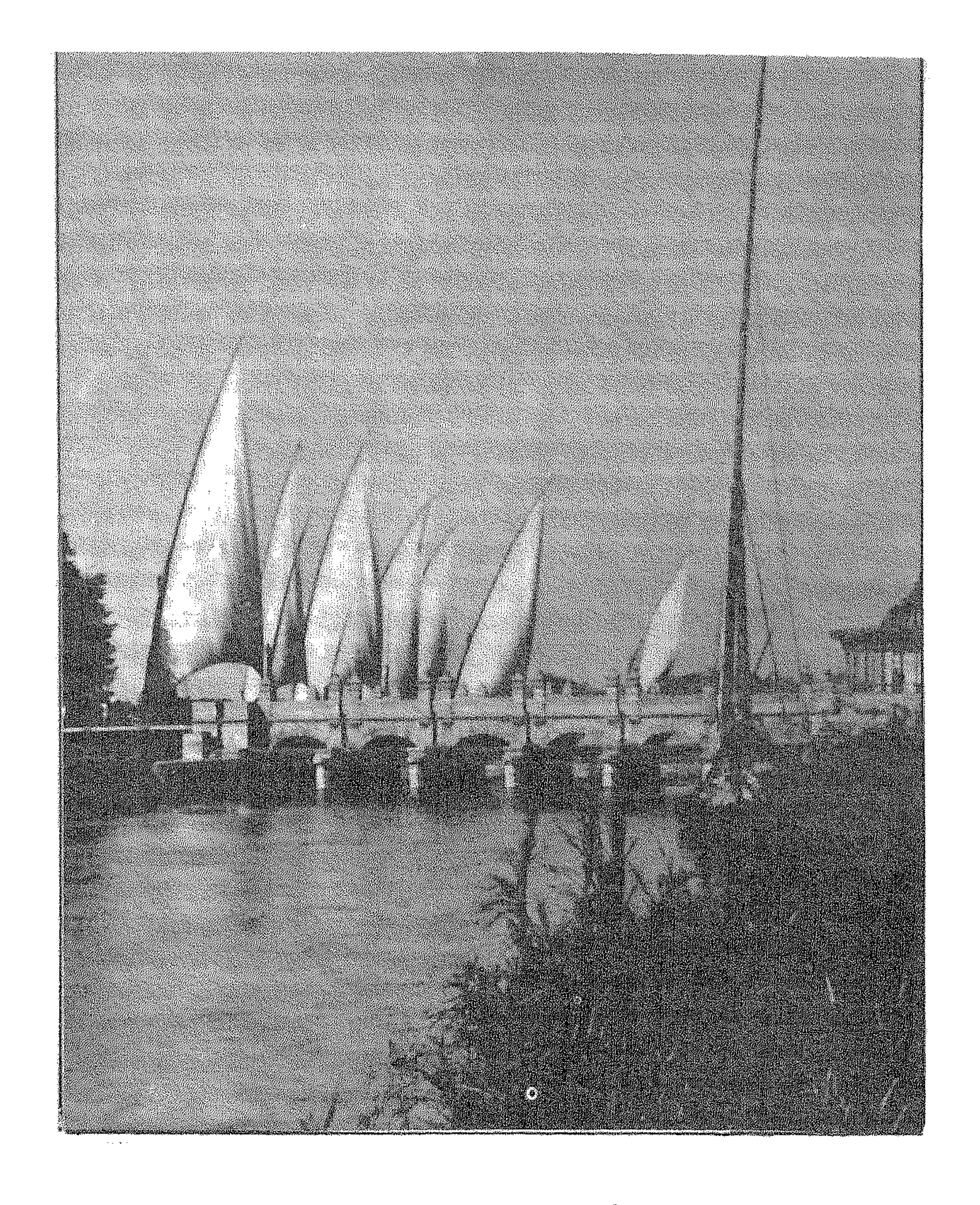
التى احتك بها حتى ولو لم يوافق على سلوكها واعمالها ، لا يبدى اى احترام لعهد الرئيس الجديد أو لشخصه ، وقد لا يخلو تقويمه بهذا الصدد من تاثر بعض العوامل الشخصية : فقد اعترض هو فى عام ١٩٥٨ ، حين كان وزيرا للثقافة ، على رغبة السادات فى الاستيلاء على قطعت أرض فى هضبة الأهرام لكى يبنى عليها استراحة رغم مخالفة ذلك للقانون ، كما اعترض بعد تولى السادات الحكم على مساسه بمتحف محمد محمود خليل وزوجته ، يضاف الى ذلك ان السادات استغنى عن خدمات المؤلف مما أثر فى تقويمه لشخصه وعهده ، وبهذا نجده يؤكد ما تواتر عن تخلف الرئيس الجديد عن الاشتراك فى أحداث ليلة الثورة رغم معرفته بتاريخ التنفيذ والدور المسند اليه ، كما يشير الى أن نشاط السادات السياسى منذ عام ١٩٤٠ لا يعدو كونه «مغامرات سياسية» مفندا بذلك ما اورده السادات بهذا الصدد فى كتابه «البحث عن الذات» ، ويصف الدكتور ثروت عكاشة السادات بعد توليه الحكم بأنه كان يظهر غير ما يبطن ويبقى على الأساليب البوليسية برغم ادعائه الديمقراطية فيدفع أحداث ١٤ مايو ١٩٧١ التى أطلق عليها اسم «ثورة التصحيح» بانها كانت بداية الثورة المضادة : فالسلطة وقد تغلبت على منافسيها فى معركة الصراع على السلطة أقدمت على استبعاد «الانداد» الذين شاركوا فى ثورة ٢٣ يولية بطريقة تسىء اليهم ، ويجزم المؤلف بان السادات كان من وراء الحملة التى استهدفت تشويه عبدالناصر بعد حرب



ثروت عكاشة .. ومحمد نجيب

اكتوبر ١٩٧٣ ، ومن ثم استمالته لبعض الضباط الأحرار الى كتابة مقالات وجهت النقد الى افتقاد الديمقراطية فى العهد السابق ، وقد رفض المؤلف أن يستدرج للمشاركة فى هذه الحملة ، وبقى وفيا لصديقه عبدالناصر مع اعتراضه على اسلوب حكمه وبعض قراراته .

وأعود الى بدء فأوكد ، وبرغم عدم تفضيل المؤلف لأن يكتب التاريخ من عاصروا الأحداث ، أن مذكراته ذات أهمية بالنسبة الى من سيتصدون لكتابة تاريخ ثورة ٢٣ يولية ١٩٥٢ وتاريخ عبدالناصر والسادات ، فهى تشكل اضافة بالنسبة الى ما سبقها من مذكرات وذكريات .



النيل وأزمة المياه فى مصر

مياه النيل بين زمن الوفرة وعصر الندرة

بقلم : د. رشدى سعيد

●● تمر مصـر اليوم بمرحلة جديدة فى تاريخها مع النيل ، لم تألفها أبدا ، فقد كانت مصـر ، وحتى منتصف القرن بلدا تحتكر مياه النيل دون شريك .. كما كانت أرضها متجددة بما يحمله لها الفيضان كل عام من طمى .

كان النيل يفيض فيغطى أرض مصـر بتربة جديدة ، وكان الماء وفيرا لزراعة محصول واحد له نكهة مميزة وطعم خاص ، وعندما كان النيل ينحسر .. فإنه يغسل الأرض مما علق بها من أملاح .. كان نظام النيل نموذجيا يحمل الرخاء لعدد قليل من السكان ويضمن لشعب مصـر الحياة حتى فى أسوأ الأزمات وفى ظل أسوأ الحكومات .

لكن وقد تغير الآن مع ازدياد أعداد السكان ، ومع حياة الاستهلاك التى يعيشونها .. تلك التى ترتب عليها تغير نظام النيل الى الرى الدائم ، ومع بخل الطبيعة نفسها بسنوات من الجفاف النسبى ، ماهو المطلوب للخروج من المأزق ؟

وكيف يمكننا أن نتفادى المشكلة فى المستقبل ●●

يعتبر نهر النيل المصدر الرئيسى للمياه بمصـر ، نهرا فريدا بين أنهار العالم جميعا إذ يكاد يكون الوحيد منها الذى يشق طريقه لمسافة تزيد على ثلاثة آلاف كيلومتر من العطبرة وحتى البحر المتوسط وسط صحراء قاحلة دون أن يصب فيه رافد واحد ـ ولولا ظروف جيولوجية فريدة لتوزعت مياه هذا النهر وماتحمله من رواسب فى سهل داخلى دون أن تصل إلى البحر أو تشق أرض مصـر .

ويحمل نهر النيل كمية صغيرة من المياه بالنسبة الى مساحة حوضه الهائلة التى تبلغ حوالى ٣٠ مليون كيلومتر .. أى عشر مساحة القارة الأفريقية ، فعلى الرغم من هذه المساحة الهائلة .. فإن مايحمله من مياه لايكاد يوازى كمية المياه التى يحملها نهر صغير مثل الراين الذى تبلغ مساحة حوضه ١/٢٠ من مساحة حوض نهر النيل .. ومتوسط تصريف نهر النيل عند أسوان هو ٨٤ بليون متر مكعب سنويا .. وهو متوسط مايصل إلى هذه المدينة فى فترة الخمسين سنة الأولى من هذا القرن ـ وتأتى أكثر من أربعة أخماس هذه المياه من الهضبة الاثيوبية التى تصلها مياه موسمية جارفة خلال أشهر الصيف .. ويأتى الباقى من الهضبة

الاستوائية عن طريق النيل الأبيض ، ومعظم مياه هذه الهضبة تذهب هباء بين أحراش منطقة السد وادغال بحر الغزال ومستنقعات أدنى السوباط .

وتتأرجح كمية المياه التى تصل الى مصر بين العام والآخر ، فقد بلغت أقصى ماوصلت إليه منذ بدء قياس تصريف النهر بطريقة منظمة ١٣٧ بليون متر مكعب فى عام ١٨٧٩ .. كما بلغت أدناها حتى وصلت الى ٤٢ بليون متر مكعب فى عام ١٩١٣ ويحدث هذا التأرجح الكبير فى الوقت الذى بدأت تتثبت فيه احتياجات مصر المائية الأمر الذى دفع الى التفكير فى ضبط مياه النيل وتخزين فائض السنوات التالية لاستخدامه فى السنوات الواطئة .

● من الزمن القديم

وقد ظلت عملية تنظيم مياه النيل الشغل الشاغل لحكومات مصر منذ قديم الزمان ، ويكاد لايخلو تاريخ حاكم كبير فى مصر دون أن يرتبط اسمه بمشروع ضخم لضبط مياه النيل منذ الملك مينا وحتى جمال عبدالناصر .

وقد مرت السياسة المائية لمصر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين بمرحلتين .

المرحلة الأولى : هى التى تركزت فيها جهود مصر خلال القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين على إقامة حدود من السدود والقناطر على طول النهر .. وكانت تهدف فى أول الأمر الى حجز جزء من مياه الفيضان لاستخدامه فى نفس السنة عندما يهبط النيل ، وكان هذا التخزين السنوى منظما للمياه على طول السنة ، وأن كان بطبيعة الحال غير مهيأ لمجابهة الفيضانات العالية أو الواطئة .. وكان خزان اسوان هو أشهر هذه الخزانات وأكثرها كفاءة .. بنى عام ١٩٠٢ وتمت تعليته مرتين أخراهما فى عام ١٩٣٣ .. كان يسمح لمياه الفيضان بالمرور فى فتحاته فى الشهور الأولى من الفيضان .. ثم يتم حجز المياه فى آخر الفيضان .. وقد صمم الخزان لحجز مايزيد على ٥ بلايين متر مكعب كانت تعاد إلى النيل لاستخدامها فى الزراعة خلال موسم المياه الواطئة .. وبذلك ينتظم دخول الماء الى أرض مصر على طول السنة مما كان يسمح بزراعة محصولين أو ثلاثة فى معظم اراضى مصر ـ وكانت مصر تفقد الى البحر كل عام عن طريق السماح لأول مياه الفيضان بالمرور من فتحات الخزان حوالى ٣٠ بليون متر مكعب .

وتركزت مشروعات الرى فى مصر فى هذه الفترة على بناء سلسلة من السدود والخزانات على طول النيل لزيادة حصة مصر من المياه التى تصلها ، ولذلك فقد تركزت جهود مصر خلال هذه الفترة على تأمين منابع النيل .. فقامت فى القرن التاسع عشر بحملات عسكرية وضعت الجزء الأكبر من نهر النيل تحت نفوذها المباشر ولما احتلت بريطانيا مصر فى عام ١٨٨٢ انتزعت من مصر السلطة على اقاليم أعالى النيل وأصبح وادى النيل كله تحت هيمنة بريطانيا .

وطوال هذه الفترة كان ينظر إلى النيل على أنه وحدة واحدة يقع تحت سلطة واحدة ، ومن هنا فقد بدت السياسة المائية لمصر تلك المبنية على انشاء

السدود والخزانات خارج أراضيها سياسة مقبولة .. ومما ساعد على قبول هذه السياسة أن بلاد النهر كلها .. فيما عدا مصـر لم تعرف الزراعة النهرية .. ولذا فقد بدا النهر كله هو نهر مصـر وأن كل مياهه هى لخدمة زراعاتها ، وكان النهر يلعب دورا ثانويا فى حياة هذه الأقطار فقد كانت وحتى انشاء مشروع الجزيرة بالسودان فى العشرينيات من هذا القرن .. تعتمد على الأمطار فى زراعتها .

وبهذه الخلفية لم يكن صعبا على السودان أن تعترف بحقوق مصـر التاريخية فى ماء النيل ، ففى عام ١٩٢٩ تم تبادل خطابات بين مصـر والسودان اعترفت فيها السودان بحق مصـر التاريخى فى كميات المياه التى تكفى زراعتها والتى قدرت فى ذلك التاريخ بثمانية واربعين بليون متر مكعب .. كما اعترفت مصـر بحق السودان فى أربعة بلايين متر مكعب كانت جملة المطلوب لمشروع الجزيرة وتوسعاته .

وفى عام ١٩٤٩ تم بناء خزان اوين على مخرج بحيرة فكتوريا بأوغنده .. وهو أحد مشاريع الرى المدرجة بالخطط المصـرية فى ذلك الوقت .. وفيه تم الاتفاق بين مصـر واوغنده على أن تدفع مصـر تكاليف بناء الخزان تعويضا عن الأراضى التى غرقت من جراء بناء الخزان على أن تتحكم مصـر فى كمية المياه الخارجة من البحيرة ـ ويعتبر بروتوكول بناء الخزان اعترافا من اوغنده بحقوق مصـر فى مياه النيل ، ولم تعترض حكومة اوغنـدا على هذا البـروتوكـول بعد استقلالها .

وليس بين مصـر وأى من دول النهر الأخرى اتفاقيات مكتوبة أو غير مكتوبة تنظم توزيع مياه النيل .

● مرحلة بناء السد

وكانت المرحلة الثانية : عندما جاءت ثورة ١٩٥٢ واستقلت بلاد افريقيا وأصبح واضحا أنه لاتوجد سلطة واحدة تسيطر على النهر ودوله المختلفة.تطورت سياسة مصـر المائية وتم التركيز على بناء السدود بداخل حدودها ومن هنا كان قرار مصـر ببناء سد أسوان العالى الذى أتاح لمصـر والسودان كمية أكبر من المياه .. وقد كان بناء السد إثر تحرك دبلوماسى بارع وناجح مع السودان أكبر شريك فى استخدام مياه النيل ـ وقد أتاح السد لكل من مصـر والسودان الحصول على كميات أكبر من المياه .. فحصلت مصـر على ٥٥٫٥ بليون مترمكعب بدلا من ٤٨ والسودان ١٨٫٥ بليون متر مكعب بدلا من ٤ وبذلك أضيفت الى موارد البلدين ماكان يروح هباء بالبحر الأبيض المتوسط .

وبالاضافة الى ذلك فقد أصبح لمصـر القدرة على تنظيم دخول المياه اليها بالقدر الذى تتطلبه احتياجاتها وفى الوقت الذى تراه دون أن تتأثر بتقلبات فيضان العام الواحد .. فقد أصبح التخزين فى السد العالى قرنيا يأخذ فى اعتباره الفيضانات المتعاقبة .. فينظم حياتها ويحميها من غوائل الفيضانات العالية ومن آثار الفيضانات الواطئة .

وقد أتاحت سلسلة الفيضانات العالية فى سبعينيات هذا القرن ملء خزان ناصر وراء السد الى مايقرب من أعلى منسوب صمم الخزان عليه حتى اننا فى عام ١٩٧٩ كنا نخشى لو أن الفيضان استمر

عاليا فوق معدله من أن ترتفع مياه الخزان فوق المنسوب الذى صمم عليه فتنساب المياه الى أرض مصـر وتغرقها ـ وهو ما أدى الى إنشاء مفيض توشكا بصحراء النوبة وهو عبارة عن قناة تم حفرها لكى يفيض منها مازاد عن منسوب ١٨٠ مترا فى خزان ناصر وراء السد الى منخفضات الصحراء الغربية .

على أن فيضانات ثمانينيات هذا القرن لم تكن مرتفعة .. بل جاءت على العكس من ذلك بكميات كانت فى معظمها أقل من متوسط الفيضانات .. بل وقد جاء الكثير منها بأقل مما تحتاجه مصـر فعلا من مياه .. وقد أدى ذلك الى أن تسحب مصـر من مخزون السبعينيات ماتحتاجه من مياه فانخفض منسوب الخزان من ١٨٠ مترا إلى ١٥٠ مترا وهو منسوب منخفض يقارب أوطى منسوب يمكن سحب أى كمية من المياه عنده وهو ١٤٧ مترا ، وهكذا أصبح مخزون الماء الحى بالخزان فى عام ١٩٨٨ ما يقارب ١٢ بليون متر مكعب ، ومعنى هذا أن مصر لن تستطيع ان تتحمل عاما اخر من الفيضانات الواطئة دون أن تتأثر مساحة الأراضى التى تزرعها أو كمية الكهرباء التى تنتجها من تربينات السد العالى والتى حسبما يتساقط عليها الماء من ارتفاع يفوق الحد الأدنى للتخزين .

● ندرة الماء العذب

وسواء كانت الأزمة المائية التى تمر بها البلاد اليوم أزمة طارئة تنتهى مع ما اصطلح بتسميته بدورة السنين العجاف والتى تتلوها سنون سمان أو أنها ستظل معنا فإنها ينبغى أن تبين لنا أن الماء العذب أصبح اليوم نادرا ، ذلك أنه بفرض أن السنوات القادمة ستحمل فيضانات عالية فان ذلك لن يحل المشكلة الانية التى نعيشها اليوم أما مشكلات الغد الطويلة الأجل فانها لن تحل الا بترشيد استخدام الماء المتاح لمصر لكى يجابه توسعات استخدامها فى مستقبل الأيام .

ولنبدأ القول بأن كمية المياه المتاحة لمصر محدودة وسيكون من العسير تصور زيادتها على مدى السنوات العديدة القادمة ، فدول النهر الأخرى لها مطالب فى مياه النهر المحدودة ، لكى تجابه خططها القومية للتوسع الزراعى واستغلال الطاقة ، واذا كانت معظم هذه البلاد واقعة اليوم فى أزمات متلاحقة ، وغير قادرة على تنفيذ خططها ، فانها لفاعلة ذلك فى مستقبل الأيام ، أو لهى واقفة بالمرصاد لأى توسع فى استخدام الماء من أية دولة من دول حوض النيل .

وكل تفكير فى زيادة ما قد يصل الى مصر من ماء يتركز فى مشروعات تعالج الماء المهدر من هضبة البحيرات الاستوائية والذى يتفرق أكثر من نصفه فى منبطحات السد ببحر الجبل أو من بحر الغزال أو من نهر السوباط التى تتفرق مياهها فى ادغال ومستنقعات كبرى ، وهناك مشروعات عديدة لانشاء قنوات تحويل لمفاداة هذا الاهدار ، الا ان تنفيذ هذه المشروعات لن يحتاج فقط الى أبهظ التكاليف ، بل والى مفاوضات دبلوماسية واتفاقيات مع دول النهر العديدة والتى يتميز الكثير منها بعدم استقرار حكوماته ، ولعله من المفيد أن نذكر فى هذا الصدد مصاعب انشاء الطور الأول من قناة جونجلى التى تم الاتفاق على تنفيذها مع

حكومة السودان بعد مفاوضات طويلة ، ويهدف انشاء هذه القناة الى توصيل جزء من مياه البحيرات الاستوائية الى النيل الأبيض دون أن يمر باقليم السد ـ وعلى بساطة كمية المياه التى ستنالها مصر من هذه العملية الجبارة (بليون متر مكعب واحد أى أقل من ٢٪ من جملة احتياجات مصر) فان الاتفاقية التى أبرمت مع حكومة الخرطوم قد نقضت من ثوار جنوب السودان الذين رأوا أنها ستعرقل مسيرة ابقارهم التى كانت تعبر منطقة القناة للرعى فى مناطق السد عندما تهبط المياه فيها ـ هذا بالاضافة الى ان القناة لم تكن ذات فائدة لجنوب السودان ـ وقد توقف العمل بالقناة فعلا .

مصر ودول النهر

ولسنا هنا بصدد تعديد خطط دول النهر فى التوسع الزراعى حول حوض النيل فلكل دولة خططها المعلنة ولكنى اكتفى بالقول بأن السودان قد أعلن عن نيته لاستصلاح اكثر من ٥ ملايين فدان على جوانب النهر قبل حلول القرن القادم ـ ويحتاج مثل هذا التوسع الى اكثر من ١٥ مليون متر مكعب من الماء وهى كمية من الماء يصعب تصور تدبيرها حتى ولو تمت كل مشروعات استغلال مياه النيل ، وان الانسان ليعجب مما يمكن ان يصل اليه الحال لو ان السودان قد نجح ، ولو جزئيا ، فى تنفيذ خطته هذه .

ونفس الشىء يمكن ترديده عن أثيوبيا التى احاق بها الجفاف فأجبرها على التحول الى الزراعة النهرية والالتفات الى مجارى انهارها .

وانى لفى خشية من أن تكون علاقات مصر مع دول النهر فى بداية أزمة إن لم نتداركها لشكلت فى مستقبل الأيام مشكلة عويصة ، فتنظيم أمور علاقاتنا بما يتيح تقنين حقوق مصر التاريخية فى مياه النيل هو أمر ملح ـ على أن نجاحنا فيه سيكون عن طريق البحث العلمى المنظم لحوض النهر ودراسة مناخه باستخدام مراكب الفضاء للأرصاد وتنظيم الدراسات لرصد المياه ، وكذلك ، وهو الأهم ، بإعادة وزن مصر السياسى والذى كان فى أواخر الستينيات واوائل السبعينيات من الثقل بحيث استطاعت الدبلوماسية المصرية ان تقنع غالبية دول أفريقيا بقطع علاقاتها مع اسرائيل .

ومن جهة أخرى فان متطلبات مصر من المياه ستزيد ، ذلك لأن عمليات التوسع الزراعى والتصنيع ستستمر وستتطلب طلبات متزايدة على الماء ـ واذا ما تحققت خطط مصر فان احتياجاتنا المائية ستصل الى حوالى ٨٠ بليون متر مكعب فى اواخر هذا القرن ، هذا فى الوقت الذى لن تزيد فيه مواردنا المائية عما هى عليه الآن للاسباب التى بينتها ، ومن هنا كانت مقولتى التى كررتها منذ السبعينيات بان الماء سيكون واحدا من العوامل المفيدة لانطلاق عمليات التنمية فى مصر .

لقد مضى وقت الوفرة ودخلنا الان عصر الندرة والذى سيكون معنا لأجيال طويلة .

حملة تثقيفية

إن حل هذا الاشكال العويص سيكون بترشيد استخدام الماء المتاح لمصر ، ولكن هذا الترشيد لن يتم قبل القيام بحملة تثقيفية مركزة وواسعة لتبين أبعاد هذه المشكلة أمام الناس بل وأمام القيادة

السياسية ذاتها اذ يبدو من مسلك هؤلاء القادة وتصريحاتهم عدم أدراكهم لأبعاد هذه المشكلة وما يمكن أن تحمله من آلام وضيق عيش ، وليس أدل على ما أقول من أن رئيسا سابقا لمصر أراد أن يوصل النيل الى اسرائيل وأن أعضاء بارزين فى البرلمان تقدموا باقتراحات لتوصيل ماء النيل الى السعودية ، كما أن تعليقات المسئولين على أزمة مياه النيل الحالية توحى بأن كل شىء يسير على ما يرام ، وان الزراعة والكهرباء لم تتأثرا ، وان الأزمة الحالية هى أزمة طارئة ترتبت عليها أقل الأضرار ان كانت هناك ثمة أضرار ، وان معظم الكلام عن ندرة الماء ان هو الا من قبيل البلبلة .

والحقيقة هى أننا جميعا عشنا فى ظل وفرة الماءالذى أصبح بالنسبة لنا شيئا مسلما به . كما أصبحت وفرته جزءا من تراثنا، بحيث يصبح قبول فكرة الندرة امرا يحتاج الى تثقيف وبرنامج ضخم للتوعية ، وإننى لأضع هذا الأمر فى مقدمة البرامج اللازمة لمجابهة عصر ندرة الماء الذى ستدخله مصر فى مستقبل الأيام ان لم تكن قد دخلته فعلا ـ فبدون وعى لأبعاد هذه المشكلة فلن تكون هناك حلول قابلة للتنفيذ .

وتأتى بعد ذلك قضية ترشيد استخدام الماء فى الزراعة وتحسين طرق تسوية الأرض حتى يأتى غمر الأرض مفيدا وعلى قدر ما تحتاجه واعادة دراسة مقننات المياه لمختلف المحاصيل وادخال طرق التنقيط واستخدامها بكفاءة هذا بالاضافة الى ضرورة اعادة النظر فى التركيب المحصولى للأرض الزراعية ، واختيار المحاصيل المهجنة التى تحتاج الى مياه أقل لنضجها ، فليس من المعقول ان تتوسع مصر فى زراعة الأرز وقصب السكر ، وهى من المحاصيل التى تحتاج الى مقننات عالية جدا من المياه ـ كما يجب تنظيم عملية استصلاح الأراضى الصحراوية وتمنع تماما المضاربة عليها وتنظيم زماماتها فى مجمعات تعاونية تضبط صرف الماء وتوزيعه .

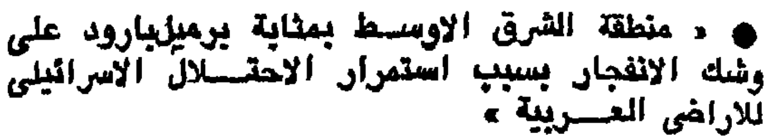
ويجىء بعد ذلك دور توفير الماء الذى يضيع هباء خلال عمليات نقله إما بالتسرب أو بالبخر ، وذلك اما بتبطين الترع والمساقى أو حتى بالاستعاضة عنها بخطوط من الانابيب ـ وليس الانفاق فى هذا الاتجاه عبثا ، فان مصر تفقد عن طريق نقل الماء حوالى ١٠ بلايين متر مكعب فى السنة .

وليس من المعقول أو المقبول أن تلقى مصر سنويا الى البحر ما يزيد على ٤ بلايين مكعب فى السنة نتيجة اطلاق الماء اللازم لتشغيل محطات الكهرباء خلال السدة الشتوية ـ فهذا الماء يهدر كله ويطلق الى البحر لعدم حاجة الزراعة اليه خلال فصل الشتاء ـ وهذه الكمية يمكن بطبيعة الحال تخزينها فى محابس النيل الدنيا .

وبالاضافة الى هذا البرنامج الذى يهدف الى توفير وترشيد استخدام المياه فانه يمكن زيادة الماء المتاح للاستخدام بزيادة الاستفادة من حوض المياه الجوفية ومياه الصرف .

ولو أن كلا البرنامجين قد نفذا فاننا سنغطى بالكاد احتياجاتنا المائية فى مستقبل الأيام .

أقوال معاصرة

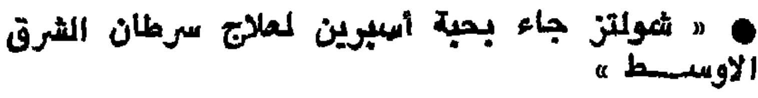

● « منطقة الشرق الاوسط بمثابة برميلبارود على وشك الانفجار بسبب استمرار الاحتلال الاسرائيلى للاراضى العربية »

اندريه جروميكو
رئيس الاتحاد السوفيتى

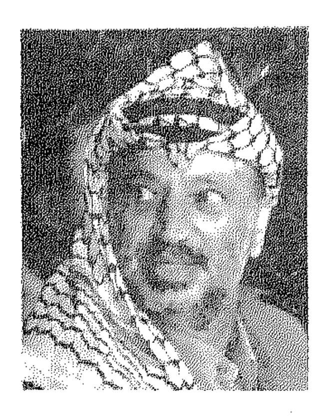
اندريه جروميكو

● « اليوم افضل من الامس ، والغد سيكون افضل من الاثنين ، اننى فى جميع الاحوال من عشاق الحاضر »

«البرتو مورافيا»
الاديب الايطالى


● « شولتز جاء بحبة أسبرين لعلاج سرطان الشرق الاوسط »

ياسر عرفات


ياسر عرفات

● « الاسرائيليون سيتهمون « شولتز » بالخيانة ، والعرب سيستبعدونه بوصفه محامى اسرائيل ! »

هنرى كيسنجر

● قوة دولار المخدرات تشترى البلاد ، تغير جغرافية العالم السياسية »

جون كيرى
عضو مجلس الشيوخ الامريكى

● « يمكنكم أن تثقوا بى »

كيرت فالدهيم
رئيس جمهورية النمسا

● « الانسان فخ منصوب لاخيه الانسان »

دافيد ماميت
المخرج وكاتب السيناريو الامريكى


هنرى كيسنجر

القفز على

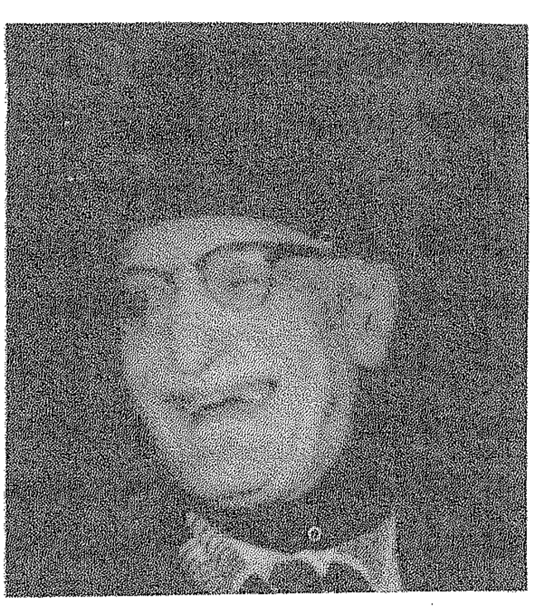
الأشواك

بين العام والخاص

ومازلت أتكلم فى الاقتصاد .

فالعام والخاص المقصودان بهذا العنوان هما القطاع العام والقطاع الخاص . وأنا أطمع فى سعة صدر الاقتصاديين . فمثل هذه الموضوعات ليست من اختصاصهم وحدهم ، بل الثابت من خبراتهم - وخبراتنا معهم - طوال الثلاثين سنة الماضية أن الخبير الاقتصادى رجل لاشأن له بالسياسة الاقتصادية . انه يمكن أن يكون مؤمنا بالاقتصاد الحر ويعمل فى تخطيط اقتصادى اشتراكي ، ويمكن أن يكون اشتراكيا ويعمل فى اطار سياسة انفتاحية ، فالسياسة الاقتصادية تعنى رجل الشاعر كما تعنى عالم الاقتصاد ، بل إن الاقتصادى العالم أو الخبير انما يعنى بالسياسة الاقتصادية باعتباره واحدا من هذه الكتلة الكبيرة التى نسميها « رجل الشارع » ، لا باعتباره اقتصاديا بالتخصص أو بالمهنة .

● ولكن رجل الشارع لايمكنه أن يهتم اهتماما جادا ومفيدا بالسياسة الاقتصادية اذا كان جاهلا كل الجهل بـ « علم » الاقتصاد كما أن عالم الاقتصاد لايمكن أن يهتم اهتماما حقيقيا وملتزما بالسياسة الاقتصادية اذا لم ينشغل انشغالا جادا بهموم رجل الشارع . ولأن المشكلة الاقتصادية هى مشكلتنا الوطنية الكبرى فى هذه السنوات ، ولسنوات كثيرة مقبلة ، فقد كان على « بعض الناس » أن يتقدموا ليشدوا عالم الاقتصاد الى الشارع ، ويدفعوا رجل الشارع الى صالون الاقتصادى .


عباس العقاد

مهمة ضرورية ، ولكنها غير مشكورة . فمن ينتدب لها معرض للاتهام بالحذلقة من جانب ، وبالتطفل من الجانب الآخر . ولذلك فأنا أحاول جهدى أن اقوم بهذه المهمة بأسلوب القفز على الأشواك .

وأول حجة احتج بها عليكم هى انكم تخصونني وحدى بهذا الظلم البين ، وتستنكرون منى ما لاتستنكرونه من غيرى . ولست أعنى كتاب الصحف الذين لابد لهم من الخوض فى الاقتصاد والسياسة كالفن والأدب ، فأنا لم أزل اكتب فى الصحف منذ اكثر من ربع قرن وانتم لاتصنفونني إلا ناقدا أو مترجما أو كاتب قصة ـ وآه من هذه التخصصات انما عنيت رجالا تعرفونهم ، رجالا ذوى اسنان ومناصب ، عنّ لهم وهم فى ذروة مجدهم أن يحصلوا على دكتوراه فى الاقتصاد أو السياسة ، أو التاريخ ، أو الأدب ، فكان لهم ما أرادوا . فهل ألام لأنى أسأت الظن بهذه الدكتوراهات ؟ وما أدراكم انى قرأت فى الاقتصاد مثل ماقرأ هؤلاء أو أكثر منه أو أقل ؟ ولماذا لا أكون عصاميا فى الاقتصاد كما كان العقاد عصاميا فى الأدب ؟

● وعلى ذكر العقاد

شهدت مرة جلسة فى المجمع اللغوى (وكنت محررا فيه) وقد دارت مناقشة حول مصطلح فى الكيمياء بين الدكتور أحمد زكى والأستاذ العقاد رحمهما الله . وإذا بالعقاد ينتفض ويزعق إحدى زعقاته العنترية قائلا : « أنا أعرف فى الكيمياء أكثر مما يعرف أى أستاذ كيمياء فى مصر » وكان طبيعيا جدا أن يخشع الدكتور أحمد زكى ويعتذر .

وأنا لا أقيس قامتى بقامة العقاد ، فهذا زمن وذاك زمن (ألستم تسمونهم جيل العمالقة ؟) ولذلك لا أزجركم كما زجر العقاد صاحبه ، ولكننى اقاوم طغيانكم التكنوقراطى الذى جعلتموه فى خدمة الاستبداد السياسى وتحكمتم جميعا فى رقاب الناس فهم لايملكون أن يلتفتوا يمنة أويسرة ، أو ينظروا الى خلف او إلى قدام وإنما هم فى سجلاتكم أعداد ، وإن كانوا فى حساباتكم أصفارا ثم ها انتم أولاء تنكرون عليهم سلبيتهم التى صنعتموها بأيديكم . وأنا أحاول بجهدى الضعيف ان أصل حبال الثقة ، ثم الود ، بينكم وبينهم ، فما يغضبكم من هذا ؟

وبعد ياسادتى فأنا لم أنزل بارضكم غازيا ، بل سائحا ملما ، وزائرا خفيفا ، وانكم لتعلمون أن السائح ربما راى ما لايراه المقيم ، فكل شيء جديد عليه ، ولذلك فهو يسأل عن أصله وفصله ، ولا يأخذه أبدا قضية مسلمة ، وكل حسن جدير بالاستحسان ، وكل قبيح مستحق للادانة ، كل مالا يتفق مع العقل مرفوض وإن اصبح عند أهل البلد عادة ، وإذا



أخطأ السائح أو ضل فمن السهل رده الى الصواب ، لأنه يعلم أن أهل مكة أدرى بشعابها .

ولكن السائح القادم اليكم من بلاد اللغة والأدب يلاحظ أن لديكم ميلا ثابتا لاخضاع الحالات الخاصة لقوانين عامة ، ترون هذا مبدأ من مبادىء العلم لايصح الجدال فيه ، وصاحب اللغة والأدب يتعامل مع القوانين العامة بحذر شديد ، لأنه يبحث عن خصوصية الكلمة ، وخصوصية العمل الأدبى ، يبحث عما تتميز به الكلمة عن كل مرادف أو ترجمة ، وما يتميز به العمل الأدبى المفرد عن الجنس الأدبى . وربما رأى الكلمة الواحدة تلبس الف زى ، والعمل الأدبى الواحد يبدو لمطالعه فى الف لون . لذلك يدهش حين يراكم تتحدثون عن قانون العرض والطلب كما لو كان قانونا ابديا ، وعن الفصل بين الملكية والادارة كما لو كان اكتشافا علميا ، وعن العلاقة بين الائتمان والعمالة والنمو والتضخم كما تتكلمون عن معادلات رياضية . فصاحب اللغة والأدب - وله علاقة بالتاريخ ، ونسب مع العلوم الاجتماعية ، وعلمكم لا يخرج عن كونه واحدا منها - يقف موقف الشك من هذا المفهوم الجبرى للقانون فى كل ما يتعلق بالانسان . فالقانون فى العلوم الاجتماعية قريب المعنى من القانون بمعناه الخاص اى القانون فى التشريع . ولولا أن القانون التشريعى مرتكز على السلطة ومتضمن لمعنى الالزام لكان نموذجا صالحا لنوع « القوانين » التى نبحث عنها فى العلوم الانسانية بوجه عام ، من حيث إنها قوانين متغيرة وخاضعة - الى حد كبير - لارادة الانسان .

ولا اشك أن بين الاقتصاديين افرادا غير قليلين يحبون السياحة فى الأدب والعلوم الانسانية ، فهم لهذا لاينظرون الى الظواهر الاقتصادية تلك النظرة الجامدة ، ولكننى اتكلم عن الكثرة الغالبة .

ومعظم ما كتب عن القطاع العام والقطاع الخاص يعبر عن نظرة جامدة ، سواء اكانت هذه النظرة ليبرالية أم ماركسية . فأنا لم أقدم هذه المقدمة الطويلة لأسباب شخصية محضة ، لكن لكى أقول ان جميع القضايا التى تتعلق بالقطاع العام والقطاع الخاص - ضرورة كل منهما ودوره وشكله وأدائه وعلاقته بالآخر - يجب ألا تبحث فى ضوء مسلمات أيديولوجية معينة ، ننظر اليها كما لو كانت قوانين ثابتة . وليس هذا إهدارا لقيمة الايديولوجية ولكنه رد لها الى طبيعتها . فالايديولوجية أيا كان نوعها لاتنشأ فى فراغ ، بل فى ظروف تاريخية معينة ، ولذلك نرى الايديولوجيات تجدد نفسها باستمرار ، فلا ماركسية اليوم هى ماركسية الأمس ولا ليبرالية اليوم هى ليبرالية الأمس . وليس معنى هذا أيضا أن الايديولوجية إذ تجدد نفسها تفقد صلتها بالأصل . ولكن معناه أن الذهن الخلاق يتحرك دائما بين النظرية والواقع ، يشكل النظرية أو يعدلها فى

ضوء الواقع ليكون أقدر على تغيير هذا الواقع .

ولا أدعى ـ أنا الزائر فى دنيا الاقتصاد ـ أن عندى النظرية . كل ما عندى ملاحظات ومقارنات مبنية على مراجعة للتاريخ ، واهتمام بسلوك الأفراد والجماعات ، وتصور لما يمكن أن يقوم به العلم لتصحيح الحياة .

● قصة القطاع العام عندنا

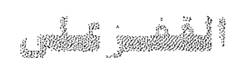
القطاع العام عندنا لم يبدأ مع الثورة ، ولكنه نما نموا مفاجئا بتأميم المؤسسات الأجنبية أولا ، وفى مقدمتها البنوك ، ثم بتأميم كثير من المصالح الاقتصادية الوطنية ، وكان بعضها صغيرا بحيث لا يلتفت اليه : مصنع صغير للسجائر ، معمل ثلج ، الخ .

وقد يدهش أبناء هذا الجيل حين أقول لهم إننا عرفنا, فى أواخر عهد فاروق « حزبا اشتراكيا » ـ لا أدرى هل أخذ الصفة الرسمية أولا ـ ولم يكن ثمة ما يمنعه من ذلك ، فقد كان زعيمه زهير صبرى يصف نفسه بأنه اشتراكى ملكى ، وكان هذا الزعيم محاميا رقيق الحال كما يبدو من مظهره ـ كنا نراه يركب الترام مثلنا ، ولم يكن منظره بحيث يخطئه أحد : بشعره الأشيب المهوش ، ووجهه الأبيض المشرب بحمرة ، ذى الملامح التركية ، المهم أن هذا الاشتراكى الملكى كان يقول إن الاشتراكية متحققة فى مصر فعلا ، لأن الدولة تملك وحدها مؤسسات مهمة ، تديرها لمصلحة الشعب ، وعلى رأسها السكك الحديدية ، والتليفونات ، وشركات الكهرباء (التى آلت ملكيتها الى الدولة بعد انتهاء عقود الشركات الأجنبية) كما أنها مساهمة فى بنك مصر بنشاطه الاقتصادى والصناعى الواسع .

كان فى مصر إذن قبل الثورة ـ قطاع عام لايستهان به . ولكن النمو الاقتصادى كان ضعيفا ، وأدرك قادة الثورة أن معدلات النمو المتدنية لاتتناسب مع الزيادة المستمرة فى عدد السكان (وقد أكدت الثلاثون سنة التالية أسوأ توقعاتهم) ولا مع الضيق المحتوم فى مساحة الأرض الزراعية . وكان الحل البديهى هو التوسع فى الصناعة . وكان « تحويل رءوس الأموال من الزراعة الى الصناعة » بين الحجج التى سيقت لتأييد قوانين الاصلاح الزراعى ، كما كان بنك مصر وشركاته نموذجا يمكن احتذاؤه . هكذا أنشىء مصنع الحديد والصلب فى حلوان بمساهمة كثيفة من المواطنين .

ويجب ألا ننسى أن « الثورة » كانت فى جانب من جوانبها على الأقل ـ استمرارا ، للمد الوطنى الذى بدأ عقب الحرب العالمية الثانية مباشرة والذى أخذ هذه المرة طابعا اجتماعيا ظهر فى النزعات الأشتراكية المختلفة (من اشتراكية زهير صبرى الملكية الى المنظمات الشيوعية السرية) كما بلغت ذروتها السياسية فى إعلان مصطفى النحاس رئيس الحكومة الوفدية الاخيرة إلغاء معاهدة ١٩٣٦ بين مصر وبريطانيا (١٩٥١) واتخذت طابعا نضاليا مسلحا فى المعركة البطولية غير المتكافئة بين قوة بوليس مدينة الاسماعيلية وقوات الاحتلال ، وما تلا ذلك من اشتداد المقاومة المسلحة فى منطقة القنال .

فى تلك الأيام كانت فكرتا الاستقلال الاقتصادى والاكتفاء الذاتى لاتعنيان ما نعنيه اليوم بـ « التنمية الذاتية " و « الاعتماد على النفس » لقد كانتا فكرتين





نبتتا وترعرعتا فى جو الاستعداد للحرب ثم فى ظروف الحرب نفسها أى أنهما كانتا تعنيان أن يكون البلد قادرا على إنتاج كل ما يحتاج اليه فى ظروف السلم وظروف الحرب جميعا (من هنا شعار « من الابره إلى الصاروخ ») وتجسد هذا المثل الأعلى فى مصنع الحديد والصلب ، « قلعة الصناعة الوطنية » و« قاعدة الصناعة الثقيلة » . ومع أن المساهمة فى رأس ماله كانت اجبارية على جميع موظفى الدولة ، فقد قبلوها عن طيب خاطر .

لم يفكر أحد فى أن الطلب على الحديد والصلب فى أسواق العالم غدا أقل من الانتاج ، وأن كثيرا من المصانع فى شفيلد وويلز تتعرض للافلاس ، لأن الطائرات إذا كانت تبنى من الألومنيوم . فإن الدبابات والمدافع ومعظم الآلات مازالت تصنع من الفولاذ . لم يفكر أحد فى العائد الاقتصادى لهذه الصناعة فى مصر . وأذكر أنه فى تلك الأثناء (سنة ١٩٥٦ على وجه التحديد) ـ وكان التقارب بين مصر ودول الكتلة الشرقية فى بداياته جاء إلى مصر وفد اقتصادى سوفييتى عالى المستوى وكان أهم ما نصح به الأتجاه الى الصناعات الصغيرة ذات العمالة الكثيفة والعائد السريع ، الى أن يشتد عود الاقتصاد المصرى ويصبح قادرا على تمويلات مشروعات ضخمة من طراز مجمع الحديد والصلب وكلنا يعلم أن الاتحاد السوفييتى ـ مع ذلك ـ احترم رغبة مصر ، وأن مجمع الحديد والصلب انشىء بآلاته وبمعونة خبرائه .

لاينبغى لنا الآن أن ندين تلك الأفكار إدانة مطلقة نحن ورثة الماضى بكل مافيه . وقد كانت وراء تلك الافكار دوافع شريفة على كل حال ، إنما الذى يجب أن ندينه هو تحكم « القرار السياسى » فى القرار الاقتصادى على طول الخط ، وحتى هنا يجب أن نتحفظ ، فقد يثبت المستقبل أن انشاء صناعة ثقيلة فى مصر ، فى ذلك الوقت بالذات ، كان ضرورة وطنية ، وسنظل دائما نضع للاعتبارات السياسية وزنها الكبير فى القرارات الاقتصادية . أليس على رأس هذه الاعتبارات السياسية تحقيق درجة ما من العدالة الاجتماعية ؟ هل يمكن أن نلغى دور السلطة السياسية فى تحديد أسعار بعض السلع الانسانية مثلا ؟

● أهل الثقة واهل الخبرة

إنما كانت آفة « القرار السياسى » فى السياسة نفسها . كان تقديم "أهل الثقة" على "أهل الخبرة" فى المناصب القيادية فى القطاع العام ـ كما فى الدولة ـ هو السبب الأساسى لفساد الادارة فى كليهما . ومسألة أهل الثقة . ما كانت لتنشأ فى مناخ ديمقراطى . معنى ذلك أن الديمقراطية السياسية ، التى يجب أن نعض عليها بالنواجذ ، هى الحل الصحيح لمشكلات القطاع العام ، أو العلاج لآفاته . والحلول الديمقراطية لايمكن أن تتم بسرعة (وطالما عابها أعداؤها بذلك !) ولكنها تتم بالمجادلة وتكرار المحاولة . ولهذا فقلما تتورط فى أخطاء كبيرة أو صعبة الاصلاح .

لا أظننا نسرف فى التفاؤل إذا توقعنا أن يشتد عود القطاع العام

وتزيد أرباحه ولو أن زيادة الأرباح ـ التى تعود على الشعب كله ـ ليست كل ما يؤديه القطاع العام للمجتمع . فهو مع الديمقراطية السياسية والرقابة اليقظة على المال العام أداة فعالة لتحقيق العدالة الاجتماعية بتوفير المطالب الأساسية للجماهير بأسعارمناسبة للدخول . ولكن المشكلة الأساسية للقطاع العام اليوم هى انه لم يعد قادرا ـ نتيجة لتاريخه المتعثر السابق ولفترة الانفتاح الاستهلاكى السابقة ـ على توفير مطالب السوق الداخلية المتزايدة وتوفير قدر زائد من الانتاج للتصدير حتى يعتدل الميزان التجارى لهذا لم يكن بد من دعوة القطاع الخاص الى المشاركة فى الخطة الخمسية الثانية بنسبة تصل الى حوالى ٤٠٪ (أو ١٨ مليارا من الجنيهات) . والمشكلة التى يجب أن تكون لها الصدارة اليوم هى العلاقة بين هذا الاستثمار الخاص المطلوب وبين التخطيط الحكومى بمختلف جهاته .

دعنا من التعقيدات الروتينية والفساد الادارى . فهذه مشكلات يمكن حسمها ويجب حسمها ولن تعيش طويلا ما دامت الديمقراطية السياسية ـ بما تتضمنه من حرية النشر وحق المساءلة ـ ماضية فى طريقها . ولننظر الى المشكلة الأساسية التى تحتاج حقا الى « تنظير » اقتصادى جديد .

فالقطاع الخاص يريد حرية الحركة التى تسمح له بمتابعة مطالب السوق وتحقيق أكبر قدر من الربح ، ومن ثم فهو يتوجس من « التخطيط » ولا يريد أن تحدد له الجهات الحكومية مجالات عمله . ومن ناحية اخرى يبدو ان الدولة مازالت تتمسك بالتخطيط الشامل . ومعنى ذلك أن القطاع الخاص مطالب بالمشاركة ولكن بشروط الحكومة .

إن مثل هذه التناقضات تحل دائما ، فى مناخ الديمقراطية السياسية ، بالحلول الوسطى . ولكن الحل الوسط ، ليكون حلا حقيقيا ، يجب ألا ينطوى على مجرد "تنازل" من كلا الفريقين ، فاذا لم يتفهم كلا الطرفين موقف الطرف الآخر ، ولم يكن مستعداً لقبوله ولو جزئيا ، فإن اللقاء بينهما يصبح خداعاً متبادلاً ، أى نية متبادلة على تحقيق كسب شخصى عن طريق الاضرار بالطرف الآخر . والنتيجة ـ غالبا ـ الفشل للطرفين .

وموقف القطاع الخاص ـ وهو بالتحديد موقف الاقتصاد الحر ـ يقوم على أن السوق ـ أى مجموع الروابط المتشابكة بين منتج/ بائع ومشتر/ مستهلك ـ لها قوانينها الطبيعية التى تحكم تصرفات كل المشتركين فيها . وموقف أنصار التخطيط هو أن السوق ليست الحكم الوحيد فى الانتاج والتوزيع ، بل إن لكل مجتمع أهدافا واعية يسعى لتحقيقها فى عمليات الانتاج والبيع والشراء .

على المستوى العملى يمكننا أن ننتظر تفهما وتفاهما فتعاونا . وعلى المستوى النظرى يمكننا ان ننتظر نمطاً معدلاً من الاشتراكية ، او نمطاً معدلاً من الرأسمالية .

ولكننا لا يمكننا أن نبنى حياتنا على نظم الآخرين وفكر الآخرين أما "بيع القطاع العام" فعجب من العجب !

سوانح

الغناء والبكاء فوق كنوز توت عنخ آمون

بقلم : كمال النجمى

لاجديد تحت الشمس !

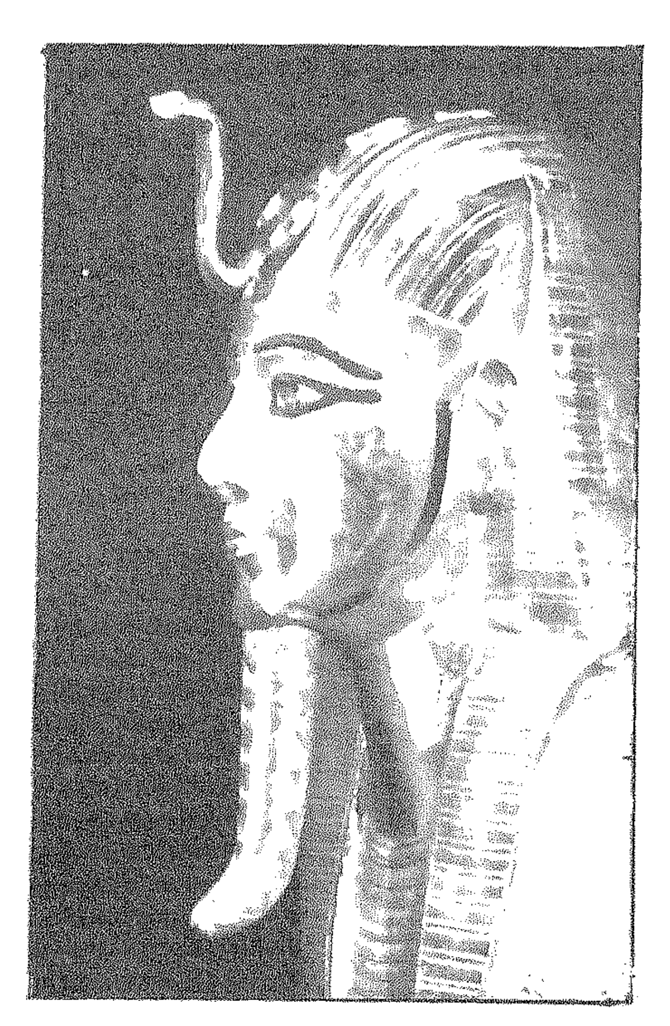
اهتزت أقلام الصحفيين والأدباء والشعراء غضبا على اللورد الانجليزى كارنارفون فى الأسابيع القلائل الماضية ، كما اهتزت غضبا عليه منذ ستة وستين عاما ! .

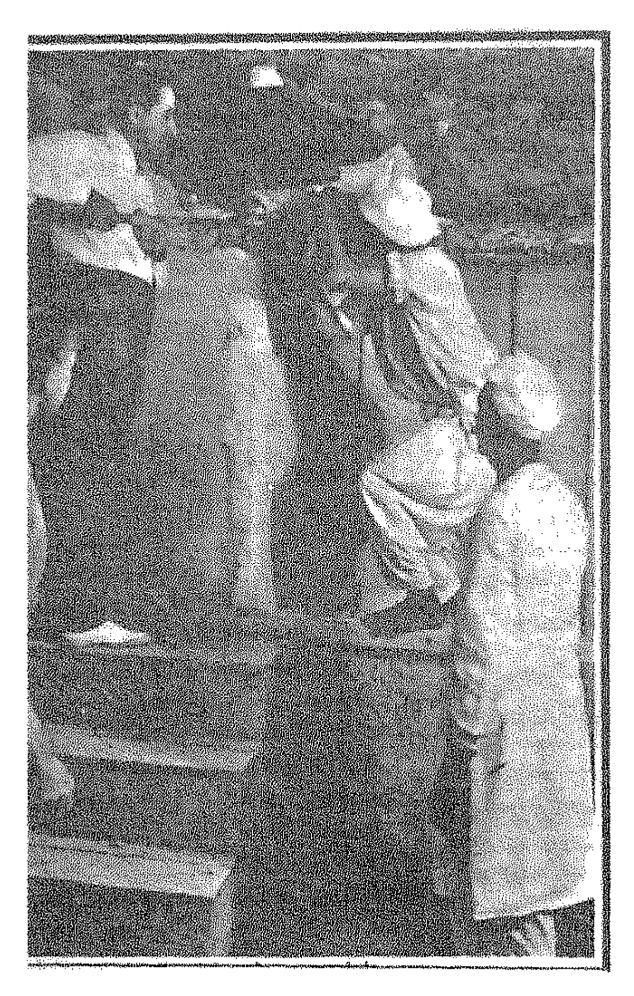
فى الشهر الماضى - فقط - ثبت ان اللورد كارنارفون احتفظ لنفسه - على سبيل التذكار - بنصيب من الآثار التى اكتشفها سنة ١٩٢٢ فى مقبرة توت عنخ آمون بوادى الملوك فى الأقصر ..

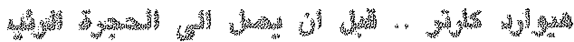
وكان اللورد عقب اكتشاف مقبرة توت عنخ آمون مباشرة ، يقسم بأغلظ الأيمان أنه لم يأخذ منها شيئا على سبيل السرقة ولا على سبيل التذكار ، وأنه تركها كما وجدها صديقه الأثرى هوارد كارتر الذى ظل يبحث عنها شهورا طوالا حتى عثر بها مصادفة بعد أن كاد ييأس ويهيل التراب على جميع حفرياته فى وادى الملوك ! ..

كان اللورد كارنارفون هو ممول مشروع البحث عن الآثار فى الأقصر سنة ١٩٢٢ ، وكان كارتر يشرف على البحث ، والعمال المصريون تحت إمرته هم الذين ينقبون ويبحثون فعلا .. وأحد هؤلاء العمال هو الذى أرشد كارتر الى السلالم المفضية الى المثوى الأبدى لتوت عنخ آمون الذى جلس على عرش الكنانة قبل ثلاثة وثلاثين قرنا من الزمان ، ومات دون سن العشرين ! .

جاء اكتشاف كنوز توت عنخ آمون فى ٢٣ نوفمبر ١٩٢٢ عقب انبعاث الروح الوطنية فى المصريين خلال ثورة ١٩١٩ ، فكان أشبه بثورة جديدة عززت ثقتهم بحقهم فى الاستقلال التام ، الذى طلبوه فى الثورة بالموت الزؤام ، ولكن بريطانيا







توت عنخ امون .. سرقوه فى اتحازن

توت عنخ امون .. سرقوه فى اتحازن

هيوارد كارتر .. قبل ان يصل الى الحجرة الرئيسية

لم تسمح لهم فى تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ إلا بالاستقلال « الذاتى » .. ذلك الاستقلال السيىء السمعة الذى لم تتخلص منه مصر الا سنة ١٩٥٦ .

ارتاب المصريون فى كارنارفون وكارتر ، وسرت فيهم الشائعات بأن اللورد وصديقه قد سرقا آثار فقيد مصر الذى رحل فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ..

ونفى كارنارفون وكارتر تلك الشائعات جملة وتفصيلا ، ولكن التهمة ظلت تطاردهما ، ونظم فى ذلك الشعراء ، ونثر الناثرون ، وتغنى المغنون ، وقال أمير الشعراء أحمد شوقى :

أَمَنْ سرَقَ الخليفةَ وهو حَيٌّ

يَعِفُّ عن الملوكِ موسدينا

أراد أن يقول : لقد سرق الانجليز السلطان أو الملك أو الخليفة العثمانى بعد انتصارهم على الأتراك فى الحرب العالمية الأولى ، ونقلوه على ظهر إحدى بوارجهم الى « مكان أمين » لايبرحه .. فكيف يتعفف هؤلاء اللصوص المحترفون الذين سرقوا السلطان او الملك التركى وهو حى يرزق ، عن سرقة كنوز ملك مصرى رحل عن دار الفناء سنة ١٣٢٣ قبل الميلاد ؟! ..





لقد صدق شوقى .. فها هو ذا اللورد كارنارفون الذى مات منذ خمسة وستين عاما ، يفتضح على مرأى ومسمع من العالم كله ، ويضبط متلبسا بالسرقة ، وحفيده اللورد كارنارفون السابع شاهد على ذلك ، فضلا عن خادمه الأمين العجوز روبرت تايلور ، وهو غير الممثل الأمريكى المشهور الراحل الذى كان يحمل نفس الاسم ..

ومن أسف ان قصة توت عنخ آمون عادت الى الحياة مرة أخرى ولكنها لم تحرك ساكنا فى أحد منا ، وكانت فى سنة ١٩٢٢ عند اعلانها اول مرة كأنها النفخ فى الصور يبعث الموتى من أجداثهم ، وكانت مثارا للغناء والبكاء فوق كنوز اسلافنا الفراعين ! ..

لقد اقتحم توت عنخ آمون فى ذلك الحين شعر الشعراء ، وغناء المغنين ، فامتدحه الشعراء بقصائد عصماء كأنهم يتصورون أنه سيجزل لهم العطاء كعادة الملوك قديما مع الشعراء ، ولكنه ـ رحمه الله ـ لم يسمع شيئا من قصائدهم ، ولو سمعه لعجز عن فهمه ، فهو ملك هيروغليفى اللغة ، والشعر الذى قيل فيه عربى مبين ! ..

نظم امير الشعراء شوقى فى المناسبة التاريخية قصيدته المشهورة .

قفي يا أخت يوشع خبرينا
أحاديث القرون الغابرينا

ثم نظم قصيدته الأخرى الرائعة التى أشاد فيها بتوت عنخ آمون وحضارة عصره وامجاد دولته :

دَرَجَتْ على الكنز القرونْ
وَأَتَتْ على الدَنِّ السنونْ

ولكن شوقى ختم قصيدته هذه بقوله :

إن الـــزمـــانَ وأهلـــه
فَرَغًا من الفـرد اللعينْ

أراد شوقى ان يندد بحكم الطاغية الفرد الملك فؤاد فى ذلك الحين ، فتمسح بالملك الفرد الفرعونى ورمى بهذا البيت كالقنبلة وكأنه يرميه على توت عنخ آمون لا على الملك الفرد القابع فى « عابدين » ! ..

وأكثر الشعراء من القول ، فخلطوا الجيد بالردىء ، ومن حسن الحظ ان شعراء ايامنا الحاضرة لم يقولوا شيئا ، فإنه لاجيد لديهم يقولونه ، ولو قالوا لأغرقونا فى بحر من رديئهم الذى لايملكون غيره وهم فيه معذورون ! ..

أما مؤلفو الأغانى فى العشرينيات فإنهم داروا على المطربين والمطربات بأزجال عن الملك الفرعونى الشاب الذى بهرت كنوزه الدنيا ، وقتلت بعوضته اللورد كارنارفون ، وطاردت لعنته الفرعونية جميع من نبشوا مثواه ! ..

ولما ذهب أحد مؤلفى الأغانى الى منيرة المهدية سلطانة الطرب ، نظر بإعجاب فى عينيها العسليتين اللتين تشبهان عينى الأسد أو عينى الأسدة ـ زوجة الأسد ـ ثم قال لها منوها ببضاعته :

ـ جئت اليك ياست الكل بكلمات طقطوقة لم يسبق لها مثيل !..

قالت منيرة بدلال وصبر نافد :

ـ أية طقطوقة هذه ؟!

ـ طقطوقة جدنا الكبير ! ..

ـ ومن يكون جدنا الكبير هذا ؟!

ـ توت عنخ أمون .. ياست ! ..

لم تمض أيام حتى كانت منيرة المهدية قد سجلت على اسطوانات شركة بيضافون هذه الطقطوقة وقد امتلأ فيها صوتها حماسة ، وفرقعت بحتها الشهيرة كالقنبلة فى عدة مواضع من اللحن :

مايجبش زيى إن لف الكونْ
واحنا ابونا توت عنخ آمون
اسأل من التاريخ .. ينبيك
عن مجدنا .. وبعدين أماشيك
انـت تورّى النـاس حتاويـك
واحنا ابونا توت عنخ أمون

تخاطب منيرة فى هذا الغناء الانجليز الذين يفخرون علينا بمجدهم ، ونحن سابقون بمجدنا العالم كله ، كما تخاطب منيرة بغنائها أبناء مصر الذين خرجوا من ثورة ١٩١٩ بتصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢ ، لا أكثر ، فلما كشف الانجليز كنوز الملك المصرى هب المصريون فى كبريائهم الوطنية يقولون للانجليز : هذا تاريخنا المجيد ، فاخجلوا منه واخرجوا من بلادنا ! ..

وفى سنة ١٩٢٣ حين غنت منيرة هذه الطقطوقة كانت « مسالمة الانجليز » هى سياسة جميع الأحزاب فى انتظار فراغ « لجنة الاشقياء » من تفصيل مواد الدستور ، والى هذه السياسة السلمية تشير منيرة فى قولها :

وغُفـر قلبـى إن كـان يرتاح
إلا ان عـادت لنـا الأفـراح
واعمل « سياسة السِّلْم » سلاح
واحنا ابونا تـوت عنخ أمون

ولم تغن أم كلثوم شيئا عن توت عنخ آمون ، فقد كانت أيامئذ ناشئة تتلمس





طريق بدايتها الفنية فى القاهرة ، قانعة بالغناء فى « كشك » بحديقة الازبكية لاتصحبها فى غنائها آلة موسيقية ، ولاتظهر لمستمعيها فى ملابس النساء ، وانما ترتدى جبة غليظة وتضع على رأسها عقالا بدويا مضلعا يدهش الناظرين ..

أما محمد عبد الوهاب فكان حينذاك يغنى طقطوقته المشهورة : « فيك عشرة كوتشينة فى البلكونة » .. أو يقلد أغانى سلامة حجازى وسيد درويش الذى مات فى نفس السنة التى ذاعت خلالها أغانى توت عنخ آمون ! ..

ولم يتصد لمنافسة منيرة المهدية الا زميلتها المطربة نعيمة المصرية التى كانت تطبع اسطواناتها فى شركة « بوليفون » المنافسة لشركة بيضافون ! ..

ذهبت نعيمة الى بوليفون وقالت لصاحبها :

ـ اسمع ياخواجة .. أنا أريد تسجيل طقطوقة وطنية عن توت عنخ آمون ، حتى لاتكون منيرة المهدية أعرف منى بالأصول عند أهل النظر ! ..

« نقل لنا هذه العبارة احد المخضرمين من « الآلاتية » فضمنتها مقالة لى منذ عشرين عاما ، وها أنذا أعود فأضعها فى مكانها هنا ، ولم أكن أظن أن كلام نعيمة المصرية مما يحتاج المرء الى تكرار ترديده من حين الى حين » ! ..

لكن نعيمة لم تفهم ـ فيما يبدو ـ أن الغناء الوطنى يختلف كثيرا عن غناء « الخلاعة والدلاعة » فقد غنت طقطوقة راقصة اهتزت على نغماتها وإيقاعاتها فتيات مقاهى الازبكية وعماد الدين وروض الفرج ، وكانت تقول :

قم هات لى بدلة لازم تكونْ
لونها بديع توت عنخ آمون
الله عليها .. مالهاش مثيل
قم اشتريها واعمل جميل
اضحك واهزّر وابدى الدلال
والبس واخطر زى الغزال

تنافست أغنية نعيمة وأغنية منيرة ، ففازت أغنية منيرة فى السباق ، وامتدحها سعد زغلول باشا زعيم الشعب ، ولكن هواة الايقاع الراقص لم يخفوا تفضيلهم لأغنية نعيمة مع احترامهم التام لرأى زعيم الأمة الجليل ! ..

ثم توالت الاغانى ، ودخلت الميدان علية فوزى وفاطمة قدرى وبديعة مصابنى ، ورقصت ملاهى القاهرة والاسكندرية على ايقاعات توت عنخ آمون ! ..

ومن مآثر توت عنخ آمون على الفن المصرى أنه نبه الفنانات والفنانين ـ بعد ثلاثة آلاف وثلثمائة عام من وفاته ـ الى ان الجمال هو الرشاقة وليس اكتناز الشحم واللحم ..

وقد كان المغنون والمغنيات فى العشرينيات يهتفون بأبيات الشعر التى تتغزل



فى القدود الرشيقة ولكنهم ـ وبخاصة الفنانات ـ لايؤمنون الا بحجم الفيل ..
كانت المغنية تترنم بالغزل فى غصون البان التى تميل مع النسيم ، بينما تقف المغنية أمام جمهورها كشجرة جميز عتيقة ! ..
ذلك لأن الأعيان من الباشوات والبكوات والعمد وكبار تجار القطن كانوا يهيمون غراما بالنساء السمينات وكأنما كان شوقى يلم بهذا المعنى حين قال فى مسرحية على بك الكبير على لسان أحد شخوصها :

إن سراة الناس فى
مصر يحبون السِّمَنْ
وهذه الكومةُ فيها
سِمَنٌ لكنْ حَسَنْ

وقال فى هذه المسرحية أيضا يخاطب إحدى الحسان السمينات :

وأنتِ ياضخمةُ يابدينهْ
يامحملا يخطر بالمدينهْ
قومى إلىَّ أَقْبِلى للزينه
رُزِقْتِ عُمْدَةً بلا قرينه

يصف شوقى فى هذه الأبيات ذوق الأعيان والكبراء فى عهد على بك الكبير والمماليك العثمانية ، ذلك الذوق الذى لم يبرح راسخا فى أعيان مصر حتى أوائل القرن العشرين ..

وقد فعلت الصور التى نشرت لتوت عنخ آمون ونساء عصره ، والعصور الفرعونية الأخرى ، فعل السحر فى نفوس المصريين والمصريات ، ويمكن ان يقال إن المصريين والمصريات الذين شاهدوا النزلاء والنزيلات الأجانب فى مصر فلم يأبهوا لرشاقتهم ولا فكروا فى الأخذ بأسبابها ، طلع عليهم توت عنخ آمون من وراء التاريخ ، فكأنه أصدر اليهم ـ رجالا ونساء ـ أمرا ملكيا بأن يتخففوا من أكوام اللحم والشحم ! ..
وغنى عن البيان أن الذين كانوا يتمتعون بأكوام اللحم والشحم فى تلك الأيام لم يكونوا من فلاحى مصر ولا عمالها ، وإنما كانوا من جمهور السيدتين منيرة المهدية ونعيمة المصرية ! ..
على أننا نذكر لهؤلاء الأسلاف الأقربين من أبناء مصر فى العشرينيات أنهم قد تأثروا بتاريخ بلادهم وعرفوا له قدره ..
أما نحن ـ الآن ـ فقد أصبح تاريخنا لايؤثر فينا ! ..
ولن تتحرك شعرة فى رءوسنا ولا فى أيدينا أو أرجلنا غضبا على كارنارفون وقومه الكرام ولو نقلوا الى بلادهم الأهرام وأبا الهول ، فضلا عن كنوز توت عنخ آمون ! ..

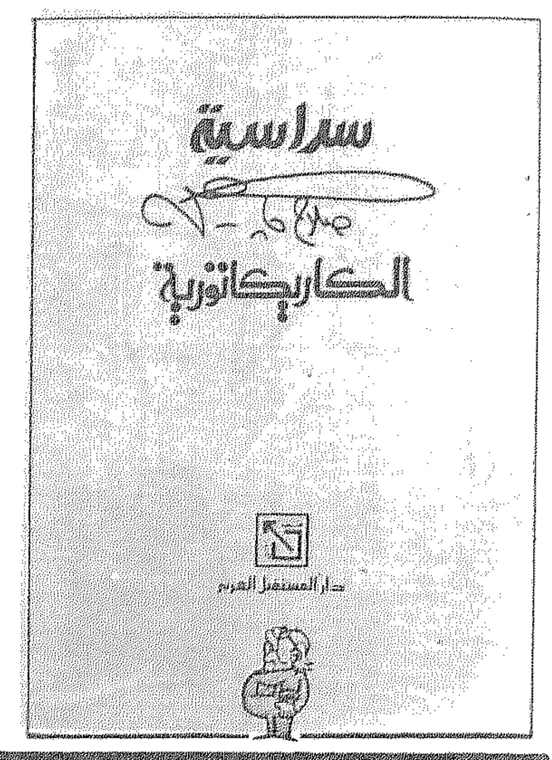


كان صلاح جاهين بحق شاهدا على عصره .. ترك لنا تراثا عظيما من الكاريكاتير والكلمة والنغم ، وكثيرا ما أضحكنا من اعماق قلوبنا ، وكثيرا ما ادمع عيوننا فى تعبيره الصادق عن مشاعر بنى وطنه، ويفتح قلبه بما ضاقت به صدور الناس ويحوله الى أشكال فنية ثرية .

ويقدم بهاء جاهين مئات الرسوم الكاريكاتورية فى كتاب اصدرته دار المستقبل العربى ، ترصد من خلال رسومه الحركة الاجتماعية فى الفترة ما بين ١٩٧٢ وحتى ١٩٨٥ ، عندما تراها جنبا الى جنب والتى كنا نطالعها يوميا فى جريدة الاهرام ، ترى الى اى حد كانت رسوماته دعوة الى غد افضل ، ودوره البارز فى مقاومة كل صور التخلف فى حياتنا ، وترى مئات الرسوم التى اضحكت القارىء وابكته فى آن واحد ، ولماذا اصبح رائدا لايعوض فى مدرسة الكاريكاتير العربى .

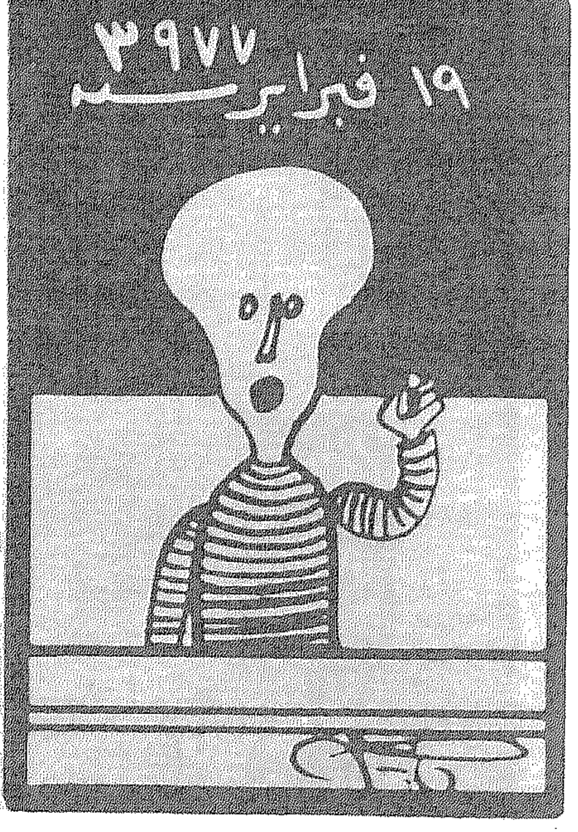


ـ انت فكرك ايه .. شوية دروس خصوصية وابقى زيك !





– انا دكتور واقول لك ان الانسان لو استمر يضحك بدون توقف يموت بعد عشر دقائق على الاكثر !



– وقد عثر الاثريون فى منطقة الهرم على شريط تسجيل أن المصريين هم الذين دهنوا الهوا دوكو .



– هع .. بعد ماكان صامت صمت القبور .. دلوقت قطعته بالسكينة وبرضه بيرن !

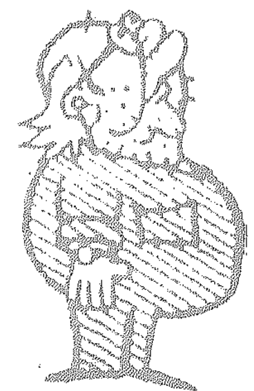


- تصور رحت اعمل اعلان فى التليفزيون مارضيوش!





- الظاهر رمضان جه يا ام سمير .. التليفزيون بيذيع حاجات حلوة !





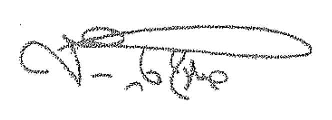
ـ يابني بلاش تهور .. مصر مش عايزة خريجين علوم دلوقت ! ـ لكن يابابا « كنـــدا » عايزة !



ـ يا عم كفاية علينا بقى الأقزام !



ـ بدل تكسير التليفون .. افسخ خطوبتك اللى فى مصر الجـديدة واخطب واحدة ســاكنة قريب !



القضية القومية فى الاتحاد السوفيتى:

هل أصابت لعنة ستالين خلفاءه؟

بقلم: عبد الرحمن شاكر

من قديم كان يقال عندنا فى مصر ان هناك لعنة للفراعنة تصيب من يعبثون بقبورهم، ويحاولون الاستيلاء على كنوزهم المدفونة معهم وبالرغم من الاقاصيص التى رويت عن بعض من عبثوا بهذه القبور، وما اصابهم فى اشخاصهم او ذويهم من تلك اللعنة فان التنقيب عن اثار هؤلاء الفراعنة لم ينقطع، وان كان حسن النية ـ متمثلا فى عرض هذه الاثار على العالم ـ عن طريق الهيئات العامة التى تقوم بالتنقيب، قد حل محل الاغراض الشخصية فى الاستيلاء على الكنوز، وعسى ان تكون اللعنة قد كفت عن ان تصيب المنقبين الحاليين.

ويبدو أن الاتحاد السوفييتي يعانى حاليا مما يمكن وصفه بانه « لعنة ستالين »، باعتباره « الفرعون » الذى قام بالدور الاكبر فى بناء تلك الدولة الكبرى!! وبالرغم من أن ستالين لم تكن لديه كنوز يسعى المنقبون للاستيلاء عليها، فإن له تاريخا طويلا عريضا لم ينقطع التنقيب فيه حتى الان، بل هو يتجدد باستمرار. أول ما بدأ التنقيب كان فى عهد خروشوف، بعد سنوات قلائل من موت ستالين عام ١٩٥٣. ففى عام ١٩٥٦ عقد المؤتمر العشرون للحزب البلشفى، وفيه دعا السكرتير العام للحزب، نيكيتا خروشوف، الذى اختير لهذا المنصب خلفا لستالين، الى نبذ سياسة « تقديس الفرد » التى كانت متبعة فى عهد سلفه الراحل، ويعنى بذلك تقديس ستالين ذاته، وقرأ على المؤتمر تقريرا سريا، عرفه العالم بعد ذلك

على نطاق واسع ، عن « جرائم ستالين » ، واستبداده وطغيانه ، وعصفه بالشرعية الاشتراكية ، وقتله وتنكيله بكثير من رفاقه من أعضاء الحزب وقادته ، وقادة الجيش ، مما عرض الدفاع عن الوطن السوفييتى - حسب زعم خروشوف - للخطر ، خلال الحرب العالمية الثانية ، التى كان انتصار الاتحاد السوفييتى فيها ، مع حلفائه الغربيين ، هو مفخرة ستالين الكبرى . وبعد المؤتمر العشرين بسنوات قليلة ، فى المؤتمر الثانى والعشرين عام ١٩٦١ ، أقدم خروشوف على خطوة أكبر فى تحقير ستالين ، حيث دعا الى اخراج جثته من ضريح لينين ، وأمر باحراقها ودفنها تحت سور الكرملين أسوة « بصغار » الزعماء السوفييت ، وأمر بازالة تماثيله من الشوارع ، وتغيير الاسم التاريخى لمدينة « ستالينجراد »، رمز الصمود السوفييتى فى الحرب العالمية الثانية ، واحدى معالم التحول فى مصير تلك الحرب لصالح الحلفاء بمن فيهم السوفييت ، واطلاق اسم « فولجوجراد » عليها ! وكانت « لعنة ستالين » التى اصابت خروشوف ، انه بعد ثلاث سنوات ، من فعلته تلك ، اجتمعت اللجنة المركزية للحزب البلشفى ، وقررت اقصاء خروشوف منموقعه القيادى ومن جميع مناصبه، واختيار بريجينيف بدلا منه ، وبعد ذلك بسنوات قليلة مات خروشوف فى الظل ، مجردا من كل أبهة «الزعماء» احياء او أمواتا .

ويبدو حاليا ، أن لعنة ستالين ، تصيب الاتحاد السوفييتى فى مجموعه على نطاق أوسع بكثير مما أصاب خروشوف ، فقد شهدت الشهور الاخيرة ما يمكن وصفه بالالتهابات « القومية » الحادة ، فى « الجسد » السوفييتى العظيم المترامى الاطراف !

فمن مظاهرات للتتر فى موسكو ، تطالب بعودتهم الى القرم التى سبق اجلاؤهم عنها فى أيام الحرب العالمية الثانية ، الى اضطرابات فى كازاخستان بسبب اقصاء « دين محمد كوناييف » من منصبه كسكرتير عام للحزب هناك ، واستبدال رجل روسى به ، الى مظاهرات فى دويلات البلطيق لاتفيا ولتوارنيا واستونيا ، تطالب بالاستقلال عن الاتحاد السوفييتى ، وأخيرا مظاهرات صاخبة فى ايرفان عاصمة جمهورية أرمينيا السوفييتية ، تطالب بعد حوالى سبعين عاما على قيام الاتحاد السوفييتى على صورته الحالية ، باعادة ضم اقليم « ناجورنو - كاراباخ » ، الذى يتبع حاليا جمهورية أذربيجان السوفييتية ، الى أرمينيا ، لان اغلبية سكانه من الارمن، الذين تظاهروا بدورهم فى « ستيبا ناكرت » عاصمة الاقليم ، ووضعت احتكاكات عنيفة بينهم وبين « مواطنيهم » من الاذربيجان ، واضطرت السلطة السوفييتية الىقمع المظاهرات بالقوة ، واعترفت بوقوع عدة عشرات من القتلى والجرحى وان كانت الدعاية الغربية تقدرهم بالمئات او حتى بالالوف ! وتبع ذلك أن امتدت المظاهرات الى موسكو ذاتها ، حيث تجمهر أكثر من ثلاثمائة الف أرمنى احتجاجا على ما أصاب زملاءهم فى ايريفان وستيبا ناكرت !

وبغض النظر عما يقال عن الشعور الدائم لدى الارمن بالمحنة القومية من أول ما يرددونه دائما عن مذابحهم القديمة فى تركيا ، فما الذى يجعلهم يثورون الان مطالبين بذلك الاقليم المتنازع عليه مع أذربيجان ؟ وفيم ضم هذا الاقليم الى تلك الجمهورية أصلا ، وما علاقة كل ذلك بما نتوهمه منلعنة لستالين ؟!

هل أصابت لعنة ستالين خلفاءه؟

للاجابة على تلك الاسئلة ، ينبغى البدء بذكر علاقة ستالين الشخصية ، بالمسألة القوميـــة فى الاتحـــاد السوفييتى ، فقد كان ستالين هو أول وزير للشئون القومية ، فى الحكومة السوفييتية التى شكلت برئاسة لينين بعد الثورة البلشفية مباشرة ، وسبب اختياره لهذا المنصب ، أنه كان يعتبر خبير المسألة الوطنية أو القومية فى الدولة متعددة القوميات التى ورثها البلاشفة عن الامبراطورية الروسية ، وحينمـا ألف كتـابه الشهير عن « المسألة الوطنية » امتدح لينين هـذا الكتـاب ، وقال فى رسالة لاحـد أصدقائه أن جريبا ألعيا من جورجيا قد وضع كتابا مهما جدا فى المسألة الوطنية ، ولاتزال « المنظرية » التى بسطها ستالين فى هـذا الكتاب عن خصائص « الامة » هى عمدة الفكر الماركسى فى هذه القضية ، حيث حدد شروطا أربعة لقيام الامة هى : أن تكون بين أفرادها رابطة التكلم بلغـة واحدة ، والاقامة على أرض واحـدة متصلة ، ولها اقتصاد مترابط فيمـا بينها ، ويجمع بين مواطنيها تاريخ وتراث مشترك .

ولكن اعجاب لنين بافكار ستالين فى المسألة الوطنية ، لم يمنع دون وقوع صدام كبير بين الرجلين حـول هـذه المسألة بالذات فى أواخر أيام لنين ، وشاء القدر أيضـا أن يكون موضوع هذا الصدام متعلقا بجمهورية جورجيا التى ينتسب اليها ستالين ، وأن يمتد الصدام الى مجموع العلاقة بين الرجلين على المستويين الحـزبى والشخصى معا !

● التمرد فى جورجيا

خلال عام ١٩٢٢ ، كـانت السياسة الاقتصادية التى نفذها لنين بعدمرحلة حروب التـدخل من جـانب الدول الرأسمالية ضـد الدولة السوفييتية الوليـدة ، وتعرف باسم « السياسة الاقتصادية الجديدة » ، مطبقة على نطاق واسع فى ذلك الحين ، بهدف تنمية التجارة وانعاش الاقتصـاد السوفييتى المنهك ، ولو بالعودة الى بعض الاساليب الرأسمالية ، الامـر الذى أدى الى نشوء طبقة جديدة من الرأسماليين والتجـار عرفت باسم رجال السياسة الاقتصادية الجديدة ، ويشار اليهم اختصارا « بالنيب من » Nepmen وطبقـا لذات نظـرية ستالين ، عن عـلاقة الامة بالسوق القومية ، فقد أدت زيادة نفوذ هـذه الطبقة فى جمهورية جورجيـا الى مطالبتهم بعـدة مطالب اقتصادية ـ قومية ، حيث رفضوا الانضمام الى الاتحاد القوقازى من ناحية ، ومن ناحية أخرى طالبوا بحـريتهم فى اصدار عملة جورجيـة ، واستخدام اللغـة الجورجية فى تذاكر السكك الحديدية التى كانت تمر ببـلادهم ! وبالســماح لهم بفتح فروع للبنوك الاجنبية فى جورجيا . وبلغ من ارتفاع المد « القومى الرأسمالى » على هذا النحو ، أن وافق قادة الحزب الشيوعى فى جورجيا على هذه المطالب ، التى كان تطبيقها يعنى انسلاخ جورجيـا عمليـا من الحظيـرة الاقتصادية والسياسية للاتحاد السوفييتى والتحاقها بالنظام الرأسمالى الغربى .

ولاعادة الامور الى نصـابها فى جورجيا أرسل اليها ستالين ، الـذى كان يشـغل فى ذلك الحين منصب

السكرتير العام للحزب البلشفى بسبب مرض لنين واحـــدا من كبار القادة الحزبيين من أبناء جورجيا ذاتها ، وهو المعروف باسم « أورجنكدزه » ، الـــذى لم يتردد فى قمع ذلك التمرد القومى فى موطن رأسه ، بما فى ذلك استخدام العنف البدنى ضد الرفاق الشيوعيين فى جورجيا الذين انساقوا فى هـــــذا التيار ، وأسرع تروتسكى المنافس الاول لســــتالين على زعامة الحزب البلشفى بعد لنين المريض ، الى ابلاغ زوجة لنين المعـــروفة باسم كروبسكايا ، بهـــذا الذى حدث فى جورجيا ، وطالبها بابلاغ لنين بتلك التطورات الخطيرة ٠

وبادرت كروبســـــكايا بالاتصـــــال بستالين لابلاغه باستياء لنين ممـــــا حدث ، وطلبه ايفاد « ديزرزنسكى » وزير الداخلية السوفييتية الىجورجيا للتحقيق فى الوقــــائع المنسوبة الى أورجنكدزه ٠٠ ورد ســـتالين على كروبسكايا بغلظة وقال لها ما معناه انها لم يكن يحق لها أو لتروتسكى ازعاج لنين بمثل هذه الامور ، التى يستطيع هو والقــــــادة السوفييت التصرف فيها ، دون حاجة الى تدخل أمثالها ٠

وأسرعت كروبســـــكايا الى لنين ويبـــــدو أن تلك الواقعة هى نموذج مألوف للصراعات التى كثيرا ما تقوم ما بيـــن زوجــــة الزعيم الاول أو أرملته ، وخليفة هـــــذا الزعيم ٠٠ أسرعتكروبسكايا تشكو غلظةستالين معها الى لنين ، فأرسل لنين رســـالة غاضبة الى ستالين ، قال له فيها ان مسلكه مع زوجته يهدد العلاقة بينهما تهديدا خطيرا ، حيث انه يعتبر اهانة زوجته اهانة شخصية له٠٠وفىالوقت ذاته أرسل لنين خطابه المشهور الى المؤتمر الثالث عشر للحـــزب البلشفى يطالبه فيه باختيار سكرتير عام اخر للحزب ، ويكون أكثـــر أدبا ، واقل وقاحة فى معاملة الرفاق من الرفيق ستالين ، الذى جمع فى يده سلطات كبيرة يسىء استخدامها ، ذلك الخطاب الذى نشره خروشوف تعزيزا لحملته على ستالين بعد وفاته ٠

والذى حدث أن المؤتمر الثالث عشر للحزب ضرب عرض الحـــائط بوصية لنين فى اقصـــاء ستالين عن مركـــز السكرتير العام للحزب ! كل ما فعله المؤتمر احتراما للرجـــــل الكبيـــــر المحتضر ، أن أخذ تعهدا من الرفيق ستالين بأن يكون أكثر أدبا وتواضعا مع الرفاق فى المستقبل ، الامر الذى يدل على أن ستالين كان هو الزعيم الفعلى للحزب البلشفى منـــــذ لحظة تأسيسه ، الزعيم التنظيمى الـــــذى يملك مقاليد الامور فى يديه ٠ فقد كان لنين فى واقع الامر فيلسوفا نظريا يقيم فى الخارج قبل الثورة ، يرسل بالكتب والمقـــــالات لكى يتداولهـــا ستالين ورفاقه فى الداخل ، ويتحركوا طبقا لهـــا ، أما ستالين فكـــان يتولى عملية بناء الحزب داخليا عن طريق الترابط الشخصى مع أفراده ، من أيا كان يقود عصابات منهم لمهـــاجمة العـــربات التى تحمـــل الذهب الى القيــــاصرة من أرجاء الامبراطورية الروسية المترامية الاطراف ، ويستولى على هذا الذهب لينفق على نشــــاط الحزب ، بما فى ذلك شراء الاسلحة ، تمهيدا للاستيلاء على السلطة ، الذى تحقق للحزب البلشفى فى أكتوبر عام ١٩١٧ ، حقا لقد عاد لنين ورفاقه فى المنفى الى روسيا قبل ذلك بشهور ، وتولى رئاسة الدولة السوفييتية بعد الثورة ، ولكنه لم يكن من القـــوة بالقدر الذى يتيح له ــ حينما أراد ــ اقتلاع ستالين ، الذى أثبت انه البانى الحقيقى للحـــــزب البلشفى وللدولة

هل أصابت لعنة ستالين خلفاءه؟

السوفييتية على حد سواء !

وربما يكون الانتصار الوحيد الذى تمكن لنين من تحقيقه ضد ستالين ، حينما دخل معه فى هذا الصراع ، انتصارا شكليا بحتا ، حيث أنه رفض مشروع الاتحاد الذى كان ستالين قد تقدم به للمؤتمر ، بتسمية الدولة السوفييتية باسم « جمهوريةروسيا الفيدراليةالاشتراكية السوفييتية » ، واستبدل به لنين اسم « اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية » ، الامر الذى يعنى من الناحية الظاهرية المساواة بينمختلف الجمهوريات القومية المنضمة الى الاتحاد ، بينما تسمية ستالين كانت تعكس الواقع الحقيقى لهذا الاتحاد ، ليس من حيث أن « روسيا » هى الجمهورية الكبرى فحسب ، بل أيضا ، هى صاحبة اللغة التى يتكلم بها الاتحاد فى مجموعه ٠

بل ان لنين أيضا لم يفلح فيما طالب به ، حينما وصله تقرير « دزيرزنسكى » عما فعله أورجنكدزه فى جورجيا ، فقد وصف لنين أورجنكدزه بأنه من الذين اكتسبوا الطابع الروسى أو « تروسوا » من ابناء القوميات الاخرى ، فاصبح « العن » من الروس أنفسهم فى معاملة أبناء القوميات الصغرى ! وطالب بأن يعاقب بشدة حتى يصبح عبرة لغيره من قادة الحزب ، ولكن أورجنكدزه لم يصبهشىء ، وظلمحتفظا بمكانته فى اللجنة المركزية فى الحزب، وباحترامه الكامل ، حتى مات عام ١٩٣٧ فى ظروف غامضة ، قيل فيما بعد ان ستالين ، قد دفعه للانتحار ، لاسباب بعيدة الصلة عن قضية جورجيا التى أغضبت لنين عليه وعلى ستالين كليهما !

● اللعنة الحالية

ومما يذكر أن الاضطرابات قد تجددت فى جورجيا بعد ذلك على صعيد مختلف تماما ، وذلك بعد الحملات المتكررة على ذكرى ستالين ، فبالرغم من كل شيء ، كانت المشاعر القومية فى جورجيا تلتهب ازاء الاهانات التى توجه الى ذكرى ابن جورجيا العظيم ، بانى الدولة السوفييتية٠٠جوزيف فيساريا لوفيتش ووجاشفيلى ٠٠ ستالين !

ولقد اذكر فى هذا الصدد تجربة شخصية لى مع بعض الرفاق السوفييت الذين التقيت بهم فى زيارتى للاتحاد السوفييتى فى السبعينيات ، فقد عبر لى بعض الاصدقاء من أوزبكستان الجمهورية الاسلامية الكبرى هناك عن تقديرهم الكبير لستالين باعتباره الرجل الذى أرسى بالفعل قواعد المساواة بين أبناء القوميات المختلفة، ورفع عنهم نير الغطرسة الروسية وعلى العكس منذلك تماما ، فقد كنت مسافرا على احدى الطائرات بين بعض الجمهوريات السوفييتية ، وكنت أتحدث مع مرافقى المترى بالانجليزية وجرى بيننا ذكر خروشوف ، فما أن سمعت احدى السيدات المسافراتمعنا على الطائرة اسمه ، حتى انتفضت واقفة ، وراحت تسب ذلك «الخنزير» الذى أساء الى سمعة الاتحاد السوفييتى ! حسب ما ترجم لى ذلك المرافق !

فاذا عدنا الى حكاية أذربيجان وارمينيا٠٠نحاول الرد على السؤال الذى سبق : لماذا ضمت هذه المقاطعة التى تسكنها أغلبية أرمينية الى أذربيجان ؟

ربما يكون لهذا التصرف ، الذى تم على عهد ستالين عام ١٩٢٣ سببان :

الاول : هو زيادة حجم جمهورية اذربيجان السوفييتية ، حتى تستحق ان تصبح جمهورية ذات استقلال ذاتى باضافة هذا الاقليم الارمنى اليها ، حتى يكف أهلها عن التطلع الى الارتباط ببقية اذربيجان التى تقعداخل الحدود الايرانية ، ومن وقائع زيارتى أيضا للاتحاد السوفييتى ، لم يتردد بعض أبناء أذربيجان عن التصريحلى بتطلعهم الى الوحدة مع اخوتهم من مسلمى الشيعة فى أذربيجان الايرانية !

والسبب الثانى : وربما يكون الاهم ، قد يكون سببا استراتيجيا ، وهو أنالاقليم المتنازع عليه « ناجورنو ـ كاراباخ » قد يكون هو الطريق الاقصر أمام القوات السوفييتية الرئيسية للوصول الى الحدود الايرانية ، وفى حالة اضطرار الجيوش السوفييتية الى ذلك ـ كما حدث خلال الحرب العالمية الثانية ، وحتى نهايتها ، فان السوفييت قد يفضلون أن تكون جيوشهم الزاحفة على شمال ايران ، وبالتحديد على اذربيجان الايرانية ، متخذةمظهر الذى يزحف من أذربيجان الى اذربيجان ! وليس من أرمينيا الى أذربيجان ، لاسباب معنوية تتعلق بالشعوب التى تسكن هذه المنطقة ، ذات التاريخ المتداخل المعقد ، المشحون بالتوتر العاطفى !

ولكن لماذا يعود الارمن الان للثورة مطالبين باعادة هذا الاقليم اليهم ؟ ولماذا يشترك حتى الشيوعيون منهم فى تلك المظاهرات ، ويصل بهم الامر الى حد تمزيق بطاقات عضوية الحزب الشيوعي والقائها على الارض تعبيرا عن الغضب ؟

كل ذلك أيضا له أكثر من تفسير :

أولا : مرحلة العلنية والديمقراطية التى أعلنها جورباتشوف تفتح الشهية للتعبير عن مختلف الاراء والنزعات المكبوتة بما فى ذلك المشاعر القومية .

ثانيا : اعلان الاتحاد السوفييتى عن قرب انسحابه من أفغانستان ، ربما يكون علامة على أن السوفييت لم يعودوا يقوون على قمع التطلعات القومية حتى فى دولة صغيرة على حدودهم مثل أفغانستان ، فلماذا لا يتطلع الارمن الى مثل ما يتطلع اليه الافغان ، ولو أنهم فى حدود الاتحاد السوفييتى بالفعل ؟

ثالثا : وهو الاهم ، والاكثر اتصالا بستالين ونظريته عن القومية : ربما يكونلسياسة جورباتشوف الاقتصادية .. وسماحه بوجوه كثيرة من النشاط للقطاع الخاص على نحو يعيد للاذهان ، ويشبه السياسةالاقتصادية الجديدة التى اتبعها لنين وأشير اليها فى أول المقال ، دخل فى هذا التحرك، فالذين يتطلعون من الارمن الى ممارسة النشاط الاقتصادى ، وهم شعب تجارى بطبيعته ، كما هو معروف لدينا عن أبنائهم هنا مصر ، أقول ان هؤلاء ربما يتطلعون الى أن يكون كل « السوق الوطنى للارمن » فى حوزتهم وفى اطار جمهوريتهم قبل أن يشرعوا فى هذا النشاط ، لهذا فهم وراء المطالبة باعادة هذا الاقليم الارمنى الى جمهورية ارمبيا وانتزاعه من اذربيجان !

وعلى كل فلا يزال الاتحاد السوفييتى ، بالرغم من كونه احدى القوتين العظميين فى العالم ، تجربة تاريخية جديدة ، ليس بالنسبة لشعوبه وحدها ، بل بالنسبة للعالم كله .

الدارونية في ميزان الإسلام

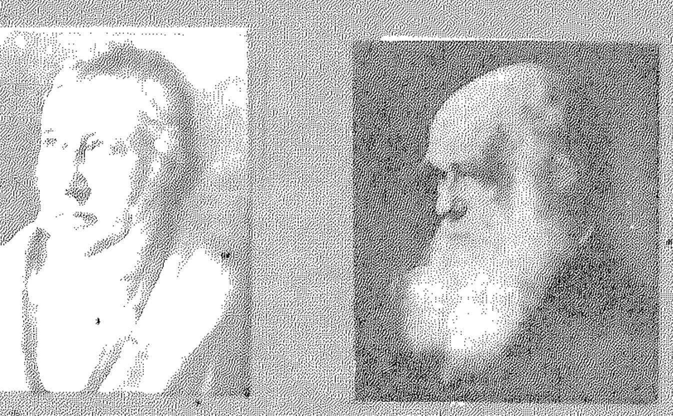
بقلم : د. محمد عمارة

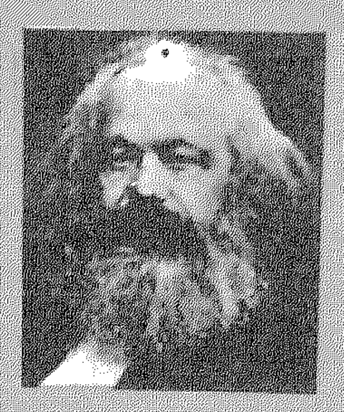
لا أعتقد ان أمة من الأمم أو حضارة من الحضارات ، قد وقفت وتقف من « النشوء والتطور والارتقاء » موقف الرفض والعداء والإنكار ... تستوى فى ذلك ـ كما أحسب ـ كل الأمم الانسانية ، وكل الحضارات ...

ذلك ان الحواس الانسانية ، وكذلك العقول ـ وهى مشترك إنسانى عام ـ تدرك بالبداهة آثار قوانين وظواهر وأعمال النشوء والارتقاء والتطور فى كل مايحيط بالانسان .. بل وفى ذات الانسان ، وفى فكره أيضا .. ففى النبات ، نشوء وتطور وارتقاء .. وكذلك فى الحيوان .. وفى الجماد .. وفى الأفكار ... تلك حقائق بديهية ، أقام الله عليها قصة الخلق الأول .. والمستمر .. وكذلك الاعادة والبعث والاحياء .. واتخذ منها دليلا دعا أدوات الادراك الانسانى ـ الحسية والفكرية ـ من السمع والبصر والفؤاد ـ إلى إدراكها وإدراك ما تعنيه .. وفاضت بالحديث عنها آيات القرآن الكريم .. فقصة الانسان مع الوجود والتحول .. قد حكمها قانون النشوء والارتقاء والتطور والتحول ..

﴿ ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين . ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين . ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقا آخر فتبارك الله أحسن الخالقين . ثم إنكم بعد ذلك لميتون . ثم إنكم يوم القيامة تبعثون ﴾[1] .

﴿ هو الذى خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلا ثم





تشارلز داروين — هيجل — كارل ماركس

لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخا ، ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلا مسمى ولعلكم تعقلون ﴾[٢] .

﴿ الذى أحسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل له السمع والأبصار والأفئدة قليلا ما تشكرون ﴾[٣] .

﴿ أيحسب الانسان ان يترك سدى . ألم يك نطفة من منى يمنى . ثم كان علقة فخلق فسوى . فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى . أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى ﴾[٤] .

﴿ الله الذى خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة ، يخلق ما يشاء وهو العليم القدير ﴾[٥] .

ومثل الانسان فى هذا النشوء والارتقاء والتطور والتحول ، الجماد .. والنبات ..

﴿ يا أيها الناس إن كنتم فى ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ، ونقر فى الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلا ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ، وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج ﴾[٦] .

وذات القانون ، يحكم الاعادة والبعث والاحياء ..

﴿ وإذ قال ابراهيم : رب أرنى كيف تحيى الموتى ؟ قال: أولم تؤمن ؟! قال : بلى ، ولكن ليطمئن قلبى ، قال : فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءا ثم ادعهن يأتينك سعيا ، واعلم ان الله عزيز حكيم ﴾[٧] .

وفى تراثنا القديم ، نقرأ عن تجارب الأسلاف ، منذ ما قبل الاسلام ، فى تخيرهم الأرحام لنطفهم ، تحسينا للنسل وارتقاء به وتطويرا له .. وكذلك كانوا يصنعون فى الحيوان والنبات ، انتخابا فى اللقاح والتلقيح ، وتطعيما وتهجينا ...

ومع أسلافنا وأمتنا وحضارتنا ، اتفقت وتتفق ـ كما أشرنا ـ كل الأمم والحضارات فى الايمان بحقائق وقوانين النشوء والتطور والارتقاء .. فالجميع ،

إزاء المبدأ والقانون ، يجتمعون على هذا « المشترك الانسانى العام » ..

● دارون والنشوء والارتقاء

لكن للحضارة الغربية فى مذهب التطور والنشوء والارتقاء مضامين وأبعادا هى من صميم « الخصوصية الحضارية » ، التى تميزها عن حضارتنا العربية الاسلامية ، فتنفرد بها عن هذا « المشترك الانسانى العام » ..... وعلى سبيل المثال :

● فمن النظريات التى لعبت دورا محوريا فى طبع فكرية الحضارة الغربية الحديثة بطابعها ، وأثرت أبلغ التأثير فى مختلف ميادين هذا الفكر ، حتى غدت بمثابة المنطلق والفلسفة لكثير غيرها من النظريات الأساسية التى مثلت قسمات الفكر الغربى الحديث ... تلك التى صاغها تشارلز داروين Darwin [١٨٠٩ - ١٨٨٢م] للتطور والنشوء والارتقاء فى كتابه الشهير [أصل الأنواع] ... وفى هذه « الدارونية » - سواء عند مُنْشئها ، أو عند تلاميذه ، بتياراتهم المختلفة - لم تقف الحضارة الغربية ، فى هذه القضية ، عند « المشترك الانسانى العام » .. وإنما ابتدعت جديدا ، هو الذى نراه « خصوصية حضارية غربية » ، لايجب قبوله قبول « المشترك الانسانى العام » .. وذلك من مثل :

١ - القول بوحدة أصل الأنواع الحية .. بدءا بالخلية الواحدة التى تخلقت ذاتيا ، ومرورا بالحيوانات الفقرية ، حتى القردة ، التى هى أصل الانسان ! ..

فهذه « الاضافة الغربية » ، ذات النزعة المادية الالحادية - لزعمها التخلق الذاتى للحيوان ذى الخلية المفردة .. والمفتقرة الى « الصدق العلمى » ، لاختراعها قانونا عاما بناء على استقراء ناقص - كما اثبت ذلك علماء أوربيون وغربيون ايضا - ... هذه الاضافة الغربية قد أتى على بلادنا حين من الدهر ابتلعتها حياتنا الثقافية والفكرية والتعليمية مع ما هو - فى التطور - « مشترك إنسانى عام » .. وهذا لون من الوان الغزو الفكرى ، الذى لايميز بين « الخصوصيات الحضارية » وبين « المشترك الانسانى العام » .

٢ - وقالت الدارونية ، ايضا ، بتأسيس التطور والارتقاء على « التناقض المطلق » .. وزعمت أن قانون الحياة والأحياء هو صراع الأضداد على البقاء ، وأن البقاء فى هذا الصراع ، ومن ثم الارتقاء ، هو للأقوى ، لأن هذا الأقوى هو الأصلح ! .. فكان ان اعطت هذه « الفكرة - الدارونية » للحضارة الغربية فى عصر الكشوف الجغرافية والمد الاستعمارى التبرير والمشروعية لكل ما مارسه الغرب ضد الأمم والحضارات التى ابتليت باستعماره من قهر ونهب وإبادة ومسخ ونسخ وتشويه ! ..

فإذا استرق الغرب الشعوب الملونة استرقاقا جماعيا ، فاقام رخاءه المادى على جماجمهم ، وسير سفن سعادته فى بحار عرقهم ودمائهم .. فذلك مشروع ، لانه هو الأقوى ، فهو الأصلح للبقاء ، وفقا لهذا القانون « العلمى » الذى زعمته الداروينية ! ..

وكذلك الحال اذا هو اباد الهنود الحمر ، ونسخ حضارتهم .. واذا هو اقتلع شعوبا من أوطانها واستعمرها استعماره الاستيطانى ، كما هو الحال فى فلسطين وجنوب افريقيا وكما حاول فى الجزائر ..

وكذلك الحال اذا هو صنع ذات الشىء مع الأبنية الفكرية والثقافية والحضارية لهذه الشعوب التى غلبها على أمرها واقتحم عليها أوطانها بقوته .. فالقوة هى الصلاح ، والقوى هو الأصلح والأجدر بالبقاء ! ..

لقد منحت هذه النظرية المشروعية « الأخلاقية » لـ « قانون الغابة » ، فاقترف الرجل الأبيض ما اقترف واجترحت يداه ما اجترحت ، وهو مرتاح الضمير ، راحة اصحاب الرسالات ! ..

● الداروينية وحض على الفناء

وانطلاقا من هذه الفلسفة الداروينية ـ التى لبست ثوب « العلم الطبيعى » زورا وبهتانا ـ لم يشعر كثيرون من مفكرى الغرب بالخجل من مشاريع الغزو والدمار ، ومن جرائم المرتزقة والافاقين والمغامرين فى المستعمرات .. فـ« ماكس نوردو » [١٨٤٩ ـ ١٩٢٣م] يتحدث عن المشروع الفرنسى لاقتلاع شعب الشمال الافريقى العربى المسلم لحساب الاستعمار الاستيطانى الغربى ، فيقول : « إن شمال إفريقيا سيكون مهجرا ومستوطنا للشعوب الأوربية ... وأما سكانه الأصليون فسيدفعون نحو الجنوب ، الى الصحراء الكبرى ، إلى أن يفنوا هناك ؟! »

وجابرييل هانوتو G · Hanotau [١٨٥٣ ـ ١٩٤٤م] ـ السياسى والمفكر الفرنسى ـ يقول عن « رسالة » الرجل الأبيض الفرنسى فى الجزائر « إن شعبا جمهورى المبادىء .. قد تقلد زمام إدارة شعب آخر . منتشر فى الأرجاء الفسيحة والأصقاع المجهولة . يتبع تقاليد وعادات غير التى نعنو لها ونحترمها ، هو الشعب الاسلامى السامى الأصل ، الذى يحمل اليه الشعب الآرى المسيحى الجمهورى الآن : ملح وروح المدنية ؟! .. »

أما « سايسيمون (ى) » ، فيقول سنة ١٨٣٠م ، عن هذه المهمة الغربية ، مهمة غزو الجزائر : « هذه المملكة الجزائرية التى ستصبح بلدا جديدا يتدفق اليه الفائض من السكان ومن نشاط ابناء فرنسا ؟! .. »

وكما بررت لهم الداروينية إفناء الانسان الأقوى للأضعف .. بررت لهم ذلك أيضا فى « صراع » الحضارات .. فكتبوا عن العربية ، لغة الجزائر القومية ، فى سنة ١٨٤٨م : « إن الجزائر لن تصبح فرنسية الا عندما تصبح لغتنا الفرنسية لغة قومية فيها . والعمل الجبار الذى يجب علينا انجازه هو السعى وراء جعل الفرنسية اللغة الدارجة بين الأهالى الى ان تقوم مقام العربية ، وهذا هو السبيل لاستمالتهم الينا ، وتمثيلهم بنا ، وإدماجهم فينا وجعلهم فرنسيين ؟! .. »

وكتبوا عن الاسلام ، فكرية ـ ايديولوجية ـ الشعب الجزائرى ، بلسان الكاردينال « لافيجرى » : « إن عهد الهلال فى الجزائر قد غبر وان عهد الصليب قد بدأ ، وإنه سيستمر الى الأبد .. وأن علينا أن نجعل أرض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة أرجاؤها بنور مدنية منبع وحيها الانجيل ؟! .. »[٨] .

لقد صدرت هذه الأقوال ـ وأمثالها كثيرة ـ من هؤلاء المفكرين الغربيين ـ وأمثالهم كثيرون ـ دون ان يشعروا بالخجل ، لأنهم كانوا ينطلقون من فلسفة تقول لهم : إن تنازع البقاء ، وإفناء القوى للضعيف هو القانون العلمي الواجب النفاذ ! ..

ومع ذلك ، يدعونا أسرى الغزو الفكرى ، من المتغربين ، الى ابتلاع هذا « الطعم » ، زاعمين إنه « علم » و « مشترك إنسانى عام » ؟! ... غير مدركين أنه جزء من « الخصوصية الحضارية الغربية » المعبرة عن نزعة الاستعلاء والعدوان عند الرجل الأبيض الغربى تجاه الشعوب الملونة وتجاه الحضارات التى ابتليت بالاستعمار الغربى الحديث ! ..

★ ★ ★

● وفى مجال « فلسفة التاريخ » و « التطور الحضارى » اجتهدت « الهيجلية » ان تنهض بذات الدور .. فابداع الفيلسوف الألمانى هيجل Hegel [١٧٧٠ ـ ١٨٣١م] فى فلسفة التاريخ قد طبع الفكر الغربى بطابعه الى حد كبير .. فسادت نظريته فى انبثاق الفكر ، كبناء فوقى ، من الواقع ، كبناء تحتى .. فالصور والأخيلة إنما هى بنت عصرها ، فاذا دعا التطور هذا العصر الى ان يخلى مكانه لعصر جديد ، فلا بد ان تخلى هذه الصور والأخيلة والأفكار مكانها لأخرى منبثقة من العصر الجديد ..

ولا أحد ينكر ما فى هذه النظرية من عناصر صدق نلمسها عندما ننظر فى تطور المجتمعات والأفكار والحضارات .. فحتى توالى وتغاير الشرائع السماوية ، وفكرة النسخ ، نسخ اللاحق للسابق فى هذه الشرائع ، شاهد على ما فى الهيجلية من صدق وواقعية ..

لكن الأمر الذى جعل من الهيجلية فى تفسير التاريخ « خصوصية حضارية غربية » ، تجاوزت وغايرت ما هو « مشترك إنسانى عام » فى هذا الميدان .. هو الغلو والمبالغة فى التغير وتأثيراته ومجالاته .. فهى قد جعلت « التغيير » بمثابة « المطلق » ، ولم تعط الانتباه الكافى لعناصر « الثبات » التى تظل قائمة فاعلة ، رغم تغير الواقع المادى ، والتى تحفظ على المسيرة الحضارية ، رغم التطور ، وحدتها وخصوصيتها ، كما تحفظ « البصمة » على الانسان تفرده وتميزه ، رغم مايتغير فيه عبر مسيرته من الولادة الى الممات ..

فباستثناء « بقايا انقاض » من الأبنية الفكرية السابقة ، لن يبقى التطور ـ كما

زعمت الهيجلية ـ من انعكاسات الواقع الغابر شيئا ...

وكما حدث بالنسبة لفلسفة الداروينية ، فلقد وُظِّفَت الهيجلية فى خدمة الاعصار الاستعمارى والغزو الحضارى والاقتلاع الثقافى والمسخ والنسخ والتشويه الفكرى الذى مارسته الحضارة الغربية الغازية ضد حضارات البلاد التى نكبت بهذا الاستعمار ...

فالذين احتلوا ارضنا وهيمنوا على مقدراتنا قد صاغوا واقعنا صياغة جديدة ، وازالوا منه البنى والمؤسسات القديمة . ان فى الانتاج الفكرى او ميادين الحرف والصناعات .. لقد غيروا الواقع ، وجعلوه « متغربا » .. وها هى الفلسفة الهيجلية فى تفسير التاريخ ، تاتى لتقول : إن الطبيعى والقانونى والعلمى ان تخلى الرؤى والأخيلة والأفكار الموروثة مكانها ، بعد ان غير واقعها ، لأخرى مناسبة لهذا الواقع الجديد .. وبما أنه ـ الواقع الجديد ـ « متغرب » ، فلابد وان تكون الفكرية السائدة هى فكرية « التغريب » ! ..

وهذه الفلسفة الهيجلية هى التى وقفت ولا تزال خلف ما قرأناه وما زلنا نقرؤه لأسرى الغزو الفكرى من المتغربين الداعين الى أن نأخذ الغرب ككل : التصنيع والقيم .. العلوم الطبيعية والمُثُل .. التقدم العلمى والفلسفة والأخلاق ... لأن هذا الاطلاق الذى رجحت به الهيجلية كفة « المتغيرات » على حساب « الثوابت » قد قاد الى محاولاتهم نفى كل ثوابتنا ، واقتلاع هويتنا وخصوصيتنا الحضارية من الجذور ..

ونحن نعتقد ان ملابسات غربية خاصة هى التى افرزت هذه الخصوصية الغربية فى فلسفة التاريخ .. فلا أحد ينكر وجود التناقض والمتناقضات .. ولا دور صراع الاضداد فى التطور والنشوء والارتقاء .. والله سبحانه وتعالى يشير الى هذه الحقيقة وهذا القانون فى القرآن الكريم عندما يقول : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين ﴾[٩] .. وعندما يقول : ﴿ إن الله يدافع عن الذين آمنوا ، إن الله لايحب كل خوّان كفور . أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير . الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا ان يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهُدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ، إن الله لقوى عزيز ﴾[١٠] ... لا أحد ينكر هذا القانون الفعال .. قانون « التناقض » و« الصراع » ..

لكن الحضارة الغربية التى جمدت كنيستها عندما هيمنت على الدولة كل المتغيرات الدنيوية ، من الواقع المادى الى الفكر والعلم ، ففرضت « الثبات » على ما هو متطور ومتغير بحكم سنن الله فى الكون .. هذه الحضارة الغربية التى غالت كنيستها عندما حكمت ، فى « الثبات » على حساب « التغير » ، جاءت نهضتها ، وكرد فعل معاكس ، لتغالى فى « التغير » على حساب « الثبات » .. فكان افتقادها وافتقارها الى « الوسطية » التى هى ابرز خواصنا الحضارية ـ السبب فى مجىء فلسفة التاريخ الهيجلية على هذا النحو الذى جعلها ويجعلها « خصوصية حضارية

غربية » ، وليست من « المشترك الانسانى العام » ..

★ ★ ★

● والأمر الذى صنعه داروين فى « العلوم الطبيعية » ـ الأحياء ـ .. والذى صنعه هيجل فى التاريخ والفكر .. صنعه كارل ماركس G · Marx [١٨١٧ ـ ١٨٨٣م] فى علم الاجتماع .. فالتناقض عنده مطلق .. وصراع الأضداد مطلق .. ولابد للصراع من أن يفضى إلى أن ينفى قطبٌ القطب النقيض .. بهذا فسر ماركس تطور المجتمع من المشاعية البدائية .. إلى العبودية .. الى الاقطاعية .. الى الرأسمالية .. إلى الشيوعية .. وبالتناقض المطلق ، والصراع الطبقى الذى لابد وأن « تنفى » فيه وبه « البروليتاريا » « البرجوازية » ، رسم ماركس خارطة الحياة الاجتماعية ، زاعما انه يقدم « نظرية علمية » ، هى مما يدخل فى « المشترك الانسانى العام » دخول حقائق العلوم الطبيعية وقوانينها فى هذا الاطار ..

والحق ، أن هذا الجانب من جوانب الماركسية ، لايعدو ان يكون « علما » اجتماعيا ، ارتبط بخصوصيات الحضارة الغربية ، التى جمدت كنيستها المتغيرات ، والفت ـ او خيل اليها ـ التناقضات .. فجاءها رد الفعل المعاكس ممسكا ، فقط بالطرف المقابل والمناقض .

إن التناقضات الاجتماعية حقيقة واقعة لامراء فيها ، وانقسام المجتمعات الى طبقات هى الأخرى من حقائق الواقع الملموس .. والصراع بين الأضداد ، وبين الطبقات ذات المصالح المتناقضة مما لاينكره العقل السليم .. لكن ماننكر عمومه فى هذه القضية ، هو القول بضرورة « نفى » طرف للطرف الآخر فى الصراع .. فالمطلوب ليس النفى للقطب الآخر ، واقتلاعه من الحياة والواقع وانما المطلوب هو استخدام الصراع سبيلا لبلوغ نقطة « التوازن » التى تنتفى فيها المظالم الصارخة والجور الواضح .. فعند نقطة « التوازن » هذه تلتحم عرى طبقات الأمة ، او تتعايش وفقا لمعايير العدل الممكنة التطبيق، الأمر الذى يتيح لقوى الأمة وطبقاتها ان تسهم جميعا فى حمل اعباء التقدم العام .. وليس ضروريا ، بل ولا هو بالنافع ، البلوغ بالصراع نقطة « نفى » احد اقطاب الصراع القطب الآخر نفيا كاملا ومطلقا ..

فهذه « الفكرة الماركسية » ـ والتى عجزت المجتمعات الماركسية عن تطبيقها بعد مرور مايقرب من ثلاث ارباع القرن على سيادة الماركسية ـ حتى لقد خلقوا بديلا ـ هو الحزب والدولة والشرائح الحاكمة ـ حل محل القطب الذى ظنوا أنهم نفوه ! ـ هذه « الفكرة الماركسية » مثلها كمثل الداروينية والهيجلية ، هى من « خصوصيات الحضارة الغربية » ، وليست ـ فى قضية التطور والتغير

والنشوء والارتقاء ـ مما هو « مشترك إنسانى عام » .

إن تـزكيتنـا لـ « خصـوصيـاتنـا الحضارية » لاتعنى انتقاصنا او ازدراءنا بـ « خصوصيات الحضارات الأخرى » .. فقد تكون تلك الخصوصيات طبيعية وملائمة ومفيـدة هناك .. والقضيـة الجوهرية هى : الملاءمة وعدم الملاءمة .. وليست ، بأى حال من الأحوال ، تعصبا أعمى للذات ، وهجاء جاهليا للآخرين ! .. كما أنها ليست حرصا على التميز لذات الحرص عليه ، وانما هى تمسك بالسنن الطبيعية التى ميزت بين الحضارات فيما هو خاص بكل منها ، كما جمعت بينها فيما هو مشترك إنسانى عام .. كما هو الحال فى تميز الانسان الفرد عن غيره من بنى جنسه مع اشتراكه فى الانسانية مع كل بنى الانسان .

الهـــوامـــش :

(١) المؤمنون : ١٢ ـ ١٦ .
(٢) غافر : ٦٧ .
(٣) السجدة : ٧ ـ ٩ .
(٤) القيامة : ٣٦ ـ ٤٠ .
(٥) الروم : ٥٤ .
(٦) الحج : ٥ .
(٧) البقرة : ٢٦٠ .
(٨) د . محمد عمارة [العرب والتحدى] ص ٢٧٨ ـ ٢٨٠ طبعة الكويت سنة ١٩٨٠م . و [الأمة العربية وقضية الوحدة] ص ٨٨ طبعة بيروت سنة ١٩٨١م .
(٩) البقرة : ٢٥١ .
(١٠) الحج : ٣٨ ـ ٤٠ .

من حكم العرب

- اياك أن تريق ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه .
- أحب الناس الى الله من سأله وأبغض الناس الى الناس من احتاج اليهم وسألهم .
- لا تجب من يسألك ولا تسأل من لا يجيبك .
- الشرف بالهمم العالية لا بالرمم البالية .
- أربعة تتم بأربعة : العلم بالنهي والدين بالتقى والعمل بالنية والشرف بالحرية .
- من تزوج امرأة أو اتخذ جارية فليستحسن من شعرها فان الشـــعر الحسن أحد الوجهين .
- لئن تحسن وتكفر خير من أن تسيء وتشكر .
- الشكر معرفة العجز عن الشكر .
- اذا قصرت يداك عن المكافأة فليطل لسانك بالشكر .
- الشكر ثلاث منازل ضمير القلب ونشر اللسان ومكافأة اليد .

إعصار

في الفكر العربي الحديث

بقلم : د. سعيد اسماعيل علي

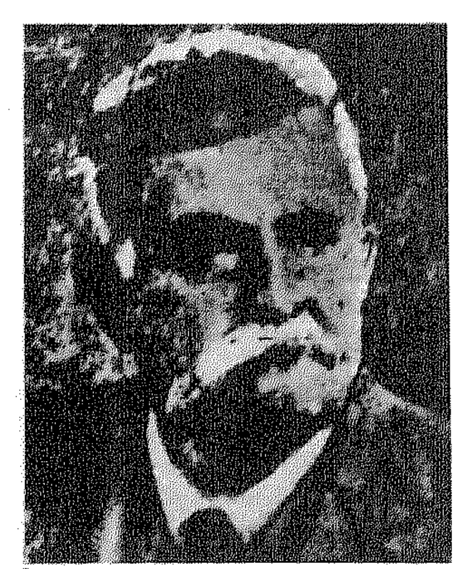
هذه (لقطة) من حوار طويل نراه في الجـــزء الثاني من رائعة نجيب محفـــوظ (بين القصرين) يصور مقدار ما تركتــه نظرية التطور من اثار في فـــكر مثقفينا في مطلع القرن العشرين ،وما أدت اليه هذه الاثار من فزع كبيـــر لدى قطاعات عريضة من المجتمع ، لعل أبرز دواعيه ، هو ما تصوره البعض من ان هذه النظرية تؤدى الى الشك في معتقدات دينية اساسية خاصـــة بخلق الانسان .

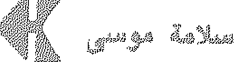
ولم يمض هذا التاثر بتلك النظرية بسلام ، لا من ناحية الاباء والامهات والمحافظين على وجه العموم ، وانما من ناحية (الاطمئنـــــان النفسى) لشباب المتعلمين انفسهم ، فهـــــذه التساؤلات التى عبر عنها الاب (السيد احمد عبد الجواد) قد عرضت كذلك على ذهن ابنه (كمال) مرات ومرات ، كان من جرائها لا يكاد يرى للنـــــوم سبيلا الى عينيه « لم يكن دون أبيـــه انزعاجا ، ولم يغمض له جفن ليلتها حتى الصباح،وتقلب فى الفراش متسائلا عن آدم والخالق والقرآن وقال لنفسه مرة وعشرا : القرآن أما أن يكون حقا كله أو لا يكون قرآنا « انك تحمل على لانك لم تدر بعذابى ، لو لم أكن قـــد اعتدت العذاب والفته لادركنى الموت تلك الليلة » .

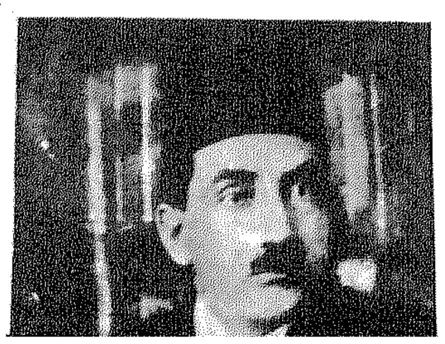
ولم تكن الكتابة فى مثل هـــــذه القضية عملية سهلة ، وانما سبقها كذلك صراع داخلى عنيف « لقـــد تردد طويلا قبل ان يرسلها الى المجلة ولكنه كان كأنمـــــا يود أن ينعى الى الناس عقيدته . لقد ثبتت عقيدته طوال العامين الماضيين امام عواصف الشك التى ارسلها المعرى والخيام ، حتى هوت عليها قبضة العلم الحـــديدية فكانت القاضـــية . على اننى لست كافرا ، مازلت أؤمن بالله ..

- ماذا تقول هذه النظرية ؟ لقد لفت نظرى عبارات غريبة تقول : ان الانسان سلالة حيوانية ، او شىء من هذا القبيل ، احق هذا ؟
★ هذا ما تقرره هذه النظرية .
- وادم ابو البشر الذى خلقه الله من طين ونفخ فيه من روحه ، ماذا تقول عنه هذه النظرية العلمية ؟
★ دارون صاحب هذه النظرية لم يتكلم عن «سيدنا» ادم ..
- لقد كفر دارون ووقع فى حبائل الشيطان ، اذا كان اصل الانسان قردا او اى حيوان اخر ، فلم يكن ادم ابا للبشر .. هذا هو الكفر بعينه ، هذا هو الاجتراء الوقح على مقام الله وجلاله !! انى اعرف اقباطا ويهودا فى الصاغة وكلهم يؤمنون بادم ، كل الأديان تؤمن بادم ، فمن اى ملة دارون هذا ؟ انه كافر وكلامه كفر ونقل كلامه استهتار ، خبرنى أهو من أساتذتك بالمدرسة ؟
★ دارون عالم إنجليزى مات منذ زمن بعيد ..

وأمام لوعة الام فيما تصورته من تردى ابنها فى هوة هــذا الفــكر (المنحرف) « فقد وعدها فى سره بأن يكرس حياته لنشر نــور الله « اليس هو نور الحقيقة ؟ ، بلى ، وسـيكون فى تحرره من الدين أقرب الى الله مما كان فى ايمــانه به ، فمــا الدين الحقيقى الا العلم ، هو مفتاح اسرار الكون وجلاله ، ولو بعث الانبيــاء اليوم ما اختاروا سوى العلم رســالة لهم ، هكذا يستيقظ من حلم الاساطير ليواجه الحقيقة المجردة ، مخلفا وراءه تلك الليلة العاصفة ـ التى صــارع فيها الجهل حتى صرعه ـ حدا فاصلا بين ماض خرافى وغد نورانى ، بذلك تتفتح له السبل المؤدية الى الله «سبل العلم والخير والجمال ، وبذلك يودع الماضى بأحلامه الخادعة وأماله الكاذبة والامه البالغة . »
ولاشك ان مثل هذا العذاب النفسى


شبلى شميل


سلامة موسى





والاجتماعي الذى عانت منه قطاعات عريضة من شباب المثقفين فى مجتمعاتنا ، فانما كان ذلك لانهم كانوا مشدودين الى العقيدة الدينية الالهية لكن كانت هناك قطاعات اخرى لم تذق طعم هذا الصراع الفكرى ، ذلك لانهم تخلوا عن الفكرة الدينية كلية واختاروا مافهموه عن العلم حتى ولو تعارض - كما كانوا يظنون - مع العقائد الدينية الاساسية السائدة سواء فى الاسلام او المسيحية .

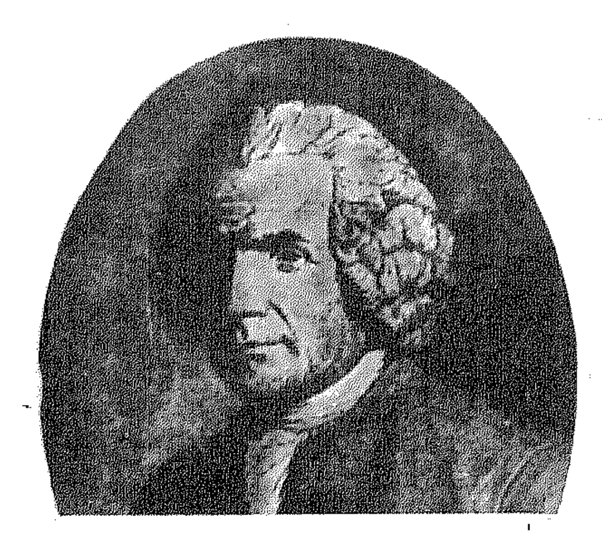
ولعل ابرز الامثلة لمثل هذا الفريق المفكر الشهير (شبلى شميل) ..والى حد كبير (سلامة موسى) .

ففى سنة ١٨٧١ ، كان شبلى يدرس الطب فى المدرسة الكلية السورية ، حيث سمع عن قيام رجل يدعى ان اصل الانسان من القرد ، فلم يتحر حقيقة هذا القول ، ولم يكن فى تعليم المدرسة ما يحمله على التبصر فيه ، يقول شبلى : « وغاية ما اذكر انى لم اسمع به حتى اظهرت اشمئزازى منه ومن قائله الذى اعتبرته حينئذ دعيا ما خالف الا ليعرف » ص ٢٦ من مقدمة الطبعة الثانية لكتابه (فلسفة النشوء والارتقاء ، طبعة المقتطف بالقاهرة ١٩١٠) . ولا عجب ، فان الكيفية التى ذكر له فيها والتى يذكره بها دائما خصومه من ان القرد اصل الانسان لا يمكن ان تحدث فى سامعها لاول مرة وهو متشرب بالاعتقادات المخالفة ، الا نفورا ولو ان فى نوع الانسان من هو « احط من القرد بكثير » ، وهو سلاح يفتريه خصوم هذا المذهب لتحقيره ، والا فمذهب داروين لا يقول ان القرد اصل الانسان وان الحمار اصل الفرس ، بل ان الانسان والقرد والفرس وسائر الاحياء فى الطبيعة قاطبة - وفقا لهذا المذهب - من اصل واحد فى نشوئها من مواد الطبيعة ، وبمجرد قواها ، وقد تغيرت تبعا لناموس المطابقة حتى بلغت مبلغها الان بالانتخاب الطبيعى .

ثم مرت الشهور ولا يذكر شبلى انه عرف من هذا المذهب شيئا جديدا حتى نسيه . ومن الغريب انه بعد ذلك بزمان عند نيله الشهادة كان موضوع خطابه المدرسى النهائى « اختلاف



احمد امين



جان جاك روسو

الحيوان والانسان بالنظر الى الاقليم والغذاء والتربية » · وقد جاء فيه مما يتفق مع هذا المذهب وهو لا يقصد فكان كالذى يقول النثر وهو لا يدرى ·

ولكن الذى لم يكن يقصده فى ذلك الحين لم يلبث أن صار موقف افكاره وموضوع حديثه وغرضه فى كل كتاباته بعد مبارحته المدرسة ورحلته الى اوربا واطلاعه على هذا المذهب فى مؤلفات أصحابه ، ويبدو ان تربية شبلى الاولية واطلاعاته السابقة ، كانت تربة مناسبة هيأت للبذور الجديدة ان تجد بيئة خصبة للنمو والترعرع ·

وكان من الطبيعى أن يعمم شبلى نتائج نظرية التطور على الظواهر الاخرى حتى ولو كانت من الظواهر النفسية والاجتماعية ، ولذا نجده يعتبر علم النفس فرعا من علم الفسيولوجيا « فيجب النظر فى العقل كالنظر فى وظائف الاعضاء انه عمل مادى ، فكل ما يتطرق الى المادة من نواميس النشوء والتحول ، ويؤثر فيها يؤثر فى العقل نفسه الذى هو ليس الا فعلا من افعال الدماغ « ص ٢٧ »، ومن هنا فقد رأى انه اذا كان للاقليم وسائر نواميس المطابقة والانتخاب الطبيعى والوراثة شأن عظيم فى تكييف الاعضاء الحية وأثر لا يمحى الا فى الاجيال المتباعدة اذا تغيرت الاحوال ، فللتربية والتعليم والعادات والاعتقادات وكل ما يؤثر فى الاخلاق أثر فى العقول أيضا لا يزول الا بمثل تلك الصعوبة حتى لقد يزول من الابناء أثر ما فى الاباء من الاجداد ثم يعود ويظهر فى الاحفاد لرسوخ ذلك فى الطبائع وشدة تكيفها به ·

● مادية الكون

واذا كان شبلى قد كتب ما يغاير مجرى الافكار غالبا او جدد الانتقاد احيانا ، فليس لانه كان يطمع بأن يرد الناس اليه فى هذا الزمن القصير وهو لا يجهل ما يحول دون ذلك من الصعوبات بل لانه قصد مباغتة الافكار للفتها الى غير مألوفها ، وان كان لا يجهل ان القاء الحجر فى المستنقعات الراقدة لا يقلق الضفادع المطمئنة الا ريثما ينقضى حذرها فتعود الى نقيقها ، الا انه لا يجهل فعل الخمير المخمر ، فان اقل ما يعلق بالعقول حينئذ من اثر الافكار المخالفة ينمو فيها غالبا بسرعة الاختمار نفسه خصوصا اذا صادف استعدادا فى النفوس كامنا فيها ، فيكون مثل هذا التنبيه له بمثابة الشرارة فى اثارة كامن القوى المجتمعة ·

ولما كان القول بمذهب النشوء يستلزم ضرورة القول بمادية الكون لم يكن تقريره من السهل لدى اصحاب المبدأ الحيوى لصعوبة تأييد التولد الذاتى بالوسائل التى أتيحت فيما بعد· وقد استمسك خصوم المذهب ومنكروه بهذا ، وبلغ التحمس فى المناظرة بين الفريقين حد حدته بين سنة ١٨٥٩ وهى السنة التى نشر فيها داروين كتابه فى اصل الانواع وسنة ١٨٩٠ وهى السنة التى بدأت جلبتهم فيها تخف · وكان جل اعتراضهم ان التولد الذاتى لم يثبت علميا ، لكن شميل يسخر من هذا فيعلق : « كان هذا الاعتراض لايجوز عليهم كما يجوز على سواهم ، فان كان اصحاب النشوء لم يروا حيا نبت من غير حى ، فهل رأى أصحاب الخلق انسانا خلق من غير انسان فكلاهما فى جواز الاعتراض العلمى سواء » ص ١٨ ·

وقد علا هتاف اصحاب المبدأ الحيوى لما قام باستور واكتشف سر الاختمار واثبت علميا انه ناشىء عن جراثيم اى أحياء دنيا لا ترى الا بالمناظير المعظمة · على ان لياذ اصحاب المبدأ الحيوى بجراثيم

إعصار في الفكر العربي الحديث

بستور لم يقدم شيئا جديدا لاثبات مبدئهم ولم حض مذهب خصومهم وانما هذا الاكتشاف ابعد حل المسألة إذ اثبت أن الاحياء الدنيا أجسام تامة التكوين مختلطة التركيب قديمة العهد ليست الاولى في سلم الإحياء وان حل مسألة التولد الذاتي يجب ان يبحث عنه فيما هو ادنى منها مما قد تعجز عنه المناظير التي كانت قائمة .

● المقتطف والمصاعب

وأول من ذكر مذهب بستور في الجراثيم باللغة العربية (المقتطف) اقدم مجلة عربية علمية وذلك سنة ١٨٧٩ ، ولكنه ذكره في عرض الكلام على تأييد مذهب الحيويين ونقض مذهب الماديين اتفاقا مع الاراء الغالبة في ذلك الحين ، كما انه اول من نقل الى هذه اللغة ايضا كلاما لبعضهم في مذهب داروين في النشوء ولكن لنقضه على اسلوب يوافق اصحاب مذهب الخلق ، ومع ذلك لم يسلم من الانتقاد

والحق يقال إن الوسط الذي كان المقتطف مقيما فيه كان يجعل مركزه محفوفا بالمصاعب ، على انه في المسائل العلمية الهامة لم يسلك مسلك التشيع الاعمى ولم يوصد في وجه الباحثين حتى اشدهم مباينة لارائه باب الانتقاد ونشر الاراء الجديدة بحرية تامة فكان له بذلك فضل في اعداد الافكار في العالم العربي لقبول زرع العلم وما كان اشتداده احيانا في مقاومة آراء خصومه الا فضلا له ايضا جعل هذا الاعداد اتم يحمل العقول على التوسع في الروية للانتقال بها من الرضوخ المغلق الى التفكير والبحث قبل التسليم

وقد قرر شبلي أن يخوض غمار البحث اشائم غير حافل بالمصاعب التي ستعترضه في هذا السبيل وان ينخعه بتلك الصراحة الجازرة « التي لم يكن قد ألفها الجمهور بيننا منكبا على خطة الذين يرون ان الحكمة انما هي في المصادأة لعلي ازحزح الافكار عن مألوفها لعلمي ان تحريك الافكار لايكون غالبا الا بمثل هذه المصادرة العنيفة لما يحدث ذلك فيها من الرجة القاسرة لتسهيل انتقال الانسان في العمران من حال الى حال ، وما حالة التي هو فيها عنوان السعادة وما كانت في الماضي مما يؤسف عليه » ص ٢٤ .

فبادر شلبي المقتطف بكلام وجيز انتقد عليه انحيازه الى مبدأ الحيويين واعتباره مذهب بستور خصوصا مؤيداً لهم نافيا للقول بالتولد الذاتي وهو لا يؤيد قولا ولا ينفي آخر فيما يذهب مفكرنا . وكأنه جهل مركزه او تجاهله فختم كلامه بتوجيه الخطاب الى منشئه قائلا « ومثلكم لا يسامح على ذلك وانتم بجانب كعبة العلم » وقد رد عليه المقتطف بمقال عنوانه « الحياة حيرة العلماء » وختمه بقوله « لو قعدت كعبة العلم التي نحن بجانبها مقعدنا لما استصوبت الا أيتنا »

وفي سنة ١٨٨٤ نشر شبلي الطبعة الاولى من كتابه تحت عنوان : (شرح بخنر على مذهب داروين) . وقد احدث نشره يومئذ لغطا عظيما مع انه لم يطبع منه الا خمسمائة نسخة ولم تنفد الا بعد خمس عشرة سنة ، لغطا كان قليله من الخاصة المعدودة ، فقساموا ينقلونه كله او بعضه كل على قدر علمه او حسب هواه ، وكثير من العامة الذين اكثروا من الجلبة عن سماع لا عن مطالعة لانهم سمعوا ان فيه مساسا باعز شيء لديهم هم عليه حريصون . يقول شبلي :

« على ان هذه الرجة التي حصلت

هى المقصودة منى فى ذلك الحين لايقاظ الافكار من نومها العميق والحركة مهما كانت خير من السكون ، ومن هنا نحن الشرقيين اليوم اولى بهزة تصل فينا الى اعماقنا وقد تقادم علينا السبات حتى بتنا فى رتبة فى صف الاحياء لا هى بالميتة فتدفن جثة هامدة ولا هى بالحية فتبعث بشرا سويا » ص .. .

● سلامه موسى والتطور

اما سلامة موسى فقد دخل مضمار (التطور) فى وقت لاحق وان لم يكن متأخرا ، وهو يروى فى الكتاب الذى رسم فيه معالم نشأته وتكوينه بعنوان (تربية سلامة موسى) انه لما ترك مصر الى فرنسا سنة ١٩٠٧ ، كان «التطور» من مركباته الذهنية البارزة ، بل المركب الاول حتى انه حين هبط باريس، جمع طائفة من الكتب التى تعالج هذا الموضوع ، ولكنه لم يستطع فهمها وقتئذ لانه اساء الاختيار فلم يقتن الكتب الابتدائية او بالاحرى لم يجدها، فلما قصد الى لندن وجد العشرات من هذه الكتب الابتدائية ، وكانت جمعية (العقليين) تنشرها وتبيعها بأثمان التراب ، بسعر ٢٥ مليما لكل كتاب ، فاكب عليها فى دراسة مثابرة ، مع استخراج الخلاصات وكتابة التعليقات، وبطبيعة الحال ، قرأ كتاب (اصل الانواع) لداروين الذى اكد انه لا يحتوى على ما يشق على الفهم ، وان كان يحتاج الى كثير من التأمل والتفكير بطبيعة الحال .

وليس من شك ان حب سلامة موسى لداروين الذى كثيرا ما كان يؤكد عليه ويصرح به ، وتحيزه لنظرية التطور ، قد تركا أثرهما فى اسلوبه الكتابى ، فقد قيل ان الاسلوب يدل على الجانب الاخلاقى للمؤلف بل يكشف عنه ، أى يدل على الاتجاه التفكيرى وايثار بعض القيم على بعض . وسلامة موسى يؤثر اسلوب داروين : اسلوب المنطق الصارم ، والحذر ، والاعتدال . على أى اسلوب اخر يوصف بأنه ادبى وكثيرا ما وصفه الكتاب فى مصر بأنه ليس (ادبيا) لانهم لا يجدون عنده تلك الزخارف والتزاويق المألوفة عند غيره من الكتاب .

ويقارن سلامة بين الاسلوب الادبى كما يجده لدى اوسكار وايلد وجون روسكين وكارليل ، والاسلوب العلمى كما وجده عند داروين ، فيؤكد انحيازه الى الثانى ، وان نبه الى ان هذا لا يعنى عدم تأثره واعجابه بالاسلوب الاول ، لكنه تأثير واعجاب يستمر لحظات ثم يذهب ادراج الرياح .. انه لا يترك ما يسميه « بالمركبات الذهنية، تلك التى تحفر بعمق فى مجرى التفكير، وحين يقرأ لمثل هؤلاء الادباء « اشعر انهم يخطبون او يصرخون او يتفحصون، فأجد اللذة العابرة فى اسلوبهم ولكنى احس انهم ليسوا مفكرين اساسيين ، والمفكر الاساسى عندى هو داروين الذى يتحدث فى اعتدال وحذر واسلوبه هو الاسلوب الرصين » ص ١٩٨ .

ولم يقف اثر نظر التطور على سلامة موسى عند حد الاسلوب ، وانما تعداه الى المضمون وخاصة من ناحية الدين . وهو يختلف عن شبلى شميل من حيث الاعتدال الى حد ما وحدة الطريقة التى يسوق بها فكرته هنا، وعندما نقول (الاعتدال) فانما نقصد (الشكل) الذى يعبر به عن ارائه وافكاره بهذا الخصوص قياسا الى شبلى شميل ، والا فاننا لا ننسى تهجمه وجرأته على كثير من الافكار التى مست معتقدات اساسية فى مجتمعاتنا العربية « اذكر وانا دون العشرين ، احسست ان نظرية التطور تأخذ مكانا دينيا فى نفسى ، وانها قد حملتنى واجبا روحيا ، وقد نما هذا الواجب

في نفسي الى واجبات » .

وينظر سلامة موسى الى جميع الكتب المقدسة على انها سواء ، لكنه يضيف اليها عشرات من المؤلفات الاخرى في الفلسفة والادب ، ولذلك يقول ان بعض ديانته يرجع ايضا الى (جمهورية افلاطون) والى (الانسان والسبرمان) لبرناردشو ، والى مؤلفات جان جاك روسو وتولستوى ودستويفسكى ، والى اخناتون « فقد زودونى هؤلاء جميعا بهورمونات دينية » ، وهو بهذا يقدم مفهوما للدين يختلف تماما مع ما هو مقرر في الاديان السماوية .. إنه هنا اطار فكرى تراكمى مكتسب من جملة من افكار وآراء ومعتقدات شتى ، يتم عن اختيار ، وينمو بمرور الزمن « ما احب ان اوضحه هو ان الدين عندى كان تربية بطيئة لم اصل بعد الى نهايتها ، ولكنى في سبيلها ، والدين كالفلسفة او الادب نأخذ منها بمقدار ما ورثنا من كفايات وامتزنا به من اوساط تعلم وتربى وتوجه » ص ٢٥٦ .

وعندما بلغ سلامة موسى سن الستين عام ١٩٤٧ ، كتب متمنيا أن يعيش عشر سنوات تالية لان هناك برامج وامان ثقافية يتمنى تحقيقها ونجد من هذه البرامج والامانى انه لن يكف عن تأليف كتب مقلقة مثل (نظرية التطور) او (حرية الفكر) « خمائر صغيرة ابعثها في انحاء الوادى وغيره ، الى الاقطار العربية ، كى ازعزع التقاليد السوداء واحرق العفن الذى تركته على العقول المطموسة ، ومن مسرات حياة سلامة « ان أجد ان مؤلفاتى تسرى في الجسم الاجتماعى على مهل وفي غير عنف ، فيأخذ التطور مكان الجمود ، والنزعة الارتقائية مكان الرجعية الجامدة » . ص ٢٩١ .

● غلو علمي مكروه

وهكذا كان من المستحيل ان تنحبس الافكار العلمية الجديدة في نطاق موضوعاتها في الاحياء كما يدرسها علماء البيولوجيا ، وانما امتدت الى شئون الاجتماع والدين والاقتصاد ، فصادمت ثوابت الكيان الحضارى العام مما ادى الى اخفاق ثورتها الفكرية . لقد مرت هذه الثورة الفكرية في حياة الفكر العربى – فيما لاحظ محمد جابر الانصارى بحق ، ومضة خاطفة ما لبثت ان خبت بالسرعة ذاتها ، دون أن تمر – شأن النهضات الفكرية – بأدوار نضج واستقرار واستمرار ، ويبدأ لاحمد أمين – كأحد شهود تلك الثورة – ان نموها وتطورها لم يخضعا لسنة النشوء والارتقاء بل لسنة التدهور والانحطاط أما السبب في نظره ، فمرده الى عامل (الرأى العام) الذى كان قويا مسلحا فتغلب وانتقم واصبحت له السلطة التامة .

لكن هذا الذى سماه احمد امين فشلا وانهزاما لم يكن كذلك ، وعصرنا الحاضر شاهد على ذلك ، وانما هو افساح الطريق لاتجاه رأى ان في مثل هذه الافكار التى سقنا امثلة لها من فكر شميل وسلامة موسى وكذلك في الاتجاه المضاد لها والمنكر تماما لمقولاتها ، رأى في كل منهما غلوا علميا مكروها ، ويعبر توفيق الحكيم عن هذا الموقف (التوفيقى) في « تحت شمس الفكر » فيقول : « إنى كلما تأملت شخصية (محمد) صلى الله عليه وسلم – مجردة ، ثبت ايمانى بأن الخصومة بين العلم والدين ليس لها في الحقيقة وجود ، وإن الدين الحق لا يعارض العلم الحق ، بل ان الدين والعلم شىء واحد » .



من هنا نبدأ...

الاستفادة من عقل الأمة

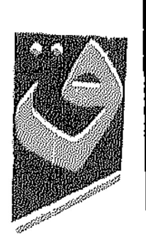
بقلم: محمد فتحى

مؤسساتنا العلمية جزء لا يتجزأ من المجتمع .. تقبع معه فى خندق واحد ، تحكمها سلبياته ، ويؤثر فيها مناخه العام ، لكنها مطالبة (رغم كل ما تعانيه من أمراض ومايعترضها من عقبات) برصد المخارج الممكنة من كل مأزق يواجه المجتمع ، فى أى من المجالات . والأهم أنه على كيفية أدائها يتوقف مدى تطور المجتمع ، وما يمكن أن يتحقق خلال هذا التطور من أحلام أو كوابيس ..

ولما كانت مسئولية مثل هذه المؤسسات تنعقد فى ظروف العصر الطافرة (من طفرة) يحق لأى مهتم أن يتساءل كيف يمكن أن تقوم بوظيفتها رغم ما تعانيه من مشاكل ؟ وماهى المنطلقات الأساسية التى تمكنها من الاطلاع بالدور المنوط بها ؟

عشرون عاما فقط انطوت من عمر الإنسان العربى ، منذ شهد مواجهة مروعة مع نفسه ومع العلم عام ١٩٦٧ . لكن يا لها من تغيرات تدير الرأس حلت به ، وبامكانات العلم الحديث فى نفس الوقت . ولا سبيل إلى الحديث عن مؤسساتنا العلمية وأدائها دون إلمامة بكل ذلك . لذا استأذن





القارىء فى بضع لمسات سريعة تخص إمكانات العلم الجديدة والتغيرات العالمية والعربية ..

يمكن أن نلمس ما أصاب الإمكانات العلمية من تغيرات إذا عرفنا أن خمس دقائق من التصوير الفضائى اليوم تتيح من المعلومات ما تستغرق الطائرات فى جمعه عامين كاملين ، وما لا يتيسر للبعثات المساحية إلا فيما يقرب من ثمانين عاما .. والمعلومات الفضائية ليست ضربا من الترف أو الخيال ، فهى تخص مجالات هامة تمس مختلف جوانب حياة الانسان ، من طقس إلى تربة إلى ثروة طبيعية .. إلخ . والمهم هنا أن الفقراء والمتخلفين أكثر من غيرهم إفتقارا ـ وحاجة فى نفس الوقت ـ إلى مثل هذه المعلومات ، والحصول عليها بالطرق التقليدية إجراء بطيء وباهظ التكاليف ، تعوقه كثيرا ظروف التخلف والفقر وضعف البنى الأساسية ونقص الكوادر الفنية ، ناهيك عن طبيعة الصور الفضائية المفصلة ، الخالية من عيوب « الفسيفساء » ، وعن أن تكاليف الحصول على المعلومات من مثل هذه الصور الفضائية صارت أهون بما لا يقاس مقارنة بالطرق الأخرى .

غير أن وجها آخر لإمكانات العلم الهائلة يكشف عنه قول قديم ثاقب للإمام الشافعى رضى الله عنه : « مثل الذى يطلب العلم جزافا كمثل حاطب ليل يقطع حزمة حطب فيحملها ، ولعل فيها أفعى تلدغه وهو لا يدرى » . والترجمة العصرية لهذا القول أمر يمكن إستشفافه مما يشهده عالمنا من طفرة فى استخدام الحاسبات الالكترونية فى كافة مجالات الحياة ، وإن كان من الصحيح أن هذه الأجهزة صارت تحت قدرات الانسان بملايين المرات فإن بامكانها أن تكون أيضا وبالا ما بعده وبال إذ أنها قادرة على مضاعفة الأخطاء (التى يجرى إدخالها إليها) بما يقدر بملايين المرات فى الثانية الواحدة !!

ويمكن أن نذهب بهذا الوجه الى مداه إذا تصورنا مريضا ، لم تشخص أوجاعه بصورة صحيحة ، يدخل صيدلية تحوى أحدث ما توصل اليه العلم من دواء ويمضى فى تناول عجائب الادوية الشافية « كلشنكان » ، فيكون تفاقم الحالة أو الموت لاقدر الله نصيبه ، بدلا من الشفاء ..

● البحث العلمى يدخل آفاقا جديدة

ولا بأس من أن ندلف بعد ذلك إلى لمسة أخرى حول طبائع البحث العلمى ذاته .. فحتى وقت قريب كان فى عداد العاملين بالشركات الصناعية الكبرى كثير من المتخصصين فى البحث العلمى والتجديد .. لكنه وسط المباراة الشرسة التى أخذت بلباب السوق العالمية صار تحسين وتجديد السلع على نحو مستمر هو العامل الحاسم فى القدرة على الوجود والربح ..

ولهذا تزايدت ظاهرة ولادة مؤسسات جديدة أكثر إمكانية والماما وقدرة على النهوض بدور إدارات البحث العلمى ،

وتخصصت فى تطوير ما يطلب منها فى اى مجال من المجالات ، وهى تؤدى عملا متكاملا حتى تقدم المنتج جاهزا ، وتجند فرقا متكاملة ، مجهزة بأحدث أساليب التفكير الابداعي وحثه ، وتعمل الواحدة منها ٨٠ ساعة أسبوعيا فى حل المشاكل المعنية ..

وظهور مثل هذه المؤسسات يضفى على حركة البحث العلمى دينامية هائلة ، الأمر الذى دفع عددا من المؤسسات الضخمة الى التعامل معها ، متخطية إدارات البحث الموجودة فيها (أبل ما كنتوش مثلا ، بصدد بعض أجزاء الكمبيوتر) ..

وهناك ملمح آخر يمكن إدراكه من البحوث الجارية حول نوع جديد من الطاقة سيكون بمثابة النهاية لكل أزمة فى هذا الصدد هو طاقة الاندماج النووى وما يعنينا فى هذا الصدد أن الدول المتقدمة شرقا وغربا تعمل معا متكاتفة فى حل المشاكل التى تعترض توليد مثل هذه الطاقة ، وذلك لعجز أى من هذه البلدان منفردة عن تحمل الأعباء المالية والفنية الهائلة ، اللازمة لتحقيق هذا الحلم .. وهكذا نجد الاتحاد السوفييتى الى جانب اليابان والولايات المتحدة ودول من أوربا الغربية والشرقية يعملون يدا فى يد .. ولعل هذه اللمسة تكون قد نقلتنا بالفعل الى مايخص التغيرات العالمية والعربية ..

لقد ساهم مجمل واقع البحث العلمى فى تزايد ثقل التكنوقراط واحتلالهم أهمية متزايدة ، حتى فى أكثر المجتمعات احتفاء بالأولويات الاجتماعية والايديولوجية (لنأخذ مايحدث فى الصين والاتحاد السوفييتى كمثال) كما أصبحت المباراة فى التوصل إلى التكنولوجيات الحديثة تجرى بكل الوسائل (صار التجسس التكنولوجى من موضوعات الغلاف الرائجة فى صحافة العصر) .

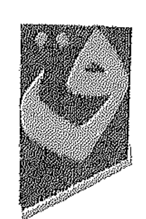
وفى عالم مثل هذا لن يكون هناك وجود لمجموعة بشرية لاتدرك ما يدور حولها سواء من حيث إمكانات العلم ، أو من حيث ظروف استخدام هذه الإمكانات .

ويمكن إدراك أبعاد الموقف فيما يخص العرب من التطرق إلى قول رئيس الجمعية البريطانية لتقدم العلوم (فى اخر اجتماع حضره ، عام ١٩٨٧) الذى ينتقد فيه بمرارة العلماء والسياسيين البريطانيين لما آل اليه مآل العلوم هناك ، وأيضا من لومه لهيئات التدريس على دورها فى تأخير عجلة التقدم ، وأهابته بالحكومة البريطانية أن ترفع من شأن البحث العلمى بتسهيل التربية العلمية فى المدارس والجامعات ، ومد يد العون المادى والمعنوى الى هيئات الابحاث والدراسات فى البلاد ، لوقف تسرب علمائها إلى الخارج طمعا فى ظروف عمل أفضل ودخل اكبر ..

وإذا كانت هذه حالة « بريطانيا العظمى » فلا مجال لتفصيل القول فيما يخص العالم العربى ، الذى تحول على مدى عشرين عاما من أمة ماردة بالامكانية والحماس ، إلى أمة هائلة الموارد ، ممعنة فى هدرها ، رغم كونها مهددة بالفناء (؟!) من كل جانب ..

● مدرسة قومية فى البحث





والعربية تبين مدى حاجة الأمة العربية إلى أن يكون عقلها (مؤسسات البحث العلمي) في أقصى حالات الاستعداد ، وإلى أن يعمل هذا العقل في إتاحة أفضل نتاج لما يتوفر لديها من إمكانات ، حتى تخرج من مأزقها ، ناهيك عن تحقيق أحلامها ..

ولا أعتقد أننا في حاجة بعد ما تقدم الى تبرير التزامنا منطلقا قوميا في الحديث ، وإن كان ولابد من إضافة هنا فهي أننا نعيش في عالم أعجز الكيانات الصغيرة عن العيش ، مما حدا ببلدان في حجم بريطانيا وفرنسا والمانيا أن تسعى الى أشكال من التكامل وإزالة الحدود ، رغم عدم امتلاكها معشار ما تملكه الأمة العربية من مقومات التكامل ، أو بلوغ حاجتها المصيرية إلى هذا التكامل معشار احتياج الأمة العربية له ..

والتطورات العربية الأخيرة تشير إلى ادراك متزايد لهذه القضية لكنه لايمكن ترك مسألة اعتمادنا المنطلق القومي في حديثنا دون إيضاح أن الأمر لايقتصر على ظروف العصر ، ذلك أن الاستعانة بالخبرة الأجنبية في هذا الصدد محدود القيمة ، فاللهاث في إثر المجتمعات الغربية ، الذى كان هدفا مسلما به في فترات سابقة ، أمر ظهر في جلاء ، أنه ليس طريقنا . هذا كما بات من المسلم به أن التكنولوجيا حقيقة اجتماعية واقتصادية وليست حقيقة علمية مجردة .. وكل ذلك يفرض علينا تجاوز استيعاب وسائل العصر بل وحتى توظيفها المبدع ، إلى ابداع ما يخصنا من حلول ووسائل ، وحتى نوضح ذلك لنأخذ بعض الأمثلة ..

ومن المسلم به في الأدبيات العلمية الغربية أن الوضع البيئى (ارتفاع درجة الحرارة والجفاف) يضفي على عملية النهوض الصناعي والتكنولوجي ، في بلدان الجنوب ، أعباء إضافية لا تستوجبها هذه العملية في بلدان الشمال . ويمكن أن تنعكس. هذه الاحتياجات في مؤشر نهائي ، هو حاجة الجنوبيين الى قدر أكبر من الطاقة .. وهذه المسلمة(!) تنطوى على مفارقات تعرى الإمكانية والعجز في نفس الوقت .. ذلك أن ارتفاع درجة الحرارة هو في حد ذاته طاقة وهنا تكمن الامكانية ، لكن عجزنا في الجنوب ، عن استغلال هذه الإمكانية ، هو الذى يكرس ما تروج له الأدبيات الغربية .

وجوهر المفارقة يكمن في أننا ننتظر كعهدنا دائما في موضوع استغلال الطاقة الشمسية أن يأتينا الحل من الشمال (الذى يفتقر الى الشمس وبالتالي لا يشكل الأمر أولوية عنده) ولهذا تبقى إنجازاتنا في هذا المجال محكومة بالجهود التي يبذلها الشمال ، للاستفادة من الطاقة الشمسية خارج حدود الغلاف الجوى أى في الفضاء القريب من الأرض ، في الاقمار الصناعية وسفن الفضاء ..

وإذا أخذنا دخول عصر الكمبيوتر لوجدنا مثالا فاضحا آخر فجوهر التعامل مع الكمبيوتر هو استرجاع المعلومات (المخزنة المعالجة) منه

ولايخفي على أحد أن سهولة مثل هذا الاسترجاع وشيوعه يرتبط بتعريب الكمبيوتر ، لكن مفهوم التعريب انحصر حتى وقت قريب في استخدام لوحة مفاتيح بشكل الحرف العربي ذلك بينما تختلف اللغة العربية عن اللغات الأساسية للكمبيوتر اشتقاقا (أى صرفا) ونحوا وتشكيلا ، الأمر الذى يجعل التعامل الكمبيوترى باشكال حروفها أمرا محدود القيمة إلى أقصى حد ، قياسا على الممكن من التعامل باللغة العربية (وليس حروفها فقط) ..

لقد ظللنا نطمع فى هذا الصدد أن تصلنا المعارف الكمبيوترية الخاصة باللغة العربية من أمريكا واليابان وبريطانيا .. وكأن اللغة العربية يمكن أن تكون بنحوها وصرفها وأشكال كتابتها فى متناول أبناء هذه البلدان ، أكثر مما هى فى متناول ابناء الحجاز ونجد والقاهرة وعمان ..

ولا أعتقد أنى فى حاجة للاستطراد فى سرد أمثلة فاضحة أخرى لبيان المهام النوعية المختلفة المطروحة على مدرستنا القومية الخاصة فى البحث العلمى ، أو للتأكيد على ضرورة هذه المدرسة .. وأستأذن القارىء عند هذا الحد فى النكوص بالحديث من المستوى القومى الى المستوى القطرى .. ذلك أن مصر هى البلد المؤهل ، بامكانيات الحاضر وليس بالانجازات التاريخية وحدها ، لأن يلعب دورا قياديا فى هذا المجال . وأعتقد أن الأمة العربية بأوضاعها الراهنة ليست فى حاجة إلى دور مصر فى مجال أكثر مما هى فى حاجة أليه فى دنيا البحث العلمى ..

● معوقات تعترض الطريق

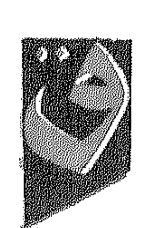
إن الأمانة تدعونا قبل الحديث عن عقل قومى للأمة (مدرسة قومية للبحث) الى مناقشة الظروف الراهنة لمؤسسات البحث العلمى فى مصر .. وكل المؤشرات تبين أنها :

- تعانى ، رغم النقص الكبير فى الكوادر ، من الترهل المعوق لأنه حجم غير موظف يختلف عن الحجم الوظيفى ، الذى يجعل من الكبر بل والعملقة ظاهرة صحية ..
- تعانى من تخلف الاطارات الادارية التى تكبل المجتمع باسره - وتستنفد ٨٠ ٪ من الوقت والجهد تاركة البقية القليلة الباقية للعمل .
- تعانى من خلط قاتل بين مهمة المبدع ومهمة المايسترو ان جازت استعارة هذا المصطلح الموسيقى فى مجال البحث العلمى ..
- تعانى من بقايا القيم والأخلاقيات القبلية والاقطاعية والحرفية ، وبرغم اهتمام أفرادها بعمليات متلاحمة على نحو خارق ، يحتفظون فيما بينهم بمسافات تقدر بألاف الأميال ، كل فى واديه يعتبر عمله مملكته وملكيته ، وليس هناك خط منهجى حاكم إلا خط « الأنا » الذى يتغير مع تغير الأفراد ..

ذلك بالاضافة الى أن مؤسسات البحث العلمى فى مصر لا تسلم من السمات السلبية للحركة العلمية فى دول « العالم الثالث » عامة مثل :

- السرعة التى ينتقل بها الباحث من





القرية ، إلى المدينة الكبيرة ، إلى الاقامة الطويلة فى المدن الأجنبية بما ينطوى عليه ذلك من مغامرات وجدانية وثقافية واجتماعية ، تنقل صاحبها فى الغالب الى صفوف الصفوة التى تعجز عن الاندماج فى مجتمعاتها الأصلية ، دع عنك مجتمعاتها القروية ..

- التبعية لأنظمة البحث فى البلدان المتقدمة لأسباب مختلفة ، منها عملية تكوين الكوادر العلمية وميزانيات المؤسسات ومصادرها ... الأمر الذى يؤدى إلى الاخلال بالأولويات البحثية التى يحتاجها المجتمع .

- الظروف الصعبة والميزانيات الضئيلة لهذه المؤسسات ، ناهيك عن عدم تمتع العمل فيها بمكانة اجتماعية بارزة الأمر الذى يؤدى إلى تدنى منفعته الاجتماعية

- التعليم الذى لا يشكل إعدادا مناسبا لمهنة الباحث العلمى ، وتباعد الارتباط بين التخصص الذى يهم المرء والتخصص الذى يجد نفسه ملتزما بتأديته ، بالاضافة إلى مفارقة شغل من تخصصوا فى فروع علمية لعشرات السنين للمناصب الادارية ، التى لا يكون الباحث مؤهلا لها أكثر من غيره ..

وقبل ذلك كله وبعده غياب الرأى العام العلمى الذى يصنع مناخا مواتيا يحسم ديمقراطيا المشاكل التى تواجه مثل هذه المؤسسات ..

● كيفية استفادة الأمة من عقلها

وذلك كله يساهم بلا جدال فى حالة الغياب التى نراها لدور البحث العلمى عن الشارع المصرى والعربى عامة ، رغم الحاجة الشديدة اليه ، ورغم وجود مؤسسات عديدة تحمل لافتاته .

ولعله من الضرورى الإشارة إلى أن الأمر يحتاج إلى إرادة فاعلة ، قادرة على رسم استراتيجية واضحة ، ترتبط باحتياجات المجتمع ، يقوم فيها هيكل إدارى قادر بتنفيذ خطة سليمة ناجزة ، مع توفير الموارد اللازمة وتهيئة المناخ المناسب ، مع التاكيد على ضرورة أن يجرى ذلك كله وفق تصور قومى الأبعاد وفى إطار دينامى يستوعب المتغيرات دون فقدان للاتجاه ..

ومن فضل القول بالتالى التاكيد على أن القضية لا تخص العلميين وحدهم فالمسألة تشغل مساحة هائلة تمتد بين أحلام الأمة فى مستقبلها ، وبين المناخ العام . ومرورا بنظام التعليم المبنى على التلقين والترديد و ...

وأخيرا فإن قضية من هذا النوع لايمكن حسمها فى مقال أو سلسلة من المقالات ، لهذا تكون هذه الكلمات قد حققت هدفها إن افلحت فى جذب الانتباه إلى أهمية المشكلة وإلى ضرورة وضعها على رأس أولوياتنا ، والتفكير فى الميكانيزمات المؤهلة للبت فيها . ولولا بعض من الحرج لقلنا مؤتمرا عاما يناقش كيفية قيام البحث العلمى بالدور المنوط به ، أو كيفية استفادة الأمة من عقلها ..



توثيق التاريخ ودراسته بين الجامعة ومراكز البحث

بقلم : د. عاصم الدسوقي

تكاد تقتصر رسالة الجامعة في مصر فيما يتعلق بهذا الموضوع على تدريس وقائع التاريخ ببعض التحليل من خلال القاء الدروس الاسبوعية على الطلاب ولمدة اربع سنوات يمنح بعدها الطالب شهادة تفيد تخرجه في قسم التاريخ ، وبعض موضوعات التاريخ التي يدرسها الطالب في المرحلة الجامعية تكون تفصيلا لما سبق ان تعرف عليه بشكل مختصر او اجمالي في المرحلة السابقة على الجامعة وربما كان اسلوب تدريس التاريخ في مرحلة ماقبل الجامعة، من حيث الايجاز او التعميم او حشد التفاصيل مع غياب التحليل واختفاء وجهة النظر العقلية مسئول الى حد كبير عن نفور تلاميذ المدرسة من مادة التاريخ ، الامر الذى يجعلهم يتجنبون الالتحاق بقسم التاريخ بالجامعة كلما استطاعوا الى ذلك سبيلا .



ولعل المتحاق هذه النوعية من الطلاب بقسم التاريخ ، والقصور الملحوظ فى أسلوب تدريس التاريخ بالجامعة ، يفسر ضعف المتخرج فى قسم التاريخ وعدم شعوره بالفخر من دراسته ، بل أن بعضهم يخجل من هذا النوع من الدراسة ويقدم نفسه لمن لا يعرفه بأنه من دارسى العلوم السياسية . وهذه الصورة لا تنفى بطبيعة الحال وجود صفوة قليلة من خريجى هذا القسم التحقوا به عن اقتناع ورغبة فى التعرف على تاريخ المجتمع البشرى .

وموضوع تطوير تدريس التاريخ بالجامعة والمدرسة هو جزء من تطوير التعليم فى مصر بشكل عام والذى شكلت وتشكل له اللجان تلو اللجان ، وفى كل مرة تسفر الامور عن تعديل بعض النصوص والاحكام هنا وهناك . وهى نصوص واحكام تتعلق أكثر بأوضاع هيئة التدريس ومراحل الدراسة من حيث الزيادة أو النقصان ومن حيث الدمج أو التشعيب دون الاقتراب من مضمون المقررات الدراسية والارتقاء بأدوات نقل المعرفة ، والتى من شأنها أن تجعل من التاريخ ـ وهو موضوعنا ـ علم فهم الماضى ورسم المستقبل بكل ما تعنيه كلمة علم من شروط . وأمام اتساع آفاق المعرفة وتقدم تقنيات الوصول اليها ، لم يعد التعليم الجامعى بمصر بحاجة الى تطوير ، وانما بحاجة الى تغيير أساسى وجذرى يتم بعيدا عن العناصر البيروقراطية التى احترفت صياغة المصالح المتشابكة فى مفردات قانونية . وهذه نقطة أخرى بعيدة عن موضوع هذا المقال .

● الطريق الموصل للدراسة

على ان فهم التاريخ الفهم العلمى الضرورى لا يأتى من خلال المحاضرات الجامعية ، ذلك ان هذه المحاضرات تكون خلاصة للبحث الدقيق فى جزئيات موضوع التاريخ المختلفة . وهذا يعنى ان البحث فى تلك الجزئيات هو الطريق الموصل لدراسة التاريخ . وتتكفل الجامعة فى مرحلة الدراسات العليا بجزء من هذا الجانب من خلال اعداد رسائل الماجستير والدكتوراة . غير أن البحث فى هذه المرحلة يتم بشكل غير مخطط سلفا حيث تترك للباحث (الطالب) حرية اختيار موضوع بحثه (رسالته) ونادرا مايفرض عليه البحث فى موضوع معين الا اذا كان حائرا فى الاختيار . ومع اعترافنا بوجود بعض الاستثناءات نتيجة للفروق الفردية بين أستاذ واخر، فان الصورة العامة تشير الى عجز الجامعات فى مرحلة الدراسات العليا عن الوفاء بمتطلبات البحث المخطط الشامل فى كافة جزئيات موضوع التاريخ .

وعلى هذا قامت مراكز البحوث جنبا الى جنب مع الجامعات لاستكمال رسالة البحث ، حيث تضم باحثين يتفرغون للبحث فى القضايا والاشكالات والجزئيات دون ان تشغلهم المحاضرات للطلاب أو تصرفهم بعض الممارسات البيروقراطية . وهذه المراكز تتبع

الجامعة فى بعض الدول أو تتبع احدى وزارات الدولة القريبة من مجالات عمل المركز ، وقد تأخذ اسم « اكاديمية » ، وقد تكون هذه المراكز هيئات مستقلة تمولها بعض قطاعات النشاط الخاص كما هو الحال فى دول أخرى وخاصة الولايات المتحدة الامريكية • والذى تتاح له فرصة زيارة بعض مراكز البحوث هذه ، والتعرف على سير العمل بها سوف يدرك معنى البحث المخطط ، والبحث الجماعي ، والندوة المتخصصة، والحلقة الدراسية ، والمؤتمر العام ، وأهمية المكتبة وتوثيق المعلومات ، واكثر من هذا سوف يلمس نوعية الباحثين الذين يعيشون فى ظل هذا المناخ العلمى •

أما فى مصر فلدينا أكثر من مركز يختص بدراسة التاريخ والبحث فيه • فهناك المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية الذى يعنى فى أحد برامجه « ببحوث التاريخ الاجتماعى المصرى » ، وهو برنامج طموح يستهدف دراسة التاريخ الاجتماعى لمصر عبر العصور من منظور علم اجتماع التاريخ • ويضم هيئة من الباحثين المتخصصين المرتبطين به والمتفرغين للعمل • وقد يستعين البرنامج ببعض العناصر الخارجية من بينها أساتذة الجامعة اذا ما تطلب الامر ذلك فى احدى جزئيات البحث أو فى احدى مراحله •

وهناك مركز بحوث ودراسات الشرق الاوسط التابع لجامعة عين شمس ، ومجال اهتماماته يتجاوز مصر وان كان لا يسقطها كلية من حساباته • غير ان تبعيته للجامعة مباشرة تقلل من فاعليته البحثية ، اذ يتولى أساتذة الجامعة مسئولية العمل فيه جنبا الى جانب محاضراتهم وواجباتهم الوظيفية بالجامعة •

مشكلات تعوق البحث

وثالث هذه المراكز مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر الذى يتبع الهيئة العامة للكتاب • وهذا المركز يختلف عن المركزين السابقين من حيث انه يختص بتاريخ مصر المعاصرة ، وان دائرة عمله لا تقتصر على اجراء البحوث بل تتسع لتشمل توثيق المعلومات والوقائع ، بل ان عملية التوثيق تأتى قبل اجراء البحوث ، **ومن هنا فان تحديد اسم المركز « بمركز وثائق وتاريخ » لم يكن عفوا وانما كان التزاما بقاعدة رئيسية فى منهج البحث فى التاريخ استقرت منذ زمن تقول « انه لا تاريخ بدون وثائق »** •

ولقد مضى على انشاء هذا المركز حتى الان اكثر من عشرين عاما (تأسس فى ١٩٦٧) كانت كافية لان تصنع منه مركز بحث علمى فى تاريخ مصر المعاصرة • ولكن هذا لم يحدث للاسف الشديد لاسباب مختلفة يمكن حصرها فيما يلى :

ـ ان المركز أصبح ادارة من ادارات الهيئة العامة للكتاب يخضع شأن الادارات الحكومية للوائح ومراسيم لا تتفق مع طبيعة عمله ، ويتولى ادارته من يرقى لوظيفة مدير عام بالهيئة بصرف النظر عن التخصص والاستعداد والكفاءة •

ـ الخلط بين دور مدير عام المركز ودور الاشراف العلمى واعتقاد المدير العام ان الباحثين الذين يحمل بعضهم درجات علمية من ماجستير ودكتوراه ما هم الا موظفون تحت رئاسته ، وانه بصفته الاعلى فى الدرجة المالية يصبح



الاعلى فى العلم والمعرفة ايضا ، وهذه محنة البيروقراطية ••

ـ ان هذا الخلط والتداخل بدأ عندما أخذت الادارة البيروقراطية تتطلع من أواسط ١٩٧٥ نحو سحب البساط من تحت أقدام الاشراف العلمى تدريجيا وذلك بتجاوزها الخيط الرفيع الذى يفصل بينها وبين الاشراف العلمى لكى تنفرد فى النهاية بكل الامور • وكان لهذا آثاره السلبية على الجانبين :فمن ناحية الباحثين تيقظت فيهم روح الموظف المرءوس الذى يسعى لارضاء رئاسته ومنافقتها تحقيقا للمآرب الشخصية • واما من ناحية المشرفين المنتدبين من الجامعة ، فقد استنكر بعضهم الاستمرار فى العمل فى ظل ادارة بيروقراطية وغير متخصصة فانسحبوا ، وبقى من عاش على أمل الاصلاح أو من كان يرى فى المركز مجالا للظهور والشهرة •

ـ ان المركز احدى وحدات الهيئة العامة للكتاب وهى هيئة مركزية بطبيعة تعدد مجالاتها ، بل ان الوحدات التى تضمها هذه الهيئة وتناقض طبيعة العمل فيما بينها يؤدى فى النهاية الى عدم فاعلية حقيقية ، اذ تضم الهيئة مراكز علمية متخصصة ، ودار الوثائق، ودار الكتب ، والمجلات الادبية ، والثقافية ، فضلا عن قطاع النشر • ومن عيوب هذا التجميع صعوبة ايجاد الشخص الواحد الذى يستوعب كل المجالات ، **والذى حدث عمليا وواقعيا ان كل من تولى رئاسة هذه الهيئة طبعها بطابعه التخصصى واهتماماته الشخصية مهملا النواحى الاخرى •**

ـ ان المركز وأن قدم بعض الاصدارات المهمةوخاصة بعض مذكرات السياسيين المصريين ، وبصرف النظر عن النقد الذى قد يوجه لاسلوب نشر بعضها ، فان هذا العمل على أهميته وضرورته صرف المركز عن جانب اكثر أهمية ، الا وهو توثيق تاريخ مصر المعاصرة كما يشترط اسمه ، اذ اكتفت ادارته بالعمل فى مذكرات السياسيين المصريين التى تم ايداعها بدار الوثائق القومية ، دون أن توسع دائرة التوثيق لتشمل تجميع المادة التاريخية من محفوظات الوزارات المختلفة ، ودار القضاء العالى ، ومضابط البرلمان ، والصحف والمجلات، وترتيبها موضوعيا لتكون فى متناول الباحثين فى مرحلة لاحقة عند اعداد البحوث المتخصصة ، وغير ذلك من مهام كانت قد بدأت مع انشاء المركز ثم توقفت فى أواسط عام ١٩٧٥ •

● احتضار

والخلاصة ان المركز يحتضر وليس فى هذا أية مبالغة • ويكفى القول أن تناقضاته الداخلية والتى ظلت مكتومة انفجرت أخيرا بعد أن تراكمت نتيجة لتصادم القرارات وتناقضها وانسداد القنوات الموصلةبين المستويات الوظيفية المختلفة بالهيئة ، الامر الذى دفع الاطراف المعنية الى طرق أبواب صحافة الرأى لاسماع صوتهم للرأى العام •

لقد أصبح تنظيم المركز أمرا ملحا حفاظا عليه من عبث العابثين وهذه مسئولية كل المشتغلين بالتاريخ وتاريخ مصر المعاصرة بشكل خاص ٠ اذ ليس من المعقول انه بعد أكثر من عشرين عاما على انشائه لا يخضع العمل فيه لقواعد تنظم العلاقات وتحدد الاسلوب بعيدا عن المهاترات الشخصية والحساسات الوظيفية ٠٠ قواعد تضع فى الاعتبار أن المركز يضم حملة درجات علمية فى التخصص مؤهلين لقيادة العمل دون اشراف سلطوى من الخارج ودون قهر بيروقراطى من الداخل ٠ وليس خافيا ان محاولات تطوير المركز اصطدمت بصخرة البيروقراطية فى مستوياتها المختلفة، ويعرف الباحثون ان مشروعات للتطوير قدمت فى أعوام ١٩٧٩ ، و ١٩٨٠ ، و ١٩٨٤ كان من شأنها جعل المركز مركزا بحثيا نباهى به المراكز الاخرى ولكن دون جدوى ٠

وفى هذا الخصوص اقترح ان يقتصر العمل بالمركز فى مستوياته المختلفة على الباحثين المتخرجين من أقسام التاريخ والوثائق والمكتبات والصحافة واللغات، وأن يوزع العمل فيه بين وحدتين رئيستين هما : وحدة التوثيق ، ووحدة البحوث والندوات ، ويرأس كل وحدة مقرر متخصص من هيئة الباحثين بالمركز وأن تشكل هيئة ادارة Board تضم مشرفا علميا على المركز من المتخصصين فى تاريخ مصر المعاصرة يعين أو ينتدب كمرحلة انتقالية، ومقررى الوحدتين ، وعضوا من الهيئة العامة للكتاب بحكم وظيفته ، وعضوا من الخارج ـ فى حالة تعيين المشرف ـ بحكم كفاءته العلمية فى دائرة عمل المركز ، وأمين للمركز للامور الادارية وليس مديرا عاما منعا للحساسات والصراعات مع الاشراف العلمى ٠

وتشجيعا لباحثى المركز على المضى فى طريق البحث وعدم تركه للجامعة بمجرد الحصول على الماجستير والدكتوراه يكون من المفيد النظر فى وضع كادر خاص بهم داخل الهيئة يتوازى مع كادر الجامعة ، فمثلا يعين حملة الدرجة الجامعية الاولى فى درجة باحث (معيد) ، ويعين حملة الماجستير فى درجة باحث ثان (مدرس مساعد)، ويعين حملة الدكتوراه فى درجة باحث أول (مدرس) ٠ ويحق لهم التقدم بانتاجهم العلمى ليحصلوا على القاب أستاذ مساعد وأستاذ بعد مضى مدد بينية معينة يتفق عليها ٠

وبعد استكمال المركز لطاقمه من الباحثين يتعين النظر فى تشعيب وحدة البحوث الى أكثر من شعبة مثل :شعبة التاريخ الاجتماعى ، وشعبة التاريخ السياسى والدبلوماسى ، وشعبة التاريخ العسكرى ، وشعبة التاريخ الفكرى والثقافى ، وشعبة التاريخ المستقبلى٠٠ وهكذا ٠

اننى أعتقد أن تنظيم المركز بما يؤدى الى استقراره وفاعليته أمر قابل للتطبيق خاصة انه غير مرهق للميزانيات شريطة أن تصدق النوايا وتتوارى الانانية الذاتية قليلا ٠

فى العدد القادم

الجزء الثانى من ((الصراع الفكرى)) للكاتب الكبير طارق البشرى

فى ذمّ النساء!

بقلم: صافى ناز كاظم

● طبعة قديمة فى مكتبتى لديوان الحماسة وهـو : ما اختاره ابو تمام حبيب بن أوس الطائى من اشعار العرب . الطبعة لصاحب المكتبة الازهرية ((محمد سعيد الرافعى))، أصدرها سنة ١٣٣١ هـ ـ ١٩١٣م وتمتاز على حد تعبيره ، ((بتراجم الشعراء وذكر سبب الشعر مع زيادة تهذيب وتنقيح .. مختصر من شرح العلامة التبريزى وغيره)) . وهذه الطبعة من جزأين ، الجزء الاول ٤٦٦ صفحة ويشمل : باب الحماسة ، وباب المراثى . والجزء الثانى ٤٢٤ صفحة ويشمل: باب الادب ، وباب النسيب ، وباب الهجاء ، وباب الاضياف والمديح ، وباب السير والنعاس ، وباب الملح ، ثم اخيرا باب صغير اسمه : باب مذمة النساء!

● ويقول الناشر صاحب المكتبة الازهرية ، وهو نفسه الشارح والمعلق : « ... ما روى من شعر العرب كثير لا يحاط به وان قصر عليه العمر ، فكانت للحاجة ماسة الى مجموع يقوم منها مقام الخلاصة ، ولم نجد من ذلك أحسن ولا أوفى من كتاب الحماسة الذى اختاره ملك الكلام (أبو تمام) فقد كان للرجل من المحفوظات مالا يلحقه فيه غيره ، وقيل انه كان يحفظ أربعة عشر الف أرجوزة للعرب غير القصائد والمقطوعات هذا عدا ما اطلع عليه فى خزانة كتب أبى الوفاء العظيمة التى جمع منها هذا الكتاب ، وعدا أنه (ابو تمام) شاعر بصير بمحاسن الكلام وعيون النظام ، خبير بالنقد ومطلع بهذا الفن ولهذا عد جميع الادباء كتاب الحماسة المذكور أفضل كتاب مجموع من شعر العرب . وقد هبت بنا الرغبة من أجل ذلك فى نشره وتوفير الوقت على الفضلاء ... فضبطنا المتن وعلقنا عليه شرحا يحل كل ما فيه ، ويظهر من خافيه مع الايجاز ... وتراجم الشعراء ... »

● طرافة وغزل :

والذى يبهرنى فى هذه الطبعة التى تبلغ من العمر ٧٥ عاما وتزيد على ٨٠٠ صفحة انها تكاد تخلو من الاخطاء المطبعية ، مع انها كلها تقريبا نصوص من الشعر المضبوط بالتشكيل ، والذى جرب اخراج الكتب المضبوطة بالتشكيل هذه الايام ونحن فى عصر الجمع التصويرى المتقدم ، يدرك العناء الرهيب الذى يصيب المراجع لتصحيح الاخطاء ، حتى ان الناشر الحديث ، يكاد يفضل أن يلغى الضبط بالتشكيل حتى لا يفتح على نفسه بابا من طوفان الاخطاء .

فى كل ابواب الديوان التسعة توقفت عند باب « مذمة النساء » . وهو باب غير طويل وغير عريض فى الشعر العربى وفى الديوان – ١١ صفحة فقط – لكنه موجود ، ولولا طرافته وما يثيره من ضحك لكانت صورة فى التنفير من المرأة قسوة ليس بعدها قسوة . والحمد لله أن « باب النسيب » – وهو باب الغزل وعشق المرأة – يبلغ ١١٣ صفحة أى اضعاف اضعافه . ورغم كونى من النساء فانى لم اشعر بالاهانة من باب ذم النساء ، فلا شك ان النظرة الموضوعية تجعلنا معشر النساء نرى من بين صفوفنا من تفهم عناء هذا الاعرابى الذى كان قد تزوج من امراة فلم توافقه ، فقيل له أن هناك حمى بدمشق سريعة فى موت النساء فحملها الى دمشق وانشد هذين البيتين : (الحماسة ج ٢ – ٤١٣)

دمشق خذيها واعلمى ان ليلة
تمر بعودى نعشها ليلة القدر
اكلت دما ان لم ارعك بضرة
بعيدة تهو القرط طيبة النشر

اما لك عمر ؟ انما انت حية

وقال اخر فى امرأة فارقها :

اذا هى لم تقتل تعش اخر الدهر!
سقى الله دارا ، فرق الدهر بيننا
وبينك فيها ، وابلا سائل القطر
ولا ذكر الرحمن يوما وليلة
ملكناك فيها لم تكن ليلة البدر ؟

وقال ثالث فى امرأة طلقها :

رحلت انيسة بالطلاق
وعتقت من رق الوثاق
بانت فلم يالم لها
قلبى ولم تبك الماقى
ودواء مالا تشتهيه النفس تعجيل الفراق
لو لم ارح بفراقها لارحت نفسى بالاباق !

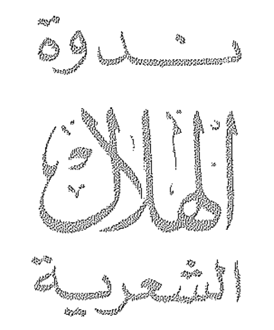
وقال قائل :

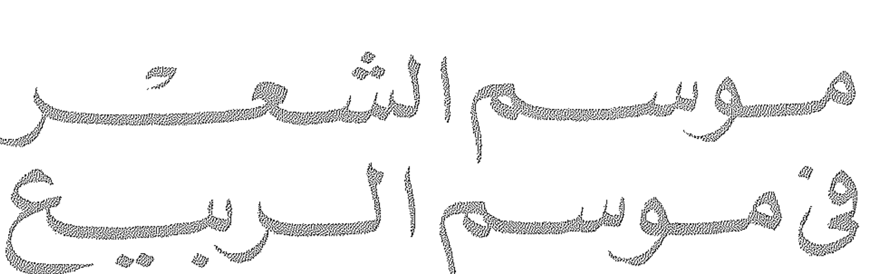
تمت عبيدة الا من محاسنها
والملح منها مكان الشمس والقمر
قل للذى عابها من عائب حنق
اقصر فرأس الذى قد عبت للحجر!

وقال غيره :

الام على بغضى لما بين حية
وضبع وتمساح تغشاك من بحر
تحاكى نعيما زال فى قبح وجهها
وصفحتها لما بدت سطوة الدهر
هى الضربان فى المفاصل خاليا
وشعبة برسام ضممت الى النحر
اذا سفرت كانت لعينك سخنة
وان برقعت فالفقر فى غاية الفقر
وان حدثت كانت جميع مصائب
موفرة تاتى بقاصمة الظهر
حديثكقلع الضرس او نتفشارب
وغنج كحطم الانف عيل به صبرى
وتفتر عن قلح ، عدمت حديثها
وعن جبلى طى وعن هرمى مصر!

والملاحظ أن كل الذين قالوا شعرا فى باب « مذمة النساء » أغفلوا ذكر





شهر نيسان « أبريل » هو الشهر الربيعى الفواح الذى اثار من قديم الزمان قرائح شعراء العربية ، كما حرك الأشجار ، وأطاب الأثمار ، وفتح الأزهار ، ونشر روائح الروضة المعطار ..

وقبل خمسين عاما أقيم فى القاهرة موسم للشعر اشترك فيه عدد كبير من شعراء مصر فى تلك الأيام أمثال : أحمد محرم وأحمد الزين وأحمد الكاشف ، وفتحت الصحف صدرها لنشر قصائدهم والتنويه بها ونقدها ..

ولو اطردت أسباب التقدم والتطور فى بلادنا ـ وبخاصة فى المجال الأدبى ـ منذ ذلك الحين إلى الآن لاستمرت إقامة « موسم الشعر » عاما بعد عام ، ولكن هذا التقليد الأدبى العظيم لم يستمر ، وانتكس الشعر ذاته واختلط فيه الحابل بالنابل ..

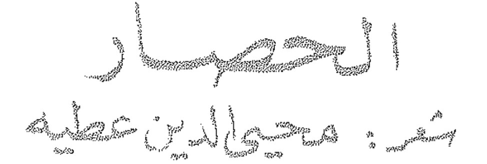
وقد فكرنا فى « الهلال » أن نقيم كل عام موسما للشعر ، ولكن موسمنا سيقتصر ـ مؤقتا ـ على نشر مجموعة من القصائد فى أغراض متنوعة ، وبأساليب شعرية متعددة ، ومذاهب فنية مختلفة ، واتجاهات فكرية لاقيد عليها ، ومدارس تتعاقب كما تتعاقب الاجيال ..

أما فى المستقبل فنأمل أن نقيم كل عام فى شهر نيسان « أبريل » ـ رمز الربيع ـ احتفالا لموسم الشعر ندعو اليه شعراء مصر والبلاد العربية ..

وإلى ان نتمكن من تنفيذ هذا المطلب العزيز علينا وعلى الشعراء والادباء والقراء ، أن نكتفى باقامة « موسم الشعر » مصغرا على صفحاتنا ، محتويا هذه القصائد لهؤلاء الشعراء المجيدين ، والشاعرات البارعات من مصر والبلاد العربية ، من أعمار مختلفة ولكنهم من عصر واحد ..

ولعل « موسم الشعر » الذى نقيمه على صفحاتنا ، يكون تحية عاطرة الى نيسان « ابريل » رمز موسم الربيع ! .. وهدية إليك ـ عزيزى القارىء ـ نرجو أن تشملها بالقبول ! ..





لئن تكاثرت على حدودنا
كتائب التتار
أو استباحت النسور كرمنا
فى وَضْحة النهار
لئن تشققت خدود أرضنا
وعضّها البوار
أو استحالت العيون مالحاً
وماتت الأشجار
لئن أتى الوباء زاحفاً
يهدد الكبار والصغار
وينزع الحياة من صدورنا
ويحرق الديار
لكان أمرنا كمن مضى من الأمم
وبعدها أسدل الستار

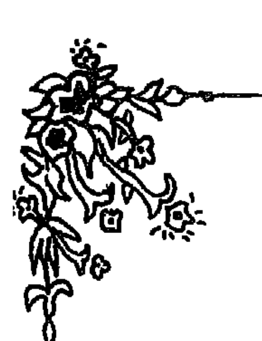
★ ★ ★

لكننا نعيش عصرنا
ونملك القرار
وفى قلوبنا هداية
تحدد المسار
وفى أكفنا إرادة
يقودها الخيار

فكيف نعشق الحروب بيننا
ونعشق الدمار
وكيف يستبيح حمقنا
محارم الجوار
وننشر الخراب حولنا
كأنه سوار
شبابنا الذى نسوقه
لحتفه بلا حوار
ونفطنا الذى نضخه
لنشعل الشرار
وبأسنا الذى يدور بيننا
بكاذب الشعار

★ ★ ★

تُرى فكيف نخرج المصير
من مخالب المدار
وكيف نرفع الأذان صادحاً
من شرفة المنار
فلم يعد لنا سواه
على جزيرة تفور حولها البحار
وكيف كيف نكسر الحصار



حوار!

شعر : فتحى سعيد

●

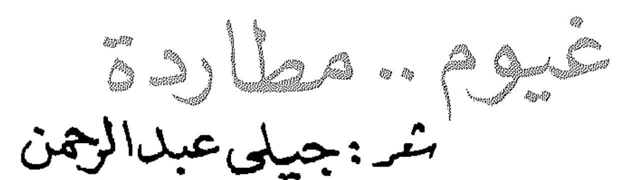
وقالت لىَ الكأس
نداماك .. خُرْس
وخمرك رجس
ولـذة خَلْـس ..
ربيع هو الهمس
خريف هو البؤس
شتاء هو القدس
وصيف هو المسجد المستباح !
وماقد أبيح وما قد يباح
ولك الفصول طيور تهاجر ..
عند انعتاق الصباح
غداة الغدو وحين الرواح
إلى غير وكر ..
بغير جناح ! .

★ ★ ★

وقالت لىَ : الفأس
صقيع هى الشمس ..
لقد ذبت أهس ..
ولا ثَمَّ غرس
ويوم نعيم ..
وأيام بؤس . !
ومأتم عرس ..
وها أنت قد أوغلت ..
فى ورقات الخريف

وأسقطت فيها ضلوع النصيف
وخضبت كفك من شفرات السيوف
وهمس الحفيف
وفوق ثيابك عطر شفيف
من الداليات ذوات الأثر
ذوات القوام العليل النحيف
ومن ثمرات الندى والمطر
قصيدة شـعر ..
ونصف رغيف !
فهلا مللت طواف الدروب
وشق الجيوب
على خائنات عيون القلوب !؟
ومازلت فيها تذوب !
أذوب !؟
وهل يملك الغيث ..
وهو جنين الغمام
سوى أن يذوب ؟
وهل تملك الورق ..
من ساجعات الحمام؟
إذا ما دعاها نداء الهديل
سوى أن تقول . ؟
وتهدل حتى تذوب ؟
أذوب .. !؟
ورغم الذى والتى ..
لا أتـوب !





عريانة على يدى
ريانة الجسد
فى رحلة الأبد

★ ★ ★

وسألت عنك غبار ظِلِّى فى المياه
تلجلج الأصـداء فيه
حولى نوارس .. نقرت فى البحر .. ألحان القياثر
فوقى سحاب .. كالقرى .. لا أرتجيه
تعدو فيافى الأمس .. كالمنفى
وتبرق كالخناجر
ياعتمة الماضى الكريه
شابت نواصينا ...
ننادى عبر مئذنة ، وتيه
كانت سماء ترسم الأشباح
فى صمت البيوت الواطئات
ونحلة .. تستمطر الغيم المهاجر
وشهقت قحِطا .. فى شرايين الرمال
وقد ترنحت الدياجر
ما أبعد الصحراء .. عن بحر.. تتوَّج بالشموس
كما القياصر !
ها قد فقدتك : أين شعرك قد سكنت بحرشه العارى
ولما تسكبيه
حتى نشبت على خلاياى .. التموج ، والأظافر
وغرقت فى الحرمات .. أصعقها .. كمجذوب .. سفيه
الحزن دنسنا ..
فهات النار تعزفنا
وننتهك المنائر





ياعذبة .. كالماء
عظمى الملح
ذوبى .. فى تجاعيدى
وتيهى !
انى كرهت سلاسل الموتى ..
وافنية المقابر
وخلعت نعلى .. فى السجود
نفثت أبخرة الضرائح
وصمة الزمن النزيه !

★ ★ ★



أو تشرقين من النوافذ ..
تخطرين كمثل طائر
ينشقُّ عنك المقصف المنهوك ..
ضاق براقصيه
وتبللين جفاف صحرائى.. بأنفاس الضفائر

★ ★ ★

وأدور بالساق المهيضة .. دورتين
وتصم أذنىَّ الطبول ..
ورعشة الضوء اللجين
وتطل قريتنا .. رؤى غيم
تقِفُ على دجاهُ .. ذرى العمائر !
أختى الحبيبة .. مارأت بحرا تبتل شاطئاه
وقد تهلَّل فى بنيه
روح خواء .. أوصدت كل النوافذ
مـثـل عـاقــر

وأعود للنكدِ
متهاوى العمدِ
والترب ملء غدى

ذوبان السر

شعر: ماجده بركه



تترقرق العبرات فى المآقى
ككرات السحر البللوريه
فترق المدن
وتسيل شعاعاً قزحيا
وتذوب الشمس الهمجية
قطرات تسّاقط فى القلب
دفئاً وسلاما
دفئاً وسلاما
وبريقاً علويا ..

★ ★ ★

الفرح سلام
والحزن سلام
والحب سلام
انا طفل نام
انا طفل اغفى
ثم أفاق
انا طفل جوّاب الآفاق

انا صوفى مشتاق
شرب العشق فقام بداخله
عناق
انا همس الرحمه
وحفيف العون
انا سر الترياق
انا نغم منساق
يتبع ريحاً مشبعة برحيق الفل
ينطقنى ترتيل باق
ينبسه ضمير الكون
انا عمق اللون
النغم بجرس الضحكات
انا سر أضمر فى الاعماق
وتخفّى فى سحر اللفتات
انا كَلِمٌ قدسى فى اللوح المكنون
لكننى ..
لا تسنفدنى الكلمات ..



التراث

شعر: سليم الرافعي

حجر لم يمت وإن صار رمسا
وتراب يزيد بالموت حسا

تشرق الشمس منه لم ندر يوما
أننا من سواه نلمحُ شمسا

نحن بالرمز منه نقرأ كوناً
ليس يطوى وعالما ليس ينسى

إنه الأب كيف ينسى أباه
ذلك الطفل كيف يصبح نفسا ؟

ننتمى نحتمى ، نلوذ بوادٍ
وارف الذكريات ينبض أنسا

قلبه قلبنا .. وننقل منه
قدما فى خطى الحياة ورأسا

كبر العالم القديم زماناً
ومكانا وماج دُنيا وعُرْسا

دمنا فى العروق نهر قديم
صرخ النهر أوْ جرى النهْرُ هَمْسا

عاصفات الأهرام منه وطوراً
يتغنى فى الروح دينا وقدسا

صفحات التراث آيات وَحىٍ
وسجون التراث أرفقُ لمسا

قفص الببغاء يُضحى ويمسى
مستطاب الغناء رجعا وجرسا

نتجنى على الزمان كأنّا
لانُطيقُ الزمان إن دار خلسا

من هم الأولون لولا رجال
زلزلوا الماضى المقدس أسا

وثبوا في الظلام بين قطيع
لايرى في الوجود إلا الأخسا
حيوانات عادة .. وبقايا
أمة الدود تحسب الدود جنسا

● ● ●

أصحيح أن الخلود عتيق
في غبار الاطلال كالخمر يحُسى ؟
كذب الشاربون .. ماالمجد الا
جذوة في الضلوع أذْكى وأقْسى
ماهشيم التراث الا وقود
أشعلوه يضيء وسوموه فَأسا
أحيت الأمة الولود تراثاً
حين ثارتْ تُعيدُ للغد أَمْسا
ثار خوفو وخفرع واستطالت
قِمَمُ المبدعين جذرا وغَرْسا
فوق مستنقع الضفادع تجرى
موجة الفكر بالروائع طِرْسا
أنما الملهمون كرمةُ عقْل
أيقظتْ همة أشدَّ وبأسا
أنكروا عصرهم تقاليد صُمّاً
والشعوب النيام عميا وخرسا
وتحدى المحيط ركب (كولومب)
ورأى العالم الجديدً فأرسى
تصغر الأرض والبحار ويبدو
ذلك الموج في الأعاصير كأسا
ناقة في الفضاء طارت وسرب
من ظباء الحديد يَهْتِك حبسا
يانسور الفولاذ ! والنجم وكر
ريعَ من خفقة الجَناحَينْ مَسّا
صيدكم في السماء .. فالأرض ضاقت
بالتُراثْ الهزيل جوعا وبُؤسا

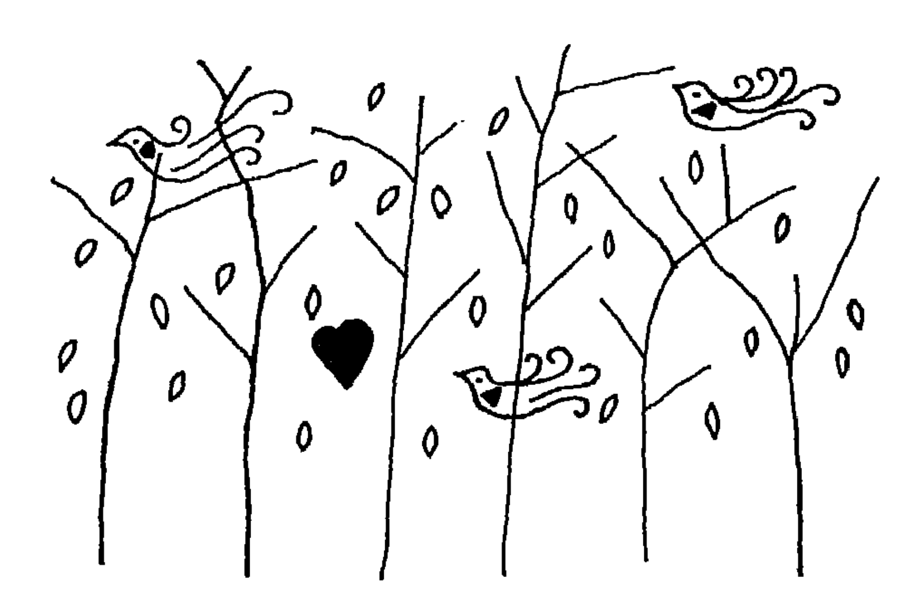
أترى هل نسيتنى ياحبيبى ؟
شعر : خليل فواز

هـدأ الليـل .. وانتشـت أحـلامـى
وتمنيـت أن تكـونـى أمـامـى !
يـاربيـع الحيـاة .. يـازمـن الحـب
ومـعنـى الابـداع والالـهـام
فى حنـايا الضلـوع قـد نضـج الحب
كنضـج الجنيـن فـى الأرحـام
أنـت ظِلِّـى ومسكـنـى وبـلادى
ومـلاذى وملجئـى واعتصـامـى !
أنـت سـرُّ البكـاء فـى الليـل لمّـا
تشتكـى الأمسـيـات لـلآلام !
لسـت أنسـاك لحظـة فـى قيـامـى
ورُقـادى وصحـوتـى ومنـامـى !
تشتـهـى وجـهـك الحبيـب عيـونـى
كـاشتـهـاء الضـيـاء بـعـد الظـلام !
أيـن إشـراقـة الصبـاح علـى وجـهـك
تُـغـرى الفـؤاد بـالأحـلام ؟!
واللقـاء المنشـود والـعـالـم الـرحـب
يـغـنـى بمـعـزفـى أنـغـامـى ؟!
وسـلام القلـوب قبـل السـلام
وكـلام الـعيـون قبـل الكـلام ؟!
والحـديـث اللـذيـذ فـى هـدأة الليـل
ونـار الشـتـاء تُـذْكـى غـرامـى ؟!
والـعنـاق الحـنـون والنفَـس الـعـذب
كـهمـس الـزهـور لـلانسـام ؟!
أتـرى .. هـل نسيتنـى يـاحبيـبـى
أم ضِـرام الـهـوى لـديـك ضـرامى ؟!

★ ★ ★

الجراح المتفائلة

شعر : فواز عبدالله الأنور



لم أندب الأيام منذ مرَّ ركبها
وخلَّف الفؤاد فى شواطىء الملل
لم أندب الربيع منذ فر شاردا
مبعثر الأعطار فى عواصف الجبل
فدربى القديم ـ حين أقفرت أشجاره ،
.. الخضراء تحت وطأة الخريف لم يزل .
يستقبل الحمائم البيضاء فى انتظاره
لعودة الربيع فى مواكب الأمل .

★ ★ ★ ★

ومرت الأيام فى قوافل الزمن .
ولم يعد سواى دون رحلة العطاء

وعمرى المنسىُّ فى شواطىء المحن
يعاتب الأيام بابتسامة الرجاء
وقلبى المشدود نحو آخر القطار حين فاتنى ومرَّ فى الخلاء
ينوح فى انتفاضة العصفور حين يفقد الطريق فى معابر الفضاء
يدق فى تشنج الأجراس حين يفقد الرهبان فى مجاهل العراء
فتبعث الرياح بانتفاضة الصدى
وليس ثَمَّ غائب يردد النداء .

★ ★ ★ ★

ومرت الأيام خلف دفة القدر
وعمرى المنسى فى شواطىء الجراح .
كومضة القنديل عند مدخل الممر
وليس فيه عابر يمر أو رياح .
لكننى لويت عن شواطئى خطاى واستدرت فى تفاؤل الجراح .
ببسمة الضرير للشروق حين يسمع .. انسلالة الضياء فى الصباح
ببسمة السجين للحقول حين يلمح الأطفال فى ملاعب الصباح
وقلت للرياح : فلتبعثرى الندا
فعمرى الجريح صار ثابت الجناح .

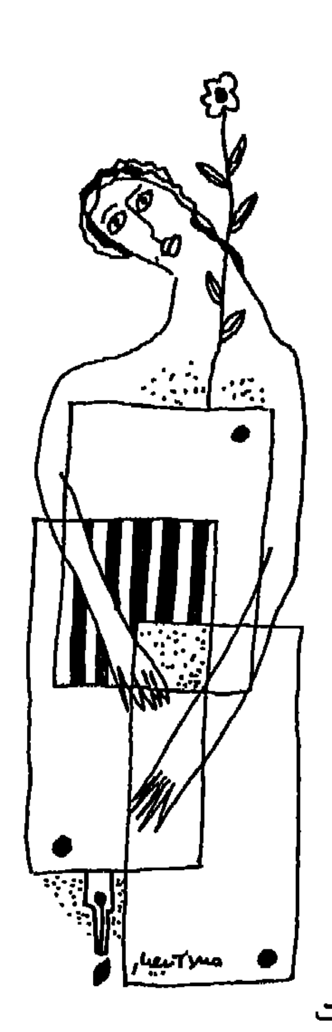
★ ★ ★

سيلحق الأعوام . لن تحد عدوه ،
قوافل الأيام فى سباقه الكبير .
سيخرق الفضاء . لن تصد سهمه ،
بوابة الرياح عن حديقة المصير .
لأننى أزحت عن جبينى المشدود للسماء كل غائم مطير .
لأننى بصمتى العميق أستشف كيف ترجع الطيور للغدير .
فموعد اللقاء فى الصباح فوق ربوة هناك فى حديقة المصير .
تستقبل الطيور من مجاهل المدى
وترسل الأنغام عبر رحلة الأثير .

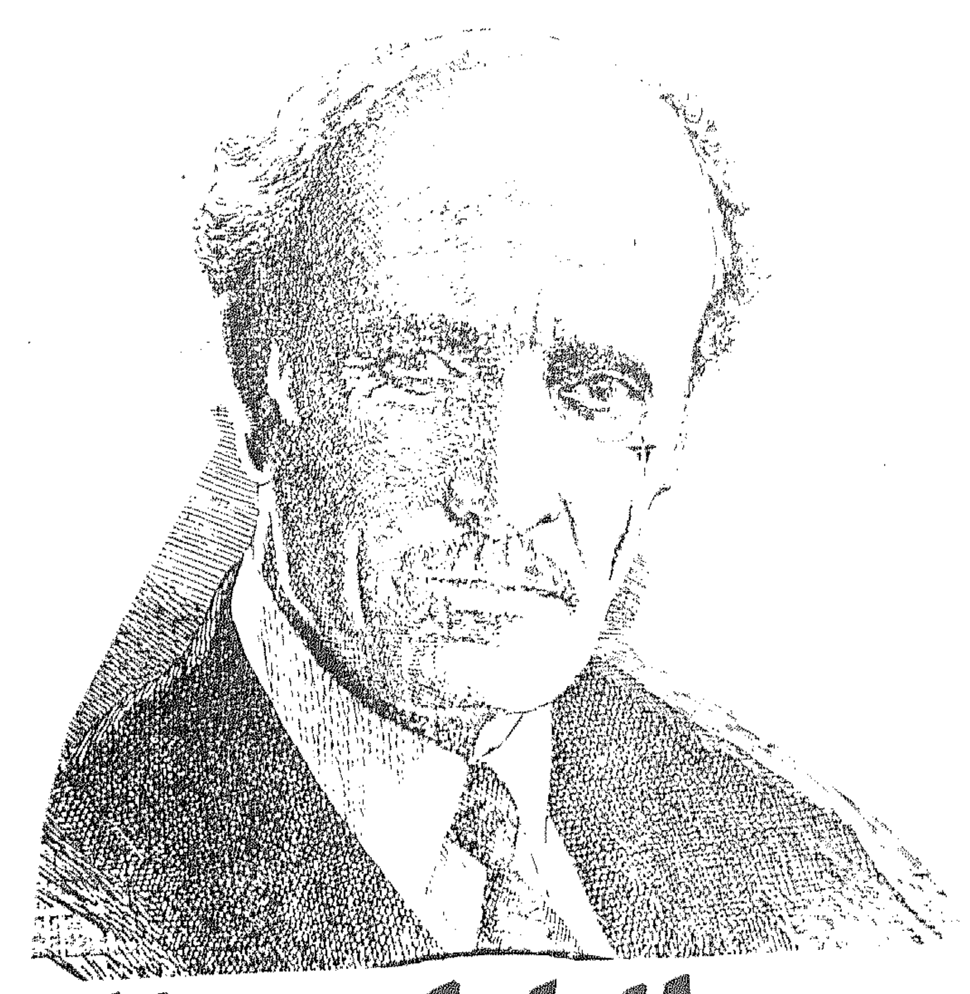
الشعر والجوع

شعر : محمود عبد الحفيظ عبد العزيز

لست بالمجرم الأوحد المتجنى على حرمة الشعر ياسيدى
لست بالمجرم الأوحد
إنه موسم الجوع ياسيدى .. وأنا الطفل ..
هل تقطعون - إذا عضنى الجوع ..
واشتقت ما عندكم من طعام - يدى ؟؟
أول الشهر ياسيدى
أول الشهر تصدر كل المجلات ..
نقفز بين الفهارس ..
نلهث بين الفهارس ..
بين الفهارس تولد أشعارنا .. أو تموت !!
إذ تموت ؛
نتعزّى بأيامنا الآتيات
نقبع خلف انحياز المجلات ..
« كل المجلات منحازة للكبار »
هكذا .. ثم نمضى
تمر الثلاثون يوما
وفى أول الشهر تصدر كل المجلات ..
نقفز بين الفهارس ..
نلهث بين الفهارس ..
هذى قصائدنا ... ...
يصرخ الفرح المتجمد يَاسيدى
نتقاطر صوب المقاهى التى طمر الليل والعنكبوت
« لن تموت قصائدنا .. لن تموت »
نتواصى بقول الحقيقة :
« كل المجلات منحازة للصغار »
هكذا !!
يتباهى أحباؤنا أن وضعنا ..
على أول الدرب كعب القدم !!



الطفل ياسيدى
هل رأيت الى الطفل يفرحه أن يدك ..
بطائره الورقى الهرم ؟؟!!
يمرق الشهر ياسيدى
أول الشهر تصدر كل المجلات
نقفز
نلهث
لاشيىء
نأوى الى جدر الحزن .. والأمنيات
إن يكن مر شهر
ففى العام كم أشهرٍ باقيات
يمرق الشهر
يتبعه الشهر .. والشهر .. والشهر
لاشيىء
فى مرة ..
قلت أطرق بابين .. فانفتحا .. .. ليت ما انفتحا !!!!!
« ليس بالطفل ياسيدى من يجيد التجارة »
قيل ياقارىء النحس ..
فى ليلة .. .. .. دعوتان ؟؟؟!!!
واصطفتنى الأبابيل ياسيدى للحجارة
هل أنا الأوحد المتجنى على حرمة الشعر ياسيدى ؟
هل أنادى عليهم بأسمائهم ؟؟
أم عرفتهم أول الشهر فى فهرس ..
مشرقى .. سنحى .: صقيل ؟؟
لست ياسيدى أنشد القصر ..
لا أنشد المستحيل
أنشد الظل ..
هل يكثر الظل فى زمن الجوع ..
والعرى ..
والعطش العبقرى النبيل ؟؟



ميخائيل نعيمة

معالم من حياته وصور من نقده

بقلم : أحمد حسين الطماوى

غال الردى فى اواخـــر فبراير من عام ١٩٨٨ سيرة ادبية اطبقت شهرتها عالم العرب عن تسعة وتسعين عاما قضت معظمهـــا فى ساحات الفكر تشعر وتنثر، وتفلسف القضايا ، وتبحث عن المعرفة التى تقودها الى الحقيقة ، تلكم هى سيرة المفكر العربى ميخائيـــل نعيمة .

ومهما اختلفنا حول نعيمة ، فهو واحد من ذلك الجيل الذى راد النهضة ، وأحدث اليقظة ، وقاد الى الجديد ، وأفسحت له المكتبة العربية مكانا كبيرا لما كتبه وما كتب حوله . فقد كانت خواطره دارة ، وفنونه كثيرة ، فهو شاعر وقاص ، ومسرحى ، وناقد متفهم ، وكاتب مقال متبصر ، ومتفلسف فى الحياة والنفس الانسانية .. وقد أهدى الينا آثاره تلك بالعربية والانجليزية والروسية ، وهى كتابات تشيد له بالامتياز ، وتحفظ له المنزلة السامية .

ويعد ديوانه « همس الجفون » من الدواوين الجديدة .. الجديدة فى مسيرة الشعر العربى الحديث ، فقد وقع فيه قريبا من نفسه لانه نقل لنا وجدانه ، ودل على قلبه بقلبه ، فهو ابداع ، واتساع فى الصور ، وامتداد فى الرؤية ، يحملها الينا ذهن جواب وثاب ، وعين ذكية لاقطة .

أما مسرحيتاه « الاباء والبنون » و « أيوب » فهما من المسرحيات التى عنى فيهما بالجوانب الاجتماعية ، والاتجاهات الانسانية العامة . ووصف فى الاولى تعصب الشرقيين ونزاعهم حول التقليد والتجديد وما ورثوه من عادات وتقاليد ، فهى تعكس صورا للثقافات الشرقية ، ومراحل من الحضارة الاجتماعيه .

والكاتب النعيمى من أوائل الذين كتبوا القصة القصيرة بمفهومها الدقيق فى مجموعاته « كان ياما كان » و « أكابر » و « أبو بطة » ، كما أن نعيمة من مبدعى الرواية وله نتاج ليس بالقليل نذكر منه « مرداد » بالانجليزية والعربية و « لقاء » و « مذكرات الارقش » و « اليوم الاخير » وهى روايات يتباين فيها الفن الروائى ، ويستخدم فى بعضها الرمز والاسطورة . وتعكس اتجاهاته النفسية والذهنية فيبدو فى كثير من مواقفها متفلسفا متصوفا معتقدا فى التناسخ ووحدة الوجود .

ويعتبر كتابه عن « جبران خليل جبران » من كتب التراجم الفريدة فى المكتبة العربية ، فهو فن روائى ، وسيرة أدبية ، وقد ثار حوله جدل واسع ، وحوار طويل لانه أفرط فى الفن والخيال ، ولم يلتزم بالحقائق والواقعات التزاما علميا دقيقا على طول المدى .

أما كتابه « سبعون » (ثلاثة أجزاء) فيعد من كتب السيرة الذاتية الجيدة ، فقد نقل لنا فيه مشاهداته فى مساحة شاسعة من المكان تشمل فلسطين ولبنان وروسيا وأمريكا وغرب أوربا ، كما تناول مسافة زمانيةتتباينفيها الاحداث ، وتتصارع فيها الاجيال ، وهو أهم وثيقة نستقى منها معالم حياته ، ومواكب فكره ، ونستدل منها على أزيائه النفسية وتوجهات ذهنه .

وفى كل هذه الكتابات يسخر نعيمة من السفاسف ، ويضجر بالترهات ، ويقبر المعايير العقيمة ، ويصبو الى الفن الاصيل ، والخيال الجميل ، ويرتاد المجهول البعيد السحيق ، ويدق على النفوس المغلقة بالخواطر الجديدة ، والمعارفالرشيدة ، ويحاول حمايتها من مزالق التقليه والتقاليد ، بل يفكها بالنادرة الساخرة .

● أبرز أعضاء الرابطة القلمية

ولد ميخائيل يوسف ميخائيل نعيمة عام ١٨٨٩ فى شهر اكتوبر على وجه التقريب كما يحدثنا فى المرحلة الاولى من كتابه « سبعون » ، عام ١٨٨٩ هو عام المخبرات الثقافية فى عالم

ميخائيل نعيمة

العرب فقد ولد فيه العقاد المعظيم ، وطه حسين ، وايليا أبو ماضي .. وغيرهم ، تلقى نعيمة تعليمه الابتدائى ثم دخل المدرسة الروسية فى بسكنتا مسقط رأسه فأظهر فيها تفوقا كوفىء عليه بمنحة دراسية فى دار المعلمين الروسية بالناصرة ، ثم رحل عام ١٩٠٦ الى روسيا ليدرس فى السمنار فى بولتافا وهناك قرأ أعمالا لشاهير الروس منهم بوشكين وجوركى وتولستوى ودستوفسكى وأخذ ينظم الشعر بالروسية ونال شهادة السمنار عام ١٩١١ . وعاد الى لبنان ليسافر مع أخيه فى نفس العام الى « والاوالا » فى أمريكا ، وأخذ فى تعلم الانجليزية التى مكنته من دخول جامعة واشنطن ، وراح يعالج الكتابة بنشر حسنات تجود بها قريحته فى مجلة « الفنون » لصاحبها نسيب عريضه ، وفى عام ١٩١٦ نال شهادتى الحقوق والاداب ، واتجه للعمل فى القنصلية الروسية والاسطول التجارى الروسى ، وعندما دخلت أمريكا الحرب الى جانب الحلفاء عام ١٩١٧ كان نعيمه بين جنودها الذاهبين الى فرنسا . وفى فرنسا أخذ يتعلم الفرنسية وسافر الى جامعة « رين » الفرنسية حيث درس التاريخ والاداب والفنون والقانون الدستورى . وفى عام ١٩١٩ عاد الى أمريكا ليعمل فى محل تجارى الى جانب نشر اثاره، وكان نعيمه من أبرز أعضاء الرابطة القلمية التى انشئت عام ١٩٢٠ حيث كان مستشارها وواضع دستورها . وبعد موت جبران عاد الى لبنان عام ١٩٣٢ ليواصل رسالته الثقافيةفوضع عدة كتب نشر بعضها فى مصر مثل « الغربال » الذى أعيد طبعه و « زاد المعاد » و « البيادر » و « صوت العالم » و « كرم على درب » . وعلى اثر زيارته للاتحاد السوفييتى عام ١٩٥٦ بدعوة منجامعة الكتاب الروس نشر كتابه « أبعد من موسكو ومن واشنطون » ، وتلاحقت أعماله الاخرى ، وتتابعت الكتابات عنه حتى رحل عن دنيانا .

ولقد شغل عدد كبير من الكتاب فى عالم العرب وخارج بنتاج نعيمة ، فكتب عنه المستشرق الروسى كراتشوفسكى ، والمستشرق الالمانى كايمفاير فى كتابه « قادة الادب العربى المعاصر » وعده منهم ، وترجم روفائيل نخله نماذج من شعره ، وتوالت الكتابات عنه . فدبج العقاد مقالين عن كتابيه « مرداد » و « كرم على درب » . وهناك كتب بأكملها عن نعيمه وضعها أمثال : نديم نعيمة (بالانجليزية) وثريا ملحس ، و د. شفيع السيد ، و د. شفيق شيا ، وطنى زكا وغيرهم .

صور من النقد

اذا كان كتابه « سبعون » مصدرا أساسيا من مصادر دراسة حياته حيث استجلى منهاغوامض ، وأستجهر فيها دقائق ، فان كتابيه « الغربال » و « الغربال الجديد » هما أهم كتبه النقدية حيث اشتملا على معظم ارائه ونظراته فى النقد والفن والجمال .

كان نعيمة يعد الناقد قوة فكرية ، وطاقة أدبية ، لا يقل فى نظره عن المبدعين المغنين ، ويقول : « هو مبدع عندما يرفع النقاب فى أثر ينقده عن جوهر لم يهتد اليه أحد حتى صاحب الاثر نفسه » وفى موضع اخر من غرباله يقول : « أن من لاينظم

القصيدة قد يقرأ فيها أكثر مما أودعها ناظمها » . ويمضى نعيمة فى تأكيد دور الناقد وأهميته فيرى أنه « اذا استحسن أمرا لا يستحسنه لانه حسن فى ذاته بل لانه ينطبق على آرائه فى الحسن » .

وهذا يعنى أن الناقد له رؤى ولديه فكر ، ووجهات نظر فى الحياة حصلها بعد تمعن ومتابعة ومراجعة لا تلبث أن تفيض على القرطاس فى شكل صور نقدية مبتدعة ، والامر نفسه يفعله الاديب عندما يقدم لنا صورا شعرية أو قصصية أو مسرحية . أى أن الناقد لا ينطلق من العمل الفنى ويحدث الناس عنه فقط ، ويظهر لهم محاسنه أو مساوئه . وانما ينطلق من ذاته المستوعبة لصور الحياة ، ومراتب النفوس ، ليرى مقدار صدق المبدع فى تصويرها . فالنقد صور للادب والنفس والحياة ، كما أن الفن الابداعى صور للمجتمعات وادابها ومعايشتها للحياة . وهذه الصور أو الفكر قد تتطابق أو تتلاقى عند الطرفين وهنا يكون الاستحسان المعلل .. وعندما تتنافر أو تتدابر تفترق التصورات ويحدث الاستهجان المبرر . ويكون لكل من المبتكر والمنتقد وجهات مستقلة فى النظر الى الامور .

قال نعيمة فى الناقد ما وضعناه بين أقواس ولا يفوتنا انه الاديب الفنان المبدع فى الشعر والقصة والمسرحية والخاطرة التى تأتى فى شكل موضوع أو شذرات ، اذ لا يعيبه الاختراع والانشاء . ويضيف الى ما قاله أن النقاد هم الذين جلوا شكسبير عندما قرأوه وانتقدوه ، وأنهم أنقذوا مواهب أدبية سخر منها الناس باعادة قراءتها وكشفهم لقيمها الادبية والانسانية ، فارجعوا اليها الناس بعد مقاطعة وادبار ، وكان يرى أن الروح الكبيرة التى تلاحق روحا كبيرا فى شتى مجالاتها لهى روح كبيرة مثله . ولم يفته ان يقول أن الكتاب درجات وكذلك النقاد .

وميخائيل نعيمة لا يعرف للنقد نظرية شاملة تحيط به ، أو مذهبا صارما يحدده ويحكم مساره ، فقال فى غرباله « ان لكل ناقد غرباله .. لكل موازينه ومقاييسه » . والمحك فى النقد عنده هو قوة الناقد نفسه ، واخلاص نيته فى عمله ، وتنبه فكره ، وقدرته على صياغة ما يقول فى بيان ناصع حتى يصل الى لب القارىء . و « قوة التمييز الفطرية » عنده هى التى تبتدع القواعد والمقاييس . ويلفظ الرأى القائل بأن هناك قواعد للنقد ، لانه لو كانت هناك قواعد ثابتة لطبقناها دون حاجة الى نقاد ونقد . وعلى هذا فالنقد عند نعيمة غنائى تأثرى يعول فيه على الذات ويستند فى أحكامه الى الذوق .. والحقيقة ان هذا التيار فى النقد الذوقى محل أخذ ورد ، وبالرغم من الاعتراضات الكثيرة عليه التى أهمها أن الذوق قلب والاذواق تختلف باختلاف الافراد فان النقد لابد أن يبدأ على الاقل من الفطرة على أن تسنده الخبرة . أى لابد من تدريب الذوق وصقله بالمعارف والثقافات المقروءة والناتجة عن التأمل فى الحياة . ومع أن نعيمه يردد مقولة فلسفية قديمة قوامها « أن الانسان مقياس لكل شيء فان الناقد يحقق ابداعه فى حدود تمثله للحياة وجوهرها ، ومعرفته بالنفس الانسانية وطبيعتها ، وقد يستطيع بلوغ ذلك بنفاذ النظرة وقوة التأمل والتخيل وتجاوز الاهواء والنزوات » .

وقد حاول نعيمه أن يوجد عدة

ميخائيل نعيمة

مقاييس يقيس بها الادب الصـــالح ويميزه عن الردىء ، فاهتدى الى أن الادب تكون قيمته بمقدار ما يسد من بعض حاجاتنا الروحية أو كلهـــا ويكون « أثمنه اجلاه بيانا وأغنـــاه حقيقة واطلاه رونقا ، واشجاه وقعا » اى لابد أن تتوفر فيه الفصاحة ونور الحقيقة والجمال والموسيقى · وربما تكون هذه المعانى هى التى أطلقعليها فى موضع اخر « نسمة الحياة » فى العمل الادبى · ورأى نعيمه أن هذه المقاييس متوفرة فى أدبنـــا العربى القديم وبخاصة عند ابى العلاء ، ويقرر أننا فى حاجة الى من يحسناستعمال هذه المقاييس · ولعل نعيمه يجد بهذه المقاييس من التقلب فى الاحكامالنقدية المستندة الى الذوق الخالص البكر ، ويحـــاول ايجاد معايير عامة للادب نحكم لها أو عليها من خلالها ·

وفى غربالى نعيمه نجـــد فصولا نقدية تناولت عددا منكتابنا وشعرائنا المعاصرين من أمثـــال شوقى ونسيب عريضه ورشـــيد سليم الخـــورى والريحانى وجبران ومى زيادة وخليل مطران والعقاد واليـــاس ابو شبكه وعمر فاخورى وايليـــا ابو ماضى ومحمود تيمور وغيرهم ·· وغيرهم ·

وعند تنـاوله لشوقى خسرت درته « أنادى الرسم لو ملك الجوابا » · عندما وضعها فى غرباله ، فقد أظهر فيها التكـلف، والحشو والانتقـــال الفجـــائى من معنى الى معنى ومن موضوع الى موضوعاى رماها بالتفكك فضلا عما فيها من تناقضات · وانه من الطبيعى أن يحترم نعيمة قصيدة شوقية لان كلا منهما يمثل تيارا فى الشعر · فنعيمةيرى أن الشعر هو لغة النفس وترجمانها وتعبير عن العواطف والافكار ولا يتاتى هذا الا اذا أحـــس الشاعر بعاطفته ترتعش أمام مشهد أو موقف فيصوغ تعبيرا موسيقيا موزونا يحدق على ما انطوت عليه نفســـه فى تسلسل شعورى ، وهو ما لم يجده فى معارض شوقى التى يكثر فيها الرثـــاء والهجاء والمديح · الا أن الحكم على شوقى أو غيره من خلال قصـــــــيدة لا يجدى فى النقد ·

وموقفه من خليل مطـــران يختلف بعض الشىء عن نظرته الى شـــوقى وشعره لان مطران ــ فى بداية نشـــأته خرج عن المألوف من الاســـاليب ، وقصـــيده متماسك ، وموضـوعاته جديدة ، ولكنه لم يطرق هذا الطـــريق الى منتهاه ، فعاد الى نهج المقلـــدين ، وابدى نعيمة أسفه على ضياع قريحة الخليل الفياضة وديباجته المشـــرقة والمامه بأسرار اللغة فى تهنئة أو رثاء أو تمجيد لجمعية تشريعية أو غرفة تجـــارية ، وكان فى رأى نعيمه أن يترفع مطران عن هذه الاغراض ولذلك أطلق عليه « فاتح عهد التجديد وخـاتم عهد التقليد أو عهد الكلاسيكية الكاذبة»

ولما كان نعيمه معالتجديد والثائرين على الجمود فقد التقت افـــكاره مع العقاد فراح يكيل له المديح ، ويلهج بالثناء على مواقفه من الادب والشعر والنقد » وبالرغم من تشابه الافكار ، وتقارب الاتجاهات ووحـــــدة الهدف بينهما فان أحدهما لم يتاثر بالاخر بشهادة بعض النقاد ·

كان نعيمه فى شـبابه يشن غـارات النقـــد على الادباء فيوضح حينـــا ويجرح حينا اخـــر ، ولكن فيما بعد كانت انتقاداته عبـــــارة عن توجيه

وارشاد وملاحظات من غير تأنيب أو تأنيب ، لقد شفت عبارته ، وشعت نورا هاديا وحسبنا أن نقرأ ما انتقد فيه مجموعتي « أبو الشواريب والبارونة أم أحمد » لمحمود تيمور حيث قال بعد المديح له : « ان بعض قصصك يشكو طول النفس في السرد » أو قوله لتوفيق صايغ بعد الثناء عليه : « أنت يا أخي شاعر وفنان حتى وان أتعبني السير في وهادك ونجادك » .

أقول أين هذه الكلمات الخفيفة من عباراته الساخنة ، وألفاظه القارصة في مطلع حياته ، واني أرد هذا الى شفافية روحه ، وفهمه الواسع للحياة التي تستوعب كل المخلوقات النافع منها والضار ، واحاطته بطبيعة الانسان الذي يخطيء ويصيب ، ومعاناته من النقاد الذين أوسعوه نقدا وذما ، وتقليله من أهمية النقد كما يؤخذ من محاضرة ألقاها بعنوان « الاديب والناقد » في مؤتمر الادباء العرب بدمشق عام ١٩٥٦ .

ومهما يكن من أمر فان نعيمة ظل ما يقرب من سبعين عاما يجاهد من أجل أدب صحيح وفكر سليم ، فغنى في مروج الادب ، وصافح الجمال ، وداس في أشواك النقد .

ميخائيل نعيمة .. أجيال الابناء .. والاحفاد



ميخائيل نعيمة

الهـــلال وميـخائيـل نعـيمة

فجعت مجلة الهلال في واحد من اكبر كتابها الذين ظلوا - على مدى اربعين عاما - يوافونها بالمقال والقصة القصيرة والحوار الهادف • ذلك هو ميخائيل نعيمة (١٨٨٩ - ١٩٨٨) •

اخـذ فكر ميخائيل نعيمة مكانه على صفحات الهلال منذ وقت مبكر • ففي عدد ابريل من سنة ١٩١٨ نشرت له قصيدته الشهيرة « اخي » نقلا عن مجلة « الفنون » التى كان يصدرها نسيب عريضة فى امريكا • وتوالت بعد ذلك اعماله الادبية والاجتماعية • وفي ١٩٢٢/٦/٢٨ أرسل « اميل زيدان » صاحب الهلال - في ذلك الوقت - خطابا لنعيمة فى أمريكا يتضمن رغبته فى افتتاح السنة ٣١للهلال باستفتاء مفكرناحـــول نهضـــة الشرق وموقفـــــه بازاء مدنية الغرب ، فاجابه نعيمة على ذلك ، وفى عام ١٩٤٢ كتب نعيمة مقالا اخر عن الغرب والشرق اطلق عليه « مدنية العقل ومدنية الخيال » ، وفى عام ١٩٤٧ دبج مقالا تحت عنوان « حكاية الشرق والغرب » استكمالا للموضوع ، وهى تعطى فكرة واضحة عن الشرق والغرب من خلال فكر نعيمة ، ولا يؤمن نعيمة بأن الشرق شرق والغرب غرب وانما يرى انهما في تلاقح دائم على مدى التاريخ البشرى يهجع الواحد فياتيه الاخر بلقاح لا يلبث معه أن يفيق من هجعته •

ومن القصص الاجتمـــاعى والرمزى الـذى نشره فى الهـــلال : « سنوت » و « هـدية » و « البنكاروليا » و « صبى من الشرق » و « عـــدو النساء » والاخيرة تتضمن تحليلا رائعا لعاطفة الابوة الكامنة فى النفوس حتى عند غير المتزوجين أو الذين حرموا نعمـــة البنات والبنين • وقصة « ويذوب الجليد » التى يقول فيها ان « الذين دفنت قلوبهم بالمحبة والجود والصدق والرضى والعدل دفنت أعوامهم بالسلام والبحبوحة والطمأنينة » وقصة « قلامة ظفر » ويصور فيها أن العالم كله لا يساوى قلامة ظفر •

ومن الحوار المسرحي ما جاء في الهلال تحت عنوان « ستستريحون يوم أستريح » والموضوع عبارة عن حوار بين والد ووالدة وابن وابنة حول الديمقراطية والاشتراكية والشيوعية •

ولنعيمة مقالات كثيرة منها : « روسيا التى عرفتها » ويتحدث فيها عن روسيا القيصرية فترة اقامته بها فى بلتافا عندما كان يتلقى تعليمه فى السمنار فى الفترة (١٩٠٦ ـ ١٩١١) ومن مقالاته الاخرى « سحر الطفولة » وقد شارك بها فى عدد خاص عن الطفولة وراى فيها أن الطفولة باب الى الغبطة التى كلها معرفة ومقدرة وانطلاق • ومن يتصفح الهلال يجد مجموعات من مقالات نعيمة الاخرى مثل « حدثني جبران » و « لماذا نسير بأرجل السلاحف » و « عالم جن جنونه » ••• الى اخره •

وكانت مجلة الهلال تتابع أخباره وتستحثه على الكتابة ، فعندما اشيع عنه أنه اعتزل الناس في الشخروب أرسلت الهلال اليه تسأله « لماذا اعتزلت الناس » فأجابها بمقال جاء بنفس العنوان نفي فيه العزلة •

ولما اصدر كتابه « سبعون » (المرحلة الثانية) نشرت الهلال فصلا منه تحت عنوان « هذه هى الحرب » تحدث فيه عن الحرب العالمية الاولى التى جند فيها من قبل أمريكا • وتواصل الهلال اذاعة الفكر النعيمى بين الناس ، حتي قبل أن يصدر فى سفر مستقل ، فعندما كان يتأهب لاصدار كتابه « هوامش » نشرت الهلال منه فصلين • وقد أخذت معظم هذه الكتابات طريقها الى كتب نعيمة التى صدرت فيما بعد مثل « المراحل » و « همس الجفون » و « هوامش » وغيرها •

ولم تقتصر دار الهلال على نشر مقالات نعيمة وقصصه وانما قامت باعادة طبع كتابه « جبران خليل جبران » فى شهر ديسمبر ١٩٥٨ فى سلسلة كتاب الهلال • وقد أحدث هذا الكتاب ضجة كبيرة عند نشره لان نعيمة مزج فيه الفن الروائي بالحقائق والواقعات•• ولعل الحوار الذى أجرته معه الهلال عام ١٩٦٧ هو آخر عهده بمجلة الهلال •

ومجلة الهلال اذ تذكر للراحل الكبير مقامه العظيم ودوره الخطير فى نهضة الاداب العربية والاجتماعية ، تتقدم الى العالم العربى وشعب لبنان بصفة خاصة ، بالعزاء الخالص • وتهيب باللبنانيين ان يتمثلوا مبادىء الفقيد وفكره الروحانى ، ونداءات المحبة والوئام التى ظل طيلة عمره ينادى بها ويحدث الناس عنها ، ويتركوا البغض ، وينبذوا الحرب الدائرة التى لا يرى منها غير الخراب ، ولا يسمع فيها الا صرخات الموت •

الفن ضد القهر

انتفاضة الحجارة تفجر انتفاضة تشكيلية

بقلم: عز الدين نجيب

اذا كانت قيمة الاحداث القومية تقاس بحميتها الوطنية وتعبيرها عن الوجدان الجمعى ، وبمردودها الجماهيرى العريض فان معرض ((الفن ضد القهر)) الذى اقيم لمناصرة القضية الفلسطينية باتيليه القاهرة فى ١٣ مارس الماضى ، يعد حدثا ثقافيا قوميا بالغ الاهمية والدلالة .

فلاول مرة فى مصر — منذ الستينيات على الاقل — يتنادى أكثر من ستين فنانا ، دون توجيه أو تنظيم أو مساعدة من آية جهة ، لاقامة معرض بأعمالهم الفنية ، للوقوف بجانب الانتفاضة الباسلة ، التى دخلت التاريخ باسم انتفاضة الحجارة ، بعد أن دخلت شهرها الرابع ، مندفعة مثل كرة من النار من أعلى الجبل ، محرقة كل سنين القهر ، دون أن تتمكن آية قوة من ايقافها ، أو أية مناورة على احتوائها . وقد بلغ من حماس الفنانين للمشاركة ، أنهم كانوا يتنافسون على التمثيل بالاعمال الفنية واهداء دخلها لضحايا الانتفاضة ، مما دفع الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين الى تخصيص عموده الصحفى يوم افتتاح المعرض لهذه التظاهرة الفنية .

ولاول مرة يحظى افتتاح معرض تشكيلى فى مصر بزحام هائل من الشاهدين من كافة المستويات الاجتماعية والثقافية ، ويستمر حضورهم فى الليلة الاولى قرابة أربع ساعات ، على عكس مانشكو منه دائما من خلو قاعات المعارض من المشاهدين مما يجعلنا نعتبر هذا الافتتاح يوما تاريخيا فى الحركة الفنية .

وهكذا كان للانتفاضة الشعبية البطلة للفلسطينيين تحت الاحتلال فعل السحر فى مناخ عربى راكد وحركة ثقافية مهزومة من داخلها ، علتها طبقات الصدأ ، وغلبت على كثير من مبدعيها مشكلات الصنعة او الرغبة فى اتخاذ اقصر السبل للوصول السريع .

فدائى — للفنانة انجى افلاطون — زيت على قماش ٧٠ × ١٠٠ سم



الفن ضد القهر

ولان الاعداد لهذا المعرض استغرق اقل من شهر واحد ، فان عدد الاعمال الفنية التى أنتجت من وحى الانتفاضة لا يتعدى خمسة عشر فنانا ، مما دفع الفنانين الحريصين على الاشتراك الى احضار أعمال قديمة يعود بعضها الى عام ١٩٦٧ ، ولعلها تمثل « انتفاضة » الشعب المصرى فى ذلك الحين رفضا للهزيمة .

● لماذا .. الفن ضد القهر ؟

لكن ماهو المغزى وراء اختيار عنوان « الفن ضد القهر » للمعرض ؟

تقول كلمة المقدمة لكتالوج المعرض ، التى اعتبرت بمثابة بيان للفنانين : « ان عالما بلا فن هو عالم مقهور !.. فالفن فى حقيقته البسيطة حرية ، لانه عتق للخيال السجين لدى الفنان والمجتمع ، من ربقة الهموم وضغوط الواقع ، ولانه موقف يشد أزر الانسان فى مواجهة القهر ، ولانه امتلاك لارادة خلق عالم جميل يتجاوز الحصار بالحلم .. »

وبعد اشارة الى صنوف القهر التى عانت منها الشعوب العربية على مدى الاربعين عاما الماضية « من الخبز حتى الحرية » تقول الكلمة :

« فماذا كانت النتيجة ؟.. كانت انسانا عربيا متكيفا مع القهر ، حتى بات يستنشقه مع الهواء ويخرجه بشكل طبيعى مع الزفرات ، وكانت مزيدا من تقلص المساحة التى يحيا فوقها ، حتى أصبحت شبرا فى شبر ، يعصمه وحده من الطوفان .. طوفان القهر المادى والسياسى والمعنوى »

المعرض اذن يقوم على فهم سياسى واسع لمعنى القهر ، ويمثل استجابة عفوية حارة من الفنانين المصريين لحدث الانتفاضة ورمزها النبيل .

وفى عبارة موجزة ، تختصر كلمة المقدمة موقف « انتفاضة الفنانين » بانها : « ضد القهر بكل اشكاله ، هنا أو هناك ، أمس أو اليوم أو غدا ، بدءا من اغلال القلب حتى أغلال الوطن » .

● الفنانون المشاركون

وقد اشترك فى المعرض ٤٣ رساما ومصورا هم بالترتيب الابجدى : انجى أفلاطون . ايهاب شاكر . ايفلين عشم الله . احمد فؤاد سليم . احمد نوار . السيد القماش . ثروت البحر . جاذبية سرى . حلمى التونى . راتب صديق . رباب نمر . رضا عبد السلام . زكريا الزينى . زهران سلامة . سامح المرغنى . سامى على حسن . سيد هويدى . صفية حلمى حسين . صبرى حجازى . طه حسين . عباس شهدى . عدلى رزق الله . عصمت داوستاشى . على دسوقى . عز الدين نجيب . على نبيل وهبة « اضافة الى اشتراكه بعمل نحتى » . فاطمة عرارجى . محمد سالم . محمد سليمة . محمد شاكر . محمد عبلة . محمد على . محمد فايد . محمود بقشيش . مصطفى عبد المعطى . مصطفى الرزاز . مرفت السويفى نعيمة الشيشينى . هدى خالد . يسرى حسن .

ومن النحاتين اشترك ١٢ فنانا هم : جمال عبد الناصر . شريف عبد البديع . صالح رضا . صلاح عبد الكريم . صبرى ناشد . عبد الهادى الوشاحى . طارق الكومى . محمد جلال . محمد عثمان . محمد الطلاوى . محمود شكرى . محمد مندور .

كما اشترك ستة من كبار الحفارين « فن الجرافيك » هم : سعيد حداية . فاروق شحاتة . مريم عبد العليم . مجدى قناوى . مدحت نصر . محمد منصور « والطريف انهم جميعا من فنانى الاسكندرية ، باستثناء الاخير ! »

أما الاعمال التى انتجت من وحى الانتفاضة فهى للفنانين :

انجى افلاطون . ثروت البحر . حلمى التونى . زهران سلامة . سامى على حسن . سيد هويدى . صالح رضا . صفية حلمى حسين . عصمت داوستاشى . على دسوقى . عز الدين نجيب . محمد جلال . محمد منصور . يسرى حسن .
وهى تتميز جميعا بالتعبير الرمزى عن الحدث باللغة الفنية المعتادة والمتميزة لكل فنان ، دون وقوع فى الخطابية .

● فلوحة انجى المرسومة بالحبر الاسود تصور جموعا من المقاتلين الفلسطينيين بالحجارة وكأنها مظاهرة صاخبة . « هذا فضلا عن لوحة اخرى للفنانة بالالوان الزيتية رسمت منذ سنوات قليلة وتصور فدائيا فلسطينيا ملثما مشهرا سلاحه ، على خلفية من الوان ارجوانية » .

● اما عصمت داوستاشى فيقدم لوحتين بالوان الجواش لقبة الصخرة فوق كتابات عربية تؤكد انتماء القدس الى فلسطين « اضافة الى تمثال خشبى قديم نسبيا ، عبارة عن بندقيتين حقيقيتين مكسورتين ومحاصرتين فى دائرة كالطوق ، وهو من اعماله الرمزية البليغة » .

● ويقدم زهران سلامة لوحة عن قبة الصخرة ايضا ، وامامها مجموعة من الفلسطينيين يرتقون سلما عريضا فى مشهد سيمترى مهيب وقد تدثروا بعباءات بيضاء ترفرف فى الهواء فكأنهم شهداء .

● أما يسرى حسن فيقدم رسمين بالحبر الاسود ، احدهما وجه فدائى يعكس الارادة والتصميم ، والثانى يمثل قبضة بشرية تخرج من باطن الارض تشق الظلام مثل شجرة تصر على الحياة .

● ويقدم ثروت البحر عملا تصويريا رمزيا لنافذة زجاجية محطمة بحجر او قبضة غير مرئية ، مع غبشة انسيال مياه فوقها ، بما يعطى انطباعا شعريا متفجرا بالدراما .

● ويقدم حلمى التونى لوحتين زيتيتين لفتاتين فلسطينيتين بزيهما القومى المزركش ، وتحمل احداهما حبات البرتقال فى حالة تحفز فتبدو وكأنها تلقى بها وان كانت اقرب الى جنى البرتقال ، بينما تمتد يدها الاخرى لتقطف نجمة فى السماء .. انها تعبير شعرى جميل عن صناع الحياة والامل فى مقابل صناع القهر والدمار .

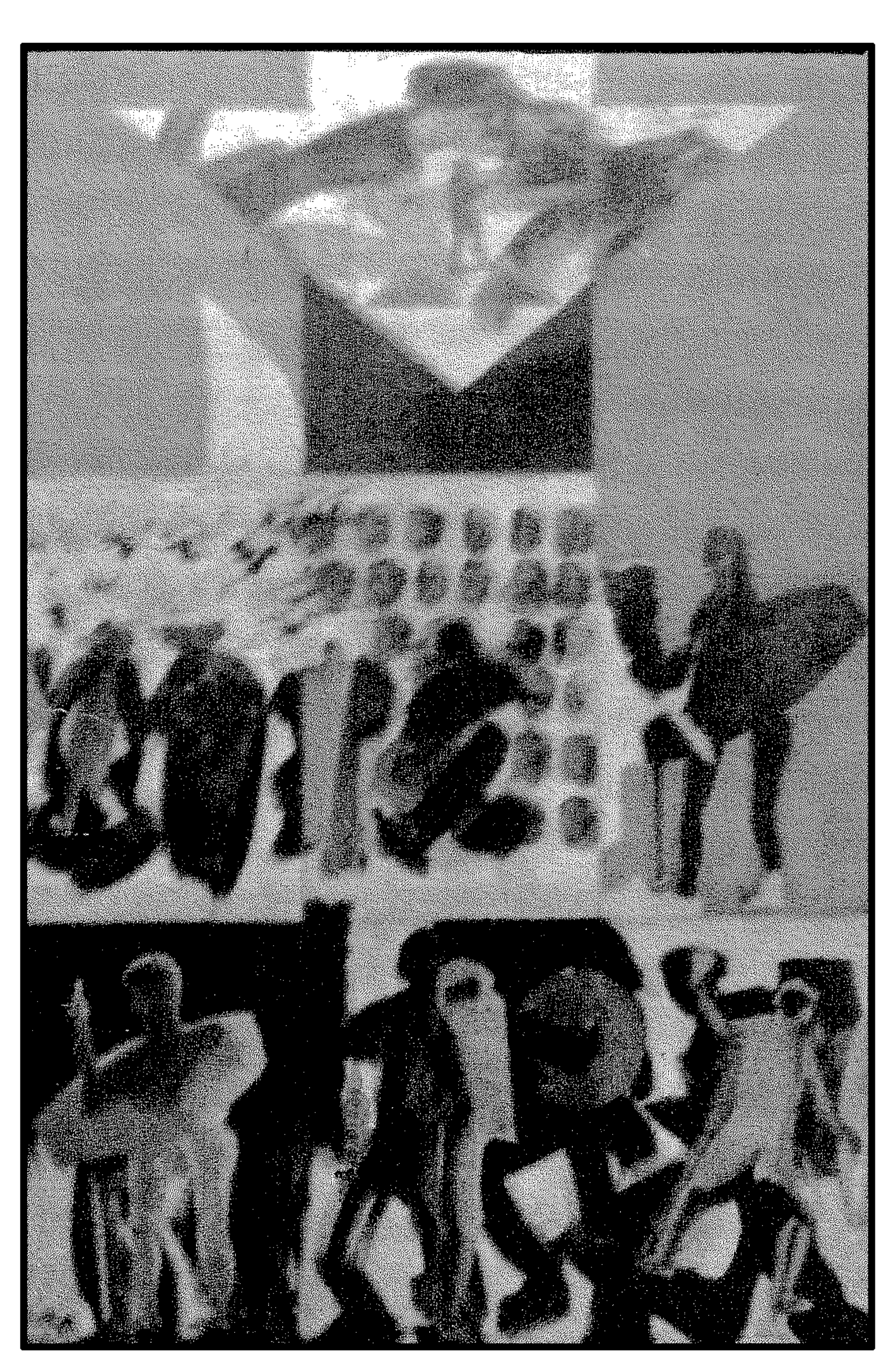
● ويقدم على دسوقى لوحة من الباتيك بالاسلوب الذى تميز به ، وفتياته الشعبيات ومعهن حمامات مسالمة . وتتسم الوانها بالقوة مما يعطى حركة بصرية ، وتعكس الدائرة الحمراء فى الخلفية شعورا بالغضب .

● والفنانة صفية حلمى حسين قدمت عملين بالوان الزيت الجاف على الورق . ومع اقتصارها على اللونين البنى والاسود، فانهما يعكسان توترا دراميا عاليا ، وكأن عناصرها قد قدت من صخور مقاتلة .

● ولعل الفنان صالح رضا كان اكثر الفنانين جرأة ومبادرة بتمثاله النحاسى الجديد المتفجر كشجرة محاربة او آياد وقبضات مرفوعة ، ومع ذلك اتسم

المظاهرة - للفنان رضا عبدالسلام -
اكريليك على كرتون ١٣٠ × ١٩٠ سم

الفن ضد القهر



فتيات البرتقال - للفنان حلمي التوني - زيت على قماش ٧٠ × ١٠٠ سم



الفن ضد القهر

بالتوازن والحوار الديناميكيين بين الفراغات الداخلية والخطوط الخارجية المتقلصة .

وغنى عن الاشارة مدى الجهد والنفقات التى بذلها الفنان لانجاز تمثاله النحاسى فى أيام معدودة ليلحق بافتتاح المعرض ، مهديا ثمنه اذا بيع لابطال الانتفاضة .

● وكما تعودنا من الفنان المصور سامى على حسن ، جاءت لوحته الثانية الصغيرة تعبيرا جياشا بالحيوية فى جو يقرب من الحلم الكابوسى ، وهناك فتاة وسط خضم الالوان كشجرة نحيلة وخلفها حمامة هائلة يقاطعها درجات سلم أو ما يشبه ذلك .

● انتفاضة شبابية

وقد كسبت الحركة الفنية من خلال هذا المعرض مجموعة من الفنانين الشباب تعبر اعمالهم عن موقف ملتزم بقضايا الانسان ، واغلبهم يعملون معيدين بكلية الفنون الجميلة بالمنيا . منهم محمد منصور ومحمد جلال شحاتة ، وكانا قد انتهيا قبل افتتاح المعرض بيوم واحد من معرضهما المشترك مع زميل ثالث هو محمد عرابى .

● قدم الفنان محمد جلال - وهو نحات مجتهد يمتلك الجرأة الكافية للتطلع الى الأعمال الصرحية ، قدم تمثالا كبيرا لامرأة تحاول الوثوب أو الطيران ، وهى ذات نبض تعبيرى صادق عن معنى التحرر .

● وقدم زميله الحفار محمد منصور لوحتين باللون الاسود ، عن العدوان الغاشم فى شكل ثور هائج تحترقه الحراب مرة ، ومرة أخرى نراه مقلوبا ، وقد برزت فى اللوحتين حمامتان فى الجزء العلوى كمعادل لهذا العدوان المحكوم عليه بالهزيمة . وأسلوبه وان اتسم بالواقعية فانه يرتفع الى التعبيرية الرمزية أو السريالية .

● وهناك نحات شاب اخر يمتلك جسارة عالية لارتياد أسلوب جديد وخامات غريبة متميزة ، هو شريف عبد البديع . فقد صنع فى أيام قليلة تمثالا من الاسلاك والشباك الحديدية التى توحى بالحصار . وهذا التمثال الفريد فى المعرض كله على شكل انسان يشب عن الارض متحفزا للوثوب مندفعا بصدره محطما قيوده . والجدير بالذكر أن هذا الفنان الشاب هو نجل النحات الكبير عبد البديع عبد الحى الذى تميز بقوة منحوتاته فى الصخر .

● واخر هذه المجموعة من الفنانين الشباب هو سيد هويدى . وهو صحفى نشط وطاقة لا تهدأ فى صحافة الرأى الاخر ، لكنه هنا يتغلب لاول مرة على تردده فى تقديم عمله الفنى للناس ، فكانت قطعته الوحيدة التى قدمها الى المعرض ايذانا بمولد فنان يملك حساسية تعبيرية لفتت اليه الانظار ، لكنها تستلزم رعاية وتفرغا .

● أعمال التصوير والحفر

تمثل اللوحات المعروضة مساحة عريضة متنوعة داخل الحركة الفنية من أجيال واتجاهات مختلفة .

● هناك الفنان راتب صديق ، الذى عرفته الحياة الفنية . منذ معارض جماعة الفن الحرية فى الاربعينيات ، وتميزت قطعته بكل خصائصه الفنية والتعبيرية التى تعودناه منه ، اداء أقرب الى الكلاسيكية ، مع روح ملحمية جياشة . فهى تمتلىء

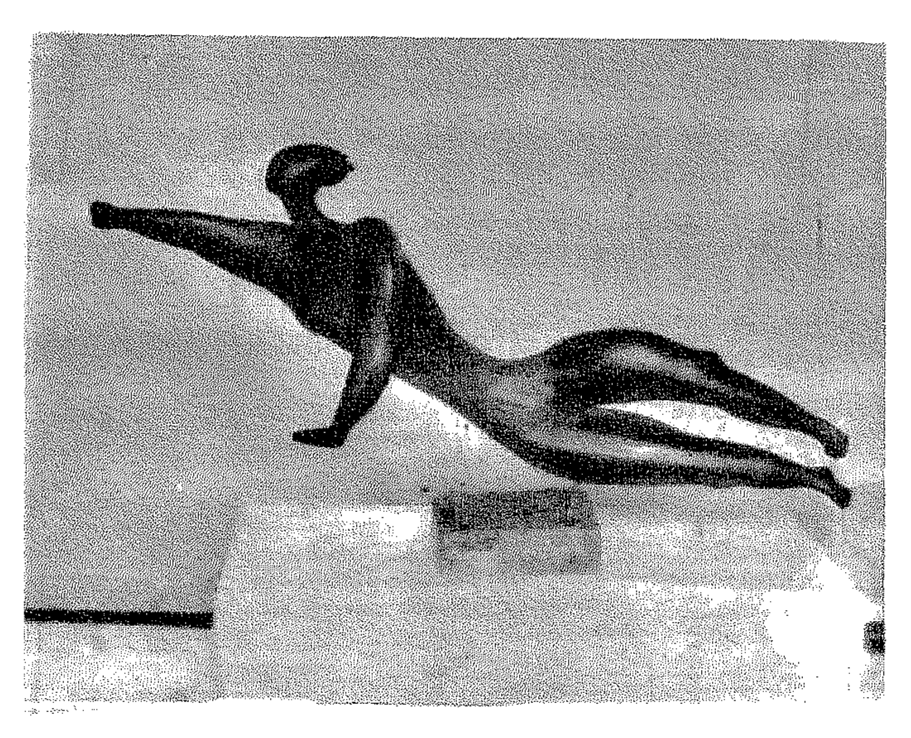
بالحركة العنيفة .. والوضوع هو أم شهيدة تحتضن ابنها ، وزاوية النظر للمرأة تعد نموذجية لاضفاء الحس المأساوى ، ويلعب الضوء دورا أساسيا مع اللون والحركة فى ابراز هذا الحس .

● وفى نفس الاتجاه « مع الفارق التكنيكى والرؤية الجمالية » نجد لوحة الفنان عباس شهدى التى تمثل أيضا أما تدافع عن أطفالها .

● وهناك أعمال تعبيرية كثيرة تنتمى الى التعبيرية الرمزية ، بعضها يعود كما أشرنا من قبل الى ١٩٦٧ « منهم مصطفى عبد المعطى وطه حسين وجاذبية سرى » وهى أعمال تجسد ضياع الانسان المصرى فى تلك الفترة وتعلقه اليائس بين السماء والارض « كما نرى فى لوحة عبد المعطى » كما تجسد مع هذا الضياع فى الفضاء تشبثه بطاقة من الامل ، فى شكل قرص مضىء بجوار طفلة مقتلعة من الارض كجذع شجرة « كما نرى فى لوحة جاذبية » ، ونجد فى لوحة طه حسين انبثاق فروع شائكة كالحراب من ذراعيه ورأسه .

● وفى هذا الاطار التعبيرى الرمزى ينضوى كوكبة من الفنانين الجادين مثل : نبيل وهبة ، زكريا الزينى ، ايفلين عشم الله ، عدلى رزق الله ، محمد شاكر ، سعيد حداية ، رباب نمر ، محمد عبلة ، سامح المرغنى ، كريمة ياسين . وغيرهم كثيرون .

● وفى اطار آخر يجمع بين التشخيص والتجريد ، نجد رهطا من المصورين والرسامين والحفارين مثل أحمد نوار « بحماماته السجينة فى مكعبات الاسلاك » وأحمد سليم « بأشلائه المزقة وسط مكعبات كالتوابيت » ، وفاروق شحاته بمتتالياته القائمة على وحدة المربع المتكررة ومحمود بقشيش بحوائطه المتصدعة ذات النوافذ المقورة الاعين ، وايهاب شاكر بكتلته الفنية المعبرة عن غطرسة العدو وشراسة العدوان . ورضا عبد السلام بمسطحاته الهندسية المتداخلة مع الاشباح



الانتفاضة ـ تحت بوليستر ـ للفنان طارق الكومى ـ عرض ١٧٠ سم

البشرية بحس مفعم بالتراجيدية ، وفاطمة عرارجى برسمها البسيط المجسم ككائنات صخرية متصارعة . ومدحت نصر بمتتاليته الشعبية لزحام البشر فى شكل اقرب الى التجريد ، ومريم عبد العليم بامتزاج شكل عباد الشمس مع الوجه البشرى فى علاقة درامية .

● وهناك فنانون اخرون اقرب الى التجريد المطلق دون ادخال آى عناصر تشخيصية معتمدين فى شحنتهم الدرامية المتفجرة على قوة الالوان واندفاعها أو على ملامس السطح . من هؤلاء الفنانتان نعيمة الشيشينى وهدى خالد ، والفنانان السكندريان مجدى قناوى ومحمد سالم.

الشهداء ـ للفنان على نبيل وهبة ـ زيت على قماش ١٥٠ × ١٥٠ سم

● اعمال النحت

اما النحاتون ، فهم على قلتهـــم في المعرض يلفتون الانتبـــاه بقوة تعبيرهم الرمزى عن الحدث ، وقد تحدثنا من قبل



اقتلاع الطفل ـ للفنانة
جاذبية سـرى ٧٠ × ١٠٠

الفن ضد القهر

عن تمثال الفنان صالح رضا . أما الفنان صلاح عبد الكريم فيعرض تمثاله « المسيح يصلب من جديد » ، وهو كما نعلم شكل من حديد الخردة الذى ضاعف الحس التراجيدى فيه .

● كما يقدم الفنان الوشاحي تمثـاله الشهير « القفزة » وهو كتلة نحاسـية هائلة تشب متحفزة كوحش أسـطورى بلا ملامح .

● ويقدم الفنان محمود شكرى قطعته النحاسية اللافتة للنظر عن الفارس ذى الدرع ، فى تلخيص قوى وبسـاطة مشحونة بالتعبير ، مما يذكرنا بأعمـال النحات آدم حنين القديمة قبل سـفره الى الخارج .

● ويقدم المثال محمد عثمان تمثـالا يعبر عن شهيد محمول على أعنـاق المناضلين . وهو قطعة مشحونة بالحركة مزدحمة بالتفاصيل .

● ويقدم المثال محمد العلاوى قطعة من النحت الجيـد لرجل يحتمى بدرع هائل . وهى تستمد بلاغتها من بساطتها حتى التجريد .

● ويقدم الخزاف محمد مندور حمامة جريحة فى كبرياء وشموخ . وتبدو الشروخ والكسور المتعرجة بهـا كاصـابة من العدوان .

● أما مفاجأة هذا العرض فهو النحات الشاب طارق الكومى ، الذى يقدم تمثالا أفقيا لامرأة أبنوسـية بالحجم الطبيعى تقريبا ، تندفع سابحة فى الفضـاء ، بانسيابية تذكرنا بالمصـور الفرنسى الرومانتيكى موديليانى .



ملصق المعرض ـ تصميم الفنان حلمى التونى

وبعد ..

فهذا « العرض ـ المظاهرة » هو أبلغ دليل على بقاء النبض الوطنى الجياش ، فى ضمير الفنان المصرى ، الذى يخبـو ظاهريا تحت وطأة الظروف لكنه ما أن يدعو الداعى الوطنى يكون فى مقـدمة الصفوف . وقد انعكس ذلك على ترحيب الجمهور المصرى به واقباله عليه .

وهو أبلغ دليل أيضا على أن الحداثة الاسلوبية لا تتعارض مع الارتباط بالموضوع والمضمون النضالى فى الفن ، وعلى أن الفن الحقيقى هو فى النهـاية موقف انسانى ، وبغيره لا يصبح الفن أكثر من قطعة للزينة المؤقتة .

ليال مسرحية في بغداد:

مساحة للتجريب ... مساحات للجمود والتقليد ..

بقلم: فاروق عبد القادر

بغداد تحارب وتقيم مهرجانات حافلة للآداب والفنون. تلك حقيقة وضاءة قل فيها ما شئت بالأمس كان الشعر وأهله، واليوم المسرح وأهله، وغدا التليفزيون، وبعد غد ... الخ في كل من هذه المهرجانات تفتح مدينة الرشيد ذراعيها وأبواب فنادقها وقاعاتها ومسارحها للقادمين من مغرب العالم العربي ومشرقه وخليجه، يلتقون فيتحدثون ويسمعون، يعرضون ويتفرجون، يتحاورون ويتجادلون، مساهمين - بأضعف الايمان - في تعزيز صمود العراق، أياما قد تطول أو تقصر، ثم يخلون أماكنهم لوافدين جدد.

عشرة أيام انقضت منذ عرضت مسرحية الافتتاح "الشاهد والقضية" (لعادل كاظم ومحسن عزاوى) حتى مسرحية الختام "رسالة الطير" (اعداد واخراج قاسم محمد)، تتابعت أثناءها العروض حتى جاوزت الأربعين. واستحالة أن تراها جميعا، فعليك أن تختار. وفي هذا الاختيار - الذى يقارب الرجم بالغيب - لابد أن تفوتك أعمال هامة، ولابد، كذلك، أن تلقى ما لا تحب. شاركت الدول العربية - عدا سوريا وليبيا بطبيعة الحال السياسى، والجزائر التى اعتذرت عن تقديم أى عروض، لكننا لقينا فنانها المسرحى الكبير مصطفى كاتب بين المشاركين - وقدمت عروض تتفاوت مستوياتها تفاوتا بعيدا، من

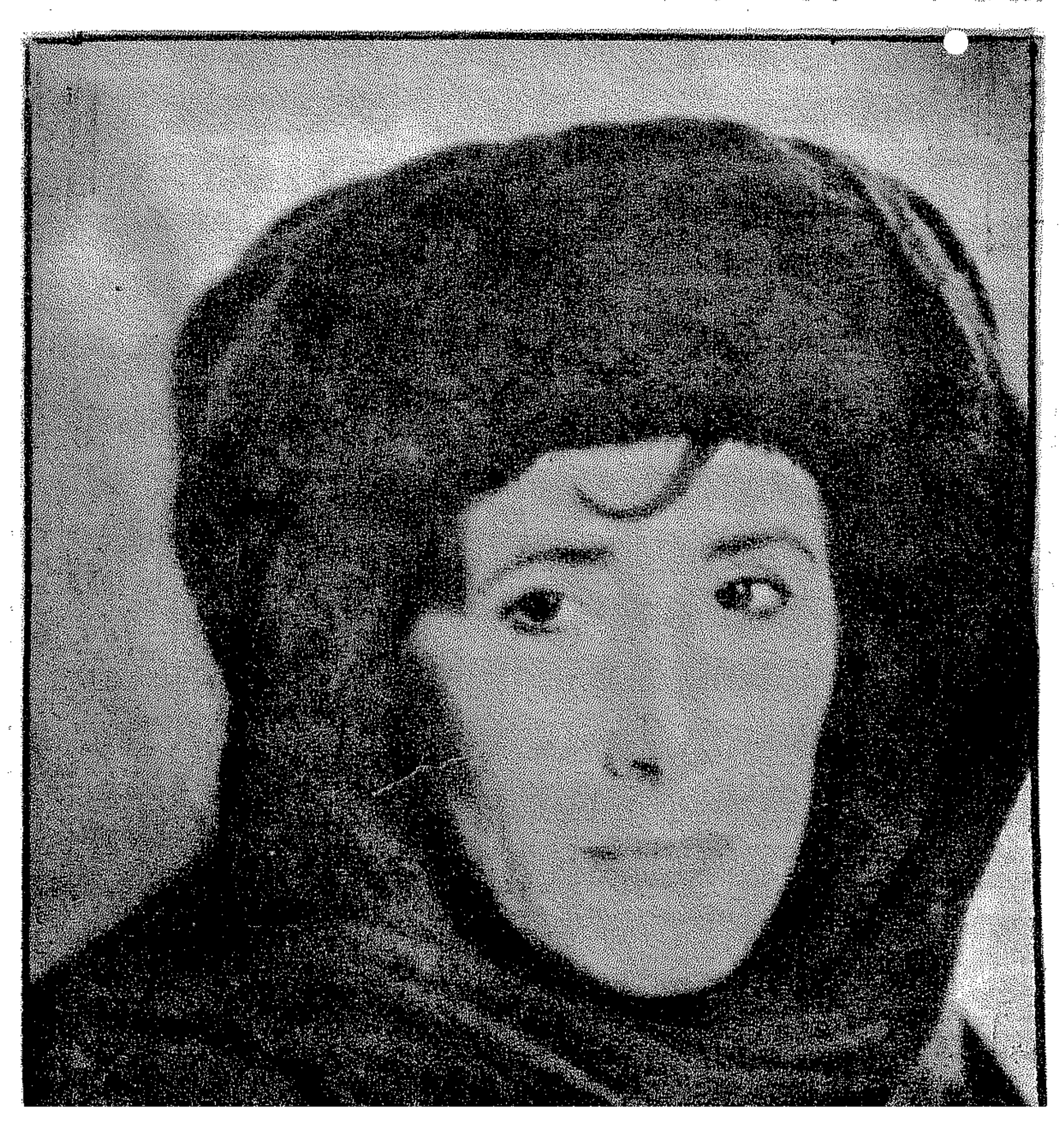
ليال مسرحية في بغداد :

عروض لا تكاد تصلح لطلاب الثانوى ، الى أعمال جيدة محكمة ، وتجارب جديدة رائعة .

شاهدت ما شاهدت ، وفاتنى ما فاتنى ، ولست أجد جدوى فى أن أعرض كل ما شاهدت ، لكننى أقف عند ما أراه أهم الظواهر فى هذا الملتقى المسرحى الحافل بعروضه وندواته المناقشة لتلك العروض على السواء :

والصورة التى كادت أن تتكامل عندى هى لحاضر المسرح العراقى : ثمة جيل الرواد ، لا يقدمون أعمالا جديدة ، لكنهم يشاركون بالحضور والرأى والمناقشة ـ كان بيننا دائما الأستاذان ابراهيم جلال ويوسف العانى ، ثم جيل الوسط من المسرحيين "المعتمدين" ، قدموا أبرز أعمال المهرجان (مسرحيتى الافتتاح

بورتريه لبطلة مسرحية «حكايات بلا حدود»



والختام ، الى جانب اعمال أخرى من تأليف محيي الدين زنكنة وجليل القيسي وفلاح شاكر وسواهم ، ومن اخراج سامي عبدالحميد وعزيز خيون وهاني هاني وسواهم ايضا) ، وأخيرا جيل الشباب الذين يجربون ويبدعون في طموح وفتوة ، وتمثل لما فات ، ورغبة في التجاوز ولا احسبني مبالغا لو قلت إن لحظات المتعة الخالصة انما تمثلت في عروض شابة ثلاثة : "ترنيمة الكرسي الهزاز (من تأليف فاروق محمد واخراج د . عوني كرومي) ، و"فرجة مسرحية" (من تأليف كريم جمعة واخراج د فاضل خليل) ند "الحلم الضوئي" (من اعداد واخراج د . صلاح القصب ود . شفيق مهدي) . والعملان الأخيران يؤديهما طلبة قسم المسرح بكلية الفنون الجميلة ، مع اساتذتهم الذين سبقت أسماؤهم .

● جهد متميز

تقوم "الترنيمة" على نص بسيط

مشهد من مسرحية " ترنيمة الكرسي الهزاز



ليال مسرحية في بغداد :

بالعامية العراقية ، تؤديه ممثلتان فقط (انعام البطاط واقبال نعيم) والبطل فيه هو الزمن ، يمضي بخطوه غير المحسوس على هاتين المرأتين اللتين تعيشان واقعا قاسيا ومحبطا ، ومن ثم تلوذان بالوهم ، وتنسج كل لنفسها عشا في قلب الأخرى : المغنية القديمة تتقبل وهم أن صوتها لايزال قويا وقادرا ، وأن جمهورها لايزال موجودا ، وأن انحصر في امرأة واحدة . انها تتقبل هذا الوهم وتقدم ما يقابله : مشاركة المرأة الأخرى الحفاوة بابن ليس ابنها ، ومشاركتها خبرة حبها القديم ، الذي لم تبق منه غير أوراق ذابلة ، تتناثر حولنا في النهاية ، وتشتعل في بعضها النار .

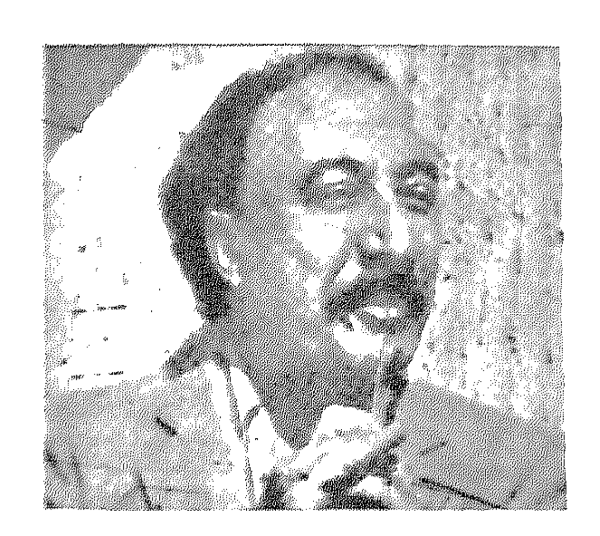
ولأنه أمن زائف ، قائم على انتاج الوهم واستهلاكه ، فهو معرض للاهتزاز في انبثاقات مفاجئة ، تسقط فيها كل من المرأتين جديها وعقم حياتها على الأخرى ، فتروح تنشب فيها الأظافر وتعريها دون رحمة ، هي تعرية للذات من خلال الآخر ، تتوازى فيها المشاعر حينا ، وتتقاطع وتشتبك حينا ، لكنها تتصاعد حتى تبلغ ذروة من التفجر المحموم ، ولأن كلا من المرأتين لم يبق لها من العالم سوى الأخرى ، فسيؤوب الأمر في النهاية للهدوء ، لكنه هدوء السطح الساكن الذي يخفي تحته بواعث التفجر من جديد !

وجاء اخراج العمل ينبيء عن جهد متميز ، أول مايلفت النظر فيه استغلال المكان ، والعلاقات الحميمة التي يقيمها المخرج بالبيت البغدادي القديم والجميل الذي يقدم فيه العمل ، بسردابه وقاعاته وابوابه وشرفاته ، والرحله الصغيرة التي نقطعها داخله توجز العمل في مشهدين ، كأنهما عنوانان يلخصان الدراما كلها . وثمة تلخيص آخر في استخدام الأدوات المسرحية يوحي ببعد طقسي أو شعبي ، يتمثل في اطلاق البخور ونثر العطر واضاءة الشموع وحرق الأوراق وتساقطها أمام المتفرجين وبين أقدامهم ، وتمزيقها كأنه تمزيق آخر ستر الوهم ، لتبدو الحقيقة في عريها الكامل .

ومضى أداء الممثلتين في سلاسة وتناغم ، من الهدوء الذي يخفي تحت سطحه الساكن عوامل التفجر ، الى التصاعد التدريجي الذي يبلغ في بعض لحظاته ذرى تقف على مشارف الجنون حين يكتمل التعري ، يتدفق الأداء حتى أنه لينسينا ما يجب أن نذكره : ذلك الخيط الميلودرامي الذي يبرق ويختفي ، وفي عذوبة الصوت والغناء ننسى أن صاحبته لم تعد مغنية بعد ، وأن تلك الحقيقة بالذات هي بداية تصاعد الأزمة نحو ذروتها .

لقد خلب هذا العمل الرقيق الجميل لب مشاهديه ، وبينهم مسرحيون راسخون ، ونقاد لا يعجبهم العجب !

– ولم يكن عليك سوى أن تصعد بضع درجات من قاعة لأخرى في مبنى كلية الفنون الجميلة ، لتنتقل من "الفرجة المسرحية" الى "الحلم الضوئي" : أول ما يلفت النظر في هذه الفرجة هو المعمار المغاير للتجربة ، فلا برواز ولا كواليس ولا ستائر ، بل ساحة دائرية صغيرة ، يحيطها المتفرجون جلوسا على مقاعد خشنة ، أو وقوفا للمتأخرين منهم ، حلقة كأنها حلقة السيرك ، تتفجر داخلها الحياة



المخرج قاسم محمد

وتتدفق ، وسط الحلقة وفوقها علقت المرايا ، تنعكس عليها الأضواء فتكتسب لغة خاصة ، والفرجة لعبة ، ومسرح داخل المسرح ، فجماعة الممثلين .. المهرجين هؤلاء قرروا أن يلعبوا مع الزمن ، فسرقوا ثلاثة أيام من حكم تيمور لنك واعطوها لبطلهم جحا كي يعيد صياغة التاريخ كما يهوى . وتتتابع المشاهد ، والممثلون يلعبون ، يخرج الواحد منهم من شخصيته ليدخل في الأخرى ، يخلع ـ أمامنا ، فلا ستار ولا كواليس ـ ملابس وصوت وأداء الشخصية القديمة ويضع ثياب وصوت وأداء الجديدة ، والتمثيل كله يكتسب طابع المبالغة المعهودة في الكاريكاتير ، في ايقاع سريع لاهث متلاحق ، لقطات اكثر منها مشاهد ، لا تتوقف لحظة واحدة ، ولا تعكس حدثا قد حدث وانتهى ، لكنها لعبة مستمرة ، ذات نهاية مفتوحة ، فالحياة متدفقة لا تقف عند حد .

غياب الديكور أطلق الخيال ، والحركة الدائرية ـ لا الأفقية كما على خشبة المسرح التقليدية ـ جعلتنا نرى الممثل في أبعاده الثلاثة ، ونسقط عليه ـ من عندنا ـ صورة مهرج السيرك أو لاعب «الكوميديا ديللارتي» ، خاصة والبطل الرئيسي ـ جحا ـ له في وجداننا الشعبي صورة حي مزيج من الدهاء والحمق ، العقل والجنون ، الشجاعة والجبن ، وهو هنا يكتسب دلالة معاصرة جوهرها محاولة تحقيق العدل .

أهم جوانب تلك "الفرجة" اذن انها تأخذ المتفرج داخلها ، وتجعله يلاحق الايقاع السريع المتدفق للفعل المسرحي الذي يتخلق امامه ، ثم تأتي النهاية المفتوحة ، اللا نهاية ، تمنع استدارة التجربة وتحول دون اكتمالها ، وتوحي بأن كل هذا هش وقابل للتحطيم ، ومفتوح للبداية من جديد !

● سيادة الممثل

ـ المدرجات القليلة التي تصعدها نحو القاعة التي يحدث فيها "الحلم الضوئي" انما تمضي بك ـ حرفيا ـ نحو الإيغال في التجريب والحداثة : في "الفرجة المسرحية" أدى غياب الديكور والأدوات لسيادة الممثل ، بحيث يشغل المساحة المحورية في الفراغ ، هنا سيكون الممثل كذلك ، ولكن بعد أن يتخلى عن أداة من أهم أدواته : اللغة المنطوقة . جملة وحيدة لا تكتمل أبدا في هذا العرض "أكون أو لا أكون" ، والسيادة للغة الجسد . الجسد يعبر وحده وفي جماعة ، يعبر بالحركة والايماءة والاشارة والاستلقاء والانبطاح والرقص والركض والظهور والاختفاء . وهو في علاقات خاصة بأدوات ذات طبيعة

خلصة ايضا : جهاز التليفون مقطوع السلك ، والآلة الموسيقية بلا أوتار ، والحقائب مرمية ومهملة ومحمولة ومكومة ، تتفتح احداها فيتكشف حلم داخل الحلم ، فهي ملأى بأشرطة سينمائية كثيرة ملتفة ، وفي العمل يشيع الانتظار ، ثمة محطات وأناس ينتظرون ، وفي الخلفية مشاهد على شريط تتوهج بالضوء ، تجسد المحظور والمكبوت وغير المنطوق ، وثمة احكام علم - كأنه قيد صارم - يحيط الحركة رغم ما يبدو على ظاهرها في تلقائية وعشوائية ، مما يوحي بأن التعبير التلقائي قد تم تقييده في النهاية ، ورسمه في خطوط للحركة « كوريوجرافي » كما في الباليه أو الرقص الحديث .

قلت إن تلك الدرجات القليلة تعني مزيدا من الايغال في الحداثة : هنا اختفى المؤلف تماما ، غابت الكلمة فلم يعد لها مكان ، حلت محلها وسائط تعبيرية صادرة عن الجسد الانساني ، بامكاناته المنوعة ، وتشكيلاته التي لا حصر لها ، في عرض يستخدم مفردات من تجارب جروتوفسكي والمسرح الحي ومسرح الواقعة والخبز والدمية .. الى اخر التنويعات التي يقدمها المسرح الحديث تحت العنوان العريض "مسرحة المسرح" ، او التعبير بالأدوات المسرحية الأصولية قبل سيادة النص الأدبي وبلاغة الكلمات .

● هذه التجارب الثلاثة تشير الى امل من الآمال في مسرح المستقبل : بعيدا عن الاحتراف ، بجهد الشباب وحماسهم من ناحية ، وتعطش اسلتنتهم لتيارات المسرح الحديث في العالم ، وعملهم على تطويعها والافادة منها ، من الناحية الأخرى .

● ابداع الجيل الأوسط

● على نحو آخر ، يمكننا أن نعتبر عرضي الافتتاح والختام نموذجين دالين على ابداع الجيل الأوسط من المسرحيين "المعتمدين" نستطيع أن نضيف اليهما مسرحيات "العودة" من تأليف يوسف الصايغ واخراج قاسم محمد ، و"ألف رحلة ورحلة" من تأليف فلاح شاكر واخراج عزيز خيون ، و"حكاية صديقين" من تأليف محيي الدين زنكنه واخراج سامي عبدالحميد ، و"ليلة من ألف ليلة" (من تأليف فلاح شاكر واخراج سامي عبدالحميد كذلك) . فلنلق نظرة عجلى على هاتين المسرحيتين :

- مسرحية "الشاهد والقضية" عمل قديم لعادل كاظم ، كتبه ونشره بعنوان "الموت والقضية" قبل عشرين عاما ، وهو لم يكد يضيف اليه شيئا سوى انه أبدل بشخصية جيفارا أو الثوري شخصية المقاتل ، وأبدل بكتاب الثورة خارطة الوطن ، وأبقى على طابعها الرمزي والتجريدي المتعثر : درويشان مشغولان بالشطرنج والدخان والبحث عن النقاء ، وشهريار فزاعة تحملها شهر زاد ، يختلط وجهه بوجوه أخرى ، والحوار يدور حول "القضية" ، والدرويشان لا يعنيهما شيء من هذا العالم ، بل مهمومان بالبحث عن "النقاء والصفاء" ، ولا شيء يحدث سوى أن «جيفارا - المقاتل» يجيء ، ثم يخرج لمطاردة الثعلب ، ويعود جريحا ، ثم يلقى

مصرعه . بعد أن أوضح لشهر زاد ـ ولنا ـ حقيقة "القضية" ، وندم الدرويشان فقاما بفقء عيونهما .

عمل تجاوزته أحداث ما بعد ٦٧ . فى ٦٨/ ٦٩ كان معقولا ان يقدم مثل هذا العمل ، حين اختلطت الأمور وتشابكت الخطى ، أما اليوم ، وفى العراق المقاتل منذ سنوات ، فقد بدأ العمل متحذلقا ، يترثر حول أشياء تم حسمها ووجب تجاوزها ، ورغم اجتهاد مخرج العمل ـ محسن العزاوى ـ فى استغلال كافة امكانات خشبة المسرح الوطنى وهى امكانات هائلة ومتطورة ـ واضافاته التى تمثلت فى رقصات تعبيرية ، وأغانى فردية وجماعية ، الا ان العمل كله بدا متخلفا ومرتبكا وغامضا .

ـ وقاسم محمد فنان مسرحى تميزت أعماله .. التى بدأ تقديمها من أوائل السبعينيات ـ بسمات خاصة : إنه لا يضيق بأوصاف مثل "المسرح التعليمى" أو "مسرح التحريض والمباشرة" ، ولا يضيق بالبطولة الجماعية فى العمل الذى يقدمه ، وهو يرجع دائما للتراث العربى ـ المكتوب أو المروى ـ يتخذ منه مادة يشكلها ويقيم عليها عمله المسرحى : مؤلفا ومخرجا وممثلا أحيانا ، وهو يعوّل ـ أخيرا ـ على التدريبات المتتالية ، ويعدها ـ هى ، لا العرض الأخير القابل للتعديل ـ جوهر الفعل المسرحى .

و"رسالة الطير" لا تخرج عن هذا السياق العام ، وهو يثبت انه استقى مادتها عن رسائل لابن سينا والغزالى : ونحن ـ فى البداية ـ نرى الطيور فى صراعها الذى لا يبدأ حول الأعشاش والاناث ، صراع تكون الغلبة فيه للأقوى ، لا للأحق ولا للأحب ، ثم يحط فى أرضهم طائر غريب ، ومن حوله اتباعه ، ويطلب منهم أن ينصاعوا لارادته "استسلموا لمشيئتى . تسلموا .." ، وحين يرفضون يأمر بوضعهم فى الشراك التى تعنى عجزهم عن الطيران والتحليق ، ثم يأتيهم الهدهد ، ليقودهم فى رحلة الى المدينة الموعودة عبرالجبال ، وفى رحلتهم الشاقة تلك يقول لهم الهدهد محرضا المتقاعسين منهم "تجرعوا المصاعب لتعيشوا .. لا تتخذوا وكرا لتأمنوا اليه فمصيدة الطيور أوكارها .." وهم يلقون العاصفة والمطر والبرق والرعد والدوامات والضباب ، يسقط منهم من يعجز عن الاستمرار يسقط الطائر الجميل ملتفا فى ستارة عليها كتابة بخط عربى واسلوب تشكيلى : "اجترؤا على غدكم .. اغنى الخلق من اجترأ على غده" ويبلغون المدينة أخيرا حيث يأتيهم صوت الملك : ابحثوا عن ملككم فى دياركم .. ابحثوا عن عونكم فيكم ، عودوا الى دياركم ، وهناك عودوا الى أنفسكم تجدون ملككم وقوتكم وعونكم وخلاصكم الحقيقى .." ، وقد لا يدهشنا ـ بعد ـ أن تكتشف الطيور أنها لم تَطِرْ الا فى ربوعها ، وأنهم لم يخرجوا منها .. لكن الرحلة كانت ضرورية من أجل استعادة الذاكرة والحواس من أجل ان تصل للادراك : تشخيص الاداء وتعيين الدواء . وتلك هى "رسالة الطير" لنا .

وقد استطاع قاسم محمد أن يقدم عرضا باهرا : استخدم العصى فى التعبير عن الصراع ، والشباك فى التعبير عن الحصار والعجز عن التحليق ، واستخدم الستائر والأضواء والأوراق والألوان ليقدم صورا تشكيلية للعاصفة والمطر والضباب ، والوصول للمدينة المأمولة ،

وكانت كثير من هذه الصور ذات جمال أخاذ : لكن مشكلة العرض هى فى النص الرمزى والتجريدى الذى يقوم عليه . بعبارة أخرى : لقد تميز قاسم دائما بعروض كان مضمونها أبسط وأوضح ، وابهارها التشكيلى أقل وأهدأ ، وكانت - أعنى تلك العروض - هى ما جعلت له مكانه المتميز فى المسرح العراقى .. والعربى .. الحديث . فى هذه الرسالة تراجع ، قليلا ، الوجه القديم ، ليأخذ مكانه وجه مسرحى .. حرفى مولع بالابهار .

وكانت "رسالة الطير" آخر الرسائل التى حملنا من بغداد !

★ ★ ★

● وتمثل أحد وجوه المهرجان فى اللقاءات التى كانت تتم فى قاعات المسارح وأبهاء الفنادق بين المسرحيين العرب ، لكن ثمة وجها آخر للقاء تمثل فى اختيار المسرحيين نصوص أعمالهم لكتاب عرب اخرين : قدم الكويتيون عرضا محكما ومتألقا وباذخا لنص الكاتب المصرى محفوظ عبدالرحمن "احذروا" (من اخراج فؤاد الشطى) ، وقدمت اليمن الشمالية عرضا لمسرحية الكاتب المصرى الدكتور عبدالغفار مكاوى "الحمار والمرآة" (من اخراج صفوت القشم) ، وقدمت البحرين نص المسرحى العراقى قاسم محمد "بغداد الأزل" بعنوان "السوق" (من اخراج خليفة العريض) ، وقدمت فرقة عراقية مسرحية الكاتب المغربى عبدالكريم برشيد "الناس والحجارة" (من اخراج هانى هانى) ، وقدمت فرقة أخرى "الليلة نلعب" عن نص الكاتب السورى وليد اخلاصى (من اخراج حيدر منعثر) ..

والتقى الشامى والمغربى حقا فى عرض "حكايات بلا حدود" ، الذى أعده من اهم عروض هذا المهرجان :

- عن نصوص مقالات صحفية منشورة للشاعر والمسرحى السورى محمد الماغوط (صاحب "العصفور الأحدب" و"المهرج" و"الفرح ليس مهنتى" وشريك دريد لحام فى "كاسك ياوطنى" و"الحدود" ..) اختار المخرج المغربى عبدالواحد عوزرى خمسة عشر نصا ، أعدها للمسرح فى مشاهد منفصلة ، وجعل بينها رابطا يتمثل فى هذا المواطن العربى - فلان بن فلان - الذى ينهى كل مشهد ، وقد دفعه اليأس لأن يخلع قطعة من ثيابه ، وتطوف هذه المشاهد بوجوه متعددة ومتناثرة لوجودنا العربى الممزق والمتخلف والمقهور ، وواقعنا المؤدى لليأس أو الانفجار . ان كانت تروقك سخرية الماغوط القاسية التى تنشب الأظافر فى الذات العربية وتخمشها دون رحمة ، لكنها - من الناحية الأخرى - تنفس عن جمهورها وتمتص سخطه على ما يحدث - أقول : ان كانت تعجبك " كلبية " الماغوط هذه ، فانك واجد منها الكثير ، لكنها لا تروق البعض ، وأنا منهم : أرى فيها عبثية صارخة ، لا تدعو لشىء أو تبشر بشىء ، أو تحفز لفعل ، هى طاقات تنفيس وكفى ، "فشة خلق" كما يقول أهل الشام !

لكن المخرج وممثليه ـ وهو واحد منهم ـ استطاعوا أن يقدموا عرضا حارا وممتعا ، تألق بلحظات نادرة فى أداء ممثليه الكبيرين مصطفى سلامات وثريا جبران ، ولن ينسى مشاهدو العرض أداءهما . خاصة تفجر ثريا فى مونولوجها الأخير ، ولعل كثيرين منهم كذلك سيظلون يذكرون بعض كلمات الدعاء الذى يتوجه به الممثلون الى الله "امنحنا عقل انيشتين لنستوعب به ما يجرى على الساحة العربية وامنحنا غباء الأوزة لنصدق ما نرى .." !

ـ وماذا تتوقع أن ترى من لبنان ؟ وأى لبنان هو الذى يقدم لنا الكوميديا البوليسية "مين بدو يقتل مين" ؟ مسرحية متقنة الصنع ، تقوم على رغبة عدد من الرجال فى الخلاص من نسائهم ، فيتفقون على أن يقتل كل منهم امرأة الاخر ، وهكذا تنفتح كل أبواب كوميديا المفارقات والمفاجآت والمصادفات والمقالب والاختفاء والظهور والتنكر والتخفى ، ويمضى كل هذا فى احكام وسرعة على ديكور واحد مقسم ببراعة الى مشاهد متعددة ينتقل الحدث من واحدها للاخر بالاضاءة والاظلام : مكان فى حديقة البلدية ، ومقهى ، وحجرة نوم ، وصالون ، وباضافة قطع صغيرة من الأدوات تتحول لأماكن اخرى ، ويتدفق الحدث والحركة ، وتنطلق الضحكات !

أى لبنان يقدم هذه الكوميديا البوليسية محكمة الصنع ؟ يقول الفنان العراقى الكبير يوسف العانى معقبا على هذه المسرحية : "سكت مسرح المحبة .. مسرح محمد شامل ونزار ميقاتى ومنير أبودبس واندريه جدعون وميشيل نبعة وفيليب عقيقى وانطوان ملتقى وجلال خورى ونضال الأشقر . وروجيه عساف . وريمون جبارة .. وزياد رحبانى وكثيرون وكثيرات .. فماذا ننتظر ـ اذن ـ أن يأتينا من لبنان ؟ .." ، وقال مخرج المسرحية جوزيف بونصار يصف مسرحيته بأنها "استراحة المحارب" ، فالكل يقتل الكل فى لبنان !

وبقيت المفارقة : ان اكثر العروض التى قدمت قدرة على اثارة الضحك جاء من لبنان .. لا من سواه ! .

● عرض هزيل !

● وشاركت مصر بعرضين داخل المهرجان ، وثالث ـ ينتمى لفرقة خاصة .. خارجه . ولست أود أن أعرض ـ هنا والان ـ لأى من الأعمال الثلاثة . اكتفى بملاحظات قليلة حول الوجود المصرى فى هذا المهرجان ، ومواقف المشاركين فيه :

● لقيت كل العروض جماهيرية كثيفة . فى مدينة بغداد ـ بالوجود المصرى الظاهر والمؤثر فيها ـ أقبلت الجماهير مندفعة نحو النجوم (التليفزيونية) القادمة من القاهرة ، اضافة للرصيد المصرى الخالص من ناحية ، والذكرى الباقية للافتة "المسرح القومى" من الناحية الأخرى . ودليل الانفصال بين هذا الاقبال والعروض ذاتها هو تدافع الجمهور خارج المسرح بعد الفصل الأول من عرض "ابن البلد" ، ولسنا بحاجة لتأكيد أن "الاقبال الجماهيرى" على عمل ـ فى هذا السياق ـ لا يعنى بالضرورة جدارة العمل بهذا اقبال ، والدليل ـ مرة أخرى ـ هو ما لقيه ذات العمل فى الندوة النقدية المخصصة لمناقشته ، والتى جمعت

صفوة من المشتغلين بالمسرح ونقده فى العراق والعالم العربى ، ولم يجد المدافعون عنه ما يدفعون به سوى هذا الاقبال الجماهيرى ذاته !

– الظاهرة المثيرة للعجب حقا هى الربط الذى ساد عند أصحاب هذا العمل (ابن البلد) ومن أحاطهم من المسئولين عن الثقافة الرسمية ، وأبواقهم (عن حمق أو هوى) بين ضرورة الدفاع عن هذا العمل الردىء والانتماء لمصر !

هى معادلة بادية الشذوذ : أن يطلب من المصرى – بوصفه كذلك – أن يدافع عن انتهازية الفكر وركاكته ، ورداءة الفن وميوعته ، وتشنج الأداء ونمطيته – دع الآن التبذل فى السلوك ، فتلك مسألة أخرى ! – والا فهو يتخلى عن "مصريته" ، ويتطوع غلمان من هنا وهناك بمحاضرته عن معنى الوطنية والانتماء ، فأى ابتزاز وأى ابتذال !

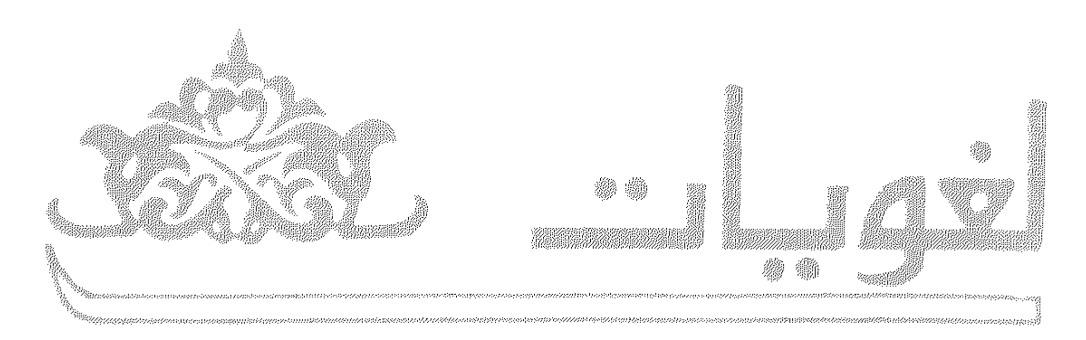
– ان العرض المصرى الثانى (القضية ٨٨ ، الذى سبق عرضه بعنوان "اليهودى التائه") هو ما أنقذ شيئا من ماء وجه المسرح المصرى ، كان له من شرف قضيته ، ونبل مقصده .. يصرف النظر عن التنفيذ المتواضع والتجسيد المتواضع كذلك – ما أبقى على قيمته ، اضافة لرصيد مدينة بورسعيد (بورسعيد ٥٦ ، لابورسعيد المدينة الحرة) والفرقة الاقليمية الشابة والمتواضعة . والتقط البعض المفارقة : أن تأتى فرقة اقليمية محدودة بمسرحية عن فلسطين ، وتأتى فرقة "المسرح القومى" بهذا العرض الهجين المختلط الصاخب !

● ● ●

هل تؤدى الصورة العامة للمهرجان الى ملاحظات يمكن تعميمها ؟

لم يتبلور لدى شىء . لكن ثمة هامسا هو أن المسرحيين "الرسميين" أو "المعتمدين" فى العالم العربى .. أعنى تلك الدول التى للمسرح فيها وجود وبعض تاريخ : مصر والعراق وتونس والمغرب .. لم يقدموا جديدا أو هاما ، أو طامحا للتجاوز ، قدموا ، بضاعتهم ، والتى عرفوا بها وجمدوا عندها ، وساد عروضهم لون من التعثر بين التخفى والمكاشفة ، ولون من الاهتمام بالشكل ، والتكتيك المبهر ، على حساب وضوح رسالة العمل وقدرته على النفاذ والتأثير :

بالمقابل : تبدو أفضل ما قدم المهرجان تلك العروض الشبابية ، التجريبية ، الطموح ، فهى تثبت أن "مسرحا فقيرا" لا يتوفر على امكانات تكنيكية معقدة أو باهرة ، يمكن أن يكون "مسرحا ثريا" بامكانات الانسانية التى لا نهاية لتنوعها ،



● كلمة « هلفوت » التى يتبادلهابعض الناس فى شتائمهم ، اصلها العربى « علفوت » بضم العين ..

● قولهم : « هلضم .. يهلضم » .. اصله العربى : « هذرم .. يهذرم » ..

● اما قولهم : « اخص » .. فهو من قول العرب : « اخسا » .

● وتصف العامة الرجل القوى الغيور بانه « حمش » بكسر الحاء ، وهى كلمة عربية ولكن بفتح الحاء ..

● من اشنع الاغلاط عنوان خبر نشرته صحيفة يومية كبرى .. هكذا : « نجاح أول جراحة فى مصر لفصل توام ملتصقين » .. فالغلط هنا مزدوج ، لان لفظ « توام » مفرد وليس مثنى ، فاذا اردت المثنى قلت : « توأمان»وقد جاء لفظ توام » فيعنوانهذا الخبر مفرداء وجاءت صفته بصيغة « المثنى » مع أن الصفة تتبع الموصوف كما يعرف تلاميذ المرحلة الابتدائية ، والصواب فى هذا العنوان ان يكتب هكذا : « نجاح أول جراحة لفصل توامين ملتصقين » .. والمدهش أن الجريدة الكبرى لم تعتذر حتى الآن من هذا الخطأ المزرى الذى لو وقع فى أيام داود بك بركات أو أنطون الجميل باشا لترتب عليهمعاقبة كاتبه ومراجعه ومصححه ! ..

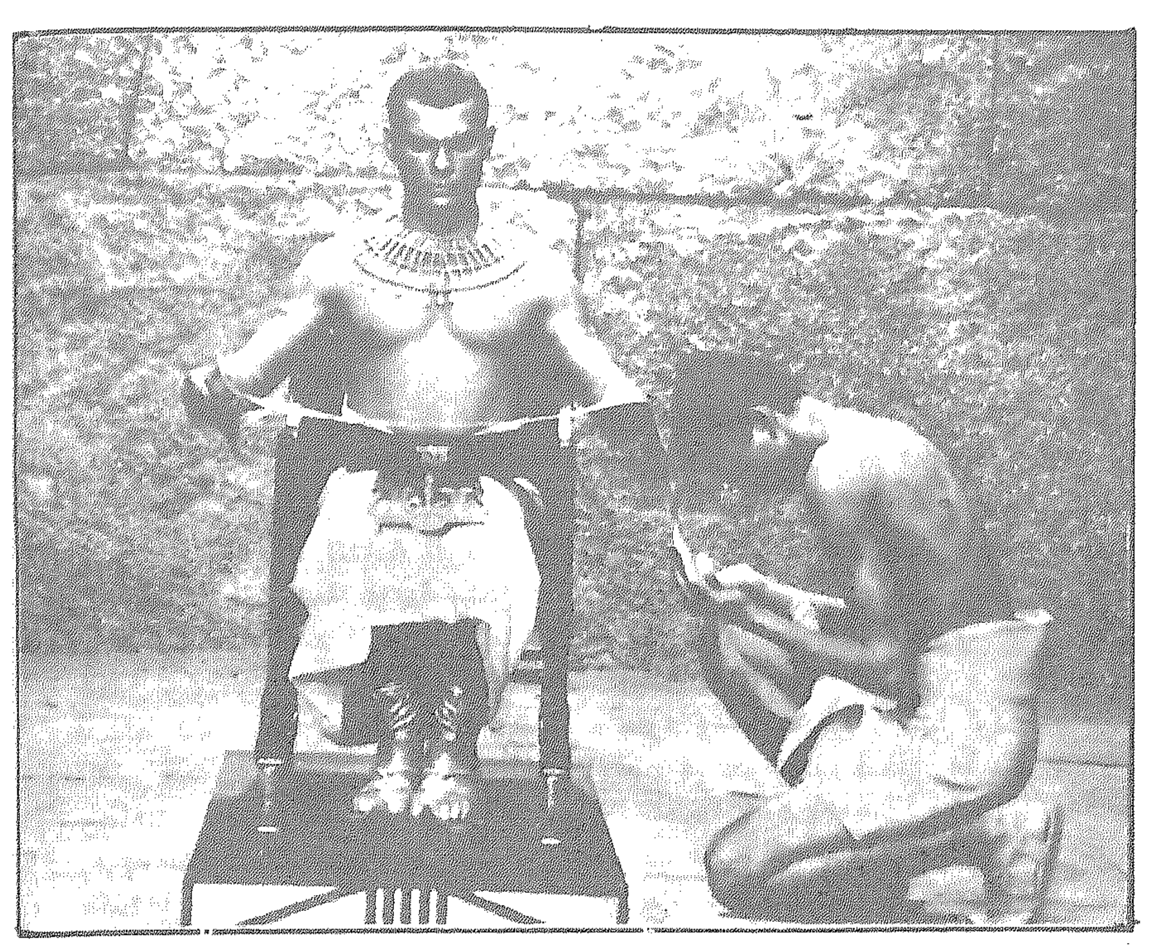
● فى العشرينات غنت ام كلثوم قصيدة من شعر على الجارم مطلعها :

مالى فتنت بلحظك الفتاك
وسلوت كل مليحة الاك

وفي اخرها :

لك من جمالك او دلالك نشوة
يهر الجمال بفعلها عطفاك

وقد نطقت ام كلثوم « عطفاك » بفتح العين ، والصواب كسرها، لان المقصود جانبا المراة الحسناء ــ وهما عطفاها ــ تحت ذراعيها وحولهما .. اما فتح العين فيجعل هذه الكلمة مصدرا للفعل « عطف ــ يعطف » فى صيغة المثنى ، وليس ذلك هو المقصود ، ولا معنى له هنا .. والمسئول عن هذا الخطا هو المرحوم الدكتور صبرى النجريدى طبيب الاسنان والملحن الهاوىالموهوب الذى لحن هذه القصيدة ، ولقن ام كلثوم اللحن والكلام ! ..



إطلالة يتيمة على مصر القديمة

بقلم : مصطفى درويش

أول ما يفجؤنا في مهرجان الافلام التسجيلية والقصيرة الاخير (الاسماعيلية من ١٢ الى ١٥ مارس) ، إنه يجيء بعد انقطاع بينه وبين آخر مهرجان لهذا النوع من الافلام دام ثمانية اعوام .

وثاني المفاجآت اكتشاف أن عدد ما انتجته السينما المصرية من هذه الافلام يقلّ بكثير عن عدد الافلام الروائية الطويلة المنتجة في نفس الفترة الزمنية ، وذلك على عكس المتبع عالميا ، وهو أن يكون للسينما التسجيلية والتجريبية القصيرة نصيب الاسد من الافلام .

أما ثالثها وأهمها ، فهو ذلك الكتاب الذى طبعه اصدقاء « شادى

عبدالسلام » ، وجرى توزيعه مع شريط فيديو لوثيقته السينمائية الاولى « شكاوى الفلاح الفصيح » (١٩٧٠) ، على نفر من النقاد والمثقفين المولعين بما أبدعه المخرج الراحل حتى يقرأوا ويروا .. وحتى يطبع ما قد يكتبوه عن فلاح « شادى » فى مؤلف يُنشر على الناس مع ايام المهرجان .

وبعد قراءة ذلك الكتاب الذى هو عبارة عن دراسة تنطوى على السيناريو الاصلى « للفلاح الفصيح » بالانجليزية وترجمته الى العربية ثم النص الفيلمى لشكاوى الفلاح الفصيح .

● عطر مصر

وبعد مشاهدة الفيلم مسجلا على شريط فيديو ، وجدتنى أشارك الناقد الانجليزى « جون راسل تايلور » الرأى فيما ذهب اليه منذ ثمانية عشر عاما .

فهو عندما شاهد رائعة « شادى » ليلة حساب السنين » التى كُتب لها ان تشتهر تحت اسم « المومياء » ، لم يتمالك نفسه ، فاض حماسه لها .

ولم يفته ، وهو يتغنى بأوجه الجمال فيها ، ان يتوقف متأملا عند فيلم قصير مرفق بها لا يمتد عرضه سوى عشرين دقيقة ، ليقول عنه فى كلمات

ان الفلاح الفصيح حكاية قصيرة مأخوذة مباشرة من بردية مصرية قديمة ، استعملها « عبدالسلام » فى واقع الامر بوصفها المقوّم الاساسى الاول لنص سيناريو التصوير النهائى ».

إنه واحد من تلك الافلام التى تسمو لقطاتها على وجه تصبح مع كل واحدة منها آية من آيات الجمال .

ومع ذلك ، فهو ، ويا للعجب ، فيلم لا يتمرغ فى محاسنه البصرية

بل بالعكس يتقدم إلى امام شيئا فشيئا ، طوال مدة قصّ حكايته التى تدور حول فلاح سرق ، ومطلبه الوحيد ان يتحقق له العدل ، وهو قصّ رُوعى فيه ان يكون مغلفا بغموض يتناسب مع ذكريات الماضى البعيد

● أشعة فى الغمام

وهكذا نجد أنفسنا ، وكاننا فى واقع الحال نطلّ من نافذة فجاة فُتحت على زمن اختفى ، وكما فتحت فجاة أُغلقت ،

وعند هذه النافذة المطلة على أزمنة الفراعين التى لم يبق من أمجادها سوى بعض آثار ابتذلتها حوادث الدهر .. عندها أقف قليلا .

مقولة أن « الفلاح الفصيح » نافذة على هذه الازمنة المدهشة التى ابتلعتها القرون والدهور ، هذه المقولة ، اذا ما جنحنا الى تصنيفه ، لابد وأن تؤدى بنا الى إدخاله فى عداد الأفلام التاريخية

وهو بهذه المثابة ، يعتبر اول فيلم تاريخى عربى يعرض لحضارة قدماء المصريين .

ولعله ـ والى هذه الساعة ـ الاول والاخير .

● خيالات مولع

ورغم هذه النتيجة ، الا وهى أن « الفلاح الفصيح » ذو مضمون تاريخى ، فينبغى ألا يغيب عن البال انه لا يعدو أن يكون رؤية ذاتية لمبدعه .

وان التقدير له ، المصحوب

بالاعجاب به ، إنما يعتمد أساسا على ما تتصف به هذه الرؤية من عمق وبساطة ، وليس على الصورة التى حاول بها مبدعه تجسيد التاريخ .

فهذه الصورة لايضيرها ألا تكون صادقة كل الصدق ، او ألا تكون مطابقة للواقع التاريخى كل المطابقة .

فما يعنى المتلقى ويهمه ، هو تلك الصورة التى رسمها « شادى » فى نفيسته الشيقة للعدل عند المصريين القدامى ، وقيمة مطالبة الفلاح به .

وفى الحق ، فقيمة الفيلم الكبيرة إنما مردّها الى حظ « شادى » من الوعى بالتاريخ المصرى القديم ، فضلا عن الفهم والادراك له ، وحصيلته الكبيرة من كل ذلك ، وهى حصيلة انفرد بها دون صانعى الاطياف جميعا ، وذلك بحكم أنه وقف حياته أو أكثرها على تعمق هذا التاريخ المذهل اشد التعمق ، مرتفعا بتفانيه هذا الى شىء يوشك أن يكون نُسكا وعبادة .

وعلى كل ، فلولا هذه الحصيلة لما استطاع أن يتوصل الى البردية التى اتخذها عمادا لنفيسته .

وليس من شك أن جمعه بين السينما والتاريخ انطلاقا من هذه البردية ، ونجاحه فى المزاوجة بين الاثنين ، يعد عملا رائدا .

فأحد من قبل لم يتح لبرديّة فرصة ان تعبر عن ذاتها سينمائيا .

والاكيد أن الفلاح الفصيح بوصفه فيلما روائيا اتخذ من احدى البرديات لسانا له يعتبر ابداعا غير مسبوق

ولعله ـ والى يومنا هذا ـ الاول والاخير .

● الظلمات والنور

ومهما يكن من شىء ، فاختيار بردية شكاوى الفلاح من بين مئات البرديات ، ينتهى بالمرء الى نتيجة قد لاتقبل الشك ، الا وهى عبقرية « شادى » فى الاختيار .

فمن مفارقات السينما أنها لابد وان تبدأ بالكلمات كما قال بحق المخرج الالمانى « ڤيم ڤندرز » صاحب « باريس .. تكساس » .

فهى التى تقرر مصير الصور ، هل ينتهى بها الامر الى ميلاد ام الى اجهاض .

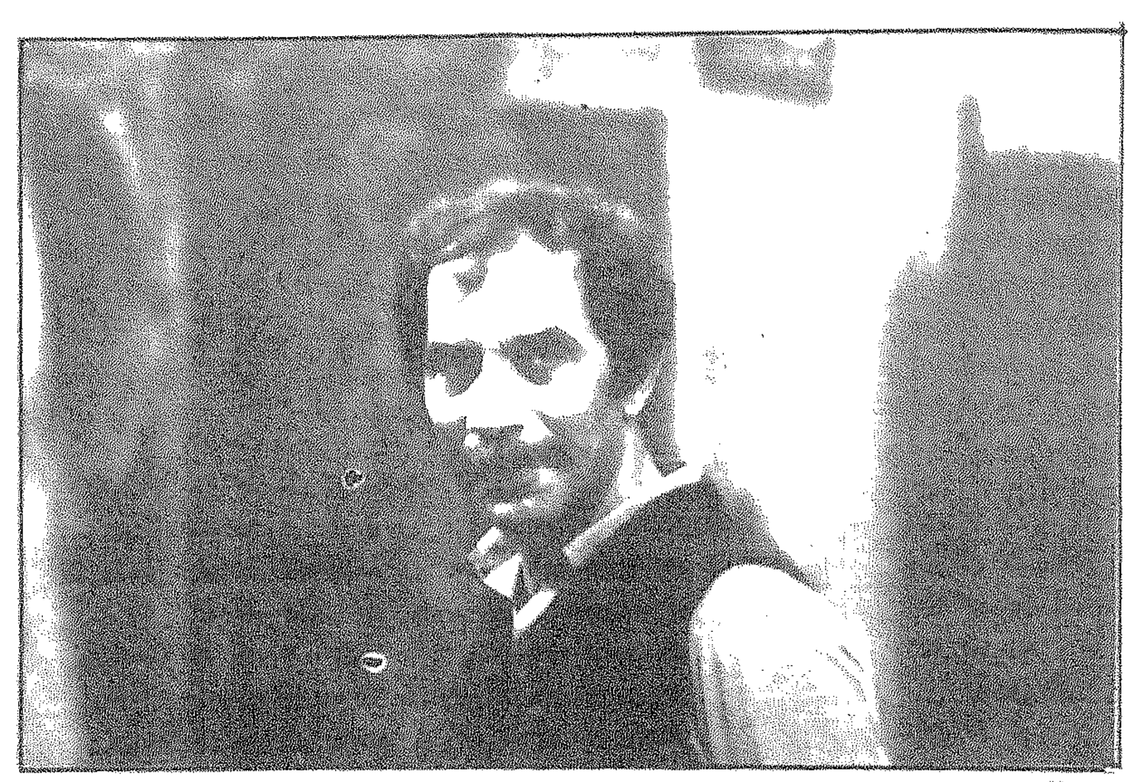
وهى التى تمرر الفيلم من خلال بواباتها ، فاذا بالصور تتحرر من الظلمات .. تخرج الى النور .

ولقد صادف « شادى » التوفيق كل التوفيق عندما اهتدى الى بردية الشكاوى ، فتخفف من عذابات البحث عن الكلمات .

فها هى مكتوبة على البردية منذ فجر الضمير ، تنتظر فارسها ، تبتغيه باعثا لها فى اطياف تسعى .

وهاهى الاقدار ترتب لها ان تلتقى بفارس الاحلام .. شادى عبدالسلام .

والاكيد .. الاكيد ان هذا التلاقى



صلاح مرعى .. مصمم الديكور

متميز وفريد . ولعله ـ وحتى كتابة هذه السطور ـ الاول والاخير .

● رغوة وصفوة

وهنا ، قد يكون من المناسب ان اعود الى كلمة « نافذة » لأقول باختصار ان النافذة التى فتحها لنا صاحب « الفلاح الفصيح » كيما نطل منها ، وللحظات ، على الحضارة المصرية القديمة ، هذه النافذة ـ واحسرتاه . لم يكتب لفتحها التكرار .

فاحد بعد فلاح « شادى » لم تتوافر له سبل النجاح فى تهيئة متعة اطلالة اخرى على سحر حضارتنا التى استحالت مع مرور الزمن الى اساطير .

وهذا لمما يرفع من شأن الفلاح الفصيح ، ويملأ النفوس اعجابا به ، وتقديرا لصاحبه .

والآن ، وقد فتح لنا المهرجان وكتاب اصدقاء شادى باب تاريخنا القديم على مصراعيه ، فلنعد آلاف الاعوام الى الوراء : اذا كان فى الزمان من وراء ، ومن امام ، فلنعد ونردد مع الفلاح شكواه أو بمعنى اصح امره الى الحاكم بأن يقيم العدل

من أجل الاله الذى اصبح عدله قانونا للعدل

فالخلود بالعدل
يهبط مع صاحبه الى القبر
حينما يلف فى كفنه ويوضع فى التراب
فلا يمحى اسمه من الارض
بل يذكر لانه اقام العدل
ذلك هو شرع الاله .

قصة قصيرة

بعيد جداً .. قريب جداً!

بقلم : فوزيه مهران

تتحرك قطع الشطرنج كراقصات الباليه ..
انصت لعزفهـــا الداخلي .. اتبـــع ايقاعها بشوق وقلق .. تتقدم وتتباعد فـــوق
تتقابل وتفترق .. مربعـــات مقدرة .. تتصـــاعد وتلتحم .. تركن الى الفـــرار او تكمن للمناورة ..

يشتد وجيب قلبى .. شىء كالخـــدر اللذيذ يتثال الى جســـدى .. تحلق افكارى مرغمة . تطيـر مساحات شاسعة ..تجوب افاق الذكريات والرؤى .. ثم لا تلبث ان تهبط فوق الرقعـــة الســـاحرة .. ازداد اقترابا منها ..

اهة مـــديدة .. او همسة واهنة ـ شـــهقة .. نقلة .. ثغـــرة ـ يحتل الطرفان خـــانة حيوية من قلب الميـــدان .. حركة تمشـــيط للموقع والذاكرة ..

ارفـــع راسى من حين لاخر من الكتاب ـ كانها مصادفة (احـــاول لاخفى قلقى ومشاعرى) فرصة لاتأملهما معا ..

أعاود لاســـتغرق فى الكتاب (لم اكن ادرى ما السطور ولا الكلمات .. لكن يســـتبد بى الحنين . وحـــواسى معهما) اللعبـــة لا تستهوينى فى حـــد ذاتها .. ولا نتيجـــة السبق ما ابغى وارتقب (ربما اود شيئا عسيرا حقا .. لصورة انطبعت فى وجدانى اريد بعثها من جديد لامر فى نفسى ـ اريدهما ليفـــوزا معا) .

الوقع رتيب .. التقدم محفوف بالخطـــر .. يحافظ كل الا يضـــعف جناح الملك .

تنشط الحركة فجـاة .. يصعب التنفس .. تتسع دائرة المعركة .. اكاد لاسمع صـــهيل الخيول .. صـــليل السيوف . . غمـــام الغبار وضجيج المفارقة (ولكن هل تتسع الرقعة الثلاثة ؟)

ـ اعـــز من لى فى الحياة .

قالها (وجهه الاسر على الوسادة محاطـــا بالضـــمادات .. يرنو الينا بنظرة نافذة)

ـ جئتم معا .. انتم الثلاثة ..

اعـــز من لى على الارض .

حاول صديقه المرح : مازلت تفضل علينـــا الطائرة .

تلفت حـــوله باسى .. (كان من الواضـــح انه يتساءل ولماذا اناهنا..

وكان هـولا ما ترى ٠٠ جرحى واطباء ٠٠ دماء وعيون ذاهلة ٠٠ مشهدا سيظل محفـــوراً فى الذاكرة)

نقل بصـــره بينى وبين الصبى ٠٠ همس وفى صوته يشيع الرضا:

ـ نحن ندافـــع عن ارضنا ٠٠

النصر ثمنه غال ٠

(غال جدا الانتصار ٠٠ كلفنى مـوت احب انسان لدى)

صاح الفتى : النصر لى هـذه المرة اغلبك

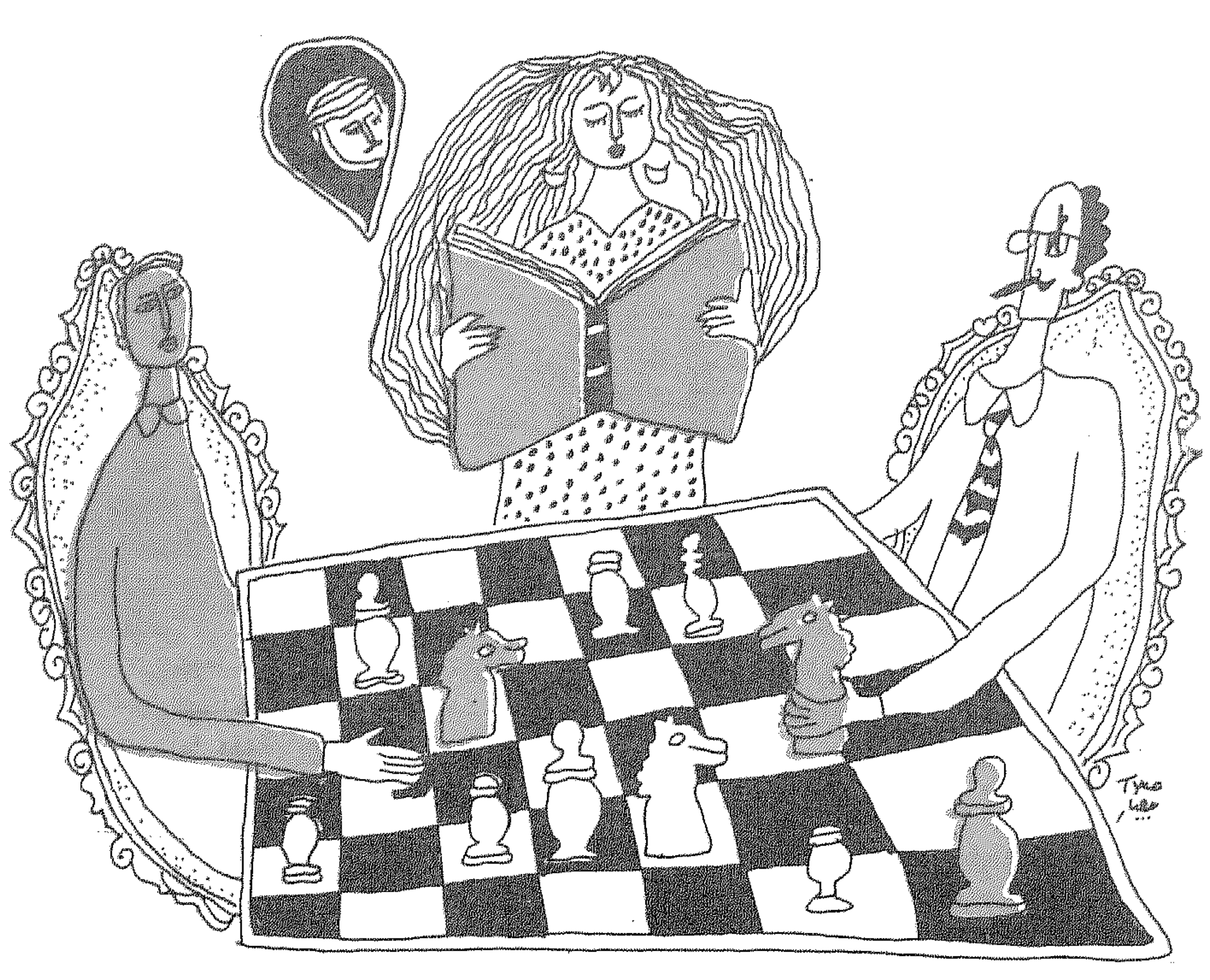
وقع الكتـاب من يدى ٠٠ لم انحن لاخـذه ٠٠ ارفع رأسى متطلعـة ٠٠ (هما كل ما تبقى لى ٠٠ ابنه وصديقه ٠٠ وذكرى حبنا المشـــترك ٠٠ هل تتسع الرقعة لثلاثة ؟)

هـــذه اللعبة بالذات احبها ـ دون ان اجرؤ على ممارســـــتها والاستغراق فيها كمـا يفعلان ٠٠

احبها الجلسة المريحة المؤرقة ٠٠ يبعث حيـا على متنهـا ٠٠ يركض فوق ظهور خيولهـا ٠٠ أراه قائما بيننا ٠

ـ النصر يســـتغرق تفكير الفتى ٠٠ منافسه يستطيع وهو يركـز فى عين المربع الاسود ٠٠ ان يرقب ما افكر فيه ٠٠ ويتبع معى مسلســـل الذكـريات ولحظـات عشناها معا ـ

ومع ذلك لا يريد ان



يمنح الفتى نصرا سريعا او هينا .
(يريد ليمتحن قلبه يشحذ قدرته .. يثير تحديه وصلابته) خمدت لدى لذة المتابعة ..
عدت الى الرؤى البهيجة الماضية .
فى البداية لم اتصور نفسى يوما زوجة لطيار قال : قيادة الطائرات تفوق متع الدنيا كلها .
– ماذا لو لم تعد ..
– لا استطيع ان اعدك بشىء .
– بدونك كيف احتمل
(تمنيت فيما بعد لو لم اقل هذا .. كنت اتجمد من الرعب عندما اتصور ان تهوى به الطائرة)
تنهد مستسلما :الموت حق .
فوق السحاب او فى بطن الحوت
ولكن اطمئنى .. عقدت ميثاقا مع الطائرة
– اخاف الطيران .
– لكل منا ما يخافه ويخشاه
هناك من يرتعد عند الماء .. يخشى ركوب البحر او العربات .. سكنى الادوار العالية .. وانا اضيق بالسير البطىء .. اختنق وسط الزحام ..
« اتمنى الموت محلقا»
(جاءت ميتة كما

بعيد جدا.. قريب جدا!

تمنى دائما .. نفذ المهمة .. وانقذ الطائرة)
– وفى بوعده أن تعود الى الارض سالمة وترفقبنا قضىيوما او بعض يوم بيننا ..
وليردد : انتم الثلاثة معا .. احب الناس الى .
ابدى الفتى حركة صاخبة ..
– انا اطور فىاسلوب اللعب .
– هل انت على مستوى المحاولة .
– لابد من اختراع شىء لاغلبك به
– متفقين فى الراى اذن .
(كان زوجي يحاورنى بنفس الطريقة ..اسلوب متشابه في التفكير) قلت له يوما : الطائرة تقف بيننا .
– كلانا يهتم بها .. الاهتمام المشترك يجعلنا نفكر بطريقة واحدة .
– قدرى أن اظل – احماق فى الفضاء هكذا وانتظر
– عليك أن تتحلى بروح الجندية ..

وستظل روحى محلقة بيتكم .
جلسا فترة صامتين .
جذب زجاج النافذة .. أوسع ما تكون .. تدفقت الى الغرفة نسمات رطبة منعشة .. يداعبه : الهواء النقى يعين على التفكير اين الجراة اذن .. اين قوتك .
(اذكر مبارياتهما معا .. عسيرة وممتعة نذان فى كل شىء .. الاسلوب والاداء والعمل صداقة منذ الصغر .. دروب القرية وقاعات الدرس ومربعات اللعب)
– حتى فى الطلعة الاخيرة له وعد صديقه العودة ليكمل الدور معه – قلت له مرة – تكاد تنسانى اثناء اللعب ..
يختفى وجودى ربما .
– لا انسى الفوز من اجلك دائما .
وفى مرة استغرق الدور الليل باكمله .. تساوت الكفتان .. تراصت القوات متقابلة .. كل فى موقعه ..
بسط يده قائلا لناخذ قسطا من الراحة ..
– وليبق الوضع على ما هو عليه –
ثم ان الموقف فى حد ذاته يعد انتصارا لنا –

(في تلك الليلة قال بصوت دافئ يقطر براءة :
ـ ارى انه بات ينشد الانتصار من اجلك ايضا)
ـ كان الواجب يقضى على بعدم الرد.. والتزام الصمت ـ وها هو يدرب فتاه الآن .. يحفزه على التقدم وعنف المقاومة
(وفاء لذكرى صديقه .. ووعده الصامت له بأن يرعى أسرته .. من اجلى انا ايضا ربما).
كان يقول دائما : الطيارون سلالة خاصة الالتحام بالمهمة والطائرة والتدريب المشترك يجمع بينهم .. أقوى من صلة الدم .
نفهم بعض جيدا .. وندرك طاقة كل منا على الجهد والعمل .
روح الجندية توحد بيننا « لو اننا في اقصى الارض .. تفرق بيننا القارات والمحيطات لقمنا بأداء الواجب ـ ودون اتفاق مسبق ـ
قال عنه توأمه
(وقال لى عشنا معا لحظات تساوى عمرا بأكمله)
مات شيء داخلي ..
في هوة الاحزان لم الحظ تغيبه .. تنبهت مع قلق الصبي .. تساؤله هل يتركنا هو الاخر .. هل نفقده .
في مناسبات خاصة يجيء .. كان لم يغب عن سمائنا مطلقا .. يكمل حديثا كنا بدأناه .. يسال عما يحيط بنا .. نظل نسترجع مواقف وكلمات واحلام كانت تمر بنا ..
(يجيء كومضة الدفء .. واشعة الحنان .. يعاوده القلق ثم لا يلبث أن يختفي)
في المرة الاخيرة قاس طول الفتى فوق صدره .. قال :
ـ اصبحت رجلا .. اعتن بوالدتك .
ثم قبله وانصرف .
مكث طويلا هذه المرة .. ويلاعب الفتى
ـ ربما يتذكر اسلوب الاب .. ويدير حوارا معه .. ويعود ليرعى أسرته .
نظر الى في ثبات وثقة نفس اسلوب ابيه في اللعب
صياح الصغير :لذلك لابد أن انتصر
ـ فكر قبل ان تحرك شيئا من موضعه
هتف ولدى بحماس ـ نقلة واحدة وسوف اغلبك .
قال يحذره ـ النصر قريب جدا وبعيد جدا
استوقفتني العبارة
(تصف حالى وما انا فيه .. وتلك ايضا كانت حكمته .. الاساس الذى يبنى عليه حركته في دورة الزمان والمرح)
قالها وتطلع الى ..
له عيون ترقب ما افكر فيه .. تملكتني رجفة مزلزلة ..
في لحظة واحدة عرفنا ما الذى يجب علينا ان نفعله .. كالافق العريض يملأ سماء حياتنا .. يغيب في بحار الشوق اليه .. وتضح حكمته ..
ـ يبقى الوضع على ما هو عليه ـ
عاودنى نفس الاحساس
اشعر به قريبا جدا .. وبعيدا جدا .



رأى فى الثقافة

نظرية قطع الغيار

● كثيــرة هي « الالاعيب » التي يلجأ اليها البعض من أجــل اهالة التراب على الحقيقة ، هذه الحقيقــة التى ان بانت وظهرت ، بان وظهــر حجمهم الحقيقي ومكانهم الضئيل ، نجد هذا فى كل مجال بين ابناء المهنة الواحدة ، اذا ما وضعت الامور فى أيدى صغارهم ، صغار النفــوس لا الاعمار ، صغار القلب والعقــل ، الذين هم بحكم بخل الطبيعة أكثر من الهم على القلب ٠

حكايات يشــيب لهولها الولدان يحكيها لك اساتذة الجامعة ، ولــكن المؤسف أن تجد هــذا بين الادباء والمثقفين ، حتى ولو كانوا من درجات دنيا من الموهبة والقدرة ٠

فالموهبة كالقدر لاراد لهـــا ، والمستوى امر ان بذل فيه الموهوب ـ المتوسط كل جهد فانه لا محالة واقف عند درجة من الدرجات الدنيا ، وهــذا امر يجب أن يستسلم له « المديوكر » كقدر لاراد له ، وان يزينه بالجهــد والتفانى واعلاء القيم وعلى رأسـها قيمة العدل ونظافة الضمير ٠

نقول ذلك بمناسبة تفشى « نظـرية قطع الغيار » بشكل وبائى فى الوسط الثقافى ، وهى نظرية مبتـكرة يحق لاصحابها تسجيلها فى الشهر العقارى لانها ، تقريبا اختراع جديد لم يجــر تعميمه من قبل بهذا القدر من الاتساع وان وجدت بعض مظاهــره فى بعض الاحايين من الزمن الماضى ٠

تتلخص النظرية فى ان يقوم البعض بالترويج لبعض الاسماء الهامشــية بشكل محموم ومستمر ، يدفعون بهــم الى صدارة الاعلام والاعــلان ، يقدمونهم لكل منبر ولكل الساحات ، والقصد واضح كالشمس : ان يهيلوا التراب على المواهب الحقيقيــة التى بدأت تظهر وتحتل مكانتهـــا على الساحة ، والسبب واضح كالشمس :! فهم يخشون المواهب الحقيقية ويخافون من قاماتهم وعمق رؤاهم ومستواهم ، فلماذا لا يستبدلون قطع الغيار بهــم

لكن ، لا يعرف هؤلاء ان المبـــدع الحقيقى مهما طال به الامد لابــد ان يأخذ مكانه ، ان لم يكن اليوم فغدا ، وان لم يكن غدا فبعد الغد ، والمبـدع الحقيقى على اية حال لايهتم بالمظاهر الزائفة ، والاوضاع غير الطبيعية ،

كما لا يهتم بالزمن وكل همه ان يحقق ذاته ، وان يكون على اتصال حقيقى بجوهر الامور والاشياء ، وان يمارس فنه ليرتوى من ماء الحياة ٠

لقد روج البعض لفلان في الخمسينيات وجعلوا منه نجما سدت الضوضاء التى احدثوها باسمه السماء ، وكانت الدعوة نبيلة وارهابية وباسم انه يكتب عن العمال والفلاحين ، وهم منه براء ،وروجوا في الستينيات لعلان بدعوى انه عاد الى الفلكلور واستلهم منه فى الوقت الذى كانت مواهب الدرجة الاولى تطعن فى ظهورها ، ويروجون اليوم لبعض الصغار بحجج واهية اخرى لكن هذا الترويج الزائف تفضحه الايام عندما تمر ، والتاريخ عندما يقول كلمته ، اسماء كانت لها «الشنة والرنة » ، لانها دفعت دفعا الى الواجهة ٠٠ اين هى الان ؟ فى مزبلة التاريخ ؟

وصباح الخير ايتها النظرية الجديدة ٠ نظرية قطع الخيار ٠

● عبده جبير

إشارات ثقافية

مجلة اتحاد كتاب الامارات

● يقوم اتحاد كتاب الامارات بنشاط ملحوظ ، لم يكتف أو يتوقف عند حدود الندوات الجادة التي يعقدها كل شهر عدة مرات ، بل هاهو يصدر مطبوعة انيقة ٠٠ مجلة شئون ادبية الفصلية التي صدر عددها الثاني اخيرا فى ٣٤٠ صفحة من القطع الكبير وفى طباعة فاخرة ، ومواد ثرية شملت ستة ابحاث مطولة وخمس مقالات واثنتين وعشرين قصيدة ، وعشر قصص مؤلفة ومترجمة وملفا كاملا عن وولي سوينكا الفائز بجائزة نوبل العام قبل الماضى ، بالاضافة الى استعراض النشاط الثقافى الذى يقوم به الاتحاد والنشاطات والاصدارات الثقافية فى اغلب البلدان العربية ٠

ولم يكتف اتحاد كتاب الامارات وهو الذى لا يزيد عدد اعضائه على ٢٠٠ عضو بهذه الدورية الثمينة بل انه بدا في نشر عدة كتب وصلنا منها كتاب قصائد من الامارات الذى ضم ثلاث مجموعات من الشعر العمودى وشعر التفعيلة والشعر الحر ، لكل الاعمار والاتجاهات ، فهنيئا لاتحاد كتاب الامارات ، ونقول لاتحاد كتاب مصر «غير ولا تحسد » ٠

مصر : ندوات فى كل مكان

● هذه السلسلة المتوالية من الندوات المختلفة المشارب التى جرت على ارض مصر فى الشهور والايام الاخيرة ظاهرة تدعو للالتفات ، ودليل على ان المثقفين المصريين بداوا فى الخروج من القمقم ، ليشاركوا فى مجريات الامور العامة ، مشاركة فعالة وسط جماهير المهتمين ،بالمناقشة وعرض الراى والدفاع عنه ٠

ندوات متميزة اقامتها جامعة القاهرة (كلية الاقتصاد والعلوم السياسية) ومركز دراسات الوحدة العربية ، وبعض اقسام الجامعة الامريكية التى تمور بعناصر وطنية فعالة ، داخل حزب التجمع ، وفى اتليه القاهرة ، وندوة ثرية جرت عن تاريخ مصر بين المنهج العلمى والصراع الحزبى التى اقامها المعهد الهولندى ، للاثار المصرية والبحوث

العربية بالتعاون مع قسم التاريخ بجامعة القاهرة وقسم الدراسات العربية بجامعة امستردام والمركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية وقد صدرت البحوثفي كتاب انيقنرجو ان تتمكن الجهات الاخرى من اصدار امثاله حتى تعم الفائدة خارج قاعات المؤتمرات ٠

مسرح

« الدكتور زعتر » و ٠٠ « مدرسة العساكر »

● فى وقت واحد تعرض بالقاهرة مسرحيتان تناقشان نظام الحكم فى العالم الثالث وتعسفان معا بكل رؤية ثورية تحلم لصالح ومستقبل بلادها ، لان مآل هذه الرؤى هو مستنقع الحكم الفردى والديكتاتورية (!!) وهما ايضا يدينان الحكم العسكرى او المطلق الذى يتخفى وراء نظرية براقة ، ظاهرها الرحمة وباطنها فيه العذاب ٠

المسرحية الاولى هى « مدرسة العساكر » الماخوذه عن نص على سالم « بكالوريوس فى حكم الشعوب» ومن اخراج ناصر عبد المنعم،وعرضت على مسرح السامر من انتاج الثقافة الجماهيرية ، والثانية هى «الدكتور زعتر » التى كتبها يسرى الجندى واخرجها السيد راضى وعرضت على مسرح الحكيم من انتاج المسرح الكوميدى ٠

وقضية الحكم من اهم القضايا التى شغلت كتاب المسرح المصرى وقد تجدها بين ثنايا افكار عادية منذ ازدهار الستينيات وحتى الان ، وموضوعات اجتماعية ، ولكنها غالبا تتخفى وراء التاريخ او الفانتازيا او التراث ، وقد تجد ان معظم الكتاب الذين تناولوا هذه القضية يضعون فترة حكم عبد الناصر نصب اعينهم وهم يكتبون ، فتجدهم يلفون ويدورون حولها ـ بوعي او بدون ـ من أجل ممارسة لعبة تمزيق الثياب ، ومعاقبة الذات ، والبكاء على الحلم المجهض الذى عاشوه وخاض معظمهم فى لجته فى يونيو ١٩٦٧ ٠

فى هاتين المسرحيتين يعالج المؤلفان هذه القضية بأسلوب واحد هو الكوميديا الخيالية ٠٠

فى الاولى يحكم المدينة الخيالية طالب فى الصف الاول الثانوى العسكرى ، بعد نجاحه فى القيام بانقلاب عسكرى مع زملائه الطلبة ، ولان السلطة مفسدة ، فانه يبقى هو وحده المنزه عن الغرض ، الخيالى الحالم بيوتوبيا لا يستطيع تحقيقها ، وهو حين يلتحق بالاكاديمية التى سيتخرج فيها حاكما معترفا بهدوليا(!!) يكتشف حجم المؤامرات التى تدبر من اجل السيطرة على مدينته المتخلفة ومن يدور فى فلكها ، فيحذر فى النهاية من ان الديمقراطية لا تصنعها المعاهد او حسن النوايا ، ولكن تصنعها الشعوب ، وذلك بأن تصبر عليها وتموت من اجلها ، وهى مقولات جميلة وعظيمة غاصت بها المسرحية ضمن خطب وآراء تترى من كل جانب وفى كل لحظة ٠

وفى الثانية دكتور فى الاقتصاد يؤمن بنظرية الاقتصاد الحر ولكنه حين ينغمس فى الواقع يرتد على عقبيه فيطلق افكاره ويحرر نظرياته من اجل الحياة فى (خرابة الحرية) هكذا سماها ـ فيرتدى مع اتباعه ملابس من الخيش ! ولا ياكلون اللحم!

ولا يستحمون ! ولا يتعاملون بالمال ، فى تناقض صارخ مع ما كان يؤمن به وحين تريد مدينة خيالية ـ كذا ـ هى (هالى بالى) أن تستعين باستاذ الاقتصاد ومجموعته ليطبق نظرية (خرابة الحرية) من أجل انقاذ (هالى بالى) من الفساد ، وحين يبدأ الحكم يتحول اتباعه بواسطة رجال السلطة حوله الى فاسدين ، فيجد الدكتور زعتر نفسه وحيدا ، فيتحول الى طاغية يصدر احكاما مضحكة ونجده ـ هو بنفسهمعبطانته ـ يحذرنا فجاة من الانسياق وراء داء (الزعترة) مثلما حذرنا د . يوسف ادريس من المخططين ، او من التقولب داخل نظرية خاصة ، وان ننتبه من محاولات اى حاكم ديكتاتور يفرض علينا نظرية ... الخ .

وفى هذا السياق كانت تدور معظم المسرحيات التى تعاملت مع قضية الحكم والديمقراطية ، حول قيمة الحاكم الفرد النزيه ، والحاشية الساقطة الشريرة المنجرفة وراء نذوات السلطة ، وقد يبدو فى العرض الاول تخصيص بادانة الانظمة العسكرية عن العرض الثانى الذى يبحث فى نظريات الحكم المختلفة . ولكنهما يتفقان فى الاطاحة باناشيد الاحلام الثورية والحذر من الوقوع او الانجراف الى تغيير مجهول المصير ، وذلك تحت دعاو موضوعية مفادها خبرة وتجربة الشعوب التى ستقع فى المحظور القدرى الذى لا فكاك منه وهو : براثن المتعسكرين التى تستلب بالتالى ارادتهم ، اذ ليس فى الامكان ابدع مما كان .

وقد لا يعنى المؤلفان هذا الاجحاف، وقد تكون افكارهما المعروفة عنهما اعمق واشمل واعم،ولكن مسرحيتيهما هاتين لاتشيان باكثر من هذا .

وجاء الانتاج فقيرا بالنسبة للمسرحية الاولى اذا قورن بانتاج المسرحية الثانية باهظ التكاليف ، مما اثر بلا شك على كل ما يتصل بالعملية الابداعية ذاتها وعلى خروج العرض للنور .

كان اخراج ناصر عبد المنعم للعرض الاول بسيطا للغاية ، وتحددت مفرداته الاخراجية داخل هذه الرؤية فلم يعتمد على حيل او ابهار او حركة معقدة ، ففى نص كهذا تصبح الكلمة هى الاقوى ، ولكن هذا كان فاضحا فى مجمله لرؤية النص التى انساقت وراء الفكرة البراقة والخيال الجامح ،اكثر من مناقشتها للجوانب الموضوعية التى يفرزها اى واقع متخلف ، ومما جرد المخرج من اهم قدراته التكنيكية ، ولكن هكذا هى رؤيته التى اختارها بمحض ارادته ، وقد خانه التوفيق فى الاستعانة بمصمم مناظر وملابس مبتكر وخلاق فاضفى ذلك على العرض احساسا بعدم الاكتمال ، ناهيك عن الامكانيات الضعيفة فى الموسيقى والمؤثراتوالممثلين الذين سعىمعظمهم للكلفة ومحاولات الاضحاك المستميتة .

اما عرض « دكتور زعتر » فقد حشد له مخرجه العديد من النجوم وملا العرض بوصلات من الغناء والرقص الشرقى والاستعراضات والافيهات والديكورات الباهرة ، وبكل مشهيات المسرح التجارى الذى يتفنن فى الاساليب التى تداعب غرائز الجمهور ، وهو اتجاه ينمو فى اطراد ويوشك أن ياتى على البقية الباقية من العروض القليلة الجادة التى يتبناها احيانا مسرح الدولة ، وقد أتى ذلك على كل افكار المؤلف فلم يستطع احد تبين ماذا يريد أن يقول بالتحديد ، وهى نتيجة متوقعة وخير دهان على صدق المقولة التى تقول ان المخرج المسرحى الخلاق هو الذى

يقف وراء النص المسرحي لكي يبرزه لا يبرز هو من خلاله أو يركب فوقه !

وقد تجد اقبالا جماهيريا على هذه النوعية من العروض ، ولكن عليك ان تعرف من هو هذا الجمهور الذى يرتاد هذه المسارح التى تنافس العروض التجارية حتى فى اسعار تذاكرها ، والمؤلف نفسه يطرح تساؤلا فى نشرة عرض المسرحية يقول « اذا كانت هناك متغيرات لا مفر من مواجهتها، الا يفرض هذا على المسرحيين ان يعيدوا النظر فى ادواتهم وفى علاقاتهم بالجمهور العريض لصالح هذه المواجهة » وحين تخرج من عرض به هذا التسطيح المخل والنكات اللفظية والجنسية وبه هذه المتيلات والادران ، فلابد انك سترفض اعادة النظر تحت ضوء كل هذا ، بل قد تندم على حسن النوايا الذى دفعك لاضاعة كل هذا الوقت .

محمد الشربينى

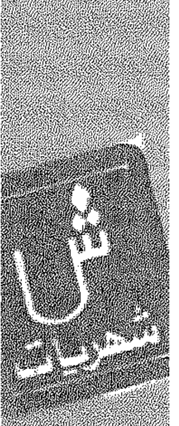
كتاب جديد

● نقد

قراءة تأملية فى «هماميل» مصطفى نصر

حركة نشطة تدب بقوة وحيوية فى ارجاء العمل منذ بدايته وحتى نهايته . وكما ان للحركة فى علم الهندسة قوانين ولعلاقتها بالزمن قوانين اخرى ، فان للحركة فى فن الادب الروائى ولعلاقتها بالزمن قوانينها هى الاخرى . غير ان القوانين العلمية ثابتة لا تتغير ، اما قوانين العمل الفنى فهى نابعة من العمل نفسه وهي من صنع الكاتب الفنان وحده لا يشاركه فيه مخلوق آخر .

ولمصطفى نصر بصمة خاصة تميز جميع اعماله التى قراتها كاملة حتى من قبل طباعتها ، واولى علامات تلك البصمة هي جوهر العمل ودلالته وايماءاته وكل ما يحمل من معنى لا يعبر عنه الا الحدث وحده . الحمل كله على كتفى الحدث . الكاتب لا يتدخل . قليلا ما يروى ، نادرا ما يدع لنا فرصة للتامل . حتى ما بين السطور لا يشف عنه سوى الحدث . احيانا أرى فى هذا التكنيك ميزة فنية واحيانا ارفضها وللناس فيما يعشقون مذاهب ، ولكنه قانون الرواية عند الكاتب وهو الشيء الذى لا ينبغى ان نتجاوز حدوده اذا شئنا التعرض للعمل . علامة أخرى من علامات قانون مصطفى نصر الروائى الذى وضع بصمته ، هى الافراط فى العلاقات الجنسية المشروعة احيانا وغير المشروعة فى معظم الاحيان . لكننا نجد مصطفى نصر يغير قانونه فى رواية الهماميل فيما يتعلق بهذه الظاهرة التى تسود رواياته السابقة : الصعود فوق جدار أملس ، الجهينى ، جبل ناعسة ، اذ نجده يلتزم الحذر هذه المرة فلا يستخدم الجنس بلا داع ، وكأنما أراد مصطفى نصر ونجح فى أن يريد التخلص من قانون سيىء السمعة ارتبط به فى زمن سابق . علامة ثالثة نلحظها فى اعمال مصطفى نصر هى الولع الشديد بالاحياء الشعبية .. وحياة الطبقات الكادحة ، وحشد العمل بالكثير من اسماء يمكن الاستغناء عن بعضها على اقل تقدير . معلم اخر من معالم الرواية عند مصطفى نصر نلمسه فى الواقعية الشديدة الالتصاق بالارض والافراد والحدث بعيدا عن النظرة الكونية الشاملة التى تصل بين الحياة والموت وبين الدنيا والاخرة وبين الخالق والمخلوق وبين الطبيعة وما وراء



الطبيعة بوجه عام • واخيرا فان الشكل العام الذى يميل اليه فى بنيان الرواية هو اللجوء الى تقسيم العمل الى فصول تحمل عناوين باسماء ابطال الحدث مثلما فعل نجيب محفوظ في ميرامار اولا ثم تلاها باعمال اخرى عديدة متشابهة •• تلك هى المواد الاساسية المكونة للقانون الروائى العام لمصطفى نصر ، ما اراها بعين مبدع تاملية لابعين ناقد ودون الارتباط برؤية اخرى قد تكون صوابا وقد لا تكون •

فاذا نظرنا الى الهماميل مسترشدين بقانونها الخاص كما هو المفروض ان تكون النظرة فاننا نواجه صراعا وحشيا بين الماضى البعيد متمثلا فى عصر السلطان حسين والماضى القريب متمثلا فى عصر بدايات الثورة والذى يمكن بالتجاوز ان نعتبره حاضرا •

ويتمثل هذا الصراع في الصدام بين صالح بتاريخه وتاريخ ابيه الشرف من جهة وبين ابى الوفا بتاريخه وتاريخ ابيه واخيه غير الشرف من جهة اخرى ، فلكل حاضر جذوره الماضية ، فاذا كان صالح يمثل عنصر الخير بفرعه (صالح) ، وجذره (مجاهد خادم مصر) فان ابا الوفا يمثل عنصر الشر بفرعه (ابو الوفا) وجذريه (ابو زيد خادم الانجليز ، وحسنين خادم الاقطاع) أقطاب الحاضر : هم صالح وابو الوفا وصفية وامينة ويسرى وملك واقطاب الماضى هم مجاهد وعلى منصور وسنية شكرى وابو زيد وحسنين والباشا وعزيزة وحمدى شعراوى واحمد طايل واحمد صابر ، أى ان نسبة الماضى الى الحاضر ممثلة فى عدد الشخصيات هى ٢ : ١، وهذا لا يعيب العمل فى شىء مادام الماضي ذا صلة عضوية وثيقة بالحاضر وهذا ما نجح فيه الكاتب مستخدما تكنيك التارجح بين الزمنين، ولقد كنت أتوقع بمنطق قانون الكاتب نفسه أن تكون بطولة الماضي مركزة على مجاهد باعتباره الجذر أو الاصل الذى نشا منه صالح (الممثل للحاضر) مادام تاريخهما المشترك يمثل الشرف والوطنية ،• والانتماء الى القيم النبيلة • لكنى فوجئت بحمدى شعراوى ينتزع البطولة من مجاهد لحيز كبير من العمل ثم فوجئت مرة أخرى بانحراف هذا الشعراوى عن خط التاريخ المشرف الذى يمثل أسرة صالح وذلك بسقوطه فى بالوعة الخيانة • ورغم براعة مصطفى نصر فى تصوير الحالة الشعورية لمعاناة حمدى شعراوى قبل سقوطه فانه قد خالف ـ من وجهة نظرى ـ قانونه الروائي مرتين: الاولى عند انتزاعه البطولة ممن يستحقها واعطائها لمن لا يستحقها ، والثانية عند سقوط البطل الذى اختاره ، ولعله خشى ان يلصق تلك النهاية بمجاهد الذى تقتضى طبيعة الخطة الروائية ان يبقى وطنيا شريفا حتى نهاية العمل ، لكن هذا التبرير لا ينفى مخالفته لمنطق قانونه •

واذا عدنا الى التقسيم الشكلى للرواية الى فصول تحمل عناوين باسماء ابطالها الذين يروون الحدث من وجهة نظرهم سواء أكان الحدث متعلقا بهم او بغيرهم ، فاننا نجد محتويات بعض الفصول مروية بضمير الغائب احيانا دون ارتباط من جانب الراوى الذى عنون المؤلف الفصل باسمه واحيانا بضمير المتكلم والذى هو المؤلف نفسه اذ أن تفاصيل بعض هذه المحتويات لا علاقة

لها بالراوى الحقيقي وقد لا يعرف عنها شيئا بحكم طبيعة الاحداث · مثال ذلك ص ٥٤ الفصل بعنوان ابو زيد حسنين ، بينما الحدث على لسان ابى الوفا (لان ابا زيد قد مات منذ زمن بعيد) ويستمر الحدث حتى ص ٥٥ لتنتقل الى حيث « تنام ملك بجواره كملاك » مكتوبة على لسان المؤلف حتى نهاية الفصل · اذ لو كان الراوى هو ابو الوفا لقال من البداية « تنام ملك بجوارى كملاك » كما قال في بداية الفصل « ابو زيد حسنين اخى » مثال اخر ، الاصل المعنون بسنية شكرى ·· يبدأ بضمير الغائب ص ٥٩ عن حوار بين صالح وامه وينتهى ص ٦١ عن حوار بينه وبين امية ثم يتبعه بتدخل صريح ص ٦٢ موقع بكلمة « المؤلف » بعد سرد بعض الاحداث السياسية ·

ان اهتمامى بشكل الرواية عند مصطفى نصر يفوق اهتمامى بمضمونها لانني أكاد اتفق معه تماما في صلب المضمون ، فواقعنا يؤكد منذ زمن بعيد ضراوة ووحشية الهجوم الذى يتعرض له كل اصحاب المبادىء والقيم،فلم يدهشني ان ينتمى العملبفصل صفية من جريدتها وصالح من شركته وبقائهما معا في الفيلا في انتظار المجهول ، كما انني لست الوم الكاتب على ان يصل بالقطب الموجب للصراع الى هذه النهاية المأساوية كما يحلو للبعض ان يفعل كان يقول انها نهاية استسلامية متخاذلة ، لانني اكرر ان هذا امر واقع وان كنا نسعى ولابد ان نسعى الى تغييره في اعمالنا الادبية وبصفة خاصة نحن كتاب السبعينيات الذين عاصروا الملك والثورة والتاميم والوحدة والانفصال وحرب اليمن وعدوان ٥٦ ، ونكسة يونيو نصر اكتوبر وفضائح الانفتاح وكامب دافيد ·· واحتلال لبنان وضرب المفاعل الذرى العراقى ومذابح صابرا وشاتيلا ، وهروب المليونيرات باموال مصر الى الخارج وحرب الخليج وحرب الحجارة وتخاذل العرب ·

وفي عودة اخيرة الى الشكل الروائى عند مصطفى نصر اقول انه قد خالف قانونه اكثر من مرة ولكنه لا يحق لى ان انكر عليه هذه المخالفة فقانون الفن متجدد ومتطور وخلاق ومن حق الفنان ان يتمرد على فنه بخلق فن جديد يتفوق فيه على نفسه فالفن الحقيقي لا يعرف السكون · وهماميل مصطفى نصر رواية فنية تتميز بسرعة الحركة وتدفقها وتزاحمها في بعض الاحيان ، وسيولتها في احيان اخرى ولكنها في النهاية رواية يلعب فيها الحدث دور البطولة المطلقة ·

سعيد سالم

مكتبة الهلال



الكتاب : الاقباط والقومية العربية
تاليف : ابو سيف يوسف
الناشر : مركز دراسات الوحدة العربية ·
٢٣٦ص ،٥ دولارات او مايعادلها ·

يقوم ابو سيف يوسف هنا بمحاولة غير مسبوقة من زاوية ان التاريخ الاجتماعى لقضية تكوين مصر العربية لم يكتب بعد بالشكل المرضى ، وهى محاولة لان الكاتب نفسه يقرر بانها مهمة تخرج عن نطاق اى جهد فردى خاصة ان القرون الخمسة الاولى للهجرة كانت محل اجتزاء او انتقاء ، او ضحية نظرات ومناهج مثالية فى فهم التاريخ لا يدخل فى حسبانها ان عملية تكوين مصر العربية هى عملية موضوعية ، وهى بالتالى مستقلةعن ارادة الافرادكما انلها جدليتها الخاصة ، بالاضافة الى ان اهمال الاسس الموضوعية لتكوين مصر العربية انما يؤدى عمليا الى اسقاط الركائز الرئيسية والتاريخية التى قامت عليها وتولدت فى اطارها صيرورة التكامل بين اهل مصر ، مسلميهم واقباطهم •

وتبين الدراسة فى جزء هام منا ارتباط القبط بالنسق الثقافى العام لمجتمعهم الاكبر ، وذلك على الرغم من حدوث متغيرات تمثلت فى التراجع العام للحضارة العربية الاسلامية ، وقيام حكم سلالات اجنبية غير عربية ، فيقدر الكاتب انه وان حاقت بالقبط شدائد فى بعض العهود الا ان هذا لم يؤد تهميشهم او عزلهم ، بالاضافة الى انالكنيسة المصرية قاومت منذ القرن الثانى عشر كل المحاولات الاجنبية لتحويل ولاءات القبط والمؤسسة الدينية كنائس عربية او دولا اجنبية •

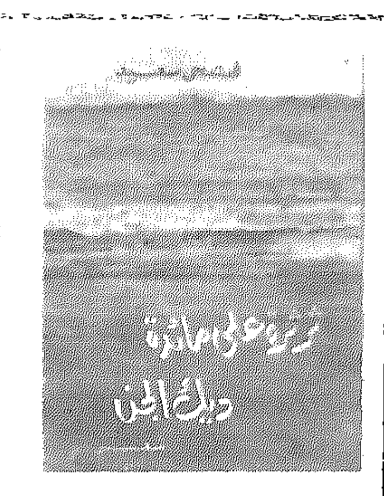


الكتاب :كتاب حرف الـ ((ح))
تاليف : بدر الديب
الناشر : دارالمستقبل العربى
٩٦ ص ، ٣ ج م•

هذه النصوص التى تقف فى مفترق الطرق بين القصة والقصيدة ، والانطباع والدرس ، والتى يفضل المؤلف وصفها بانها حرف « ليس بكتاب او موضوع او قصةاو شعر او حدث» هذه النصوص كتبت عام ٤٨ عندما كان بدر الديب فى الثانية والعشرين من عمره ، شابا مصريا عربيا افريقيا تحيطه فواجع حضارة القرن دون ان تكون له حماية الا من انسانيته المجردة ، اراد هذا الشاب ـ بكل بدنه وبكل ما فيه من حياة مختزنة فى لحظة وجوده الفردى ان يخرج من هذا الخضم المتساقط بشىء ممسوك •

هى اذن تجاربمختلفة يسعى كاتبها للتوصل الى اسلوب لا ينتمي الى القوالب السائدة فى وقته ، وكانه يمسك بالوجود الحى ، فيه عودة الى اللحظات السحرية الغامضة لبداية الخلق على انها نقطة البداية للمعرفة وللتعبير •

نصوص جميلة تأخذ بشغاف القلب ، وتستحق التناول بشكل اكثر استفاضة من قبل النقاد



الكتاب : ثرثرة على مائدة الجن
تاليف : فتحي سعيد
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
١١٦ ص ، ١٠٠ ق م

منذ فترة ودارسو الشعر الحديث ونقاده يتولون بازمة تتخبط فيها القصيدة الغنائية الحديثة ، ومن ناحية التنظير يؤكدون ان خروج القصيدة العربية من هذه الازمة يمر عبر عدة طرق ، يشيرون في الغالب الى ما يقولون انه اهمها وهو طريق القصيدة الدرامية ذات الابعاد المتعددة والاصوات المختلفة ، التي تقوم على طريق الدراما بمعناها الحركي المعارض للثبات والاستاتيكية ، وعلى هذا الطريق غير هذه القصيدة الطويلة الواحدة ، التي يؤكد الشاعر انها حلقة اولى من ثلاثية درامية طويلة نحن ننتظر جزءيها التاليين حتى تكتمل المحاولة وتتضح ابعادها .

وفي هذه القصيدة الجديدة تتضح معالم الشاعر فتحي سعيد وميزاته التي ينفرد بها كصوت ناضج من اصوات الشعر العربي الحديث .



الكتاب : توفيق الحكيم
تاليف : نبيل فرج
الناشر : الهيئة المصرية العامة للكتاب
٩٦ ص ، ٣٥ ق م

يضم هذا الكتاب الصغير مجموعة مقالات كتبها المؤلف اثناء حياة الحكيم ونشرها متفرقة في عدة منابر ، وقد احسن بجمعها لانها تبين القسمات الاساسية ، او المحطات الرئيسية التي اثار الحكيم بها عدة قضايا ان يكن في مجال ما اسماه باللغة الوسطي ، أو الثالثة او نظرية التعادلية ، او دور المسرح في المجتمع ، وهو على اى حال تناول اعمال الحكيم وما اثاره في حياتنا الثقافية بكثير من الموضوعية وعدم التحيز ، لذلك فانه يعد واحدا من الكتب القليلة التي كتبت عن الحكيم واتجهت الى منحى عادل غير مبالغ في اى من الاتجاهين المضاد او المتحيز للحكيم

ويضم الكتاب ايضا مقالا مجهولا كتبه توفيق الحكيم ونشره منذ اكثر من نصف قرن ، ولكنه لم يضمه الى اى من مؤلفاته ، ربما لدعوته الجريئة المطالبة بتجديد اللغة العربية بشكل جذري ، وربما لانه عاد فراجع عما جاء بها من اراء .. لذلك فقد قدم نبيل فرج بنشر هذه المقالة خدمة كبيرة لقراء الحكيم .

ورقة منسوبة إلى طه حسين

بقلم: د. محمد حسن الزيات

يحرص الاستاذ الدكتور محمد حسن الزيات كاتب ((ما بعد الايام)) على البحث المستمر فى أوراق الدكتور طه حسين عميد الادب العربى، والتى تركها بعد وفاته وهذه واحدة من أوراق العميد بعنوان ((أنا)) ، يشير الى انها كتبت بخط غير معروف ، وعباراتها طويلة ، وألفاظها حوشية .. نقدمها لقارىء ((الهلال)) فى ذكرى ميلاد طه حسين المئوية .

● انا ...

ان كان حقا أن بعض الناس يعرفون انفسهم معرفة تتيح لهم ان يتحدثوا فيسرفوا او يوجزوا فى الحديث عن انفسهم تلك التى يعرفونها أو يزعمون انهم يعرفونها ، فاننى لا يضيرنى ان اعترف بأننى لست اعرف نفسى ..

ولكنى أعرف فى نفسي الى ذلك خلالا قد يعرفها بعض الناس وقد ينكرونها ، اعرف فيها انها نفس مؤمنة لا يزلها عن ايمانها ان تكون على راى والناس جميعا على رأى ، لان ايمانها ايمان القلب والعقل جميعا .

وأعرف فيها التصميم حين تريد ، لا ينحرف بها عن الغاية التى تريدها أن تتكاءدها عقبة من العقاب لانها لا تريد حين تريد الا مؤمنة ايمان القلب والعقل والضمير ...

وأعرف فيها الصبر على باساء الحياة ونعمائها جميعا ،

فما تعرف اليأس حين يدلهم الخطب ولا البطر حين تنبسط ظلال النعمة ، لان بؤس الحياة ونعماءها اعراض تزول على هذا الايمان ، وهذا التصميم ، وهذا الصبر ؛ مضيت فى الحياة منذ كنت ، فما انكرت مرة عاقبة من عواقب

أمر مضيت فيه .. واغلب الظن أننى سأمضى على ذلك ما بقى من حياتى ، حتى يتحقق لى او يتحقق للذين يشهدون عاقبة امرنا كله بعد ان نصير ذكرى فى ضمائر الاجيال المستقبلة ، أن الايمان ، والتصميم ، والصبر ، هى الحياة ، الحياة التى تحقق معنى وجود الانسان الحي الممتد بآثاره فى الانسانية الباقية ...

طه حسين

بين أوراق المرحوم العميد الدكتور طه حسين ورقة محررة بخط غير معروف لى ، عنوانها كلمة (أنا) والتوقيع عليها هو (طه حسين) ورغم هذا التوقيع فاننى لا أعتقد انها من املاء العميد الفقيد ، فان عباراتها طويلة بالغة الطول ، بطيئة ثقيلة الحركة ، فيها من الالفاظ لفظ مثل (تتكاءدها) ولم يكن العميد ليستعمل مثل هذا اللفظ الوحشى الغريب ، وأخيرا فان كاتب هذه الورقة (كما يتبين من صورتها التى تنشر الى جانب هذه الكلمات) كان مترددا يثبت من العبارات ما يعدل عنه فيمحوه ليثبت سواه ، وقد كان طه حسين يملى فيطيل لا يتردد فى املائه الصفحات الطوال .

هذه الورقة اذن ليست من اثار طه حسين ، ولست أدرى - على التحقيق - من هو كاتبها ، ولا لماذا كتبها ولماذا أعطاها للاستاذ العميد ، الذى حفظها بين أوراقه ولا لماذا حفظها العميد ، ولكن الورقة تتحدث عن صفات ثلاث لطه حسين وهى حقيقة من ابرز صفاته ، لذلك فاننى أفترض ان هذه الورقة محاولة للاجابة على سؤال لعل بعض الكتاب أو بعض الصحفيين قد طرحه على طه حسين ، يسأل عن أهم ما يرى لنفسه من صفات وأن طه حسين قد اكتفى بأن ذكر الصفات الثلاث (وهى الايمان) والتصميم والصبر) فحاول كاتب الورقة أن يقرر ذلك على لسان طه حسين وفى صيغة المتكلم ، ولكن طه حسين - الذى لم يوقع ابدا غير ما كان يمليه بنفسه - أهمل الورقة فيما يظهر فلم تستعمل .

الايمان والتصميم والصبر هى الصفات التى تقول الورقة - على لسان طه حسين - أنها ابرز صفاته ، وهى كذلك .

لقد كان الايمان أبرز هذه الصفات ، وبغير هذه الصفة ما كان من الممكن أن يشق طريقه فى الحياة صعودا الى أعلى القمم وثباتا عليها ، الايمان بالله عز وجل ايمانا عميقا صادقا ، يستلهمه الرحمة والعون ، ويثق بأنه هو الرحيم المعين ، يستلهمه الرشاد ويستهديه الطريق المستقيم ، الايمان بالوطن ، مصر



د . طه حسين

وبالعالم الاسلامى ، واثقا انهمـــا جديران بأن يضيفا من جديد الى ما قدما فى الماضى لحضارة الانســان ، الايمان بشعبه فى مصر وبشـعوب العرب ، بالصفوة والعامة فى هـذه الشعوب ، الايمـان بأن شعب مصــر وشعوب العرب ستنتزع حقوقها من يد الظالمين لها من خارج بلادها ومن داخلها . وبأن الصفوة قادرة على أن تحتل من جديد مكانها بين مفكـرى العالم وطلاب الاصلاح والتقدم فيه ، فى جيلنا الحاضر واجيالنا القادمة ، وأخيرا الايمان بالنفس ، ايمانا هـو ايمان الشاعر القديم :

اذا هم ألقى بين عينيه عزمه
ونكب عهد ذكر العواقب جانبا

ثم التصميم ، الذى حصل بفضله من العلم ما حصله ، وان ينجـز من العمل ما انجزه ، فى الصحافة وفى الجامعة وفى الوزارة وفى المجمع . والـذى تحـدى بـــه الفقـر والجهـل وما امتحنـــه الله به من المعوقات ، فهزمها جميعا ، التصميم الـــذى واصل به طه حسين السير والسرى من قريته الصغيرة فى صـعيد مصـر الى أعلى منابر العلم وأوسع ساحات العمل فيعيش حياته طالبا للعلم جادا للعمل فاذا حل الاجل بقى ذكره يتردد فى أقطار العالم المتباعدة ، تترجم فيها مؤلفاته وتستلهم سيرته وينتفع الناس فيها بما ألقته حياته عليهم من دروس .

وأخيرا تجىء الصفة الثالثة وهى الصبر ، وأى الناس صبر صبر طه حسين ، لقد صبر على فقد البصر ، وصبر على خرافات الريف ، وصبر على جهل بعض المعلمين وصلفهم ، وصبر على الصـــديق يتخلى عن صداقته ، وعلى الزميل يتنكرلواجبات زمالة ، وصبر على التلميـذ العـاق لمعلمه ، وصبر على من استهدفوا أن يصيبوه فى نفسه وفى عرضه بمـــا يكره ، صبر على من لم يكـــونوا يعملون ، وكـان يؤذى نفوسهم أن يكون هو من العالمين العاملين .

الايمان والتصميم والصبر ، تلك صفات ثلاث سجلها للاستاذ العميـد من سجلها فى هذه الورقة التى رأيت نشرها على الناس ، والورقة ـ فيما اقطع به ـ ليست من املاء طه حسين، ولكن الصفات هى صفاته ، اهتدى بنورها فى حياته وود قطعـا لو اهتدى بها من بعده طلابه وطلاب طلابه ، فى مدارس العلم ومعاهده ، والملايين من مواطنيه فى جيله وفى الاجيال التى تخلفه ، فى كل ميادين الحيـاة ، فى مصر ـ وطنه الذى امتلأ قلبه بحبه ـ وفى أرجاء عالمه العـربى الذى آمن أعمق ايمان بضرورة تكامله وتسانده وتضامنه ، والذى آمن بأنه سـيصل حتما الى أهدافه وسيحقق بالتأكيـد كـل آماله ان هو آمن ، وصمم ، وصبر .

ميشيل بيتور

هل انتهى عصر... الرواية الجديدة؟

بقلم : محمود قاسم

تنبع اهمية المدارس التجريبية التى ظهرت فى القرن العشرين • ليس فقط فى الشكل الجديد الذى حاولت من خلاله تحطيم ((التابو)) المرتبط بالمألوف فى كافة مجالات الفنون والحياة بل فى أن ظهور هذه المدارس قد ارتبط بعمليات تنظير مستمرة لكافة الاشكال الجديدة، من الراوية والتكعيبية والسريالية وغيرها فى الفن التشكيلى الى العبث فى المسرح والرواية الجديدة والموجة الجديدة فى السينما ثم المدرسة السريالية فى الشعر ••

وفى الرواية الجديدة » بصفة خاصة حاول تلاميذها تنظير أدبهم وتقديم ابحاث بالغة الاهمية حول الاشكال والصياغات التى قاموا باختيارها لادبهم •• وراح العديد منهم يكتب فى نظريات الشكل الجديد وتحطيم قواعد الدراما الارسطية •• وقد عرفنا فى عالمنا العربى كتب النقد والابحاث المتعلقة بالرواية الجديدة قبل أن نقرأ رواية واحدة لكل من كلود سيمون والان روب جرييه وميشيل بيتور وروبيربنجيه ومرجريت دوراس وآخرين •• فكان كتاب « نحو رواية جديدة » لجرييه أسبق الترجمات القليلة للروايات التى تنتمى الى هذا الادب ••

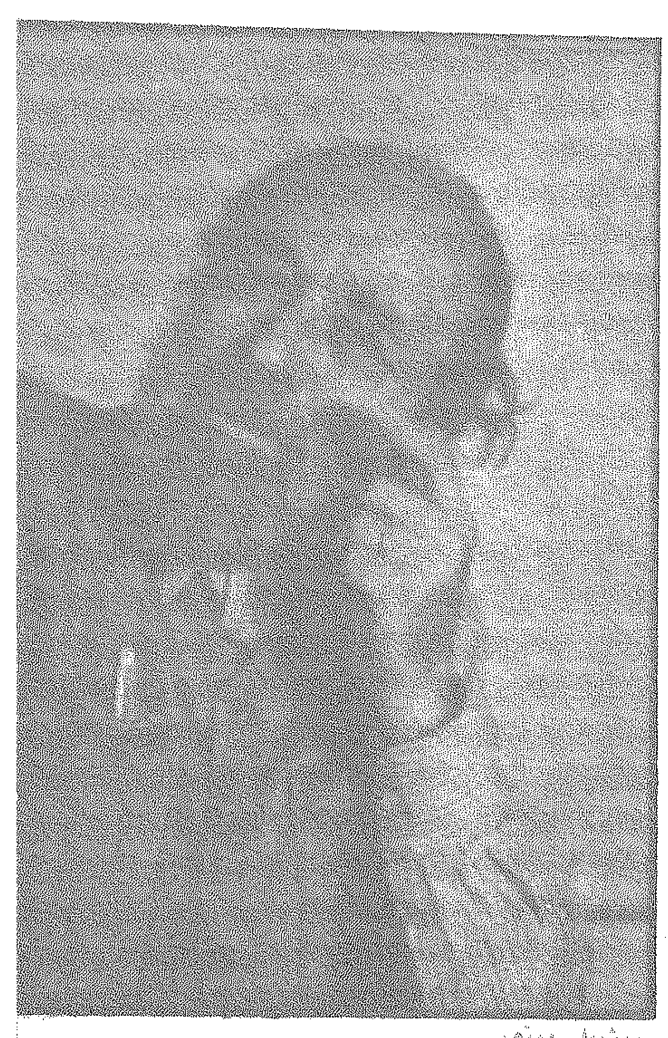
ولعلنا لا ننسى أن الرواية الجديدة اصبحت « تقليعة ادبية » تحت تأثير القراءة عنها • فرأينا العديد من الكتاب العرب ـ وخاصة فى مصر ـ ينهجون نفس خط الرواية الجديدة من واقع قراءاتهم لمقالات وكتب التنظير •• ولكن هؤلاء الكتاب صدموا فى هذه التجربة حين تمت ترجمة روايات لمرجريت دوراس مثل « موديرانتو كانتبيل » ـ و « وجين » لا لان روب جرييه ـ فى العراق ـ و « المريح » لكلود سيمون ـ روايات الهلال ـ وغيرها من الروايات التى لا تتجاوز عدد الاصابع •

وبينما نحن نبحث عن هوية الاشياء من شكلها الخارجى • كان اصحاب



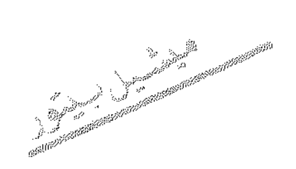
ناتالى ساروت

هذه المدرسة يسعون قدر الامكان لتعميق وتأصيل نظرياتهم .. فراحوا ينشئون جوائز ادبية لا تمنح الا لهذا النوع فقط من الرواية .. وتعاونوا مع اكاديمية ميديتشى لمنح جائزة سنوية لها نفس الاهمية التى تكتسبها جوائز أخرى مثل جونكور وفيمينا . وراحوا ايضا يوسعون دائرة قراء هذا الاتجاه بكسب جمهور جديد . فاتجه بعضهم الى كتابة السيناريو السينمائى .. وما لبث لهذا البعض انه اتجه الى الاخراج وكانت كل تجاربهم السينمائية محصورة فى حدود الرواية الجديدة .. فأصبحت المدرسة ظاهرة سينمائية انتقلت من فرنسا الى دول اخرى قريبة مثلما حدث فى المجر والمانيا واسبانيا وايطاليا .. ومن ابرز من عمل فى هذا المجال : الان روب جرييه ومرجريت دوراس التى اخرجت للمسرح والسينما على السواء نصوصا تنتمى جميعها الى « الرواية الجديدة » .



ميشيل بيتور

ورغم ان كتاب هذه الرواية اوفياء لمدرستهم . يدافعون عنها ويقومون بالتنظير لشكلها ومضمونها . فانه لا يمكن القول ان كل ما يكتبونه من الرواية الجديدة . خاصة فى اعمالهم الاخيرة . فقد أدهشت مرجريت دوراس قراءها منذ ثلاثة اعوام عندما قدمت روايتها «العاشق» مؤكدة انها يمكن ان تكتب الرواية التقليدية بحنكة أشد مما يفعل كاتب « البست سللرز » فى الولايات المتحدة فحققت أعلى المبيعات طوال عام كامل بعد أن فازت بجائزة جونكور . أما روب جرييه فقد اكد انه لا يقل « شطارة » عن زميلته مع روايته



« جن » التى تصور حكاية رجل يبحث عن فتاة يحبها ويتصور أنها أرسلت فى أعقابه بعض الجواسيس لمتابعة سلوكه .

أما ميشيل بيتور ، الذى ألقى بعض المحاضرات عن الرواية الجديدة فى القاهرة فى شهر فبراير الماضى ، فهو لم يقدم ابداعا روائيا جديدا منذ فترة طويلة . وكان اخر ما نشر فى عام ١٩٨٣ هو الجزء الخامس من كتابه « المفهرس » وبمناسبة صدور هذا الكتاب أدلى بحديث لمجلة نوفيل أوبسرفاتور ـ ١١ مارس ٨٣ ـ قال فيه : « امل دائما أن يقرانى الناس بمشاعر بسيطة كالمراهقين عندما يكتشفون الامور الجسام . وان يفهمونى افضل مما افهم نفسى »

وليس هذا التعليق هو محاولة من الكاتب بالاتجاه نحو التقليد والتبسيط .. ولكنه احساس بأن الرواية الجديدة لم تكسب الجمهور المراد له . نتيجة لصعوبة فهمها .. خاصة ان اعمال بيتور هى ابسط من تلك التى كتبها زملاؤه فى نفس المدرسة وخاصة كلود سيمون وناتالى ساروت .

ورغم ذلك فان بيتور هو أحد الذين قاموا بتنظير هذه النوع من الادب فى مؤلفات عديدة وفى انصاف الكاتب نشر الباحث جرمان بريه فى كتابه « الادب الفرنسى » انه روائى . وباحث . وناقد ومنظر .. وقد ساعده على ذلك تعمقه بشكل مكثف فى أغوار اللغة الفرنسية . فراح يكتشف مداخلها ومعانيها المتعددة .. وراح يستفيد منها فى ابداعه .. وساعده على ذلك دراسته المبكرة فى مدارس الجيزويت ثم فى السوربون . ورغم ان بيتور درس الفلسفة وحصل على دراسات عليا فى علوم الرياضة . فان رحلته الى المانيا ومانشستر وسالونيك كانت لتعليم اللغة الفرنسية واكتشاف معان جديدة لها ..

ولم تكن روايات بيتور الاولى تنتمى بشكل عام الى الرواية الجديدة . مثل روايته « ممر ميلانو » عام ١٩٥٤ . و « استخدام الزمن » التى حصلت على جائزة فينون عام ١٩٥٦ . كما حازت روايته « التحول » على جائزة رينودو عام ١٩٥٧ . وفى عام ١٩٦١ حصل على الجائزة الكبرى للنقد الادبى عن الجزء الاول من كتابه « الفهرس » . وبمتابعة حياة وعطاء بيتور نجد ان اغلب كتبه تنتمى الى الدراسات النقدية منها الى الابداع الادبى بخلاف الكثير من ادباء هذه المدرسة . كما نوع المجالات التى كتب عنها مثل كتابه « رسومات » حول الفن التشكيلى . وكتاب اخر حول الصوتيات .

وقد اتفق ظهور الاشكال التجريبية فى مختلف الفنون والادب مع طبيعة بيتور كانسان . فهو منذ طفولته يميل الى التحرر من القيود الاجتماعية التى حوله . وكان مثلا يرفض الذهاب الى الامتحان لانه قيد عليه . لذا وجد أن الرواية هى الحل الشخصى لتمرده الدائم . ولكن الحل بدا له ، منذ محاولاته الاولى ، مرتبطا بمشاكل البناء فآمن انه من السهل استعمال بناءات قوية بشكل كاف شبيهة ببناءات هندسية او موسيقية ، وبتحريك بعض العناصر بالنسبة الى البعض الاخر بطريقة نظامية ، يمكن ادخال الطاقات الشعرية فى العمل الفنى .

ويقـــول بيير دى بوديفــار فى موسوعة أدباء فرنسا ان بيتور منذ بدايته قد انطلق للبحث عن « شاعرية الرواية » بكل ما فى ذلك من معنى . فاستند الى معلمه جويس الـذى كان له تأثير فعال عليه اكثر ممـا كان على ناتالى ساروت . فجويس هــو الذى علمه فن تنسيق روايـة حـول بناء كثير الصلابة ، قادرة على ادارة الاشخاص وتنظيم الوقت الـــذى يتحركون فيه ، وقادرة أيضــا على تحريك جميع مصادر الذكاء فى سبيل تقليد مفاعيل الصدفة » .

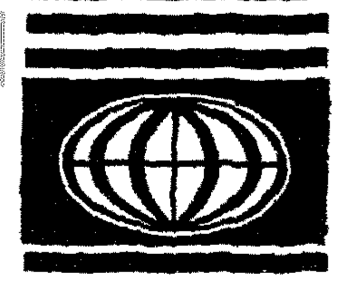
وقد اتضح هذا التأثير فى روايــة بيتور الاولى « ممر ميــلانو » حيث سعى لتقليد « عوليس » جويس .. حيث تدوراحداث الروايات فىساعات قليلة من نفس اليوم . وفى مــكان ضيق . ورواية بيتور عبــارة عن سبعة فصول يتحدث فى كل منها عما يدور فى احـد طوابـق عمارة يسكنها اقوام مختلفو المشـارب والطباع . ويدور كل فصل فى ساعة من النهار .. ومجمل ساعات الرواية السبع عبارة عن اسقاط لما يدور فى العمــارة من أعلى الى اسفل .

وفى روايته « اسـتخدام الوقت » تغيرت الامور . فأصبح الحيز الـذى يتحرك فيه الاشخاص زمنيا من خلال شاب ينتقل فى المدينـــة بين بعض الشقق التى يسكنها . وتنقســــم الرواية الى خمسة اقسام تتــلاءم مع مختلف فترات الاقامة . ولـكنها لا تتتابع بنظام زمنى . فالقسم الاول كتب فى شهر مايو ويروى حــوادث شهر اكتوبر . اما القســـم الثـانى فيقوم فيه الراوية بالحديث عن شهر يونيه . ويهتم الكاتب بتغيير اتجــاه حركة الزمن اكثر من مرة وكأن الزمن هو المنظم لشكل الكتاب .

أما روايته « التبديل » فهى محبوسة ايضا فى اطار منظور الكاتب للزمن والمكان معا . فالاحداث تــدور فى قطار يقطع المسافة بين باريس وروما كل ساعة تطابق منظرا طبيعيــــا مختلفا مع وضعيات جديدة فى عـربة القطار حيث تصعد الاحداث وتهبــط مع مجرى الزمن .. وقد اتضـــح شـغف الكاتب بالعلاقة بين المكــان والزمان ـ وهى العلاقة التى ارقـت كلا من بروست وفوكنر جــويس ـ فى بقية اعمال الكاتب . ففى روايتـــه « درجات » يختار بيتور مدرســـة ثانوية كاطار يتوصل الى ان يطـابق مفهومه لحيز المكان والزمن معــا . وكل ساعة من اســـتخدام الوقت مخصصـة لمادة دراسـية ومشــتركة فى نفس الفصل الدراســى . حيث يمتزج الحاضر بالماضى لدى التلاميذ مما يشكل تداخلا معقــدا فى لعب العلاقات المنعقدة بين الحاضر الماثل امام اعيننا . والماضى الذى انعدم ولكنه لا يزال مجسدا فى الذاكرة .

ويؤمن البـاحث الفرنسى بيير دى بوديفار ان « بيتور ، بين جميـع محترفى الرواية الجديدة هو الاكثـر غنى فى هذه الايام ، وهذا لا يعنى انه الاكثر اكتمالا . فهو صاحب نسـق انشائى خاص ، وثقافة واسـعة ، ومطمـح قليـل الشـمول ، وقد سـعى فى كتاباته الى محاولة استعادة جوهر الحياة والموت الغامض فى اوعيتـه الزجاجيـــة ، واذا كان عنـده من الشجاعة ما يجعله يرضى بحـدوده ، فان مؤلف « عبقرية المكان » يسـتطيع ان يصبح الروائى الكبير الذى رآه فيه سارتر من قبل » .

العالم في سطور



وارســــــو

• عمر الشريف العرب خــذلوني

رغم أن عمر الشريف قد قام بدور قصير فى فيلم « الممسوسون » للمخرج البولندى اندريه فايدا · فان الصحافة العالمية قد خصصت العديد من الصفحات للحديث عن هذا الدور الصغير الكبير·· الذى أثبت فيه عمر الشريف أنه ممثل من الطراز الاول ·· وذلك عكس ما قال بعض المخرجين أنه محدود الموهبة ··

« الممســوسون » هى احدى اشــهر روايات دوستوفيسكى · وتدور أحداثها في عام ١٨٧٠ من خلال مجموعة من الشباب المعدمين الذين يعودون الى روسيا بعد اقامة طويلة في سويسرا ، ويحلمون بتحطيم أشكال عديدة من المجتمع التقليدى وقد كان لهذه الرواية سحر خاص لدى الكتاب والمخرجين · فقام البير كامى بصياغتها للمسرح · ويقــول عنها أندريه فايدا انه حـلم باخراجها عندما قرأها لاول مرة منذ خمسة واربعين عاماً ·

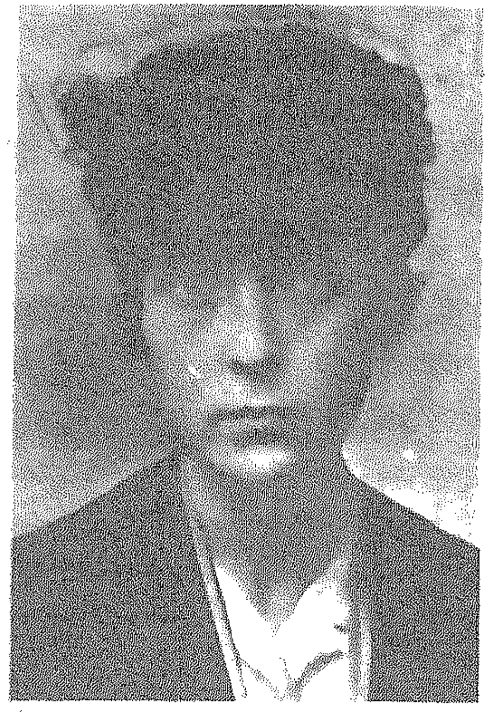
والجدير بالذكر أن حسـام الدين مصطفى قد أخرج هذه الرواية عـام ١٩٧٧ تحت عنوان « الشياطين » ·

يقول عمر الشريف ان فايدا أراد أن يغوص داخل النص الادبى · فكان يحضر مجموعة من النسخ ليوزعها على العاملين بالفيلم ليطالعوها · لانهـا افضل بكثير من الســيناريو المكتوب للفيلم ·

من المعروف أن معهد العالم العربى بباريس قد قام بتكريم عمر الشريف فى الشهر الماضي وعرض له مجموعة من افلامه العربية والاجنبية · وقد أجـرت معه مجلة « اليوم السابع » حديثا اكـد فيه انه لم يذهب قط الى اسرائيل · رغم الضائقات المالية التى كان يمر بها ابان الضـغوط التى دفعته للتمثيل فى فيلم «أشانتى»· وهاجم عمر الشريف المنتجين العرب الذين استعانوا بأنتونى كوين للعمل فى فيلمى « الرسالة » و « عمر المختار » دون أن يفكروا قط فى التعاون معه رغم كل ما كان يتعـرض لـه من أزمات مادية · وضغوط صهيونية ·

ولنجتــــــون

● أدب المنمنمات الصغيرة



كاترين مانسفيلد

تحتفل نيوز لندا هذه الايام بالذكرى المئوية لميلاد كاترين مانســفيلد أبرز كاتبات القصـــة القصيرة فى القرن العشرين على الاطلاق · وبهذه المناسبة صدرت مجموعة من الدراسات حـــول حياة الكاتبة وأدبها فى كل من ايطاليا وفرنسا ونيوزلندا ·

وكاترين التى ولـــدت فى مدينـــة ولنجتون فى الرابع عشر من اكتوبر عام ١٨٨٨ · لم تعش طويلا رغم عطائها المميز · فقد ماتت باحدى مصـــحات الصدر الفرنسية وهى لم تتعد الخامسة والثلاثين · سكبت تجربتها الاليمة مع مرض الســـل فى العديد من رواياتها وقصصها القصيرة مثل كتابها «بنسيون المانى» · وهو عبارة عن مصحة تضم نماذج بشرية مختلفة أصابها المرض وهو قريب من قرية ألمانية معزولة عن العالم · وقد حبس كل من نزلائه نفسه فى «معزل» نفسى خاص به لا يتصل بالاخرين الا فى أضيق الحدود · وقـد ابتكرت الكاتبة فى هذه الرواية شـكلا جديدا لم يلبث أن أصبح موضة لكتاب اخـــرين من أبرزهم جـون شتاينبك · ويتمثل هذا الشكل فى أن القارىء يمكنه قراءة الرواية على أنها مجموعة قصص قصـــيرة منفصلة تضمها فقط وحـدة المكان ·· أو وحدة الشخوص ·

وكاترين ما نسفيلد ـ كما قال أحد النقاد ـ هى من الادباء الذين يهتمون بالدقائق الصغيرة فى حياة أبطالهم · مثل المرأة التى تعكف طيلة وقتها على رتق بزة زوجها قبل ان يذهبا معـا الى احدى السهرات العائلية · وقد سـجلت مثل هذه الدقائق فى اعمالها القليلةالتى نشرت ابان حياتها ومنها «أنا لا اتكلم الفرنســـية» · و «بنات الكولونيـل السابق» و «حديقة الحفل» ··

الجدير بالذكر أن الكثير من أدباء عصرها قد تأثروا جدا بأدبها وحاولوا السير على هواها · ومن أبرزهم : د · هـ · لورانس · وفرجينيا وولف ··

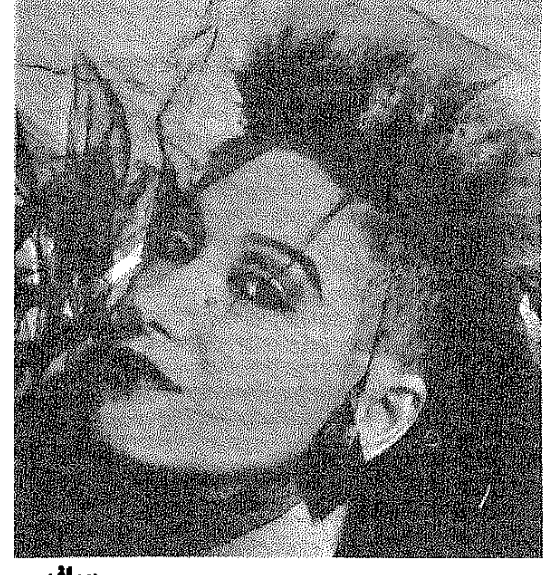
مــــراكـــــش

سافو : من الروك ·· الى أم كلثوم

سافو ـ ى ـحدث مطربة عربية تغنى فوق خشبة مسرح الاوليمبيا بباريس · نفس المسرح الذى غنت فيه مطـربة الشرق أم كلثوم منذ عشرين عاما ·

وبهـــذه المناسبة أجرت مجـلة لونوفيل أوبسرفاتور حوارا طويلا مع المطربة العربية قالت فيه : «ولدت فى المغرب · وهناك ســـمعت الموسيقى



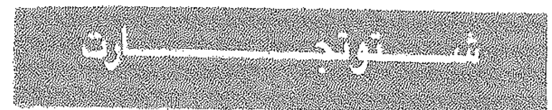

سافو

المصرية · وهى التى تسيطر على الثقافة الاسلامية ·· سمعت فيروز · وفريد الاطرش · وبالطبع أم كلثوم · وهى كبيرة مطربات العالم العربى » وتقول سافو أن أم كلثوم كانت ظاهرة فنية عربية لم تحدث من قبل وانها قد حاولت السباحة فى صوتها بكل ما تمتلك من مقدرة ··

وتقول سافو ان الغناء العربى يحتاج دائما الى صوت واضح · ولذا فانها تركت موسيقى الجاز والروك وراحت تحفظ مجموعة معينة من الاغنيات العربية وتشدو بها ·· وقد دفعها الى ذلك عندما سمعت أحد المطربين العرب المهاجرين الى امريكا اللاتينية يقوم بشدو اغنية « موعود » لعبد الحليم حافظ فى احدى الحفلات ففكرت انها يمكن ان تفعل ذلك فراحت تحفظ اغنيات أم كلثوم خاصة : « الاطلال » وسافرت الى بلدان عديدة تغنى بالعربية تارة والفرنسية تارة ·· فغنت على مسارح الولايات المتحدة واليابان وشمال افريقيا وبعض دول اسكندنافيا · كما قامت بجولة فى بعض البلاد العربية ·

وتتحدث سافو عن اسلوب عملها قائلة : « احفظ الاغنية بعد سماعها عشرات المرات سواء فى منزلى أو سيارتى · ورغم صعوبة الحفظ · فان الموسيقى العربية سهلة وحساسة لذا فالاحساس بها قريب دائما » ·

ترى سافو ان المشكلة التى تقابلها لدى الجمهور العربى · انه يقارن بين ادائها واداء الفنانين العظماء التى تغنى لهم ومن الصعب عليه أن يقتنع بها ·· لان هناك « بحة » غير عربية بادية فى صوتها نتيجة لاقامتها الطويلة خارج المغرب ·



اوبرا اخناتون ·· الفرعون الملعون

لعلها المرة الاولى التى تعرض فيها اوبرا لتاريخ احد الفراعين كما هو مكتوب على ما تبقى من آثار مصر القديمة ، وليس كما فى التخيلات والانفعالات التى تكتفى برغوة هذا التاريخ المجيد ·

فموضوع هذه الاوبرا الاولى من نوعها ، انما يدور حول اخناتون ، هذا الفرعون الذى اراد ان يتحول بالمصريين من عبدة أوثان الى موحدين باله مجرد « آتون » فاذا بثورته هذه لا تمكث على الارض سوى سبعة عشر عاما بدءا من ١٣٧٥ الى ١٣٥٨ قبل الميلاد ·

واذا بنهاية حزينة لها ، ولكل ما اتت به من جديد سواء فى السياسة أو الدين أو اللغة أو الفن ·



واذا بقــوى الردة تعود أقوى ، موغلة فى التمسك بالقديم ، مسرفة فى مقت الجديد ، حتى وصل الامر بكهنة امون الى خلع لقب « مجرم اخيتاتون » على « اخناتون » ٠

ومن عجب ان الموسيقار الامريكى الموهــوب « فيليب جلاس » قد اتم ابداعه لهذه الاوبرا فى يولية لعــام ١٩٨٣ ٠

وان أول عرض عالمى لها كان فى الرابع والعشرين من مارس لعــام ١٩٨٤ بمــدينة شــتوتجارت بالمانيا الاتحادية ، أى فى نفس الوقت الذى كان شادى عبد السلام يصارع الموت وقوى الظلام ابتغاء الخروج باطياف مشروع فيلمه « اخناتون » الى النور٠

و « باخناتون » الموسيقار « جلاس » تكتمل ثلاثيته «اينشتاين على الشاطىء» و « ساتيا جراها » عن غاندى ٠

فرجل الدين « اخنـاتون » ورجل السياســة « غاندى » ورجل العــلم « اينشتاين » ، كل واحد منهم فى رأى « جلاس » قد ادخل على أفكار واحداث زمنية تغييرات ثورية ، وذلك بفضل رؤية تتفجر حيوية واندفاعا نحو المزيد من الفهم والعلم ٠

وأول فصول الاوبرا الثلاثة ، يبـدأ بموت امنحوتب الثالث (روح آمون)

وفيه يقدم « جلاس » احدى الصور الرئيســية المتكررة فى الاوبرا ٠٠ الطقس الجنائزى المصرى ٠

ومن خلال وجودها المتكرر ، تصبح الجنازة هى الصــورة التى بفضلها تتوحد الاوبرا ٠٠ الصورة التى تذكرنا بان الموت هو القاسم المشترك بيننا ، وان الافكار وحدها هى الانجــازات التى لها صفة الدوام ٠

وينتهى الفصل باخنــاتون الذى توج فرعونا ، وهو يراقب جنازة والده تعبر الى أرض الموتى ٠

وهكذا ينتهى عصر « آمون » ويبدأ زمن « اخناتون » (روح آتون) ٠

ويصف الفصــل الثانى كيف قاد فرعون الثورة ضــد كهنة آمون ٠٠ كيف تخلــص من تعدد الزوجــات والمحظيــات مكتفيا بشريكة حيــاته الســاحرة الجمال « نفرتيتى » ٠٠ كيف انشأ « اخيتاتون » مدينة افق آتون تمجيدا لالهه الجديد ٠

أما الفصل الثالث والخاتمة الملحقة به فيعرضــان لسقوط « اخناتون » وعودة العهد القديم ٠٠

يحتل اسم نيكارجوا الآن مكانا بارزا وثابتا في كل وسائل الاعلام العالمية ، في شتى الوانها ، صحافة وسينما وإذاعة مسموعة ومرئية ، ويعود ذلك إلى أنها تمثل إحدى المناطق المتفجرة في المنظور العالمي . وهي تواجه في صدق وعزم عدوان الولايات المتحدة على سيادتها ، رغم أن تعدادها دون المليونين من السكان ، والنظام الذى يقود حركة التحرر هناك يصف نفسه بأنه « ساندينيستا » نسبة إلى الجنرال قيصر اوجستو ساندينو ، الأب الروحي للحركة التي وضعت حدا لطاغية من أعتى الطغاة الذين عرفهم هذا الركن من العالم ، أعني نيكارجوا من أمريكا الوسطى .

ساندينو أو المسيح مصلوبًا !

بقلم : د . الطاهر أحمد مكى

وقيصر ساندينو مجهول لنا تماما رغم أنه بما انجز وحقق وأثار يستحق أن نعرفه كرمز لأولئك الذين ناضلوا من أجل أوطانهم لتحريرها سياسيا واجتماعيا واقتصاديا ، والحركة الحالية التى ترتبط باسمه وتسير على هدىَ مبادئه ، تدرك واعية وحدة النضال ضد الاستعمار العالمى ومن هذا المنطلق تعير اهتماما ملحوظا لحركة التحرير الفلسطينية بوصفها حركة تجاهد من أجل استقلال وطنها وحريته .

مع القائد الأسطورة فى آخر لحظات حياته ، ومنها إلى البداية .

مساء ٢١ فبراير ١٩٣٤ .

الجو فى مناجوا عاصمة نيكارجوا حار وخانق ، ومشبع برطوبة تجعل الاحساس بهما قويا ، والذباب يلاحق الناس حتى ليلا فى إلحاح مزعج ، ويلذع أجسامهم فى قسوة ورياح خفيفة حارة تلفح الوجوه بشدة ، ومثلها معهود فى العاصمة ومألوف للسكان .

والطريق مظلم ، يلفه صمت ثقيل وفجأة تبرز سيارة تتجه فى بطء نحو معسكر « مارتى » تحمل جماعة عائدين من رياسة الجمهورية بعد ان تناولوا طعام الغداء مع رئيس الجمهورية خوان بوتيستا سكاسا .

وصاح ضابط :

- قف .. قف !

وأشهر عدد من الجنود أسلحتهم وتهيأوا لاطلاق الرصاص .



صورة لساندينو التقطت عام ١٩٢٩

وهبط من السيارة الجنرال قيصر ساندينو ووراءه نائباه الجنرال إسترادا والجنرال أومانثور .

وأمر الضابط أن يهبط أيضا الوزير سوفينياس سالفتييرا وجريجوريو ساندينو والدقيصر .

وسيق الجنرالات الثلاثة إلى أرض مهجورة تقع فى ضواحى المدينة ، وعلى ضوء مصابيح السيارة نفذ الضابط أوامر رئيسه الجنرال اناستاسيو سوموثاغرسية : أطلق النار على قيصر ساندينو ونائبيه ، نيران مدفعه أولا ، ورصاص مسدسه فيما بعد .

وسقط الثلاثة جثثا فى حفرة .

كانت الليلة حارة وخانقة ورطبة كما هى العادة فى ليالى فبراير فى مناجوا العاصمة .

ولكن أحدا لم ير شيئا ! .

أما الأب جريجوريو ساندينو فقد كان فى سجن المعسكر ، وسمع طلقات الرصاص ، وقال للوزير سلفا تييرا : إنهم يقتلونه ، ومن يقتل مخلصا يمت مصلوبا !

فى اليوم التالى سقطت وحدات من الحرس الوطنى فجاءة على معسكرات التعاونيات الزراعية فى محافظة نهر كوكو ، وذبحوا أكثر من ثلاث مئة فلاح !

● عميل وفى !

كان الجنرال اناستاسيو سوموثا

ساندينو أو المسيح مصلوبا !

قائدا للحرس الوطني ، وصهرا لرئيس الجمهورية ، وكان قد امضى فى فيلادلفيا من الولايات المتحدة سبع سنوات يدرس التجارة والآلة الكاتبة ، وتعلم كيف يتحدث الانجليزية فى لهجة سائقى سيارات الأجرة هناك ، وهو مستوى كان مسليا للسفير الأمريكي فى مانجوا ، وكان يدعى مستر حنا ، ورأت زوجة السفير ، ولم تكن بالغة الشيخوخة كزوجها ، فى هذا الأمريكي الجنوبى الأسمر ، شابا وقويا ، تسلية دافئة من نوع آخر ، تعوضها عن برودة زوجها وعجزه ، وهكذا ربح سوموثا السفير وزوجه معا ، واصبح دائم التردد على السفارة ، وحين جلا مشاة البحرية عن نيكارجوا خلال الحرب الدستورية عام ١٩٣٢ عينه قائدا على معسكر سان ماركوس ، وهى مسقط رأسه ، ولكن قوى الشعب كله ، بما فيهم المحافظون رفضته ، غير أن ذلك لم يغير من الواقع شيئا ، وسوف يكون التعيين الخطوة الأولى فى طريقه نحو رئاسة الجمهورية .

إن اسمى ساندينو وسوموثا يحددان الواقع السياسى والاقتصادى والاجتماعى والعسكرى لنيكارجوا فى القرن العشرين .

فاولهما يمثل مصالح وطنه وشعبه فى التحرر والاشتراكية ، وثانيهما كان عميلا وفيا لمصالح الولايات المتحدة مهما تبلغ ضراوتها .

فى ٢١ فبراير قررت الولايات المتحدة وسوموثا ان ساندينو يجب ان يموت ، وفى ليلة هذا اليوم دون تاخير ، وزاد سوموثا : وسوف نقتل معه كل العصابة التى تسير وراءه .

كلا الرجلين ساندينو وسوموثا كان ينتمى الى الماسونية ، ولهذا السبب وحده لم يحضر سوموثا اغتيال خصمه كما هى عادة الطغاة فى امريكا اللاتينية ، وعهد بالمهمة إلى من يثق فيه من ضباطه .

وكلاهما من المركز نفسه ، غير ان ساندينو امضى حياة صعبة وقاسية وثائرة ، على حين سلك سوموثا طريق الخيانة والانتهازية ، وتسليم وطنه لأعدائه .

● حياة القسوة والمرارة !

منذ اللحظة الأولى ، وحتى قبل أن يجىء إلى الدنيا ، اتسمت حياة ساندينو بالقسوة والمرارة ، فقد كانت أمه فلاحة ، تعمل فى مزرعة جريجوريو ساندينو ، وحملت منه سفاحا ، وعادى وشائع فى امريكا اللاتينية أن يستبيح الغزاة البيض الأوربيون الهنديات ، وكلهن فقيرات ، دون أن يروا ذلك شيئا معيبا ، ودون أن يعترفوا بثمرات هذه العلاقة ، إلا فيما ندر .

ومن المؤكد أن جريجوريو قبل أن يعترف بأبوته ، ولكنه نفى الأم وابنها بعيدا عن مزرعته ، وكان على الصبى ولما يزل غضا طريا أن يربح لقمة العيش بنفسه من غرس البن وحصاده .

وطبقا للنظام الاقطاعى الذى كان سائدا فى أمريكا الوسطى وبعض دول امريكا اللاتينية الأخرى ، إلى مطلع هذا

القرن ، وحتى يومنا فى بعض مناطقها ، كان الفلاحون يستطيعون أن يحصلوا على جانب من أجورهم مقدما من أصحاب الأراضى خصما من عملهم فى المستقبل فإذا عجزوا عن تسديدها أودعوا فى السجون . ولم يقم جريجوريو باى استثناء لأم ابنه عندما عجزت عن دفع ما اقترضته مالا أو عملا ، وابلغ عنها الشرطة ، فاعتقلتها ووضعتها فى السجن وصحبت ابنها معها الى زنزانتها . وفى السجن شهد الصبى اقسى المناظر هولا فى حياته : رأى أمه تحمل سفاحا للمرة الثانية ، وفى هذه المرة غصبا من جندى ، ثم تعرضت لاجهاض بدائى ، ولم يكن الابن قد أكمل عامه التاسع عندما رآها غارقة فى الدم لاتجد من يعنى بها ، وهى ذكرى ظلت تجلد مشاعره طوال حياته ، ولم تستطع الأحداث ولا الزمن أن يمحوها من ذاكرته أبدا .

ثم التقطه أبوه .

وبتنازل منه ، ومتكرما عليه ، قبله فى العزبة ، بشرط لاتسامح فيه : أن يعمل من طلوع الشمس إلى غروبها ، وأن يبيت مع بقية العمال الأجراء ، وسمح له أن يتناول طعامه فى مطبخ القصر مما يزيد على الحاجة ، وأن يرتدى بقايا ملابس أخيه سقراط ، وماكره هذا منها ، وهو أخ سوف يلتحق فيما بعد بصفوف حركة أخيه الثائرة .

وفى صمت ومنطويا على نفسه ، ضاعف الفتى من جهده وأخذ يعمل أكثر من الآخرين ، وربح شيئا من ثقة والده ، فأذن له بأن يدرس التجارة وبدأ يحلم بأن يترك البلدة ، وأن يستقل عن هذه الوصاية الأبوية وأراد أن يكون محاسبا ، ليربح قليلا من المال ، يعينه على رؤية العالم ، وعندما أكمل عشرين عاما ترك الضيعة ، وعمل مساعد ميكانيكى فى شركة عقارية .

ولم يجد فى الشركة مستقبله فعاد إلى قريته من جديد ، وأحب ابنة خالته ، وبدأ يتابع دراساته التجارية ثانية ، ويعيش حياة شاحبة يحاول معها أن يحقق أفضل مايستطيع . والمعلومات عنه فى هذه الفترة من حياته قليلة للغاية ، وأهمها وثيقة نادرة تصور عالمه فى تلك الأيام ، وتلقى شيئا من الضوء على طموحاته وأحلامه ، وكان يبلغ من العمر خمسة وعشرين وهى رسالة كتبها إلى حبيبته ، وجاءت مليئة بالأخطاء الاملائية والنحوية والصرفية :

"آنسة مارية" :

ساندينو لن ينساك أبدا ، لأنك لابد تعرفين فيما أعتقد أننى سأرحل الى المكان الذى أنا فيه الآن ، ورغبة منى فى الا أضيع وقتا ياحبيبتى اهتممت برسالتك كثيرا ، حتى انى كنت مستعدا لأن أصل اليك وأتحدث معك شخصيا وأن أشرح لك سبب سفرى لكى تسامحينى ، وتعطينى الحق ، ولكننى أشعر اليوم بأننى مختلف وطبقا لما قاله فرناندوا فإنك لم تستطيعى فهم الرسالة ، واذا حاولت فسيكون ذلك افضل لأن قلبى سوف يطمئن قليلا" ...

وفيما بعد قص لها المعاناة التى تحملها لكى يستطيع أن يراها : « ... وأخيرا اقتربت من سور بيتك ، وقفزت من فوق الأسلاك ولم افكر الا فى اللحظة التى سوف أعوض فيها كل تضحياتى ولمحت بيتك مظلما ، واقتربت مسرعا وطرقت الباب خفيفا ، ثم أشد وشعرت بالحزن ولم أكن سعيدا واعتبرت نفسى تعيسا ، وشعرت بغصة فى حلقى عندما فكرت أنهم

ساندينو أو المسيح مصلوبا !

اغلقوا الأبواب حيث سيدة قلبى .. تقبلى إخلاص قلبى .

"ق . أ . س ."

وفى عام ١٩٢٠ ، ولأسباب نجهلها ، وربما تتصل بالشرف أو العمل قتل ساندينو شخصا فى الميدان العام إلى جوار الكنيسة ، ولم يكن أمامه إلا أن يهرب فلجأ إلى هندوراس وبعد أيام قليلة عمل حارسا فى مخزن تملكه شركة أمريكية احتكارية ويبدو أنه لم يكن ضائقا بهذا العمل فهو يكتب لوالده :

« هذا المكان جميل فى مناظره والناس يربحون كثيرا ، ولكن ما لا تذهب به الحسرات سوف تذهب به الدموع . اسمعنى : الحياة فى هذه الأمكنة بوهيمية تماما ، وجوها بؤرة حقيقية للأمراض والعدوى ، ولهذا فإن الكثيرين لايدخرون شيئا بسبب الأمراض العديدة والدائمة ، أو لأنهم لايعرفون كيف يسيطرون على شهواتهم الجامحة ، وقد استطعت فى الشهور الأخيرة أن أوفر بعض المال لسد بعض متطلباتى وطموحى فى أن أذهب إلى بلاد أخرى أكثر تحضرا ، إذا لم يستطع المرء فيها أن يوفر بعض المال فعلى الأقل يمكنه رؤية حضارة أسطع نورا ، وأوضح أفقا وأشد اتساعا ، وفيها يمكن أن أحقق شيئا .

التحية إلى أخوتى وزوجة أبى وتقبل منى سلاما حارا ، من الذى لايتعب ولكنه يعيش تعيسا »

اوجوستو

● اتجاه للعمل النقابى

لم يكن ساندينو وهو فى الخامسة والعشرين من عمره يخطط لأية غاية سياسية ولم تكن خططه فى الحياة تتجاوز طموحات برجوازى صغير ، ويبدو ذلك واضحا من رسالة بعث بها الى حبيبته فهو يحن اليها ولكنه لا يستطيع العودة ولايشى بأنه راغب فيها :

« أمضيت عاما بعيدا عنك ياحياتى ولكن هذا العام من البعد القاسى ، ولا عشرون عاما أزيد منه ، لاتكفى لكى يبهت الحب الثابت فى أعماقى والذى أكنه لك ، وكان العام كله وخز ضمير بالنسبة لى ، وجاء حافلا بمغامرات لاتحصى ، ولا تستطيعين أنت ، ولا الذى لم يغامر يوما أن يفهم قسوة المغامرة . لاتأخذى الجانب السيىء من كلمة مغامرة ، وهو مايستطيع أن يكونه أى رجل تضطره الظروف »

غير أن هذه الرسالة تعكس شيئا آخر ، فقد تحسن خطه وقلت أخطاؤه اللغوية ولكنه لايزال ، ظاهرا على الأقل ، يواصل طريقته فى عدم الاهتمام بشئون وطنه .

ربما انتبه قليلا إلى السياسة وهو يعمل فى جنى الموز فى جواتيمالا فى ظروف بالغة السوء بالنسبة له ، وللآلاف العمال

ومع ذلك فكل ماكان يفتش عنه حين وصل المكسيك عام١٩٢٣ أن يحسن مستوى معيشته وأن يعرف بلادا أخرى « أكثر تحضرا » .

وبعد ذلك بعامين وهو على أبواب الثلاثين من عمره ، بدأ يهتم بكل مايجرى فى أمريكا اللاتينية ، وخلال عمله رئيسا لقسم بيع البنزين فى شركة بترول مد جسور الصداقة إلى بعض النقابيين الفوضويين ، فأخذوا يدفعونه إلى قراءة

الصحف والكتب ، ولكنه تأثر على نحو اكبر وأعمق بالثورة المكسيكية ، وهى أول ثورة ذات طابع اجتماعى واقتصادى فى أمريكا اللاتينية وسبقت الثورة الشيوعية بسبع سنوات ، فقد تفجرت عام ١٩١٠ ، وقامت على كاهل الفلاحين ولصالحهم ، واخذت طابعا زراعيا وريفيا ، ومناهضا للاستعمار والاستغلال بكل أشكالهما .

ومنذ هذه اللحظة وحتى اغتياله سوف يكون ساندينو قائدا مناهضا للامبريالية ، ومدافعا صلبا عن الطبقات المطحونة فى المجتمع ، ولم تعد الولايات المتحدة بالنسبة له البلد الأكثر تحضرا وإنما المستغل الدائم لشعوب امريكا اللاتينية ، والناهب السارق لخيرها وثرواتها وسواعد ابنائها .

فى عام ١٩١٢ هبط مشاة البحرية الأمريكية نيكارجوا ليدعموا النظام الرجعى القائم فيها ، وظلوا هناك حتى عام ١٩٢٥ ، ولكنهم ما إن انسحبوا حتى ثار الليبراليون ضد النظام الرجعى المحافظ ، فعاد جنود الولايات المتحدة على عجل ليكونوا فى حراسته ، واحتلوا المدن الكبرى والهامة من جديد عام ١٩٢٦ ، حيث رءوس الأموال الأمريكية الضخمة ، واعتبروا هذه الأمكنة مناطق محايدة ، لاتخضع لأى من الفريقين .

● مناهضة الغزاة

وفى هذه اللحظة قرر ساندينو أن يعود إلى وطنه ، وأن يحمل السلاح ضد الغزاة ، وأكد عزمه وأثار مشاعره ماسمعه من إهانات حيث يقيم ، قال له زميل مكسيكى يعمل معه :

ـ ماذا تستطيع أن تصنع إذا عدت ، إن سكان نيكارجوا ليسوا إلا مجموعة من الخونة باعت وطنها !

وفى ١ يونية ١٩٢٦ عاد إلى وطنه بالقليل الذى ادخره واتجه الى قريته راسا ، واصبح واقعا شيئا مختلفا تماما عن الفتى الحالم الذى فارقها قبل ذلك بأعوام طويلة ، فلم يعد يحلم بأن يكون موظفا تجاريا كفئا وفعالا ، أو أن يدخر شيئا من المال ليتزوج ، وإنما يريد فقط أن يكون جيشا يطرد به الامريكيين الغزاة .

بالمال القليل الذى عاد به من المكسيك أشترى بعض السلاح من مهربيه فى هندوراس ، وشكل جماعة من تسعة وعشرين رجلا قرروا أن يموتوا دفاعا عن نيكارجوا . وقرر بدءا أن يقاتل إلى جانب الليبراليين ولكن رئيسهم الجنرال مونكادا رفض أن يمده بالسلاح ، أو أية وسيلة دعم أخرى ، وحينئذ قرر أن يرحل إلى « بورتو كابيثاس » ليتحدث إلى خوان خوسيه سكاسا زعيم الحكومة الليبرالية وكان يواجه المحافظين ومن أجل هؤلاء هبط مشاة البحرية نيكارجوا لعزل سكاسا ودعم خصومه المحافظين .

كان أول مافعله جنود البحرية حين اقتحموا مدينة « بورتو كابيثاس » أن جردوا سكاسا ورجاله من سلاحهم ، وأخرجوهم من المدينة وألقوا بسلاحهم المصادر فى البحر وانتهز ساندينو الفرصة ، وبمساعدة جنوده الفلاحين القليلين ، وبمعاونة بعض « المومسات » استطاع أن يسترد خمسين مسدسا ، واعتبر هذا سلاحا كافيا ، وسمى جنده : « جيش الدفاع عن سيادة نيكارجوا الوطنية »

وقرر أن يبدأ الكفاح .

ساندينو أو المسيح مصلوبا !

وفى ٢٦ يونية ١٩٢٧ هاجم مدينة أوكوتال فى محافظة شقوبية الجديدة وكانت فى حوزة مشاة البحرية الأمريكية ، واستمرت المعركة من الفجر حتى الأصيل وعرف العالم بأسره أن حرب التحرير بدأت فعلا فى نيكارجوا .

وفى أول يوليه أصدر ساندينو بيانه الأول :

إن الرجل المؤمن بوطنه ، ولايطلب غير اشبار يدفن فيها ، يستحق أن يسمع وان يوثق فيه .

« أنا مواطن من نيكارجوا ، وأشعر بالزهو لأنى كذلك وفى عروقى يتدفق دم هندى امريكى أكثر من أى شىء آخر ، ومنه ورثت سر أن أكون وطنيا مخلصا ووفيا ، وارتباطى بوطنى يعطينى الحق فى أن أسهم فى قضايا نيكارجوا ، وقضايا أمريكا الوسطى ، وكل القارة التى تتحدث لغتنا دون أن أعطى أية أهمية للمتشائمين والجبناء والذين أعطونى الفرصة لألقبهم بشىء من صفاتهم وأدعوهم خصيانا وهو الاسم المناسب لهم » .

« أنا عامل من المدينة أو حرفى كما يقال فى هذا البلد ، ومثلى الأعلى يتحرك فى أفق واسع لأصبح دوليا ، ويصفتى حرا أطالب بالعدالة ولو كان الوصول إلى هذه الحالة من الكمال يتطلب أن أريق دمى ودماء الآخرين . أنا من الغوغاء كما تقول الأقلية الحاكمة المسيطرة ، أو أوز المستنقع كما ندعوهم ، وليس ذلك مهما ، فأعظم شرف لى أن أحس بنبض قلوب المضطهدين والمستغلين وهم روح جنسنا وعصبه ، ولقد تعرضنا للاستغلال بلا هوادة وعشنا تحت رحمة القتلة المستأجرين الذين يرتكبون جرائم الخيانة العظمى ، هؤلاء المحافظون الذين جرحوا قلب الوطن ، ويلاحقوننا بعنف ، كما لو لم نكن أبناء الوطن نفسه » .

جاء البيان قويا شديدا عفويا ، ولكنه سليم من الأخطاء وكل كلمة فيه مطرقة تقرع رأس الولايات المتحدة والقلة المحافظة .

كانت حركة ساندينو وطنية ترفع راية تحرير نيكارجوا وكل من امريكا اللاتينية من هيمنة إمبريالية الولايات المتحدة وذات مضمون اجتماعى واضح يهدف إلى تحرير بؤساء العمال والفلاحين وفقراء الهنود من الامتهان الذى يتعرضون له كل يوم فى إنسانيتهم وشرفهم وعرقهم واعراضهم ولكنه لم يشأ أبدا أن يحول هذه الأغراض السامية إلى مجرد احقاد صغيرة غايتها الانتقام الشخصى .

قبل أيام من أول هجوم أكمل ساندينو الثامنة والثلاثين من عمره فقرر أن يتزوج ، واختار فتاة مناضلة فى التاسعة عشرة من عمرها تعمل موظفة فى مكتب تلغراف القرية ، وتلتقى أفكارها مع أفكاره وفى بيتهم أقام مع أركان حربه أياما ، وبزواجه نسى تلك الأيام الحزينة التى أمضاها طفلا وصبيا وشابا وحب مارية ، وأحلامه فى الثراء ، وآماله فى بيت برجوازى صغير وبعد يومين من زواجه بها فارقها ، والتحق بالجبل وبقيت بعيدة عنه خمسة أعوام كاملة ، ثم استطاعت أخيرا أن تدخل الجبل وأن تلحق به .

فى مكان لايمكن الوصول إليه من قمة جبل أقام ساندينو قيادته العامة ومعسكر جيشه ، ومساكن الجنود والضباط ومخازن الطعام والسلاح ، واسطبلات الخيل والبغال ، وحظائر البقر والغنم وورش السلاح ومحلات الخياطة وصنع الأحذية ولم تكن قمة هذا الجبل تظهر فى أى مصور جغرافى ، وظل مشاة البحرية الأمريكية على امتداد زمن طويل يتصورونه مكانا أسطوريا اخترعه الفلاحون الهنود .

● حرب رائدة

بدأ ساندينو يدرب جنوده على استخدام السلاح وفنون حرب العصابات ، وكيف يتراسلون بإشارات الدخان والمرايا والصفير وتقليد أصوات الطيور . وكانت حرب العصابات هذه رائدة فى أسلوبها الذى استخدمته ، وسارت على منوالها كل حروب العصابات التى جاءت بعدها ، ودرسها الفيتناميون الشماليون جيدا ، وأفادوا منها كثيرا بعد أن طوروها تبعا لمستحدثات السلاح .

كانت حروب ساندينو تعتمد على الهجوم المفاجىء والانسحاب السريع ، وإطلاق الرصاص من فوق رءوس الأشجار وعدم الاستجابة أبدا لقتال دائم وممتد وان يحملوا القتلى معهم دائما ، وانتظار أن يعبر الجيش المعادى نهرا ثم الانقضاض عليه واصطياده . وخلال هجومهم على مشاة البحرية كان هؤلاء يتوقعون أن يمتد القتال ويستمر إطلاق النار ، فإذا برجال ساندينو ينسحبون ويبتعدون وقد دوخت هذه الطريقة الجيش الأمريكى حتى أن الولايات المتحدة صحافة وجيشا وإعلاما أطلقت على نيكارجوا أيام ساندينو اسم : « البلد اللعين » !

وخلال سنوات ست ، أو أزيد قليلا ، أصبح ذلك الرجل المتواضع الذى درس التجارة وعمل ميكانيكيا وبائعا ، وأمضى أعواما يحلم بشىء من المال ليستطيع الزواج ، قائدا للرجال الاحرار ومنحته الجماهير رتبة جنرال ينادونه بها فى وطنه ، وفى كل أمريكا اللاتينية وقرر أن يواصل نضاله حتى يغادر نيكارجُوا المستعمر الأمريكى وظل يردد دائما : **« الزهور لاتصنع الثورة انما يصنعها الرصاص » ! وكان اخلاقيا وملتزما ولم يسمح أبدا أن يسيىء معاملة النساء ، ويقبل فى غير اقتناع أن يسكر رجاله من حين لآخر .**

منذ البدء قال ساندينو أنه سوف يجرد جيشه من السلاح مع آخر جندى من مشاة البحرية يغادر أرض الوطن ، ووفى بعهده ففى أول يناير ١٩٣٣ غادر الجنود الأمريكيون أرض نيكارجوا مكرهين بقوة السلاح ، وانتهى الصراع على السلطة بين المحافظين والأحرار ، وانتصر سكاسا فى الانتخابات الحرة التى جرت فى ٦ نوفمبر بإشراف الولايات المتحدة ، وقبل الانتخابات بيوم واحد قامت وزارة الخارجية الأمريكية بتوقيع اتفاق بين الحزبين يقضى بانشاء الحرس الوطنى وعيّن الجنرال انستاثيو سوموثا قائدا له .

● خيانة وخبث

وفى ٢ فبراير ١٩٣٣ وصل الجنرال ساندينو إلى العاصمة مناجوا فى طائرة ليوقع معاهدة السلام ، وصفقت له الجماهير طويلا ، وبعد ذلك بعشرين يوما جُرّد « جيش المدافعين عن سيادة

ساندينو أو المسيح مصلوبًا !

نيكارجوا الوطنية » من سلاحه وظن ساندينو ، وكان شريفا ومستقيما وصريحا وعاجزا عن الخيانة ، أن الحرب ضد الولايات الأمريكية قد انتهت ، ونسى وهو يوقع المعاهدة فى براءة أنه كان يوقع معها حكما باعدامه .

ذلك أن العقول الخبيثة فى وزارة الخارجية الأمـريكية وجـدت لمشكلة نيكارجوا ، وغيرها فى الحقيقة ، حلاً أفضل بنفقات أرخص ، وحتى دون تكاليف ، أن تسيطر عليها بواسطة عميل ، وكان العميل هو الجنرال سوموثا ، فولته قيادة الحرس الوطنى ، وبه تولى حراسة المصالح الأمريكية .

ورحل ساندينو إلى مدينة ويويلى على ضفاف نهر كوكو ليقيم فيها ، متعبا نعم ، ولكنه سعيد وواثق فى مستقبل وطنه ، ويحلم بإنشاء مزيد من التعـاونيات الزراعية بين الفلاحين ، تنتج أكثر ، وتوزع بالعدل بين الفلاحين ، وسعيد بأن زوجته حامل ، سوف تهبه ولدا ينشأ فى وطن حر ، ولكن القدر نفسه كان يلعب معه لعبة سيئة ، فقد ماتت الزوجة وهى تلد ، وخلفت له طفلة امتدت بها الحياة .

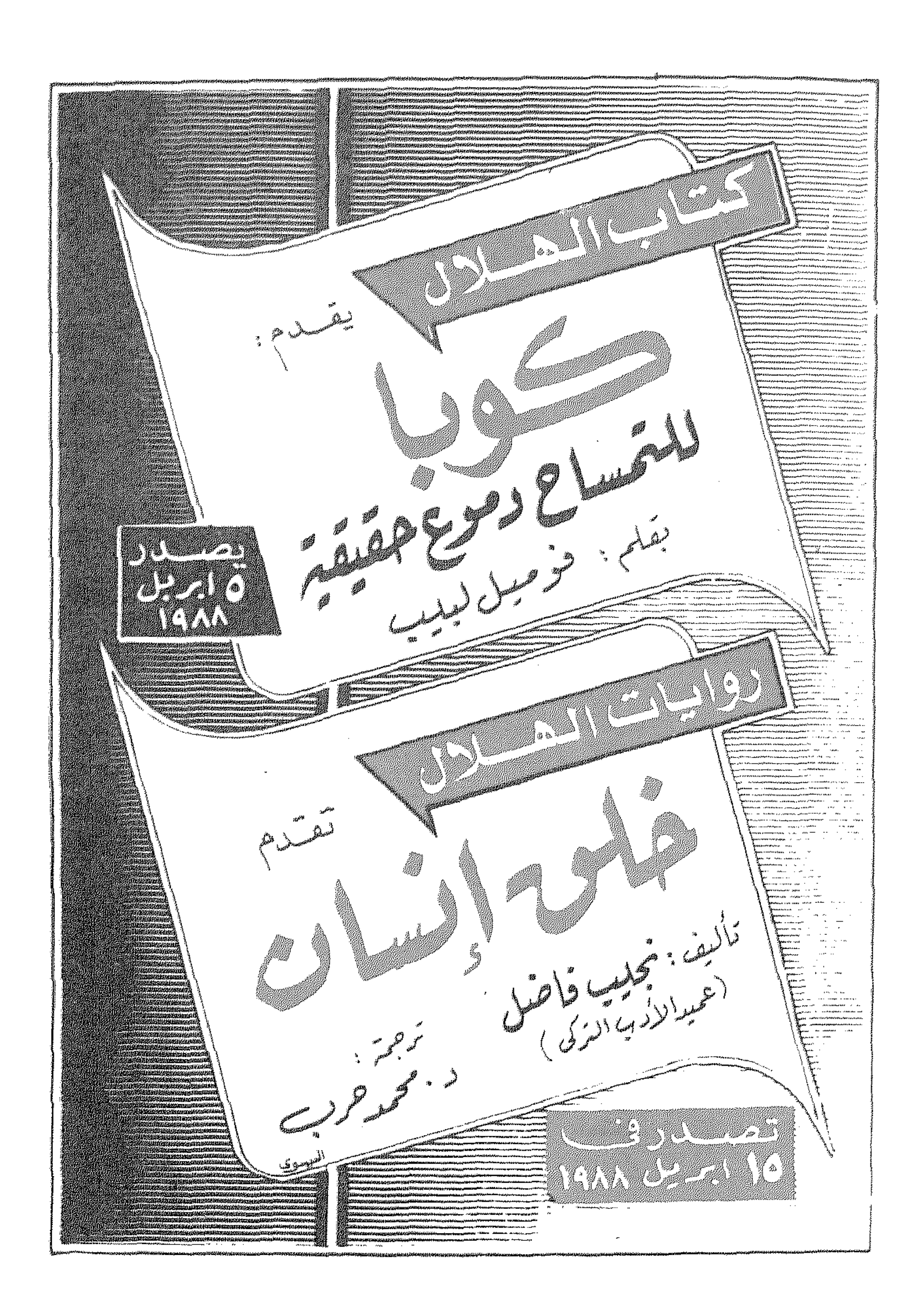
بدأت فرق الحرس الوطنى تهاجم الفلاحين الساندييين وتغتالهم ، واثمرت السياسة الأمريكية بأسرع مما كان متوقعا لها ، وعاد ساندينو الى العاصمة ، وناقش رئيس الجمهورية سكاسا فى المشكلات التى يلاقيها الفلاحون مع الحرس الوطنى ، ولم يصل إلى حل معه ، فأعلن فى ١٧ فبراير أن إنشاء الحرس الوطنى وتكوينه عمل غير دستورى .

وبعد ذلك بيوم اجتمع للمرة الثانية فى قصر الرياسة مع رئيس الجمهورية والجنرال سوموثا ، وابتسم له هذا وهو يرحب به ، وشد على يديه فى حرارة ، فقد كان يعرف أنه خلال أيام ، وربما خلال ساعات ، سوف يموت ، هكذا قررت الولايات المتحدة ، وكان عليه نفسه أن يضطلع بالتنفيذ .

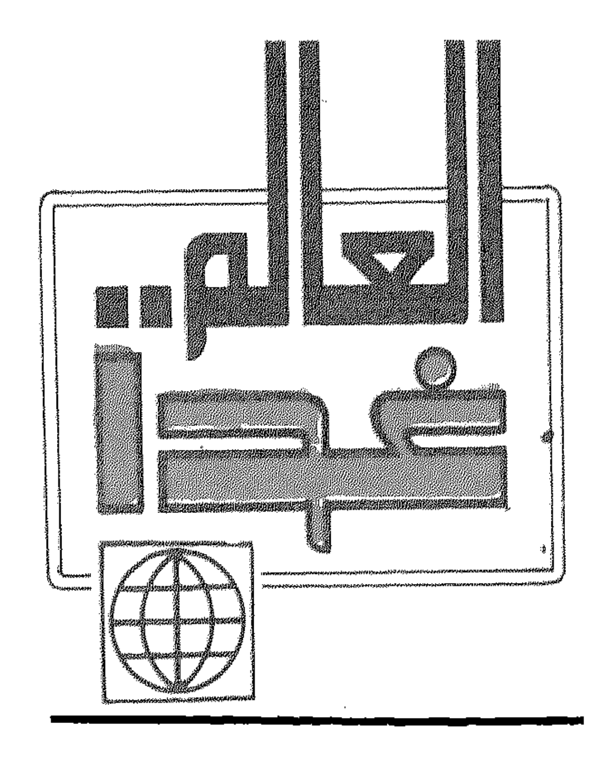
عندما طوقت قوات الحرس الوطنى الجنرال ساندينو بعد أن تناول غداءه مع رئيس الجمهورية والجنرال سوموثا فى ٢١ فبراير واعتقلته ، تطلع حوله فلم يجد أحدا من رجاله أو ممن يعرف ، فقد أعدت الولايات المتحدة كل شىء بإحكام ، وراوده الأمل فى أن يراجع الجنود أنفسهم إذا ما ذهبوا به إلى السجن ، ولكنهم حملوه إلى معسكر قريب حيث أطلقوا عليه الرصاص .

ظل اسم ساندينو ممنوعا ذكره فى نيكارجوا أو تسمية أحد به ، إلى أن اغتال شاب وطنى الجنرال سوموثا نفسه بعد أن أصبح رئيسا للجمهورية رميا بالرصاص فى عام ١٩٥٦ ، وفيما بعد استطاعت القوات الساندينية التى تكونت خفية فى الجبال أن تهزم ابنه الطاغية الذى ورث الحكم بعد أبيه .

وفى هذه المرة استفادت من كل المحن السابقة ، ولم يعد سهلا على الولايات المتحدة أن تلتهمها بالسلاح ، أو الغدر ، أو العملاء ، واختارت الحركة أن تحمل اسم "ساندينيستا" نسبة إلى الجنرال قيصر اوجستو ساندينو ، الزعيم الأول لحركة تحرير امريكا اللاتينية فى القرن العشرين !



كتاب الهلال
يقدم :
كوبا
للتمساح دموع حقيقية
بقلم : فوميل لبيب
يصدر
٥ ابريل
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم
خلق إنسان
تأليف : نجيب فاضل
(عميد الأدب التركي)
ترجمة :
د. محمد حرب
تصدر في
١٥ ابريل ١٩٨٨



● حجارة المستقبل العربى

بينما تتواصل فصول انتفاضة الحجارة فى الاراضى العربية المحتلة شهدت القاهرة مؤتمرين عربيين هامين ، أولهما حول « تطوير القوى البشرية العربية فى مواجهة تحديات العصر » والثانى حول « الحاسبات الصغيرة حاضرا ومستقبلا فى الوطن العربى » ٠

ولعل أهم ما ميز المؤتمرين السابقين اعتمادهما كليا على المختصين والمهنيين العرب ، بمبادرة مؤسسة الخبراء العرب فى الهندسة والادارة » التى تبنت الدعوة لعقدهما ٠٠ وهنا الرابطة بظاهرة انتفاضة الحجارة ٠٠ ظاهرة تحرك القواعد التحتية ومبادرتها بعيدا عن التصور القاصر الذى يلقى على كاهل السلطة مسئولية كل تحرك ، دون وعى بالعلاقة الجدلية بين أنشطة القواعد وأنشطة المؤسسات العليا ، وتصور امكانية تحقيق انجاز ما دون مبادرات ومشاركات تحقيقه ٠

وترجع أهمية المؤتمرين كما جاء بكلمة الدكتور أحمد عصمت عبد المجيد نائب رئيس الوزراء ووزير الخارجية فى مصر بالمؤتمر الاول ، ترجع الى ضرورة « تحويل الكم العربى الى كيف عربى » والى ضرورة تحويل « الطاقات الفردية الى جهد جماعى منظم ومتناسل ٠٠ »٠

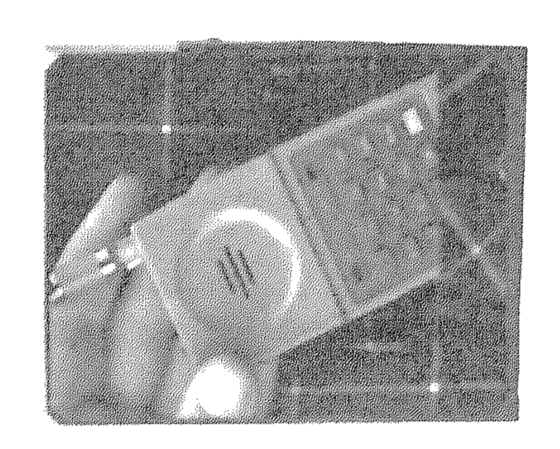
وان كان المؤتمر الاول قد شغل على حد تعبير الدكتور نبيل شعث ــ رئيس المؤسسة الداعية للمؤتمرين ــ بأثر التطور التكنولوجى والادارى على وطبيعة مشاكل القوى البشرية وعلى أسلوبنا فى التفكير للمستقبل والتخطيط له » فان المؤتمر الثانى شغل بالتطور الهائل الذى طرأ على دنيا الحاسبات الصغيرة فجعلها على رأس قائمة أدوات التفكير والعمل ، وبكيفية توظيف هذه الادوات وهذا التقدم فى خدمة المستقبل العربى ٠

وقد تطرق المؤتمران الى تدارس قضايا حيوية هامة مثل تخطى الفجوة التكنولوجية والاقتصادية والمسيرة الخاصة للتنمية العربية ، وملامح المستقبل فى ظل زيادة عدد العرب ونقص مواردهم ، وجهود تعريب الكمبيوتر ، والحاسبات والتنمية ، وجهود الابحاث والتطوير فيما يخص الحاسبات، وكيفية حمايتها ٠

ولا شك أن تحول المؤتمرين الى تجمعين عربيين سنويين ــ كما قرر المؤتمرون ــ سوف يساعد على تنسيق وتعميق جهود المختصين العرب، وتعزيز التفاهم بينهم ، لتحقيق أقصى استفادة من امكانيات الامة ، وحتى تصبح جهودهم بحق لبنات فى صرح المستقبل العربى ٠

● التليفون مترجما فوريا

فى مؤتمر صحفى عقده ناطق باسم هيئة الاتصالات البريطانية صرح بأن



فاتورة التليفون سوف تعتمد أساسا على سرعة المتحدث فى الكلام فتزداد قيمتها كلما زادت سرعة المتحدث ، كما أنها لن تتأثر بفترات الصمت التى تتخلل حديث من يتكلم ببطء . هذا كما أن قيمة الفاتورة لن تتأثر بطول المسافة بين المتحدثين (الحديث مع الجار مثل الحديث مع من يقطن القمر !) ولا بالمدة الاسمية للمكالمة .. وقد طرأ هذا الوضع بعد تحول التليفونات الى العمل بلغة الكمبيوتر الخاصة (لغة الارقام وهى لغة لا تحوى أبجديتها الا حرفين ١ ، ٥ أى الواحد والصفر) من أسلوب تحويل ذبذبات الصوت ـ التى يتكون منها الكلام عبر غشاء فى سماعة المتحدث ـ الى موجات كهربية متكافئة تسافر عبر الاسلاك ليتحرك غشاء موجود فى المستقبل على الطرف ، يحول الاشارات الكهربية من جديد الى صوت وكلام ..

والاعتماد على النظام الرقمى فى شبكة التليفونات سيفتح الباب امام خدمات جديدة مثل التليفون التليفزيونى الذى يرى فيه كل من المتحدثين زميله على شاشة « التليفون » وبالتالى يستطيع أن يريه ما يريد من اشياء عبر نفس الشاشة ، ومثل الاجهزة الذكية التى تبين لك رقم من يطلبك قبل أن ترفع السماعة ، وقد تستدعى لك كل المسائل المعلقة بينك وبينه على شاشة مجاورة ان أردت .. لكن لعل أهم هذه الخدمات هى تليفون الجيب الذى يحمله المرء فى جيبه ويستطيع بواسطته أن يتصل بأى فرد أينما كان ، فى أى من قارات عالمنا ، والتليفون الذى يقوم بالترجمة الفورية من لغة الى أخرى ، خلال الحادثة ، الامر الذى يمكن رجلا يابانيا مثلا من سماع نسخة كمبيوترية من حديث رجل لا يعرف من لغته حرفا واحدا ، ويدير الحوار معه فى التو واللحظة ..

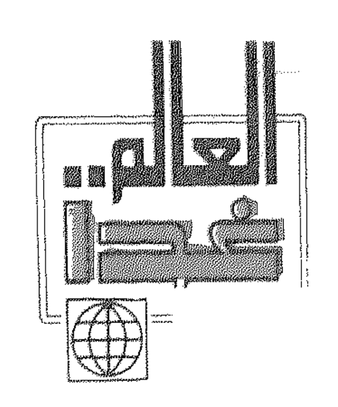
● الطاقة الشمسية فى مصر

تقوم الهيئة العامة للتصنيع حاليا بالتنسيق بين الشركات المنتجة للسخانات الشمسية وبين شركات القطاعين العام والخاص ، بهدف زيادة الاعتماد على هذه السخانات فى العمليات الصناعية .

وقد وضع برنامج يستمر ثلاث سنوات للتوسع فى استخدام الطاقة الشمسية فى العمليات التى تتناسب مع امكانياتها مثل عمليات التسخين ، وبالذات فى محافظات الصعيد والمحافظات الصحراوية ، حيث تتوافر الطاقة الشمسية فى أكثف حالاتها ..

وسوف تراعى امكانية تحويل العمليات الصناعية المعنية الى الطاقة الكهربائية فور حدوث أى نقص فى الطاقة المولدة بالسخانات الشمسية ، نتيجة للتغيرات الجوية ، وحتى لا تتأثر الخطط الانتاجية لمن يستخدمون هذه الطاقة ..

هذا وقد تقرر الموافقة فورا على أى طلبات جديدة لانشاء مشروعات انتاج السخانات الشمسية بهدف تغطية احتياجات العمليات الصناعية والاسكان



٠٠ وفى اطار العمل على ترشيد استهلاك الكهرباء تقرر عدم الموافقة على اقامة أية مشروعات جديدة لانتاج الاجهزة الكهربية التى يوجد بديل لها لا يستخدم الكهرباء ٠٠

● تشخيص الامراض من حدقة العين

عرفت عن قدماء المصريين قدرتهم على تشخيص الامراض من خلال امعان النظر فى عينى المريض ٠٠ وقد ظلت الغرابة تحيط هذه الظاهرة حتى كشفت الدراسات العلمية عن كنهها ٠٠

فبعد أن اقتصر الاهتمام بلون العينين طويلا على المنجمين ، الذين ربطوا بين اللون وبين الكوكب الذى رأى الانسان نور الدنيا فى برجه (الازرق بالقمر ، والاسود بعطارد ، والعسلى بالمشترى ، والاخضر بالمريخ) بينت البحوث العلمية أخيرا أن قزحية العين تتكون من خمس طبقات خلوية ، يحدد سمكها لون العين (تكون العين زرقاء عندما ترق الطبقات) هذا وقد كشفت الدراسات أن سمك الطبقات الخلوية فى العين لا يجىء خبط عشواء ذلك أن خلاياها هى التى تلتقط الضوء ٠ ومن هنا تناسب لون العين مع شدة الضوء فى موطن صاحبها ٠٠ فمعظم أهل الشمال شقر وزرق العيون، فى حين أن معظم أهل الجنوب سمر ولهم عيون عسلية ٠٠ ذلك أن العيون الزرقاء تلتقط قدرا أكبر من الضوء قياسا بالعيون السوداء ٠ ولهذا يصاب الشقر بتهيج فى الجهاز العصبى عند انتقالهم الى الجنوب كما ينتاب السمر الخمول عند انتقالهم الى الشمال ٠٠

ولان قزحية العين هى وسيلة ايصال النبضات الضوئية الى مختلف أنحاء الدماغ ، وبالتالى جميع أجزاء الجسم ، فانه يوجد لكل عضو من الاعضاء مجموعة محددة من الخلايا تمثلها على قزحية العين ٠٠ وتنعكس التبدلات التى تطرأ على الاعضاء الداخلية فوق صفحة القرنية عن طريق الدماغ ، وذلك كتغير فى لون الخلايا المعنية ، يعتمد على مدى تقدم المرض ٠٠

● رائحة اناث الفراش

يتمتع ذكور الفراش بقدرة فائقة على تمييز روائح تفرزها اناثهم بكميات متناهية فى الصغر ، ومن على مسافات بعيدة جدا ٠٠ الامر الذى دفع الباحثين الى التفكير فى استخدام هذه القدرة المدهشة فى عدد من التطبيقات العملية ٠

ولعل أطرف ما توصلوا اليه هو استخدام الفراش فى اختبار احكام خطوط أنابيب النفط والغاز. ويجرى ذلك بتمرير المادة الجذابة التى تفرزها اناث فراشات دودة القز مثلا (وتكاليف انتاجها ليست كبيرة) داخل الانبوب ثم مسح الخط كله باستخدام طائرة خفيفة (أو سيارة ان كان ذلك ممكنا) تحمل ذكور الفراش فى كيس شبكى شفاف ، وباستمرار ملاحظة سلوك الذكور يمكن الكشف على مدى احكام الخط كله اذ انهم يقومون بحركات دورانية مميزة عند شم رائحة المادة الجذابة وهى تتسرب من وصلة أو نقطة غير محكمة .

● آلة استنساخ للجيب

ظهرت في الاسواق آلة استنساخ خفيفة الوزن صغيرة الحجم (٧ × ٣ × ٢ بوصة) يمكن حملها فى الجيب .

والالة الجديدة لا تحتاج الى عمليات تنظيف خاصة وليست فى حاجة الى فترة تسخين قبل العمل ، وتلتقط نسخها ببساطة شديدة ، وذلك بتقريب طرفها المصور من السطح المراد تصويره ثم امرار هذا الطرف عبره .. وتقوم الالة نفسها باضاءة النص والتقاطه وتثبيته على نوع من الورق الحساس للحرارة .

ويبلغ طول لفة شريط ورق التصوير ٣٥ قدما ، ويكفى شحن بطارية الكادميوم / نيكل (التى تعمل بها الآلة) لمدة ٣٠ دقيقة ، لاستنساخ معلومات بطول لفة الشريط ، ومثبت بالالة قاطع يسهل من قطع الصور المستنسخة .

● الوخز بالابر .. والايدز

★ فى اطار حمى الخوف من مرض نقص المناعة المكتسبة « الايدز » انتشرت فى الاسواق ـ بعد المحقن الذى يستخدم لمرة واحدة ـ كثير من ادوات الاستخدام الشخصى غير المعمرة (مثل التليفون الذى يستخدم مرة أو بضع مرات فقط). اخر هذه المستحدثات قواعد تواليت يجرى تغيير كسوتها أوتوماتيكيا بعد كل استعمال .. ليت المؤسسات السياحية فى مصر تستخدم مثل هذه القواعد كاجراء وقائى ..

★ تأسست فى بكين رابطة عالمية لجمعيات الوخز بالابر التى ضمت ٥٥ جمعية (منها ٥ جمعيات دولية) وتدارس المؤتمر الاكاديمى الذى صاحب ذلك بحوثا لعلاج الامراض العصبية والنفسية وأمراض القلب والتنفس والجهاز الهضمى والسمنة وسقوط الشعر ، بل ومرض نقص المناعة المكتسبة (الايدز). الجدير بالتنويه أن نصف الابحاث تقريبا (٩٣ بحثا) كان لعلماء غير صينيين .

أحدث علوم القرن العشرين

السيبرنطيقا ومحاولة السيطرة على القوة الخرافية للآلة!

بقلم: د. صلاح خليل

على الرغم من مرور اكثر من ربع قرن على ظهور « السيبرنطيقا » على يد العالم الامريكى الراحل « نوربرت فينير » (١٨٩٤ - ١٩٦٤) فان محاولة الاجابة على السؤال : ماهى السيبرنطيقا ؟ .. لايعتبر امرا هينا - رغم اهميته - وترجع صعوبة ذلك الى عدة اسباب :

أولا : لايوجد للسيبرنطيقا بناء هيكلى اساسى كأى علم من العلوم المعروفة - بل تحتوى على عدة اتجاهات علمية تتداخل فيما بينها - مثل علوم تصميم وبناء الاجهزة الحاسبة - ووسائل الاتصال والاعلام ، إلى جانب علوم الاحياء (البيولوجى) والطب والتعليم والعلوم الاقتصادية وعلوم التحكم والادارة فى مختلف الميادين سواء فى الاقتصاد او الصناعة او حتى الحرب وربما كان ذلك الشمول - هو احدى مميزات السيبرنطيقا - الا انه بلاشك احد الصعوبات الكامنة فى دراستها كعلم .

ثانيا : مازالت هناك خلافات بين علماء « السيبرنطيقا » انفسهم حول ماهية السيبرنطيقا ومايندرج تحتها وما لايندرج .

على اننا سوف نحاول من خلال هذه السطور - البعد ما امكن عن اية مناقشات فلسفية عن كنه السيبرنطيقا - وماهيتها - وسوف نركز محاولة التعرف عليها - كاحدى الاتجاهات العلمية الحديثة السائدة .

يقول فينير - مؤسس ذلك العلم - ان « السيبرنطيقا » هى ذلك العلم الذى يبحث فى عمليات التحكم والسيطرة والادارة

والاتصالات فى كل من الالات والكائنات الحية على حد سواء . ولقد اشتقت كلمة « سيبرنطيقا » من الاغريقية حيث تعنى (رجل الدفة) وهى تعطى دلالة التحكم او السيطرة على السفينة ، ويوحى ذلك بالمدلول الاساسى للسيبرنطيقا كعلم يعنى بدراسة عمليات التحكم او السيطرة او الادارة فى المنظومات ذات الطبيعة المختلفة سواء كانت منظومات تقنية او اقتصادية او بيولوجية ، او أهم من ذلك المنظومات التى تجمع بين الآلة والانسان .

● ظهور السيبرنطيقا كعلم

من المعروف انه توجد ثلاثة شروط اساسية لابد من توافرها لظهور اى علم من العلوم .

ـ الشرط الاول : هو وجود مادة او مجال بحث لهذا العلم .

ـ الشرط الثانى : هو وجود ضرورة للقيام بالبحث فى هذا المجال .

ـ الشرط الثالث : توافر الوسائل العلمية وقدرة العلم فى هذه المرحلة على مجابهة المشاكل التى قد تبرز اثناء القيام بالبحث فى هذا العلم ووضع أسسه .

فبالنسبة للسيبرنطيقا فمادة بحثها متوافرة ـ حيث تبحث فى عمليات التحكم داخل الكائنات الحية او فى المجتمعات الانسانية والآليات ـ والاولى والثانية قد توافرت منذ الازل اما العنصر الثالث ـ فقد ظهر بعد قيام الثورة الصناعية حيث اصبحت الآلة احدى مقومات الحضارة الانسانية .

اما بالنسبة للشرط الثانى ـ وهو ضرورة القيام بالبحث فى هذا المجال ـ فما من شك أن الانسانية تتجه دائما نحو اكتشاف تلك القوانين التى تحكم الظواهر المحيطة بها ففى المعرفة دائما فائدة للبشرية ، هذا من ناحية ، أما من ناحية اخرى فقد ظهرت ضرورة ملحة ـ فى ذلك الوقت بالذات ـ فى الأربعينيات من القرن

تتجه الانسانية الى اكتشاف ظواهر الكون ●



الحالى للبحث عن قوانين عامة للتحكم ولنتناول ذلك ببعض من التفصيل :

إن الانسان - ككائن اجتماعى - يتطور بسرعة ويغير تلقائيا من الظروف المحيطة به ، ويقوم كل جيل بتقديم كل مايمكنه لإستمرار البشرية ، وقد كانت الصعوبات التى تقابل الانسان منحصرة فى معالجة المتناقضات الناشئة من الفجوة بين إمكانياته الفسيولوجية والعصبية من جهة والظروف المحيطة به والتى يوجدها التطور الصناعى والتقنى من جهة أخرى ولاشك أن أرسطو كان مصيبا فى قوله بان « التكنيك » قد ظهر لملء ثغرات الطبيعة حيث كان هو الوسيلة - دائما - لمعالجة المتناقضات بين الانسان والوسط المحيط به .

وقد كان اول ماقابل الانسان أثناء تطور وسائل الانتاج - هو ضرورة ملء الثغرات الناتجة من ضعف قوة عضلاته بمقارنتها بقوى الطبيعة الهائلة ، ولقد كانت مشكلة الطاقة - ومازالت - المشكلة الاساسية والتى يترتب على حلها التقدم الهائل فى قوى الانتاج ، ولقد استطاع الانسان من خلال ثورته الصناعية الأولى التغلب على التناقض بينه وبين قوى الطبيعة حيث أصبحت له عضلات من حديد تتمثل فى تلك الآلات الضخمة التى تعمل بلا كلل ولا ملل - فى حفر القنوات وبناء السدود وهدم انجبال الى أخر هذه الميادين التى جعلت من حياتنا اليومية الحاضرة - نعيما إذا قيست بحياة هارون الرشيد مثلا - فى سالف العصر والأوان .

إلا أن هذا التقدم التقنى - سرعان ما أوجد تناقضات جديدة تتحدى الانسان مرة تلو الأخرى .

ففى نفس الوقت الذى تم للانسانية فيه اكتشاف الطاقة النووية الهائلة ظهرت فى الأفق مشكلة اكثر تعقيدا - آلا وهى مشكلة التحكم فى هذه الطاقة .

ومن ناحية اخرى فقد ظهرت تحديات جديدة - خصوصا - للجهاز العصبى للانسان وامكانيات مخه الفسيولوجية .

لقد ظل الانسان راضيا عن تكوين جهازه العصبى الى ان اصبحت امكانيات هذا الجهاز عاملا يحد من التطور . الذى يمكن ان تقدمه التقنية ذاتها وحان الوقت لملء الثغرات بين امكانيات الجهاز العصبى للانسان من جهة والتقدم (التقنى) من جهة اخرى .

ويمكن بسهولة توضيح العبارات السابقة من تتبع ما حدث للدكتور « فينير » فى ابحاثه فى اوائل الاربعينيات من هذا القرن - ففى هذا الوقت تم اختراع الرادار - ووصلت تقنية صناعة محركات الطائرات الى مرحلة اصبحت فيها سرعات الطائرات - كبيرة نسبيا - بالنسبة الى سرعة القذيفة المضادة لها ، وبذلك اصبح من الضرورة بمكان - البحث فى تصميم آلات حاسبة خاصة - لادارة المدافع المضادة للطائرات بالسرعة الكافية التى تسمح لها باصابة الطائرة حيث اصبحت الطرق التقليدية (القديمة) لتوجيه المدفع إلى الهدف غير ذات قيمة ، لسرعة اكتشاف الهدف بالرادار من جهة - وسرعة الهدف نفسه من جهة اخرى - وبذلك ظهرت مشكلة جديدة تماما من نوعها - الا وهى مشكلة التوفيق بين امكانيات كل من جندى المدفعية من جهة والمدفع من جهة

اخرى ـ وكذلك الطيار وطائرته من جهة ثالثة ـ واصبح من الاهمية بمكان دراسة الجهاز العصبى البشرى حتى يمكن تصميم آليات مناسبة ـ سواء للمدفع واجهزته أو للطائرة واجهزتها ـ وذلك للحصول على افضل أداء للمنظومة المكونة من المدفع وجندى المدفعية معا ـ او للطائرة والطيار معا وبذلك ظهرت مشكلة البحث عن نموذج رياضى مناسب لوصف المنظومة المكونة من الانسان/ الآلة والذى يمكن بواسطته تحليل هذه المنظومة ودراستها بهدف الحصول على افضل أداء لها ولقد كانت هذه البداية ـ لعلم السيبرنطيقا ـ الذى بدأه الدكتور « فينير » حيث كان يعمل فى تطوير الآلات الحاسبة الخاصة بأجهزة ادارة نيران المدفعية المضادة للطائرات فى اوائل الاربعينيات من هذا القرن فى الولايات المتحدة الامريكية .

وعند الحديث عن الثغرة الموجودة بين امكانيات الجهاز العصبى للانسان والامكانيات التقنية فالمقصود هو الفرق بين تلك السرعات الفائقة التى يمكن ان تصل اليها الأجهزة الالكترونية فى الحساب ـ اذا ماقورنت بامكانيات العقل البشرى فى نفس الاتجاه ـ كذلك كمية المعلومات التى يمكن على أساسها للمخ البشرى اتخاذ قرار معين ـ اذا قيس بكمية المعلومات التى يمكن للاجهزة الالكترونية معالجتها واتخاذ القرار المناسب بناء على هذه المعلومات ، والمثال على هذا ـ هو عملية توجيه الصواريخ النووية ـ والسرعة العالية المطلوبة لمعالجة المعلومات لتوجيهها ـ مما يجعل دخول العامل البشرى فى مثل هذه المنظومات ـ امرا غير مرغوب فيه ـ من ناحية سرعة الاداء كذلك تظهر مشكلة مماثلة فى شبكات الصواريخ المضادة للصواريخ ـ عندما يكون الزمن اللازم لمعالجة كمية كبيرة من المعلومات لايتعدى ثوان معدودة مما يجعل وجود العامل البشرى فى مثل هذه المنظومة ـ معوقا تماما لأدائها ـ وذلك نظرا لعدم التوصل الى التوفيق الكافى بين امكانيات الانسان والمعدة فى هذا المجال ومثال ثالث لتوضيح هذه النقطة ايضا ـ هو عملية منظومات الدفاع الجوى عن اى بلد ـ حيث ادت سرعات الرادار العالية فى الاكتشاف ـ وسرعات الطائرات التى تفوق سرعة الصوت الى استحالة وضع عامل بشرى فى مثل هذه المنظومة والا أدى ذلك الى كارثة تودى بالدولة التى تتعرض للهجوم .

على أنه من الضرورة هنا ابراز انه لايمكن فى كل الاحوال الاستغناء عن العامل البشرى فى المنظومات عالية الاوتوماتيكية ـ وترك القرار تحت رحمة الاجهزة الالكترونية السريعة الأداء ـ المنعدمة الادراك ـ خصوصا اذا كان الامر يتعلق بمصير العالم واستخدام الاسلحة النووية الفتاكة ـ حيث يمكن ان يؤدى اى خطأ الى عملية دمار شامل كان من الممكن تفاديه ـ لو أن عنصرا بشريا تدخل فى الوقت المناسب ـ ولعل وجود الخط الساخن بين واشنطن وموسكو هو اكبر دليل على ذلك .

مما تقدم ـ يتضح أن الشرط الثانى لظهور « السيبرنطيقا » كعلم هو وجود ضرورة للقيام بالبحث فى هذا المجال ـ كان متوافرا تماما ـ وساعد على ذلك ايضا ظروف الحرب العالمية الثانية وما أملته من

ضرورات جديدة فى عالم (التقنية) فى الحروب .

أما الشرط الثالث لظهور « السيبرنطيقا » وهو توافر الوسائل العلمية وقدرة العلم فى هذه المرحلة على مواجهة المشاكل التى تبرز اثناء القيام بالبحث فى هذا العلم وتأسيسه ـ فلاشك ان الانجازات العلمية حتى هذا الوقت ـ كانت كافية لظهور هذا العلم ـ إلا انها لم تكن على قدر الاكتمال ـ حتى يصل ذلك العلم الى قمته كما يبدو من الناحية النظرية ـ والدليل على ذلك ـ اننا الآن فى منتصف الثمانينيات ومازالت هناك لدى العلماء « احلام سيبرنطيقية » أى أفكار لم تتحقق بعد ، إلا أن التقدم الشديد الذى شهدته الالكترونيات فى الثلاثين عاما الاخيرة قد ساعدت كثيرا ـ على تطور « السيبرنطيقا » .

● « السيبرنطيقا » وارتباطها بالعلوم الأخرى

مما تقدم ـ نجد أنه لحل مشكلة الوصف الرياضى للمنظومة المكونة من الفرد / الآلة تطلب ذلك الاتجاه الى محاولة دراسة المنظومات المختلفة ـ سواء كانت حية او آلية ـ من وجهة نظر موحدة وباستخدام مصطلحات موحدة وقد كان ذلك باعثا للبروفيسور « فينير » الى التفكير فى وحدة قوانين التحكم سواء كانت فى الآليات أو الكائنات الحية ، ولقد اظهرت البحوث وجود تشابه فعلا ـ بين عمليات التحكم ـ فى المنظومات ذات الطبيعة المختلفة مما اكد صحة تصور الدكتور « فينير » عن وجود عوامل مشتركة تجمع بين منظومات التحكم مهما كان نوعها ومثال ذلك مبدأ الفعل المنعكس فى الجهاز العصبى للانسان الذى كان معروفا منذ اوائل القرن الحالى إلا أن أحدا لم يفكر فى مدى تطابق هذا المبدأ مع بداية التغذية المرتدة (Feed Back) الذى تعمل به كثير من المنظومات الآلية الأوتوماتيكية على أن تقدم العلم وتراكم الحقائق الشاهدة على التماثل الوظيفى والتكوينى لمنظومات التحكم ذات الطبيعة المختلفة أدى الى استعداد المناخ العلمى لتقبل السيبرنطيقا كعلم عام للتحكم ، ولقد ادى ذلك الى ظهور عدة اتجاهات علمية جديدة مثل علم (Bionics) والذى تفرع من السيبرنطيقا ـ هادفا الى تكرار وتقليد التكوينات البيولوجية فى التطبيقات التقنية .

كذلك ظهرت الحاجة الشديدة الى دراسة قوانين التحكم والادارة فى مجالات عديدة على رأسها المجالات الصناعية وكذلك التعليمية .

ففى المجالات الصناعية ـ كان التحكم الآلى ـ يتطور بسرعة مذهلة ـ متأثرا بتقدم المجالات التقنية ـ خصوصا تقنية الآلات الحاسبة ـ ومؤثرا فيها ايضا ـ وظهرت الى الوجود خطوط الأوتوماتيكية المزودة ببرامج للتحكم ـ بل ظهرت ايضا المصانع الشاملة الأوتوماتيكية مما أدى الى الاستغناء عن معظم الأيدى العاملة فيها .

كذلك ادت ضرورة التحكم المركزى او التحكم من اماكن بعيدة سواء كان بسبب ارتفاع درجات الحرارة فى هذه الاماكن او وجود مستويات عالية من الاشعاع .. الخ

ـ الى ظهور ما يسمى بعلم التحكم من بعد Telecontrol .

أما فى المجالات التعليمية والثقافية ـ فلقد ظهرت إلى الوجود أفكار استخدام الحاسب الالكترونى فى العملية التعليمية ـ سواء ليحل محل المدرس فى إلقاء المحاضرات أو فى تقييم الطالب وتوجيهه أولا بأول نحو مايلزم من دراسة وتدريب ـ كذلك فلقد ساعد على ازدياد الحاجة إلى علوم « السيبرنطيقا » ظاهرة الزيادة الشديدة فى تدفق المعلومات والتى تعتبر بحق ـ إحدى علامات العصر الحالى ـ حيث يتم يوميا فى العالم كله اصدار عدد ضخم من الكتب والنشرات والمراجع فى شتى نواحى النشاط الانسانى مما يجعل عملية حصر هذه المراجع وتبويبها وفهرستها بالطرق التقليدية أمرا غير ممكن مما ساعد على ظهور نظريات الاعلام ـ إحدى المكونات الاساسية للسيبرنطيقا ـ اذن ـ فلقد اصبح البحث العلمى نفسه فى حاجة الى علم لتوجيهه وادارته فى العصر الحديث ـ وذلك للتأكد ، على الاقل ـ من جدوى البحث فى هذا الموضوع او ذاك ـ وهل سبق بحثه أو لا وكيف ؟ الى اخر هذه الموضوعات التى تخص البحث العلمى ، ويكفى للدلالة على اهمية هذا الموضوع أن نعلم أن تكاليف البحث العلمى قد تضاعفت خلال نصف قرن حوالى ٤٠٠ مرة .

وتتداخل السيبرنطيقا ايضا فى علوم الادارة والاقتصاد ، اما دورها فى العلوم العسكرية فمن الاولى ان يحظى بمقالة خاصة ـ نظرا للدور الخطير الذى تلعبه السيبرنطيقا فى المجال العسكرى ويكفى للدلالة على ذلك أن السيبرنطيقا ظهرت نتيجة للبحث فى احدى المجالات العسكرية . كذلك لايمكن انكار دور السيبرنطيقا فى ظهور علم الهندسة الطبية (Biomedical Engineering) والذى يعتبر ابنا شرعيا « للسيبرنطيقا » والذى تنتظر منه الانسانية الكثير .

إذن ـ فالسيبرنطيقا ـ هى أعلى واشمل مراتب الاوتوماتيكية وهى ذلك العلم الذى يبحث فى التكوين الوظيفى والتنظيمى لمنظومات التحكم ذات الطبيعة المختلفة وعلى اى مستوى من التعقيد وتتناول السيبرنطيقا هذه المنظومات بالتحليل والتركيب والتحويل الى الاوتوماتيكية وذلك بهدف الحصول على الاداء الامثل لها ـ ولاشك أن العلوم المستخدمة فى هذه الاتجاهات ـ تعتبر علوما سيبرنطيقية ـ طالما تستخدم فى دراسة عمليات التحكم ـ فالآلات الحاسبة الالكترونية ـ تعتبر قاعدة تقنية للسيبرنطيقا طالما تستخدم فى عمليات التحكم او تدخل كعنصر فى منظومة ، وكما قدمنا ـ فان تشعب السيبرنطيقا يأتى من دراستها لعمليات التحكم بصرف النظر عن الطبيعة المادية لهذه العملية ـ سواء كانت آلية أو بيولوجية أو اقتصادية وغيرها من المجالات المختلفة للنشاط الانسانى لذلك فليس من المستغرب أن نجد فى مؤتمرات السيبرنطيقا ـ علماء من مختلف التخصصات علماء اجتماع وعلم نفس وطب وهندسة وتعليم وربما كان هذا الشمول ـ هو خاصية السيبرنطيقا ـ حيث تقدم الدليل على تكامل العلوم بل وعلى تكامل العالم من حولنا ، وليس غريبا ان يطلق العلماء على السيبرنطيقا انها ذلك العلم الذى يقوم فيه علماء البيولوجى بتعليم المهندسين كيفية تصميم آلاتهم ـ

بينما يقوم فيها المهندسون بتعليم هؤلاء كيف تؤدى الوظائف الحيوية فى الكائنات الحية .

إن السيبرنطيقا ـ ببساطة تتيح للعلماء المتخصصين فى مجالات مختلفة كعلماء النفس والاجتماع والاقتصاد والتشريح ووظائف الاعضاء والمهندسين والعسكريين ، تتيح لهؤلاء جميعا امكانية المناقشة بمصطلحات موحدة ومفاهيم موحدة وبالتالى يمكن الاستفادة من منجزات مجال معين فى مجال آخر ـ ونقل افكار علماء الهندسة مثلا إلى علماء الاقتصاد والاجتماع بصورة افضل وبالتالى بفائدة اكبر ومثال ذلك ان فهم المهندس الذى يقوم بتصميم الآلات الحاسبة للعمليات التى تجرى فى مخ الانسان ربما تتيح له امكانية تطوير هذه الآلات بينما دراسة الطبيب لبعض الآلات الهندسية التى يقوم عملها على أساس مبدأ التغذية المرتدة ، قد تتيح له القدرة على تفهم العمليات المعقدة التى تجرى فى جسم الانسان .

كذلك فان تحويل العمليات الاقتصادية ـ الى نماذج رياضية ـ على أسس السيبرنطيقا قد تتيح للاقتصادى القدرة على التنبؤ بما قد يحدث او دراسة تأثير عوامل معينة على رواج سلعة معينة او التخطيط للخروج من أزمة اقتصادية متوقعة ... وهكذا .

ان دراسة السيبرنطيقا تسمح لنا آخر الامر ـ بالسيطرة على البيئة المادية التى نعيش فيها ـ بصورها المختلفة ـ وتتيح لنا الكشف عن العمليات التى تعوق تقدم المجتمع ـ بل وتقدم الحل السليم ـ للوصول الى ذلك التماسك والترابط فى المنظومات المختلفة للمجتمع ـ وكيفية تحقيق الاداء المتناغم بين هذه المنظومات ـ بهدف التوصل الى احسن أداء للمنظومة العليا ـ وهى المجتمع ـ وذلك يكون نتيجة للارتباطات السليمة بين المنظومات الجزئية القاعدية لهذا المجتمع .

● مخاوف من السيبرنطيقا

هناك نفر قليل من العلماء لهم القدرة على الرؤية المستقبلية للاشياء وتتجاوز رؤيتهم هذه ، مجال تخصصاتهم الدقيقة الى محيط أوسع وأشمل وهم قادرون على التنبؤ احيانا ـ بأشياء قد لايفهمها معاصروهم وتحقق هذه الرؤى والتنبؤات عادة بعد ما يوارى التراب ـ اجسادهم ويتحولون الى ذكرى ، ويبدو أن « فينير ـ أبو السيبرنطيقا » من هؤلاء القلة من العلماء فلنتأمل معا ماكتبه هذا العالم الجليل عام ١٩٤٧ فى مقدمته لكتابه الاول عن ذلك العلم الوليد آنذاك ـ السيبرنطيقا ـ يقول « فينير »

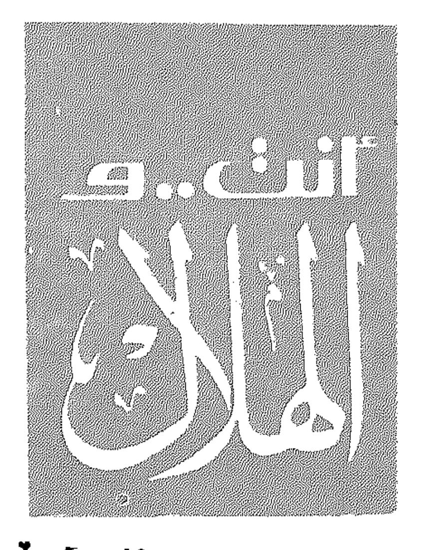
إن هذا التقدم الجديد (يقصد فى علوم السيبرنطيقا) قد فك اسار احتمالات كبيرة للخير والشر ، حيث يجعل السيادة الخرافية للآلة مشكلة مباشرة الى اقصى درجة وخالية من اى مجاز ، اذ يضع هذا التقدم تحت تصرف الجنس البشرى فريقا جديدا شديد الفعالية من العبيد الآليين ليقوم بالعمل بدلا منه ومثل هذا العمل الآلى له معظم الخواص الاقتصادية لتشغيل العبيد مع الفارق انه لاينطوى على الوجه اللا أخلاقى للقسوة البشرية ،

ومع ذلك فان أى عمل يقبل ظروف التنافس مع تشغيل العبيد هو اساسا - تشغيل للعبيد وحجر الزاوية هنا هو كلمة « منافسة » فهل فى صالح البشرية ان تمحو الآلة عن عاتق البشرية الاعمال الكريهة ... ؟ قد يكون الامر كذلك ، وقد لايكون إنى لست أدرى ... لقد كانت حصيلة الثورة الصناعية الاولى هى هبوط قيمة الذراع البشرى أمام منافسة الآلة وبالمثل فان الثورة الصناعية الثانية - وهى السيبرنطيقا - لامفر أن تهبط بقيمة المخ البشرى على الاقل فى ابسط قراراته واكثرها روتينية ولكن .. لو اعتبرنا ان الثورة الصناعية الثانية قد حققت فاننا نجد ان الانسان المتوسط الحال ذا المكاسب الضعيفة لن يتوافر لديه للبيع ما يمكن ان يساوى مايدفعه أى مشتر من النقود ، والحل هو بالطبع ان نقيم مجتمعنا بحيث لايقوم على قاعدة البيع والشراء ، بل على قيم بشرية اخرى .... ويختم « فينير » كلامه قائلا : إن من يأملون أن الخير الذى يقدمه هذا المجال من البحث نحو فهم افضل للانسان والمجتمع قد يسبق ويفوق الاسهام العرضى الذى يقدمه فى سبيل تركيز القوة (وهى تتركز دائما بحكم ذات ظروف وجودها فى ايدى اشد الناس استهتارا) .

انى اكتب هذا الكلام عام ١٩٤٧ وانى مضطر الى القول بان ذلك الامل واه جدا « انتهى كلام فينير » .

واذا تأملنا ما كتبه هذا الرجل منذ اكثر من ربع قرن من الزمان ، لوجدنا أن مخاوفه وشكوكه قد تحققت فقد ساهمت علوم السيبرنطيقا فى التقدم التقنى الباهر الذى طوعته الدول الغنية فى اتجاه القوة وصناعة السلاح ، واصبحت هذه الدول تهدد بالسلاح تارة وتبيعه بافدح الاثمان تارة أخرى لمن يعانون من الجوع والتخلف لقد زادت الفجوة بين مالكى التقنية والدول المتخلفة ، ولم تتغير القيم البشرية كما كان يأمل « فينير » بل اصبحت الدول الغنية اكثر شراهة للمال وزاد استعبادها للدول المتخلفة تبيعها تقنية الدمار ، وتقبض الثمن ازدهارا ورفاهية بلغت حد التخمة ولعل النتائج السلبية التى توصل اليها مؤتمر « فيينا » - الخاص ببحث وسائل نقل العلم والتقنية من اجل التنمية والذى عقد عام ١٩٧٩ لاكبر دليل على رفض الدول الغنية مساعدة الدول النامية وقد عقدت عدة محاورات بين الدول الغنية والنامية ، ولكنها على حد قول بعضهم كانت كالحوار بين الصم فالدول الغنية تابى تقديم يد العون وترفض تغيير القيم الانسانية للمجتمع ، ومن ناحية أخرى فلقد كان لانتشار السيبرنطيقا فى المجالات الانتاجية فى المجتمع الصناعى ، أكبر الاثر فى الاستغناء عن كثير من الايدى العاملة - بل وتعدى ذلك الى الاستغناء عن بعض الوظائف الراقية كالمهندسين والمحاسبين وغيرهم مما ادى الى انتشار البطالة فى الدول الغنية بالقدر الذى لم يعرف له مثيل من قبل ، وعلى الرغم من ذلك ، فان علوم السيبرنطيقا ، وعلى راسها الحواسب الالكترونية - مازالت فى مرحلة تطور سريع - اذ دخلت الحواسب الالكترونية جيلها الخامس ، حيث يؤمل فى اجهزة الكترونية قادرة على تقليد العقل الانسانى فى تفكيره .

ترى الى أين يسير البشر ... الأسياد منهم والعبيد ... ؟



● الى اطفال الضفة

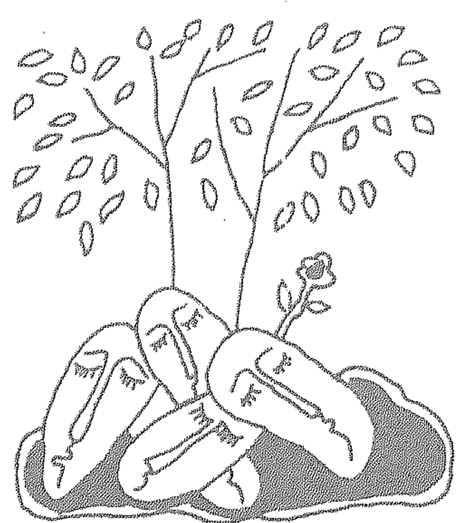


على كرمة رضعت من دماء أبي
اذنت فى الجمـاجم عصفورة :
و ··· طني ··· و ··· طني
طـارت الاقبية
تنادى النبيون : هيـ ·· يا
ففرت جميع الحوائط
وابتسم الجـرح ··
كانت « خناس » على الجسر
زغرودة ··· والحجارة انشودة
والملائك ترقص اطرافها
فى مقـدمة العرس :
لبيك ··· لبيك ··· لبيك ··· يا
وطنى ··

أحمد محمد ابراهيم
اينوب

● الوطن المحتل

ما بين قتيل وجريح
الفيتك يا وطنى المحتـل
ورأيتك فى الحرف المعتل
ورأيتك فى السيف المسلول
رأيتك تبزغ وسط الطل
تهم وتنهض مثل جبل
ما بين قتيل وجريح
الفيتك يا وطنى المحتل
ورأيتك حين يموت الطفل
اذا ما دوت طلقة نار
ورأيتك فى انهار الدم
تسح على غصن الزيتون
فتلتحم الاوراق خياما ضد البرد
وتلتحم الازهار ازار



حمدى عابدين

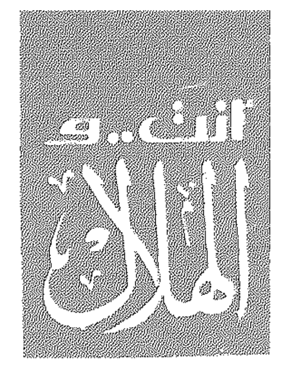
● ولد ميخائيل نعيمة على الارجح بمدينة بسكنتا بجبل لبنان سنة ١٨٨٩ وانتقل الى مدينـة النـاصرة بفلسطين لكى يكمل تعليمه حيث التحق بمدرسة المعلمين الروسية وبعد أربع سنوات اختارته ادارة المدرسة ليسافر على نفقتهـا الى روسيا القيصرية فسافر الى « بلوتافا » حيث درس فى كليتها خمس سنوات ثم درس فى أمريكا سنة ١٩١١ ونزل فى ولاية بوسطن حيث يقيم أخواه ، وبدأ ينشر مقالاته فى مجلة « الفنون » مقالات نقدية وقصصا ثم راسله صاحب المجلة الشاعر نسيب عريضة وسافر الى نيويورك وتعرف على الادباء العرب الذين يعيشون فى أمريكا وبخاصة اللبنانيون وتكونت الرابطة القلمية وكانت تضم ١٥٠ شاعرا • وانخرط فى الجيش الامريكى خلال الحرب العالمية الاولى وذهب الى ساحة الحرب فى فرنسا وانتهز فرصة وجوده فى أوروبا وحضر عددا من المحاضرات فى فرنسا وبلجيكـا ثم ترك الجيش سنة ١٩١٩ وعاد الى نيويورك وأقام فيها ثلاثة عشر عاما أسهم خلالها بنشاط أدبى كبير ، وكان يعمل فى متجر بمرتب متواضع وكتب قصيدة « أخى » الشهيرة وهو جالس فى المتجر وفى ذلك الوقت كان جبران خليل جبران قد توفى وغادر ميخائيل نعيمة أمريكا وعاد الى بلدته بسكنتا فى لبنان يحمل مخطوطات مؤلفاته التى بلغت الخمسين مؤلفا • نذكـر منها على سبيل المثـال ديوانه الشعرى « همس الجفـــون » ثم قصصه وخواطره فى كتابه « كان ما كان » وكتـــابه النقدى الهام الغربال سـنة ١٩٢٠ وكتب مقدمته العقاد وطبع أكثر من عشرين طبعة ، وترجمت كتب ميخائيل نعيمة الى أكثر من عشرين لغة •

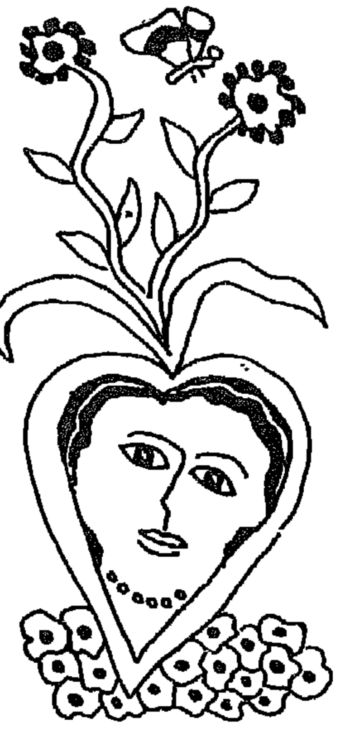
ويقول الدكتور محمـد مندور فى المنهج النقدى فى كتاب الغربال لميخائيل نعيمة هو المنهج الذاتى التأثرى فهو يقول « ان لكل ناقد غرباله لكل موازينه ومقاييسه وهذه الموازين والمقاييس ليست مسجلة لا فى السماء ولا فى الارض ولا قوة تدعمها وتظهرها قيمة صادقة سوى قوة النـــاقد نفسه وقوة النـاقد هى ما يبطن به والمقـاييس الادبيـة التى يرتضيهـــا ميخائيل نعيمة :

١ ـ حاجتنا الى الافصاح عن كل ما ينتابنا من العوامل النفسـية من رجاء ويأس وفوز وفشل وايمان •
٢ ـ حاجتنا الى نور نهتدى به فى الحياة وليس من نور نهتـدى به غير نور الحقيقة ، حقيقة ما فى نفسنا •
٣ ـ حاجتنا الى الجميل فى كل شىء ففى الروح عطش لا ينطفىء الى الجمال وكل ما فيه مظهر من مظاهر الجمال •
٤ ـ حاجتنا الى الموسيقى ففى الروح ميل عجيب الى الاصوات • والالحان لا ندرك كنهه •

واطلع ميخائيل نعيمة على الادب الروسى والانجليـــزى والالمانى والفرنسى والامريكى • وتوفى ميخائيل نعيمة عن عمـــر يناهز ٩٩ عاما وينتمى الى جيل الرواد فى الادب العربى مثل أحمد شوقى وجبران وايليا أبى ماضى والياس فرحات وطه حسين والعقاد •

رجب عبد الحكيم بيومى الخولى
ليسانس لغة عربية ـ القاهرة





● عيد الام

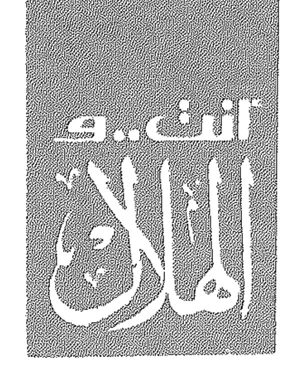
امــــاه عيــــدك سيد الأعيــــاد
ضافى الجــلالة مشرق الاسعــاد
قد جاء يرفل فى مطــــارف حسنه
ومكــــللا بالمزهــــر والأوراد
فزهــا بمقــدمه الربيع ، وغردت
اطيــاره فرحــا على الأعواد
يمضى الربيع ، وروض عيدك مزهر
نضر الشــباب على مـدى الآباد
يا خيــر من ضم الحنــان فؤاده
وشـمت مآثرها على التعــداد
كم من يد بيضــاء اذكــرها وفى
نفسى لهــا قدســية ، وفؤادى
افــديك من أم وقفت لحبهــا
ـ طول الحياة ـ مشــاعرى ووادى
مصــر بعيدك كــل عام تحتفى
وتذيع عنــك روائع الأمجــاد
وتصــوغ اصدق حبهــا لك مدحة
تشــدو بطيب صــنائع وايادى

محمد أمين الجندى
كوم حمـادة

● جرد اجراءات

● تلك الوريقات الصفراء الميتة التى سقطت بالامس أصــابتنى بالاكتئاب الحقيقى •• لزمت حجرتى ••
لم يكن ثمة داع للخروج فى مثل هذا الوقت من النهار ••
يلوح من بعيد الافق الملبد المصدور •• زفرات من نصب ولهــاث من تمزق •• الوريقات القليلة المتناثرة على أفرع الشجرة المعتيقة تتهيأ هى الاخرى للسقوط •
ازداد كآبة وتشبثا بسريرى ••
فسدت عرضاته بعد أن نخرها البق اللعين ••
التصقت واحدة بقفاى وراحت تمص البقية الباقية من دمى ••

قال الطبيب دون أن يلمس أدواته : فقر دم ·· يبدو انك تمارس ال···
كثيرا ··
كان منتفخ الوجه أبيض كالجير الحى ·· تساءلت : وما علاقة فقر الدم بذلك ؟؟ ويبدو أن صوتى كان واهنا لدرجة انه لم يعلق البتة ·
ذو الوجه المنتفخ والرأس الكبير المنسق بطريقة بشعة خط على ورقة نتيجة قديمة : ··· حـديد ··
أرشدنى بعنجهية الى صيدلية بعينها ونادى : غيره ··
هبطت يدى على قفاى بطريقة لا ارادية وضغطت بشدة أصـابعى ··
قالت أمى بحزن صادق :
ـ تزداد نحولا كل يوم ·· ماذا حدث لك ؟؟ أمى اكثر نحولا من هـرة البيت العجوز ·· زارنى جدى الشيخ فى احدى ليلات الصيف الفائت كابى الوجه ، شارد النظرات ، ورغم أننى لم أره حيا الا أننى عرفته ·· قلت ببراءة شديدة لا تتناسب مطلقا مع عمرى :
ـ هل عدت يا جدى ؟؟
ضربنى بقسوة على صدرى ، وقال :
ـ تركت فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا أبدا ·
كانت الارض تفح سعارها النارى من تحتى ·· تلفت فى داخلى فلم أجد غير عظام نخرة ·· زعقت :
ـ يا جدى الشيخ هل من علامة ؟؟
قذفنى بهراوة ثقيلة كانت فى يده وتلاشى مخلفا وراءه صورته المثبتة على الجدار المقابل لذاكرتى بتحد صارخ ··
أبى قال متهكما : هل تغطيت جيدا قبل النوم ؟؟ فلم أرد ·
أمس الاول هاجم الذباب الازرق الكبير أوزة مسالمة كانت تحمل على ظهرها أولادها وأولاد جارة عزيزة غائبة وهى فى سبيلهـا الى الترعة القريبة ·· أنزلوها عنوة وسط خرابة تسكنها فصيلة مشابهة وأشبعوها ركلا وصفعا ·· راوغت الاوزة البيضاء حتى تمكنت من الخروج بسلام ·· وعندما وصلت الى الترعة اكتشفت أن الماء قد غيض وأن الاولاد ليسوا على ظهرها ··
وقفت تنوح على الحافة المشققة مهددة ذباب الارض قاطبة ··
عادها الذباب الازرق الكبير وعلى ظهره أجولة الارز والحنطة والسمن وأقماع السكر والنشادر ·· خمش ظهرها بحنو بالغ وأبلغها مبتسما ان الاولاد فى الحفظ والصون ثمة اجراءات ذبابية وبعدها تصير الامـور كالحليب الجاف ·· أما أولاد الجارة الـ ··· فهم طاعون مؤذ يجب اجتثاثه ··
ورغم أن الاوزة البيضاء ادارت رأسها الصغير للجهة الاخرى راسمة الغضب ·· فان أذنها اليمنى كانت معهم تماما ··
انبعثت من بين أصابعى رائحة الدم الكريه ··
كانت الاوراق الذابلة تتساقط الواحـدة تلو الاخـرى امـام عينى الزجـاجيتين ··
تحسست بلسعة على قفاى تلتها لسعات أشد ··
ابتلعت حبة (فاليوم) واستلقيت على سريرى الخرب مرددا :



ـ انها مجرد اجراءات ..

ترنمت ببعض أبيات من الشعر اقتطعتها من قلبى فى ليلة من ليالى المخريف الموحشة ومازلت أزاول المثابرة ..

فوزى صالح

● لماذا ؟

لماذا يضل الجواد الطريق ؟!
لان الطريق اليك
قصير طويل
لماذا تئن عذارى المدينة ؟!
(لأن الجراح ...)
شموس على وجنتيه
لأن الحقيقة ماتت
وصار الخلاص محالا
لماذا المدى طيف حزن وقفر ؟!
لأن الأمان ...
يخاصم فيك ضفافك
لماذا يموت الصباح ؟!
(لأن الرياح ...)
عجوز عقيم
تثور بكل البحار وتضرب !
وتخرق قلب السفينة
وتحرق كل المدينة
(لأن الرياح ...)
تصير رماحا
تحاصرنى
وترشق فى وجهى المستباح
وتفجئنى
بالسنين العجاف
أنا لا أخاف
فعندى خزائن كل المؤن ......!
عذاب وصمت
جراح وسجن
دخان وخوف وملح ..



محمود أحمد المصلى
المنصورة

● متى القاك ؟

افتش عن ملامحك التى غابت
اراها فوق هذا الأفق
اذا وليت وجهى اينما شئت
استوى وجه الحبيب يفيض نورا
يخصب الايام .. صوحها لهيب الشوق
وان قابلت من اهوى ..
بكيت غياب من أهوى !!
تغير وجه من اهوى .
افتش عن ملامحك الجميلة يا حبيب القلب غابت عنه
افتش عن ملامحك الرحيمة يا حبيب العمر تاهت منه
متى القاك فى عينيك ؟؟
متى القاك فى شفتيك ؟؟
متى القاك فى وجهك ؟؟
متى القـــاك ؟؟
أبحث عنك ..
أبحث عنك ..
أبحث عنك ..

احمـد عامر
شبين القناطر

● كلمات ادبية

● مع الحكمـــاء :

سأل رجل احد الحكماء : كم عمرك ؟ قال الحكيم : صحتي جيـدة والحمد لله . سأل الرجل : كم وفرت من المال ؟ قال الحكيم : ليســت على ديون والحمد لله . سأل الرجل : كـم عدو لك ؟ قال الحكيـم : قلبى نظيف ولسانى عفيف والحمد لله .

● من التــــراث :

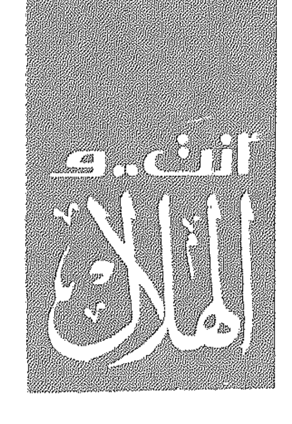
من كتاب الاغانى للاصفهانى : جيء بعبد الله بن مسلم الى هـارون الرشيد وكان قد خرج على طاعته ولـما مثل بين يديه قال : يا أمير المؤمنين أسألك بالذى أنت بين يديه غـدا أذل منى بين يديك الان وبالذى هو أقدر على عقابك منك على ألا عفوت عنه فعفى عنه الرشيد وأمنه على نفسه لما ذكر مقدرة الله عليه اذا أراد عقابه .

● فضـــيلة الصمت :

قال الامام الشافعى : استعينوا على الكلام بالصمت وعلى الاستنباط بالفكر . وفى الصمت قال لقمان الحكيم : اذا افتخر الناس بحسن كلامهم فافتخر أنت بحسن صمتك .

● يوميـــات كاتب :

كتب الاديب ابراهيم عبد القادر المـازنى فى احدى يومياته : أنا زوج الحياة الذى لا يستريح من تكاليفها فعندما أصحو من النوم اكتب وأنا



أتناول طعام الافطار وأفكر فيما اكتب فالتهم لقمة وأحفظ سطرا وأنام فاحلم انى اهتديت الى موضوع فافتح عينى فاذا بى قد نسيته ٠

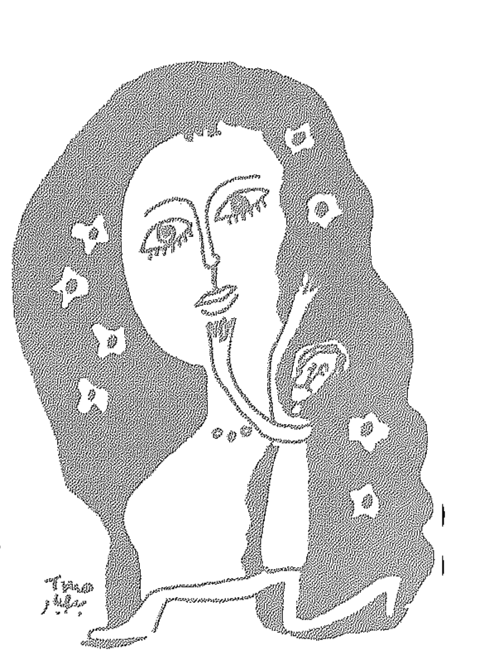
● كلمـــات جـديدة :

اقترح المجمع اللغوى اطلاق كلمة الخاطفة بدلا من الة التصوير وكلمة المثوى بدلا من البنسيون وأبو المثوى بدلا من صاحب البنسيون وكلمة عبور بدلا من ترانزيت وكلمة تأمين بدلا من البوليصة وكلمة رقائق الخشب بدلا من ابلكاش كما اقترح المجمع اطلاق اسم الخبائز بدلا من البسكويت فاذا كان البسكويت مملحا سمى خبائز مملحة واذا كان بالسكر سمى خبائز محلاة ٠

محمد أمين عيسوى
هيئة قناة السويس بالاسماعيلية

● عندى سؤال

وأسال نفسى
لماذا أحبك ‥ رغم اعترافى
بان هوانا ـ محال ـ محال
رغم اعترافى بانك وهم
وانك صبح سريع الزوال
رغم اعترافى بأنك طيف
وانك في العشق بعض الخيال
وأسال نفسى : لماذا أحب
اذا كنت شيئا بعيد المنال
لماذا أحبك فى كل حال
لماذا أحبك
أنهار شوق ‥ وواحات عشق
نمت في عروقى وأضحت ظلال
لماذا أحبك قلبا وعقلا
وأسال نفسى كثيرا كثيرا ‥ وحين اجبت
وجدت الاجابة نفس السؤال



عبد العزيز جويدة
الجيزة

● الرقابة والفيلم الجيد

● أصبحت الرقابة المصرية الان تقف حـــائلا بين المشاهد المصرى والفيلم السينمائى الجيد ‥ وعلى حد قول الاستاذة نعيمة حمدى أن الرقابة

تمنع الافلام المخلة أو بعض المشاهد الخارجة حفاظا على عاداتنا وتقاليدنا ولا تمنع الافلام ذات الطابع السياسى أو التى تنقد المجتمع المصرى الان ٠

لكن اذا شاهدنا فيلم « البرىء » لعاطف الطيب نجد أن الفيلم حذف منه الكثير وتغيرت النهاية ، وفيلم اخر تأخر كثيرا حتى عرض وهو فيلم « العصابة » ولم يعرض الا اسبوعا واحدا لانه ضد معاهدة كامب ديفيد ومن المعروف أن الفيلم عرض المذابح التى ارتكبتها اسرائيل ٠

ولم تكتف الرقابة بالافلام العربية بل عبثت بالافلام الامريكية الواقعية الجادة مثل فيلم « بلاتون » أو « القوة المدمرة » هذا الفيلم عن الحرب الفيتنامية ، ويبين وحشية امريكا فى هذا الغزو ٠

هذا الفيلم قد اشترك فى الحرب ولذا فان الفيلم من الافلام الجادة جدا ويصور واقع الحرب دون اضافة أو تشويه ، وقد شوهته الرقابة بالحذف وغيرت معناه ٠

ولابد أن تعلم الرقابة أن طريقتها فى تشويه الافلام سوف تفقدها الريادة وسوف تفقدها كل ما تملك ، ولابد أنهذا جيد ٠

حازم صلاح عمر

● مع أصدقائنا

● **سمير أبو النصر حافظ ـ الاسماعيلية :**

ـ نحن ننشر من الشعر ما يصلح للنشر وهو قليل مع الاسف ، وليس من خطتنا عدم نشر الشعر كما تظن ، وتجد فى هذا العدد ثمانى قصائد مرة واحدة ٠

● **كريمة احمد عبد المجيد ـ أسيوط :**

ـ لم نفهم مقصودك من قصيدتك التى عنوانها « لست شاعرا » ٠٠ هل تريدين ألا يهتم الشاعر بقضايا وطنه ، ويقتصر على « التغريد » فقط مثل طيور البساتين والحقول ؟!

● **عمرو محمد عبد الحميد ـ « مصر العربية » :**

ـ أنت لا تكتب من عنوانك الا كلمتين هما : « مصر العربية » ولكن هذا عنوان كل المصريين لا عنوانك وحدك ٠٠ فحاول أن تفرق بين الخاص والعام فى تفكيرك ٠٠ أما أقصوصتك التى اعتذرنا اليك من عدم نشرها فلا توجب كل هذا الحنق الذى أبديته فى رسالتك الينا ، وأنت تقول انها ستنشر قريبا في واحدة من أرقى المجلات الادبية ، فنهنئك مقدما ونسألك : لماذا تزعل اذن ؟ وأنت تتوهم أن محرر هذا الباب لا يعرف أن القصة الحديثة ليست حكاية ولكنها ـ على حد قولك ـ « استخدام شديد الخصوصية للالفاظ يرقى بالكتابة الادبية الى درجة الرسم والموسيقى » ٠٠ ولا نملك الا أن نشد على يدك ونقول لك : هنيئا لك هذا الرسم وهذه الموسيقى ، وما أبعدك عن الانصاف يا بنى وأنت تتحدث عن بديع الزمان الهمذانى ، وما أقل معرفتك بقراءات محرر هذا الباب واهتماماته !٠

ونشكر اصدقاءنا الاساتذة : رفعت عبد الوهاب المرصفى ٠٠ عاصم فريد البرقوقى ٠٠ عبد الرحيم الماسخ ٠٠ رفعت محمد بروبى ٠٠ رضا ابراهيم عبد المعطى ٠٠ ايمان ابراهيم عبد المعطى ٠٠ ابراهيم أحمد عبده ٠

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد/ عبدالعال بسيوني زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

البلد	السعر	العملة	البلد	السعر	العملة
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا


مايو ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا
رمضان أيّام زمان
النجمة المصرية • فى الفن والتاريخ
• دور المراكز الثقافية فى مصر



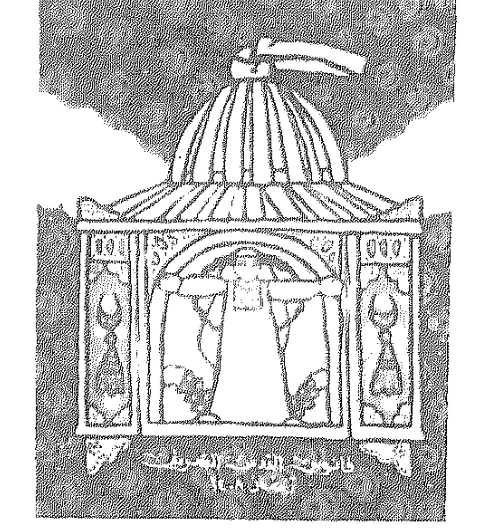
من روائع الفن الإسلامى

قطعة فنية من ضريح شهزاده محمد بمسجد السلطان سليم بأستانبول استخدمت فيها البلاطات ذات الطلاء المتعدد الألوان ، وتتفوق هذه البلاطات كثيراً على بلاطات بورسة ، من حيث دقة الصنع وروعة اللون وثراء التصميم .

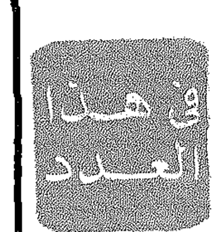
الهلال

السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجى زيدان عام ١٨٩٢ م . اول مايو سنة ١٩٨٨ ـ ١٥ رمضان سنة ١٤٠٨ هـ



● تصميم الغلاف
الفنان : حلمى التونى



● فكر وثقافة ●

●● كان ياما كان

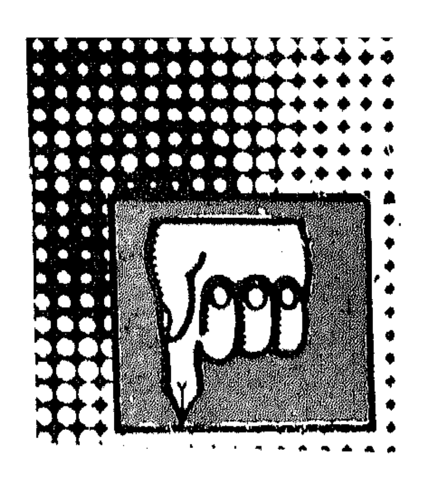
●● رسالة جنيف :

قضايا حيوية :

دراسة الهلال

قصة وشعر

الأبواب الثابتة



عزيز الفارى

رمضان موسم ثقافى

شهر رمضان موسم دينى أصيل منذ نزل فيه القرآن الكريم على النبى الأمين قبل ألف واربعمائة عام ..

وهذا الموسم الدينى - فى جانب كبير منه - موسم ثقافى أيضا .. فالدين علم وثقافة ، والعارفون بالدين اسمهم « علماء » .. وقد كانوا خلال أربعة عشر قرنا هم غالبية مثقفى الأمة وقادة الرأى فى شئون الدنيا والدين .

والقرآن الذى نزل فى شهر رمضان هو كتاب العربية الأعظم ، عاشت به اللغة العربية التى هى أساس استمرار وجود الأمة العربية .. ولولا الأمة العربية ما انتشر الاسلام فى العالم خلال القرن الأول الهجرى ، ولولاها ما بقى بعد ذلك إلى القرن الخامس عشر وما سوف يتلوه من التاريخ الهجرى المديد ..

والعرب هم الذين جمعوا القرآن فى ستة مصاحف متطابقة الرسم فى عهد عثمان بن عفان ، وفرقوها فى المدينة ومكة والبصرة والكوفة ودمشق فانبعثت منذ ذلك الحين أكبر حركة فكرية وعلمية وثقافية فى التاريخ دارت حول كتاب سماوى ..

وكانت المصاحف الستة غير منقوطة ، وغير مشكولة ، فاختلفت فى نطقها الالسنة ، حتى وضع أبو الأسود الدؤلى فى العصر الأموى علامات التنقيط ، ولكنها لم تكن كافية لضبط القراءة ، فوضع الخليل بن أحمد فى العصر العباسى علامات الشكل وغيرها .. وتبلورت سبع أو عشر قراءات ، أو أربع عشرة قراءة ، تتفق فى كل شىء إلا فى قليل من النقط وعلامات التشكيل وحركات الامالة وتصريف الافعال ، وعدد الآيات والكلمات ..

فقراءة حفص تقرأ : « الرياح بشرا ... » بالباء .. ورواية ورش تقرأ : « نشرا .. » بالنون .. وفى سورة « الحديد » يقرأ حفص : « فإن الله هو الغنى الحميد » .. ويقرأ ورش : « فإن الله الغنى الحميد » بحذف « هو » .. وفى سورة « الشمس » يقرأ حفص : « ولايخاف .. » بالواو .. ويقرأ ورش : « فلا يخاف .. » بالفاء ..

ويختلف عدد آيات القرآن بين حفص وورش بسبب تقسيم الآية الواحدة إلى آيتين ،

أو إدماج الآيتين فى آية واحدة .. وليس حفص وورش إلا قارئين اثنين من قراء كثيرين وعلماء قراءات لا حصر لهم ..

وقد اجمع المسلمون منذ كتابة مصاحف عثمان على أن عدد سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة ، ولم يأخذوا بما قاله الصحابي الكبير عبدالله بن مسعود من أنها مائة واثنتا عشرة فقط ، وأن سورتي « قل أعوذ برب الناس » و « قل أعوذ برب الفلق » ليستا من القرآن وإنما هما من أدعية النبي للحسن والحسين .. وكان المصحف الذى كتبه ابن مسعود لايتضمن هاتين السورتين اللتين تضمنتهما مصاحف عثمان بن عفان التى اقرها الصحابة من مؤيدى عثمان ومعارضيه جميعا ..

هكذا كان القرآن محور الفكر والثقافة والبحث عن الحقيقة والحوار بين المسلمين ، من الأندلس إلى الهند ، ومن حدود الروم إلى عدن وبحر الهند ، فضلا عن العمل الجبار فى التفسير والفقه وسائر علوم ذلك الكتاب العظيم الذى نزله به الوحى فى شهر رمضان الكريم ..

وما أحوجنا الآن إلى هذه السعة فى التحرك حول القرآن بعد ان تكاثرت حوله أوهام المتطرفين ، وتخرصات القشوريين الذين تخلفوا عن العصر وتحصنوا فى مارستان اقاموه بأيديهم وسجنوا عقولهم وراء جدرانه الصماء ! ..

على أنه بالرغم من التيارات الهوجاء التى استقطبت بعض العناصر متشدقة بالدعاوى الدينية القائمة على الأوهام ، لم يتوقف شهر رمضان الكريم عن العطاء بسخاء فى أيامنا هذه كموسم حافل للثقافة العربية الاسلامية المبرأة من الشوائب والشعوذات ..

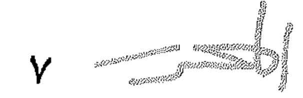
إن شهر رمضان الزاهر يبسط رداءه الثقافى على مجالات واسعة فى الصحف والاذاعة والتليفزيون والمسرح والسينما والندوات والسهرات ... وقد يختلط فى هذه الساحات غث الفكر بسمينه ، وصحيح القول بباطله ، ولكن الحصيلة تجىء فى النهاية محققة للفائدة المرجوة ..

وقد انقلب هذا الشهر الكريم عند بعض الناس طعاما كثيرا للبطون ولكنه بقى فى جملته طعاما وفيرا للعقول والأرواح ، وانتصرت فيه افكار العقلاء المخلصين على شطحات الجهلاء والمتشنجين ..

وفى ليلة القدر التى هى خير من ألف شهر نزل القرآن ، وهى ليلة الدعاء المستجاب .. فاللهم ـ يا أكرم الأكرمين ـ تقبل دعاءنا هذا إن وافق صعوده إلى سمائك انبلاج هذه الليلة المباركة : « اللهم انقذ الاسلام من أعدائه الصهيونيين وأعدائه الاستعماريين ، ومن بعض أبنائه الاغرار الذين جهلوا حقيقته فتحولت أعمالهم التى يظنونها جهادا ، إلى معاول تحاول هدمه وتضع نفسها بلا وعى فى خدمة الاستعمار والصهيونية » ! ..

« اللهم اجعل عمل أولئك الأعداء الألداء ، وهؤلاء الأبناء غير الأسوياء ، حصيدا تذروه الريح الهوجاء » ! ..

اللهم آمين ! ..



رمضان زمان

رمضان في مصر المملوكية

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

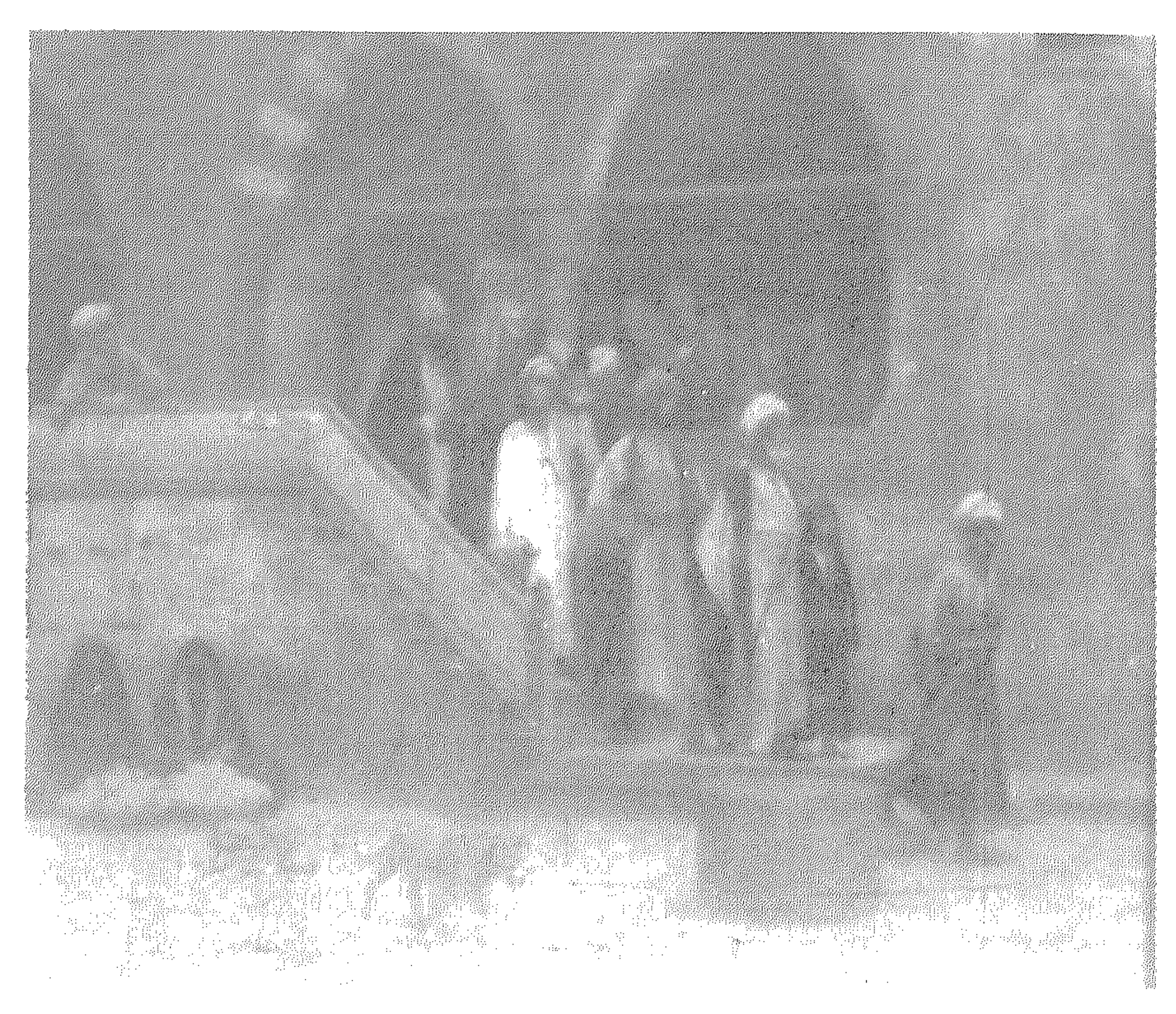
لم تكن الدولة المملوكية في عهديها بالسوء الذى يحاول بعض المؤرخين تصويرها به ، حين لا يرون فيها غير فوضى الحكم وظلم السلاطين ، وإنما كانت لها أمجاد حقيقية في مجالات عديدة ، حربية ومدنية وثقافية ، وحققت إنجازات حضارية راقية ، فى مجال المعمار والخدمات الاجتماعية .

فقد نجح المماليك فى صد تيار المغول الذين قوّضوا بغداد ، وعرضوا الحضارة الاسلامية كلها للضياع ، ووفقوا توفيقا عظيما فى مكافحة الصليبيين ، وطردوا البقية الباقية منهم نهائيا من السواحل الاسلامية .

وأضفى السلاطين على أنفسهم صفة شرعيّة حين حاولوا إحياء الخلافة ، وأتوا بالخلفاء العباسيين ليقيموا فى القاهرة ، وهى منزلة لم يصب إليها غيرهم من الحكام المسلمين فى ذلك الزمان ، وكل ذلك خلق للقاهرة صورة فى أذهان الناس أتت على صور ما سبقها من عواصم ، مما يتجلى فى القسم المصرى من كتاب ألف ليلة وليلة .

وكما حمت مصر بسيوفها بلاد الاسلام من خطر المغول ، كذلك حمت باقلامها ، وإيوائها ، تراث الاسلام الذى اوشك الخطر ان يأتى عليه ، فقد فتحت بعد كارثة بغداد ابوابها لكل النازحين اليها من العلماء والأدباء الفارين من وجه الخطر المغولى من العراق وما وراءه ، ووفد عليها الاندلسيون الذين سقطت اوطانهم فى يد النصارى الاسبان ، أو الذين خافوا السقوط ، كما وفد قبل هؤلاء علماء صقلية وأدباؤها بعد أن احتلها النورمان .

كل هؤلاء الوافدين وجدوا الأمن ، وجرت عليهم الأرزاق من الدولة ، فعكفوا على جمع مواد الثقافة الاسلامية مع علماء مصر ، فى موسوعات ضخمة ، لا تزال المورد العذب لكل الناهلين من التراث ، والراغبين فى الارتواء من ينابيعه ،



جماعات المسلمين الذين تكتظ بهم المساجد فى رمضان يغادرون المسجد بعد صلاة الجماعة

وتتجلى آثاره واضحة فى لسان العرب لابن منظور ، ونهاية الأرب للنويرى ، وصبح الاعشى للقلقشندى ، ومسالك الابصار فى ممالك الامصار لابن فضل الله العمرى ، وموسوعات أخرى كثيرة .

وازدهرت الصناعات المختلفة ، من صناعة النسيج والقماش والملابس ، والأثاث والجلود والحلى ، والمعادن والزجاج الملون والاسلحة والسفن ، وأصبح لكل فئة من الصناع نقابة خاصة بهم ، تنظر فى شئونهم ، فيما يقع بينهم ، أو يتصل بعلاقتهم بالدولة ، أو فيما بينهم وبين الشعب .

ولم تكن التجارة بأقل ازدهارا ، إذ كانت مصر تمسك بالشطر الأكبر من ازمّة التجارة العالمية بين الشرق والغرب ، وتحصل من مكوسها على دخل ضخم ، وتجلى هذا الثراء واضحا فى بناء القصور الباذخة ، والتفنن فى ألوان المتع والبهجة .

ومع الثراء والامن عادت الأعياد الكثيرة التى كانت مصر تعرفها فى العصر الفاطمى ، وزادت عليها الاحتفال بعيد محمل الحج .

ومع أن المدونات قلما تعنى بالحياة الاجتماعية عند عامة الناس ، وإنما تعرض لها عجل ، فى سطور قليلة ،



وإشارات موجزة ومتناثرة ، ولم يكن الرحالة الأجانب قد بدأوا يتدفقون عليها بعد ، وحتى الرحالة العرب ، وجلهم من المغاربة ، كانوا قلة ، ولهذا كان التأريخ للحياة الاجتماعية صعبا الى حد كبير ، ولو أنه ممكن على أية حال .

● الاحتفال بشهر الصوم

كان احتفاء المصريين برمضان يبدأ شعبيا وحكوميا فى اليوم التاسع والعشرين من شهر شعبان ، ففى المساء من هذا اليوم يترقب الناس الهلال ، فيعتلون مع غروب الشمس اسطح المساجد والمآذن والبيوت العالية ، فى احتفال رسمى يضم كبار العلماء ورجال الدين والصوفية والدولة ، الى جانب ما تقوم به جماعات متفرقة فى مختلف انحاء المدينة وفى القرى ، فإذا رآه اثنان اخبرا القاضى ، وشهدا على ذلك عنده ، وأعلن بدء الصيام .

وقد ترك لنا الرحالة المغربى ابن بطوطة ، وزار مصر عام ٧٢٦ هـ - ١٣٢٥ م ، وصفا دقيقا للاحتفال برؤية هلال رمضان ، فى مدينة الابيار قرب المحلة الكبرى ، يمكن ان نعتبره صورة مصغرة لما كان يجرى فى المدن الكبرى ، يقول :

«ولقيت بابيار قاضيها عز الدين المليجى الشافعى ، وهو كريم الشمائل كبير القدر ، حضرت عنده مرة يوم الرُّكبة ، وهم يسمون ذلك يوم ارتقاب هلال رمضان ، وعادتهم فيه أن يجتمع فقهاء المدينة ووجوهها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين لشعبان بدار القاضى ، ويقف على الباب نقيب المتعممين ، وهو ذو شارة وهيئة حسنة ، فإذا أتى أحد الفقهاء أو الوجوه تلقاه ذلك النقيب ومشى بين يديه قائلا : بسم الله سيدنا فلان الدين ، فيسمع القاضى ومن معه ، فيقومون له ، ويجلسه النقيب فى موضع يليق به ، فإذا تكاملوا هنالك ركب القاضى وركب مرة من معه أجمعين ، وتبعهم جميع من بالمدينة من الرجال والنساء والصبيان ، وينتهون الى موضع مرتفع خارج المدينة ، وهو مرتقب الهلال عندهم ، وقد فرش ذلك الموضع بالبسط والفرش ، فينزل فيه القاضى ومن معه فيرتقبون الهلال ، ثم يعودون الى المدينة بعد صلاة المغرب ، وبين أيديهم الشمع والمشاعل والفوانيس ، ويوقد اهل الحوانيت بحوانيتهم الشمع ، ويصل الناس مع القاضى إلى داره ثم ينصرفون ، وهكذا فعلهم فى كل سنة .

وما إن تتقرر بداية الشهر حتى تنشط المدينة ليلا ، فتشعل الشموع والفوانيس فى الشوارع والأسواق والطرقات وبأيدى الناس ، وتنتعش الحياة فى سوق الشماعين انتعاشا كبيرا ، فتظل حوانيته مفتوحة حتى منتصف الليل ، ولا تنقطع فيه الحركة أبدا ، بين راغبين فى الشراء ، أو للنزهة ، أو لأشياء أخرى .

وهذه السوق قديمة بدأت فى عصر الدولة الفاطمية ، وفيها تباع الشموع بانواعها المختلفة ، موكبية وطوافات

وفوانيس ، وكانت الواحدة من الشموع الموكبية يصل وزنها الى عشرة أرطال ، والضخمة منها قد يبلغ وزنها ما يزيد على قنطار ، وكانت تؤجر لتستخدم فى صلاة التراويح ، فى موكب يقول المقريزى عنه : « يعجز البليغ عن حكاية وصفه » ، وفيه يتجمع الموكب حول إحدى الشموع الضخمة التى يجرها الأولاد على عجلات ، وقد أمسك كل واحد منهم بفانوسه ، وهم يرددون الأغنيات الدينية ، ويطوفون دروب المدينة وأزقتها من بعد المغرب حتى صلاة العشاء والتراويح .

ولكن الحياة فى سوق الشماعين لم تكن دينية خالصة ، وإنما لها جانبها الدنيوى ، وحتى السيىء منها فيذكر المقريزى نفسه أن حوانيت هذه السوق « كانت تظل مفتوحة طوال الليل وكان يجلس به بالليل بغايا يقال لهن زعيرات الشماعين ، لهن سيما يعرفن بها ، وزى يتميزن به ، وهو لبس الملاءات والطرح ، وكن يعانين الزعارة ويقفن مع الرجال المشالقين فى وقت لعبهم ، وفيهن من تحمل الحديد معهم » .

وكان تعليق الفوانيس على البيوت وفى الشوارع والأمكنة العامة دليلا على جواز الاكل والشرب مادامت معلقة موقودة . وتظل المطاعم مفتوحة حتى السحور ، تستقبل زبائنها ، وكان عددها كبيرا يبلغ الألاف ، ذلك أن عامة المصريين فيما يبدو كانوا يتناولون طعامهم خارج منازلهم . على حين يفترش باعة الطعام المطهى بكافة انواعه الأرض ، فى الأسواق ، والطرقات ، وبجوار المساجد ، وأمامهم « طبليات » تحتها مواقد ، ليبقى الطعام ساخنا ، وهم يبيعونه للمارة والراغبين .

وكانت حوانيت « الشرائحيين » تقوم الى جانب المطاعم ، وهى التى يرسل إليها الأغنياء والمقتدرون ما يريدون طهيه من لحوم وخضراوات ، فيقوم الشرائحى بطهيها بعد خلطها بالتوابل والبهارات ، ويردها الى أهلها فى منازلهم مع صبيانه ، فى قدور مغطاة ، لحفظها من الغبار وعيون الناس ، لقاء أجر معين يأخذه من زبائنه .

● استعدادات لشهر الصوم

وفى رمضان تنشط الحياة فى سوق الحلاويين ، حيث تباع الحلوى المصنوعة من السكر فى أشكال على هيئة قطط أو سباع أو غيرها من الحيوانات والطيور ، وعرفت باسم « العلّاقات » ، لأنها كانت تعلق بخيوط على أبواب الحوانيت ، وكانت حركة السوق تبلغ أوجها فى مواسم أول رجب ونصف شعبان وعيد الفطر ، وكان الاستعداد له يبدأ منذ النصف الثانى من شهر رمضان ، ويشترى الناس هذه التماثيل السكرية لأطفالهم ، ويتهادونها أيضا .

ومن المعتاد أن يقوم التجار بتنظيف الشارع أمام محالهم وأن يرشوها بالماء اذا كان الجو صيفا ، ويؤدوا صلاة المغرب والعشاء فرادى أو جماعات أمام حوانيتهم . على حين تمتلىء المساجد بالمصلين ، يغشاها الناس مع صلاة العشاء ، ويبقون فيها ردحا من

الزمان بعد صلاة العشاء والتراويح ، لقراءة القرآن ، أو ترديد الأذكار ، أو الاستماع إلى الدرس الديني .

فإذا جاء وقت السحور بدأ المسحراتي بطبلته يطوف الحي الخاص به ، وحوله بعض الصبية ، ينادي أصحاب البيوت أن يستيقظوا : « يانايم وحد الدايم .. » ، وفي صبيحة يوم العيد تدفع له كل أسرة ما في وسعها ، نقدا أو عينا ، أو تجمع بينهما .

وفي الاسبوع الأخير من الشهر الكريم يبدأ « التوحيش » مع الليلة التي لن تتكرر ، وفيها يتلو الامام بعد صلاة العشاء والتراويح دعاء مطولا منغما يعدد فيه ما كان لرمضان من الخير ، وما سوف يفتقد الناس بذهابه من البركات ، ويكرر الحاضرون هذا الدعاء وراءه ، ويقبل الصبيان على حضور صلاة العشاء في هذا الاسبوع بخاصة ، ليرددوا منغمين ، وبصوت مرتفع ، دعاء الامام .

وعلى حين تتخذ منه طائفة مناسبة للتباهي والتكاثر في الأكل والشراب والإكرام وتلوين موائد الطعام ، فهناك آخرون يريدونه شهر القران والاذكار ، يتلونه بأنفسهم عبادة ، أو يأتون بمن يقرؤه في البيت تجويدا ، ويتباهى حفظة القرآن في هذا الشهر بما أعادوه من قراءة القرآن مرات ومرات . وفي المساء ، بعد العشاء يتبادل الناس الهدايا والزيارات .

كان من أشهر ألوان الحلوى التي تقدم في رمضام « الزلابية » ، وشاعت بين كل الطبقات عليا ودنيا ، مع اختلاف في مكوناتها ، وقد بلغت حدا من الشيوع جعل ابن الأخوة في كتابه « معالم القربة في أدب الحسبة » يفرد لها فصلا خاصا : « الحسبة على قلائين الزلابية » ، وكانوا في بعض البيئات يطلقون عليها اسم « لقمة القاضي » ، وفي بعضها الآخر « عميمة القاضي » ، إلى جانب القطايف . وكان أكل اللحم مقصورا على السحور . وفي صبيحة يوم عيد الفطر يتناول الناس التمر مطبوخا ، بعد أن تضاف اليه التوابل والبهارات ، الى جانب ألوان أخرى تصنع من اللبن والسكر والدقيق . ويتبادلون أطباق الكعك هدايا ، وكان يتم إعدادها خلال الأيام الأخيرة من رمضان .

وكان بعضهم ، كما هو الحال الآن ، يفضل أن يشتريه . جاهزا ، لأن ابن الحاج في كتابه « المدخل إلى الشرع الشريف » . عاب على معاصريه أنهم يشترون الكعك الذي يصنعه اليهود بمناسبة عيد الفطر . كما كان من الشائع في العاصمة ، وبعض المدن الساحلية أن تتناول الغالبية في يوم العيد السمك المملح المشقوق ، وكان هذا قليلا في الصعيد .

وقبيل العيد ، في يوم الوقفة ، يتزاحم الناس على « المزين » لقص شعورهم أو تهذيب لحاهم وشواربهم ، وكان هؤلاء المزينون يؤدون عملهم في محلات خاصة بهم ، للطبقة المتوسطة ،

ويذهبون الى الطبقة العليا في بيوتها ، الى جانب أولئك الذين يطوفون الشوارع والطرقات وقد ثبتوا المرايا في صدورهم ، وهم لعامة الناس من الحرفية والفقراء .

وفى ليلة العيد تزدحم الحمامات بالزبائن ، وفيها المزينون أيضا ، ذلك

أن البيوت كانت تفتقر إلى الحمامات الخاصة ، ويقصدها المصريون من جميع الفئات ، وكانت هناك حمامات خاصة بالرجال ، وأخرى خاصة بالنساء ، وثالثة تكون للنساء صباحا ، وفى المساء للرجال .

ويشغل رب الأسرة فى الأيام الأخيرة من شهر رمضان بكسوة ابنائه جميعا بملابس جديدة ، حتى لو كانوا فى غير حاجة اليها ، لأنها من مكملات ادخال البهجة على الابناء ، مما يدفع النشاط عند باعة الأقمشة والخياطين ، وفى صبيحة يوم العيد يرتدى كل فرد خير ما عنده ، ويخرج الناس إلى الصلاة فى أبهى زينة لهم . ثم يخرجون لزيارة القبور صباحا ، وهناك يجتمع الرجال والنساء ، ويختلط الغناء من البعض ، بقراءة القرآن من البعض الآخر . وحديث الوعاظ بحكايات القصاص .

ومن الناس من يتجه الى النيل ، فى امكنة كثيرة من شواطئه ، مثل الأزبكية ، وكان النيل قديما يمر بها ، وبولاق وجزيرة الروضة ، ويستأجرون القوارب والسفن الشراعية للتنزه بها ، ومعهم المغنون والمغنيات ، وكان لبعضهم شهرة غامرة ، مثل « عبدالعزيز الحفنى أعجوبة زمانة فى الغناء » و « خوبى » أعجوبة أيامها فى الضرب على العود ، ومحمد بن على الدهان ، وكان يتقن الغناء على العود .

وفى كل حى يتجمع عدد من نسوته وبناته فى أبهى زينتهن ، ويركبن عربة تجرها الدواب ، يخترقن بها شوارع المدينة ، وهن يغنين وينقرن على الدفوف ، وفى الميادين يتجمع المشعوذون والمضحكون والمهرجون ، وأصحاب خيال الظل يعرضون العابهم ، ويمتعون الناس بحركاتهم .

وفى اليوم التالى تهدأ الحركة شيئا ، فلا تبقى إلا مع الأطفال ، ثم تتلاشى بعد أيام ثلاثة ، يعود الناس بعدها الى حياتهم العادية ، يستيقظون مع الصباح الباكر ، ويعملون ماوسعتهم الحيلة وانفسح لهم باب الرزق ، فى انتظار مناسبة اخرى يستروحون فيها من شقاء الحياة ، وعناء العمل ، وتوالى الأيام فى رتابة .

وبداهة كان ماذكرنا يجرى فى أيام الرخاء وليست بالقليلة ، ومع المجاعات والجفاف والأوبئة ، وكثيرا ما كانت تزور مصر ، يبهت كل شىء ، وتتجلى آثارها واضحة على وجوه الناس وافعالهم ، وفيما يلبسون ويأكلون ، وينعكس هذا بدوره على الأسواق والحركة التجارية ، حتى أن سوق الشماعين لم يبق منها فى القرن التاسع الهجرى غير خمسة حوانيت بعد أن كانت عامرة بالمئات .

إن من لا يملك قوت يومه لا وقت لديه للعيد !

شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن

بقلم : محمد سيد كيلاني

جاء في صحيفة الفلاح (٢ - ٦ - ١٨٨٦) « في عصارى يوم الاربعاء اجتمع خلق كثير في جهات المحافظة وأخذ بعض ارباب الحرف يفدون اليها طائفة بعد اخرى وامامها الموسيقات الوطنية تصدح بانغامها المطربة • فلما اكتمل الجمع توجهوا بنظام واحتفال عظيمين تحتاطهم فوارس البوليس ومشاتهم ويتخللهم بعض العساكر ويصحبهم الآلاى المخصص لاحتفال الرؤية مارين بشارع محمدعلي فالحلمية فسوق السروجية فالغورية حتى وصلوا ميدان المحكمة الشرعية لانتظار اثبات رؤية الهلال • وكان حاضرا حضرة شيخ الاسلام وقاضي افندى وكثير من مستخدمي المحكمة • فتقدم الى حضرة شيخ الاسلام تسعة اشخاص لتادية الشهادة امامه فردهم ولم يقبل الا بشهادة اثنين، احدهما الميقاتي بالجامع الحسيني والثاني احد كتبة المحكمة • فقال الاول انه رآه بعد الغروب والآخر رآه من شباك المحكمة • عند ذلك حكم حضرة الشيخ المومأ اليه باثبات شهر رمضان المبارك ، وأرسل الخبر الى المعية السنية ومنها الى القلعة فاطلقت المدافع ايذانا بذلك وصليت التراويح

قراءة القرآن من أحب مايقوم به المسلم طوال شهر الصوم الكريم



وازدانت المســاجد بالمصابيح وتكللت المــآذن بالانــوار ، وضجت الاهــالي بالسرور ، وهرع كبار مأموري الحكومة والذوات والاعيان الى سراى عابـدين العامرة لتأدية رسوم التهنئة لجناب ولي النعم » ·

وكانت تجرى مثل هذه الاحتفــالات فى جمــيع مدن القطر ·وكان النــاس يستعدون لاستقبال الشهر المبارك بشراء الســكر واليـاميش والقــلل القناوى والاباريق · ويتفق الاغنياء مــع بعض مشاهير القراء لاحياء ليالى رمضان فى السهرات التى يقيمونها فى منازلهم وكان الناس يؤمونها لسماع أى الذكر الحكيم

وكانت روائح رمضان تتجلى فى حى الازهر · كان النــاس فى هــذا الحى يتنامــون حتى أذان الظهــر · ففى تلك اللحظة ينهضون للصلاة ، ثم ينصرف كل الى عمــله فيفتح التجار حوانيتهم ويبدأ أصحاب القهاوى تنظيف أدواتهم وأمــاكن الجلوس ويرتبــون المناضـد والمقاعد ، ويعدون التنباك والمعســـل والفحم ويغسلون الشيش والاراجيـل · وتبدأ المطاعم فى اعداد الأطعمة ، وكان المار فى تلك الجهات يشاهد حركة دائبة هنا وهنــاك · القلل والاباريق مملوءة ومغطاة · وأكواب البلح المنقوع مــع الزبيب والتين أو قمر الدين · وقبيــل المغرب تشغل المقاعد بالنـاس وتهـدأ الحركة وتخلو الشوارع من المــارة · فاذا أذن للمغـرب انطــلق الصائمون يلتهمون مـن الطعــام ما شاءوا · ثم يتجهون الى القهاوى لشرب الشــاى والتدخين · أما الاغنياء فكانوا يجلسون فى المناظر فى دعة وسكون متكئين على الارائك وأمام كل منهم شيشة تنعقد منها سحب الدخان ممزوجة بالعنبر فيتـآلف من ذلك جو سحرى جميل ·

ثم يترك الناس القهاوى والمنــازل ويذهبون الى المساجد لصلاة العشــاء والتراويح· وكان بعض الاخيار يحملون الصــوانى وعليهــا كمية من الاطعمة ويذهبــون الى أقرب مسجد ويدعـون الفقراء لمشاركتهم فى الطعام · كانـت النفوس خيرة حيث لا حقد ولا ضغينة · وظلـت الحــال كـذلك الى أوائــل الخمسينيات من هذا القرن ·

● الازهر وليلة القدر

وكان الجامع الازهر يظل مفتوحا ليل نهار طوال هذا الشهر المبارك · قــال أبو بكر العياشى الرحالة الجزائرى الذى جاء الى القاهرة سنة ١٠٣٧ هـ « وبتنـا تلك الليلة بالجامع الازهر لانها ليــلة سبع وعشرين من رمضان ، وفى الحقيقة كل الليالى بذلك المسجد كلية القدر ، لانه معمور بالذكر والتلاوة والتعـليم آناء الليل وأطراف النهار ، لا تنقطـع منه العبادة ليلا ونهارا ، صيفا وشتاء ، فهو عـديم النظير فى مساجد الدنيــا بأجمعها » ·

« ··· فلما كان فى يوم تسعة وعشرين من شهر رمضان ختم المشايخ دروسـهم بختم الشيخ عبد السلام اللقانى بعـد صلاة الصبح · وعــادتهم فى الختم أن يحضر فى ذلك اليــوم أنجب تلامذة المدرس وكبراء اخوانه · فاذا فـرغ المدرس قرأ القارىء آيات من القـرآن مطربة ، ومنهم من يقرأها بالقــراءات السبعة · وبعــد قـراءته ينشد منشد بصوت رخيم قصــيدة من انشاء بعض التلاميذ فيها مدح النبى صلى الله عليه وسلم والترضى عن مؤلف الكتاب المقروء والدعاء للشيخ الذى يدرسه ، ثـم يقوم آخر ويثنى على الله ورسوله بثنــاء بليغ ، ثم على آل الرسول وأصحابه وتابعيهم باحسان ثم يترضى عن المشايخ أرباب المراتب · كل ذلك بنثر بديـع ولفظ فصيح · ثم يقرأ الفاتحة ويهـدى

ثوابها الى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم والى من ذكر بعده ، ويبالغ فى الثناء عليهم الى ان يصل الى الشيخ المدرس فيدعو له وللحاضرين بابلغ دعاء ، ثم يختم ٠ وبعد هذا يقوم أهل المجلس كلهم ويصافحون الشيخ ويدعون له ، ويدعو لهم ٠ ويحضر الختم جمع عظيم من النـاس وأهل الفضل والمجاذيب » ٠

***

وفى شهر رمضان يقبل المصريون على أكل الكنافة والقطائف ٠ وقد ذكر بعض المؤرخين أن معاوية بن أبى سفيان شكا من شدة الجوع فى شهر رمضان ، فوصف له طبيبه الكنافة ليتسحر بها فهى وحدها التى تدفع عنه شر الجوع وتجعله يحتمل الصيام ، ولكن ذكر الكنافة لم يجر على السنة الشعراء أو الكتاب لا فى العصر الاموى ولا فى فى العصر العباسى ولا يعرف أصل هذه الكلمة على التحقيق٠ وفى عصر المماليك رأينا بعض الشعراء يتغنون بذكرها ٠ مثال ذلك قول احدهم :

اليك اشتياقى يا كنافة زائد
فمالى غنى عنك كلا ولا صبر
فمازلت أكلى كل يوم وليلة
ولا زال منهلا بجرعائك القطر

فهذا تقديس للكنافة ليس بعده تقديس، ونوع من العبادة لهذا الصنف من الطعام ٠ فالشاعر يعبر عن شوقه وحبه للكنافة ويذكر أنه لا يطيق فراقها ولا يستطيع عنها صبرا فهى قبلته التى يتوجه اليها فى الغدو والآصال ، لا يصرفه عنها طعام آخر ولا يلهيه عنها شىء مهما جل وعظم ٠

ومن الشعراء من وازن بينها وبين القطائف وفضل الكنافة عليها ٠ ومنهم من أظهر الكنافة بمظهر الساخر من القطائف المحتقر لها ٠ مثال ذلك قول أحدهم :

غدت الكنافة بالقطائف تسخر
وتقول انى بالفضيلة اجدر
طويت محاسنها لنشر محاسنى
كم بين مطوى واخر ينشر
لحلاوتى تبدو وتلك خفية
وكذا الحلاوة فى البوادى اشهر

فى هذه الابيات ترى الكنافة تزهو بنفسها وتشمخ بأنفها وتتيه كبرا ودلالا، وتسخر من القطائف سخرية مرة وتقول انها أحق بالفضيلة من القطائف لان محاسنها ظاهرة وواضحة للعيان فى حين أن محاسن القطائف مخفية فى داخلها وحلاوتها محشوة فى جوفها ، والكنافة متبرجة سافرة تلفت نظر الناس الى جمالها وبهائها فيقبلون عليها فهى ناجحة فى كسب الزباين بما تثيره فيهم من الشهوة لقد عرفت القطائف منذ العصر العباسى وجاء ذكرها فى شعر ابن الرومى وكشاجم والطغرائى وغيرهم ٠ أما الكنافة فلم يرد لها ذكر الا فى العصرين الايوبى والمملوكى،

وقد لاحظت أن الشعراء المصريين كانوا أول من لهج بذكر الكنافة فى اشعارهم وأول من تغنى بها ٠ قال ابو الحسين الجزار :

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر
وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبا لاوقات المخلل انها
تمر بلا نفع وتحسب من عمرى

فالشاعر ساخط وناقم على أوقات الفقر التى لا ياكل فيها سوى المخلل ، وهو يدعو للكنافة بدوام السقيا بالماء المذاب فيه السكر ٠

وهذا شاعر يتألم ويشكو لانه لم يذق

الكنافة ولم ترها عينه الا عند البائع في الدكان . قال :

ما رأت عيني الكنافة الا
عند بياعها على الدكان

فما أتعس هذا الشاعر المسكين ، وما أحوجه الى العطف والرثاء :

أما القطائف فكان لها عشاقها . ومن الشعراء من شبهها بحقاق العاج ومنهم من شبهها بوصائف قامت بجنب وصائف . ومنهم من شبهها وقد رصت في الاطباق بالمصلين الذين يسجدون وراء الامام . فالشاعر الذي يقول :

لله در قطائف محشوة
من فستق دعت النواظر واليدا
شبهتها لما بدت في صحنها
بحقاق عاج قد حشين زبرجدا

فقد خلبه منظر القطائف وشكلها الذي يشبه شكل العاج . أما الحشو فلا سبيل الى معرفته الا بعد أن يقضمها .

والشاعر الذي يقول :

وقطائف محشوة بلطائف
طافت بها أكرم بها من طائف
شبهتها نضدت على أطباقها
بوصائف قامت بجنب وصائف

لم ينظر الى شكل القطائف ولا الى لونها . ولا الى ما حشيت به ، وانما نظر الى الطريقة التي وضعت بها في الطبق فذكر أن النظام كان تاما ودقيقا ومعبرا عن حسن الذوق . والوصائف جمع وصيفة وهي المرأة التي تقف الى جانب الملكات .

***

وفي سنة ١٩٠٠ م أراد الخديو عباس حلمي أن يستمع الى درس في التفسير خلال شهر رمضان . فاختاروا له الشيخ أحمد الرفاعي . قال أحمد شفيق باشا في مذكراته « ... وفي ذات يوم تحدث ــ يعني الشيخ الرفاعي ــ عن « أرم ذات العماد » فهالنا ماأورده عنها من الروايات الغريبة لا سيما القول بأنها مدينة شيدت طوبة من الذهب وأخرى من الفضة وانها معلقة بين الارض والسماء . ثم توسع في ذلك وعرض الى علم الفلك بأسلوب يثير الاشفاق والضحك ، فكنا والخديو نزم شفاهنا حتى يغلبنا الضحك الرنان » .

« ولما انتهى الدرس وأفطرنا اجتمعنا مع الخديو وتحادثنا فيما سمعناه من الشيخ فأبدى سموه دهشته وانكاره لطريقته وتقرر ان يرسل لشيخ الازهر باستبداله فانتدب مكانه الشيخ الشربيني » .

***

وفي الخمسينيات من هذا القرن بدأت الصحف المصرية تنشر بانتظام أحاديث عن الصيام ، بعضها يخصص صفحة وبعضها يخصص صفحتين ، الا أن هذه الاحاديث تتناول في كثير منها امورا تافهة مثل « أدب قضاء الحاجة » ويذكر الكاتب هذه الاداب ، ومنها ان يقدم الانسان قدمه اليسرى عند الدخول الى المرحاض ويقول « باسم الله ، اللهم اني أعوذ بك من الخبث والخبائث » وهذا كلام لا ينبغي أن يسأل عنه رجل رشيد .

ومنذ أواخر الخمسينيات بدأت مصر ترسل مشاهير القراء الى مختلف البلاد الاسلامية وبعض البلاد الاخرى التي يكثر فيها المسلمون .

وقبل رمضان بعدة أشهر تستعد الاذاعتان المسموعة والمرئية ببرنامج حافل من التمثيليات والاحاديث والابتهالات الدينية ، ولكن الملاحظ أن التفاهة والسذاجة قد غلبت على هذه البرامج ، لانها صارت منذ زمن بعيد حكرا على أشخاص معينين افلسوا فأصبحوا يكررون أنفسهم . فالاستماع الى مثل هذه البرامج مضيعة للوقت ، نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير .

النجمة المصرية في الفن والتاريخ

بقلم : د. نعمات أحمد فؤاد

مفاهيم كثيرة خاطئة في تراثنا .. من هذا الكثير (نجمة داود) .. ووجود اليهود زمانيا بدأ فى ايام الهكسوس فى الأسرة السادسة عشرة الفرعونية ... ومنذ ظهورهم كانت مصر بالنسبة اليهم ، بلدا مبهرا يعشون الى ضوئه .. و« فرويد » نفسه الذى يعدونه من أكبر علمائهم يقول فى كتابه عن موسى (إن عقدة اليهود سبق مصر فى الحضارة) .

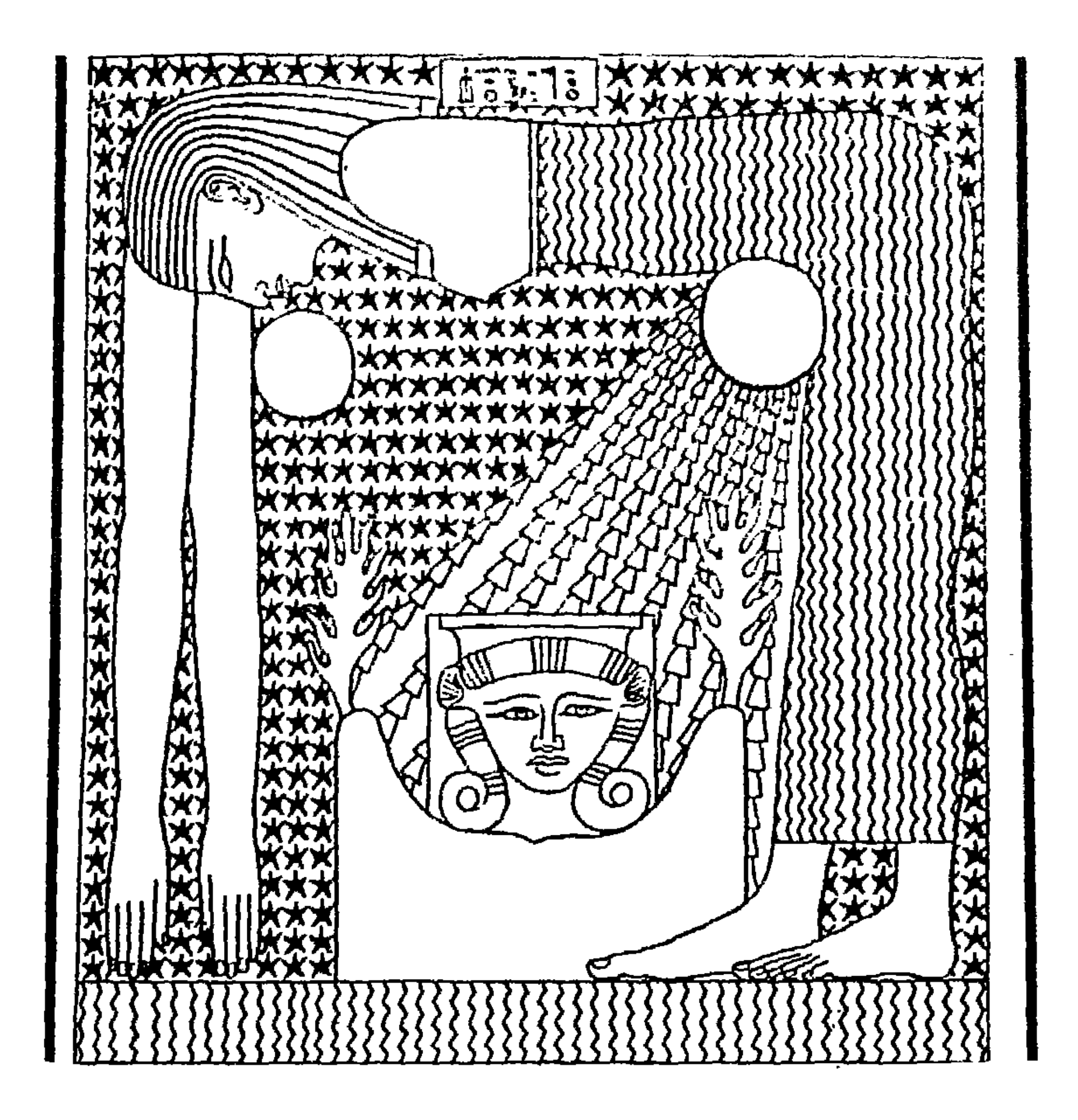
● يوسف يقول لاخوته (وقد أحسن بى إذ أخرجنى من السجن وجاء بكم من البدو) وموسى تربى فى قصرنا ، وتعلم السحر فى مدينتنا « أهناسيا » ببنى سويف ـ ١٠٠ك يوسف ١٢ ـ كما تعلم فيها من قبل « يوسف » تأويل الأحلام .

يقول جارستانج Garstang فى حديثه عن الهكسوس (١٧٥٠ ق . م ألف وسبعمائة وخمسين قبل الميلاد) (ان العبريين الذين يسمون أنفسهم بأبناء إسرائيل لم يكن لهم رأى وأثر بين القبائل التى فى طريق مصر ، ولم يذكر لهم اسم فى أثر من الآثار التاريخية قبل سنة ١٢٢٠ (الف ومائتين وعشرين قبل الميلاد) .

وجاء فى الجزء الثانى من قاموس الكتاب المقدس :

قامت فى مصر فى عصور ما قبل التاريخ عدة ثقافات متنوعة من عام ٥٠٠٠ ق . م تقريبا الى زمن قيام الاسرة الأولى او حوالى سنة ٣٢٠٠ ق . م (ثلاثة الاف ومائتين) .

ويقول د . هول D . R Hall إن اليهودية استعارت من مصر كثيرا من



نانت المولود من باطن الارض تسقط اشعتها على حاتور فى الافق

الشعائر والمعبودات (ولا ريب فى ان نفوذ مصر على اسرائيل كان كبيرا وقت طرد الهكسوس) .

والوثائق العلمية فى هذا الباب كثيرة يفرد لها الحديث .

أقول لا وجه للمقارنة الحضارية التاريخية بين مصر واسرائيل .

اسرائيل الى الآن دولة عمرها اربعون عاما ولكن مصر أمة قبل التاريخ بآلاف السنين .

واليهود فى كتبهم ومنها (الفكـر اليهودى) الذى ألفه د . هرش حاخام انجلترا يقول (إن تاريخ اليهود أربعة آلاف سنة ـ ولم يقل أمة اليهود ـ) على أن هذا التاريخ الرقمى ضعف الحقيقة بما عرف عنهم من وضع وتحريف وتزيد واسقاط وانتحال ، فى عملية لوى مسار الوقائع لصالحهم .

وكتاب (تراث إسرائيل) الذى أخرجته اكسفورد فى سلسلة التراث ومنها تراث مصر وتراث الاسلام) يجمعون على أن مفخرتهم الكبرى « التوراة » وهذه التوراة يصفونها ، هم أنفسهم بأنها « صرح أدبى بحت .. وضع خطين تحت كلمة (بحت)

النجمة المصرية في الفن والتاريخ

بينما تراث مصر منذ أقدم عصورها عمارة ونحت ونقش وأدب وموسيقى وهندسة وطب وكيمياء يشهد بهذا آثارها الماثلة للعيان .

وبعض هذا معبد « مندرة » وبه مسارات النجوم ، ومدارات الأفلاك بل قبل هذا بكثير هرم « ونيس » الذى يشيع نطقه « اوناس » نجد سقف حجرة الدفن كله مزخرفا بالنجوم رمزا الى السماء تظلّه وانه يعيش فى عالم النجوم .

ويقول كتاب (مصر) تأليف اتيين دريوتون وچاك ڤاندييه (ان ملوك الأسرة الخامسة كانوا يعتبرون انفسهم تابعين مباشرة للاله رع اى ان ديانتهم شمسية .

وأقول قبل الأسرة الخامسة ، سقف هرم الملك « زوسر » بسقارة من الأسرة الثالثة ، مزين بالنجوم الخماسية .

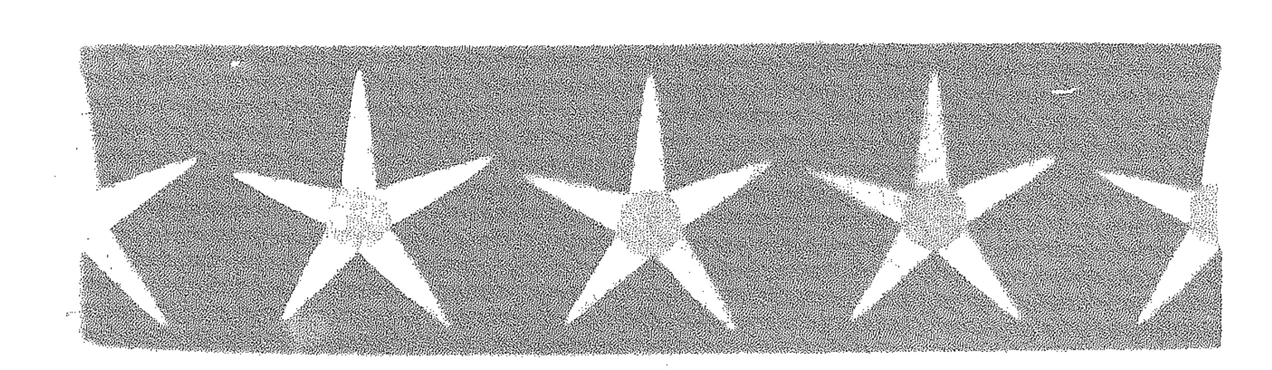
وسقف مقبرة الملك « سنفرو » من الأسرة الرابعة مزين بالنجوم السداسية . والنجمة السداسية نقلها اليهود فيما نقلوا عن مصر وفى كتاب (أخلاق وعادات المصريين القدماء) تأليف صموئيل بيرش ، النجمة السداسية .

فى المتحف المصرى الدور الأول تمثال الالهة « نوت » مغطى بالنجوم وهى فى مصر القديمة كما يقول كتاب (آلهة المصريين) تأليف E · A · Wallisbudge ابنة شو وتفنيت وزوجة (سب) إله الأرض وأم اوزوريس وايزيس وست ونفتيس وهى تجسيد للجنات والسماء والمدارات التى تطلع منها الشمس وتتنقل فى رحلتها من الشرق الى الغرب) جـ ٢ ص ١٥٥ .

والنجوم موضوع دراسة فى كتاب (المصريون القدماء) ص ٣٧٣ وفى كتاب تاريخ الزخرفة تاليف توفيق جاد رواسيلى حبيب .

كما وردت النجمة (الثمانية) فى قلادة الأميرة « خنوميت فى كتاب (الحياة اليومية فى مصر القديمة) تأليف Barbara Mertz

Red Land Black Land , Daily Life in ancient Egypt ·



هذه النجمة الثمانية اصطفاها الفن الاسلامى المصرى وأشاعها فى زخارفه ومنها الطبق النجمى المشهور .

وقد جمعت — P · Fortova Samalova فى كتابها الزخرفة المصرية نماذج من النجوم الخماسية والسداسية من معبد دير المدينة بطيبة من الاسرة ١٩ والأسرة العشرين (النجمة المسدسة المؤنثة) شكل ١٣ . ومن معبد ببان الملوك سيتى الأول الاسرة ١٩ شكل ١٤ .

ومن وادى الملكات الاسرة ١٨ تيتى شكل ١٢٦ .

● النجمة أخذت عن مصر

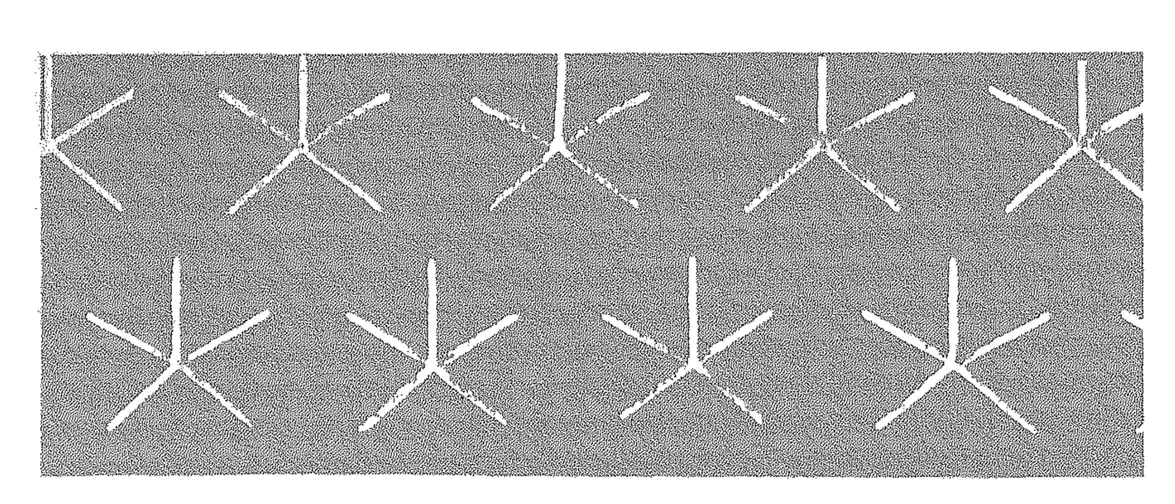
وهكذا يتضح ان اليهود أو نجمة داود مأخوذة عن مصر التى نقل عنها فى مواضع كثيرة سفر الأمثال كما نقلت عنها مزامير داود مما فصله برستد فى كتابه فجر الضمير بل ان هيكل سليمان يحاكى المعبد المصرى حرفيا كما يقول الاستاذ محمد شفيق غربال فى كتابه (تكوين مصر) فشكل المعبد ذاته بأبهائه ومدخله والعمودان البارزان القائمان كالمسلتين امام المدخل وكذلك الأسدان القائمان على عرش سليمان .. كل ذلك يحمل الطابع المصرى .

بقيت كلمة عن الديانة المصرية ورمزها بالشمس والنجوم .

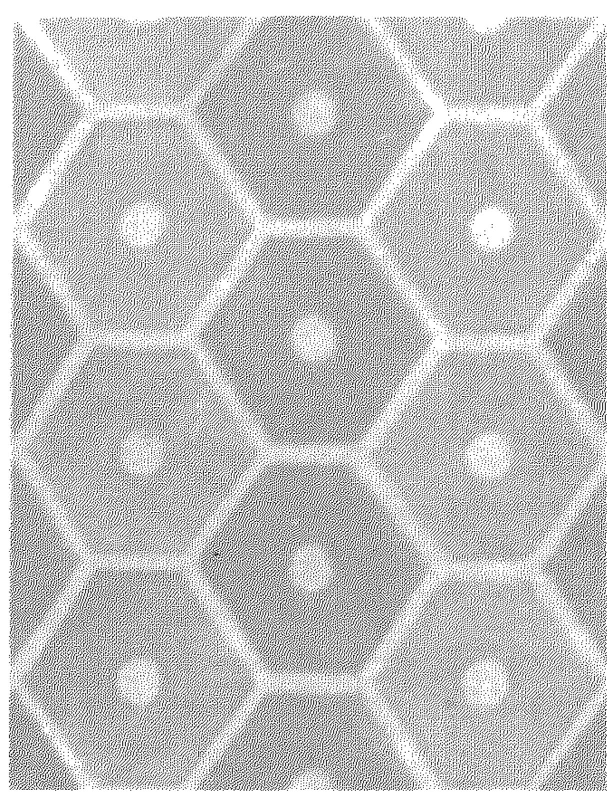
يقول برستيد (من الواضح ان ما كان يقدسه الملك هو القوة التى بمقتضاها تجعل الشمس نفسها محسوسة فى الأرض) .

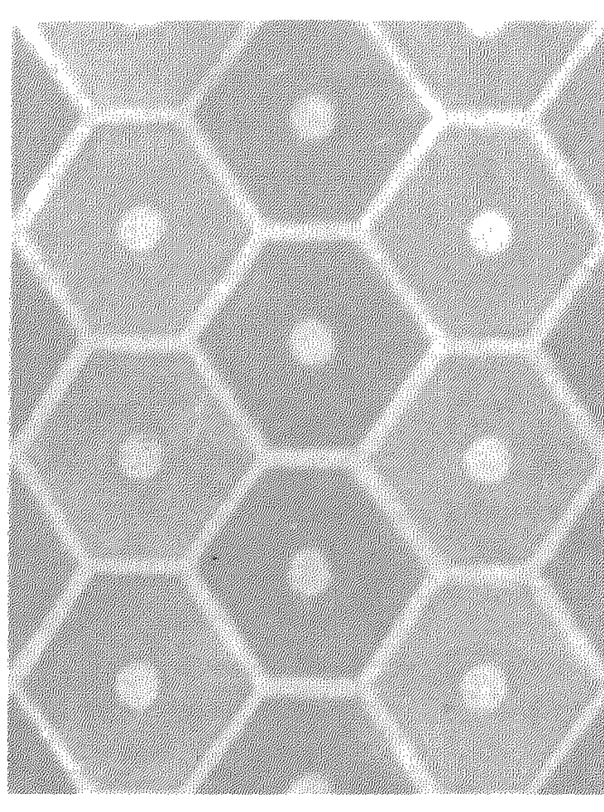
ويقول ادولف ارمان فى كتابه (ديانة مصر القديمة) هناك كلمات يقصد بها التعبير بشكل مجرد عن حقيقة ان النجم نفسه ليس محل العبادة بل الذات الالهية التى تتجلى فيه .

إن الفن المصرى بلغ ذروة لايشائيها احد من واقع المجلدات التى ألفها الغرباء ، قبلنا ، مثل G · Maspero فى كتابه :
(Essais sur L´art E´gyptien) وهو مطبوع سنة ١٩١٢ وارمان فى كتابه Life in ancient Egypt والن جاردنر فى كتابه (مصر الفراعنة) و capart فى كتابه :
·· Lectures on Egyptian art
وقد زودت المقال بصور هى خير شاهد .



النجمة المصرية في الفن والتاريخ





جوهرة الأميرة خنوميت

كلما درسنا الفن المصرى مرة ومرات ، لفنا الذهول ... كلما اوغلنا فيه قالت آثاره ، أكثر ... وأعطتنا احساسا اكبر بالاتقان ... وهنا استشهد كابارت بهتفة nestor L 'Hote أحد رفقاء شامبليون حين صاح (عن الفن المصرى نحن نعرف فقط ، القشور) .

فما بال الذين لايدرسون وبالتالى لايعرفون ثم يتحدثون عن نجمة (داود) وعندهم المنبع دفاقا ، سباقا بفتح السين وتشديد الباء ـ رائدا ؟

أقـوال معـاصـرة

● « انا لا استطيع ان اضع رقبتي في يد الاجنبي » ..

الرئيس حسنى مبارك

● « دعوا الشعوب تقرر مصيرها ، وأعطوا الفلسطينيين دولـة » ..

القس جيسى جاكسون

● « هذا هو فشلنا العاشر وسنبدأ من جديد ! » .

خليل الوزير

« ابو جهاد »

● « عايدة في الاقصر تعتبر كارثة فنية »

هيو كاننج

ناقد الجرديـان

● «الشيء الوحيد المقبول في مبادرة الولايات المتحـدة هو توقيع شولتز » ..

اسحاق شامير

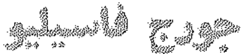
رئيس وزراء اسرائيل

● « الجيش والحكومة تعلما العيش معـا » ..

اكينو

رئيسة جمهورية الفلبين

● « العمـال الفلسطينيون في قبرص بسـطاء وشرفـاء ومتفانون في عملهم » ..



رئيس جمهورية قبرص

● « الدفاع عن الثقافة لا يكون بالرفض ، ولكن بتحريك كل عوامل الابداع فيها ، والا انتصر الاثيون » ..

دكتور شاكر مصطفى

● « في وسع الشمس أن تشرق من حجر » ..

الشاعر محمود درويش

● « السياسة مهنة ، وليست صراع أفكار » ..

فرانسوا ميتران

رئيس جمهورية فرنسا

حسنى مبارك



ابو جهاد



اسحاق شامير

غرائب الإسرائيليات فى التراث العربى

بقلم : د . محمد رجب البيومى

امتلأت كتب التفسير بقصص روى عن أهل الكتاب ، وأكثره مما لا أصل له ، بل أكثره مما يستحيل حدوثه ، ومع ذلك تداول تكراره لدى المفسرين شارحا بعد شارح ، ومن أعجب الأشياء أن من تداولوا هذا القصص قد نصوا فى مقدمات شروحهم على بطلان هذا القصص ، وأوسعوه تجريحا وذما ، ثم تناسوا ما قالوا ، فعمدوا الى ذكره مسهبين ، ولا ننكر أنهم فى بعض الأحيان يعقبون عليه بما يفيد بطلانه ، وفى بعض اخر ينقلون الاسرائيليات دون تعقيب ، وكان الأصوب الألزم أن نترك هذه الأساطير الموهومة ، ولعل اللاحق قد عز عليه أن يتورط السابق فى سرد هذه المزاعم حتى ملأت فراغا شاسعا من تفسيره ، فرأى أن يجاريه ، ومن الانصاف لمفسرى هذا العهد أن نقول إنهم هجروا هذه الاسرائيليات وتناولوها بالتجريح ، بل أصبحت الاشارة اليها مدعاة تبرم مفرط ، وقد كتبت مؤلفات خاصة فى ذم الدخيل من هذه الأساطير ، وأبرز من أفردها بمؤلف نفيس هو الدكتور البحاثة محمد حسين الذهبى اذ خصها بكتابه البارع (الاسرائيليات فى التفسير والحديث) وهذا فوق ما كتبه متفرقا فى كتابه الكبير (التفسير والمفسرون) .

وقد بحث العلامة ابن خلدون فى مقدمته الأسباب الداعية الى الإسهاب فى الاسرائيليات لدى المؤلفين بعامة لأن البلاء لم يقتصر على كتب التفسير، ولكنه انتقل الى الحديث والتاريخ . بإضافة مذهلة ، وهو فى كتب التفسير أشد خطرا ، لأن قارىء التفسير من العامة يظن أن ما سجله امام كبير كالطبرى صحيح لازيف فيه ، أضف الى ذلك ما بالغ فيه الوعاظ من ترداد هذه الأساطير فى مجالس الوعظ والقصص ، إذ انسوا من العامة ولوعا بهذا الضرب من الكلام ، حيث يطير الخيال بسامعه الى أجواز عالية تستهويه وتشوقه ، وكل ذلك مما ساعد على انتشار الاسرائيليات .

يقول ابن خلدون(١) (وقد جمع المتقدمون فى ذلك وأوعوا ، الا أن كتبهم تشتمل على الغث والسمين ، والمقبول والمردود ، والسبب فى ذلك أن العرب لم يكونوا أهل كتاب ولا علم وانما غلبت عليهم البداوة والأمية ، واذا تشوقوا الى معرفة شيء مما تتشوق اليه النفوس البشرية فى اسباب المكنونات ، وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون عنه أهل الكتاب قبلهم ، وأهل التوراة الذين بين العرب يومئذ بادية مثلهم ، ولا يعرفون من ذلك الا ما تعرفه العامة من أهل الكتاب ، ومعظمهم من حمير ، الذين أخذوا بدين اليهودية ، فلما أسلموا بقوا على ما كان عندهم مما لا تعلق له بالأحكام الشرعية ، مثل أخبار بدء الخليقة ، وما يرجع الى الحدثان والملاحم ، وهؤلاء مثل كعب الأحبار ، ووهب بن منبه ، وعبدالله بن سلام ، فامتلأت التفاسير بالمنقولات عنهم ، وتساهل المفسرون فى مثل ذلك ، وملأوا الكتب بهذه المنقولات) فاذا قرأت الجزء الأول من كتاب الطبرى (تاريخ الرسل والملوك) ورجعت الى ما كتبه فى تفسيره عن آدم ونوح وهود وصالح وابراهيم وموسى وسليمان وداود وعيسى وسائر من تعرض لهم من المرسلين والأنبياء فانك تجد الأقوال متشابهة ! والذين يدافعون عن مسلك الطبرى فى التاريخ يقولون إنه يذكر الاسناد ليبرأ من العهدة ، وعلى القارىء أن يأخذ من الأخبار ما يشاء ، ويترك ما يشاء ! لأن المؤرخ حين يذكر الروايات المتضاربة فى حادث واحد ، لا يصدقها جميعها ، لأن بعضها يكذب بعضا ، وعلى الدارس من بعده أن يقوم بالترجيح والتوهين ، ولئن جاز هذا السرد المتناقض فى مجال التاريخ فما أظن مجال التفسير فى مقامه الجليل مما يتسع لحشد الغرائب والمتناقضات ، والحق ان الامام الطبرى قد حذر من الاسرائيليات فى مواضع كثيرة من كتابه ، وقد روى منها أشياء ونقدها بما يبين فسادها الناطق ، ولكنه مع ذلك تسامح فى إسرائيليات مماثلة يظهر عوارها جليا دون خفاء ، فيذكرها دون أن يعلق عليها بالتفنيد ، ونضرب المثل بما ذكره عند تفسير قول الله عز وجل فى سورة هود عن نوح عليه السلام : « ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه قال إن تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون » حيث ذكر أن أصحاب عيسى ابن مريم(٢) سألوه عن سفينة نوح ، فضرب الكثيب بعصاه فقام من التراب شخص هو ابن نوح فسأله عيسى أن

يحدث أصحابه عن السفينة فقال كان طولها ألف ذراع ومائة وعرضها ستمائة ذراع ، وكانت ثلاث طبقات ، طبقة للدواب ، وطبقة للانس ، وطبقة للطير ، فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل ، فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث ، فلما وقع الفأر بحبل السفينة يقرضه أوحى الله الى نوح أن اضرب بعيني الأسد فخرج من منخره سنور وسنورة يأكلان الفيران ، وتمضى القصة طويلة الى مداها البعيد ، الغريب أن الطبرى لم يذكر هذه القصة فيما كتبه فى تاريخه عن نوح عليه السلام ، فهل يضيق بها كتاب التاريخ ، ويتسع لها مجال التفسير ؟

أما ابن كثير فقد نبه فى تفسيره الى منكرات الاسرائيليات وغرائبها ، وأحسن حين ذكر بعض هذه الغرائب ، وأتبعها بالنفى الحاسم فى وضوح وجدل ، ولكثرة ما كتب الرجل عن التحذير من الاسرائيليات كنا نظن ان تفسيره سيسلم من بعض غرائبها، ولكنه لم يلتزم الحذر حين ذكر بعض الأراجيف دون أن يعقب عليها بالبطلان ، وتمثل لذلك بما ذكره عند تفسير قول الله عز وجل فى سورة طه « قال ألقها ياموسى ، فألقاها فاذا هى حية تسعى » حيث نقل عن وهب بن منبه[٣] قوله : فألقاها على وجه الأرض فاذا ثعبان نظر اليه الناظرون ، يدب يلتمس كأنه يبتغى شيئا يريد أخذه ، يمر بالصخرة مثل الخلقة من الابل فيلتقمها ، ويطعن بالناب من أنيابه فى أصل الشجرة العظيمة فيجتثها ، عيناه تتقدان نارا ، وشعره مثل النيازك ، وفمه كالقليب الواسع فيه أنياب وأضراس لها حريف ، فلما عاين ذلك موسى ولى مدبرا ولم يعقب ، فذهب حتى أمعن ، ورأى أنه قد أعجز الحية ، ثم ذكر ربه فاستحيا ، ونودى أن ارجع حيث كنت ، فرجع وهو شديد الخوف ، فقال خذها بيمينك ، وعلى موسى حينئذ مدرعة صوف ، فلف طرفها على يده ، فقال له ملك من الملائكة ياموسى مم تحاذر ... الى اخر القصة .

● ليسوا سواء

وحين نطالع كتب التفسير نجد أنها فى مجال الاسرائيليات ، ليست على حد سواء ، فالتفسير المعاصر يشدد النكير على الاسرائيليات ، ويكر عليها بالتفنيد ، ويشير الى دواعى ترددها ، ولكن الكتب المعاصرة لا تقف وحدها فى الميدان ، فكتب التراث فى التفسير مصادر معتمدة ، وبالنظر المتكرر فى مضمونها الفسيح نجد أن فيها المعتدل والمشتط ، وفق المنحى الخاص بصاحب التفسير .

فالثعلبى والخازن من رجال الوعظ الدينى الذين شغلوا بتفسير القرآن ، وقد دفعهما اشتغالهما بالوعظ للعامةالى تتبع المشوقات من أخبار الأقدمين ، وترددادها فى مجالس الارشاد ، وقد اشتغل الثعلبى بقصص الأنبياء وأفرد لها مؤلفا خاصا

شاع بين العامة سماه (عرائس المجالس) وقد حشاه بما لا يعقل ! وطبيعى أن يكون تفسيره لقصص الأنبياء فى القرآن سائرا فى هذا الاتجاه .

والمجال يضيق عن الاستشهاد الكثير من نقول الثعلبى ، ونكتفى بالاشارة الى ماذكره بصدد تفسير قول الله تعالى فى سورة يوسف « قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين »[٤] حيث ذكر الثعلبى أن اخوة يوسف قد اصطادوا ذئبا ولطخوه بالدم وأوثقوه بالحبال وقالوا لأبيهم هذا هو الذئب الذى فجعنا بأخينا ، وهذا دمه عليه ، فقال لهم يعقوب أطلقوه ، فاندفع الذئب الى يعقوب فقال له : أيها الذئب لم فجعتنى فى ولدى وأورثتنى حزنا طويلا فأنطقه الله وقال : والذى اصطفاك نبيا ما أكلت لحمه ، وما مزقت جلده ، وانما أنا ذئب غريب أقبلت من نواحى مصر فى طلب أخ لى فقدته ، ولا أدرى أحى هو أم ميت ، فاصطادنى أبناؤك ، ولحوم الأنبياء محرمة علينا ، فقال يعقوب لبنيه لقد أتيتم بالحجة على أنفسكم ، هذا ذئب بهيمة ، خرج يتبع زمام أخيه ، وأنتم ضيعتم أخاكم ، "بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون" .

أما الخازن فواعظ اخر حاكى الثعلبى وجاراه ، واكثر النقول من الاسرائيليات اكثارا طغى على المواد الكثيرة فى تفسيره ، وفيها الجيد الدقيق فى مضمار اللغة والفقه ، ولكن الصبغة الأسطورية ضاعلت من مكانتها اذ غرقت فى محيطها ، فعزف الكثيرون عن مطالعته ، ونكتفى بالتمثيل بما ذكره عن ايوب عليه السلام فى تفسير سورة (ص) اذ ذكر عن ثرائه الكبير قبل المحنة ما يدل على أنه ملك الأرض من خوارزم الى الشام مع ما تضم من ابل وبقر وغنم وعبيد وغلمان ، ثم حسده إبليس فقال لربه يارب نظرت الى عبدك أيوب فوجدته شاكرا نعمتك ، ولو ابتليته بالمرض والفقر لخرج عن طاعتك ، فقال الله لابليس : سلطتك عليه وعلى ماله ، ففعل به ابليس ما شاء وجمع عفاريت الجن والانس ومردة الشياطين ليدحروا أيوب ! والقصة طويلة تدل على أن المفسر يجمع كل ما يسمع دون أدنى نظر[٥] .

مؤرخان مفسران

فاذا تركنا الثعلبى والخازن الواعظين الى مفسرين جليلين هما الطبرى وابن كثير ، فاننا نجد كليهما قد الف فى التاريخ كتابا ضخما ، وقد بدأه بقصص الخليقة منذ البدء ثم بتسجيل قصص الأنبياء ، ولكنهما لم يكادا يفرقان بين ما قد يتسامح فيه فى كتب التاريخ ، وما يجب التدقيق كل التدقيق فى نقله الى كتب التفسير ، وماقاله ابن خلدون سديد صحيح ، وقد عرفه المفسرون من قبله ومن بعده ولكنهم لم يدققوا فى تسطير ما رده من الاسرائيليات ، حشدا لمختلف الأقاويل .

وللجاحظ حملات صائبة متفرقة فى موسوعة الحيوان على من يروون الأساطير

في كتب التفسير ومجالس الوعظ ، وقد ذكر أنهم يستهوون القارىء والسامع بما يأتون من المحالات ، لأن حديث الأسطورة كلما كان أغرب كان أعجب وتلاه ابن قتيبة فردد ما قال الجاحظ حيث ذكر فى كتاب (تأويل مختلف الحديث) عن القصاص "وهم يميلون وجه العوام اليهم ، ويشيدون ما عندهم بالمناكير ، والأكاذيب من الأحاديث ، ومن شأن العامة القعود عند القاص ، ما كان حديثه عجيبا خارجا عن المعقول ، أو كان رقيقا يحزن القلب ، فاذا ذكر الجنة قال فيها الحوراء من مسك وزعفران ، وعجيزتها ميل فى ميل ، ويبوىء الله وليه قصرا من لؤلؤة بيضاء ، فيها سبعون ألف مقصورة ، فى كل مقصورة سبعون ألف قبة ولايزال هكذا فى السبعين ألفا لا يتحول عنها[٦]"

● آراء ونصوص

ومع ما روى فى الصحاح من مثل ما نقله البخارى فى كتاب الشهادات قال : عن عبدالله بن عباس رضى الله عنهما قال : "يامعشر المسلمين ، كيف تسألون أهل الكتاب ، وكتابكم الذى أنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله ، يقرءونه لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب بدلوا ما كتب الله ، وغيروا بأيديهم الكتاب ، فقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مساءلتهم ، ولا والله ما رأينا رجلا منهم قط يسألكم عن الذى أنزل عليكم" .

أقول مع هذا الرأى الصريح فى البخارى فاننا نجد العلماء يختلفون فى المروى عن أهل الكتاب ، فيذهب فريق الى المنع البات لأدلة يرتضيها ، ويميل فريق الى الجواز لأدلة تعن له ، ويتوسط فريق ثالث بين الرأيين ، وقد ذكر ابن تيمية رحمه الله فى مقدمة (أصول التفسير)[٧] ما فيه تفصيل للحكم حين قال :

"ولكن هذه الأحاديث الاسرائيلية تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد ، فانها على ثلاثة أقسام ، أحدها ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصدق فهذا صحيح ، والثانى ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه ، والثالث ما هو مسكوت عنه ، لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل ، فلا نؤمن به ولا نكذبه وتجوز حكايته لما تقدم" .

وتعقيبا على النص نذكر أننا لسنا فى حاجة الى ذكر ما هو مسكوت عنه فى كتب التفسير بالذات ، لأن هذا المسكوت قد دفع الى سرد طويل لاغناء فيه ، واذا كان بعض المفسرين قد تورطوا فى ذكر ما يتضح كذبه بديهة لمخالفته للعقل ، فهم يجدون المندوحة فى سرد المسكوت عنه ، وأكثره مما لا يفيد ، وفى الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ما يغنى عن شطط يستنكر ، لأن قارىء هذا الشطط فى كتب التفسير قد لايجد لديه من الفطنة ما يدفعه الى تكذيب ما لم تصح روايته ، بل قد يظنه

حقا واقعا يستند الى كتاب الله ، ويرويه الأئمة الأثبات ، وذلك ما يحذره الناهون عن تسجيل هذه الأراجيف .

● فى تفسير الألوسى

للألوسى قدم راسخة فى التفسير ، ولم يكتب شرحه الرائع الا بعد دراسة حاشدة لشروح سابقيه حيث استطاع أن يجمع خلاصة وافية لأكثر ما سبقه من الشروح المتداولة مع وضوح العبارة ، وسلامة المنحى ، وقد وقف من القصص الاسرائيلى وقفات ناقدة إذ نقل كثيرا مما قيل فى هذا المجال ليعقب عليه بالتفنيد والتزييف ، اذ كانت له بصيرته النافذة ، ويقظته الشديدة ، وكان المظنون به مع هذه اليقظة ذات التنبيه المتكرر المتلاحق أن يتجافى عن هذا الضرب من الأساطير ، بعد أن حذر من تداوله واستشهد فى تفسير سورة (ص) بقول الشاعر :

ونؤثر حكم العقل فى كل شبهة
اذا أثر الاخبار جلاس قصاص

ولكنه شذ عن قاعدته حينا ، كأن لهذه الأساطير مغناطيس يجذب المتشدد والمتساهل معا ، فنجده عند تفسير قوله تعالى « واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان ، وما كفر سليمان ، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت ، وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر ، فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد ، الا باذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ، ولقد علموا لمن اشتراه ما له فى الاخرة من خلاق ، ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون »

أقول ، نجده عند تفسير هذه الآية الكريمة ينكر ما حيك حولها من الأراجيف ، ولكنه يقول ولعل ذلك من قبيل الرموز والإشارات ويفسر الملكين بالعقل النظرى والعقل العملى الى اخر مالا فائدة فى تسطيره ، وكذلك فعل عند ايات مماثلة تتبعها الدكتور الذهبى رحمه الله فى كتاب (الاسرائيليات فى التفسير) وقد كان الألوسى بمنجاة لو لزم خطه القويم .

إن للقصص جاذبيته لدى المستمع الساذج ، ولكن له خطره الماحق حين يلصق الصاقا بكتاب لا يأتيه الباطل من طريق ، والمفسرون من أجل العلماء ، وعليهم أن يحفظوا النص القرآنى من كل منتحل دخيل .

الهوامش

(١) مقدمة ابن خلدون ٤٩١ ببعض التصرف
(٢) تفسير الطبرى جـ ١٢ ص ٢٢
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ١٤٥
(٤) تفسير الثعلبى جـ ١ ص ٢١٥
(٥) تفسير الخازن جـ ٦ ص ٤٨ وما بعدها .
(٦) تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة ص ٣٥٧
(٧) أصول التفسير لابن تيمية ص ٢٨

العقلانية الإسلامية

بقلم : د. محمد عمارة

لان الاسلام دين الفطرة، فلقد قضت اصول شريعته بامتناع ان يكلف الله الانسان مالا يطيق ((لايكلف الله نفسا الا وسعها)) (١) .. وتأسيسا على هذه القاعدة قضى الاسلام بأن العقل هو مناط التكليف .. فلا تكليف ولا حساب على غير العاقل فى نظر الاسلام ..

ولان الرسالة والشريعة عامة لجمهور الخلق ، اقتضت حكمة الخالق ، كى يرفع الحرج عن عباده، ان يهب كل مكلف من ((العقل)) الحد الذى ييسر له النهوض بضرورات التكليف .. فالناس يتفاوتون فى درجات العقل، دون ان يفتقر صحيح مكلف الى الحد الادنى الذى يتيح له التمييز والوفاء بضرورات التكليف .

تلك خصيصة انسانية عامة يستوى فيها البشر من كل القوميات والمعتقدات والحضارات .. ومع ذلك ؛ فان مذاهب الحضارات فى الموقف من « العقل » ، ومقامه ، وسلطانه ، هى من الخصوصيات التى تتمايز فيها وبها بعض الحضارات .. وحضارتنا العربية الاسلامية متميزة فى عقلانيتها عن الحضارة الغربية تميزا لا سبيل الى انكاره او التشكيك فيه ..

ففى الحضارة الغربية ، منذ تبلور فلسفتها فى الحقبة اليونانية وحتى نهضتها الحديثة تميز ويتميز موقفها من هذه القضية « بالثنائية » التى ميزت مواقف هذه الحضارة من كثير من القضايا والمشكلات .

ففلسفتها وعلومها لم تعرف غير العقل وبراهينه سبيلا ودليلا تركن اليه وتستخلص به القوانين والمقولات .. فالفلسفة ــ فى المصطلح اليونانى ــ هى « تفسير المعرفة عقليا .. هى الوقوف على حقائق الاشياء كلها بالبراهين العقلية » وحدها .. اى ان

---

(١) البقرة : ٢٨٦ .

« العقل » هنا يتفرد وينفرد ، لايزامله « نقل » ولا « وحى » ولا «مأثورات»٠
ولقد كان طبيعيا ان يكون هذا هو الحال والموقف فى الحقبة اليونانية ٠٠ فالقوم قد ابدعوا مذاهبهم الفلسفية فى مجتمع وثنى لا يعرف « النقل » الدينى » ولا « الـوحى » الالهى ، ولا « المأثورات » الشرعية ٠٠ فكان الاعتماد على « العقل » وبراهينه هو سند المتفلسف الوحيد ٠٠

فلما جاءت حقبة النهضة الاوربية الحديثة ، والتى كانت احياء لتراثهم اليونانى فى الاسس والمنطلقات ، وجد رواد هذه النهضة وفلاسفتها ان اللاهوت الكنسى المسيحى انما يمثل « نقلا» لا اثر فيه للعقل ولا اعتقاد على براهينه ، فكان أن استمرت هذه « الثنائية الانشطارية »، كخصيصة غربية فى هذا الميدان : « لاهوت وايمان » لا ينطلق من «العقل» ولا يتاسس على براهينه ٠٠ « وفلسفة وعلوم » لا تعرف غير « العقل » سبيلا للبرهنة والاستدلال٠٠ « فالعقل » و « النقل » مثلا خطان متوازيان ، لا يلتقيان ٠٠ لقد ظلت الفلسفة هى « تفسير المعرفة عقليا ٠ والوقوف على حقائق الاشياء كلها بالبراهين العقلية » وحدهما ٠٠ كما ظل الايمان والتدين غريبا عن طريق العقل وبراهينه ٠٠ وعلى حد تعبير القديس انسلم
(١٠٣٣ - ١١٠٩م) - وهو يعلم المتدين طريق تحصيل الايمان الدينى - « يجب ان تعتقد اولا بما يعرض على قلبك ، بدون نظر ، ثم اجتهد بعد ذلك فى فهم ما اعتقدت ، فليس الايمان فى حاجة الى نظر عقل ٠٠ » (٢) !٠٠

على هذا النحو كان موقف الحضارة الغربية من هذه القضية ٠٠ قضية « العقل » و « النقل » وعلاقة « الفلسفة » بـ « الدين » ٠٠ فعامة المتدينين سبيلهم الى « الايمان » النقل والوجدان وحدهما ٠٠ وصفوة العلماء والفلاسفة سبيلهم الى العلم والفلسفة العقل الخالص والخالى من النقل والوجدان ٠

● تميز الحضارة العربية

والامر الذى يشهد على ان هذا الموقف من علاقة «العقل» بـ « النقل» - كما اشرنا - هو « خصيصة غربية » « من خصائص الحضارة الغربية ٠٠ هو تميز حضارتنا العربية الاسلامية عنه وفيه ٠٠ فالعلاقة العضوية والمزاملة والاخاء ما بين « العقل » و « النقل » ٠٠ « الحكمة » و « الشريعة » هى من خصائص حضارتنا العربية الاسلامية ، كادت أن تجمع عليها - بدرجات متفاوتة - التيارات الفكرية الاساسية فى تراثنا الفكرى والحضارى ٠٠

● ففلسفة امتنا - وهى « علم التوحيد - علم الكلام » - التى ابدعها وبلورها التيار العقلانى - وفرسانه « المعتزلة - اهل العدل والتوحيد » هذه الفلسفة العقلانية قد انطلقت من القرآن وتأسست على « النقل » ، حتى لقد سميت بـ « علم اصول الدين » !٠

وكما سبق وأشرنا ، فلقد لفتت هذه الخصوصية انظار المستشرقين ، فنبهوا - فى استغراب على نجاح

---

(٢) الامام محمد عبده (الاعمال الكاملة) جـ ٣ ص ٢٦٢ ٠ دراسة وتحقيق : د ٠ محمد عماره ٠ طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م ٠

التيار العقلانى الاسلامى فى تأسيس **« فلسفة منطقية ٠٠ تدرس بوصفها من صميم العقيدة الدينية » (٣)** ٠

وبعض الناس – من الذين لايدركون غير ما هو على نمط الثنائية الانشطارية الغربية – يحسبون هذه الخصيصة العربية الاسلامية تلفيقا لا عقلانيا ٠٠ على حين نراها نحن – كما رآها اسلافنا – بديهة فكرية تقتضيها الفطرة السليمة التى تفقه حقائق خصوصيات الاسلام ٠٠

فاذا كانت الالوهية هى جوهر الايمان الدينى ، فان سبيل الانسان الى ادراك الالوهية هو « العقل » ، وليس النصوص ولا المأثورات ٠٠ لان التسليم بصدق النصوص المقدسة – « النقل – الكتاب – السنة » – مترتب على التسليم بصدق الرسول الذى جاء بها ٠٠ والتسليم بصدق الرسول مترتب على التسليم بوجود الاله الذى ارسل هذا الرسول ، واوحى اليه بهذا « النقل – الكتاب » ٠٠ فلابد من الايمان اولا بوجود الاله ، المرسل والموحى ، والمؤيد للرسول بالمعجزة : – « النقل – الكتاب » – وسبيل ذلك هو « العقل » ٠٠ فهو طريق الايمان ، وسبيل الانسان الى تحصيل جوهر الدين ! ٠٠

واذا كانت امتنا قد عبرت عن هذه « البديهة – الفلسفية ! » فى حكمتها الشعبية التى تقول : « ربنا ، عرفوه بالعقل » ؟! ٠٠ فان فلاسفة الاسلام ، من علماء الكلام والتوحيد ، قد افاضوا فى شرحها والحديث عنها ٠٠

وقاضى القضاة عبد الجبار بن احمد (٤١٥ هـ ١٠٢٤ م – الذى يبلغ فى العقلانية الاسلامية مبلغ ارسطو (٣٨٤ – ٣٢٢ ق٠م) فى العقلانية اليونانية ! – يعرض لهذه القضية ، عندما يتحدث عن الادلة التى يتخذها الانسان سبلا لتحصيل المعرفة وحقائقها وعلومها ، فيضع « العقل » **فى مقدمة هذه الادلة – والعقل هنا ليس وحده ، كما هو الحال فى العقلانية اليونانية – الغربية ٠٠ وانما معه « الكتاب » و « السنة » و«الاجماع» ٠٠ فالمؤاخاة والتزامل والعلاقة قائمة ومتحققة ، هنا ، بين « العقل » و « النقل » كسبيلين للبرهنة والاستدلال ٠٠ يقول القاضى** عبد الجبار : « ان الادلة ، اولها : دلالة العقل ، لان به يميز بين الحسن والقبيح ، ولان به يعرف ان الكتاب حجة ، وكذلك السنة ، والاجماع ٠٠»

ثم يناقش القاضى عبد الجبار هؤلاء الذين قد يتعجبون من هذا الترتيب للادلة ، فينبه على ان تقديم « العقل » على « الكتاب » ليس تقديم « تشريف » ، **وانما هو تقديم «ترتيب»** فالخارج من منزله يسعى الى«المسجد» ، لابد وان يصل « المسجد » عبر « الطريق » ، فالمرور « بالطريق » ، قبل « المسجد » ، لا يعنى تفضيل الاول وتشريفه على الثانى ، وانما هو الترتيب المنطقى للامور !٠٠ يناقش القاضى عبد الجبار هذه القضية ٠٠ فيقول ، مستطردا : « وربما تعجب من هذا الترتيب بعضهم ، فيظن ان الادلة هى : الكتاب ، والسنة ، والاجماع ، فقط ٠ أو يظن ان العقل اذا كان يدل على

(٣) جيوم (الفلسفة وعلم الكلام ص ٣٧٩ ٠ ترجمة : جرجيس فتح الله منشور بكتاب (تراث الاسلام) – تحت اشراف ارنولد – طبعة بيروت سنة ١٩٧٢ م ٠

امور فهو مؤخر · وليس كذلك ، لان الله تعالى لم يخاطب الا أهل العقل ، ولان به يعرف ان الكتاب حجة ، وكذلك السنة ، والاجماع ، فهو اصل في هذا الباب · كنا نقول : ان الكتاب هو الاصل ، من حيث ان فيه التنبيه على ما في العقول ، كما ان فيه الادلة على الاحكام · وبالعقل يميز بين احكام الافعال وبين احكام الفاعلين ، ولولاه لما عرفنا من يؤاخذ بما يتركه او بما ياتيه ، ومن يحمد ومن يذم ، ولذلك تزول المؤاخذة عمن لا عقل له · ومتى عرفنا ، بالعقل ، الها منفردا بالالهية ، وعرفناه حكيماء نعلم في كتابه أنه دلالة ، ومتى عرفناه مرسلا للرسول ، ومميزا له ، بالاعلام المعجزة ، من الكاذبين ، علمنا ان قول الرسول حجة · واذا قال ، صلى الله عليه وسلم : « لا تجتمع امتى على خطأ ·· وعليكم بالجماعة »(٤) ·· علمنا ان الاجماع حجة ·· (٥)

فالمعقلانية هنا عقلانية اسلامية ، تتميز بها حضارتنا العربية الاسلامية عن الحضارة الغربية ، لان مصدرها ومنطلقها وسبيلها برهان العقل وحده ، وانما معه في ذلك « النقل ·· والوحي ·· والمأثور » ·· فالتميز قائم في المكونات والمنطلقات ، كما هو قائم في الثمرات ! ··

● شريعة عقلية

واذا كانت « الشريعة » في لاهوت الحضارة الغربية « نقلية ·· سمعية ·· وجدانية » ، لا اثر فيها لبراهين العقل ·· فان حضارتنا قد عرفت في شريعتها : « العقلي » و«السمعي» ·· وحددت عقلانيتها ان العقل هو السبيل الى معرفة الاصول الشرعية ·· وبعبارة الماوردي (٣٦٤ ــ ٤٥٠ هـ ٩٧٤ ــ ١٠٥٨م) « فان السبب المؤدي الى معرفة الاصول الشرعية والعمل بها شيئان : احدهما : علم الحس ، وهو العقل ، لان حجج العقل أصل لمعرفة الاصول ، اذ ليس تعرف الاصول الا بحجج العقول ·· وثانيهما معرفة لسان العرب ــ وهو معتبر في حجج السمع خاصة ··» (٦) ·

بل لقد وجدنا في تراثنا العقلاني من تحدثوا عن « شريعة عقلية » ، يدركها ذوو العقول ، دون حاجة الى « السمعيات » ، ثم تأتي السمعيات لتؤكد ما ادركته منها العقول ، ولتحدد الاحكام التي لا تستقل العقول بادراكها ــ وكذلك مقاديرها واوقاتها ــ ومثلها في ذلك « الغيبيات » التي يستأثر بأخبارها الوحي والنقل والمأثورات ·· ووجدنا الاتفاق على ان الالهيات ، في شريعتنا وحضارتنا ، هي من « فن المعقولات » (٧)

واذا كانت الحضارة الغربية قد استبعدت « الروح الايمانية » من نطاق العلوم الطبيعية والتجريبية ، استبعادها « للعقلانية » من نطاق اللاهوت والايمان ·· فان العقلانية

---

(٤) في الترمزي والدارمي ومسندالامام احمد : « ان الله لا يجمع امتي على ضلالة » · وفي البخاري ومسلم والترمذي وابن ماجة : « تلزم جماعة المسلمين وامامهم » ·

(٥) (فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة) ص ١٢٧ · تحقيق : فؤاد سيد · طبعة تونس سنة ١٩٧٢ م ·

(٦) (ادب القاضي) حـ١ ص ٢٧٤، ٢٧٥ · طبعة بغداد سنة ١٩٧١ م ·

(٧) التهانوي (كشاف اصطلاحات الفنون) جـ ١ ص ٤٦ ــ ٦٢ · طبعة القاهرة سنة ١٩٦٣ م ·



الاسلامية فى حضارتنا قد سـلكت الطريق « المتميز » ـ على صعوبته ـ فجمعت بينهما .. وشـاعت الكتابات المعبرة عن هذه الخصوصـية فى تراثنا الفكرى .. من مثل تلك التى تمثلها عبارة الجاحظ (١٦٣ ـ ٢٥٥هـ ٧٨٠ ـ ٨٦٩ م) التى يقول فيهـا عن علاقة الفلسفة الدينية ـ علم التوحيد ـ الكلام ـ بالعلوم الطبيعية ـ والقوى الذاتية المودعة فى المادة ـ القـوانين ـ الطبـائع ـ ... « **وليس يكون المتكلم جامعا لاقطـار الكلام متمكنا من الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتى يكون الذى يحسن من كلام الدين فى وزن الذى يحسـن من كلام الفلسفة . والعالم عندنا هـو الذى يجمعهما ، والمصيب هو الـذى يجمع تحقيق التوحيد واعطاء الطبائع** حقها من الاعمال . ومن زعـم ان التوحيد لا يصلح الا بابطال حقـائق الطبائع فقد حمل عجزه على الكلام فى التوحيد ، وكذلك اذا زعـم ان الطبائع لا تصلح اذا قرنها بالتوحيد، ومن قال هذا فقد حمل عجزه عـلى الكلام فى الطبائع . وانما معـه ييأس منك الملحد اذا لم يدعك التوفر على التوحيد الى بخس حقـوق الطبائع ، لان فى رفع اعمالها رفـع اعيانها ، واذا كانت الاعيـان هى الدالة على الله ، فرفعت الدليـل ، فقد ابطلت المدلول عليه !.. ولعمرى ان فى الجمع بينهما لبعض الشدة .. وانا أعوذ بالله تعالى أن اكـون كلمـا غمز قناتى باب من الكلام صـعب المدخل ، نقضت ركنـا من أركان مقالتى ، ومن كان كذلك لم ينتفـع به ! .. » (٨)

فعلى حين كانت « المطبـائع » ، واكتشاف « القوى الطبيعيـة » فى المادة ، سبيل الحضارة الغربيـة وعقلانيتها الى الالحاد وانكار ابداع الله ، بل ووجوده .. كان ذلك ، فى حضارتنا ، الدليل على وجود الله .. لان رفع .. اى الغاء ـ اعمالهـا ، هو رفع ـ والغاء ـ لاعيانهـا .. وهذه الاعيان هى الدالة ـ كمصنوعات ـ على وجود الصانع القادر ، سبحانه وتعالى !..

ولذلك ، جاءت كلمات أبو الوليد ابن رشـد (٥٢٠ ـ ٥٩٥ هـ ١١٢٦ ـ ١١٩٨م) فى هذا المقام جامعـة ومعبرة ، عندما قال : « انا ، معشر المسلمين ، نعلم ، على القطع ، انه لا يؤدى النظر البرهانى الى مخالفة ما ورد به الشرع ، فـان الحـق لا يضاد الحق ، بل يوافقه ويشهد له .. اعنى ان الحكمة هى صـاحبة الشريعة ، والاخت الرضيعة (٩) ..» !

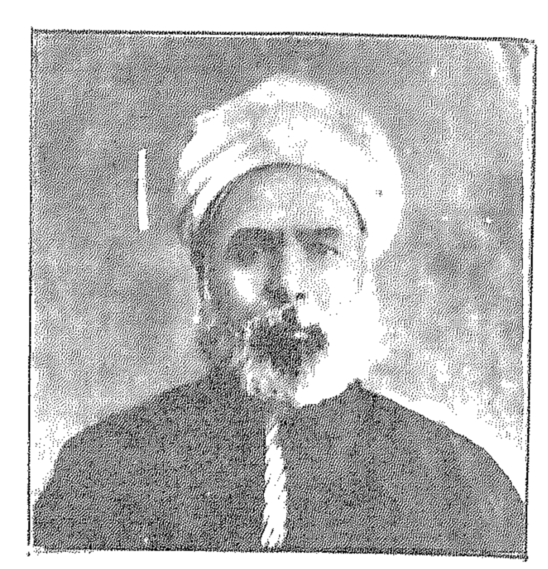
***

واذا كانت هذه هى حقيقة تميز حضارتنا العربية الاسـلامية ، فى عقلانيتها ، عن نظيرتها فى الحضارة الغربية ، وأدلة انفراد حضـارتنا « بخصوصيتها الحضـارية » فى العقلانية ، رغم « المشترك الانسـانى» فى اعتماد العقل أداة للنظر والبحث والاستدلال .. فان هذه الحقيقـة ، الشاهدة على هذه الخصوصية ، لابد وان تؤكد لنا « اصالة » مذهبنـا فى العقل والعقلانية، وان تنفى ذلك الزعم الاستشراقى القائل ان عقلانيتنـا

---

(٨) (كتاب الحيـوان) جـ ٢ ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

(٩) (فصل المقال فيما بين الحكمة والشريعة من الاتصـال) ص ٣١ ، ٣٢ ، ٦٧ . تحقيق : د محمد عمارة. طبعة بيروت سنة ١٩٨١ م .



محمد عبده



جمال الدين الافغاني

الاسلامية لا تعدو ان تكون اثرا من اثار عقلانية اليونان !.. فاذا كان هذا هو مبلغ الاختلاف بينهما ، فكيف يكونان نمطا واحدا ومذهبا فردا ؟!..

وغير هذا الاستدلال المنطقى على اصالة وتميز عقلانيتنا الاسلامية .. فان هناك ادلة اخرى تشهد لهذا الذى نقول ..

● فالقرآن الكريم ـ معجزة الاسلام العظمى ـ رغم انه هو « النقل » ـ الا انه قد جاء « معجزة عقلية » ، جسدت الوحدة الجدلية بين « العقل » و « النقل » فى الاساس الجامع الذى ولدت من بين دفتيه حضارتنا .. فالعقل فيه هو مناط التكليف .. وهو الحكم الحاكم فى رد المتشابه من اياته الى المحكمات ، بتأويل الراسخين فى العلم ..

واذا كان « العقل » فى المصطلح العربى ليس عضوا من اعضاء الجسم الانسانى ، وانما هو فعل التعقل .. و « جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى فعله .. يتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصرف .. يدرك الغائبات بالوسائط والمحسوسات بالمشاهدة (١٠) ».. فان مادة هذا المصطلح ، التى تتحدث عن عملية « التعقل » قد وردت فى القرآن الكريم فى مائتين وسبع وستين موضعا .. تسعة وأربعون منها بلفظ المادة « عقل » .. وتسعة عشر بلفظ « الحكمة » .. وستة عشر بلفظ « اللب » ـ اى الجوهر ـ فالعقل هو لب الانسان وجوهره المميز له عن غيره من المخلوقات ـ .. وموضعان بلفظ « النهى » .. واربعة مواضع بلفظ « التدبر » .. وسبعة مواضع بلفظ « الاعتبار » .. وعشرون موضعا بلفظ « الفقه » .. وثمانية عشر موضعا بلفظ « التفكر » .. ومائة واثنان وثلاثون موضعا بلفظ « القلب » الذى به يفقهون ويعقلون ويتدبرون ! ..

● وكذلك صنعت السنة النبوية الشريفة ، عندما زخرت أحاديثها بذكر العقل والحكمة والتفكر والتدبر .. وكل المصطلحات التى جاءت فى القرآن دالة على عملية التعقل والتدبر والتفكير .. فمن قول النبى ، صلى الله عليه وسلم .. « .. العقل

---

(١٠) (التعريفات) للشريف الجرجانى . طبعة القاهرة سنة ١٩٣٨ م . ـ مادة « عقل » .

أصل دينى » .. الى قوله : « الكلمة الحكمة ضالة المؤمن »(١١) .. و « نعم المجلس مجلس ينشر فيه الحكمة » (١٢) .. الى قوله : «عليكم بالقرآن ، فانه فهم العقل ، ونور الحكمة ، وينابيع العلم ، واحدث الكتب بالرحمن عهدا .. »(١٣) .

● ولذلك ، فانطلاقا من القرآن والسنة .. واستجابة لضرورة تاريخية وواقعية وحضارية ، تمثلت في الحاجة الى استخدام البرهان العقلى فى عرض حجج الاسلام والدفاع عنه تجاه المؤسسات اللاهوتية المسيحية واليهودية ومذاهب الغنوص (١٤) والمجوس ، التى كانت تستخدم المنطق الارسطى فى الدفاع عن مذاهبها ، التى تركها الاسلام قائمة وترك اصحابها بمنجاة من الاكراه الدينى ، وفق القاعدة الاسلامية الحاكمة (لا اكراه فى الدين، قد تبين الرشد من الغى) (١٥) .. استجابة لهذه الضرورة التاريخية ، انطلق المتكلمون المسلمون من القرآن والسنة فأبدعوا العقلانية الاسلامية التى استوت مذهبا مكتملا على يد مدرسة « اهل العدل والتوحيد» منذ النصف الثانى من القرن الاول الهجرى ، وقبل ترجمة الفلسفة اليونانية ، التى لم يعرفها العرب قبل الفيلسوف الكندى (٢٦٠١ هـ ٨٧٣ م) وعصر الخليفة المأمون (١٧٠ – ٢١٨هـ ٧٨٦ – ٨٣٣ م) ..

لقد بدأت هذه العقلانية الاسلامية المتميزة فى التبلور ، انطلاقا من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، منذ اواخر عصر الصحابة واوائل عهد التابعين .. ونحن نقرأ فى كتب السنة، كيف ذهب بعض التابعين الى الصحابى عبد الله بن عمر بن الخطاب ،يسألونه عن مذهب فريق من أهل النظر ، لا يقفون عند ظواهر النصوص القرآنية، وانما هم يبحثون عن غامضة ، يستخرجون خفيه .: فقالوا له : « يا ابا عبد الرحمن ، انه قد ظهر قبلنا: – (اى فى البصرة) – ناس يقرءون القرآن ويتقفرون العلم ..» (١٦) أى يتتبعون العلم ويطلبونه ، فيأتون بالغامض ويستخرجون الخفى الغريب» من قعر النصوص وما وراء ظواهر الايات .. فلا يقفون عند حدود « القراء » وانما يذهبون مذاهب « الحكماء » ! ..

---

(١١) رواه الترمذى وابن ماجة
(١٢) رواه الدارمى . (١٣) رواه الدارمى
(١٤) الغنوصية – نسبة الى « غنوصيص » – : اى « المعرفة » . وهى نزعة فلسفية ودينية » ازدهرت فى المناخ الحضارى الهلينى ، وفكرتها المحورية قائمة على ان « المعرفة »هى طريق الخلاص ، وليس الايمان الدينى سواء اكانت النصوص او العقل اوهما معا سبيل هذا الايمان .. واذا جاز للغنوصية ان تكون سبيل الخلاص للقلة التى تسلك طريق التجربة الروحية الذاتية سبيلا للخلاص بالمعرفة – كالصوفية مثلا – فان اعتمادها كطريق لخلاص الجمهور – الذى هو هدف الشريعة – يؤدى الى فساد عقائدهم ، دون تقديم البديل الذى يحسنونه ويقدرون عليه .
(١٥) البقرة : ٢٥٦ .
(١٦) رواه مسلم وابو داود والترمذى .

ولم يكن هذا النظر الفلسفى الاسلامى، المنطلق من « النقل القرآنى» بمقاييس الاسلام ، بدعا ولا شاذا ·· فرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو الذى علمنا ضرورة غوص الراسخين فى العلم على المعانى الكامنة خلف ظواهر آيات القرآن ، وذلك بـ « تثوير » القراءة للقرآن ، أى الغوص وراء معانيه ! ·· فقال ، عليه الصلاة والسلام : « من آراد العلم فليثور القرآن » وقال : « أثيروا القرآن فان فيه خير الاولين والاخرين»! ·· والثورة والتثوير · قرآنيا وعربيا تعنى قلب الظاهر وتجاوزه الى العمق ·· فبقرة بنى اسرائيل كانت (لا ذلول تثير الارض) (١٧) ·· أى لا تحرثها ··والحرث هو الانقلاب فى الارض ، لتجاوز الظواهر الى الاعماق ! ··

هكذا ، انطلقت حضارتنا من منابعها الفكرية والاصلية ، ومن واقع الضرورات التى جابهت الاسلام بعد فتح البلاد ذات المواريث الحضارية العقلانية ، فأبدعت عقلانيتها الاسلامية المتميزة ، « كخصوصية حضارية » رغم ما يمثله « العقل » كأداة نظر ، من « مشترك انسانى عام » ··

واذا كان شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء أبو العلاء المعرى (٣٦٣ ــ ٤٤٩ هـ ٩٧٣ ــ ١٠٥٧ م) قد قال :

الناس صنفان ، ذو عقل بلادين
وأخر دين لا عقل له !

فان « الناس » هنا ، الذين يصنعون هذا التقسيم ، وهذه الثنائية، هم « العوام » ، واكثرهم ــ بمعايير النظر ــ لا يعقلون ! ·

أما اهل الفكر والنظر ، فى حضارتنا ، فلقد بدعوا عقلانيتنا الاسلامية ، التى جمعت بين الحكمة والشريعة ، بين العقل والدين ··وفيها تفلسف الدين وتدينت الفلسفة ! ·· فقول المعرى هو نقد للانحراف عن هذا النهج ، وليس لطبيعة الامر فى حضارتنا ، كما يحسب الذين لا يعقلون ! ·

ويشهد على ذلك ، ان أصحاب المذاهب النصوصية ، الذين اتخذوا موقف العداء من العقل وأدواته فى تراثنا ــ والامام احمد بن حنبل (١٦٤ ــ ٢٤١ هـ ٧٨٠ ــ ٨٥٥ م) فى مقدمتهم ــ سرعان ما تبنى خلفاؤهم فى ذات المذهب قدرا من العقلانية طويت به صفحة المنهج النصوصى الى حد كبير ·· فبعد الامام احمد ، الذى وقف عند النصوص وحدها ، ورفض التأويل والقياس فى اغلب والاحيان ·· جاء شيخ الاسلام ابن تيمية (٦٦١ ــ ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ ــ ١٣٢٨م هـ) الذى عقد المصالحة ما بين « العقل» و « النقل » ، وحكم بضرورة الوفاة والاتفاق ما بين « صريح المعقول وصحيح المنقول »·· فكان ذلك شاهدا فى تراثنا ، لم تكن الا نتوءا عارضا افرزته خصوصيات آنية من الظروف والملابسات ·· وكذلك صنعت حركة الاحياء والتجديد التى بدأت بجمال الدين الافغانى (١٢٥٤ ــ ١٣١٤ هـ ــ ١٨٣٨ ــ ١٨٩٧ م) والامام محمد عبده(١٢٦٦ ــ ١٣٢٣ هـ ١٨٤٩ ــ ١٩٠٥) عندما طوت صفحة « الجمود النصوص » التى سادت فى حقبة المماليك والعثمانيين ·

---

(١٧) البقرة : ٧١ ·

عالمية الدعوة الإسلامية تدخل مرحلة جديدة

بقلم: أنور الجندى

تدخل الدعوة الاسلامية فى نهاية العقد الأول من القرن الخامس عشر مرحلة جديدة قوامها تصحيح المسيرة وتحريرها من العقبات والمعوقات والأشواك التى تعترض طريقها سواء من ناحية الجمود الذى أصابها فى المرحلة السابقة أو من جراء محاولات التشويه والتزييف التى قامت بها قوى الاستشراق والتبشير على مدى أكثر من قرن من الزمان فى سبيل خدمة النفوذ الأجنبى وتثبت قبضته وإحكامها فى احتواء عالم الاسلام عن طريق إخضاعه واحتوائه فى دائرة الفكر البشرى والعالمى والأممى وعدم تمكينه من تحقيق انطلاقته الحقيقية السمحاء وقد تزايدت هذه المحاولة فى خلال المرحلة الجديدة التى وصفت بالصحوة الاسلامية .

● وتجرى حركة تصحيح مسيرة الدعوة الاسلامية فى عدة قنوات متصلة متكاملة .

القناة الأولى : تصحيح مفهوم الاسلام بوصفه منهجا جامعا يضم العقيدة والنظام ويقدم منظومة كاملة لمختلف جوانب الاجتماع والسياسة والاقتصاد .

والقناة الثانية : تصحيح مفهوم الاسلام بوصفه دينا عالميا خاتما ، جاء ختاما للرسالات السماوية والبشرية كافة

منذ ظهوره بالنبوة الخاتمة لمحمد صلى الله عليه وسلم وكتابه (القرآن) .

القناة الثالثة : تصحيح اسلام المسلمين الجدد الداخلين فيه فى عالم الغرب وحمايتهم من خطر الاحتواء حول مذاهب باطنية او فلسفية صوفية او غيرها مما لايتحقق معه ابلاغهم رسالة التوحيد الخالص .

القناة الرابعة : تصحيح مفهوم علاقة الاسلام بالاديان المنزلة من حيث انها جميعها جاءت تدعو الى عبادة الله تبارك وتعالى والايمان به واخراج الناس من دائرة الوثنية والشرك والتعدد ، وقد ظلت هذه الاديان مرتبطة ببيئاتها وأممها ، حتى اذا بلغت البشرية رشدها جاء الاسلام مصدقا لما بين يديه للناس كافة والى ان تقوم الساعة وجاء القرآن مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها وقد قامت الحضارة الاسلامية من عصارة تراث رسالات السماء كلها التى انصهرت فى بوتقة شاركت فيها جميع العناصر داعية الى اصلاح النفس البشرية واهدائها الى الخير والرحمة والعدل والاخاء البشرى .

ولاريب أن هذا المفهوم يكشف فساد دعاوى البهائية والقاديانية ومقولة مدعى النبوة فقد قدم الاسلام كل الدلائل والاسانيد الدامغة التى تؤكد (عموم الرسالة وختم النبوة) حيث لم يستطع اى متنبىء خلال أربعة عشر قرنا ان يقيم هذه الدعوى المدعاة .

ولقد كان تركيز اليقظة الاسلامية واضحا على شجب هذا التيار القائم على التأويل الباطنى للقرآن لتسريب مفاهيم الفرق الضالة فى محاولة للاحتيال على بعض النصوص لخداع الطلائع التى لم يتيسر لها الالمام بأصول الاسلام ، وكذلك شجب مفاهيم وحدة الوجود والحلول والاتحاد والتناسخ ومذهب النرفانا والروحية الحديثة ، والحذر مما أوردته كتابات بعض دعاة الباطنية والقرامطة وما تضمنته رسائل اخوان الصفا وما اورده ابن المقفع فى مقدمة كتاب كليلة ودمنة وكذلك افكار مايتعلق بنظرية الفيض والعقول العشرة والتجسيد وذلك ليظل مفهوم الاسلام الجامع قائما ويظل مفهوم الغيب والنبوة والبعث والجزاء الاخرى أساسا لفهم الاسلام .

● الإسلام وحل مشاكل العصر

ولاريب أن ماتوصل اليه علماء غربيون منصفون من قدرة الاسلام على العطاء وحل مشاكل العصر بعد ان تعقدت امور الايديولوجيات وتطلعت النفوس المحبة للخير الى الاسلام كمنقذ ، كل هذا يجب أن يكون موضع تقدير ، ففى كتاب عنوانه (من دين لآخر) اعتناق الاسلام فى الغرب (صدر بالفرنسية ليزبات روثى) يقول :

مابرح الاسلام يلاقى صدى طيبا فى نفوس الغربيين فيدخلون فيه عن طواعية بعد ما افلست كل النظريات فى اسعادهم ولم تعد أديانهم قادرة على اطفاء ظمئهم الروحى) .

ويقول ايفادى فتراى القرآن هو آخر وحي ومحمد هو خاتم الرسل والقيمة المتجمعة للاسلام تجعل الفرد مرتبطا بمجموعة عالمية ، والاسلام يجبر على الاعتراف بكل الملل وبكل الرسل السابقين .

إن العقل الاوربى لايرفض الاسلام اذا عرف حقيقته اذا اتيحت له فرصة

النظر دون ان تكرهه قوى اخرى على التعصب لفكره القديم .

ويقول دكتور عبدالكريم دانتون : بهرتنى المودة فى العالم الاسلامى ، كانوا يقدمون العون دون مقابل ، رائدهم القناعة ورضاء النفس ، بينما كنت انفر من نمط الحضارة الغربية لما فيها من مادية الجفاف الروحانى والفراغ العقلى .

وجدت فى الاسلام رسالة واقعية تعترف بغرائز الانسان ولكنها تسمو بها فهو الدين الأكثر ارتباطا بالواقع وأعمق تأثيرا فى نفوس الناس . وحدث فى الاسلام ما كنت ابحث عنه وأى مشكلة يواجهها الانسان تجد حلها فى القرآن الكريم والعالم الغربى يدرك اليوم أن الاسلام هو الذى يحل جميع مشاكل البشر » .

هذا الذى يقوله بعض المثقفين الغربيين الذين عرفوا طريق الاسلام وتلك ظاهرة شديدة الاهمية فان الذين يدخلون الاسلام من الغرب اليوم ليسوا من عامة الناس ولكن من خاصتهم فهم على حظ كبير من الثقافة ومنهم مفكرون وعلماء وفلاسفة .

ومن هنا فإن هناك ضرورة ملحة للمحافظة على المسلمين الجدد وحمايتهم من خطر الاذابة فى المحيط الغربى أو ان تتلقفهم قوى تدعى الاسلام لتبعدهم عن مفهوم الاسلام الجامع الصحيح .

إن فهم حقيقة الاسلام وجوهره هو الركيزة الحقيقية لهذه المرحلة الجديدة من عالمية الاسلام التى يتسع نطاقها فى قارات اوربا وأمريكا واستراليا لقد جاء الاسلام ليصحح كثيرا من أخطاء الفكر البشرى الوثنى والمادى ، وأهمها الصلة المباشرة . بين الله تبارك وتعالى وبين الانسان بدون وسيط والارتفاع على التجسيد والتجسيم ورفض الفلسفات التى نشأت فى ظلها فكرة التعدد كما كشف الاسلام فساد المواريث القديمة للباطنية والمجوسية وعبادة الفرعون والقيصر وجدد تراث النبوة وكشف زيف تراث طفولة البشرية ، كذلك فقد رفض الاسلام نزعة اليأس والتشاؤم وقد اعلن مسئولية كل انسان عن عمله وابرز عطاء الاسلام فى هذا العصر سكينة النفس وطمأنينة القلب والتخلص من ازمات الفكر التى تؤدى بصاحبها الى القنوط وهى التى يحلها الايمان بالله تبارك وتعالى خالقا ورازقا (إياك نعبد واياك نستعين) .

ولقد تبين أن اعظم ماجذبهم الى الاسلام هو روح العدل والمساواة التى يدعو اليها القرآن الكريم والنظافة التى يتحدث عنها الرسول : « الطهارة نظافة اليد والقلب واللسان » ولقد اذهلهم تواضع النبى محمد صلى الله عليه وسلم وكرم خلقه وسماحته مع أعدائه ورحمته وتطلعه الى أن يخلف هؤلاء المتعنتين من يؤمن بالله .

هذه المعانى هى التى هزت نفس الغربى هزا شديدا لأنه لايجدها فى واقع الحياة المُعاصرة ، صورة من عالم مضىء يستعلى على الاحقاد والخصومات والمادة ويتطلع الى أنوار السماء .

ومن أجل هذا يتوقع المراقبون للصحوة الاسلامية انطلاقا واسعا حتى

تتحقق عالمية الاسلام بعد ان نقل المجتمع الاسلامى الى داخل عشرات من دول الغرب وبقى ظاهرة طبيعية متجددة .

● روح الإيمـــان

ولقد كشف علماء الغرب وقادته عن نواقص الحضارة الغربية المعاصرة واضطرابها وخروجها عن الجادة ، ومايصيبها اليوم من عطب من حيث عجز منهجها السياسى والاقتصادى والاجتماعى عن اعطاء الانسان اشواقه ومطامحه الروحية مما يدعوه الى التطلع الى الاسلام كمنقذ للحضارة والمجتمعات ، ويأتى هذا فى الوقت الذى يتنامى فيه تعداد المسلمين متجاوزين الألف مليون ، وحيث تقام مجتمعاته الآن فى قلب الغرب وتنفجر قضايا شرح الاسلام للغرب وتجاوز الصورة القديمة التى حملها الغرب للاسلام قرونا طويلة ، وحماية هذه المجموعات الجديدة من فقدان مقوم وجودهم الحقيقى ولعله من الخير ان توضع هذه الحقائق الثلاث بين ايدى الدارسين لهذه القضية :

أولا : جدد الاسلام تراث النبوة وكشف زيف تراث البشرية وقدم للانسان فى كل عصر وبيئة : روح الايمان بالله تبارك وتعالى والثقة بقدرته والتحرر من اليأس والتشاؤم ومن التبعية للموروثات وقيام الصلة المتحررة من كل وسيط بين الله تبارك وتعالى والانسان وهدم عبودية الفرد للفرد أو عبودية الفرد للوثنية فى صورها الحديثة ، وبذلك استطاع ان يقدم نفسه للبشرية فى هذا العصر على انه قادر على حل كل مشكلاتها ومعضلاتها .

ثانيا : كشفت الابحاث العلمية واللاهوتية عددا من الحقائق التى أكدت الأصول الثوابت التى قررها الاسلام منذ أربعة عشر قرنا فى شأن خلق الكون والانسان والاعجاز الطبى مما اكد صدق النص القرآنى وسلامته على مدى العصور وقدرته على مظاهرة ما كشفت عنه الحفريات فى شأن تاريخ الامم والحضارات مما يعطى القرآن الكريم اليوم المكانة الأولى فى اعتماده كمصدر لحركة الجنس البشرى .

ثالثا : قدرة الاسلام على استيعاب القضايا العالمية التى احدثت ازمات كبرى من جراء الفصل بين القيم كقضية الدين والعلم والانتماء الدينى والقومى والدنيا والآخرة والالتقاء بين العقل والوجدان ، والتلاقى بين العصور والاجيال والمرأة والرجل والاباء والابناء على اساس مفهوم التكامل الذى رسمه الاسلام وقاعدة الثوابت والمتغيرات وبذلك اعطى المسلم القدرة على الاستجابة لمتغيرات العصور مع الاحتفاظ بالقيم الثوابت الاصيلة .

روى الامام احمد فى مسنده عن تميم الدارى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول :

« ليبلغن هذا الأمر مابلغ الليل والنهار ولايترك الله بيت مدر ولاوبر إلا أدخله هذا الدين ، بعز عزيزا ويذل ذليلا ، عزا يعز الله به الاسلام وذلا يذل به الكفر اما الذين يعزهم الله فيجعلهم من اهلها ، واما الذين يذلهم الله فيدينون لها »

حديث شريف

مسلمو الأندلس ومحاكم التفتيش

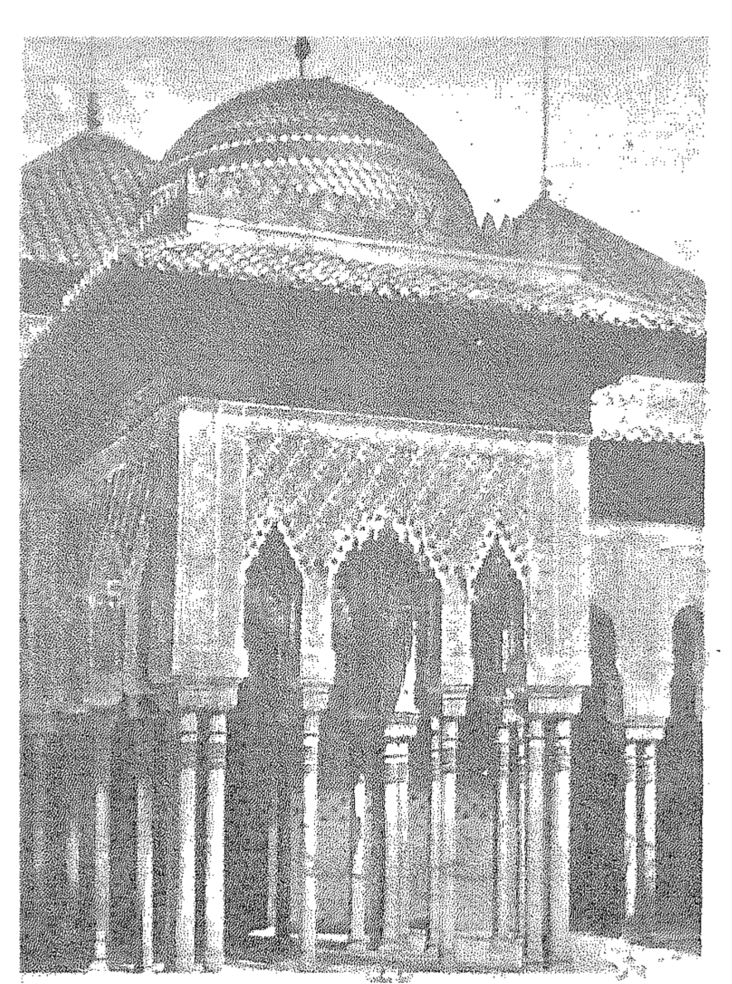
من أنساب ابن حزم إلى أخلاط الغجر

بقلم: عبد الرحمن شاكر

للأندلس ذكرى عزيزة غالية في قلوب العرب والمسلمين ، ولمأساة سقوطها جرح في نفوسهم يظل ينزف حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وكل مايستجد من معلومات عن الأندلس يستهوى نفوسهم . وقد نشر الدكتور عبداللطيف عبدالحليم ، أخيرا كتابا عنوانه « فصول من الأندلس - في الأدب والنقد والتاريخ » ، هذه الفصول كتبها أسبان معاصرون ، معظمهم من أحفاد الاندلسيين ، وجلهم مستشرقون ، ورغم تنوع هذه الفصول ، كما يدل عنوان الكتاب ، فإن سياقا واحدا ، يكاد ينتظمه ، حتى لكأن صورة تاريخية بعينها ترتسم من خلال هذا الاختيار من جانب المترجم ، ويصح عليها قول القائل :

قد عرفناك باختيارك إذ كان دليلا على اللبيب اختياره !

فالفصل الأول من الكتاب ، هو مقالة بقلم المستشرق الأسباني « فرناندو دى لاجرانا » ، يبحث فيه خبرا عن « عبدالرحمن الثاني » أمير قرطبة (الأرجح أنه من نعرفه باسم عبدالرحمن الناصر) ، مؤداه انه بلغ من كرمه ورقة شمائلة أن أعفى أحد أتباعه من الفضيحة أمام أقرانه حينما رآه يختلس كيس ذهب في غفلة منه ! وكيف تواتر هذا الخبر في أكثر من كتاب ، وروى عن أكثر من شخصية ، مرة يرويه عربي عن معاوية بن أبي سفيان ، وأخرى فارسي عن كسرى ، ومؤداه الكلمة التي ذهبت مثلا ، حينما قال الأمير معلقا على ما أخذ منه : "لقد أخذه من لايرده ورآه من لايفضحه » ! .



أما الفصل الثاني ، فهو ترجمة لمحاضرة ألقيت في قرطبة بمناسبة الذكرى المئوية التاسعة لابن حزم يوم ١٥ مايو ١٩٦٣ ، بعنوان « ابن حزم عالم الانساب » ، القاها المستشرق « خاثينتو بوسك فيلا » ، بدأ بداية غريبة جدا ، حيث يقول :

« قال البعض إن الوسيلة الوحيدة لفهم الإسلام أن تجعل من نفسك مسلما (!) ، وإنما قوام المعرفة في عقولنا يتحقق عن طريق الاعتقاد ، والعلم عن التأمل ، والفضيلة عن العقيدة وماهو دنيوى بما هو ديني ، وباختصار ، هي سلسلة من التحولات هذه تصل بالرجل المسلم إلى وحدة تامة ، وبمنهجه الديني هذا ، وبشكول حياته ، وبعقائده السياسية بلغ أى تطور حضارى يكتشف ٤٠٠ مليون من الرجال » .

وبالطبع لم يذهب المستشرق إلى هذا المد ولكنه يقول : « مؤرخ الإسلام ينبغي أن يهتم بمفهوم التاريخ نفسه ، وبمغزاه وبالحركة الاسلامية ـ قبل كل شيء ـ وبالرجل المسلم باعتباره عنصرا متوحدا أو غير متوحد في النسق الاجتماعي والثقافي للشعوب ، وينبغي أن يدرسه في كل أبعاده الانسانية ، وفي أصوله وتطوراته وفي كل ظواهره » ! !

« هكذا يقدر تاريخ الاسلام ، والرجل المسلم بكونه عاملا اجتماعيا في هذا التاريخ ، ففي فترات قليلة ، وصور انسانية يسيرة في أسبانيا الاسلامية تقدم امكانات كثيرة وحوافز لدراسة قرطبة في عصر الخلافة ، وابن حزم وعصره »

ثم ينتقل ليورد رأيا لمستشرق آخر في ابن حزم ، يقول :

« السيد ميجيل آسين ، في عمله العظيم عن ابن حزم القرطبي ، وفي بعض دراسات أخرى عن ابن حزم ، نعته بأنه العبقرى القرطبي المؤرخ ، الشاعر ، الأديب ، الفقيه ، عالم الكلام ، المفسر ، الأخلاقي ، المنطقي ، الكاتب السياسي ، النفساني ، الجدلي ، الميتافيزيقي ، اللغوى ، المؤلف في فلسفة القانون ، حصيلة غريبة من كل هذه النعوت ، التي تشكل هذه الصورة الانسانية والعلمية ، التي تحدد أعظم المظاهر الشريفة والوجوه المركبةالتي

من خلالها يستطاع التوصل إلى مخالطة الرجل ، ومعرفته التى لاتوجد بالتحديد فى عمله باعتباره عالم أنساب » .

ويتحدث المحاضر بعد ذلك عن ثلاثة أعمال لابن حزم فى علم الأنساب ، هى كتب « الفصل » ، « ونقط العروس » ، و« جمهرة أنساب العرب » ويقول : « أخباره على هذا النمط ، تجمع أنسابه من خير الكتب المشرقية ببيانها الكامل ، مستوعبة البطون والقبائل العربية ، المنتقلة إلى شبه الجزيرة الأسبانية ، وقد خول لها ابن حزم مكانا معلوما فى كتابه ، فى ملحق عن أنساب البربر ، وفى اقليم محدد لهذه القبائل فى أسبانيا الاسلامية مثل أنساب قبيلة « بنى قسى » المولدين بالثغر الأعلى » .

وفى موضع آخر يقول : « توجد بعض اشارات تحملنا على الظن بأن ابن حزم قد وقع على أخبار فى الأنساب بنفسه ، وباتصاله المباشر بالعائلات القرطبية أولا ، هكذا عندما يتحدث عن « بنى عبادة » « قوم » كانوا يقيمون فى المدينة ، « معنا بباب العطارين فى قرطبة » .

★ ★ ★

ونودع هذين الفصلين الشريفين فى أول الكتاب ، أحدهما عن سماحة الخليفة الأندلسى ، والثانى عن كتابة العبقرى ابن حزم عن أنساب قومه فى الأندلس ، لنمر مرور الكرام بفصل ثالث عن التنجيم فى أسبانيا الاسلامية ، واختلاط علم الفلك ، بخرافات التنجيم ، لنعبر إلى الوجه الآخر لصورة المسلمين فى أسبانيا أو بالتحديد بقاياهم ، بعد سقوط دولتهم ، وطرد الكثير منهم من هناك ... حيث يطالعنا فصلان ، أو مقالتان ، الأولى منهما بعنوان « الموريسكيون ومحاكم التفتيش بالأندلس - اقليم قونقة » ، بقلم المستشرق « مرثيوس غرسيه أرنيال » ، وهى الفصل الرابع من الكتاب ، والثانية ، أو الفصل الخامس من الكتاب بعنوان « أصل موريسكى محتمل للقنقيين » . بقلم « إلينا بيثى مارنينت » .

● محاكم التفتيش

تواجهنا في هذين الفصلين لفظتان ، أحدهما كلمة « الموريسكيون » ويعنى بهما العرب ومن سواهم من المسلمين الذين وفدوا معهم إلى الاندلس فى شمال افريقيا ، واللفظة الثانية ، كلمة « المدجنون » وأعتقد أن المقصود بها من ثم توطينهم من هؤلاء المسلمين فى أماكن معينة ، وإدماجهم فى المجتمع المسيحى ، فيقول مرثيوس غرثيه أرنيال :

« فى كل أنحاء قشتالة ، خلال بدايات القرون الوسطى ، كانت جماعة المدجنين قليلة العدد ، وذات طابع مدنى على وجه العموم ، تذوب فى الجماعات المسيحية ، مما يجعل جماعة المدجنين تختلف عن جماعات أخرى منهم ، وبصفة خاصة أولئك الذين يعزون إلى مملكة أراجون » .

« ومع ذلك فإن الجماعة الاسلامية فى إقليم قونقة لابد أن تكون كثيرة العدد فى حقب سابقة على استرداد المدينة (حسب ماذكره مؤرخو الاقليم) . كما هو متوقع من إقليم واقع على الحدود » .

ويقول : « فى سنة ١٥٠٢ صدر مرسوم باعتناق المدجنين فى مملكة قشتالة الديانة المسيحية ، وطبق مرسوم التنصر فى السنة نفسها ، لا الوضع ، ولا العدد التافه لجماعة قونقة يبدو متغيرا ، ولا يضطرب إلى حد بعيد بسبب هذا المرسوم ، مع الاستثناء الذى يفرضه تدخل عنصر جديد : محاكم التفتيش ، ومنذ لحظة التنصر بات الموريسكيون تحت المراقبة ، وتحت القضاء الدينى ، فإذا كانوا قبل ذلك ، بوصفهم مسلمين - رسميا - برآء من الحكم عليهم بسبب جرائم دينية ، إلا فى ظروف استثنائية كانوا يعملون بالتبشير ، فانهم من لحظة التنصر هذه سيكونون على الدوام هدفا لظنون الارتداد والزندقة » .

« ومنذ السنوات الأولى من القرن اشتكى الموريسكيون من المطاردات التفتيشية ، ومن تعنت العقوبات المالية ، ومن المصادرة الدائمة للثروات ، هكذا كان الحال ، مما جعل من المحتم صدور مراسيم متعددة من العفو ، لكى يتوازن الوضع للمتنصرين الجدد » .

ويشير الكاتب إلى صدور مرسوم بطرد الموريسكيين من غرناطة بحيث تشتتوا فى أرجاء الأندلس ، ووصل بعضهم إلى اقليم قونقة موضع هذا البحث ، حيث يقول : « تراوح عدد الموريسكيين فى نواحى قونقة فى بداية ١٥٧٠ إلى خمسة آلاف » . وينقل عن سجلات المؤرخين الأسبان :

« أغلب الموريسكيين يعملون حفارين ، وحصادين ، وبستانيين ، وسعاة على الاقدام ، وبغالين ، وحدادين ، ويعملون فى حرف أخرى ، وقد أشرفوا على قبول أى طعام مهما كان رديئا ، ينفقون الزهيد ، ويكفى انهم لايشربون النبيذ ، شىء يتميزون به علينا » .

ثم يورد كاتب البحث إحدى وثائق محاكم التفتيش ، وهى وثيقة « يوسف الفاشى - فقيه مسلم من قريته مولينا سنة ١٤٩٥ » ، ونص الاتهام فيها يبدأ كالتالى :

« يوسف الفاشى فقيه مسلم من قرية مولينا أقنع بطريقة شيطانية فى محاولة إغراء بعض النصارى أن يعودوا إلى دين المسلمين ، وسنة محمد ، قائلا : إن دين محمد هو الدين الحق الذى ينقذ الانسان ... إلى أن يقول .... » ويدلى المتهم بحجته مدافعا عن نفسه بأنه لم يصنع شيئا من هذا ، بل انه يجيب على الاهانات التى يقذفون بها محمدا ودينه ، وعلى الكلمات التى يلقون بها إليه من نافذة المسجد وهو يخطب ، فيجب إذن أن يستتاب ، ويعاقب بالنفى » .

وعن وثائق محاكم التفتيش يقول الكاتب :

« محفوظ فى وثائق أسقفية قونقة ذكرى دعوى عن بيت مال محكمة

التفتيش ، ودوق مدينة سالم حول بعض الموريسكيين المتهمين في محلة

أركوس ، بين سنوات ١٥٧٥ ، ١٥٨٣ ، وهم ١٦ متهما بينهم ست نسوة تذكر أسماؤهم ، كلهم أدينوا بمصادرة أموالهم ، وثلاثة حكم عليهم بالإعدام ، والباقون قبلوا المصالحة » ، ويقول : « إن الأماكن التي يعزى اليها أكبر عدد من المتهمين فقد ساعدت على رسم خريطة ـ بصفة عامة ـ للاسلام المتخفي في الاقليم » ، ويقول في موضع آخر : « في ذرعنا أن نستنتج ملاحظة أولى ـ وسوف تتأكد بمحتوى القضايا ـ هي أن درجة قوة الاسلام قد بلغت حدا كبيرا في تلك المناطق التي تزداد فيها كثافة السكان الموريسكيين وتجانسهم » ؛ ويقول أيضا : « وكما نرى فيما بعد فإن أبنية الحياة الدينية كان يحافظ عليها في أعماق أماكن الاسلام المتخفي ، حيث كانت تلعب النساء دورا بارزا بوصفهن راعيات للتقاليد والعادات والشعائر الدينية ، وناقلات لبعض التعاليم ، شيء يتواتر بكثرة عبر مطالعة القضايا ، أن يكون المتهم قد تعلم العبادات الاسلامية من احدى نساء الأسرة » ، وإن لم تكن كل النسوة كذلك ، ففي موضع آخر يقول « في سوكويا موسى ، شهدت امرأة ضد زوجها قائلة : « إنه يعلمها العربية في المساء ، وهي تقول له انها لاتريد أن تفهم ولا أن تتعلم العربية » ! .

ويورد المستشرق وثيقة أخرى من محاكم التفتيش ، الاتهام فيها موجه الى « سياستيان الوقشي ، من أهل أوربا عند نهر المنصورة في مملكة غرناطة ، يعيش الآن في قرية سوكويا موسى ، ومقيد في أسقفية أقليش سنة ١٥٤٧ » ، ويبدأ الاتهام هكذا : « أولا المذكور أعلاه كما يبين من أصله من سلالة وذرية المسلمين ، وبسبب حبه لشريعة محمد ... قام مع بعض المسلمين بتمرد في مملكة غرناطة » ، ثم يورد دفاع المتهم ، الذي تخاذل « قال واعترف بأنه كان مسيحيا حتى ثورة مملكة غرناطة ونهر المنصورة ، ... أما من حيث كونه قائدا لأناس قدموا من هذا المكان ... فإن الناس قد عينوه واختاروه قائدا ... قائلين له انه رجل شريف بسيط ... وكان في هذه الثورة رجل لم يذكر اسمه قد قال له : « انه لايجور أن يكون رجل في محله لايعرف قراءة العربية ولا كتابتها ، وقد بدأ الرجل هذا يعلم صاحبنا قراءة العربية وكتابتها ... وأن هذا الشخص نفسه قد علمه الوضوء والصلاة ، قائلا له ان هذا طيب لكي يصعد المسلمون إلى السماء ، وهكذا توضأ ، فغسل يديه ووجهه ، وذراعيه ، ورجليه ، واستنجى من أمام ومن خلف ، وغسل أماكن أخرى من جسده ، ثم وضع قميصا نظيفا ، وذهب مع مسلمين آخرين الى كنيسة بورشينا للصلاة ... وصرح بأن مسلمي البربر الذين قدموا الى هذه الثورة علموه صيام رمضان وهو شهر قمري كامل » ...

أما المبحث الثاني الذى كتبته « إلينا بيني مارتنيت » بعنوان « أصل محتمل للفونقيين » فتقول فيه « إن القنقيين ... ليسوا حسب مانرى ، سوى سلالات الموريسكيين الرحل اثر اجيال متعددة ، والذين ظلوا فى أسبانيا والفوا الحياة البدوية ، هربا من مرسوم الطرد سنة ١٦١٠ » ، وواضح أن هذا الوصف ينطبق على من يعرفون الآن عندنا باسم « الغجر » ! وتجرى الكاتبة بحثا لغويا حول أصل كلمة « قنقى » ، والمعنى التحقيرى الذى تدل عليه ، « باعتباره ـ أي القنقى ـ مجرما يهاجم الملكية الخاصة ، ويقوم بأعماله فى عصابات صغيرة حسب ماتحدده دائرة معارف لاروس » ، وتتساءل عما إذا كان أصل هذه الكلمة عربيا من « القين » الذى قد تعني العبد ، أو الحداد ، أو المغني ، وقد تدل ايضا على المخنث ! » حتى إذا وصل الموريسكيون الى القرن السابع عشر تنقل الكاتبة عن الأب « . ب . اشار قردونة » « قوله عنهم : « كانوا أصحاب مساخر وخدع ، ولعب ورق ، وقبل كل شيء هم أصدقاء جدا ، (لهم أيضا أبواق وصاجات وطبول للرقص ، والمرح ، والغناء ، وترانيم الصباح ، والمرور بالبساتين والعيون ، وكل مايجلب المتعة الحيوانية التى يذهب اليها فى جلبة وزعيق مشوش أولئك الفتية القرويون » وواضح أن هذه كلها من صفات وأعمال الغجر .

هذا ما انتهت اليه السلالات التى كان ابن حزم يجمع انسابها أيام كانت لهم الأندلس ؟ وتختم الكاتبة بحثها بقولها « حين نقرر ان كلمة قنقى من الممكن أن تكون من اصل عربى فإن هذا لايستلزم ضرورة أن كل القنقيين كانوا موريسكيين ، ولا أن كل الموريسكيين كانوا قنقيين ، ولكنه مما لايقبل الريب أن كثيرا منهم تحت قسر الظروف الخاصة بنفيهم قد بحثوا من خلال هذا العمل عن وسيلة للحياة لكى يتفادوا الاضطهادات التي تضغط عليهم ... هم أمشاج من أجناس متباينة وبصفة خاصة أهل غرناطة (عرب ، شوام ، بربر ، عناصر بلدية ، يهود قدماء ، مع وشل متباين من دم أسود) ومن اناس متخلفين جدا مثل الفرس والهنود والاتراك) هذه العناصر غير المتجانسة كان عليها أن تبحث بكل الوسائل عن الحياة دون أن يلحظهم أحد ، ممارسين مهنة تكفل لهم الحياة حرة بلا قيود » .

وفي أواخر الكتاب يورد مترجمه بحثا عن المسرح الفلسطيني ، كتبه « بدرو مارتنيت مونتابث » يبدى فيه تعاطفا مع القضية الفلسطينية بقوله : « ان انشاء دولة اسرائيل الشاذ والجائر جورا مطلقا فى الأراضي الفلسطينية فتح حقبة مختلفة اختلافا جذريا ، واستلزم نقطة انطلاق جديدة لهذه الجماعة القومية العربية ، والذى يظهر متمكنا بوضوح فى الحقل السياسى » ... ويؤرخ للمسرح الفلسطينى بأن نشأته قد ارتبطت بنشأة المقاومة .

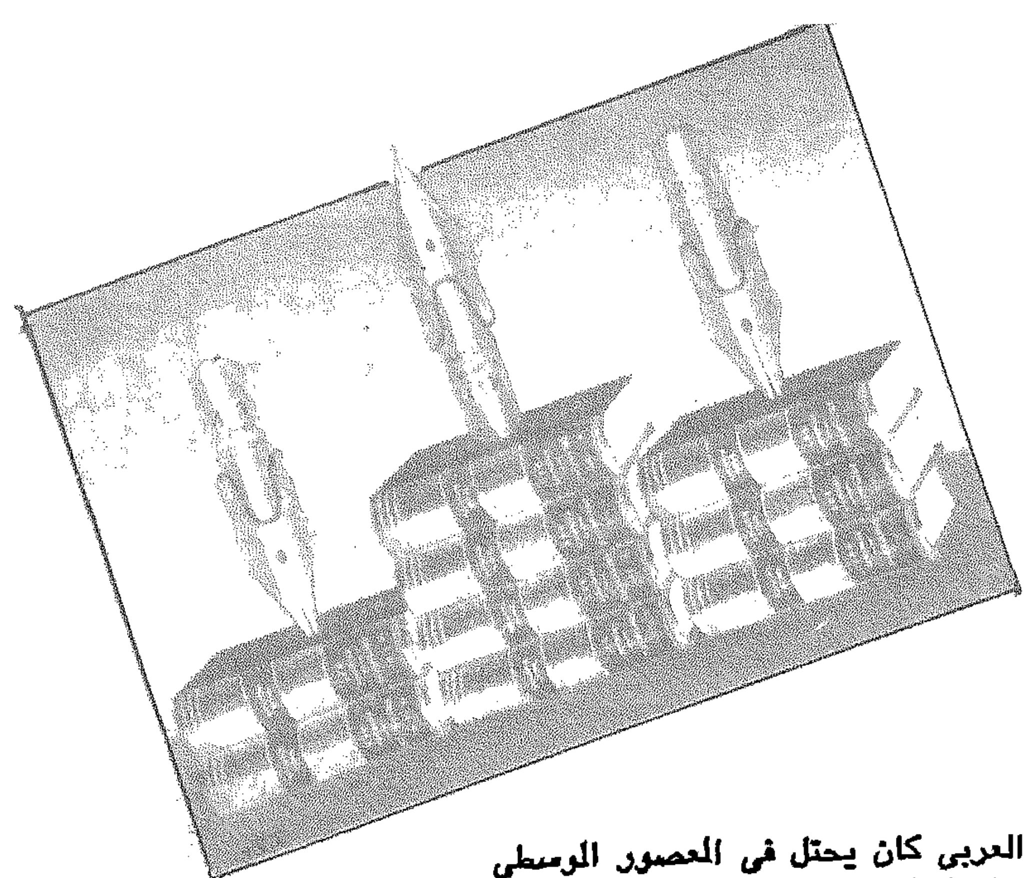
وحق للفلسطينيين أن يقاوموا بكل سبيل ، قبل أن يحيق بهم وببلادهم مصير الأندلس وأهله ! .



بقلم : د. أحمد أبو زيد

الاستاذ جورج سارتون واحد من أبرز المتخصصين فى تاريخ العلم ٠ وقد حمله اهتمامه بفرع تخصصه الى زيارة الشرق الاوسط وشمال افريقيا حيث أمضى عامين (١٩٣١ ـ ١٩٣٢) لدراسة اللغة العربية والاسلام ومعرفة تاريخ العلوم عند العرب ، وترك وراءه عددا كبيرا من المؤلفات والمقالات والبحوث التى تشهد بمكانته وعمق معرفته واتساع افقه ٠ وربما كان من اشهر هذه الكتب كتابه الضخم الفذ « المدخل الى تاريخ العلم » وكذلك كتابه ٠٠ « تاريخ العلم » وقد نقل المجلد الاول فقط من هذا الكتاب الاخير الى اللغة العربية وظهر فى ثلاثة أجزاء ، كما نقل الى العربية أيضا كتابه القصير « العلم القديم والمدنية الحديثة » وقام بهذه الترجمة فى أسلوب رشيق رصين الدكتور عبد الحميد صبره حين كان استاذا لفلسفة العلوم والمنطق بجامعة الاسكندرية ، وقبل أن ينتقل الى جامعة هارفارد حيث يشغل الان كرسى تاريخ العلوم عند العرب ، وقد حصل سارتون اثناء حياته على عدد من الدرجات العلمية وعلى عضوية كل الهيئات والجمعيات المشتغلة بتاريخ العلم ، كما كان وراء ظهور اثنتين من اشهر الدوريات فى تاريخ العلوم وهما مجلة « ايزيس » ومجلة « أوزيريس » وذلك فضلا عن قيامه بتدريس تاريخ العلم فى عدد من اشهر وأكبر جامعات العالم ٠

ولذا فحين يبدى جورج سارتون من واقع علمه وخبرته رأيا فى التراث العلمى عند العرب ، فان ذلك الرأى يجب أن يلقى منا كل ما يستحقه من اعتبار واحترام ، وأن نعطيه جانبا كبيرا من اهتمامنا لفهم الاسباب التى دفعته الى اصدار هذا الرأى أو الحكم ، خاصة وأن كثيرا ما كان يعلن صراحة فضل العرب ليس فقط فى نقل العلم القديم والمحافظة عليه بل وأيضا فى الاضافة اليه ٠ وقد قال فى كتابه « المدخل الى تاريخ العلم » ان العلم



العربى كان يحتل فى العصور الوسطى المكانة التى كان يحتلها العلم اليونانى فى العصر القديم .

وقد كان سارتون (١٨٨٤ - ١٩٥٦) يعتبر العرب عباقرة الشرق فى العصور الوسطى ، وأن الكتابات والمؤلفات الاصلية العميقة التى تركوها وراءهم هى من أهم المآثر التى يمكن لاى شعب أن يقدمها للانسانية ، وانهم افلحوا **عن طريق هذه الاعمال ان يفرضوا فكرهم ولغتهم على كل الحياة الثقافية فى العالم خلال فترة طويلة من الزمن ، بحيث كان يتحتم على كل من يريد الالمام بثقافة عصره أن يتعلم اللغة العربية** ويطالع اثار العرب . فلقد كانت تلك الاعمال تمثل سجلا وافيا وحافلا للفكر الانسانى ، ولذا فان من الصعب - حسب ما يقول - أن نتصور ماذا يمكن أن يكون عليه الحال لو لم يكن العرب حملوا رسالة العلم والثقافة وعملوا على تطويرها وحفظها للاجيال التالية .

وكلام الاستاذ سارتون خليق بأن يجعلنا نتساءل عن العوامل التى كانت للعرب والمسلمين فى تلك الفترات السابقة من تاريخهم كى ينتجوا ويبتكروا ويبدعوا كل تلك الاعمال التى سيطرت على الحياة الثقافية والفكرية والعلمية فى العصور الوسطى ، وأن نبحث فى ماهية هذه الاعمال ، وأن نتعرف المواقف العقلية التى كانوا يلتزمون بها وأنماط التفكير التى سادت بينهم والتى كانوا يتبعونها ، وأن نحاول دراسة منهجهم فى الفكر والحياة والابداع الثقافى والعلمى وأساليب البحث التى كانوا يطبقونها فى بحوثهم وكتاباتهم . فهذا - فى رأيى - هو الجانب الاكثر أهمية الذى يجب أن نشغل به أنفسنا حين ننظر فى تلك الاعمال التراثية الشامخة التى تركها لنا العرب والمسلمون فى عهودهم الفكرية الزاهرة . اذ مهما اختلفت الاراء فى الوقت الحالى حول أهمية



التراث بالنسبة لحياتنا الثقافية المعاصرة أو حول الدور الذى يمكن أن يؤديه ذلك التراث في حركة الفكر الان ، وجدوى الاشتغال بذلك التراث فى حركة الفكر الان ، وجدوى الاشتغال بذلك التراث أو الانشغال به ، والفائدة التى يمكن أن تعود علينا من الجهود الطويلة المضنية التى يتطلبها تنقيح التراث وتحقيقه ونشره ودراسته ، فالشىء الذى لا يمكن لهذه الاراء أن تختلف فيه هو أهمية البحث عن أساليب التفكير التى أنتجت ذلك التراث ، والمناهج والمواقف العقلية التى تكمن وراءه والتى يعتبر التراث تعبيرا عنها ونتاجا لها ٠

***

ولقد شغلت مشكلة التراث وأهميته وجدواه بالنسبة لحياتنا الثقافية المعاصرة كثيرا من المثقفين والمفكرين من مصر والعالم العربى منذ بعض الوقت ، وانقسم المفكرون ازاءها وتفاوتت وجهات نظرهم كما تعددت أسماؤهم ربما بسبب الظروف الثقافية المضطربة التى تسود المنطقة الان نتيجة للاوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية العامة ، وما أدى اليه هذا الاضطراب من تمزق نفسى وعقلى رهيب بين الرغبة فى المحافظة على الهوية الثقافية الاصيلة والدفاع عن مقومات هذه الهوية ضد ما يسميه البعض بالغزو الثقافى أو الامبريالية الثقافية أو الاستعمار الثقافى الوافد من الخارج من ناحية ، وبين الرغبة المشروعة والحاجة الملحة لمتابعة التطورات الثقافية والتيارات الفكرية والاتجاهات الادبية والفنية التي يزخر بها العالم فى الخارج ، وما يرتبط بهذه الرغبة من الانطلاق والتحرر من كل روابط و (قيود) الماضى بما فى ذلك قيود التراث القديم الذى يمثل عبئا ثقيلا يعوق حركة الانطلاق ٠

وهذا الاختلاف فى الرأى هو بغير شك عنصر من عناصر القضية الشائكة التى ظلت تثور على سطح حياتنا الثقافية والاجتماعية منذ أواخر القرن الماضى وتتخذ فى ذلك أشكالا عديدة وأعنى بها قضية الاصالة والمعاصرة بكل جوانبها وتفرعاتها ٠ وهى على أية حال قضية عامة تشترك فيها ليس فقط كل المحيطات الدينية والاسلامية ، وانما تعانى منها أيضا كل مجتمعات العالم الثالث أو المجتمعات النامية التقليدية التى تخضع منذ بعض الوقت لعمليات التغير الاجتماعى والثقافى نتيجة لاتصالها بالحضارات والمجتمعات الغربية وتأثرها بالنظم والقيم وانماط وأساليب التفكير السائدة فى تلك المجتمعات ، والرغبة المصاحبة لذلك ــ عند البعض على الاقل ــ للتخلص من هذه التأثيرات أو على الاقل تخفيف حدتها وعمقها والعودة الى النظام القديم والحياة التقليدية ٠

وتتخذ حركة التشكيك فى قيمة التراث وأهميته وجدواه مظاهر عديدة ٠ وقد شارك في الهجوم على ذلك التراث العربى الاسلامى عدد من المستشرقين والكتاب الغربيين ممن اتصلوا بالفكر الاسلامى عن قرب ٠ وكان معظم هجومهم يعتمد على التهوين من القدر الذى أسهم به (العرب) فى ذلك التراث ٠ فمعظم الذين ابدعوا وانتجوا ذلك التراث الضخم ليسوا من العرب وانما هم مفكرون وأدباء وعلماء ينتمون فى الاصل الى سلالات وأعراق غير عربية وان

كانوا قد دخلوا في الامبراطورية العربية الاســـلامية أيام امتدادها . بـل ان الكثيرين من هؤلاء المفكرين والفلاسـفة والعلماء ينتمون الى غير دين الاســلام .. وعــلى ذلك فان ما يسمى بالتراث العربى الاسلامى هو - فى نظر هـؤلاء الكتاب والمستشرقين - نتاج يونـانى أو فارسى ، أو هندى أو أسبانى ، أو يهودى أو نصرانى وهكذا .

وقد ذهب الكثيرون من المتشـــككين فى أهمية التراث وجـدواه الى رفض ذلك التراث باعتباره حصيلة ونتـــاجا لاوضاع اجتمـــاعية وثقافية وسياسية معينة ارتبطـت أصـــلا بفترة تاريخية محددة، ولذا فهو لا يلائم العصر الذى نعيش فيه . بل انه على العكس من ذلك تماما يشكل عبئا ثقيلا يعرقل حـــركة الفكر ويحد من انطلاقه كما قلنا منـــذ قليـل ، ويفرض على الانسان المعـاصر قيودا شديدة تمنعـه من أن يعيش عصره .. فالقضايا التى شغلت بال المفـكرين العرب والمسلمين فى الماضى والتى تنعكس فى الاعمال التراثيـــة . التى تركوها وراءهم تختلف اختلافا جذريا عن قضايا العصر الحديث ، ولذا فليس ثمة مـا يدعو الى الاهتمام بها لانها لن تساعد على فهم الحاضر أو حــــل مشكلاته . وعــلى ذلك فــــــان الجهـــود التى تبذل من أجل احياء ذلك التراث ونشره والتعريف به هى جهود غير مجـــدية وضائعة ولا طائل تحتها ، فالتراث جسم غريب ودخيل على الثقافة المعـاصرة ، ولذا فقد يكون من الخير ومن الاجـدى أن يظل الاهتمام به مقصورا عــلى تـلك الدائرة الضيقة من المتخصصين الـذين يشتغلون به لاســباب اكاديمية صرفة لا تكاد تتصل بواقع الحياة . وشأن الاشتغال بذلك التراث على هذا الاساس هو شأنه الاشــــتغال بالملغات القديمة الميتة التى لا تهم ســوى المشـــتغلين بها ولا تكاد تجد صدى لها بين عامة المثقفين لابتعادها عن واقـــع الحيـــاة والمجتمع .

احياء تراث العرب

وليس من شك فى انه من التعسف أن نذهب الى ان كل ما تركه العـــرب والمسلمون فى العصــــور الوسطى التى يشير اليها سارتون والتى يقصـــدها معظم الكتاب حين يتكلمون عن التـراث العربى الاسلامى يستحق أن يلقى نفس الدرجة من العناية والاهتمام والجهد من أجل احيائه ونشره وتقديمه لعامة القراء والمثقفين . انما لابد من أن تخضــع هذه العملية لشىء من الاختيار الواعى والانتقاد الدقيـــق لمعرفة أى الاعمـــال تستأهل النشر والتعريف بها على أوسع نطاق ممكن بحيث تدخـــل فى تكويننا الثقافى العام وتصبح جزءا عضـــويا فى ثقافتنا المعاصرة ، وأيها يترك أمره للمتخصصين دون سواهم ، لانه لم تعد له سوى قيمة تاريخية وأكاديمية فحسب . فمعظم المؤلفـات العــلمية التى تركها العلماء المسلمون فقدت قيمتها وأهميتها وأثرها فى الحياة العلمية والعمـــلية بعد كل ما أحرزه العلم من تقـــدم فى مختلف الفروع خلال القرون القليـــلة الماضية ، وبوجه خاص منذ بداية هـذا القرن ، وبعـد ان ظهـــرت حقـــائق وتفسيرات ونظريات علمية جديدة غيرت من مفهوم العلم عما كان عليه من قبل . ولكن هذا لا يصـــدق بحذافيره عـلى الدراسات الانسانية التى اسهم فيهـــا المفكرون العرب والمسلمون بنصـــيب وافر ، ويســـتوى فى ذلك كتاباتهم فى الفلســــفة أو التــاريخ أو الادب أو



الادب أو التصوف أو الاحكام وما اليها، فهذه لم تفقد قيمتها بحكم الموضوعات ذاتها التي تعالجها ، وهي موضوعات متصلة اتصالا شديدا بجوهر الحياة الانسانية وماهية الانسان ذاته ، ولذا فانها لا تزال تعتبر حتى الان جزءا أساسيا من تراث الانسانية ككل .

كذلك فان من التعسف بل ومن الخطأ أن ننظر الى التراث وأن نتعلق به على أنه الامل الوحيد الذي يمكن أن نجد فيه حلولا لمشكلات الحياة الراهنة أو أن نتخذ منه ملجأ نفزع اليه هربا من المدنية الغربية المادية الحديثة بكل ما تحمله من شرور وآثام ومتاعب ، أو هربا من الواقع العربي الاسلامي المؤلم بكل ما يحيط به من تخلف ومهانة ، فنعيش بمخيلتنا في تلك العصور الماضية الزاهرة ، حين كانت الحضارة العربية الاسلامية في أوج ازدهارها وتدق أبواب أوربا ذاتها . فمشكلات اليوم لن تجد لها حلولا في تراث الامس الا في أضيق الحدود وفي الاساسيات فقط ، وبخاصة فيما يتعلق منها بالعقائد . وعجلة التاريخ لا يمكن أن تعود الى الوراء

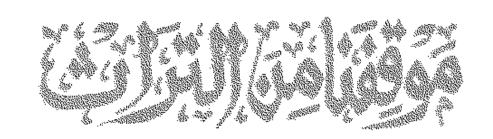
وهذا لا يعني أبدا .. الدعوة الى انكار الامس أو التنكر له ، كما أنه لا يعني الدعوة الى قصر الاهتمام بالتراث على المتخصصين دون سواهم فالثقافة وحدة كلية متصلة ومتماسكة ومستمرة ولكن اذا كان من الصعب - بل ومن السخف - محاولة نقل الحاضر الى الماضي بحيث نعيش حاضرنا ومستقبلنا بعقلية الماضي ، فليس ثمة **ما يمنع من تطويع الماضي ذاته ليكون في خدمة الحاضر ، وهذا يقتضي تذليل التراث - او بعضه - وتقريبه الى الاذهان واعادة النظر فيه في ضوء مقتضيات العصر ومنجزاته حتى يتلاءم** من الاوضاع الحضارية السائدة ويصبح **جزءا من الثقافة العامة التي تسود المجتمع المصري - والمجتمع العربي الاسلامي بعامة -** بقدر الامكان . فالمهم اذن هو أن نعيد النظرة الى التراث أو ان ننظر اليه على الاصح نظرة جديدة تهتم بمراجعة أساليب دراسته واحيائه وتذليله للافادة منه . فسواء أردنا أم لم نرد فان هذا التراث العربي الاسلامي - أو جانب منه على الاقل - يؤثر بشكل أو بآخر في قيمنا وعاداتنا وتقاليدنا بل وفي طريقة تفكيرنا ونظرتنا الى الحياة . (وهذا يصدق ولو بقدر على التراث الفرعوني والقبطي). وهذه أمور يصعب الجدل فيه ، ولكن فيها ما يكفي لتبرير الاهتمام بهذا التراث على الاقل لكي نتعرف المبادىء والاسس والمناهج التي كانت تحكم الفكر العربي الاسلامي الذي أنتج ذلك التراث ، ومدى تأثر هذه الاسس والمبادىء والمناهج بالتغيرات التي طرأت على المجتمع العربي الاسلامي في مختلف عصوره ، فقد يمكن الاستفادة من هذه التجارب في تعرف معالم الطريق الذي تسلكه ثقافتنا في المستقبل .

فليس المهم اذن في دراسة التراث هو معرفة المضمون أو المحتوى بقدر ما هو معرفة الموقف العقلي أو المنهج الفكري الذي أنتج هذه الاعمال ، وان كان هذا لا يعني اغفال ذلك المضمون أو المحتوى أو التهوين من شأنه أو الاستهانة به . ولكن العلم ليس مجرد

تجميع للمعلومات والحقائق والوقـــائع والظواهر والاحداث وتصنيفها ووصفها ٠٠ وانما العلم هو قبل كل شيء موقف عقلى من الحياة ككل ، وأسلوب لرؤيـة الاشياء وفهمها وتفسيرها ٠ ومعـالجته التراث من هذه الزاوية تعطى له معـنى أبعد وأعمـق من الاكتفاء بقـراءته والاحاطة بكل تلك المعلومات الجـزئية التى تمتلىء بها الكتابات القديمة فالذى يبقى من كل هذه الكتابات والاعمـال التراثية الهائلة ـ حتى بعـد أن تـزول الاهمية العلمية لتلك المعلومات أو يظهر خطؤها ـ هو المنهج والمبادىء العقـلية وقوانين الفكر التى كانت تحكم تفـكير أصحاب هذه الاعمال ، والاســاليب والطرائق التى كانوا يتبعونها فى جميع معلوماتهم وتصنيفها وتحليلها وتفسيرها وعرضها٠ وهذا ـ كما سبق أن ذكرت ـ هو فى رأيى أقوى مبرر لكل تلك الجهود التى تبذل الان ، والتى يجب أن تبـذل دائما لاحياء التراث والمحافظة عليه ٠

***

كل هذا يستدعى عدم قصر الاهتمام بالتراث عـلى المتخصصين فيـه دون سواهم مادام ذلك التراث يؤثر بشـكل صريح أو مستتر فى حياتنا الثقـافية بل وفى حياتنا العامة الى حـد كبير ٠ واذا كان يحلو للبعض أن ينادى باغفال التراث العربى الاسلامى تماما على رغم ان الاشتغال به وباحيائه يعوق مسيرة الثقافةفى مصر واللحاق بركبالحضارة المعاصرة التى هى فى جوهرها حضارة غربية فان الغرب نفسه لم يغفل تراثه اليونـانى واللاتينى العتيق العـريق ، وانما هو يعطيه دائمـا ما يسـتحقه من عنـاية واهتمـام ويحـاول تقريبـه وتذليله وتقديمهالى عامة الناس بمختلف طبقاتهم واذواقهم ومستوياتهم العلمية والثقافية بـل ويحاول تطويعه أيضـا بما يتلاءم مع متطلبات الحياة الحديثة ٠ والامر لا يتوقف عندهم عند حد ترجمة ذلك التراث القديم الى اللغات الحيـة كلها وظهور ترجمات وشروح عـديدة لكل عمل من تلك الاعمال التراثيةالقديمة أو حتى اخضاع هذه الاعمال للدراسة والتحليل والتفسـير لالقاء مزيد مـن الاضواء عليها ٠ وانما يصل الامـر فى الغرب الى اعادة صياغةذلك التراث فى أسلوب عصره أو بشـكل موجـز ومبسط لتعريف الشبان بل وحتىالاطفال به ، أى أنهم يتخذون منه وسيلة للتنشئة الثقافية منذ الصغر ، مع اعداد الاطفال منذ الصغر وتهيئتهم لقراءة هذا التراث فى صورته الكاملة حين تتقدم بهم السن أو تنضـج مداركهم أو ترتفـع مستوياتهم الثقافية بالقدر الكافى الذى يؤهلهم لقـراءته وفهمـه واستيعابه فكأن الغرب لم يتشكل قط ـ مثلمـا نفعل نحن أو يفعل البعض منا عـلى الاصح ـ فى قيمة تراثه وأهميتـه أو يدعو الى اهماله بحجة أنه ظهـر فى عصر غير العصر ٠ كما أنه لا يوجد فى الغرب ـ من الناحية الاخرى ـ مـن يدعو الى التمسك بذلك التراثوالرجوع اليه هروبا من الحياة المادية الحديثة٠ أى أن التراث الثقافى القـديم فى الحضارة الغربية لا يؤلف مشـكلة عويصة تنقسم حولها الآراء وتستنزف قوى المثقفين كما هو الحال عندنا منذ أواخر القرن الماضى وحتى الان ٠ وانما ينظر الغرب الى تراثه على أنه جـزء من ثقافته الكلية الشاملة التى تضرب بجذورها الى الماضى البعيـد ، وبذلك لا يعتبر الاستئقال بالتراث هناك دليلا على التخلف ، بل قد يكون العكس هو الصحيح ، لان الناس هناك ينظ ون الى تراثهم فى اعزاز واكبـار يكادان



يقتربان الى درجة التقديس ، دون أن يجدوا أى تعارض بين ما وصلوا اليه من تقدم علمى وتكنولوجى وبين ما يحويه ذلك التراث من أساطير وخرافات ونظرات وآراء يرفضها العقل الاوربى الحديث ، بل ان التراث اليونانى واللاتينى كان دائما مصدرا لقيام نظريات جديدة فى الادب والفن والفكر بل والعلم أيضا · ولم يترفع العلماء فى الغرب عن دراسة الاساطير اليونانية مثلا فى ضوء نظرياتهم العلمية ، وبذلك خضعت الاساطير مثلا لتفسيرات مدرسة التحليل النفسى وللتأويلات الانثربولوجية ، ولعل أوضح مثال لذلك هو نظرية فرويد عن عقدة أوديب التى استمدها من دراسته لاسطورة أوديبوس المشهورة واعادة تفسيرها · ومثل هذه الجهود تحقق الاتصال والاستمرار بين القديم والحديث فى الغرب وهو ما نفتقر اليه فى حياتنا الثقافية · وذلك فضلا عن الاعمال الادبية من مسرحيات وروايات وغيرها التى تستلهم الاساطير اليونية القديمة وتعيد صياغتها وتقديمها فى أعمال ابداعية جديدة تكشف عن عمق الفكرة التى تهدف اليها تلك الاساطير وعما تحتويه من جوانب انسانية عامة وشاملة ·

وهذه كلها أمور لا نكاد نجد لها مثيلا فى حياتنا الثقافية المعاصرة وان كانت هناك استثناءات هامة بغير شك · ويقع معظم اللوم عن هذا التقصير على المشتغلين بالتراث أنفسهم · فقد قصرت معظم جهودهم على تنقيح التراث وتحقيقه ونشره كما هو أو مع بعض التعليقات التى لا تتعدى فى كثير من الاحيان شرح بعض الالفاظ الغامضة ·

وصحيح أن هناك بعض الجهود لتبسيط الاعمال التراثية أو عرضها فى ثوب جديد مقبول من الرجل العادى ، ولكن هذه جهود قليلة ، ومتفرقة وتنقصها فى الاغلب الخبرة ولكنها مع ذلك صادفت كثيرا من النجاح كما أنها تعتبر بغير شك خطوة أولى وأساسية لتقريب التراث من عامة الاذهان ، وبالتالى ربط الناس به بحيث يصبح فى اخر الامر جزءا عضويا من الحياة الفكرية فى المجتمع وبحيث يمكن استلهامه فى عمليات الابداع الفكرى والادبى والفنى ·

ولن يتسنى لنا ذلك الا عن طريق اعادة قراءة التراث من زاوية جديدة تنطلق من واقع حياتنا الراهنة مع محاولة جادة للكشف عن المبادىء العقلية التى صدرت عنها هذه الاعمال التراثية الخالدة فهذه هى العناصر الاكثر رسوخا واستمرارا والتى تعطى تلك الاعمال معناها وقيمتها بالنسبة لنا ، والتى يمكن الاستعانة بها فى اعادة تشكيل حياتنا الثقافية على أسس منهجية سليمة مستمدة من الماضى الثقافى والفكرى والعلمى الاصيل ، **ولكنها تأخذ فى الاعتبار فى الوقت ذاته احتياجات الحاضر ومتطلبات المستقبل فى اطار المحافظة على الهوية الثقافية الخاصة بنا · وبذلك يتحقق ذلك المبدأ الاساسى من مبادىء تلك الهوية الثقافية وأعنى به مبدأ الاستمرار الثقافى عبر العصور ، رغم كل ما قد يطرأ من تغيرات وتطورات على العناصر المكونة لثقافتنا المصرية بأبعادها المختلفة ·**

ادعاء أمير تركي عاش في مصر

حدث أصبح ملكا على فلسطين عام ١٩٤٨

بقلم : د. محمد حرب

هذا ادعاء للامير محمـود شوكت، وهو ادعاء مسجل بصوته على شريط موجود في المكتبة الخاصة لكاتب تركي كان صاحب ورئيس تحرير مجلة السبيل الاستانبولية وهو قدير مصر او غلو وقد اورد هذا الادعاء مع ذكـر مسالة التسجيل هـــذه في كتابه « مساة ال عثمان» الذي صدرت طبعته الاولى في استانبول عام ١٩٧٩. في صفحة ٣٠٠ الى ٣١٨ .

ولان التاريخ جـزء من ضمير الامة ونشره واجب في كل اشكاله ، لذلك نرى لو استطاع الأحياء الـذين عايشوا الامير ، وعايشـوا تفاصيل ادعائه من قريب او من بعيد ان يدلوا بدلوهم في هذه القضية .

ومحمـود شوكت (١٩٠٢ ـ ١٩٧٢) هو حفيـده السلطان عبد العزيز . تخرج ضابطا بحريا ثم عمل ياورا لاخر سلاطين آل عثمان السلطان محمد وحيد الدين .

اصدر اتاتورك ـ عقب الغـائه الخلافة والسلطنة رسميا ـ القانون رقم ٤٣١ الخاص بطرد كـل افراد الاسرة المالكة العثمانية ، الى خارج البلاد . وبمقتضى هذا القانون تم طرد

كدت أصبح ملكاً على فلسطين عام ١٩٤٨

الامير محمـــود شوكت ، فذهب الى مصر وحيدا · واستقبلته هنـــاك في مصر عمته ، وعاملته معـــاملة الام لابنها ، ولم تكن ذات ولد ، وان كانت ذات ثروة وجاه · ولما ماتت ورثتـه مالها ·

ولم تكن الاسرة العلوية المالكة في مصر ـ لأسباب تاريخية ـ على وفاق مع آل عثمان · فلما استقر الاميـر المطرود في القاهرة ، كون صلاتقوية مع مشايخ الازهـر وعلمــاء مصر والسياسيين ورجال الجيش ورجـــال السلك الدبلوماسى الاجنبى فيهـــا ·· وكانت للاميـــر صلة خاصة وقوية بعزيز باشا المصرى · كما وجد الامير نفسه محـاطا بمضايقات رجال القلم السياسى المصرى وبحساباتهم لحركاته وسكناته ·

وانتهز الملك فؤاد فرصة وفاة عمـة الامير محمود شوكت وانتقال أموالها الى الامير ، ليأمر بمصادرة هـــذه الثروة · وظل الامير يطالب بحقـــه دون جدوى حتي قامت ثورة ٢٣ يوليو فأصدر الرئيس جمال عبـــد الناصر أمرا برد الثروة الي الامير كمـــــا أصدر أوامره الى المســـئولين فى الحكومة المصرية وقتها بالعمل عـلى رد ميـراث ضــخم من الاراضى فى اليونان ـ آلت الى الاميـــر ـ وقال عبد الناصر أنه اذا لم تحقق الحكومة اليونانية هـــذا المطلب ، فان على حـكومة مصر ، مصـــادرة ثروات اليونانيين بالاسكندرية ·

ولولا صدور قوانين التأميم في مصر لكان لثروة الامير محمود شوكت شأن اخر ·

كان الحلفاء قد احتلوا القدس فى فى ١٩١٧/١٢/٩ واكملوا احتـــلالهم البريطانى لفلسطين فى سبتمبر ١٩١٨ ·· واعلنوا ـ فيمـــا بعـــد ـ انهم سينسحبون فى عام ١٩٤٨ ·

ورغب البريطـــانيون في تـكوين حكومة فيدرالية تحـــل محل سلطة الانتداب ، عقب خروج البريطانيينمن فلسطين ثلثاها من العرب والثلث من اليهود ·

قام وايزمان بارسال ممثل له الى مصر هو الكولونيلاليهودى البريطانى شيفرى وارســـل معـــه اخـــرين لكى يختاروا رئيسا لدولة فلســطين الجديدة بشكلها البريطانى المقتـــرح الذى يرغبه البريطانيون ، ويكون هذا الرئيس من أفراد الاسرة المـالكة فى مصر تجنبا لوجود فلسطينى عربى على رأس الدولة الجديدة ·

وقال الكولونيل شيفرى ان اليهود يرحبون بالحكومة الفلسطينية المقترحة حسب البرنامج البريطانى · وأن شكل الدولة الجديدة لا يهم اليهود فى شىء، من ناحية أن يكون ملكيا أو جمهوريا أو خلاف ذلك ، المهم الا يكون شخص الرئيس عربيا ·

عرض الوفد اليهودى بالقاهرةفكرة رياسة فلسطين ما بعد الانتـــداب

البريطانى على الامير عباس حليم ، فرفض ، ذلك لان الحكومة المصرية ، لم تكن ترى أنه من المناسب تولى أحد أفراد الاسرة الحاكمة فى مصر ، عرش فلسطين ·

قابل الكولونيل شيفرى فى القاهرة الامير محمود شوكت · وحاول اقناعه **بقبول عرش فلسطين · فاشترط الامير موافقة الفلسطينيين وموافقة سلطات الاحتلال البريطانى فى مصر ـ التى كان الامير مقيما فيها ·**

وافقت السلطات العسكريةالبريطانية فى مصر وعلى رأسها الجنرال ويلسون ، القائد العام للجيوش البريطانية فى الشرق الادنى ، على ذلك · وقام عزيز باشا المصرى باقناع الزعماء الفلسطينيين فى القاهرة بالمشروع فى اجتماع عقده لهم لهذا الامر فى « فيلته » فى عين شمس بالقاهرة · وقال عزيز باشا المصرى أنه يرى مصلحة فلسطين فى تنفيذ هذا المشروع ، وانه من شأنه ـ فى حالة تنفيذه ـ ابعاد مشاكل ستحدث مستقبلا · وطلب هؤلاء الزعماء من عزيز باشا أن يمهلهم حتى يعرضوا المسألة على الحاج أمين الحسينى بوصفه رئيساللجنة العربية الفلسطينية العليا ·

وكان وايزمان ـ أثناء ذلك ـ يتابع تطورات الموقف ، وانتقل الى القاهرة خصيصا لمتابعة تطورات الرد العربى ·· وقد كان ينتظره بقلق ·

لكن أعضاء اللجنة العربية الفلسطينية العليا لم تتوصل الى اتفاق ، فقد كانوا بين معارض وبين مؤيد · ولما طال انتظار الامير محمود شوكت ، أرسل مندوبا عنه الى الحاج أمين الحسينى وكان فى لبنان ، والتقى به مندوب الامير · وقال الحاج أمين **للمندوب انه يتفق مع راى عزيز باشا وان دولة فلسطينية برياسة الامير محمود شوكت معناها تجنيب الفلسطينيين لبلاء يمكن أن يعم البلاد ·· وكتب الحاج أمين خطابا الى الامير يتضمن هذا الكلام · لكن الخطاب لم يكن كافيا لكى يتخذ الامير قراره ، فلم يكن خطاب رئيس اللجنة الفلسطينية العليا متضمنا قرار اغلبية اللجنة على هذا الراى ·**

ونتيجة لاقتراب موعد انسحاب القوات البريطانية من فلسطين مع عدم وصول رد يفيد باتفاق الفلسطينيين على رأى مشروع عرش فلسطين والحكومة الفيدرالية ، سكت الامير محمود شوكت ، وغادر وايزمان القاهرة مع الكولونيل شيفرى لاعداد شىء ما عند الانسحاب البريطانى ·

عرض البريطانيون بعد ذلك على الامير اقتراحا اخر بأن يعلن نفسه ملكا على فلسطين ويعلن قيام حكومة الثلثين والثلث فى وجود القوات البريطانية وقبل انسحابها · فرفض الامير ·

وفى ١٤ مايو ١٩٤٨ م انسحب البريطانيون من القدس وفى ١٥ مايو دخلت الجيوش العربية فلسطين ثم حدث ما حدث من مأساة ونكبة وكارثة ·

حافظ اسماعيل يتذكر

بقلم : د. السيد أمين شلبي

ربما لم يتح لشخصية مصرية معاصرة ـ مثلما اتيح للسيد حافظ اسماعيل ـ ان تشغل من المناصب العسكرية والدبلوماسية والتنفيذية ، وان تتحمل مسئوليات وتقوم بادوار وتشهد وتشارك في احداث كبرى لم تكن فحسب نقط تحول في سياسات مصر القومية ومنطقتها ، بل ايضا في علاقات وصراعات القوى الكبرى في العالم .

لذلك لم يكن غريبا ان يترقب الناس على مختلف اتجاهاتهم وأهتماماتهم شهادته وروايته لتفاصيل ماعاصره وشارك فيه من احداث ، وقد ضاعف من هذا الترقب ماعرف عن حافظ اسماعيل من التزام وجدية صارمة واحساس طاغٍ بالمسئولية ، وترفع عن الصغائر واهتمام بالجوهر ، وادراكٍ للقوى الرئيسية الموجهة للاحداث ، وفكر استراتيجي ونظرة شاملة .

من اجل هذا كانت الحفاوة التى استقبلت بها شهادته والتى وضعها فى اطارها الصحيح وجعل عنوانها « امن مصر القومى فى عصر التحديات » . ولم يكن اختيار هذا العنوان اعتباطا ، فقد كان امن مصر القومى هو العنصر الذى انتظم رؤيته للاحداث واستجابته لها .

وعندما نستعرض تاريخ حافظ اسماعيل والادوار الرئيسية التى قام بها وشكلت بالتالى مضمون شهادته ، سنجد انها تنقسم الى ثلاث مراحل : المرحلة العسكرية التى امتدت عبر ربع قرن منذ تخرجه فى المدرسة الحربية عام ١٩٣٧ حتى انتقاله الى وزارة الخارجية والعمل الدبلوماسى فى سبتمبر ١٩٦٠ . ومع تميز الأدوار والمسئوليات التى تولاها فى هذه المرحلة ، فإن اكثر ما يرتبط باسمه فيها هو مشاركته فيما عرف « بكسر احتكار السلاح » واتمام صفقة الاسلحة




محمد حافظ اسماعيل
جمال عبدالناصر

السوفييتية عام ١٩٥٥ . والمرحلة الثانية هى المرحلة الدبلوماسية التى بدأت بتوليه وكالة وزارة الخارجية فى سبتمبر عام ١٩٦٠ ، ثم عددا من المناصب الدبلوماسية الكبرى فى الخارج سفيرا فى لندن ، وروما ، وباريس ، أما المرحلة الثالثة فهى تلك التى تولى فيها منصب مستشار الرئيس للامن القومى منذ عام ١٩٧١ ، حتى فبراير عام ١٩٧٤ ، وهى الفترة التى شهد فيها وشارك فى الاعداد الداخلى والدولى لحرب اكتوبر ١٩٧٣ ، والمرحلة القلقة فى العلاقات المصرية السوفييتية وانهاء مهمة الخبراء السوفييت ، والاتصالات المبكرة بادارة نيكسون وكيسنجر لاستكشاف امكانيات السلام ثم حرب اكتوبر بتفاعلاتها وتطوراتها .

وقد تداخل مع هذه المراحل الرئيسية فترات انتقالية مثل توليه منصب مدير المخابرات العامة فى الشهور الاخيرة لحياة عبد الناصر ، ثم منصب وزير الدولة لشئون مجلس الوزراء والدولة للشئون الخارجية ، ومنصب سفير مصر « لدى الكرملين » .

● كسر احتكار السلاح

يروى لنا حافظ اسماعيل هذا الحدث ، مقوماته ودوافعه ، فى سياقه المحلى ، والاقليمى والدولى . فقد اعطت عددا من التطورات لمهمة أعادة بناء الجيش الوطنى اسبقية متقدمة كان من هذه التطورات اتجاه بريطانيا الى اقامة حلف بغداد ، غير ان التطور الحاسم كان فى الغارة الاسرائيلية على غزة فى ٢٨ فبراير ١٩٥٥ والتى رآها النظام الجديد فى مصر ، فضلا عما تمثله من تحد احراجا له امام قواته المسلحة ، لما كشف عنه من ضعف فى مستويات التسلح ، وفى بحث مصر عن مصدر للسلاح ، بعد استكشاف ذلك لدى الولايات المتحدة وفرنسا وانجلترا ، وعجزها عن الاستجابة ، « فرض على عبد الناصر ان يتخذ القرارات البعيدة المدى للتصدى لتحديات المستقبل ، وكان المصدر الوحيد للسلاح الذى لم يستطع امكانياته .. هو الاتحاد السوفييتى » . ص٤٤

ويربط حافظ اسماعيل صفقة الاسلحة



السوفييتية بالتطور الذى لحق بالسياسة السوفييتية وخاصة منذ استقرار قيادة خروشوف عام ١٩٥٣ وتزايد ثقة الاتحاد السوفييتى بنفسه عقب تفجيره القنبلة الهيدروجينية ، الامر الذى شجع على سياسة خارجية ديناميكية ، كما شجعت المواقف الوطنية لنظام الحكم الجديد فى مصر وخاصة في رفض الاحلاف القيادة السوفييتية على دعم وتشجيع هذه النظم الوطنية واعتبارها رصيدا فى مقاومة سياسة الغرب فى احتواء الاتحاد السوفييتي ، واقامة احلاف معادية على حدوده الجنوبية .

على انه مما يلفت النظر ان الكاتب وهو يرصد هذا التطور الذى كان الاساس الذى تقدمت عليه العلاقات المصرية السوفييتية ، يرى فيه بذور ماسينشأ من خلاف فى المستقبل ، ويرد ذلك الى اختلاف مكانه ومن ثم اهتمامات ومصالح كلٍ من الاتحاد السوفييتى ومصر ، فالأولى قوة عالمية ترى المشاكل من منظار عالمي ، **أما مصر فهى قوة اقليمية ترى الاحداث والتطورات من منظارها الوطنى المباشر ، ومثل هذا الاختلاف .. "يخلق التناقض بين القوتين في مرحلة متقدمة من علاقاتهما حول اولويات القضايا وتوقيت واسلوب تناولها" ص٤٩** . وفى مجرى هذه العلاقة كانت مصر تعمل على تجاوز هذه الطبيعة وخاصة فى مجال الحصول على الدعم السوفييتى العسكرى بحيث تجعله يرقى الى الدعم الامريكى والغربى لاسرائيل ، واصبح هذا ـ عبر عقدين ـ المعيار الذى تقيس به مصر التأييد السوفييتى لها . وينبه حافظ اسماعيل فى هذا السياق الى حقيقة هامة غابت عن الكثيرين خلال عملية المقارنة بين العلاقة المصرية السوفييتية ، والعلاقة الامريكية الاسرائيلية ، وتبدو هذه الحقيقة « فى غياب الاساس الايديولوجى للعلاقات المصرية السوفييتية وهو ما كان عاملا حيويا » ص٤٩ الامر الذى وضع حدودا على مايمكن ان تذهب اليه العلاقات المصرية السوفييتية .

على ان حافظ اسماعيل مع دوره فى انجاز صفقة الاسلحة السوفييتية عام ١٩٥٥ ، ومع التحولات التى احدثتها والصدى الذى تركته لدى الولايات المتحدة والغرب ، فانه يقيمها بميزان عسكرى موضوعى ودقيق ، فعنده ان الدراسة الموضوعية للصفقة « لاتنبىء أن السوفييت قد عملوا على تجاوز هدف تعزيز النظام المصرى وتمكينه من البقاء خارج الاحلاف وتحقيق التوازن مع اسرائيل ، فلم تكن الاسلحة التى تعاقدت عليها مصر ـ باستثناء القاذفات الخفيفة ـ تمنحها التفوق الذى يمكنها من تهديد امن اسرائيل بصورة خطيرة » ص٤٩

● فى عالم الدبلوماسية

يصور حافظ اسماعيل انتهاء مرحلته العسكرية وانتقاله الى العمل الدبلوماسى بهذه العبارة « فى منتصف سبتمبر ١٩٦٠ ، ودعت المشير عامر ورفاقه بمكتبه وخلعت ردائى العسكرى بعد ربع قرن متوجها الى وزارة الخارجية كى ابدأ عهدا جديدا .. ومضت سنوات قبل ان يتأكد لى ان الدبلوماسية لم تكن فى حاجة لى ..

بقدر ماكانت المؤسسة العسكرية فى غنى عنى » ص ٦٦ ـ ٦٧ . وتفتح هذه العبارة الغامضة المصاغة بشكل متعمد ودقيق ، تفتح المجال للتساؤل عن الظروف التى احاطت بترك هذا الرجل ـ العسكرى المبنى والجوهر ـ لمجاله العسكرى ، وهى الظروف التى نعتقد انها تتصل ـ بمعنى ما ـ وعلى مستوى نوعيات القادة وتكاملهم المهنى والشخصى ـ بمقدمات حرب ١٩٦٧ وما انتهت اليه . ولم يشأ حافظ اسماعيل ـ وفقا لمنهج التزم به فى كل روايته للاحداث والشخصيات التى عاصرها ـ ان يتعرض لهذه الظروف ، ولكن معانى عبارته توحى بان ثمة قوى وشخصيات فى المؤسسة العسكرية لم تكن ترتاح لاستمراره فيها وعملت على ابْعاده عنها ، فنمط الشخصيات كان مختلفا .

على اية حال فعلينا ان نتحفظ كثيرا تجاه ماسجلهٔ عن تجربته فى الدبلوماسية من أنها « لم تكن فى حاجة اليه » ففى تقييمه للفترة التى قضاها فى وزارة الخارجية فى القاهرة من سبتمبر ١٩٦٠ حتى يونيو ١٩٦٤ شارك ضمن ثالوث فوزى ، وذو الفقار ، وحافظ « فى ادارة حركة الجهاز اليومية ومنظما لها فى اطار المبادىء والخطط التى يرسيها عبد الناصر » فانه يفاخر ـ عن حق ـ بأن عمله التنظيمى فى وزارة الخارجية قد اصبح على مدى خمسة عشر عاما مرجعا لوزارة الخارجية « ولم اكن فى تقديرى قد ارسيت نظم جهاز وطنى فحسب .. بل كنت قد ارسيت دعامة ثانية من دعامات تطوير القرارات الاستراتيجية وتحقيق الامن القومى وذلك على غرار ماكنت حققته لبناء قيادة القوات المسلحة فى اواخر الخمسينيات » ص ٨٥ بالاضافة الى هذا فانه مما يفاخر به حافظ اسماعيل عن ادائه فى هذه الفترة هو « ما امكن خلقه تدريجيا من « مدرسة فكرية » واحدة يدين لها الجميع

وقد توافقت فترة ادارة حافظ اسماعيل لجهاز وزارة الخارجية من القاهرة وتوجيهه لبعثاتها الخارجية مع تصاعد وعمق ارتباطات مصر الخارجية سواء عربيا او افريقيا او فى محاور عدم الانحياز وتجمع سحب الصدام مع الغرب والولايات المتحدة الامريكية ، فكيف كان يرى من موقعه هذا المدى الذى بلغته ارتباطات مصر الخارجية ؟ . هنا يجمع حافظ اسماعيل بين رؤيته الشخصية وحكمه الموضوعى وبين ولائه للخط السياسى ولرؤية القيادة السياسية التى كان يعمل تحت قيادتها ويؤمن بها ».. كان الشعور الذى غمرنى دائما هو ان تطلعاتنا تتجاوز بكثير مواردنا ، واننا نقبل تحديات تفوق بكثير قدراتنا على التصدى ... واذا كان من المنطقى فى مثل هذه الظروف ان تكون لنا اولوياتنا ، فإن عبد الناصر كان يعتبر المعركة كلا لايتجزأ وان النجاح فى ميدان يمكن ان يسهم فى النجاح فى غيره .. » ص٨٨ وينسحب هذا التناول على تقييمه لارتباط آخر كان له آثار بعيدة المدى وهو التدخل فى اليمن" .. فى تقديرى ان القرار السياسى بالتدخل العسكرى قد اتخذ بعد عام بالضبط من « كارثة » الانفصال السورى .. كرد فعل طبيعى له ، ومن اجل استرداد هيبة مصر وزعامتها ، الا اننا لا نستطيع ان نتجاهل تقدير عبد الناصر ايضا للاعتبارات الجيوبولوتيكية اتصالا بانتشار النفوذ المصرى ..

حافظ اسماعيل يتذكر

والوجود العسكرى فى جنوب الجزيرة العربية ..» على انه من ناحية اخرى « لم يكن من الطبيعى او المنطقى ان تتجاهل اسرائيل الموقف الجديد عندما اصبح ٥٠ ـ ٧٠ الف مقاتل ينتشرون على بعد ٢٣٥٠ كيلو مترا من قاعدتهم فى مصر .. مما اخل بالتوازن الاستراتيجى لقواتنا واثر سلبا على قدراتنا القتالية وانهك بصورة جوهرية مواردها الاقتصادية » ص٩٧ .

أما عن ادواره فى السفارات الكبرى التى تولاها فى لندن ، وروما وباريس (مرتين) وموسكو ، وفى اوقات حاسمة .

ففى روما ـ التى جاءته انباء حرب يونيو ١٩٦٧ وهو فى الادرياتيك فى طريقه اليها ـ بدت اوربا الغربية وسط كل الاختلاط الذى اثاره الانتصار الاسرائيلى ـ "فى صورة مختلفة تماما عما كنا نظنه . فلم تكن ذلك الحائط الاصم .. بل كانت مجتمعا مفتوحا يمكن ان ندير معه حوارا موضوعيا ، بحيث نتوقع التحول فى مواقف الرأى العام ليكون موضوعيا فى احكامه وغير متحيز فى اتجاهاته . الا ان ذلك كان يتطلب فكرا مستنيرا وصبرا ومثابرة .. وانفتاحا على القوى صانعة السياسة" . ص ١٢٩ وفى باريس ، التى انتقل اليها بعد عام فى روما ، امتدت تجربته الى عشرين شهرا .. "شهد فيها فرنسا تخوض معركة الاستقلال الوطنى خلال عهدى ديجول وبومبيدو .. وتخسرها » ص١٣٥ . أما مهمته كسفير فى موسكو فى ربيع عام ١٩٧٤ فهى مايمكن ان نسميها « المهمة المُحبَطة » ، فقد اقترب منها وقبلها وهو مازال يعتبر ـ كما اسرَّ لمعاونيه فى السفارة المصرية فى موسكو عند وصوله اليها فى يوليو ١٩٧٤ ـ ان « علاقات مصر مع الاتحاد السوفييتى علاقات استراتيجية » . غير انه سرعان ماتبين له بعد عام ونصف من قبوله لهذه المهمة ان قاعدة العمل بين مصر والاتحاد السوفييتى غير متوفرة ، وأن مجالاتنا لتنسيق المواقف غير مجدية . فمصر اصبحت تعتبر الاتحاد السوفييتى .. قوة معادية .. وكان ذلك يرجع فى المقام الاول الى عدم ثقة السادات شخصيا فى نوايا السوفييت (ص ٤٢٢)

● مستشارا للأمن القومى

فى يوليو عام ١٩٧١ عرض الرئيس السادات على حافظ اسماعيل ان يعمل معه فى رئاسة الجمهورية مستشارا « لشئون الامن القومى » ولم يجر نقاش حول مفهوم الرئيس لهذا المنصب ، اما مفهوم حافظ اسماعيل له فكان انه يقع « ضمن نظام متكامل يخضع لاشراف رئيس الجمهورية مباشرة فمع كونه المسئول عن اتخاذ القرارات المصيرية المتصلة بقضايا الحرب والسلام ، فقد كان وجود نظام مستقر الى جانبه هو الضمان الامثل « لحماية » الرئيس خلال فترة اتخاذه للقرار » ، وان ذلك يتحقق من خلال : « ١ ـ بحث وطرح افضل « الخيارات » لمواجهة موقف ما يمكن للرئيس عندئذ ان يتبنى احدها . ٢ ـ ثم بترجمة القرار الى خطة عمل محكمة .. ومتابعة تنفيذها » ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

على ان هذا التصور لمهمة مستشار الامن القومى « سرعان ماتراجع بحيث

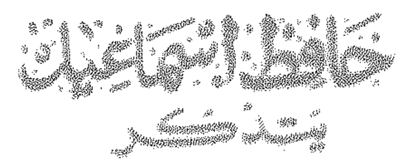
اصبحت مقصورة على تنظيم تدفق المعلومات الى رئيس الجمهورية وتنفيذ قراراته فى مجال العلاقات الخارجية وبصفة خاصة : ١ ـ القيام بمهمة المبعوث الخاص لرئيس الجمهورية الى رءوساء الدول الاجنبية وذلك باستثناء الدول العربية التى جرى التنسيق معها عبر قنوات اخرى . ٢ ـ القيام بالمفاوضات مع الولايات المتحدة خلال عام ١٩٧٣ والمباحثات المكملة لها مع الاتحاد السوفييتى اعدادا لحرب اكتوبر .. واثناء الحرب » . ص١٨٤ .

واتصالا بهذا الفارق بين ماتصوره حافظ اسماعيل عن نظام مجلس الامن القومى ودوره فى مساعدة الرئيس على اتخاذ القرارات المصيرية وبين ماجرى فى الواقع ، ويسجل حافظ اسماعيل ملاحظة تحدد اسلوب السادات فى الحكم .. « وبالرغم من ثقل التبعات التى

تفرضها رئاسة الدولة فى ظروف كالتى سادت خلال عامى ٧٢ ، ١٩٧٣ ، **فقد اختار السادات ان يكون وحده « السلطة السياسية » العليا فى البلاد ، ومن ثم المسئول عن القرارات الجوهرية فى مسائل السياسة العليا والاستراتيجية العسكرية .**

ولم يكن ذلك يعنى انه لايستمع الى المشورة .. او انه لايسعى اليها . فلقد وجد فى مجلس الامن القومى وفى مجلس الوزراء الاطار الذى يناقش فيه بعض قراراته قبل اتخاذها ، الا ان ايا من المجلسين لم يكن معنيا بالتصويت لاقرار سياسة مستقبلة . فقد ظل السادات فى النهاية « صاحب القرار » سلما او حربا » .. ص١٨٢ ـ ١٨٤ .

ولعل قرار السادات انهاء مهمة الخبراء السوفييت في يوليو ١٩٧٢ بالغ الدلالة على هذا الاسلوب ، وايضا على رد فعل مستشاره للامن القومي تجاه هذا القرار واسلوب اتخاذه ففى ٥ يوليو تحدث السادات الى مستشاره « عن اتجاهه ـ حتى نهاية اكتوبر ـ لمطالبة السوفييت بالقوة الجوية المطلوبة ، فاذا لم يستجيبوا فسوف يطلب منهم سحب المستشارين والخبراء العسكريين وانهاء التسهيلات في الموانيء والمطارات المصرية » . اما **رد فعل المستشار فقد اعرب « عن تقديره لخطورة مثل هذا الاجراء الذى يخل بالتوازن في المنطقة طالما استمر الاحتلال الاسرائيلى مدعما بالقوة الامريكية على أراض عربية » ص٢١٦** غير انه فى ٨ يوليو استدعى السادات السفير السوفييتى فى حضور حافظ اسماعيل وابلغه « شكر الاتحاد السوفييتى على المساعدة التى قدمها العسكريون السوفييت وانه يريد انهاء خدماتهم اعتبارا من ١٧ يوليو ١٩٧٢ » . ص ٢١٧ . ويتضح من رواية هذا الحدث انه كان مفاجأة للمسئولين الذين استدعاهم السادات لابلاغهم به وان اغلبيتهم لم تكن ترى غير الاعتبارات السلبية المترتبة على هذا القرار ، وقد حرص المستشار ان يستطلع رأى الدكتور محمود فوزى الذى كان تقييمه « ان الرئيس يمر بأزمة وان علينا مساندته وان لا نزيد متاعبه ، مع استعدادنا لكى نقول له بود وبوضوح مانريد ..» ، ص٢١٨ ، ويبدو ان هذا مافعله المستشار « .. ففى اجتماعى بالرئيس بعد ايام وجدت من واجبى التحدث في الامر الذى شغلنى طيلة الايام الاخيرة . ورجوت الرئيس ألاّ



يستاء من مواقف ربما بدت له سلبية .. مؤكدا له ألّا احد منا ـ نحن معاونيه ـ يبغى المزيد من السلطات اذ ان لدينا منها ما يفيض عن حاجتنا . وقلت ان مناقشة القرارات الكبرى ـ قبل اتخاذها ـ انما يسمح للمسئولين من معاونى الرئيس بالتعرف عليها وتقييم ردود فعلها فى مختلف المجالات . وعندما يتخذ الرئيس قراره ، فلن يجد المعاونون انفسهم يناقشون دوافعه ونتائجه .. ولكن وسائل تنفيذ وتنسيق الاعتبارات فى خدمة تحقيق اهدافه » ويواصل المستشار « ولم يناقشنى الرئيس فيما قلت . لقد استمع بصبر ولم يكن يعتبر نفسه مطالبا بتفسير . لقد كان يمارس سلطاته » ص ٢١٨ .

ويتجسد مثل هذا الموقف من جديد عند تطور المعارك خلال حرب اكتوبر ، وتعرض مدينتى السويس والاسماعيلية والجيشيين الثانى والثالث للحصار .. **ويقبل السادات بشكل مفاجىء وقف اطلاق النار فى فجر ٢١ اكتوبر غير مقترن بانسحاب اسرائيلى** .. غير ان اسرائيل لم تكن لتحفل بتنفيذ قرار يحرمها من استغلال موقف لمصلحتها .. وفى مساء ٢٢ اكتوبر كانت الاسماعيلية والسويس فى متناول يدها .. الا ان صمود المدينتين كان بارقة الامل التى اضاءت الظلمات التى كانت تتراكم من حولنا **وكانت هزيمة المدرعات الاسرائيلية داخل مدينة السويس عملا له مغزاه العميق** .. إن القوات الاسرائيلية رغم تفوقها الساحق برا وجوا كانت قد بلغت حدود طاقتها وقوة تحملها فى مواجهة الانسان الاعزل الا من ايمانه .. ولم تعد قادرة على مواصلة ضغطها مما يمكن ان يتحطم معه ماتبقى من صلابتها .. كما كانت القيادة الاسرائيلية قد تجاوزت حدود الامن فى شرق القناة . فلم يكن لها امام الجيشين الثانى والثالث من القوات مايمكنها من تثبيتها .. لو انهما قررا تنشيط عملياتهما الدفاعية الايجابية .. **مثل هذا الموقف كان من الضرورى ان يمثل « المفجر » لطاقة مصرية جديدة .. ولا أمل متجدد .. فى تحقيق الاستقرار واستعادة المبادرة »** ص ٣٦٠ . ويتأمل المستشار فى موقف الرئيس واختياره فى هذه اللحظات الحاسمة .. « ولكن الرئيس كان وحيدا . وكان هو الذى اختار ان يواجه الموقف وحده .. لقد اتخذ من قبل قرارات مصيرية متعددة .. وربما لم يجد ضرورة الان ، وحدة الازمة تتصاعد ، ان يدعو رفاقه ومعاونيه .. واختار ان يجتاز الأزمة .. ولقد أراد أن يكون صاحب النصر .. عندما ننتصر وهو الآن يرفض الا ان يكون المسئول عن تحول المعركة .. بينما كنت أظن ان هذه الساعات الحرجة التى نمر بها .. هى بالضبط الظروف التى من اجلها بنى تنظيم « الأمن القومى » لكى يدعى لتحمل مسئولياته ويعاون على اتخاذ القرارات المصيرية .. ولكن طالما قرر الرئيس ان يتحمل النتائج .. فلم تعد هناك حدود لما يمكن ان يذهب اليه من أجل ان يحقق نصرا أو يمنع هزيمة » .. ص . ٣٦٠ ـ ٣٦١ .

من اهم المهام التى تبلورت اليها مهمة مستشار الأمن القومى هى قيامه بالاتصالات الدولية وخاصة فى الفترة التى سبقت ومهدت لحرب أكتوبر ولعل من اهم هذه الاتصالات التى اجراها تلك

التى كانت مع الاتحاد السوفييتى وقياداته سواء فى القاهرة أو موسكو ودارت أساسا حول هدف استقرار العلاقات المصرية السوفييتية وتقليم الشوائب التى كانت تحيط بها كما كان فى مركز هذه الاتصالات ضمان استمرار وتقديم مستويات التسليح السوفييتى وعلى الجانب الآخر كان من الاتصالات الدولية المهمة التى تولاها تلك التى دارت مع ادارة نيكسون ومستشاره للأمن القومى هنرى كيسنجر .. ويلاحظ أن هذه الاتصالات كانت بمبادرة أمريكية وجاءت مباشرة بعد أسبوعين تقريبا من قرار سحب الخبراء السوفييت من مصر .. وهو التطور الذى كان كيسنجر يطالب به ويعمل له منذ عام ١٩٧٠ وانتظارا له ، أبقى مشكلة الشرق الأوسط فى مرتبة ثانوية فى اهتمامات البيت الأبيض وجعلها من الاهتمامات الروتينية لوزارة الخارجية الأمريكية . غير أنه من الواضح أن تحقق هدف « طرد » السوفييت من مصر قد فتح امكانيات لعلاقات وأوضاع جديدة فى المنطقة فى نظر الادارة الأمريكية .. وقد تمت الاتصالات المصرية الأمريكية على جولتين ، جرت الأولى فى واشنطن فى فبراير ١٩٧٣ حيث تمت مع الرئيس الامريكى ووزير خارجيته وليام روجرز وأساسا مع كيسنجر وجرت الثانية فى باريس فى مايو ١٩٧٣ واقتصرت من الجانب الامريكى على الدكتور كيسنجر .. غير أن الجولة الحاسمة وخاصة فيما يتعلق بالتقدير المصرى لامكانيات تسوية سلمية كانت تلك التى جرت مع كيسنجر وعلى مدى ثلاث جلسات ممتدة حتى ظهر يوم ٢٦ فبراير ١٩٧٣ .. وفى تقريره للرئيس السادات عن هذه المحادثات يصور حافظ اسماعيل نقطة الذروة فى تقييم السادات لنتائج هذه الاتصالات وتأثيرها على قرار التوجه الى الحرب .. عندما بلغت قول كيسنجر « أن قدرتنا على الاقناع .. بل وحتى رغبتنا فى أن ندعو بقوة لهذا الحل ، تتوقف على قدر مانستطيع أن نشير اليه من تغييرات ملموسة فى المواقف العربية أو المصرية .. هذا هو المفتاح » .. ويسجل حافظ اسماعيل رد فعل هذه العبارة على السادات فيقول : « رأيت الرئيس يرفع رأسه وينزلق فى مقعده ويعتدل فى جلساته ، وكأن الرسالة التى كان ينتظرها قد بلغته » .. اننا مدعوون لمزيد من التنازلات عن المواقف التى بلغناها » .. ويستخلص حافظ اسماعيل .. « ولم أدرك اننى ربما كنت اشهد حينئذٍ لحظة قرر الرئيس انه لم يعد هناك مفر من خوض الحرب .. فلقد بلغنا نهاية الشوط فى عملنا السياسى » (٢٦٥) وتلى هذا مباشرة وفى ٥ أبريل اجتماع مجلس الوزراء الجديد الذى شكله السادات برئاسته فى واحد من أخطر اجتماعاته حيث أقر بالاجماع - مع تحفظات محدودة - حتمية الدخول فى معركة عسكرية ص . ٢٦٧ .

تبقى ملاحظة أخيرة تتعلق بلغة هذه المذكرات ، فنحن فى الواقع أمام لغة بالغة الدقة والاحكام . حيث كل لفظه وكل عبارة على قدر المعنى المقصود الأمر الذى كشف المضمون وكشف إحساس القارىء به . وفى رأينا أن هذا ليس اختيارا لغويا ولكنه يعكس منطقا عقليا يتميز بالدقة والتركيز والاحتفال بالمضمون .

أضواء على كتاب

فنون الترك وعمائرهم

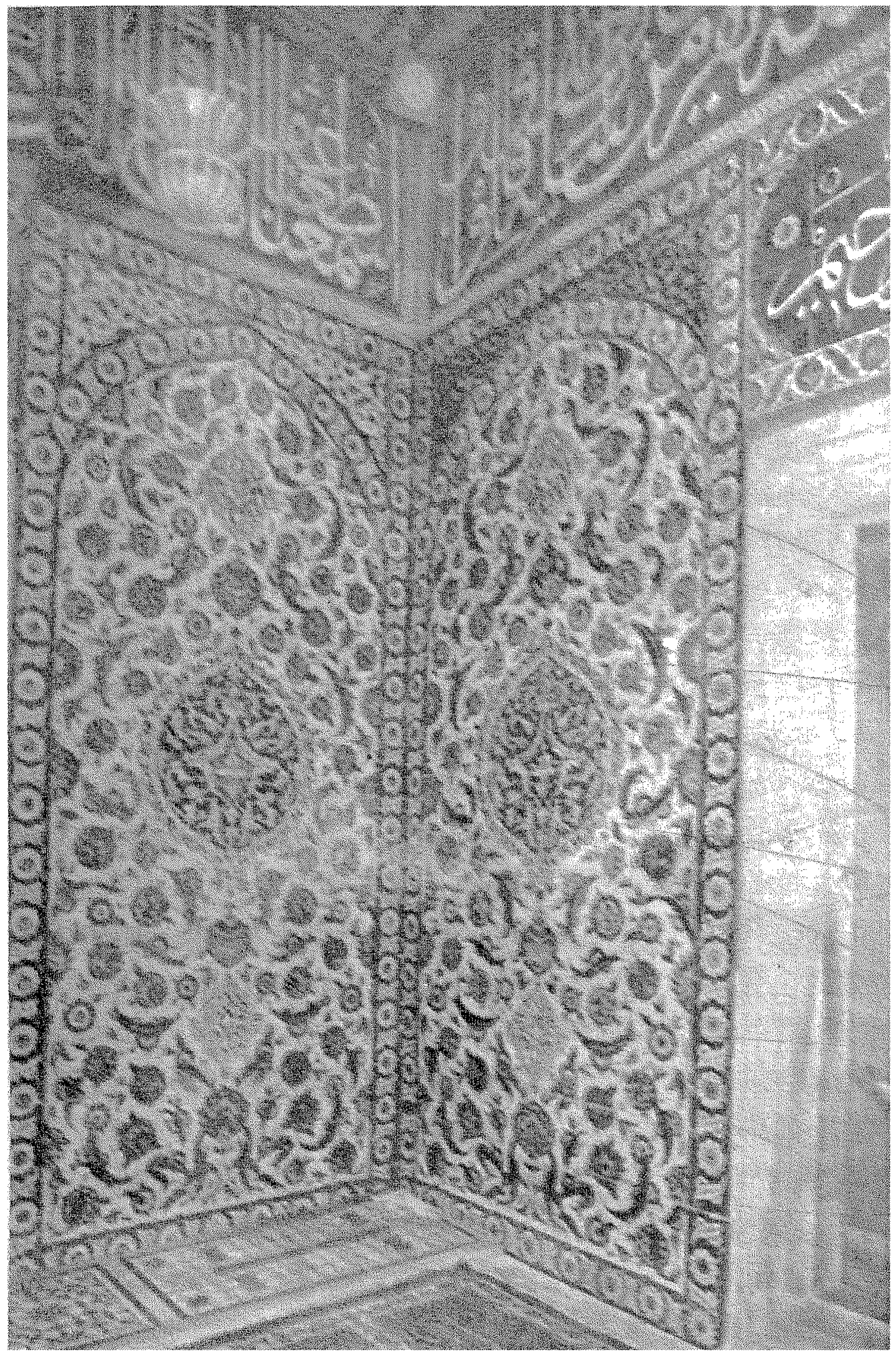
بقلم : د. صبري منصور

اثناء انعقاد المؤتمر الإسلامي السابع لوزراء خارجية الدول الاسلامية باستانبول عام ١٩٧٦ نبتت فكرة إقامة مركز الأبحاث للتاريخ والفنون والثقافة الإسلامية ، وتنحصر مهمته في إجراء البحوث والدراسات الأصيلة فى مجالات التاريخ والفنون والثقافة الاسلامية ، والعمل على توطيد الصداقة والأخوة بين الشعوب الاسلامية من خلال التعريف بجوانب حضارتها المختلفة . وكان من أوائل مشروعات المركز في هذا الصدد ترجمة هذا الكتاب ـ الذى كان قد سبق نشره عام ١٩٧١ ـ ملبياً حاجة القارىء العربى الماسة الى التعرف على الفنون التركية المختلفة .

ومؤلف الكتاب "أو قطاى أصلان آبا" المولود عام ١٩١٤ هو مؤرخ شهير للفنون التركية ، وقد صدرت له العديد من الكتب والدراسات بمختلف اللغات فى هذا المجال . وعمل أستاذاً لتاريخ الفن التركى فى جامعة استانبول . وقام بترجمة الكتاب عن اللغة الانجليزية الاستاذ أحمد عيسى المولود بمصر عام ١٩١٥ ، وهو دارس للآثار الاسلامية وله مقالات وبحوث عديدة عن فنونها ولقد اعتمد المؤلف فى تقسيمه للكتاب إلى فصول على التتابع الزمنى للأسر الحاكمة ، وليس وفقاً للأقاليم الجغرافية ، لأن الغارات المستمرة ، والحركات السكانية الضخمة فى العصور الوسطى تجعل التقسيم الجغرافى مستحيلاً . ويبدأ التقسيم منذ عام ٩٩٨ حين حكم "القرة خانيون" ، وينتهى بعام ١٩٢٤ عندما كان يحكم السلطان العثمانى "عبدالمجيد الثانى" وهى الفترة التى سبقت النظام الجمهورى مباشرة .

واشتمل الكتاب على ثلاثين فصلاً ، وبالاضافة إلى قائمة المراجع ضم أيضاً

جامع السليمية ١٥٧٤ بادرنه وتزينه حشوات خزفية بالداخل



فنون الترك وعمائرهم

جداول زمنية للأسرات التركية الحاكمة ، ومعجما للاصطلاحات الفنية ، وخرائط توضيحية لبعض مراكز استيطان الشعوب الاسلامية والتركية في آسيا وتركيا والامبراطورية العثمانية . واحتوى الكتاب كذلك على اثنتين وثلاثين صورة ملونة ومائتين وخمسين صورة بالأبيض والأسود ، وذلك في طبعة فاخرة تولى الانفاق عليها المصرف العربي التركي باستانبول .

ومن المهم الاشارة الى ماأكده المؤلف في مقدمة الكتاب من أن الفن الاسلامي قد ظهر وتطور تحت تأثير من الحضارات المحلية القديمة ، ومن بينها تأثير الثقافة الهللينستية المتأخرة ، والمسيحية في سوريا ، والفنون الساسانية في العراق وإيران ، وقد تشكلت الاسس التي تطور عليها الفن الاسلامي بانضمام العناصر العربية والفارسية والتركية إلى هذه الحضارات القديمة . وفي الوقت الذي يفرد المؤلف أهمية خاصة للفن التركي في إطار الفن الاسلامي ـ فلقد أصبح الاتراك العنصر الحاكم في العالم الاسلامي اعتباراً من القرن التاسع الميلادي ولمدة قربت من ألف عام باستثناء فترات قليلة ـ إلا أنه لا ينفي خضوع الفن التركي لتأثير العديد من الفنون الموجودة في بلاد مختلفة .

● فن ماقبل عصر الأناضول :

مهد المؤلف في الفصل الأول بعرض لفنون الأتراك فيما قبل الاسلام ، أو كما يسميه ماقبل العصر الأناضولي ، وأوضح أن الوطن الأصلي للترك قبل أن يبدأوا هجراتهم انحصر في منطقة تقع بين جبال أورال وسهول شمال شرق بحر الخزر ، وأول الفروع التركية التي لعبت دوراً بارزاً في التاريخ كانت قبائل "الهون" وكان ذلك في الألف الأولى قبل الميلاد . وفي منتصف القرن الأول الميلادي انقسمت امبراطورية الهون إلى قسمين ، الأول منهما هو الذي ظهر في أوربا في القرن الرابع الميلادي واجتاح معظم أوربا وأوغل فيها حتى بلغ القنال الانجليزي ، أما القسم الثاني فقد هاجر إلى "خراسان" حيث أسس دولة عظيمة حوالي منتصف القرن الخامس .

وأول من استخدم لنفسه كلمة "ترك" بصفة رسمية هم قبائل "الكوك" الذين استقروا فوق هضبة "أتوكن" في منتصف القرن السادس . وقد أتيح لهؤلاء أن يؤسسوا امبراطورية عظيمة امتدت من منشوريا حتى البحر الأسود ، وسموا أنفسهم "بالترك" أو "التروك" أو "الكوكتورك" ، وبعد دخولهم الاسلام أطلقوا على انفسهم اسم "التركمان" .

ولقد انحصرت مظاهر الفنون في تلك الفترة في بقايا معابد أقيمت في الكهوف ، وزينت بالصور والتماثيل ، وحملت تأثيرات فنية صينية . وتطور الفن أيام الأتراك "الأويغوريين" ـ وهم من سلالة قبائل الهون الآسيوية استوطنوا منطقة شرق التركستان ـ وتشبه فنون المعمار عندهم فنون البوذيين كما أنها تجمع بعضاً من بلاد فارس والهند ـ كما لعب "الكوكتورك" دوراً بالغ الأهمية ساهم في مولد فن الصورة الشخصية ، فقد حفظ الأتراك القدامى في ذاكرة التاريخ

سجلات لأبطالهم ، نقشوا فيها أسماءهم وأعمارهم على شواهد من الحجر . ومنذ القرنين الثامن والتاسع وما تلاهما وفن الصورة الشخصية والرسوم الدقيقة فى تطور حتى القرن الثالث عشر ، حين وجد هذا التراث الرائع لفنانى الترك طريقه الى الغرب وإلى العالم الاسلامى عن طريق المغول ومن خلال امبراطوريتهم التى أسسوها .

● الترك والإسلام :

ظهر الأتراك لأول مرة فى العالم الإسلامى حين انخرط عدد قليل منهم من بلاد طشقند وبلاد ما وراء النهر فى قوات الحرس والسكرتارية الخاصة بدولة الخلافة العباسية ، فى النصف الثانى من القرن الثامن الميلادى ، وتضاعفت اعدادهم فى القرن التاسع . وحين حلت خلافة المعتصم كان الحرس الإمبراطورى كله من الأتراك ، ومنذ ذلك الحين خصص لهذا الحرس مقر دائم فى مدينة سامراء التى أنشأها المعتصم على ضفاف الدجلة شمالى بغداد عام ٨٣٨ ، حيث بدأت بذور الفن التركى فى الظهور .

وكان قيام دولتين تركيتين للطولونيين والإخشيديين فى مصر - فى منتصف القرن التاسع وحتى نهايات القرن العاشر - فرصة لوضع لبنة فى تطوير الفن الاسلامى بشكل عام .

ويتحرك الأتراك طواعية الى الإسلام ، وتواكب ذلك حركة فنية أصيلة وعظيمة بين مجموعة دول تركية إسلامية فى وسط أسيا ، وكانت دولة "القرة خانيين" هى أولى تلك الدول ، وفيها تم وضع اساس متين لفن تركى إسلامى .

ومن الفصل الثانى وحتى الفصل الخامس يتناول المؤلف فن "القرة خانيين" - وهو لقب ملكى - وفن "الغزنويين" - نسبة إلى عاصمتهم "غزنة" - وبدايات الفن التركى فى الهند - ثم فن السلاجقة العظام - فى خراسان - حيث عرض الملامح التى ميزت العمارة فى كل منها وكذلك المساجد والمقابر والخانات والقصور .

وفى الفصل السادس تعرض المؤلف لعمارة الزنكيين فى سوريا والعراق ، والتى تبدأ مرحلتها بعد استيلاء نور الدين زنكى على دمشق عام ١١٥٤ ، وكان ذا ميول فنية قادته إلى السعى نحو تطوير اسلوب فن العمارة والتجديد فيه معتمدا على الأصول السلجوقية فى مدن حلب ودمشق . وكذلك فعل صلاح الدين الأيوبى الذى عاش فى بلاط نور الدين ، والذى أسس له دولة فى سوريا تابعت تطوير هذا الفن . وكان من طموحات نور الدين زنكى الاستيلاء على بيت المقدس من الصليبيين ، ولهذا أمر بإعداد منبر خشبى رائع الصنعة لكى يضعه فى المسجد الأقصى ، لكن الأجل لم يمهله طويلاً ليحقق رغبته ، فكان ذلك من نصيب صلاح الدين حيث أقام المنبر فيما بعد فى موضعه المقرر له .

● الفن التركى فى مصر :

وفى الفصلين السابع والثامن يتناول المؤلف أهم ملامح الفن الطولونى ، والفن التركى المملوكى فى مصر . وكان أحمد ابن طولون - مؤسس أول دويلة تركية فى مصر - رجلاً على جانب من الثقافة العالية - وقد بدأ عهداً جديداً وزاهراً بمصر ، فلم يمض غير قليل حتى استعادت البلاد رخاءها ، وشيد له مدينة جديدة قرب الفسطاط أسماها القطائع ،

وبنى لنفسه قصراً فاخراً وداراً للامارة ومسجداً ، وبنى كذلك مستشفى وقناطر لنقل الماء لاتزال قائمة حتى اليوم .. ولا يزال جامع ابن طولون ـ الذى استغرق بناؤه ثلاث سنوات (٨٧٦ ـ ٨٧٩) بضخامة حجمه وارستقراطية عمارته وبساطة تخطيطه رمزاً لمرحلة عظيمة استمرت ٣٧ عاماً . كما حدثت قفزة طيبة فى مجال صناعة الخزف بمراكز الخزف فى البهنسة والأشمونين بالصعيد ، وفقا لنماذج استحضرت من بغداد وسامراء للخزف ذى البريق المعدنى المتعدد الألوان .

وحين وضع صلاح الدين الأيوبى عام ١١٧١ نهاية للخلافة القاطمية وأسس الأسرة الحاكمة الأيوبية ، كانت له ولأخيه الملك العادل العديد من الابتكارات فى مجال العمارة العسكرية نتيجة لخبرتهما فى أعمال الحروب ، ويرجع إليهما الفضل فى كثير مما أنشىء بالقاهرة ولاسيما قلعتها وأسوارها ، لكن الشىء الأجدر بالملاحظة هو أن الأيوبيين ادخلوا إلى مصر الأساليب الزنكية فى عمارة المدارس ، كمدرسة الشافعية والكاملية عام ١٢٢٥ ، ومدرسة الملك الصالح نجم الدين أيوب عام ١٢٤٢ .

ومن أشهر الأعمال المعمارية فى تلك الفترة مسجد الظاهر بيبرس عام ١٢٦٩ ، ومارستان السلطان قلاوون عام ١٢٨٥ ويضم مقبرة ومستشفى ومدرسة ، وكذلك مسجد ومدرسة السلطان حسن ١٣٥٦ ـ ١٣٦٢ والذى يعد أضخم آثارالمماليك الأتراك .

● الفن التركى فى بلاد الأناضول :

وفى الفصل التاسع ينتقل المؤلف

أطباق من إزنيق مكون من الأزرق الكوبلتي والأخضر الهادىء محفوظة بمتحف فكتوريا



قنينة من إزنيق محفوظة بمتحف فكتوريا

ضوء على كتاب

فنون الترك وعمائرهم

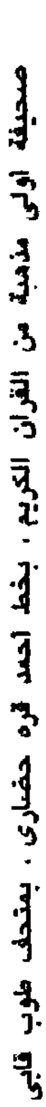
لعرض الفن التركى فى الأناضول ، عندما بدأت القبائل التركية دخول بلاد الاناضول مع بداية القرن الحادى عشر وما تلاه ، وذلك بعد هزيمة الامبراطور البيزنطى « رومانوس ديوجنيس » أمام قوات السلطان « الب ارسلان العظيم » ولاتزال مدن وقرى الأناضول حتى اليوم تحمل اسماء أربعة وعشرين من أسماء القبائل التى نزحت الى تلك البلاد من مناطق التركستان . وعلى ذلك يمكن القول بأن فنون بلاد الأناضول ذات عمق تاريخى قوى ، وان جذور فنونها تستمد عناصرها من أصول تمتد خارج البلاد ، وتصلها بالقرة خانيين والغزنويين والسلاجقة العظام . وكانت الأناضول وقت توافد الأتراك عليها بلادا محكومة بدولة ذات حضارة رفيعة . على أنه يمكن القول بأن المرحلة السلجوقية الأولى ببلاد الأناضول – وحتى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى – لم تظهر فيها نشاطات فنية تستحق الذكر بسبب ماساد تلك الحقبة من قلق وكفاح من أجل الاستقرار فى الوطن الجديد . الا أن العمارة السلجوقية ابتداء من القرن الثالث عشر وماتلاه أخذت فى التطور والانتشار ببلاد الاناضول ، ويعد مسجد علاء الدين فى قونية نموذجا يحتذى على مر الزمن وأكثر أجزاء المسجد أهمية – من وجهتى النظر المعمارية والزخرفية – هو داخله المغطى بالقباب . ويشير المؤلف إلى جوامع السلاجقة ومساجدهم موضحا أن كلمة مسجد فى اللغة التركية تستخدم للدلالة على مساجد الاحياء الصغيرة وهى لا تضم منبرا حيث لا تستخدم فى صلوات الجمع والاعياد . ولايزال هناك فى قونية حوالى عشرة مساجد من نوع هذه المساجد السلجوقية والمصنوعة من الخشب ، وبعضها له قبة واحدة ، والعديد منها له سقف مسطح .

ويمتد الفصل التاسع ليغطى جوانب العمارة التركية فى الاناضول ، والتى تتمثل فى المدارس والعمائر الجنائزية والخانات والقصور والاستراحات .

ويغطى الفصل العاشر من الكتاب عمارة القرن الرابع عشر ، حين دهمت الجيوش المغولية بلاد الاناضول ، وقضت على دولة السلاجقة تماما عام ١٣٠٨ فى تلك الأثناء أخذت القبائل التركية الساكنة على حدود الأناضول تعلن استقلالها الواحدة بعد الأخرى ، حتى بلغت عشرين امارة تركمانية ، كان من بينها العثمانيون ، واعتبرت كل واحدة منها نفسها وريثة لدولة السلاجقة . وكان لكل من هذه الامارات انجازاتها المعمارية ، استعرض المؤلف أهم آثارها التى تحمل معظمها آثار التقاليد الفنية السلجوقية وقليلا من التجديد والتطوير فى الاساليب الفنية . على أن العثمانيين الذين ظهروا كإمارة من تلك الامارات العديدة سرعان ما تعاظم أمرهم ، وتسيدوا الآخرين ، وفتحوا الطريق لظهور فن معمارى تركى عثمانى على مستوى عالمى .

● العصر العثمانى :

أولى المؤلف أهمية قصوى للفن التركى العثمانى ، فخصص له عشرين فصلا استغرقت ثلثى الكتاب والعثمانيون قد هاجروا كغيرهم – مثل السلاجقة – من -



صحيفة اولى مذهبة من القرآن الكريم ، بخط احمد قره حصارى ، بمتحف طوب قابى

بلاد التركمان فى وسط آسيا الى بلاد إيران ثم منها الى بلاد الاناضول وكان على رأسهم حينذاك « سليمان شاه » وخلفه ولده « أرطغرل بك » الذى أنجب « عثمان بك » وحين ولى بعد أبيه اعطى اسمه للدولة العثمانية التى أسسها عام ١٢٩٩ . ولقد استطاع العثمانيون مع نهاية القرن الرابع عشر تأسيس امبراطورية امتدت فيما بين الفرات والدانوب . وفى عام ١٤٥٣ استولى محمد الفاتح على استانبول بعد سبعة أيام من حصارها ، ووضع بذلك نهاية الامبراطورية البيزنطية ، ثم حارب السلطان سليم الأول (١٥١٢ ـ ١٥٢٠) حاكم إيران الشاه اسماعيل الصفوى ـ ذا الأصل التركى ايضا ـ ووحد جميع بلاد الاناضول الشرقية . وبعدها قضى على دولة المماليك فى مصر ، وضم الى سلطانه سوريا . وفلسطين والجزيرة العربية ، واتخذ لنفسه لقب « خليفة » . أما أكثر عصور الامبراطورية العثمانية بريقا فهو عصر السلطان سليمان القانونى ، الذى



نافذة الزجاج فى لوحة احتفالات الختان بمتحف طوب قابى باستانبول

أطلق عليه الأوربيون لقب المعظم أو المفخم ، والذى كون امبراطورية يمكن أن أن تقارن بالامبراطورية الرومانية ، فقد اشتملت هذه الامبراطورية على كل بلاد البلقان والمجر ، وجنوب روسيا وجزءا من بولندا ، الى جانب مصر والسودان والحبشة وشمال افريقيا ، وأضيفت بعد ذلك قبرص وبغداد ، ثم كريت عام ١٦٤٥ . ولقد امتد حكم العثمانيين ودولتهم نحو ٦٢٠ عاما منذ ظهورها الى أن صفيت بعد الحرب العالمية الأولى . وفى عام ١٩٢٣ قامت الجمهورية التركية ببلاد الاناضول ، أى حيث قامت من قبل دولة السلاجقة .

ولقد أفرد المؤلف فصلا كاملا عن منشآت عصر محمد الفاتح الذى شهدت أعوام حكمه الثلاثين حركة تعمير واسعة ، شملت استانبول وكثيـرا من بلدان الامبراطورية ، وقد بلغ حجم المنشآت ٣٠٠ مسجد منها ٨٥ من ذوى القباب ، و ٥٧ مدرسة و ٥٩ حماما ، والكثير من القلاع والحصون والجسور والاسوار . وظهرت فى عهده ملامح أسلوب معمارى جديد . كان من أهمها اقامة نصف القبة ، وقد ظهر ذلك على أوسع نطاق فى مسجد الفاتح المشيد فى استانبول ، ففى هذا المسجد قبة مركزية كبيرة يبلغ قطرها ٢٦ مترا ، وتمتد ناحية القبلة بنصف قبة من حجم السابقة ، ويوجد على جانبى القبة الرئيسية ونصف القبة ثلاث قباب صغيرة فى كل جانب . وهذا المسجد هو محور الارتكاز لمجمع الفاتح المزدحم بمئات القباب التى تغطى ١٦ مدرسة كانت بمثابة الجامعة لذلك العهد ، ومطعما ومستشفى وخانا وحمامات وعددا من الاضرحة . وبهذا مهد محمد الفاتح الطريق لقيام المساجد ذات القباب الضخمة فى استانبول بصفة عامة . فعلى امتداد ٩٠٠ سنة وابتداء من تاريخ العمارة البيزنطية والى لحظة أحلال قبة جديدة لكنيسة أياصوفيا ـ بعد سقوط قبتها الأصلية فى زلزال عام ٥٦٢ ، من المعروف أنه لم يتيسر لأية كنيسة أن تظفر بقبة يمكن أن يتجاوز قطرها عشرة أمتار ، ويتضح من ذلك مقدرة العثمانيين ، وسعيهم نحو خلق مساحات رحيبة وضخمة وغير مجزأة ، إلى جانب سلامة الأسس التى اعتمدت عليها تصوراتهم وحساباتهم ، ولقد بلغ حجم القبة فيما بعد ٢٤ مترا فى مسجد السلطان سليم عام ١٥٢٢ مما يعد نجاحا رائعا من وجهة النظر التكنولوجية .

● المهندس العبقرى سنان :

حين اعتلى السلطان سليمان القانونى عرش تركيا كانت كل الظروف مهيأة لتطوير معمارى كبير مثلها مثل سائر مظاهر الحياة الاخرى . وكان من حسن طالع السلطان أن تصادف أثناء حكمه ظهور مهندس معمارى فذ اسمه سنان ، الذى ولد عام ١٤٨٩ ، وأتاحت له حياته العسكرية الأولى التى ساهم فيها فى حملات سليم الأول على بلاد فارس والشام والعراق ومصر . وكذلك زيارته للبلقان والمجر وجنوب النمسا ، التعرف على الطرز العمارية المختلفة ، فكان يمزج بين الافكار المختلفة التى يلتقطها من هنا وهناك ، وبين التقاليد المعمارية التركية

وكان سنان أستاذا كبيرا فى فن بناء القباب ، ومقتدرا فى تصميم القباب المركزية التى كانت المثل الأعلى عند معمارى عصر النهضة الإيطالية .

وتظهر عبقرية سنان من خلال ثلاثة اثار عظيمة ، هى مسجد شهزادة ومسجد السليمانية باستانبول والسليمية بأدرنة . ولقد بدأ العمل بمسجد شهزادة عام ١٥٤٤ واستغرق أربع سنوات ، وبلغ ارتفاع قمة القبة الرئيسية عن أرض المسجد ٣٧ مترا ، وبلغ قطر القبة ١٩ مترا ، وحولها أربعة أنصاف قباب ، ثم قبة صغيرة فى كل ركن من أركان حرم المسجد . ويمثل هذا الجامع بداية حقيقية للعمارة التى جاءت بعد سنان باعتباره أضخم وأرحب المجمعات المعمارية التى ابتكرها .

أما مسجد سليمان العظيم ومجمعه فقد استمر بناؤه سبع سنوات انتهت عام ١٥٥٧ ، واجتهد سنان فى الوصول الى أنجح النسب فى المسجد الجديد ، من خلال دراسة متأنية ودقيقة لكنيسة أياصوفيا . واشتمل مجمع سليمان القانونى على أول وأكبر جامعة منذ زمن محمد الفاتح ، كما اشتمل على ١٨ مبنى الى جانب الأضرحة ، ويصل قطر القبة الرئيسية الى ٢٦٫٥ متر ، وارتفاعها ٥٣ مترا وهى من أكثر قباب استانبول ارتفاعا بعد أياصوفيا .

وبعد تجارب عديدة فى منشآت صغيرة نسبيا ، أبدع المهندس سنان وهو فى الثمانين من عمره مسجد السليمية فى أدرنة ، واشتمل هذا المسجد ـ الذى يعد رائعته المعمارية ـ كل الابتكارات والتجديدات التى استحدثها سنان بالاضافة الى مستحدثات العمارة التركية عامة . واستغرق البناء خمس سنوات من ١٥٦٩ إلى ١٥٧٤ بأمر من السلطان سليم الثانى ، ويظهر هذا الأثر البديع متجليا من بعيد بقبته الكبيرة ذات القطر البالغ ٣١٫٥ متر ـ أى اكبر من قطر قبة أياصوفيا ـ وبمآذنه الأربع الرشيقة التى تدور حول قاعدة قبته المثمنة . وتتوافق ضخامة القبة مع المساحة الكبيرة فى الداخل ، حتى أنه يمكن القول بأنها قمة التطور فى بناء القباب فى العالم بأسره .

● الاتجاه نحو اوربا :

ويستكمل المؤلف استعراض مظاهر العمارة التركية العثمانية خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر ، التى لم تعكس أية ملامح جديدة . الى أن بدأت تظهر بوادر تحرك تدريجى نحو أوربا عامة وفرنسا خاصة ، بعد أن وقف الجيش العثمانى على أبواب فيينا عام ١٦٨٣ ودخلت بلاد المجر دائرة الامبراطورية العثمانية عام ١٦٨٩ . ولقد استتبع ذلك التحول دخول تأثيرات فنية باروكية وروكوكية من فرنسا ، وتحولت كل الأنظار صوب أوربا ، فأخذ أسلوب العمائر الضخمة فى الانحسار ، مفسحا الطريق لتجميل استانبول وزركشة أجزاء عديدة منها بالفيللات والاستراحات والأسبلة المطبوعة بطابع الأساليب الأوربية . وفى هذا المناخ انشىء مسجد « نور عثمانية » خلال سبع سنوات حيث انتهى بناؤه عام

١٧٥٥ . وهو أول مسجد ضخم يقوم مستعرضا بوضوح كل الأساليب والتأثيرات الفنية الجديدة ، والاستجابة الكاملة للأساليب المستحدثة فى مجالى الزخرفة والتخطيط المعمارى .

وفى عصر السلطان محمود الثانى ١٨٠٨ ـ ١٨٣٩ أقيم مسجد النصر « نصرتية جامع » الذى عكس الاسلوب الامبراطورى . وهو أسلوب بسط سيادته على أوربا بعد أن كانت السيادة للأسلوب الباروكى . وفى عهد السلطان عبدالعزيز ٦٧ ـ ١٨٧٦ كانت تسود البلاد الأوربية موجة أسلوب فنى آخر انتقائى أو خليط ، وخلاصته مزيج منتخب من عدة أساليب معمارية جمعت من الهندى حتى القوطى . ومن أعجب أمثلة هذا الأسلوب الخليط والمفرط فى الزخرفة المسجد الحميدى ، الذى أسسه السلطان عبدالحميد الثانى عام ١٨٨٦ .

ويختم المؤلف دراسته عن الطرز المعمارية التركية بظهور الخرسانة المسلحة ، التى كانت سببا فى تخلى المعماريين نهائيا عن أساليب البناء التقليدية ، واتجاههم نحو الاساليب المعمارية الحديثة .

● أنواع أخرى من العمارة

ويتناول المؤلف فى خمسة فصول من كتابه نماذج من أشهر النماذج المعمارية الأخرى ، كالأضرحة والقصور والاستراحات ، والحمامات ، والتحصينات وقلاع الأناضول ، وكذلك الأسبلة التى بنيت معظمها فى واجهات المساجد والمدارس مع بداية عصر السلاجقة ، واستمر هذا التقليد فيما تلاهم من عصور ، وبلغت أعظم مراحل تطورها وبهائها فى القرن السابع عشر .

ثم يخصص المؤلف الفصل الثانى والعشرين لفنون النقش والحفر والنحت ، وفيه يتتبع الأشكال والزخارف الهندسية الناجمة عن تقاطع الأشكال المثمنة أو المسدسة التى عرفها "القرة خانيون" و "الغزنويون" والسلاجقة العظام فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، والتى ظلت سائدة عند سلاجقة الأناضول والعثمانيين حتى بداية القرن السادس عشر . ثم يشير الى أن عنصر الكتابة والخط قد استغل استغلالاً كبيراً فى الزخرفة المعمارية ، وكان أكثر الخطوط سيادة فى العمارة التركية هو خط النسخ . كما كان هناك نمط آخر من الزخارف المعمارية السلجوقية ، وهو فن النقوش الآدمية ، أو نقوش الكائنات الحية ، حيث كان يحكى صور الحياة اليومية ، والعادات الجارية عند سلاجقة الأتراك فى ذلك الحين .

وفى الفصل الثالث والعشرين يعرض المؤلف لفن الخزف التركى الذى يضرب بعيداً فى الماضى منذ أيام "القرة خانيين" ، فقد استعملت البلاطات المربعة ذات البريق فى تغشية أرضيات المعابد ، ثم بدأ الاستخدام المنظم والتطور المستمر للزخرفة بالخزف فى المنشآت المعمارية التى أقامها السلاجقة العظام بإيران ، التى لم يبق منها شىء يذكر بعد الدمار الذى ألحقه الغزو المغولى للبلاد .

وعلى امتداد القرن الثالث عشر حدث أعظم تطور وأبرعه فى صناعة الخزف ، وأضحت واحدة من أبدع فنون الترك ببلاد الأناضول ، وتعكس الأعمال الخزفية لتلك

الفترة ثراء فى مجال التصميم ، ونضجا واضحا فى مستوى الصنعة . وقد يجيء هذا الخزف التركى قبل الخزف الفارسى فى المرتبة . وكان التقاء فن الفسيفساء الخزفية السلجوقية مع أساليب صناعة الطلاء المتعدد الألوان ، هو الاساس الذى استند إليه فن صناعة البلاطات الخزفية عند العثمانيين .

بعد ذلك ينتقل المؤلف الى استعراض نماذج التحف المعدنية ، مثل المباخر والدوارق ، والأباريق والشمعدانات ، والمرايا ، وما اتسمت به من قدرة عالية فى الحفر على المعادن . ولا ينسى المؤلف تناول الزجاج كصناعة لقيت فى العصر العثمانى اهتماماً ملحوظاً وانتاجاً وفيراً ، وتركزت مراكز صناعته فى إستانبول ، وشملت أنواع الشمعدانات ، وزهريات تنسيق الزهور ، وقنينات حفظ ماء الورد ، والاقداح والأباريق والدوارق من البللور ، وحتى مصابيح السفن وقطع الزجاج الملون المستخدمة فى عمل نوافذ البيوت .

ويفرد المؤلف فصلين كاملين لتناول فن الأبسطة السلجوقية والعثمانية والمنسوجات ، حيث تعد صناعة الابسطة من الفنون التى قدم الأتراك من خلالها الكثير الى الحضارة العالمية ، فضلا عن أنها من أكثر ميادين الفن غنى بالابتكارات التركية الأصيلة .

وعن فن التصوير والمنمنمات خصص المؤلف فصلاً أوضح فيه تطور ذلك الفن فى تركيا منذ القرن الثامن الميلادى ، ومروراً بعصر السلاجقة العظام ، وقد سارت الأساليب الواقعية والطبيعية ، حين كانت تحكى مشاهد الحياة اليومية ، ومناظر الحرب والقتال . وتواصل هذه الأساليب حركة تطورها على يد المماليك الأتراك فى مصر ابتداء من القرن الرابع عشر . ومع أن المعلومات ليست كاملة عن فن التصوير بالأناضول بعد سقوط دولة السلاجقة ، إلا أنه يمكن القول بأن أعمال فنانى ذلك العصر هى مرحلة تحضيرية للأسلوب الكلاسيكى فى فن المنمنمات العثمانية .

وخلال سنوات حكم الفاتح خطى فن التصوير خطوات متقدمة لاسيما فى مجال الصور الشخصية ، بعد أن وفد فنانون إيطاليون إلى استانبول بدعوة من السلطان للعمل من أجله ، وكان من أشهر هؤلاء فنان البندقية "جنتيلى بللينى" وقد مهد الازدهار العظيم الذى حدث فى السنوات الأولى لحكم سليمان القانونى الطريق أمام أضخم مرحلة من مراحل فن المنمنمات العثمانية . فشهدت انتاج أعمال عظيمة كان فى طليعتها "سليمان نامه" وهى اشعار تركية على نسق كلاسيكى قديم لايستخدم إلّا فى الملاحم ، وتحتوى على ٢٤ منمنمه منفذة بإتقان بالغ . واشتمل التصوير العثمانى ـ بالاضافة الى الصور الشخصية والمناظر المتعلقة بالأحداث التاريخية وحياة البلاط ـ على أعمال قيمة ذات أصالة ، تمثلت فى مناظر الحرب وحصار المدن والقلاع . ورغم أن تكوين هذه اللوحات ـ ولا سيما فيما يتعلق بالمناظر الخلوية وخلفيات اللوحات ـ ظل وثيق الصلة بالتقاليد التى نبتت جذورها فى إيران ، إلا أن التعامل معها هنا تم بأسلوب كله واقعية . تلك الواقعية التى

يرى المؤلف أنها قد جعلت الابتكار والتطوير أمراً غير واضح ، وأدت الى عدم خلق أسلوب محدد للمتمنمات العثمانية .

وفي الفصل التاسع والعشرين يعرض المؤلف الفن الخط . فقد أضحى الخط العربي عنصراً كثير العطاء في كل فروع الفن التركي ، بل أنه أضفى كثيراً من الحيوية على ما أقيم من منشآت معمارية . وحظي خط النسخ على يد "ياقوت الأماسي" ـ الخطاط التركي الذي عمل كاتبا لدى المستعصم آخر خلفاء العباسيين (٤٢ ـ ١٢٥٨) ـ بالروح التي جعلت منه نمطاً كلاسيكيا وحدث نفس الشيء لخط الثلث الذي ظل يكتب بطريقته دون تغيير يذكر لمئات السنين . وهو الذي أرسى القواعد المتينة لفن الخط عند الأتراك ، بترسيخه لكل الأصول المميزة لستة من أنماط الخط العربي المختلفة ، وهي التي عرفت فيما بعد باسم "الأقلام الستة" ، وأشار المؤلف الى بعض الخطاطين المبدعين ، مثل الشيخ حمدالله الذي وضع قواعد للأنماط الستة على أسس محددة، وقواعد تتصل بنسب جسم الانسان وتشريحه . وأيضا الخطاط "أحمد القرة حصاري" الذي طور خط الجلي ، والخطاط "حافظ عثمان" الذي بسط خط النسخ وأحسن تنسيقه كي يكسبه وضوحاً أكثر في القراءة ، وأدخل نوعاً من الحرية لم يكن معروفا من قبل بخروجه على الحليات القديمة الكلاسيكية . ويصل المؤلف الى خط الديواني ، وهو نمط تركي خالص ، استخدمه العثمانيون فقط في كتابة الأوامر السلطانية والفرمانات ، فكانت تكتب بصورة مزدحمة منعاً لأية محاولة للتغيير أو التبديل في النص .

وينهي المؤلف كتابه المرجعي الضخم بعرض لأعمال فنية متنوعة ، مثل الطغراء أو توقيع السلطان ، الذي كان يعهد به لواحد من أبرع الفنانين وأمهرهم . واكتسبت هذه التوقيعات بمرور الزمن تنوعاً كثيراً ، وثراء كبيراً في الشكل والتكوين .

كذلك أشار المؤلف إلى فن التذهيب ، الذي تكشف معظم تصميماته عن تناسق وانسجام في الألوان ، ووقار في التصميمات . وأيضا فن التجليد ، الذي وصل أوج رقيه أثناء القرنين الخامس عشر والسادس عشر ، فحظي الغلاف باطناً وظاهراً بزخرفة رائعة . وكذلك يشير المؤلف الى فن صناعة الأسلحة والخوذ والزمزميات والمرايا ، التي حفلت جميعها بتصميمات زخرفية من العناصر النباتية وأشكال الزهور .

وهناك أيضا صناعات أخرى اشتملت على التحف المصنوعة من العاج والصدف والحفر على الخشب الذي تطور كثيراً أيام العثمانيين ، وزاد من قيمته تطعيمه بالعاج والمحار والأصداف .

ولا ينسى المؤلف في ختام تناوله العريض للفن تضمين الرسم الزخرفي ، ويقصد به فن الطلاء الزخرفي ، فقد اكتسب هو الآخر مكانة طيبة كأحد أساليب تزيين السطوح الداخلية الى جانب البلاطات الخزفية . وكان الصناع يستخدمون الملاط بألوان مختلفة على الخشب لتغطية بواطن الأسقف والقباب ، وقد استخدم على نطاق واسع أيام العثمانيين .

القفز على الأشواك



بقلم: د. شكري محمد عياد

حالة تكنولوجية

لاخير فينا ، ولاقيمة لما نكتب ، إن بقينا نمضغ الكلمات وتركنا « الواقع » يستشرى من حولنا حتى يخرق العيون ويصم الآذان ويدمي القلوب .

إن تجاهلنا مايجرى ، أو اكتفينا باللفتة المهذبة ، أو الاشارة البعيدة ، أو التعميم المبهم ، فسيبقى ما نقوله أو نكتبه كلاما فى كلام ، وبين الكلام والفعل ـ فى البلاد العربية بالذات ـ هوة سحيقة .

تكلم كيفما شئت ، اكتب فى أى موضوع أردت ، فلن يغضب منك أو عليك أحد ، ستظل آمنا فى سربك ، معافى بدنك ، مباركا في مالك ، رافلا فى بحبوحة السعادة بين أهلك وعيالك ـ بشرط أن تلتزم الابهام ، وتتجنب التحديد ، وتجعل لكلامك بابين : بابا للدخول ، وبابا للخروج .

أتعرف ـ صديقى القارىء ـ أصل كلمة النفاق ؟

أصلها المادى ـ « النافقاء » ، والنافقاء جحر اليربوع ، يجعل له بابين ، فاذا جاءه الخوف من باب هرب من الباب الآخر .

وإذا تكلمت او كتبت فهيأت كلامك او كتابتك بحيث يمكنك أن تقول اذا سوئلت او عوتبت او حوسبت : ما أردت هذا ، وما أردت ذاك ، فأنت على شعبة من شعب النفاق .

تقول : وما شأن الفن ؟

وأقول لك : ليس من شأن الفن ان يعمى الحقيقة ، أو يقودك إليها ثم يهرب من تبعتها . الفن الصحيح يقرب اليك الحقيقة حتى يجعلك تأنس اليها ولو كنت معرضا عنها ، ويجبرك على التسليم بها ولو كنت من أعدائها ، ولابد ان أدخل

معك - يوما ما - فى رحاب هذا الفن ، ولكن دعنا اولا نبرىء ذمتنا من كلمة حق فى واقعة تصرخ أمامنا بأعلى صوت .

● إعـــــلان

أمامي الآن إعلان نشر فى صحيفة أخبار اليوم (١٩٨٨/٣/٥م) - استأذن الهلال فى اعادة نشره بدون أجر . وأطمع الا تسيء الظن بى ياهلال وان تجعل حسابى وحساب أصحابه على الله إن كنت اتفقت معهم على مال اقتنصه او مصلحة أقضيها خلسة منك ، كما أنى أحسن الظن بك حين أراك لاتجرى وراء المعلنين ، فانما عهدتك تجرى وراء قضية وطنية لتبعثها من جحيم النسيان ، او تنبش عن فكرة مدفونة لتعيدها جديدة فى الأذهان . وهذه قضية وطنية منسية ، لاتعنى أصحاب الاعلان وحدهم بل تعنى الملايين والملايين .

وإليك نص الاعلان :

نداء عاجل

توجهه رابطة أصحاب مصانع الطوب الطفلى

السيد الدكتور / رئيس مجلس الوزراء

السيد الدكتور / وزير الزراعة وأمين عام الحزب الوطنى

وجهت الشركات الاستثمارية العاملة فى صناعة الطوب الطفلى نداء فى أهرام الخميس ١٩٨٧/١١/١٩م احتوى من البيانات غير الصحيحة ما تغطى به خسائرها الضخمة فى هذا المجال . وقد أصدرت وزارة الزراعة القرار رقم ١٣٧٠ بتاريخ ١٩٨٧/١٢/١ يفرض على مصانع الطوب الطفلى التقليدية ان تدار آليا خلال ستة اشهر ، رغم انه بفضل خبرة علمائنا وذكاء الفلاح المصرى وباستغلال الطفلة الصحراوية قد حققت نجاحا منقطع النظير وأنهى الى الأبد تجريف الأرض الزراعية .

وسيتم بموجب هذا القرار استيراد خطوط انتاج اجنبية يتكلف الخط الواحد منها مايزيد على مليون دولار وذلك لغياب النموذج المصرى المثالى الذى يجتزأ به والمنتج محليا . وبذلك سيكلف اقتصاد مصر ما يزيد على ألف وخمسمائة مليون دولار فضلا عن مد طلبات هذه الخطوط من الطاقة الكهربائية الكبيرة وما يلحقه من الأضرار بحوالى ثلاثة ملايين من العاملين فى هذه الصناعة وما سينتج عنه من رفع أسعار الطوب المنتج بما يرهق المستهلك ويعوق حركة البناء والتشييد . وقد ثبت حتى الآن فشل الخطوط الآلية المستوردة من الخارج وكانت نتائجها مخيبة للآمال ومعظمها تتكبد خسائر مالية فادحة .

وإننا ونحن مواطنون مصريون شرفاء يهمنا قبل كل شيء المحافظة على الرقعة الزراعية فى وطننا الغالى نناشدكم ان تتدخلوا لانقاذ صناعة وطنية عريقة وحماية العاملين فيها . واذا اردتم التأكد من حقيقة حجم الخسائر المترتبة على التصنيع الآلى للطوب فانكم تستطيعون الرجوع الى الرقابة الادارية ونيابة الأموال العامة والمدعى العام الاشتراكى والبنوك الممولة للخطوط المستوردة . فهناك من البيانات المذهلة عن حجم الأموال المجرفة ما يدفع الدولة الى التدخل السريع لمنع استمرار هذا التزيف المالى والخراب الجرفى .

رابطة أصحاب مصانع الطوب الطفلى

بجمهورية مصر العربية

معلـوم ان الصحف لاتحقق فى

الضرب على الأشواك

المعلومات التى تحتوى عليها الاعلانات ولكن المعلومات التى احتوى عليها هذا الاعلان خطيرة الى الحد الذى كان يدعو أى صحيفة من صحفنا اليومية او الاسبوعية الكبرى - وهى لاتبخل علينا بالأنباء المفصلة عن مشكلات الاندية الرياضية مثلا - الى تجنيد عدد من كتابها ومحرريها ، والاستعانة بالخبراء ايضا ، لاعطاء صورة محايدة عن الموضوع . فنحن هنا امام فئة لها مصالح ، يمكن ان تكون - من الناحية النظرية - متفقة مع مصلحة المجتمع فى جملته او غير متفقة ، ولو اننا يجب ان نفترض الاتفاق أولا اذا كنا نعنى ما نقوله عن الاستثمار والمبادأة الفردية .

أما نحن - يا هلال - فليس فى وسعنا ان نتجاهل القضية ، ونحن الذين كنا نتحدث منذ وقت غير بعيد عما سميناه الاستعمار التكنولوجى . ومع اننا استشهدنا على صحة التسمية والوصف بتقرير لاحدى لجان الامم المتحدة ، فقد رآنا بعض الناس جامدين ومنغلقين ، وظنوا أننا نعادى المخترعات الحديثة وشهد الله أننا أعداء ألداء لكل اختراع حديث نشتريه بالدين لنستخدمه فى تأكيد التخلف !

● التكنولوجيا والتنمية

فالتكنولوجيا الحديثة لاتصنع غنى من فقر ، ولا علما من جهل ، ولا قوة من ضعف ، إنها لاتعطيك شيئا غير موجود عندك ، ولكنها تضاعف ماعندك : فان وجدت غنى ضاعفته وان وجدت علما ضاعفته ، وان وجدت فقرا ضاعفته وان وجدت جهلا ضاعفته . ولنضرب مثلا يلمسه الجميع .

كثير من الآباء والأمهات اليوم يتمنون لو ان التليفزيون لم يدخل بيوتهم قط - ومع ذلك فإنهم سينتهزون اول فرصة ليقتنوا ڤيديو أيضا ! ولكن لا محل للعجب . فقد دخل التليفزيون حياتنا بعد ان تنازلنا عن ارادتنا ، فزاد ارادتنا ضعفا ، وبعد ان بدأ التعليم مسيرة التدهور فزاده تدهورا ، وبعد ان سخر الأدب والفن لخدمة الدعاية ، فزادهما انحطاطا ، وأصبح الفن الصحيح والعلم الصحيح جزرا منعزلة لاتحب التكنولوجيا ولاتحبها التكنولوجيا .

يـأبى العقل السليم ان يصبح التليفزيون جهازاً شعبيا - والفيديو على أثره - فى بلد معظم سكانه اميون ، ومعظم متعلميه اشباه اميين ، فليس فى وسع اى باحث جاد فى حالة التعليم عندنا ان يتجاهل التأثير المدمر لهذين الجهازين ، **على الرغم من البرامج التعليمية التى يبثها التليفزيون لينفى عن نفسه هذه التهمة ، وأكثر تلك البرامج سخيف منفرّ ، لا ينشط عقل الطالب المشاهد ، بل يكتفى بتلقينه ما فى الكتاب المقرر ، كما يلقن الميت الشهادتين .**

على ان اكثر الوقت الذى يقضيه الصبى او الفتاة امام التليفزيون ضائع فى مشاهدة المسلسلات القصصية والمباريات الرياضية . واكثر المسلسلات شديد التفاهة ، وحتى الجيد منها لا يربى الذوق حقا ، لأن خاصية جهاز التليفزيون - كما يقول ماكلوهن - انه يجذب المشاهد اليه حتى كأنه يتحاور مع ابطاله او كأن ابطاله يخرجون من الشاشة ليحاوروه (عبرت الرسوم الكاريكاتورية عن هذا المعنى أوضح تعبير) والتذوق الفنى

يتطلب درجة من التباعد . أما مشاهدة المباريات الرياضية فانها تبطل كل ماقيل او يقال عن قيمة الرياضة فى تربية الاجسام او الاخلاق او العقول . لأن المشاهد - ولاسيما اذا كان طرى العود - لايقوى عضلاته بمشاهدة هذه المباريات ، ولايتعلم منها الا عبادة الشهرة ، واحتقار العلم الذى لايعود على صاحبه مدى السنين بمثل مايكسبه الفائز الثانى او الثالث فى مباراة واحدة عادية .

فماذا افدنا من هذا الجهاز السحرى ؟ أليست وظيفة التليفزيون الحقيقية والاساسية عندنا هى مساعدة المصرى العادى على التخلص من وقت فراغه الطويل العريض . لقد ورد التليفزيون على ثقافة ضعيفة فزادها ضعفا ، **والذى نود ان نقوله هنا هو ان ما يصدق على التليفزيون - وهو أصلا جهاز ترفيه - يصدق أيضا على كل تكنولوجيا متقدمة فى أجهزة الانتاج ، كما بين اعلان منتجى الطوب فى إيجاز بليغ .**

أن الربط المباشر او الآلى بين التكنولوجيا المتقدمة والتنمية خداع لايراد منه الا ان تبقى الدول المتخلفة - والتى يضحكون عليها بتسميتها نامية - تابعة دائما ومدينة دائما . فالتنمية لها طريقان : إما أن تبدأ بأفضل ماعندك فتستثمره وتستخدم التكنولوجيا فى تطويره ، ولا بأس إن استعرتها من غيرك ، وهذه هى التنمية الحقيقية : وإما أن تبدأ بأفضل ما عند غيرك ، فتقتل ماعندك ، وتظل عالة على غيرك ، ومن ثم عبدا لهذا الغير .

إنها عبودية لم تعرف البشرية نظيرا لها من قبل . فهى عبودية شعوب كاملة ، وهى عبودية تتحكم فى الجسم والعقل وتشل الارادة ، وهى عبودية يدخل فيها العبد طائعا مختارا ، راضيا مبهورا ، مبتسما فى بلاهة ، مستسلما فى سعادة ، وكأنه مخدر أو منوم .

هذا هو الاستعمار التكنولوجى .

● دور الحكومة

ولنعد الى الاعلان القضية .

إن هذه الحالة التكنولوجية تذكرنا بحالة سابقة معروفة للجميع .

فكل من أكل خبزا فى هذا البلد يعرف انه اذا اراد ان يستمتع بمذاق الرغيف البلدى الجيد فعليه أن يبحث عن فرن يدوى وخباز نظيف من المدرسة القديمة . فالرغيف الذى نحصل عليه من المخابز الآلية قلما يخلو من العيوب ، وقد نرمى ربعه او ثلثه لأنه غير صالح للأكل . هذا الفاقد الذى يخسره الشارى ويضيع فيه جزء من اموال الدعم لايوجد ابدا فى الرغيف اليدوى . والشعب المصرى شعب من أكلى الخبز ، وهو لايتذوق الرغيف الآلى ولكنه يأكله مضطرا لأنه المتوافر غالبا . فهل كان من الضرورى ان يحرم من هذه اللذة البسيطة ؟ ربما كان انشاء عدد من المخابز الآلية ، فى أول الأمر ، ضرورة لتوفير العدد الهائل من الأرغفة التى يستهلكها المصريون كل يوم وكثير من هذه المخابز يتبع القطاع العام . ولا شك ان انشاءها واستمرارها منعا وقوع ازمة خطيرة فى رغيف الخبز . ولكن وجودها - اذا نظرنا اليه هذه النظرة - يمكن اعتباره اجراء غير عادى ، ريثما تنشط المخابز اليدوية وتزيد طاقتها الانتاجية . غير ان الذى حدث هو ان معظم المخابز الأهلية تحولت ايضا الى مخابز آلية او نصف آلية .

لقد تم هذا التحول بطريقة لم يكد يشعر بها احد ، تم بفعل مجموعة من العوامل الاقتصادية لم نحاول التحكم

فيها ، لا بالوعى الشعبى ولا بالترشيد الحكومى . تم فى وقت لم نكن نشعر فيه بأزمة بطالة ، بفضل التزام الحكومة بمجانية التعليم وتعيين الخريجين من ناحية (وهو تعليم كان ، ولايزال ، غير مسيّس لخدمة الاقتصاد) وبفضل تزايد الطلب على العمالة المصرية فى الدول العربية المجاورة ، من ناحية اخرى . ولكننا يجب الا ننسى دور "المستورد" وهو الرابح الاول فى هذا التحول . لقد انتهز الفرصة ، وتصرف بوعى (لم يكن محتاجا الى ذكاء) . وتلاقت بعض الخيوط .. فقد كان مستورد المخابز الآلية ، فى ذلك الزمان ، قريبا جدا من الحكم ...

فى ظروف كظروفنا الآن لا يمكننا ان نتصرف بدون وعى ، ولايمكننا أيضا أن نتيح الفرصة لمستورد يثرى ثراء فاحشا ، وفى مثل لمح البصر ، على حساب ملايين الكادحين . قد نكون عاجزين ، فى الوقت الحاضر ، عن احداث خفض كبير فيما نستورده من السلع الغذائية ، ولكننا قادرون بكل تأكيد ، على احداث خفض كبير جدا فيما نستورده من الآلات واذا اردنا « التصنيع » حقا ـ ولابد منه لأن التنمية الزراعية محدودة ، اما التنمية الصناعية فهى بغير حدود ـ فيجب ان يكون القسم الاكبر من ادوات الانتاج التى نستخدمها من صنعنا نحن . ولا بأس ان كانت ـ فى اول الأمر ـ غير انيقة المظهر ، او حتى اقل كفاءة من نظائرها المستوردة ، فستكون ـ على الاقل ـ أرخص سعرا ، واقل تكلفة . يجب الا تتكرر مأساة اغلاق مصنع ـ رمسيس ، بينما استمر مصنع النصر للسيارات فى سياسته الخرقاء المعتمدة على التجميع .

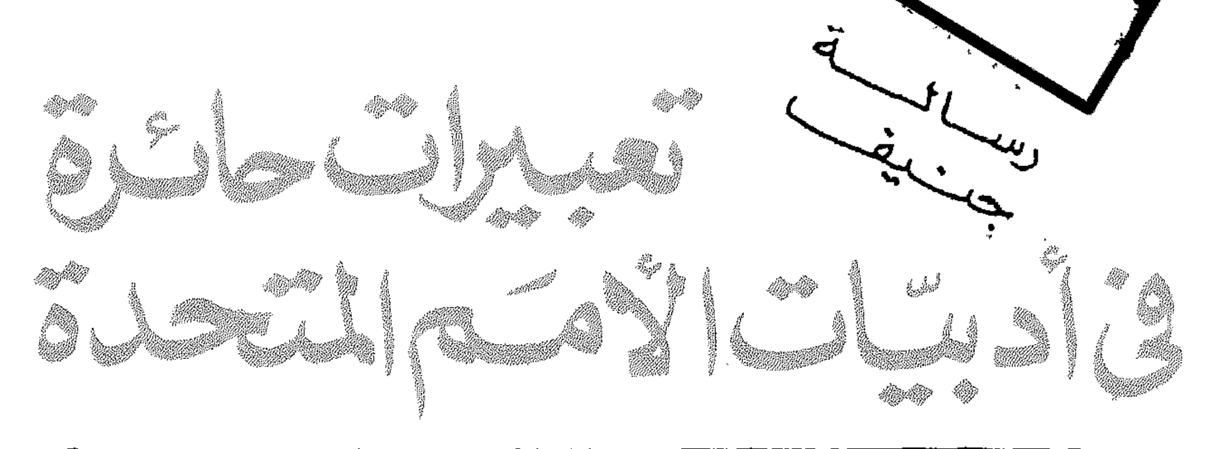
التكنولوجيا المتقدمة يمكن ان تقتل الاقتصاد القومى بدلا من أن تنمية . ونقل التكنولوجيا ـ وهى عبارة تقال ـ لايعنى استيراد الأجهزة بل اكتساب العلم والخبرة . والأول سهل جدا ، بل ان الدول الصناعية الكبرى مستعدة دائما لأن تضمننا لدى الشركات المنتجة حتى تمدنا بكل ما نحتاج اليه وما لانحتاج اليه ـ كل ماتحتاج هى الى تسويقه ـ من آلات ومعدات . اما الثانى فعسير اشد العسر ، فالشركات المنتجة تحتفظ بأسرار الصناعة لأنها قوام حياتها ، ونحن من جانبنا اكسل من ان نتعلم . وما دمنا نجد من يبيعنا بالدين فلماذا نتعب انفسنا بالعمل ؟

ولاننسى اننا دولة تسمى نفسها اشتراكية مع ان القسم الأكبر من معاملاتنا التجارية هى مع بلدان رأسمالية . والرأسماليون لايربتون على اكتاف الصغار ، الذين يريدون ان يستقلوا بحياتهم واعمالهم . الرأسماليون لايقبلون من الصغار الا ان يكونوا تابعين لهم . والصغير الذى يريد ان يكبر فى كنف الرأسمالى لابد ان يكون ذكيا جادا وماكرا جدا ودءوبا جدا ، حتى ينجح ولو فى ان يكون تابعا كبيرا فى موكبه الأكبر ...

يتحسر المرء لأن « رابطة أصحاب مصانع الطوب الطفلى » لم تجد من وسيلة لابلاغ صوتها الى أسماع المسئولين وغير المسئولين سوى اعلان مدفوع الأجر .

ترى ما هى تلك القوى العاتية التى تحاول تحطيم الصناعة الوطنية فى مصر ؟

بقلم : جميل عطيه إبراهيم

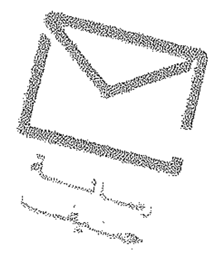


سرقة عقول أم نقل عكسي للتكنولوجيا؟

التفت المجتمع الدولي منذ سنة ١٩٦٧ الى قضية هجرة العقول من الدول النامية الى البلدان المتقدمة وأعرب عن قلقه البالغ من خلال المحافل الدولية مثل الجمعية العامة للأمم المتحدة ومؤتمر التجارة والتنمية ـ الاونكتاد ـ وصدرت قرارات عديدة بهذا الخصوص كما عقدت اربعة اجتماعات لخبراء حكوميين فى جنيف لدراسة هذه القضية كان اخرها فى شهر مارس من هذا العام .

وفى هذه الرسالة من جنيف نتناول تطور المفاهيم فى النظر الى هذه القضية من خلال وثائق الامم المتحدة .

شاعت فى ادبيات المحافل الدولية فى السنوات الاخيرة تعبيرات رقيقة لطيفة مثل بلدان العالم النامي وذلك فى مقابل التعبير الصريح البلدان المتخلفة كما اصبح يقال بلدان العالم الرابع ويقصد بهذا التعبير اشد البلدان فقرا وتخلفا حيث يقضي الناس من الجوع والعطش ، ومن هذه التعبيرات المخادعة ايضا القول بالنقل العكسي للتكنولوجيا ، والمقصود به انه اذا كان العالم المتخلف يستورد التقنيات الحديثة من الدول المتقدمة فانه يصدر اليها ايضا خيرة العقول والايدي الماهرة



به ، وكأنه بهذا التعبير اللطيف قد تحولت القضية الى مشكلة استيراد وتصدير بين عالمين على قدر من المساواة .

وفى واقع الامر فان هذا التعبير : النقل العكسى للتكنولوجيا وبالانجليزية

هو تعبير مخادع تماما وقد روجت له الدوائر الغربية على وجه الخصوص حتى نجحت فى فرضه على المحافل الدولية فى معركة غير متكافئة بينها وبين الدول النامية

واذا تأملنا حجم المشكلة فى مردودها الاقتصادى الخطير فان التعبير الذى يتعين استخدامه فى هذا الصدد هو سرقة العقول واذا اردنا التخفيف قلنا استنزاف الادمغة او

وفى واقع الامر لم تكن الفروق بين هذه التعبيرات خافية على مندوبى حكومات العالم المتخلف فى الامم المتحدة وبقية المحافل الدولية مثل مؤتمر التنمية والتجارة - الاونكتاد - او منظمة العمل الدولية او البرنامج الانمائى للبيئة ، ولكن كما قلنا المعركة غير متكافئة والعين بصيرة واليد قصيرة كما يقال .

ومن هذا المنطلق انتقد مندوب مجموعة الدول الاشتراكية فى الاجتماع الثانى للخبراء الحكوميين المعنى بهذه القضية والذى عقد فى جنيف فى الفترة من ٢٧ اغسطس - ٥ سبتمبر ١٩٨٤ المحاولات الجارية لنشر تعاريف غامضة لدسها فى وثائق المحافل الدولية مثل عبارة التبادل الدولى للمهارات بدلا من القول : استنزاف الادمغة او تخفيف المصطلح الى حد القول بالنقل العكسى للتكنولوجيا او تدفق الموارد البشرية واعرب مندوب المجموعة الاشتراكية عن انزعاج وفد بلاده من استخدام لفظ تبادل مهارات لانه من الصعب تسمية تدفق يجرى بلا حدود تبادلا ، كما ان هذا التدفق يجرى بلا تعويض او مقابل . وطالب بأن يدفع اولئك - بلدان آليات السوق الحر - الذين يستفيدون من نزوح الادمغة ثمن ذلك وطالب بتقدير هذا الثمن على اساس ارباح الطرف القائم بالاستغلال والربح الاضافى الذى يحصل عليه والعائدات المرتفعة المستمدة من نزوح الادمغة .

وهذا الكلام قد قيل فى الاجتماع المشار اليه وسجل فى الوثائق وكما قلنا فهذه الامور ليست خافية عن اعين الخبراء فى بلدان العالم المتخلف ولكن القضية قضية مراكز قوى ، فمعظم الدول الغربية التى تعتبر المستقبل الرئيسى للعقول المهاجرة من البلدان النامية تقاطع اجتماعات هذه اللجنة التى طالبت الجمعية العامة للامم المتحدة بتشكيلها فى اطار الاونكتاد واذا حضرت الاجتماعات اعلنت انها تحضر بصفتها متفرجة .

● ١٠٠ مليار دولار قيمة العقول المهاجرة :

تقدر تقارير الامم المتحدة رأس المال البشرى المحول من البلدان النامية الى الدول الغربية المتقدمة بما يزيد على ٤٠ مليارا من الدولارات فى الفترة من ١٩٦١ - ١٩٧٢ فاذا مدت هذه الفترة الى الثمانينيات واجراء التعديلات اللازمة فى الاسعار فان هذا الرقم قد يتجاوز ١٠٠ مليار دولار

وذلك فى الوقت الذى بلغت فيه القيمة الدفترية للاستثمارات الاجنبية فى البلدان النامية فى أوائل الثمانينيات ١٨٠ مليار دولار فقط ٠

ويوضح تقرير نشرته الشئون الخارجية فى مجلس النواب فى الولايات المتحدة الامريكية على سبيل المثال ان تكاليف التعليم التى ادخرتها الولايات المتحدة الامريكية نتيجة هجرة القوة العاملة الماهرة اليها فى الفترة بين عامى ١٩٧١ و ١٩٧٢ تعادل ١٫٨ مليار دولار ٠

وقد وصف التقرير التدفق بسانه تصدير لم يدفع تعويض عنه وهدية لا ارادية من موارد ثمينة من لدن بلدان اخرى ٠

هذا ما يوضحه التقرير الامريكى وهو ليس فى حاجة الى تعليق ٠

● تقييم العقول المهاجرة اقتصاديا :

يقول تقرير لمؤتمر التجارة والتنمية « المهارات هى تجسيد رأسمال والمعروفة بواسطة الاستثمار فى الموارد البشرية » كما يقال « المهجرة الدولية للعقول يمكن اعتبارها نوعا اخر من نقل التكنولوجيا ورأس مال » ٠

وينطوى هذا المفهوم على انه يتم الاستثمار فى الاشخاص بمختلف الطرق (التعليم وتوفير الرعاية الطبية والتدريب) وعليه يمكن القول ان خروج المهارات خسارة مؤقتة او دائمة لبلد الاصل وكسبا للبلد الذى تتم الهجرة اليه ٠

ومع التسليم بهذه الحقيقة فان البيانات والمنهجيات اللازمة لتقدير القيمة الرأسمالية لتدفقات الموارد البشرية لا تزال فى المرحلة الاولية من التطوير ٠

ويقول تقرير ان هناك اسلوبين اساسيين استخدما على نطاق واسع فى الكتابات المتعلقة بتقييم المهارات وامكانات الانتاج لدى الاشخاص نقديا من الناحية الاقتصادية :

أولهما : اسلوب التكلفة التاريخية، حيث يتم تقدير قيمة هذا النوع من الاصول من حيث تكلفة التعليم والتدريب وغيرهما من الخدمات التى حصل عليها الشخص الذى يهاجر ٠

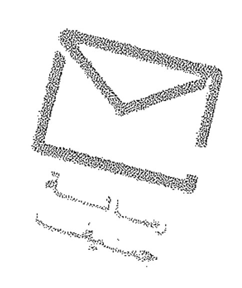
ثانيهما : اسلوب القيمة الحالية المنتظرة ويتم فيه التقدير على أساس القيمة الحالية للناتج الحدى للمهاجر على مدى ما تبقى من حياته المتوقعة فى المستقبل فى بلد المهجر ٠

غير أن الوضع العالمى الحقيقى فى ظل التكتلات الحالية للمجموعات الاقتصادية بعيد تماما عن هذا الوضع المثالى الخيالى ٠ وسوف تنتج أرقام متباينة لمحاولة تقييم رأس المال البشرى المجسد فى مهارة المهاجرين تبعا للطرق المستخدمة فى التقييم ٠

ولهذا ثمة اسلوب اخر يستخدم فى تقدير القيمة النقدية المسندة للمهاجرين ذوى المهارات وهو ما يشار اليه بتغلب تكلفة الاستبدال اى أن ينظر الى كل فرد مهاجر من حيث استبدله بشخص اخر انهى للتو قدرا موازيا من التعليم او التدريب فى البلد المستقبل ٠

ومن شأن اسناد كهذا ان يعكس بقدر من الدقة ، خسارة الموارد البشرية فى حالة البلد المهاجر منه ، والوفر الحاصل فى نفقات التعليم فى حالة البلد المهاجر اليه ٠

وقد قدرت شعبة الشئون الخارجية فى دائرة البحوث التابعة للكونجرس الامريكى وفقا لهذا المفهوم التكلفة الدنيا للتعليم فى بلد الهجرة النامى بمبلغ ٢٠ الف دولار امريكى ، فاذا أخذ بعين الاعتبار ما تقوله التقارير عن هجرة ٤٣٩٠ عالما ومهندسا وطبيبا من البلدان الى الولايات



المتحدة الامريكية خلال سنة ١٩٦٦ ، فان قيمة راس المال المتمثل فى هؤلاء المهاجرين تقدر بحوالى ٨٨ مليون دولار . ويرتفع الرقم سنة ١٩٧٢ الى حوالى ٥٦٥ مليار دولار .

● آثار هجرة العمالة الماهرة :

يوضح تقرير للامم المتحدة الاثار الضارة عن هجرة العقول من الدول النامية الى بلدان العالم المتقدم ، ويبرز حقيقة هامة وهى ان العمل فى الخارج لا يؤدى الى رفع الكفاءة المهنية واكتساب المهارات الجديدة التى يمكن ان تستخدم فى بلد المنشأ لدى عودة المهاجرين الى الوطن ، فغالبا ما يترك العائدون تخصصاتهم ويتحولون الى صغار رجال الاعمال بعد عودتهم وقد صرح ٧٦٪ من العمال الفلبيين العائدين بانهم يفضلون العمل فى مشاريع خاصة بهم فى الفلبين بعد عودتهم الى البحث عن وظيفة تستغل المهارات التى استخدموها فى الخارج

واذا كانت الهجرة الدولية بصفة عامة تسفر عن تحويل مبالغ ضخمة الى بلدان المنشأ فانه يبدو أن هجرة العمالة الماهرة لا تشكل مصدرا رئيسيا للعملات الاجنبية اذ وجد ان التحويلات تكون عادة منخفضة على مستوى المهارات العالية ولا توجد أية أدلة تشير الى أهمية التحويلات التى ترسلها مجموعات المهنيين من الشمال الى الجنوب .

• وبالاضافة الى ذلك توجد ادلة تشير الى ان المهاجرين ذوى المهارات العالية يخرجون راس المال من بلدان المنشأ التى ينتمون اليها ، ويفيد التقرير ان هذا الوضع ينطبق على المهاجرين من منطقة الكاريبى والمنطقة العربية ، ولا سيما مصر ، مما يشكل خسارة مزدوجة للموارد التقنية والاقتصادية .

وهكذا تسقط اخر ورقة فى موضوع هجرة العقول والعمالة الماهرة من بلدان العالم النامى ـ المتخلف ـ الى البلدان المتقدمة .

هذا وعلى الرغم من الجهود التى تبذلها لجنة الخبراء الحكوميين فى اطار مؤتمر التنمية والتجارة الاونكتاد فى نشر البيانات والدراسات حول هذا الموضوع الخطير ، فانه من الملاحظ ان البلدان المتقدمة لا تتعاون مع اللجنة وتصادف اللجنة صعوبات بالغة فى اداء عملها ، على الرغم من تغيير المصطلح المستخدم والادعاء ان الموضوع هو نقل عكسى للتكنولوجيا بدلا من القول انها سرقة ادمغة .

● مقترحات على المستوى الدولى :

وتدور مناقشات فى المحافل الدولية بشأن السياسات العامة على الصعيد الدولى المتعدد الاطراف حول ثلاثة مقترحات لرجال دولة قياديين من العالم الثالث للتخفيف من الاثار الضارة الناجمة عن هجرة العقول .

● صندوق دولى للتدريب المهنى

تقدم بهذا الاقتراح الرئيس حسنى مبارك فى الدورة ٦٩ لمؤتمر العمل الدولى فى جنيف عام ١٩٨٣ ، والصندوق المقترح يمكن البلدان التى تعانى من تدفق اليد العمالة منها من تنفيذ برامج لتدريب عناصر بديلة

من اجل سد الفجـــوة بها والتى تخلفها الهجرة ٠

● مرفق تعويضى لليد العـــاملة :

تقدم بهذا الاقتراح الامير حسن بن طلال ولى عهد الاردن فى مؤتمر العمل الدولى عام ١٩٧٧ وهو يقضى بانشاء مرفق تعويضى دولى لليد العاملة على غرار الصندوق الائمانى للمـــرافق التعويضية فى صندوق النقد الـدولى ويستمد موارده بصفة أساســـية من البلدان المستوردة للايدى العـاملة ثم توجه الموارد المتجمعة الى البلـــدان النامية المصدرة للايدى العـــاملة بمقادير تتناسب مع التكاليف المقـدر ان تتحملها هذه البلدان ازاء فقدانهـا الايدى العاملة ٠

● الصندوق الدولى لموارد القوى العـاملة

تقدم بهذا الاقتـــراح رئيس وزراء جاميكا عام ١٩٨٤ ويهدف الاقتـــراح الى انشاء صندوق دولى لمـــوارد القوى العاملة بغية تمويل حشد القوى العاملة الماهرة على اساس متوســـط الاجل ويمول الصندوق من خـــلال ضرائب تفرض على الشركات المتعددة الجنسية العاملة فى البلدان النامية ٠

ومن الملاحظ ان هذه المقترحـــات تحظى بتأييد من الدول النامية ولـكن كما بينا فان المفاوضـــات المتعددة الاطراف تسير فى اتجاه واحد حيث تقاطع مجموعة الدول الغربية اللجان

وقد استطاعت اللجان التى تناقش هذه القضية من تطوير عدة اقتراحات اخرى جديرة بالمناقشة ، منهـــا على سبيل المثال فرض ضـــــرائب على المهاجرين الافراد فى الدول المتقـدمة وتحول حصيلتها الى بلد المنشأ ، كما يوجد اقتراح اخر يطلق عليه ترتيبات تقاسم العائد كبديل لفرض ضـــرائب على المهاجرين ووفقا لاحد انـــواع الترتيبات المقترحة لتقاسم العـــائد يجرى تقسيم الضرائب على الدخـل التى يدفعها المهاجرون المهـــرة فى بلدان الهجرة بين ذلك البلد والبلـــد الاصلى الذى نزح منه المهاجر ٠

غير ان هذه المقترحات وغيرهـــا كثير لا تزال حبرا على ورق ، ولـكن يبدو ان البلدان النامية لن تستسـلم للهزيمة بسهولة ، وقد سبرت طـــرق التفاوض المتعدد الاطراف من خـــلال خبرتها فى الامم المتحدة لاكثر من ربع قرن ، وكما يقولون فالمعركة مستمرة ، والمفروض وضع ملامح مقيمة بالنقد لما يسمى بسرقة العقول او النقـــل العكسى للتكنولوجيا ٠

● تعتمد هذه الرسالة على الوثائق التالية بصفة اساسية وايضا الى حد اقتباس فقرات باكملها فلزم التنويه .

مؤتمر الأمم المتحدة للتجارة والتنمية الاونكتار

- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/4 سبتمبر ١٩٨٣
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/9 سبتمبر ١٩٨٤
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/14 سبتمبر ١٩٨٥
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/16 يوليو ١٩٨٧
- الوثيقة رقم TD/B/A.C.35/L.7 مارس ١٩٨٨



استيعابُ التكنولوجيا المنقولة أولويّة غائبة في مصر والعالم العربي

بقلم: د. عصام الدين جلال

عندما نستورد آلة أو كومبيوتر أو طائرة لايعني هذا أن التكنولوجيات المعقدة الداخلة فيها قد انتقلت الى الدولة المستوردة ، بل ان مصانع تجميع التليفزيونات والسيارات من اجزاء مستوردة يمكن ان تستمر لسنين دون أن تحقق انتقالا حقيقيا لاستيعاب هذه التكنولوجيات حتى وان تم تصنيع اجزاء غير دقيقة مثل جسم السيارة أو التليفزيون محليا حسب تصميمات المورد .. فكل هذه نسميها تكنولوجيا زائرة تبقى الخبرة والقدرة في يد المورد ويستمر اعتماد وتبعية المستورد واستنزاف موارده الى أبد الآبدين . وبعض الدول النامية تبقى في وضع التبعية هذا لضعف مواردها او لافتقارها الى الموارد البشرية المؤهلة من فنيين وعلماء وباحثين ....

والعالم العربي وعلى رأسه مصر فى وضع غريب وفريد فى هذا المجال لأنه فى وضع متدهور من حيث درجة استيعابه للتكنولوجيا المنقولة رغم أنه اكبــــر مستورديها ومستهلكيها بين الــــدول النــــامية ، ورغــــم أنه من أغنى هــــذه الدول فى المــوارد البشرية المؤهلة لاستيعاب التكنولوجيا حتى أن بعض دول مثل مصر تعتبر أن أنجح صادراتها هى العقول البشرية والايدى العاملة الماهـــرة التى تبنى القـــدرات والابعاد التكنولوجـــية فى العالم أجمـــع ٠

فقد استوردت الدول العربيةمنتجات تكنولوجية بمبالغ طائلة وصلت الى ١٠٠ بليون دولار سنة ١٩٨٢ اضــافة الى خدمات تكنولوجية وهندسية بمبلغ ٨ر١٠ بليون دولار وفى نفس العــام اصبح العالم العـــربى الشريك الاهم للدول الصناعية بين كافة الدول النامية حيث استوعبت السوق العربية ٤٤٪ من الصـــادرات التكنولوجية للدول النامية الصادرة من المانيا الغـــربية و٢٦٪ من اليابان و٣٣٪ من فرنســا و ٣٢٪ من بريطانيا و ٥٢٪ من ايطاليا و١٩٪ من الولايات المتحدة ومع ذلك استمر العالم العربى كمجرد مســتقبل للتكنولوجيا الزائرة ودون أن تنتقل اليه القـــدرات والخبـرات وازدادت تبعيته رغم النمو الكبير فى القدرات البشرية والذى سيصل العالم العربى الى تحقيق معدل لخريجى الجـــامعة يصل الى مليون خريج فى سنة ٢٠٠٠

ولعل ظاهرة الاعتماد على انشــاء المشاريع عن طريق التعاقد مع المورد الاجنبى تسليم المفتاح والتى انتشرت فى انحاء العـــالم العربي دليل على الاهـــدار للموارد القومية والاصرار على استنزاف الثروات مع استمرارية العجز والاعتماد على الغير والتبعية٠

وقد تأتى عن هذه السياسة أن بعض التكنولوجيات فى مجـــال استخراج وتصنيع البترول قد تم التعاقد لاستيرادها أكثر من مائة مرة وتكررت عشرات المرات فى نفس البلـــد الواحد رغم ما فى كل مـــرة من تكلفة عـــالية واستنزاف دام للموارد ورغم أن المثل العربى نفسه يقول ان التكـــرار يعلم حتى « الحمار » ولكن الدول العربية تثبت انه لا مجال لتعليم من يصر على عدم التعليم ٠

ولما كان كثير من الدول العـــربية غير البترولية تتراوح نسبة السكان ذوى الدخل الاقل من مستوى الكفاف بين ٢٥٪ الى ٤٠٪ والانفجار السكانى يصل الى اضافة ٣٪ سنويا لعدد السكان فان القيمة المضافة من تشغيل وسئل الانتاج هى طاقة النجـــاح الوحيدة المتاحة لحاضرها ومستقبلها ، واذا كانت التكنولوجيا الحديثة يمكن أن تسهم بحوالى ٩٠٪ من القيمة المضافة فان الدول التى تســـتمر على قبول التبعية والاعتماد على الغير لا تفقد فقـــط ما يزيد على ٥٠٪ من القيمة المضافة المحتملة بل تؤكد ابدية هذا الاهدار والعجز على أجيالها القادمة ٠

ومع ازدياد التطـــور التكنولوجى السريع وازدياد اتساع الفجوة بين المتقدمين والمتاخرين ســـيأتى الوقت قريبا حين يصبح التخلف ليس مجرد بلاء مرحـــلى ، بل سيصبح لازمة اجتماعية وسياسية تعلق فى رقـــاب المتخاذلين واللاهين على مدى المستقبل البعيد ٠



قضايا حيوية

أساليب الصراع الفكري (٢)

بقلم : طارق البشرى

تكلمنا فى عدد سابق عن الاوضاع العامة للجدل الدائر فى الساحة الفكرية وحاولنا ان نشير الى اسلوبين للجدل اولهما التسوية الفكرية ، والثانى الحرب الفكرية وبينا الاوضاع السياسية التى رجحت الاسلوب الحربى الان ونتكلم الان عن ادوات هذا الاسلوب .

قد لايتسع المجال للتفصيل الكثير فى بيان ادوات الصراع التى تفرضها الخصومة الفكرية على المتحاورين ، ولكنها على العموم تستخدم كل ما يعطى الانطباع بالقوة فى الجانب المؤيد وبالضعف فى الجانب المخاصم وكل مايجمع النفس ويشتت الخصم .. ولذلك فتقرير الواقع قد لا يكون نزولا على الوجود الموضوعى له ، ولكنه يصير ايجادا لمعدوم ، وانكار الواقع لايرد فقط بسبب عدم حدوثه ولكنه يرد بقصد اعدامه . ونحن هنا نتحدث

ونتعارك في مجال « افكار » والافكار كيانات معنوية غير ملموسة بالحس المباشر . ولذلك فان انكار الواقع او ايجاد المعدوم امور ليست شاذة ولا نادرة ، انما هى تجرى بالتاويل والتشكيل واعادة البناء الفكرى للاحداث والاوضاع .

فمن يريد ان يؤكد على مصرية مصر وينفى عروبتها واسلاميتها . ما عليه الا ان يجمع وقائع التاريخ التى حدثت فى مصر ويلم كل ماقيل عن مصر ويقيم منه بناء منفصلا عن غيره من الاحداث المحيطة ومع قليل من البتر والاضافة وكثير من التأويل تبدو الصورة مقبولة . والتاويل يرد بالطريقة الاتية ، اذا كانت العاصمة مصر والدولة ممتدة خارج حدودها المعروفة اليوم ، سمى هذا الامتداد ، « فتوحات مصرية » واذا كانت العاصمة خارج مصر لدولة تشمل مصر سميت مصر محتلة او مغزوة ، ثم لا نلقى بالا للفيصل الاساسى فى الموضوع وهو كيف كان المصريون ينظرون الى انفسهم فى تلك الفترات وهل كانوا يعتبرون انفسهم منتمين لجماعة سياسية خارجة عنهم ام انهم منضمون فى جامعة اوسع يرضونها .. وهكذا .

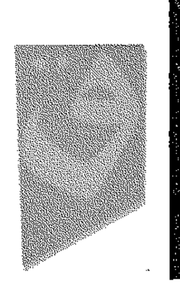
على اى حال فان مطالعة جوانب الحوار الذى دار خلال السنوات الاخيرة يمكن من استخلاص عدد من الوسائل والاساليب التى جرى بها القتال الفكرى ، ويمكن ان نقدم فى ذلك عددا من الامثلة .

اولا : فمن الاساليب المتبعة تحويل الفكرة المجردة الى فكرة مشخصة اى ربط الفكرة المجردة بمؤسسة معينة او بفرد معين او بحادث تاريخى او سياسى معين . ثم تضرب الفكرة فى مقاتل ما شخصت به . هنا لايقوم حوار او جدال من حيث هو اخذ ورد ولكن يقوم نوع من القولبة للفكرة فى كائن ملموس ، كما لو انها مارد يزم فى قمقم وينهال الضارب على القمقم بكل ما يملك ان يوجهه اليه من مطاعن ومايمكن ان يكشف عنه فيه من عثرات وسلبيات وفشل .

ان الفكرة المشخصة دائما ايسر فى الطعن عليها ، وانت لا تصنع هنا اكثر من ان تقربها بمؤسسة ماطبقتها او اخذت بها ، او شخص دعا اليها فى ظروف ما ، يقوم الربط بطريق التكرار الذى لا يمل حتى يقوم الترادف النفسى بين الفكرة ومشخصها ، وحتى تبدو كما لو ان ثمة صلة غير منفكة بينهما ، وما ان يحدث هذا الترابط حتى يكون تم لك نجاح اكبر ضد هذه الفكرة ، نجاح فى مجالات ثلاث : ١ ـ تكون حملتها (وهى فكرة مجردة) كل اوزار مؤسسة معينة او كل نواقص فرد معين واسقطت عليها من هذه المثالب ماعساه لايمت بصلة الى الفكرة ذاتها .



٢ ـ تكون بالقليل قد جردتها من مثاليتها ، وافسدت عليها قوة جذبها المثالية .



٣ ـ تكون بالاقل قد نسبتها الى ظرف تاريخى زمانى او مكانى او نسبتها الى وضع حادث قد لا يتكرر ، اى تكون قد افسدت على الفكرة قدرتها على توليد النموذج القابل للتكرار .

وهذا يعفيك عن مناقشة الفكرة والعرض لمحاذير ذلك ان كان ثمة محاذير يريد المخاصم ان يتفاداها ، ويكثر ذلك فى مناقشة الافكار ذات الصلة بالدين ، لما فى هذا الامر من محاذير لاتخفى . ثم ان قولبة الفكرة فى كائن شخص يتيح لك ان تتعامل معها عن بعد ، اى ان تعزلها عن مجالات التأثير عليك وانت تتعامل معها ، ويضمن لك الا يتسرب اليك من موادها وعناصرها شىء مما يمكن ان يتسرب اليك اذا تناولتها اخذا وعطاء ، اى انها طريقة تعصمك من اشعاعات الفكرة التى تحاربها .

● فكرة الجامعة الإسلامية

ويكثر استخدام هذا الاسلوب فى قضايا السياسة والفكر السياسى ، عندما تتميع الفروق بين الفكرة السياسية وبين المؤسسة السياسية ، نظاما كانت او زعيما ، او عندما تجسد فى تجربة تاريخية لنشاذ ملموس . واحيانا نضبط الكاتب وهو يفعل هذه الفعلة بطريقة المخالسة فيتكلم مثلا عن الشريعة الاسلامية ثم ينتقل فى الجملة الثانية لقوانين جعفر نميرى فى السودان ، ثم ينصرف بجهده كله للحديث عن « نميرى » وسنوات حكمه الاخيرة .

وعلينا ايا كانت مشاربنا الفكرية ان نحذر هذا الاسلوب وان نتنبه الى عمله فنيا كيف نستخدمه وكيف يستخدمه الغير معنا . وذلك اذا كنا نريد ان نقيم « تسويات » فكرية وليس حربا فكرية ، اقول ان هذا الاسلوب يستخدم ضد فكرة الجامعة الاسلامية بتشخيصها فى « الدولة العثمانية » واستخدم ضد الشريعة الاسلامية بتشخيصها فى « تجربة نميرى » واستخدم ضد العروبة بتشخيصها فى جمال عبد الناصر ، واستخدم ضد الاشتراكية بتشخيصها فى التجربة « السوفييتية »

ومن اخطر صور التشخيص بطبيعة الحال واكثرها ذيوعا واشدها فتكا ، استخدام الفنون والاداب فى طعن الافكار وشدة الفتك ترد هنا لان التشخيص لا يجرى بين فكرة ومؤسسة ورجل حى موجود . ولكنها ترد بين فكرة ورجل مصنوع مختلق ، يسويه المؤلف حسبما ترضى نفسه ويهوى ، اى حسب مجموعة القناعات والقيم والاصول التى تحكم نظرته ، بمنهج تفكيره وسلوكه ، ولعلنا نذكر

ماذا صنعت السينما والمسرح فى الثلاثينيات والاربعينيات . ماذا صنعت لتسوية صورة ابن البلد وصورة الشيخ المعمم الازهرى . وعليه صورة الافندى المطربش الذى تربى فى المدارس الحديثة ، الاول عادة فظ وشهوانى ومتمرد ، والثانى عادة فاهم ودود تكتمل فيه حميد السجايا .

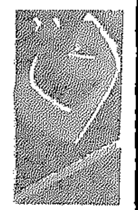
وفى هذا المجال يرد الجهد الاعلامى باعتباره من اسلحة الدمار الشامل بما يقيمه من روابط لتشخيص مايرى محاربته من الافكار

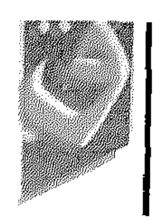
ثانيا : ومن تلك الاساليب المتبعة ايضا ، تحريف الفكرة ، اى تعديل الرأى الذى ينقده وهو ينقده ، فلا يؤخذ القول كما هو انما يجرى تعديل هيئته وصورته او انه يزحزح عن موضعه فيقرب او يجنب ليصير فى مرامى القذائف الفكرية للناقد ، وليكون فى نقطة التصويب التى تقدر عليها اسلحة الناقد من الموقف الذى يتخذه .

وللإنصاف فإن الناقد يصنع هذه الزحزحة احيانا بحسن نية . ان تفكيره يقوم على تصنيفات وضوابط تحددها قناعاته وقيمه واصوله الفكرية ، وان قناعاته تكون له مع الوقت خريطة فكرية وتكون له منظورا للاشياء من وجهة معينة ، وانت عندما تعرض فكرتك عليه ولا تتقيد بتصنيفه وخرائطه ومنظوره ، فهو بطريقة تلقائية ، يحرك فكرتك ويعدل من هيئتها حتى يشعر هو انها مستقرة لديه على وضع محدد ، يفعل ذلك فى نظر نفسه لكى « يفهم » ، ولكنه عندما يصنع ذلك تكون فكرتك قد تغيرت على يديه فلا تصبح هى نفسها التى قدمتها انت . وهنا يسهل عليه اعمال ادواته الفكرية والمنهجية فيه ، ويستدعى له من اسلحته ما اعد سلفا لمثلها ، اى يقدم ادواته واسلحته النمطية بمعنى ان يجنح لتنميط افكارك حتى تصلح لها انماط ردوده سابقة التجهيز .

هناك ادوات كثيرة تستخدم فى اعمال هذا الاسلوب . بعضها فج وبعضها مستو ومن الفج نزع القول من سياقه ووضعه فى سياق اخر ، وكذلك استخدام التفسير والتأويل فى تكوين المعانى ، واستحداث ظلال لها ، وايحاءات لم تكن تحملها اصلا ، ومن الفج ايضا تسليط الضوء على بعض أجزاء الفكرة دون غيرها ، فتبدو فى صورة اخرى ، فاذا كانت فكرتك ان تضيف عنصرا الى عناصر ، عولجت اضافتك على انك لا تضيف وانما تستبدل المضاف بالمضاف اليه ولا تجمعه عليه فاضافتك لعنصر مبتكر تصور لدى ناقدك انك تنكر العناصر الاخرى المعترف بها ، ومن ذلك انك مركز على عنصر معين بحسابه الاهم فى ظرف معين ، فيحور كلامك بحسبانك العناصر الاخرى جملة .

وهذه الطريقة فعالة جدا فى اقرار المفاضلة بين المتحاورين لان الامر يصير إما كذا وإما كذا ، إنه يصير ابدالا وإخلالا وانكارا من كل لما لدى الطرف الاخر ، او هكذا يصور ، وهكذا تضيع امكانية التجميع وتتشتت الفكرة ويتوزع دمها بين المحاربين .





هذه الادوات معروفة وليس من دارس الا وصادفها فى حوار حدث او معركة فكرية اثيرت ، وليس من باحث آلا وقد عانى منها ولو مرة ، وقد لا تحتاج فيها لأمثلة . على ان ثمة نقطة اخرى تبدو لى ذات خفاء نسبى ، وهى ترد استطرادا من المعنى السائد وارجو ان أستطيع تجليتها فى هذه العُجالة ، وهى ان اى تعبير عن فكرة نبديها ، انما يحمل طابع المجادلة ، وانه اخذ وعطاء ، بين كاتب وقارىء ، اى كاتب عندما يعبر عن فكرته انما يتصورها خطابا موجها لقارىء ما ، اى لقارىء له مواصفات خاصة يراها فيه الكاتب او يفترضها فيه ، وهو يخاطبه بهذه المواصفات التى يخالها ، وان الخطاب والتعبير عن الفكرة انما يتأثر ويتلون بهذا الذى ظنه الكاتب فى قارئه ، ويبدو ذلك من اسلوب طرح الموضوعات وصياغة الافكار ، والكاتب بهذا يوجز فيما يظنه موضع اتفاق بينه وبين قارئه ويسهب فيما يظنه موضع خلاف ، وان مساحات التركيز على عناصر الفكرة لا يرد فقط من التقدير الموضوعى ولكنه يتأثر عادة بعلاقات الجدل التى تقوم بين الكاتب وقارئه من حيث اوزان النسبية للمسلمات المجحودات بينهما .

ولذلك فان نقل الفكرة ولو بتمام لفظها ونصها من مجال حوارى جدلى الى مجال اخر تختلف فيه الاوزان النسبية للمسلمات المذكورات ، هذا النقل يمكن ان يفضى الى سوء الفهم بهذه الفكرة فى المجال الجديد ، ويمكن ان يخل بتوجيهاتها وبالوظائف الرئيسية التى قصدت منها وهذه مسألة دقيقة تحتاج الى تدبر وفطنة وورع فى الفهم والتفهم ، واكاد اجزم انه مامنا الا وواقع فى الخطأ احيانا بسبب هذا الامر .

وعلى اية حال فاننا بهذا الاسلوب لانقيم علاقة حوار لان كلامنا انما يصارع غير الرأى المعروض ويكون الحوار فعلا حوار طرشان ، ضجيج ، ولاطحن ، وهو ضجيج يشيع مع الوقت المزيد من السأم والكراهية المتبادلين والتفتيش عن اساليب اخرى للصراع غير صراع الكلمات والافكار .

ثالثا : ومن هذه الاساليب ، التشتيت واهم صوره الفكرية ، تشتيت الواقع بمعنى تشتيت فكرتنا ورؤيتنا للواقع ، وكذلك تشتيت الافكار والمفاهيم اى ايقاع التضارب بين اجزاء الفكرة .

اما عن تشتيت الواقع او رؤيتنا للواقع ، فهناك مثلا الجماعة الاسلامية شعوب تنتشر فى بقعة عريضة من الارض من مئات السنين تدين بدين واحد ، وايا كانت الفترات التى تحقق لها فيها التماسك السياسى الكامل فى دولة واحدة ، فان عقيدة هذه الشعوب تتضمن نزوعا وتشوقا الى التوحيد والتماسك والشعور بالانتماء العام لجماعة واحدة هذه رؤية .

ولتشتيت هذه الرؤية يمكن اثارة العوامل المميزة داخل هذه الجماعة لتفرق

بعضها عن بعض ، فتظهر مجموعة قوية من الكتابات والافكار عن الوحدات اللغوية والعرقية وغيرها ، ثم يرد عنصر تشتيت اخر بالحديث عن « تعدد الاسلام » فيقال اسلام مصرى واسلام افريقى واسلام اندونيسى ، واسلام الحضر واسلام الصحراء ، واسلام الريف واسلام المدينة ، والاسلام الشعبى والاسلام الرسمى ، ثم بعد ذلك اسلام المذاهب المختلفة ، السنة والشيعة والخوارج والمعتزلة والصوفية .. الخ ويجرى كل ذلك بابراز الجزىء والمتغير وكبت العام والدائم من الاصول . وباسم الخصائص المميزة توضع الحواجز الفاصلة .

● عوامل تخصيص

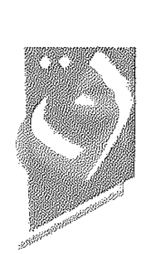
ثم ترد المرحلة الثانية من تشتيت الواقع ، اذ يتناول كل قسم انفرد وتعمل فيه ادوات التشتيت فالعرب يقسمون الى مسلمين ومسيحيين وبدو وحضر ، وهكذا توضع عوامل التجمع فى وضع يجعلها عوامل تشتيت وتفتيت بين بعضها البعض ، وتتحول الخصائص العامة المجمعة الى عوامل تخصيص وتجزىء ، بالتبادل والتفاعل ، ثم ترد المراحل التالية بما لايكاد ينتهى .

وهذا الاسلوب يستخدمه كثير من التيارات الفكرية ضد الاخرين . فهناك من يقول بتعدد الاسلام ، وهناك من يقول بتعدد الماركسيات ، وهناك من يقول بالشعوب الناطقة بالعربية اى تعدد العروبيات .

اما تشتيت الفكرة ، فيكون باثارة التناقض بين جزئياتها والتركيز على ذلك بما يفقد الثقة فى هذه الفكرة ويحولها من حالة الصلابة والتماسك الى حالة من لطف الكثافة اشبه بالضباب ، كما يحولها من اليقين الى حالة من اللاادرية . ثمة منهج يشيع بين المثقفين ، مفاده ان كل ظاهرة تحمل نقيضها ، والحى يخرج من الميت والليل يسلخ منه النهار ، وبضدها تتميز الاشياء ، هذا المنهج الذى يساعدنا فى فهم الظواهر ، يتحول فى الحرب الفكرية الى تمويه الظواهر وافساد خصائصها وسماتها الاساسية ، فعندما نتكلم عن الموروث والوافد لان ثمة مشكلة بينهما ، تواجه ممن ينكر المشكل اصلا قائلا ان فى الموروث وافدا وفى الوافد موروثا ، وعندما يتحدث عن الاصول والفروع فى اية مسألة ، تواجه بان فى الاصول فروعا وفى الفروع اصولا ، فكل اصل لغيره وفرع من غيره ، وهذا بالطبع مفيد ان قصد منه ان تصير معارفنا ادق ، ولكنه يستخدم فى الحرب ، الفكرية لا لتدق المعرفة ولكن لتتضارب الخصائص ويعظم التمويه ، ويبذل الجهد لتضخيم العنصر المضمر وتلطيف العنصر الظاهر حتى يتداخلا فى اللاادرية بديعة (البديع بلوغ الغاية فى الامر خيرا كانت او شرا) .

هناك مايمكن ان نسميه كيمياء التفتت وهى هذه العناصر الفكرية التى توضع فى لحظات خاصة على الاجسام الصلبة فتفسد قوامها وتشيع التضارب بين اجزائها وتفكك أشلاءها ، فبين المسلمين مثلا يمكن باختيار العنصر المناسب





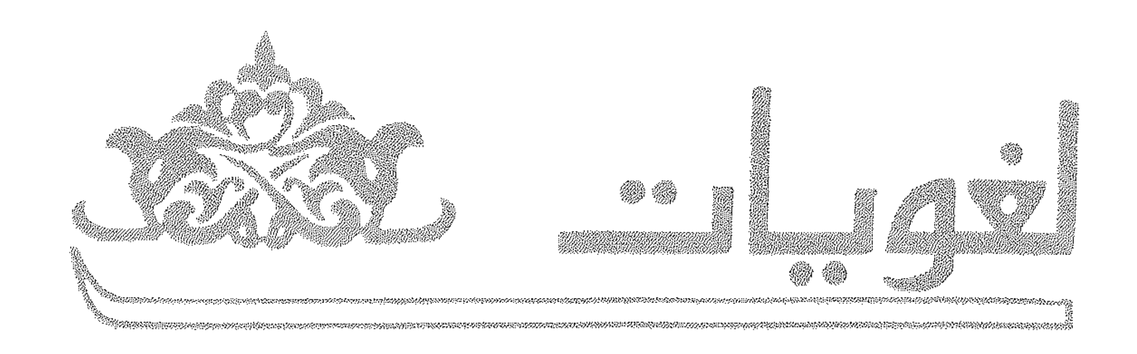
والظرف المناسب اشاعة الفرقة بينهم ، في لحظة معينة من التماسك الاسلامى الدولى يمكن ان يثور موضوع « حكم سب الصحابة » وينفخ فيها النافخون حتى يحمر الجمر بين السنة والشيعة ، وبين الفئات الوطنية التى كانت تقف ضد كامب ديفيد ، يثور موضوع حقوق المرأة فى عقد المرأة العالمى مع مشكلة مسكن الزوجية وتوثيق العقد فتحمى الوطيس ومع الحرارة يذوب اللحام وهكذا .

ولكن كيمياء التفتت هذه تحتاج لمعامل للتحليل وتركيب المواد وتجربتها ، فتحتاج لفهم جيد لخصائص الاجسام الصلبة وقوى التماسك ، وتحتاج لفحص دقيق لخصائص المواد المحللة وتحتاج لبعض حقول التجارب ، وكل ذلك توفره مراكز البحوث الاجنبية التى تقوم بالداخل او الخارج والتى يساهم فيها علماؤنا بذكائهم وخبراتهم .

على اية حال ، فان هذه العناصر المصطنعة التى تشتت الوقائع وتشتت الافكار ، قد نظن انها تفعل ذلك على سبيل التأقيت ، بموجب انها عناصر مصطنعة ولدت خداعا مانلبث ان ننتبه له فنعيد الامور الى صوابها . هذا ظن طيب يعكس ما فى الواقع من تفاؤل . ونحن نتمنى دوام الحال على هذا المنوال .

ولكن للاسف ليس هذا الاحتمال المتفائل هو الاحتمال الوحيد ، لان الحاصل انه ما ينتج التشتت والتجزؤ ولو بفعل عنصر مصطنع . ولو بفعل الخداع والغش فان اجزاء هذا الواقع المشتت ماتلبث ان تتكون لكل منها ذاتيته المستقلة المنفصلة عن غيره من الاجزاء ، ومع هذه الذاتية يحل التدابر محل التقابل وتنمو نوازع النفوز على حساب نوازع الوحدة ، ان اكتشاف الخطأ بعد تمامه يعنى القدرة على تداركه لان الواقع الجديد الذى ترتب على هذا الخطأ انما نشأ ومعه اجهزة المناعة التى يحتمى بها ويدافع عن وجوده . شاهدنا ذلك فى تجزؤ الدول والجماعات السياسية والتنظيمات الشعبية ، ما ان تحدث التجزئة حتى ينشأ كيان تنظيمى جديد يحمى الواقع المجزأ ويدافع عنه ، وهذه الذاتية التنظيمية تنعكس ذاتية فكرية تؤكد ذاتها وتتأثر بانفصالها الحاصل . والمميز التنظيمى لايكون انعكاسا للمميز الفكرى فقط ، بل انه يؤكد التميز الفكرى وقد ينشئه انشاء .

وهنا نتذكر حكمة مالك بن نبى رحمه الله ، ان « خلق وحدات كفاح جزئية » او تشتيت التجمع الكفاحى العام وايجاد جزئية بديلة عنه ، فان ذلك يفقد المعارك قداستها فى نظر الناس ، لان الوحدة الكفاحية العامة هى ما يقوم بها الشعور بقداسة الحركة الكفاحية فان تمزقت اشلاؤه سقطت القداسة عنها جميعا ، وحل محلها انحطاط فكرى وسياسي .



● تقول العامة فى وصف الرجل المتكبر انه « جعيص » ·· وهى كلمة محرفة عن كلمة « جعيس » الفصيحة ··

● يكتب بعض الادباء : « باقة من الورد » ويكتب بعضهم الآخر : « طاقة من الورد » ·· والباقة حزمة البقول ، والطاقة حزمة الازهار أو الريحان ، فهى الاصح : ولكن كلمة « الطاقة » تستعمل الان فى معان أخرى حديثة فلا بأس من تخصيص « الباقة » بالورد والزهر ··

● يقول لاعبو كرة القدم : « فلان دألج الكرة » أى حركها ، وأصل « دالج » فى اللغة العربية « دعلج » ··

● كلمة « دغرى » التى تقال للرجل ذى الخلق المستقيم وتنطق دالها بالضم. اصلها « دغرى » بفتح الدال ··

● عندما ينزل المطر وتبتل الارض يقول الناس : « صارت الارض زحليقة » وفى اللغة الفصيحة : « زحلوقة » بضم الزاى ··

● عندما كان عسل القصب شديد الوفرة فى صعيد مصر قبل أربعين عاما كان يطلق عليه لفظ « قنديد » بكسرالقاف،و « القنديد » كلمة فصيحة ، معناها « عسل القصب » ·· ويبدو أن المتنبى كان متأثرا بوفرة انتاج العسل فى مصر قبل الف سنة عندما قال : « ان المنية عند الذل قنديد » ·· أى أن الموت يحلو كالعسل فى سبيل درء الذل ··

● يستعملون كلمة « طشاش » فى صفة الشىء القليل ، فيقولون « الطشاش ولا العمى » أى القليل من البصر أفضل من العمى ، وكلمة « طشاش » هذه عربية فصيحة وتنطلق كما ينطقها العامه ·

● كثر استخدام كلمة « عتريس » فى أفلام السينما والتليفزيون ، اسما لبعض شخصيات هذه الافلام ، وينطقونها بفتح العين ، وهى كلمة عربية تنطق بكسر العين ··

● يقول العامة : « فلان فحت الارض » فيقول لهم المتأدبون : هذا خطأ ، والصواب : « حفر الارض » ·· ولكن العامة لم يبعدوا عن الصواب كثيرا ، لان « فحت » بالتاء محرفة عن « فحث » بالثاء ، فيكون الفرق بين الخطأ والصواب نقطة واحدة ، فالتاء نقطتان والثاء ثلاث ··

بين عينيك وافتراقك

شعر: سليم الرافعي - لبنان

يابيانِي عُدْ الى الظل ونَمْ
ياحنيني .. كيف أحكيك بفَمْ ؟
ياشكوكَ الورْد في أشواكه
شفةٌ لا وَعْدَ .. والأخرى نَعَمْ
مزَّقتنِي كلماتٌ لم تُقلْ
عَبِثتْ بي ربةٌ لا تُتَّهمْ
فِي لغات الصمت .. مَنْ يحذِقُها ؟
شَعْرها يُفصحُ والهُدْبُ نَغَمْ
لم تقلْ شيئاً ولم تكذبْ سوى
كهرباء الوعْدِ سالتْ من قَسَمْ
أين أشباحٌ كبارٌ خطَرتْ
من رواسي هيكلٍ أوْ مِن هَرَمْ ؟
وبناءٌ مرمريٌّ ما هوى
حَجَرٌ منه ولا اهتزتْ قِمَمْ
حَمَلتْهُ ذكرياتُ حوكمتْ
أومأ الظالم فيها .. وابتسمْ
حاكماً كنْ أيها القدُّ ولا
تلتفتْ الا بغُنْجٍ للحكَمْ
نُظمَ الورْدُ لِخدَّيك فهلْ
بُرْغُما نهْديك من عاجِ نَظَمْ ؟



حـرَّك الـغـابـة مِـنْ أعـمـاقـهـا
بـيـن عـيـنـيـك افتراسُ لـم يَنَمْ
مِنْ سِـبـاعٍ نـحـنُ مِنْ أجـنحـةٍ
مِـنْ يـنـابـيعَ عـلـى لحـمٍ وَدَمْ
وحَّـدتـنـا قُـبـلـةٌ وحشيَّةٌ
جَـسَـدانـا جَـوْهرٌ فيها انبْهَمْ
عـالم الأجـزاءِ فـى الحـب انـطـوى
وَجَـبَـلـنـاهُ عـلـى الـمـاءِ فَتَمْ
ياشـظـايـا الـوردْ فِـى مـلـحـمـةٍ
عطَّـر النـارَ شـذاهـا فـى حُـمَمْ
قـبـلتـانـا عُـنْصـرانـا .. ما ارتـوى
أَحَـدٌ دونَ شِـفـاهٍ أوْ نَـهَمْ ..

ياسيّاف!

قراءة في أدب الخوف والخائفين

بقلم: فريده مرعي

«صرخت: لا من شدة الألم لكن
صدى صوتي خاف من الموت
فلرتد لي: نعم»

ليس المقصود بالخوف هو ذلك الخوف العام الذى يصيب البشرية جمعاء كالخوف من الحروب والامراض والاوبئة وكوارث الطبيعة • فهو خوف يشحذ الهمم ويدفع الى الخلق والابتكار• وليس المقصود ايضا ذلك الخوف الخاص الذى يصيب فرداً دون فرد كالخوف من الاماكن المرتفعة والغرف المغلقة أو الاماكن المظلمة وهو خوف استطاع الطب النفسى عن طريق التحليل النفسى والعودة الى احداث الطفولة والعقاقير أن يتحكم فيه ويسيطر عليه • ولكن المقصود هو ذلك الخوف الذى يصيب شعوبا بعينها ـ نتيجة لتراكم سنين طويلة من القهر والقمع ـ فيفقدها توازنها ويشوه شخصيتها ويشل ارادتها ويجعلها عاجزة عن اخذ أى قرار • وبذلك يكون الخوف مثل المطرقة التى تهوى على أوتار القلب تنزعزعه • مثل مارد قاهر كاسح قادر على أن يحيل الانسان الى ركام فيتحول فى لحظة الى شيء هلامى بلا ملامح ولا هوية أو مضمون ويصبح الخوف كالاخطبوط الذى ينسج حول الانسان خيوط المذلة والاستكانة •

وقد تميزت شعوب العالم الثالث بهذا النوع من الخوف فهى شعوب قد فقدت احساسها بالامان والطمانينة والثقة فى عدالة الحكام • هى شعوب تعلم فى قرارة نفسها وبتجربتها الخاصة أن الشجاعة لا تفيد وأن الخوف منجى وأن ايثار السلامة فى قول نعم ولان معظم

شعوب العالم الثالث تعاني من قهـــر السلطة وبطش الحكام واختفاء المواطنين والمقابر الجماعية والتعذيب في السجون، حيث يعلم المواطن أن القانون حبر على ورق والدستور في أجازة والعـــدالة رفاهية لا يقدر عليـــها الا الموسرون ، ووسائل الاعلام قد تحولت الى وســائل الاذعان (على حد تعبير الشاعر أحمد مطر) ، فان المواطن قد انتابته حـالة من الهلع الدائم وأصبح الخوف جــزءا من حياته اليومية ومن تركيبتــــــــه الشخصية ٠

وقد قدم الادباء والفنانون في أدبنا العربي المعاصر العديد من النماذج التي يسيطر عليها الخوف ويتحكم في سلوكها فردا كانت أو جماعة ٠ فالشاعــــر العراقي أحمد مطر يتحدث في ديوانـه « لافتات » عن مناخ البطش الذي يعيش فيه المواطن العربي ومن ثم حالة الخوف التي تكتسح الانسان فتزلزل كيانه الى الحد ان تخاف نفسه من نفســه ٠ ففي قصـــيدته « دوائــر الخـوف » يقـول في زمن الاحرار ٠

أصابعي تخاف من اظفاري
دفاتري تخاف من اشعاري
ومقلتي تخاف من ابصاري

وفي مقطع آخر من نفس القصـــيدة يقول : أهرب من خوفي على خوفي الى خوفي ٠

اركض والموت على خفي
يد الردى على يدي
يد الردى قبالتي
يد الردى خلفي
تحولت خريطة الارض الى سيف
ملطخ بالدم والخوف

وهو في ديوانه ينصح ويحذر« ولا تدع نفسك تدري بنواياك الدفينة وعلى نفسك من نفسك حاذر » ٠

أما الكاتب السوري سعد الله ونوس فقد طرح في مسرحيته « الفيل يا ملك الزمان » قضية الخوف عند الرعيـــة ٠ فحين يترك الملك مطلق الحرية لفيله أن يجوب في انحاء المدينة دون ضابط أو رابط تتحول الحياة الى جحيم ولا يعد هناك أمان على رزق أو حياة فالاطفال يداسون في الطرقات والبيوت تهـــدم وأرزاق الناس تضيع والزرع يخرب ٠ يتقدم زكريا باقتراح الى سكان المدينة٠ أن يذهبوا لمقابلة الملك وأن يشرحوا لـه ما يحل بهم ويرجونه أن يرد أذى فيله عنهم ٠ ولكن السكان أو الرعية يتملكها الخوف ويقول أحدهم : ومن نحن حتى نتحدث مع الملوك ؟ ٠ يحاول زكريا أن يشرح لهم أن الحياة أصبحت لا تحتمل ولا تطاق « ما الذي يمكن أن يخيفنـــا أكثر من هذا البلاء المقيم ؟ ٠ التهـديد كالسيف فوق رءوسنا والضحايا تتزايد من يوم الى آخر » ٠ ويحاول استنفارهم فيقول « من يريد أن يكون ابنه الضحية الآتية ، يلمه من الطريق بلا هيئة؟ ٠٠٠ وأرزاقكم ايستوى عندكم خرابها ؟ » ٠

وأخيرا يوافق السكان على مقـابلة الملك والشكوى اليه من الفيل على اعتبار ان الشكوى اذا لم تنفع فانها لن تضر٠ ولكنهم من اللحظة التي يصلون فيـــها الى أبواب القصر يبدأون في فقـــدان توازنهم فأحدهم ترتخي ركبتــاه والثاني قلبه يدق والثالث رأسه يدور ٠ وعبثـا تذهب تشجيعات زكريا بأن يضـــبطوا أعصابهم وأن من حق الرعية أن تقـابل

ياسياف!

ملكها ادراج الرياح • ويبدأ السكان فى تخويف أنفسهم فيرون فى وجوه الحراس القاسية معانى كثيرة فيعلق أحدهم : الحراس قساة، ينتظرون اشارة وتسقط أعناق ، ويعلق آخر : القتل عندهم أهون من التثاؤب • وتظل حالة الخوف يرتفع معدلها حتى اللحظة التى يواجهون فيها الملك نفسه ، فاذا بالملامح تتجمد ويتحول الخوف صامتا باردا ، الجميع خافضو الرءوس ، زكريا فى طليعتهم ••يجرون خطوات ثقيلة ، ينحنون الى أقصى حدود الانحناء ، ثم لا يجرؤون على النهوض بعدئذ ويسأل الملك : ماذا تريد الرعية من ملكها ؟ وتكون الاجابة « صمت ثقيل • لا اختلاجة ولا حركة مجموعة من الاجساد المقوسة اليابسة » •

ويسأل الملك مرة أخرى : مم جئتم تشكون ؟ • ويتجرأ زكريا قليلا ويبدأ فى الشكوى بصوت راجف : الفيل يا ملك الزمان •• ، ويتبعه صوت راعش من المجموعة يحاول اكمال جملة زكريا قتـ •• « ثم يختنق الصوت ،ويتلفت صاحبه حوله بذعر » • وهكذا تموت الشكوى فى مهدها ، وعبثا يحاول زكريا دفعهم للخروج عن صمتهم ولكنه حين يكتشف انه ينفخ فى قربه مقطوعه يتفرس فيهم باحتقار ويأس ولا يجد مناصا من اكمال مهزلة الذل وبدلا من أن يقدم شكوى من الفيل الذى يخرب ديارهم يقدم مطلبا بتزويج الفيل « كى تخف وحدته ، وينجب لنا عشرات الافيال ، مئات الافيال ، الاف الافيال، كى تمتلىء المدينة بالفيلة » •

أما الروائى **صنع الله ابراهيم** فى روايته اللجنة ، فقد عبر عن الخوف الذى يجعل الشخصية تقول ما لم تكن تنوى قوله وتتصرف بطريقة تدهش صاحبها نفسه • فالبطل حين قتل أحد أعضاء اللجنة (القتل فى حد ذاته كان قمة الخوف) وذهب لمقابلة اللجنة والدفاع عن نفسه كان يعلم مقدما رأى اللجنة فيه وانه ما من سبيل لاثناء اللجنة عن عزمها تجاهه فاعد دفاعه على صورة اتهام موجه الى اللجنة واختار له كلمات قوية « فما دامت النتيجة محتومة ، فلا بأس من الاحتفاظ بكرامتى ومواجهة المحتوم فى اباء وشمم » • ولكنه لم يكد يواجه اللجنة ويستمع الى كلمات رئيسها « حتى تبخرت صلابتى ، وخرج صوتى مهتزا ضعيفا ، وأنا الذى خططت له أن يدوى القاعة ثابتا ، شامخا ، اتهاميا »وهكذا وعلى غير ما توقع « صوتى مهتزا بكلمات غير التى كنت قد أعددتها » •

نفس نموذج الشخصية التى تفكر بطريقة ولكنها ساعة الجد تتصرف بطريقة مخالفة قدمها الروائى ابراهيم اصلان فى روايته « مالك الحزين » • فيوسف النجار الكاتب رغم انه ينزل الى الشوارع ويجلس على المقاهى ولديه الفرصة للاحتكاك بالآخرين ورؤية الاشياء فى وجهها الحقيقى فانه حين يكتب لا يكتب عن جوهر الاشياء ولكنه يميعها ويكتب عن مظهرها الخارجى • ورغم انه لا يتحدث عن الخوف ولكنه يتحاشى الكتابة بطريقة تعرضه للمساءلة

أو للخطر وهو حين يكتب عن المظاهرات لا يكتب عن سبب المظاهرات ولكنه يكتب عن الذين يتفرجون على المظاهرات وعن طلاء اللافتات الذى ما زال طريا ، ورغم غضب يوسف النجار من نفسه لسلوكه هذا المسلك الى حد انه لعن نفسه الا أن الخوف الخفى الذى يعشش داخله أفقده القدرة تماما على المواجهة ·

***

أما الكاتب الساخر جمال عبدالمقصود فقد قدم فى مسرحيته « الرجل الذى أكل وزة » نموذجا للخوف الذى حرم الناس من قول أبسط الاشياء · فكل شىء مدان وكل كلمة لابد وأن يكون لها معنى غير ما يعنيه صاحبها ، وكل تصرف يأخذ أبعادا تمس أمن الدولة حتى الحلم · وفى وسط هذا القهر والارهاب تصبح جملة مثل « الدنيا حر » تجعل صاحبها « يصيف فى أبو زعبل » لانه يتكلم فى السياسة وسكة السياسة دى « بحرها واسع وغويط مالوش قرار ، وياما ضيعت ناس وياما قفلت بيوت » ·

وحين يعترض محمد : أنا جبت سيرة السياسة خالص ·· ده أنا باقول الدنيا حر · يجيبه زميله العاقل خميس : ما هى بتبتدى كدة يا محمد ·· دلوقت مش عاجبك الجو كمان شوية ما تعجبكش حاجة تانية والشيطان يغويك· يا محمد اكبت النزعات دى يا ابنى عشان مستقبلك ·

ويتدخل زميلهم الثالث على فى الحوار محاولا اقناع محمد : انت شايف الناس فى الشارع أهم حد بينطق ؟ · يبقى الراجل يفصل منك اتنين وشنبه قد مساحة التربية وماشى كاشش زى الفرخة البايضة · بالذمة الطريقة دى يا ابنى · ويضيف خميس : التواضع حلو برضه يا محمد ، ايه لزمة الفلسفة؟ الراديو قال الجو معتدل يبقى خلاص متنيل معتدل ، ده كلام رسمى يا ابنى، ليه تدخل نفسك بقى فى اشكالات وتشحطط أهلك وراك ؟

واذا كانت هذه النماذج وغيرها كثير التى قدمها أدبنا العربى المعاصر للتعبير عن الشخصية الخائفة التى هى افراز مجتمع مقهور فالواقع أن الخوف غير مرتبط بزمننا الحاضر · ولابد أن أدبنا العربى القديم يحتوى أيضا على العديد من نماذج الخوف المرتبط بقهر السلطة·

ويكفى أن أحد أهم الشخصيات فى تراثنا العربى القديم كان شخصية السياف · فلا يكاد يخلو أى عمل أدبى من هذه الشخصية · ولم يكن هناك فى أى قضية حاكم ومحكوم الا وكان السياف ثالثهم يحسم الموقف دائما لصالح الحاكم ضد المحكوم· وشخصية السياف رغم أنها شخصية ربما لا تنطق بأى كلمة ولكنها كانت رمز القمع وأداة الارهاب · وكان يكفى أن ينادى السلطان : يا سياف ·· حتى ترتعد فرائص الناس ويعلم المواطنون أن هناك رءوسنا قد أينعت وحان قطافها دون أن تتاح لها الفرصة للدفاع عن نفسها ·

ولعل أحد أهم أسباب الخوف فى تاريخنا البعيد والقريب هو سيف البطش المسلط دائما أبدا على رءوس العبيد أو بمعنى أدق هو قصر المسافة أو انعدامها بين عنق المواطن وسيف السلطان ·



حين وافت المنية «دون خوزيه مونتييل» احس الجميع - الا امراته - بأن المقادير قد اقتصت لهم منه • على ان من الناس من لم يصدق انه مات بالفعل الا بعد ساعات من سماع الخبر • ولم يبارح الشك نفوس الكثيرين حتى بعد ان رأوا جثته في غرفة الموت محشورة وسط المخدات والملاءات الكتان داخل نعش اصفر وقد تحدبت هيئته كالشمامة • لقد حلقت ذقنه بعناية والبسوه بدلة بيضاء وحذاء لامعا • وكان حسن البزة وجيها بدرجة تجعله لا يبدو اقل حياة مما كان في اي وقت مضى • كان نفس «دون شيبي مونتيل» الذى كان الناس يرونه ايام الاحد وهو يستمع في الكنيسة الي قداس الساعة الثامنة مع فارق واحد هو انه لا يمسك الان في يده سوطا بل صليبا • وكان لابد من دق المسامير في غطاء النعش ومن وضع النعش في مقبرة الاسرة الفاخرة ومن سد المقبرة عليه لكي يقتنع كل من في المدينة بأن مونتييل لم يكن يتظاهر بالموت •

وكانت عجيبة العجائب عند الجميع - باستثناء زوجته - بعد الدفن هي أن خوزيه مونتييل مات ميتة طبيعية • ورغم ان الكل كانوا يتوقعون ان يلقى هذا الرجل حتفه صريعا برصاصات من كمين منصوب تستقر في ظهره، فان أرملته لم يكن يخالجها شك في انه حين تجيء ساعته سيقضي نحبه من كبر السن على فراشه بعد ان يعترف للقسيس ودون ان يعاني من سكرات الموت كانما

هو قديس عصرى . وقد صدقت نبوءتها الا فيما يتعلق ببعض التفاصيل فمات خوزيه مونتييل وهو راقد على همكه(★)، يوم أربعاء ، في الثانية من بعد الظهر لانه استسلم للغضب وكان الطبيب قد حذره منه . وكانت زوجته تتوقع ايضا أن تحضر المدينة عن بكرة أبيها لتشييع جنازته والا يسع البيت جميع ما سوف يرسله الناس من زهور والذى حدث أن المشيعين لم يتجاوزوا أعضاء حزبه واعضاء كنيسته وان الزهور الوحيدة التي وصلت الى بيته كانت تلك التي ارسلها المجلس البلدى . كذلك ارسل ابنه من مقر عمله القنصلي في المانيا ، وارسلت ابنتاه من باريس ، برقيتين من ثلاث صفحات كان من الواضح أنهما حرراهما وهم وقوف بالحبر الذى يستخدمه الناس في مكتب البريد وانهم مزقوا اكثر من نموذج من النماذج التي تستخدم في كتابة البرقيات قبل ان يجدوا كلاما يملأون به برقية نفقة ارسالها ٢٠ دولارا . ولم يعد اى منهم بالعودة وفي هذه الليلة عرفت أرملة مونتييل لاول مرة ، في سن الثانية والستين طعم الغيظ وهي تنتحب على المخدة التي توسدها الرجل الذى اسعدها ، وقالت : لنفسها : « ساحبس نفسي مدى العمر .. لا اريد أن اعرف شيئا عن هذا العالم » . وقد صدقت هذه المراة الهشة ، التي مزقتها الخرافات ،

★ « الهمك » (بفتح الميم) هو قماشة ـ مبكة مربوطة بين قائمين تستخدم في امريكا اللاتينية وفي بعض البلاد الحارة كفراش للنوم .





والتى زوجوها فى سن العشرين ، بناء على ارادة ابيها ، من الخطيب الوحيد الذى سمح لها برؤيته على مسافة تقل عن عشرة امتار ، لم تكن فى وقت ما على صلة مباشرة بارض الواقع • وبعد ثلاثة ايام من اليوم الذى حملوا فيه جثة زوجها من البيت ، ادركت ، من خلال دموعها ، ان عليها ان تتكيف مع حياتها الجديدة ، ولكنها لم تتمكن من التعرف على وجهة تتخذها فى هذه الحياة • كان عليها ان تبدا الطريق من اوله

لقد حمل خوزيه مونتييل معه الى القبر ، فى جملة ما حمله معه من الاسرار ، سر الارقام التى تفتح بها خزانته الخصوصية • وقد تكفل العمدة بحل هذه المشكلة فكلف من نقل الخزانة الى الحوش واسندها الى الحائط ثم امر اثنين من رجال الشرطة باطلاق النار بالبندقية على القفل • وظلت الارملة طيلة صباح كامل تستمع من غرفة نومها الى صوت الطلقات المكتومة المتلاحقة التى كان العمدة يصيح بامر اطلاقها • وراحت تخاطب نفسها : « هذا هو الشىء الذى كان ينقصنا •• خمس سنوات وانا ادعو الله ان يكف اطلاق الرصاص وها انا الان مضطرة الى شكرهم على اطلاق الرصاص فى بيتى » •

وقد اجتهدت هذا اليوم ان تركز افكارها ونادت زوجها الميت ولكن اين المجيب ؟ واخذتها سنة من النوم وفى نفس اللحظة اهتز بناء البيت بانفجار هائل فقد قرروا تفجير الخزانة بالديناميت •

وتنهدت ارملة مونتييل ان شهر اكتوبر لا يريد ان ينتهى بامطاره ومستنقعاته • كان يغمرها شعور بالضياع وبانها كالقارب التائه فى خضم اعمال مونتييل وتجارته الخرافية التى لا تخضع لنظام • وقد تولى السنيور « كارميخائيل » تابع الاسرة القديم النشط مهام ادارة اموال التركة • وحين لم يعد هناك فى نهاية الامر مهرب من التسليم بالامر الواقع وبحقيقة ان زوجها ليس من اهل الدنيا ، خرجت ارملة مونتييل من غرفة النوم لتهتم بالبيت فنزعت من الغرف كل زينة وغطت قطع الاثاث باغطية الحداد ووضعت شريطا اسود على صور زوجها المعلقة على الجدران • وبعد شهرين من حبسة البيت تعودت على قرض اظافرها • وذات يوم انتبهت ـ وقد احمرت عيناها وانتفختا من فرط البكاء ـ الى ان دخل « كارميخائيل » البيت ومظلته مفتوحة ، فقالت له :

ـ اقفل هذه المظلة يا سنيور كارميخائيل • لم يبق بعد كل البلاوى التى نكبنا بها الا ان تدخل البيت بمظلة مفتوحة •

ووضع كارميخائيل المظلة فى الركن • كان زنجيا عجوزا لامع البشرة يرتدى بدلة بيضاء وحذاء فتح فيه بالموسى فتحات لتخفيف ضغط « الكاللو » على اصابع قدميه ، وقال :

ـ فقط حتى تجف •

وللمرة الاولى منذ وفاة زوجها فتحت الارملة نافذتها ثم تمتمت وهى تقرض اظافرها :

ـ كل هذه المصائب ثم هذا الشتاء ! لايبدو ان المطر سيكف عن الهطول ابدا •

وقال التابع :

ـ لن يكف اليوم ولا غدا ، فقد منعنى « الكاللو » من النوم

الليلة الماضية ٠

كانت ارملة مونتييل تلـــق في تنبـــؤات كارميخائيل عن حـــالة الجـــو التي يستند فيها الى حالة « كاللو » اصابع قدميه ٠ وتأملت الميدان الصـــغير الذي خلا من المارة والبيوت التي خيم عليها الصمت والتي لم تفتح ابوابهـا ليشاهد اصحابها جنازة خوزيه مونتييـــل ، ثم احست باليأس لحـــالة اظافرها ولاراضـــيها المترامية وللمشاكل التي لا تنتهي التي ورثتها عن زوجها والتي لن تنجح ابدا في فهم كنهها ٠

وقالت ، وقد اخذتها العبرة ٠

ـ هذا العالم سيىء الصنع ٠

وبدا للذين زاروهـــا هذه الايام انها فقـــدت عقلها ٠ ولكنها لم تـكن قط اكثر قـــدرة على التمييز منها وقتــذاك ٠ لقد كانت منذ ما قبـل فترة الاغتيـــــالات السياسية تقضي سحابة ايام اكتوبر الكئيبة امام نافذة غرفتهـــا وهي تتحسر على مصـــير من ماتوا وتقول لنفسها ان الله ان لم يســترح يوم الاحد لاتسع وقتـه لاتمام صنع العالم(★) وكانت تقول :

ـ كان الـــواجب ان يستغل هذا اليـــوم في استكمال صنع مخلوقاته لكي لا يترك وراءه كل هذه الاشـــياء ناقصة الصنع ٠٠ كانت امـــامه الابدية كلها بعـــد ذلك ليستريح ٠

افكار سوداء لم يكن لها سبب في ذلك الوقت اما الان ، بعد وفـــاة زوجها ، فقد اصبح لها سبب محسوس ٠

وهكذا ، بينمـــا كان اليأس والقنوط قد بلغا بارملة مونتييل كل مبلغ كان كارميخائيل يعمـــل ما في وسعه لانقـــاذ السفينة من الغـــرق ٠ ولم تكن الامور تسير سيرا حسنا فقد اخـــذ تجار المدينـــة ينتقمون لانفسهم بعد موت خوزيه مونتييل الذي كان يحتكر التجـــارة المحليـــة بالارهاب وتحت التهديد والبن « الذي لم يعـــد الزبائن يجيئون لشرائه اصبح يفســـــد في الخزانات المكدسـة في الحوش ، كمـــا كانت الحموضة تفسد العسل في القرب المصنوعة من الجلد ٠ اما الجبن فقد تفشى فيـــه الدود في الدواليب المظلمة المقامة بالمخزن ٠ وكان خوزيه مونتييل في مقبـــرته التي تزينها المصـــابيح الكهربائيـــة وتماثيل الملائكة المصـــنوعة من مادة تقلد المرمر ، يدفع ثمن ست ســنوات من الاغتيالات والاعتداءات٠ لم يحدث في تاريخ البلد ابدا ان اغتنى احـــد بالسرعة التي اغتنى بها هـذا الرجـــل ٠ وحين وصل الى المدينة اول عمدة لها في عهـــد الدكتاتورية كان خوزيه مونتييل من منـــاصري جميع الانظمة الحـــاكمة الحذرين ، وكان قـــد قضى نصف عمره وهـــو جالس في سرواله على باب مضرب الارز الذي يملكه ٠ وقد عـــرف بين النـــاس في وقت من الاوقات بانه محظـــوظ ومتدين ٠ لقد نذر ذات مرة بصـــوت عـــال ان يهدي الى الكنيســـــة تمثالا للقديس خـــوزيه بالحجم الطبيعي لو كسب في اليانصيب ٠ وبعدها باسبوعين حالفه الحـــظ فكسب الرقم الـــــرابع ووفى بنذره ٠ والمـرة الاولى التي راه الناس فيها ينتعل حـــذاء كانت حين وصـــل العمـدة الجديد وهو رجل اشول فظ الطبع كان في الماضي شاويشا في الشـــرطة

★ في الكتاب المقدس ان الله تعالى خلـــق العالم في ستة ايـــام ثم استراح في اليـــــوم السابع ٠



وكان يحمل تعليمات صريحة بتصفية المعارضة • وبدأ خوزيه مونتييل علاقته بالعمدة الجديد بالتجسس لحسابه وكان هذا التاجر الصغير الذي لم يكن في طبعه – طبع الرجل البدين الهادىء – مايثير ادنى قلق عند الناس يقسم خصومه السياسيين الى فئتين : الفقراء والاغنياء • والفقراء الذين كان يبلغ عنهم كانت الشرطة تغتالهم بالرصاص في الميدان العمومي • اما الاغنياء فكانت تعطيهم مهلة قدرها ٢٤ ساعة ليغادروا البلدة • وعندما كان الامر يقتضي الاعداد لمذبحة كان خوزيه مونتييل يقفل مكتبه الخانق على نفسه اياما كاملة مع عمدة البلدة بينما كانت زوجته تترحم على القتلى وحين كان العمدة يغادر المكتب كانت تعترض طريق زوجها وتقول له :

– هذا الرجل مجرم• استخدم نفوذك لدى الحكومة لتنقل هذا الحيوان المتوحش الذي لن يترك في البلدة انسانا على قيد الحياة

وكان خوزيه – المثقل بالاعباء في تلك الايام – يزيح زوجته من امامه دون أن ينظر اليها ويقول : « لا تكوني خوافة » • والواقع ان تجارته لم تكن تقتل الفقراء بل طرد الاغنياء وبعد ان كان الرصاص يطلق على ابواب هؤلاء باوامر من عمدة المدينة ويحدث فيها ثقوبا كثيرة وبعد ان كان العمدة يحدد لهم مهلة لمغادرة المدينة ، كان خوزيه مونتييل يشتري اراضيهم ومواشيهم بالثمن الذي يحدده هو •

وكانت زوجته تنصحه وتقول :

– لا تكن ابله • ستنفق مالك كله لمساعدتهم لكي لا يموتوا من الجوع في مكان اخر ولن يعترف لك منهم احد بالجميل •

وكان خوزيه مونتييل الذي كان وقته لا يتسع حتى للابتسام ، ينحيها عن طريقه ويقول لها :

– اذهبي الى مطبخك ولا تضايقيني •

وبهذه السرعة صفيت المعارضة في اقل من سنة واصبح خوزيه مونتييل اغنى واقوى رجل في البلدة ومكنه ذلك من ارسال ابنتيه الى باريس والحصول لابنه على منصب قنصلي في المانيا • واصبح همه الوحيد هو توطيد مركزه وسلطاته ولكنه لم يستمتع بثروته المغتصبة اكثر من ست سنوات •

وبعد مرور سنة على وفاته لم تعد امراته تسمع طقطقة السلالم الا تحت اقدام شخص يحمل اليها خبرا سيئا• والشخص الذي كان ياتي كان يصل دائما ساعة الغروب ليخبرها ان اللصوص قد اغاروا على املاكها مرة اخرى او – كما حدث بالامس – انهم سرقوا ٥٠ عجلا وكانت ارملة مونتييل تجلس دون حراك في كرسيها الهزاز وتقرض اظافرها ، وكان الغيظ غذاءها الوحيد • وكانت تكلم نفسها وتقول :

– قلت لك يا خوزيه مونتييل هذه بلدة مشئومة ، وحين مت لم تبرد جثتك في قبرك واذا بهم يولوننا ظهورهم •

لم يعد يزور هذه الارملة احد • والانسان الوحيد الذي كانت تقع عليه عينها في هذه الشهور التي لا تنتهي والتي لم ينقطع فيها سقوط المطر كان كارميخائيل المثابر الذي لم يدخل البيت ابدا ومظلته مقفلة • الاحوال لم تتحسن • وقد كتب كارميخائيل عدة خطابات لابن خوزيه

مونتييل مبرزا له فائدة الحضور للجلوس امام محل ابيه ، بل انه سمح لنفسه بالاشارة الى بعض الاعتبارات الشخصية الخاصة بصحة الارملة ، ولكن الردود التي كان يتلقاها كانت دائما ردودا لا يخرج المرء منها بشيء • واخيرا رد ابن خوزيه مونتييل بخطاب قال فيه بصراحة انه لا يجرؤ على العودة خشية ان يطلق عليه بعضهم النار • لذلك صعد كارميخائيل الى غرفة الارملة واضطر الى مصارحتها بان ثروتها ضاعت وتجارة زوجها بارت وانها تجلس على خراب • وكان ردها :

– احمق ! لقد شبعت من حديث الجبن والذباب • خذ ان اردت ما تحتاج اليه ودعني اموت في سلام •

ومنذ تلك اللحظة اصبح اتصال الارملة الوحيد بالعالم يتمثل في الخطابات التي كانت تكتبها الى ابنتيها في اخر كل شهر • كانت تقول لهما : « هذه بلدة ملعونة • ابقيا حيث انتما ولا تفكرا في العودة ولا تشغلا نفسيكما بخصوصي • يكفي لسعادتي ان تكونا في خيرحال » • وكانت بنتاها تكتبان لهابدورهما وكانت خطاباتهما دائما تنضح بالمرح وكان من الجلي انها كانت تكتب في اماكن معتدلةالحرارة حسنة الاضاءة وان البنتين كانتا تريان انعكاس صورتهما على عدة مرايا حين كانتا تستغرقان في التفكير • ولم تبد الفتاتان بدورهما اى رغبة في العودة • كانتا تقولان : « نحن هنا في بلد متمدن اما هناك فالوسط ليس مناسبا لنا • من المستحيل ان نعيش في بلد متوحش يقتل الناس فيه لاسباب سياسية » وكانت ارملة مونتييل حين تقرأ هذه الخطابات تشعر بتحسن وتؤمن براسها على كل جملة فيها •

وقد حدثتها ابنتاها في احدى المناسبات عن محال الجزارة في باريس فقالتا « انهم في هذه المدينة يذبحون الخنازير ويعلقونها على باب الجزارة ويزينونها بقرون وعقود من الزهور » ووردت في اسفل الخطاب عبارة بخط يختلف عن خط ابنتها تقول : « اتدرين اين يضعون اكبر واجمل زهرة من زهور القرنفل؟ في مؤخرة الخنزير » • وحين قرات ارملة مونتييل هذه الجملة ابتسمت •• للمرة الاولى منذ سنتين • وصعدت الى مخدعها دون ان تطفيء انوار البيت • وقبل ان ترقد ادارت المروحة الكهربائية ناحية الجدار ثم اخرجت من درج المنضدة الصغيرة المجاورة للسرير مقصا وقطعة من المشمع الطبي اللاصق وكذلك مسبحتها وضمدت ظفر ابهام يدها اليمنى الذى تهرأ من كثرة العضعضة • ثم اخذت تسبح ولكنها ما لبثت ان حولت المسبحة الى يدها اليسرى لان المشمع الذى ضمدت به اصبع يدها اليمنى كان يجعلها لا تحس بعد الحبات • وتناهى الى سمعها لفترة قصف الرعد من بعيد ثم راحت في النوم وانحنى راسها على صدرها ، وتدحرجت اليد التى تمسك بالمسبحة الى جانبها • ورات الام الكبيرة عند ذاك في الحوش بفوطة حمام بيضاء ومشط في حجرها وهي تقتل القمل بظفرى ابهاميها • وسالتها :

– متى يحين اجلي واموت ؟

ورفعت الام الكبيرة راسها واجابت :

– حين يبدأ الالم يسرى في ذراعك •

كاتب الأعمال الهادفة

محمد فريد أبو حديد

فى ذكراه الحادية والعشرين

بقلم : د. أحمد فريد أبو حديد

● ● توجت جائزة الأدب التقديرية عام ١٩٦٤ أديبنا الذى أوقف حياته الأدبية على دراسة التاريخ وبخاصة تاريخ مصر .

توجت هذه الجائزة جهوده الفنية التى استمرت قرابة الاربعين عاما ، فقد بدأها عام ١٩٢٤ عندما ظهرت أولى رواياته «ابنة المملوك» ثم توالت بعد ذلك أعماله الأدبية مثل «أبريت ميسون الغجرية» و «مقتل سيدنا عثمان» و«خسرو وشيرين» فى أوائل الثلاثينيات . ثم اتجه الى الترجمة فانتهى من ترجمة كتاب «فتح العرب لمصر» للكاتب المؤرخ البريطانى بتلر عام ١٩٣٥ الذى يعد مرجعا تاريخيا وإسلاميا هاما ويقع فى حوالى ستمائة صفحة واستنفد من وقته ثلاثة أعوام . وكأن هذا الجهد فى الترجمة قد فتق فى وجدانه أصالة الشعب المصرى فصارت أعماله الأدبية بين ذلك تعبيرا وتجسيدا لكفاح هذا الشعب . فكانت له «سيرة السيد عمر مكرم» عام ١٩٣٧ وهى دعوة جهيرة إلى الحياة الديمقراطية من خلال تصوير كفاح الشعب المصرى ضد الاستعمار الفرنسى بعد أن تمكن من البلاد اثر معارك طاحنة حدثت سنة ١٨٠٠ م .

قال أديبنا ـ رحمة الله عليه ـ «لقد مرت بالبلاد سنوات مظلمة غشيتها سحابة من الطغيان والظلم فكنت أجد تسلية وعزاء بأن أرى مامضى من جهاد الشعب لازاحة تلك السحابة الداكنة ، وكنت أنصرف إلى التاريخ أطالع فيه أسود صحائفة لأطلع منها على روح الشعب المصرى النبيل وهو يناضل ويجاهد : فكنت أجد من ذكرى ذلك النضال مشجعا ومناصرا . وكنت أستبشر بما أعقبه من النصر القديم فأطمئن الى أن جهاد مصر الحديث سيسنفر كذلك عن إنتصار وفوز . وقد كان سميرى فى تلك المطالعات رجلا من رجالات مصر العظماء وزعمائها النبلاء ،

● ● هاهى الذكرى الحادية والعشرين تمر هذا الشهر على وفاة أديبنا العربى الكبير محمد فريد ابو حديد الذى توجت جهوده العملية والابداعية رائدا كبيرا من رواد بناء المؤسسات العلمية والتربوية ليس فى مصر فقط ، بل وفى البلدان العربية الأخرى ، كما رسخته أعماله القصصية رائدا من رواد القصة الرومانسية الأوائل ، وحفلت حياته بالجهود العديدة التى تنوعت بين المسرح والأعمال الاذاعية وكتب الأطفال ، وشكلت أعماله التى يدرسها ملايين التلاميذ فى مدارس مصر وعدد كبير من البلدان العربية وجدان عدة أجيال متتالية . بهذه المناسبة يقدم الهلال هذه المقالة التى كتبها ابنه ، مستعرضا فيها دقائق حياته ومجهوداته ● ●

وهو «السيد عمر مكرم» (مقدمة طبعة ١٩٥١ فى كتاب الهلال ص ١١)

غير أنه لم يفت أديبنا أن يأخذ على السيد عمر مكرم تردده فى اللحظة الحاسمة بانكماشه عن أن يخطو الخطوة التى كان ينبغى له أن يخطوها فكانت غلطته الكبرى أنه اختار «محمد على» التركى إذ حسب أنه هو الذى يحقق للأمة أمنها وحريتها . ولم يلبث السيد عمر إلا قليلا حتى بدأت الحقيقة تظهر له بعد أن أفلتت الفرصة من بين يديه فإن «محمد على» تنكر له وللشعب بعد قليل (ص ٩ من كتاب أمتنا العربية لأديبنا الراحل) .



محمد فريد ابو حديد في شبابه

● مصرى النشأة

ولقد كان من أسباب اهتمامات هذا الأديب بأصالة الشعب المصرى نشأته المصرية الصميمة - فقد ولد لأبوين مصريين أبا عن جد عام ١٨٩٣ م بحى عابدين بالقاهرة عندما كان والده يعمل موظفا بالدائرة السنية إبان عهد الخديو اسماعيل باشا ، الذى أثقل كاهل الخزانة المصرية بالديون ، فانتهى الأمر بحل الدائرة السنية وإعطاء موظفيها مكافأتهم ومن هؤلاء والد أديبنا الذى أكسبه العمل فى هذه الدائرة خبرات واسعة فى الزراعة



حتى حذقها ، فإشترى مع أخيه أرضا قاما باستصلاحها فى البحيرة .

لقد بدأت حياة محمد فريد أبوحديد فى أجواء الريف المصرى بين مدينتى دمنهور والدلنجات إلى أن نال الشهادة الابتدائية عام ١٩٠٧ ، ثم التحق بمدرسة رأس التين الثانوية بإسكندرية ، ثم بمدرسة المعلمين العليا التى تخرج فيها عام ١٩١٤ بالقسم الأدبى .

وكانت مدرسة المعلمين العليا فى ذلك العهد مرموقة عالية الصيت ؛ فكان مجرد الانتماء اليها تزكية تفتح لصاحبها باب العمل حتى لو لم يستكمل دراسته بها . وبدأ حياته العملية بعد التخرج بتجربة غير ناجحة إذ اتجه للعمل الحر فى مدرسة كونها أحد الأتراك واستعان بمجموعة من المدرسين المصريين شارطا عليهم تسديد جميع تكاليف المدرسة على أن تدفع له نظير الادارة مبلغا ثم يقتسمون فيما بينهم مايتبقى من الدخل ، فكانت صفقة خاسرة ، إذ كان حصاد عامهم ٣٦ جنيها لكل منهم أى بواقع ثلاثة جنيهات فى الشهر ، وكان من بين أعضاء هذه المدرسة الشاعر أحمد رامى ، والأستاذ محمود حمزة ، والأستاذ ابراهيم نظيم ، والمستشار محمود فهمى ، والاستاذ محمد صفوت والاستاذ محمد صالح العفيفى . وأكثرهم أصبح من رجالات وزارة المعارف فيما بعد .

● مدرسة الحزب الوطنى

وفى عام ١٩١٥ اشترك محمد فريد مع الاستاذ / أحمد زكى (الدكتور أحمد زكى بك فيما بعد) فى التدريس بمدرسة الحزب الوطنى المسماة «المدرسة الاعدادية التى كونها الحزب احتجاجا على سياسة الحكومة فى التعليم وتعسفها مع الطلاب . وكان مقرها بحى الظاهر بالقاهرة ، وفيها قفز مرتب أديبنا إلى ١٨ جنيها (ذهبا) شهريا بعد أن كان ٣ جنيهات . فمكث مدرسا بها حتى عام ١٩١٨ ، وفى تلك الأثناء توفى والده بدمنهور متأثرا بالتهاب رئوى نتيجة لمجهوده فى الزراعة وعدم تقدم العلاج فى ذلك الوقت . وكان حادثا مفجعا شديد الوطأة على محمد فريد وظل أثره قائما فى حياته كلها كلما تذكره أو سئل حديثه نشج صوته واغرورقت عيناه فقد كان معجبا بكفاحه متأثرا بشخصيته إلى أبعد حد . كما أن والدته وان كانت أمية لاتقرأ ولاتكتب إلا أنها كانت على جانب كبير من الثقافة المكتسبة بالذكاء والفطرة المستعدة والقدر الموروث ؛ فقد أمضت حقبة غير قصيرة فى رحاب العلم بمنزل الشيخ الجليل الفاضل / سليم البشرى شيخ الجامع الأزهر فى ذلك الوقت ، فقد كان زوج والدتها وكان يحبوها برعايته وعطفه كلما أتت لزيارته مع أولادها ، كما كان يخص محمد فريد بالكثير من فيوضه الروحانية والعلمية والانسانية ؛ وكانت الوالدة تحفظ من القرآن الكريم والأحاديث والأمثال ماصقل شخصيتها فكانت كلما وقف ابنها موقفا بين مصلحته وواجبه اختارت له مايعلى مروءته ويرفع إنسانيته . وأطال الله فى عمرها فتوفيت فى التسعين من العمر ـ وكان لوفاتها ، فى نفس أديبنا ، أثر لايقل عن أثر وفاة والده .

ولعل قلة من الناس من يعرف أن أديبنا الجليل حصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٢٤ منتسبا أثناء عمله الوظيفى حبا فى اكتساب ملكة التعبير القانونى للدفاع عن القضايا الوطنية ضد الاستعمار البغيض .

يقول الدكتور أحمد زكى بك - رحمة الله عليه : -

«كنت أعمل مع محمد فريد بالمدرسة الإعدادية وكان بطبيعته ثائرا يحب الحرية لبلده وبنى أمته وحدث ذات مرة أن ثار الطلاب بالمدرسة وهتفوا بسقوط الإستعمار ، وكالعادة وقتئذ اقتحم الجنود البريطانيون المدرسة وهددوا الطلبة بالسجن فانبرى لهم محمد فريد وخاطبهم بالانجليزية التى كان يتقنها بطلاقة وأغلظ لهم القول حتى أن أحدهم أمسك ببندقيته المزودة بسونكى كبير ووجهه إلى صدر محمد فريد الذى ثار أكثر أكثر وهنا وجدت نفسى مضطرا لتمثيل دور ناظر المدرسة وكان لى شارب كبير وجسم ضخم أتاح لى القيام بهذا الدور فنهرت محمد فريد وأمرته بالانصراف على الفور إلى الداخل ، وحلت بينه وبين هذا الجندى الذى ماكان ليتورع عن قتله لو استمر فى كيل الاتهامات للاستعمار ولجنوده .

ويمضى كفاح أديبنا الوطنى خلال ثورة مصر عام ١٩١٩ وينضم إلى المقاومة الوطنية مع زميل طفولته «يوسف الجندى» الذى أعلن استقلال بلدته «زفتى» وأعلنها جمهورية مستقلة إلى أن طاردته قوى الاستعمار البريطانى فلاذ بمنزل صديقه «محمد فريد» الذى كان أهلا لحمايته ومناصرته فكانت تخرج من بيته المنشورات السرية الخطيرة التى تفيض حماسا وتقذف بالحمم على هؤلاء الدخلاء المستعمرين وأنصارهم من دعاة الهزيمة إلى أن انتهت ثورة الشعب العظيم فى عام ١٩٢٢ بتصريح فبراير الشهير ، وهو وان لم يكن استقلالا تاما إلا أنه كان خطوة إليه . وحسب الحق أن ينال من القوة الغاشمة هذا المنال .

وفى مجال الكفاح الوطنى العربى نجد لأديبنا قصة «الوعاء المرمرى» التى فازت بجائزة الدولة ، وهى الرواية التى استمد موضوعها من كفاح سيف بن ذى يزن البطل اليمنى الذى اغتصب ملكه فاستعاده بمساندة الفرس . ورواية «الملك الضليل» ، و«المهلهل سيد ربيعة» . كما يصور أديبنا أيضا صورة شائقة لأبى الفوارس «عنترة بن شداد» ذلك العبد الذى أجبر والده من سادة القوم على الاعتراف به إبنا يحمل اسمه نظير بطولته فى القتال وانتصاراته التى أذهلت التاريخ .

ومن الجدير بالذكر أن تلك القصة ظلت تدرس بالمدارس المصرية وبعض الدول العربية زهاء ربع قرن ومازالت تدرس بالمدارس المصرية حتى الآن لبلاغة أسلوبها وجمال صياغتها .

● رسالة التعليم

وإذا استعرضنا حياة أديبنا الوظيفية نجد أن معظمها كان فى مجال التعليم وقد كلف عام ١٩٤٢ بالمساهمة فى إنشاء جامعة فاروق (الأسكندرية) حيث قام بما كلف به خير قيام ، ثم انتدب إلى دار الكتب وظل بها حتى عام ١٩٤٥ ، ثم عميدا لمعهد التربية العالى للمعلمين حيث تخرج فى عهده كثير من رجالات مصر الأوفياء فى جميع المجالات العلمية التربوية فقد كانت رسالة المعهد تهدف



إلى تدريس فنون التربية والتعليم لخريجى مختلف الكليات العلمية والنظرية الراغبين

فى مهنة التدريس . وظل عميدا لهذا المعهد الذى كان مقره بالمنيرة بجوار كلية التجارة لجامعة عين شمس بشارع القصر العينى حتى عام ١٩٤٧ حيث نقل إلى الديوان العام لوزارة المعارف مديرا عاما للتعليم الثانوى حيث أنعم عليه برتبة البكوية تقديرا لجهوده فى التعليم وفنونه فى الأدب الرفيع .

ولم تكن أيامه كلها صعودا فى المناصب وترقيات فى الوظائف ؛ فقد كانت البلاد مازالت ترزح تحت وطأة الحكم الملكى الحزبى . ففى عام ١٩٥٠ نقل من الديوان العام لوزارة المعارف وقد أضنى نفسه فى إصلاح الكثير من أوجه التعليم بالمرحلة الثانوية فكان اليوم الدراسى يبدأ فى الثامنة صباحا وينتهى فى حوالى الساعة الرابعة مساء تتخلله استراحتان ثانيتهما تشتمل على وجبة غذاء كاملة فاخرة تعقبها حصتان أخريان ؛ فكان هذا اليوم الدراسى الطويل خير مؤثر فى الطالب ليشعره بالانتماء إلى المدرسة ولزملائه ومدرسيه ، ولم يكن ذلك البرنامج اليومى الحافل بالمدارس الثانوية مجرد أوامر يصدرها المدير العام للتعليم الثانوى للمدارس فحسب ، بل كان نتيجة لجهود مضنية وتدبير ميزانية كبيرة لإعداد الفصول والمدرسين والكتب والبرامج الدراسية والبدنية والادوات المدرسية والتغذية والطاقة والعمال وغيرها وجميع هذه العناصر كانت مسئولية هذا المدير العام .

سألته مرة وكنت وقتها تلميذا بمدرسة القبة الثانوية : ـ ماسبب هذا اليوم الدراسى الطويل يأبى ؟ فأجابنى : ـ أتريد أن يكون التعليم «سلق بيض» ؟! ومازلت اذكر للآن كلمات أساتذتى ترن فى أذنى فى مختلف المواد وكأننى أسمعها اليوم وكأنها محفورة فى صخر لاتمحوها السنون بعد ذلك الجهد المضنى فى التعليم الثانوى نقل محمد فريد أبو حديد إلى ماكان يسمى «بالجامعة الشعبية» . ومنذ اللحظة الأولى لعمله بهذه الجهة وهو يشعر بأنها ليست الجهة التى تناسب شخصيته ورسالته . فهذه المسماة بالجامعة كانت تضم بين جنباتها من الجنسين من فاتهم قطار التعليم فى الصغر فأتوا اليها كمحاولة مستهترة للمعرفة التى فقدوها بروح هازلة تنافى طبيعة اديبنا الجادة : فطلب نقله من هذه البؤرة الكريهة إلى نفسه فلم يجب ، بل ووجدوا فى ذلك مأربهم للنيل منه لخلفية حزبية سابقة معه : فعزت عليه نفسه متأثرا بين واجبه الموكول إليه وظيفيا والتعارض الذى يحكم طبيعته الجادة ؛ فأرق الليل مهموما وعاش النهار مقهورا على مكتبه الحكومى أياما مرت عليه وكأنها دهور فلم يحتمل جسده وحسه المرهف هذه الأمور فمرض بعد شهر واحد من توليه لهذا المنصب وكان مرضه جديدا على الطب فى ذلك الوقت اذا كان يسمى التهاب متعدد بالاعصاب (Polyneuritis) كما كان الدواء جديدا مرتفع الثمن وأراد الله أن يشفى هذا البطل الإصيل بعد ان تمكن منه المرض

عاما كاملا كان يقوم على علاجه بمنزله الدكتور سيد عفت «رحمه الله» والدكتور محمد جعفر زميل طفولته وغيرهما وعند تمام شفائه فى عام ١٩٥١ نقل الى إدارة مكافحة الأمية مديرا عاما لها حيث بقى به حتى منتصف عام ١٩٥٢ حيث ـــ ثورة يوليو المجيدة فتلقفها بالترحاب والتهليل والتكبير وانتعشت نفسه وأشرقت مشاعره فوضع كل إمكاناته الأدبية والاجتماعية تحت تصرفها ولنصرتها وصار أحد دعاتها وجنديا فى الصفوف الأولى بها منددا بالعهد البائد البغيض بأحزابه الكريهة . ونادى بالانطلاق البناء فى جميع المجالات بما يواكب جدية هذا التغيير السياسى فى حكم البلاد . وتلقفته الثورة أيضا ابنا مخلصا لها من أبناء هذا الشعب العريق فعينته وكيلا مساعدا لوزارة المعارف ورئيسا للجنة التطهير بها ثم مستشارا فنيا لها حيث واصل كفاحه من أجل اصلاح التعليم والنهوض به قدر طاقته .

ثم رأت الوزارة عام ١٩٥٣ مد خدمته عامين آخرين . وفى عام ١٩٥٥ طلبته الحكومة الملكية فى ليبيا لإنشاء جامعة بنغازى بها حيث بقى هناك حتى عام ١٩٥٨

أهم مؤلفاته

ولم تشغله وظائفه الحكومية عن هوايته الأدبية فكانت له فى الفترة من عام ١٩٣٧ وحتى عام ١٩٥٢ القصص التالية :

١ ـ سيرة السيد عمر مكرم

٢ ـ الملك الضليل

٣ ـ المهلهل "سيد ربيعه"

٤ ـ زنوبيا

٥ ـ أبو الفوارس عنترة بن شداد

٦ ـ مع الزمان (وهى مجموعة قصص قصيرة تاريخية)

٧ ـ آلام جحا وهى جزءان ـ

أ ـ جحا فى ماهوش

ب ـ جحا فى جانبولاد . وفى هذا الجزء صور حكم الأحزاب وتصرفاتها ضد خصومها من الأحزاب الأخرى بطريقة ساخرة واقعية . واذكر أننى عندما ألف هذا الكتاب "جحا فى جانبولاد" سألته بعد أن قرأت الكتاب : ـ أين تقع جانبولاد هذه ياأبى ؟ فقال لى : "إسال بتوع الجغرافيا" . قالها بجدية ولم اتبين أنها "مصر" إلا بعد حين ، فقد كان يسخر من بعض الأوضاع الحاكمة فى ذلك الوقت .

٨ ـ فن التعليم ـ مترجم عن جلبرت هايت الأمريكى عام ١٩٤٨

٩ ـ عبدالشيطان (١٩٤٥)

١٠ ـ "أزهار الشوك" وفيها بعض ملامح من حياته الشخصية ومعاناته .

١١ ـ الوعاء المرمرى عام ١٩٥٢ حيث نال عنها جائزة الدولة وجاء بتقرير لجنة الآداب لجوائز الدولة عام ١٩٥٢ الآتى : ـ

"ومع أنه أجاد كثيرا فى مؤلفاته السابقة ـ فإنه بلا شك قد سما بكتابه الجديد الى الذروة . وأبدى فيه براعة فى التصوير وجمالا فى التعبير مما يحقق لهذه القصة مكانا ملحوظا بين القصص المصرى الحديث" . وغير هذه القصص ماهو مؤلف ومترجم . ورغم ذلك فقد كان عندما يسأل عن أعز كتبه إلى نفسه يقول : إنها ثلاثة فى مرتبة واحدة : ـ ١ ـ زنوبيا وهى تصوير لعصر يمثل حضارة عربية قديمة وفلسفتها أن العرب منذ القدم قوة فعالة فى محيطهم ، وأهم شخصياتها فى



نظره "زنوبيا" التى تمثل المرأة الذكية المتحـررة "ولونجيـه" الفيلسـوف و "أذينة" المحارب .

٢ ـ أنا الشعب (١٩٥٤)

٣ ـ جحا فى جانبولاد (١٩٤٣)

ومما يسترعى النظر أنه لم يعد من بينها (الوعاء المرمرى) الكتاب الذى نال به جائزة الدولة (هذه الجائزة خلاف جائزة الدولة التقديرية التى نالها عام ١٩٦٤) . وهذا بالطبع له دلالته ، فإن مقاييسه لاتخضع للجزاء أو المال وإنما لأسباب حرة غير هذه الاعتبارات .

وإذا كانت رواية "الوعاء المرمرى" (من أعمال أديبنا فى عام ١٩٥٢) تجسد كفاحا تاريخيا لأحد أبناء الأمة العربية ، فإن قصة "ابنة المملوك" التى ألفها عام ١٩٣٦ وتقع فى قرابة الأربعمائة صفحة تجسيد أيضا لكفاح المصريين تاريخيا حيث فصلت فيه الكثير من الأحداث التى صاحبت ذلك العصر المملوكى . كذلك من قصصـه التاريخيـة "صلاح الـدين الأيوبى" ووصف معاركه وجهود الشعب المصرى لنصرته .

وكان أديبنا يقرأ فى الانجليزية التى يحسنها وفى الفرنسية التى نال قسطا منها فى المدرسة وأخذ دروسا منها على أستاذه مسيو بيزياه ، ثم أجادها عند التحاقه بالحقوق حتى ليسهل عليه قراءة أى كتاب منها دون تعثر أو استقصاء ، كما تعلق أيضا بدراسة اللغة الايطالية وجدد صلته بها فى ليبيا أثناء وجوده بها مستشارا فنيا لوزارة المعارف وعمل على تأسيس أول جامعة وطنية لهذا البلد العربى .

ويقول ـ رحمه اللـه ـ إن فلول الاستعمار الايطالى كانت عقبة كئودا أمامه لمنع إنشاء هذه الجامعة ، فتعرض خلال تلك الفترة لكثير من المشاحنات والعراقيل التى كانت تفتعل لمنع إقامة هذا الصرح العلمى الأول فى هذه البلاد ، وبطبيعته الصلبة وإرادته القوية ولباقته فى تفادى الصدام المحتم فى مثل تلك الأمور أمكنه ـ وبعون من الله ثم بعون من أبناء ليبيا المخلصين وتقديم العون المادى والمعنوى ـ تحقيق هذا الأمل المشرق لمستقبل مضىء لهذا الشعب الشقيق .

وأثناء وجوده فى ليبيا رزقت أنا بأول مولود لى وكانت بنتا ، فأرسل لى خطابا مطولا غاية فى الرقة والأدب الرفيع تشع منه فرحته لكونه أصبح "جدا" لأول مرة ويختمه بالدعوات لنا بالتوفيق والسعادة ، فلم تكن مشاغله الكثيرة تثنيه أبدا عن واجباته نحو أسرته وبره بهم .

وللأطفال أيضا :

وللأطفال أيضا فى أدب محمد فريد ابو حديد نصيب كبير ، فسلسلة كتب أولادنا التى تقوم دار المعارف بنشرها تضم القصص التالية :

١ ـ عمرون شاة عام ١٩٤٧

٢ ـ كريم الدين البغدادى عام ١٩٤٧

٣ ـ آلة الزمان ١٩٤٨
٤ ـ نبوءة المنجم عام ١٩٤٩

وجميعها قصص تدعو للمعرفة وتوسع مدارك الحدث وتزرع في نفسه الكثير من القيم الانسانية وروح البحث العلمي والتوتب للمعرفة ، فهو كاتب هادف بطبيعته فالقصة عنده تنفيس عن أزمة أو تصوير لمشكلة أو دعوة إلى شيء . القصة عنده وراءها فكرة وأمامها غاية ولها مغزى قد يستغلق حينا ولكن ما يلبث الواقع أن يفسرها بأحداثه . فعندما طغت الملكية فى مصر وأعوانها من استعمار وإقطاع واستشرى الفساد كتب (جحا فى جانبولاد) و (جحا فى ماهوش) عامى ١٩٤٣ ، ١٩٤٤ .

كما أن الروح الشاملة للأديان جميعها يتخيلها أديبنا فى كتابه آلام جحا بقوله "فقد خرجت من كل ما رأيته وأنا فوق الشجرة على حقيقة واحدة ، وهى أن الانسان جدير بالرثاء وليس فى ذنوب الناس مايستحق العقاب ، لقد بدا لى وأنا فوق الشجرة أن الله خالق هذه الأكوان العظيمة لن يضيق بالعفو ولن يكبر على رحمته ذنب "ص ٥٠ غير أن كتابه "عبدالشيطان" (١٩٤٥) يحذر من الانسياق فى أعمال الشر التى يأمر بها الشيطان العباد الضعفاء ، فيستهل كتابه هذا بقول الحق سبحانه وتعالى فى سورة الزخرف "٣٦" "ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين . وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون . حتى إذا جاءنا قال ياليت بيني وبينك بعد المشرق فبئس القرين" . صدق الله العظيم .

هذه القصة وإن كانت من القصص القصيرة إلا أنها تصور بإحكام كيفية تسلل الشر فى نفس الانسان الضعيف الذى تبهره الحياة المادية وتجذبه اليها ببريقها والوانها الزائفة ، حتى إذا تمكن منها أصبح فريسة للشر نفسه وأحد ضحاياه والعياذ بالله .

وكما كانت قصصه ذات هدف فقد كانت له ابتكارات أيضا فى عالم اللغة العربية فعكف إبان وجوده فى المجمع اللغوى على إنجاز بحوث تقوم على تأصيل الكلمات العامية فى لغتنا ومعرفة أصلها فى اللغة الفصحى ، فجمع الكثير منها فى مجلد متوسط الحجم ولم يمهله القدر إلى أن يكمله ، فانتقل الى رحمة مولاه فى ١٨/مايو/١٩٦٧ ، تاركا تراثا أدبيا هادفا له وزنه وأصالته ، كما ترك اثرا جميلا فى كل من الجهات التالية :ـ ١ ـ المجمع اللغوى المصرى حيث كان عضوا عاملا فيه
٢ ـ رابطة التربية الحديثة
٣ ـ الجمعية المصرية للدراسات الاجتماعية
٤ ـ جمعية المعلمين التى رأسها فترة طويلة
٥ ـ مؤسسة التأهيل المهنى (وكان من أوائل المفكرين فى هذا المجال بتجربة قام بها بالاشتراك مع أهالى بلدة "المنايل" لاقامة مشروع للسجاد اليدوى عام ١٩٤٣
٦ ـ جمعية رعاية الأحداث .

الجنادرية

أو عقدة البحث عن تراث شعبي

بقلم : كمال النجمي

نصف المدعوين إلى المهرجان السنوى للتراث والثقافة الذى أقيم فى الشهر الماضى بمخيم « الجنادرية » على بعد خمسين كيلو مترا شرقى مدينة الرياض ـ عاصمة السعودية ـ كانوا يحضرون هذا المهرجان لأول مرة .. ونصفهم الآخر كانوا يحضرونه للمرة الثانية أو الثالثة أو الرابعة ، وسوف يحضرونه فى المرات القادمة وإن كانوا لا يشاركون فيه بأى جهد ، لأن جهدهم كله خارج المهرجان ..

أقيم المهرجان للمرة الأولى سنة ١٩٨٥ فى أبهة وحفاوة بضيوفه من الأدباء والشعراء والصحفيين وأساتذة الجامعات القادمين من جميع أنحاء الوطن العربى ، ومن أوربا وأمريكا أيضا .. ثم تواضعت أبهة المهرجان وتضاءلت مظاهره الاحتفالية ، وأوشكت فائدته الحقيقية أن تقتصر على ما يتيحه من تلاقى بعض أدباء العالم العربى ومفكريه ، وتعرفهم بعضهم إلى بعض ، وتبادلهم الآراء والأخبار والأسمار والأشعار ..

وغالبية الذين حضروا المهرجان الرابع فى الشهر الماضى لم يتكلموا فى ندواته ، وبعضهم انقطع بعد يوم أو يومين عن حضور هذه الندوات لأنها تعقد على بقعة قاحلة من الصحراء ـ هى المسماة بالجنادرية ـ تبعد عن الفندق الذى أنزلوا به خمسين كيلو مترا .. ولم يكن أولئك المفكرون والأدباء والشعراء الذين جاوز كثير منهم سن السبعين بقادرين على قطع مائة كيلو متر ذهابا وإيابا كل يوم ، مرة أو مرتين ، على ضآلة ما يسمعونه أو يرونه فى الندوات هناك ! ..

إن المدعوين الى مهرجان « الجنادرية » كانوا فئتين ، تتألف إحداهما من أربعة أو خمسة فقط من

الملحنين والعازفين ومؤلفى الأغانى والإذاعيين السابقين .. وهؤلاء أنزلهم الداعون أفخم فنادق العاصمة السعودية ، ولم يرهم أحد منذ نزولهم من الطائرة قادمين من مصر ، إلا يوم سباق الابل الذى حضره الملك والأمراء ومستشار النمسا ـ وكان ضيفا على الدولة السعودية ـ ثم اختفى الملحنون ومؤلفو الأغانى مرة أخرى ولم يختلطوا قط بالادباء والشعراء الذين انزلوا فندقا آخر وتسلموا دفاتر « كوبنات » لوجبات الطعام الثلاث ، وحدد لهم أصحاب الدعوة أوقات الندوات فى صحراء الجنادرية ، ومواعيد اللقاءات الرسمية الصامتة ببعض الأمراء والكبراء .. وقد خلت هذه اللقاءات كلها من الكلام ، الا لقاء واحدا ألقى فيه شاعر من اليمن الشمالى قصيدة مديح .. وكنا نسمع فى بعض اللقاءات كلمات مجاملة من الدكتور أحمد هيكل وزير الثقافة السابق ، وكان الدكتور يوسف إدريس يسرع الى الصدارة فى كل لقاء وكأنه يقول : ها أنذا ... لاينافسه فى ذلك أحيانا إلا الأستاذ عبدالله الشيتى الكاتب الفلسطينى الكويتى الساخر ! ..

ولكن ماهى « الجنادرية » التى صارت رمزا للتراث فى السعودية ، وأصبح مهرجانها السنوى ملتقى كتابات عن التراث لاينضب لها معين ، وصارت ندواتها محشر الشعراء والأدباء والمدرسين من كل البلاد العربية والأجنبية ؟ ! ..

قيل لنا : الجنادرية قرية قديمة من القرى النجدية صمدت للتغيرات



لقطة لإحدى ندوات الجنادرية

الهائلة التى عصفت بقرى نجد وخيامه ومراعيه ، ولم تؤثر فيها غابات الأسمنت المسلح وطرق الأسفلت التى تتلوى فى كل مكان كالثعابين السوداء ..

وفى آخر لقاء قبل عودتنا إلى الوطن قال لنا الشيخ عبدالعزيز التويجرى وهو من أبرز رجال المهرجان :

ـ سنحاول فى الأعوام القادمة نقل الندوات من الجنادرية إلى الرياض أو إلى مكان قريب منها ، أما مسابقة الجمال أو الابل ، وعروض العادات القديمة فتقام فى الجنادرية كالعادة ..

ولكن ذلك لن يحل المشكلة ، لأن الجنادرية التى ترمز إلى التراث الشعبى ليست إلا قطعة من الصحراء اليباب بنيت حولها بعض الحيطان .. وما أكثر قطع الصحراء التى يمكن بناء حيطان حولها وتحويلها إلى مزارات تراثية أو سياحية أو دعائية ..

إن مشكلة التراث الشعبى فى السعودية الآن تشبه مشكلته فى أمريكا

ففي السعودية أكل الأسمنت المسلح والأسفلت الثقيل كل أثر للقرى والمضارب وبيوت الخيش والجريد التى عاش فيها الأعراب والبدو أحقابا بعد أحقاب ! .. وذلك ما حدث أيضا فى أمريكا ، إذ أكلت المدن الأمريكية فى تقدمها العاصف الكاسح كل أثر لقرى الهنود الحمر .. والفرق بين الحالين هو أن الهنود الحمر ذبحهم الأمريكيون وأبادوهم .. أما البدو والأعراب فى نجد والحجاز وملحقاتهما فقد نقلهم الحكم السعودى من شظف العيش فى الصحراء القاحلة الى ترف المدن الخرسانية ، فلا ترى على مد البصر فى تلك الصحراء الآن قبيلة بدوية تنتجع الكلأ ، أو تبحث عن الماء ، أو تحلب الشياه والنياق والمعيز كما كانت تفعل قبل عهد النفط ..

إن ماء الخليج العربى - وهو ملح أجاج - يأتيهم الآن فى عماراتهم وداراتهم وبيوتهم الحديثة المكيفة ، بعد أن تتولى إعذابه أو تحليته آلات جبارة استوردتها الحكومة السعودية من أمريكا ، فلا يشك من يرى الخضرة فى شوارع الرياض ، أن هذه المدينة قائمة على نهر يجرى وإن لم يكن فيها من الماء الجارى إلا بضع آبار عتيقة ! :

والدولة السعودية التى اجتمع المال فى خزائنها أكثر مما اجتمع فى خزائن الأمويين والعباسيين فى سالف الزمان ، لم تستول على النصيب الأكبر من هذا المال ، بل أكلت منه بالمعروف - إن صح التعبير - وأنفقت الجزء الأكبر منه فى المشروعات الهائلة التى أحالت الصحارى المترامية الأطراف الى مدن حديثة جدا ، بالغة السعة وأن كان عدد سكانها قليلا ، تربط بينها شبكة طرق جبارة لامثيل لها إلا فى الولايات المتحدة الامريكية .

ينبغى أن نقول إن فى السعودية حكومة قديرة دقيقة التنظيم واسعة النفوذ والخبرة .. أفرادها أقوى من كل حزب حاكم ، تقدمى أو غير تقدمى فى أى بلد عربى .. وهى تشبه فى سعيها إلى الاصلاح حكومة محمد على باشا فى مصر قبل مائة وخمسين عاما ، مع فرق الزمن والامكانات ، وتشبه أيضا حكومة الخديو اسماعيل فى محاولتها جعل البلاد السعودية قطعة من أوربا أو قطعة من أمريكا ، ولكن بدون الاستدانة ، فالسعودية دائنة لا مدينة ..

وهذه الحكومة تبذل هذه المحاولات فى بلاد واسعة متباعدة مناطق العمران ، يتشكل فيها الآن شعب واحد يتميز بسماته الخاصة شيئا فشيئا بعد أن كان إلى وقت قريب جدا مجرد قبائل وعشائر ، وكان بيع الرقيق فى أسواقه مباحا بصفة رسمية حتى ثلاثين عاما خلت ..

وفى مثل هذه الظروف يكون البحث عن تراث شعبى مشترك عملا شاقا ، ولكن يمكن فهمه فى سياق النشاط العام للدولة التى تحاول أن تلحق بركب العصر فى جميع مظاهره ، ولولا ذلك ما أنشأت فى الرياض أحدث وأضخم جامعة فى العالم ..

أطفال المهرجان ينوهون بذكرى الملك عبد العزيز

ـرية . ديكور لرقصة شعبية

الجنادرية :

إن الانسان الجديد فى السعودية خارج لتوه من التنظيم القبلى والعشائرى وأفكار القرون الوسطى أو القرون الأولى إلى أفكار العقد الأخير من القرن العشرين .. إنه يتجول بسيارته الفخمة الضخمة فى شوارع عاصمته « الرياض » فلا يجد إلا عمائر حديثة فاخرة لايزيد عمر أكثرها على عشر سنوات ..

ليس هناك حى قديم من عهد الفاطميين ولا عهد الأيوبيين ولا عهد المماليك ولا حتى عهد الملك عبدالعزيز آل سعود ، إلا بعض أطام واكواخ قليلة ضئيلة من اللبن ، أقل شأنا من بيوت القرى المصرية فى القرن الماضى ..

والآثار القليلة الباقية حتى الآن فى بعض المدن الحجازية هى من مخلفات العثمانيين .. أما الآثار الضئيلة على السواحل الخليجية فهى من آثار البريطانيين والاستعماريين الأخرين ..

إن الصحراء لا تحتفظ على صفحتها بأثر من الآثار ، لهذا نشأت عند السعوديين الجدد عقدة « التراث الشعبى » كما نشأت من قبل عند الأمريكيين ، فكثرت فى السنوات الأخيرة الاحتفالات السعودية التراثية التى لا يجد أصحابها تراثا شعبيا حقيقيا يحتفلون به ، فيتكلفون أن يجمعوا كل قطعة ولو فى حجم الكف من هنا وهناك ليقولوا لأنفسهم . هذا تراثنا الشعبى ! ..

والتراث الشعبى الذى يقصدونه يختلف بطبيعة الحال عن التراث الأدبى والعلمى العربى الذى كانت نجد والحجاز وأرض الجزيرة العربية مهدا له ، فهذا التراث العظيم هو تراث كل ناطق بالضاد بين المحيط والخليج ، وهو أعظم شأنا من كل مهرجان ..

وأخلد ما بقى هو القرآن الكريم ، ولا يعد بطبيعة الحال نوعا من « التراث » عند السعوديين ولاعند غيرهم من العرب والمسلمين ، لأنه كتاب السماء ، لم يصنعه النشاط الانسانى ، بل نزل به الوحى .. والسعوديون حريصون على إبعاد الدين عن كل ما يمسه من قريب أو بعيد ، ومجتمعهم فى هذا الشأن أشد حفاظا حتى من مجتمع الخومينى الذى يزعم أنه المجتمع الاسلامى الأمثل ! ..

مرة أخيرة .. ما هى الجنادرية ؟ !

إن كانت رمزا للموروث الشعبى ، فليس هناك قرية قائمة تسمى الجنادرية فتكون رمزا لشىء اسمه الموروث الشعبى ..

والموروث الشعبى الذى رأيناه هناك من أعمال يدوية ورقصات واحتفالات لايزيد فى جملته وتفصيله على احتفال تقوم به مدرسة أعدادية أو ثانوية فى مصر .. لا أقصد الفخر ، معاذ الله ، ولكنى اقرر الواقع الذى لايعيبه أنه متواضع ساذج .

وإن كانت الجنادرية رمزا للتراث الأدبى والثقافى والعلمى والتاريخى للجزيرة العربية وكل بلد عربى ، فما الذى يجعلها رمزا لكل أولئك وهى لا تضم أثرا واحدا يؤهلها لذلك ، وانما هى ـ كما تقدم ـ مجرد قطعة خاوية من صحراء نجد يوجد مثلها ملايين القطع

الصحراوية الخاوية هناك » ! ..

لقد جابهت هذه الحقيقة أصحابنا الذين وضعوا « نداء الجنادرية » أو توصياتها في ختام الاحتفالات والندوات التي امتدت عشرة أيام ، فاضطروا إلى قول كلام عام عن المأثورات الشعبية والتراث في الوطن العربي ..

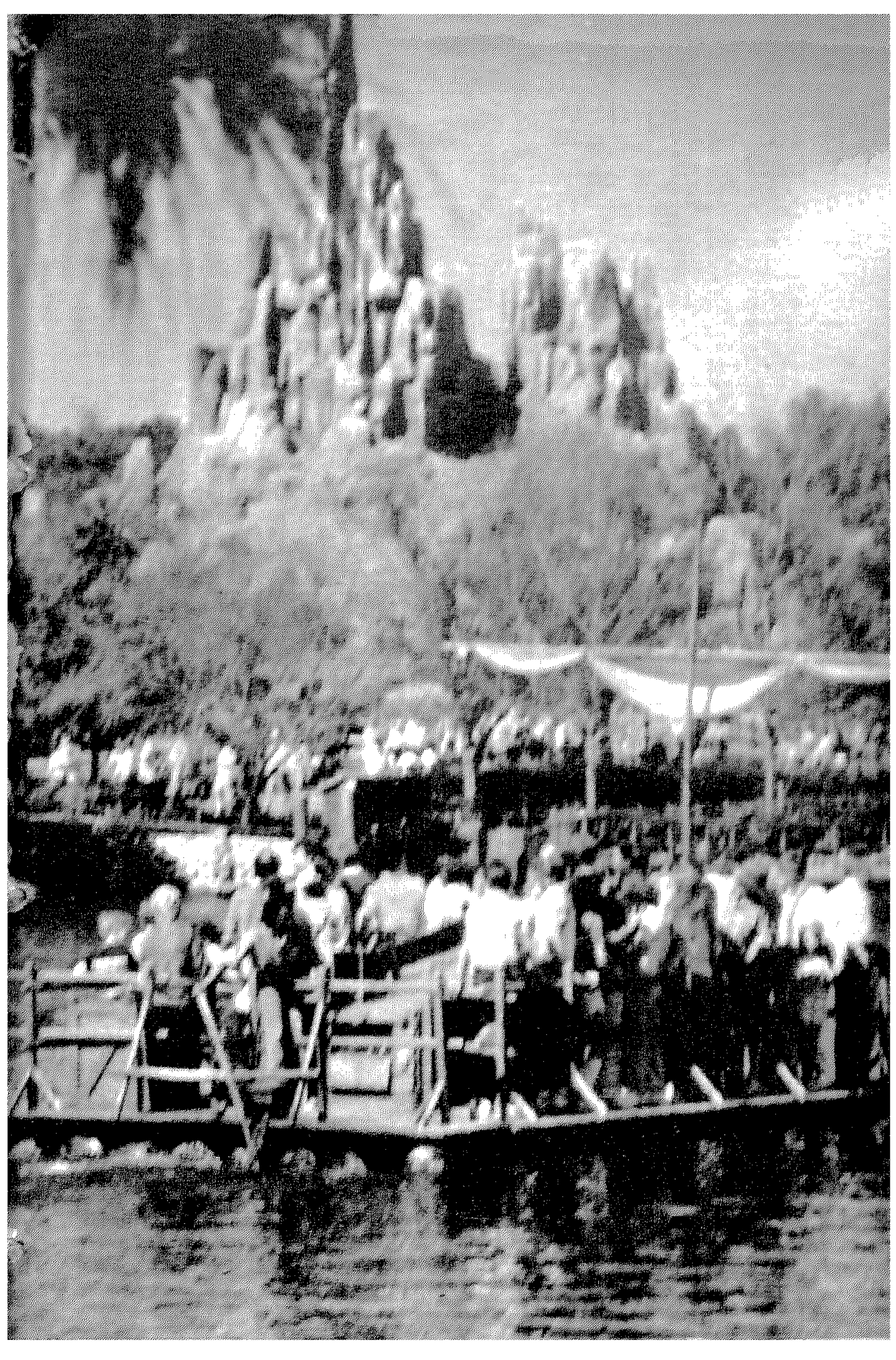
على أن الجنادرية في كل الأحوال ، تدخل تحت ما جاء في الأثر النبوي : « إنما الأعمال بالنيات ، وانما لكل امرىء ما نوى » ..

فالقوم في السعودية دفعتهم نياتهم الحسنة إلى هذا العمل ابتغاء التنوية بالوشائج الممتدة بين الماضي والحاضر ، أو بين ما يسمونه الأصالة والمعاصرة ، فلهم لقاء هذا العمل عند الله أجر العاملين المجتهدين أخطأوا أو أصابوا ..

والذين شاهدوا حياة البلاد السعودية كما تبدو في الرياض والمدن الكبرى : مكة والمدينة وجدة ، لايسعهم أن ينكروا أن فكرة « الجنادرية » تدل على فطنة المؤسسة السعودية الحاكمة التي مازالت في أوج مرحلتها التاريخية ، وقد أتيح لها أن تثبت بالأدلة الواقعية أنها من أكثر حكومات العالم كله نجاحا في تحقيق هدفها وتعزيز مكانها ..

إن المؤسسة السعودية الحاكمة ، سلطة مدنية حديثة التنظيم ، قوية اليد ، ذات شعارات دينية وتطبيقات محددة لهذه الشعارات ، عندهم إذاعة وتليفزيون ولكن بلا مذيعات .. لاسينما ولا مسرح ولا ملهى ، ولكن عندهم ملايين من أجهزة الفيديو وأفلامها .. لا مدارس ولا معاهد للفن ولكن عندهم مدارس للبنات تدور حولها شائعات تقول إن الشيخ ابن باز كبير علماء الدين يريد إغلاقها ولكن الشيخ ابن باز ينشر في الصحف تصريحا بأنها مدارس تفيد المسلمين وإن كان له بعض التحفظات ... لا تماثيل في الشوارع ولا صور في أي مكان إلا الصور السريالية والتكعيبية التي بارت في أوربا وراجت في السعودية لأنها لا تصور الوجوه البشرية ، ومع ذلك فعلى قارعة الطريق بين جدة ومكة إعلانات عن مسابقة للأغنية .. لقد فرضت الأغنية والموسيقى نفسها هناك وسكت المعارضون .. طائراتهم عملاقة ، والمضيفات مصريات ، والطيارون من جميع الجنسيات بما فيها الجنسية السعودية .. فنادقهم حديثة ولكنها شبه فارغة ليس بسبب الكساد الحالي الذين يجثم شبحه على كل شيء هناك ، ولكن لأنه لا سياحة إلا ما كان على سبيل الضيافة أو المجاملة .. عندهم صواريخ جبارة ولكن مازال السياف الرسمي بملابسه السابغة المزركشة يقف وراء الملك في احتفالات الجنادرية التي ظلت أكثر من عشرة أيام مكانا لمهرجانات وندوات التراث ، دون أن ترتسم في أذهان من حضروا تلك الاحتفالات فكرة واضحة عن معنى ذلك التراث الذي رفعوا فوقه لافتة « الجنادرية » ..

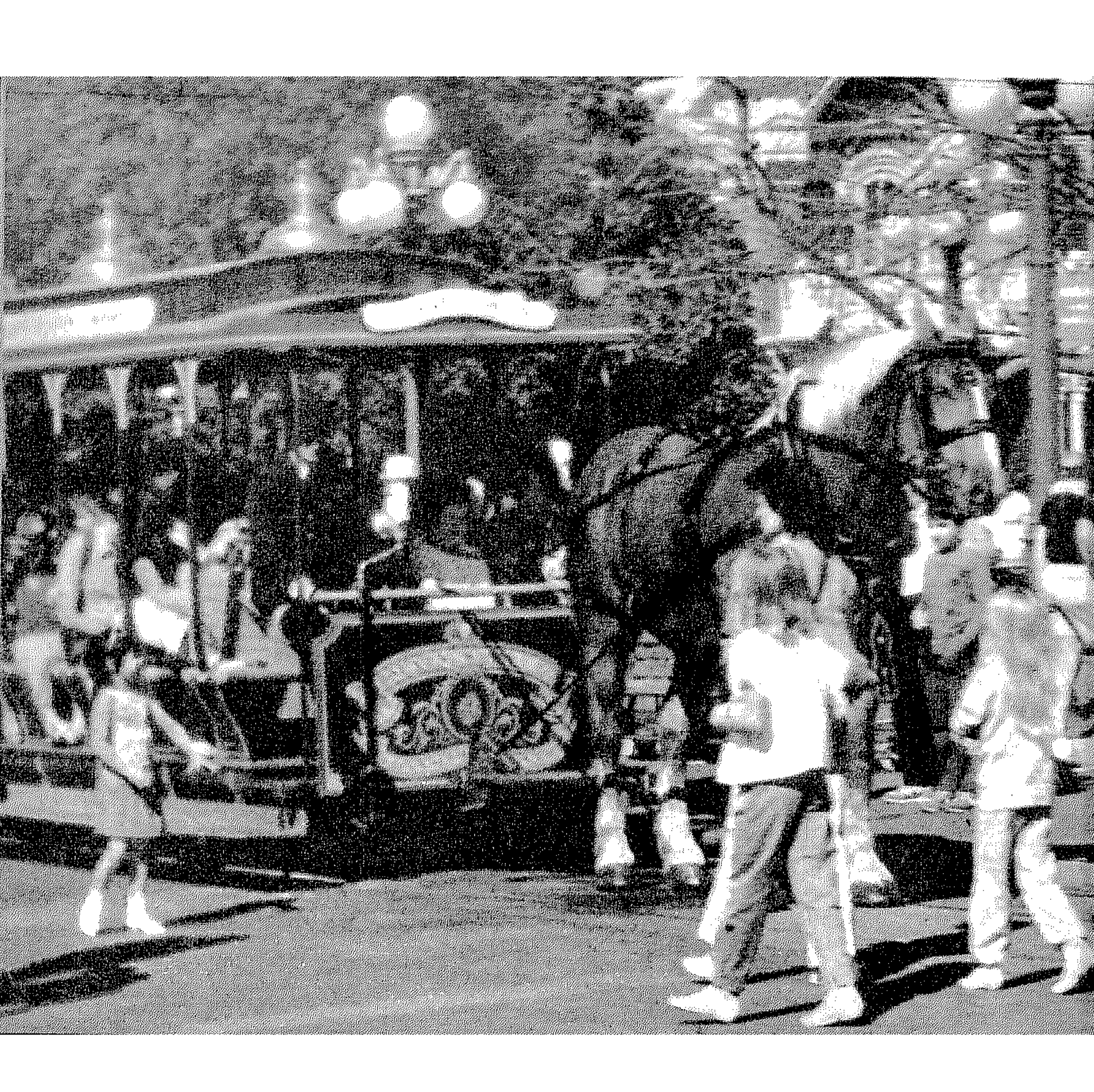
على أن « الجنادرية » في سياق هذه الصورة التي رسمناها في عجالة لحركة المجتمع السعودي كله ، يمكن فهمها ، ويمكن أن تنال ما تستحقه من تقدير ..



والت ديزني

تعارف لم يكتمل

بقلم : مصطفى الحسيني



والت ديزني

اثناء اقامة غير قصيرة بالولايات المتحدة الامريكية دعاني أصدقاء لي لزيارتهم حيث يقيمون في مدينة اسمها اورلاندو بولاية فلوريدا فلبيت الدعوة ، ورغم حرارة استقبال الاصدقاء الذين استضافوني وكرموني ، فاجأني أن أكتشف في نفسي شعورا هو مزيج من الحيرة والارتباك يوشيه خيط من الكآبة ضاعف منه خشيتي ان يلحظه كرام اصدقائي ، وان يرجعوه الى تقصير قد يتوهمونه في ضيافتهم .. ففررت – كتدريب نفسي – أن اقاوم خيط الاكتئاب بما يستند اليه من حيرة وارتباك بأن افتش داخل نفسي عن بواعثه ومصادره واسبابه ولعل ذلك يصرفني أيضا عن الشعور ذاته ، فلا اجرح اصدقائي ولا أحرج نفسي ..

والحقيقة ان هذا التفتيش لم يستغرق مني كثير جهد ، فلم ألبث أن تبينت ان مرجع هذا الشعور ظاهرة امريكية سبق أن لاحظتها فاستظرفتها ، لكنها هذه المرة استعصت على الاستظراف ، ففي المرات السابقة كنت الاحظ الظاهرة دون أن أكون في ضيافة أحد . أما هذه المرة فان ما تختزنه الظاهرة من ملل وما تومئ به من سأم ، سوف ينعكس على أصدقاء يغمرني كرم ضيافتهم فاحترت وارتبكت وتسلل الى نفسي شيء من كآبة .

الظاهرة التي أتحدث عنها هي تشابه المدن الامريكية الصغيرة بالذات ، تشابها يلغي الاحساس بأنك سافرت وارتحلت وانتقلت من مكان الى مكان ، انه تشابه ينفي متعة السفر التي هي الجدة بما تحمله من فضول وما تعد به من استكشاف . التشابه في البيوت : نمط معماري واحد متكرر ، الشوارع هي الشوارع .لا معالم مميزة الا اذا اعتبرنا دكاكين دجاج كنتاكي وأشباهها من المعالم هي ومحطات وقود السيارات .

وكنت قد توصلت فيما بيني وبين نفسي الى تفسير لهذا التشابه ، فهذه بلاد شاسعة لم يكتشفها الرجل الابيض الذى سكنها وعمرها فى مابعد الا منذ حوالى ٥٠٠ سنة ولم تصبح دولة الا منذ ما يزيد قليلا عن مئتي سنة ، وكان عدد سكانها – باتساعها الشاسع – عندئذ حوالى سبعة ملايين ، وفي خلال قرنين من الزمان أصبحت موطنا لحوالى ٢٥٠ مليونا من الناس ، فكان لابد لعمرانها أن يتحقق بسرعة وعلى عجل حتى تستطيع ايواء هؤلاء الوافدين اليها ، ولما كانت بلادا قام نظامها منذ البداية على الحرية الاقتصادية والفرصة ، فقد تولت مهمة العمران شركات بناء ضخمة ، بدلا من أفراد ، أو جماعات متجانسة منهم ، يبنون بيوتهم تبعا لتراث توارثوه أو استجابة لخيال كانوا يختزنونه فاطلقوه، أو « على مزاجهم » انما نابت عنهم في ذلك – دون استنابة منهم – تلك الشركات التى كانت – وبحكم تدفق الهجرة الى تلك القارة البكر – تغتنم فرصة تقتضي بناء أكثر مايمكن وأكبر مايمكن وبأسرع ما يمكن ، فاختارت الاسلوب الذى يفي بهذه المقتضيات ، وضعت رسوما نمطية

لمدن أو لاحياء بأكملهـــا ، وشرعت تؤدى المهمة ، وتكررها .

ولاول وهلة وجدت أورلاندو على هـــذا النسق ، فكأني ماطرت مئات الاميـال ولا ذهبت الى مدينة جديدة . أحسست كأنما ذهبت الى آرلنجتون التي سكنتها حينا من الوقت في ضواحي واشنطن ، أو غيرها من الضواحي الشبيهة حول العاصمة ، أو على أفضل الاحوال ، وحتى أبرر بعد المسافة والسفر ، ذهبت الى « أوشن سيتى » التي لولا البحر المحيط الذى أن أدرت ظهـرك ! لعدت في اقل من الثانية الى آرلنجتون ميتحول سفرك ٤ ساعات بالســيارة الى عبث ومشقة معا (لكن من ذا يدير ظهره للبحر على آية حال ؟! .

كان مصدر حيرتي وارتبـاكى اذن اننى أدركت اننى سـأكابد مللا وســأما حيث لا يجوز في حق أصدقاء كرام ، فدخل خيط الكآبة .

ولا أعرف اذا كان الاصـــدقاء الذين استضافوني ـ وهم مثـل عـرب تمتليهم الضيافة بواجباتها وحقوقها ـ قد لحظـوا ما انتابني أو لم يلحظوه . لكنهم في اليوم التالى اقترحوا على أن أذهب لزيارة « عالم والت ديزنى » الذى به تشتهر أورلاندو ، وأن أزور بالذات جزءا منه اسمه « ايكوت سنتر » وفهمت أن كلمة آيكوت اختصار لعبارة هي « النمط التجريبى لمجتمع الغد »

وتطوعت من المضيفين صـــديقة وزميلة مهنة باصطحابى الى هناك . وكانت هذه ، هى المرة الاولى التى أتعرف فيها على « عالم والت ديزنى » واعترف انه تعـــارف لم يكتمـــل ، وقد ندمت على ذلك ، ومازلت أهفوا الى استكمال هذه المعرفة .

***

المهم . ذهبنا .

كانت مدينة أخـــرى خارج المدينة ، تضاهيها حجما ، قد تقل أو تزيد ، لاأعرف غير انهـــا على خـــلاف أورلاندو ، المدينة النمطية الهادئة الى حد تظنها غير مأهـولة (أغلبيـة سـكانها من المتقـــاعدين أو من نسميهم أرباب المعاشات) ، كانت المدينة الاخرى تموج بالناس ، لكنهم ـ وبالطبع جميعا زوار ،فهذه مدينة للتسلية لاللسكن والعيش .وكان أول من استقبلنا أو تلقفنا مكتب العلاقات العامة ، الذى أعطى لكل منا نشرة تصف « العالم » وما يحفل به . وتلخص النشرة هذا العالم : « في ديزنى لاند (بلاد ديزنى) ، أســـعد مكان فى العالم ، بوسعك أن تواجه حيوانات ضارية ومتوحشين من بلدانهم الاصـــلية كثيرا ما يظهرون عداءهم لغزوك خصوصية عالم الغابة الذى يعيشون فيه .. ومن مواقع في « بلاد المغامرة » تســـتطيع فعلا أن تطلق النار على هنود » ..

أما وصف محتويات العالم ، فيوزعه الى أقسام ثلاثة : عالم والت ديزنى الذى يحفل بشخصياته الشهيرة : ميكى ماوس ودونالد دك وبطانتهما ، وحديقة الامم التى تقـول نشرة العلاقات العامة انها تعرض لك حياة أمم العالم يؤديها أبنـــاء هـــذه الامم ، و « ابكوت سنتر » أو « النمط التجريبى لعالم الغد » ، وعليك أن تشترى تذكرة لدخول كل من هذه الاقسام .

واعترف اننى لم أدخل الا الى قسم واحد منها هو « حـــديقة الامم » فقد روعتنى الطوابير المديدة أمام شـــبابيك التـذاكر لدخول القســـمين الاخرين ، بينما كانت حديقة الامم تعانى من قلة اقبال الزائرين نسبيا بالطبع (ما عدا طـــوابير الحجز للعشاء في المطاعم « القومية » العـــديدة التى تحفل بها) . وربما فعل شـــعورى بالسأم فعله أيضا فى هذا الاختيار ، فأنا لم أقرأ فى حياتى قصـــة من قصص والت ديزنى ، لا فى الطفولة ولا بعدها ، وعندما كانت رسومه المتحركة تعرض فى السينما كنت أشـــاهدها بذهن منصرف (لا أدرى لماذا ؟) ، لذلـــك لم تكن زيارة عـــالم

« والت ديزني » اختيـــاري · أما ابكوت سنتر ، فاقر ان رؤية مستقبل يديره الكمبيوتر ويتحرك فيه الروبوت ، وتتشك فيه الازرار ، وتلتمعفيه بقع الضوء لتعلمك أو تتبثك لا يجذبني ولا يتفق مع تصويري لمتعة الحياة ·

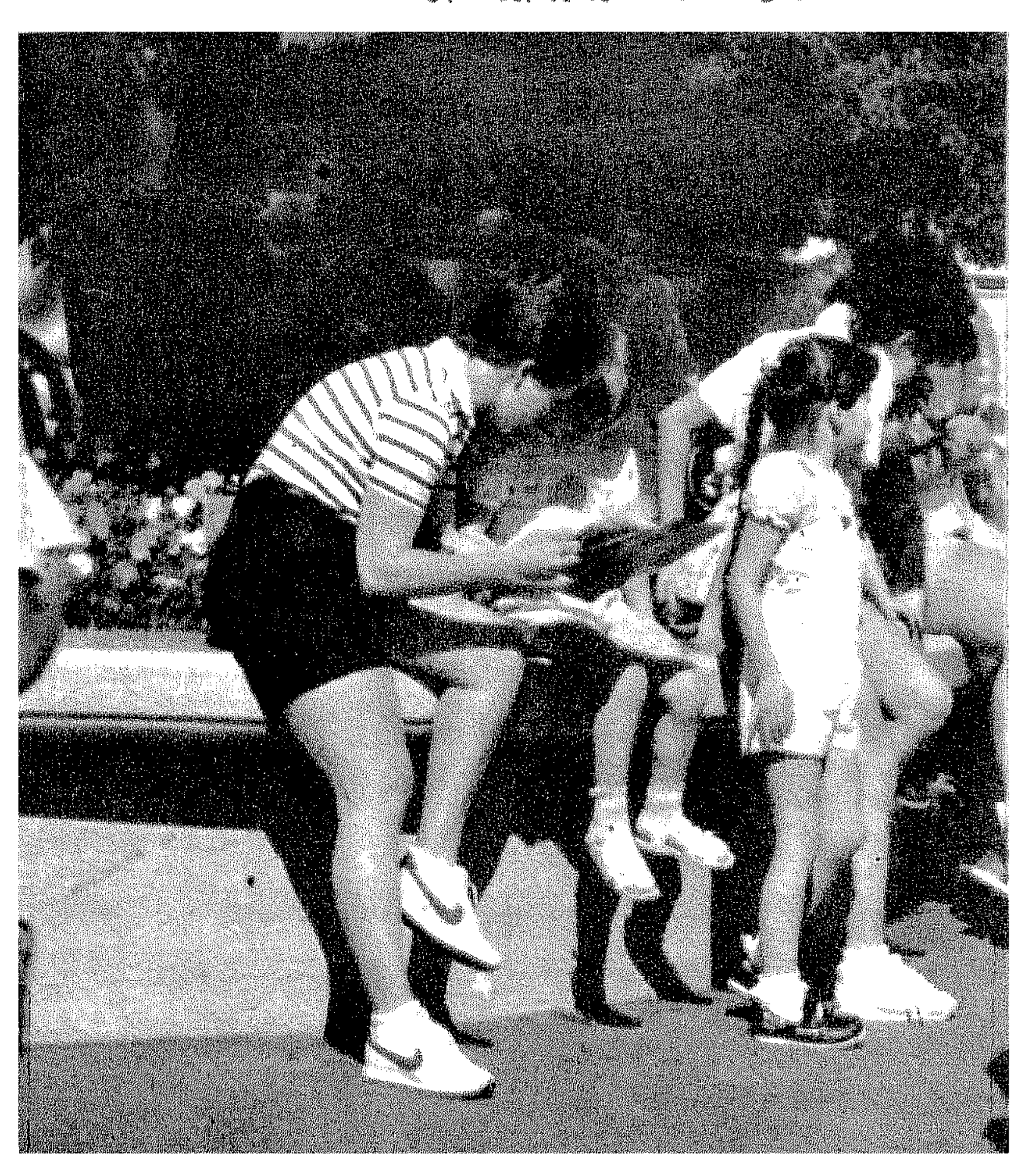
ولكني لا أعرف لماذا عندئذ تخـل عني فضولي ·

وقد ندمت ·

ومازلت أعد النفس أو أمنيها بزيارة آخرى لاورلاندو أعوض فيها ما فات ·

تجولنــا في « حديقـة الامم » وزرنا الاجنحة كلها · ولعـل اذكر أن من بين مالفت نظري فيها جميعا ، هو أنها تقـدم للزائر نوعا من المعـرفة بهذه الامم يكاد

انقشعت مدينة ديزني للأطفال .. الذين يجذبون الكبار



يتساوى مع عدم المعرفة فهي تقدمها للزائر باعتباره سائحا سطحيا عابرا الى بلدان تلك الامم : مطعم يقدم مأكولاتها الوطنية في الكثير منها ، ومعرض لحرفها التقليدية ، وصورا جدارية ضخمة لبعض معالمها الطبيعية • ولا معلومات ولا شيء ، ولا حتى الاوليات •

غير أن من بين ماالاحظته ولا يخلو من طرافة ، انه بينما يتجول السائر في الممرات الخضراء البالغة التشذيب بين أجنحة الامم ، تطالعه بين آن وآخر لافتة بارزة تقول « بقعة للتصوير » • وقد حيرتني اللافتة في البداية الى أن فهمت أن المقصود منها ارشاد من يرغبون في التقاط صور تذكارية لزيارتهم الى أن هذه البقعة موقع مناسب لهذه الصور !

وبقدر ما استظرفت اللافتة بقدر ماشغلت تفكيري : هؤلاء الذين وضعوها ، هل يعتقدون ان الشخص العادي لايستطيع اختيار مكان مناسب ليلتقط ما يريد من صور ؟ ألا يعتقدون ان أذواق الناس واختياراتهم تختلف وتتباين وتتفاوت ؟ وذكرتني اللافتة بمشهد عابر كنت اصادفه اثناء حياتي اليومية في أمريكا : تشتري شيئا عاديا • فرشاة اسنان مثلا ، فتجد على غلافها ارشادات مفصلة حول كيفية استعمالها،وكأن الذي اشتراها سيستخدمها للمرة الاولى في حياته ، وهذا في مجتمع يستخدم فيه الناس هذه الادوات منذ نعومة أظفارهم ولكن اللافت للنظر أن نجد الامريكي العادي يقرأ هذه التعليمات بدقة واهتمام !

وقادتني هذه الملاحظة العابرة الى تتبعها (ولا تستغربوا نوع اهتماماتي !) فلاحظت ان المجتمع الامريكي حافل بالاشادات والتعليمات ، حتى لا يستطيع الغريب عنه أن يتجنب انطباعا بأن هذا المجتمع ، أو من يقودونه ، من صانعي فرشاة الاسنان الى الحكام ، يعاملون الفرد فيه على أنه قاصر ، ينقصه الادراك والرشاد •

وبقي الانطباع يلح علي ، الى أن ذكرته في سياق حديث مع عالم اجتماع أمريكي ربطتني به صداقه ، وذكرت له « بقعة التصوير » في « عالم والت ديزني » • فاذا به يخيب أملي في ألمعية ملاحظتي ، فيقول لي أن ملاحظتي وانطباعي المترتب عليها صحيحان ، فهذه هي قاعدة التربية الامريكية ، وهذا هو سر « السلام الاجتماعي » في هذا المجتمع • هناك دائما شخص لا تعرفه ولكنه يعرف اكثر منك . يقول لك ماذا تفعل وكيف تتصرف • وأن « عالم والت ديزني » عالمه الحقيقي ، أي قصصه ومسلسلاته الضاحكة ، وكتبه وأفلامه ، هي خلاصة مبلورة لهذا الاسلوب في التربية •

وأهداني هذا الكتاب : « كيف تقرأ دونالد دك ؟

وللكتاب قصة •

صدر هذا الكتاب بالاسبانية ، أصلا في شيلي عام ١٩٧١ ، أثناء حكم الرئيس سلفادور الليندي ، وعندما اغتيل وأطيح بحكمه في ١٩٧٣ ، أحرقت نسخ الكتاب ، مع كتب أخرى كثيرة ، وبالكاد نجا مؤلفاه من الاغتيال •

انما منذ ذلك الحين صدرت منه ١١ طبعة بالاسبانية في أمريكا اللاتينية ، ثم ترجم الى الايطالية والفرنسية والسويسرية والالمانية والدنمركية والهولندية واليونانية والفنلندية واليابانية ، والانجليزية •

وكان الدافع الى اصداره هو الدفاع عن عقل شيلي ، فقد لاحظت حكومة الليندي ، انها عندما أممت مصالح الشركات الامريكية في بلادها ، ردت عليها الولايات المتحدة بفرض حصار اقتصادي يحظر تصدير المنتجات الامريكية اليها ، باستثناء نوعين من المنتجات : الاسلحة (!) حتى تهيىء الجيش للقيام بانقلاب وهو ماتحقق في خريف ١٩٧٣ ، والمواد الاعلامية لان المهم هو « غزو العقول » كما قال الديكتاتور

والت ديزني

جينو شيه نفسه بعد آن استولى على السلطة فى خضم حمامات الدم ·

وعندما وصلت حكومة الليندى الى السلطة عن طريق انتخابات ديمقراطية كانت تعرف إن ما هو متاح لثقافة الطفل فى البلاد هو المجلات والمسلسلات الامريكية وفى مقدمتها منتجات « والت ديزنى » التى تصور آمريكا والامريكى كانهم كائنات بريئة لا تريد للبشر الا الخير ، بينما كانت تجربة شيلى تقول عكس هذا ·

وعندما أصدرت دار نشر جديدة اقامتها الحكومة مجلة جديدة للاطفال اسمها « كابروتشيكو » أى « الطفل الصغير » ، خصصت كبرى صحف شيلى الى ميركيورى مقالها الافتتاحى لمهاجمة المجلة ،ووصفتها بأنها « مؤامرة للسيطرة على التعليم والاعلام » و « لغسل مخ الصغار » و «لتسميم عقول الصغار» و «حقنها بالبضائع الايديولوجية المهربة عبر الحدود » · بينما يملك الصحيفة الكبرى ذاتها أوجستين ادوارد نائب رئيس شركة البيبسى كولا !

وكان مؤلفا هذا الكتاب من بين المشرفين على مجلة الإطفال الوليدة ·

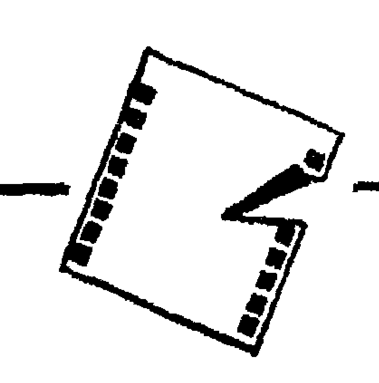
أما المؤلفان ، فأولهما أربيل دورفمان . من أبناء شيلى ، وكان أستاذا للاداب الامريكية ، الاسبانية بجامعة تشيلى ، وثانيهما بلجيكي الاصل كان يعيش فى البلاد منذ عام ١٩٦٢ ويعمل استاذا للاعلام فى الجامعة ذاتها ·

ويقول المؤلفان فى مقدمة الكتاب ان غرضهما ان يعيدا الى والت دبزنى بطته (أى دونالد دك) خالية من الريش ومشوية

وسوف نرى فى العدد المقبل من «الهلال» كيف فعلا ذلك ؟

لحظات مع « الحب »

- العلم أبو الحب ولكن الحكمة هى عين الحب · (هير)
- مهما تكلم الرجل فلا يقدر على شرح الحب ولكن تتفوه المرأة بلفظة فتذيب من الحب ما لا يسعه قلب الرجل · (هولمز)
- الحب شغل من لا شغل له لكنه كسل المشتغل · (ليتون)
- طريق الحسد فى الحياة اليف الحب فى الممات · (باكون)
- لا توجد امرأة يدوم حبها اكثر من ساعة · (مارى كورلى)
- ان الحب البشرى هو التعزية التى لا تفشل فى فعلها ابدا · (بيكنسفيلد)
- أن المحب ينسى نفسه فى خدمة المحبوب · (غردون)
- الحب · يا له من مجلد فى كلمة واوقيانوس فى دمعة وسماء سابعة فى نظرة وعاصفة فى زفرة والف عام فى لحظة · (مارتن توبر)



اليهود في هوليود

سياسة الخطوة ... خطوة

بقلم : مصطفى درويش

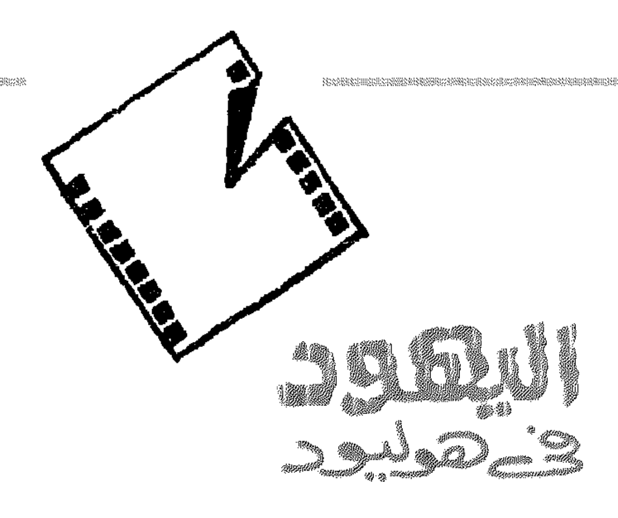
ظننا إلى عهد قريب أننا على علم بالدور الذى لعبته الصهيونية ابتغاء السيطرة على السينما ، وبالذات عاصمتها هوليوود ، بل وإننا نعرف عن هذا الدور الكثير .
وما دار في خلدنا أننا ، فى حقيقة الأمر ، لم نكن نعرف عن هذا الدور وابعاده الا القليل ، بل قل أقل القليل ولعل لذلك سببا .

● فلأمر ما ظل هذا الدور محوطا بالكتمان ، لا يكاد احد من كتاب ونقاد الغرب يجتهد فى اظهار ماخفى منه وما غمض ، او يحفل باستكشاف ما لا يهتدى اليه من جوانبه الا بعد تفكير عسير وعناء شديد .

● الصهيونية أسرار

وعلى كل ، فالآن والآن فقط ، بدأ نفر من الباحثين يدرس دور اليهود فى السينما ، ولا أقول دور الصهاينة ، ذلك أن النفوس فى الغرب لم تهيأ بعد للاقتراب من كلمة "صهيونية" ، ولو من بعيد .

فهي لاتزال من المحظورات ، لم يكتب لها ان تظفر الا بما ندر من ادوات البحث والاستقصاء والتعمق .



وقد تكون الباحثة الامريكية "باتريشيا ارينز" بمؤلفها الموسوعى "اليهودى فى السينما الامريكية" رائدة فى هذا المجال المحفوف بالمخاطر .

ومن هنا استكتاب القائمين على تحرير مجلة "سينما أكسيون" الفرنسية لها ، وهم فى سبيل الإعداد لملف خاص يعرض لموضوع واحد "السينما واليهودية" على امتداد العالم بدءا من هوليوود ، مرورا بنيويورك ثم أوروبا فمصر واسرائيل ، وانتهاء باليابان .

ولو اطلعنا على الملف ، ومجمل ماينطوى عليه من مقالات تبلغ الثلاثة والثلاثين عدّاً ، لتبين لنا ان ما كتبته "ارينز" ينفرد بأنه جديد ومفيد ، لأنه يكشف الجانب الآخر من مصنع الاحلام فى هوليوود ، ذلك الجانب الغائص فى ليل من الأسرار مخيف .

فالمعلومات التى ضمنتها مقالها "١٩٤٧ ـ ١٩٦٧ الموشن بكتشر بروچكت فى هوليوود" ، كلها مستمدة من أرشيفات لم يسبق نشرها لاحدى تلك الهيئات المنتشرة فى ربوع الولايات المتحدة بحجة مقاومة التشهير باليهود ، والتى يقف وراءها مساندا كل من "اتحاد بناى بريث" واللجنة الامريكية اليهودية .

● رقابة اهلية

وبادىء ذى بدء ماهى هيئة "الموشن بكتشر برچكت" هذه التى يدور المقال حولها وجودا وعدما ، وماهى المهام المنوطة بها والتى أنشئت من أجلها ؟

هى عبارة عن لجنة دائمة بدأت نشاطها قريبا من نهاية الاربعينيات (١٩٤٧) ، تفرغ لادارتها والاشراف على توجيهها بما يحقق اغراضها يهودى اسمه "چون ستون" ، سبق له ان عمل مدرسا ثم منتجا .

ومن بين مهامها المعلنة إحكام الرقابة على مضمون الأفلام التى تجنح الى المساس سواء من قريب أو من بعيد بأحد من طائفة اليهود ، وذلك حتى فى المرحلة السابقة على الانتاج ، اى وهى على الورق مجرد مشروعات ، لم تر النور .

وعن اعضائها تقول صاحبة المقال انهم كانوا منذ البداية متنبهين لأهمية السينما ، يرون فيها اداة تعليمية قوية ، قادرة على التأثير فى الجماهير ، وتوجيه الرأى العام .

واية ذلك ماجاء على لسان احد مؤسسى تلك اللجنة فى حديث له عن "الطريق المفروش بالنجوم" (ماكارى ١٩٤٤) ـ وهو فيلم داعية للكاثوليكية وفضائلها ، ومتوج بجائزة الاوسكار .

فقد قال عن الفيلم انه "افاد



ـ الطريق مفروش بالنجوم .. الكاثوليكية الصهيونية

الكاثوليكية بأكثر من حملة دفاعية بحتة تستمر عاما كاملا" .

وعقب تشكيلها ، مضت اللجنة فى طريقها من أجل تحقيق ثلاثة اهداف .

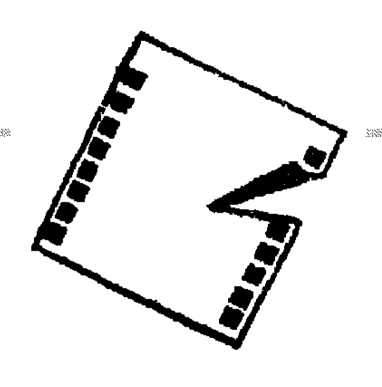
اولها : تعديل انماط الشخصيات السلبية ، لاسيما ماكان منها متصلا بالانماط اليهودية التقليدية المضحكة ، فضلا عن الشخصيات الفاسدة والاجرامية .

ثانيها : استبعاد كل ماقد يشجع على معاداة السامية ، وبالذات فى كل ما يعرض لحياة السيد المسيح .

وثالثها : تشجيع المعالجة الايجابية لصورة اليهودى ، ولكل ما يتصل بها من موضوعات .

● القياس الفاسد

وفى رأى صاحبة المقال أن تاريخ نشاط تلك اللجنة ، وما تحقق بفضله من تجميل لصورة اليهودى فى نظر المجتمع الامريكى ، انما ينهض دليلا على نجاحها فيما سعت اليه ، وبالتالى فان الوسائل التى اتبعتها فى ممارسة هذا النشاط



الناجح ، إنما تصلح مثلا يحتذى لكل اقلية تريد صلاح امورها .

والغريب فى هذه النصيحة أن صاحبتها لم تضع فى الاعتبار ، وهى تلقى بها جزافا ، أن جميع شركات الانتاج السينمائى الكبرى فى هوليوود ، فيما عدا فوكس للقرن العشرين ، كانت محكومة وقتذاك برؤساء مجالس إدارات ، كلهم من اليهود ، فضلا عن أن الاقلية اليهودية تعتبر أقوى وأغنى أقلية فى العالم ، وفوق كل هذا فهى الحليف الرئيسى لأقوى واغنى اقلية فى الولايات المتحدة ، تلك الأقلية البيضاء التى تنحدر من أصول انجلوسكسونية ، تعتنق مذهب البروتستانتية ، ويرأس أبناؤها الدولة منذ إعلان الاستقلال وحتى يومنا هذا ، وذلك باستثناء كيندى الكاثوليكى الذى انتهت ولايته فجأة بكارثة الاغتيال .

● الصبر والصمت

ومهما يكن من شىء ، فقد بدأت اللجنة مسيرتها التى كانت تستهدف بها احكام الرقابة على السينما والسيطرة على مصائرها لصالح الأقلية اليهودية .. بدأتها بسياسة الخطوة .. خطوة باللجوء بداءة إلى أسلوب الاقناع .

فها هو ذا "جون ستون" يلتقى برؤساء الاستديوهات . يحاول دون جدوى ان يوضح لهم مالديه من ماخذ على رسم الشخصيات الرئيسية اليهودية فى المسلسل الاذاعى "آل جولد برج" الذى اتجهت النية الى التحول به الى فيلم .

فإذا ماقوبل "آل جولد برج" مقابلة سيئة من النقاد ، ومقابلة أسوأ من الجمهور ، سارعت شركة باراموانت صاحبة الفيلم الى تغيير اسمه الى ""مولى" بأمل استرجاع الجمهور بفضل الاخفاء تماما للاسم القديم وما شابهه من اسماء قد تكشف الانتماءات الدينية الحقيقية للشخصيات .

وطبعا ، تعلمت هوليوود الدرس من هذا الفشل ، فكان ان امتنعت عن اعادة الاحياء للقوالب اليهودية السابقة على نشوب الحرب العالمية الثانية .

ولم تلبث ان ثارت المشكلة غير مرة فيما يتصل باظهار الشخصيات الثانوية فى هذه القوالب .

الا انها سرعان ما حسمت لصالح اليهود ، بفضل يقظة اعضاء اللجنة ، وممانعتهم لأية انتكاسة من هذا النوع اشد ممانعة .

● وداعا للحرية

بعد ذلك خطت اللجنة خطوة اخرى

اكثر جسارة .. شنّت حملة ضد اظهار اية شخصية يهودية مشوّهة الروح ، بلا قيم او اخلاق ، حتى ولو كان ظهورها فى افلام مأخوذة عن روايات معاصرة ناجحة مثل "استطيع ان احصل عليها لك بسعر الجملة" لچيروم ودمان او عن اعمال ادبية شهيرة مثل "ايفانهو" للسير والتر سكوت .

وعن نجاح "جون ستون" فى التخفيف من حدة رسم صاحب القصة الاولى لشخصية الترزى اليهودى الطموح الذى لا يتورع عن شىء فى سبيل الوصول ، عن نجاحه هذا كتب اثر مشاهدته الفيلم المستوحى من تلك القصة قائلاً "الفيلم باجماع الاعضاء الذين شاهدوه خلو من اى مظهر من المظاهر المتنازع عليها فى القصة ، والتى كانت مثار قلق بعض الجماعات داخل الطائفة اليهودية .

فهو باستثناء الاسم واوساط صناعة الملابس ، مُنبتّ الصلة بالكتاب .

والشخصيات التى يمكن التعرف عليها بوصفها شخصيات يهودية ، بما فى ذلك الشخصية الرئيسية "سام كوبر" انما تشعّ حرارة وصفوا .

واغرب من هذا كله التعديلات التى ادخلت على "ايڤانهو" بفضل نصائح اللجنة .

● إرادة التخريب

من المعروف ان "والتر سكوت" قد رسم شخصيتى "ريبيكا" واباها "اسحاق" على وجه يتسم بالتعاطف الشديد .

ولكن ان يكون "اسحاق" مرابيا فى منتصف القرن العشرين ، فهذا امر كان لابد ان يتسبب فى مشاكل لمنتج الفيلم "دور شارى" .

وللحظات جنح به التفكير الى تغيير نهاية القصة ، تلك النهاية التى لم يكن يحبها الاديب الانجليزى "زاكيراى" ، وبسببها اتهم "سكوت" بمعاداة السامية .

وان يكون تغييره لها بحيث ينتهى الفيلم بزواج "ايڤانهو" من "ريبيكا" .

غير انه سرعان ماعاد اليه الرشد ، تخوّفا من ايذاء شعور المتفرجين الذين قرأوا واستمتعوا بالقصة ، ويعلمون نهايتها غير المحرفة علم اليقين .

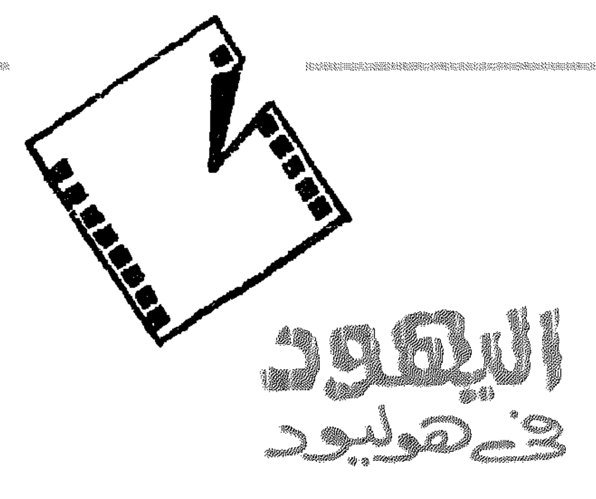
ومع ذلك فالمتفرج على الفيلم فى صورته النهائية التى خرج بها الى الناس ، هذا المتفرج اذا ما ذهب به الظن الى ان "اسحاق" هو الذى أنقذ انجلترا ، وليس ريتشارد قلب الأسد ، فله العذر كل العذر !!

● الخطوة الأخيرة

والى العام العاشر من حياتها (١٩٥٧) ، اقتصر تدخل اللجنة على التقدم بالاقتراحات والمشاهدة .

أما التصور العام للافلام ، فلم يكن لها عليه اى نفوذ .

ومع ذلك فلم تنقض سوى ايام على



عرض فيلم "كنت شيوعيا فى خدمة مكتب المباحث الاتحادية" لشركة اخوان وارنر ، وعلى ردود الفعل الغاضبة التى اثارها فى بعض الاوساط ، اليهودية حتى بدأت الخطوة الثالثة .

فاذا بوارنر والاستديوهات الاخرى تستطلع رأى اللجنة فى مشروعات الافلام ، مستجدية موافقتها .

ومجمل تقارير "جون ستون" نصف الشهرية المكتوبة عقب هذا التحول الخطير ، انما تلقى الضوء على التغييرات التى نجح فى احداثها لصالح اللجنة .

فمثلا جاء فيها عن فيلم "العرايا والموتى" (راؤول والسن ١٩٥٨) "ثمة بعض تعديلات هامة يتعين ادخالها ، واستبعاد الكثير من التعبيرات التى تحمل الازدراء لليهود .

ومع ذلك ، فمن الامور التى لها مغزى شخصية اليهودى . فهو الوحيد الذى ظل محتفظا بمثل اعلى ، ولم تمزّقه تجربة الحرب التى مرّ بها" .

وجاء عن فيلم "بن هور" (ويليم ويلر

- بول نيومن .. نجم «الخروج» .. الاعظم ..

١٩٥٩) "جميع ملاحظاتى ، وكما اوضحت فى تقرير سابق كانت محل اعتبار تتبقى العشرون صفحة الاخيرة ، وهى وفق آخر الاخبار ، جار مراجعتها" .

● العهد الجديد

وعلى حدّ تعبير صاحبة المقال ، كان للافلام المستوحاة من التوراة ، وبخاصة العهد الجديد ، كان لها من المشاكل الشائكة ادقها واكثرها اثارة للمشاعر .

فعلى مرّ العصور ، كانت تعتبر مسرحيات الصلب كارثة بالنسبة لليهود ، يرون فيها الشرّ كل الشرّ .

ولم يتغير الموقف ازاء الصلب السينمائى فهو بدوره يعرضهم لنفس المشاكل ، بما يثيره فى "نفوس الدهماء من عداء لليهود عن جرائم ارتكبها الاجداد فى سالف الزمان" .

ومن هنا معاداة الاتحادات اليهودية لافلام مثل "تعصب" (جريفيت ١٩١٨) و "ملك الملوك" (دى ميل ١٩٢٧) و "المسيح نجم اعظم" (جوويسون ١٩٧٢) وبداهة ، لم يقف "جون ستون" وصحبه اعضاء اللجنة فى مواجهة خطر الصلب بما يثيره من ذكريات كلها اشجان ، لم يقفوا مكتوفى الايدى .

● التحريف العظيم

تحركوا سريعا . حذفوا كلمات الصلب ومذبحة الاطفال من سيناريو "سالومى" (ويليم ديتريل ١٩٥٣) حرفوا التاريخ فى الفيلم بجعل "هيرود" و "هيروديا د" برابرة اغرابا ، ليس لهم صلة دم ببنى اسرائيل الذين هم منهم براء .. ألصقوا تهمة خيانة المسيح بشخص آخر غير المسيح اسمه "كاييف" .. حقروا من شأن مصر الفراعين شعبا وجيشا فى الوصايا العشر (دى ميل ١٩٥٦) .

ولم يكتفوا بكل ذلك ، بل عملوا على تحقيق الهدف الثالث والاخير من اهداف لجنتهم ، الا وهو تنظيف صورة اليهودى على الشاشة البيضاء .

وكان لهم كل ما ارادوا .

فها هو ذا اليهودى مجملاً محتلاً الشاشات وهاهوذا فى « اتفاقية الجنتلمان » مضطهدا معذبا وفى " مذكرات آن فرانك " معتقلا فى الطريق الى الموت الجماعى بالغاز ، وفى " الخروج " مناضلا ثائرا سائرا الى ارض الميعاد وهكذا ... وهكذا .

وقبل أن يجيء الموت " جون ستون " بقليل (١٩٦١) كتب عن " الخروج " ١٩٦٠ اليلم الذى اخرجه " اوتو برمنجر " ومثله " بول نيومان " كتب عنه كشيدا " الخروج قد اشهد العالم على بسالة اليهود فى نضالهم من اجل الحرية .. وهذا هو المهم " .

وفى العام التالى لاختفائه ، وتحت رئاسة ألن ريفيكين (١٩٦٢) غير اسم اللجنة بحيث اصبح " اللجنة الاستشارية اليهودية " .

فاذا مامرت الأعوام ، وجرى الاعلان عن حل اللجنة (١٩٦٧) افصح رئيسها " ريفيكين " عن سبب ذلك قائلا " المهمة تمت " ! !



رأى فى الثقافة

هذا الاعتداء الاثم على المسرح

● لا احد يستطيع المكابرة فى ان ما حدث فى قرية « كودية الاسـلام » التابعة لمركز ديروط بمحافظة أسيوط من اعتداء آثم على عرض مسرحي نبيـل الهدف قام بالجهود الذاتية من ابناء المكان الذين لم ينتظروا الندية القـاهرة ليأتوا لهم بعروضهم المسرحية السخيفة التى تقدم الناس،وبالخصوص الفلاحين فى صورة كاريكاتيرية بلهاء ، نقول لا احد يستطيع ان يكابر فى ان هـذا الاعتداء عمل جاهل مدان قام به عدد من المرضى الذين يعملون على نفس الخط الذى يراد لمجتمعنا ان يظل قابعا فيه ، خط الجهل والجهالة الذى يتركنا نتمرغ فى الظلام والتخلف ، حتى يتقدم الجميع ما عدا مصر المستهدفة من الاستعمار كما هى مستهدفة من قوى الظلام ٠

والمضحك المبكي فى الامر ، وما يدفعنا للدعوى الى ان نتكاتف جميعـا خاصة المثقفين والفنانين والكتاب من أجل الوقوف فى وجهه بكل قوة ، ان العرض لم يكن أحد تلك العروض التى تمتد بجذورها الى ملاهي شـارع الهرم القديم ، ولا كان القصد منه دغدغة الغرائز أو مخاطبة ما فى النفس من مبـاذل ، وانما كان عرضا هدفه النبيل يحمل دعـوة من اجل ان يعود الفلاح للتمسك بأرضه ، بعد فترة الانفتاح « السعيد » الذى دفعه للهجرة والتخـلى عن الارض جريا وراء المكسب السريع ، والتخلى عـن قـيم العمـل الجـاد المنتج ، الى اساليب النهب والسمسرة مما اصاب الشخصية المصرية بكثيـر من العطب ، عرض يدعو الى ان يعود الفلاح الى ارضه بـدلا مـن التعـلق بأوهام الثورة الزائفة ، وبيسط المخاطر التى ترتبت على ذلك يهـاجم مـن قبل هؤلاء الصبية الجهلاء المرضى لابد ان يكون موضع اتفاق بيننا جميعاعلى ادانته ، بل والتصدى له بكل ما نملك من قوة ، بـل يدفعنا جميعا نحن العاملين فى حقل الثقافة الى أن نحمل عتادنا الثقافى ونتجه به الى الارياف ، لان الامر وان بدت خطورته قائمة واكيدة على قوى الظلام التى تخـاف العـلم والفـن والثقافة يؤكد لنا مرة اخرى ٠ انه هو الحل للعودة بالامور الى توازنها الصحيح

ويسط دعوة التنوير على ضفاف النيل كما كانت •• ولنكف ونتوقف عن التكدس في القاهرة التي لم تعد تحتمل لا وجودنا ولا نشاطاتنا بعد ان اصبحت الحياة فيها مستحيلة •

ان هذا العمل الاجرامي لابد أن تكون له نتائج محسوسة على الجانب الاخر ، جانب المتنورين ، هو أن نتحرك في هذا الاتجاه • أن نسعى الى الريف وأن نغمره بالاعمال الفنية فهذا هو الرد الوحيد •

وعاشت فرقة ساحل سليم المسرحية ، وها هو التاريخ يكتب عملها باحرف من نور •

عبده جبير

مسرح

● مسرح ٨٨ : الشبان قادمون

طوال الاشهر الماضية برزت عروض متميزة لمجموعة من المخرجين الذين يقدمون انفسهم في فهم واستيعاب لدورهم ومقدرة تنبىء بمستقبل كبير •

ففي المسرح الحديث يقدم هشام جمعة عرض (برلمان الستات) اعداد مجدى كامل عن نص اريستوفان ، وفي نفس المسرح يقدم على خليفه (الخطاب) المسرحية التي كتبها ميخائيل رومان عام ١٩٦٧ ، وفي مسرح الطليعة يقدم حسن الجريتلي مسرحيتين من تأليف هارولد بنتر هما (الخادم الاخرس) و (العشيق) •

وقد نجد تفاوتا بين المخرجين الثلاثة في امتلاك الادوات وفي امانة توصيل كلمة المؤلف وفي القدرة على التحكم والسيطرة على الممثلين ، ولكنهم جميعا يملكون مواهب كبيرة ومقدرة على التجسيد البسيط المعبر وقراءة ما يخفيه المؤلف بين سطوره والحس الفني العالي ، وهي اشياء صارت للاسف الشديد نادرة حتى عند المخضرمين من المخرجين •

في (برلمان الستات) يناقش العرض مشكلة الديمقراطية من خلال موقف كوميدى يتفجر بعد رفض نساء اثينا حكم الرجال ، فيقررن التحايل من أجل الاستيلاء على الحكم ، فيذهبن متنكرات وينجحن في ذلك ، ومن الجو الساخر الذى ينشأ من هذه المفارقة بعد ان تبدلت الاوضاع يتحايل الرجال مرة اخرى من اجل الاستيلاء على الحكم ووسط هذا تبرز مشكلة الاطفال الذين يواجهون الجميع في النهاية في مطالبة بالمشاركة والحرية على قدم المساواة ، وقد نجح اعداد مجدى كامل في صياغة النص وتركيزه على قضايا كلية تجعله قريبا من قضايانا المعاصرة ، ونجح هشام جمعة في تجسيد هذا الجو الساحر في حركة معبرة وفي تحكم وانضباط أداء الممثلين ، وان جانبه التوفيق في المشاهد الاخيرة التي كانت تسمح له باطلاق خياله اكثر وخاصة في المشاهد الاستعراضية التي جاءت فقيرة التعبير ، ونجح الممثلون الجدد في اثبات وجودهم وهم يحملون عبء تقديم عمل جميل وحدهم : مها عطية ، ميرفت مراد ، سمحية عبد الهادى ، لاشينه لاشين ، أمل الصيفى ، محمد

الدسوقي ، علاء مرسي ، ابراهيم الابيض ، سليمان عيد ، علي ابو علفه ، سيد جبر ، محمود البنا ، حسن السيد.

اما عرض (الخطاب) فهو نص فكرى تغلب علي سكونه مخرجه علي خليفة بمقدره كبيرة ، فاحال العالم الكابوس الذى حاصر بطله (هو) الذى يعاني القهر علي كافة المستويات ، الى عالم حي وزاخر بالانفعالات المتضاربة والحركة المتلاحقة ، والبطل (هو) يؤمن بمشروعية الاحلام ولا نهائية الامال كحق انساني مطلق ، ولكنه عاجز دائما عن الخروج من حالة الاماني ، ويوازى علي خليفة افكار المؤلف بتجسيد حركي مبتكر وغير عادى يعطي العمل روحا جديدة بعد فهم واستيعاب لكل دقائق النص ومعه مهندس ديكور صمم الديكور ببساطة موحية وهو محمد الصعيدى ، وينجح سيد خاطر في تحمل العبء الاكبر من هذه الشخصية المركبة المتناقضة ويجسدها ببراعة ومعه سميحة عبد الهادى وعلي ابو علفه وطارق لطفي الذين يثبتون فعلا لا قولا صدق مواهبهم .

اما عرضي (الخادم الاخرس) و (العشيق) فتبرز فيهما مقدرة مخرجهما حسن الجريتلي التي تتاكد عرضا وراء عرض ، وبعد ان قدم منذ فترة قصيرة عرضيه (نوبة صحيان) لداريوفو وفرانكا راما و (يموت المعلم) لبيتر هاندكه ، نلاحظ اهتمامهغير المالوف بما يمكن أن نسميه باللقطة المسرحية ، فهو يكثف رؤية العمل الدرامي من خلال مشاهد متتابعة هي اقرب للوحات الفنية ، حيث علاقاتالشخصيات ببعضها مرسومة بعناية وحركتها محسوبة والاضاءة المستخدمة تضفي نوعا آخر من الجو النفسى المستبطن من داخل النصوص ، وهو يميل دائما للاناقة الشكلية التي تاتي أحيانا على حساب المضمون الفكرى .

ونحن هنا لا نطالب بسيادة نمط معين على خشبات مسارحنا من العروض المختلفة أو تتبنى قوالب ثابتة ، ولكن لا يمكن أن نتحدث في مجتمع نام كمجتمعنا عن ترف فكرى أو فني ، او نشجع عروضا مسرحية من اجل العروض في عرض (الخادم الاخرس) يتحدث بينتر عن علاقة بين شخصين يتلقيان اوامر بقتل احد ضحاياهما من منظمة غامضة ، وهما في انتظار الضحية الجديدة ، ويبني المؤلف عالمه من خلال هذين الشخصين المتناقضين في السلوك والعادات وطريقة التفكير ، ويوضح مدى علاقتهما بالعالم الخارجي ، وفي النهاية يقضي احدهما على الاخر بعد أن جاءته رسالة آمرة بأن يقتل زميله ، وهما قد ظنا من قبل انهما معا مكلفان بمهمة قتل ثالث .

وبين قاهر ومقهور تدور اللعبة ولكنها تظل ابدا في يد ذلك القاهر الغامض الذى يمسك بكل الخيوط في يده .

والعرض الثاني (العشيق) عن زوجين يقومان بلعبة الخداع ، فيتقمص كل منهما قناع العشيق ، ويحمل كل منهما نقيض ما يؤمن به ، ليكتشفا ونكتشف معهما حقيقة اللعبة الانسانية التي يعيشها الجميع .

والعرضان يحملان اهم سمات عالم بينتر من الغموض ، واستخدامات اللغة التي تثير اكثر من معنى وتضفي بالصورة والرمز بدلا من تسلسل الاحداث ، وهو يخلق عادة صراعه من



- نهى العمروسى واحمد كمال كمال فى « العشيق »

الشك الذى يلف حياة شخصياته لكى يزيد من حقيقة الموقف الذى يواجهنا ويواجههم ، ومع اهتمام المخرج بالتفصيلات الصغيرة ، وامكانياته الكبيرة على التشكيل الجمالى واستخراج افضل ما لدى ممثليه ، فان كل ذلك يتوارى مع زيف عالم بينتر المقدم بعد ان تغيرت الاسماء وتحولت الى بيئة محلية مما يفقدها الخصوصية التى تكسب أعمال بينتر تفردهاورؤيتها للعالم ، وقد أحدث هذا انفصالا تاما بين المتلقى والعرض ، وقد يكون الغرض من ذلك هو تقريب بينتر من المشاهد المصرى ولكن العكس هو الذى حدث ، ولا يمكن وسط هذا بالطبع ان نتحدث عن مزايا الاخراج او براعة ممثليه احمد كمال وعمرو عبد الجليل ونهىالعمروسى والتى تسمى نفسها (الورشة) بعد والمجموعة التى تقف وراء هذه العروض الانفصال الذى يحدث من جراء التقريب الذى تعمده المخرج فابتعد عن المتفرج ٠

ويصبح من الخطأ القول ان هذه العروض لا تعنى فى المقام الاول بالجمهور العادى وانما تقدم للصفوة ، لانه فى تصورنا وسط هذا التردى المسرحى الذى نعيشه يصبح كل ذلك عبثا لا طائل من ورائه ٠

والخلاصة ان الشبان الثلاثة هشام جمعة وعلى خليفة وحسن الجريتلى مواهب اخراجية لا شك فيها ، ينتظر المسرح المصرى منها الكثير ٠

● محمد الشربينى

رسائل جامعية

مصر والنوبة في العصر المملوكي

● نوقشت اخيرا في كلية اداب سوهاج رسالة الدكتوراة المقدمة من الطالب عبد الرازق عبد المجيد سليم عن موضوع « العلاقات بين مصر والنوبة في العصر المملوكي » باشراف الاستاذ الدكتور محمود الحويري ، وقد ناقش الطالب الاستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور ، والاستاذ الدكتور محمد محمود ادريس ٠

وبعد العرض بدأ الدكتور سعيد عاشور المناقشة قائلا : « انني عندما قرأت هذه الرسالة كلمة كلمة وجدت الطالب قد تخطى حاجز المسلمات ولم يقتصر على ما جاء به غيره من المؤرخين، عربا كانوا او اجانب ، وانما استطاع ان يلقى اضواء جديدة على مشاكل عملية كتابة التاريخ والمنهج الذي تتبعه ، وهذا ما جعلني اقدر بحثه وجهده ٠

اما عن الملاحظات السلبية التي ابداها الدكتور عاشور فقد بداها بملاحظة أن الطالب لكي يتطرف الى شعاب جديدة ساقه هذا الى شيء عن الاستطراد « وهذا الاستطراد » مرض خطير تعاني منه الكتابة التاريخية ، حيث شاع على ايدي كثيرين ممن يكتبون في التاريخ عندما يتناولون نقطة فرعية ويتوسعون فيها على حساب الموضوع الاصلي ٠

الملاحظة الثانية للدكتور عاشور ابداها عن مشكلة راى ان الباحث وقع فيها الا وهي انه قد حمل التاريخ اكثر مما يحتمل فموضوع رسالته هو النوبة ، لكنه استعمل الكلمة باعتبارها السودان ، في الوقت الذي اشار عليه بانه اذا كان صحيحا القول بان كل نوبي هو سوداني ، الا انه ليس صحيحا ان كل سوداني هو نوبي ، لان كثيرا من السودانيين من اصول مختلفة ، وقد قاد هذا التصور المبني على العاطفة الى ان يرى المناقش شيئا من التعصب لدى الباحث تجاه النوبة في الوقت الذي يجب على الباحث المؤرخ ان يتخلص من هذا المرض ، هذا امر مرفوض باعتبار ان المؤرخ ينبغي ان ان يكون قاضيا عادلا منصفا لا ينسب الى شيء ما ليس فيه ٠

وهذا هو ما دفع الباحث لان يخرج عن اطار النوبة وتاريخها الى اطار اخر ، في الوقت الذي نجد فيه تاريخ النوبة تاريخا خصبا وحيا ، الامر الذي كان على الباحث ان يلتزم به مادام قد حدده في عنوان الرسالة ، واعتقد ان ما قاده الى ذلك هو خلطه بين النوبة والسودان ٠

ملاحظة اخرى شكلية هي الافراط الشديد في الحواشي والهوامش التي خصصت لاشياء معروفة ومطروقة ، فلا ينبغي على الباحث ان يشرح كل صغيرة وكبيرة لان هذا لا يزيد من قدر العالم وانما يزيد من قدره ان يكتفي بما يستحق الشرح ، فليست العبرة بالكم وانما العبرة بالكيف ٠

ملاحظة اخرى ابداها الدكتور عاشور تنبني على الملاحظة السابقة هي ان الباحث قد اتهم المماليك انهم وعقب قيام دولتهم مباشرة لم يهتموا بالنوبة ، متناسيا ان معركة المماليك في ذلك الوقت كانت تنصب على ترسيخ دولتهم وتامين حدودها،

فى ظل اعداء لهم فى الداخل والخارج ٠

وفى نفس الوقت يتهم الباحث صلاح الدين الايوبى بانه لم يول اى اهتمام للنوبة فى نفس الظروف ، وعلى نفس المستوى ، بل انه اتهم صلاح الدين بانه كان فقط يعمل على امتداد امبراطوريته ٠ وقال المناقش : انا غير راض عن صياغة هذا ٠ وهذه اراء فيها مبالغة ٠

وعن مراجع الباحث ابدى المناقش ملاحظة بانه اعتمد على مراجع عامة مثل كتاب « حضارة الاسلام » فى الوقت الذى هو مرجع عام لم يكن من الضرورى اثباته كمصدر ، بل يمكن اثباته فى النهاية كمرجع عام ٠

وبالنسبة للملاحق اكد المناقش انه يرى عدم ضرورتها لان الملاحق اذا لم تكن وثائق توصل اليها الباحث بنفسه ، وينشرها للمرة الاولى فلا لزوم لها ، فالباحث اقتطع من مراجع وكتب اخرى منشورة ومتوافرة بين يدى القارىء ليثبتها فى نهاية الرسالة كوثائق ٠ وهو امر لا طائل منه ٠

وقد اكد المناقش الثانى الدكتور محمد ادريس على الهدف النبيل الذى سعى اليه الباحث من دراستيه ، الماجستير والدكتوراه ، حيث يشكل موضوع مصر والنوبة قضية حيوية لانصهارهما معا مكونين مصر الحديثة٠

اما الملاحظة الشكلية الاولى فقد انصبت على مسالة اثبات التاريخ الذى اعتمد عليه الباحث ، فالدراسة تتناول حقبة من التاريخ الاسلامى ، لذلك كان على الباحث ان يعتمد فى البداية التاريخ الهجرى ، ويقرنه بالتاريخ الميلادى ولكنه فعل عكس ذلك اذا اثبت التاريخ الميلادى وترك التاريخ الهجرى ٠

وبالنسبة للتعريف الجغرافى قال المناقش : اننى ارى ان يكون التعريف الجغرافى للمنطقة فى الفصل التمهيدى وليس فى صلب الرسالة كما فعل الباحث ٠

وبالنسبة للفصل الرابع الذى خصصه للنشاط الاقتصادى فان المناقش راى ضرورة تغيير عنوانه الى النشاط التجارى ، لان النشاط الاقتصادى يشمل اشياء كثيرة غير التجارة التى اقتصر عليها الفصل ٠

كما ابدى المناقش اعتراضه على التفاصيل الكثيرة التى وردت فى المقدمة وفى الهوامش وكان من الممكن الاستغناء عنها لانها لا تضيف جديدا، واتهم الطالب بالمغالطة اذ قال عن بعض مصادره انها خطية فى الوقت الذى هى كتب منشورة ومتوافرة كما ابدى ملاحظة عن وفاة ناصر خسرو الذى ذكر الباحث انه توفى عام ٢٠٧ هجرية فى الوقت الذى هو قد توفى عام ٤٨١ هـ ٠

ابدى المناقش ملاحظة اساسية حول أن الطالب أورد كلمة « ويبدو » فى معرض عرضه لرايه فى اكثر من مائة موضع فى الرسالة دون تاكيد ، الامر الذى يدفع القارىء للشك فى هذا الراى ، وطالبه بان يحسم القضية كما يقتضى السياق ٠

وفى النهاية فقد اثنى الدكتور ادريس على منهج الطالب وتميز اشراف استاذه ومنح الطالب بعد المداولة درجة الدكتوراة بمرتبة الشرف الاولى ٠

مؤتمــرات

● مؤتمر المعماريين المصريين

اقيم في الشهر الماضي بمبنى جامعة الدول العربية المؤتمر الرابع للمعماريين المصريين ، واستمر لمدة ثلاثة ايام ·· وكان الموضوع الرئيسى الذى قدمت حوله الابحاث ·· والحلول والتوصيات هو « دور المخططين المعماريين فيتنمية الصحراء » وهو موضوع لا يهم فقط المعمارى المصرى ·· بل يهم كل مخطط ومعمارى فى الدول العربية ·· وقد حضر المؤتمر كثير من الاخوة العرب المهتمين بهذا الموضوع ·

اقيم المؤتمر تحت رعاية الرئيس محمد حسنى مبارك ·· وقد القى كلمة الافتتاح نيابة عنالرئيس وزير التعمير حسب الله الكفراوى ·· الذى قال ان تنمية الصحراء هى القضية الاولى التى تشغل بالنا جميعا نحو الاخذ بيد الوطن والمواطن الى افاق أرحب نحو مستقبل اكثر ازدهارا واشراقا ، وحين نتحدث فى أواخر الثمانينيات عن دور المعماريين فى انشطة التنمية الشاملة فانه لا خلاف على اهمية الدور الذى قام به او يمكن ان يقوم به المعمارى فى تنمية المجتمعات وارتقائها · ان المعمار والتعمير وجهان لمفهوم شامل يعنى : المسئولية او المشاركة فى تشكيل بيئة الانسان ومحيطه العمرانى الممتد من ماواه الىعمله ومن مكانالدرسوالعلاج الى مواضع العبادة والتعبد ، ومن ساحة المنزل الى معابر الحركة ، ومن الحديقة الى ساحات التريض والترويح، ومسئولية تشكيل بيئة الانسان تعنى وتستلزم الوعى بالمجتمع وملامحه وامكاناته ، باحتياجاته وتطلعاته ، بثقافته وأبعاده التاريخية والحضارية·

ان اعادة تشكيل بيئة الانسان يمكن صياغتها باعتبارها التحدى الاساسى الذى يواجه المعمار والتعمير بالتركيز على بعدين أساسيين ·

البعد الاول : المشاركة وهو الامر الذى يعنى بالتعمير فى مجال العمارة فالمعمارى شريك للجماعة فى بحثها عن التعمير الامثل ·

والبعد الثانى : فى عملية صياغة مسئولية المعمارى والوعى بخصوصية المجتمع ، واحتياجه الى التعمير عند تأكيد وتعميق مفهوم الخصوصية · والعمارة والتعمير هما مرآة صادقة للثقافة المحلية · بابعادها المادية والروحية · ولا شك اننا جميعا لسنا فى حاجة لنؤكد حجم المشكلة السكانيه وأثرها الضاغط على برامج التنمية ، ولئن كانت أهدافاستراتيجية للحد من تصاعد التكدس على مساحة الحيز المعمور الحالى ، فان الانطلاق خارج هذا الحيز الى باقى مساحات مصر غير المأهولة هو الطريق الوحيد لذلكشريطة الاعتماد على مقومات اقتصاديةاساسية توفر فرص العمل لتستوعب الزيادة السكانية سواء القائمة او المنتظرة ·

فليس من المعقول أن يظل سكان مصر الذين يتزايدون بأكثر من مليون نسمة كل تسعة اشهر أن يعيشوا على نفس الارض التى عاش عليها اجدادنا عبر القرون وحولنا صحراء مترامية الاطراف ··

فلا بديل امامنا الا بتعمير الصحراء بكونها أرض المستقبل ·· انها معركة مصير ولابد منالاعداد لها والاستمرار فيها بنهج علمى يغطى كافة جوانب الحياة اجتماعيا واقتصاديا وفنيا ·

ولقد خطت الدولة خطوات فسيحة في سبيل تطويع الصحراء تعميرا واستزراعا وتصنيعا مستفيدة بكل الامكانات الطبيعية المتاحة في شتى اقاليم مصر .

وقد قدم البحث الرئيسي في المؤتمر ويقع في حوالي ثلثمائة صفحة طبع ووزع على اعضاء المؤتمر من كلية الهندسة جامعة الازهر باشراف الاستاذ الدكتور عبد الحليم الرمالي . عن « تشكيل الكيانات العمرانية في الصحراء في اطار التنمية والتخطيط القومي الشامل » .

وتقول مقدمة هذا البحث عن النمو السكاني في مصر « تواجه جمهورية مصر العربية مشاكل عديدة تتمثل في الانفجار السكاني والهجرة المستمرة من الريف الى الحضر بمعدلات تفوق معدل التنمية الاقتصادية ، هذا النمو السريع في تزايد السكان الذى لا يتناسب مع الاحتياجات البشرية والانشطة الانسانية علاوة على عدم استغلال الثروات الطبيعية الامثل ، مما سبب تأثيرا سيئا في جميع مجالات الحياة ونقصا في الغذاء والاحتياجات المعيشية الاخرى .

ان السبيل الامثل الوحيد لتحديد هذه المشاكل هو الاخذ بأسلوب التخطيط بوجه عام اذ انه الاسلوب العلمى للوصول الى الحلول السليمة ، والسبيل الى رفاهية الفرد والمجتمع على أساس التخطيط الشامل بأبعاده (القومى .. والاقليمى - والمحلى) .

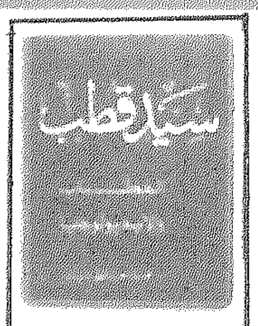
يعد معدل النمو السكاني في مصر من أعلى المعدلات في العالم وقد اخذ هذا المعدل في التزايد ابتداء من عام ١٩٢٧ ليبلغ حوالى ٢ر٥٤٪ سنويا عام ١٩٦٦ .

ولكن هذا المعدل عاد مرة اخرى الى الانخفاض في تعداد عام ١٩٧٦ ليبلغ حوالى ٢ر٣١٪ سنويا أن هذا المعدل لا يزال مرتفعا اذا ما قورن بالمعدل العالمى للزيادة السكانية والذى يبلغ حوالى ١ر٨٪ سنويا .

وقد حفل المؤتمر بالعديد من الابحاث التى تستحق من المهتمين بالعمارة والتعمير اخذها بعين الاعتبار ، لذلك نرى ضرورة أن تنشر في كتاب يكون بين الناس حتى يمتد الاثر خارج قاعة المؤتمر وتعم المائدة .

● نجوى صالح

مكتبة الهلال



الكتاب : سيد قطب الخطاب والايديولوجيا
تأليف : د. محمد حافظ دياب
الناشر : دار الثقافة الجديدة القاهرة ، ٣٦٦ ص ، ٤٥٠ ق م

أحسن الدكتور محمد حافظ دياب اذ جعل مدخله لهذه الدراسة التى تأتي في اطار بحثه الاوسع عن التحليل السوسيولوجي للخطاب الاسلامي أن اختار الخطاب القطبى نموذجا لأنه من جهة يشكل النموذج المتكامل لأحد

التيارات الفكرية الرئيسية في مجتمعنا ، ومن جهة أخرى لان كثيرين ممن تناولوا هذا الخطاب تناولوه بخفة اضاعت الحقيقة مع الريح •

وانه اذ أحسن اختيار النموذج فانه أحسن أيضا اختيار مداخله ، وحدد مصطلح الخطاب وماعناه به منذ البداية نظرا لشيوعه دون تحديد المعنى فى كثير من الدراسات الحديثة ، وفى مجالات شتى •

يقول : ربما كان مصطلح الخطاب الذى تبناه (ملتقى ابن رشيق) بالجزائر فى مايو ١٩٨٠، وشاع مؤخرا فى الادبيات العربية أفضل من «الحديث» أو « القول » وأشمل من « المقال » وأيسر من « الاقاويل » المستخدمة عند قدامى الفلاسفة العرب •

والمصطلح تاريخيا مقولة من مقولات علم المنطق ، تعنى التعبير عن فكر متدرج بواسطة قضايا مترابطة ، بعدها، اجيز اطلاقه على العمل البحثى بدءا من القرن السابع عشر •

ويعرف بانه كل نطق او كتابة تحمل وجهة نظر محددة من المتكلم او الكاتب ، وتفترض فيه التاثير على السامع او القارىء ، مع الاخذ بعين الاعتبار مجمل الظروف والممارسات التى تم فيها •

وللخطاب القطبى على أية حال وكما يقول المؤلف اشكالية تنامت واتجهت نحو هدف محدد هو « تحطيم مملكة البشر لاقامة مملكة الله فى الارض » من هنا تداخلت السياسة مع الدين ،وتناقد الفكر مع الحركة، واندمج النظر بالممارسة ، حيث لم يتوقف الخطاب عند حدود الكلام بل ذهب الى حد الممارسة العملية والتجسيد التطبيقى •وهو ما يعنى القول بأن سيد قطب قد تعامل مع خطابه بلسان الداعية ، وعقل السياسى ، وفكر الايديولوجى •



الكتاب : ورقة البهاء
شعر : محمد بنيس
الناشر : توبقال – المغرب ٨٨ ص
٢٠ د•م

هذه هى المجموعة الشعرية الخامسة للشاعر المغربى العربى المعروف محمد بنيس ، يأتى حاملا قوة الخبرة التى اكتسبها عبر مجموعاته « ما قبل الكلام » ، « شىء عن الاضطهاد والفرح » و « وجه متوهج عبر امتداد الزمن » و « فى اتجاه صوتك العمودى » ثم « مواسم الشرق » • لتتوج هذه المجموعة مسيرته الشعرية بعطاء جديد نابه ، يتدرج فى اطار المحاولة الجادة التى يقوم بها شعراء الجيل القائم المجددين للخروج من أزمة القصيدة الغنائية، وتعبيد طرق جديدة فى اتجاه القصيدة الدرامية، ان صح التعبير ، تلك التى ينفتح الافق امامها بلا حدود •

وهذا التيار الشعرى الجديد وان كان يستلهم التراث العربى فى أهم قسماته المميزة ان يكن تراث الصوفية او التراث الشعبى او ديوان العرب الشعرى فى مجمله ، الا ان هذا الاستلهام يأتى كحاجة اساسية من القصيدة نفسها ، كما من روح الشاعر الاصيل ، وليس مجرد الاستعانة بالمقولات او القول ، او التضمين الذى قتل

استعمالا، لكنه اندماج في المكان والزمان ثم خروج الى الزمن الجديد الذى يتجاوز الزمن القائم الى زمن الحلم الارحب ٠

يقول الشاعر :

وانا الذى سافرت في ليل القصيدة ـ وابتهاج المحو ـ ادعو الخطوط لمجد هاوية ـ لها الهذيان ـ والهذيان ـ فليس لغير هذا اليتم تنشا ـ في المسافات الخبيئة ـ حيث البلاد ـ تجاوبت في فاس ـ حيث دم الذين اتوا ـ تدثر بالنخيلات البعيدة ـ والاناشيد الوضيئة ٠

انه نفس شعرى جديد ليحتل مساحة المغامرة وافق الانطلاق والانعتاق من القوالب الجامدة فمرحبا به ٠

الرواية اللاتينية

الكتاب : من قتل موليرو ؟
رواية : ماريو فارجاس ايوسا
ترجمة وتقديم : حامد ابو احمد
الناشر : هيئة الكتاب ـ ٢٢٤ ص ـ ١٠٠ ق م٠

هذه هي أول رواية تترجم الى العربية للروائي ماريو فارجاس ايوسا : أحد كتاب أمريكا اللاتينية النابهين ، وأحد كتاب الجيل التالى مباشرة لجيل جابرييل جارثيا ماركيز ، وقد صدرت هذه الرواية عام ١٩٨٦ ومنذ صدورها تطبع كل شهر تقريبا مرة جديدة ، بل نقلت الى اكثر من عشرين لغة عالمية ٠

والموضوع الرئيسى الذى يمثل العمود الفقرى في اى عمل من أعمال ايوسا هو الفرد بصفته ضحية لمجتمع متعفن، وتتفرع من هذا الموضوع موضوعات أخرى كثيرة فرعية تكشف عن الازمة العميقة التى يعيشها مجتمع يحمل كل أمراض العالم الثالث ٠

وهذا الفرد يمكن أن يكون بريئا أو مخدوعا على نحو ما ، مما يؤدى الى فساده وسقوطه ، أو موته في أغلب الاحيان ٠

يقول ايوسا تأكيدا لجديته الفائقة في تناول الامور التى تنهش كبد مجتمعه : « من الضرورى ان نذكر مجتمعاتنا بما ينتظرها ، وننبهها الى ان الادب مثل النار ، وان الادب يعنى عدم الرضا بالاوضاع القائمة ،ويعنى التمرد ، وان اصل وجود الكاتب هو الاحتجاج ، والتعارض والنقد ،وعلينا ان نشرح لهم انه ليس هناك حلول وسط : فاما ان يلغى المجتمع للابد تلك القدرة الانسانية المتمثلة في الابداع الفنى ، ويقضى بذلك على المحرض الاجتماعى الذى هو الكاتب ، واما أن يقبل الادب ويحتضنه ، وفي هذه الحالة لن يكون لديه من وسيلة الا قبول هذا الوابل المنهمر من الانتقادات والسخريات ، والهجاء ، الذى يتحول من العرض الى الجوهر ، ومن الفانى الى الخالد، ومن السطحى الى قاعدة الهرم الاجتماعى » ٠

وتنعكس هذه الرؤية الابداعية في هذه الرواية بقوة وصلابة ، مما يجعلها عملا أدبيا جادا ومتميزا ، يضم الى الاعمال الجادة ، التى نقلت الى العربية من أدب أمريكا اللاتينية في السنوات الاخيرة ٠

الهلال تفتح ملفات المراكز الثقافية الأجنبية

صور من النشاط الثقافى الفرنسى فى مصر



الخيط رفيع بين الثقافة والدعاية ، وهو فى دقته يشبه الخيط الذى فرق بين بكاء الحمامة وغنائها عند ابى العلاء حكيم المعرة والمتابع للانشطة الثقافية الاجنبية فى مصر، يلاحظ انها لا تجنح الى الخلط بين الثقافة والدعاية الا نادرا .

وحول أوجه هذه الانشطة ، ومراميها ومقاصدها ، حول حسناتها وانوارها ، هفواتها وظلالها ، تفتح ((الهلال)) الملف لا للكشف عن امر مستور ، بل للاخبار عن امر مكشوف ..

ولنبدا بالانشطة الثقافية الفرنسية ..

تنهض هذه الانشطة على مركزين .

اولهما المركز الثقافى الفرنسى بالمنيرة ، وله فرعان احدهما فى مصر الجديدة ، والاخر فى الاسكندرية ..

وثانيهما مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية ..

ولو القينا نظرة طائرة على برامج المركز الاول بفرعيه لوجدناها حافلة بالاحداث الغنية فى جميع المجالات .

فالاديب « ميشيل بوتور » احد رواد الرواية الجديدة اتى الى المركز (فبراير ١٩٨٨) مدعوا ليقول بضع كلمات فى متاهات رموز والغاز ما يحكيه فيما يكتب .

وليستصحب مع الفنان التشكيلي « هنري ماكيروني » مائة شخص ممن اخذوا بسحر اسمه في رحلة غداء الى أهرامات الجيزة ، حتى يروا معا على الطبيعة « نزهة تحت أقدام الاهرام » مؤلفه الاخير بالاشتراك مع هذا الفنان ·

وايف مونتان يطير الى أرض مصر مباشرة من اسرائيل المولع بها ولعا شديدا ليحضر بنفسه في المركز العرض الاول لفيلمه «جان دي فلوريت» لصاحبه « كلود بري » الذي ذاع صيته بفضل « العجوز والطفل » (١٩٦٧) ، وهو فيلم يعرض لعذابات طفل فرنسي يهودي أيام سقوط فرنسا تحت اقدام جحافل المانيا الهتلرية · كل ذلك وسط ضجة اعلامية تقول فيما تقول ان عرض « جان دي فلوريت » في أرض النيل سابق على اى عرض له في سائر انحاء العالم ، بما في ذلك فرنسا ·

ومما يلفت النظر في انشطة المركز، اهتمامه الفائق بالفنون التشكيلية ·

فما أكثر معارض الرسامين والمصورين التي تقام في قاعة بين الحين والحين ·

● لمسة جمال

وهو في هذا الخصوص لا يفرق بين الفنانين سواء اكانوا فرنسيين أم مصريين ·

فعلى سبيل المثال ، كان من بين المعارض التي اقيمت فيه خلال شهر يناير الماضي ، معرض لاعمال فنان « السيراميك » « محمد الشرقاوي » ، واخر لبعض الرسوم المائية للفنانة الفرنسية « دومينيك جوتيرز » ، وثالث لابداعات أعضاء الجمعية المصرية للتصوير بمناسبة عيدها التاسع والثلاثين ·

وهذا الاهتمام له انعكاساته ، حتى على برنامج المركز المطبوع والذي ينطوي على بيان لجميع انشطته خلال شهرين ، فهو أكثر اناقة من برامج المراكز الاخرى · وآية ذلك انفراده بغلاف ملون يزينه رسم لاحد كبار الفنانين التشكيليين ·

وغني عن البيان ان السينما لها دور كبير في نشاط المركز ·

فيكاد لا يمر دون أن يعرض فيلم ·

ومما ساعد على ذلك وجود آلات عرض من مقاس ١٦ و ٣٥ ميللي ، وهو امر ليس له مثيل في المراكز الاخرى ·

فضلا عن وجود اجهزة فيديو ، بفضلها تعرض على الشاشة الصغيرة افلام مخرجين فرنسيين من مختلف الاجيال كرينيه كلير ، جان رينوار ، ماكس أوفيلس ، جان جاك انو وغيرهم كثير ·

● عصر البطولة

وفي تفسير هذا الاحتفاء بالسينما نقول ما خلاصته أن الفرنسيين يرون أنهم أول من اخترع السينما بفضل الاخوة « لوميير » ، وأول من ابتكر الفيلم الروائي بفضل المخرجة « اليس جي » ·

وأول من ابدع افلام الخيال العلمي بفضل « ميلييس » وأول من اضحك الناس على امتداد العالم بفضل «ماكس ليندر » وبعض هذا صحيح ·

ومن هنا تركيز المركز على تاريخ السينما ، لا سيما في البدايات ·

وفي الحق ، فقد كان لعرض افلام الرواد الاوائل من امثال « لوميير » و « ميلييس » و « ليندر » فضل كبير ·

فلقد كشف لنا ان السينما على تعاقب مراحل حياتها (٩٣ عاما) انما تدين لهؤلاء الرواد الكثير ·

فلولا « لوميير » ما كانت روائع « فلاهرتي » التسجيلية ، ولولا«ميلييس» ما كانت « اوديسة الفضاء ٢٠٠١ » ،

ولولا « ليندر » ما كان شارلى شابلن

● الشمس المشرقة

ومن علامات الوعى والتحضر فى سياسة المركز السينمائية ان عروضه لا تتحجر عند الافلام الفرنسية ، مكتفية بها دون غيرها من الروائع العالمية .

فما اكثر الافلام المصرية التى عرضها وما اكثر الافلام الاجنبية غير الفرنسية التى كان من حظ المترددين على المركز مشاهدتها متكلمة بلغتها الاصلية حقا ثمة انحياز فى الاختيار لمن كان من هذه الافلام سويسريا او بلجيكيا أو كنديا أو افريقيا وناطقا باللغة الفرنسية .

ومع ذلك ، فهنا يتعين الاشادة باسابيع ومهرجانات السينما اليابانية داخل قاعات العروض بالمركز ، ولا سيما ذلك العرض القريب المذهل لعشرة افلام (مارس) من بينها رائعة ميزوجوشى الخالدة « حكايات القمر الغامض بعد المطر » والذى بدأ فى مركز المنيرة برائعة « اوزو » « نهاية الخريف » وفى مركز « مصر الجديدة » برائعة « كيرو ساوا » ، « بين السماء وجهنم » .

● وصف مصر

فاذا ما تركنا المركز الثقافى وانشطته جانبا ، وانتقلنا الى مركز الدراسات والوثائق الاقتصادية والقانونية والاجتماعية ، لوجدنا انفسنا أمام ظاهرة لها من العمر عشرون عاما الا قليلا .

فهذا المركز لم يخرج الى حيز الوجود الا فى عام ١٩٧٠ ، وذلك تنفيذا لبروتوكول ملحق بالاتفاق الثقافى الفرنسى المصرى الموقع فى ١٩ من مارس لعام ١٩٦٨ .

ومن بين موضوعات البحث التى ما انفك المركز يسلط الاضواء عليها حتى يومنا هذا .. معرفة مصر والعالم العربى ، القاهرة المعاصرة :



المدينية ، المعمار والاسكان ، وادى النيل ، الجماعات الاجتماعية المهنية والثقافية في مصر المعاصرة ، سوق المطبوعات فى مصر والمشرق .

وكل ذلك انما يذكرنا بمحاولات وصف مصر ابان الحملة الفرنسية منذ مائة وتسعين عاما .

واخر الانشطة التى سلطت عليها الاضواء ، تلك الندوة التى اقامها المركز بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات السياسية بجامعة القاهرة حيث استمرت أربعة أيام .

ولقد كان مدارها التغييرات السياسية الحديثة في الوطن العربى . فخلالها طرح لفيف من الساسة والباحثين العرب والفرنسيين على مائدة البحث قضايا سياسية هامة عديدة ، كما اثر ظهور شركات توظيف الاموال على الخريطة السياسية والاقتصادية فى الوطن العربى .

ومن أوجه النشاط الاخرى ، مطبوعات دورية دأب المركز على نشرها ، لعل أهمها « المجلة : مصر ، قانون ، اقتصاد ، مجتمع » و « ملفات » و « استعراض الصحافة المصرية » .

وأولاها قد بدأ نشرها خلال عام ١٩٧٣ ، أما الثانية والثالثة فجار نشرهما بانتظام منذ عامى ١٩٨٠ ، ١٩٨٢ على التوالى .

وعلى نحو ما تعتبر « المجلة » اهم الدوريات الثلاثة . فالدراسات التى ينطوى عليها كل عدد منها ، انما تتناول موضوعا واحدا ، لا تخرج عنه الا لماما .

وختاما ، فلعله من النافع ان نقف وقفة قصيرة عند عدد واحد من هذه الدوريات الثلاثة ، وليكن العدد الاخير نظرة خاطفة على العدد رقم ٢١ من « المجلة » يبين منها ان الابحاث التى ينطوى عليها ، انما تركز على وسائل الاعلام القديمة والحديثة فى مصر .

وان هذه الابحاث ، وهى فى مجملها احد عشر بحثا ، لم تترك صغيرة ولا كبيرة فى السينما والاذاعة والتليفزيون والفيديو الا عرضت لها بشكل او بآخر .

● دى جول وجمال

واذا ما القينا نفس النظرة على الملف رقم ٤ (١٩٨٦) فسنجد انه ظفر من ادوات البحث والاستقصاء والتعمق بمثل ما ظفر به العدد الاخير من «المجلة»فهو يحدثنا عن الايديولوجية من خلال الحكايات المصورة ، وعن كيفية تناول هذه الحكايات للابطال السياسيين فى كل من فرنسا ومصر .

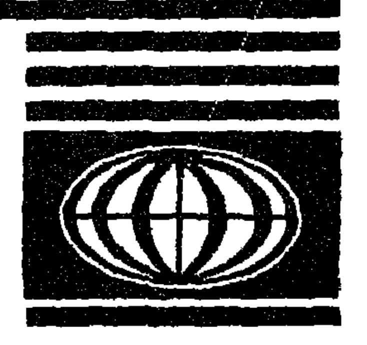
وهؤلاء الابطال عند مبدعى الملف « فدوى مالتى دوجلاس » و « ألن دوجلاس » ، هما شارل دى جول وجمال عبد الناصر .

ومن الغريب أن الملف مهدى « الى « ذكرى شادى عبد السلام الصديق ، الملهم الكبير وساحر الصورة » .

أما دورية « استعراض الصحافة المصرية » فى عددها السابع والعشرين فالمنظرة السريعة لها ، انما تؤكد عمق اختيار المشرفين عليها لما ينشر في صحافتنا وشموله ، فهى مثلا تبدأ بغلاف مجلة « الهلال » (يوليه ١٩٨٧) المكتوب عليه «الارهاب .. الى أين ؟!»

ولا تكتفى بذلك ، بل تنشر جميع مقالات العدد التى تناولت موضوع الارهاب ، بما فيها الافتتاحية .

وبعد ، فلعلى لست بعيدا عن الصواب اذا ما قلت ان كل هذه المطبوعات ، من شانها افادة القارىء الفرنسى كثيرا أما القارىء بلغة الأباء، فاغلب الظن ان حظه من هذه الافادة اقل من القليل .



العالم في سطور

باريس

● فور .. رجل لكل العصور

لم يمكن القدر المفكر السياسي والاديب ادجار فور من تنفيذ خطته فى الاحتفال الضخم الذى تقيمه فرنسا بمناسبة مرور مائتى عام على الثورة الفرنسية .. فقد رحل فور وهو فى قمة استعداده للاحتفالات ..

ادجار ظاهرة إنسانية بالغة الاهمية ، فقد عمل بالسياسة وتولى أعلى مناصبها العديد من المرات . وتولى مناصب وزارية اخرى بعد ان رأس الوزارة ثلاث مرات . كتب الرواية البوليسية وقدم نظريات عديدة لايديولوجيات سياسية ولأنظمة تعليمية عديدة من اهم كتبه .. « التعبان والسلحفاة » ، « رؤية الحاضر » « التربية الوطنية والمشاركة فى فلسفة الاصلاح » ، « ما اعتقد » ، « من أجل عقد اجتماعي جديد » ..

كان ادجار فور يؤمن ان العالم يعيش الآن عصر ازدهار الاشتراكية . لذا سافر الى بلاد عديدة من اجل الاطلاع على التجارب الاشتراكية فى الصين وشيللى ابان حكم سلفادور الليندى . ومصر فى عصر عبد الناصر .. حيث اقام شهرا فى عام ١٩٦٥ زار خلاله العديد من مؤسسات الدولة .. ومع هذا فقد تم طرده من الحزب الاشتراكى الفرنسى فى عام ١٩٦٦ .



ادجارفور

وقد تخصص فور ، الواسع الثقافة ، فى دراسة بعض اللغات الشرقية .. بالاضافة الى عمله فى مجال القانون .. مما ساعده ان يتولى العديد من المناصب الاستشارية للعديد من منظمات الامم المتحدة . كما عمل فى المحكمة الاستشارية بنورمبرج التى ادانت أعوان الزعيم النازى أدولف هتلر ..

الجدير بالذكر ان جامعة الزقازيق قد دعت فور فى عام ١٩٨٣ لزيارة مصر وقامت بمنحه درجة الدكتوراه الفخرية لمواقفه من العالم الثالث ومن اهمها مطالبة الدول الكبرى بالتنازل عن قروضها من أجل اصلاح اقتصاد العالم ..

جنيف

● جارودى : المآذن .. هى أصابع الله

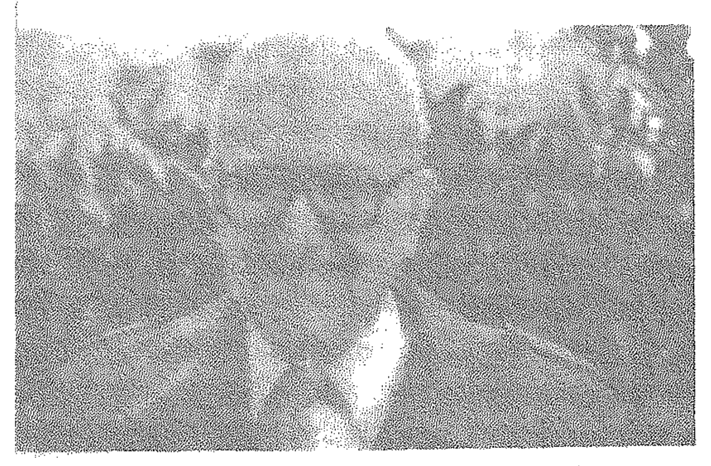
الليلة المضادة ... هى وصيتى .. هكذا اعلن المفكر رجاء جارودى فى

جنيف .. الليلة المضادة هو عنوان احدث كتبه . وهو ديوان شعر يضم العديد من القصائد التى ابدعها جارودى .. الذى اعلن ان هذا الكتاب يحمل وصيته .. إذ يعتبره آخر كتاب يمكنه ان ينشره فى حياته ـ ٧٤ عاما ـ

وبمناسبة صدور هذا الكتاب نشرت مجلة « الأسبوع » السويسرية مقالا عن جارودى قالت فيه ان الكاتب قد شهد عدة مراحل متباينة فى حياته ، شأنه شأن العديد من المفكرين المعاصرين . فقد شارك فى شبابه المبكر حركة الشباب البروتستانتى فى مارسيليا . ثم درس الفلسفة . وانضم الى الحزب الشيوعى الفرنسى . وأخذ يناضل من أجله سبعة وعشرين عاما عمل خلالها مراسلا لصحيفة « ليمانتيه » فى موسكو ومديرا لمركز الدراسات والابحاث الماركسى وفى سنوات الستينيات هاجم بيكاسو لموقفه من الاشتراكية .

وقد وقف جارودى من ثورة الشباب عام ١٩٦٨ موقفا مشرفا واعتبرها انفجارا للحرية . خاصة انه هاجم الاتحاد السوفييتى حين تدخل فى تشيكوسلوفاكيا . وبدأت كتبه تجد رواجا لدى الشباب مثل كتابه عن « تحول الاشتراكية الكبير » الذى صدر عام ١٩٦٩ .

وقد تحول جارودى الى الدين بكتابه ، « مصير الانسان » الذى درس فيه الثقافات الدينية المختلفة . ويرى ان الايمان بالنسبة للانسان مسئولية عليه ان يحملها بأمانة . وآمن أن الدين ليس افيون الشعوب . بل هو حالة من الحرية الاجتماعية .



روجيه جارودى

ويقول جارودى فى ديوانه الأخير ان المآذن والقباب هى اصابع الله . وانها تصعد نحو السماء لشعور الانسان انه في حاجة الى علوها ..

مدريد

● آرابال .. الفنان ليس محرضا ..

فرناندو آرابال .. لعله الاسم الوحيد الذى يحمل على عاتقه ـ حتى الآن ـ احياء مسرح العبث الذى أصابته الشيخوخة باجتياز عمدائه سن الثمانين : صموئيل بيكيت ويوجين اونسكو ..

هذا الشهر يعرض لارابال أحدث مسرحياته المسماة .. "اجتياز الامبراطورية" .. التى قام الكاتب نفسه باخراجها للمسرح . وهى تجربة ليست بالجديدة على الكاتب حيث سبق له ان أخرج أربعين مسرحية من مسرحياته التى يزيد عددها على الخمسين كما قام باخراج عشرة افلام سينمائية قام بكتابتها جميعا .

يقول آرابال ان البعض يتصور ان





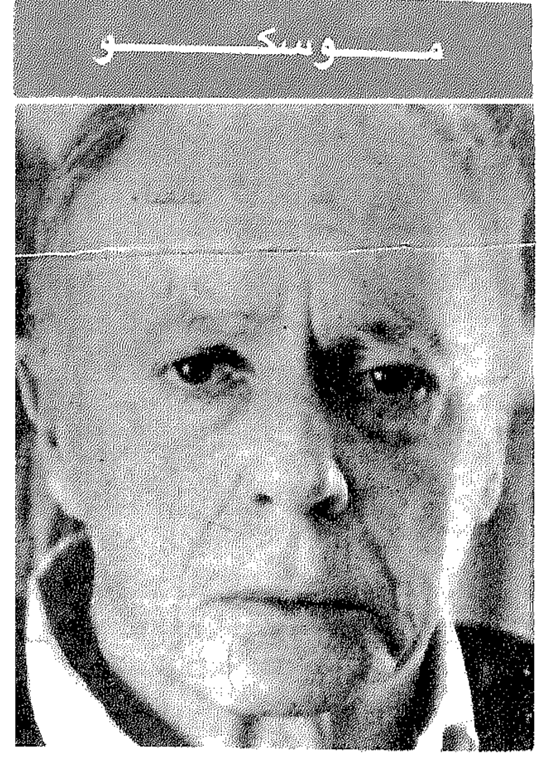
فرناندو اربال

اعماله ـ خاصة المسرحية ـ بعيدة عن الواقع . لكن المتأمل المتعمق لهذه النصوص يكتشف أنها تغوص بملء أذرعتها داخل الواقع .. ولكن جذورها تتغلغل داخل كابوس ليلى ثقيل .. خاصة اننا نعيش فى عصر نتنبأ فيه ان المستقبل سيأتى معه بالانفجار الكونى قبل انفجار مشاعر الحب .

ويؤمن آرابال ان للمسرح دورا اجتماعيا وذلك منذ نشأته فى اليونان القديمة لذا يجب ان يفتح المسرح ابوابه لكل طوائف الشعب . وان يجد الجماهيرية التى يستحقها وفى مجلة الاكسبريس الفرنسية حكى آرابال عن تجربته الحياتية قائلا ان ما نقابله فى واقعنا اليومى أكثر غرابة مما نصوره كثيرا على خشبة المسرح : حدث فى اسبانيا ان دعانى الملك الى مدريد . ولاننى لم اكن امتلك رابطة عنق فقد وضعت فوطة بيضاء استعرتها من الفندق على رقبتى .. وقد اضحك هذا الملك كثيرا وقال لى : « هذه فوطة حمام ! فلا تعتذر لأنه لايوجد هناك شىء عادى فى الحياة : وواجب الفنان ان ينقل رسالته الى الناس فهى اكثر جدوى »

ويقول آرابال عن نفسه كفنان : « لست محرضا أبدا لمشاعر الناس .. بل لافكارهم » .

موسكو



كلود سيمون

● دعوة .. إلى موسكو

.. الدعوة ..

هو عنوان الكتاب الذى نشره الروائى الفرنسى كلود سيمون حول تجربة سفره الى الاتحاد السوفييتى فى العام الماضى .. استثمر سيمون الدعوة التى وجهها الروائى ايتماتوف وراح يكتب عن

المجتمع السوفييتى .. وليس عن السياسة السوفييتية كتاب صغير الحجم لايزيد عدد صفحاته على التسعين .. يقول سيمون انه راح يبحث عن تولستوى والفلاح الروسى الأصيل ..

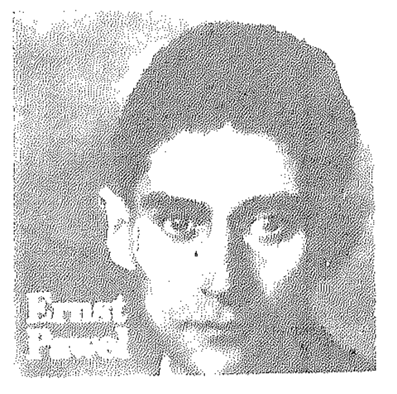
يقول سيمون انه قد استفاد من الفترة التى أعقبت فوزه بجائزة نوبل عام ١٩٨٦ وذلك فى تأمل العديد من الاشياء التى حوله . وعندما سافر إلى موسكو زادت عملية التأمل اكثر خاصة ان الاتحاد السوفييتى يشهد فى السنوات الاخيرة عملية تغيير واضحة .

احتار النقاد فى التغلغل الى هوية كتاب « الدعْوة » فقد اعتبره البعض رواية .. بينما اعتبره البعض الآخر نصا ادبيا .. فقد اتبع فيه الكاتب نفس أسلوبه الغريب الذى يستخدمه عادة فى رواياته من اشهرها « الريح .. وطريق الفلاندر » حيث تكون الجملة طويلة لاتفصلها فواصل . « يالها من حصيلة طيبة ان عددا من ممثلى عالم الفن يلحقون بهم باكثر قدر ممكن .. وان العالم الجديد يكشف نفسه من خلالها » .

براغ

● كافكا .. وعقدة اليهود

لم يحظ أحد من الادباء بتقدير من الصحافة الادبية قدر ما حظى به الكاتبان مارسيل بروست وفرانتز كافكا . فبين الحين والآخر تصدر المكتبات كتبا جديدة عن أى منهما أو تقوم باعادة طبع أعمالهما .. وفى الفترة الأخيرة أثير الحديث عن بروست بمناسبة تأويل كتاباته الى الملكية العامة بمناسبة مرور خمسين عاما على الانتهاء من نشر آخر رواياته ..



فرانتز كافكا

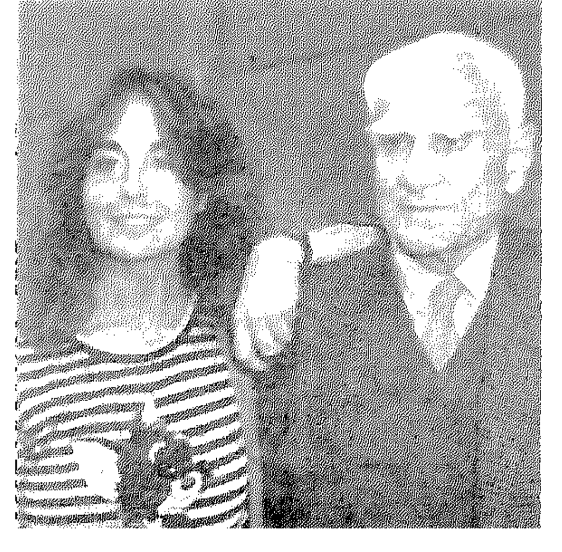
أما كافكا فقد أثير حوله النقاش من خلال مجموعة من الكتب حول علاقته العاطفية . ثم كتاب آخر يحمل عنوان « فرانتز كافكا » .. من تأليف الباحث الالمانى أرنست باول الذى يقيم حاليا فى الولايات المتحدة . وهو روائى وناقد يهودى يهتم بتاريخ حياة مشاهير اليهود . حيث يعكف حاليا على تقديم سيرة حياة الصهيونى تيودور هرتزل ..

والجدير بالذكر ان الباحثين الذين يمجدون كلا من كافكا وبروست ينظرون اليهم ، على انهما يهوديان فى المقام الأول .. فيرى باول ان مايثيره فى كافكا أنه يهودى من براغ وضع بصماته على القرن العشرين من خلال رواياته القليلة .. وقد راح الكاتب يتابع نشأة الكاتب فى تشيكوسلوفاكيا وعلاقته باسرته واصدقائه من خلال أقوال الشهود عنه .

كما استعان باول بالعديد من الوثائق التى دونها كافكا ابان حياته وكان يستعد لحرقها مع مسودات رواياته التى تم العثور عليها عقب وفاته .. ويقال ان سبب هذا هو احساس الكاتب بيهوديته ..

واذا كانت هناك امرأة واحدة فى حياة بروست وهى ممرضته سلسته التى أرَّخت لحياته بعد وفاته . فان ميلينا يسنسكا هى الحب الوحيد فى حياة كافكا صاحب « القضية » و« القصر » و« أمريكا » التى لم يتمكن من تكملتها .




موراڤيا وزوجته

● موراڤيا .. الوجه الآخر .. للزيارة

الرحلة التى قامت بها الكاتبة الايطالية كارمن ليرا مع زوجها البرتو موراڤيا الى القاهرة فى يناير الماضى ، تركت أثرا كبيرا عند الكاتبة فنشرت مقالا طويلا عن رحلتها فى مجلة « بانوراما » الايطالية تحت عنوان « حب ضائع فوق النيل » .. بدت فيها بالغة الدهشة من هذا العالم الشرقى الساحر الذى جاءت اليه لأول مرة .. فنقول انها لم تكن تعرف شيئا بالمرة عن مصر قبل ان توجه اليها الدعوة .. وعندما جاءت الى القاهرة شغفت بهذا العالم الساحر المتمثل فى زرقة النيل التى هى أقرب الى زرقة البحر . وتدفق الناس وشموخ الاهرام .

وتشير كارمن إلى ان الرحلة التى قامت بها كانت بالغة الخصوصية وانها لذلك كانت تؤثر الوحدة على الارتباط بمجموعات سياحية جاءت من المانيا واليابان واسبانيا واشارت إلى آن هذه المجموعات المتدفقة كانت هى الشىء الوحيد الذى يُنغِّص عليها رحلتها .

وتحدثت كارمن عن العرب الذين يملأون ردهات الفنادق وقالت ان أهم ماكانوا يفعلونه هو احتساء اكبر قدر من الخمور مثلما يفعلون فى رحلاتهم السياحية الى اوروبا .

ولم تهتم كارمن بمراقبة التماثيل الأثرية او الاعمدة الخرسانية قدر اهتمامها بمراقبة حركة البشر فى كل الاماكن التى توجهت اليها فى القاهرة والاقصر وأسوان . لذا خصصت كارمن جزءا طويلا من حديثها عن « السوق » هكذا كتبتها بالايطالية ـ وهو مكان يعج بانماط متعددة من البشر يمكن فيه سماع العديد من اللغات واللهجات ويزدحم فيه الاجناس المتباينة من البشر ..

وتقول كارمن ان ابرز مالاحظته فى رحلتها هو اعتزاز الانسان المصرى بهويته فيردد دوما « انا مصرى » كما اشارت الى ان الرحلة تركت اثرا فيها لدرجة انها شعرت فى ليلتها الاخيرة بالفندق بأنها فى متاهة اشبه بممرات الفندق الضخم لأنها ستغادر هذا المكان الدافىء وقالت كارمن بالحرف الواحد فى نهاية مقالها : « وفوق الطائرة التى تقلنى الى باريس تساءلت عن اهمية اللحظات التى نعيشها . ولم اصدق نفسى . فانا هكذا افضل وليتنى لا اعود الى بيتى » .

ابرز ماجاء فى مقال كارمن انها لم تذكر زوجها البرتو موراڤيا بحرف واحد .. حتى اسمه ولم تذكر شيئا قط عن اللقاءات الأدبية والصحفية التى عجت بها صحافتنا عن هذه الزيارة فى الشهر قبل الماضى .

انتونى بيرجيس : المسلمون قادمون !

بقلم : محمود قاسم

انتونى بيرجيس هو أحد الكتاب الذين يثيرون القلاقل فيما يصدر عنهم دوما من تصريحات . او ماينشر لهم من مؤلفات فى الرواية والدراسات النقدية .

وتجىء أهمية بيرجيس فى انه كاتب موهوب واسع التجربة . متعدد الثقافات . يتقن العديد من اللغات . واحتك بصفة مباشرة بحضارات متباينة فى الشرق والغرب .

وهو كاتب غزير الانتاج . حققت مؤلفاته نجاحات سواء عند نشرها . او عند تحويل بعضها الى افلام سينمائية .

كما تبرز أهميته أيضا فى مواقفه المتناقضة من الاديان السماوية فاذا كان البعض قد وصفه بأنه « كاثوليكى مرتد » .. وانه لم يتحول الى مذهب اللأأدرية الانسانية الذى يدعيه معظم المفكرين الناطقين بالانجليزية . فإن الناقد بيير جونزى يرى أن مرجع هذه المواقف هو نشأة الكاتب الكاثوليكية الصارمة فى مانشستر التى صورت له « الله قوة غير منظورة محبة للانتقام » ..

ورغم هذا التحليل المنشور فى مقدمة كتاب « المسلمون قادمون » فان بيرجيس قد قام بتأليف كتاب عن ميلاد ونشأة ورسالة « يسوع الناصرة » مالبث أن تحول عام ١٩٧٧ الى مسلسل تلفازى ضخم حشدت له شركات الانتاج الاوربية

ميزانية ضخمة واخرجه زيفيريللى . وانتقل بالتالى الى دور السينما وقد حاول بيرجيس فى هذه الرواية أن يؤكد انه قارىء متعمق لتاريخ المسيحية ونصوصها القديمة والحديثة . ثم طلع على العالم عام ١٩٨١ بروايته الضخمة « قوى الظلام » التى أرخ فيها للقرن العشرين من خلال أحد الباباوات وفى عام ١٩٨٦ أكد أنه اذا كان سبحانه وتعالى مملكته التى يؤيده فيها المؤمنون . فإن هناك مملكة للكفرة ـ فى رواية تحمل نفس العنوان ـ يتمتع فيها الكافرون بالابدية مثلما يتمتع المؤمنون فى مملكة الله .

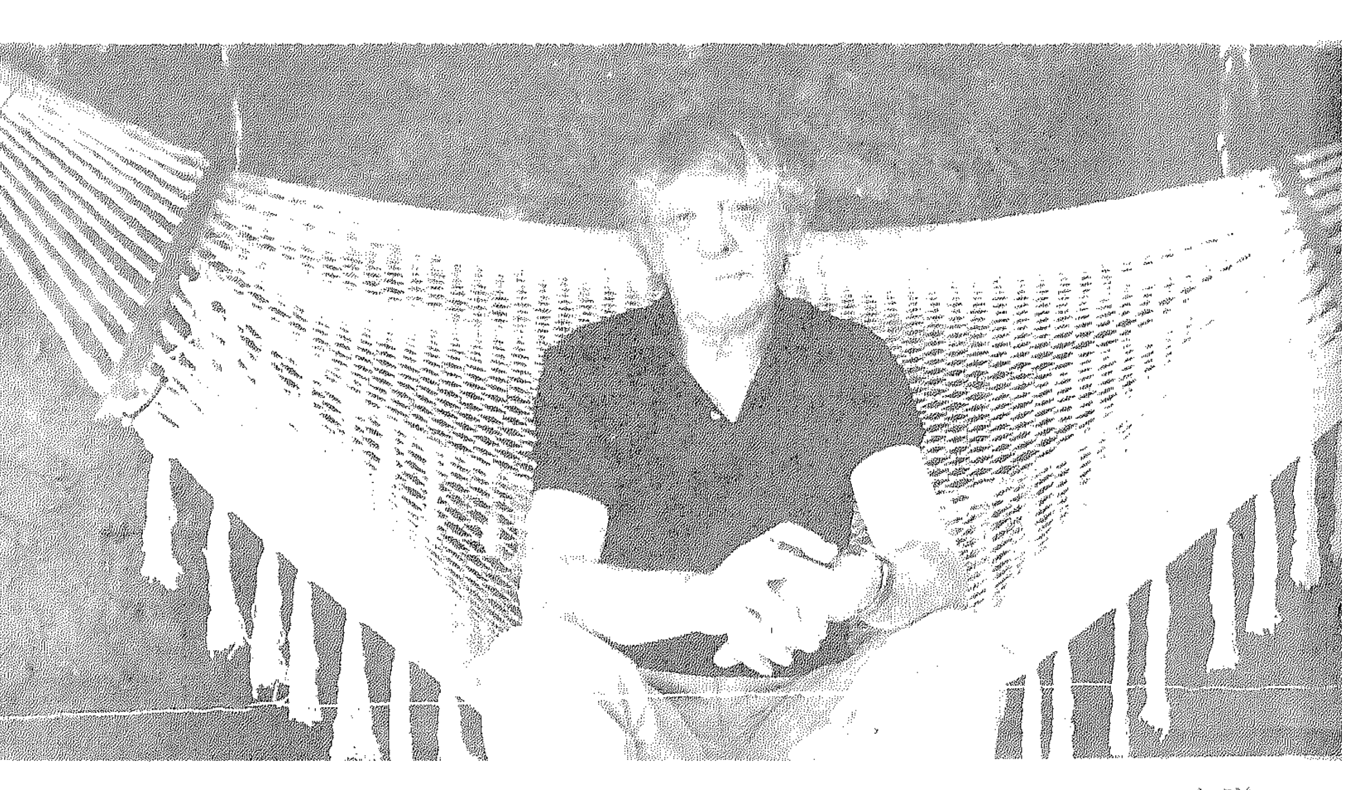
ورغم ان مقدمة رواية « المسلمون قادمون » تشير إلى أن انتونى بيرجيس يخصص كتابه كله للهجوم على العرب والتحذير منهم .. فإن الكاتب فى حديثه للصحفية سلوى نعيمى فى مجلة « كل العرب » منذ عدة أشهر يقول : ماكان يمكن لى إذن أن ابقى فى ماليزيا بعد رحيل الانجليز دون أن اعتنق الاسلام . بعدها مرضت . وقال الاطباء انه لم يبق لى الا عام واحد أبقى فيه حيا . عندها فقط قررت الرحيل وعدت الى انجلترا ناسيا تماما تلك الرغبة فى أن اصير مسلما ولكننى حتى الان أجد الاسلام دينا قريبا من القلب ...

● مستقبل الإنسان

نسوق هذا الكلام بمناسبة نشر الترجمة الكاملة لاحدى روايات بيرجيس الى اللغة العربية .. العنوان الاصلى للرواية هو ١٩٨٥ .. نشرها الكاتب منذ عشر سنوات كمحاولة لتخيل صورة مستقبل قريب من خلال واقع يعيشه . وقد تعمد بيرجيس ان يضع مقدمة طويلة لروايته يهاجم فيها جورج اورويل بالعديد من التفنيدات حول رواية « ١٩٨٤ » ليس امامنا هنا مجال لعرضها . الا انه من المهم أن نشير إلى أن هذا النوع من الروايات يطلق عليه اسم « أدب الخيال السياسى » حيث يتخيل شكل الحياة السياسية فى المستقبل وعلاقته بالمجتمع والتطور التقنى والصناعى . وهو أدب ظهر مع بداية القرن العشرين منبثقا من نوع أدب الخيال العلمى .. ومن ابرز ادبائه : ايفان كريمنوف ورمياتين فى الاتحاد السوفييتى . وچورچ اورويل وانتونى بيرجيس .

وقد اختار الناشر العربى لهذه الرواية عنوانا مثيرا هو « المسلمون قادمون » مما يجعل المرء يشعر أن الناشر والمترجمين قد قاموا بعملية أسلمة للرواية مثلما حدث من أحدى الشخصيات الهامشية فى ١٩٨٥ وهى « محمد صالح بن عبدالله » الذى كان اسمه من قبل جوزيف برجز . « وقد تمت عملية الأسلمة فى سلاسة نسبية » ..

قام الناشر بنفس دور محمد صالح فى لندن فى أحداث الرواية . وجاءت مقدمة الكتاب ساخنة تثير شهية المتابعة والقراءة .. مثلما حدث ايضا فى كلمة الغلاف الأخير . وقبل ان نتعرض لهذه النقطة الحساسة فمن الواضح أن المترجمين المتحمسين لهذا الموضوع ليست لديهما أية معرفة عن هذا النوع من الادب . وايضا عن انتونى بيرجيس . فقد



انتونى بيرجيس

وقفا ـ عند الحديث عن ببليوجرافيته ـ عند روايته المنشورة عام ١٩٦٢ واطلقا عليها ـ صفحة ٨ ـ اسم « الانسان الآلى » .. ثم اطلقا اسما آخر هو « البرتقالة الآلية » ـ صفحة ٢٧ ـ رغم ان الترجمة الدقيقة لعنوان هذه الرواية مُحلأنتحفن = فشةلل هو « رقاص بندول الساعة » وقد اتضح هذا من العبارات المبتسرة التى أوردها المترجمان عن الرواية .. ويهمنا ان نقول ان هذه الرواية تدور حول شكل العنف والجنس فى المستقبل . من خلال عصابة اليكس ، الشاب الذى لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره ومارس كافة ألوان العنف والسادية والقتل . فزج به فى السجن . ثم تم اختياره من اجل عملية غسيل مخ تحول على اثرها الى انسان وديع مسالم . مما أثار الرأى العام الذى طالب باعادة اليكس الى طبيعته الشريرة .

وقبل ان نتناول رواية « ١٩٨٥ » نود أن نشير ايضا إلى أن أحدا لم يترجم اسم فيلم « مترو بوليس » لفريتز لانج أبدا الى « العاصمة » مثلما فعل المترجمان . كما لا أعرف من أين أصدرا حكما « بأنه لايمكننا اعتباره ـ بيرجيس ـ أديبا عالميا بمعنى الكلمة » ولانعرف ما المقصود بالضبط عند المترجمين . ويكفى أن نقول انه بالنسبة للتحصيل الثقافى ـ ناهيك عن الموهبة ـ فبيرجيس هو أحد الذين هضموا ثقافات العالم المعاصر وقد ترجمت كتبه الى لغات عديدة . وهاهى اللغة العربية تكتشفه أخيرا . ليس من خلال أحسن رواياته « رقاص بندول الساعة » ـ ستنشر فى روايات الهلال خلال أشهر ـ ولكن من رواية اخرى صبغها عنوانها العربى بصبغة خاصة من أجل ضمان التوزيع التجارى .

● ليسوا وحدهم قادمين !

من المهم أن نشير أن بيرجيس يتخيل

المستقبل ممزوجا بالعنف من خلال بطل واحد - حتى وإن تحرك فى اطار مجموعة صغيرة - تتطاوع به أحداث جسام يشهدها المجتمع . واذا كان البعض ضحية لهذا الرجل . فهو نفسه ضحية لظروف عديدة متكاتفة . فاليكس الذى يخرج فى الليل مع اثنين من رفاقه من اجل ممارسة القتل والاغتصاب والعنف فى البيوت الآمنة هو شخص مريض نفسيا يرتاد عيادات الاطباء . وفى السجن لايلبث ان يتحول الى بندول ساعة يتحرك بناء على رغبة العالم الذى يقوم باجراء تجاربه عليه .

اما بيف فى رواية « ١٩٨٥ » فهو مدرس سابق ، يبحث عن فرصة للعمل ماتت زوجته فى المستشفى بعد أن احترقت ابان اضراب عمال الاطفاء فى المدينة . فلم تجد من ينقذها . وهى تردد لزوجها قبل موتها ان « لاتدعهم يفلتون من العقاب » وهى تقصد رجال الاطفاء . فيمزق بيف بطاقته النقابية .. ويقرر الخروج على السلوك النقابى . فينضم الى المتمردين الذين يحتشدون داخل مبنى الجامعة . وكأنهم روبن هود . خارجين على القانون .. ويتم القبض على بيف . ويحاكم بتهمة الخروج على قوانين النقابة . ويتم ادخاله عزبة كروفورد وهى عبارة عن مركز اعادة تأهيل . وفى هذا المركز تتم محاولة لغسل مخ أقرب الى تلك التى حدثت لأليكس .. لكن بلا جدوى ..

ولا يؤمن بيرجيس - فى رؤيته - أن المسلمين وحدهم هم القادمون من أجل السيطرة على لندن عام ١٩٨٥ . حين ضعفت كل السلطات السياسية الحاكمة . بل هو يرى ان النقابات الحاكمة قادمة ايضا . وان الايرلنديين قادمون كذلك . وان عصر سيادة العرب على لندن دينيا واقتصاديا قادم أيضا بعد أن حقق العرب كل هذا الثراء من بترولهم . وأن عصر الإضراب الشامل قادم أيضا حاملا بين كوامنه كافة اشكال العنف والتنازل . فليس العرب - وحدهم - هم شر البلية فى رواية بيرجيس . بل الانجليز ايضا الذين اختاروا النقابات كحاكم ديكتاتور يحدد مصائر البشر ..

ولأن هذا النوع من الروايات يحتاج من الكاتب الى بعض الوصف التفصيلى المقرون بالتقريرية . فأن بيرجيس يفعل ذلك فى اضيق الحدود من خلال ماينطقه البعض حول ايدلوجيتهم : « لو كانت الدولة فى يد العمال لحسم لصالحهم الصراع الطويل من أجل العدل . بعد أن آلت اليهم وسائل اقامة العدل . لكن كل يوم يشهد دلائل على استمرار هذا الصراع الى الابد . ان التعارض بين صاحب العمل والعامل لهو عقيدة أساسية فى نظامنا . والدولة تصبح شيئا فشيئا هى صاحب العمل . إذن وبحسبة بسيطة ، يكون ماهو نظرى فى صالح العامل هو فى الحقيقة ضده . أكرر ان هذه الازدواجية أساسية . أساسية لان وجود قوة محركة أمر أساسى لاستمرار تقدم العمال الى الافضل . ولايمكن ان توجد قوة محركة الا من خلال الصراع . ص ١٣٩ .

● المسلمون فى لندن .. ١٩٨٥

تنبع أهمية الرواية فى أن الشخصية

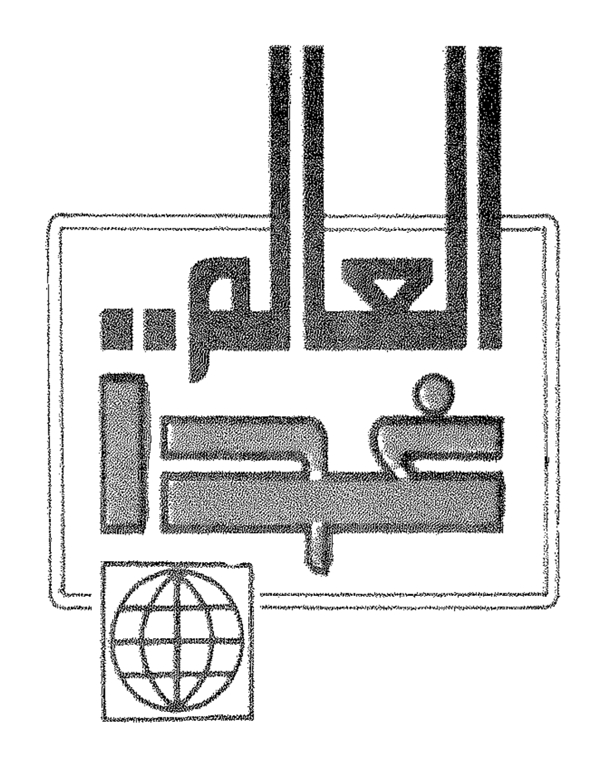
الرئيسية فيها ـ بيف ـ تتسم بالتمرد . فهو الوحيد من بين عديدين دخلوا عزبة كروفورد الذى لم ينجح غسل مخه من التمرد » أصبح هو المريض الوحيد فى الوحدة العلاجية الصغيرة بالمركز ، بل لقد أصبح تقريبا النزيل الوحيد بالمركز كله ... فقد انتهت دورته ، وعاد الذين تم اصلاحهم الى العالم ، عالم استئناف العمل والاستهلاك والولاء للنقابة » ..

واذا كان اليكس قد امتثل فى النهاية لعملية غسيل المخ التى اجريت له . مؤكدا النهاية التشاؤمية لشخصه . فان بيف يضطر الى تسليم ابنته القاصر سنا ـ ١٣ عاما ـ الى أحد امراء العرب بدافع الزواج . وفى النهاية يختار الانتحار كأقصر طريق للهروب من هذا التناقض الذى يملأ لندن ، المصنوع من العرب والنقابات وملك لاحول لـه ولاقوة . والاضرابات العمالية التى تسيطر على المدينة : « كشف صدره العارى حتى من اللحم للسياج المكهرب وآلامه القطيعة ، متسائلا لبرهة : لماذا يضطر المرء للانسحاب من نقابة الاحياء حتى ينضم الى اضراب الموتى وأحس بقلبه يقفز من صدره ويمضى مترنحا فيما تـذروه الرياح » .

اذا آمنا بصدق حدس وخيال بيرجيس فى ان الاسلام قادم الى لندن عام ١٩٨٥ من خلال بترول العرب ـ يبلغ عدد المسلمين فى لندن عام ١٩٨٨ قرابة مليونى شخص ـ فان السؤال المطروح هو مـاهى السمـات التى يتسـم بهـا المسلمون .. ؟ بادىء ذى بدء فليس لمسلمى خيال بيرجيس نفس المسالب التى نراها فى الشخصيات النقابية الحاكمة . ولكن لهؤلاء المسلمين ـ فى نظر الكاتب ـ اخطاءهم التى تدفع العمال بالاضراب فهم يأتون بالقيود : « بريطانيا حرة . ان بريطانيا اسلامية ؟ » وعلى لسان أشخاص يرون أن الاسلام يمكن أن يصبح جنسا انسانيا « تستطيع أن تقول اننى اسلامى الجنسية . فالاسلام هو وطنى . تماما كما أن تاكلاند هى وطنك ص » ١٨٢ . ويسعى المسلمون ـ من خلال اموالهم ـ ان يصبغوا لندن ارض الاسلام بدينهم . ويؤكد الكاتب ان العرب ليسوا قادمين وحدهم . بل ومعهم الاسلام حيث يجلبون معهم مسلمين من مختلف الجنسيات : باكستان . الصين . بل ومن انجلترا نفسها .

ويتعرض المسلمون للاضرابات فى لندن ١٩٨٥ . من خلال ماتنظمه النقابات وهم لايلجأون الى العنف الا فى النذر اليسير . ويصورهم الكاتب على انهم قوم كرم « يبدو أن السخاء الاسلامى علمه الكثير » ص ١٩٦ . ولكنه فى مكان آخر يردد : « انها اموال الهمج الشرقيين . اموال النفط القذر » ويروى بيرجيس على لسان لورانس ـ إحدى شخصيات الرواية ـ ان « الاسلام يحوى كل شىء وهو مع هذا دين بسيط وقاطع ولامع كالسيف . لم أحلم ابدا بثورة اسلامية فى بريطانيا . وانما بتحول بطىء . ويدعمه تسلل اسلامى يتمثل فى الثروة الاسلامية والتأثير الاخلاقى » ص ٢٠٦ .

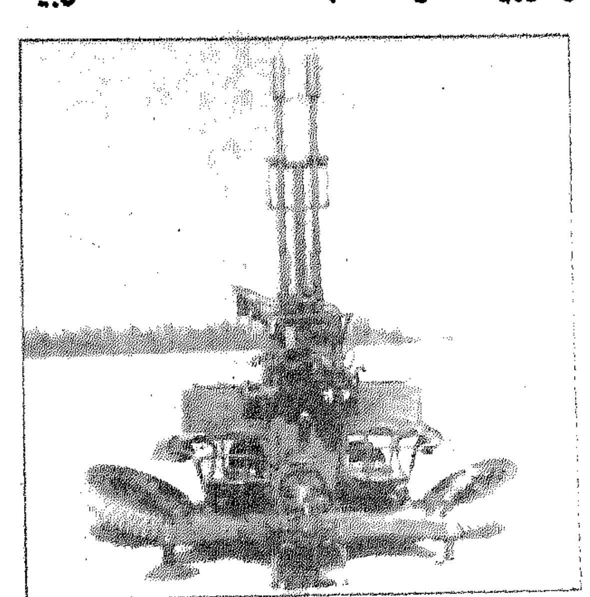
ويردد الملك فى خطابه الى الامة ان هؤلاء العرب « رجال مهذبون فى الحقيقة . وسوف يدعوننا نسيِّر الامور بطريقتنا الخاصة » .



● العرب وانتاج السلاح

تفيد التقـــارير أن صناعة السلاح المصرية تنمو بوتائر مرتفعة ، حتى أن مصر قفزت الى المرتبة السابعة فى سوق السلاح الدولية (بعد اسرائيل مباشرة)٠

وترجع بدايات صناعة السلاح المصرية الى الخمسينيات المبكرة عنـدما كانت مصر تنتج عددا من الاسلحة الخفيفـة اعتمادا عـــلى براءات انتاج شرقيـة وغربية ٠ وقد شهدت الصناعات الحربية



فى مصر طفرة مع ظهور الهيئـة العربية للتصـــــنيع فى منتصف السبعينيات ، لتعمل جنبا الى جنب مع الهيئـة القومية للانتاج الحربى ، وليرتفع عدد العاملين فى هذا المجال الى ما يقرب من مائة الف مصرى ٠ والمتـــوقع أن تحقق هـــذه الصناعات قفـزة جديدة فى اطـــار الظـــروف التى طـرأت على العلاقات العربية اخيرا ، التى ســتزيل المعوقات التى كانت تعترض سبيل التعاون العربى فى هذا المجال ٠

والمعروف أن ترسانة الاسلحة التى تنتجها مصر قد تعززت خلال السـنوات الاخيرة بانتـاج اسـلحة متقدمة مثل طائرة « الالفاجيت » وطائرة « جازيل » الفرنسية وطائرة « توكانو » ، بالاضافة الى صواريخ « سوينج فاير » المضادة للدبابات وعين الصقر المضادة للطائرات ٠٠ هذا كما حصلت مصر اخيرا عـلى حق انتاج الدبابة الامويكية « ام ـ ١ »٠

ووراء الوثبـــة المصرية فى صـناعة السلاح اقدام الاجهزة المسئولة عــلى التعاون مع الشركات العالمية ، وفـــق مختـــلف السياسات الانتاجية ، مـن التجميع وحتى التصنيع الكامل مـرورا بنسب متفاوتة فى المساهمات المحلية ٠٠

والمعروف أن منطقة الشرق الاوســط هى اكبر مناطق العالم من حيث تصاعد وتائر التسلح ، وان فيها ست دول بـين اكثر عشر دول استيرادا للسلاح ٠

هذا ويتم معظم الانتـــــاج الحربى المصرى لصالح القوات المسلحة المصرية، وتمثل البلدان العربية والافريقية السوق الرئيسية للسلاح المصرى ، والعراق هو اكبر المتعاملين مع مصر فى مجـال شراء السلاح ٠٠٠



● تجارة التجميل والاجنة البشرية

ازدادت أخيرا وقائع كشف مافيا منظمة للتجارة فى الاجنة البشرية حتى ان الكاتب الفرنسى جاك دولاى أصدر كتابا خطيرا حول هذا الموضوع ضمن المطبوعات دار سويسرية للنشر بعد احجام الناشرين الفرنسيين تحسبا لردود فعل هذه المافيا .

ورغم ما فى الكتاب من أمثلة كثيرة من بريطانيا وفرنسا وفنلندا واليابان و ... الا أن ما تطوع أحد أطباء بوسطن بذكره للسلطات المختصة يفضح الخطوط العامة لهذه التجارة .. « يدفع الطلب الكبير على الاجنة فى الولايات المتحدة عدد من المستشفيات والاطباء الى الضغط على الحوامل ماديا ومعنويا لقبول الاجهاض ، مستغلين فى ذلك ما يعانينه من أوضاع مادية ونفسية . وتلعب الممرضات والقابلات دورا كبيرا فى تنفيذ المراحل الاولى من العملية ..»

وان كان هناك بعض الحالات التى يتم فيها بيع الاطفال دون علم الامهات (المجهضات فى الاسابيع الاخيرة) الى الامر الراغبة فى التبنى ، فان الكم الاعظم من الاجنة الصغيرة يباع لمصانع مستحضرات التجميل التى تستخلص من انسجتهم المواد البيولوجية المنشطة لعلاج « تجاعيد » الحسناوات ..

ولعل أغرب ما كشف عنه الكتاب وجود « موردين معتمدين » لدى مصانع التجميل من « الاطباء » الذين تخصصوا فى الاجهاض وبيع الاجنة، ذلك بالاضافة الى امتداد العبث الى الاطفال فى شهورهم الاولى . واشار الكتاب الى

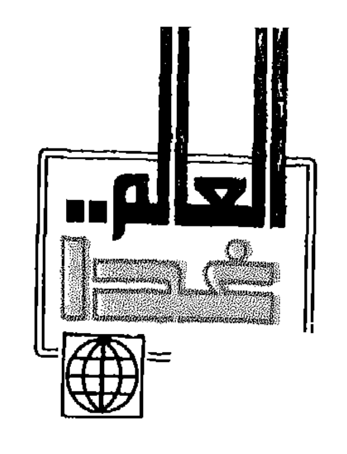


تجارب أجريت فى هلسنكى وكيفلاند انتزع فيها جلد الاطفال وأجريت عليهم حيث درست ردود فعلهم العضوية والانعكاسية والى تجارب كان الاطفال فيها موضوعا للاسلحة البيولوجية والكيميائية ..

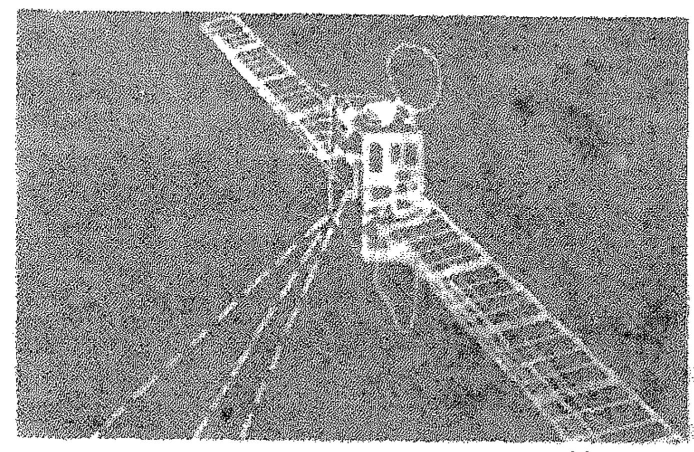
وقد أحدث الكتاب ضجة هائلة فى الاوساط الدينية والعلمية فى مختلف بلدان أوربا الغربية ..

● حلم الرئيس الامريكى لا يتحقق

بعد خمس سنوات من مبادرة الرئيس ريجان الدفاعية التى شاع الحديث عنها تحت اسم « حرب الكواكب » وبعد انفاق ١٢ مليار دولار وصلت وزارة الدفاع الامريكية الى امتناعات تخلت معها عن فكرة انشاء درع فضائى لحماية كل أراضى الولايات المتحدة الامريكية ، مكتفية ببرنامج محدود يستهدف تغطية



● الذهب في اثر قدماء المصريين



المنشآت العسكرية وحدها ، ينتظر البدء في نشره مع عام ١٩٩٦ وبتكلفة تصل الى ١٥٠ مليار دولار (ضعف تقديرات عام ١٩٨٧) ..

وقد نقلت « واشنطن بوست » عن مسئولين في وزارة الدفاع الامريكية (البنتاجون) أن هذا المخفض ناجم عن اجماع ، داخل الحكومة الامريكية ، على استحالة تحقيق حلم الرئيس الامريكي

المعروف أن الرئيس ريجان كان يسعى ، من خلال التكاليف الباهظة التى ستنفق على مستحدثات التسلح الفضائية فى اطار « حرب الكواكب » الى استنزاف موارد الاتحاد السوفييتى فى جولة جديدة من سباق التسلح ، وأن الروس كانوا يسعون بكل السبل الى تجنب مثل هذه الجولة لما يمكن أن يكون لها من آثار مدمرة على اقتصادهم .

وقد جاءت الخطوة الامريكية الاخيرة وسط اعترافات الرئيس الامريكى بصعوبة المشكلات القائمة فى المحادثات التى تجرى بين واشنطن وموسكو توطئة للقمة القادمة بين البلدين ..

بدأت عمليات الانتاج التجارى لمناجم الذهب السودانية فى جبيت بعد سنتين من الانتاج الفعلى على نطاق تجريبى محدود . والمتوقع أن يبدأ العمل بمعالجة ٨٠ الف طن من الخامات لانتاج ما يتجاوز ٦٠٠٠ أوقية سنويا . مما يحقق دخلا يناهز ١٥ مليون دولار .. لكن المنتظر أن يتضاعف الانتاج خلال السنتين المقبلتين ، مما يؤدى الى تشجيع شركاء دوليين جدد على التعاون مع السلطات السودانية لاستكشاف مناطق جديدة . اذ يعتقد السودانيون أن جبيت ليست سوى الجزء الطافى من جبل مغمور هائل ، يتمثل فى الاحزمة الجيولوجية المختلفة ، الغنية بكثير من رواسب المعادن (الفضة والنحاس والزنك والقصدير ..) ناهيك عن الذهب ..

وتفتح تكنولوجيا الاستشعار عن بعد افاقا جديدة أمام السودان وذلك لترامى أراضيه (٥ر٢ مليون كيلو متر مربع) وصعوبة الوصول الى معظم مناطقه بسبب الافتقار الشديد الى طرق المواصلات البرية والجوية الامر الذى جعل الدراسات تتركز فى الشمال الحضرى للبلاد والمناطق المحيطة به .

وان كانت شركة «جرينتش ريسورزر» البريطانية قد اختارت منطقة جبيت، بناء على عمليات استكشافية استعانت فيها بصور الاقمار الصناعية ودراسات البعثات الجيولوجية الميدانية ، الا انها اقتفت فى النهاية أثر قدماء المصريين.. فمن المعروف أن استغلال حزام جبيت

انتاج الذهب قد بدأ فى عهد تحتمس الثالث ، ومازالت توجد بالمنطقة بقايا قرية فرعونية مندثرة ، تنتشر بها الحجارة التى كانت تستخدم فى طحن الخامات وفصل الذهب ..

هذا وقد حفز النجاح شركة « جرينش ريسورسز » (القائمة على مشروع جبيت) الى التوسع شمالا نحو مصر فاتفقت مع الحكومة المصرية على امتياز للتنقيب عن الذهب فى منطقة ٥٠٠٠ ك٠م مربع ، فى اطار شركة تملك الحكومة المصرية ٥٢ ٪ من رأس مالها .. وتقوم الشركة البريطانية حاليا بالحفر التجريبى فى مناطق أبو مروة وحمامة والسد ..

● مكافحة الجراد بالاستشعار من بعد

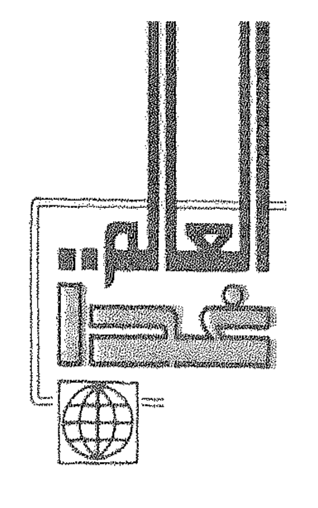
بعد غياب امتد لعشرات السنين عادت أسراب الجراد تتكاثر بسرعة رهيبة ، مهددة الاخضر واليابس فى انحاء القارة الافريقية ، اخذه طريقها الى آسيا وأوربا مما دفع منظمة الاغذية والزراعة التابعة للامم المتحدة الى اصدار تحذيرات متكررة والى تكثيف أعمال المراقبة ..

وقد ساهم فى تنامى هجمات أسراب الجراد ، بكثافة غير معهودة ، أن سقوط الامطار الغزيرةاخيرا قد ساهممع ارتفاع درجة الحرارة فى تهيئة الظروف لتوالد الجراد على نحو سريع، بعد بيات « شتوى » طويل خلال سنوات الجفاف السابقة ، بالذات مع انشغال السلطات الافريقية فى النزاعاتالداخلية الطاحنة، وحظر عدد من المبيدات الفعالة ، لما ينتج عنها من مشاكل بيئية ..

والمعروف ان الجراد يتسبب فى أضرار جسيمة للمزروعات ، حيث تأكل الجرادة الواحدة يوميا ما يساوى وزنها (٢ ـ ٣ جرامات) مما يعنى أن سربا صغيرا من الجراد (قوامه الف مليون جرادة) يستهلك قرابة ٢٠٠٠ طن من النبات فى اليوم الواحد ، بينما يتراوح متوسط عمر الجرادة ٧ ـ ٨ أسابيع ، وتناهز الخسائر التى يوقعها غزو سرب واحد من الجراد للاراضى الزراعية مئات الملايين من الدولارات ٠ وتفرض فداحة الخسائر على هذا النحو اتخاذ الاجراءات الوقائية التى تحمى من استفحال ضرر الجراد بصورة مستمرة٠

وتتلخص الاجراءات الوقائية فى متابعة أعمال الحصر والمراقبة والاستكشاف فى المناطق المعرضة بهدف التعرف على مواقع أسراب الجراد والقضاء عليها بمجرد ظهورها ، قبل حدوث حالة الوباء ٠ ولهذا الغرض تجرى منظمة الاغذية والزراعة مسحا دقيقا لمناطق تكاثر الجراد وتراقب نموه، كما تنسق بينالاجراءات المقاومةالنظرية والاقليمية وتقوم بجمع المعلومات عن أوضاع وتحركات الجراد بهدف التنبؤ بحاجات المكافحة وتنظيم عمليات الطوارىء ٠ وقد ساعدت أساليب الاستشعار من بعد على تحقيق نتائج مشجعة بماتوفره من دقة وسرعة لا يمكن أن تتأتى بدونها مع تحرك الجراد فى الصحراء الشاسعة ٠

واعتمادا على موضوعية البلاغات الدولية شهد جنوب مصر مواجهة شرسة مع أسراب الجراد ، وشكلت لجنة مع الجانب السودانى لتنسيق متابعة حقول البيض ومقاومة أسراب الجراد الناتجة عنها والنازحة من مناطق أخرى ..

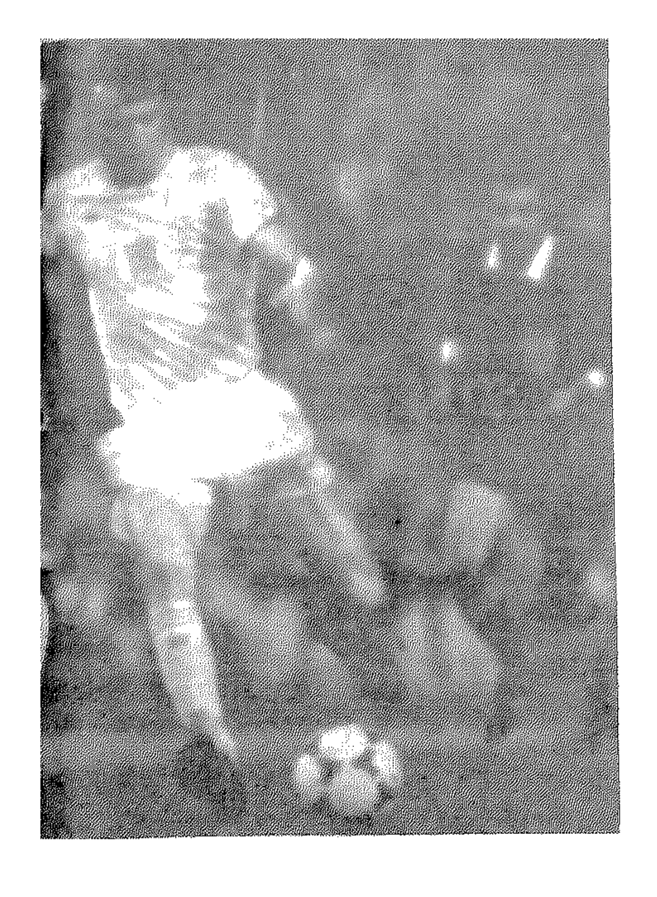


● الرياضة وحرب المنشطات

تشهد دنيا الرياضة حربا شعواء بين السلطات الرياضية الدولية ممثلة فى أجهزة الطب الرياضى والمختبرات التى تصنع المنشطات. وكلما حققت مختبرات اللجنة الطبية الاولمبية تقدما فى أساليب اكتشاف المنشطات فاجأتها شركات الادوية ، عن قصد أو عن غير قصد ، بمواد جديدة يمكن لها زيادة وتأثر الاداء الجسدى ، عن طريق ما تدعيه من تنشيط الدورة الدموية وتحسين توازن الافرازات الهرمونية مستغلة اغراءات النجاح والحصول على متعة كاملة فى الحياة .

وبعد أن كانت سياسة مكافحة العقارات المنشطة تدور حول معاقبة الرياضى اعتمدت اللجنة الاولمبية الدولية، خلال اجتماعها الاخير فى كالجارى ، مجموعة من الاجراءات الجديدة بينها ما يطول المروجين لتعاطى المنشطات غير الطبيعية ..

ويثير قلق اللجنة الطبية الاولمبية حاليا مادة « الاريتروبواتين » التى تزيد من القدرات البدنية عبر زيادة كمية



الاكسجين فى الدم ، والتى تعد لعلاج مرضى الكلى ، ويستحيل اكتشاف أى أثر لها فى الجسم بعد يومين من تعاطيها . وتعد هذه المادة حاليا للتسويق العام مما سيجعلها فى متناول الجميع ، بما فى ذلك الرياضيون . وقد شرعت اللجنة الطبية فى اجراء الاختبارات على المادة لمعرفة تاثيراتها قبل اتخاذ قرار بصدد السماح بها أو منعها ..

وحرب المنشطات مستمرة أيضا على صعيد اللاعب فقد أوقفت اللجنة الاولمبية أول من ثبتت عليه تهمه تعاطى المنشطات خلال دورة كالجارى ١٨ شهرا ، كما خسر شوماخر حارس مرمى المانيا الغربية الشهير موقعه المتميز فى كرة القدم الالمانية بعد أن فضح ، فى كتاب أصدره أخيرا، شيوع استخدام المنشطات بين اللاعبين الالمان ..

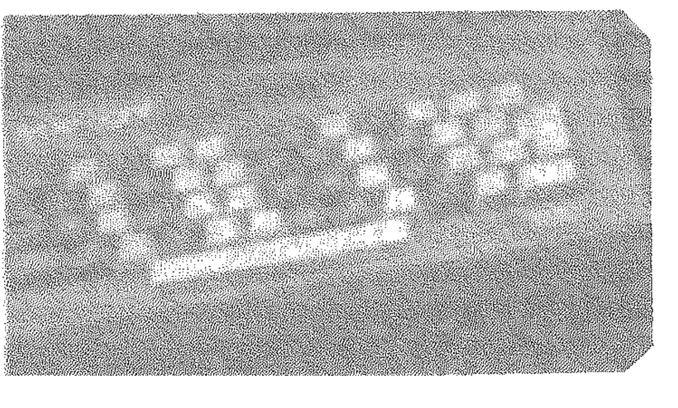
● أنيس عبر شريط الفيديو

● طرحت احدى الشركات الامريكية سلسلة من شرائط الفيديو يمكن أن يستعين بها الانسان لمواجهة ظروف عزلته وغربته . والاشرطة عبارة عن كلاب وقطط وأطفال واصدقاء فيديو ، وتتضمن بعض الالعاب المسلية التى يمكن أن يؤديها الانسان مع أنيسه الفيديوى الاليف ..

الكهرباء من الصخور

● اعتمدت الحكومة البريطانية ٨١٥ مليون جنيه استرلينى للانفاق على أبحاث الحصول على الكهرباء من حرارة صخور باطن الارض الساخنة ، خلال الاعوام الثلاثة القادمة . وقد أظهرت الدراسات الاولية انه يمكن الحصول بهذه الطريقة على كل ماتحتاجه انجلترا وويلز ، وفق معدلات الاستهلاك الحالية، من الطاقة الكهربائية ..

● كحل لمشكلة نقص المياه العذبة فى ولاية كاليفورنيا اقترح أحد الخبراء احضار جبل جليدى من القارة القطبية ، بدلا من اقامة محطة لتحلية مياه المحيط فى مدينة كامب بندلتون .. الفكرة ليست جديدة وان كان الجديد الذى يقترحه الخبير مجموعة من الاجراءات التى تخفض من تكاليف تنفيذها كثيرا.



الطابعة الكمبيوترية

● مع الاهمية المتزايدة لاجادة استخدام الالة الكاتبة ولوحة مفاتيح أجهزة الكمبيوتر انتشر استخدام لعبة « الطابعة الكمبيوترية » التى تعلم الاطفال نفس البرامج المعتمدة للتدريب فى هذا المجال على وجه التقريب . اللعبة خفيفة الوزن وتعمل بالبطارية وتقف أوتوماتيكيا اذا مر عليها عشر دقائق دون استخدام ، وتبين للطفل سرعته فى التعامل معها على شاشة صغيرة ..

● انتشر فى بريطانيا استخدام « البصمة الوراثية » التى ولفها آليك جيفريس عام ١٩٨٤ ، وتشمل الى جوار بصمة البنان نقطة دم وجذر شعرة ونطفة منى .. وقد امتدح القضائيون هذا المستحدث التقنى ، الذى سيفيد كثيرا فى الكشف عن الجريمة ، وفى مجالات كثيرة أخرى مثل ادعاءات صلة القرابة .

في الذكرى الثمانين بعد السبعمائة
لميلاد "رائد الفكر الإسلامي"
في القرن السابع الهجري

جلال الدين الرومي

٦٠٤ - ٦٧٢هـ • ١٢٠٧ ١٢٧٣م



بقلم : د. محمد عبد المنعم خفاجى

جلال الدين شخصية نادرة في الفكر الاسلامي ورائد كبير من رواد الفكر الصوفى ، وعقلية واسعة الافق وقف حيالها المفكرون والكتاب فى خشوع واجلال موطنه بلخ احدى عواصم الثقافة الاسلامية ففيها ولد ، وفيها نشأ ، وكانت بلخ تلقب بأم البلاد ، وهى احدى مدن أفغانستان ، ومنها اعلام مشهورة ، مثل : ابراهيم بن ادهم شيخ الصوفية ((١٦٢ هـ)) وشقيق البلخى ((٣٥١ هـ)) وابن سينا ((ــ ٤٢٩ هـ)) ، وسواهم .

وهو جلال الدين محمد بن محمد بن الحسين البلخى ــ نسبة الى بلخ موطنه ــ القونوى ــ نسبة الى قونية التى هاجر اليها واقام فيها ــ الرومى ــ نسبة الى بلاد الروم التى منها بلدة قونية ــ وينتهى نسبه من جهة الاب الى أبى بكر الصديق ٠٠ ويطلق عليه المولوى نسبة للطريقة المولوية التى عرف بها ونسبت اليه ، وهى نسبة الى مولى ، وكان جلال الدين يلقبه أتباعه بمولانا ٠

وكان والده محمد يلقب ببهاء الدين ، وهو من العلماء الاعلام فى بلخ ، وفيها ولد عام ٥٤٥ هـ ، وتوفى بقونية عام ٦٢٨ هـ ، عن ثلاث وثمانين سنة هجرية ، وهو فقيه ، صوفى ، واعظ ٠٠ له كتاب « المعارف » فى المواعظ بالفارسية ، وقد طبع عام ١٣٣٣ هـ فى ثلاثة أجزاء ، وبقى الجزء الرابع مخطوطا لم يطبع بعد ، وهو الاستاذ الاول لابنه جلال الدين الذى تأثر به وبنهجه وفكره ومعارفه تأثرا بالغا ، وأفاد من كتابه المعارف كثيرا ٠

● نبوغ علمى

وقد ولد جلال الدين فى السادس من ربيع الاول عام ٦٠٤ هـ (١٢٠٧ م) ٠٠ ونشأ نشأة صالحة ، حفظ القرآن، وتلقى علوم الدين والعربية والتوحيد عن والده ، وبدت عليه مخايل الذكاء، وسلامة الفطرة ، وقوة الاستعداد ، واكتمال الطبع ، حتى لقد تنبأ له فريد الدين العطار (ــ ٦١٧ هـ) بالامامة والنبوغ العلمى ، وجلس فى مجالس التدريس والفتيا والوعظ ، وأخذ عنه كثير من الدارسين ٠

وفى هذه الفترة بدأ المغول فى غزو العالم الاسلامى وبخاصة الدولة الخوارزمية التى كانت تجاورهم وأشهر عواصم هذه الدولة فى أفغانستان ، فاضطربت أحوال بلخ ، وصحب الغزو المغولى القتل والتدمير وتحطيم مراكز الحضارة والعلوم ،

جلال الدين الرومي

فكان لابد لوالــد جــلال الدين من المهجــرة بأسرته الى حيث الامان والاطمئنــان ، فخــرج من بلخ عام ٦١٧ هـ ، حتى استقر به المقام أخيرا فى قونية من أعمــال بلاد الروم فى آسيا الصغرى ، ومعه أبناؤه ، ومن بينهم هــذا الفتى البالغ من العمــر نحو الاربعـــة عشر عاما ، وهـــو جلال الدين ·

عاش والد جلال الدين فى قونية يخطب ويعــظ ويلقى الدروس على الطلاب فى الفقه وشتى علوم الدين ، وذلك طيلة عشر سنوات ، حتى توفاه الله الى رحمته عام ٦٢٨ هـ ·

ونهج جلال الدين نهج والده فكانت له حلقة علمية فى قونيـــة ومجالس علم وافتــاء وفقـــه وتفسير ·· ولم يلبــث ان تعــــرف عـــــام ٦٤٢ هـ (١٢٤٤ م) بمدينة قونية بصـــوفى موهوب هو شمس الدين التبريزى ، الذى حول حياته وفكره تحويلا كبيرا ، واتجه به نحو التصوف اتجــــاها شــديدا ، ولم يلبث شمس الدين أن رحــل فجــأة من قونية ، وأقام فى دمشق وحزن جـــلال الدين لفــراق أستاذه ومرشده الروحى ، فبعث ابنه بهاء الـــدين الملقب « بسلطان ولد » الى التبريزى ، ومعه هدايا نفيسة ، وخطاب من والـــده يلح فيه عليـــه بالعودة الى قونية ، فعاد شمس الدين التبريزى اليها ، وفرح جـــلال الدين بهذه العودة ، وأقام التبريزى فيهـــا فترة ، ثم لم يلبث أن غادرهـــا مرة أخرى الى الشام ، فحزن جلال الـــدين لذلك حزنا شديدا ، وخرج بنفسه الى الشــــام ، يبحث عن أستاذه فى كـــل مكان ، ثم عاد الى قونية يخفى حنين وهو حـــزين مهموم ، يؤثر العزلة ، وينأى عن الناس ·

تأثر جلال الدين فى هـــذه الفترة بالامام الغزالى وبكتابه « احياء علوم الدين » تأثرا كبيرا ، وصار الغزالى مثله الاعلى ومن بعده « شمس الدين » ·

وهكذا حدث هـــذا التحول الكبير فى حياة جـــلال الدين : من تدريس العـــلوم الى العكوف على مجـــالس التصوف ، ومن المنهج العقـــلى الى منهج الصوفية وأصحاب المواجيد ، كمـــا حدث للامام الغزالى نفسه من قبل ··

عاصر جـــلال الدين كثيرين من أعلام الفكر الاسلامى ، ومن بينهم :

ـ فريد الدين العطـــار الشــــاعر الفارسى المشهور (الذى توفى عام ٦١٧ هـ) ، والســـعدى الشـــيرازى (٦٠٦ ـ ٦٨٩ هـ) صاحب كلستان ، وحافظ الشيرازى ، ومحيى الدين بن عـــربى (٥٦٠ ـ ٦٣٨ هـ) الشيخ الاكبر ، وأبو الحسن الشـــــاذلى (٥٩٣ ـ ٦٥٦ هـ) ، وابن عطـــــاء اللـــه الســـــكندرى (٦٥٨ ـ ٧٠٩ هـ) ، وشهاب الدين السهروردى (٦٣٢ هـ) ، وأبو العبـــــاس المـــرسى (٦١٦ ـ ٦٨٦ هـ) ، والسيد أحمـــــد البدوى (٥٩٦ ـ ٦٧٨ هـ) ، وابن الفـــارض (٥٧٦ ـ ٦٣٢ هـ) ، وشرف الـــدين البوصــــيرى (٦٠٨ ـ ٦٩٥ هـ) ، ونصر الدين الطوسى ، وبرهان الدين الترمذى ، وصدر الدين القونوى ·

وكان له ابنان هما : بهــاء الدين وعلاء الدين ·

واشتغل جـــلال الدين بالتأليف ، وله من المصنفات :

١ ـ المجـــالس السبعة ، ألفـــه بالفارسية ، وهـــو مواعظ وخطب ، كتبها أثناء اشتغاله بالتدريس ، قبل

تعرفه بشمس الدين التبريزى وقد طبع هذا الكتاب عن نسخة خطية بمكتبة محفوظ أغا بتركيا.

٢ ـ ديوان شمس تبريز ، الفه جلال الدين وسماه باسم أستاذه الروحى ، وهو غزليات صوفية تبلغ ٣٥٠٠ بيت من الشعر .

٣ ـ رباعيات جلال الدين ، وتنحو نحو توضيح الحقائق الروحية فى قالب حكايات وقصص .

٤ ـ كتاب سماه باسم «فيه مافيه» ، وهو يشتمل على مواعظ وقصص وامثال ، باسلوب سهل تفهمه جماهير الناس ، ويقول فيه بعض الشعراء :

كتاب « فيه ما فيه »
لطيف فى معانيه
فمن يعمل بما فيه
تشهد الغيب فى فيه
كتاب فيه آيات
على الحق دلالات

وهو مطبوع بالفارسية عن نسخة مكتوبة عام ٧٥١ هـ بخط احد احفاده .

٥ ـ المثنوى وهو شعر فارسى من المزدوج أى أن كل شطرين لهما قافية مشتركة ، وهو ستة مجلدات ، تحتوى على خمسة وعشرين الف بيت من الشعر ، وذكر مؤلف كتاب « تذكرة الشعراء » ان عدد ابيات المثنوى يصل الى ثمانية وأربعين الف بيت من الشعر ، واشعار المثنوى فى ترجمة نيكلسون تبلغ ٢٥٦٣٢ بيتا من الشعر ..

وهناك مجلد سابع ينسب الى جلال الدين ، وان كان على الحقيقة ليس له .

وقد الف جلال الدين كتابه المثنوى بناء على اقتراح من تلميذه حسام الدين جلبى بأن يؤلف جلال الدين كتابا يجمع بين آرائه فى الاخلاق والأدب وآرائه فى التصوف على نهج كتاب « حديقة الحقيقة » لسنائى الشاعر الصوفى المدفون فى « غزنة » بافغانستان والمتوفى عام ٥٢٥ هـ ، أو كتاب « منطق الطير » للعطار الشاعر الفارسى المشهور (ـ ٦١٧ هـ) .

بدأ جلال الدين فى تاليف المثنوى عام ٦٥٧ هـ / ١٢٧٦ هـ وانتهى منه بعد نحو خمس سنوات .. ويقول فى مقدمة الكتاب .

« هذا كتاب المثنوى ، وهو أصل أصول الدين فى كشف أسرار الوصول واليقين ، وهو فقه الله الاكبر ، وشرع الله الازهر ، وبرهان الله الأظهر .. ثم يقول : اجتهدت فى تطويل المنظوم المثنوى ، المشتمل على الغرائب والنوادر وغرر المقالات ، وطريقة الزهاد ، وحديقة العباد ، قصيرة المبانى ، كثيرة المعانى ، لاستدعاء سيدى وسندى ابو الفضائل ، حسام الحق والدين ، حسن بن محمد الخ .

وقد نال الكتاب شهرة وذيوعا كبيرين ، حتى لقد الف بهاء الدين (ابن جلال الدين) كتابا سماه «المثنوى» ايضا .

وشرح الكتاب كثير من العلماء ، منهم :

الخوارزمى (ـ ٨٤٠ هـ) ، وسمى شرحه : كنوز الحقائق ، ورموز الدقائق » .

ـ شمعى (ـ ١٠٠٠ هـ) ، شرحه باللغة التركية .

ـ علاء الدين (ـ ٨٧٥ هـ) ، شرحه بالفارسية .

ـ محمد نحيفى (ـ ١١٥١ هـ) ، شرحه بالتركية .

ـ عابدين باشا ـ شرحه بالتركية .

ـ بحر العلوم ـ شرحه بالفارسية.
ـ محمد تقي جعفري ـ شرحه بالفارسية •
ـ جلال الدين هجائي ، شرحه بالعربية بعنوان « تفسير مثنوى » •
ـ يوسف المولوى ـ شرحه بالعربية بعنوان « المنهج القوى » فى ستة أجزاء •
ـ الانقروى (نسبة الى انقرة) المتوفى عام ١٠٤٢ هـ ، شرحه بالتركية.
ـ محمد الهندى شرح بالاوردية •
ـ د. كفافى شرحه بالعربية ، وظهر منه ثلاثة أجزاء ، ثم توفى الى رحمة الله •
ـ الجواهرى نظمه بالعربية شعرا فى ستة مجلدات •
ـ عبد الوهاب عزام له « مختارات المثنوى » بالعربية •

وترجم المثنوى الى العديد من اللغات العالمية لفيف من المستشرقين، منهم :
ـ روزون الالمانى ترجم المجزء الاول من المثنوى الى الالمانية •
ـ جيمس ردهاوس ، ترجم الجزء الاول من المثنوى الى الانجليزية •
ـ نيكلسون ، ترجمه الى الانجليزية فى جزأين •
ـ هو يتفليد ، ترجم ٣٥٠٠ بيت من المثنوى الى الانجليزية •
ـ أرثر جوى آربرى،ترجم مختارات من المثنوى الى الانجليزية •

وظهر العديد من المؤلفات عن جلال الدين ، ومن بينها كتاب لابى الحسن الندوى : بعنوان «مولانا جلال الدين الرومى » ، كما كتب عنه فروزا نفر بالفارسية كتابا أيضا ، وللباحثة الفرنسية المسلمة « ايفادى فيترى » كتاب عنه بالفرنسية •

واخيرا توفى الشيخ الكبير فى الخامس من جمادى الاخرة عام ٦٧٢ هـ ، ودفن فى قونية ، فى مشهد كبير •

وكما كان جلال الدين متأثرا ، بالغزالى ، فان الشاعر محمد اقبال تأثر بجلال الدين تأثرا شديدا ، ودواوينه بالفارسية والاوردية فيها فكر جلال الدين ، ومعراج اقبال بالفارسية يمثل روح جلال الدين فى حث المسلمين على النهوض وفى ايقاظهم من سباتهم العميق ، وفى الدعوة الى الصفاء الروحى والنهضة الاسلامية •

● الشريعة .. المعيار

واذا كان جلال الدين فى القسم الاول من حياته وقبل اتصاله بشمس الدين التبريزى عالما متبحرا فى علوم الدين والكلام وفى الفقه (على مذهب الامام ابى حنيفة) خاصة ، فانه بعد لقائه بالتبريزى يهاجم الفلسفة التى تعتمد على العقل المحض هجوما عنيفا ، وصار يحتاط فى الاخذ بأقوال الفلاسفة ، ويجعل الشريعة هى المعيار لذلك ، ويلجأ الى العقل والاستدلال لمعرفة الله ورسالاته ومعجزات رسله ، للعمل بالشريعة ، واخذ يؤكد على تحرير عقل الانسان من قيد الذهب والفضة كما يقول ، وعلى وحدة الوجود ، ويشرح الكثير من المرامى الصوفية ، مثل قضية الروح والجسد ، والمريد ، والمقام ، والحال وسوى ذلك .. فتصوفه مزيج من الفلسفة

والحكمة العملية ، لانه حكيم اخلاقى، وشاعر صوفى ، يميـــل الى الحب والوجد .

● رسالة دكتوراه

واخيرا ظهر عن جلال الدين كتـاب قيم ، هو فى الاصل رسالة دكتوراه ، قدمها الى جامعة الازهر باحث افغانى، هو « عناية الله ابلاغ الافغـانى » ، صدر عن الدار المصرية اللبنانية ، فى نحو ٤٢٠ صفحة ، بعنوان « جـلال الدين الرومي البلخى بين الصوفيـة وعلماء الكلام » بتقـديم ا٠د٠ يحيى الخشاب ، ويقع البحث فى سـبعة ابواب ، بعد التصدير والمقدمات :

- فالباب الاول : عن مدينة بلخ فى القرنين الخامس والسادس .
- والباب الثانى : عن التصـوف الاسلامى الى عهد جلال الدين .
- والباب الثالث : عن المؤثرات فى حياة البلخى .
- والباب الرابع : عن مؤلفـات جلال الدين
- والباب الخامس : عن التصـوف عند جلال الدين .
- والباب السادس : عن آرائــه الصوفية .
- والباب السابع : عن جلال الدين وعلم الكلام .

وهذه الدراسة القيمة تسـتحق الاهتمام والعناية حقا ، ويقول الباحث فى تقديمه للبحث : « فى هذه الرسالة محاولة لتوضيح بعض آرائه التصوفية والكلامية . ويقول فى الخاتمة ، عن جلال الدين :

« قل نظيره فى تعمقـه فى الادب الصوفى والتعريف بالتصوف ، وقـل نظيره فى القرون الاخيرة يقدم لنـا المعرفة فى صورة متكاملة » .

« عالج القضايا العقيدية بالبيـان المانع ، بحدث نحس أن المعنـويات اكثر لذة من غيرها ٠٠ عالج الانسان ومشكلته بحيث مزج الروح والحيـاة والنفس الانسانية ليصل منها الى عمق التأمل ، حول الانسان نفسه ٠٠ ذهب من ميادين التصوف الى ساحات الفن والادب ، وجعل من الادب مفـاهيم للفن ، ومن الفن تيقظا ووعيا لدارسى التصـوف والادب ، لندرك بذلك ان الانسان نفسه هو فوق كل تقدير حينما يعتبر موضوعا للاخلاق العلمية ٠٠ ثم يقول :

جاء جلال الدين بعد الصراع بين المدرسة والخلوة ، بين الفكر والزهد، بين المقال والحال ، توجـه الى اداء رسالته ٠٠ التى فرضها عليه عقـله الفلسفى وفكره الصوفى وجـذبه السلوكى ، وفرضتها عليـه تاثراته البيئية ، وانطباعاته الخاصة ، وصلة اسرته بالعلم والزهـد والتقوى ، ونشأته فى العبادة ونموه فيها ٠٠٠ ثم يقول :

« أراد الوصول الى الحقيقـة . الحقيقة التى يعترف بها ، والحقيقة التى تأخذه الى الصدق واليقين .

وبحق فالكتاب جامع لكل ما تفـرق فى المصادر عن جـلال الدين الرومى وتصوفه ، وهو المصـدر الاول الذى اخذنا منه هذا المقال ٠٠

ولقد كد الباحث وجد ، واضناه الكد والجهد حتى خرج بهذا البحث القيم الاصيل .

ونحن اذ نعتز بما قدمه هـذا الافغانى الدؤوب عن جـلال الدين وحياته وآرائه ، نتمنى أن يفيد منـه جمهرة المثقفين والدارسين .

شعر

زينب محمود أحمد

صديقي



(١) المخاض

وجئت كالشروقِ فوق صفحة الحقولْ
بلوْن خطوةٍ اليفةٍ لساقيةْ
بطعم دهشة السؤال فى قصيدةٍ مواتيةْ
فأنت روح ذلك المكانْ ...
ولحنِ أغنياتنا بموسم الحصادْ
وأنتَ فرحةٌ هنا
وبهجة هناك ...
ماجاءها المخاضُ بعدْ
وأنت لحظةٌ وشيكةُ الحدوثْ ...
ومستحيلةُ الحدوثْ ! !

(٢) صديقى القديم

صديقى القديمُ كان دائماً حزينْ ... ! !
فظلهُ على الجدار مرهقٌ
يفنِّدُ التجهم البطىءْ
يمدُّ فى الفضاء قشعريرة الفناءْ
وصوتُهُ مسافةٌ ....
تدفىءُ التأوه الحبيس فى العيونْ .
وتحرقُ الصفصافة التى بأول الطريقْ
صديقى القديمُ كان دائماً حزينْ ... ! !
ومنذ موتِهِ ...

القديم

أعيشُ بعض حزنِهِ
تقلصتْ أضالعِي
وتهتُ في مغارةِ السكونْ
كتبتُ فوق قبرهِ
رسالةً
قصيرةً - قصيد ....
وحينَ عدت .....
لم أجد رسالتي ،
ولم أجد جواب ! !

(٣) الجلوس فوق حافة الضياء

وأستديرُ كي أرى - قُبالتي - أواخر النهارْ
تزيد من صبابتي
فأعشق الجلوس ...
فوق حافة الضياء ....
وأستثيرُ غضبة الرياحِ ....
كي تطارد المساء
وعندما يطل وجهك الجميل ...
فوق صفحة القمرُ
يراقص الغصونْ
ويوقظ الضفادع التي على جوانب التُرعْ
فيسقط الخريفُ من أيامنا
ويُولد النشيد ! !



قصة
قصيرة

الصحوة

بقلم
أنغام كججي
باريس

لو عرفت في ذلك اليوم ، قبل اثنتي عشرة سنة من هذا اليوم ، بأنني سأنتهي نزيلة للعنبر رقم ستة في مستشفى سانت - ان للامراض العقلية ، لما جئت الى هذه المدينة ، ولاخترت عوضا عنها الرحيل الى نواكشوط •• او مونتفيديو ، او هونولولو

وها انا ، في الساعات القليلة التي يغادرني مفعول الحقن المهدئة ، وفي لحظات الوعي الصافي ، استذكر طفولتي واحن اليها رغم انها كانت عادية وليس فيها ما يذكر ، واسترجع وجوه ابي وامي واخواتي السبع ، ووجه معلمتي صابرة ، ووجه ماجد ، حبي الاول الذي ما كان له أن يتصور ذات يوم انه قد أحب مجنونة •

في تلك السنوات الجميلة لم اكن مجنونة بعد • بل انني من شدة اتزاني رضخت لنصيحة العائلة ، وقطعت صلتي بماجد ، وبدأت منذ تلك اللحظة مسيرة حياتي الخارجة على قانون الطبيعة ، والمعاكسة لدوران الساعات •

وكان ماجد أعقل مني، فقد سارع الى الزواج من ابنة خالته ، وفي غضون خمس سنوات كانت قد أنجبت له أربعة صبيان •

انا لم انجب • وفي لحظات الوعي الصافي يستبد بي حزن ذو اشواك تنشب في الحلق •• واتخيل احيانا طفلا يتشبث بي ، ويستطيع - مهما كان صغيرا - ان ينقذني من صحبة مجنونات سانت - ان

وفي تلك اللحظات شديدة الوطاة ، اتحسس صدري الناشف •• وتتملكني جزعة العنوسة •• فاسارع الى حسبان

ما تبقى لي من سنوات الامل ، فأجد سن اليأس تقف لي بالمرصاد ... غير بعيدة .

كان أبي يقول : سناء ليست مثل بقية البنات . انا لااخاف عليها حتى لو ارسلتها الى أخر الدينا لقد ربيتها مثل رجل .

كان ابا لسبع بنات ، وكان يدفع مرارة ذلك بالتصريح دائما بأن كل واحدة من بناته السبع تساوى لديه عشرة رجال .

انا بالذات ، كنت الاكثر رجولة بين شقيقاتي . لم تضم خزانة ثيابي غير السراويل ، وكانت أمي تدعى انها بذلك تحميني من الام الروماتيزم .

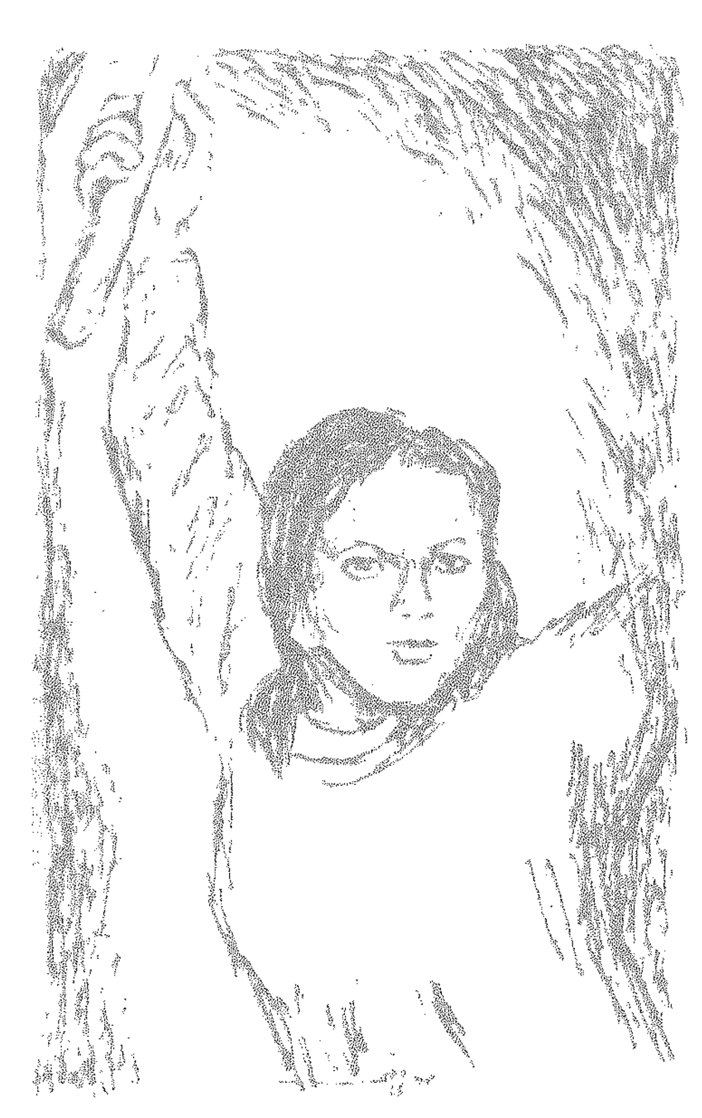
لم اكن دميمة ، لكني اعتدت العبوس حتى صار طبعا لي ... طبع غريب على لجج العواطف التى كانت تتلاطم فى قلبى المراهق . وكان مظهرى ذاك لا يستهوى ابناء الجيران ، فلم اسمع منهم يوما كلمة غزل ، ولم يطاردني رجل فى شارع ، ولم تحسدني صديقة من صديقات المدرسة .

انا ايضا لم اكن احسدهن . والمرة الوحيدة التى اجتاحتني فيها خيول الغيرة كانت عندما اختار معلم النشاط الفنى زميلتى خولة لتقوم بدور جان دارك ، في المسرحية التى اعتدنا أن نختتم بها العام الدراسى .

لم تكن خولة جميلة لكنها كانت انثى أكثر من اللازم . ولما قصوا شعرها لكي تشبه جان دارك ، بدت مثل عصفور مبلول نتفوا له ريشه ، فلم أعد أغير !

لم اكن احب التمثيل لكنى كنت اجد فى نفسى شيئا من جان دارك . كان شعرى قصيرا دائما ، وكانت لي ثوراتي الصغيرة وتضحياتي غيرالمشروطة ونيراني التي تحرقنى من الداخل .

مع هذا ، اختار المعلم



خولة ، واعطاني دور الام ، فانسحبت من المسرحية كلها وبكيت الليل بطوله .

حين سافرت بحجة الدراسة ، كان أول ما فعلته ان اطلت شعرى . شعرت بان ذلك يمكن ان يكون رمزا لمرحلة جديدة من العمر .لذلك لم تفهم ممرضات هذا المستشفى سبب الهياج الشديد الذى استبد بى وهم يقطعون ضفائرى دون رحمة .

كانت نوبة من تلك النوبات التى لا احبها ـ وتريحنى ـ قد فاجأتنى خلال الليل ، ويبدو اننى فى غيبوبتى قد شددت شعرى بقسوة ولا وعى، وهكذا احسست عندما افقت بالم شديد فى جلدة الرأس ، وكانت بقايا من شعرى لاتزال تحت اظافرى .

جاء الطبيب فى الصباح التالى وقال للممرضات ان يقصوا شعرى.. صرخت وبكيت وقاومتهن مثل ثور اسبانى ، لكنهن توصلن فى النهاية الى اعادتى الى مظهرى الصبيانى الذى اكرهه .

ها انذا من جديد ابنا من ابناء ابى، ذلك الرجل الحزين الذى لم تلد له زوجته غير البنات .

لم تكن تلك النوبات التى اكرهها وتريحنى تصيبنى فى النهار . انا خلال النهار امرأة وادعة مثل قطة بيتية ، اتمشى فى حديقة المستشفى ، الاعب الحمامات الامنة، اجمع الازهار لعنبر الطعام ، استحم طويلا فى مغطس الماء البارد ، واقرأ ما يهمله زوار المستشفى من مجلات وجرائد .

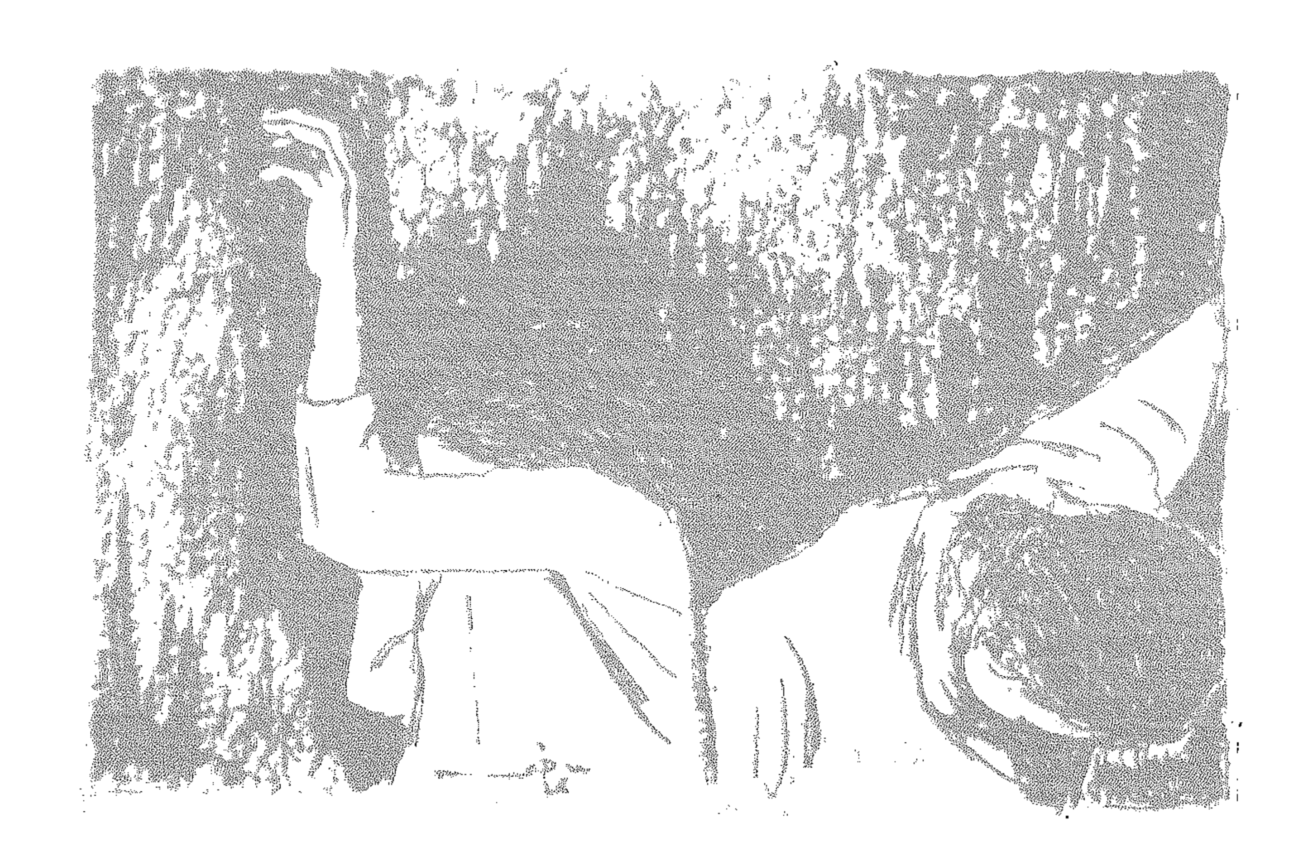
لكن الليل شىء اخر. وانا اخافه . ففيه تتحول المرأة الوادعة التى هى انا الى مجنونة تستحق العزل فى الحجرات المنفردة ، مع ربط الذراعين الى السرير .

الليل ليل النوبات . وانا اخافه . وفى تلك الصباحات الممضة كنت افتح حقيبتين ثقيلتين من اثر الحقن المهدئة ، فتواجهنى زرقة السقف اولا ، ثم بياض الباب المقفل .. وحالما استرجع احساسى ينهشنى ألم الجروح والخدوش فى الوجه والصدر والكتفين

من يفعل بى كل هذا؟ هل تقدر انسانة مغلوبة على امرها ، ان تلحق بنفسها كل ذلك الاذى؟ ولماذا يداهمنى الجنون ويحبسنى مع نساء سالمت ـ ان ويحرمنى من ضفائرى ومكتبتى واسطواناتى ومن كتابة الرسائل الى شقيقاتى ، لان كل الورق الموجود هنا يحمل ختم المستشفى، .. مستشفى الجنون !

لماذا انا مجنونة بنصف دوام؟ وهل لابد للمجانين من نهارات من الصحوة الممضة ، يستيقظون فيها على علتهم فيزداد العذاب ، ويتمنون لو فقدوا الوعى الى غير ما رجعة ؟

لقد كانت نهاد ابنة جارنا الحاج مصطفى مجنونة. هل كان اسمها



نهاد أم نوال ؟ لكنهـــا لم تكن مثلى ،ولم يسمع احد صراخهـــا ليلا • تكتفى بالجلوس فىحوش الدار بلا كلام ، محلولة الشعر ، مرسلة اليدين، وابتسامة بلهاء عـــلى وجهها • وقد اخذتها امها الى الاولياء الصالحين اولا ،ثم الى المشعوذين، واخيرا وصفت لهـــا عرافة عجوز شربة من نباتات جافة ، ونصحت امها بتزويجها •

وعقلت نهاد • هـل كان اسـمها نهاد ؟ عقلت بمجرد ان زوجـــوها ، وشاهدتها بنفس صبيحة عرسها الى ابن عمها ، وهى تشطف حوش الدار، تقرفص امام الطشت وتغسل ثياب زوجها بهمة وكأنها انسانة اخـــرى وفى المساء نحرت أمهـــا الذبائـــح واطعمت كل جياع الحى •

حتى الجنـــون فى بلادنا اهون علاجـــا • فماذا اصنع بجنونى فى هذه المدينة الغريبـــة ، ومن يأخذ بيدى من وراء اسوار سانت ـ آن الى مـــراقد الاوليـــاء الصالحين ؟

انا مجنونة حسالة • اهرب من ســـاعات صحوتى الممضـــة الى احلام لا اكون فيهـــا مربوطـــــة اليدين • فأتحسس جســـدى ، وابحث بخيالى عن حاجة فيهـــا شيء لله ، تدور حولى بمبخرتهـــا ، وعن ام بعيدة تسمع نصيحـة طبية بتزويجى •

والنذر فى احـــلام النهارات البيضاء ، ان انحر سبع ذبائح ، وان اطعم كل جـــائع ، وان اغسل ثياب ذلك الذى سيفك عقدتى سبع مرات كل يوم • ولكن يا الهى، استرحمك بحرقة امرأة مجنونة الا تـــزرع فى رحمى سوى البنين •

امكانات تربوية فى الإسلام

بقلم : د. سعيد إسماعيل على

ليس من المتصور بطبيعة الحال لمقال ، القدرة على « احصاء » ، فضلا عن التحليل والشرح ، الامكانات التربوية للعقيدة الاسلامية، فهى فى كليتها وعمومها « الصيغة الالهية » لتربية الانسان ، ومن هنا كان قول الرسول صلى الله عليه وسلم « انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق » ، ومن ثم فما يلى من صفحات انما هو « كوب » من « محيط » كبير ، ظل الانسان ينهل منه منذ ١٤٠٨ اعوام وسيظل الى يوم البعث .

فاذا كانت التربية كما هو معروف مفهوما أوسع واشمل من (التعليم) مما يجعلها تشمل جميع افراد الناس متعلمين او اميين كانت هناك ضرورة لان تنبنى على اليسر والبساطة ليسهل التغيير المطلوب ، والسهولة واليسر هنا ليسا قرينى السذاجة والبدائية وانما هما قرينا الطريق الاقرب الى عقل الانسان وقلبه وقرينا الفاعلية الاكثر فى تغيير ما هو عليه من اتجاهات وقيم .

ويكاد يكون هناك اجماع على ان الاسلام هو اكثر من غيره ميلا الى اليسر والبساطة (١) والادلة القرآنية كثيرة يمكن أن نذكر منها :

- « لايكلف الله نفسا الا وسعها » (٢) .
- « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » (٣) .
- « يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا » (٤) .
- « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج » (٥) .

اما احاديث الرسول ، فهى ايضا كثيرة ومتعددة منها (٦) .

- فعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ان هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق » .
- وعن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « هلك

المتنطعون » قالها ثلاثا .

– وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم : « انك لتصوم النهار وتقوم الليل ؟ قلت : اذا فعلت ذلك هجمت له العين ونفهت له النفس ، لاصام من صام الابد .. « الحديث » .

وقد اعترف بعض المستشرقين بذلك فهذا هو «توماس آرنولد» يكتب قائلا: « اذا نظرنا الى التسامح الذى امتد .. الى رعايا المسلمين من المسيحيين فى صدر حكم الاسلام ، ظهر ان الفكرة التى شاعت بأن السيف كان العامل فى تحويل الناس الى الاسلام بعيدة عن التصديق » (٧) ويستشهد بقول (مليمان) بان رجال الكنيسة كانوا « يتنازعون فيما بينهم على اشد مسائل الدين ابهاما وأكثرها غموضا فيما يتعلق بما وراء الطبيعة في العقيدة الدينية »، ثم يستدل ايضا: فكم من اناس لابد ان يكون هذا الجدل المستمر قد زعزع اسس عقيدتهم أو كم كان يكون غريبا لو ان هؤلاء الالوف من الناس لم يلتمسوا وهم فى ضجرهم وحيرتهم ملجأ من هذه المجالات التى لا تنتهى عند حد ولا تعرف اللين والتسامح فى تلك الحقيقة البسيطة الواضحة ، حقيقة الوحدانية مهما طولبوا بالاعتراف ببعثة محمد ونبوته « وغير هؤلاء ذهب آخرون الى نفس الفكرة (٨) .

● العالمية

فصحيح أن التربية عملية مشروطة بشروط الزمان والمكان لكن لا يقل عن ذلك صحة أن الانسان بحاجة ايضا أن تكون التربية وسيلة للتفاهم العالمى، ولعل من أقرب الطرق الى ذلك ، ان تكون هناك بعض القواعد والمبادىء العامة التى تجمع كل الناس فى اطار واحد ، أو بمعنى اصح توجد قاعدة مشتركة، والاسلام توافرت فيه صفة العالمية ، بأجلى ما يمكن ان تتضح (٩) ، وآية ذلك اننا اذا تدبرنا بعض العبارات التى اوردها الله سبحانه وتعالى على ألسنة الانبياء والمرسلين . فسوف تجد اجماعا بينهم على ذلك :

– فهذا نوح عليه السلام يخاطب أمته قائلا : « وأمرت أن تكون من المسلمين » (١٠) .

– أما ابراهيم عليه السلام فيقول: يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون » (١١).

– وموسى يقول ايضا : « يا قوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين » (١٢) .

– أما المسيح عيسى بن مريم فقد قال حواريوه : « نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون » (١٣) .

ومع ان الاسلام هو دين الانبياء جميعا ، فقد تعارف الناس على ان كلمة الاسلام يقصد بها اليوم الدين الذى انزل على محمد صلى الله عليه وسلم .

واذا كان الرسل قبل محمد عليه الصلاة والسلام يرسلون الى قومهم خاصة ، فان محمداً قد أرسل الى الناس كافة « قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا » (١٤) .

وقد حققت شعائر الاسلام المختلفة معنى الوحدة بين المسلمين ، ونرى ذلك واضحا فى جميع العبادات وخاصة الصلاة والصوم والحج اذ يلتقى جميع المسلمين دون تفرقة على اساس جنسى او طبقى او مالى او غير ذلك .

وهذا يعنى ان عالمية الاسلام قد تحققت بنظرة الى الناس تقوم على التسوية بين الناس جميعا لانه ينادى بوحدة الحياة الانسانية : « يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والارحام ، ان الله

كان عليكم رقيبا » (١٥) وكان من دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يناجى ربه فى اخر الليل : « اللهم انى اشهد انك انت الله لا اله الا انت وأن العباد كلهم اخوة » (١٦) .

وهكذا نجد ان العلم اذا كان قد انتهى الى المساواة بين الناس ، وشجب ما قال به علماء الغرب محاولين تبرير التفرقة العنصرية وتتبع هذه المحاولات فهدم الاسس التى حاول ان يتخذها ليقيم بها اركان التفرقة ، ان هذه المرحلة الطويلة من المعاناة العلمية ، تلتقى مع ما جاء به الاسلام وحيا من عند الله وعاش به المسلمون منذ المجتمع الاول اخاء لا يعترف بالتفرقة :

« هو الذى ايدك بنصره وبالمؤمنين، والف بين قلوبهم ، لو انفقت ما فى الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ، ولكن الله الف بينهم ، انه عزيز حكيم » (١٧) .

● الحضارية

ويؤكد ابن خلدون أن الحضارة انما هى غاية العمران وانها هى « التفنن فى الترف واستجادة احواله والكلف بالصنائع التى تؤنق من اصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيئة للمطابخ او الملابس او المبانى او الفرش أو الانية ولسائر المنزل وللتأنق فى كل واحد من هذه صنائع كثيرة لايحتاج اليها عند البداوة »(١٨)

فاذا كانت الصنائع انما ترسخ فى الامصار برسوخ الحضارة وطول المدة ، فالصنائع لابد لها من علم .

وهذا يعنى أن العقيدة التى تحمل وتشجع وتبذر بذور التحضر ، تكون تربة احسن فى غرس التربية والتعليم، والاسلام يمتاز بين الديانات الاخرى بانه دين حضارة بمعنى انه كان منذ نزوله دين عبادة ودين معاملة ، وانه أنشا لونا من الحضارة عرف باسمه وهو « الحضارة الاسلامية » على حين ان غيره من الديانات السماوية لم يبلغ هذه الدرجة ولا هذا المستوى من الاثر الانسانى والتاريخى (٢٩) .

فاليهودية مثلا لم تنشىء حضارة يهودية بالمفهوم الحديث لكلمة الحضارة » وكذلك المسيحية لم تنشأ عنها او تصاحبها حضارة مسيحية ذات طابع مميز او موحد وكذلك الاديان غير السماوية وعقائدها ذات الانتشار الكبير ، لم تقم لاى منها حضارة خاصة مميزة وان كان بعضها قد علق بحضارات اقدم منه او معاصرة له .ومن ذلك الكونفوشيوسية التى اتصلت بالحضارة الصينية ، والبوذية التى اتصلت بالحضارة الهندية ، ثم رحلت عنها الى داخل أسيا الوسطى واطراف الصين او الى جزيرة سرنديب (سيلان) ، او جنوب شرق أسيا حيث الحضارة هندية صينية ، بل كذلك عقائد الهند ذاتها ، وهى التى اتصلت بألوان من حضارة الهند على اساس اقليمى ، ولكن واحدة منها لم تنشىء لونا شاملا من الحضارة المتكاملة ،الا على نطاق محلى محدود ولم يستطع أن يعم الهند كلها فى يوم من الايام ، بل كذلك أيضا عقائد أفريقيا الفطرية فى مناطقها الحارة والاستوائية حيث لا يمكن ان توصف الحضارة التى صاحبت بعضها بأنها حضارة مشتقة من العقيدة او الديانة او حتى مصطبغة بالطابع الدينى الى الحد الذى ينسبها الى تلك العقيدة ، وان كان تداخل الاساطير والخرافات قد اوجد نوعا من الرباط المشترك بين ديانات افريقية الوسطى وبين ما يتصل بها من نظم اجتماعية افريقية .

والتربية تعنى بالدرجة الاولى بتغيير السلوك ، لانه لا فائدة من التغيير لو اقتصر على مجرد الحصول على معارف ومعلومات جديدة ، صحيح ان تغيير السلوك لا يتم بصورة سليمة الا اذا سبقته القاعدة المعرفية ، لكن من الصحيح أيضا ان هذه القاعدة ليست الا وسيلة لغاية واداة لتحقيق هدف الممارسة الفعلية لقيمة ما او لاتجاه ما ·

والامر الذى لا شبهة فيه ان الاسلام بظهوره ، كان قوة تأثير ضخمة تمكنت بالفعل من احداث تغييرات تربوية فى سلوك الانسان الذى اعتنق هذه **الديانة ، فمبادىء المساواة والعدالة والاخاء والحرية التى جعلها اجزاء متممة للايمان قد فعلت فعلها فى اصلاح الاخلاق والسمو الروحى** للجماعة ، وكذلك فعلت عقيدة الايمان بالله وحده لا شريك له ، له الملك وله السلطان ، بيده النفع والضر والمنع والعطاء ، تتساوى الناس فى ملكوته وفى المعبودية له ، فسما بالروح البشرية وحررها الى الخير العام ، وقصد وجه الله القدير الذى بيده كل شىء ، وجعل مناط الاعمال ، النية التى يعلمها ويحيط بها علام الغيوب فهيأ بهذه العقيدة السبيل الى الاخلاق الفاضلة (٢٠) :

ـ فالذى يدين بها لا يكذب ، لان الكذب لا يخفى على الله ولا ينفع صاحبه فصار الصدق من دعامات الاخلاق فى الدعوة المحمدية ، وصار الرياء والنفاق يبعد عن الله ولا يكسب الاعمال الا بوارا ، واستحال بذلك على المسلم المؤمن أن يكون كاذبا مرائيا ·

ـ والمؤمن شجاع الرأى والقلب ، لا يهاب الموت ، لان الامر الذى يملكه هو الله وحده وبذلك ترتفع نفسه الى العزة والاباء والاستشهاد فى الحق، وترفض الظلم والتحقير ان وقع عليه او على اخوانه من عبيد الله ·

ـ والمؤمن بهذه العقيدة لا يكون جبانا مستسلما، بل يحيا مناضلا يدفع شرور الحياة عن نفسه وعن الناس بحياته ·

ـ المؤمن يعتقد ان الله هو الذى يعطى ويمنع ويرزق من يشاء بغير حساب ، فلا يبخل بما فى يده ، بل يبذل ارضاء لهذا الرازق وطلبا لبره وكرمه ويعيش سخيا كريما سمحا مع اخوانه من عباد الله ·

ـ كذلك لا يكون المؤمن انانيا ، فان عقيدته تمنعه من ان يختص نفسه بالمتاع ، وهو يعلم ان فى ذلك حرمانا لعباد الله من المشاركة فى فضل الله.

فهو انسان يكمل انسانيته بالشعور بجنسه يعيش بنفسه واهله وجبروته وامته والناس اجمعين ·

ـ وهو حسن المعاملة والعشرة ، وفى ودود ، لان كل ذلك من متممات ايمانه ومستلزمات خضوعه للذات العلية التى رفعته واستخلفته فى الارض ·

● ودين ودعوة

واهمية ذلك انه فى ذلك يتفق اتفاقا تاما مع الفلسفة التى تقوم عليها التربية، وذلك أننا فى التربية لا نقف عند حد ان نعلم ، بل وان نسلك ، وانما لابد ان ننقل هذا الذى عرفناه وهذا الذى سلكناه الى الاخرين ممن يعرفون ، وممن لا يسلكون وفقا لهذا المسلك الجديد المرغوب ، وهذا وذاك يحقق للعلم انتشارا كبيرا ·

وان يكون الاسلام دين (دعوة) فمعنى ذلك انه دين تبشيرى له رسالة يجب على المسلم أن يبلغها ، وان

يبشر بها بين غير المسلمين ، وهو من هذه الناحية يختلف عن ديانة كاليهودية لم يعن اصحابها بنشرها بين الناس ، وان كانوا هم قد انتشروا فى الارض محتفظين بعقيدتهم لانفسهم - وقد يكون من المفيد فى هذه المناسبة أن نذكر أن العصر •

الذى أرسل فيه محمد عليه الصلاة والسلام ليكون بشيرا ونذيرا بين الناس كان أنسب العصور ليأتى فيه خاتم النبيين كما بينا بالرسالة الانسانية الكاملة ، بل كان أنسب العصور ليتم فيه على الناس نعمة الدين فى شموله العالمى ، ذلك ان فكرة العالمية التى بيناها والتى لم تكن موجودة فى عهد انبياء بنى اسرائيل ، كانت صورتها الاولى قد اكتملت قبيل ظهور الاسلام عندما اتصلت حضارات الشرق الاوسط بحضارات الهند والصين ، وكانت حالة الشعوب واتصالاتها قد اهلتها لان تتلقى الرسالة الالهية التى فرضت على أصحابها ان يبشروا بها بين الناس شرقا وغربا • وكان هذا من أهم الظروف التى مهدت لرسالة الاسلام العالمية من أن تنتشر على نطاق لم يتحقق لرسالة غيرها من حيث اتساع الرقعة الجغرافية فى العالم القديم (٢١) •

ومن الخير لنا ان نذكر أيضا ان فكرة « الدعوة » فى الاسلام وقد واتتها ظروف « الانتشار » فى النطاق العالمى ، قد مكنت للاسلام ذاته من ان ينتشر طابعه الحضارى كعقيدة وكنمط للحياة الاجتماعية فى نظمها المادية والبشرية ، ومن هنا أصبح الدين مقوما أساسيا من مقومات الطابع المشترك فى الحضارة الاسلامية ،

وبالاضافة الى ذلك فان الاسلام فى رحابته الحضارية استطاع أن يمتص ألوان الحضارة فى البلاد التى انتقل اليها مختلف بيئاتها وان يسبغ عليها طابعه الاسلامى الشامل والمميز •

● **تهيئة المفرض :**

وقد وضع الاسلام هذه الطريقة لارساء المجتمع على أسس اجتماعية واقتصادية قوية وذلك بان يمكن كل ذى موهبة من الانتفاع بموهبته على قدر طاقته ، فلقد قرر فقهاء الاسلام أن كل ما يقوم عليه العمران من هندسة وطب وزراعة وصناعة وتجارة وجهاد لرفع شأن كلمة الحق واجب على الامة مجتمعة عامة وواجب على وجه الخصوص على من كان قادرا بالفعل على واحد من هذه الامور فالواجب هنا ذو شعبتين : وجوب على الكافة ووجوب على الخاصة كالشأن فيما يسمى فى الفقه بالواجب الكفائى •

أما الوجوب على الكافة ، فلانه يجب على الامة ممثلة فى ولى أمرها ان تعمل على اظهار ذوى الكفايات وذوى المذاهب ، ووضع كل كفاية فى مرتبتها مما يتفق مع طاقتها ، وذلك بالكشف عنهم ، وتوسيد كل أمر لمن هو له أهل ، وتهيئة الفرصة لان يعمل كل ذى موهبة بعد كشفها وتعرفها •

ولقد قرر بعض فقهاء المسلمين ان السبيل لتعرف الطاقات المختلفة وتهيئة الفرص لكل ذى طاقة هى ان يكون التعليم ثلاث مراحل :

المرحلة الاولى : ان يعلم كل ناشئة الامة ، ومن قطع المرحلة بنبوغ ، فانه ينتقل الى المرحلة الثانية ، ومن وقف عندها ولم تسعفه مواهبه بالانتقال الى الثانية ، فانه يقف عند أمر يحتاج الى العمران ، لان الامة تحتاج الى عاملين بايديهم فى الارض وفى المتاجر وفى الصناعات وغير ذلك من الاعمال

المرحلة الثانية : وهى تكون لنبغاء المرحلة الاولى ، وفيها يعلمون ما يتفق مع مواهبهم وسنهم ومن قطع منهم هذه المرحلة بنبوغ انتقل الى الثالثة : ومن وقف عند الثانية ، وقف عند فرض كفائى يحتاج اليه العمران والامة تحتاج الى عمال فنيين ، والى مساعدى مهندسين والى كتابيين وحسابيين وغيرهم ·

المرحلة الثالثة : هى مرحلة التخصص والتفنن فى العلوم والتعمق فى الدراسات (٢٢) وتلك المرحلة هى فى ذاتها درجات ، ولكن يرقى المتخصص بتسهيل أسباب الصعود فى هذه الدرجات وانها لتعلو حتى تصل الى درجة المخترعين الذين يبنون صرح الحضارات والعلوم وان هؤلاء يكونون التقدم العلمى ، ولا عبرة بكثرة مساحة القمة ، وانما العبرة بعلوها والحضارات مدينة لهذا العدد القليل من الذين وصلوا لاعلى القمة ، فالكهرباء والبخار وتذليل الفضاء والطيران فوق السحاب واستخدام الموجات فى توصيل الاصوات وارتباط العالم ذلك الارتباط الوثيق ، كل هذا من عمل أولئك الذين اتخذوا مجالسهم فى تلك القمم العالية ·

ان هذه الخصائص والسمات انما هى أسماء « فئات » ، بمعنى أن كلا منها يتفرع الى عديد من المبادىء والمقومات مما يحتاج الى عدة وقفات تحليلا وشرحا ومن هنا كان اقتصارنا على هذه الامثلة بيانا للصفة البنائية التربوية في الاسلام مما ساعد معتنقيه على أن يشيدوا حضارة عريقة غزت مختلف مجالات العلوم ومختلف جوانب الحياة ·

الهوامش :

(١) محمد رشاد سالم : المدخل الى الثقافة الاسلامية ، دار القلم ، الكويت ، بدون تاريخ ، ص ٢٤٣ · (٢) البقرة ـ ٢٨٦ · (٣) البقرة ـ ١٨٥ · (٤) النساء ـ ٢٨ · (٥) المائدة ـ ٦ · (٦) المدخل الى الثقافة الاسلامية ، ص ٢٤٤ ـ ٢٤٥ · (٧) الدعوة الى الاسلام ، ص ٨٨ · (٨) المرجع السابق ، ص ٨٩ · (٩) المدخل الى الثقافة الاسلامية ، ص ٢١٢ · (١٠) يونس ـ ٧٢ · (١١) البقرة ١٣٢ (١٢) يونس ـ ٨٤ · (١٣) ال عمران ٥٢ · (١٤) الاعراف ـ ١٥٨ · (١٥) النساء ـ ١ · (١٦) رواه احمد · (١٧) الانفال ـ ٦٢ ـ ٦٣ (١٨) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٧٢ ·

(١٩) سليمان حزين : مقومات الحضارة الاسلامية ، فى (التوجيه الاجتماعى فى الاسلام) مجمع البحوث الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ط ١ ، ص ١٧ ·

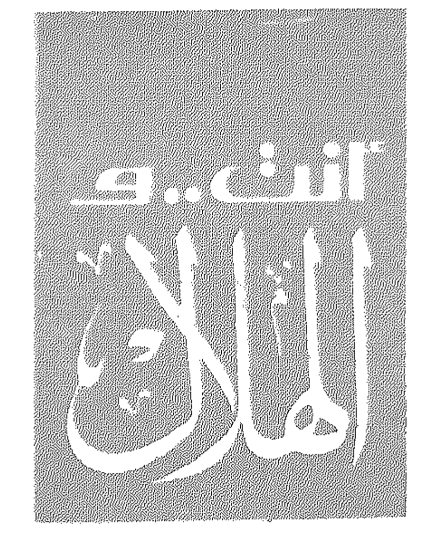
(٢٠) عبد الرحمن عزام : الرسالة الخالدة ، دار الشروق ، بيروت ١٩٦٩ ص ٦٢ ـ ٦٣ ·

(٢١) سليمان حزين ، ص ٢١ ·

(٢٢) بين هذه المراحل الشاطبى فى كتابه الموافقات عند الكلام على الفروض الكفائية ، فى ج ١ ، ص ١٠٩ ـ ١٢٤ ·



كتاب الهلال
يقدم:
أمريكا
الحلم والواقع
بقلم: د. على شلش
يصدر
٥ مايو
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
شارع الحوانيت المعتمة
(الرواية الحائزة على جائزة جونكور)
تأليف
باتريك موديانو • ترجمة محمد عبد المنعم جلال
تصدر في
١٥ مايو ١٩٨٨



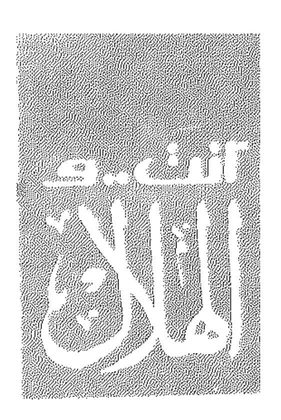
● لغة الكاتب

● يؤسفني جدا ان اقرأ تعليقكم حول الورقة المرفقة مع القصة التى أرسلتها اليكم فلم أتوقع ابدا انها « ستكون لها » النصيب الاكبر من التعليق الجارح دون القصة التى كنت أتمنى أن يكون تعليقكم منصبا حولها . وان كانت كلمة « نقد » كما ذكرت اننى كتبتها « نقض » فأوكد لك ان هذا حدث سهوا نتيجة للكتابة السريعة ـ كما نفعل دائما فى الخطاب .. أما من جهة « لم تلق » والتى ذكرت اننى لم احذف « الياء » فهذا يحدث لكثير منا سواء كان سهوا أو جهلا بالنحو ولا سيما عندما نكتب فى عجالة ، ويكفى أن أقول ان هناك « كتب » ومجلات « بتقع » فى مثل هذا ولم يكن هناك « داعى » لهذا التوبيخ ، وكنت اتمنى لو كان تعليقكم أقل حدة ومنصبا حول ما بعثت به اليكم طالبا الافادة . وعموما « انشاء الله » بعد الانتهاء من دراستى بقسم اللغة الانجليزية سادرس النحو والصرف دراسة واعية .

مختار يوسف عبد المعبود ـ قنا

● تعليق

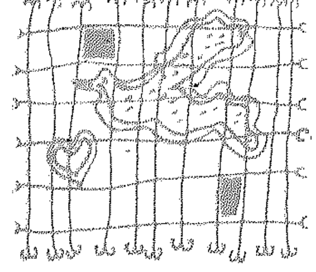
ـ أقصوصتك التى تحدثنا عنها فى العدد الاسبق لم تكن الا محاولة بسيطة لم نشأ أن نمسها بشىء ، اما لغتك العربية فهى كما بدا من خطابك السابق ومن خطابك هذا لا تزيد على لغة تلميذ فى بداية الاعدادى او نهاية الابتدائى مع انك فى كلية الآداب .. وقد وضعنا لك اغلاطك بين أقواس ، ومنها قولك : « أن هناك كتب » وصوابها « كتبا » .. وقولك « بتقع » تريد أن تقول : « تقع »فان حرف الباء لا يسبق الفعل المضارع الا فى اللهجة العامية .. وقولك : « لم يكن هناك داعى » والصواب«داع» وكتابتك : « انشاء الله» خطأ املائى يدل على عدم معرفتك بمعنى الكلام ، والصواب : « ان شاء الله » .. واعجب شىء هو قولك انك ستدرس النحو والصرف بعد انتهاء دراستك فى قسم اللغة الانجليزية ، وأنت لو درست النحو والصرف فى المرحلة الابتدائية والاعدادية والثانوية لكانت دراستك هذه تكفيك .. والامر لله من قبل ومن بعد فى الجيل الجديد المستعجم من ابناء اللغة العربية ، وبخاصة أولئك الذين يقتحمون ميادين الادب بلا عدة من معرفة شىء من هذه اللغة المسكينة .



● سر الحياة

● أشكر لسيادتكم تفضلكم بنشر كلماتي المتواضعة عن الشهيد ناجي العلي وقد أسعدني ما وجهتموه الينا من نقد صادق لا أشك في انه يهدف الى صالحي وتوجيهي ، وفي اعتقادي ان الناقد الصادق خير من المجامل ·· ورغم كتابتي للشعر منذ أكثر من عشر سنوات الا انني أعتبر نفسي هاويا له ، ولا تغضبني كلمة النقد مهما كانت قاسية ·· والحق أنني لا أدرس ولم أدرس العروض ولا أعرف كل اسماء بحور الشعور وان كنت قد حاولت من خلال كتب الأدب والعروض المقررة على طلبة الثانوية الازهرية وللاسف لم افهم شيئا وأعتمد اعتمادا يكاد يكون كليا على الاذن وقراءاتي لمختلف « أنواع » الشعر قديمه وحديثه وها نحن نحاول ·

ويسرني أن أرسل هذه المرة كلمات قصيرة الاولى بعنوان « سر الحياة » والاخرى عمودية بعنوان : « من أحب ؟ » أما الاخيرة فهي بعنوان « الهروب الى الوهم » وبانتظار رأى سيادتكم فيها كما عودتمونا دائما ودمتم لنا أساتذة وناصحين ·



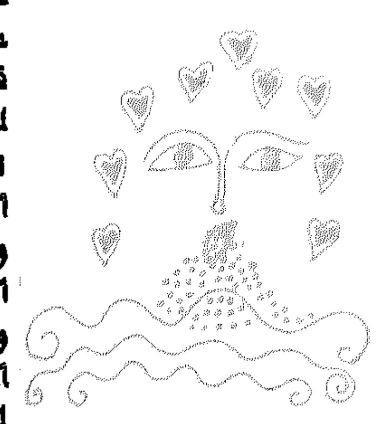
تأخذني الدهشة ·· اتساءل
كيف لعصفور أن يصدح خلف القضبان ؟!
كيف لمسجون ان يضحك رغم السجان ؟!
فيجيب الطفل بداخل صدري ·· يصفعني
هل يسأل روح عن تغريد بلابله ؟!
أو يسأل قلب عن ترنيم او خفقان

● عبد الرحمن عبد المحسن البطة
كلية الحقوق ـ المنصورة

● تعليق

ـ نشكر لك أدبك وحسن ظنك ، وقد اكتفينا بنشر مقطوعتك التى عنوانها : سر الحياة » ·· ونصارحك أن قصيدتيك الاخريين اللتين تشير اليهما لا تخلوان من اغلاط عروضية ، ومع ذلك فلا ننصح لك بالانكباب على كتب العروض لان جميع الشعراء المطبوعين يتعلمون الاوزان من انطباعها في قرائحهم من قراءة الشعر الجيد ، ثم تأتى دراسة العروض بعد ذلك ان شاءوا ·· وقد نظم محمود سامى البارودى باعث النهضة الشعرية قبل أن يدرس العروض ، وكان ذلك من أسباب نبوغه لانه استقى الاوزان من ينبوعها الاصيل وهو الشعر العربى ، وكان من حسن طالع الشعر العربى أن البارودى قرأ شعر الفحول القدماء ونظم على طريقتهم قبل أن يدرس العروض ودون ان يتأثر بالشعر الركيك في عصره ··

● ستار الحب



من قلب القلب
من قاع البحــر
فى قلب تتوحــد منه
لوحات الحب ·· الصدق ·· العــدل
ابحث عنك ·· وأمضى
أتنســم رائحة الوجــد
وحين تغيب منارات العــدل
أبحث عنك ·· تحت ســتار الحب
وتحت شــعار العدل
أقــول ···
للحب الأوحــد حق
وللقلب النابض الوان التيه

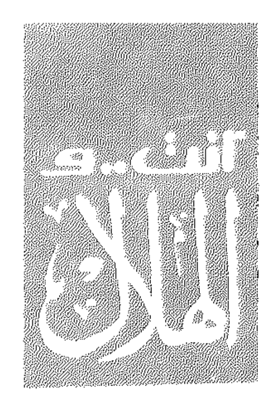
● السيد ابراهيم عطية
كفر صقر ـ شرقية

● فى المديح النبوى

● هذا هو خطابى ومعه قصيدتى ، وأملى عظيـم فى أن تحظى بشرف النشر والتعليق عليها على صفحات باب « أنت والهلال » ، ومما يزيدنى أملا فى ذلك انها عن رسول الله عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ·
فترفق بى ســيدى الكريم · واجبنى مــن خــلالها ـ أيــن أنــا مــن الشــعر والشعراء ؟

يا خـــاتم الرســل الكرام ترحبــا
أنت البشـير والنذير المقتــدى
قد خصــك المولى بخيــر خصــومة
فكنت للــورى الهــداية والهدى
وقدت للاســـلام خير معــارك
فكنت قــائدها ونعم المقتــدى
يتدارســون اليــوم ما لقنتــه
سلما ·· وحربا خضتها ضد العدا
ان القــرون بيننــا تتــتابع
ورســالة الاســلام تشرق فى المدى
واللــه لا الــه الا هــو
أنت الشــفيع لمن صلاك واشــهدا

● رفعت عبد الوهاب المرصفى
شبرا ـ القاهرة

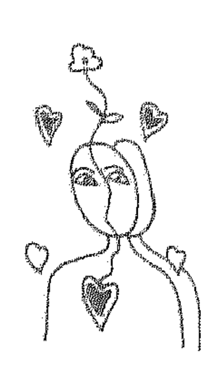


● تعليق

ـ اجتزأنا من قصيدتك بستة أبيات فقط لانها تدل على سائر أبيات القصيدة التى ذيلتموها بهامش تقول فيه : « القصيدة من بحر الكامل التام ، صحيح العروض والضرب » ولا شك أنكم أردتموها من بحر الكامل ، ولكن لم يسلم لك ولم يستقم فى الوزن الا أربعة أبيات فقط فى القصيدة كلها ·· واذا نظرنا فى أبياتك المنشورة هنا وجدنا الشطر الثانى من البيت الاول مكسورا ، وكذلك الشطر الثانى من البيت الثانى ، أما البيت الثالث فمكسور الشطرين معا ، والبيت الرابع صحيح الوزن ، والخامس شطره الاول مكسور أما السادس فمكسور كله ولا نتحدث هنا عن المعنى ولا عن اللغة الصحيحة أو غير الصحيحة ، ونقصر حديثنا عن مجرد الاوزان ·· ولكن كثرة الخلل فى الوزن لا تستدعى اليأس من استقامته بالمرانة الطويلة ، والنظر الدائم الصحيح فى الشعر العربى ، ونرى أنك ان شاء الله تستطيع تجاوز المرحلة الحاضرة الى ما بعدها ، وفقك الله ··

● مرثية

لم يبق فى وهج المدينة مجلس للعاشقين
هم يعشقون الصمت فى زمن التصايح والمجون
هم يؤثرون الموت فى زمن التجارة بالفنون
فاملأ سماء العشق فنا وارتقب
فجميع عشاق المدينة قادمون
لم يبقهم من بعدك الموت احتفاء بل جفاء
هم يعشقون الصمت مثلك والسكون
فاهنأ بخلدك فى محاريب الفضيلة
والطهارة واسترح
فجميع عشاق المدينة قادمون



محمد ابراهيم الجريسى

● الشعر بعد الاربعين

● لقد كتبت الشعر على غير موعد ، كتبته بعد العقد الرابع ، فلا أعرف هل يصلح للنشر أو لا يصلح ، واليكم بعض قصائدى لعل بعضها يجد طريقا الى النور ، وخصوصا انى أعتبر « مجلة الهلال »

الغراء نافذة ضوء لى ولامثالى ، وأخيرا أشكركم على مساعدة وتوجيه المبتدئين ·

تســـفى الخطـوب قديمهـا وحـــديثها
وتســاقطت كالعـارض المنـــزل
اخـــذت تلملم حشـــدها وأنينها
صـــفا كليـل مظـلم لا ينجــــلى
وتطـاولت فى كل صـقع خطوهــا
تهـوى بمعـولها فاهـوى مـن عـل
فى هـوة فى التيــه ليس بمنته
أبدا دراكا كالعليل « المبتــلى »
ضــاقت به الدنيا وجف حنانهــا
ونيوبهـــا اكلت لحـــاء المفصـل

موسى عنتر المرسى
بلقاس ـ دقهلية

● تعليق

ـ نهنئك على ما فتح الله به عليـك من قـول الشعر بعد سـن الاربعين كانك فى ذلك النابغة الذبيانى فى الزمان القديم ، وشعرك طيب صحيح الوزن واللغة ، ولكن قولك « المبتلى » لا يصح هنا لان العليل هو « المبتلَى » بفتح اللام وليس « المبتلِى » بكسـرها كما فى البيت ، ولعلك كسـرت اللام لضرورة القافية أو الـروى ، وهذا لا يجوز لان للضرورة أحكاما ··

● ابن جلول سمير ـ تلمسان ـ جمهورية الجزائر :
نشـــكرك على حسن ظنك ، وأمـــا الاشـــتراك فى المجلة فيمـــكن أن تخاطب بشأنه قسم الاشتراكات رأسا لانه ليس من اختصاص التحرير ·

● مع الاصدقاء ●

● محمد أمين الشـــيخ ـ قوص :
ـ نرحب برسائلك وبما يصلح لنا من أشعارك ، ونعـــتذر اليك لضيق المقام ، وأوزان شعرك صحيحة ولكن معانيه عادية ··

● خميس محمد حبيبة ـ ادكو ـ بحيرة :
ـ أنت يا عزيزى من الشعراء الشبان القلائل الذين يتقبلون النقد والتوجيه فنشكرك لهذا ، ونتمنى لك حظا حسنا ، ونرحب برسائلك دائما ·

● السادة : أشرف يوسف عمر الأزهرى ·· عيد على حميدة ·· جمال عطا أحمد ·· حسن على محمد جابر ·· محمد ابراهيم الفرحاتى ·· رءوف عبد الله رزق ·· نرجو لكم التوفيق ، ونرجو الاهتمام بالاوزان لان الشعر العربى أساسه الوزن وبدونه يكون نثرا ··

● د · أحمد عامر « مصر العربية » :
ـ نرجو أن تتفضل بكتابة عنوانك الخاص على رسائلك لان « مصر العربية » هى عنـــوان كل المصريين ولا يصـح أن تخص نفسك بهـا دون مواطنيك ، أما قصائدك التى تصفها بأنها « رائعة » فنحن ننشر منهـــا ما نستطيع نظرا لضيق المقام كما ترى ··

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا او بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب

القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد / عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص .ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

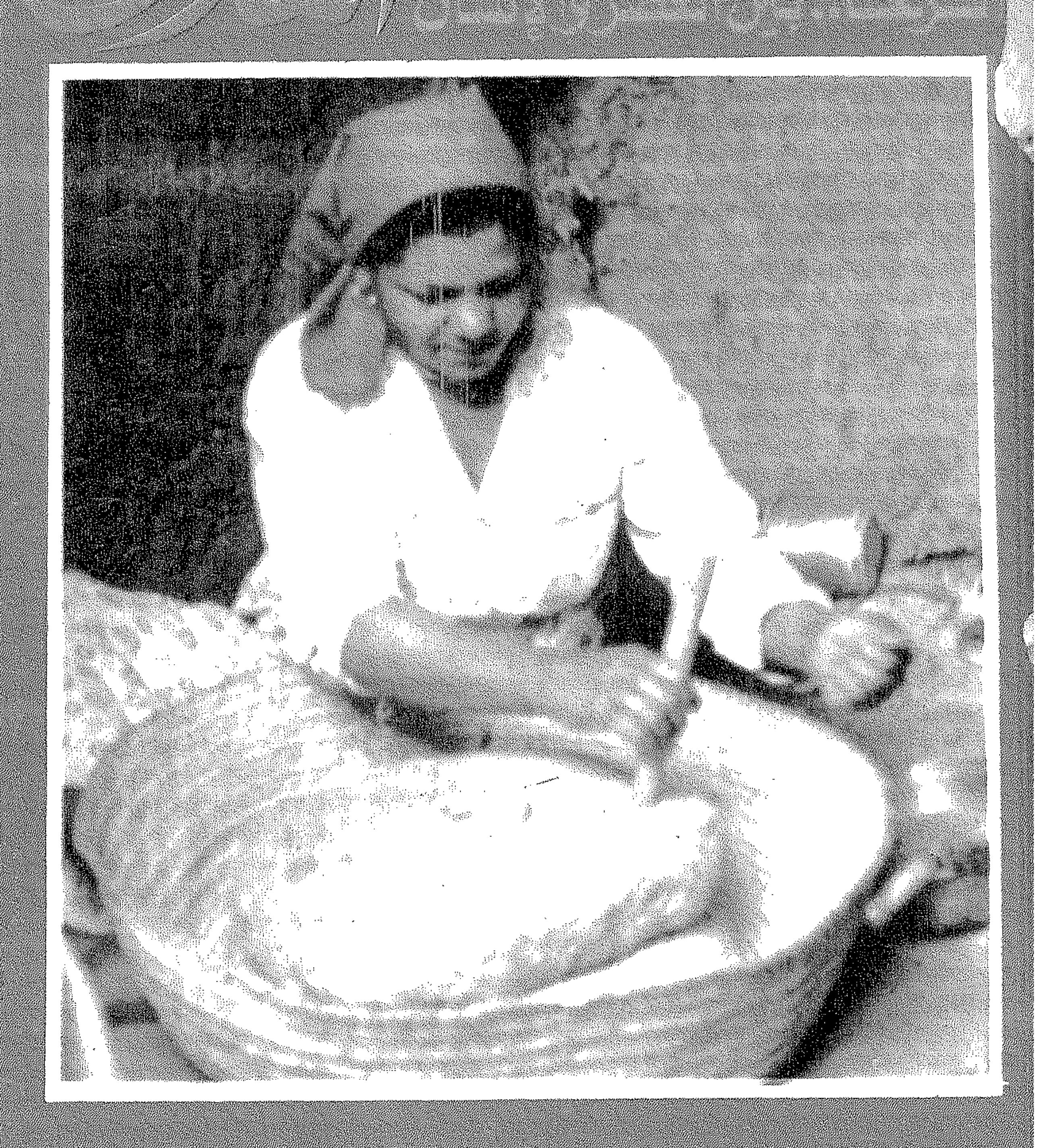
اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

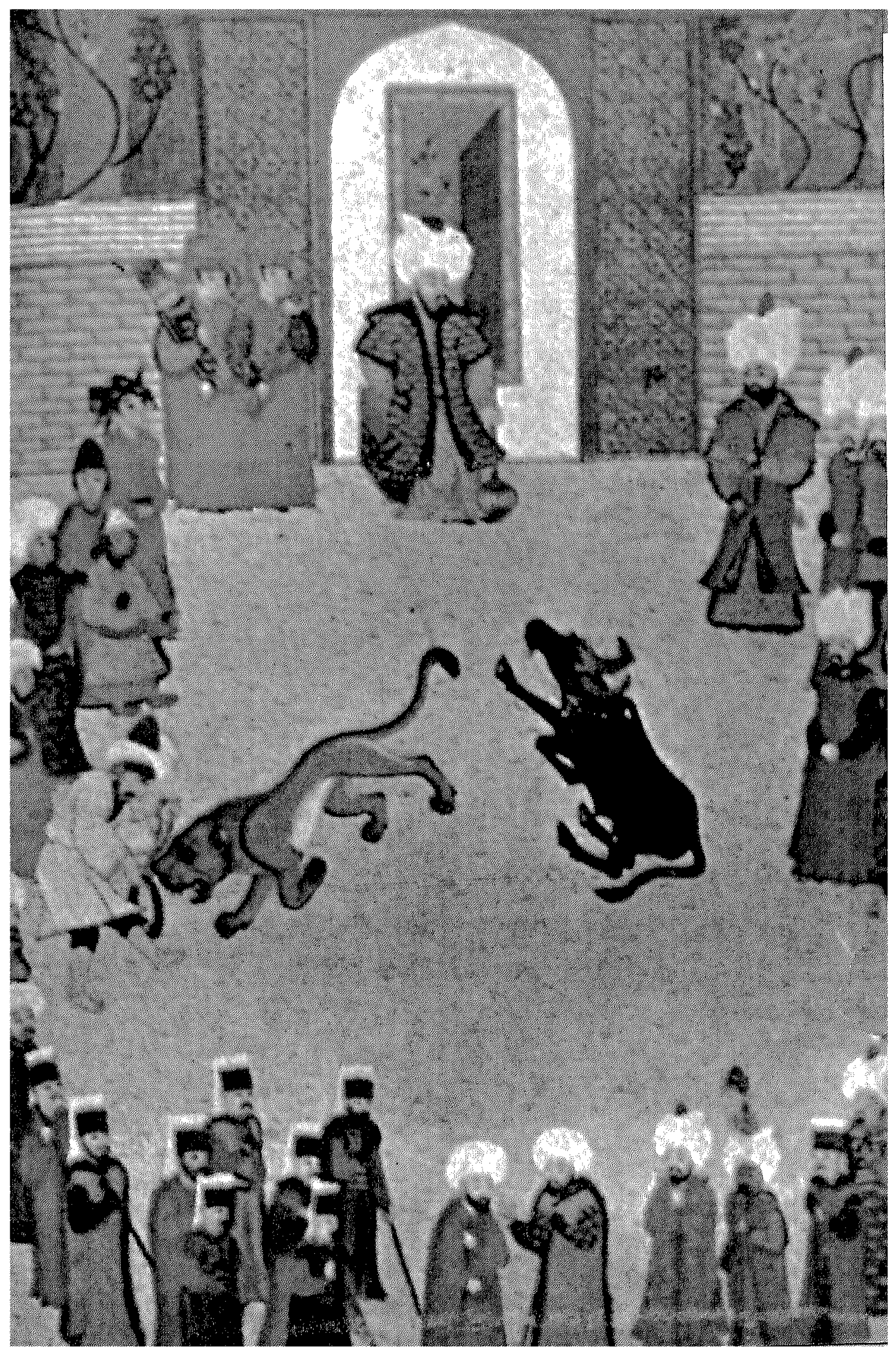
سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا

ونيه ١٩٨٨ • الثمن ٦٠ قرشا

البيريسترويكا ولقاء ريجان وجورباتشوف

الفن والجمال عند ابن حزم





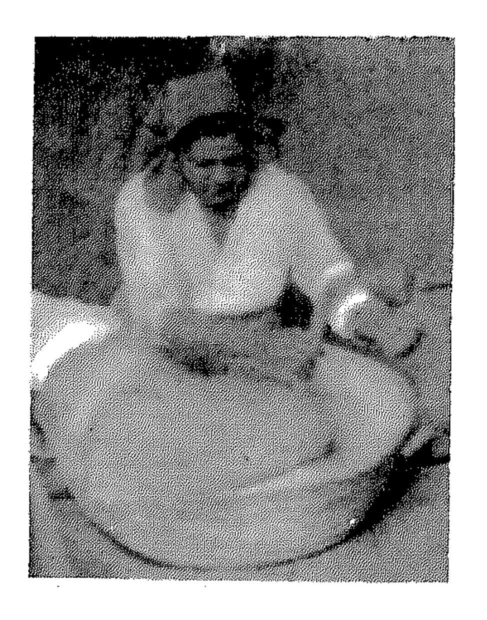
من روائع الفن الإسلامي

لوحة من فن المنمنمات التركى تصور معركة بين أسد أهداه سلطان تونس للسلطان العثمانى أبى زيد الثانى الذى حضر المعركة وبين ثور تغلب على الأسد فصرعه السلطان العثمانى لتوه .. وتكشف اللوحة عن شغف الفنان التركى بالألوان الفضفاضة مثل الأحمر بدرجاته والأصفر والذهبى .



السنة الخامسة والتسعون

مجلة شهرية ثقافية .. تصدر عن دار الهلال اسسها جورجي زيدان عام ١٨٩٢ م اول يونيه سنة ١٩٨٨ ـ ١٦ شوال سنة ١٤٠٨هـ



تصميم الغلاف
الفنان : حلمى التونى



● فكر وثقافة ●

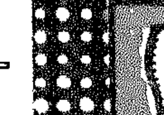
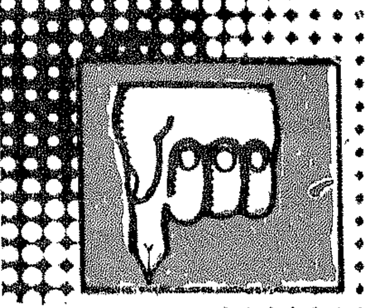
● من ذخائر الكتب العربية ●

● رسائل صحفية ●

● شعر وقصة ●

● دراسة الهلال ●

● الأبواب الثابتة ●

عزيزى القارئ

قديما تحدث ابو الطيب المتنبى عن قصائده العظيمة ، وخاطب نفسه والناس والنقاد قائلا :

أنام ملء جفونى عن شواردها ..

ويسهر الخلق جراها ويختصم

فالمتنبى يبدع قصائده ثم ينام ملء جفنيه غير مبال بما يدور حولها من جدال واختلاف بين الناس الذين يسهرون الليالى فى جدالهم واختلافهم حولها ، مدحا أو قدحا ، على حسب قرائحهم وميولهم وأفهامهم .

هذه القاعدة وضعها أبوالطيب المتنبى للنقد الأدبى قبل ألف سنة ، فهو يرى أن يبدع الشاعر شعره ، ثم يتركه للقراء والرواة ، ولايبالى مواقفهم المختلفة .. بل يمضى فى سبيله غير مهتم الا بالابداع ، تاركا الأمر بعد ذلك لمن يتلقون هذا الابداع ويقفون منه مواقفهم بالتأييد أو بالتفنيد .

وهذه القاعدة النقدية كانت صالحة فى عصر أبى الطيب ، وربما لم تكن صالحة الا بالنسبة لأبى الطيب وحده ، لأن الشعر ليس ضوءا معلقا فى الفضاء يراه الناس ويعجبون بلألائه من بعيد ، وإنما هو نشاط انسانى اجتماعى وعمل فكرى يدخل فى نسيج علاقات الانتاج فى المجتمع كله ، وينبغى أن يكون له عائد من ثروة هذا المجتمع ، مادام صاحب هذا العمل يسهم فى تكوين هذه الثروة وزيادتها على حسب طاقته وظروفه ..

وأزمة الأديب المصرى والعربى المبدع الآن تتعلق بهذه القاعدة التى لايمكن أن يتجاهلها أو ينكرها الا من يتجاهل الواقع وينكره .. فالشاعر والكاتب وكل من يحمل قلما وينتج فكرا فى بلادنا ، يعانى الآن من العوامل الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التى طردته الى هامش ضيق من المجتمع لايكاد يستطيع أن يلتقط فيه أنفاسه ! وهو لايستطيع حيال هذا الوضع أن يلوذ بالتعالى والتجرد المطلق كالمتنبى فيقول : « أنام ملء جفونى عن شواردها » لأن الأديب انما يقدح موهبته وذهنه ، ويبرى قلمه وأصابعه فى سبيل أن يصل ابداعه الى الناس ، ليكون لابداعه ثمرة يقطفها هؤلاء الناس ، وثمرة يعود بها الأديب على نفسه ، وعلى عياله أيضا !

هذا هو الواقع ببساطة ..

فماذا نرى على ساحة الواقع الأدبي الآن ؟!

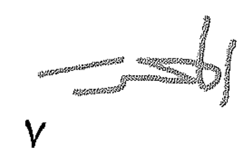
نرى حصارا حول الابداع الحقيقي . فبعد أن اجتذبت المجلات النفطية الضخمة المزدانة بالألوان والمثقلة بالورق المصقول « الكوشيه » اقلاما من كل الاتجاهات . أغلقت هذه المجلات أبوابها لأن عوائد النفط لم تعد قادرة على تمويلها .. وعادت الأقلام المهاجرة الى المجلات المصرية ، ولكن هذه المجلات لاتتسع لكل الاقلام ولاتدفع - ولنكن صرحاء - عشر معشار ماكانت تدفعه المجلات النفطية للأدباء من أموال النفط !

ولا حل لهذه المشكلة الآن ، ولا أحد يعرف لها حلا في المستقبل القريب .. وبسببها اشتد الصراع فى « الداخل » بين المبدعين وبين المسيطرين على أجهزة النشر الحكومية وغير الحكومية وعلى الأجهزة الثقافية والاعلامية التى يديرها موظفون مربوطون على درجات الكادر الوظيفي .. ويتولون بحكم هذا الربط شئون الأدب والأدباء والنقد والنقاد ، ويرأسون اللجان ، ويوجهون دولة الأدب من قاعدتها الى قمتها .

وكان من الطبيعى والحال كذلك أن تنقطع العلاقة بين الجيل الجديد في الأدب وبين الجيل القديم ، فإن الجيلين معا يقعان تحت وطأة الأزمة ، ولايستطيع الجيل الأكبر أن يمد يده إلى الجيل الأصغر كما كان يحدث أيام الرعيل الماضى الذى كان على رأسه العقاد والمازنى ومصطفى صادق الرافعي وزكى مبارك وطه حسين وأحمد لطفى السيد وأحمد أمين وغيرهم ممن لم يكونوا أدباء موظفين ، ولا مبدعين على درجات الكادر الحكومى ! ..

والمشكلة ليست هينة ، لأنها داخلة فى قوام المشكلة العامة للمجتمع الآن ، إذ تشابكت خيوط الأزمات من جميع الأنواع ، ولم يعد ممكنا فى الواقع حل مشكلة الإبداع الأدبى والنقد الأدبى بمعزل عن الحل الشامل لمشكلة الناس والعمل والانتاج ..

على أن ذلك لايصح أن يقعدنا عن العمل على انقاذ مايمكن انقاذه ، وفك الاشتباك بين مشكلة الابداع الأدبى والنقد وبين المشكلات الأخرى ، بقدر المستطاع ، وفى الحدود الواقعية المتاحة .. فليس حتما أن يتخلف الإبداع ويتدهور النقد ، وتنفصم العرى بين الجيل القديم والجيل الجديد ، وليس بالقانون المقدس أن يتصدر الموظفون والأكاديميون غير المبدعين مجالات الإبداع والنقد .. فلم يعد ممكنا على أية حال أن يكتب الكاتب ، أو ينظم الشاعر ، ثم ينام ملء جفونه عما كتب أو عما نظم كما كان يفعل المتنبى قبل الف سنة . ولابد للمبدع الكاتب أو الشاعر أو الناقد من أن تحفى قدماه سعيا بين مكاتب البيروقراطيين الذين لم يكن المتنبى يعرف عنهم شيئا .. ولو عرف . لما استطاع أن ينام ملء جفنيه ! .



موقف ابن حزم من الفن والجمال !

بقلم: د. الطاهر أحمد مكى

أعترف بدءا أننى عرفته عرضا على أرض وطنه ، فى اسبانيا نفسها ..

ذات يوم من خريف عام ١٩٥٧ أخذت طريقى الى مدرسة الدراسات العربية فى مدريد ، فى شارع جانبى يتفرع من شارع سان برناردو فى الحى العتيق من المدينة ، حيث كانت الجامعة قديما ، وتشغل الطابق الثالث من بيت ينتمى الى أول هذا القرن على التأكيد .

البناء متسع ، قديم ومتواضع ، يعبق جلالا ووقارا ، وترك فى أركانه أصداء التاريخ ، وتشغل الكتب الى جانب المكان المخصص لها ، جوانب عديدة فيه ، ويتردد عليه المتخصصون فى الدراسات العربية من الاسبان ، يعملون فيه لوطنهم أولا ، ولأنفسهم ثانيا ، وكلهم يعملون فى الجامعة أو فى مؤسسات ثقافية أخرى ، ويتقاضون مقابل هذا العمل مكافآت متواضعة ، ومع ذلك لايتخلفون عن مواعيدهم ، فهم يردونها من السادسة مساء حتى التاسعة ، يقابلون الطلاب بموعد مسبق ، ويتبادلون الرأى ، ويبحثون فى تاريخ وطنهم أيام أن كان عربيا مسلما

كنت على موعد مع " إميليو غرسية غومث " أستاذ اللغة العربية فى كلية الآداب فى الجامعة المركزية ، ورئيس قسم اللغة العربية فيها ، ومدير مدرسة الدراسات العربية ، ورئيس تحرير مجلة الأندلس الشهيرة ، قبل ذلك كله المستشرق المتمكن من التراث الأندلسى ، والأديب الاسبانى صاحب الأسلوب الفخيم ، يذكر قراءه بأمجاد الاسبانية قديما فى البلاغة والبيان .

وفى الساعة المحددة دخلت مكتبه ..



الحجرة نظيفة للغاية ، ولكنها بسيطة متواضعة ، لاترف ولا فخفخة ، لا سجاد ولا كراس مبطنة ، وانما مكتب متواضع يجلس إليه ، ودواليب حوله مليئة بالكتب ، وكرسيان عاديان أمامه يجلس عليهما زواره ، وفى يده قلم رصاص يكتب به ، وأوراق أمامه يسجل فيها ، ومصادر يستشيرها .

وتأملته كلًا فى لحظة ، وقارنت بين ماسمعت عنه وماتراه عيناى واقعا فوجدته نحيفا قصيرا واثقا من نفسه ، تركت القراءة فى عينيه أثرها واضحا ، وإن ظل بريقهما متوهجا .. يشعان ذكاء وعمقا ، هادىء الحديث ، خفيض الصوت ، وقدرته على التحدث بالعربية ضعيفة ، فهو ينطق الكلمات مفردة ، ويعسر عليه أن ينطق جملة كاملة دفعة واحدة ، وهو القادر على فهم أعقد النصوص ، وترجمة أدق الأفكار ، وإيجاد المعادل الاسبانى لاصعب صور العربية .

ولم تكن اسبانيتى بشىء بعد .

ومع ذلك تفاهمنا ومضى يختبرنى فيما أعرف من مصادر الأدب العربى ، ووجدتنى أنا الحاصل على الليسانس الممتازة بمرتبة الشرف ، وظللت أعد نفسى عاما لهذه البعثة ، فى منتهى الجهل ، وأن ما يسألنى عنه أعرفه للمرة الأولى .

ومن بين ما سألنى عنه : هل قرأت كتاب طوق الحمامة لابن حزم ؟

وكان ردى بالنفى ..

ولم يدهش ولم ينفعل ، فقد كان على التأكيد واعيا بمنهجنا فى الدرس ، اذ أمضى فى بدء حياته عامين فى القاهرة ، ومع ذلك كان شديد الرضا ، لأنه يراهم أفضل الطلاب العرب الذين درسوا عليه ، تمكنا من موادهم وجدية فى التحصيل ، واستقامة فى العمل ، واتفقنا على قائمة المصادر الأندلسية التى سوف أدرسها ، ثم أعود لألقاه بعد عام .

● مع ابن حزم

لم أكن سمعت قبل ذلك بهذا المفكر

موقف ابن حزم

من الفن والجمال !

الأندلسى العظيم الا فى مناسبة بعيدة ، جاء ذكره عرضا ، وأنا صبى بعد ، فقد كان الحوار يدور حوله ، لأنه ألف كتابا فى الحب والمحبين ، نشره مستشرق روسى فى ليدن عام ١٩١٤ ، ثم أعادت نشره مكتبة فى دمشق عام ١٩٣٠ .. واذا بالفقهاء فى مصر والشام يثورون ، ويعلنون أن الكتاب مدسوس على ابن حزم ، ومثله لايمكن أن يكتب عن الحب مثل هذا الكلام .

وها أنذا أجد نفسى أمام ابن حزم وجها لوجه ، أدرسه وأعجب بشخصه ، ويفتنني فكره ، فقد كان ثائرا متمردا فى شبيبته الأدبية ، وفى شخصيته العلمية ، وحتى آخر رمق من حياته ، مع تفاوت قليل فى الظلال ، يوائم كل فترة من حياته ، وقليلون سبقوه فى أفكاره ، وأقل منهم أولئك الذين ساروا من بعده على طريقه .

لقد حاول معظم الدارسين على أيامه ، وبعدها ، أن يرسل به الى زوايا النسيان ، لأنه هاجم الجميع ، وبعنف كالعادة ، المسلمين والمسيحيين واليهود ، واستطاع هؤلاء أن يردوا له الصاع صاعين حين مضى الى رحاب الله ، وبدأ عصر الترجمة فى الأندلس المسيحى ، فلم تعرفه أوربا فى تلك الفترة ، ولم يصبح فى مستوى علماء دونه قامة ، فخفت اسمه ، وتلاشت سيرته ، وظل مابقى من مؤلفاته فى مخطوطات نادرة تحت الأرض ، لايعرفها إلا عدد قليل للغاية ، وظل كذلك إلى أن عرف العالم العربى المطبعة ، وافلتت الدراسات الأندلسية من قبضة التعصب فى اسبانيا ، واستردت القاهرة قيادتها الثقافية للعالم العربى ، فأخذ يعود الى سيرته الأولى أيام أن كان حيا ، وبدأت تتقاسمه القاب جليلة وكريمة ، أحسن شاعر ، وأحسن فيلسوف ، وأحسن متكلم ، يهابه الفقهاء ، ويجله رجال الأدب ، ويثق فيه علماء البلاغة ، ويحترمه المفكرون .

كان أحد أعظم عمالقة الفكر الانسانى على امتداد تاريخه الطويل !

● عقلى المنهج

كان ابن حزم فقيها مجادلا ، ولكنه يتقيد فى حواره بمقاييس عقلية لايخرج عنها ، ولايدع خصمه فى الحوار والمناظرة يفلت منها ، ويرى أن ثمة بدهيات تعلمها كل نفس سليمة من غير تعلم ، وتؤمن بها من غير تلقين ، حتى الطفل يدركها ويستنكر من يقول بغيرها ، ويذكر أمثلة لهذه البدهيات ، كالعلم بأن الجزء أقل من الكل ، وأن الضدين لايجتمعان ، والجسم الواحد لايكون فى مكانين ، وجسمان لايشغلان حيزا واحدا ، وأن الخطأ فى البديهيات يجيء من فساد الفكر وضلالة فى ربط سلسلة المقدمات بما يتصل بها من البدهيات ، **وينشأ ذلك الضلال عن آفة من الهوى أو تحكم الشهوة ، أو التعصب لفكرة معينة ، فيكون من ذلك آفة تعترى الفكر فتضله وتوقعه فى الخطأ .**

وقد ينشأ الخطأ من ذات العقل لآفة اعترته ، أو لضعف طبعى فيه ، لايستطيع معه أن يرد الأمور الى أصولها ، أو جمود عند فكرة معينة ، وعلى طالب الحقيقة أن يختبر قواه ، فلا يخوض فيما لايستطيعه وكل ميسر لما خلق له .

وكان يستخدم المنهج العقلى فى بحوثه الدينية التى لايعتمد فيها على نص من القرآن أو السنة ، وفى مناقشة غير المسلمين والفلاسفة والدراسات المتصلة بالأخلاق وأحوال النفوس ، والفرق الاسلامية المختلفة التى تعتمد على العقل فى جدلها كالمعتزلة والأشاعرة وغيرهم .

ويضيف الى المنهج العقلى فى الدراسات الخلقية تجاربه الخاصة المبنية على الاستقراء ، ويتجلى ذلك واضحا فى كتابيه : « طوق الحمامة » والأخلاق والسير فى مداواة النفوس .

● منهجه فى الدين والحياة

كان ابن حزم يعتمد على العقل فى اثبات التوحيد وصدق النبوة ووجه الاعجاز فى القرآن ، ويمنع التقليد فى دين الله تعالى ، ويقول : لايحل لأحد أن يقلد أحدا لا حيا ولا ميتا ، وكل أحد له من الاجتهاد حسب طاقته » فمن سأل عن دينه فليسأل عن أعلم أهل موضعه بالدين ، فإذا أفتاه قال له : هكذا قال الله عز وجل ؟ فإذا قال له : نعم ، أخذ بذلك وعمل به أبدا ..

وإن قال له : هذا رأيى ، أو هذا قياس ، أو هذا قول فلان ، وذكر له صاحبا أو تابعا أو فقيها قديما أو حديثا ، أو سكت أو انتهره أو قال : لا أدرى ، فلا يحل له أن يأخذ بقوله ، ولكنه يسأل غيره ، ومن أدعى وجوب تقليد العامى للمفتى فقد أدعى الباطل ، وقال قولا لم يأت به قط نص قرآن ولا سنة ولا إجماع ولا قياس ، وما كان هكذا فهو باطل ، لأنه قول بلا دليل .

ويقرر صراحة أن التقليد حرام ، ولايحل لأحد أن يأخذ بقول أحد من غير برهان ، ولايجوز تقليد أحد ، لامن الصحابة ولا من غيرهم ، لامن الأحياء ولا من الأموات إلا اذا كان مدعوما بالكتاب والسنة أو الاجماع القائم على نص منهما ، أو الدليل المشتق من هذه الأمور الثلاثة .

ولا رأى فى الدين ، فليس لأحد أن يجتهد برأيه ، ويدعى أن ذلك حكم الله تعالى ، وليس لأحد أن يتحدث عن الله غير رسول من عند الله ، ومن قال برأيه فهو كاذب مفتر على الله ، والحرام بين والحلال بين ، وما ليس منهما فهو مباح .

وهو يدعو الى مسالمة الناس ، والائتناس بهم ، وعدم معارضتهم فيما لايضر فى الدين أو الدنيا : « **إياك ومخالفة الجليس ومعارضة أهل زمانك فيما لايضرك فى دنياك أو أخراك وأن قل ، فإنك لاتستفيد بذلك الا الأذى والمنافرة والعداوة ، وربما أدى ذلك الى الضرر العظيم دون منفعة أصلاً .**

● عاشق الجمال

هذا الفقيه العظيم المجتهد الذى نافح عن الاسلام أمام كل أعادئه ، وأقام مذهبا اتسم بالتشدد والعقلانية معا ، وكان مسلما تقيا عفا ، أحب الجمال وفتن به ، فى شتى صوره ، امرأة ، أو شعرا ، أو

موقف ابن حزم

من الفن والجمال !

موسيقا أو طبيعة وتناول صراحة الجمال الانسانى ووضح معالمه ، وفرق بين جوانبه ، فحدد ماتعنيه الحلاوة والقوام ، والروعة ، والحسن والملاحة ، وكان جمال المرأة أول مافتنه فى خطى شبابه الأولى ، واثمرت هذه العاطفه كتابه الرائع « طوق الحمامة فى الألفة والالاف »[1] وهو دراسة عن الحب والمحبين ، لاتقف عند حد التنظير ، انما يقدم شواهد لما يقول من مغامراته العاطفية ، ومن حياة رفاقه وصحبه وشيوخه ، ويذكر الأسماء والتواريخ والأمكنة ، ولم يصف أديب روعة اللقاء بين عاشقين .. كما وصفها ابن حزم عن خبرة يقول :

« ولقد جربت اللذات على تصرفها ، وأدركت الحظوظ على اختلافها ، فما للدنو من السلطان ، ولا للمال المستفاد ، ولا الوجود بعد العدم ، ولا الأوبة بعد طول الغيبة ، ولا الأمن بعد الخوف ، ولا التروح على المال ، من الموقع فى النفس ، ما للوصل لاتنيما بعد طول الامتناع ، وحلول الهجر ، حين يتأجج عليه الجوى ، ويتوقد لهيب الشوق ، وتتضرم نار الرجاء .

وما أصناف النبات بعد غب القطر ، ولا اشراق الأزاهير بعد إقلاع السحاب الساريات فى الزمان السجسج ، ولا خرير المياه المتخلله لأفانين النوار ، ولا تألق القصور البيض قد أحدقت بها الرياض الخضر ، بأحسن من وصل حبيب قد رضيت أخلاقه ، وحمدت غرائزه ، وتقابلت فى الحسن أوصافه ، وانه لمعجز ألسنة البلغاء ،ومقصر فيه بيان الفصحاء ، وعنده تطيش الألباب ، وتعزب الأفهام[2] .

« ولقد وطئت بساط الخلفاء ، وشاهدت محاضر الملوك ، فما رأيت هيبة تعدل هيبة محب لمحبوبه ، ورأيت تمكن المتغلبين على الرؤساء وتحكم الوزراء ، وانبساط مدبرى الدول ، فما رأيت أشد تبجحا ولا أعظم سرورا بما هو فيه ، من محب أيقن أن قلب محبوبه عنده ، ووثق بميله اليه ، وصحة مودته له .

وحضرت مقام المعتذرين بين أيدى السلاطين ، ومواقف المتهمين بعظيم الذنوب مع المتمردين الطاغين ، فما رأيت أذل من موقف محب هيمان بين يدى محبوب غضبان ، قد غمره السخط وغلب عليه الجفاء .. ولقد امتحنت الأمرين ، وكنت فى الحالة الأولى أشد من الحديد وانفذ من السيف لا أجيب الى الدنية ولا أساعد على الخضوع .. وفى الثانية أذل من الرداء والين من الفطن أبادر الى اقصى غايات التذلل لو نفع ، واغتنم فرصة الخضوع لونجع ، وأتحلل بلسانى ، وأغوص على دقائق المعانى ببيانى ، وافنن القول فنونا ، وأتصدى لكل مايوجب الترضى[3] .

● عاشق الموسيقا

واذا كان أبسط تعريف للجمال انه مايجذب ويطرب ، ويبعث فينا اللذة والاعجاب ، ويمتع السمع أو البصر ، أو كليهما .. فإن ابن حزم لم يقف عند الجمال مجسما فى المرأة ، وانما احتفى

بالموسيقى ، ووصف لنا حفلا فى بيتهم ، وعزفت فيه فتاة جميلة كان يحبها على العود ، وأنها كانت تحسن العود احسانا جيدا ، وأخذته وسوته بخفر وخجل لا عهد لى بمثله ، ثم اندفعت تغنى بأبيات العباس ابن الأحنف .. انى طربت الى شمس اذا غربت .. فلعمرى لكأن المضراب إنما يقع على قلبى ، وما نسيت ذلك اليوم ، ولا أنساه الى يوم مفارقتى الدنيا .

فابن حزم كما ترى لم يكن يبيح الموسيقى فحسب ، وإنما كان يطرب لها ويعزفها الفنانون والفنانات فى بيتهم ، وكانت من المباهج الشائعة فى الأندلس ، ولاتقتصر على المحترفين ، وإنما يعتبرها القوم لونا من الثقافة الرفيعة يتدرب عليها الفتيان والفتيات ، كما يتدرب الأولون على ركوب الخيل ويزهون به ، وتتباهى البنات بالتجمل والأناقة ولبس الفاتن من الثياب . وفيما بعد .. وهو فى قمة نضجه العلمى ، بدأ يقنن المذهب الظاهرى ، فألف كتابه « المحلى » ضمنه كل فقهه ، وتعرض فيه للغناء والمزامير والعيدان والمعازف والطنابير ، وذكر أن بيعها حلال ، ومن كسر شيئا ضمنه ، وكذلك بيع المغنيات اذا كن من الاماء ، ويذكر أنه ليس وحده فى هذا الرأى ، وإنما يلتقى معه الامام أبوحنيفة فى هذا الاتجاه ، ويرى أن الذين حرموا بيعها لان استخدامها حرام ، احتجوا بآثار لاتصح ، أو يصح بعضها ولا حجة لهم فيها ، فما أوردوه من أحاديث نبوية تحرم الغناء والموسيقى ضعيفة ، وتأكد عدم صحته مما يجعلها غير صالحة للاستشهاد أو بناء حكم شرعى عليها ، يقول بعد ان أورد حجج القائلين بالتحريم .. لا حجة لهم فى ذلك كله .

ويستشهد الذين يحرمون الغناء بالآية القرآنية : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » ويفسرون اللهو بأنه الغناء ، ولكن ابن حزم ـ ومعه الحق فى هذا ـ يرى أن الآية نزلت فى النضر بن الحارث ، وهو أكبر عدو للرسول ، وكان يدعو القرشين ليقص عليهم قصصا يصرفهم عن الرسول والقرآن ، فهى خاصة بقصصه ، ولاصلة لها بالغناء ، وقد رفض الرسول أن يقبل من النضر الفدية بعد أسره فى موقعة بدر ، وأمر به فقتل ، فلاحجة فى الآية للقائلين بالتحريم .

● وكان شاعرا

ومن يهز الجمال مشاعره لايقنع بالمتعة ، وانما يعبر عنها بلون من فن القول ، يصبح بدوره جمالا يلذ سماعه ، وكان ابن حزم ناثراوشاعرا على السواء ، وقال الشعر فى سن فتية ، نفس المرحلة التى تفتحت فيها عيناه على جمال المرأة ، وخفق قلبه بحبها ، وكان شعره كثيرا ، وجمعه أحد تلاميذه غير أن ديوانه هذا لم يصلنا ، ومع ذلك فإن جانبا لابأس به تضمنه كتاب « طوق الحمامة » وجله غزل يصدر عن عاطفة رقيقة متدفقة ويعكس صورة عالم دخلى متوهج وشفاف ، رغم أن الناسخ فى النسخة الوحيدة التى وصلتنا تصرف على هواه ، فحذف أكثر أشعارها وأبقى العيون منها تحسينا لها ، وأظهارا لمحاسنها ، وتصغيرا لحجمها ، وتسهيلا لوجدان الدحانى التريدة من لفظها .

● عندما يتخلف شعب !

فى لحظات نادرة من التاريخ ، يفتل

موقف ابن حزم

من الفــن والجمــال !

كوارث انسانية ، أو لحظات تخلف مدمره ، أو خلط في القيم ، أو أزمات لا يعرفون لها ، فيمسكون بأرقى ما عندهم ويحملونه عبء تخلفهم تلتقي بمن يرى أن حب الجمال في أي مظاهره ضار ، لأنه يثمل حواسنا ، وعلينا أن نستخدم كل قوانا لتحرير النفس البشرية مما يثيره فيها من اضطراب أو هيام أو استغراق ، وفي لحظات أخرى وللبواعث نفسها نجد من يرتضي الفن والجمال في نطاق قيود يحددها ، بأن يكون عونا على غاية تربوية أو أن اللذة التي يحدثها تقود الى الحق والخير ، وأن تكون ممارسته نافعة .

وهي آراء يأتي عليها ويسقطها من الذي يحدد النافع ولمن ؟ وما الحق والخير ، ومن الذي يحدد الجمال الذي يربي والجمال الذي يفسد ؟

ان الجمال مستقل عن العلم والأخلاق والمنفعة ، وهذا المبدأ ليس حادثا في حياتنا فمنذ أكثر من الف عام قال القاضي على بن عبدالعزيز الجرجاني مباعدا بين الدين والشعر والشعر جمال وفن ، بألا يحكم على أحدهما بالآخر يقول :

فلو كانت الديانة عارا على الشعر ، وكان سوء الاعتقاد سببا لتأخر الشاعر لوجب أن يمحى اسم أبي نواس من الدواوين ، ويحذف ذكره اذا عدت الطبقات ، ولكان أولاهم بذلك اهل الجاهلية ، ومن تشهد الأمة عليه بالكفر ، ولوجب أن يكون كعب بن زهير وابن الزبعرى وأضرابهما ممن تناول رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاب من أصحابه بكما خرسا ، وبكاء مفحمين .. ولكن الأمرين متباينان ، والدين بمعزل عن الشعر .

ولايرد على الجمال وصف مبتذل او بارد أو ساقط أو قبيح ، لأن مجرد وصف الشيء بهذه الصفات يخرج به عن حد الجمال ، وقد تجد فيه لمسة جميلة تستوقف نظرنا ، ولكن هذا الجانب يضيع في زحام القبح ، لأن الجميل حقا لا تستطيع أن تعدد مزاياه لأنها متصلة ، وتمثل كلا منسجما ، تجرى الحياة في كل خفضة وليس في هذا الجزء أو ذاك فحسب .

إن الجمال ، خالصا دون قيد أو شرط ، شيء صوفي علوى ، يجهل طبيعة عالمنا البشرى المسكين ، والاصفياء وحدهم هم الذين يستشعرونه ، ويسعدون ويغرقون فيه وينعمون ولم تفقد الكلمة المأثورة وهجها ابدا ..

ان الله جميل يحب الجمال ..
الجمال مرئيا أو مسموعا او مقروءا

---

(١) قمت بتحقيق هذا الكتاب ، وصدرت طبعته الرابعة عن دار المعارف سنة ١٩٨٥ .

(٢) طوق الحمامة ، ص ٩٠ .

(٣) الطوق ص ١٠١ .

أقوال معاصرة

● « حكومة بريتوريا تسخر من العالم وتتحداد لانها تعلم انه فى الوقت المناسب سوف يستخدم ريجان وتاتشر وكول حق الفيتو لحمايتها من عواقب اعمالها » .

ديزموند توتو
كبير اساقفة جنوب افريقيا



ديزموند توتو

● « الادارة الامريكية الحالية هى اكثر الادارات التى تعاملنا معا ودا »

اسحاق شامير
رئيس وزراء اسرائيل

● « الارهابى .. هل هو الولد الذى يقاوم الدبابة بحجر ام هى الدولة التى تغتال الولد بدبابة »

الشاعر محمود درويش



محمود درويش

● « المستقبل سيكون ملك الاذكياء »

« كيريل بل »
وزير التعليم الامريكى السابق

● « المرأة قاض ناجح اذا ما احبت المهنة وعشقت روح العدل »

آمنة تويج
اول قاضية تونسية

● « ان يصوت المرء لليسار اخطر من ان يتعاطى الكوكايين »

فرانسواز ساجان
الاديبة الفرنسية



د. كمال ابو المجد

● « جهل الدعاة الى الاسلام .. بالاسلام جناية »

الدكتور كمال ابو المجد



بقلم: د. محمد عمارة

مكانة الحرية.. ومكانة الإنسان

لقد خلق الله الإنسان ـ مطلق الإنسان ـ من ذكر وانثى .. يستوى فى ذلك أبناء هذا « النوع » بإطلاق .. كذلك اقتضت الحكمة الإلهية اختلاف أبناء هذا النوع الإنسانى فى الألسنة والألوان .. لا ليتنافروا ، بل ليتعارفوا .. وليكون هذا التنوع سببا لولاءات قومية وحضارية واعتقادية متعددة تشعل وتزكى روح الابداع لتزيد مصادر الثراء والغنى فى عالم الإنسان ..

والذين ينظرون إلى مذاهب الامم ذات الحضارات العريقة ، وإلى مواريث هذه الأمم كثيرا مايتساءلون : هل تتفق الحضارات جميعا على مذهب واحد فى الحرية الانسانية ؟ .. أم ان هذه المعضلة هى مما تتمايز فيها مذاهب الحضارات ؟! .

وفى اعتقادى أن نظرة الاسلام ، دينا وحضارة الى حرية الإنسان الاجتماعية ـ اى حرية الإنسان فى المجتمع الذى يعيش فيه ـ هى نظرة متميزة .. ذات خصوصية تميزها .. واذا لم يرجع تميزها هذا وتنبع خصوصيتها تلك من اختلاف الاسلام عن الديانات السماوية الاخرى لوحدة المصدر الالهى لهذه الديانات جميعا فإن مرجع هذا التميز ومصدر هذه الخصوصية هو التمايز الحضارى الذى طبعت سماته وطوعت قسماته بعضا من تصورات وفلسفات تلك الديانات .. ومن ثم فان المقارنة ، او المفاضلة لن تكون فى حقيقتها ، بين الديانات ، اذا نحن عدنا بها الى صورتها الجوهرية والنقية فى مصدرها الالهى الواحد ، وانما بين ما آلت اليه بعض من تصوراتها التى طوعت لخصوصيات حضارات معينة نتشرت بين أبنائها تلك الديانات ..

وانطلاقا من هذه الحقيقة فإننا نستطيع ان نقول : ان التصور الإسلامى ـ الذى لم يُغَبَّش بالفكر الوافد على الشرق الإسلامى ـ سواء اكانت وفادته قبل ظهور الإسلام او بعده ـ إن هذا التصور انما يمثل بناء متكاملا ، من الممكن ان نلقى عليه الضوء اذا نحن فصلنا الحديث عن ابرز لبناته وسماته وقسماته .. من مثل :

أ ـ مكانة الحرية الإنسانية فى فلسفة الإسلام ..

ب ـ وعلاقة ذلك بنظرة الإسلام المتميزة لمكانة الإنسان فى الكون ..

جـ ـ والتميز ـ تبعا لذلك الذى حدده الإسلام لمكانة الإنسان فى المجتمع .. فبإلقاء بعض الاضواء على هذه السمات الرئيسية التى تكون معالم بناء فلسفة الإسلام فى الحرية الإنسانية نأمل أن تتحدد وتستبين حقائق هذا الموضوع .

● الإسلام والحرية

فى نظرة الإسلام الى مقومات الحياة الإنسانية ـ ضروورياتها وحاجياتها وتحسيناتها ـ نلمح التمييز بين « الثوابت » و« المتغيرات » .. وفى مقدمة « الثوابت » التى جعل الإسلام الحفاظ عليها فريضة شرعية واجبة « الحفاظ على الحياة » .. اذ بدون الحفاظ على « النفس ـ الحياة » يصبح الحديث عن الاجتماع الانسانى والدين والتدين لغوا ليس له « موضوع » يتيح له التحقيق فى الوجود ..

والحفاظ على « الحياة » فى المنظور الإسلامى ليس مجرد حفاظ على « حق » من « حقوق » الانسان .. وانما هو إقامة لواجب شرعى ، وأمتثال « لفريضة الهية » وتحقيق لواحدة من اهم « الضرورات الانسانية » .. لقد تجاوز الاسلام بـ « الحفاظ على الحياة » مستوى « الحق » الانسانى .. لانها لو كانت ـ الحياة ـ مجرد « حق » لكان لصاحبه أن يتنازل عنه بالانتحار ، دون ان يلحقه اثم او تثريب .. لكنها وقد رآها الاسلام فريضة واجبة لايجوز حتى لصاحبها ، ان يفرط فيها .. فهو يأثم اذا قنط من رحمة الله فانتحر .. ويائم اذا هو فرط فى توفير مقوماتها ـ غذاء وكساء وامنا ، حتى لو اضطر فى سبيل ذلك الى القتل والقتال .. لأنه إذا طلب مقومات حياته ، حتى بالقتال ضد

مكانة الحرية.. ومكانتها الإنسان

الظلمة والمعتدين والمحتكرين فهو فائز باحدى الحسنيين .. إن انتصر كان مأجورا بصيانته وادائه ، واجبا شرعيا هو الحفاظ على حياته .. وإن قتل فى سبيل ذلك فهو شهيد !..

تلك هى فلسفة الاسلام ازاء « الحياة » .. والتى جعلت « القصاص » حفاظا عليها هو عين « الحياة » [ولكم فى القصاص حياة يا اولى الألباب لعلكم تتقون][1] .. والتى شبهت قتل النفس الواحدة بقتل الجميع [.. من قتل نفسا بغير نفس او فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا ..][2]

★ ★ ★

واذا كان هذا هو مكان « الحفاظ على الحياة » فى فلسفة الإسلام .. فان « الحفاظ على الحرية الإنسانية » هو لها قرين .. لأن « الحرية » بنظر الإسلام ، هى القرين المساوى « للحياة » .. فرآها ـ هى الاخرى فريضة الهية واجبة .. ورأى فى الحفاظ عليها وعلى مقوماتها حفاظا على ضرورة انسانية ، وليس على مجرد « حق » إنسانى يجوز لصاحبه أن يتنازل عنه ..

وإذا كانت « الحرية » هى نقيض « العبودية » واذا كان « التحرير » هو نقيض الاسترقاق ، فلقد نبه علماء الاسلام على ان العلة والحكمة فى جعل الشريعة الاسلامية « تحرير الرقبة » ـ اى عتق الرقيق ـ كفارة عن « القتل الخطأ » هو ما فى الرق والعبودية من معنى « الموت » وما فى « العتق والحرية » من معنى الحياة .. فمن اخرج من الحياة نفسا انسانية بقتلها خطأ فعليه ـ كفارة عن ذلك ـ ان يدخل فى الحياة نفسا انسانية اخرى بتحريرها من موت الاسترقاق ! .. وبعبارة الامام النسفى ـ ابو البركات عبد الله بن احمد [٧١٠ هـ ـ ١٣١٠ م] : « .. فانه ـ [اى القاتل] لما اخرج نفسا من جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الأحرار لأن إطلاقها من قيد الرق كإحيائها من قِبَلِ أن الرقيق ملحق بالاموات ، اذ الرق اثر من اثار الكفر والكفر موت حكما .. [أو مَنْ من كان ميتا فأحييناه ..][3] ..»[4]

بل لقد ذهب الإسلام على هذا الدرب الى الحد الذى اعتبر فيه أن حرية الإنسان الاجتماعية فى :

أ ـ الاهتمام بشئون مجتمعة والإسهام فى صلاحها وأصلاحها .. متمثلا فى النهوض بفريضة : « الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »..

ب ـ وتنظيم علاقته بالأشياء ، ماهو حلال منها وماهو حرام ..

جـ ـ وتحرير ذاته وطاقاته وملكاته من القيود والاغلال ..

اعتبر الإسلام حرية الإنسان الاجتماعية هذه ، وفى هذه الميادين

الاجتماعية « الواجب » الذى تمثل وتجسد فيه جماع رسالة خاتم الرسل والانبياء محمد بن عبد الله ، عليه الصلاة والسلام .. فتحدث القرآن الكريم عن هذه القيم باعتبارها جماع الرسالة الالهية التى اوحى بها الله ، سبحانه وتعالى ، الى محمد .. وقالت آيته الكريمة : [الذين يتبعون الرسول النبى الأمى الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل ، يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم إصرهم والاغلال التى كانت عليهم ..][٥]

فحرية الإنسان الاجتماعية .. التى هى فريضة إلهية وضرورة شرعية .. وعلى النحو الذى يتيح لهذا الانسان ان يسهم فى سياسة مجتمعه وتنمية عمران بيئته ، واقامة سائر « الفرائض الاجتماعية » كالعدل .. والشورى .. والعلم .. وكرامة الانسان وتكريمه .. الخ .. الخ .. ـ هذه الحرية تجاوز الاسلام بها نطاق « الحق » الى مستوى « الفريضة » .. وكذلك خرج بها من إطار « فرض العين » الفردى ـ الى إطار « فرض الكفاية » الاجتماعى ـ والذى هو اهم وآكد من فروض العين لان تخلف فرض العين إنما يقع إثمة على الفرد ، اما الاثم فى تخلف الفروض الاجتماعية فانه واقع على الأمة جمعاء !

تلك هى مكانة حرية الانسان الاجتماعية فى فلسفة الاسلام

● مكان الإنسان فى الكون

ولقد عرف الفكر الانسانى وتطبيقاته مذاهب عدة تميزت فى موقفها من مكانة الإنسان فى هذا الكون ومركزه فى هذا الوجود ..

اذا كان الله سبحانه وتعالى قد خلق الانسان ـ مطلق نوع الانسان ـ من أب واحد وأم واحدة .. الامر الذى يعنى وحدة النوع الانسانى فى خصائص الانسانية ومقوماتها رغم تمايز الحضارات وتعدد الالوان والاجناس .. فان فلسفات الحضارات المختلفة تتمايز فى تحديد مركز هذا الانسان فى الكون ، ودرجته فى سلم الوجود ..

فمن الحضارات من ترى فلسفتها أن رقى الانسان انما يتحقق بالقدر الذى يحقق فيه هذا الإنسان « فناءه فى ذات الله » ولذلك نراها تضع تعذيب الجسد وتحقير المادة وادارة الظهر للدنيا كمراتب للتقدم الإنسانى ولارتقاء النفس على الطريق « الفناء فى الله »

ومن الحضارات ـ كالحضارة الغربية مثلا ـ من تنزع بطابعها المادى الى مايشبه « تأليه الإنسان » فهى تجعله محور الكون ، وسيد الوجود حتى لقد ابتدعت مقولة تجسد الله فى الإنسان تلك التى « غبشت » بها توحيد المسيحية الأولى ـ فانزلت الاله الى الارض ، عندما زعمت اتحاده بالإنسان وحلوله فيه ،فانسنت الاله عندما الهت الانسان ! واستوت فى ذلك كهانتها عندما اعطت العصمة للبابا الذى حكم بالحق الالهى .. و« علمانيتها » التى اطلقت حرية الإنسان فى التشريع من إطار الدين .. و« غنوحيلتها » التى جعلت « الحرية » للانسان و« الجبر » لله !

ومن الحضارات ـ كحضارتنا العربية الاسلامية ـ من تنزع ـ بالوسطية ـ الى

مكانة الحرية.. ومكانة الانسان

نظرة لمكانة الانسان فى الكون هى وسط بين الدعوة الى تلاشيه واحتقاره وفنائه فى ذات المعبود ، وبين تأليهه وتحويله الى مركز للكون وسيد للوجود ، يبلغ به الغرور حدا كاد فيه ان يكون المعبود ؟! فالايمان فيها يعنى انتماء الانسان للكون ، من خلال اسلام الوجه لسيد هذا الكون ، سبحانه وتعالى .. واسلام هذا الانسان المؤمن وجهه لله لايعنى الاستسلام والفناء وانما يعنى ـ بسبب من انه خليفة عن الله فى عمارة الكون وسياسة الدولة وتنظيم المجتمع والنهوض بمهام الوكالة وامانة الخلافة ـ يعنى اسلام الوجه لله : الطاعة فى المغيبات والسمعيات التى لايستقل العقل بادراكها مع الابداع الحر فيما هو معقول ومقدور لهذا الإنسان فى اطار المقاصد والحدود التى رسمتها شريعة الله ، سيد الكون ومبدع الوجود وراعى الكائنات ..

فهى مرتبة وسط تلك التى حددتها حضارتنا العربية الإسلامية لمكان الإنسان ومكانته ودرجته فى سلم الوجود .. فهو ليس الحقير الذى يتحقق وجوده بالفناء فى ذات المعبود .. كما انه ليس سيد الوجود .. وانما هو سيد فى هذا الوجود ، ينهض بامانة الخلافة عن سيد الوجود !

هكذا .. اتفقت الانسانية فى « وحدة النوع الانسانى » .. ثم تمايزت حضاراتها فى فلسفة النظر الى مكانة « النوع الانسانى » فى هذا الوجود .

واذا كانت تلك هى مكانة الانسان فى الكون ـ بنظر الإسلام وحضارته العربية .. واذا كان هذا هو مقام الحرية فى الفكر الإسلامى .. فلابد ان يكون للإسلام مذهب محدد ومتميز فى نطاق هذه الحرية التى يمارسها هذا « الانسان » الخليفة فى المجتمع الذى ينهض فيه بمهام الخلافة عن الله ..

الهوامش :

(١) البقرة : ١٧٩
(٢) المائدة : ٣٢
(٣) الانعام : ١٢٢
(٤) [مدارك التنزيل وحقائق التأويل] تفسير النسفى ـ جـ١ ص ١٨٩ . طبعة القاهرة سنة ١٣٤٤ هـ [تفسيره لآية سورة النساء ـ ٩٢ ـ (ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله] ..
(٥) الاعراف : ١٥٧ .

اليهود في الحركة الشيوعية المصرية والصراع العربي الإسرائيلي

بقلم : محمد سيد أحمد

أذكر حوارا ساخنا كان نجمه هليل شوارتز ، مؤسس منظمة « اسكرا » التى كانت ، مع « الحركة المصرية للتحرر الوطنى ، (ح . م) التى أسسها هنرى كورييل ، من أبرز مكونات الحركة الشيوعية المصرية عند اعادة تأسيسها فى بداية الأربعينيات بعد ان صفى سعد باشا زغلول الحزب الشيوعى المصرى الأول عام ١٩٢٤ . جرى هذا الحوار فى مصيف بالاسكندرية فى صيف عام ١٩٤٦ ، اعتقد فى نفس الفترة التى شن فيها اسماعيل باشا صدقى ، رئيس الوزراء انذاك ، حملته المشهورة ضد الشيوعيين ، وفى هذا الحوار وبخ شوارتز طالبا جامعيا لأنه استباح لنفسه ان يطرح السؤال : « الم يحن الوقت بعد لتركيز جهدنا على تجنيد العمال ؟ » ..

خرج شوارتز بنظرية اسهب فى شرحها واشتهرت فيما بعد « بنظرية المراحل » . مفادها ان الحركة الشيوعية يتعين ان تنمو خلال مراحل فان هناك فى البداية مرحلة اولى يجرى فيها استيراد وزرع النظرية الماركسية فى المجتمع المصرى ولكن الفئات المؤهلة للنهوض بهذه المهمة هم - على حد قول شوارتز - المثقفون الملمون بثقافة اجنبية لانهم اقدر على استيعاب ادبيات الماركسية ، باختصار اناس مثل شوارتز نفسه نشأوا فى مصر ولكنهم تلقوا تعليمهم فى مدارس اجنبية ، وكان يعنى ذلك عمليا المدارس الفرنسية - الليسيه أو الجيزويت - بوصفها الاكثر انتشارا وقتذاك ..

ثم تأتى مرحلة ثانية هى مرحلة تولى هؤلاء المتمصرين المؤهلين اكثر من غيرهم لفهم الماركسية وتلقينها للمصريين على ان يكون هؤلاء المصريون قادرين على الاستيعاب معنى ذلك ان يكونوا من فئة

المثقفين ، اى من طلاب وخريجي الجامعات ، و « الانتليجنتزيا » بوجه عام ..

ثم تأتي المرحلة الثالثة وهي المرحلة التي يجري فيها المثقفون الماركسيون المصريون تجنيد العمال .. وهي مرحلة لم تكن ظروفها في نظر شوارتز قد توافرت بعد في صيف عام ١٩٤٦ .

ويتعين باديء ذي بدء ان اقرر ان هذا التصور لنمو الحركة الشيوعية المصرية خلال مراحل المتمصرين ذوى الثقافة الأجنبية ، ثم مرحلة المثقفين المصريين ، ثم مرحلة العمال لم يكن تصور كورييل الذي بلوره في خط عرف فيما بعد « بخط القوات الوطنية الديمقراطية » ، وهو خط يقوم على بناء تنظيم فئوى تنتظم فيه القوات الوطنية والديمقراطية المختلفة ، العمال والمثقفون والطلبة الخ .. جنبا الى جنب ، وليس في تلاحق زمني .. ومع ذلك رأيت أن استهل تعليقي على مقالي الاستاذ طارق البشرى بالعددين الاخيرين « للهلال » بتصور شوارتز هذا لأني اتصوره بالغ الدلالة في مناقشة امرين :

أمر أساسي يتعلق بقضية اليهود في الحركة الشيوعية المصرية بمناسبة ما اورده الاستاذ طارق البشرى بمقاله بعدد ابريل من « الهلال » عن دراسة الدكتور رءوف عباس حول « اوراق هنرى كورييل » التي نشرها أخيرا ..

والأمر الآخر الذي يتعين أن يسبقه لأنه يتعلق بمنهج العلاج .. وهو خاص باسلوب من اساليب ممارسة الصراع الفكرى غير ذلك الذي اورده طارق البشرى في مقاله بعدد مايو من « الهلال » ، والخاص بتحويل الفكرة المجردة الى فكرة مشخصة على نحو ييسر الطعن في الفكرة الأولى . مثلا على حد قوله ، الطعن في فكرة « الجامعة الاسلامية » بتشخيصها في الدولة العثمانية » او في فكرة « الشريعة الاسلامية » بتشخيصها في تجربة النميرى . الخ الخ . والاسلوب الذي اعنيه انا هو تذويب فكرة مجردة في فكرة مجردة اوسع نطاقا ، بأمل أن يكون هذا التذويب اداة تمرير الفكرة الأولى في ظروف غير مواتية لها ..

والقضية التي اطرحها تحديدا هي الى اى حد كان الانتماء الى « الهوية الشيوعية » لدى القادة اليهود الذين اعادوا تأسيس الحركة الشيوعية المصرية في الأربعينيات تذويبا « لهويتهم اليهودية » وذلك لحماية هذه الأخيرة في ظروف معاكسة ، هي ظروف تقدم قوات النازى تحت قيادة روميل في صحراء مصر الغربية ، وتهديد هذه القوات بغزو وادى النيل وتعريض اليهود في مصر لعمليات الاضطهاد كتلك التي تعرضوا لها في اوربا ..

لا اقصد بذلك ان هؤلاء اليهود كانوا واعين كل الوعي بأن انتماءهم الى الهوية الشيوعية كان لمجرد حماية هويتهم اليهودية ، اى فقط للاحتماء بايديولوجية اممية تناهض بحكم طبيعتها التمييز العنصرى وبالتالي العداء للسامية ..

غير انه يتعين في هذا الصدد الاشارة الى قول كورييل في « اوراقه » حول هويته اليهودية وكيف قادته الى اعتناق الشيوعية يقول : « كيف يتسنى لليهودى في نهاية الثلاثينيات ان يصبح حرا دستوريا او حتى وفديا ؟ بالاختصار لم يكن امام هؤلاء من سبيل غير الشيوعية . لذا سلكه عدد كبير منهم مدفوعين في ذلك بعدة عوامل : تأثرهم بالحركة الشيوعية الدولية اكثر من العناصر المصرية ، نفورهم من الخيار الفاشي ، بعدهم عن الحياة السياسية

المصرية ، واخيرا عدم انحيازهم الى تيار سياسى آخر .. » (ص . ٨٨) .

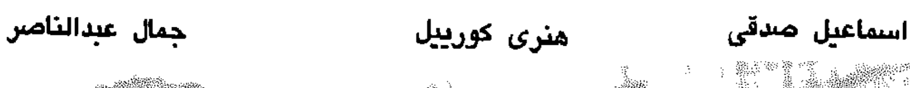
● غياب البعد الشيوعى

وقد تناولت هذه القضية تحديدا فى كتابى مستقبل النظام الحزبى فى مصر « الذى اشار اليه طارق البشرى ولفت النظر (ص . ١١٢ ـ ١١٤) الى ان تصفية سعد زغلول للحزب الشيوعى عام ١٩٢٤ قد أفضى الى غياب البعد الشيوعى أو « الأممى » ـ فى الحياة السياسية المصرية ، وكان من آثار ذلك وقت ان ابرم الوفد مع بريطانيا معاهدة سنة ١٩٣٦ ان رفضها اقصى اليمين الذى اخذ يتطلع الى الامبريالية الألمانية الصاعدة وايضا قطاعات هامة من الحركة الوطنية المصرية ـ بل ورواد اوائل للحركة القومية مثل عزيز المصرى ـ التى رأت فى ابرام الوفد لها تهادنا من جانبه مع الاستعمار ، وتخليا منه عن موقعه على رأس الحركة الوطنية . ونظرا لعدم وجود قوة فى المجتمع قادرة على تقييم رد الفعل الى يمينه هو مناصرة المانيا ضد بريطانيا ، باعتبار ان المانيا هى عدوة عدوى ، وهى بالتالى صديقتى ولم يتبين احد الخلل فى هذا المنطق . ذلك انه كان لابد من نظرة اممية لادراك ان عدو العدو قد يكون عدوا الدَ وان النازية الألمانية كانت ابشع اشكال الأمبريالية على الاطلاق ..

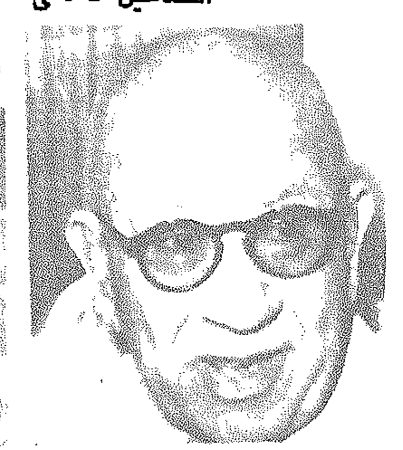
وعندما اندلعت الحرب العالمية الثانية ، ووصلت قوات روميل الى مشارف الاسكندرية وقامت تظاهرة لتهتف « الى الامام يا روميل » ، كان لابد ان ينزعج الاستعمار البريطانى ، وايضا الجاليات الأجنبية فى مصر ، وخاصة الجالية اليهودية . فكانت هذه الجالية اكثر ادراكا من غيرها لمخاطر احتلال المانيا النازية لمصر ، ذلك ان القضية كانت تمس هويتها كجالية يهودية قبل ان تمس هوية مصر ككل .

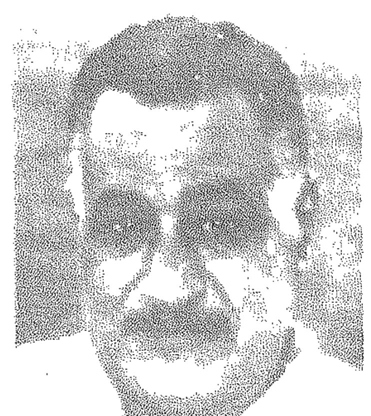
ولذلك كان للألتباس الذى احاط بتأسيس الحركة الشيوعية المصرية فى بداية الاربعينيات وهل اسست لحماية الهوية اليهودية لمؤسسيها دون ما نظر لمدى وعيهم بهذا الهدف الدفين او من منطلق الإيمان بضرورة ان توجد فى مصر حركة تمثل الطبقة العاملة وتنتسب الى الهوية الشيوعية بصرف النظر عن هوية مؤسسيها .. كان لهذا الالتباس اثره البعيد المدى على مسار الحركة فيما بعد ..

فاذا ما اخذنا بالأفتراض الأول ، وانطلقنا من أن الحركة الشيوعية قد اسست لحماية الهوية اليهودية لمؤسسيها ، فان هذه القضية لم تكن تنطوى بالضرورة على ضرر



اسماعيل صدقى — هنرى كورييل — جمال عبدالناصر





لقضية التقدم ما دامت قضية حماية اليهود من الاضطهاد النازى لم تكن قضية تتعارض مع قضية تحرر الشعب المصرى اجتماعيا ووطنيا وقوميا ..

غير ان القضية اضحت مطروحة بالحاح عندما اصبحت حماية الهوية اليهودية قضية ارتبطت بانشاء دولة اسرائيل . واصبح انشاء هذه الدولة فى تعارض واضح مع تحرر الشعب المصرى قوميا ووطنيا واجتماعيا ..

ولم يكن صدفة الانفجار الذى اصاب « الحركة الديمقراطية للتحرر الوطنى » (حدتو) عام ١٩٤٨ ، وهى المنظمة التى اختير هنرى كورييل امينا عاما لها وضمت منظمتى « اسكرا » و « ح . م » .. بل ووقوع هذا الانفجار الذى شتت تنظيم « حدتو » الى عدد لا حصر له من الجماعات والتكتلات المتصارعة فى نفس عام تأسيس دولة اسرائيل .

فلقد طرحت الاعتقالات التى شملت الصهاينة والشيوعيين على حد سواء .. عقب نشوب حرب فلسطين الأولى عام ١٩٤٨ ، الاشكالية الحقيقية غير المعلنة للحركة الشيوعية على نحو اصبح من المتعذر اغفالها ذلك ان وقوع التباس حول هوية الشيوعيين اليهود . وهل جرى اعتقالهم بوصفهم شيوعيين او بوصفهم صهاينة ، لم يكن بالضرورة امرا اعتبروه ماسا بكرامتهم السياسية ، بصرف النظر عما كان للينين منذ بداية القرن ، وكذلك « للكومنترن » من تصريحات وقرارات عديدة ادانت الصهيونية كعقيدة .

* معاداة الصهيونية

وحسبى للتدليل على ما اسوقه ان اذكر ان شوارتز كان قد اسس قبل وحدة « اسكرا » و « ح . م » عام ١٩٤٧ ، جمعية علنية نواتها العناصر اليهودية العديدة بمنظمته قيل ان عددهم بلغ حوالى ثلثمائة اسماها « الرابطة اليهودية المعادية للصهيونية » . غير ان كورييل اصر على حل هذه الرابطة بمجرد اتمام الوحدة عام ١٩٤٧ - اى قبل تأسيس اسرائيل باقل من عام - بدعوى انها تنم عن موقف انعزالى من جماهير الجالية اليهودية فى مصر ؟

غير انه اذا صح ان نسبة صفة الصهيونية الى الشيوعيين لم تكن بالضرورة وصمة فى نظر الشيوعيين اليهود فانها لاشك كانت تعتبر هكذا فى نظر المثقفين المصريين الذين تولى هؤلاء اليهود تجنيدهم للحركة الشيوعية . وكان هذا فى نظرى السبب الجوهرى وراء تمزق « حدتو » خلال ازمة عارمة عام ١٩٤٨ ، بغض النظر عن الاسباب التى ذكرت وقتذاك لهذه الأزمة ، وارجاعها الى مآخذ على « خط القوات الوطنية الديمقراطية » التى نادى بها كورييل .

ولم يكن صدفة فى اعقاب هذه الأزمة ان برز اتجاه فى الحركة الشيوعية المصرية طالب بابعاد اليهود من قيادة الحركة تماما ، بل وطالب فى بعض الاحيان بعدم تجنيدهم اصلا .. ولم يتحقق لهذا الاتجاه انتصار حاسم الا بتحقيق وحدة ابرز المنظمات الشيوعية بعد وقوع هذه الازمة بعشر سنوات تقريبا فى ٨ يناير ١٩٥٨ ، وقد تم فى هذا التاريخ بالفعل ابعاد جميع العناصر عن اصل يهودى من اللجنة المركزية ، ايا كانت مراكزها السابقة ، او مؤهلاتها ، او خبرتها ، وهو القرار الذى شكا منه كورييل ومجموعته من اليهود المصريين السابقين المقيمين معه فى الخارج فى خطابهم - المنشور نصه فى دراسة الدكتور رءوف عباس (ص . ٢١٦ ..

٢١٩) الى المكتب السياسى للحزب المؤرخ ١٢ يناير ١٩٥٨ .

وان كان لهذه الحقائق دلالة ، فانها تكشف فى رأيى عن امور لم يسلط عليها الضوء بشكل كاف حتى الآن ، من اهمها ان ازمة « حدتو » عام ١٩٤٨ قد فسخت اتفاقا غير معلن ارادت القيادات اليهودية فرضه على الكوادر من المثقفين المصريين الذين تم تجنيدهم خلال مرحلة ازدهار الحركة الوطنية فى عامى ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، عقب انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة .. وهو عرض ضمنى يمكن تلخيصه فى الآتى :

« سوف نمتنع نحن عن ان نكون صهاينة ، ونطالبكم فى المقابل الا تكونوا قوميين عرب معادين لاسرائيل ، ولنلتقى على ارضية الهوية المصرية » ! .

عرض فى الواقع لم يختلف فى جوهره كثيرا عما قبله انور السادات بعد ذلك بثلاثين عاما بتوقيعه اتفاقات كامب ديفيد ... فلقد قبل التضحية بموقف مصر القومى من منطلق الألتزام بالهوية المصرية فقط ، مقابل اتفاق سلام غير متكافىء مع اسرائيل مضمونه الحقيقى افساح المجال امام اسرائيل كى تحقق اهدافها الصهيونية التوسعية ولكن بغير طرق العدوان السافر .

● حجج وذرائع !

غير ان هذا العرض من قبل القادة الشيوعيين اليهود للكوادر من المثقفين الشيوعيين المصرين لم يكن ممكنا قبوله ، ذلك انه كان مرفوضا حتى من وجهة نظر الوطنية المصرية . وبدت الحجج التى اطلقتها القيادات اليهودية ، كالقول مثلا بان المقصود بحرب فلسطين عام ١٩٤٨ هو صرف الانظار عن الحركة الوطنية المصرية ، او ان شن مصر الحرب كان تلبية لمخططات الأمبريالية البريطانية بدليل ان الجيش المصرى قد عبر قناة السويس التى كانت ترابط فيها قوات الاحتلال دون اعتراض منها ، او ان دولة اسرائيل سوف تشكل واحة للديمقراطية فى منطقة عربية مازالت ترزح تحت نير الاقطاع ، وهى حجج كانت تردد فعلا فى ادبيات الحركة الشيوعية العالمية وقتذاك .. بدت هذه الحجج غير مستساغة على الإطلاق فى نظر عناصر وطنية صميمة تضرب بجذورها فى المجتمع المصرى .. وهكذا تعارضت رؤية ومصالح المتمصرين اليهود الذين اعادوا تأسيس الحركة الشيوعية المصرية فى الاربعينيات مع رؤية ومصالح المثقفين المصريين الذين جندوهم .. بل بلغ التعارض حدا لا يحتمل التوفيق .. وكان انفجار « حدتو » .

بل أزعم ما هو أبعد مدى من ذلك . اذ أصبح للمثقفين المصريين الذين تشكل لهم مركز فى الحركة الشيوعية المصرية بفضل مناهضتهم لمؤسسيها اليهود ، ولطبع هؤلاء الحركة بطابع اشتبهوا فى انه لخدمة هويتهم اليهودية قبل اى شىء آخر .. اصبح لهؤلاء المثقفين المصريين رد فعل انطوى بدوره على نوع من التمادى فى الاتجاه العكسى ، خاصة فى جو سياسى كان من شأنه تشجيع هذا الاندفاع فى الاتجاه العكسى عقب قيام ثورة ٢٣ يوليو وانتهاج عبد الناصر خطا اخذ طابعه القومى يتكشف بالتدريج .

ومن المؤكد ان الضباط الأحرار قد انطلقوا بحركتهم من مواقع ايديولوجية

وسياسية بعيدة كل البعد عن موقع الشيوعيين المصريين كان الشيوعيون يدينون بالولاء للماركسية اللينينية بينما التزم عبد الناصر ورفاقه بمنهج التجربة والخطأ . ولكن كان هناك بين الفريقين ايضا اوجه تماثل جديرة بلفت النظر .. فلقد انتمى الضباط الأحرار ، وايضا المثقفون المصريون الذين جندهم الى الحركة الشيوعية مؤسسوها اليهود ، الى نفس الطبقة الاجتماعية ، وأعنى بذلك نفس الشرائح من البرجوازية الصغيرة كما ان الفريقين انطلقا من مواقع وطنية لينتهيا الى مواقع اشتراكية وربما اختلف مفهوم الوطنية ، ومفهوم الاشتراكية ، وسبل الانتقال من الأولى الى الثانية ، عند كل منهما ، ومن المؤكد ان عنصرا هاما للتمايز بينهما كان شك عبد الناصر العنيد فى ان ولاء الشيوعيين لموسكو كان لابد ان يجب وطنيتهم وعقيدتهم القومية ، خاصة فى ظروف كان يرجح فيها « اهل الثقة »

على « اهل الخبرة » وفى المقابل ، فإن المناخ الدولى للحركة الشيوعية فى الخمسينيات لم يكن هو الآخر مهيأ لإزالة عوامل الاحتكاك والاصطدام فقد كان ومازال للتشدد الستالينى الكلمة العليا فى الممارسات الشيوعية .. وكان ابداء مرونة فى القضايا التنظيمية فوق حد معين يعتبر خروجا على التنظيم اللينينى .. والواقع ان الصاق صفة الانحراف بالاجتهادات التى من شانها تشجيع المرونة فى التنظيم كان السبب المعلن الذى ترتب عليه تفجر ازمة « حدتو » عام ١٩٥٨ . فلقد اتهم خط كوريبل « للقوات الوطنية الديمقراطية » بانه يقوم على تنظيم فئوى فيه تخل عن مبدأ ان التنظيم الشيوعى انما يمثل طبقة محددة هى الطبقة العاملة ..

وفى نفس العام ـ عام ١٩٥٨ ـ الذى تقرر فيه ، مع اكبر عملية توحيد للمنظمات فى تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ، ابعاد « الرفاق من اصل يهودى » من مراكز إصدار القرار بالحزب ، طالبت قيادة الثورة الحزب بأن يحل نفسه وان ينضم اعضاؤه الى الاتحاد القومى .. ورفض الحزب ، واعقب ذلك اعتقالات عام ١٩٥٩ بما شهدته من انتهاكات صارخة وتعذيب ... وربما كان الاتهام فى هذه المرة ان الشيوعيين المصريين انما يدينون بالولاء للاحزاب الشيوعية العربية ، وبالذات السورى والعراقى منها ، باعتبار ان هذه الأحزاب هى مهندسة مشروع وحدة قومية يناهض مشروع عبد الناصر فى هذا الصدد ويستند الى ثورة تموز فى العراق ...

غير ان الشيوعيين المصريين افرج عنهم على وجه العجلة قبل انتهاء المدد التى حكم عليهم بها قبيل زيارة خرشوف لمصر لافتتاح السد العالى فى ابريل ١٩٦٤ .. كانت الصراعات المحتدمة حول كيفية بناء الوحدة القومية وتحت قيادة من ، قد هدأت بعد انفصال سوريا عن مصر وسقوط نظام عبد الكريم قاسم فى العراق . ثم اخذ يتبلور بالتدريج تمايز خروشوف عن الخط الستالينى بعد ان ادان اوجها عديدة من هذا الخط فى المؤتمر العشرين .. ومن اوجه هذا التمايز طرح المنظرون السوفييت وقتذاك ..

اى فى بداية الستينيات ما عرف بـالطـريق غيـر الـرأسمـالى الى الاشتراكية ، وقد قصد به ان التحول الى الاشتراكية وارد حدوثه فى البلدان الوطنية الحديثة الاستقلال ـ اذا ما توافرت شروط معينة ـ تحت قيادة « ثوريين وطنيين » ليسوا بالضرورة على الاقل فى بداية المطاف ماركسيين لينينيين .. وكان عبد الناصر ، خاصة فى اعقاب تاميمات ١٩٦١ الكبرى ، من ابرز المرشحين لهذا الوصف ..

معنى ذلك ان عبد الناصر اصبح كفيلا بأن يخطو خطوات على طريق الاشتـراكية حتى بمفهـوم القيـادة السوفييتية لها .. معنى ذلك بالتالى ان الشيوعيين المصريين اصبح عليهم تيسير تحول عبد الناصر من ثورى وطنى الى ثورى اشتراكى ، لا إعاقة هذا التحول ..

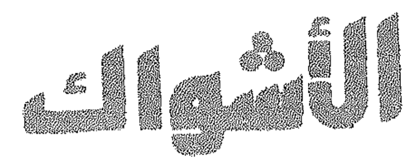
وفى هذه الظروف تحديدا تخلى عبد الناصر فجأة عن اصراره على عدم الأفراج عن الشيوعيين بتاتا ، حتى الذين قضوا مدة عقوبتهم بالكامل ، وافرج عنهم جميعا ، قبل ان تطأ قدم خروشوف ارض مصر بساعات ، وذلك دون ان يشترط عليهم حل تنظيماتهم .. وبعد اشهر ، اقدم الشيوعيون بانفسهم على حل تنظيماتهم والأنضمام كافراد الى الاتحاد الاشتراكى والى تنظيم عبد الناصر « الطليعى » السرى . وتجدر الاشارة فى هذه الصدد الى ان التنظيم « الطليعى » قد قبل انضمام الوجوه المثقفة البارزة فى الحركة الشيوعية وكاد يهمل بالكامل التحاق العمال ..

وهكذا زالت كل أوجه التمايز بين الأتجاه الوطنى القومى الذى قاده عبد الناصر وفريق المثقفين الشيوعيين الذين نحوا اليهود وحلوا محلهم فى قيادة الحركة الشيوعية المصرية ...

معنى ذلك ان تاريـخ الحركـة الشيوعية ، على الأقل بعد ان اعيد تاسيسها على يد عبد الناصر اغلبها يهود فى بداية الأربعينيات قد شكلت رافدا للصراع العربى الاسرائيلى اكثر من كونها قد شكلت رافدا للحركة الشيوعية العالمية .. فاذا ما اخذنا بنظرية المراحل لهليـل شوارتـز ، فبامكاننا ان نقول انه كانت هناك بالفعل مرحلة اولى كان للعناصر اليهودية فيها الكلمة العليا ... وكان لابد ان تحول هويتهم اليهودية دون ان يناصبوا الدولة العبرية العداء على نحو ينسجهم مع عداء القوى الوطنية والقومية العربية لها .. وكان لابد بالتالى ان يفضى هذا الوضع الى محاولة عزلهم من مراكز التوجيه والقيادة فى الحركة الشيوعية . غير ان مناهضتهم لاسباب تتعلق بالمواجهة مع اسرائيل .. قد افسح المجال لاندفاع هذه الحركة نحو مواقع قومية تلبى هوية المثقفين المصريين من غير اصول بروليتارية الذين كان عليهم ان يشكلوا عصب المرحلة الثانية فى تصور شوارتز .. ومع استيعاب الحركة الشيوعية المصرية داخل اطار الصراع العربى الاسرائيلى على هذا النحو ، لم تتحقق ابدا مرحلة شوارتز الثالثة .. مرحلة ان يكون للطبقة العاملة الكلمة الحسم فى حزبها الشيوعى ..

وربما كان ذلك عنصرا جوهريا فى الأزمة التى مازالت تلاحق اليسار المصرى حتى اليوم ..

القفز على



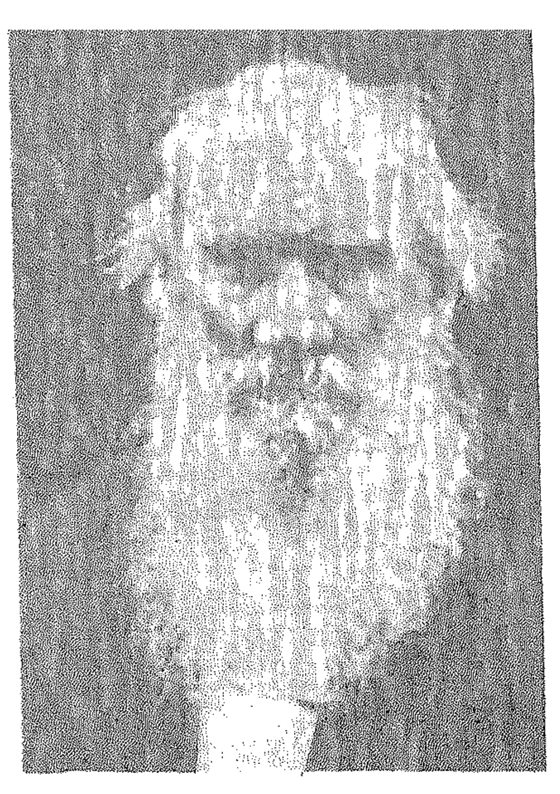


فى عالم تولستوى

يونيه . يوليه . اكتوبر ..
مواسم للصحافة المصرية يذكر فيها الرئيسان الراحلان جمال عبد الناصر وأنور السادات فى عشرات المقالات ، والعجيب في امر هذه المواسم أن نشاطها يزيد ولا ينقص من عام الى عام مع أن النغمة لاتتغير .

كان اول من اطلق هذه النفحة كاتبنا الكبير المرحوم توفيق الحكيم ، ومنذ « عودة الوعى » لم نعد نسمع إلا تنويعات على لجنة الاساس ، وقد يتساءل المرء : هل حقا « عاد الوعى » خلال بضع عشرة سنة مرت على ظهور هذا الكتاب ؟ فبعد ان رحل الرئيس انور السادات عن دنيانا ، اخذ بعض الكتاب يذكرون عهده كما لو كان فترة اخرى ، من غياب الوعى ، وغياب الوعى اعتذار متهافت عن المصائب التى تعاقبت علينا بينما كنا نحلم بمستقبل رائع من العزة الوطنية والرخاء الاجتماعى ـ اعتذار اشد تهافتا من قول الفتاة التى فقدت بكارتها لسبب من الاسباب ان ذئبا دس لها المخدر فى الشاى . وحتى اولئك الذين يتحدثون عن ذينك العهدين كما لو كانا كلاهما امجادا ، او يعتدلون فيرون هذا او ذاك ، مزيجا من الامجاد والفترات ينسبون كل شىء من نجاح او اخفاق الى الزعيمين الراحلين ، وكأن شعب مصر قطيع من الاغنام يساق مرة الى المرعى ومرة الى المذبح .

سئمت هذه القراءات فعدت اقرأ ملحمة تولستوى « الحرب والسلام » فصلا من هنا وفصلا من هناك بلا نظام لم اكن



ليو تولستوى

« الحرب والسلام » كانت تتضمن بين جنباتها الهائلة بحثا حقيقيا فى الحرب والسلام ، فقد ادخل فيها تولستوى عددا من الخرائط للمواقع الحربية ، وفصولا كاملة فى فلسفة التاريخ وقد كانت هذه الفصول موضع دهشة وانكار او شبه اعتذار لدى النقاد الغربيين الذين لم يبخلوا على ملحمة تولستوى العظيمة بأسمى عبارات الاطراء ولكن هذه الفصول عاشت معى ، تغالب النسيان طوال هذه السنين ، كمقوم أساسى من مقومات الرواية وارانى الان أعزو ـ ببساطة تامة ـ انكار المنكرين لها الى نقص فى فهمهم لتولستوى . فتولستوى حكيم شرقى لم يفهمه الغرب كما ينبغى وهل ادل على عدم الفهم من قول ناقد ـ نسيت اسمه الان ـ ان تولستوى كانت تعوزه روح الدعابة ؟

اقرؤها بالمعنى المفهوم وانما كنت احتمى بها . فعهدى بهذه الرواية قديم يرجع الى نيف واربعين عاما ، كانت الحرب العالمية الثانية تشارف نهايتها ـ فهل كان لذلك بعض الاثر فى توقيت قراءتى لهذه الرواية ؟ على كل حال كانت ظروف الحرب توفر وقتا طيبا للقراءة ، ولاسيما اذا كان المسكن قريبا من العمل ، وكانت « الحرب والسلام » تحتاج الى قدر من العكوف ، استعرت مجلداتها الثلاثة فى طبعة « كلاسيكيات اكسفورد » من دار الكتب المصرية وعشت فيها شهرا كاملا اصبحت صديقا لاندريه وبيير وعاملت نيكولاس بالاستخفاف الذى يستحقه ، فقد كان فتى تافها طيبا ، ملكيا متحمسا ولكن بدون عظمة كاذبة وادهشنى خلال ذلك ان

ولابد ان هذا الناقد كان مصابا بشىء يشبه عمى الالوان حتى لا يدرك ان اوصاف تولستوى الدقيقة مفعمة بروح الدعابة ، وان له فى هذه الاوصاف اشياء تماثل ماسماه البلاغيون العرب « التشبيهات العقم » لانها لايمكن ان تكرر او تستوحى اذكر احد هذه الاوصاف وقد علق بذهنى من القراءة الاولى ، ثم بقى محفورا فى ذاكرتى محتلا مكانا لايشاركه فيه غيره ، من وقتها الى اليوم ، كان تولستوى يصف قائد فرقة موسيقية وهو يحرك ذراعيه تلك الحركات التى يحار معظم الناس ـ وانا واحد منهم ـ فى كيف يفهم العازفون معناها . فيقول تولستوى: كان قائد الفرقة يرفع ذراعه اليمنى ببطء شديد ، وكأنه يمسك بين السبابة والابهام

شيئا ثمينا جدا ، وفجأة يسقطه بقوة على الارض !

عدت الى عالم تولستوى ، اغسل نفسى عقلا وقلبا وروحا فى ذلك الخضم ، وهكذا لبثت اياما قبل ان اعود اليك ـ اخى القارىء ـ ببعض اشراقاته .

عكف تولستوى على كتابه « الحرب والسلام » خمسة اعوام متصلة من ١٨٦٤ الى ١٨٦٩ وهو فى قمة نضجه (ولد سنة ١٨٢٨) وخضعت الرواية خلال هذه المدة لكثير من التعديل والتبديل (يقال ـ معلومة على الهامش ـ ان زوجته الشابة الأديبة المخلصة بيضتها سبع مرات) فهل كان يعز عليه ان يحذف الفصول التى ضمنها اياها فى فلسفة التاريخ ، او يفردها بكتيب خاص ، لو انه رآها مقحمة على الرواية كما ظن نقاده ؟

كانت شخصية نابليون بونابرت ـ ذلك الضابط الكورسيكى الذى هدم عروشا واقام عروشا واعاد تخطيط خريطة اوربا ـ تشعل خيال الملايين من الشباب ، ومنهم الشباب المثاليون الطامحون فى روسيا نفسها وهى التى ضاع جيشه وكسر حظه فى سهوبها الشاسعة يستوى فى ذلك ابناء الطبقة المتوسطة الفقيرة مثل راسكولنيكوف بطل « الجريمة والعقاب » والامراء الذين ينتمون الى اعرق الاسر الارستقراطية مثل اندريه احد ابطال « الحرب والسلام »

فانظر كيف رسم تولستوى لقاء اندريه ونابليون :

كان اندريه يرقد اسيرا جريحا مشرفا على الهلاك بعد ان ابلى بلاء حسنا فى موقعة اوسترلتز ومر نابليون على صهوة جواده يتفقد اولئك الجرحى ، ولاسيما ان بعضهم كانوا من كبار الضباط فعرف اندريه الذى سبق ان امر بحمله من ساحة المعركة .

« قال : وانت ايها الشاب ؟ كيف حالك ؟

« ومع ان الامير اندريه كان قد استطاع ـ قبل خمس دقائق ـ ان يقول بضع كلمات للجنود الذين نقلوه ، فقد صمت حين ثبتت عيناه على نابليون .. فى تلك اللحظة بدا له كل مايشغل ذهن نابليون تافها شديد التفاهة وبدا له بطله هو نفسه حقيرا بغروره السخيف وفرحته بالنصر ، حين قارنه بتلك السماء العالية العادلة الرحيمة التى رآها وفهمها [وهو طريح فى ساحة المعركة] فلم يستطع ان يجيبه .

« بدا كل شىء عقيما وهينا فى مجرى الافكار الجليلة التى اثارها فى نفسه النزف والالم واقتراب الموت فلما نظر فى عينى نابليون فكر فى تفاهة العظمة وهوان الحياة التى لم يستطع فهمها احد ، وهوان الموت ـ اكثر من الحياة ـ الذى لم يقدر حى ان يفهم معناه او يشرحه »

هكذا يبدو كل ماعلى الارض ـ نابليون واحقر جندى من جنوده ، وحتى الحياة والموت سواء فى الضآلة والتفاهة حين تسبح الروح ولو لحظة فى اعماق الكون وهذه هى الرؤية التى رآها اندريه عاشق المجد والعبقرية حين احس دنو الموت . واذا كانت هذه الرؤية قد تجلت له في وهلة خاطفة دون ان يمتد به العمر ليحولها الى سلوك عملى ، فقد تجلت هى نفسها لبيير ، عاشق الحقيقة شيئا فشيئا وهو يخوض تجارب اليأس المستهتر والحب المخدوع والاسر المهين ، واخيرا حلم الاستشهاد فداء للانسانية ! بيير الذى تلقفته الماسونية وهو حائر بائر فى يده كل شىء من شباب ومال وجاه وذكاء ، ولكنه فقد ثقته فى كل شىء ونفض يده من كل مسعى هو ايضا عاش فى وهم كبير حين اطلق احد « الاخوان » الماسون على آية فى الكتاب المقدس تنبأت كما يزعم اصحاب الجفر بظهور نابليون بونابرت ، وتنبأت ايضا بانه يظهر من يقتله ! يجهد بيير نفسه ليحسب حروف اسمه ، يزيد فيها وينقص ، حتى ينتهى الى انه هو المخلص الموعود وبينما هو فى هذه الاحلام الصبيانية يقع فى الاسر . وتتفتح بصيرته على الحكمة الحقيقية حكمة القلب ، فى كلام الفلاح البسيط كاراتايف ويحيق بنابليون ماهو افظع من القتل : مرارة الهزيمة ثم السقوط ثم الموت البطىء فى منفاه ، بينما يستأنف بيير حياته العادية لم يتغير شىء فى عالمه ، انما هو الذى تغير . لم يعد لاهيا بما يدور فى نفسه عما يدور من حوله ، لم يعد يتعلق بوهم امتلاك الحقيقة وفرضها على الاخرين ، فالحقيقة اسمى واجل من ان يحيط بها عقل بشر ، وكل انسان له طريقه الخاص نحو الحقيقة ، كان يحزنه انه مهما اجهد نفسه لاقناع الاخرين برأيه ، ولاح له انهم اقتنعوا به فعلا، تبين له بعد قليل ان كل واحد منهم يفهمه فهما مختلفا فالان ثبت له ان احدا لايمكنه ان يقنع اخر برأى ما ، ربما لان « الاقناع » هو ايضا ضرب من العنف عقل يستعلى على عقل ، والقوة التى رآها تولستوى قادرة على ان تقرب بين البشر هى قوة الحب

ولكن ماذا يصنع الانسان امام قوى الشر ـ اعنى الانسان الفرد الذى يشعر ـ فى اموره الخاصة ـ انه يستخدم ارادته الحرة للقيام بعمل ما او الامتناع عن عمل اخر ؟ ماذا يصنع حين يواجه بخيارات لاتخدمه وحده ؟ ماذا يصنع حين تغطى هذه الخيارات على الخيار الوحيد الذى يبدو اقرب الى الطبيعة والعقل خيار الحب ؟

« حين أشرفت سنة ١٨١١ على نهايتها بدأ تكثيف للاسلحة والقوات فى اوربا الغربية وفى سنة ١٨١٢ تحركت هذه القوات ـ ملايين الرجال اذا ادخلنا فى الحساب اولئك الذين كانوا يقومون بنقل الجيش واطعامه ـ من الغرب الى الشرق نحو الحدود الروسية ، بينما كانت القوات الروسية تحرك نحو هذه الحدود منذ ١٨١١ وفى الثانى عشر من يونية ١٨١٢ اخترقت قوات اوربا الغربية الحدود الروسية . وبدأت الحرب اى ان ثمة حادثة وقعت ، حادثة تتعارض مع العقل الانسانى والطبيعة الانسانية اقترف ملايين البشر فى حق



بعضم البعض جرائم لاتحصى جرائم غش وخيانة وتزوير وتزييف نقود وسرقة واحراق وقتل ، لم يسجل مثلها في سجلات محاكم العالم طوال قرون كثيرة ، ولكن الذين اقترفوها لم ينظروا اليها فى ذلك الوقت على انها جرائم » .

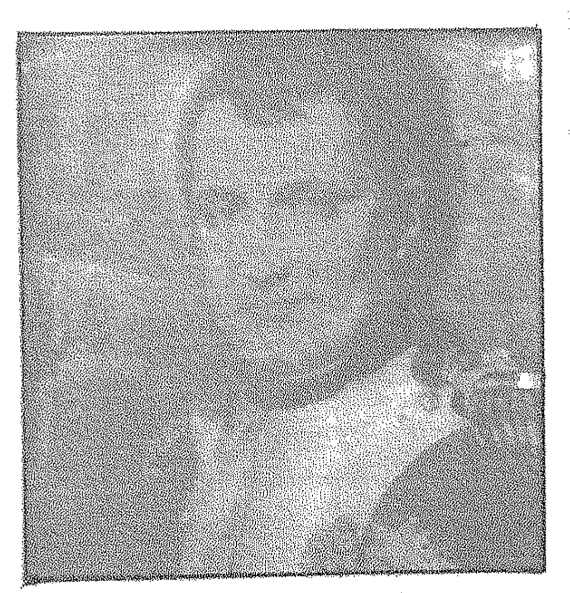
وهنا يقوم السؤال : من المسئول عن هذا الشر ؟

يعدد تولستوى « الاسباب » التى يبرزها المؤرخون لنشوب هذه الحرب : أطماع نابليون ، صمود الكسندر ، مؤامرات الانجليز ، اخطاء الدبلوماسية ، الخ ... وبهذا المنطق يمكن أن يقال مثلا : إن نابليون لو كان قد كتب الى الكسندر « اخى المحترم اننى اوافق على رد الدوقية الى دوق الدنبرج » اولم يغضب حين طلب منه الكسندر سحب جيوشه الى ما وراء الفستولا ، لما وقعت الحرب ، ولم تكن الحرب لتقع ايضا لولا الدسائس البريطانية ولولا دوق الدنبرج ، ولو لم يشعر الكسندر انه اهين ، ولو لم توجد فى روسيا حكومة اوتوقراطية ولو لم تقم فى فرنسا ثورة ولو لم تعقب الثورة دكتاتورية وامبراطورية . كل هذا صحيح ، ولكننا لا نستطيع ان نجمع هذه الاسباب كلها ـ والف سبب اخر معها ـ فى فعل انسانى واحد صدر عن ملك او امبراطور . فلو لم يأمر نابليون جنوده بالتقدم وراء الفستولا


توفيق الحكيم

لما كانت الحرب ، ولكنها لم تكن لتقع ايضا لو ان عريفا فى جيشه رفض ان يستمر فى الخدمة ، ولو حذا حذوه ثان وثالث والف عريف اخر ، فكل هذه الاسباب متساوية فى التأثير ، والقرار الذى يتخذه الحاكم او القائد يبدو لنا فى الظاهر انه القرار الحاسم ، وبناء على النتيجة نصف القائد او الحاكم بانه عبقرى وملهم ، او بانه مغامر وقصير النظر او ربما فسرنا النجاح او الفشل بالمصادفة البحتة .

ولكن تولستوى يرفض المصادفة كما يرفض العبقرية (أو ضدها) فى تفسير احداث التاريخ . فللتاريخ منطق وان كنا عاجزين عن الاحاطة به ـ مثل الحقيقة التى بحث عنها بيير وقد يبدو لنا ان فلسفة تولستوى التاريخية قدرية محضة او صوفية خالصة لولا انه لايدعنا نتوهم لحظة واحدة ان الارادة البشرية غائبة عن اى حدث ـ عام او خاص ـ من احداث روايته . ولكن الارادة البشرية يمكن ان تنحرف عن سلامة الفطرة فتقود الى



نابليون بونابرت

التهلكة ويمكن ان تكون بطبيعتها قريبة من سلامة الفطرة فيتحقق لها نوع من التناغم مع الاحداث الخارجية ، حتى لو جرت هذه الاحداث لغير صالحها ، ومن الناس من ترين على نفوسهم غشاوات من الشكوك والشهوات فيكون عليهم ان يحترقوا فى افوق الالم لتبرز فطرتهم النقية ، كما وقع لبيير .

ولم يقع تولستوى فى سذاجة التوهم بان فساد الفطرة مقصور على طبقة دون طبقة ، او ان التجارب السابقة تشكل قيدا على تطور الفرد الروحى ، فاذا كانت الحكمة الفطرية قد تمثلت عنده فى شخصية الفلاح الاسير كاراتايف ، فقد تمثل الخبث وسوء الطوية فى فلاحى قرية بوجتشاووفو ، واذا كان القواد المحيطون بالكسندر وفرانسيس (امبراطور النمسا) نماذج للادعاء او القسوة او الملق فقد كان كوتوزوف - القائد الشيخ الذى اطلقت يده فى قيادة المعركة بعد هزيمة او سترلتز المدوية - مثلا رائعا لصفاء الذهن وبعد النظر النابعين من ادراك صادق لمقتضيات الواقع . ولم تكن نشأة بيير الارستقراطية حائلا دون اندماجه فى الناس البسطاء .

فلم تكن ديمقرطية تولستوى « ديمقراطية شعبية » كما تسمى اليوم ولم تكن حتى ديمقراطية سياسية ، ولكنها كانت ديمقراطية نابعة من داخل الانسان ولهذا بشرت بالمساواة الكاملة كما بشرت بها الاديان السماوية من قبل : المساواة فى القيمة والمساواة فى المسئولية - وربما حسبه البعض - لهذا السبب - مثاليا حالما ، ولكننا ندرك الآن ، اكثر من اى وقت مضى ان مستقبل البشرية رهن بهذه « الديمقراطية الداخلية » .

ولعل الفرض الذى فرضه تولستوى ان يمتنع عريف ثم الف عريف فى جيش نابليون عن الذهاب الى الحرب ، كان يبدو خياليا الى وقت قريب ولكننا نعلم أن قسوة الحب الفيتنامية ولا انسانيتها قد دفعت اعدادا متزايدة من الجنود الامريكيين الى الامتناع عن الذهاب الى ميدان القتال ، هل كان هذا الفعل منهم خيانة أم بطولة ؟ لقد كان على كل حال قرارا « فرديا » بالغ الصعوبة الى اى حد اثر هذا القرار فى نهاية الحرب ؟ هذه قضية اخرى من القضايا التى يقف التاريخ امامها عاجزا .

وبقدر ما نشعر - نحن فى مصر - بالخطر المضاعف النابع من الداخل والقادم من الخارج ، لايمكننا أن نتجاهل مسئوليتنا - مسئولية كل فرد منا - عما كان أو يكون واحسن من التفكير فى سيئات الماضى أو حسناته ، ان نفكر كيف وصلنا إلى ما نحن فيه وأن نتحسس ضمائرنا عساها تخبرنا عما يجب أن نفعل .

الاستشراق واستعلاء الغرب

بقلم : د. أحمد أبو زيد

حين زار الروائى الفرنسى الشهير جوستاف فلوبير مصر عام ١٨٥٠ التقى براقصة شهيرة تدعى كوجول هانم ، وسجل انطباعاته عن التقائه بها فى عدد من الرسائل التى كان يرسلها إلى أصدقائه فى فرنسا وكذلك فى بعض أعماله الأدبية الأخرى وبخاصة فى روايته (سالامبو) .

وفى كل هذه الأعمال ظهرت ، كوجول هانم الراقصة على أنها خير مثال للمرأة الشرقية ، سواء من ناحية التكوين الجسمى أو السلوك المتحرر أو الوضع الذى تحتله المرأة فى المجتمع الشرقى أو نظرة الرجل إلى المرأة فى ذلك الحين . وقد يكون فيما ذكره فلوبير حول هذا الموضوع شىء من الإجحاف بالمرأة الشرقية ومكانتها فى المجتمع المصرى الإسلامى . ولكن فلوبير كان أديبا روائيا ولم يكن عالما من علماء الاجتماع ولذا فإن الصورة التى قدمها فى رسائله وفى روايته لم تكن دراسة علمية دقيقة وإنما كانت عملا أدبيا يعبر فيه صاحبه الأديب الروائى الفنان عن نظرته الخاصة وعن انطباعاته الشخصية وعن تصوراته وتخيلاته بل وأوهامه عن المرأة فى الشرق .

● وقد يكون لفلوبير وغيره من الأدباء والمبدعين عذر فيما قد يذهبون إليه من تصورات وتخيلات تختلف عن واقع الأوضاع والعلاقات العامة والاجتماعية التى تسود فى المجتمعات والثقافات الأخرى غير المجتمع الذى ينتمون هم إليه ، فالابداع الأدبى أو الفنى هو مزيج من الواقع والخيال وليس وصفا علميا دقيقا يلتزم بالحياد والموضوعية فى تسجيل الحقيقة الواقعية وتحليلها وعرضها فى دقة وأمانة . ولكن كثيرا مما كتبه العلماء والباحثون الغربيون الذين نطلق عليهم اسم (المستشرقين) لاتكاد ترتفع فى نظرتها الى الشرق عن نظرة فلوبير . وجانب كبير من تلك الكتابات أو (الدراسات) التى تركها لنا هؤلاء المستشرقون - وبوجه خاص الأعمال التى تتناول اوضاع المجتمع الشرقى ونظمه والعلاقات بين الناس والقيم التى تحكم سلوكهم وتصرفاتهم - فيها

جوستاف فلوبير



كثير من التجنى وتبتعد عن الحيدة والموضوعية وتمتلىء بصور وتفسيرات وتأويلات غير صحيحة أو خاطئة وتعكس فى عمومها تصورات هؤلاء (الباحثين) وتخيلاتهم وأوهامهم عن الشرق اكثر مما تسجل واقع ذلك الشرق وحقيقته . وبعض هذه الكتابات الاستشراقية تصور الشرقيين عموما - بما فى ذلك العرب والمصريين - على أنهم أقوام متبلدون وليست لهم القدرة على العمل ، أو حتى الرغبة في أدائه ، وأنهم عاجزون عن الأخذ بزمام المبادرة والمبادأة في أى شىء وتنقصهم القدرة على التفكير المستقل وعن التعبير الصريح المستقيم المباشر عما يدور فى أذهانهم ، بل انهم لايكادون يدركون مصالحهم الحقيقية وأين تقع هذه المصالح وكيف يحصلون عليها أو يحققونها ، بل إن الغربيين هم الذين يفكرون (لهم) وبالنيابة عنهم وهم الذين يعرفون أين تكون تلك المصالح وكيف يحققونها لهم بطريقة أفضل وأدق وأكثر فاعلية ، وفى هذا مبرر كاف لإخضاع هذه المجتمعات الشرقية واستعمارها من أجل صالح تلك الشعوب

● مستشرقون شرفاء

وقد يكون من التعسف أن نتهم كل المستشرقين بالتحامل على الشرق وحضاراته وشعوبه أو أن ندخل كل الأعمال الاستشراقية فى فئة واحدة . فبعض هذه الأعمال والكتابات - وبخاصة تلك التى تتناول التراث

القديم من فلسفة وتصوف وأدب وعلوم - بحوث أكاديمية دقيقة وعلى جانب كبير جدا من الموضوعية ، بل إنها هى التى وضعت الأسس المنهجية السليمة لدراسة هذه الشعوب وانجازاتها بوجه عام ، واسهامات الحضارة العربية الاسلامية بوجه خاص بما فى ذلك الحضارة المصرية ذاتها . وهذا أمر طبيعى نظرا لاختلاف وتباين وتعدد الاهتمامات بالشرق والمجتمعات والحضارة الشرقية فى القرن التاسع عشر على الخصوص .. وكما يقول فيكتور هيجو فى ذلك فإن الولع بالدراسات الهلينية الذى بلغ بالناس جد الهوس فى عصر لويس الرابع عشر انتقل فى القرن التاسع عشر الى الدراسات الشرقية ، بحيث أصابت حمى هذه الدراسات الكثيرين من الكتاب والعلماء والادباء والفنانين . ونحن نعرف أن هيجو نفسه ترك مجموعة من القصائد الرائعة بعنوان (الشرقيات) كان قد استوحاها من أحداث الصراع اليونانى التركى الدامية ومن جمال وروعة الطبيعة فى الشرق الأدنى والشرق الاوسط .. كذلك ترك الكثيرون غيره من الكتاب والشعراء والفنانين أعمالا خالدة عن السياحة ، وربما كان كتاب شاعر ألمانيا العظيم جوته (الديوان الشرقى للمؤلف الغربى) الذى نقله الى العربية منذ سنوات الدكتور عبدالرحمن بدوى من أشهر هذه الأعمال . ولكن قائمة هؤلاء الكتاب المولعين بالشرق من أدباء وشعراء وفنانين قائمة طويلة وتضم أسماء لاحقة وخالدة من أمثال لامارتين وجيرار دى نرفال وجوتيه الى جانب جوستاف فلوبير من فرنسا ، ودزرائيلى من انجلترا ، كما تشتمل على عدد من الرحالة المشهورين من أمثال داوتى وبييرلوتى ، فضلا عن عدد من كبار الروائيين فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين مثل البريطانى فورستر الذى سجل جانبا من أحداث حياته ومشاهداته وتجربته الخاصة فى الهند فى روايته الشهيرة التى تحولت الى فيلم سينمائى (ممر الى الهند) كما ترك جزءا من تجربته فى مصر أيام الحرب العالمية الأولى فى كتابه الطريف الذى لايعرفه الكثيرون عن

مدينة الاسكندرية وكذلك فى رسائله التى نشرت منذ أربعة أعوام . وبعض هؤلاء الكتاب كانوا يجمعون بين أكثر من اهتمام بالشرق . فادوارد وليام لين العالم الرحالة الفنان يترك كتابا ممتازا عن أخلاق المصريين المحدثين وعوائدهم ، وقد نقله منذ سنوات طويلة الى العربية المرحوم الاستاذ عدلى طاهر نور فى ترجمة دقيقة ومشرقة . كذلك ترك العالم المكتشف الرحالة ريتشارد بيرتون ترجمة طيبة بالانجليزية لكتاب الف ليلة وليلة وهكذا . وهذا كله يكشف لنا عن مدى اختلاف وتباين اهتمامات هؤلاء الكتاب وتعدد هذه الاهتمامات وتنوعها ، وإن كانت كلها تصب فى آخر الامر فى عالم الشرق الذى كان يبدو لهم غريبا وغامضا والذى كان يجذبهم اليه بهذا الغموض الساحر الغريب .

وبالمثل فإن قائمة أسماء المستشرقين العلماء الاكاديميين طويلة جدا وتتناول كثيرا من أبواب المعرفة وتكشف لنا أعمالهم عن مدى الجهد والاخلاص والموضوعية التي تميز مواقفهم ونظرتهم الى الشرق وانجازاته العلمية والثقافية كما تبين هذه الأعمال مدى صدقهم في محاولة الوصول الى فهم صحيح وموضوعي لتلك الانجازات . وقد يكفي أن نحيل القارىء هنا الى كتاب (تراث الاسلام) سواء في طبعته القديمة أو في الطبعة الجديدة أو على الأصح الاصدار الجديد تماما فكلا الكتابين يضم قائمة من أسماء المستشرقين الذين توفروا على كتابة الفصول المختلفة . ولكن قائمة المستشرقين الاكاديميين أطول من هذا بكثير جدا .

ومع ذلك فإن كل أعمال وكتابات المستشرقين والمهتمين بالشرق على اختلاف طبقاتهم وتخصصاتهم وميولهم وأهوائهم إنما تصدر عن موقف معين ووجهة نظر محددة وثابتة يشتركون فيها جميعا ، ألا وهي شعورهم القوى بالتعارض الشديد بين الشرق والغرب . ولقد عبر عن ذلك التعارض بطريقة واضحة وقاطعة الشاعر البريطاني رويارد كبلنج الذي تغنى ربما أكثر من غيره في قصائد بمفاخر الاستعمار البريطاني وأمجاد الجنود البريطانيين الهند وبورما .

● دراسة الشرق

فليس الاستشراق إذن هو مجرد دراسة العلماء الغربيين للحضارات الشرقية ، وإنجازاتها في مختلف مجالات العلم والمعرفة ، أو حتى دراسة المجتمعات والثقافات والشعوب الشرقية القائمة الآن بالفعل . إنما الاستشراق هو قبل كل شيء أسلوب غربي لفهم الشرق ، أو هو موقف عقلي محدد من الشرق ونظرة ثابتة وراسخة تقوم على إدراك ذلك التعارض بين الشرق والغرب الذي تعبر عنه بدقة وصراحة عبارة كبلنج الشهيرة . ويكشف هذا الموقف الغربي من الشرق عن نفسه بدرجات متفاوتة في أعمال المستشرقين ، فهي كلها تقوم على اعتقاد الغربيين بالاختلاف والتمايز ، حتى التباين بين الشرق والغرب في النظرة الى الحياة والكون وفي أسلوب معالجة الأمور وفي القيم التي تحكم السلوك وفي التكوين العقلي وفي الموقف من المستقبل . وقد أدى ذلك الى احساس الغرب بالاستعلاء الى الحد الذي رأى فيه امكان جعل الشرق موضوعا لدراسته مثلما أخضعه لحكمه وسيطرته .

والأمر هنا يشبه الى حد كبير الوضع بالنسبة لعلم آخر حديث نسبيا وهو الأنثروبولوجيا (علم الانسان) في بداية ظهوره في القرن التاسع عشر . فقد كان علماء الانثروبولوجيا في ذلك الحين يشعرون كما يبدو من كتاباتهم باستعلاء ازاء الشعوب والجماعات والقبائل التي تعيش في المستعمرات الافريقية والتي كانت تؤلف موضوع دراساتهم ، وقد أطلقوا على تلك الشعوب في ذلك الحين اسم الشعوب البدائية ، ولا تزال هذه التسمية مستخدمة حتى الآن رغم الاعتراف بخطئها وما تحمله من أبعاد لم يعد العلماء أنفسهم يؤمنون بها . ومثلما ظهرت فكرة المجتمع (البدائي) في أنثروبولوجيا القرن التاسع عشر ظهرت

فكرة المجتمع (الشرقى) كمفهوم لا يرتبط فقط بتلك المنطقة من الأرض التى تعرف باسم الشرق وانما يرتبط فى المحل الأول بتصورات معينة عن أسلوب خاص للحياة والتفكير لا يمكن فهمه الا عن طريق مقابلته ومقارنته بأسلوب الحياة والتفكير الغربى . وكان من الطبيعى أن يعكف الغرب متمثلا فى المستشرقين ـ بالمعنى الواسع للكلمة ـ على دراسة هذا الشرق فى ضوء الأوضاع والمفاهيم والافكار والقيم الغربية وأن يتخذ منها مقياسا ومعيارا يحكم به على انجازات واسهامات الشعوب والحضارات الشرقية التى يدرسها هؤلاء المستشرقون ، تماما كما حدث فى الانثروبولوجيا فى ذلك الحين .

وعبارة كبلنج الشهيرة تعبير صادق كما ذكرنا عن الفلسفة التى كانت تسود فى القرن التاسع عشر كله ، والتى كانت تقوم على تصنيف البشر والحضارات والمجتمعات وكل الكائنات تبعا لتصور عقلى عن مراحل التطور التى مر بها العالم . وكان هذا يضع الانسان الغربى والحضارة الغربية فى أعلى درجات السلم المتطور ثم تعيش بقية البشر والحضارات الاخرى الى الانسان الغربى وحضارته تبعا لدرجة الشبه . وليست نظرية التطور التى وضعها داروين الا نتاجا فى آخر الامر لهذه الفلسفة الصادرة من الشعور بالاستعلاء .. استعلاء البشر على بقية الكائنات ، واستعلاء الانسان الغربى على بقية البشر ، واستعلاء الحضارة الغربية على كل الحضارات الأخرى . فهذه الفلسفة اذن هى نقطة الانطلاق فى قيام الاستشراق الذى هو فى جوهره موقف عقلى يقوم على الشعور بالتسامى والاستعلاء من الرجل الأبيض إزاء شعوب الشرق وحضاراته وإنجازاته . ومما له مغزى فى هذا الصدد مايذكره ادوارد سعيد فى كتابه القيم عن الاستشراق من أنه أثناء الحكم البريطانى الاستعمارى للهند كان رجال الادارة من البريطانيين الذين يعملون هناك يتقاعدون فى سن مبكرة نسبيا وهم فى أتم صحتهم وعافيتهم حتى لا تتاح للهنود الوطنيين الفرصة لرؤية الجنس الأرقى فى حالة الشيخوخة والضعف والعجز والمرض فتهتز صورة الرجل الأوربى فى أعينهم ويفقد بالتالى تميزه عليهم . وقد تبدو هذه المسألة بعيدة لأول وهلة عن حركة الاستشراق والمستشرقين . ولكن المبدأ واحد ، وهو مبدأ سيادة واستعلاء الغرب على الشرق .

وعلى الرغم من شيوع كلمة الاستشراق وكثرة ما كتب عن المستشرقين فلا يزال من الصعب وضع تعريف دقيق ومحكم للاستشراق والمعرفة الاستشراقية . ويرجع ذلك الى حد كبير الى تباين الاهتمامات وتعددها كما سبق ان ذكرنا ، فهى كتابات تتراوح ما بين الدراسات العلمية الاكاديمية الموضوعية الى الأعمال الخيالية أو التى تعتمد على الانطباعات الشخصية التى كثيرا ما تكون خاطئة . وحتى لو استبعدنا كتب الرحالة والفنانين والروائيين ومن اليهم وقصرنا الأمر على الأعمال العلمية الاكاديمية الرصينة وحدها فسوف نجد أن مجال الاستشراق لايزال واسعا فضفاضا ومتعدد الجوانب . ولقد كان أغلب

المستشرقين - بهذا المعنى الضيق والدقيق للكلمة - يهتمون أساسا باللغات والآداب الشرقية وبالتراث الشرقى . ثم امتد هذا الاهتمام الى كل مجالات الحياة والفكر وقدموا فى ذلك خدمات جليلة بغير شك ليس فقط فى مجال البحث والتنقيب والنشر والدراسة والتحليل ولكن أيضا ، وربما كان هذا هو الأم فى وضع الأسس المنهجية لدراسة كل ذلك الكم الهائل من الأعمال التراثية فى مختلف فروع المعرفة فالعلم منهج قبل أى شىء .

وسواء أكانت الدوافع وراء ذلك الاهتمام بالشرق دوافع علمية بحتة أو دوافع سياسية واقتصادية فإن حركة الاستشراق على العموم ارتبطت ارتباطا قويا وبخاصة فى القرن التاسع عشر بالغزو الاستعمارى والرغبة فى أخضاع الشرق لنفوذ الغرب . ودزرائيلى نفسه يقول فى إحدى رواياته أن الشرق (مهنة) لأنه كان يفتح أمام الشبان البريطانيين مجالات واسعة للعمل هناك . والواقع أن الشرق كان لفترات طويلة جدا ترجع الى الحروب الصليبية على أقل تقدير وحتى الآن موضوعا للتساؤل والبحث والدراسة ومحاولة فهمه والاقتراب منه وإن كانت بعض هذه المحاولات تعاني من النقص والعجز والوهم والاختلاق والزيف . وقد كانت أعمال المستشرقين فى كثير من الاحيان تمهد الطريق لبسط نفوذ الحكم الاستعمارى على الشرق وتقديم المعلومات الدقيقة التى تساعد على توطيد الحكم تماما كما كان الحال بالنسبة لبعض علماء الانثروبولوجيا وبعض الدراسات الانثربولوجية المبكرة التى كانت تساعد على فهم الشعوب (البدائية) توطئة لارساء قواعد الاستعمار . وعدد كبير من المستشرقين ارتبطوا صراحة بأجهزة المخابرات فى بلادهم وكانوا أدوات وعملاء لها ، بل إن بعض مشاهير المستشرقين تولوا مناصب ادارية فى الدول الشرقية أيام خضوعها للاستعمار أو النفوذ الغربى . وثمة أسماء كثيرة معروفة للقارىء المصرى فى هذا المجال مثل لورانس وفيلبى ؛ ولكن هناك اسماء أخرى قد تكون أقل شهرة ارتبط أصحابها ارتباطا وثيقا بوزارة المستعمرات البريطانية مثلا أو أجهزة المخابرات فيها . ومن أشهر الأمثلة على ذلك العالم البريطاني فى ادوارد هنرى بالمر الذى لعب دورا مهما فى تهدئة مشاعر القبائل فى سينا أيام الثورةالعرابية ولقى مصرعه أثناء ذلك . ومنهم المستشرق البريطاني هو جارت الذى تولى رئاسة (المكتب العربى) فى القاهرة أثناء الحرب العالمية الأولى والذى قام بدور كبير فى الاتصال بالقبائل فى شبه الجزيرة العربية قبل ذلك . كذلك انخرط عدد كبير من كبار المستشرقين فى سلك الجاسوسية أثناء الحرب العالمية الثانية وأصبحوا عملاء للمخابرات البريطانية فى البلاد العربية . وما يصدق على بريطانيا والمستشرقين البريطانيين يصدق على كثيرين غيرهم

● أهداف استعمارية ! ●

وكل هذا معناه أن حركة الاستشراق لم تكن بريئة تماما من الأهداف السياسية الاستعمارية ، وأن الكثيرين من المستشرقين كانوا يسخرون جهودهم بشكل أو بآخر لخدمة المصالح الاستعمارية ، وأنهم أساءوا بذلك استغلال علاقاتهم الوطيدة بالشعوب

والجماعات التى يدرسونها ، ولكن من الانصاف فى الوقت ذاته أن نعترف بأن ما نعتبره نحن جاسوسية لأنه فى غير صالحنا قد تراه شعوب أخرى عملا من أعمال الوطنية لأنه يخدم مصالحها وأهدافها وأن المستشرقين الذين وضعوا علمهم وكفاءاتهم فى خدمة أجهزة المخابرات فى بلادهم كانوا يعتقدون أنهم يقومون بعمل وطنى شريف . وأيا ما يكون اعتقادهم فى ذلك فإن هذا لايعفيهم أبدا من تهمة الخروج على معايير الاخلاقيات العلمية وأنهم تنكروا لمبادىء البحث العلمى وأهدافه مما يلقى ظلالا سوداء كثيفة على الاستشراق ككل رغم كل ما قدمه من إنجازات علمية لايمكن التشكيك فى أهميتها .. والامر كله يكشف فى النهاية بوضوح عن ذلك المبدأ الذى يحكم حركة الاستشراق كلها وهو مبدأ التباين والاختلاف الذى يصل الى حد المواجهة بين الغرب المتسلط والشرق الذى اتخذ الغرب منه موضوعا للدراسة والبحث ، وهذا هو الذى يجعل الكثيرين ينظرون الى الاستشراق على أنه علم استعمارى أو نوع من (المعرفة الاستعمارية) .

وليست المشكلة فى اعتناق المستشرقين ـ أو بعضهم ـ لمثل هذه المواقف أو التعبير عنها فى كتاباتهم . ولكن المشكلة الحقيقية هى فى قبول بعض الشرقيين ـ بما فى ذلك بعض العلماء العرب والمصريين ـ لتلك الاراء والافكار بغير مناقشة بل واعتناقهم لتلك المواقف والتحمس لها والدفاع عنها فى قوة وحرارة على الرغم من أنهم لا يكادون يرون فى واقع الحياة العربية والاسلامية مايعززها . ولاتلبث هذه الافكار أن تترسب وترسخ فى عقولهم ووجدانهم بحيث ينظرون الى مجتمعهم وثقافتهم وحياتهم وتراثهم من خلال أفكار هؤلاء المستشرقين ثم يرون فى آخر الامر ليس على ماهم عليه فى الحقيقة والواقع وإنما على ما أراد لهم المستشرقون أن يتصوروه . وهذه ناحية خطيرة قلما ننتبه اليها فى الدراسات التى نتناول فيها مسائل تتعلق بحياتنا أو ثقافتنا أو تراثنا ، والتى نعتمد فيها رغم ذلك على كتابات المستشرقين فى تلك الموضوعات بدلا من أن نقوم نحن أنفسنا بها من منطلق مصرى عربى اسلامى وننظر اليها بعيون مصرية ونحللها من موقف مصرى وفى ضوء القيم المصرية الأصيلة القديمة العريقة التى تمتد جذورها الى الثقافات المصرية القديمة والقبطية والاسلامية ، ولا يكاد يسلم من هذه التبعية الفكرية الا القلائل ، ففى هذه التبعية الفكرية تكمن الخطورة الحقيقية للاستشراق ولقراءة المستشرقين لتراثنا وقيمنا وتأويلهم لذلك التراث وتلك القيم من زاوية خاصة تخدم بغير شك أهدافا تتلاءم مع مصالح الثقافات التى ينتمون اليها أو على الأقل تعبر عن المبادىء التى تقوم عليها تلك الثقافات .

ولقد أفلحت حركة الاستشراق ـ بالمعنى الواسع للكلمة ـ والذى يضم أعمال العلماء وكتابات الرحالة والمبشرين والروائيين والادباء ورجال الادارة من الغربيين أيام الاستعمار فى غرس الشعور بالدونية فى نفوس الكثيرين بحيث أنهم لم يعودوا يكتفون باتباع المناهج التى

وضعها المستشرقون للدراسة والبحث ، وإنما أصبحوا أسرى لأفكارهم ونظرياتهم وتقييمهم للأمور ، بل أن المسألة أصبحت تتعدى ذلك الى واقع الحياة اليومية ذاتها . ومن الخطأ أن نقنع بتوجيه اللوم والنقد الى المستشرقين الذين خرجوا على مبادىء الحياة الاكاديمية وجعلوا أنفسهم وجهودهم وعلمهم أداة فى خدمة الاستعمار وأجهزة المخابرات فى بلادهم . وقد يكون من الخير بدلا من هذا كله أن نتساءل عن الاسباب التى جعلت هؤلاء المستشرقين يصلون الى هذه الدرجة من العلم التى أمكن لهم معها أن يفرضوا علينا أفكارهم وآراءهم ووجهات نظرهم . فقد يكون فى الاجابة على هذا التساؤل مايدفعنا الى دراسة أوضاعنا وثقافتنا وتراثنا بفكر جديد مفتوح وبعقلية مستقلة ومتحررة من قيود الفكر الغربى وأغلاله .

ولسنا ننكر الجهود التى يقوم بها كثير من العلماء المصريين والعرب والمسلمين فى دراسة مقومات المجتمع القومى والعمل على العودة الى التراث الاصيل والى الجذور القديمة المتمثلة فى الآداب والفلسفات وأصول الحكمة والقيم والتقليد وهى دراسات ، تختلف بغير شك عن تلك التى يقوم بها المستشرقون من حيث إنها دراسات ، تتم (من الداخل) .. وذلك على أساس أن علماءنا هم جزء من تلك الثقافة التى يدرسونها وأن مقومات هذه الثقافة تدخل فى تكوينهم العقلى والوجدانى ، وهم بذلك يمتلكون (الحس) بهذه الثقافات والحضارات والتراث القديم ، وهو حس يساعد بغير شك على الوصول الى فهم أعمق وأدق وأكثر صدقا مما يستطيعه الباحث الغريب وقد أخذ بعض علمائنا يزاحمون بذلك المستشرقين فى دراساتهم وبحوثهم ويقفون منهم موقف التحدى القائم على الفهم الصحيح وهذا التحدى يفرض على تلك القلة من العلماء الذين أفلحوا فى التخلص من التبعية العلمية والفكرية للاستشراق والمستشرقين أن يعملوا على تطوير بحوثهم ودراساتهم وأن يوجهوها الى مسارات جديدة بحيث تحقق أهدافا جديدة لم يكن المستشرقون يهتمون بها . فلقد كان الاستشراق يهتم مثلا بإبراز الخصوصيات ، الضيقة التى تميز الفكر الشرقى - سواء أكان ذلك هو الفكر المصرى أو العربى أو الاسلامى أو الهندى أو غير ذلك - ويدرسها من زاوية الفكر الغربى لتوكيد تلك الهوة الواسعة السحيقة التى تجعل الشرق شرقا والغرب غربا وأن لا سبيل الى التقائهما فى هذه الحدود ، وأن الفكر الشرقى رغم كل مايمكن أن يقال فيه هو فى آخر الامر أقل تطورا ونضجا وأكثر تخلفا من الفكر الغربى ، وأنه فكر محلى يعجز عن أن يخاطب الانسانية ككل . وهذه قضية ينبغى على علمائنا ومفكرينا وكتابنا التصدى لها بحيث يعملون على الكشف عن الاسس العامة للفكر الانسانى كما تتمثل فى حضارتنا ، **وأن هذه الحضارة تخاطب الانسانية ككل ، وإن كانت فى خطابها تنطلق من موقف يختلف بالضرورة عن موقف الحضارة الغربية وأنه إذا كانت الحضارة المصرية بكل أبعادها قد أعطت للعالم من قبل فإنها قادرة على أن تعطى فى المستقبل وطيلة الوقت عطاء كثيرا وعميقا يعبر عن روح مصر وتاريخها الطويل .**

بريسترويكا
بين لونين من المعارضة

بقلم : عبد الرحمن شاكر



إلى أىّ حدّ يصبح الشيوعيون ديمقراطيين ؟

من المقرر ان يلتقي كل من ريجان وجورباتشوف فى موسكو فى ٢٩ مايو من هذا العام ، فهل ينجح هذا اللقاء ويدرك القطبان الكبيران انهما يقودان سفينة واحدة ؟! هذا على الاقل مايسمى اليه جورباتشوف بتاليف كتابه الذى نعرضه هنا .

الى اى حد يصبح الشيوعيون ديمقراطيين ؟!



بيرستوريكا .. كتاب للمستقبل

اذا كان الزعيم السوفييتى جورباتشوف ، يقرر فى كتابه الشهير « بيريسترويكا » ، أو اعادة البناء ، انه « ليست فى بلادنا – أى الاتحاد السوفييتى – معارضة رسمية ، مما يضاعف من المسئولية الملقاة على الحزب الشيوعى السوفييتى بوصفه حزبا حاكما » .. فان الاسابيع الاخيرة قد شهدت تصاعد لونين من المعارضة لهذا الحزب ، أو للسياسة التى يتبعها سكرتيره العام جورباتشوف

أول لون من هذه المعارضة ، هو ما اعترف به الزعيم السوفييتى ذاته ، وهو معارضة « المحافظين » داخل الحزب الشيوعى السوفييتى للسياسة الاصلاحية ، التى يتبعها ويدعو اليها جورباتشوف ، ويقال ان زعيم هذه المعارضة هو « ليجاتشيف » ، الرجل الثانى فى المكتب السياسى للحزب البلشفى ، والمسئول عن المسائل النظرية فى الحزب ، ويقال انه كان وراء بعض المقالات التى نشرت فى جريدة الحزب تدعو الى اظهار مزيد من الاحترام للتاريخ السوفييتى ، والكف عن مهاجمة مرحلة حكم ستالين .. حتى لا تستغل هذه الحملات فى الدعاية الضارة للاتحاد السوفييتى ، وقيل أيضا أن جورباتشوف قد اقصى ليجاتشيف عن موقعه واستبدل به شخصية أخرى أكثر ولاء لسياسة جورباتشوف الاصلاحية التى تتناقض تماما مع سياسة ستالين ، وتحاول أن تكمل ما بدأه خروشوف من تغيير فى تلك السياسة .

أما اللون الثانى من المعارضة ، فهو اللون المتطرف فى اتجاه سياسة جورباتشوف الاصلاحية ، والذى يريد حمل هذه السياسة الى مشارف الليبرالية على الطريقة الغربية ، وقد رددت الانباء أخيرا خبرا عن عدد من الشباب قرابة المائة ، اجتمعوا فى احدى الشقق بموسكو ، وقرروا انشاء حزب معارض للحزب البلشفى ، تحت اسم « الاتحاد الديمقراطى » ، يدعو الى السماح بتعدد الاحزاب على الطريقة الغربية ، واطلاق حرية اصدار الصحف ، ويحرر هؤلاء بالفعل نشرة خاصة يطلقون عليها اسم (جلاسنوست) .. وهى ذات الشعار الذى اطلقه جورباتشوف ، ويعنى به العلنية ، وحرية النقد والتعبير ، وأصبحت هذه اللفظة ، هى وقرينتها (بيريسترويكا) ، التى تعنى اعادة البناء ، على سياسة جورباتشوف الجديدة ، التى يعتبرها هو فى كتابه المذكور ، بمثابة ثورة جديدة ، تكمل ما بدأته ثورة أكتوبر .

أما هذه الجماعة الجديدة المعارضة .. التى تسمت باسم الاتحاد الديمقراطى ، فيقال ان عددا من أفرادها قد ألقى القبض عليهم فى محاولة لمصادرة حركتهم ، ولكن لم

بيريسترويكا



بين لونين من المعارضة

يلحق بهم نكال شديد كالذى كان يمكن أن يحدث لهم فى السابق . ويقال ان من بينهم بعض المنشقين ، وربما يكونون من اليهود الداعين لاطلاق حرية الهجرة من الاتحاد السوفييتى لابناء عقيدتهم ، وحرية نشر الدعاية الصهيونية بينهم ! على أن جورباتشوف فى وصفه لسياسته الجديدة ، التى تقوم على توطيد الديمقراطية فى الاتحاد السوفييتى ، لم يصل فى ديمقراطيته بعد الى اقرار حرية قيام احزاب اخرى خلاف الحزب البلشفى ، او الدعوة الى نظام اقتصادى اخر خلاف النظام الاشتراكى ، وانما يدعو الى المناقشة الحرة ، والسماح بالنقد على جميع المستويات ، والمرونة الاقتصادية، بما فى ذلك السماح ببعض وجوه النشاط الاقتصادى للقطاع الخاص ، مع الاحتفاظ بالسلطة فى « ايدينا » ، اى ايدى الحزب الشيوعى الذى يشغل هو موقع سكرتيره العام ، وكذلك بالصناعات الرئيسية . ويعتبر أن الاحتفاظ بهذين العنصرين ، السلطة والصناعات الكبرى ، هما ضمانة ان لا تتحول البيريسترويكا ، او اعادة البناء ، الى هدم لاسس النظام الاشتراكى ، كما يتهمها معارضو تلك السياسة من المحافظين !

● **السفينة الواحدة :**

لقد الف جورباتشوف كتابه هذا ، وسمح لبعض الناشرين الامريكيين بطباعته بالانجليزية ليكون بمثابة رسالة الى العالم كله ، وكتب فى عنوانه « التفكير الجديد لبلادنا والعالم اجمع » ، والعالم الذى يقصده هو عالم الغرب ، والولايات المتحدة الامريكية على وجه التحديد باعتبارها القوة العظمى الاخرى فى هذا العالم بازاء الاتحاد السوفييتى ، والتفكير الذى يريد أن ينقله الى « الاخرين » هو أن الاتحاد السوفييتى ، والحزب البلشفى الذى يحكم بقيادة جورباتشوف ، يعتبران أن انقاذ البشرية من خطر الحرب النووية بين المعسكرين ، هى المهمة التى تفوق كل ما عداها ، وأن الغرب والشرق معا ، والمعسكرين الاشتراكى والرأسمالى جميعا ، هما شركاء قارب واحد ، لو غرق هذا القارب فسوف يغرق بالجميع ، فالحرب النووية ، خلافا لكل الحروب السابقة ، لن يكون فيهما غالب ولا مغلوب ، بل الحضارة الانسانية كلها سوف تذهب ، يريد جورباتشوف أن يقول للغرب بصريح العبارة انه لا يهمه أن يسود مذهبه العالم ، بقدر ما يهمه انقاذ هذا العالم من خطر الدمار ، وانه قد آن البشرية كلها أن تعى هذه الحقيقة ، وتعى ايضا أن الخلافات المذهبية تأتى فى المرتبة الثانية من الاهمية ، وأن نشوء النظم الاجتماعية المختلفة ، كان وليد الظروف الخاصة بكل بلد ، او مجموعة من البلدان تشكل احد المعسكرين القائمين ، وأن على الجميع أن يعترفوا بحق كل بلد فى اختيار نظامه السياسى والاقتصادى طبقا لظروفه ، ولا يحاول فرض نظامه الخاص ، وأن الاتحاد السوفييتى من جانبه يعترف بالانجازات الضخمة للنظام الرأسمالى فى الولايات المتحدة مثلا ، واسهام هذا البلد فى الحضارة العالمية ، ولا يطلب لبلاده الا اعترافا

مماثلا ، بحيث يكف الساسة الامريكيون عن وصفها بأنها « امبراطورية للشر » ، وأن الطريق الذى اختارته رغم جميع المآخذ عليه ، وهنا يقول جورباتشوف « ان السوفييت قد نقدوا أنفسهم بأكثر مما فعلت أية قوة اخرى معادية او مخالفة لهم — يقول ان هذا الطريق — رغم جميع عيوبه التى يحاولون حاليا التخلص منها — كان وسيلتهم — بما فى ذلك المرحلة الستالينية — الى التقدم الاقتصادى والصناعى والعلمى ، حتى وصلوا الى مصاف احدى القوتين العظميين فى العالم ·

ومادامت المهمة الرئيسية فى بيريسترويكا جورباتشوف ، هى انقاذ البشرية من خطر الحرب النووية ، فلم تعد « الطبقة » التى يتوجه اليها بندائه السياسى هى الطبقة العاملة ، أو البروليتاريا العالمية ، على غرار ما فعل كارل ماركس فى البيان الشيوعى الذى أنهاه بعبارة « ياعمال العالم اتحدوا » ، وانما يتوجه بخطابه الى طبقة أخرى عالمية ، هى طبقة « الانتلجنسيا » ، أو المثقفين والعلماء فى مختلف المجتمعات ، ويرى أن عليهم قيادة فكر العالم وسياسته للنجاة من الخطر النووى ، وأشاد ببعض الجهود السياسية التى بدرت بالفعل من أفراد من هذه الطبقة من مختلف البلدان ، بمن فيهم الاطباء الامريكان والسوفييت الذين كانت لهم مبادرات محفوظة فى هذا الميدان ، ويرى أن مسئولية هذه الطبقة تجاوز الخلافات المذهبية ، وما تنطوى عليه من احتمالات الصدام والصراع ، وبالتالى خطر الدمار الشامل ، الى التعاون الدولى الوثيق فى مواجهة المشاكل الحادة التى تواجه الحياة الانسانية فى مجموعها ، كالامراض المستعصية ، وتلوث البيئة ونقص الموارد الاقتصادية ، والفقر المدقع الذى تتعرض له المجتمعات المتخلفة اقتصاديا · ولا ينسى جورباتشوف فى كتابه أن يذكر الغرب والولايات المتحدة الامريكية بالذات ، بأن العالم يشهد تحولا تاريخيا ليس فى صالح القوتين العظميين ولا المعسكرين التابعين لهما ، فيقول عن الشرق الاقصى انه « من المرجح أن ينتقل مركز السياسة العالمية الى هذه المنطقة فى القرن القادم » ، وواضح انه يشير بذلك الى القوة الاقتصادية المتعاظمة لليابان ، التى تسير حثيثا فى اتجاه أن تصبح هى القوة الاولى فى هذا المضمار ، « وتوابعها » من « العمالقة الصغار » مثل كوريا وتايوان ، واحتمال غير بعيد ان تجد صيغة للتعاون بينها وبين الصين ، فى سياستها الانفتاحية الجديدة ، تساعد على تركيز القوة الاقتصادية والتكنولوجية فى هذه المنطقة من العالم ، الشرق الاقصى ، فى الوقت الذى يستنزف فيه الاتحاد السوفييتى والولايات المتحدة الامريكية ، مواردهما الاقتصادية فى سباق التسلح المحموم، الذى لا ينتج غير احتمال الدمار الشامل ، وبغير هذا الاحتمال فهو خسارة محققة ، لدافع الضرائب الامريكى ، والمستفيد الوحيد منه هم مجموعة محدودة من الاحتكاريين تجار السلاح وأتباعهم من العسكريين

● الهرب من الزيلة :

ولا يخفى جورباتشوف أن الاتحاد السوفييتى له مصلحة أولى حاسمة فى وقف سباق التسلح ، الذى يمثل عبئا باهظا على موارده الاقتصادية ، ويصرح فى أكثر من موضع بأن الغرب والساسة الامريكيين بالذات ، كانوا يتعمدون توريط الاتحاد السوفييتى أكثر فأكثر فى نفقات الاسلحة المتطورة لكى يزداد تخلفا عنهم فى المضمار

بريسترويكا

بين لوثين من المعارضة

الاقتصادى ، ويتمنون أن يصل الى حد الانهيار ، وانهم بدأوا يرجئون عن القاء الاتحـاد السوفييتى فى مزبلة التاريخ !

ذلك أن الغرب قد نجح فى تحقيق الثورة التكنولوجية ، على نحو لم يصل اليه الاتحاد السوفييتى الذى انطلق فى نموه الاقتصادى من مواقع أكثر تخلفا عن الدول الصناعية فى الغرب بكثير، والقت عليه الحروب المتلاحقة أعباء كبيرة حالت دون أن يحقق تقدما يذكر فى غير الصناعات العسكرية لاغراض الدفاع ، بينما لا يزال أمامه الكثيـر فى ميدان الصناعات المدنية ، وقد حاول الاستفادة من التكنولوجيا المتطورة فى الغرب ، ولكن جورباتشوف يصرح فى كتابه بأن الغرب كان ضنينا عليه بهذه المعـرفة ، وأن على السـوفييت أن يكتشفوا طريقهم بأنفسهم ، لانجـاز الثـورة التكنولوجية فى بلادهم وتحقيق النهوض الاقتصـادى على أساسها .

وهذا يقود الاتحاد السوفييتى الى ضرورة تعديل الكثير من أوضاعه ، بما فى ذلك ادخال علاقات السوق الى حيـاته الاقتصـادية ، ولا يتردد جورباتشوف فى الاعتراف بالعيوب الكثيرة التى تفاقمت فى الاوضـاع الاقتصادية فى بلاده وخاصة فى ظل الاستبداد ، وسياسة القمع والاوامر السلطوية ، وقد وصل فى نقـد تلك الاوضاع الى التسليم بالكثير مما كان يردده خصـوم الاشتراكية ، على الصورة التى طبقت بها فى الاتحـاد السوفييتى وغيره من دول العالم ، من سيادة روح التظاهر والتواكل ، والتكالب على المصالح الشخصية تحت سـتار من الجعجعة بالشـعارات الطنانة ، واهدار المـال العام حتى ليبدو وكأنه لا صاحب له ! والتسوية بين الذين يعملون والذين لا يعملون ، فضـلا عن تفشى عوامل الفسـاد والرشوة التى هى ظواهر مصاحبة لتسلط البيروقراطية وامساكها بدفة الامـور فى كل شىء . الامر الذى يقتضى الخـلاص منه فى نظـرية جورباتشوف عن اعادة البناء اعمال الديموقراطية على أوسـع نطاق من أجل كشف العيوب ، والمناقشة الحرة للوصول الى القرار السـليم ، وفى هذا الصـدد يقترح أن تسـترد السوفييتات مكانتها بعد أن صارت فى مجالس شكلية تتولى لجان الحزب اتخاذ القـرارات نيابة عنها ، كما تتخذها أيضـا نيابة عن الادارات الاقتصادية فى المؤسسات الانتاجية ، وبالنسـبة لهذه الاخيرة يطـالب جورباتشوف بأن تطبق فيها سياسة التسيير الذاتى ، وأن يكون لجمـوع القوى العاملة داخلها الحق فى اتخاذ القرارات بشكل ديموقراطى بما فى ذلك اختيار الادارة ، لان هذه المؤسسات بدورها سوف تصبح مسـئولة عن نتائج أعمالها سواء كانت ربحا أو خسارة ، فلن يقبل منها أحد بعد الان أن تنتج سـلعا لا يريدها أحد لكى توضع فى المخازن ، ولن تتحمل الدولة السوفييتية بعد الان مسئولية الفاشلين فى انتاجهـم ، ولا تعويضـهم عن خسـائرهم ، بل عليهم أن يعمـلوا ويحصلوا على ثمرة عملهم ، وفى مرحلة مقبلة سوف لا تتردد الدولة فى اذكاء روح المنافسة ما بين المؤسسات

الاقتصادية المختلفة من خلال طلبات الادارة الحكومية ، توصلا الى أرفع مستوى من الاداء الاقتصادي والكفاءة الانتاجية .

● **فلسفة جديدة :**

ولا ينسى جورباتشوف في شرحه لابعاد فلسفته الجديدة في اعادة البناء أن يشير الى بعض القضايا الاجتماعية ، التي كانت تؤخذ باعتبارها قضايا مسلمة ، مثل المساواة بين الرجل والمرأة في كل شيء ، حقا لقد أثبتت المرأة السوفييتية انها قادرة على القيام بكافة الأعباء العملية التي يقوم بها الرجال ، بما في ذلك الاعمال البدنية الشاقة ولكن الظروف التاريخية للاتحاد السوفييتي ، وخاصة الحرب العالمية الثانية قد وضعت الاتحاد السوفييتي ونساءه في تجربة دقيقة ، حيث مات كثير من الرجال في الجبهة واعتادت السلطات أن تكفل الى النساء القيام بأعمال المفقودين من الرجال ، وكان لذلك أثره على وضع المرأة باعتبارها ربة بيت مسئولة عن رعاية أولادها ، مما انعكس على تربية النشء بصورة سلبية ، وأدى الى نوع من تفكك الاسرة ، وتفشي الادمان على السكر والمخدرات بين الشباب ، مما يستوجب اعفاء المرأة من كثير من أعباء العمل لكي تسترد الاسرة السوفييتية تماسكها .

ويمكن أن يدخل في مضمار القضايا الاجتماعية والانسانية ، ما أشار اليه جورباتشوف من تعقد المسألة القومية في بلاده التي تتشكل من قوميات متعددة وقد أدت الثورة البلشفية الى اعطاء القوميات حقوقا متساوية ، وعملت على احياء التراث الثقافي لها ، ولكن ذلك كما يقرر جورباتشوف قد فتح الباب لاشكال مستحدثة من التطرف القومي (انظر الهلال عدد ابريل الفائت) ، بما في ذلك التساؤل عن مدى استعمال اللغة القومية في المعاملات ، ويضطر جورباتشوف الى أن يضرب المثل بالولايات المتحدة الامريكية ، وكيف أن شعبها يتكون من أبناء جنسيات مختلفة ، ومع ذلك فهم يقبلون جميعا أن يتكلموا بالانجليزية لغة « الاقلية الكبرى » هناك ، ولكن جورباتشوف ينسى أن الذين نزحوا الى الولايات المتحدة قد اختاروا هذا الرحيل والمشاركة في بناء هذا المجتمع المشترك المتعدد الاصول القومية .

أما الاتحاد السوفييتي فكان امبراطورية يحكمها الروس ، وأبناء القوميات الاخرى هناك لم يكن لهم يد في اختيار هذا الوضع الذي فرض عليهم ، ولكنهم يجدون أنفسهم مضطرين الى استعمال اللغة الروسية باعتبارها لغة الاتحاد ، وبعضهم يفكر في الانفصال كما حدث في دويلات البلطيق التي « استردها » الاتحاد السوفييتي بعد الحرب العالمية الثانية ، غير أن سريان مثل هذا التفكير ، وان كان الدستور السوفييتي يقره نظريا ، فان المصالح الاستراتيجية والاقتصادية ، ليس للاتحاد السوفييتي وحده بل للمعسكر الاشتراكي بأسره تجعل « حق الانفصال » هذا حديث خرافة ، وغير بعيد أن تجد السلطات السوفييتية نفسها مجبرة بين الحين والاخر على استعمال أدوات القمع في فرض وحدة البلدان السوفييتية والاشتراكية حتى ولو كان جورباتشوف في نظريته عن اعادة البناء يتمنى أن تستقر هذه الوحدة من خلال الاقتناع الانساني والممارسة الديموقراطية ، في حدود الالتزام « بالوطن الاشتراكي » والايمان به ، وهذا أقصى ما تعد به حتى الان « البيريسترويكا » !



بقلم : د. محمود عبد الفضيل

حسنا فعل الأستاذ طارق البشرى عندما طرح علينا ملاحظاته الثاقبة حول « أساليب الصراع الفكرى » فى تلك اللحظة الحرجة من تاريخ تطور مجتمعنا (راجع : مجلة الهلال ، عددى مارس ومايو ١٩٨٨) ، فقد رصد بحق عددا من الظواهر السلبية التى تحيط بجو الصراع الفكرى والسياسى الدائر فى بلادنا ، لتحرفه عن مساراته الأساسية وتفتت من جهد وطاقة الجماعات السياسية المتصارعة وتغرقه فى دوامات لا تقود بالضرورة الى نهضة أو تقدم

وإذا كنا نتفق مع الكاتب على أن قائمة رصد المشكلات التى يواجهها المجتمع المصرى فى اللحظة الراهنة هى قائمة تكاد تكون سليمة ومتفق عليها من جانب القوى المختلفة المتصارعة ، فإننا نختلف معه حول أن تكون قائمة رصد الحلول هى الأخرى سليمة وموضوع اتفاق عام .. وإن المشكلة انما تكمن فى مجرد توصيل الخيوط بين كل من بنود القائمتين . فكل من يعايش عملية الصراع الفكرى والسياسى التى تدور رحاها هذه الأيام .. يعلم أن هناك خلافا حادا ومشتعلا حول تشخيص قائمة الحلول المقترحة للمشاكل القائمة . ولذا فإن أبعاد الازمة الراهنة ..

تتجاوز بكثير مجرد توصيل الخيوط بين بنود القائمتين ، إذ أن جزءا هاما من عملية الصراع الفكرى والسياسى تتمحور تحديدا حول الاختلاف فى مناهج الحل لمشكلات المجتمع المصرى .

وهذا يزيد من خطورة الأمر ويزيد من حجم الصعوبات والتحديات التى تواجه أساليب إدارة الصراع الفكرى فى مجتمعنا .. بما تحمله من مخاطر تبديد طاقاته فى حروب فكرية ضروس لا تفضى سوى إلى مزيد من التطرف والخندقة الفكرية ، وتغليب التناقضات الثانوية على التناقضات الأساسية . ولذا نجد الكاتب يؤكد على أن جهود « التسوية الفكرية » المطلوبة تقتضى « جهدا فكريا ينزع خواص التنافى بين الاتجاهات الفكرية الغالبة الشاغلة للساحة الجماهيرية » . ولكننا يجب أن نحذر منذ البداية بأن عملية « نزع خواص التنافى بين الاتجاهات الفكرية الغالبة » ليست عملية جراحية بسيطة بل معقدة ، لأن « خواص التنافى » ليست مشتقة من ساحة الفكر .. بل هى موجودة ، وبشكل أساسى ، فى الواقع المعاش وتفرزها تناقضاته وطبيعة تطوراته .

القضية المطروحة إذن هامة وخطيرة ، ويجب أن تأخذ حقها من المناقشة والتأمل فى ظل حالة التناحر الفكرى والشرذمة السياسية التى يعيشها مجتمعنا .. فى لحظة تتعاظم فيها التحديات وتتدنى فيها مستويات الاستجابة لتلك التحديات .. وتدلهم فيها عناصر الأزمة .

وإذا كنا بصدد الحديث عن التسويات الفكرية وفتح الحدود الفكرية بين التيارات الفكرية والسياسية المتصارعة على الساحة المصرية ، دعونا نتساءل من ذا الذى يبادر باغلاق الحدود الفكرية واغلاق باب الاجتهاد والحوار ؟ فى تقديرى ــ ولعلى لا أكون مغاليا فى ذلك ــ أنهم ممثلو تيار « الاسلام السياسى » ومن يشايعه . فلقد شهدنا خلال السنوات الأخيرة تراجعا واضحا فى روح التسامح الفكرى والمذهبى من جانب ممثلى هذا التيار ، فعلى سبيل المثال ، نجد أن أحد أبرز ممثلى حركة الاخوان المسلمين فى ثوبها الجديد ، الأستاذ « مصطفى مشهور » يجيب على تساؤل البعض :

هل يقصد الاخوان بدخول مجلس الشعب مجرد المطالبة بتطبيق الشريعة الاسلامية والعمل على اكتساب أكبر عدد من الأصوات للموافقة على التطبيق ؟

نجده يجيب على هذا التساؤل الهام بقوله :

« لا فشريعة الله لايجوز ، بل لا يحل لنا أن نعرضها ليؤخذ عليها رأى البشر أيا كانوا بالموافقة ، أو عدم الموافقة ، إن



شريعة الله نزلت لتطبق وليلتزم بها المسلمون طاعة وعبادة الله ، ومن يرفضها ويعتقد أنها لا تصلح يعتبر مرتدا إن كان مسلما ويستتاب ، وإن لم يتب يقام عليه حد الردة » (راجع : جريدة الشعب ، العدد ٣٨٢ الصادر بتاريخ ٢٤ مارس ١٩٧٨) . وتلك لهجة تغلق الحدود الفكرية بين التيارات المختلفة خصوصا إذا ما قورنت بكتابات إسلامية أصولية تتسم بروح الاجتهاد والحوار والانفتاح مثل كتابات الامام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا مؤسس مجلة المنار ، باعتبارها مجلة تهتم بشئون المجتمع والعمران .. حيث كان الاهتمام ينصب على أساسيات الأمور وليس سفاسف الأمور وصغائرها . ولعل المتصفح لها اليوم يعجب لتقدمها فى طرح قضايا عصرية محلية وعالمية وكونية برؤية رحبة تتضاءل بجوارها ما تحويه العديد من الدوريات والاصدارات الاسلامية الجديدة فى مصر اليوم .

وفى الوقت الذى يفتتن فيه بعض عناصر وفصائل التيار الاسلامى بقوتهم فيغلقون الحدود الفكرية ويلوحون بتطبيق « حد الردة » على كل من يخالفهم فى الرأى والاجتهاد ، نجد أن المفكرين الاسلاميين الذين يدعون للحوار والأخذ بأسلوب « التسويات الفكرية » هم أصحاب الصوت الأكثر خفوتا فى الشارع الاسلامى . ومن هذا الاتجاه نجد مفكرا إسلاميا بارزا مثل الدكتور أحمد كمال أبو المجد يؤكد على « أن إقامة أحكام الاسلام فى عصرنا تحتاج الى اجتهاد عقلى كبير ، وللعقل سبيل إلى ذلك لا يسع عاقلا إنكاره ، فالنصوص - قرآنا وسنة - محددة متناهية ، والحوادث متجددة غير متناهية .. وحركة الزمن سنة من سنن الله ، وحركة التشريع علاقات تلك الحركة أمر من أمر الله » (راجع : « د . كمال أبو المجد ، حوار لا مواجهة ، كتاب العربى ، إبريل ١٩٨٥ ، ص ٤١) .

إننا لا نريد أن نستخلص من ذلك أن التيار الاسلامى هو التيار الوحيد الذى يمارس عملية غلق « الحدود الفكرية » .. فهناك ممارسات فى هذا الاتجاه من جانب القوى الأخرى ، ولكن عندما يستخدم الدين من جانب إحدى القوى السياسية كأداة لتكفير الخصوم السياسيين ومصادرة الحوار باسم عدم « الشرعية الدينية » تكون المسألة اكثر خطورة ، ومستقبل « التسويات الفكرية » المطلوبة أكثر إظلاما .

● أزمة المجتمع المدنى

ليس هناك من شك فى أن المجتمع المصرى عموما والمجتمع المدنى بصفة خاصة يمر بأزمة حادة ، هى أزمة « وجدانية » بالدرجة الأولى . ولقد تحدث البعض عن « صحوة المجتمع المدنى » خلال السنوات الأخيرة كظاهرة صحية ، ولكن فاتهم أن تلك « الصحوة » هى صحوة مأزومة تحوى فى طياتها روح الفرقة والتشقق ... ويضيع فى خضم الصراعات والمقارعات الخط الرئيسى للنهوض والتقدم ، الذى يجمع شتات الأمة ويضم قواها الاجتماعية والسياسية

الحية . فمازلنا حتى اليوم ـ وبعد مرور أكثر من عشرين عاما ـ نلعق جراح هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، وتستخدم واقعة تلك « الهزيمة » كأداة لمصادرة المستقبل بجريرة الماضي ، ولاسيما من جانب القوى « الليبرالية الجديدة » ، وعلى رأسها حزب الوفد الجديد ، تلك القوى التي تسعى للثأر من ثورة ٢٣ يوليو في الجبهة الاجتماعية والاقتصادية تحت ستار كثيف من الدخان يتعلق بمثالبها في الجبهة السياسية والديمقراطية .

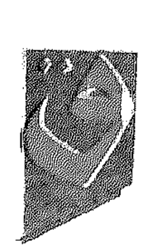
ولذا فاننا لا نغالي ، كثيرا إذا قلنا أن السنوات الأخيرة قد شهدت نوعا من إندلاع الحرب الأهلية الفكرية في مصر ، حيث ازدادت عمليات الخندقة الفكرية والانغلاق المذهبي .. وتآكلت « المساحات الوسطية » التي كانت تسمح بالتأليف بين القلوب والافكار والعمل السياسي الفاعل . فلم يعد يهتم كل فريق « متصارع » بمعايشة وفهم المنطق الداخلي للرأي المخالف ... بل جرت العادة الذميمة على تشويه منطلقات الرأي الآخر ومناقشتها بأسلوب « كاريكاتيري » مبتسر .

وليس هناك من شك أن قوى خارجية (إقليمية وعالمية) تلعب دورا هاما ونشطا في تأجيج نيران الصراعات الجانبية ... وسكب الزيت على نيران الصراعات القائمة في المجتمع المصري إذ إن العديد من مؤسسات « المجتمع المدني » القائم لم تنج من شبهة الاختراق خلال السنوات الأخيرة ، وهذا يؤثر بدوره على أسلوب إدارة الصراع الفكري في مجتمعنا ... ويعطي دورا أكبر لما أسماه طارق البشري « رجال الأمن الفكري » الذين « يجوبون خلال الديار مفتشين عن كل ما يتعاطف مع الطرف الآخر فيقصونه ، دعما وتأكيدا للمفاصلة الفكرية والقطيعة بين الأطراف المتصارعة » . وهؤلاء هم في واقع الأمر ليسوا رجال « أمن » .. بل رجال « تخريب » و « تأليب » ... يدفعون البلاد نحو « فتنة كبرى » .. لايعرف منتهاها .

ولقد تزايدت عمليات بناء التحصينات والسدود من جانب كل فريق حول موقعه الفكري ، واحاطته المعتقدات الفكرية والسياسية بجو من الأسطورية والمثيولوجيا يضفي عليها « قداسة مصطنعة » .. يؤثر بلا شك على نمط الجدل الفكري والسياسي ، ويقود فقط إلى نوع من « المراوغة الفكرية » .. وتلك ظاهرة لها جذور محددة في حياتنا وتراثنا الفكري .. حيث هناك نزعة (فض التأليف الجدلي بين الاشياء والأفكار .. ووأد روح الشك المنهجي في مجال البرهنة على المقولات والأفكار .

ولعل طارق البشري قد وضع أصبعه على آفة هامة من آفات الصراع الفكري في بلادنا ألا وهي إدارة الصراع الفكري بين الأطراف المختلفة على مستوى العموميات والمقولات المجردة ، دون محاولة الاقتراب من الظروف الواقعية الملموسة لتطبيق تلك الافكار . فقلما يحفل أي من الأطراف المتصارعة « بجرد المحتويات التطبيقية لكل فكرة نظرية وبيان المفاد الواقعي لكل فكرة مجردة » ، أو رد كل فكرة إلى عناصرها التطبيقية .

إذ إن استمرار الصراع عند مستوى العموميات والمقولات المجردة ، بغض النظر عن المحتوى التطبيقي لتلك



المقولات ، يؤدى إلى مزيد من الاظلام والضباب الفكرى ، ويساعد على خلق نوع من « اليقين الزائف » لدى أنصار هذا التيار الفكرى أو ذاك .... الأمر الذى يتعثر معه فتح الحدود الفكرية بين التيارات المختلفة المتصارعة . ولعلنا لانغالى كثيرا إذا قلنا أن المنطقة العربية كلها قد دفعت ثمنا باهظا لادارة الصراع الفكرى بين التيارات المختلفة على مستوى « الشعارات » دون السعى لتفصيل كيف يمكن تشغيل وتطبيق تلك الشعارات فى الواقع فعندما يتم الوصول الى السلطة ، ويواجه اصحاب هذا التيار أو ذاك تضاريس الواقع وجها لوجه .... تضطرب الافكار والشعارات وتترنح ... بل تتهاوى ، ليحل محلها أسلوب « التجربة والخطأ » بما يجره على الشعوب من ويلات وكوارث ونكبات .

ولعل المثلب الثانى المشتق من أسلوب إدارة الصراعات الفكرية حول قضايا مصيرية على مستوى « الشعارات العمومية » هو الارتكان للكسل الفكرى وضعف روح الاجتهاد والتجديد والابتكار . فعندما ترفع بعض القوى السياسية شعار « الاسلام هو الحل » أو « القطاع الخاص هو الحل » أو « الاشتراكية هى الحل » . يظل المحتوى البرنامجى لتلك الشعارات غامضا ومطاطا .... و فى غياب الاجتهاد والتجديد الفكرى يتم الانكفاء على تجارب وتراث « السلف الصالح » ، أو النهل من « تجارب الغير » .

إن هذا النهج السلفى فى إعطاء مضمون للشعارات المرفوعة من جانب القوى السياسية ، هو نهج عام يكاد يطغى على الخطاب السياسى لكافة القوى السياسية فى اللحظة الراهنة .

فالذين يرفعون شعار « الدولة الاسلامية » لا تصدر عنهم اجتهادات واضحة بخصوص واقع ومشاكل المسلمين اليوم ، بل يبحثون فى خزانة الفقه القديم لكى يردوا على التحديات التى يفرزها الواقع المعاصر . والذين يرفعون الشعارات الليبرالية اليوم لا يجدون خير برهان أو دليل على صحتها وجدواها سوى الحديث عن امجاد ثورة ١٩١٩ وكرامات مصطفى النحاس والسلبيات الديمقراطية لتجربة ثورة يوليو .. دون التصدى لمشاكل تشغيل « النموذج الليبرالى » فى ظل تضاريس الواقع الاجتماعى والسياسى للمجتمع المصرى فى الثمانينيات . فعلى سبيل المثال ، كيف يتم التعامل « الليبرالى » مع مشاكل القطاع العام ، وكيف يتحدد دور القوات المسلحة فى إطار نظام حكم « ليبرالى » ، وماذا أعدت الدولة « الليبرالية » لحل مشاكل الحياة للطبقات الفقيرة ومحدودة الدخل ؟ "

كذلك نجد أنصار الفكر الناصرى يعيشون ، فى معظم الأحوال ، على اجترار منجزات الفترة الناصرية ، دون بذل الجهد اللازم لما يمكن أن يقدمه الفكر الناصرى اليوم بعد أن تدفقت مياه كثيرة فى النهر وبالمثل نجد لدى

أنصار الفكر الاشتراكى ارتكانا مبالغا فيه الى حصيلة التجارب السابقة لبناء الاشتراكية فى بلدان أخرى وفى ظروف تاريخية مغايرة ، دون محاولة استخلاص الدروس المستفادة من مشاكل وعثرات بناء الاشتراكية فى مصر وغيرها فى البلدان .. كذلك نلمس نوعا من الاستخفاف بالتحديات التى يواجهها الفكر الاشتراكى فى مجتمع تشوهت فيه قيم ومبادىء الاشتراكية بفعل الدعايات المختلفة ، من جانب وبفعل الظروف الموضوعية التى أفرزتها الحقبة النفطية وما صاحبها من هجرة وبترو - دولارات ، من ناحية أخرى . فلم يعد هذا الفكر فكرا خالصا نقيا كما كان الحال فى العشرينيات والاربعينيات ... بل غدا فكرا معاشا مجربا ، بما له وما عليه من تبعات .

ولهذا فإن أزمة الصراع الفكرى الدائر الآن على جبهة الثقافة والسياسة والاقتصاد فى مجتمعنا تعود الى أنه حوار لايحتكم الى « الواقع المعاش »

.. بل إلى « النصوص » . وهذا يقود الى منزلق هام للفكر السياسى والاجتماعى فى بلادنا ، يتمثل فى ربط الأفكار والمقولات بظرف تاريخى زمانى او مكانى قد لا يتكرر . وهكذا يدخل الصراع الفكرى والصراع السياسى عموما فى مأزق يصعب الخروج منه ، لأن الحوار السياسى يصبح أشبه « بحوار الطرشان » . ومادام الاحتكام هو إلى النصوص وليس الى الواقع ، فسرعان ما تزداد الفرقة الفكرية والتشرذم السياسى ، حيث يتم الخلط بين الأصول والفروع والأساسى والثانوى والعاجل والمؤجل .

ولعل الانقسامات الداخلية الحادة التى تعيشها التيارات الاسلامية والناصرية واليسارية هى خير دليل على حالة التشرذم الفكرى هذه ، إذ تعكس « الذاتية الفكرية » لكل فريق أو فصيل نفسها فى شكل تمايزات تنظيمية وسياسية . وهى « ذاتية » وليدة العزلة وضعف الممارسة الاجتماعية .. فعندما يختل « الميزان السياسى » يختل « الميزان الفكرى » .. وليس العكس كما يعتقد البعض . إذ إن « الميزان الفكرى » ليس ميزانا معلقا فى الهواء .. بل لابد له من أن يلامس تضاريس الواقع ، وإلا أصبح دليلا ونبراسا لحلقة صوفية .. وليس دليل عمل ونهضة لحركة سياسية فاعلة .

وإذا كان هناك حراس « للحدود الفكرية » .. فهناك أيضا أصحاب « للدكاكين الفكرية » ، المولعون بلعبة التمايز والذاتية الفكرية والشرذمة السياسية ، ويدفعون الصراعات الى المسارات الجانبية بعيدا عن الطريق العمومى للنهضة .. حتى ينتهى الأمر بافلاس لكافة الدكاكين (المشهرة وغير المشهرة) ... وإفلاس الحياة السياسية والديمقراطية .

● « الكتلة التاريخية » ومشروع النهضة الوطنية

ينعى طارق البشرى فى دراسته حالة التشتت والتجزؤ التى تعيشها البلاد فى تلك الفترة الحرجة من تاريخها ... وخطورة خلق وحدات كفاح جزئية تؤدى إلى تشتيت التجمع الكفاحى العام . ولكنه



يعود ليؤكد فى الجزء الأول من الدراسة : « أنه من الخطأ أو من عدم الدقة أن نتصور أن هذا الشاغل الذى يشغلنا يتعلق بما يسميه البعض « الجبهة السياسية » .. إنه أهم من ذلك وأخطر ، لأن يتعلق بتوثيق عرى التماسك فى بنيان الأمة ، إنه يتعلق برتق الفتوق فى قماش الأمة لتقوى أشرعتها فى مواجهة الرياح .. إنه يتعلق بتكوين التيار السياسى الحضارى الغالب فى أمتنا » .

ولعل الكاتب هنا يتحفظ على صيغة « الجبهة » باعتبارها تركيبة كيميائية ، بين عناصر شتى ، لا ترقى لمستوى التحديات التى يمكن أن تتعامل معها الحركة الواحدة الجامعة ، مثلما كان الحال مع الوفد فى لحظة هامة من تاريخ الكفاح . والجهاد الوطنى . ولكن الدعوة الى الحركة الواحدة الجامعة فى المجتمع المصرى اليوم تحمل فى طياتها العديد من المحاذير ، لعل أهمها طمس التمايزات الفكرية والسياسية للقوى المختلفة لحساب ما يسمى « بالتيار الغالب » . ومن ناحية أخرى ، فنحن نعتقد أن المجتمع المصرى قد قطع شوطا طويلا فى مجال التمايز الطبقى والاجتماعى والأيديولوجى منذ العشرينيات ، لدرجة يصعب معها الحديث عن تلك الحركة الواحدة الجامعة .. دون أن ينطوى ذلك على درجة ما من درجات القسر والقهر .. وفرض سيطرة وهيمنة إحدى القوى ـ التى تدعى لنفسها الغلبة ـ على بقية التيارات الفاعلة فى المجتمع .

ولكن قضية بناء الجبهة بين القوى السياسية المختلفة الساعية للنهضة والتقدم ليست بالأمر اليسير ، فرغم التمايزات الفكرية واختلاف مناهج الحل .. يمكن البحث دوما عن مساحة للاتفاق حول رؤية استراتيجية محددة لمهام التحرر والبناء المنوطة بمرحلة معينة ، بحيث تتوحد القوى ـ رغم تمايزاتها ـ حول برنامج عام لا تشوبه شبهة التحالف التكتيكى المؤقت الذى تحكم اعتبارات آنية .. إذ أنه رغم اختلاف المنطلقات العقائدية والرؤى السياسية هناك قضايا ملحة على جدول أعمال المستقبل مثل : التنمية المستقلة ، حل مشكلة الديون الخارجية ، تحقيق العدل الاجتماعى ، التصدى للمخططات الصهيونية .

إن القضية المطروحة اليوم وبإلحاح على جبهة الفكر والسياسة الوطنية هى تجميع تلك القوى التى يمكن أن تشكل نقطة التقاء بين برامج قوى عديدة ، تلك « الكتلة التاريخية » من القوى الوطنية والديمقراطية التى تقف على أرض التراث وتتعامل معه بألفة وحب ... وتنهل منه بلا حدود ـ ولكن دون أن تحبس نفسها فى قوالب « فكر الاسلام السياسى » وحده ، متجاوزة بذلك الصراع بين « الموروث والوافد » ، فى إطار ثقافة وطنية خلاقة متطورة .. تتفاعل مع معطيات وحركة الواقع المعاصر .. بلا جمود وبلا تغريب .



الحضارة الجديدة

حضارة التنوع والتميز

بقلم : حافظ أحمد أمين

عندما تكون احدى قدمينا فى الماضى والاخرى فى المستقبل ، وتكون الفجوة بين القدمين شديدة العمق والاتساع ، نشعر فى أعماقنا بالخوف والاضطراب ، ويكثر عدد المسكين بالماضى والمتعصبين لتقاليد الاجداد خشية عدم القدرة على اتمام الوثبة .. لهذا فان الكتابات التى تضىء لنا هذه الفجوة ، كتابات ذات نفع كبير ، والفنون التى تمدنا بالقوة والشجاعة لنجاح الوثبة ، فنون تستحق الاحترام والتقدير .

فى هذا العصر ذى التغيرات العنيفة والسريعة ، علينا أن نتعلم معنى « التخطيط المرن » ، وكيفية حل المعادلات متعددة المجاهيل ، ذلك اذا أردنا أن نجمع بين النظرة العلمية للامور ، والمرونة اللازمة لمواجهة التغير المستمر .

كذلك علينا ، فى عصرنا هذا ، أن نتعايش مع الامور غير المؤكدة ، وأن نصادق التوقعات غير المنظورة ، حتى لا نهلع أو نجزع من المفاجآت .

ولعل من أهم مظاهر الحكمة فى أيامنا هذه ، أن ندرك أيضا أن نمط الحياة الذى يؤدى الى نجاح هذا الشخص أو ذاك ، ليس بالضرورة هو النمط الذى يؤدى الى نجاحنا وتفوقنا .



ان ادراك مدى الاختلاف بين الناس فى الحضارة الجديدة ، ومصـــابقة التوقعات غير المؤكدة ، وتعلم التخطيط المرن ، امور تحتاج الى جهد شـاق ، وذكاء شديد ، ومرونة فائقة ، ولكنها تستحق كل ما يبذل لها من جهود ، فهى التى تملأ الحياة ببهجة التنوع ، وحلاوة التميز ، وهى التى تسعد الانسان الشجاع المبدع ، الذى يتطلع الى الحركة والتغير ، ويكره الركود والجمود والتقليد ٠

عندما نقـول اننا نعيش فى عصر الانتقالات العنيفة ، فنحن لا نعنى تلك الانتقالات التى عرفها الانسان طوال تاريخه : كالانتقال من حالات الانتعاش الى حالات الانكماش ، أو من عهود الانغلاق الى عهود الانطلاق ، أو من الكبت والكساد الى التحرر والرواج ٠٠ الخ ٠٠ فكل العصور بهذا المعنى عصور انتقال ، والطبيعة لم تتوقف طوال التاريخ عن مفاجأة الانســان بالقحط والجفـاف ، أو بالســيول ، والفيضانات ، أو بالزلازل والبراكين ٠

مفاجآت دائمة ، يرجع الانسان ـ بعد زوالها ـ الى حالته الاولى ٠

فخلال الحضارات الزراعية ، التى دامت آلاف السنين ، ورغم ما واجه الانسان فيها من متغـيرات عنيفة ، فقد ظل معظم الناس يعيشـــون حياة شديدة التماثل : يستيقظ الانسان كـل صباح مع شروق الشمس ، ويظل يكدح مع دوابه حتى غروبها ، يعيش وسط أسرة كبيرة ، تضم الاجداد والاحفاد والاعمام والاخوال ، ويحدد هويتـه ـ منذ ولادته حتى وفاته ـ دينه وقريته وأسرته ٠٠ وهكذا ٠

شكل من الحياة لم يتغير لمدة آلاف السنين ، فرضته الاغلبية من الفلاحين على غيرهم من الاقليات : تجارا ٠٠ وصناعا ـــ وموظفين ٠

وخلال الحضارة الصناعية ، التى دامت فى الغرب نحو ثلاثة قـــرون والتى امتلأت كذلك بالمتغيرات العنيفة، ظل الناس يعيشون أيضـــــا حيـاة متمـــاثلة : ساعات العمل تحـددها ورديات المصانع ، يمكث الانسان طول عمره يؤدى عملية ميكانيكية واحـدة أمام الآلة ، يعيش فى أسرة صغيرة ، تضـــم اثنين أو ثلاثـــة أبناء مع الوالدين ، أما الاعمـــام والاخوال والاصهار ، فمن الصعب التعرف عليهم واذا بلغ الابن أو الابنة حوالى سـن السادسة عشرة ، ترك المنزل ـ وربما المدينة ـ بحثا عن عمل ٠ وتتحدد هوية الفرد فى هذه الحضارة بشهادته الدراسية ومهنته وحزبه ٠٠ وهكذا ٠

شكل من الحياة ، ظلت الاغلبية من العاملين فى الصناعة تفرضه على غيرهم من الاقليات : فلاحين وتجارا وموظفين ٠

طوال تاريخ الانسان ظلت الاغلبية تفرض نظمها وعقائدها وعاداتها على الاقليات ، الى أن جاء الوقت الذى لم تعد هناك اغلبية ٠

تناقص عدد الفلاحين نتيجة لميكنة الزراعة وانتقالهم للعمل فى المصانع ، ثم تناقص عدد عمال الصناعة نتيجة لاستخدام الاجهزة الالكترونية بها ٠ وبانتهـــاء غلبة مهنة الصناعة ، كما انتهت غلبـــة مهنة الزراعة ، انتهت لاول مرة فى التـــاريخ ـ غلبة نظم وعقائد وتقاليد معينة ، تفرض نفسها على الجميع ٠

لاول مرة تعيش الجمـــاعات ، من مختلف المهن والقيم والعادات ، جنبا

الى جنبه • كل جماعة تعيش كاقلية ، ولكنها اقلية محترمة مكرمة ، لسبب بسيط ، هو انه ليس بجانبها اغلبية •

نعم ! فى الحضارة الجديدة ، حضارة التنوع والتميز ، لم يعد هناك شيء يفرض على الانسان هويته ، كل فرد أصبح يصنع كفاءته ومهارته ، ويحدد نوع عمله وأوقاته ، ويرسم خططه وأهدافه ، ويقرر شكل اسرته وعلاقاته بأقاربه ، ويغير حياته كلما تغيرت البيئة والظروف ، وهو امر قد لا يطيقه الانسان الذى تعود على ان يقوده غيره ، وتسيره الاصنام من داخل رأسه •• ولكنه بالنسبةللانسان المبدع ، المتطلع الىالحرية ، امر شديد الروعة والجمال •

لم يقتصر الانقلاب الذى فعلته الاجهزة الالكترونية الحديثة على انقاص عدد المشتغلين فى الصناعة وبالتالى على تعدد المهن وتنوعها ، وانما ساهم هذا الانقلاب أيضا فى تقديم المنتجات المتنوعة والخدمات المتباينة ، بدلا من المنتجات المتماثلة والخدمات النمطية •

المنتجات الصناعية والمساكن والمأكولات اصبحت كثيرة الاشكال والالوان ، وبرامج الاعلام ومناهج التعليم لم تعد ذات شكل نمطى واحد ، او ساعات محددة • أجهزة التليفون لم تعد كلها سوداء ، وأحواض الحمامات لم تعد كلها بيضاء •• ومشاهدة فيلم سينمائى لم تعد تبدأ دائما من السادسة او التاسعة مساء • وربة البيت لم تعد تخصص يومامعينا للغسيل •• وهكذا •

ساعات العمل لم تعد ثابتة جامدة ، والتخطيط لم يعد نجاحه معتمدا على صرامته • الانسان لم يعد فى عمله ترسا يحركه النظام كما يشاء ، او رقما يفعل به رئيسه ما يريد •

كل شيء فى حضارة التنوع والتميز أصبح يتسم بالمرونة والسماحة والبعد عن التعصب •

وقد فرض هذا التزايد فى التنوع والاختلاف ، اهتماما متزايدا فى جمع المعلومات : عن رغبات الناس وتطلعاتهم ، وعن مهاراتهموامكانياتهم، وعن أفكارهم وتصرفاتهم ، ومن هنا يحلو للبعض أن يطلق على الحضارة الجديدة اسم « حضارة المعلومات » ، ليس لغلبة الذين يعملون فى مهنةجمع المعلومات وتصنيفها وحفظها واسترجاعها والاستفادة منها ، ولكن لاهمية هذه المعلومات فى تحديد انواع الانتاج والخدمات ، وفى توظيف الاموال والكفاءات ، وفى حفظ الامن وقياس االرأى العام • الخ •

نعم ! حضارة جميلة رائعة ••• ولكن •••

هل سيكون من السهل على الناس، التنازل عن مهارات اكتسبوها خلال سنوات طويلة من حياتهم ، واحراز مهارات جديدة ؟

هل سيسهل عليهم التخلص من تعصبات نشأوا عليها ، وعادات توارثوها عن أجدادهم ؟

هل من السهل أن يفكر الانسان بنفسه ، ويتخذ القرارات المناسبة لظروفه ؟

ان الانتقال الى الحضارة الجديدة يحتاج الى تدريبات شاقة عنيفة ، حتى يخرج الانسان من حالة التخلف ، تلك الحالة التى نتجت عن طول غلبة الحياة الزراعية ، وغلبة عقائدها وتقاليدها ، ثم غلبة الحضارة الصناعية ، وغلبة نظمها وقيمها •

نعم ! سيحتاج الى جهود جبارة ، لكى يتحرر من الاصنام التى تشكلت داخل رأسه ، عن طريق ميراث طويل، اعتاد الاجداد تقديسه •



مخاطر الحرب الذرية

بقلم : د. عصام الدين جلال

غيرت الاسلحة الذرية ابعاد الحروب تغييرا جذريا فهى اولا تمثل تركيزا للقوة التدميرية فى سلاح واحد او عمل عدوانى واحد ، او لحظة زمنية واحدة تفوق الخيال .

فالقنابل الذرية التى القيت على هيروشيما ونجازاكى سنة ١٩٤٥ مثلت كل منها قوة انفجارية تعادل ٢٢ الف طن ديناميت،وهى تمثل اقزاما صغيرة بالنسبة للاجيال الحالية من القنابل الذرية ومع ذلك تسببتا فى القتل الحالى لـ ٢٠٠ر٠٠٠ ضحية والقتل المؤجل لـ ٢٠٠ر٠٠٠ ضحية اخرى والتشويه لـ ٢٠٠ر٠٠٠ اخرين ويبلغ عدد القنابل او الرءوس الذرية كما تسمى حاليا اكثر من ٥٠٠٠٠ رأس وقنبلة بعضها له طاقة تدميرية من العديد من ملايين الاطنان من الديناميت ويقدر ان القوة الانفجارية لكل هذه الاسلحة الذرية يصل الى ١٥ الف مليون طن ديناميت أى كل انسان (بما فيهم الاطفال) مخصص له ما يعادل اكثر من ٣ اطنان من الديناميت لضمان استئصاله وبيئته ومستقبله والاجيال التالية له .

والاسلحة الذرية لا تحقق هذه الدمار المخيف بقوتها الانفجارية الضخمة ولكنها ايضا تحدث كرة هائلة من اللهب تحرق كل ما تلمسه ثم هى تصدر دائرة اوسع من الاشعاعات التى لا تسبب فقط الموت البشع ولكنها تسبب التشوهات والاثار الكامنة التى يتأتى عنها مستقبل مظلم من الامراض الخطيرة كالسرطان وتشوه الاجنة فى الاجيال القادمة ومن ثم تمتد اثارها جغرافيا وزمنيا ابعد من اى تصور سابق لابشع الاسلحة ..

ويمكن لقنبلة واحدة متوسطة قوتها (مليون طن ديناميت) ان تدمر كل شيء في دائرة مساحتها ٥٤ ميلا مربعا وتحفر حفرة مساحتها ٣٠ فدانا وعمقها ١٠٠ متر وتقذف في الفضاء ، بـ ٥٠٠٠٠٠ طن من التربة ومحتوياتها و كل هذا يحدث من الانفجار الذى لا يستهلك الا ٥٠٪ من طاقتها في شكل انفجار اما كسرة النار والتى تستهلك ٣٥٪ من طاقة هذه القنبلة فيمكنها ان تشعل بلهيبها كل ما يغطى مساحة ١٣٠ ميلا مربعا وبالطبع تنتشر هذه الحرائق وتتسع فيما بعد حسب الاحوال الجوية والبيئة ٠

أما الاشعاعات الذرية المدمرة فلا تمثل اكثر من ١٠٪ من طاقة الانفجار بعضه في شكل موجة حالية من الاشعاع المركز وبعضها في شكل رزاز متساقط على مدى زمن ومساحات جغرافية لا يمكن حسابها ويستمر عملها التدميرى على مدى الاجيال وقد يتخطى البحار والجبال ٠ وقد ادى انفجار تجريبى في جزائر بيكينى لقنبلة قوتها ١٥ مليون طن الى التغطية المباشرة الكافية لتدمير الحياة على مساحة ٨٠٠٠ ميل مربع اى ما يعادل مساحة سويسرا ولا تزال الجزيرة بعد ربع قرن غير قابلة للسكنى ٠

ومن الواضح ان قنبلة من هذا النوع يمكن ان تدمر في الحال ملايين الافراد اذا اسقطت على حورية كبيرة او تجمع سكانى كثيف ٠

اما الاخطار الممتدة من انتشار الحرائق والخراب ونسف وسائل المواصلات ومصادر الغذاء والماء واختفاء اجهزة الامن والخدمة الطبية والمساكن وانحلال المجتمع والمدنية فلا يحيط به الا خيال القصص العلمية ٠

ولكن الدمار الذى يمكن ان يصاحب حربا ذرية لا تعرف حدودا جغرافية او زمنية فيمكن للرزاز ، التراب المندفع الى الفضاء أن يحجب الشمس لشهور او اكثر وتنخفض درجة الحرارة فيما يسمى بالشتاء الذرى بما يقضى على النبات والحيوان والانسان ، اضافة الى ما يتساقط عليهم من اشعاعات مدمرة ومميتة ، ولاشك ان مثل هذه الحرب الذرية الشاملة ستقضى على الحضارة الانسانية بكل اشكالها المعروفة ، وتعود بمن بقى من الانسان الى ما قبل عصر انسان الكهوف ، فاذا ادخلنا في الاعتبار ان كل هذا التسير تحت سيطرة بضعة افراد يبين التاريخ الحديث انهم ليسوا مدعاة للاحترام او الثقة من قيادات الدول الكبرى فلاشك ان عزمنا على استئصال شأفة هذا السلاح كلية

والان وقد وصل هذا السلاح الى حكومات فاشية عنصرية مختلة القيم الانسانية والخلقية والحضارية مثل النظام العنصرى في جنوب افريقيا والنظام الصهيونى في اسرائيل بمساعدة وتواطؤ حلفاء مجرمين ، فلا يمكن ان يسكت ضمير العالم المتحضر على بقاء هذا السلاح الفتاك في ايدى قتلة الاطفال والنساء وجزارى السكان العزل في جنوب افريقيا او اسرائيل ٠ ولا يمكن لاى عربى او افريقى ان يقبل استمرار هذا التهديد من اعداء هذا تاريخهم وتلك ممارساتهم الوحشية تتكرر كل يوم امام انظار العالم ٠

الدكتور محمد حسين هيكل

من رواية "زينب"... إلى مذكرات في السياسة المصرية

بقلم : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى

ربما لم أتأثر بكاتب مصرى مثل تأثرى بعلمين بارزين من اعلام حياتنا الفكرية هما الدكتور محمد حسين هيكل وتوفيق الحكيم . فلدى التحاقى بالجامعة طالعت كتاب هيكل « حياة محمد » الذى هزنى هزا ومضى بى فى طريق الشك الديكارتى نتيجة لطريقته فى العرض التى لم تتمسك بالروايات الموروثة بل عمدت إلى التحليل والاحتكام الى العقل . وكان ذلك بداية اعجابى به وسعيى الى الاطلاع على كتبه الأخرى : الصديق ابو بكر ـ الفاروق عمر ـ شخصيات مصرية وغربية جان جاك روسو ـ ومذكراته فى السياسة المصرية ... الى غير ذلك . فقد كان أديبا كبيرا الى جانب كونه مؤرخا ومن دلائل ذلك انه الف قصة « زينـــب » التى سجلت بداية القصة العربية الحديثة . فقد تفتح ذهنه فى بداية تكوينه الفكرى نتيجة لميله الشديد لدراسة الأدب العربى قديمه وحديثه بقدر مايسمح له ادراكه ، وحين اتصل بأحمد لطفى السيد فى اوائل القرن العشرين عدل عن الاكتفاء بقراءة الأدب العربى الى قراءة كتب انجليزية فى الموضوعات التى كان يحدثه فيها ، هذا بالاضافة الى انه ـ وهو قطب من أقطاب حزب الأمة ـ قد نحا به نفس منحاه السياسى الذى لم يكن يعتمد تملق الجماهير واللعب على عواطفها .

محمد عبده يهدف إلى الضرب على يد الأوتوقراطية الخديوية فقد هادن الاحتلال البريطانى وركز على التعليم والاصلاح الداخلى باعتبارهما الأداة المثلى لتحقيق الاستقلال - وفى عام ١٩٠٥ هاجم فى جريدة « المنار » الاجراءات العنيفة التى اتبعها محمد على فى سبيل توطيد حكمه مما اثار الرهبة والخوف فى قلوب المصريين وجعلهم اميل الى الاستكانة . ورغم مالقيته دعوة محمد عبده من مقاومة وبخاصة من جانب الخديو عباس الثانى فقد ازداد اعجاب هيكل به مما جعله يقرأ كتابه « الاسلام والنصرانية » وكتاب استاذه الافغانى فى « الرد على الدهريين » ، كما قرأ المقالات التى كتبها محمد عبده فى « العروة الوثقى » وتأثر هيكل بحادثتى طابة ودنشواى . فقد نشب نزاع بين بريطانيا والدولة العثمانية فى عام ١٩٠٦ حول موقع طابة : هل هو تابع لمصر أم للدولة العثمانية ، ولدهشته وجد ان مصطفى كامل يدافع عن تبعية هذا الموقع للدولة العثمانية صاحبة السيادة الاسمية على مصر مما جعله لاينخرط فى سلك المعجبين به برغم انجذاب زملائه فى المدرسة الثانوية اليه مما ادى الى تفضيله للعزلة - ويعترف هو فى مذكراته بانه فى أكثر اطوار حياته وقف فى غير الجانب الذى كان عليه الجمهور . أما حادثة دنشواى الذى ظهر فيها الاحتلال البريطانى فى صورته الحقيقية فقد هزت أعماق هيكل كما هزت أعماق سائر المصريين الذين أدركوا حقيقة بشاعة الاحتلال الأجنبى .

● إعجاب بقاسم أمين

ورحب هيكل بصدور كتابه « تحرير



د . محمد حسين هيكل

ومما اثر فى الدكتور هيكل وتفكيره السياسى انه انحدر من أسرة تنتمى الى أعيان ريف الدلتا مما مكنه من الانخراط فى دائرة النخبة الاجتماعية التى تصدرت الحياة العامة واهتم المستنيرون من رجالها بتعليم أبنائهم تعليما عصريا فى الداخل والخارج . وخلال دراسته الثانوية تأثر بمنهج الشيخ محمد عبده الداعى الى فتح باب الاجتهاد والتوفيق بين العلم والدين والاحتكام الى العقل واطراح المعتقدات البالية التى حملها مسئولية تأخر المسلمين . ولما كان

المرأة » الذى الفه قاسم امين وطالب فيه بتعليم المرأة ورفع الحجاب عنها مما أثار عليه الهيئات الدينية واحدث اضطرابا فى دوائر المثقفين . وقد اقتنع هيكل الشاب بان قاسم امين على حق وعجب لموقف الذين هاجموه وبدأ يشعر بان متابعة الجماهير هى الطريق السهل وان أدت اغلب الأحيان الى الخطأ ، وازدادت عزلته عن زملائه فى الدراسة كما ازداد ايثاره للصمت بحيث لايعارضهم ولايجاريهم او يتابع زعماءهم . وبعد ان اتم دراسته الثانوية التحق بمدرسة الحقوق . وحين وجد ان كثيرا من زملائه يتشيعون لمصطفى كامل وحزبه الوطنى لم يشأ أن يجاريهم قبل ان يتبين الحقيقة من أمره ، فعكف على مطالعة جريدتى « المؤيد » و« اللواء » لعلهما تعينانه على تحديد موقفه ، وفى النهاية قرر اخذ جانب احمد لطفى السيد وحزب الأمة الذى اشترك فى تأسيسه خاصة ان هيكل كان يمت اليه بصلة القرابة. وقد عبر لطفى السيد عن اتجاهات مثقفى حزب الأمة فى « الجريدة » التى ناصرت تحرير المرأة ورفع الحجاب عنها ودعت الى حق الحكم المحلى للمديريات والمدن وعن حق التعليم للجميع وحذرت من الاعتماد على الحكومة التى صدرت وظائفها وفقا لما نادي به الكتاب الأوروبيون الذين يتمسكون بالحريات جميعا . وقد كتب هيكل فى الجريدة لدى صدورها فى عام ١٩٠٧ ونفى عنها مما لأنها للانجليز وذهب الى انها كانت تطالب بالدستور .

د . محمد حسين هيكل (على اليسار) مع اعضاء المؤتمر البرلمانى مارس ١٩٤٧





د . هيكل فى اجتماع لحزب الاحرار عام ١٩٤٨

وفى عام ١٩٠٩ توجه الى باريس للحصول على درجة الدكتوراه وهناك لمس حرية العقيدة والرأى واحس بان التعصب ذميم وان اول واجب على الانسان هو ان يديم البحث عن الحقيقة . وقد اجتذبته دراساته وحياته الجديدة مما جعله لايكتب كثيرا فى « الجريدة » وبالتالى اقتصرت كتابته اليها على بعض ملاحظات مما كان يراه فى « مدينة النور » وفى عام ١٩١٢ حصل على درجة الدكتوراه برسالة عن « دين مصر العام » وهو الموضوع الذى جعله يقرأ كل ما كتب عن مصر الحديثة منذ عهد محمد على سواء باللغة الفرنسية أو الانجليزية أو العربية . وقد تلقن اثناء دراسته مناهج البحث العلمى الحديثة فسعى الى تقصى الحقيقة ما استطاع - وكان لكل ذلك اثر كبير فى اتجاه تفكيره فى سياسة مصر . وحين عاد الى مصر اشتغل بالمحاماة وكان يكتب « للجريدة » التى عطلها كتابها وحزب الامة فى عام ١٩١٥ بعد نشوب الحرب العالمية الاولى . ثم اتفق هيكل مع بعض اصدقائه على اصدار جريدة « السفور » الأدبية والاجتماعية التى لم يكن لها دخل بالسياسة وقد كتب فيها كثيرا كما كتب فى « المقتطف » منذ أول عام ١٩١٧ وشرع فى تأليف كتابه عن جان جاك روسو : حياته وكتبه . وفى اعقاب ثورة ١٩١٩



انضم الى الحزب الديمقراطى الذى قامت مبادئه على الحرية والحق والعدل ومبدأ تقرير مصير الأمم واستقلال مصر . وكان بعض اعضاء هذا الحزب قد تأثروا بالمبادىء الاشتراكية خاصة وان افكار الدولية الثانية لم تكن تختلف كثيرا عن افكار الليبرالية . ولكن هيكل رأى ان قضية الاشتراكية لن تطرح قبل سنوات طويلة واعلن صراحة معارضته لتأسيس الحزب الاشتراكى فى الوقت الذى ندد فيه بالشيوعية التى ظل يمقتها حتى آخر حياته .

وبعد اصطدام سعد زغلول بعدلى يكن ابدى هيكل ميله الى عدلى وانضم الى حزب الاحرار الدستوريين وظل مخلصا له الى ان جرى حله فى اعقاب ثورة ٢٣ يوليه ١٩٥٢ ، وبعد انشاء جريدة « السياسة » لتكون الناطقة باسم حزب الاحرار الدستوريين تم اختياره رئيسا لتحريرها . ورغم ان « السياسة » انتحت فى البداية منحى الاعتدال فقد اتجهت بعد ذلك الى رد التهم التى اتهمها بها الوفديون ودعت الى الوحدة الوطنية وضم الصفوف ولو انها قاومت طغيان الفرد الذى تجسد لدى الأحرار الدستورين فى الزعيم سعد زغلول الذى هاجمته « السياسة » تجاوزات الوزارة التى ألفها فى عام ١٩٢٤ واتبعت سياسة حزبية صارخة واضطهدت خصومها . وكان هيكل يرى ان النضال الحزبى فى مصر منذ بدأ الخلاف بين سعد وعدلى لم يكن يقوم على المبادىء بل على فهم خاطىء لمعنى الحكم ـ فمن يتولى الحكم يعمد الى محاباة أنصاره ومحاربة معارضيه . اما هو فانه يؤكد فى مذكراته انه لم ينصر رأيا على رأى ولا فريقا على فريق .

● مقاومة وزارة صدقى !

وكما تصدى هيكل لما اعتبره استبدادا من جانب سعد زغلول فقد اشترك مع الوفديين وغيرهم فى مقاومة وزارة اسماعيل صدقى التى تولت الحكم فى أوائل الثلاثينيات ونكلت بخصومها بعد تعديلها لدستور ١٩٢٣ . واسهم فى تاليف كتاب « السياسة المصرية والانقلاب الدستورى » خاصة انه كان يرى ان صدقى رجل يؤمن بالحكم وبانه الوسيلة الوحيدة لتحقيق مايرجو الانسان تحقيقه من خير بلاده . ونفس هذا الموقف تكرر بالنسبة الى نزعات الملك فاروق الاستبدادية التى ندد بها هيكل فى الجزء الثالث من المذكرات والتى بذل جهودا لمقاومتها اثبتها فى هذا الجزء فقد نزع فاروق بعد الحرب العالمية الثانية الى الاستبداد خاصة ان حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ ـ على حد قوله لهيكل ـ قد علمته « درسا لن ينساه » ولقد زين له المحيطون به سلوك هذا الاتجاه حين قالوا له ان اجداده هم الذين انشأوا مصر الحديثة من العدم وانه « وارث هذا التراث المجيد وصاحب الرسالة ببعث الشرق كله واتمام المعجزة التى حاولها جده محمد على ثم حالت الاقدار دونها » ثم ادى به هذا الاعتقاد وتملق المتملقين الى الاستهتار والاندفاع مع اهوائه وعدم الاكتراث برجال

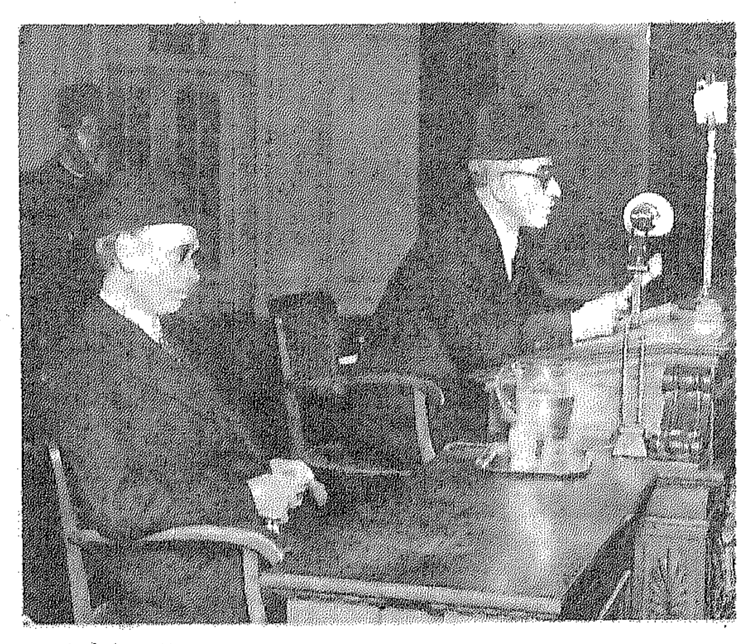
دولته . ومن ثم دعوته لزعماء الدول العربية الى انشاص دون علم الوزارة القائمة واصداره الاوامر بادخال الجيش الى فلسطين فى مايو ١٩٤٨ دون مشاورة الوزارة او البرلمان .

وقد ارتبط مقت هيكل للاستبداد بالمبادىء التى امن بها منذ شبابه المبكر : فهو لبرالى امن بالحرية والدستور وبان الحكم وسيلة لاغاية وان باستطاعة المعارضة توجيه شئون الحكم بالقدر الذى تستطيعه الحكومة القائمة وان الوصول للحكم ان لم يكن اساسه الكرامة الذاتية التامة يعهد اليه بتبعاته فخير منه البقاء فى المعارضة . وفى مذكراته نجده يؤكد انها لاتعدو ان تكون تصويرا للحوادث كما وقعت ولاتجاهات الرأى المختلفة . ورغم ان بعض الاشخاص الذين تناولهم كانوا على قيد الحياة لدى نشر الجزأين الاول والثانى من المذكرات فانه يجزم بانه لم يحابهم الا ان يكون قد اغفل بعض الحوادث التى رأى من واجبه إغفالها . كما يقر بأن مذكراته لم تتناول الا ماشهده او شارك فيه من جوانب السياسة المصرية وانه لذلك أغفل الناحية الاقتصادية لأنه لم يكن له فيها حظ يذكر .

وهو يبين انه لم يقصد الى التأريخ لمصر فى الفترة التى كتب عنها (١٩١٢ ـ ١٩٥٢) وشارك فى معظمها فى صنع السياسة المصرية ومعالجة قضاياها . وقد بدأ كتابتها فى عام ١٩٤٨ وفرغ منها فى عام ١٩٥٠ . وكان هدفه من كتابتها ان تكون مرجعا لمن يريد ان يؤرخ لتاريخ مصر خلال هذه الفترة . وهو يجزم بان أحدا لن يستطيع ان يؤرخ لعصر عاش فيه بحكم ان المعاصر قد لايقف على كل الأسرار وانه لايدون الا مايعرف . ويذكر عن نفسه انه اكتفى بتصوير الحوادث كأدق ما يستطيع مشيرا الى ان مما ساعده على ذلك انه بدأ يكتب مذكراته بعد انقضاء سنوات طويلة على وقوع الحوادث التى دونها . وقد استملى الجزء الاول من هذه المذكرات من الذاكرة الا قليلا رجع فيه الى الصحف لمزيد من الدقة فى التأريخ للأحداث وينفى ان الذاكرة قد خانته مؤيدا رأيه هذا بانه تناول فى هذا الجزء ما كان يكتب عنه طيلة خمسة عشر عاما حين كان رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » وبأن « الذين يزاولون الكتابة يعلمون ان التحرير المتصل فى موضوع بذاته ينقش فى اذهاننا ما نكتبه فلاننساه ابدا » وهو ينفى ان يكون قد دافع عن السياسة التى ناصرها فى مختلف اطوار حياته .

ولقد ظل هيكل رئيسا لتحرير جريدة « السياسة » الى ان عطلها الاحرار الدستوريون فى عام ١٩٣٧ وحينئذ ترك ميدان الصحافة الى ميدان التأليف . ولما كانت اتجاهاته الفكرية ومبادئه تقيم حاجزا بينه وبين الجماهير فإنه لم يوفق أحيانا فى الانتخابات النيابية ، ومن ثم فقد مارس نشاطه السياسى من خلال توليه مناصب وزارية أو من خلال ترؤسه لمجلس الشيوخ ولحزب الاحرار الدستوريين . وظل طيلة حياته السياسية ملتزما بالمبادىء الديمقراطية وبالمصلحة الوطنية بحيث نلمس فى مذكراته سموا فوق الاعتبارات الحزبية وتمسكا بقواعد الاخلاق السياسية مع نزاهة واضحة

الدكتور محمد حسين هيكل



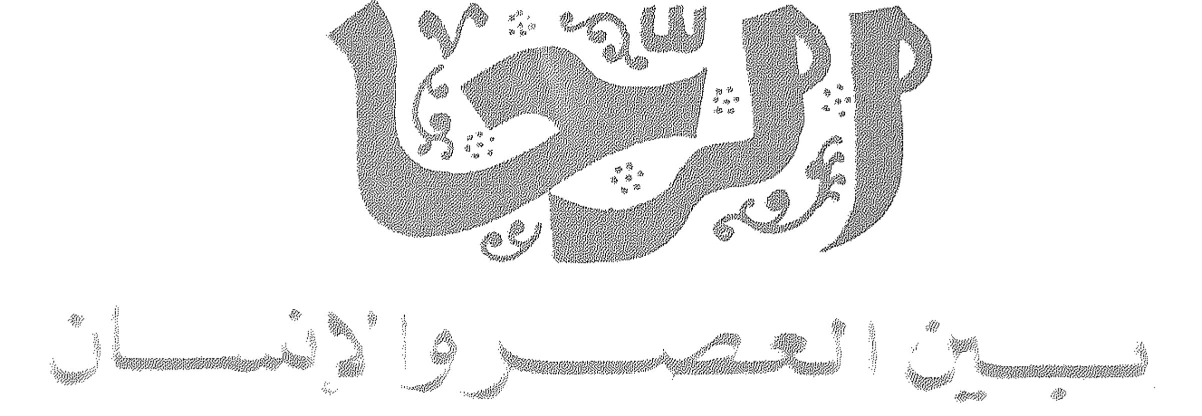
د . هيكل (وزير المعارف)
مع احمد لطفى السيد فى
جامعة فؤاد عام ١٩٥٠



د . هيكل يخطب فى
عيد الجهاد عام ١٩٤٦

تطالعنا بين وقت وآخر فى الأجزاء الثلاثة من مذكراته أما انتماؤه الحزبى فلم يكن له الا اثر جانبى فى مذكراته وفى سلوكه العام خاصة انه خلال رئاسته لمجلس الشيوخ كان يؤمن بان هذا المجلس ملك للأمة كلها .

ويختلف الجزآن الأول والثانى من المذكرات عن الجزء الثالث الذى توفى هو قبل ان يستكمله . فقد سار الجزآن الأول والثانى وفقا للترتيب الزمنى للأحداث فى حين انه سعى إلى ان يتناول فى الجزء الثالث موضوعات بعينها دون التزام بالترتيب الزمنى . وقد خطط للكتابة فى الموضوعات التالية : قضية فلسطين ـ النزاع المصرى الانجليزى ـ السودان ـ قيام الجامعة العربية ـ تطور الحياة السياسية ـ الازمات البرلمانية الكبرى والحياة الحزبية . ولكنه لم يكتب فى الجزء الثالث سوى الفصول الخاصة بفلسطين والنزاع المصرى الانجليزى فى مجلس الأمن وأزمة مجلس الشيوخ فى يونيه ١٩٥٠ وما أطلق عليه اسم الوثائق السياسية المزورة . وقد قام على اعداد هذا الجزء للنشر ابنه احمد محمد حسين هيكل المحامى . وظل هذا الجزء محجوبا عن الانظار فترة طويلة قبل ان يتم نشره فى عام ١٩٧٧ .



تحقيق وعدسة: وداد حامد

سيدة من واحة باريس تقوم بالطحن على الرحا (١٩٨٦)

هل دارت رحا الأيام على الرحا ؟ ..
.. لقد تراجعت الرحا عن وظيفتها كأداة منزلية ، ونتيجة للإحلال الآلى الذى فرضته طبيعة العصر .
وبالرغم من ذلك ، فإن بصماتها مازالت باقية ومتداولة كعنصر فى الموروث الشعبى .

الرحا ، أو الرحاية هى واحدة من أقدم الأدوات المنزلية فى البيت المصرى قبل دخول "وابور الطحين" الذى يعمل بالسولار أو الكيروسين .

وهى تكاد تنقرض الآن مع تغير نمط الحياة حتى فى الريف .

وهذه الأداة التى ظلت فى البيت المصرى الاف السنين ، كان لابد أن تترك بصماتها فى الموروث الشعبى ، فى أغانى العمل ، وفى الأمثال الشعبية ، وفى بعض الممارسات الخاصة .

ركبونى الرحا وجالو [١] شديدة
ياكلم بالهنا والليالى ، السعيدة
طحين الرحا ع البنات جاسى [٢]
وأنا عجوزة من عجاب ناسى
طحنت الرحاية مالقيت لى حيل
ليه العجوزة اللى ما تنام الليل[٣]

★ ★ ★

يا رحاية جبلى
سلم اللى جابك لى
يا رحاية تقيلة
وإطحنى لى الفطيرة
يا رحاية جبلية
سلم اللى جابك ليه [٤]

وتلك الأبيات السابقة من نصوص أغانى العمل التى ترددها السيدات أثناء طحنهن على الرحا .

المجموعة الأولى من الأبيات تعبر فيها مؤديتها عن مدى الصعوبة والمشقة التى تعانيها من تقوم بإدارة الرحا . إنها تئن وتشكو ، خاصة وقد أصبحت عجوزا ضعيفة تحتاج الى الراحة .

أما المجموعة الثانية ففيها مناجاة للرحا . حيث تخاطب السيدة رحايتها الثقيلة المنحوتة من الصخور الجبلية لتطحن لها الدقيق الذى ستصنع منه الفطير . ثم تدعو لمن جلبها لها بالسلامة .

ويرتبط هذا النوع من أغانى العمل بالطحن على الرحا ، حيث تقوم السيدات بترديدها تسرية عن أنفسهن من ناحية ، ومن ناحية أخرى للحد من الرتابة الناشئة عن قعقعة الرحا ودورانها بصورة مستمرة لفترات طويلة .

ومن هنا فإننا نجد أن إيقاع هذه الأغنيات يتميز بالبطء بحيث يناسب الحركة البطيئة لدوران الرحا .

وقد كان الطحن على الرحا شائعا فى معظم قرى مصر فيما مضى ، حتى أن الرحا كانت تعتبر من المنقولات الأساسية فى كل بيت ، وحين لم تكن توجد عند اسرة ما فقد كانت هذه الأسرة تقوم باستعارتها للطحن عليها . وتدريجيا حلت محل الرحا ماكينات الطحن التى تعمل بالسولار والكيروسين ، ثم الماكينات

الكهربائية[٥] ثم أصبح سكان الريف - بعد ذلك - يعتمدون على الدقيق الجاهز المعبأ . ولهذا فقد أصبح استخدام الرحا نادرا الآن إلا عند بعض الجماعات من قبائل البدو الرحل حيث يعيش الأهالى خارج مناطق الاقامة الدائمة فى المدن والقرى .

ويطلق على الرحا فى بعض المناطق اسم « الرحاية » كما يطلق عليها فى اماكن أخرى « الطاحونة » وقد جاء فى لسان العرب[٦] أن معنى كلمة الرحا هو « الحجر العظيم » وجمعها "أرح" و"أرحاء" و"رحى" و"أرحية" .

وجاء أيضا أن الرحا هى التى يطحن فيها . ورحوت بالرحا : طحنت بها ، أما من يصنعها فيسمى « المُرَحِّى » .

ويروى أن "جبرائيل" حين أراد أن يعلم "آدم" كيف يصنع دقيقا - قطع من الجبل حجرين فطحن بهما القمح .

فكانت بداية استخدام الرحا.

وتتكون الرحا من قرصين مستديرين متساويين من الحجر يوضع فوق أحدهما الآخر . القرص السفلى الذى يلامس الأرض ثابت - وهو مصمت تماما ومثبت به رأسيا عند منتصفه عامود من الخشب أو الحديد . أما القرص العلوى ، ففى أحد جوانبه عصا خشبية مثبتة به رأسيا ، وهى بمثابة "يد" يدار منها . كما أن هناك فتحة مستديرة فى وسط هذا القرص العلوى يقطعها عند قطرها مستطيل من الخشب به ثقب يمر من خلاله - العامود المثبت فى منتصف القرص السفلى - فيكون بمثابة محور لارتكاز الرحا .

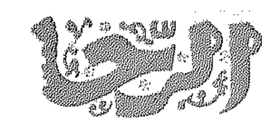
ومن هنا فقد قال الاقدمون فى الأمثال (الرحا ما تدور إلا على قلب حديد)[٧] أى لابد لدوران الرحا من محور صلب ، وقلب الرحا الذى يدور عليه القرص العلوى يكون من الحديد غالبا . ويضرب هذا المثل عندما تحتاج الأمور فى تدبرها الى شخص قوى .

وبجانب استخدام الرحا فى طحن الحبوب كالقمح والشعير والذرة لتحويلها الى دقيق ، فهى تستخدم أيضا لجرش أو "دش" بعض الأنواع ، الأخرى من الحبوب ، كالفول والقمح ، أى تكسيرها وتحويلها الى قطع صغيرة لتصنع منها بعض أنواع المأكولات الشعبية الشائعة فى الريف المصرى مثل الفريك والدشيشة - والبغلية - والبصارة .)

● من أعمال السيدات

والطحن على الرحا من الأعمال التى تختص بها السيدات عادة . فتجلس السيدة أمامها ممسكة بمقبضها الخشبى بإحدى يديها - تحركه فى شكل دائرى - فيدور معه القرص العلوى ، بينما تضع الحبوب المراد طحنها فى الفتحة الوسطى المستديرة باليد الأخرى ، فتنسحق الحبوب بين القرصين نتيجة للدوران والاحتكاك والضغط .

ونذكر بهذه المناسبة - أحد الأمثال الشعبية - التى تستعير تلك الحركة الدوارة للرحا وما يمكن أن تحدثه من احتكاكات نتيجة لهذا الدوران . فيقول المثل (الحجر الداير لابد من لَطُّه) ويضرب هذا المثل للتعبير عمّا يمكن أن



يتعرض له الشخص النشط ذو الحيوية من لطمات نتيجة لفاعليته ونشاطه .

ويقال أيضا فى هذا المجال (لقد وقع فلان بين شقى الرحا) وهذا يعنى أنه وقع فى مأزق أو موقف حرج من الصعب التخلص منه .

أما عندما يتحدث أحد من الناس فى موضوع يدور حول فكرة واحدة ، يظل يكررها لفترة طويلة يقولون انه (نازل دش) .

★ ★ ★

وليست هناك مقاسات ثابتة ومحددة للرحا ، وإنما يتراوح طول قطر دائرتها بين ٣٠سم ، ٥٠سم . وهو أقصى مدى يمكن أن تصل اليه يد المرأة التى تقوم بالطحن ، إذا امتدت أمامها . أما سمك كل من قرصيها فيتراوح بين ٧سم ، ١٠سم .

وعندما يبدأ الطحن توضع الرحا على قطعة مفرورة . من القماش أو الحصير ،

الرحا تتحول الى لعب اطفال من الفخار



◀ بدوية من منطقة الساحل العربى اثناء الطحن على الرحا (١٩٨٣)



أو توضع على أحد الأجولة ليسقط عليها الدقيق أو الدشيش الناتج عن عملية الطحن . وقد توضع الرحا داخل إناء من الخوص « قفة » وفى بعض مناطق الصعيد والنوبة ، كانت هناك بعض الأنواع . يقام لها حافة من الطين "طوف" حتى يتكون حولها ما يشبه الاناء الثابت ـ فيقوم بنفس الوظيفة .

وتصنع الرحا من نوع من الأحجار يعرف "بحجر الدستور" يتم استخراجه من بعض المناطق الجبلية مثل منطقة جبل «العيسوية" الذى يقع بالقرب من مدينة أخميم فى محافظة سوهاج . ومنطقة جبل المعصرة بالقرب من حلوان بالقاهرة .. ويتميز هذا النوع من الصخور بالصلابة كما يتميز بالخشونة(٨) .

ومن الجدير بالملاحظة أنه فى حالة فقدان الرحا لخشونتها نتيجة لكثرة الاستخدام المنزلى ـ يعاد تخشينها ـ أو كما يقول أهل الصنعة (نقشها) وذلك بطرقها بأداة حديدية تسمى (منقاش) فتؤدى وظيفتها بصورة أفضل . ولذلك فمن المتبع عادة أن تبدأ النساء "بدش" بعض الحبوب لاستخدامها كعلف للماشية خوفا من اختلاط الدقيق بذرات الصخور الناتجة عن النقاشة ، إلا فى بعض حالات الضرورة ، لذلك يقول المثل الشعبى : (المحتاج يقلب على النقاشة)

أما عن طريقة تقطيع الرحا من الصخور فتتم بأن يختار العمال بقعة مرتفعة فى الجبل ، ينزحون عنها الرمل ويحفرون حفرة دائرية الى عمق كبير ـ أكبر من سمك الرحا التى يريدون الحصول عليها ثم يدخلون عددا من زوايا الحديد بين كتلة الصخر وقطعة الرحا ، ويقومون بالضرب عليها إلى أن تنزع وتنفصل عن كتلة الصخور ـ ثم يعيدون تدويرها وتسويتها بعد ذلك"(٩)

وقديما كانت لبدو سيناء تجارة فى حجر الرحا . حيث كانت توجد هناك أيضا بعض الصخور الأخرى التى تصلح لصنعها . وكانوا يتجرون بها فى مصر والشام (١٠) وكذلك الحال فى بعض الواحات وخاصة الواحات البحرية .

★ ★ ★

إذا تركنا جانبا النواحى الوصفية والوظيفية للرحا وحاولنا الانتقال الى جانب آخر من جوانب الثقافة الشعبية التى فيها الرحا عنصرا من العناصر ذات الدلالة الرمزية ، فإننا نذكر على سبيل المثال واحدا من الممارسات الاحتفالية ، وهو حفل الختان الجماعى الذى يقام لختان الأولاد فى منطقة سيناء .

ونستعين بالوصف الذى ورد فى أحد الكتب والذى يقول فيه مؤلفه :

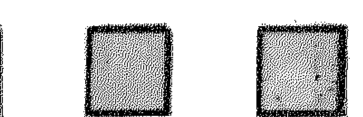
« فى الضحى يركب الصبيان المراد ختانهم (وتتراوح أعمارهم حسب العادات السائدة فى تلك المنطقة بين ٨ سنوات و١٢ سنة) الابل ويطوفون حول الخيام والنساء وراءهم يزغردن لهم ويتغنين ثم يدخل الصبيان الى خيمة الطهور ويأتى

الشلبية (الحلاقون) المنوط بهم الختان ويبدأون فى الختان وقت الظهر ، وإذ ذاك يقف الرجال أمام باب الخيمة والنساء وراءهم وكل امرأة يختن ولدها تجعل ظهرها لحجر الرحا والسيف فى يدها تضرب بقفاه الخيمة دفعا للعين الشريرة . وعندما يقطع الشلبى غلفة ولدها يناديها

الولد قائلا : (لعينك يا أماه إرمى بحجر الرحا عنك ولك ناقتى) فتزغرد له . ثم يلتفت الى عمه ويقول (لعينك ياعماه) فإذا كان لعمه بنت تناسبه علم أن الولد يخطب ابنته ، فيجيبه (مرحبا بك بفلانة جاءتك عطاء) وإن لم تكن له بنت قال

(مرحبا بك لك الناقة الفلانية أو لك رأس ماعز أو ضأن هدية أو نقوطا)

والدلالة والمعنى اللذان يحملهما هذا الطقس واضحة وصريحة - فها هو الصبى - وقد أجريت له عملية الختان - وانتهت فترة طفولته - واعتماده على أمه . لقد بدأ الآن فى الدخول الى طور الرجولة والاعتماد على الذات ، ومن ثم فأول ما يفكر فيه - قبل أن يتقدم لخطبة ابنة عمه - هو أن يرد ما قدمته له أمه طوال فترة طفولته وصباه . لقد أصبح من واجبه الآن أن يقدم لها كل أسباب الراحة بدلا من العناء والعمل الشاق الذى يمثله الطحن على الرحا .



هوامش

١ - قالوا ٢ - قاسى

٣ - الأدب الشعبى ، أحمد رشدى صالح ، ط ٣ ، مكتبة النهضة المصرية ص ٣٠٣

٤ - هذا النص جزء من أغنية عمل تؤدى أثناء الطحن على الرحا فى منطقة بدو الدهوس - الواحات الداخلة - الوادى الجديد . المؤدية : عزيزة محمد . الجامع وداد حامد ١٩٨٦

٥ - هناك بعض أنواع "الطواحين" ، وخاصة فى المناطق المنخفضة مثل الفيوم ، تدار بقوة اندفاع الماء

٦ - لسان العرب - دار المعارف - جـ ٣ ص ١٤ - ١٦

٧ - الامثال العامية ، محمود تيمور باشا ، ط ٣ . ١٩٧٠ ص ٢٢٥ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٨ - هذه المعلومات أدلى بها د . رشدى سعيد : استشارى جيولوجى مقيم بالولايات المتحدة . استاذ الجيولوجيا بالجامعات المصرية سابقا . ومن أهم مؤلفاته "جيولو جيا مصر" و"جيولوجيا نهر النيل" باللغة الانجليزية .

٩ - وصف مصر ، وصف مدينة القاهرة وقلعة الجبل ، تاليف جومار ، ترجمة ايمن فؤاد ، مكتبة الخانجى بمصر ص ٢٧٤ .

١٠ - سيناء أرض القمر رفعت الجوهرى - الدار القومية للطباعة والنشر ص ٢١٥

الكاتب
الذى أضاعه المجدّدون والمتطرفون

بقلم : كمال النجمى

مرت في شهر مايو الماضي الذكرى الحادية والخمسون لرحيل الأديب الكبير مصطفى صادق الرافعي ... لم ينوه أحد بهذه الذكرى ، ولم يتذكر أحد اسم الرافعي ..

عاش الرافعي في الدنيا سبعة وخمسين عاما .. عاصر الشيخ محمد عبده ولطفى السيد والعقاد وطه حسين وشبلى شميل ويعقوب صروف وسلامة موسى ومحب الدين الخطيب ومحمد الخضر حسين وأحمد شوقى وحافظ ابراهيم واحمد تيمور باشا ومحمد فريد وجدى وطنطاوى جوهرى ورشيد رضا والمازنى وزكى مبارك والآنسة مي .. وبقية ذلك الرعيل العظيم من مفكرى مصر وأدبائها وحكمائها ، على اختلافهم مشرقا ومغربا ..



مصطفى صادق الرافعي

دخل الرافعى عالم الأدب والفكر فى أواخر القرن التاسع عشر ، وقد نضج أيامئذ عصر الانقلاب الصناعى ، واتسع المد الاستعمارى إلى آخر مداه فى بلاد العرب والمسلمين وسائر الشرقيين ..

ورحل الرافعى عن الدنيا سنة ١٩٣٧ والحرب العالمية الثانية على الابواب ، وتطورات مابعد الحرب منظورة فى الأفق البعيد ..

عاش الرافعى عصرا كانت فيه أوربا تحتل البلاد العربية والإسلامية كلها من المغرب الى مصر إلى العراق إلى ماليزيا وأندونيسيا ..

وكـانت الحكـومـات الأوربيـة الديمقراطية فى بلادها تدير شئون مستعمراتها العربية والإسلامية التى لاتغيب عنها الشمس ، بروح صليبية تحمل ثارات القرون الوسطى ! ..

أول شىء فعله الفرنسيون ، دعاة الحرية والاخاء والمساواة ، عندما احتلوا الجزائر سنة ١٨٣٠ ، تحويل المسجد الكبير فى عاصمتها إلى كتدرائية كاثوليكية تستمد البركات من بابا روما - عدو ثورة الحرية والإخاء والمساواة - وكأنهم جيش لويس التاسع حين استولى على دمياط سنة ١٢٤٩ .

والفرق بين الحالتين أن لويس التاسع الذى وَقَذَتْهُ العبادة والدروشة الكاثوليكية ، كان يحتاج إلى كنيسة يصلى فيها .. أما دعاة الحرية والإخاء والمساواة فلم يكن لهم شأن بالصلاة ، وإنما أرادوا الرمز إلى روح التعصب الدينى للاقطـاع الأوربى ، وهم البورجوازيون المتحررون المعادون للإقطاع ! ..

ولما تمكن دعاة الحرية والإخاء والمساواة من المغرب العربى ، قرروا نقله من الإسلام إلى الكاثوليكية ، وأصدروا إعلان «الظهير البربرى» ليفتحـوا الأبواب لهـذا المشروع التاريخى الذى صفق لـه رجال الأكليروس فى باريس ..

ولبث دعاة الحرية طوال احتلالهم للجزائر يعتبرونها - رسميا - أرضا فرنسية مثل باريس وليون ومرسيليا ، وعلى غرارهم نسج موسولينى فأعلن قبيل الحرب العالمية الثانية أن ليبيا أرض إيطالية خالصة ، وأن طرابلس الغرب مثل روما ، وبنى غازى مثل نابولى .. وأحفاد عقبة بن نافع خدم أرقاء لأحفاء يوليوس قيصر ..

واقتطـع الاستعمار البـريطانى فلسطين وقدمها شريحة من اللحم الطرى للوحش الصهيونى ! ..

ولانستطرد وراء ماحدث فى مصر وسوريا ولبنان والعراق والخليـج العربى واليمن وزيلع وهرر ومصوع وطوكر ! ..

● ثورية الكاتب ورجعيته

● وطوال حياة الرافعى كانت مصر تخوض نضالا عنيفا فى ميادين السياسة ، وفى المواجهة المسلحة

للاستعمار البريطانى ، فضلا عن حركات التبشير الدينى الأجنبية ـ أوربية وأمريكية ـ التى امتدت من مصر إلى السودان إلى البلاد العربية الأخرى ، والبلاد الإسلامية غير الناطقة بالعربية ..

فى هذا المناخ السياسى والفكرى والنفسى عاش الرافعى حياته القصيرة فرأى أن «حَمِيَّةَ الإسلام» .. سلاح فعال فى مقارعة الاستعمار الأوربى الذى يغتصب الأرض العربية والإسلامية ويلغى وجود الإنسان العربى والإنسان المسلم ..

فكان وقوف الرافعى تحت الراية الإسلامية فى تلك الجائحة الصليبية الأوربية الجديدة ، موقفا سياسيا وفكريا ثوريا أصيلا فى زمن المد الاستعمارى المصمم على ابتلاع ديار العرب والمسلمين وإخراجهم منها أحياء أو أمواتا ! .. ولقد شرع يخرجهم منها فعلا ـ بقوة السلاح ـ بعد صدور وعد بلفور الانجليزى المشهور الذى أعطى فلسطين العربية لليهود ..

فى ذلك العصر كانت ثورية الكاتب المصرى أو رجعيته ، يحددها موقفه من الاستعمار والصهيونية . ولم يكن الاتجاه الاجتماعى جوهريا فى هذا الموقف . ففى تلك الظروف جمعت ساحة النضال كل القوى المناهضة للاستعمار على تباين أوضاعها الطبقية وتقاطع اتجاهاتها الفكرية .

وقد جرت العادة على اعتبار ثورة ١٩١٩ مثالا كلاسيكيا نموذجيا فى هذا المضمار ، فقد خاضها وتولى قيادتها الباشوات والأثرياء ومثقفو الطبقة المتوسطة الكبيرة والصغيرة ووجهاء الافندية والتجار وملاك الأراضى والعقارات كبارا وصغارا .. إلى جانب الفلاحين والعمال ..

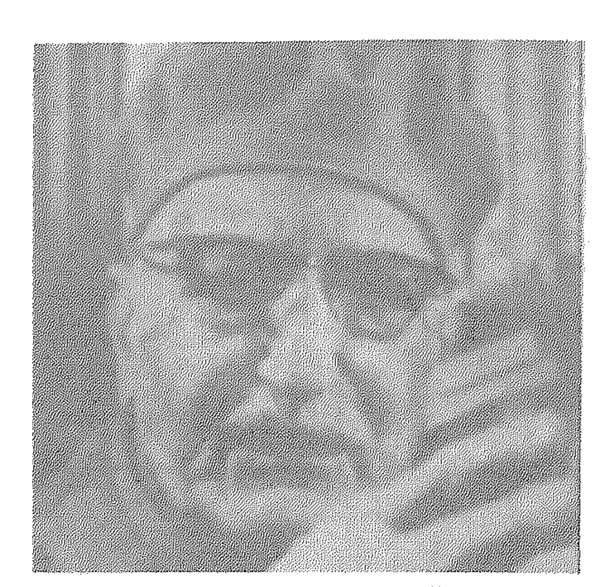
ولم يكن لهؤلاء اهتمام اجتماعى شعبى واضح المعالم ، بل كان همهم الذى يتلاقون جميعا عنده هو مناضلة الاستعمار البريطانى ..

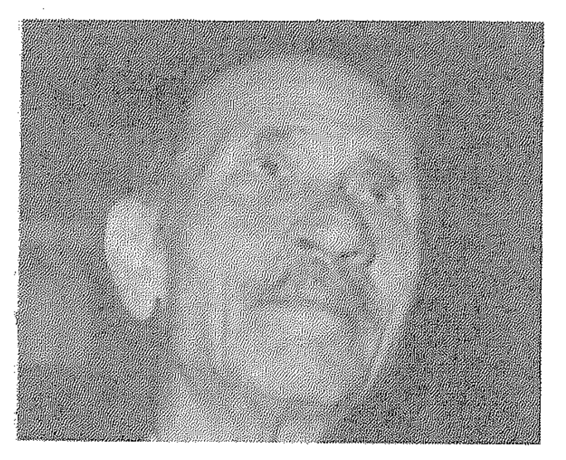
وفى تلك الفترة كان الفكر الدينى ـ ومنه بعض فكر الرافعى ـ يرفض بكل إباء مهادنة الاستعمار الذى يزعم أنه يحمل إلى المسلمين رسالة التمدين ، والى العرب بشرى الوحدة والاستقلال ..

ولم يكن أصحاب هذا الفكر الدينى متعصبين ، بل كانوا طلاب حرية لبلادهم ، وقد رفعت حروب التحرير العربية شعارات دينية ضد الاستعماريين الفرنسيين والإيطاليين فى الشمال الإفريقى .. ففى العشرينيات وحتى بداية الثلاثينيات رفع عمر المختار فى حربه الباسلة شعار الدين ولم يكن ليجد سلاحا أمضى منه فى مجاهدة الاستعمار الإيطالى الاستيطانى الوحشى ..

وعبدالكريم الخطابى .. ويوسف العظمة .. والمهدى أو المتمهدى السودانى .. والحاج أمين الحسينى .. وسعد زغلول وغيرهم من رموز الكفاح الوطنى فى عصر الرافعى ، قد حملوا جميعا ـ بلا فخر ـ وسام «التعصب» الذى أنعم به عليهم المستعمرون والصهيونيون ..

وكان الرافعى ـ على دين هؤلاء المجاهدين الكرام ـ يرى أن الإسلام هو دفاع عن روح الأمة التى يحاول المستعمرون والصهيونيون إزهاقها .. وقد أدى الرافعى واجبه فى الدفاع عن روح الأمة ، وأبلى فى موقعه أحسن البلاء ..


عباس العقاد


لطفى السيد

وفى الخمسينيات لم يبال المسلمون الجزائريون أن ترميهم البورجوازية الباريسية بالتعصب ، ولهذا نجح النضال الجزائرى فى سحق الجيش الفرنسى والمستوطنين الفرنسيين .. وسقطت جميع لافتات التمدين التى رفعها الاستعمار الفرنسى فوق مستوطناته المقامة على التراب الجزائرى ! ..

إن عمر المختار والذين معه ..

● تصنيف خاطىء

● .. ثم اقتضى الانقلاب الفكرى فى الخمسينيات والستينيات ، أن ينهمك بعض النقاد الجدد فى تصنيف المفكرين والأدباء المصريين الذى عرفتهم ساحة الأدب والفكر من اواخر القرن التاسع عشر إلى منتصف القرن العشرين وكان هذا التصنيف أشبه بتصنيفات «جدانوف» الشهيرة فى عصر ستالين ، فكان من نصيب الرافعى فى هذا التصنيف التعسفى تهمة «الرجعية» .. فقد جعلوه ضدا لطه حسين وعباس العقاد ، وكانا ـ فى رأى أصحاب التصنيف ـ يمثلان التقدم الفكرى فى عصرهما ، فكان

لزاما أن يكون الرافعى ممثلا للجمود والسلفية ..

إلا أن الأيام أثبتت أن هذا التقسيم الميكانيكى للمفكرين والأدباء والشعراء كان جائرا وغير صحيح .. وقد انتقد بعض أصحاب هذا التقسيم أنفسهم فيما بعد ، إذ عرفوا أن الحياة أكثر سعة وعمقا وتنوعا من النظريات ، وأنه لايجوز منح صكوك التقدمية والرجعية ، وتوزيع قراريط الجنة ، بتلك الطريقة المجحفة العجيبة ! ..

لقد كان الرافعى فى الحقيقة يمثل التقدم والتحرر فى عصره من جهتين لايبحث المنصف عن جهة ثالثة لهما فى تلك الأيام ، هاتان هما : موقفه ضد الإستعمار والصهيونية .. وموقفه ضد الظلم الاجتماعى ..

وكان الرافعى فى موقفيه هذين أكثر وضوحا وثباتا من معاصريه الذين اشتجرت بينهم وبينه معارك شديدة فى الأدب والدين والسياسة ..

فأما موقفه من الاستعمار والصهيونية ، فكان أكثر دقة من موقف طه حسين والعقاد ولطفى السيد وأحمد أمين والآخرين .. لأن طه حسين فى سعيه الدائب إلى التعبير عن الاعتراف بالجميل لفرنسا ، لم يحرك قلمه ضدها على كثرة جرائمها فى حق عرب الشمال الإفريقى ، إخواننا فى العروبة والإسلام ..

وأما العقاد ، فإنه لم يكن قد تنبه إلى خطر الصهيونية عندما كان الرافعى يقف على ثغرة من ثغور العروبة والإسلام فى مواجهة الخطر الصهيونى الذى كشر عن أنيابه ، ومد مخالبه ، وتأهب للوثوب ! ..

وفى الموقف الاجتماعى كان العقاد وطه حسين على مبعدة من هموم الشعب المصرى ، ولم يشرعا فى التنبه إلى تلك الهموم إلا عقب الحرب العالمية الثانية ، ويمكن أن يقال إن أحدهما ـ العقاد ـ لم يولها إلا القليل من العناية ، فى حين كان الرافعى يحمل هذه الهموم الثقال ، ويندد بالمظالم الاجتماعية والشرور الطبقية فى عصره تنديدا عنيفا ، وأعلن فى مقالاته أنه يرفض ماتضطرب فيه الأمة من «اجتماع فاسد» .. على حد تعبيره .. والاجتماع الفاسد هو «المجتمع الفاسد» كما نسميه الآن .. وكان مجتمع الرافعى فاسدا فى رأيه لأنه جمع بين فئات تستظل بدين واحد ، فى وطن واحد ، وتفرقها المفاسد الطبقية ، وشرور الإقطاع ورأس المال الأجنبى والمحلى ..

● فى غمار الشعب

● كان الرافعى موظفا صغيرا ـ كاتبا بمحكمة طنطا الأهلية ـ ولكنه لهج

بموقف اجتماعى أكثر تقدما واستنارة من المواقف الاجتماعية لكثير من كبار أدباء عصره الذين تسنموا المناصب العالية ، وتلقبوا بالالقاب الرفيعة ، وارتفعوا ماديا وأدبيا فى ذلك المجتمع ، أو ذلك «الاجتماع» الفاسد .. وحسبنا أن نتذكر أن طه حسين صار وزيرا وتلقب بالباشوية ، وأن العقاد صار عضوا بمجلس الشيوخ ، ممثلا لأحزاب الأقلية ..

عاش الرافعى فى غمار الشعب ، صاحب موقف سياسى واجتماعى يعد متقدما جدا إذا قيس إلى معنى التقدم فى الاجتماع والسياسة خلال عصره .. وكان الرافعى يقول : **«السلطة درجة فوق الغنى ، ومن نال هذه استشرف لتلك .. فإذا جمعهما كان منهما الخلق الظالم .. إنَّ أحدهم إذا حكم وتسلط لم تكن ضربته الأولى إلا فى المبدأ الاجتماعى للأمة ، أو فى الأصل الأدبى للإنسانية»** ..

وسأل الرافعى نفسه فى بعض كتاباته :

– ماذا تصنع لو صرت مصلحا «رسميا» لهذه الأمة ؟! ..

وأجاب :

– «أعمد إلى الاغنياء فأردهم إلى الانسانية ، ثم أصلح ما أخل به الفقر من صفات الإنسانية فى الفقراء ، فيستوى هؤلاء وهؤلاء ، ويتقاربون على أصل فى الدم إن لم يلده آباؤهم ولده القانون ! .. إن سقوط أمتنا لم يأت إلا من تعادى الصفات الإنسانية فى أفرادها ، فهم أعداء فى وطنهم وإن كان اسمهم أهل وطن واحد» ..

هذه الآراء كان يكتبها الرافعى فى عصر انغمس فيه الأدباء المصريون والعرب فى الأحلام الرومانسية والكتابات المجردة من المضمون الاجتماعى المستنير ، أو فى الكتابات الاجتماعية المضطربة القائمة على أفكار سان سيمون والفابيين والفرق الاجتماعية الطوبائية الأخرى ، وحتى الافكار التى كان ينشرها سلامة موسى أحيانا ويسميها «ماركسية» لم تكن إلا خبط عشواء ..

وعاش الرافعى فى عصر الامتيازات الأجنبية .. وفى هذا يقول : "الأجانب يعاملوننا كأننا ثياب معلقة ليس فيها لابسوها .. كيف يتصعلك المصرى للأجنبى لو أن فى المصرى حقيقة القوة النفسية ؟! ..» .

ويسخر من المحاكم المختلطة رمز الامتيازات الأجنبية فيقول : «لو أن برغوثا قفز من صعلوك أجنبى فوقع فى ثوب صعلوك وطنى ، فتقاتل البرغوثان ، فقبض عليهما ، لما رضى البرغوث الأجنبى أن يحاكم إلا فى المحاكم المختلطة» ! .. هكذا كان الرافعى يسخر من سوء الحال ، وقد كان – رحمه الله – من أعاظم الساخرين فى الأدب العربى كله ..

ويتهكم الرافعى بمعاهدة سنة ١٩٣٦ التى فرضتها بريطانيا على

مصر : «.. فى السياسة الاستعمارية مواقف دميمة كالنساء الدميمات فإذا عرضوا واحدة منها على من يريدون أن يزوجوه فأباها وفتح لها عينيه ، أعفوه منها وقالوا له : سنأتيك بالجميلة ! .. ثم يذهبون بالدميمة إلى معهد التجميل اللغوى فيصقلونها ، ويصبغونها ، ويضعون لها أحمر السياسة وأبيضها ثم يعرضونها جديدة على صاحبهم ذاك ! .. ولهم عقول عجيبة فى اختراع الألفاظ - فى المعاهدات - حتى لتكون شدة الوضوح فى عبارة هى بعينها الطريقة لإخفاء الغموض فى عبارة أخرى ..» .

● الدين والحب

● وكان الدين يرتبط عند الرافعى بصلاح أمور الناس وسعادتهم فى الدنيا ، فإذا لمس انحرافا من دعاة الدين أو رجاله الذين يضعون على رءوسهم عمائم الورع والتقوى ، ويرفلون فى الجبة والقفطان والكشمير .. عنف فى الكتابة عن هذا الانحراف ، فيقول عن هؤلاء الرافلين فى ملابسهم الدينية : «لأمرٍ ماجعل هؤلاء القوم لأنفسهم زيا خاصا يتميزون به بين الناس ، كأنما الدين عندهم باب من التحرف والتصرف ، بعض آلته فى ثيابه .. فهؤلاء يسكنون فى أزيائهم هذه وكأنها دواوينهم لا ثيابهم" ! أى أن ثيابهم الدينية هذه تشبه أن تكون الدواوين الرسمية التى فيها وظائفهم وأعمالهم ..

لقد اشترك الشيوخ فى ثورة ١٩١٩ فكانوا من الطلائع ، وكانوا قادة فى المظاهرات ، وهم الذين اخترعوا تلك الهتافات البليغة التى لم يعرفها الشعب المصرى قط فى مظاهراته ، مثل : « الاستقلال التام أو الموت الزؤام » !.. ولكن فريقا من الشيوخ استمرأ الخصب فى الوظائف والمغانم بعد الثورة ، فلاحقهم الرافعى بالنقد الشديد وهو الذى كان معدودا فى الشيوخ وإن لم يدخل الأزهر فى حياته إلا مصليا أو زائراً للشيخ محمد عبده .

وكان الرافعى عدو التنطع فى الدين وان كان صوته الدينى من أعلى الأصوات ، وحسبه صوتا عاليا فى الدين ، كتاباه : « تحت راية القرآن » و « إعجاز القرآن ».. وبعض مقالاته فى « وحى القلم » ..

وفى تحرره من التزيد والغلو كان الرافعى مضرب المثل حتى عند « المجددين » الذين كان من شارات التجديد عندهم الزراية بأصحاب التزيد والغلو ، والحفاوة بمن يتبعون طريقة الحياة الأوروبية - وبخاصة الانجليزية - فى كل شىء .. من شرب

شاى الساعة الخامسة عصرا مع الكعك .. الى تثبيت القبعة على الرأس بدلا من الطربوش !

فالرافعى هو الأديب الأوحد فى عصره الذى وضع كتبا فى الحب والجمال ، ليس لها مثيل فى الأدب العربى كله .. ولو كان كتاباه « السحاب الأحمر » و «أوراق الورد » من تأليف كاتب غير مغضوب عليه من النقاد المجددين ، لصاحوا طربا وإعجابا وقالوا : هذا هو الأدب الجديد ، وهذا هو الأديب المجدد .

والرافعى المتدين هو صاحب أشهر قصة حب بين قصص الحب الكثيرة التى أحاطت باسم الأنسة مى فى العشرينيات .. وامتاز على منافسيه فى حبها بتسجيله هذا الحب فى كتاباته ، أما هم فقد أحجموا عن نشر كلمة واحدة عن حبهم حفاظا على مظاهرهم الاجتماعية ..

والرافعى هو الكاتب الفرد الذى كان يكتب فى الدين وفى الحب فى وقت معا .. وقد افتتن قراء مجلة « الرسالة » فى الثلاثينيات افتتانا شديدا بهذا اللون من الكتابة الذى لم تعرف العربية له نظيرا ، من عهد عبدالحميد الكاتب وابن المقفع .. الى عهد مجلة الرسالة .. ثم الى عهدنا هذا الميمون ..

وهو الذى كتب عن الجميلات العاريات المستلقيات على شاطىء الاسكندرية فى الثلاثينيات ، وكان احيانا يجلس على الشاطىء فى الليل ويقول : « .. القمر فى ليالى الصيف زاه رفاف من الحسن ، كأنه اغتسل وخرج من البحر ، ويُلقى من سحره على النجوم فتظهر حوله كأنها أحلام معلقة فى السماء » !

أما النساء على رمال الشاطىء فيشبهن حواء قبل اختراع الثياب : « إن الغريق على الشاطىء هو الذى يغرق فى الرمال التى يجلسن فوقها » .

وقد جرب الرافعى كل أنواع الحب حتى حب الراقصات ، ولم يكن يحب من النساء الا الجانب الذى يشعل فيه نشوته الروحية وكان عاشقا ينير العشق مابين يديه « فكأنه هو وحبيبته تحت أعين الناس ، ماتطمع الا أن تراه ، ومايطمع الا أن يراها ، ولا شىء غير ذلك » .

وكان لايكتب رسالة الى من يحب حتى يستأذن فى ذلك زوجته « حتى لايعتدى على شىء من حقها » !

وكان فى الحب معلقا بأوهام الذكاء التى تلمس الحقائق بقوة خالقة تزيد فيها» .

كان الرافعى المتدين المخلص فى تدينه ، فنانا من قمة رأسه حتى أخمصيه ، ولم يكن بين تدينه وفنه تناقض ، وأتاح له عصره الذى كان

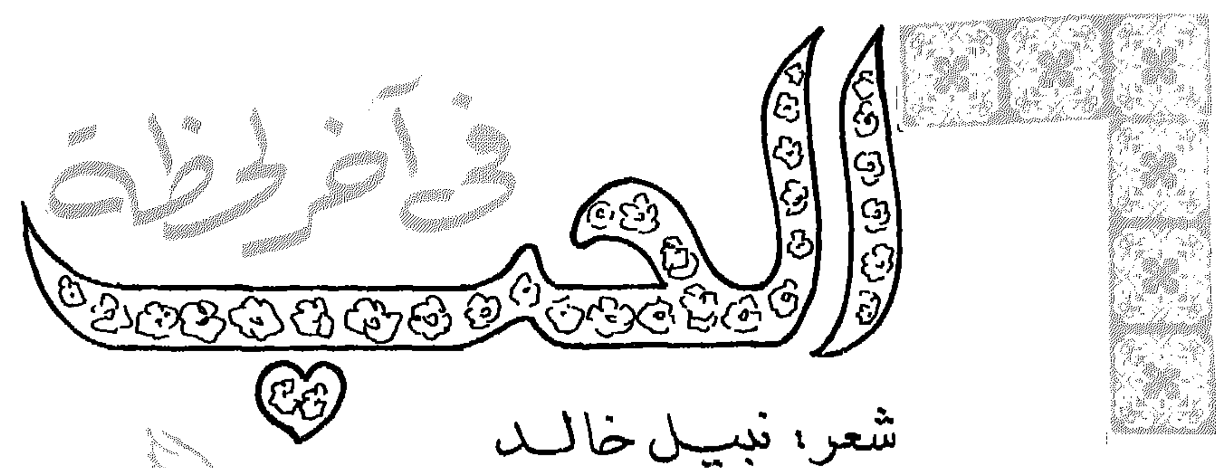
في مجمله عصر نهضة وتسامح ، أن يكون فنانا عظيما في الأدب ، ومدافعا قويا في الدين » ..

وكان يهاجم أعداء الشعر العربي الذين يزعمون جمود الأوزان والقوافي وقصورها عن الأداء ، ثم يعلن بلا مواربة أن البحور والقوافي قد تعوق الشاعر العربي ، فيصبح له عندئذ الا يأخذ بها ، وأن يكتب معانيه الشعرية نثرا « أو كما يصنعون الآن بالتفعلية » وكان يحبذ « صياغة بعض الشعر على أصول التفكير في الانجليزية أو الفرنسية أو غيرهما من لغات الأمم ، فيخرج الشعر عربيا ، وأسلوبه في تأدية المعنى أجنبي » وقد بلغ رأيه هذا من التحرر مالم تبلغه آراء أصحاب « مدرسة الديوان » المشهورة ، وآراء النقاد المجددين الذين جاءوا بعقبها حتى أيامنا هذه .. ومن حسن حظ الرافعي أنه لم يعش في أيامنا السعيدة الراهنة ، أيام المتطرفين الدينيين أصحاب الخناجر والهراوات والجنازير .. وإلا لأغرقوه في لجة من التهم ، وأسقطوا عنه كل حسنات التدين والدفاع عن الدين تحت راية القرآن ، جزاءً وفاقا ، وعقابا رادعا له عن الكتابة في الحب والجمال والرقص والغناء والتجديد السياسي والاجتماعي والأدبي والفني !

ان المتطرفين والأغرار المتمسحين بالدين يحاولون الآن أن يطمسوا بأكفهم الجانب الفني والأدبي والاجتماعي والسياسي المتحرر من الرافعي ، والاكتفاء بمايرونه من جانبه الديني ويتصورون أنهم يجدون فيه سندا فكريا لهم .. ولعلهم ينكرون أنه كان يخشى المسرح والسينما والسيرك ومقاهي الأوروبيين ، ويؤلف أغنيات باللهجة العامية ، وينظم الأناشيد الوطنية غير الدينية ، ويتفق مع ملحنيها على طريقة تلحينها مع أنه كان أصم لايسمع !

ويرحم الله الرافعي !.. لقد حاول خصومه من معاصريه أن يصوروه للناس مجرد داعية الى القديم !.. ويحاول الآن « أصدقاؤه » من المتطرفين وقصار النظر نفس محاولة خصومه فيصورونه كواحد من السلفيين الجامدين المعادين للتقدم .

ويوشك الرافعي أن يضيع بين خصومه القدماء وأصدقائه الجدد !.. وقد آن لنا أن نعرف هذا الكاتب الفنان العظيم على حقيقته التي حجبها أعداؤه وأصدقاؤه بلا اختلاف بينهم على شيء ، وإن كانوا مختلفين على جميع الأشياء !



ياسيدى
اذهب بعيدا حيثما تريد
قد مزقت اوراقنا
من زمن بعيد
وصار قلبى
لايريد حبك البليد
فقدت لهفتى
نسيته ولا رجوع للقديم
حتى رسائلى اليك
لااريدها
كتبتها وكنت ساذجة
والآن قد صحوت من سذاجتى
علمتنى الكثير والكثير
نزعت نابك الذى غرسته
اطفأت فى قلبى الحريق
وصرت دمعة لفظتها
ودست فوقها
تركتها لأكمل المسير
ولم يعد كلامك الجميل فى مسامعى
هل تحتفظ
فريسة بمخلب
فى لحمها وتدعى بأنه جميل
واليوم جئتنى تبثنى غرامك الجديد
تقول لى .
لتغفرى خطيئتى
يازهرة من ياسمين
لتقبلى عذرى
ونبدأ المسير
ياسيدى لاتعتذر
قتلتنى !..
واليوم جئت كالجريح
لاتقترب
ودع يدى
النار ترعى فى أناملى
وأحترق
لاتقترب
الحب يجرى فى دمى وينتشر
لاتقترب ... لاتقترب

من أوراق الدكتور طه حسين

تيسير النحو العربى واصلاح الكتابة العربية

بقلم : د محمد حسن الزيات

بين أوراق المرحوم العميد الدكتور طه حسين صورة خطاب غير مؤرخ وجهه الى وزير التربية والتعليم او وزير المعارف العمومية فى ذلك الوقت عن تيسير النحو العربى واصلاح الكتابة العربية يقول فيه (ان لهاتين المسالتين المشكلتين خطرا عظيما هو اظهر من ان يحتاج الى وصف او بيان) وقد كان هذان الموضوعان يشغلان بال طه حسين واهل جيله ، واتجه بعضهم مثل المرحوم عبد العزيز باشا فهمى - الى التفكير فى استعمال الحروف اللاتينية فانكر طه حسين ذلك عليه وخاصمه فيه اشد الانكار واعنف الخصام على ان هاتين المسألتين المشكلتين لاتزالان اليوم بغير حل ، ولاتزالان تشغلان بال الكافة من خاصة وعامة فى مصر وفى كل البلاد العربية فلعل نشر هذا الخطاب اليوم ان يساهم فى الوصول الى حل لهاتين المسالتين المشكلتين يقول طه حسين فى خطابه « ان الحياة الصحيحة للغة العربية رهينة به »

حضرة صاحب المعالى وزير المعارف العمومية

تفضلت فتحدثت الىّ فى مسألتين لهما فى حياتنا الفعلية أبعد الاثر وابلغه إحداهما : تتصل بتيسير النحو العربى وجعله ملائما لطبيعة العصر الذى نعيش فيه موافقا لمزاج العقل الحديث ، والاخرى تتصل باصلاح الكتابة العربية بحيث تعصم القارئين من الخطأ وتمكنهم من ان يقرأوا الكلام كما اراد صاحبه ان يكتبه وكما يحب صاحبه ان يقراه الناس . وما اشك فى ان لهاتين المسألتين خطرا عظيما هو اظهر من ان يحتاج الى وصف


طه حسين

او بيان وحسبى ان أقول ان الحياة الصحيحة للغة العربية رهينة بحل هاتين المسألتين المشكلتين وانا لنغالط انفسنا اشد المغالطة ونخادعها اشنع الخداع حين نظن اننا نعلم تلاميدنا وطلابنا اللغة العربية ونفقههم فيها ونبصرهم بها ونمكنهم من ان يعبروا بها تعبيرا صحيحا بما يريدون او يفهموها فهما صحيحا اذا قرأوها فى الكتب والصحف او سمعوها من الخطباء والمحاضرين على نحو ما يعبر الناس بلغاتهم وعلى نحو مايفهم الناس لغاتهم .

فنحن فى حقيقة الامر لانكاد نبلغ من هذا شيئا وقد اثبتت التجارب التى لاتقبل سكا ولا تتعرض لريب ان شبابنا بعيدون كل البعد عن ان يعرفوا لغتهم معرفة متوسطة فضلا عن ان يحسنوها ويتصرفوا فيها تصرف المالك لها العالم بها المتقن لدقائقها واسرارها وشبابنا مع ذلك ينفقون فى درس اللغة العربية وينفق معهم اساتذتهم وقتا طويلا ويحتملون فى ذلك ويحتمل معهم اساتذتهم جهدا ثقيلا فهم يدرسونها أربعة أعوام فى التعليم الابتدائى وخمسة أعوام فى التعليم الثانوى ، ثم يصلون إلى الجامعة أو المدارس العالية وهم عاجزون أشد العجز من ان يصوروا آراءهم وخواطرهم تصويرا صحيحا بالكتابة أو الخطابة أو الحديث فضلا عن ان يصوروا هذه الآراء والخواطر فى الشعر الرائع أو النثر الفنى الجميل . وقد اعترفت وزارة المعارف نفسها بهذه الحقيقة بعد ان اقنعتها التجربة بها ودلتها الحوادث عليها فساقت الى الذين يعنون بتعليم اللغة العربية حديثا تسألهم فيه عن أسباب هذا العجز الظاهر وعن الوسائل التى يمكن ان تتخذ لاتقانه وتبرئة الشباب وقد تلقيت سؤال الوزارة هذا منذ أشهر فيمن تلقاه وقد رد عليه كثير من الناس فى أحاديث خاصة وجهوها إلى الوزارة وفى مقالات وفصول نشرتها الصحف والمجلات ولكنى اثرت الصمت واخترت ان اقرأ سؤال الوزارة ثم لاأجيب عليه لانى كنت مستيئسا من فائدة هذه الاجابة واثقا بانها لن تغنى شيئا مستيقنا انها ستصل الى الوزارة فيما يصل اليها من الاجابات فتقرأ اولا تقرأ ثم تحفظ بعد ذلك فى مكان امين او تسلم الى الاهمال الذى ينتهى بها الى الضياع .

وكنت محققا فى نفسى ان الوزارة لن تأخذ من الوسائل التى يمكن ان اقترحها عليها بشيء لأن الأخذ بهذه الوسائل كلها أو بعضها يحتاج إلى جرأة قد لاتقدم عليها البيئات الرسمية إلا بعد تردد طويل ولعل هذا التردد ان ينتهى بها إلى الأحجام والصبر على المكروه .

وكذلك رسمت لنفسى منذ عهد غير قصير خطة الاعراض عن السعى عند الوزارة فى بعض وجوه الاصلاح التى تحتاج الى الحزم والعزم والى الجراءة والاقدام وإلى مواجهة بعض المصاعب التى تنشأ عن المحافظة والغلو فيها . وآثرت ان أترك أمور هذا الاصلاح تجرى مع طبيعة التطور وتفرض نفسها على الأجيال شيئا فشيئا وماكنت لأخرج عن هذه الخطة التى أخذت نفسى بها منذ حين لولا انى وجدت من حديث معاليكم ومن رغبتكم الملحة فى اصلاح أمر اللغة العربية ما رد بعض الأمل وشجعنى على ان أعود إلى التفكير فى أشياء قد تركت التفكير فيها منذ زمن بعيد . **وانى لسعيد كل السعادة مغتبط أشد الاغتباط حين الاحظ ان الآراء التى سمعتها من معاليكم فى اصلاح النحو والكتابة مطابقة كل المطابقة لما كنت أطمع فيه واطمح اليه منذ أعوام طويلة فليكن اقبال معاليكم على هذا الاصلاح فالا حسنا ومقدمة سعيدة لخطوات موفقة ان شاء الله .**

— ٢ —

ولقد لاحظت منذ اعوام فى تقرير رفعته الى احد وزراء المعارف السابقين ان النحو الذى نعلمه لتلاميذنا وطلابنا فى القرن الرابع عشر للهجرة هو بعينه النحو الذى كان يعلم فى البصرة والكوفة وغيرهما من مراكز الثقافة الاسلامية فى القرن الثانى والثالث للهجرة اى اننا نعلم النحو فى هذه الايام على الطريقة التى كان يعلم عليها منذ أكثر من الف سنة .. ولاحظت ان العلوم كلها قد تطورت وتغيرت أصولها وقواعدها ومناهج تعليمها والبحث عنها إلا علوم اللغة العربية فإنها ظلت كما هى لم تتطور ولم تتغير إلا أن يكون ذلك من طريق الاختصار الذى لايذلل صعبا ولعله يصعب السهل ويدفع الواضح إلى الغموض وليست العلوم وحدها هى التى تطورت او بعبارة أصح لم تتطور العلوم إلا لأن العقل نفسه قد تطور وتغير فانتج علما مخالفا لما كان نتيجة من قبل وعجز عن إساغة العلم القديم الذى كان يسيغه العقل القديم .. وما من شك فى اننا لانستطيع التفكير فى ان نعلم الطبيعة والطب على نحو ما كان يعلمهما الرازى وابن سينا او ارسطاطاليس وجالينوس **ولكننا نطمئن الى تعليم النحو والصرف بنفس الطريقة التى كان يعلمهما بها الكسائى وسيبويه .** ومصدر هذا التناقض الغريب خطأ فى التقدير تورط الناس فيه منذ زمن بعيد ثم استقر فى نفوسهم وامتزج بعقائدهم واصبح تحويلهم عنه شيئا عسيرا ، فهم قد ظنوا ان النحو هو اللغة وان تغيير قواعده واصوله تغيير للغة وافساد لها ومن حيث ان اللغة العربية هى لغة القران الكريم والسنة المطهرة فينبغى ان ترتفع عن التغيير والتبديل وان يتقى التصرف

فيها على اى وجه من الوجوه يعرضها للتغير أو التطور واغرب من هذا ان اللغة قد تغيرت وتطورت غير مرة فى تاريخها الطويل دون ان يمس ذلك لغة القرآن والحديث أو يؤثر فيها تأثيرا قليلا وكثيرا ولكن الناس لم يفطنوا لهذا اولم يحفلوا به وظلوا يؤمنون بان النحو هو اللغة وبان تغيير قواعده وأصوله شر عظيم . ومع ذلك فليس النحو إلا قواعد يقصد بها إلى ضبط استعمال اللغة على اقرب وجه وايسره وقد ابتكر النحو ابتكارا فى أول الحضارة الاسلامية واستحدثت قواعده بعد ان لم تكن واختلفت فى تصويرها وضبطها وعرضها آراء الائمة و العلماء فلم ينشأ عن هذا الاختلاف افساد للغة ولم تتعرض من أجله لخطر جليل أو ضئيل وأى خطر تتعرض له اللغة حين يختلف الكوفيون والبصريون مثلا فى ان المبتدأ مرفوع بالابتداء أو مرفوع بالخبر ، وفى ان الأسماء الستة ترفع بالواو وتنصب بالالف وتجر بالياء أو ترفع بضمة قبل الواو وتنصب بفتحة قبل الالف وتجر بكسرة قبل الياء أو تعرب بالحركة والحرف جميعا أو تعرب بحركة مقدرة على هذا الحرف سيظل المبتدأ مرفوعا مهما يكن رافعه وستظل الأسماء الستة معربة على هذا النحو المعروف مهما تكن علامة اعرابها وعلى هذا النحو كل اختلاف العلماء التى تشبه هذين المثالين لم تغير اللغة ولم تعرضها لسوء . فلو اننا احدثنا مذهبا جديدا فى ضبط قواعد النحو فقلنا ان المبتدأ مرفوع وسكتنا عن رافعه مثلا لما كان لهذا المذهب الجديد اثر فى اللغة من حيث هى لان المبتدأ سيظل مرفوعا كما كان فتستقيم اللغة كما استقامت دائما ولكن هذا المذهب الجديد قد يريح التلميذ والطالب من عناء لاحاجة اليه ولا فائدة فيه هو عناء البحث عن هذا العامل المعنوى الذى كان يرفع المبتدأ عند البصرين وهو الابتداء او عناء الفهم لهذا العبث الطريف الذى كان يجعل المبتدأ رافعا للخبر والخبر رافعا للمبتدأ عند الكوفيين .

وما أشد حاجة التلميذ والطالب فى هذا العصر الذى كثر العلم فيه وتعقدت ألوان المعرفة الى ان نريحه من العناء الذى لايغنى ونقدم إليه من العلم مايستطيع ان يسيغه ونحن ان لم نفعل ذلك بغضنا إليه العلم تبغيضا وصرفناه عنه صرفا واظن اننا قد نجحنا الى الآن فى تبغيض اللغة العربية وعلومها الى التلاميذ والطلاب وما أرى ان الفتى المصرى يبغض من العلوم التى يحصلها فى المدرسة شيئا كما يبغض النحو والصرف والمعانى والبيان والبديع ذلك لان هذه العلوم لاتتصل بنفسه ولاتتحدث الى عقله ولاتلائم طبعه ومزاجه وانما هى الغاز لاتفهم أو سخف لايستطيع ان ينظر اليها نظرة الجد .

وكيف نريد التلميذ على ان يفهم اننا اذا قلنا محمدٌ أقبل فلابد من ان نقدر فاعلا مستترا للفعل ومن ان يكون هذا الفاعل المستتر ضميرا يرجع على محمد . وكيف نريد الطالب على ان يفهم ان هذا الضمير المستتر قد يستتر جوازا مرة ويستتر وجوبا مرة أخرى وهو فى كل حال مبنى ومحله دائما محل الرفع كل هذا كلام لايسيغه العقل الحديث ولا سيما فى طور الطفولة والشباب فاذا فرضناه على الصبى او الفتى فإنما نفرضه على الذاكرة وتكلف التلميذ ان يحفظ مالايفهم وان

يعيده فى الامتحان كما تعيد الببغاء ماتحفظ من الصيغ والالفاظ وهذه الامثلة التى ذكرت اهون ما يلقى التلميذ حين يأخذ فى درس النحو ولا اريد ان اعرض للحركات التى تقدر ويمنع من ظهورها التعذر أو يمنع من ظهورها الثقل او تمنع من ظهورها كسرة المناسبة ولا أريد ان أعرض للاشتغال ولا أريد ان أعرض للحروف التى تنوب عن الحركات ولا الحركات التى ينوب بعضها عن بعض كالفتحة التى تنوب عن الكسرة والكسرة التى تنوب عن الفتحة ولا اريد أن اعرض لنظرية العامل التى تكلف التلميذ والطالب عناء ثقيلا دون ان يفهمها أو يسيغها وما أكثر ما يسأل التلميذ نفسه عن هذه الأدوات التى تنصب الاسم وترفع الخبر كيف تعمل النصب والرفع مع انها فى حقيقة الأمر لاتعمل شيئا . فلو ارحنا الطالب من هذا كله ويسرنا له امور النحو تيسيرا وحببنا اليه دروس اللغة العربية واتحنا له فهمها وذوقها والانتفاع بها فى الكلام والفهم نعرض اللغة لخطر قليل أو كثير ، كلا انما نحط عن التلميذ عبئا ثقيلا ليس هو فى حاجة الى احتماله وانا واثق كل الثقة بأن اراحة التلميذ من هذا العناء الثقيل السخيف ستغير نظرته الى دروس اللغة العربية واقباله عليها وستظهر نتيجة ذلك فى أسرع الوقت واقصره فيعهم

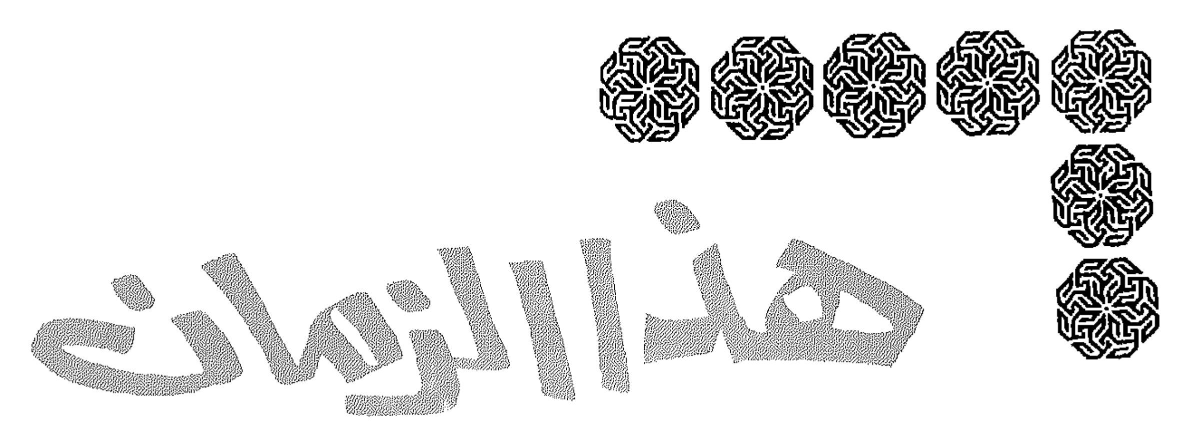
أما اصلاح الكتابة فليست الحاجة إليه أقل من الحاجة إلى اصلاح النحو ولعلها ان تكون أشد منها واكثر شيوعا فليس كل الناس مضطرا إلى ان يتعلم النحو ولكن كل الناس مضطر إلى ان يقرأ ويكتب وهو فى حاجة إلى ان يعصم من الخطإ إذا قرأ وكتب وقد صور حاجة الناس إلى هذا الاصلاح تصويرا صادقا كل الصدق فى حديثكم الذى اذعتموه منذ حين واكبر الظن ان مصدر

الشر في هذه المسالة هو بعينه مصدر الشر فى المسالة السابقة فقد استقر فى نفوس الناس ان الكتابة كما هى مقدسة لا ينبغى ان تمس ولا ان ينالها التغيير كما ان النحو مقدس لاينبغى ان يمس ولا ان يناله التغيير وقد نسى الناس ان الكتابة غيرت وتطورت ونالها العلماء بالاصلاح فلم يصب اللغة من ذلك شر ولم يلم بها مكروه وقد ارادت الظروف ان تكون الكتابة العربية كغيرها من الكتابات السامية ناقصة نقصا شنيعا يصور نصفها ويهمل نصفها الاخر تصور حروفها الجامدة وتهمل حروفها اللينة ونشا عن هذا ان أصبحت الكتابة لاتكاد تغنى وهى على كل حال شديدة العسر ولايحسن قراءتها الا الذين يفهمون قبل ان يقراوا وقد يمكن ان يقبل هذا حين تكون الكتابة مقصورة على طبقة ضيقة من الناس تحتكرها وتتفرد بها كما كان الكهان يحتكرون العلم و يستأثرون به فى بعض العصور فاما اذا فرض الدستور ان يقرا الناس جميعا وان يكتبوا فاما اذا الغت الديمقراطية هذا النوع من الاحتكار فلاينبغى ان تطالب عامة الناس بان يفهموا قبل ان يقراوا وبان يكون لهم ذكاء العلماء والمتفوقين

وانما ينبغى ان نجعل القراءة اداة تمكنهم من الفهم لاغاية يمكنهم الفهم منها وليس الى ذلك من سبيل الا أن تكون الكتابة كاملة كالنطق فتصور فيها الحروف الجامدة والحروف اللينة كما ان النطق كامل يصور فيه هذان النوعان من الحروف . فنحن اذا نطقنا بلفظ كتب لاننطق بالكاف والتاء والباء وحدها وانما ننطق معها بهذه الفتحات الثلاث التى هى النصف اللين لهذه الكلمة فما بالنا نصورها فى النطق فى الكتابة . وكيف السبيل للقارىء الساذج اذا رأى هذه الاحرف الثلاثة الجامدة ان ينطقها على الصورة التى أرادها لها الكاتب إلا إذا فهم قبل ان يقرا وكيف يتاح ذلك لغير العلماء والاذكياء من الناس . وإذا كان الائمة من علماء المسلمين قد فطنوا لخطر هذه المسألة بالقياس الى القران الكريم نفسه فحاولوا تصور هذه الحروف اللينة فى المصحف الشريف بالنقط مرة وبالشكل المعروف مرة أخرى فما الذى يمنعنا نحن من ان نمضى فى هذه الطريق التى مهدها لنا المتقدمون افلا يسعنا ان نصنع ماصنع ائمة القرن الاول والثانى **وكيف ينكر علينا مالم ينكر عليهم وكيف نلام على مالم يلاموا عليه وايهما خير ان نسلك هذه الطريق التى سلكوها فنتم مابدأوا ونحقق ما ارادوا ام ان نبقى حيث نحن فنحول بين اللغة العربية وبين الحياة والخصب والنماء لو نضطر الى ان نصطنع الكتابة اللاتينية كما اصطنعها الترك اما انا فما اشك فى ان الاقدام على هذا الاصلاح فرض لاسبيل إلى اهماله إلا إذا ابحنا لانفسنا إهمال اللغة نفسها وتركها عرضة لتقلب الظروف ولكن تحقيق** هذا الاصلاح ليس من الاشياء اليسيرة فهو قد يحتاج إلى جماعة من الفنيين الذين يتقنون العلم بانواع الكتابة والخط ويحسنون التصرف فيها ليدرسوا هذه المسألة درسا عميقا ثم يعرضوا مايتاح لهم من الحلول العملية التى تجمع بين الدقة واليسر والبساطة . وربما كانت المسابقة العامة من الوسائل المنتجة فى هذا الأمر بعد ان يستقر راى العلماء ويتم اتفاقهم على ضرورة الاخذ بهذا الاصلاح .

وخلاصة القول انى اقترح اولا ان تؤلف لجنة صغيرة تكلف تبسيط النحو ورفع ماتنتهى إليه من هذا التبسيط إلى معاليكم لتروا رايكم ولتعرضوه ان شئتم على هيئة اوسع واشد تنوعا من هذه اللجنة وثانيا ان تستشيروا فى مسالة اصلاح الكتابة طبقات مختلفة من المشتغلين باللغة العربية وعلومها فيستشار الأزهر وتستشار دار العلوم وتستشار الجامعة ويستشار المجمع اللغوى . فإذا اتفقت هذه الهيئات كلها على الأصل الأساس وهو من تصوير الحروف اللينة أو الحركات على انها جزء من الكلمات ضرورة لابد منها وخير لا شر فيه عرض موضوع هذا الاصلاح لمسابقة عامة لافى مصر وحدها ولا فى الشرق العربى وحده بل فى الشرق والغرب جميعا .

وانا أرجو ان تتفضلوا فتقبلوا مع أجمل الشكر واحسن التقدير اخلص التحية واعظم الاجلال .



هذا الزمان

شعر : أحمد عبد الحفيظ سلام

أنتِ التى اغْريْتنِى بالسفرْ وقلت لى هيًا الى جَنَّتِكْ
دنياك صارت مرتعا للبشرْ وانت انت العمر فى وحدتك
اطلق جناحا قد طواه القدرْ لكنــه يحنو الى غنــوتك

★ ★ ★

فقلتُ : يانفس دعينى فقد عرفت من نجمى مدى قِسْمتى
طوّفت فى دنياى حينا فما رأيت ظلّى يقتفى خطوتى
وعدت يانفس وقد هالنى مايطمس الاحلام فى رحلتى

★ ★ ★

رأيت قوما فى صراع على فتات زَادٍ قسمة الجائعينْ
داسوا على المحروم لما هوى فى ساحةٍ فرسانها يلهثونْ
واستنجد المجروح والكل فى مخالب الدنيا فهل يسمعونْ ؟

★ ★ ★

وقلت يانفس سؤالى بدا فجًا فهل ألقى لديك الجوابْ ؟
لو اننى فى منتهى حفرة أبكى وقد ينهال فوق التراب !
فهل اتى من هَزَّنى من يدى وصَدَّ عنى ماأرى من عذاب ؟

★ ★ ★

لو اننى فى عُقر دارى وقد اصبح ملء الكون من دائيه !



والناس فى يُسْرٍ بما نالهم		من اِنعم الخيرات والعافية
هل زارنى منهم صديق وهل		داوى جراحاتى وأوجاعيه ؟

★ ★ ★

لو اننى امضى الى غاية		والجوع فى جَنْبىَّ مثل اللهيبْ
وقد بدا جسمى هزيلا كما		يبدو نداء القبر منى قريب
فهل ارى من بات فى نعمة		يقذف لى مِما يفيض النصيب ؟

★ ★ ★

لو كنت ابدو بينهم عاريا		اضرب فوق الارض فى خِرقَتى
وقد بدت ساقاى مرعوشة		والبرد يقصفنى بلا رحمة
هل راعهم عُرْيى وجادوا بما		يستر عن انظارهم عورتى

★ ★ ★

هذا زحام ضاع فى بحره		فرد فهل من حيلة للنجاه ؟
يقاوم الحرمان حتى هوى		فى صرخة اليأس وخارت قواه
هـذا زحام كلـه جائـزٌ		حتى ولم يرحم شقيق اخاه

★ ★ ★

اللغة التركية في مصر

بقلم : د. محمد حرب

ليس هذا المقال ، اكاديميا في تاريخ اللغة التركية في مصر ولكنه محاولة لعقد صلة في موضوع طريف وهو اهتمام مصر باللغة التركية في عهد المماليك ، يعقبه مقال عن اللغة العربية في الدولة العثمانية .

كان صلاح الدين الايوبي كرديا ، لكنه لم يكن يعرف التعصب لكرديته ولا للغة الكردية ومع اكثار الايوبيين للمماليك من الترك ، فتحت الابواب الى انتشار اللغة التركية في الجيش الايوبي ، وفي قصور الايوبيين "حتى اطلق المؤرخون على دولته اسم الدولة التركية" وربما يرجع سبب من اسباب هذه التسمية الى ان الحضارة السلجوقية — وهي حضارة تركية — قد دخلت مصر معهم — اى مع الايوبيين — ابتداء من العقيدة المذهبية الى الفنون الجميلة الى الخط ، الى التنظيمات الادارية والنظم العسكرية ، اى الى كل فروع الحضارة

لم يقتصر اهتمام مصر باللغة التركية على عهد الدولة الايوبية فقط فقد وجدت هذه اللغة ساحة انتشار واسعة ونشاطا ادبيا عالى النفوذ في العهد المملوكي بشطريه : المملوكي التركي (١٢٥٠ — ١٣٨٢) والمملوكي الشركسي (١٣٨٢ — ١٥١٧) وهي فترة تاريخية هامة حوت بين جنباتها « الحروب الصليبية » واخذت هذه الدولة المملوكية — وهي تركية بشطريها كما اسلفنا — صفة قوة من اعظم القوى السياسية والعسكرية في العالم ونقلت مركز الثقل في عالم العصور الوسطى، الى مصر . وصارت مصر بهم وبقواتهم القوية وبجيوشهم المنظمة ، قوة عظمى تدافع عن الاسلام وعن العالم الاسلامي امام الغرب المتمثل في الجيوش الصليبية .. كما كانت مصر ، بهم وبقواتهم وبجيوشهم، القوة العظمى التي اوقفت التقدم المغولي المذهل .

ولم يكن احد من سلاطين المماليك وامرائهم — على الاغلب — يعرف اللغة العربية . مثال ذلك ان السلطان قلاوون كان يعرف اللغة العربية معرفة باهتة ، ويؤيدنا في ذلك مؤرخنا المقريزي . كما نجد ان السلطان برقوق اول سلاطين الدولة المملوكية الشركسية ، يطالب عند وصوله صلب عالما تركيا يوجد في معيته ليقرأ له الكتب التركية .

وهذا ، ان دل على عدم معرفة الامراء والسلاطين المماليك باللغة العربية ، الا انه يدل من ناحية اخرى على معرفة هؤلاء باللغة التركية ومثال ذلك ان السلطان قايتباى كان ينظم اشعاره بالتركية في لهجتها

القبجاقية . وكان محمـــد بن قايتباى كذلك ينظم أشعاره باللغة التركية . ولا ننسى هنا اديب اللغة التركيـــة السلطان قانصوه الغورى . والجانب الثقافى للغورى هام ، فقد كانت له ثقافته الدينية الواسعة ، كما كان له اهتمامه الواضح فى التاريخ بالادب وله كتاب فى التفسير بعنوان كوكب الدرى فى أجـــــوبه الغورى وله منظومتان ورسالة منظومة بعنـــوان قصائد الربانيـــة والموشـــحات السلطانية الغـــورية . وفى مناقب ابراهيم كلشنى ، ان الغـــورى كان يجيد ثلاث لغات . وقصائده التركية بعضها مخطوط فى طوب قابو وملت فى استانبول وبعضها ظهرت عنـــه دراسات حديثة ولاستاذى الجليـــل الدكتور شهاب الدين تكين ضاغ عليه رحمة الله مقالات عن ادب الغـــورى المكتوب باللغة التركية .

● لغة هامة فى مصر

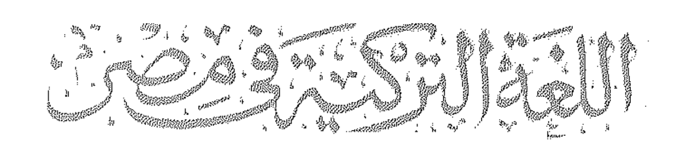
لكن مصر اهتمت باللغة التركية منذ القرن الثالث عشر الميلادى تعليمـــا وتدريسا ، وظهرت فيها الكتب لهـذا الغرض التعليمى وكتاب بلغة المشتاق فى لغة الترك والقبجاق شـــاهد على اهتمام مصر باللغة التركية ونشرها. وهذا الكتاب عبارة عن قاموس عربى تركى . ويرجح أن كاتبه « هو جمـــال الدين ابو محمد عبـــد الله التركى » كتبه فى تاريخ ترجيحى ايضا هـــو « قبل عام ١٤٣١ » . وكان كاتب هذا الكتاب يهدف الى تصنيف قامـــوس للغة التركية وان كان يتحـــدث فى مقدمته عن كتابه بانه « ترجمان اللغة التركية » الا ان الكتاب اشتهر باسـم كتاب بلغة المشتاق فى لغـــة الترك والقبجاق . ولهذا الكتاب مخطـوطة نادرة فى المكتبة الوطنيـة فى باريس ويحتوى على واحد وسبعين ورقـه .

قسم المؤلف كتابه هذا الى قسـمين : اسماء وافعال . قامت اكاديميـــة العلوم فى وارسو (عاصمة بولندا) بنشر هذا الكتاب على مرتين : الجزء الثانى الخاص بالافعال عام ١٩٥٤ . والجزء الاول والخاص بالاسماء عام ١٩٥٨ .

ينبغى هنا الاشارة الى ان اللغـــة التركية كانت هامة فى مصر فى عهـد المماليك وكتبت بها كتب كثيرة قدمت لامراء المماليك وســـلاطينهم ، لكن انتشار اللغة التركية فى ذلك الوقت فى النظم الحضارية والتنظيمـــات العسكرية الاسلامية ، كان يمتـــد من خوارزم الى أذربيجان ومن الاناضول الى سوريا ومصر . الا ان مركـزها كان مصر . اقصد مركز الاهتمام الاول باللغة التركية ، حيث القـوة الاولى فى المنطقة وواحدة من القوى العظمى فى العالم ان لم تكن هى القوة العظمى الاولى .

اما فى القرن الرابع عشر فقد بنى الامير صغور غتمش مدرســـته فى القاهرة ، فاستقدم بعد بنائها ، بعض علماء تركستان وغيـرها من المناطق التركية ، لتعليم اللغة التركيـــة ــ بجانب العلوم العربية والاســلامية واللغة العربية ــ مثل الشيخ محمود ابن قوطلو شاه المتوفى عام ٧٧٥ .

ومن المؤلفات التركية فى مصـــر فى القرن الرابع عشر ايضا ، ما كتبـــه الشيخ صدر الدين عام ١٣٩٩ وهـــو كتاب على المذهب الحنفى ، والشـــيخ محمود بن عبد الله الكلســـــتانى السرايى المتوفى عام ٦٣٩٩ قد صنف عدة كتب فى مختلف ساحات المعـرفة المعروفة وقتها فى ثلاث لغـــــات منها التركية . وهذا الشيخ هو العالم الذى أستقدمه اليه السلطان برقـوق عندما كان هـذا



اللغة التركية في مصر

فى حلب لقراءة الكتب التركية على السلطان . ومن العلماء فى هذا المضمار أيضا الشيخ ابراهيم شيخ السرايى والشيخ احمد بن ابى يزيد

والكتب التركية التى كتبت فى مصر معروف بعضها لدينا ، لكن بعضها الاخر مازال غير معروف ، حتى ان حاجى خليفة لم يوردها فى كشف الظنون . ولكن ، مع عمليات فهرسة مكتبات استانبول والبحث فيها ، بدأت مخطوطات قيمة تظهر فى هذا الميدان .

اما اذا استطردنا فى ذكر بعض اسماء وعناوين الكتب اللغوية القيمة التى صنفت فى مصر فى العهد المملوكى ، نذكر كتابا باللغة التركية فى الفقه الحنفى والمعاملات مسجلا تحت رقم ١٠٤٦ فى مكتبة فيض الله افندى باستانبول . ويحدثنا حاجى خليفة عن كتاب منظوم لزين الدين ابن عبد الرحمن العينى (متوفى على ٧٩٣هـ) باسم الدرة المودعة فى اللغة التركية . كما اننا على علم بمؤلفات ابن حيان الغرناطى العالم اللغوى العربى المشهور فى عصره . ولد هذا العالم فى غرناطة لكنه نشأ وتعلم ومات فى مصر . له مؤلفات فى اللغات ومنها اللغة التركية وقد كتب ابو حيان هذا فى مصر عدة كتب فى اللغة التركية منها : كتاب زهر الملك فى نحو الترك ــ وكتاب الافعال فى لسان الترك ، وكتاب القوانين الداخلية لضبط اللغة التركية ، وكتاب الادراك للسان الاتراك . وهذا الكتاب الاخير هام مكتوب باللغة التركية فى لهجتها القبجاقية . وهو قسمان معجم وكتاب نحو . كتبه المؤلف فى القاهرة عام ١٣١٢ وهو من اقدم كتب الصرف والنحو التركى ويلاحظ انه لم يكتبه فى قسمه المعجم حسب الترتيب الابجدى . وهذا القسم المعجمى جدير بالاهتمام . وللكتاب مخطوطتان واحدة فى استانبول وتقع فى ١٣٢ صفحة ، ناسخها مجهول اما تاريخ نسخها فمعلوم وهو عام ١٣٣٥ وهذه المخطوطة برقم ٢٨٩٣ فى مكتبة ولى الدين افندى (قسم من مكتبة الدولة فى بايزيد باستانبول) والثانية فى مكتبة جامعة استانبول تحت رقم ٣٨٥٦ مخطوط عربى استنسخها احمد الشافعى عام ١٤٠٢ فى اللاذقية فى سوريا وهى فى ١٩٦ صفحة ، وقام مصطفى السلانيكى عام ١٨٩٢ م بنشرها معتمدا على نسخة ولى الدين افندى وهى تفتقر الى العملية فى نشرها ، لكن الاستاذ احمد جعفر نشر هذا الكتاب عام ١٩٣١م معتمدا على نسخة جامعة استانبول مع ترجمة تركية للكتاب .

وهناك كتاب مصنف فى القاهرة فى القرن الخامس عشر بعنوان القوانين الكلية لضبط اللغة التركية وهو مجهول المؤلف ــ حتى الان ــ كتبه مصنفه بهدف تعليم اللغة التركية ، ومنه نسخة مخطوطة فى مكتبة الشهيد على باشا فى المكتبة السليمانية فى استانبول برقم ٢٦٥٩ وتقع هذه المخطوطة فى ١٦٩ صفحة ولا يوجد منها الا القسم الخاص بالنحو . واوسع الكتابة مساحة ملحوظة للافعال فى اللغة التركية وقد حقق هذا الكتاب رفعت الكليسلى ونشره فى استانبول عام ١٩٢٨ م وكتب الاستاذ محمد فؤاد كوبريلى مقدمة

له . وقام المستشرق المجرى من . تيلة ذى عام ١٩٣٧م بكتابة دراسة باللغة الالمانية عن هذا الكتاب .

وهناك ايضا مخطوطات فى هذا المجال مثل كتاب ديوان اللغة وكتاب العمدة القوية فى اللغة التركية ، وهو كتاب باللغة التركية ، مفقود - حتى الان - ألفه محمد بن عبد الـولى اليعلى (١٢٦٤ - ١٣٠٢) وهناك أيضا كتاب مجموع ترجمان تركى وعربى وفارسى ومغولى . وهذا مكتوب ايضا باللغة التركية القبجاقية وهو من كتب النحو والمعاجم . كتبه - او استنسخه - خليل القونوى بن محمد بن يوسف فى ٢٧ شعبان ٧٤٣ (- ٢٥ يناير ١٣٤٣) ونشره المستشرق مارتين هو تسما فى ليدن بهولندا عام ١٨٩٤ وكتبت عنه دراسة فى مجلة الاسلام - بالالمانية - عام ١٩٦٨ ، باربارا فيلمنج . ونسخة هذا الكتاب المخطوطة تقع فى ٧٦ ورقة ونسخته الوحيدة المعروفة - حتى الان - موجودة فى مكتبة اكاديمية ليدن والكتاب على قسمين الاول الكلمات الخاصة باللغتين التركية والعربية ، والقسم الثانى خاص بالكلمات المغولية والفارسية وفى الكتاب ما يقرب من ١٢٦٠ كلمة تركية قبجاقية وما يقرب من سبعين كلمة تركية تركمانية . ونشر هذا الكتاب مع دراسة مستفيضة عنه عام ١٩٧٠م فى الما اتا عاصمة قبازاقستان السوفيتية .

ومن المؤلفات التى كتبت فى مصر باللغة التركية فى القرن الرابع عشر الميلادى ، ترجمة كتاب ارشاد الملوك والسلاطين ، كتب للامير كبير الظاهر المحمودى السيفى باجمان نائب السلطنة بالاسكندرية . مؤلفه غير معروف ومترجمة مجهول . لكن ناسخه معروف وهو الفقيه بركه القبجاقى . والكتاب موجود فى مكتبة ايا صوفيا بالسليمانية تحت رقم ١٠١٦ وزاد المستنسخ فى نهايته منظومة تركية .

ظهر فى مصر أيضا الشاعر التركى سيف سرايى وهو شاعر عاش فى مصر فى النصف الثانى من القرن الرابع عشر الميلادى . وصف فؤاد كوبريلى اسلوبه فقال : (لا يمكن ان نجد نموذجا فى النثر الادبى التركى باللهجة القبجاقية فى القرن السابع عشر اسمى والفضل من سيف سرايى) وهذا الشاعر ترجم كلستان سعدى من اللغة الفارسية الى اللغة التركية وقدم هذه الترجمة الراقية الاسلوب الى الامير بنجاس حاجب الحجاب .

ويدخل فى هذا الموضوع ، موضوع اللغة التركية فى مصر ، أوراد الطريقة البكتاشية وكتيباتها ، وهى اوراد وكتيبات باللغة التركية .

ويجب التنبيه هنا الى أن اهتمام مصر المملوكية أو فلنقل الاهتمام المملوكى فى مصر باللغة التركية ، لم يمنع المماليك من تشجيع الكتابة بالعربية وترقية الدراسات الاسلامية والعلوم العربية ، حتى انهم جمعوا ضريبة لهذا الغرض .

ولكن بانتهاء الدولة المملوكية مصر المملوكية او فلنقل الاهتمام ودخول العثمانيين القاهرة ، انتهت دولة اللغة التركية فى مصر وفقدت هذه اللغة اهميتها التى كانت لها فى عهد المماليك ، يعنى مات الاهتمام بحركة التأليف باللغة التركية فى مصر بموت الغورى ، فلم تظهر فى مصر فى العهد العثمانى كله مصنفات فى علوم اللغة التركية ترقى الى مستوى بعض ما كان لدى المماليك كما وكيفا .

قصة قصيرة

الجوهرة الثمينة

بقلم: نجيبة العسال

في هدوء وبطء .. احس كاني انزع قدمي عن الارض بخطوات لا هي ثقيلة ثابتة ، ولا هي تنافس الطير في بداية استعداده للطيران .. لانافرة ساخطة ولاثائرة متحفزة .. خطوات لا طعم لها ولامعنى لكني خطوتها . سرعان ما كنت احط على مقعد مكتبي في حجرتي الخاصة بعد ان اوصد الباب خلفي اشعر تماما باني غير مترابط وليس في ذهني خيط واحد ادور حوله انها خيوط كثيرة تلتف حولي .. تخرج من اعماقي وتدور سريعة حينا ممعنة في البطء احيانا .. تتداخل بعضها داخل بعض . انهـا حبي الذي كان ينعش قلبي وروحي انها الضحكة الرنانة والمرح الصاخب الذي كان يدغدغ حواسي ويطربني وينقلني الى عالم البهجة والحيوية الدافقة . وخيوط اخرى تتكون منها ابسطة مفروشة متسعة ناعمة طرية تمتد امامي بعرض الكون هادئة رطبة مبطنة بالحنان الطيع تفوح انفاسه بالطيبة الذكية .. لكنها تلتف حولي اشعر بها وكانها تكاد تخنق روحي وتهبط بها الى الاعماق السحيقة .

انتفض واقفا وكانني اخرج بنفسي الى الحياة بعد ان عشت تارة بين السحاب وتارة بين الضباب .. نقلني السحاب الى قصة حبي الصاخبة التي فقدتها وجاء بي الضباب الى حياتي الراهنة بحنانها الطيب وطاعتها اللينة . وهكذا اعيش بين الماضي والحاضر..طالما قضيت ساعات وساعات يتداخل الماضي والحاضر لااعرف ما هو الصواب والخطا واين الجوهرة الثمينة التي كان ابي يدعو الى في صلواته دائما ان يرزقني الله بها .

طالما قال ابي لي في حياته ..

ـ ادعو الله ياولدى ان ينعم عليك بالهدية الفريدة . الجوهرة الثمينة ادعوه تعالى ان يمنحك اكبر هدية يمنحها الله للرجل وهي الزوجة الصالحة التي تشاركه الحياة بحلوها ومرها .. الزوجة التي تحافظ على ماله وتهييء له الراحة والسعادة .. ثم تنجب له الذرية الصالحة ..

انجبت لي سلام من الذرية ولدا وبنتا وهما الان يبدوان ذرية سليمة ولكن صالحة كما هو بالمعنى المعروف وخاصة على الامد الطويل فهذا لم يتاكد



بعد ولا يدريه أحد اما هى سناء نفسها فهى ربة بيت من ناحية الكفاءة المتكاملة لربة البيت تعتبر ممتازة اما بالنسبة لى واعود للماضى .. اعود الى « ليلى » : الفتاة الحلوة المرحة الصاخبة . التى تملأ كل ما حولها حيوية ومرحا . ان الساعات كانت تمر بى وانا معها وكأنها دقائق احس بها تنقلنى من الواقع الملموس الى بحر من الخيال .. دامت خطبتى لها ثلاثة شهور كاملة .. قالت امى يوما ـ ياولدى .. لا احس بالاطمئنان لاتمام زواجك من ليلى . و .. وقعت كلمات امى يومها على وقع الصاعقة ولكنها كانت صاعقة اشعر بحاستى السادسة انها ستقع يوما لا محالة .. لماذا لا ادرى . وكابرت امى لاقول .

ـ لقد اخترت ليلى يا امى وانا مؤمن تماما بانها أصلح زوجة لى .

نظرت امى طويلا فى عينى وهى تقول :

ـ لن اقول لك كلمة واحدة اكثر من هذه الكلمات ، اجلس مع نفسك وانظر فى اعماقك جيدا واسألها .. هل ستكون ليلى زوجة صالحة لك او هى حقا الجوهرة الثمينة التى كان والدك يدعو الله فى صلواته أن يرزقك بها .

وكابرت اكثر لاقول .

ـ وهل تم الزواج والعشرة لنتأكد من ان دعاء ابى قد تحقق ام لا ؟

لم تفه امى بجملة واحدة فقط اعطتنى ظهرها وخرجت الى حجرتها .. يومها تزاحمت الاصوات داخل صدرى حتى خلتها ازيزا لسرب كامل من الجراد والنحل .

مر عام كامل على فسخ خطبتى ليلى . وبعدها .. كانت امى اسعد انسانة بعد موافقتى على اختيارها لسناء عروسا لى ..

بعد الزواج بشهور عديدة قالت امى فى سعادة بالغة .. بعد ان علمت ان سناء ستصير اما بعد شهور .

ـ حمدا لله ، الواضح ان دعاء والدك قد استجاب ، فسناء جوهرة ثمينة فعلا سيدة بيت ممتازة هادئة رزينة عاقلة اهلا لتظل الزوجة الصالحة والام الرؤوم العاقلة . الف رحمة على والدك .

يومها لم افه بكلمة واحدة .. فماذا اقول لامى ؟ وما حاجتى انا الى العقل والرزانة بقدر حاجتى الى الهزة التى تطرب نفسى داخل اعماقى اننى مرح احب

الجوهرة الثمينة

المرح واتوق احيانا الى من يهزنى فى صخب .. آه لقد اضعت ليلى واضعت معها احساسى بحيوية الحياة .. كان عيب ليلى الوحيد انها تأتى احيانا من الافعال ما ينقلنا الى عالم البهجة السريع وهذا فى نظر البعض تهور وجنون . واثرت الهروب .. ولكن اشعر الان ان تهورها وجنونها كان بهجة الحياة وعنفوانها ونبضها الحى الاخاذ الذى يهب النشوة والمتعة مع الايام والسنين بدات قدماى تعرفان الطريق الى حجرة مكتبى بخطوات لا هى ثقيلة ثابتة ولا تنافس الطير فى بداية استعداده للتحليق .. خطوات لا طعم لها ولا معنى لكنها تضعنى بين الماضى والحاضر .. لاعيش بين السحاب والضباب والهدوء الذى يهبط بروحى الى الاعماق السحيقة ..

حزين انا لا استطيع ان اقول هذا . سعيد انا .. لا ، لا اجرؤ ان اقول هذا ولكنى اعيش .. اعمل واكل واخرج واعود الى بيتى وهكذا تمر بى الايام .. ، هناك كثيرون يعيشون الحياة مثلى .. بعضهم يطوى ضلوعه على عتابه للحياة .. وبعضهم يحلو له ان يقص على زملائه ما يغيظه من الحياة وكان لنا زميل . مختلف تماما عمن يعاتب الحياة ومن يعيش فى غيظ وكمد منها ..زميل يبدو سعيدا مرحا يكاد يطير بايامه سعادة وحبا ويبدو احيانا حزينا مهدما من يراه يخيل اليه انه يحمل على اكتافه كل هموم الحياة وتناثرت الاقوال حوله عندما يبدو سعيدا يقول قائل ..

– لابد انه حقق امالها فاسعدته ..

ويقول اخر ..

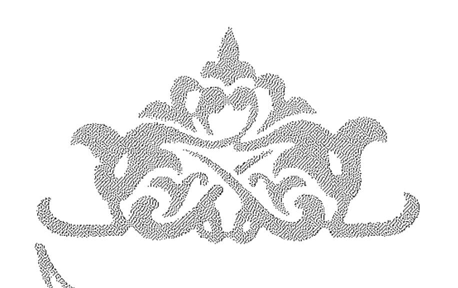
– انها تملك قدرة فذة على اسعاده والتحليق به فى عالم البهجة .فقد قال لى هذا كثيرا . وخاصة عندما يلبى مطالبها السريعة الى سهرة صاخبة او رحلة مع الاصحاب انها زوجة مملوءة بالحياة والصخب .. وهو يحبها حبا ما بعده حب وكانها حبيبة وليست زوجة ..

وعندما يبدوا مهموما حزينا كانوا يقولون ..

– مسكين هذا الزوج الحزين ان زوجته لا ترحمه لابد انه ايملك ما يستطيع تلبية مطالبها به ..

وبدات يده تعرف الاستدانة من الزملاء ولكننا جميعا كنا لانستطيع عدم الاستجابة لمطالبه المتوالية حتى اصبح مدينا لنا جميعا ، ولكن احساسنا بسعادته الغامرة بعد الاستدانة كان يشفع له عندنا ويوما مرض الزميل المتارجح بين السعادة والقنوط وحمل الهموم يوما والطير مرحا يوما اخر .. واتفقنا ان نذهب لزيارته فى منزله بعد ان عرفنا انه يمر بازمة صحية .. قاسية نوعا .. وذهبنا اليه زملاء مكتبه والمقربون اليه .. ومعنا .. ظرف يضم مبلغا حاولنا ان يكون كافيا لهذه الازمة القاسية واستقبلتنا بجانب فراشه زوجته الحبيبة التى تدور به فى عالم البهجة المرحة احيانا وتلقى به فى اتون الهموم . احيانا اخرى ..و .. بعدها لم تعرف قدمى الخطو الى حجرة مكتبى للتركنى بين السحاب والضباب فلم تكن زوجة الزميل الحائر الا .. ليلى خطيبتى السابقة ..

لغويات



● يقول المغنون فى أغانيهم : « زأزأ العصفور » .. فيقول اللغويون الصحيح أن يقال : « زقزق .. » اى شدا وغنى .. واللغويون على صواب ، ولكن عامة المغنين ايضا صائبون ، لان « زأزأ .. » معناها : مشى سريعا رافعا رأسه وذيله ومحركا اعطافه ، وهذه هى حال العصفور عندما يشدو متنقلا من غصن إلى غصن ..

● تداولت الصحف اخيرا كلمة « جنزير » وجمعها « جنازير » بعد ان هاجم بعض الطلبة المتطرفين حفلا موسيقيا فى كليتهم بالعصى والجنازير ، وكلمة « جنزير » تحريف « زنجير » وهو الصدأ ذو اللون الأخضر فى النحاس وهذه الكلمة فارسية استعملت فى معنى السلسلة وهى الحبل ذو الحلقات من الحديد ..

● العامة تصف الرجل الماهر بانه « حِدِقْ » بكسر الحاء .. وتصف عمله بانه « حداقة » واللفظتان محرفتان قليلا عن « حذق » بفتح الحاء وكسر الذال .. و« حذاقة » بوضع نقطة فوق الدال العامية لتصبح ذالا فصيحة !..

● بعض المتأدبين فى هذه الأيام يخلطون بين "الشِّراك" بكسر الشين وتشديدها وبين « الشَّرَك » بفتح الشين وتشديدها وفتح الراء .. فيقولون مثلا : « وقع الصيد فى الشراك » وصوابه « فى الشرك » .. لان « الشراك » هى خيوط النعل فى القدم اما « الشرك » وجمعها « اشراك » فهى حبائل الصيد ..

● البرنامج التليفزيونى يشرح كيفية تحضير بعض الفطائر فتخاطب المذيعة السيدات اللاتى يشاهدنها ويسمعنها قائلة : والخطاب للمفرد المؤنث ـ « اضربى البيض بالسمن بالسكر بالدقيق .. تحصلى على كذا او كذا من الفطائر والحلوى » .. وكلام المذيعة فصيح لان ضرب الشيء بالشيء ، يعنى خلطه بقوة حتى يصير شيئا واحدا ..

● اصل كلمة « النفط » هو الفعل « نفط .. ينفط .. نفطا » .. يقال نفط الرجل اى كاد ان يحترق غضبا .. ونفطت العنز : رمت من فيها رغوة ذات نفاخات !

محنة النقد الأدبي في مصر!

بقلم: عاطف مصطفى

يمر النقد الأدبي الآن بأزمة حقيقية ، ابتداء من اختفاء الناقد الحقيقي الذى يقود هذه الأجيال الجديدة من الأدباء للتعرف على إنتاجهم ، ووصولا الى ان نقادنا قد تاثروا بالغرب ، وتوقفوا عند بعض النظريات النقدية التى انضووا تحت لوائها !

وربما تكون الأشكال الأدبية فى ظل ثورة الاتصالات السمعية والبصرية ، قد اختلفت عما كان يحدث فى الماضى ، حيث يمكن لملايين المتلقين عن طريق الراديو والتليفزيون ، أن يتابعوا العمل الأدبى ، وذلك يضع الناقد أمام مسئوليات جديدة وبالغة الخطورة ، وهنا يجىء دور كبار أدبائنا ومبدعينا فى غزو هذه الوسائل الجديدة ، بدلا من تركها لأنصاف الموهوبين والمبدعين .

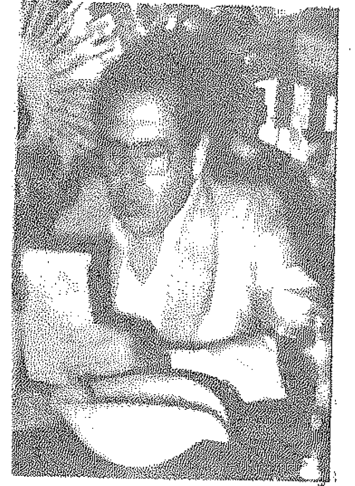
ونحن نعاني من مشكلة حادة ، لابد من التوقف عندها ، وهى مشكلة الانفصام بين المراكز النقدية من ناحية ، ومراكز التوجيه الاعلامى والتوصيل الصحفى ، خاصة فيما يتصل بممارسات النقد التطبيقى المتابع للحركة الابداعية ، فمكان هذا النقد التطبيقى ليس الجامعة وليس الكتاب . وانما هو الصحف ووسائل الاعلام ، بشرط الا تخضع لمتغيرات السياسة والاكتفاء من الديمقراطية بالكلمة وحدها ..

إن نقادنا كلما توجهنا اليهم بالسؤال عن الأسباب الحقيقية وراء هذه الأزمة ؛ يلقون باللوم على وسائل الاعلام .

لكن هناك اتهاما يوجه الى بعض النقاد ، وهو عدم التزامهم بالمنهج النقدى ، فيما يتناولونه بالنقد ، فنقدهم إما مدح مفرط ، وإما هجوم حاد ، بعيدا عن

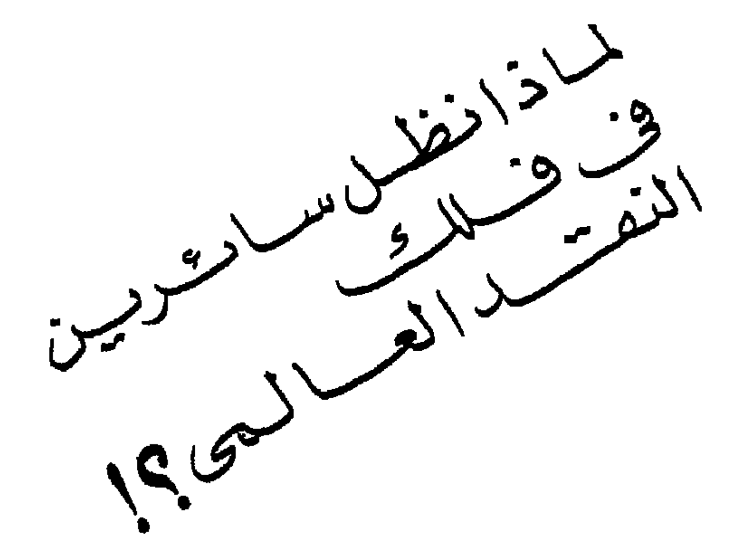

د . لويس عوض


د . شكرى عياد


د . عبدالعزيز حمودة


د . صلاح فضل

د . سمير سرحان



الموضوعية التى تحددها مناهج النقد سواء فى الغرب أو فى الشرق .

والقضية تتشعب وهى على بساط البحث ، ويتوه الجيل الجديد من الأدباء والشعراء ، فلا يعرفون الطريق الصحيحة ، لأننا نبحث : أيهما يقوم بدوره كاملا ، الناقد الدارس الذى يؤدى عمله من أجل ازدهار حياتنا الثقافية ، أم ذلك الناقد الذى يعيش محصورا داخل أسوار الجامعات ، يرسخ ما يسمى بالنقد الأكاديمى .

إن مصر ومعها العالم العربى تبحث عن ذاتها ، ولا يمكنها ان تبحث عن ذاتها بعيداً عن تاريخها ، ولا يمكن أن يجد النقد العربى الحديث خطته ومنهجه بعيدا عن التراث النقدى العربى .

يجيب على بعض تساؤلاتنا هذه ، ما أثير فى ندوة بعنوان «حالة النقد الآن» أقامتها الهيئة العامة للكتاب أخيرا ، شارك فيها د . لويس عوض ، د . شكرى عياد ، د . عبدالعزيز حموده ، د . صلاح فضل وأدارها د . سمير سرحان .

تعرضت الندوة لجذور المشكلة تاريخيا ، ولم تتعرض للحديث عن أديب هام مثل

عباس العقاد ، فضلا عن طول الكلمات التى حالت دون توجيه أسئلة من الجمهور الكبير الذى أتى الى الندوة ، على أمل ان يجد اجابة شافية لكل ما يدور الآن على الساحة النقدية فى مصر .

كان أول المتحدثين د . سمير سرحان والذى استغرقت كلمته حوالى نصف ساعة ، وربما لأنه أراد أن يستعرض حالة النقد فى العالم الغربى وقد أشار الى ان ما يراه البعض أزمة نقد ، قد يراه آخرون تحررا من القوالب والمقاييس الجديدة فى عالم لم تعد تحدده حدود !

أما بالنسبة للنقاد الممارسين ، الذين لا تهمهم فى كثير أو قليل دروب ومسالك النظرية النقدية من بنيوية الى اسلوبية وغير ذلك من التيارات المعاصرة ، فإن اكثرهم يتناولون الابداع الأدبى من وجهة النظر للخطة التاريخية التى يعبر عنها هذا الابداع ، ومن منظور اجتماعى ، أى أنهم يرفضون منهج الفن للفن ، ويعتنقون منهج الفن للمجتمع .

وقد تعرض د . سمير سرحان الى المدارس النقدية فى الغرب والتى تطورت قائلا بأنه ليس سرا بأن الكثيرين من الشعراء والروائيين والنقاد الممارسين ، يشعرون أن جزءا كبيرا من الحركة النقدية فى الغرب محصور داخل اسوار الجامعات .

وأصحاب النقد الحديث يقولون ان القصيدة عمل ابداعى يتميز بتعدد مستويات الفن وتعدد الدلالات ، ولا يمكن حصره فى معنى أو مدلول واحد ، لكنهم لم يكونوا يؤمنون فى نفس الوقت مثلما يؤمن اصحاب نظرية البنيوية بان تحليل النصوص يستلزم تفكيكها ثم اعادة بنائها ، كما لم يؤمنوا بأن القارىء شريك فى تاليف النص .

والنظريات النقدية الحديثة فى الغرب د جعلت من النقد الأدبى مؤسسة قائمة بذاتها وخاصة فى الجامعات ، وكانت فى أحيان كثيرة من العوامل المساعدة على تكوين الذوق الأدبى لدى قطاع عريض من الطلاب الذين يدرسون النصوص كجزء من مناهجهم الدراسية ، الا انها حققت حالة من الانفصام الشديد بين الأدب والشارع الثقافى العام ، بحيث لا يمكن للمتلقى العادى الموجه اليه هذا الهدف أساسا ان يحتفظ بهذه النظريات الموغلة فى التخصص ، وأصبحت المؤسسة النقدية محصورة فى أغلب الأحوال داخل اسوار الجامعات والمحافل الأدبية المتخصصة .

وهذا التوغل فى النظرية المتخصصة وتطبيقاتها أبعد المؤسسة النقدية أكثر وأكثر عن الخبرة الانسانية التى يقدمها العمل الأدبى ، وعلاقتها بقضية مكونات الثقافة فى عصرنا .

ومثلما أشار د . سمير سرحان الى دور النقاد الغربيين فى مجال النقد المح د . لويس عوض الى بدايات النقد الأدبى فى مصر والتى جاءت فى بداية العشرينيات بعودة طه حسين من باريس ، وتلك الضجة التى استهدفها فى الحياة الفكرية فى مصر فى كتابيه الشعر الجاهلى بحديث الأربعاء .

ولويس عوض يؤكد أيضا أنه بدأ يقرأ وهو طالب فى الجامعة كتاب تاريخ الأدب الانجليزى لبوليتان بمجلداته الخمسة و كان ذلك فى عام ١٩٣٣ واحس بأن بوليتان له تاثيره الهام فى تكوين مدرسة

العلاقة بين النقد والأدب من جهة والحياة والمجتمع والبيئة من جهة أخرى .

وأثر ذلك فى تفكيره كناقد

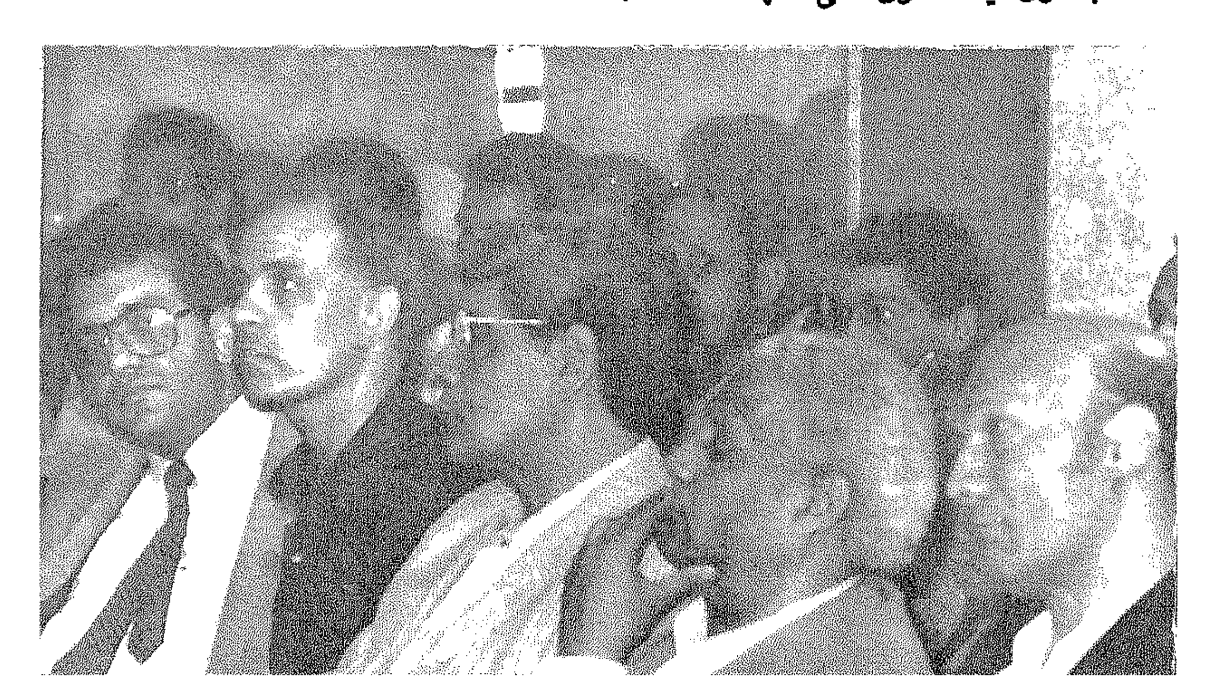
وكانت هذه المرحلة من أصعب مراحل النقد فى مصر ذلك أن د . محمد عوض محمد أقدم على ترجمة كتاب لأصول النقد الأدبى ، كما كان الأستاذ أحمد الشايب يقوم بتدريس مدارس النقد فى كلية الأداب .

ولكن د . لويس عوض يقول بأن طريقة أحمد الشايب فى تدريسه لمدارس النقد ربما كانت بدائية فى تلك الأيام ، وكنا نعجب له عندما يكتب مثلا عناصر الأدب «الخيال» ويكتب بجوارها immaginn-tion ، وأنا أقول بأن هذه المرحلة كانت مرحلة بحث لأن طه حسين أستطاع أن يوجه مدرسة بكاملها من أصحاب الثقافة التقليدية ، الى البحث عن نماذج فكرية لنظرية نقد غير ما الفوه فى كتب ابن سلام والآمدى وعبدالقاهر الجرجانى ، خاصة وان هؤلاء عنوا اكثر ما عنوا بعلم البلاغة ومن هنا بدا فى مصر اهتمام بشىء غير علم البلاغة ، **وتبلور هذا الاتجاه فى** كتاب د . محمد مندور الذى نال به درجة الدكتوراه وهو بعنوان « النقد المنهجى عند العرب » وحاول د . مندور أن يؤصل فى النقد العربى ويقترب من النقد كما يفهمه الأوربيون .

ويجىء دور د . لويس عوض في أنه حاول الاقتداء بعدد من النقاد الأوروبيين الذين كانوا يربطون الأدب بالمجتمع وبالحياة بصفة عامة .. وعلى حد تعبير د . لويس «وقد كان هذا فرعا من فروع التفكير الماركسى فى ذلك الأوان ! .

يقول د . لويس عوض : ان هناك من المثقفين من أمثالى انجذبوا بشدة الى العلاقة بين الأدب والمجتمع وفى ذلك الوقت لم تكن كلمة الالتزام قد ظهرت بعد ، لأن هذه الكلمة كانت من ابتكار الوجوديين ، وكان الماركسيون يتحدثون عن دور الأدب فى تغيير الحياة ، وبنوا نظرية النقد عندهم على تصور للأديب على أنه عنصر مؤثر ، وفى أواخر الأربعينيات عاد د . محمد القصاص من فرنسا وأكمل شيئا هاما ، وهو إدخال الفكر الوجودى الى

المبدعون يستمعون الى اتهامات النقاد



نظرية النقد الحاضر ، ولأول مرة بدأ الناس يتكلمون عن الالتزام ولكن لم يكن التزاما بمعنى شخصى ، لأن الالتزام الوجودى قائم على حرية الاختيار ، وليس قائما على الجبر التاريخى .

والمنهج الذى اتبعته أنا أقرب الى فكرة الجبر التاريخى .. أن هناك علاقة حتمية بين الأدب والحياة ، بصرف النظر عن دور الأدب فى تغيير الحياة ، وفى الواقع فإن كتابات الدكتور القصاص فى ذلك الوقت ، كانت فترة حقيقية لأصول النقد الأدبى عندنا ، لأنه بإدخاله الفكر الوجودى فى مصر ، ومع الفكر الوجودى نظرية الالتزام ، جعلت عددا كبيرا من المثقفين المصريين يؤمنون بأن الأدب أداة داعية إلى تسيير الحياة .

وفى بداية ثورة ١٩٥٢ كانت هناك ثلاث مدارس نقدية .

- **مدرسة مندور فى الشكل .**
- **مدرس القصاص فى نظرية الالتزام .**
- **ومدرسة المنهج التاريخى .**

وكلها سارت جنبا الى جنب ، وكان هناك مدرسة رابعة وهى قريبة من نظرية الفن للفن وكان زعيم هذه المدرسة د . رشاد رشدى .

● ردة نقدية !

ويستعرض د . لويس عوض هذه الفترة ، مبينا سلبياتها ، وخاصة بعد نكسة ١٩٦٧ ، وما ترتب عليها من هجرة الأقلام للكتابة فى صحف البلاد البترولية قائلا «ثار الدكتور مندور على الاتجاه الجديد الذى دعا اليه د . رشاد رشدى ، وطلب ان انضم الى جمعية للنقاد ، فاعتذرت له قائلا ان من الممكن تصور أدباء منشئين مبدعين ، ينتظمون فى مدرسة واحدة ، أما اجتماع النقاد فى مدرسة واحدة ، فهو أشبه شىء بالاعتصام ، فهى مسئولية خطيرة جدا .. فلو تجمع النقاد فى صعيد واحد ، أو المؤمنون منهم بفكرة معينة ، فمن الممكن أن يحطموا أى أديب يتصدون له ، ولا اعتقد أن هذا اتجاه سهل ولا اعتقد أن د . رشاد رشدى مضى فى جمعيته ، ولا مندور أيضا أنشأ جمعيته .

كانت هناك أشياء تستغرقنى كالابداع ، وكانت هناك فترة استطيع أن أقول انها لا تزال تلازمنى الى الآن ، وربما كان أحسن توصيف لها أنها خطوات انتقال .. أن مصر تبحث عن نفسها منذ سنة ١٩٥٢ .

وفى اعتقادى أن اختفاء هذه المدارس النقدية ، ليس الا تعبيرا عن شىء أخر موجود فى المجتمع ، لاننا لا نستطيع ان ننتمى الى مدرسة بعينها ، واضحة المعالم ، إلا اذا كان يشوقنا إيمان بشىء عظيم !

ونحن الآن فى هذه المرحلة ، مرحلة الانتقال التى لم تترك مجالا لشىء يزدهر فيها إلا الأكاديمى ، وقد أحسن اساتذة الجامعات فى السنوات العشر الماضية الأخيرة فى اهتمامهم بالمدرسة البنيوية ، ولا اقول من حيث انها مدرسة سليمة فى النقد الأدبى ، أو فى علم الجمال ، ولكن من حيث أنها غذاء للمثقفين ..

وهذه المدرسة بتبنيها بعض اساتذة الجامعة تعد شرف مصر الفكرى ... ربما كانت هذه عبارة كبيرة ـ ومازال الكلام على لسان د . لويس عوض الذى أرخ خلال الندوة للنقد الأدبى فى مصر ـ ولكن نحن ننسى أن مصر قد مرت عليها فترات بعد عام ١٩٦٧ ، لم يكن فيها أية محاولة

لبناء ثقافي جاد ، وكانت كل المجالات الجادة تأتينا من الكويت أو العراق ، ومن البلاد البترولية التى لا يفهم أهلها شيئا كثيرا فى الأدب ولا فى الثقافة ، ولكن عندهم من المال ما يجعلهم يرعون المدارس الفكرية والثقافية والعلمية ، فأجزلوا العطاء لعدد كبير من المثقفين - وكان لهذا نتيجة إيجابية فى العالم العربى ، وكان فيه لمصر شىء من الإذلال .

فمصر الكبرى بين شقيقاتها ، بدات تنكمش ، وبدأ يخيل للناس أننا أصبنا بنكسة فكرية - كما أصبنا بنكسة عسكرية ، ومن هنا احتفيت جدا بظهور مجلة « فصول » ، لأنها أثبتت امام البلاد العربية أن فى مصر أساتذة أجلاء يهتمون بالثقافة ، ورغم أننى لا أوافق على ما ذهبوا اليه فى تقديس البنيوية ، والى تحويلها الى ميتافيزيقا وهذا ما أعيبه عليهم ، ولكنهم أثبتوا فى نهاية الأمر أن فى مصر علما متأنيا جادا ، وأنها مجلة مصرية تستطيع أن تقف على قدم المساواة مع اى نقد آخر فى أى بلد عربى آخر .

● انفصام بين النقد والأدب

اما د . شكرى عياد فقد أشار الى أن الكلام على النقد عندنا اصبح كأنه امتداد للكلام عن النقد الأدبى الغربى ، فيما عدا جهد الدكتور محمد مندور فى كتابه النقد المنهجى عند العرب .

فنحن لا نكاد نحس بأن لنقدنا وجودا متصلا بتاريخنا الأدبى أو الثقافى فضلا عن تاريخنا النقدى .

والدكتور طه حسين سلط مقاييس النقد الأدبى التاريخى - منهج تين على سبيل التحديد - سلطة على ابداعنا الشعرى فى فترتين مهمتين ..

● مجموعة من الشعراء العذريين فى كتابه حديث الأربعاء .

● ثم تطرق بعد ذلك الى الشعر المعاصر عن حافظ وشوقى على سبيل المثال .

وفى الجزء الثالث من حديث الأربعاء كانت عيناه على الأدب الغربى وأتذكر أنه من بين مقالاته فى حافظ وشوقى ، قدم بودلير وترجم له قصيدة ، وكأنما يقول للشعراء العرب ، اليكم هذا الشعر وينبغى ان يكون الشعر هكذا ... وتلك هى الأزمة الثانية .

● مصر تبحث عن ذاتها

وقد احسن د . لويس عوض عرضه حينما قال ان مصر تبحث عن ذاتها ومصر معها كل العالم العربى ، وبين قوسين عندما اختفت المجلات الثقافية والأدبية فى مصر ، وعندما ضعف تأثيرها ، كانت مجلة الآداب أولا تظهر فى لبنان ، ثم كانت عالم الفكر بالرغم من أنها فصلية تظهر فى الكويت ، وكان الأدباء المصريون ممثلين فى هذه المجلات خير تمثيل ، وكانت المسألة ان مراكز النشر توزعت فى أنحاء العالم العربى ، وهذا كسب عظيم ، بشرط أن تتواصل فيما بعد !

إن مصر ومعها العالم العربى تبحث عن ذاتها .. ولا يمكنها أن تبحث عن ذاتها بعيدا عن تاريخها ، ولا يمكن أن يجد النقد العربى الحديث خطته ومنهجه بعيدا عن التراث النقدى العربى ، ومنه التراث البلاغى أيضا ، بشرط أن يفهم هذا فهما جيدا ، وفهما معاصرا . واذا تطلبنا مثل هذا الفهم الآن ، فنحن لا نقتنع بتطبيق نظريات غربية على أدبنا الابداعى القديم كما طبقت نظرية تين ، ولا نقتنع بالكلام أو باستعارة التقسيمات الى نقد منهجى أو

لغوى ، وآخر انطباعى وربما نقد فلسفى ، لكى نتلمس هذا فى تراثنا النقدى .

إن تراثنا كله فى حاجه الى إعادة نظر ، وإلا فسيظل أشبه بشبح يهددنا ، لابد أن يواجه هذا الشبح ، وأن يعرف بوضوح ما تحته وما وراءه ، وهذا يقتضى ما نسميه المنظور التاريخى ، أى أن نقف فى عصرنا وننظر الى ماضينا ، وبطبيعة الحال ونحن واثقون فى عصرنا لا يمكننا أن ننسى أن السمة الأولى لهذا العصر ، هى أنه يمخض الثقافات القومية المختلفة ، ويحاول أن يستخرج جدتها مجتمعة ، لكن هل معنى هذا ان نقتصر على ملاحقة الفكر الغربى أو الشرقى فى اصطلاح اليوم ، ونظل دائما فى الذيل ، وسيبقى محكوما علينا أن نبقى فى الذيل ، أو نصنع على الأقل ما يصنعه المستشرقون أو المستعربون ، وهو أن ننبش فى تراثنا وأن ندرسه بعقلية متفتحة .

● دور الأكاديميين

وفى عرضه لمشكلة النقد عندنا أكد د . عبدالعزيز حموده أن الأكاديميين كان لهم الفضل الأكبر فى قيادة المؤسسة النقدية فى مصر حتى الآن أيضا وأتفق مع د . لويس عوض فى مقولته التى اعتقد انه بالغ فيها ، وهى أن اساتذة الجامعة فى مرحلة من المراحل بعد ١٩٦٧ ـ فعلا ـ أنقذوا شرف مصر الفكرى ، حينما تصدت مجموعة متناسقة ومتسقة من أساتذة الجامعات المصرية ، وتكاتفوا على اصدار مجلة «فصول» التى كانت بصيص الأمل الوحيد ، لفترة طويلة ـ ومازالت حتى الآن ـ على الأقل فى الدراسات النقدية فى مصر .

ولكن مع هذا ، وأعود الى نقطة الانطلاق مرة اخرى ، فانا اعتقد أن مجلة فصول والقائمين عليها ، تمثل أزمة المؤسسة النقدية فى علاقتها بالمؤسسة الأكاديمية ، والتى يجب علينا أن نواجهها ، فإذا كان جيل من الأساتذة يمثلون فى الواقع ما يسمى بالجيل الثالث ، استطاعوا النجاة بانفسهم ، وإنقاذ سمعة المؤسسة الأكاديمية ، فإننى أشك أننا نستطيع لفترة طويلة أن نستمر فى ذلك ، فالمؤسسة الأكاديمية حقيقة تمر بازمة ، لأن الجيل التالى مباشرة ، يواجه أزمة بحث عالمى من ناحية ، وأزمة نشر من ناحية اخرى ، وربما كانت أزمة النشر هذه ، هى التى دعت أساتذة الجامعة الى حد كبير الى الخروج الى الشارع المصرى والعربى عبر مجلة فصول إننى أتفق مع د . شكرى عياد على اننا حتى الآن نواجه الأزمة الحقيقية لم نتحول من مرحلة النقل والترجمة الى مرحلة الأصالة والاضافة الحقيقية ، وتتضح نوادر هذه الأزمة فى الأستاذ الأكاديمى ، الذى يفترض انه يقود الحركة النقدية الآن .. تتضح هذه الأزمة مادمنا ننقل عن الغرب ... يتضح أن العلاقة وطيدة بين النظريات الحديثة ، أو الجديدة فى النقد ، ابتداء من البنيوية وانتهاء بالتشكيكية .

● قطيعة معرفية ! ..

واستهل د . صلاح فضل كلمته بالاختلاف مع كل المتحدثين قائلا : مهما كان السياق فإننى أختلف معكم ، لأن ما يمر به النقد العربى فى مرحلته الراهنة ، ليس تطورا طبيعيا ولا نتيجة منطقية للمراحل السابقة عليه ، بل إنه قد أخذ

يمارس القطيعة المعرفية الثانية ، بعد تلك القطيعة التى شق بها طه حسين الصمت ، وخرج بها وباللغة العربية من العصر الوسيط الى العصر الحديث .

والنقد الحديث فى العقدين الأخيرين ، يمارس هذه القطيعة مع تاريخه القديم على المستوى العالمى ، وبما أننا لسنا قرية معزولة ، ولسنا قرودا منسوخين ، ولا يمكن أن نعتبر أنفسنا غير خاضعين لقوانين العلم والحياة فى الشعوب الانسانية باكملها ، فان ما يحدث لنا لابد بالضرورة وأن يستجيب ، سواء أردنا أو كرهنا لما يحدث فى العالم .

هذه هى الفكرة الأولى ، لكن الذى ترتب عليها أخطر منه ، ولأنه من نتائج هذا التطور المفاجىء ، مهما كان المنظور الأيديولوجى للناقد فقد أصبح من واجبه أن يمتلك جهازا معرفيا معقدا وكاملا ، لا يستطيع ان يمارس النقد بدونه .

ومن الظواهر التى ينبغى أن ننتبه اليها تلك الصيغ الأدبية من شعر وقص ومسرح التى تغزونا عبر وسائل الاتصال ، وتكتسب لأول مرة فى التاريخ ملايين المتلقين عن طريق الراديو والتليفزيون ، وكل هذا يضع الناقد أمام مسئوليات جديدة وبالغة الخطورة إذ ينبغى أن يقوم بواجبه فى تأسيس جماليات وأصول هذه الفنون الجديدة ، وقياس مدى تأثيرها وتخليصها من وصاية الاعلام الجاهل حتى تكتسب حريتها المبدعة ، وهذه مسئولية يشارك النقاد فيها الأدباء المبدعون ، إذ اننى اتصور أن كبار ادبائنا ومبدعينا ، عليهم أن يغزوا هذه الوسائل الجديدة ، عليهم أن يكتبوا حيث يشاهدهم الملايين ، لا أن يتركوا الراديو والتليفزيون لانصاف الموهوبين وصغار الكتاب والذين يمشون بحقائبهم يتسكعون بين مكاتب الموظفين ليبيعوا لهم قطعة أو قطعتين ، بينما هذه الأشكال هى التى تستأثر الآن ، وتستقطب اهتمام الملايين .

ويتحدث د . صلاح فضل عن الدور الذى ينبغى ان يؤديه الناقد فيقول :

لم يحدث فى تاريخ الشعر والفن العربى قبل هذه الحقبة ، أن وصلت أشكال الفنون الى مثل هذا العدد الضخم ، حتى أصبحنا والفن هو أعدل الأشياء قسمة بين الناس ، كما كان العقل عند ديكارت ومن ثم فينبغى لمبدعينا ولنقادنا أن يتسموا بالشجاعة فى اقتحام هذا الميدان تأليفا ونقدا وتقييما نظريا ، وألا نظل نلوك بعض البيانات والمعلومات عن الأجناس والفنون الأدبية التى انحلت وذابت وتسربت .

لم تعد القصيدة هى النص النحوى وحسب ، ولكن القصيدة الآن مجموعة من تلاقيات الضوء والظل والنغم ، واللحظة الدرامية فى تمثيلية تليفزيونية ، وإذا لم نرتق بمستوى هذا الانتاج ، وإذا لم نبحث عن صيغ للارتفاع به ، والتخلى عن تبعيتنا الشديدة المهنية فيه فسوف نظل فى موقف شديد الانحطاط .

انا أدعو هذه الدعوة لأننى اجدها بالغة الأهمية ، ولا تجد من النقاد ولا من الحديث عن النقد الاهتمام الكافى حتى الآن .

إننا نهدف الى ان يرتفع مستوى النقد فى بلادنا ، ولكن ذلك يحتاج فى الأصل الى نهضة ادبية ، وهنا يؤدى الناقد دوره المنشود وهنا يحقق الأديب المصرى دوره الريادى الذى ننشده جميعــــــا .



رأى فى الثقافة

● نبرة الماضى

لا نقصد بنبرة الماضى هنا تلك التى نجـدها بين ثنايا دعـوة السلفيين ودعاواهم ، بقدر ما نقصد تسلل هذه النبرة الى « خطاب » دعاة التقدم في مجالات الثقـافة خاصة أولئك الذين يتوقفون بلكاعة احيانا امام بدايات النهضة المصرية الحـديثة ، ويعتبرون انجـازاتها الطريق والدليل الى المستقبل ، أواولئك الذين يتوقفون عند محطة الستينيات ، يبكون على الاطـلال الدارسة ، باعتبارها ايضا الدليل الوحيد الى المستقبل •

لا أحد ينكر الانجـازات التى تحققت فى الفترتين ، ولكن النظرة الى الماضى ، اذا لم يصـحبها وعى نقدى يكشـف الجوهـر من القشور ، ويعى الدرس الذى جعل فترة انتكاسة ثقافية كبرى مثلا تلحق فتـرة الستينيات باجراءات بسيطة لم يبذل فيها جهدا كبيرا ، اذا لم نتسلح بهذه النظرة النقدية ، فاننا نستسلم تماما لغيبيات الخطاب الثقافى الذى لن يساعد كثيرا على استشراف المستقبل ، ان لم نقل انه قد يجرنا الى الخلف ، الى الماضى الذى نبكى على اطلاله •

والغريب المدهش ، انك تجد نبرة الماضى هـذه قد تسللت بعفـوية احيانا ويقصد احيانا الى مجمل الخطاب الثقافى فى مصر ، حتى وكأنهـا دعوة الى الاستسلام والهزيمة ، أو عجز عن النظر الى الجديد الكامن ، الذى قد يـكون جنينـا لم تتبلور ملامحـه بعد ، لكنه بالتأكيد يحمـل فى طيـاته خبـرة الهـزائم المتتـالية ، لذا فانه يحتاج اكثر ما يحتاج الى تغذيته بالخطـاب الثقافى الذى يستشرف المستقبل ، ويرى الحاضر والماضى بعين النقد الفاحصة ، التى تبين الملامح والقسمات ، وتستخرج الجوهـر من التراب المتراكم على وجهه ، فهذا على اية حال افضل من أن نظل قابعين نتعبد فى محراب الزمن القديم •

عبده جبير

ارشادات ثقافية

● ندوات رمضان

● لا شك أن نشاطا ملحوظا هذا العام أقامته وزارة الثقافة طوال شهر رمضان ، تنوع وشمل كل الفنون ، وان كان الجديد فيه هو انتظامه فى برنامج محدد ، فيما أسمته الوزارة أمسـاكية رمضان ، كما تمثلت أبرز ملامحه فى هذا العدد الكبير الذى أقيم من ندوات وأمسيات كان للشعر فيها النصيب الاكبر ، وان لم يتجاهل فنون القول الاخرى .

لكن من تابع هذه الامسيات تتوارد الخواطر فى رأسه عن ساحة الشعر ، وضرورة أن يقوم النقـاد بدورهم فى اعادة النظر فى خريطة الشعر المصرى الحديث ، حيث يظل البعض يتعـامل مع الاصوات الشـعرية الجديدة ، الواعدة والراسخة ، بخفة تحتاج الى من ينفض عنها التراب ، ليبرز جيدها، ويضعه فى المكان اللائق به .

لقد أثبت عدد من الشـعراء الجدد جديتهم وأصالتهم ، ونضج أشعارهم، كما ثبت أن هناك محاولات مستميتةمن البعض « للخبطة » الساحة فى وجوههم حتى لا تتبلور الاصوات الحقيقية منهم مرة بحجة الغموض ، ومرة بحجـة الخـروج على المألوف ، الذى هو فى حـالتنا ليس فقط الشعر العمـودى التقليدى الذى لا يزال يجد فى التخلف السائد فى المجتمع مناخا للوجـود ، على الرغم من الملل الذى يسربه الى النفوس ، بل هو أيضا الشعر الحديث فى بعض رموزه المتعبة التى كفت عن العطاء .

ان كاتب هذه السطور وقد تابع عن كثب هـذه الندوات ، كما تابـــع ما يجرى على ساحة الشعر فى مصر الان ، ليجد قصورا شديدا من النقاد تجاه قضية تقييم هذه الاشعار ، ودفع الاصوات المجـددة منها الى مكانتها اللائقه بها ..ومن الضرورى اثباتذلك حتى لا تمر الايام وقد ماتت الحقيقة بين ظهرانينا .

على أى حـال لقد جـاءت هذه الامسيات ، ربما لاول مرة ،لتعكس بدرجة عالية من الصدق واقع ساحة الشعر فى مصر ، سواء اكان شـعرا باللغة الفصحى، أم العامية ، وسواء أكان عموديا أم شعر التفعلية ، ولعل من قاموا بتنظيم هـذه الامسيات قد استفادوا من الاخطاء التى حدثت فى أمسيات الشعر أثناء معرض القاهرة الدولى الماضى للكتاب .

● المراكز المتخصصة

بعد أن انشأت وزارة الثقافة خلال مدة وجيزة قصر ثقافة الغورى للتراث يجرى الان العمل لانشاء ثلاثة مراكز متخصصـة أخرى ، أحدها خـاص بالدراما ، والثانى خاص بالسينما ، والثالث خاص بالموسيقى .

ومنذ بروز فكرة المراكز المتخصصة قال البعض أن وزير الثقـافة فاروق حسنى بدأ يعمل على هدم فكرة قصور وبيوت الثقافة الجماهيرية التى عملت فى الاساس من اجل أن تكون مراكـز ثقافية شـاملة لخدمة الاحياء والمدن والقرى التى تقع فيها .. بحيث تكون الملجأ لمن يريد من أبناء هذه الاحياء أو المدن أو القرى أن يقرأ أو يرى مسرحا او سـينما أو يستمع الى موسـيقى أو يرى الفنون بمختلف

أنواعها ، بل أن يشارك ابناء هذه الاحياء في هـــذه البيوت والقصور بأعمالهم وتنمية مواهبهم وملكاتهم •

لقد ظل هذا الاتهام قائما حتى نفى وزير الثقافة أن تكون فكرة انشـــاء المراكز الثقافية المتخصصة من أجـــل تحوير أو القضاء على الدور القـــديم التجديد ، أو لنقل الدور المشهور لهذه القصور والبيوت ، وانما هو يرى ان هذه القصور والبيوت في غيبوبة وسبب غيبوبتهـــا عدم وجود الكادر الانسانى الواعى والفاهم والدارس •• فهو يرى أن الامكانيات المادية الموجودة كافية لاقامة نشاط حى ، ولكن المشكلة تكرر ، هى مشكلة القيادة أو الكادر الثقافى •• لذا لجأ الى انشاء هذه المراكز الثقافية من اجل تخريج هذه الكوادر المطلوبة •

ونحن من ناحيتنا نرجو أن يكون الهدف الاســاسى من انشاء هـــذه المراكز هو هذا الهدف المعلن : نكرر ، تخـــريج كوادر متخصصة وفاهمـــة وواعية لتقود العمل فى المراكز الاخرى كما نرجو الا يكون دفع كل طـــاقة وزارة الثقافة فى هذه المراكـــز على حساب المراكز الاخرى ، الامر الذى سيؤدى الى اهمال الاطراف وجفافها • ويحول هذه المراكز الى فروع مركزية من وزارة الثقافة فاذا كان هذا هو الهدف فان أحدا من المهتمين بمجريات الامور الثقافية فى مصر لن يستطيع معارضتها ، بل ان الجميع سيقفون خلفها بكل قوة •

الثقافة الجديدة

عدد خاص عن القصة

فى البـــداية لا يملك المرء الا ان رحب بهذا الجهد الكبير الذى بذله القائمون على أمر هـــذا العدد من مجلة الثقافة الجديدة التى تصـــدرها الثقافة الجماهيرية،هذا المجهد الكبير المخطط لتمثيل أغلب التيارات البارزة فى القصة المصرية بنصوص جيدة فى الغالب • بعضها يصل الى مســـتوى الاعمال العظيمة ، بالاضافة الى عـــدد لا بأس به من الدراسات النقدية الجادة التى تؤكد أن هنـــاك من النقاد من من لا يزال لديه شئ يقـــوله ، وأن ضمائر النقاد بينها الحي والقادر على أن يكون عادلا ومنصفا •

وقبل أن نبدى هنا بعض الملاحظات السريعة عن هذا العدد نجد من واجبنا الدعوة للاهتمام به من قبل الدارسين والنقاد لتقييمه بما يستحق حتى لا يمر كحدث عابر •

أما ملاحظاتنا فهدفها واضـــح أن تستكمل الصـــورة وأن تأتى الاعداد القادمة خالية من العيوب بقدر الامكان حتى تستكمل الفائدة •

أولى هـــذه الملاحظات تنصب على تواريخ اصدار اعداد المجلة • فحتى الان لم تثبت عند تاريخ بعينه ، هل هى مجلة شهرية ام فصلية ام سنوية ، لا أحد يعـــرف ، ما هو مكتوب فى الترويســـة شئ ، وواقع الامر شئ خر ، ونحـــن لا نحمل الثقـــافة الجماهيرية ، الجهة التى تصدرها ، ولا القائمين عليها ، ما يفوق الطاقة ، فاذا كانت الامكانيات لاتسمح بالصدور شهريا أو فصليا ، فلتكن سنوية ، فقط ما نطلبه هو تثبيت موعـــد الصدور حسب الامكانيات ، وهذه ليست فى الحقيقة ملاحظة شكلية ، بقدر ما هى ملاحظة تنصب على مصداقية المجلة واعتبارها مصـــدرا للبحث ، فماذا سيفعل الباحث اذا أراد اعتمـــادها كمرجع فى بحثه ، هل يثبتها كمجلة فصلية أم سنوية •

الملاحظة الثانية تنصب على هذه الاخطاء المطبعية الرهيبة التى حالت دوننا ودون قراءة بعض النصوص والمقالات ، الى حد أن فكر بعض المنشور لهم فى العدد أن يطلبوا رسميا ايقاف توزيع العدد ·· وهذه أيضا ليست ملاحظة شكلية ، لان نصا مطبوعا بشكل ردىء يسىء الى صاحبه كما يسىء الى جهة النشر ، فضلا عن انه يصبح فعلا عبثيا ·· واظن ان هذه من البديهيات التى لا تحتاج الى كثير من الجدل ·

الملاحظة الثالثة قد تكون معيارية ، فلا نجد من العدل أن توضع نصوص عظيمة لكتاب من الدرجة الاولى فى نفس المستوى مع كتاب مبتدئين ، بعضهم لا تزال علامات الطريق الحمراء والخضراء أمامه ، وكان العدل يقضى بأن يفرد ملف خاص لهؤلاء المبتدئين على أن يتم التعريف بهم وبمحاولاتهم ، وبأعمارهم ، حتى لا نجد أنفسنا أمام طابور أشبه بطوابير الجمعيات التعاونية ·

لكن هذه الملاحظات على خطورتها لا تقلل من قيمة هذا العدد كعدد وثائقى ، وجهد كبير يستحق الاشادة به ·

ذكرى

عباس العقاد ومائة
عام على ميلاده

فى الثالث والعشرين من يونيو الحالى تمر على ميلاد العقاد تسعة وتسعون عاما بالتمام والكمال ، وهى فرصة سانحة للتنبيه الى ان العام القادم سيكون العام المائة لميلاد كاتبنا العظيم ، يجب ان نستعد لها جيدا ، لا بمجرد الاحتفالات



عباس العقاد

والمهرجانات ، بل بما هو اهم وابقى ، ان تعقد ندوات جادة يتم الاعداد لها منذ الان ، لدراسة اثاره الفكرية والادبية المتقدمة ، دراسة جادة وعصرية ، تبين الملامح والقسمات ، ونستمد منها القيم الباقية ، والاثار الخالدة ، حتى لا نظل غافلين عما بين ايدينا من كنوز وثروات ، فنتاج العقاد هو باى مقياس ثروة لا تقدر بثمن ، ثروة عقل جبار وفكر اصيل ، هذا علاوة على سلوكه كمفكر حر ابى ، لم يخضع لسلطان المال او الجاه او السلطة ، اعلى من قيم الفكر ومن مكانة الكاتب ، لم يتملق ولم يخضع ، وعاش كما يعيش الرهبان الذين زهدوا فى الزائل العابر ، وكما يجب ان يعيش الكاتب الذى يحترم قلمه وفكره كما يحترم قراءه ·

انها فرصة سانحة لننبه الى حالة تقييم شاملة ليس فقط الى ما قدمه العقاد وما يبقى منه للمستقبل ، بل ايضا الى ماذا قدمنا نحن له ، وفاء لهذه القيم النبيلة ، فرصة لان يجمع

ما خلفه من وثائق ومخطوطات ويعرض على الناس عبر كل الاجهزة الاعلامية والثقافية المتاحة ، حتى يتاكد شبابنا ان كاتبا من هذا النوع قد عاش هنا على هذه الارض ، التى تنبت كل يوم وتلد ولا تكف عن العطاء فرصة لاعادة القراءة وتجديد الفكر واستعادة قيم اصيلة رسخها هذا القلم النبيل الذى قد تختلف معه لكنك لابد وان تجله وتعلى من قدره .. كما انها فرصة لتنبث ضمائر البعض من الذين استرخصوا القلم والفكر وجعلوه بضاعة رخيصة متوافرة فى كل الاسواق .

مكتبة الهلال

قراءات فى موسوعة المجتمع المصرى

الكتاب : قراءات فى موسوعة المجتمع المصرى
تأليف : د. سيد عويس
الناشر : روزاليوسف
٢٧٤ ص / ٤٠٠ قرش

بدأ به المجد الذى عرفناه عنه فى مؤلفاته السابقة يعود الدكتور سيد عويس فى هذا المؤلف الجديد الى قرائه بدراسة مستفيضة وشائقة لما أسماه بموسوعة المجتمع المصرى الذى يراه خبرة ثقافية واجتماعية حية، او معمل ثقافى فذ تراكمت فيه على مر الازمنة والحقب حصيلة جهد بشرى متنوعة وعلى درجة كبيرة من الغنى والفرادة .

يقول الكاتب ان « الدراسة الحالية تتضمن بعض الموضوعات التى واجهتها فى الماضى ولا أزال اواجهها حتى الان . واننى اذ اعرض موضوعات الدراسات الراهنة ، انشد الاستئناس برأى القارىء لاننى فى مسيس الحاجة الى هذا الرأى » .

هو اذن يطلب من القارىء ان يكون مشاركا فى التفكير والتدبير . فاعلا فى الموضوع الذى استخدم لجمع حقائقه ادوات عدة منها الملاحظة والملاحظة بالمشاركة والمقابلة الحرة والمقابلة المقننة وصحيفة الاستبيان وتحليل المضمون ، كما انه جمع هذه الحقائق من مجالات جغرافية عديدة كالحارة والقرية والمقاهى والكازينوهات والجمعيات الاستهلاكية والمزادات العلنية والقرافة والاضرحة والموالد والمساجد والكنائس والمدارس والجامعات وحلقات الذكر . ودواوين الحكومة والمستشفيات وعيادات الاطباء والمحاكم والشهر العقارى والسجون والاقسام .. الى آخر هذه الاماكن التى تعد بمثابة المجال الذى يمارس فيه الناس

نشاطهم وحياتهم اليومية العادية .

انه كتاب جديد بالقراءة يعيد للمرء وعيه بنفسه ويجدد قدرته على النظر الى ما حوله .

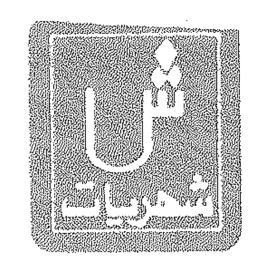


الكتاب : الغائب
دراسة فى مقامة للحريرى
المؤلف : عبدالفتاح كيلطو
الناشر : توبيقال ـ المغرب
٩٦ ص / ٢٦ د.م

هذه دراسة متميزة حقا فى مجالها ، لأنها وان استندت الى وجهة نظر الكاتب ، الا انها جاءت فى صلبها بحثا معمليا دقيقا عن جوانب القوة والضعف ، الجمال والقبح ، الزيادة والنقص والانضباط ، بطريقة جديدة قديمة . هي طريقة متابعة النص بالشرح . اذ يثبت المتن في الاعلى ليدرسه في « الشرح » من كل جوانبه .

وهو فى دراسته المقامة الحريرى الخامسة المسماة بالكوفية ، له هدف واضح هو ابراز جانب من الخلفية التى تدعمها وهي خلفية ، كما يرى ، يستحيل تأريخها ، مثلما يستحيل تأريخ الخيال والحلم .

لقد حاول الكاتب بجهد مشكور تحليل مجموعة من النصوص تنتمي الى عدة انواع (الخطاب البلاغي ، الشعر ، الخرافة ، المثل) فجاء جهده منصبا في بوتقة الجهد الجديد الذى يبذله الدارسون المجدون الان بعيدا عن الكلام النظرى الذى قد يكون مفيدا الا انه يظل ناقصا بلا تطبيقه .





الكتاب : حوار لا مواجهة
المؤلف : د . احمد كمال ابو المجد
الناشر : دار الشروق ـ القاهرة
٣٠٢ ص / ٧ ج م

هذه طبعة ثانية مزيدة من هذا الكتاب الذى يمكن ان يكون واحدا من اهم الكتب التى صدرت فى السنوات القليلة الماضية ، تلك التى تنطلق من الاسئلة الجوهرية التى تعيشها امتنا العربية الاسلامية لتجيب عليها اجابة عقلانية مستنيرة .

ومنذ البداية يحدد الكاتب بوضوح فكر ودقة عبارة سؤاله الاساسى الذى يضعه

في صيغة ذات شقين : اى عصر هذا الذى نعيشه ؟

وما مكان امتنا العربية والاسلامية على خريطة الحاضر والمستقبل ؟

ويقرر ان العصر الذى نعيشه هو عصر مدهش بكل المقاييس كما يقرر ايضا ان امتنا امة من المندهشين الذين يقفون امام ما يجرى فى هذا العصر بماضيهم لا بما يعتمد فى مكنون حاضرهم ودون ان يتطلعوا الى مستقبلهم ٠ لذا فانه يرى ان اهم القضايا التى يجب ان تشغل بالنا هى قضية التوجه الى المستقبل ، واستشراف صورته والاعداد لملاقاته ، ذلك اننا نحن العرب المسلمين امة طال انكفاؤها على الماضى ، والاشتغال بقضاياه ، حتى تولد من ذلك ما يوشك ان يكون عجزا عن التوجه الى المستقبل والنظر فى احواله ٠٠ وقد يكون بعض عذرنا فى ذلك اننا نخوض معركة لتحقيق الذات والمحافظة على الهوية ، وان هذه المرحلة بطبيعتها مرحلة بحث عن الاحوال ومعرفة بالجذور ، وهى امور مستقرة فى ارض الماضى ، وجديرة بان تشد الباحثين عنها الى صفحاته ٠

ولكن طبيعة التحدى الذى يواجهه العرب والمسلمون وهم بعد فى تخلفهم وتمزقهم وضعفهم واعتمادهم على الاخرين لا تحتمل استمرار هذا الانكفاء ، واستمرار هذه الخصومة الغريبة مع الحركة ومع المستقبل ٠

ان هذا التوجه الى المستقبل لابد ان يحمل معه بالضرورة استكمال حيازة الجيل لادوات الحركة نحو ذلك المستقبل ، واستكمال الاحاطة بعلوم وفنون عديدة لا يمكن بغيرها ان تبدأ رحلة الاقلاع نحو الغد ٠

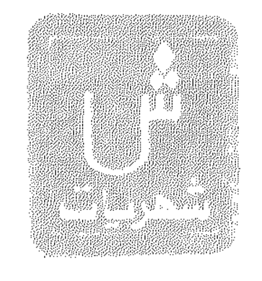
الكتاب : كوريولان — مسرحية : برتولت بريشت

ترجمة وتقديم : محمود احمد النخيلي

١٦٢ ص / ٣٠٠ ق٠م

برتولت بريشت ، مشهور عندنا باسم برتولد بريخت ، وهو المؤلف والمخرج المسرحى الالمانى الشهير الناهض للنسازية ، وصاحب الاعمال المسرحية المعروفة على نطاق عالمى ٠٠

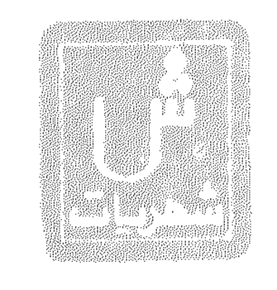
ومنذ توفى بريشت ، او بريخت سنة ١٩٥٦ مثلت مسرحياته فى انحاء العالم بلغات كثيرة ، وصدرت



طبعاتها ايضا ، وكان من نصيب اللغة العربية بعض هذه المسرحيات .

وتعتبر مسرحية « كوريولان » من اهم واجمل أعماله .. وهذه اول مرة تترجم فيها هذه المسرحية من الالمانية الى العربية مباشرة بدون وسيط كاللغة الانجليزية او اللغة الفرنسية التى تعود المثقف العربى ان يقرا بهما الاعمال المترجمة اليها من اللغات الاجنبية الاقل انتشارا فى بلادنا كاللغتين الروسية والالمانية ..

وقد ترجم الاستاذ محمود النخيلى هذه المسرحية ترجمة دقيقة عن اللغة الالمانية وقدم لها تقديما مسهبا شائقا قارن فيه بين ثلاثة أعمال ادبية كبيرة تتعلق ببطل هذه المسرحية « كوريولانوس» وهو القائد الرومانى الذى عاش قبل الميلاد بخمسمائة سنة تقريبا ، وترجم له الكاتب الروائى المؤرخ بلوتارك، او بلوتارخ فى كتابه المشهور « التراجم » .. ثم جاء شكسبير فكتب مسرحية « كوريولانوس»



فى اوائل القرن السابع عشر بعد ان قرأ كتاب بلوتارخ مترجما الى الانجليزية .

وتتناول رواية بلوتارخ حياة هذا القائد الرومانى وحياة شعب روما فى ايامه والصراع حول الحرب والسلام والامراء والدهماء ومشكلة الغلال وندرة القمح ، وكل ما يتعلق بين البطل التاريخى والجماهير فى مرحلة حافلة بالاضطراب والتناقض ..

تناول شيكسبير هذه الوقائع التاريخية من خلال بطولة الفرد وعظمته وقوته الخاصة، ولم يتنبه بطبيعة الحال الى دور الشعب لان فلسفة التاريخ فى عصر شيكسبير لم تكن تعرف الا الافراد الابطال ..

اما بريشت فان مسرحيته دارت حول الشعب الذى يصنع التاريخ ، بالرغم من عدم انكاره دور الفرد الذى يتحدد على ضوء متطلبات عصره وحركة شعبه .. ويقول محمود النخيلى : « حمل نص شيكسبير وجهة النظر المثالية للتاريخ التى كانت سائدة فى عصره، وحمل نص بريشت النظرة المادية الجدلية للتاريخ » ..

وعلى هذا الاساس اختلف البناء الفكرى والمسرحى لفصول مسرحية بريشت عن ذلك البناء فى مسرحية شيكسبير .

والذين قرأوا او شاهدوا مسرحية شيكسبير سيجدون متعة اخرى حين يقرأون ترجمة محمود النخيلى لمسرحية بريشت ، من ناحية النظرة التاريخية والفكرية والجمالية وان كان بريشت لا يقصد بمسرحيته ان يلغى مسرحية شيكسبير ذات القيمة الكلاسيكية العظيمة ..

أوسكار مع الامبراطور الأخير وضد صرخة الحرية

بقلم: مصطفى درويش

والعجيب العجيب أن أحدا لم يتساءل لماذا لم يجر ترشيح « صرخة الحرية » ـ وهو الآخر فيلم تاريخى يعرض لسيرة المناضل الافريقى « بيكو » ـ الا لثلاث جوائز ثانوية ليست كبيرة الاهمية ، ومع ذلك لم يكتب له ان يفوز باى منها .

ولنترك « الإمبراطور الأخير » الذى ابتذلته حوادث الدهر ، فانتهت به جنائنيا فى المدينة المحرمة ببكين حيث بدأ حياته العامة امبراطورا ، وهو فى الثانية والنصف من سنيه ، فلنتركه الى حين .

● الأمريكى القبيح

ولنبدأ بالفيلم الذى اخرجه الانجليزى « اليكس كوكس » عن الامريكى « ووكر » الذى استولى على نيكاراجوا بفئة قليلة من المحاربين .

من المعروف تاريخيا ان هذا المغامر قد عاش ومات فى العصر الذهبى للاستعمار .

والفيلم الذى يعرض لمغامراته وطموحاته قد انتج بالتعاون مع الساندينستا حكام نيكاراجوا الممتحنين بتدخل ادارة الرئيس الامريكى « ريجان » فى شئونهم امتحانا أليما .

ولا غرابة فى هذا التعاون « فووكر » قد غزا نيكاراجوا (١٨٥٥) حتى بلغ منها ما اراد ، فاصبح رئيسا لجمهوريتها ولم يكتف بذلك بل فرض عليها نظام العبيد . وظل ينشر الفساد والاستبداد فى ربوع أمريكا الوسطى حتى جاءه الموت ساحقا ماحقا برصاصات انطلقت الى صدره من فوهات بنادق ثلة من جنود هندوراس (١٨٦٠) وله من العمر ٣٦ عاما .

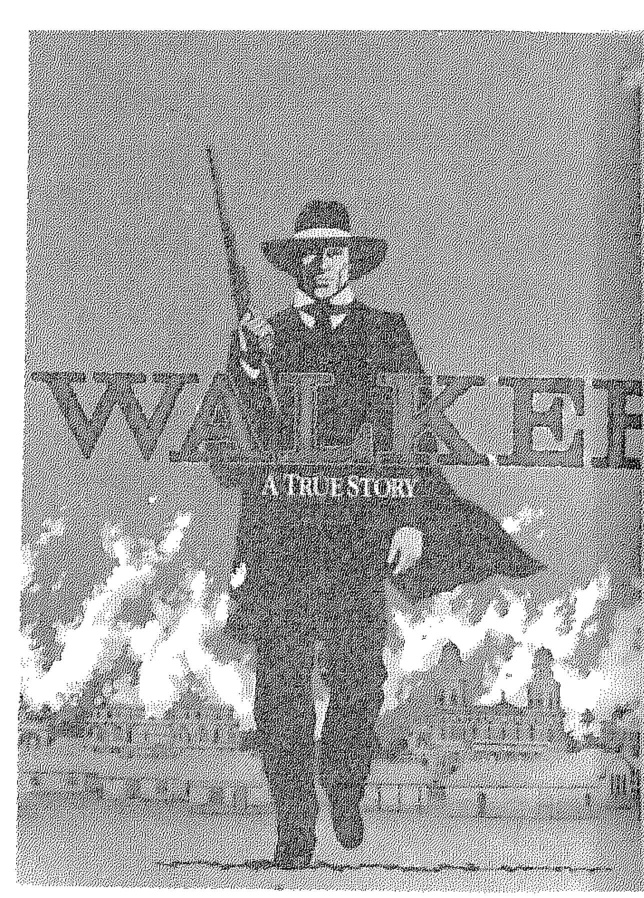
والشىء المحقق ان صاحب هذه السيرة غير العطرة التى ملأت الشريط الضيق الفاصل بين الامريكتين هولا كان فى نظر معاصريه فى الولايات المتحدة رجلا من رجال الاقدار على حين انه كان فى امريكا اللاتينية ولايزال معتبرا رمزا للشيطان .

● الماضى والحاضر

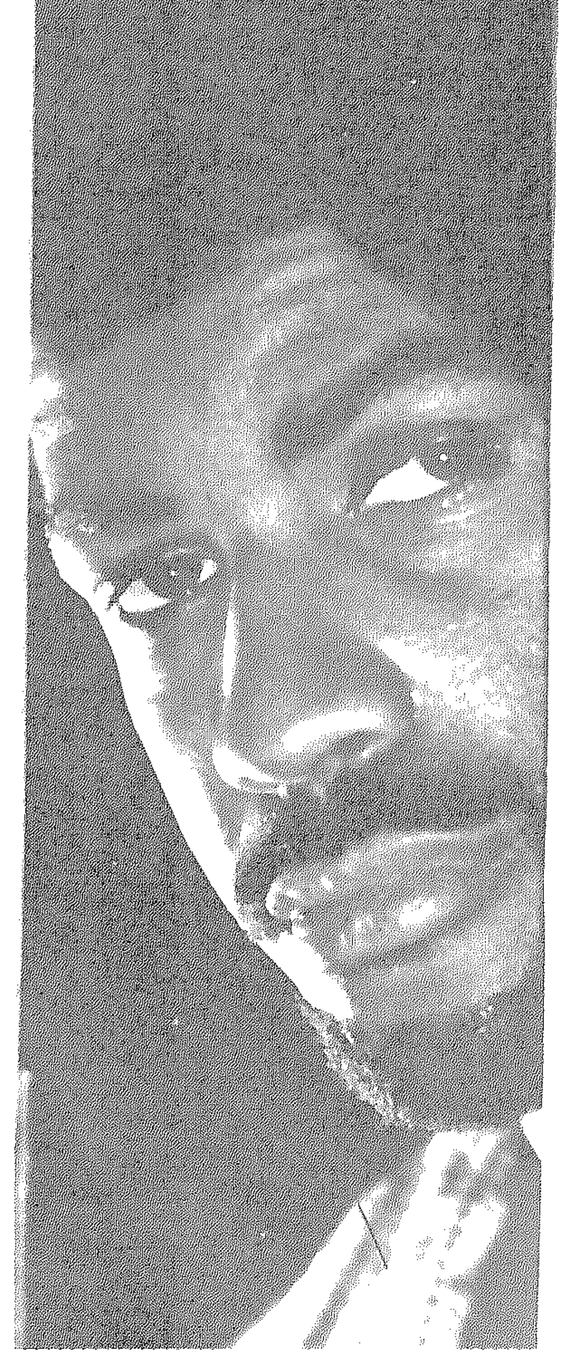
ومن هنا سعى صاحب الفيلم الى

تساءل الكثير عن الإمبراطور الاخير من هو ، ولماذا توج الفيلم الذى يدور حول ماساته بتسع جوائز اوسكار ، وهو رقم لم يفز به اى فيلم منذ « قصة الحى الغربى » (١٩٦١) .

والعجيب أن أحدا لم يتساءل لماذا لم يرشح لأية جائزة من هذه الجوائز المشتهاة فيلم تاريخى آخر يدور حول سيرة « ويليم ووكر » (١٨٢٤ - ١٨٦٠) ذلك المغامر الامريكى الذى استولى على نيكاراجوا بنفر من الأشرار لايزيد عددهم على الخمسين إلا قليلا .



الامريكى القبيح .. القصة الحقيقية



بيكو المناضل الافريقى الجميل .



بتصوير الجانب القبيح من حياة هذا المغامر على وجه يتيح للمشاهد ، مع شيء من التفكير اليسير ، ان يعقد مقارنة بين ماحدث فى نيكاراجوا بعد منتصف القرن الماضى بقليل ، وبين مايحدث فيها الآن ونحن على عتبات القرن الواحد والعشرين .

وهو فى سعيه هذا ، قد لجأ الى اسلوب اوبرالى فيه من البرختية والملهاة الشيء الكثير .

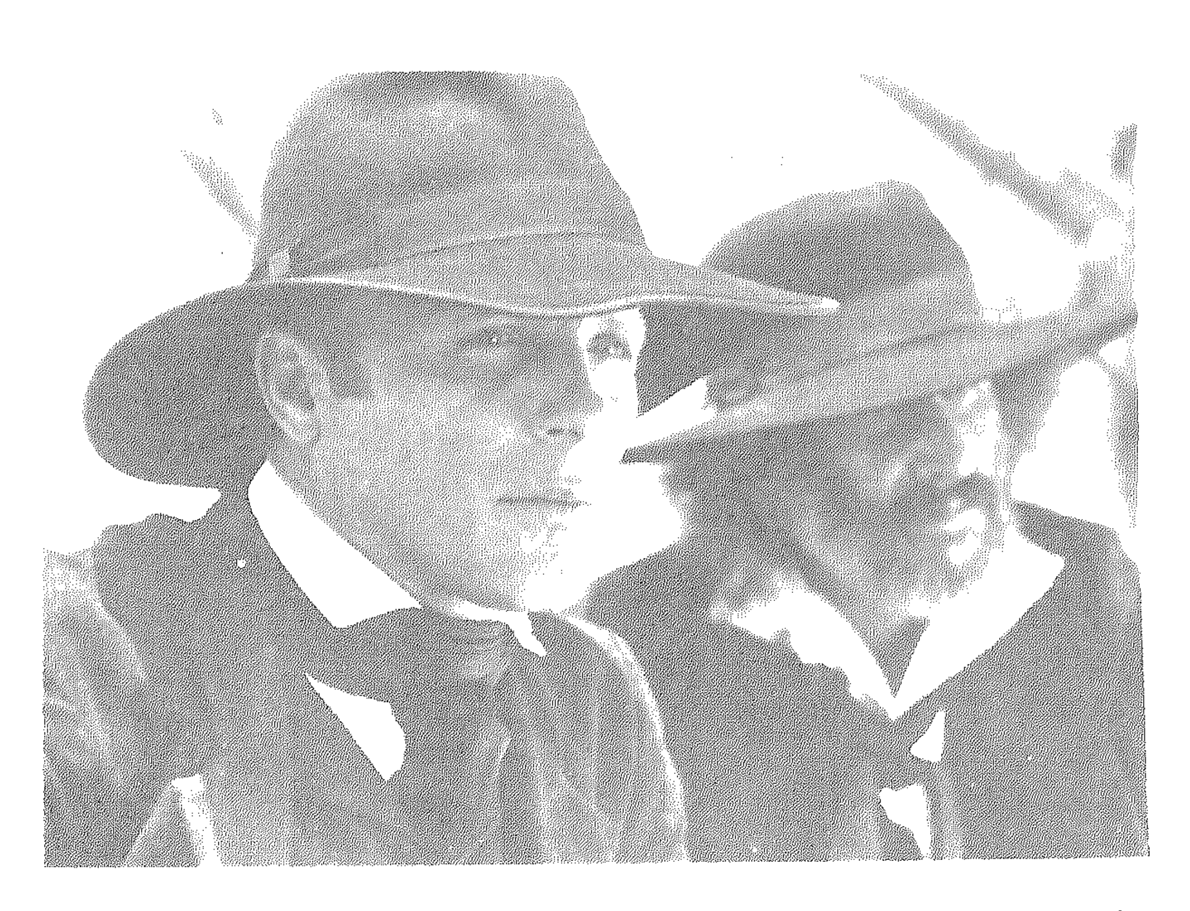
وآية ذلك مزاوجته الطريفة بين ازمنة « ووكر » وازمنتنا .

فها هى زجاجات الكوكاكولا تملأ الشاشة رغم أن اختراعها وقت أحداث الفيلم كان لايزال فى علم الغيب

وها هى مجلات امريكا الشمالية الباحثة عن الاثارة تحمل على اغلفتها صورة « ووكر » وفتوحاته مما يذكرنا « باوليفر نورث » بطل فضيحة « ايران ـ كونترا » وطريقة معالجة الصحافة الامريكية لها .

وها هى طائرة عمودية تهبط فجأة على

ووكر الامريكى القبيح



ارض المعارك ليندفع منها جنود البحرية الامريكية شاهرين السلاح .

وعلى كل ، فليس يعنينا الآن ما اتيح لفيلم « ووكر » من الفوز جماهيريا ـ وهو فوز عظيم ـ بقدر ما يعنينا ان نلاحظ ان الجهود التى بذلها مخرجه لكشف تدخل كل رجال الرئيس الامريكى فى شئون بلد صغير كنيكاراجوا ، ورد ذلك الى اصوله التاريخية ، هذه الجهود التى جعلته وحيد نوعه بين ركام الافلام ، قد انتهت بالمتحمسين له الى الاخفاق حتى فى ترشيحه الى أية جائزة من جوائز أوسكار .

● ابيض واسود

فاذا ما انتقلنا الى « صرخة الحرية » فسنجد انفسنا امام واحد من اكثر افلام العام الماضى نبلا ، وذلك لأنه من تلك الاعمال السينمائية النادرة التى تعرضت بجرأة وصدق لأهوال التمييز العنصرى فى جنوب افريقيا .

ولاعجب فى هذا ، فصاحبه « ريتشارد اتينبره » سبق له ان اخرج « غاندى » وهو فيلم عرض فى مشاهده الاولى لهذا التمييز المقيت .

وقصة فيلمه الجديد كما « غاندى » ما هى الا ترجمة حقيقية عاشها بطلا « صرخة الحرية » « ستيف بيكو » و « رونالد وودز »

وأحداث الفيلم تبدأ بـ « بيكو » مناضلا اسود فى ريعان الشباب ، استقر فى ضميره أن الشر كل الشر ، والنكر كل النكر ، هو فى اذلال البيض للسود .

وانه لابد من تغيير الامور فى جنوب افريقيا بحيث تقام الصلات بين الناس ، مهما تختلف الوانهم على نظام من العدل والمساواة .

وتنشأ بينه وبين « وودز » محرر جريدة « ديلى ديسباتش » ـ وهو من البيض ذو نزعات انسانية ـ صداقة قوية ، بفضلها يزداد وعى « وودز » بخطر العنصرية ووحشيتها ، فيصمم على مقاومتها ، ما وسعته المقاومة ، ولا يدخر فى سبيل ذلك جهدا .

ومع تفاقم الاحداث ، يمر امام اعيننا شريط دام من الفواجع

فها نحن نرى هجمة الشرطة على مدينة الصفيح السوداء « كروس رودز » خارج مدينة « كيب تاون » ، ونرى تحديد اقامة « بيكو » وكيف جعلت من منزله مكانا اقرب الى السجن منه الى اى شىء آخر .

ثم نراه ، حين يلقى القبض عليه ، ويرمى به وراء القضبان ، حتى نفاجأ به فاقد الحياة على ايدى شرطة لا ترحم .

● مذبحة الابرياء

وما ان يختفى « بيكو » بالقتل ، حتى يبدأ النصف الثانى من « صرخة الحرية » حيث تمكر سلطة القهر بصديقه الابيض « وودز » مكرا شديدا يكاد يخلو من قطرة انسانية .

ولا اريد ان الخص مافى هذا النصف وهو تصوير هروبه متخفيا فى ثياب قسيس ومعه مخطوط كتابه عن « بيكو » يحكى فيه ما رأى ، ويكشف فيه عن كل ماجرى .

ولا ان الخص محنة زوجته « وندى »

وهى تحاول الفرار باطفالها من الجحيم ، حتى يكتب لها النجاة .

ولا ان ألخص محنة مشاهد مذبحة الاطفال السود فى « سوويتو » (١٩٧٦) او محاكمة « بيكو » حيث استطاع بصدق لهجته من جهة ، وبراعته الفنية من جهة اخرى ان يفضح النظام العنصرى فى جنوب افريقيا وجرائمه ، تلك المشاهد التى قطع بها مخرج الفيلم سياق السرد لرحلة هروب « وودز » الى الحرية .

● اسباب العقاب

وانما اكتفى بتلخيص النظرية التى يعتمد عليها الفيلم بنصفيه

فهو يريد ان يقول ان الصلة القائمة بين حياة البيض والسود قوامها الاستعلاء والاستكبار .

البيض يعسفون ويخسفون ، والسود يذوقون الوان الذل والهوان .

فاذا ما حاولوا الخروج من ذلك الى شىء من العزة والكرامة ، ردهم البيض الى حياتهم البغيضة اعنف الرد .

وان يقول ايضا انه على البيض اذا ماوعوا ابعاد هذه الحياة المسرفة فى الاذلال ان يقاوموا .

ومن هنا عقاب الفيلم بحجب جميع جوائز اوسكار عنه .

فمثلا اوسكار احسن ممثل ثانوى لم يحصل عليها الممثل الملون « دينزن واشنطن » الذى كان مرشحا لها عن ادائه لدور « بيكو » بجدارة ، وحصل عليها « شين كونرى » المشهور « بجيمس بوند » عن تقمصه لشخصية شرطى فى خدمة الشعب ضد الفساد فى آخر افلام هوليوود عن المجرم « آل كابونى » الاطهار

وأوسكار احسن اغنية لم تفز بها انشودة « بيكو » بكلماتها التى تدفع الى الصمود والنضال ، وفازت بها اغنية عاطفية تافهة من فيلم لا غناء فيه « الرقص القذر »

● الفيلم الوليمة

والآن ، عود الى « الامبراطور الاخير » ، ذلك الفيلم الذى فاز بجميع الجوائز ذات الرنين .

صاحبه هو « برناردو برتولوتشى » المخرج الايطالى الذى سبق له ان ابدع « قبل الثورة » و « المتلائم » و « التانجو الاخير فى باريس » و « القرن العشرين » ، وهى أربع روائع لها فى تاريخ السينما اثر غير قليل .

واغلب الظن انه اكثر المخرجين الثلاثة موهبة . (يلاحظ ان احدا منهم لايحمل الجنسية الامريكية)

وحتى عام ١٩٧٨ كان عضوا فى الحزب الشيوعى الايطالى وتركه له لعله يعود الى خلاف جوهرى حول مفهوم المتعة فى الفن واشياء اخرى ..

وهو فى فيلمه الاخير يحكى بطريقته

ماساة الإمبراطور « بويى » الذى اختارته الإمبراطورة « تزوهو » خلفا لها (١٩٠٨) وهو لايزال فى المهد صبيا .

● عبث الاقدار

واحداث الفيلم تبدأ به مسجونا (١٩٥٠ ـ ١٩٥٩) بعد ان سلمه الروس الى الصينيين اثر سقوط حكم الكومنتانج وارتفاع رايات الشيوعية فى الصين عالية وكانت التهمة الموجهة إليه هى التعاون مع اليابانيين ابان حقبة احتلالهم للصين .

وبلا هوادة سعى سجّانوه الى اعادة تعليمه او غسل مخه كما يقال فى لغة المحللين النفسيين .

واثناء محاولاتهم هذه ، ومن خلال بناء سينمائى . يقوم على لقطات تعود بنا الى الماضى ، يتوقف الفيلم عند لحظات من حياة الإمبراطور السجين :

الاعمار الثلاثة الاولى (اثنان ونصف ، عشرة ، خمسة عشر عاما) من حياته كامبراطور طفل ومُراهق .

منفاه اثناء عقد العشرينيات ، محاولاته مع المحتلين اليابانيين اعادة بناء امبراطورية فى منشوريا مسقط راسه ثم الفشل النهائى .

وفى الحق ، فهذا الفشل قدر مكتوب عليه منذ البداية .

فهو يتوج امبراطورا وله من العمر ثلاثون شهرا وهو ـ بعد ثلاثة اعوام من اعتلاء العرش ـ لا يملك من امر الصين شيئا لأن ثورة قامت واعلنتها جمهورية .

وهو رهين المدينة المحرمة لايتركها الا طريدا فى بداية العشرينيات بعد تجريده نهائيا من اللقب الامبراطورى .

هو باختصار سجين طوال الفيلم .

دائما امامه سد لا يستطيع ان يتجاوزه وسد التاريخ المنيع .

وحيثما يستأنف السير فى اى طريق ، فانه لاينتهى منه الى غاية .

● الحنين لم يعد كما كان

ولايزال كذلك حتى يجد فى سجنه الاخير عالما جديدا غريبا يستطيع ان يعيش فيه متلائما مع نفسه ومع الناس .

اخيرا تنفتح امامه الابواب ، فيعمل جناينيا فى حدائق المدينة المحرمة حيث كان امبراطورا مقدسا واخيرا يحيا ليموت راضيا مرضيا

بعد هذا كله ، فالامبراطور الاخير فيه من الخصب والشاعرية والجمال ما لابد وان يترك فى السينما آثارا بعيدة عميقة ، ليس الى محوها من سبيل .

ومع ذلك فسدنة العدالة فى هوليوود لم يتوجوه امبراطورا على جميع الافلام الا لانه زاخر بالحنين الى الصين القديمة ..

صين الارض الطيبة (وهو فيلم حاز على جوائز اوسكار كثيرة خلال منتصف عقد الثلاثينيات)

ومن هنا خروجه من حلبة الصراع على جوائز الأوسكار الكبرى ، فائزا لا شريك له .

جولـــة المعـــارض

فى متحف تيتو لدول عدم الانحياز
هل رأيت شعباً يحضن نخلة ؟!

بقلم : عز الدين نجيب

قال لى الدكتور زكى نجيب محمود يوما - «إن الفن الذى يخلو من المحلية العميقة يكون قد اخرج نفسه من دنيا الفن ، لأن الفن فردى متفرد فى المقام الأول ، وهو ياتى انعكاسا للفنان الواحد الفرد الذى انتجه ، ثم - بعد ذلك - انعكاسا لانتماء ذلك الفنان لقومه وامته . لكن سحر الانتاج الفنى والأدبى معا ، برغم فرديته وتفرده وخصوصيته البالغة اقصى الحدود ، فهو انسانى عام ، بحيث يتلقاه اى فرد فى اى بلد وفى اى عصر ، فيرى حقيقة الانسان ، حتى ولو كان انسانا من شعب آخر مختلف الطباع والمشارب »

أدركت صدق هذا الرأى بقوة ، وانا اتجول بمعرض مجموعة دول عدم الانحياز والدول النامية ، الذى اقيم بقاعة النيل بالقاهرة طوال الشهر الماضى ، وهو من مقتنيات متحف « جوزيب بروز تيتو » بيوغوسلافيا ، جاء الى مصر ضمن جولة فى عدد من دول عدم الانحياز ، وكانت القاهرة هى محطته الاولى ، تقديرا لدورها التاريخى فى ارساء تلك الحركة .

• الفن .. انتماء انسانى لا فرديته وتفـــرده

• نموذج من فنون الشرق الاقصــــى

جولة المعارض

اهمية هذا المعرض فى احتوائه على اعمال لثلاثين دولة من الدول النامية (وهى ما اتفق على تسميتها بدول العالم الثالث) ، تلك التى سقطت سهوا من قواميس الفن التى نتعامل معها ، ومن خطط الأجهزة الثقافية الحكومية عندنا ، حين تستضيف معارض اجنبية لتظهر لنا مستوى التقدم الابداعى فى العالم .

من هذه الدول : الهند واندونيسيا وباكستان وماليزيا وبنجلاديش والعراق والجزائر ومالى والسنغال والكونغو وغينيا وكوبا ونيكاراجوا وبوليفيا والمكسيك وفنزويلا والأرجنتين ... إلخ ، مع دولة وحيدة من اوروبا الشرقية هى يوغوسلافيا .

والأكثر اهمية هو المستوى المتقدم جدا لعديد من فنون هذه الدول ، بما يضعها ندا قويا للفنون الأوربية التى ظلت حتى اليوم مقياسا وحيدا لمستوى الفن فى العالم ، وبما يكشف مدى اصالتها وتفردها النابعين من المحلية الشديدة لتراث وثقافات هذه الشعوب العريقة .

لكن قبل ان نبدأ جولتنا داخل المعرض ، دعونا نتعرف على المتحف الذى يملك هذه الأعمال ـ متحف تيتو ـ وكيف نشأ والهدف من انشائه .

● قصة متحف تيتو

فى عام ١٩٨٣ انعقد بمدينة نيودلهى بالهند الاجتماع السابع لرؤساء دول عدم الانحياز ، وكان على رأس قائمة جدول اعمال ذلك الاجتماع دعوة تلك الدول لتساعد وتساهم فى انشاء متحف يعد بمثابة جامعة ثقافية لدول الحركة والدول النامية ، للمساهمة فى تقدمها وتطورها فى ذلك المجال . واقترح ان يكون مكان المتحف هو مدينة تيتوجراد بيوغوسلافيا ، وان يتخذ اسم الزعيم الراحل تيتو تكريما له كرائد لحركة عدم الانحياز .

وتلاحقت بعد ذلك اجتماعات وزراء ثقافة هذه الدول فى مدن : بيونج يانج ، لواندا ، هافانا ، اعوام ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ لوضع الفكرة موضع التنفيذ .

كان المبنى المركزى للمتحف عبارة عن قصر قديم بمدينة تيتو جراد ، وقد اتخذ مقرا لعرض الأعمال التشكيلية التي بلغت ٣٠٠ قطعة لأكثر من ٥٠ دولة ، اهداها اصحابها الى المتحف . وشيدت حول هذا القصر خمسة ابنية حديثة تحيطها حديقة جميلة . وخصصت تلك الابنية للأنشطة الثقافية الأخرى فى الفنون والآداب والندوات والمؤتمرات ومراسم للفنانين التشكيليين من مختلف الدول . وقد استضافت تلك المراسم فنانين من الهند وقبرص وبنجلاديش وسيريلانكا وكوبا والفليبين واندونيسيا والسنغال والمكسيك ، حيث تبادلوا الخبرات الفنية ، وتكلموا بلغة مشتركة هى لغة الفن ، تلك التى تعد الألوان كلماتها ، والتفاهم الانسانى مضمونها ... وترك لكل دولة القيام بتنسيق جناحها فى مجالات للفن التشكيلى المختلفة بالطريقة التى تراها ، مما اعطى تنوعا فى الأسلوب اضفى على المتحف رونقا وجمالا . وهناك معروضات

تراثية لبعض الدول يزيد عمرها على ثلاثين قرنا ، تمثل الطابع الأصيل لحضارات شعوبها ، جنبا الى جنب الاعمال المعاصرة .

وفى مجال النشاط الثقافى العام اقام المتحف ـ بالتعاون مع الهند ـ أسبوعا ثقافيا هنديا ، اشتمل على معرض تشكيلى وعروض رقص وموسيقى وافلام فيديو وبرامج اذاعية . وقد حفز نجاح هذا الاسبوع هيئة تنظيم المتحف الى تكرار هذا الحدث الثقافى سنويا بالنسبة لدول عدم الانحياز والدول النامية الأخرى .

« القباب » .. للفنان العراقى على الجابر

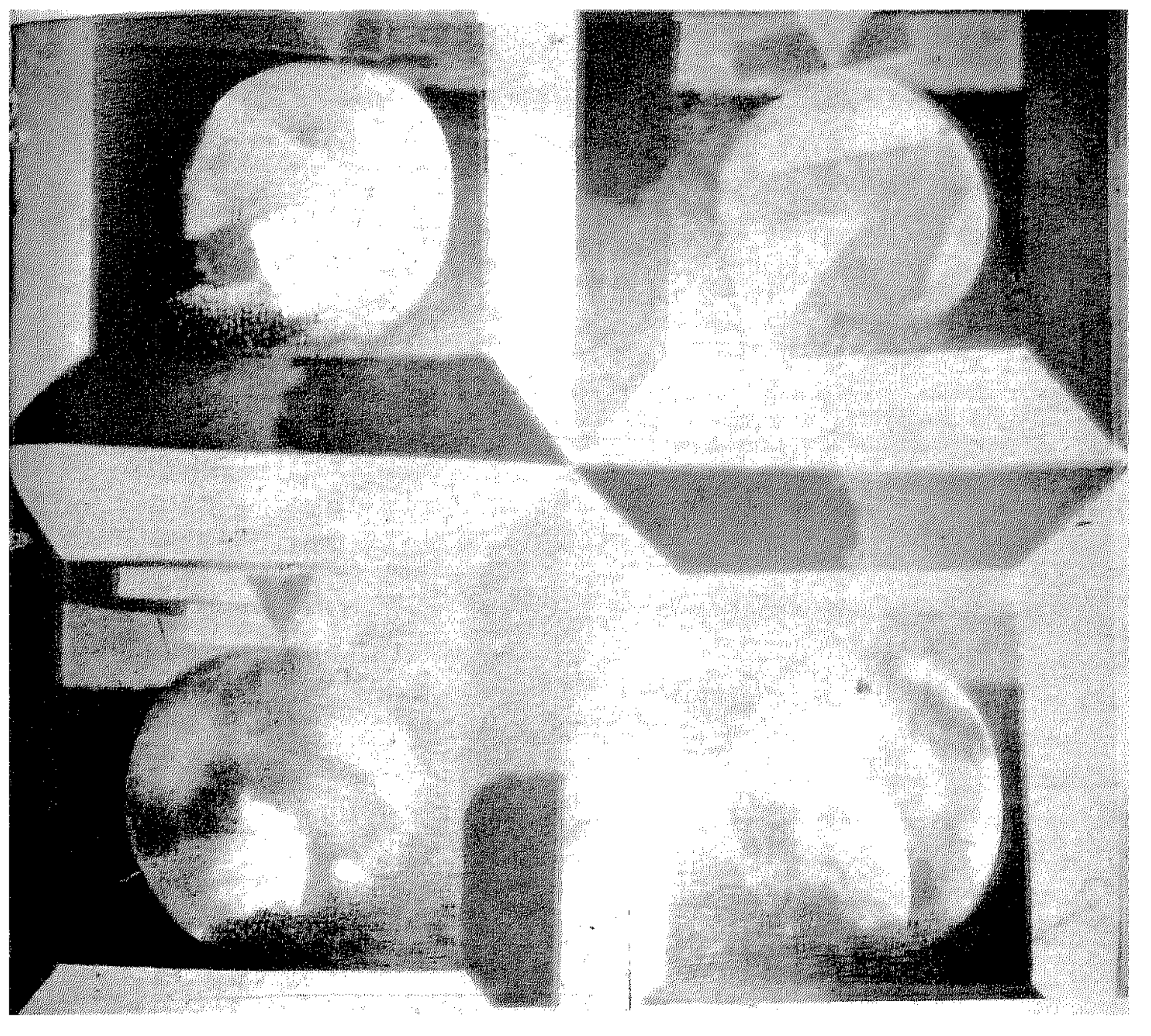


كما نظم المتحف ـ بالتعاون مع اليونسكو ـ ندوة عن « الفن والتقدم » ، عقدت بين ٢١ ، ٢٥ اكتوبر ١٩٨٥ ، تناولت دراسة العديد من القضايا الفنية والثقافية المتعلقة بفنون دول عدم الانحياز والدول النامية ، والعقبات التى تعترض تطورها .

كل هذا ومصر « نائمة فى العسل » غائبة عن المشاركة او حتى العلم بهذا الحدث الكبير ، اللهم الا مشاركة فردية للفنان حسين الجبالى ، الذى مثل فى المتحف باحدى لوحاته الجرافيكية ، وقد اتخذتها هيئة تنظيم هذا المعرض ملصقا اعلانيا له .

● شوائب فى تنظيم المعرض :

ويذكر للفنان مصطفى عبد المعطى فضل استضافته لهذا المعرض بمصر ، كمسئول عن المركز القومى للفنون التشكيلية ، ودعوة بعض الفنانين المصريين للمشاركة فيه الى جانب اخوانهم ضيوف العالم الثالث ، واهداء اعمالهم ليقتنيها المتحف عند عودة الاعمال الى يوغوسلافيا ، ليخصص لها جناح به ، تقديرا لمصر كرائدة بين رواد حركة عدم الانحياز ، وقد سارع الفنانون المصريون بتلبية الدعوة ، ويبلغ عددهم قرابة الأربعين ، لكن ما شاب هذه المبادرة هو تجاهل الفنان مصطفى عبد المعطى دعوة عدد من رموز الحركة الفنية الذين ترتبط اعمالهم بالفن الملتزم ، أذكر منهم على سبيل المثال فقط الفنانات انجى افلاطون وتحية حليم وجاذبية سرى ، كما شاب هذه المظاهرة المصرية فى المعرض



شغف الفنان المعاصر بالتناقض، والتوافق بين الالوان

جولة المعارض

غلبة الاتجاهات الأوروبية ، لنفس الأسماء المدعوة الى كل مناسبة دولية ، الأمر الذى اظهر الجناح المصرى ـ اكثر من اى وقت مضى ـ بلا هوية محلية ، على عكس الأعمال المعروضة لضيوف هذا المعرض من الدول النامية .

شعرت بالارتباك وانا اتجول بالمعرض واقرا اسماء الفنانين تحت اعمالهم



جولة المعارض

المعروضة . فلسبب لا أفهمه (ولم يعلنه منظمو المعرض) بعثرت اعمال كل دولة ـ بل كل فنان ـ بين أجنحة المعرض المتعددة . فكنت تجد أعمالا لفنان من بوليفيا بجانب فنان من الجزائر او الهند ، دون وحدة تجمع اعمال كل دولة وكل فنان ، حتى أن أعمال الفنان الواحد كانت مبعثرة فى ثلاثة أجنحة متباعدة يصعب الربط بينها من الجولة الاولى . ولعل المنظمين للمعرض أخذوا بنظرية تناغم الأعمــال من حيث الأسلـوب الفنى والالوان ، دون اعتبار لجنسيات اصحابها ، حتى يعطوا للمعرض ككل وحدة جمالية . وربما كان المقصود هو اذابة الفوارق الجغرافية والعرقية بين تلك الدول ، فتصبح كأسرة واحدة ، لكننى اعتقد ان الصواب قد جانبهم فى كلا الفرضين . وهذا يعود بنا الى كلمات الدكتور زكى نجيب محمود حول أهمية التميز والتفرد المحلى لكل فنان وكل أمة كى تظهر خصائصها ومذاقها ، ومن ثم يمكن الوصول من خلال ذلك الى الجوهر الانسانى العام .

● عوالم خاصة وأصيلة :

نخطىء اذا حـاولنا تصنيف الأعمال المعروضة داخل اتجاهات ومدارس فنية على النمط الأوروبى ، بالرغم من توافر الملامح الأسلوبية فى كثير من المعروضات ، وهى تغرى بمثل هذا التصنيف ، بين واقعيـة وتعبيريـة وسرياليـة وتأثيرية وتجريدية ... الخ ..

ونخطىء فى هذا التصنيف ايضا بالرغم من وقوع كثير من الفنانين العارضين فى اسر تلك المدارس ، شأنهم فى ذلك شأن الفنانين المصريين ، بل شأن رجال السياسة والاقتصاد والثقافة فى العالم الثالث ، الذين يستوعبون فى عباءة المدارس الغربية .

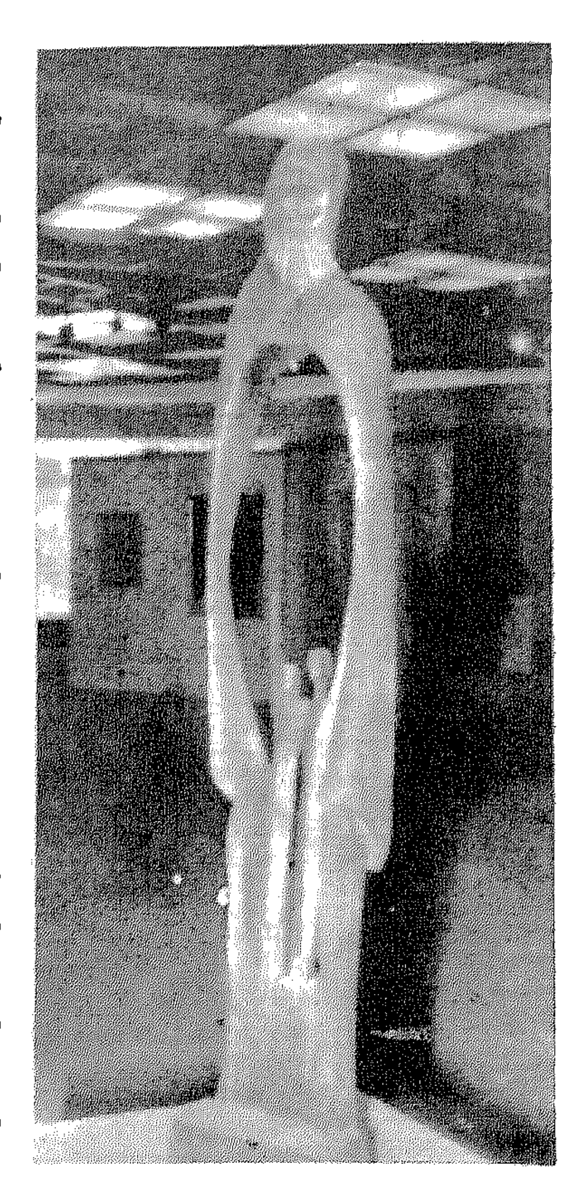
لكن النظرة الثاقبة لمنجزات عدد غير قليل من فنانى دول العالم الثالث فى هذا المعرض ، تقودنـا الى ادراك انهم استطاعوا التعامل مع تلك الاساليب الغـربية بـاعتبارهـا اسسا جمـاليـة (استطيقية) مثل السلم الموسيقى او التفعيلة فى الشعر ، اما ما يقام فوق هذه الاسس فهو شديد الالتصاق بخصوصية الثقافات والهويات التى يتميز بها كل بلد وكل فنان .

ويعطينـا الفنـان اليـوغـوسـلافى « جوزكيوها » نموذجا راقيا لهذا المعنى ، وهو بالمناسبة وبنفس اعماله المعروضة ـ كان نجم بينالى الاسكندرية الاخير ، وقد فاز عنها بالجائزة الاولى فى التصوير ... فلوحاته الزرقـاء تنويعـات موسيقيـة منسوجة من لحن شعبى ، معبأ بجو اسطورى ، يتمثل فى الايدى والاقدام الخارجة من هياكل سوداء ضخمة ، ترقق من جهامتها وحدات زخرفية بيضاء من « الـدنتللا » التقليـدية فى الفلكلـور

الأسيوى ليس فقط طراز ملابس فتياتها والوانهن الدافئة ، بل هى تلك المسحة الغنائية برشاقة فى جو من خفر العذارى مطرز باوراق الشجر ، فكأنك تسمع دندنات موسيقية للربيع الذى يفجر بدفئه المفاجىء انوثة البنات ... وقل بعد ذلك ماتشاء عن تشابه اسلوبه مع جوجان او الحوشيين والتعبيريين .

● من أمريكا اللاتينية - إلى افريقيا :

ولا أستطيع أن أحصى كل الأعمال الجميلة المتألقة فى هذا المعرض الفريد ولاأسماء الفنانين الصعبة من أمريكا اللاتينية بوجه خاص ، الذين نفاجأ باعمالهم لأول مرة فى مصر ، مفعمة بالدماء الساخنة والتعبير الحوشى (الضارى) ... حسبى ان اشير الى نماذج سريعة لفنانى بوليفيا الذين تتراوح اعمالهم بين تجسيد الرعب والغضب - كما فى لوحات « روبرتو فاركارسيل » تحت عنوان « احتجاج » ، وبين التعبير عن العاصفة كما فى لوحة الفنان « جويدو شاير بالديراما » وبين السخرية اللاذعة للبرجوازية ، كما فى لوحات « نورهابلتران » ... وقس على ذلك فى الأعمال الافريقية ، اذ توحى لك بعالم الطقوس والسحر ، سواء ما كان منها تراثيا مجهول الصاحب يعود الى الماضى السحيق ، فى شكل اقنعة او طواطم ، او ما كان منها معاصرا ... وخذ هذا التمثال الخشبى الاسود للفنان « فيتريتو مادونجا » من تانزانيا بعنوان « الاتحاد قوة » ... وسوف تجد فيه شعبا باسره



نحت خشبى .. للفنان
المصرى صبرى ناشد

أليوغوسلافى ... وقل بعد هذا ماتشاء من اوصاف لمدرسة هذاالفنان . سريالية ام رمزية ام تجريدية ! .

قس على ذلك لوحة الفنان « كوامرول حسن » من بنجلاديش بعنوان « ثلاث نساء » .. ان مامنحها مذاقها الشرقى



:عشق الفنان العربي الفن وصنع لعالمه نموذجا فنيا مميزا

جولــة المعــارض

يحتضن جذع نخلة شاهقة كأنما يصعد فوقها ، وفى نهايتها وجه كبير كأنه وجه

أفريقيا ... هل رأيت فى عمرك مثل ذلك ؟!
لكنها روح أفريقيا ! .
إنها نبوءة الفنان الأسود بصعود أمة سوداء نحو النور .. وإنه لمعرض يفتح امامنا نافذة عريضة للنور الباهر .

فتح ملفات المراكز الثقافية فى مصر

معهد جوتة

بين الأمس والغد المغرّد

ناقت الثقـــافة الالمانية الامرين من حصار وعزلةداما طويلا •

واغلب الظن ان هذه المعاناة انما ترجع الى امرين اولهما هيمنة الثقافه المنحـدرة مـن اصول انجلوسكسونية بفضل الامبراطورية البريطانية التى ما ان اخذت شمسـها فى الغروب ، حتى حلت محلها الولايات المتحدة ـ وشعبهـا هى الأخرى متكلم باللغـــة الانجليزية ـ فاذا بها تغــزو العالم كله ببضائعهـــــا واختراعاتها ودولاراتها بحيث بات النمط الامريكي النمط الاحب والأكثر انتشـــارا ، حتى ان المانيا لا تخـــلو من آثار أغنية روك ورول اوفيلم او تقليعة من بلاد العام السام . وليس ادل على هـــذه الهيمنة ، وما تبعها من حصار للثقافات الاخرى بما فيهـا الثقافة الالمانية ، مكانة كلمن شـــيكسبير وجـوتة خارج بلاديهما ••

ففى الوقت الذى كـان فيه الاول ملء الاسماع والابصار بمسرحياته ، حتى انه يمكن الجنوح الى القول بانه لا يوجد مثقف فى العالم الا وذاق بعضـــا من فن شيكســبير او حتى سمع بقصة حب روميو لجولييت او غيرة عطيل علي ديدمونة او حيرة امير الدنمرك بين ان يكون او لا يكون ·

فى هذا الوقت كان قد الفى بين « جوته » بكل ثقافته الموسوعية التى استطاع بها ان يقهر الدهـــر ويكفل لنفسه الخلود وبين الناس آستار ، بحيث كاد ان يكون مجهولا خارج حدود اوروبا والولايات المتحـدة ، لا يعرف من امر فنه الا نزرا يسيرا ·

فما اقل أولئك الذين عانوا صراع « فاوست » مع « مفيستوفيليس » ،

معهد جوته

وما اقل الذين قاسوا « الام فيرتر » .

ولعل هذا احد الاسباب التي حدت بالقائمين على شئون نشر الثقافة الالمانية على امتداد العالم الفسيح الى تسمية المعاهد الثقافية المنوط بها تحقيق هذا الهدف باسم اعظم ادباء المانيا ، واكثر شعرائها موهبة .

● العاصفة الهوجاء

اما الامر الثاني فهو استيلاء هتلر وعصابته على مقاليد الحكم واخضاعه المانيا لارهاب نازية دموية زجت بشعبها فى أتون حرب عالمية ، وانتهت به مدحورا ، محتلة ارضه ، مقسما ترابها الى المانيا شرقية واخرى غربية

وليس من شك أن النازية والهزيمة والاحتلال والتقسيم ، كل ذلك قد اثر فى الثقافة الالمانية تأثيرا عميقا .

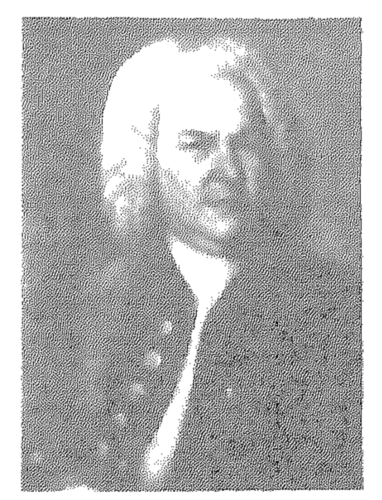
ومن اخطر هذه الاثار انقطاع الصلة بين تلك الثقافة وبين العالم ، والانحراف بها عن طريق الحياة المتصلة التى تسلكها الثقافات الحية

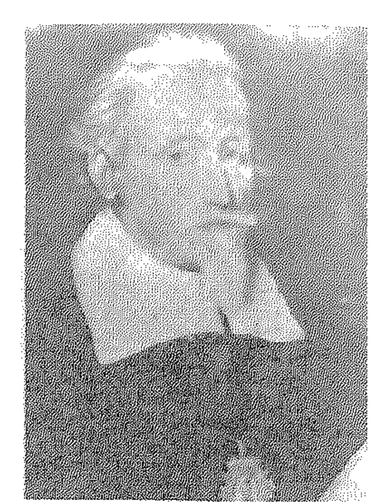
وعلى كل حال ، فمن اجل الخروج من هذا المأزق ، سعت معاهد «جوته» التى اخذت فى الانتشار ابتداء من عقد الخمسينيات الى وصل ما انقطع ، وذلك بالخروج بالثقافة الالمانية من عزلتها التى تسببت فى خسارة لها وللعالم لا سبيل الى تعويضها حتى يومنا هذا .

وعن رسالة معاهد « جوته » هذه قال الدكتور « كلاوس شولتز » مدير معهد القاهرة في كلمة القاها بمناسبة اليوبيل الفضى (١٩٨٣) ، قال ماحاصله ان المعهد قد عدل منذ مدة طويلة عن موقفه ، « فطوح السياسة الثقافية القديمة جانبا ، تلك التى كان يطلق عليها بحق سياسة استعمارية اذ كانت تركز على المبدأ القائل باننا نحن الالمان او اية امة غربية اخرى — لدينا مفهوم ثقافى يعلو غيره ، وعلينا ان ننشره بين الشعوب الاقل مستوى أو نفرضه عليها عند الضرورة » .

وهذا المعهد سيجرى الاحتفال بمرور ثلاثين عاما على انشائه تحت اسم « معهد جوته لرعاية اللغة الالمانية بالخارج وتوطيد أواصر التقارب الثقافى الدولى » ، وذلك لان افتتاحه قد تم تنفيذا لاتفاقية ثقافية عقدت بين مصر والمانيا الاتحادية تحت شعار «اللغات نافذة تطل منها الشعوب على العالم » وكان ذلك ابان عام تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثى على مصر

وعلى كل ، فانطلاقا من هذا الشعار ، اعطى معهد « جوته » سواء فى القاهرة أو فرعه بالاسكندرية ، الاولوية فى نشاطه لنشر اللغة الالمانية وارساء دعائمها فى ربوع مصر ، شأنه فى ذلك شأن جميع المراكز الثقافية الاجنبية الاخرى ، عدا المركز الثقافى الامريكى الذى هو فى غنى عن هذا الجانب من النشاط الثقافى لوجود الجامعة الامريكية وافلام هوليوود واشياء اخرى .





وتلعب الموسيقى الكلاسيكية فى نشاط معهد « جوته » الثقافى دورا كبيرا ٠

ولا غرابة فى هذا ، فلا توجد ثقافة فى العالم بلغت فى اجادة هذا النوع من فن الموسيقى ، ما بلغته الثقافة الالمانية ٠

وكان عام ١٩٨٥ فرصة كبرى لتاكيد هذا الامتياز ففيه جرت الاحتفالات بمرور ثلاثمائة عام على ميلاد كل من « جوهان سيبستيان باخ » و « جورج فردريك هاندل » ، ومرور اربعمائة عام على ميلاد « هينريك شوتز » ٠

ومن هنا تكريم المعهد لذكرى هؤلاء الثلاثة العظام بعزف بعض اعمالهم التى كان تقديمها بمثابة وليمة سخية فيها غذاء للعقول وشفاء للقلوب والنفوس ٠

ولو القينا نظرة سريعة على اوجه نشاط المعهد الاخرى ، لوجدنا ان ثمة اهتماما شديدا بالفنون التشكيلية ٠

فما اكثر معارض الرسامين والمصورين التى اقيمت فى القاعة المخصصة لذلك ببدروم مبنى المعهد المطل على شارع البستان ٠

والمعهد كما المركز الفرنسى لا يفرق فى هذا الخصوص بين الفنانين سواء اكانوا المانا ام مصريين ٠

فعلى سبيل المثال كانت ثمة معارض لاعمال فنانين المان ــ كما معرض « كريستيان شاد » فى الحفر على المعادن والنحت على الخشب ٠

ومعرض التصوير الفوتوغرافى « مصر ــ انطباعات وآراء » للفنان فولفجانج كلاوس الذى يقيم بالقاهرة منذ عام ١٩٨٣ ٠

وثمة معارض لفنانين مصريين فتحت لهم ابواب المعهد على مصاريعها دون ما نظر لاختلاف مشاربهم واعمارهم ٠



وآية ذلك المعرض الذى اقيم بمعهد القاهرة للفنانات « تحية حليم » ، « جاذبية سرى » ، « انجى افلاطون » و « زينب عبد الحميد » .

● حواء .. اولا

والمعرض الذى اقيم بمعهد الاسكندرية منذ اسابيع للفنان عز الدين نجيب .

والظاهر من متابعة نشاطات المعهد الاخرى ، ان ثقافة المرأة وابداعاتها تلقى من المشرفين عليه قدرا كبيرا من الاهتمام .

فبعد الابداع التشكيلى عند بعض الفنانات المصريات ، وبعد عروض لسينما المرأة المخرجة فى المانيا ، اقام المعهد ندوة حول تحقيق الذات فى ادب المرأة المصرية والالمانية ، عرضت ضمن ما عرضت لبعض اعمال اديبات مصريات من مختلف المدارس والاتجاهات .

وقد دارت مناقشات حول هذا الموضوع استمرت ثلاث ليال اثيرت خلالها تساؤلات حول ابداع المرأة وهل يختلف عن الابداع عند الرجل ، وحول ادب المرأة الالمانية المعاصرة .

وبفضل هذه المناقشات التى انتقلت فقرات منها الى صفحات الجرائد والمجلات ، بدا واضحا انعزال الكاتبة المصرية عن تيار الادب النسائى العالمى الذى اصبح له منزلة كبيرة .

ومن الاوجه الفريدة فى نشاط المعهد عرض بعض المسرحيات الالمانية لابلغة مؤلفيها كما هو الحال بالنسبة للفرنسيين عندما يعرضون على خشبة المركز الفرنسى مسرحية لاحد من ابنائهم ، وانما عرضها مترجمة الى العربية .

ومن ابرز هذه المسرحيات « يموت المعلم » و « المربيب يريد ان يكون وصيا » لبيتر هاندكة احد ابرز المسرحيين المعاصرين المتكلمين باللغة الالمانية .

● ولادة جديدة

ومن اوجه التفرد الاخرى وجود نادى سينما بالمعهد يشرف عليه ناقد مصرى « فوزى سليمان » .

وشأن جميع نوادى السينما فى مصر ، يعانى هذا النادى من ضيق افق رقابة متخلفة لا تستطيع ان تعيش روح العصر .

فمثلا حاول المشرفون عليه ان يقيموا عرضا لجميع افلام « راينر فاسبندر » الذى مات وهو فى ريعان الشباب ، ومع ذلك ترك آثارا سينمائية بعيدة الانتشار فى المانيا ، ثم تجاوزتها الى غرب اوروبا فالولايات المتحدة حيث تلقوها لقاء عظيما .

ولكن هذه المحاولة ، وغيرها بالنسبة لمخرجين اخر ، قد باءت جميعها بالفشل ، وذلك لامعان

الرقابة فى التصدى للافلام ومنعهـا بغير حساب ٠

ومهما يكن من شيء ، فقد سـاهم نادى المعهد فى التعريف بالسـينما الالمانية فى عقد العشـرينيات ، وبالذات ما كان منها من ابداع رواد المدرسة التعبيرية ٠

وكذلك ساهم فى تسليط الاضـواء على السينما الالمانية اللاحقة لبيـان «اوبرهاوزن» (١٩٦٢) ، ذلك البيان الذى اعلن اصحابه ، وجميعا كانوا وقت تحريره سينمائيين شـبان يفيضون حماسا لسينما جديدة متحررة من اثقال القديم ، اعلنوا فى ثقة ان « السينما القديمة قد مـاتت ، ونحن نؤمن بسينما جديدة » ٠

● الفيلم الوليمة

ولعلى لست بعيـدا عن الصواب اذا ما قلت ان اهم فيلم عرضه نادى السينما بل قل المعهد ، كان لواحـد من اصحاب هذا البيان الذى له من العمر الان خمسة وعشرون عاما او يزيد ٠

ذلك الفيلم هو « الوطن » لصاحبه المخرج « ادجار ريتز » ٠

واول مشاهده يبدا ببطله الحـداد « بول سايمون » عائدا من الاسـر (١٩١٩) الى قريتـه « شاباخ » من أعمال الراين ٠

وآخر مشاهده ــ ينتهى ــ بعد ملحمة محورها الصـراع بين الحـالمين والواقعيين ــ من سكان هـذه القرية الصغيرة ، ينتهى بمن تبقى من ابطاله فى المانيا الان (١٩٨٢) ، المانيـا معجزة الرخاء والنجاح ٠

والوطن يحكى قصصا متشـابكة لثلاث عائلات المانية ، ويجرى عرضه على امتداد خمس عشرة سـاعة ، واربعين دقيقة وخمس عشرة ثانية ٠

ومن هنا عرضه فى المعهد مجـزءا على امتداد اربعة ايام ٠

وفى الحق فالوطن الذى يعتبـر اطول فيلم فى تاريخ السينما ، انمـا يعرض لقصة المانيا من خلال السـرد لتاريخ عائلات ثلاث عادية فى قـرية المانية منسية ٠

ومما يجعله متميزا عن جميـع افلام السينما الالمانية الجـديدة ان صاحبه لا يعانى من عقـدة الذنب ، لا يحتاج الى الشعور بوجود عقـدة الذنب هذه من احداث مر بها وطنـه قبل جيلين او اكثر ٠

فاخيرا ، هاهو ذا مخرج استطاع ان يبين فى فيلمه ، وبطريق القطع ان الماضى القريب شيء يمكن لصانعى الفيلم الالمـانى فى الثمانينيـات ان يعرضوا له بدون ان يكونوا محملين باوزار ذنوب الهتلرية مع اليهـود وغيرهم من البشر ٠

واكبر الظن ان الوطن ــ وهـو من اجمل واصدق الافـلام على مر الايام ــ قد اخذ يترك بتحرره هذا من عقدة الذنب آثارا بعيده فى السينما الالمانية ومن ثم فى الثقافة الالمانيـة، آثارا ليس الى محوها من سبيل ٠

والت ديزني
تعارف على الورق

بقلم: مصطفى الحسيني

يتوعد اريبل دورفمان وارماند ماتلارت مؤلفا كتاب ((كيف تقرأ دونالد دك)) ، يتوعدان والت ديزني او بالاحرى مؤسسته ، فقد مات الرجل في عام ١٩٧٦ ، بان يعيدا اليه بطته ـ التي هي دونالد نفسه ـ منزوعة الريش ومشوية .

انما قبل ان نرى كيف فعلا ذلك، نتحفظ فنقول ان مايعرضه هذا المقال ليس هو كل ما اتاه الرجلان تحقيقا لوعيدهما ، فهو اكثر من ان يحتويه مقال ونواصل التحفظ فنقول ان ما يحتويه هذا المقال هو منطوق تنفيذ الوعيد ذاته دون حيثياته .

ومع هذين التحفظين ، نقر بانهما يعبران عن نقص كبير، العذر منه هو مقام المقال والذي يعوض هذا العذر أن ندعو المهتمين منا بشئون ثقافة الطفل والمهتمين منا بهموم حماية عقل الناشئة ووجدانها ، الذي هو عقل المستقبل ووجدانه الى أن يقوم بعضهم بتحقيق هذا الكتاب ، والافضل أن تتحقق دراسة مشابهة له أو موازية عما قدمته مؤسسة ديزني للناشئة العرب سواء عن طريق السينما ، أو عن طريق القصص والمجلات .

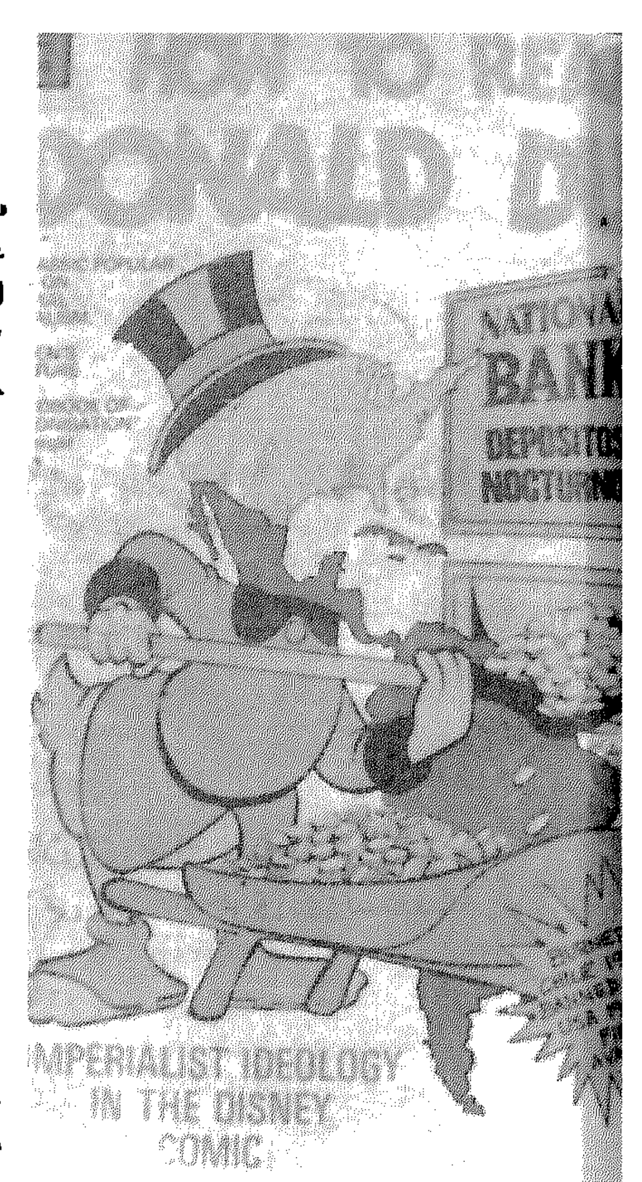
ونبادر فنقول أن الدعوة الى دراسة مشابهة أو موازية لا يجوز الاحتجاج عليها بشبهة المحاكاة والتقليد . اذ الحقيقة أنها لن تقل أصالة عن الكتاب الذي يتعرض له هذا المقال ويعرضه وتفسير ذلك أن المؤلفين اعتمدا في ما كتبا على ما قدمته مؤسسة « ديزني » للناشئة في شيلي ، محتسبين أنه يتطابق مع ما تقدمه المؤسسة لناشئة أميركا اللاتينية . ولان مؤسسة « ديزني » تعمل على أساس خطط مدروسة في التسويق ، فان لديها فيما تقدمه لمنطقة من العالم ، بضاعة متميزة ، هي في حسبانها تلائمه أو تلائم ما تتوخاه المؤسسة في تلك المنطقة

اول ما يلاحظه المؤلفان على عالم « والت ديزنى » الحافل بالشخوص هو غياب الوالدين فى هذا الحشد ، فهذا العالم لا يعرف الاب ولا الام ،وبالتالى لا يعرف لا الابوة ولا الامومة ، انهعالم من العمات والخالات والاعماموالاخوال وبناتهم وأبنائهم · « سكروج ماك دك» هم عم « دونالد دك » أو خاله « الجدة دك » هى عمة دونالد أو خالته ، لكنها ليست زوجة « سكروج » · أما«دونالد» فهو العم أو الخال لكل من « هيوى » و«ديوى» و ليرى » ، و « جلاد ستون جاندر » ابن عم أو خال بقرابة بعيدة الصلة . وله بدوره ابن أخ أو ابنأخت اسمه « شامروك » له هو الاخر ابنتا عمومة أو خؤولة ، تلي هؤلاء مجموعة من الاقارب البعيدين : شامروك دك آزا دك ، العم الاكبر « للجدة دك »،أما أبعد الاقارب فهو « دون دى باتو»الذى كانت له صلة بأسطول « الارمادا » « الاسبانى » ، وله أيضا أبناء عمومة وخؤولة : « جس جوز » عامل زراعى قديم الفائدة و « موبى دك » البحار ·

وللعائلة أيضا فرع شرقى يضم « شيخا » و « مازوما دك » أغنى أغنياء جنوب « أفد كستان » · ولا تفوتك التسمية الاسيوية فى هذه التسمية الاخيرة ·

وفى هذه العائلة أو هذه القبيلة يلاحظ المؤلفان غلبة الذكور عدديا ،أما الاناث فهن عوانس باستثناء واحدة هى « الجدة دك » التى ترملت دون أن يموت زوجها ، الذى يظهر فى قصص والت ديزنى مرة واحدة تحت عنوان « التاريخ يعيد نفسه » ·

وفى قصص والت ديزنى نجد أولئك الاناث العوانس غير معرضات للتأثر بالرجال أو غير مهيات له · أما علاقة



من أغراض · فما تقدمه فى بلاد «أزتك لاند » غير ما تقدمه فى بلاد « انكا « بلينكا » ، غير ما تقدمه الى بلاد أنستدى ستان » · حسب الاسماء التى يستخدمها ديزنى لمناطق العالم الثالث أو بعضها ، وقد لا يكون عن غنى عن القول أن « ازتك لاند » هى بلادحضارة الازتك ، ومركزها المكسيك ، وأن « انكا بلينكا » هى معظم أميركا الجنوبية · وان « انستدى ستان » قد تضم بلدان العالم الثالث جميعا ،والتى توصف بعدم الاستقرار ·

ونعود الى عملية نزع ريش البطة ونحاول أنتتشمم رائحتهاوهى تشوى ·



الرجال بهم فتميزها العنة ، فالرجال يركبون الصعاب حتى يأتوا بالهدايا تقربا للاناث ، انما فى علاقة أبدية الافلاطونية ، أما الاناث فيلتزمن حيال الذكور بسلوك قد تلخصه المجلة التى يستخدمها أهل الشام « شم ولا تذق » أى الاكتفاء من الطعام برائحته ٠

وفى هذا العالم أيضا نجد الكبار لا يشيخون ، وبالتالى لا يموتون ونجد الصغار لا يكبرون ٠

عالم لا ميلاد فيه ولا موت ٠

فى هذا العالم يعيش « انسان » محروم من التاريخ الشخصى فلا هو ولد ولا هو يموت ، ولا هو ينمو بين الميلاد والموت ٠

وفى هذا العالم أيضا ، لا حب ولا ولاء ٠ فان كان طبيعيا أن يحب الاب ولده والابن أباه ، وأن يتبادلا الرعاية والولاء (بحكم الطبيعة) ، فليست بالضرورة العلاقة بين العم والخال والصغير المنتسب اليه ٠ ومن هنا فانه فى هذا العالم ، كما يعكسه انتاج « ديزنى » تغيب السلطة الابوية لتحل محلها سلطة تعسفية ، هى سلطة القوى على الضعيف ٠

مثال لهذا علاقة « سكروج ماك دك» ومن هم فى ولايته أو تحت سلطانه من أبناء الاخ أو الاخت ٠ مثلا : يرسلهم فى مهمة يجوبون فيها صحراء «جوبى»، وتستغرقهم المهمة أشهرا ستة ،يعودون بعدها منهكين ، وبدلا من الشكر يتلقون التوبيخ لان المهمة استغرقت وقتا أكثر مما تستحق فى تقديره ، ولا يدع لهم فسحة للراحة ، انما يرسلهم على الفور فى مهمة أخرى للبحث عن عملة أثرية زنتها أطنان عدة ، وعندما يعودون بها يتبين له أنها مزورة لان العملة الاصلية فىحوزة غيرهوعليه أن يشتريها ان أراد ٠ ويفرح الصغار ظنا منهم أنهم سيرتاحون ، لكنه يبلغهم أن عليهم أن يعيدوا العملة المزيفة الى حيث كانت وأن يردوا اليه الملاليم التى دفعها أجرا لهم ، لانه لم يستفد شيئا من كدهم ، وبدلا من أن يعترضوا ، يلوم « دونالد دك » نفسه على لسانه الطويل ، لانه هو الذى تحدث عن الراحة ٠

كما نرى ، خط التقسيم بين القوى والضعيف ثابتا ، لا هو يتحرك ،ولا من يقفون على جانبيه يتبادلون المواقع أو يحاولون ٠

والخط الفاصل بين القوة والضعف يتكون من عوامل ثابتة لا ينال منها الزمن ، الاقوياء هم الاكبر سنا ، أو الاكثر ثراء ، أو الابرع جمالا ، ذلك كله أو بعضه ٠

أما من دون ذلك فهم المستضعفون ويعتبرون ضعفهم جزءا من الطبيعة ، لان الزمن عند والت ديزنى معدوم ، الا اذا كان زمانا جزئيا حسابيا لا الزمن كقوة فعل فى الكائنات ٠

عالم يقوم على غياب البيولوجيا ٠ لا ميلاد ٠ لا نمو٠ لا موت ٠ لا صعود٠ لا هبوط ٠ عالم من السكون ينتحل حركة دائبة وكاذبة ٠

٢

ثانى ما يلاحظه المؤلفان أن عالم « والت ديزنى » مكتظ بالحيوانات ٠ فأشخاص قبيلة « دك » ينتحلون شكل الحيوانات ، وان كان تدبيرهموأطماعهم أكثر « رقيا » وأشد « حنسة » فىالوقت ذاته من تدبير الحيوانات أو أطماعها ان كان لها شيء من هذا أو ذاك ٠

ويقول المؤلفان ان استخدام الحيوانات فى قصص الاطفال كوسيلة للتربية ، ليس فى حد ذاته شرا او خيرا · انما المهم هو : ماذا تفعل الحيوانات بعقل الطفل ووجدانه ·

والطفل ـ المستهلك لمنتجات « ديزنى » سرعان ما يألف شخصيات الحيوانات فى هذا الانتاج ، ثم سرعان ما يتآخى معها ، سرعان ما يتقمصها على نحو ما ·

فى الوقت نفسه فانه فى منتجات ديزنى نجد الاشخاص الاخرين ، الذين هم خارج قبيلة دك ومن فى حماها ـ مثل ميكى ماوس ـ يقدمون فى صورة البشر،وان كانوا بشرا بدائيين متخلفين، تتفوق عليهم القبيلة وحماها بالذكاء والمعرفة والجسارة والمغامرة ··وبياض البشرة ·

انما اين يلتقى الطفل بهؤلاء البشر فى منتجات « ديزنى » يلقاهم فى الريف ، فهم أبناؤه ·

انما لنترك هؤلاء الابناء مؤقتا حتى نعود اليهم ·

الريف عند ديزنى ليس اكثر من مهرب من حياة المدينة ، التى يصورها ديزنى قاسية فظة · لكن شخوصه لا يستطيعون فعليا أن يهجروا المدينة، اذ لا يقدرون على هجر الحضارة الصناعية التى لا غنى عنها حتى ولو كان الثمن هو الفظاظة ·

لذلك وجد الريف مكانا للنزهة والترويح والتجدد وقضاء العطلات ·

ولما كان عالم « والت ديزنى »كونيا، فان الريف كمسرح لمغامرات شخوصه يمتد الى أركان الارض كافة ·

وهناك نرى كيف تتعامل قبيلة ديزنى مع سكان الريف · واشخاص القبيلة أو أبطالها مغامرون شرهون ·

اما سكان الريف فهم :

● بدائيون، وهم فصيلتان:البرابرة (مثلا : شخصية « ستون ايج » اى « العصر الحجرى » الذى تسكن « فصيلته » أفريقيا وأطراف البرازيل واكوادور والولايات المتحدة · اما « الفصيلة » الاخرى فاكثر تطورا لكنهم يتدهورون ، وفى طريقهم الى الانقراض ، وعادة يكونون أبناء حضارة غابرة لها آثارها القديمة وأطعمتها المحلية ·

● « الفصيلة » الاولى ، لا تعيش فى تجمعات· تسكن اكواخا متفرقة على أفضل الاحوال ، بينما الثانية تعيش فى حواضر خربة ، مكتظة بالعناصر الفولكلورية ·

وتتواصى شخصيات ديزنى بحمل اكبر قدر من الاقلام عندما تزور هؤلاء·

● ينتمى سكان هذا الريف الى العناصر العرقية كلها : سود وصفر ونحاسيون وسمر · عدا البيض ·

وتتواصى الشخصيات بالاهتمام بحمل اقلام ملونة ·

● وسكان الريف هؤلاء عمالقة خشنون ، مادة خام من العضلات · (ويجب أيضا الاهتمام بتزويد آلات التصوير بالعدسات المقربة وذات الزاوية المنفرجة حتى تقدر على استيعاب صورهم ·

● اما ازياؤهم فجلود الحيوانات والاسد بالذات ·

● العادات الجنسية · كلهم ذكور· ولا يقول لنا « والت ديزنى » كيف يتكاثرون ·

● وهم مثل الاطفال : ودودون خليو البال سذج · يثقون فى الاخرين· سعداء ، من السهل ارضاؤهم وخداعهم·

● وتتواصى قبيلة ديزنى بأن تحمل الى هناك بعض السلع التافهة التى يستطيعون مبادلتها بأكداس من

والت ديزني

المجوهرات المحلية .

● والناس هناك لديهم شهية مفتوحة للتلقى . يقبلون أى منحة،حتى لو كانت كنوزهم التى أخذت منهم ما دامت تقدم اليهم فى صورة هبة .

● وهم كرماء ، مستعدون لاعطاء كل شيء . لذلك فهم منبع لا ينضب لثروات لا يستطيعون استخدامها .

● وهم مرحون ، يرفهون عن انفسهم بالغناء والرقص ، وأحيانا بالثورات . ويستخدمون أى أداة ميكانيكية يحملها اليهم أهل « دكبرج » أى « بلاد دك » كلعبة ، سواء كانت هذه الاداة جهاز تليفون أو ساعة أو مدفع .

● ومع ذلك فهم يتحدثون لغة « دكبرج » بطلاقة .

● أما حياتهم الاقتصادية فتقوم على الاعاشة . الرعى والقنص . وقطف الثمار التى لا يتعبون فى زراعتها فهى تنبت من تلقاء نفسها . وأحيانا يصنعون أشياء ليبيعوها للسائحين .

● أما النظام السياسى فى هذا الريف ، فهو يقوم على المساواة التامة وانعدام النظم لدى « فصيلة» البرابرة. أما لدى « فصيلة » أبناء الحضارات الغابرة ، فلديهم ملوك يتمتعون بسلطان مطلق ، انما يطاردهم الخوف من الاطاحة بهم .

● والدين لا وجود له فى هذا المجتمع السعيد ، فهو يعيش فى فردوس مفقود .

● واخيرا ، ليست لديهم عادات جنائزية لانهم لا يموتون .

— ٣ —

أين يجد أبطال « والت ديزني » هؤلاء الناس ؟

في الريف ؟!

أى الريف ؟

سوف نرى فى ما يلى من القصص.

● القصة الاولى

يقع « دونالد دك » و « موبى دك » أسيرين بأيدى الاريديين، سكان اريديا، أى بلاد الجفاف .

يفكر « دونالد » فى حيلة للخروج من الاسر . فيبدأ فى اطلاق فقاعات ملونة من الصابون من أداة معه .

ويبتهج أهل أريديا ، فهم لم يروا مثل هذا من قبل .

ويقول لهم شيخ قبيلة اريديا « على ابن غوبى » أن أبناء شعبى كالاطفال، لا يستطيعون أن يتخيلوا كيف حدث ذلك .

ويقول له « موبى » : انه سر ينتقل من جيل الى جيل . وساكشفه لك اذا منحتنا حريتنا .

ويجيب الشيخ على ، الحرية ؟؟ انها ليست كل ما ساعطيكم اذا كشفتم السر . لدينا جواهر . لكن لا قيمة لها عندنا . انها لا تضحكنا مثلما تضحكنا الفقاعات السحرية .

ويعطيه موبى الاداة السحرية وزجاجة مليئة بسائل الصابون ، ويقول له : ما عليك الا أن تضع قليلا من السائل فى هذه الاداة ، وكلما احتجت سنمدك بالمزيد .

● القصة الثانية

« دونالد دك » فى حوار مع طبيب ساحر فى افريقيا .

دونالد : هل عندكم تليفونات ؟

الطبيب الساحر : من الاشكال والالوان كلها . لكن المشكلة أن واحدا منها فقط له أسلاك . انه خط ساخن الى بنك الاقراض الدولى .

● القصة الثالثة

رجل الثلج ، جو ، يعيش فى كهف

قذر فى قطاع الهملايا من جبال مندكوش ، بين أناس ذوى سحنة صفراء . لكن لديه تاج جنكيزخان المرصع بالجواهر ، والذى سرقه من « سكروج ماك دك » الذى حصل عليه بفضل عمليات سرية قام بها عملاؤه .

ويقبل رجل الثلج ، جو استبدال ساعة ثمنها دولار واحد بالتاج ليستخدمها كلعبة بينما التاج لا يفيده فى شىء

● القصة الرابعة

تعرضت أعمال « سكروج ماك دك » فى كونغوليا لكساد شديد بسبب استبداد ملك تلك البلاد .

فقد أمر الملك رعاياه بألا يشتروا هدايا فى عيد الميلاد (من بضاعة سكروج) وأن يعطوه النقود التى كانوا سيشترون بها الهدايا، لانه يريد السفر الى الخارج ليستمتع بالاطعمة التى يشتهيها . فهو فى بلده لا يجد مايأكله الا رءوس السمك (لا تقول القصة أين تذهب أجسام السمك) .

يوفد سكروج ، دونالد دك لمعالجة المشكلة فيستعين هذا بساحر يجعل منه ملكا على البلاد .

ويكون أول أوامره للمواطنين أن يشتروا هدايا عيد الميلاد لعائلاتهم وألا يعطوا الملك مليما واحدا .

وما أن تباع بضاعة « سكروج الراكدة ، حتى يعيد دونالد العرش الى الملك الاصلى ، ويلقى فى الرعاياخطابا يقول فيه أن الحكم الان فى أيد أمينة ويلقى الملك خطابا يعد فيه أبناء بلده بأن يحسن فيهم الحكم .

وهذا يسعد الجميع : سكروج ودونالد والملك وشعب كونغوليا .

هؤلاء هم سكان « ريف والت ديزنى ؟

فى قصة الاريديين (العرب) نجد الحضارة والعلم شيئا غير قابل للفهم ، ولابد أن يتحكم فيها وفيه الاجانب . ونجد الشعب وملكه سعداء انما بلهاء ، يقدمون ثروات بلادهم للاجانب راضين لكى يضحكوا .

وفى قصة « دونالد » و « الطبيب الساحر » هؤلاء الافريقيين لا يعنهم شىء فى « ثورة الاتصالات » الا أن يتصلوا بالبنك الدولى ليقترضوا منه .

أما فى قصة تاج جنكيزخان ، فرجل الثلج ، جو ، يبيع تاريخه (تاج الملك) مقابل لعبة يتلهى بها فالساعة عنده ليست حتى مقياسا ضابطا للزمن ، كما ان هذه اللعبة هى منتهى علاقته بالصناعة والتكنولوجيا والعصر .

وفى قصة « كونغوليا » يتعلم الملك ان عليه كى يحافظ على عرشه ان يتحالف مع الاجانب ويضع نفسه واقتصاد بلده فى خدمتهم .

البراءة الشائعة عن والت ديزنى ، اذن ليست بريئة . وهذا « الوجه المضىء للحضارة الاميركية » لا شىء منه يشع سوى الطمع والازدراء .

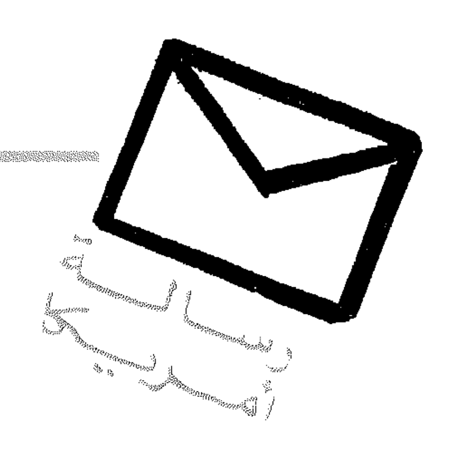
انما المهم ، أن هذه « المنتجات المتفرقة ، نجدها تتشكل فى بناء متكامل . من الطفل الذى لم تأت به صلة حب ورحمة بين أم وأب ، الى تقمصه لحيوان ماكر وخبيث وطماع ، الى استغلاله الشره لعالم من البدائيين النبلاء استغلالا مفعما بالاحتقار .

من هذا كله نجد نظرة متكاملة الى العالم .

وهى نظرة فظة .

والاخطر من فظاظتها ، انها ، عندما تشارك فى تكوين (أو تخريب) عقول ناشئة عالمنا ووجداناهم . فانها تشبعهم باحتقار انفسهم ، دون ان يدروا او يدرى منا احد .

بقلم : د. مصطفى كامل السيد



ندوة حول مصر في العاصمة الأمريكية

مركز الدراسات العربية بجامعة جورج تاون بالعاصمة الامريكية واشنطن وهو مركز فريد بين المراكز الاكاديمية التى تتخصص فى دراسات احوال المنطقة العربية . ويتضح هذا الطابع الفريد للمركز من مجرد اسمه ، ومن نوعية القائمين على ادارته .. ومن جهات تمويله .. وبطبيعة الحال ينعكس كل ذلك على مايقوم به من انشطة .

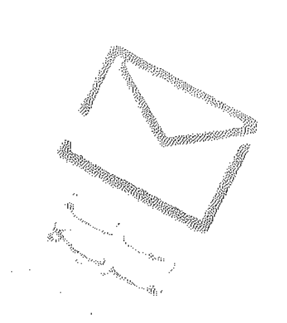
فوصف المركز بانه يختص بالدراسات العربية يعنى ان دراسة اسرائيل لا تدخل ضمن دوائر اهتماماته ، على عكس الحال فى المراكز المشابهة بالجامعات الامريكية الاخرى ، والتى تسمى فى الغالب بمراكز دراسات الشرق الاوسط والتى يؤدى ادخال الدراسات الاسرائيلية بها الى وجود الاساتذة اليهود او الاسرائيليين ، والى اشتمال برامجها الدراسية على مقررات فى اللغة العبرية ، بل وان يكون القائمون على دراسة اوضاع البلاد العربية هم من اليهود الامريكيين او الاسرائيليين او غيرهم من اليهود . ومن ناحية اخرى ، فان القائمين على ادارة هذا المعهد او المشتغلين بالتدريس به هم اما من ذوى المواقف المنصفة تجاه الصراع العربى الاسرائيلى ، او من العرب ، ويدير المركز فى الوقت الحاضر كل من الاستاذ مايكل هدسون صاحب عدد من الدراسات المتميزة عن الوطن العربى ، والتى افاد منها كل من طلبة واساتذة الدراسات العربية فى الوطن العربى ذاته ، والاستاذ ابراهيم عويس،وهو اقتصادى مصرى شغل فى وقت من الاوقات وظيفة الوكيل الاول لوزارة الاقتصاد فى مصر . ويذكر كاتب هذه السطور كيف امتلك الحزن نفس مايكل هدسون

عندما رأى العلم الاسرائيلى يرفرف فى سماء القاهرة فى واجهة سفارتها ، وذلك عندما كان يرافق هذا الاستاذ الامريكى فى زيارة له الى جامعة القاهرة ، وفضلا عن ذلك ، فهناك عدد من الاساتذة العرب الذين يقومون بالتدريس فى هذا المركز ومنهم هشام شرابى وحنا بطاطو وابراهيم ابراهيم وتساهم عدة حكومات عربية خصوصا من بين حكومات الخليج فى تمويل انشطة هذا المركز ، والذى تشتد حاجته للعون لان الجامعة التى يتبعها ، وهى جامعة جورج تاون جامعة خاصة تعتمد بصفة اساسية على الموارد المالية التى تستطيع ادارتها تعبئتها ، كما هو الحال فى العديد من الجامعات الامريكية ، وعلى عكس بعض جامعات الولايات ، التى يمكن ان تتلقى قدرا هاما من مساعدة حكومات الولايات التى توجد بها .

وقد دأب المركز منذ اكثر من ثلاثة عشر عاما على تنظيم مؤتمر سنوى للدراسات العربية يخصص موضوعه كل سنة لاحدى البلدان العربية او لاحدى الظواهر الماسة فى الوطن العربى . وقد نمت شهرة هذا المؤتمر على مدى الاعوام لاسباب عديدة ، منها ان الجامعة التى يتبعها هذا المركز توجد فى العاصمة الامريكية ذاتها ، وعلى مقربة من اجهزة صنع القرار الرئيسية فى الولايات المتحدة ، ومن كل السفارات الاجنبية المعتمدة فى واشنطن ، ومن المنظمات الدولية التى توجد مقارها فى العاصمة الامريكية وخصوصا كل من صندوق النقد الدولى والبنك الدولى للانشاء والتعمير . ويتابع كل هؤلاء ما يجرى فى هذا المؤتمر . وبالاضافة الى ذلك فان جامعة جورج تاون ذاتها تضم عددا من الاساتذة الامريكيين القريبين من دوائر صنع القرار فى الولايات المتحدة ، بل والذين تولى بعضهم مناصب بارزة فى ادارات امريكية متعاقبة ، ومن بين هؤلاء مثلا السيدة جين كير كباتريك التى كانت مندوب الولايات المتحدة الدائم فى الامم المتحدة فى ظل ادارة الرئيس ريجان ، والتى رشحتها بعض التقارير الصحفية لان تكون احد نجوم سباق الرئاسة الامريكية فى مناسبات قادمة . كما ذاعت شهرة هذا المؤتمر بسبب نوعية المشاركين فيه ، والذين يشملون فى العادة نخبة المتخصصين فى الدراسات العربية فى الجامعات الامريكية والعربية ، فضلا عن خبراء الحكومة الامريكية ودبلوماسييها السابقين المهتمين باحوال الوطن العربى .

● مصر فى سنة ١٩٨٨

وقد اكتسب مؤتمر هذا العام اهمية خاصة بسبب موضوعه ونوعية المشاركين فيه ، وكذلك الاهتمام الواسع به فى الاوساط الجامعية الامريكية والاوربية . اذ كان موضوعه هو مصر فى عام ١٩٨٨ ، قرارات حرجة . ويكشف عنوان المؤتمر عن ذلك الاحساس الخاص بما يمكن ان يجرى فى مصر هذا العام . فيبدو ان الحكومة المصرية مواجهة بعدد من القرارات الحرجة فى عدد من المجالات الخارجية والداخلية على السواء . وترجع الطبيعة الحرجة لهذه القرارات المحتملة الى دقة الموقف الاقتصادى والسياسى فى البلاد . فمن الناحية الاقتصادية يتعين على الحكومة المصرية ان



تتفاوض خلال الاسابيع القليلة القادمة حول اعادة جدولة قدر هام من ديونها الخارجية يصل الى حوالى سبعة بلايين دولارات تحين اجال سدادها فى منتصف هذا العام • وتشترط اغلب الدول الدائنة لمصر ان تقوم الحكومة المصرية بتنفيذ برنامج اقتصادى يوافق عليه صندوق النقد الدولى ، وتطلق على هذا البرنامج وصف الاصلاح الاقتصادى • ويتضمن هذا البرنامج كما هو معروف عددا من الاجراءات بالنسبة لادارة القطاع العام وعجز الميزانية وسعر العملة المصرية ومعدلات الفائدة على المدخرات واسعار عدد من السلع الاساسية والخدمات • ويؤدى تنفيذ هذا البرنامج الى زيادة اعباء المعيشة التى يئن تحت ثقلها معظم المصريين فى الوقت الحاضر قبل ان تنتهى الحكومة المصرية من التنفيذ **الكامل لهذا البرنامج،ويشعر القائمون على ادارة صندوق النقد ومن خلفهم الحكومات الدائنة لمصر ان معدل تنفيذ هذا البرنامج والذى تقبله الحكومة المصرية من حيث المبدا ، بطىء للغاية ومتردد • كما ترجع** الطبيعة الحرجة للقرارات التى يحتمل ان تواجهها الحكومة المصرية هذا العام الى النقص الحادث فى معدل مياه النيل وخصوصا فى فترة الصيف مع ضآلة المنتظر من مياه الفيضان بسبب انباء متواترة عن انخفاض معدل هبوط الامطار على هضبة الحبشة هذا العام استمرار لمعدلها المنخفض طوال السنوات القليلة الماضية ، بما يترتب على ذلك من نقص كبير فى كميات المياه المتاحة للزراعة ولتوليد الكهرباء ومن ناحية ثالثة ترجع دقة موقف الحكومة المصرية الى نمو التأييد لاحزاب وقوى المعارضة وخصوصا التيار الاسلامى فى صفوف المتعلمين فى مصر ، فى النقابات المهنية ، وبين طلاب واساتذة الجامعات ، فضلا المكاسب الهامة التى حققها هذا التيار فى الانتخابات النيابية التى جرت فى ربيع العام الماضى •

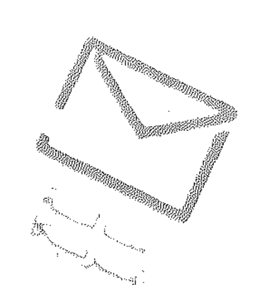
سؤال مهم

كيف تستجيب الحكومة المصرية لهذه المواقف الدقيقة على الصعيدين الخارجي والداخلى ؟ هذا هو السؤال الذى حاول المشتركون فى هذا المؤتمر تقديم اجتهاداتهم بالنسبة له على مدى اليومين اللذين استغرقهما المؤتمر فى ١٤ و ١٥ ابريل الماضيين • وقد اشتملت دائرة من حاولوا الاجابة على هذا السؤال عددا من اساتذة الجامعات الامريكية المشهورين بدراساتهم رفيعة المستوى لمصر ومن بينهم كل من جون واتربرى مؤلف عديد من الكتب عن الاقتصاد السياسى لمصر اثناء فترتى الرئيسيين عبد الناصر والسادات ، ومن الجوانب السياسية لادارة مياه نهر النيل ، وريمون هينبوش مؤلف دراسة قيمة عن مصر فى عهد السادات وروبرت بيانكى المهتم بجماعات المصالح فى بلاد الشرق الاوسط • واشترك معهم عدد من خيرة الاساتذة المصريين الذين يقومون بالتدريس فى الجامعات الامريكية ومنهم الاستاذ شارل عيسوى صاحب الكتابات المرموقة

عن التاريخ الاقتصادى للشرق الاوسط والاستاذة عفاف لطفى السيد ذات الكتابات البارزة عن الحقبة الليبرالية فى مصر وعن التطور السياسى لهـا • وكان من بين من قدموا ابحاثا الى هذا المؤتمر كذلك عدد من الاساتذة الامريكيين الذين اتيح لهم التدريس بالجامعة الامريكية بالقاهرة ومن الاساتذة المصريين فى كل من جامعات مصر والولايات المتحدة الامريكية • على ان مقدمى الابحاث للمؤتمر لم يقتصروا على هؤلاء الاكاديميين • فقد ضموا أيضا مسئولين مصريين يحتلون مواقع عالية فى الحكومة المصرية او فى الهيئات الدولية ، وكذلك مسئولين امريكيين حاليين او سابقين ومن بين الفريق الاول كل من الدكتور اسامة الباز مستشار الرئيس ومدير مكتبه للشئون السياسية والسيد فؤاد سلطان وزير السياحة والدكتور سعيد النجار الذى شغل مناصب دولية متعددة فى منظمة مؤتمر الامم المتحدة للتجارة والتنمية وفى كل من صندوق النقد والبنك الدولى ، بالاضافة الى الدكتور اشرف غربال سفير مصر السابق فى الولايات المتحدة ، ومن بين اعضاء الفريق الاخر السيد هيرمان ايليتس سفير الولايات المتحدة الاسبق فى القاهرة ومايكل ستيرنر الذى تولى مناصب دبلوماسية عديدة فى مصر وفى البلاد العربية الاخرى ، واخيرا ، فقد كان من حسن حظ المشتركين فى هذا المؤتمر ان استمعوا الى حديث المخرج المصرى يوسف شاهين ، وقد استمع الى كل هؤلاء حشد كبير كان يتجاوز الثلاثمائة فى اغلب الجلسات جاء من جامعات امريكية عديدة ، بل ومن بعض الجامعات الاوربية خصوصا من فرنسا وايطاليا ومن ادارات مختلفة للحكومة الامريكية ، ومن المنظمات المالية الدولية الموجودة فى واشنطن ومن الشركات الدولية العاملة فى الشرق الاوسط ، وكذلك من بين السفارات المعتمدة لدى الحكومة الامريكية وخصوصا السفارات العربية •

نقاط الائتلاف والاختلاف

وقد دارت جلسات المؤتمر العشر فى جو ودى للغاية يسود فى العادة مثل هذه اللقاءات فى الجامعات الغربية • وتنوعت الموضوعات التى جرى بحثها فى هذه الجلسات العشر ، من جوانب اقتصادية تشمل تطور الاقتصاد المصرى ومشاكل تشجيع الملكية الخاصة ، وجوانب اجتماعية وثقافية مثل حركات السكان والعمالة،وقضايا سياسية مثل تيارات الاحتجاج الدينى والسياسى ، وآفاق التطور الديمقراطى وادوار القوى السياسية المختلفة بما فيها مؤسسة الرئاسة وجماعات المصالح ورجال القضاء ، وعلاقات مصر الخارجية ، وما تثيره من قضايا سواء فى المحيط الاقليمى مع الدول العربية واسرائيل ، او المحيط الدولى وخصوصا تجاه الولايات المتحدة الامريكية • ولا يتسع المجال هنا لعرض خلاصة ما جرى فى كل هذه الجلسات • ولكن ربما يكون من المفيد تناول نقاط الاتفاق والخلاف بين المشتركين • فقد كانت السمة البارزة فى هذا المؤتمر انه الى جانب وجود بعض نقاط الاتفاق العام بين المشتركين فيه ، الا انه كانت هناك نقاط خلاف عديدة ، ولم ينقسم المؤتمر بالنسبة لهذه النقاط بين مصريين وامريكيين ، وانما كان الجديد حقا ان ابحاث المشاركين المصريين عبرت عن رؤى متباينة



بالنسبة للعديد من القضايا • ومع أن المشتركين الامريكيين لم يعبروا كذلك عن وجهة نظر واحدة الا ان ذلك امر مألوف فى كل المجتمعات الليبرالية •

فمن بين نقاط الاتفاق العامة فى المؤتمر قناعة كل المشتركين بدقة الاختيارات المطروحة امام الحكومة المصرية فى الوقت الحاضر •

وترجع دقة بعض هذه الاختيارات الى تصاعد عبء مديونية مصر الدولية ، والتى قدرها السيد ديلوين ردى رئيس مؤسسة ابحاث شركة هيتاشى اليابانية ، ومدير مجموعة استشارات خاصة بالشرق الاوسط بحوالى اربعين بليون دولار تغطى كلا من الديون المدنية والعسكرية • كذلك اوضح الاقتصاديون الذين اشتركوا فى هذا المؤتمر انهم لا يختلفون فيما بينهم على تشخيص ابعاد المشكلة الاقتصادية فى مصر • وانما يختلفون فى مسلك الحل ، لان طريق حل هذه المشكلة هو اختيار سياسى بالاساس • ومن ثم فان عبء السعى الى حل مشاكل مصر الاقتصادية هو امر يرجع فى الاساس الى صانعى السياسة العامة فى مصر فى كافة المجالات الداخلية والخارجية ، ويقتصر دور الاقتصاديين على توضيح النتائج المترتبة على اى خيار سياسى ينتهى اليه هؤلاء المسئولون • واتفق المشتركون كذلك على انه فى مقدور الحكومة المصرية ان تضع برنامجا للانقاذ الاقتصادى وان تشرف على تنفيذه بكفاءة • فلا ينقص مصر الخبرة او المقدرة على مواجهة التحديات واخيرا اتفق المشتركون عموما على ان اهمية مصر الاستراتيجية سوف تحول دون ان تتركها الدول المغربية فى مقدمتها الولايات المتحدة تواجه عبء مشاكلها الاقتصادية وحدها • فكل هذه الدول حريصة على الاستقرار السياسى فى مصر • ومن ثم فقد لا تواجه الحكومة المصرية حائط المديونية منفردة • سوف يكون هناك من يلحقها قبل بلوغها هذه النقطة ومع ذلك فليس من المعروف مدى ثقل الثمن الذى قد تدفعه مصر لقاء هذه « المساعدة » •

ولكن الى جانب ذلك كانت هناك نقاط اختلاف عديدة بين المصريين انفسهم من ناحية ، وبين الامريكيين انفسهم من ناحية اخرى ، وبين وجهات نظر مشتركة قسمت الامريكيين والمصريين على حد السواء فى حالات ثالثة •

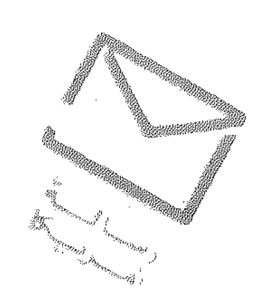
ظهرت الرؤى المختلفة بين المصريين فى قضايا ادارة القطاع العام وتقييم دور حركات الاحتجاج الدينى والسياسى • وفى الحديث عن حريات التعبير فى مصر • وظهرت الخلافات بين المصريين والامريكيين فى الحديث عن شروط المعونة الامريكية لمصر • كما ظهرت كذلك فى تقييم كيفية ادارة العلاقات المصرية الامريكية •

فقد عبر المصريون عن وجهات نظر متباينة بالنسبة لادارة القطاع

العام . فدعا الدكتور سعيد النجار الى قصر القطاع العام على الحد الادنى من الانشطة التى قد تتميز بوجود احتكار طبيعى او اقتصادى مثل خدمات السكك الحديدية ومرافق المياه والكهرباء ، او فى بعض الصناعات الحربية او ذات الاهمية الاستراتيجية بالنسبة للاقتصاد والتى لا ترتفع فيها معدلات الربح . ومع أن السيد فؤاد سلطان وزير السياحة ذكر انه يعبر عن وجهة نظره الشخصية الا انه مال الى تشجيع دخول رأس المال الخاص الى تلك الانشطة التى تكاد تقتصر على القطاع العام فى الوقت الحاضر بهدف الاستفادة القصوى من كل المتاح من موارد استثمار وطنية ، دون الجنوح الى تصفية القطاع العام . أما الدكتورة هبة حندوسة فقد ذكرت جوانب النجاح فى تجربة القطاع العام الصناعى فى مصر . وشددت على وجود قيود عديدة تحول دون ادارته على اساس يتميز بالترشيد وبينت قلة عدد الشركات الخاسرة داخل هذا القطاع .

وظهرت رؤى مختلفة بين المشتركين المصريين كذلك عند الحديث عن حركات الاحتجاج الدينى . فبينما مال المصريون المقيمون فى الولايات المتحدة الى التأكيد على خطورة هذه الحركات سواء بالنسبة للحريات العامة للمواطنين او الاستقرار السياسى ، اكد كاتب هذه السطور على ارتباط السياسة بالدين فى مصر منذ نشاة الدولة فيها حيث كان الدين اساسا لشرعيةالحكموعنصرا هاما فى الثقافة السياسية للمواطنين ، كما اوضح ارتباط نمو التيار الاسلامى فى مصر المعاصرة باخفاق التيارات المسماة بالعلمانية ، وبين وجود تمايزات عديدة داخل ما يسمى بالاسلام السياسى فى مصر ، بين فريق غالب يحاول الاصلاح السياسى من خلال المؤسسات القائمة ولا يكفر المجتمع او الحكام ، وفرق صغيرة تكفر المجتمع او الحكام وقد تجنح الى استخدام القوة المسلحة . وخلص الى ان التيار الإسلامى سيظل فاعلا نشطا فى السياسة المصرية ، ولكن حجم هذا التيار واسلوب مشاركته سوف يتوقفان كثيرا على التطور الديمقراطى للبلاد وعلى توفير ظروف حياة كريمة لاغلبية المواطنين وخصوصا ابناء الطبقة المتوسطة المتعلمين واخيرا فقد انقسم المصريون ايضا من حيث جدوى الحديث عن مشاكل حرية التعبير فى البلاد فى هذا المؤتمر الذى ينعقد فى العاصمة الامريكية . ولكن حديث المخرج يوسف شاهين كان مؤثرا وهو يستعرض كفاح الفنانين المصريين حتى يؤخذ رأيهم فى صياغة القانون الذى ينظم احوال نقاباتهم ، وكيف انه على الرغم من عدم وجود خصومة بينهم وبين الرئيس او نظام الحكم الا ان المسئولين عن سلطة التشريع يابون عليهم ان يكون لهم هذا الحق الاساسى .

اما فيما يتعلق بنقاط الخلاف بين المصريين والامريكيين فقد دار أهمها حول شروط المعونة الامريكية لمصر . لقد قدمت الدكتورة هبة حندوسة عرضا واقيا ومقتدرا حول هذا الموضوع ، اكدت فيه على تبادلية المنافع الاقتصادية والسياسية فى علاقة المعونة ، وان الولايات المتحدة قد استفادت من مصر سياسيا واقتصاديا قبل تقديم المعونة واثناءها ولكنها بينت كذلك اثر المعونة فى



عرقلة تنمية القطاعات السلعيــــة فى الاقتصاد المصرى •

فان تركيز برامج المعونة على تنمية قطاعات الخدمات وخصوصا مــرافق النقل والمواصلات والطاقة والمجــارى ... الخ ، واشتراطها ان تقدم اغلب اموال المعونة لمشروعات تقوم الحكومة المصرية بتنفيذها دفع الحـــــكومة المصرية الى الاخذ بنمط من الاستثمار يعطى الاولوية بالفعل الى تنميـــة قطاعات الخدمات ، وقلل من توافـر الاستثمارات لتنمية القطاعات السلعية من زراعة او صناعة • وفضلا عـلى ان ذلك تدخل فى صميم سيادة مصر على اقتصادها ، الا انه ادى كـــذلك الى قصور نمو القطاعات الســـلعية عن اشباع الحاجات المتولدة داخــل الاقتصاد المصرى مما يعتبر ســببا اساسيا لارتفاع الميل الى الاســتيراد والى تفاقم ازمة المديونية خصوصــا عندما نضبت موارد تمـويل الواردات من تحويلات المصريين العــاملين فى الخارج ومن عوائد النفط • ولم يملك المشاركون الامريكيون من رد على هذه الانتقادات الا بالتاكيد على اهميــة قطاعات الخدمات فى الاقتصـــاد المصرى •

كما ظهرت الخلافات بين المشتركين الامريكيين فى توصيفهم لطريقـــة ادارة العلاقات المصرية الامريكيــة • وكان ابرز من عبروا عن ذلك هـــو السيد هرمان ايليتيس الســـفير الامريكى الاسبق فى القاهرة والمعروف بصراحته الطلقة •فقد ذكــــر ان التعامل مع الحكومة الامريكية يعتبـر مشكلة بالنسبة لمصر كما هو مشكلة بالنسبة لدول اخرى كثيرة • وترجـع هذه المشكلة الى تعدد الاجهزة المؤثرة على السياسة الخارجية الامريكيــة . فضــــلا عن البيت الابيض ووزارة الخارجية ، هناك كذلك اعضـــــاء الكونجرس بمجلسـيه والذين ارتفعت مشاركتهم فى الرقابة على السـياسة الخارجية الامريكية فى العقد الاخير• ويتعين على المسئولين المصـريين فى القاهرة وواشنطن الاستماع اليهــم والاهتمام بارائـــهم رغم كثـرتهم • وقد اوضح من ناحية اخرى ضـرورة التزام كل من الحكومتين الامريكيــة والمصرية بالواقعية فيما يتعلق بمــا يمكن ان تنتظره كل منهما من الاخرى• ينبغى ان تدرك الادارة الامريكية عمق علاقات التضامن بين الشعب المصرى والشعوب العربية الاخـــرى ، وان تعاطف الشعب المصرى مــع مطالب الشعب الفلسطينى هو امر دائم ، وان المعاهدة المصرية الاســـرائيلية لن تقلل منه ولن تصنع حدا له ، كمـــا ينبغى على الحكومة الامريكيـــة كذلك ان تقدر حرص مصر على ان يكــون لها دور بارز فى اطار حركة عـــدم الانحياز • واضاف انه من ناحـــية اخرى يجب على الحكومة المصرية ان تقدر عمق الالتزام الامريكى تجـــاه اسرائيل •

وبعد ، فتلك مجرد لمحات مما جرى فى ذلك المؤتمر الهام ، والذى تعــلم كاتب هذه السطور شخصيا من المشاركة فيه • ويحمد لمجلة الهـــلال ان تعلم قراءها ببعض جوانب مادار فيه •

الصيف

وأثره على أجهزة الجسم

بقلم : د. محمد توفيق خليفة

فى فصل الصيف تكثر بعض الامراض وتتأثر بعض اجهزة الجسم . . ويعانى الكثير مما اكثر مما لها وخصوصا عندما ترتفع درجة الحرارة اكثر مما تعود الانسان

وتكثر بعض الامراض التى تصيب الجهاز الهضمى فى الصيف واهمها النزلات المعوية فى الكبار والصغار ومرض الحمى المعوية التيفود والبارا تيفود) والالتهاب الكبدى الوبائى وتنتشر هذه الامراض لان ارتفاع الحرارة يناسب نمو وتكاثر الميكروبات بسرعة خصوصا اذا كان تناولها خارج المنزل ولا يراعى الشروط الصحية فى مجال المأكولات والمشروبات العامة وكذلك خلال الجو الحار تقل افرازات الجهاز الهضمى وتتخمر الاغذية بسرعة .

ويكثر الجميع من تناول المثلجات والمياه الغازية والعصائر لتلطيف حرارة الجسم والمحافظة على كمية الماء والاملاح لقيام اجهزة الجسم بعملها وفى بعض الحالات يكون هذا خطرا على الصحة لانهما قد تسبب التهابات بالجهاز الهضمى نتيجة حدوث تقلصات فى الاوعية الدموية مما يقلل مقاومتها للميكروبات .

- ويجب الاكثار من تناول الخضر والفواكه الطازجة لاحتوائهما على السكريات والاملاح المعدنية والفيتامينات والسوائل والاقلال من تناول المواد الدهنية والنشوية .

ومن المعلومات الطبية الهامة أن شرب السوائل الساخنة فى الجو الحار يساعد الجسم على تحمل الحرارة اكثر من تناول المثلجات والسوائل الباردة .

اما تأثير الحرارة على جسم الانسان والعوامل التى تتحكم فى حرارة الجسم فيتلخص فى الآتى :

- طعام الانسان هو المسئول عن توليد الطاقة الحرارية اللازمة للجسم

- الجو الخارجى المحيط بالجسم ونسبة الرطوبة بالجو تتناسب طرديا مع الاحساس بالحرارة .

- يتخلص الجسم من الحرارة الزائدة به بالجلوس فى الاماكن الظليلة أو فى حجرة بها مروحة أو جهاز تكييف كذلك بخر العرق من الجسم

.. وينصح فى الصيف تجنب الاطعمة الدهنية وخصوصا فى صورة منتجات



البان مثلجة وخصوصا لدى البدناء
- يزداد تقلص العضلات فى فصل الصيف وخصوصا بين العمال فى ايام الحر الشديد وفى هذه الحالات تزاد نسبة ملح الطعام قليلا لتعويض ما يفقده الجسم من سوائل وأملاح
- تكثر حالات ضربة الشمس خصوصا فى جنوب مصر نتيجة ارتفاع الحرارة والرطوبة مع المجهود الزائد لذلك يجب ان يكون المجهود متوازنا مع طاقة الجسم ٠
- اما كبار السن المصابون بتصلب الشرايين فيحدث بطء للدورة الدموية كما قد يؤدى الى حدوث جلطات لذلك يجب ان تراعى السن وتخفيض المجهود العضلى فى الايام شديدة الحرارة ٠

● جلدك والصيف

- تكثر الاصابة بالامراض الجلدية فى الصيف لعدة أسباب هى :
- زيادة افراز العرق وتأثير اشعة الشمس وزيادة نسبة الرطوبة وكثرة التجمعات فى المصايف والمعسكرات مما يزيد من انتشار العدوى ٠
- اما اكثر الامراض الجلدية انتشارا فى الصيف هى :
- التينيا الجلدية بانواعها وحرق الشمس ، والارتكاريا ، وحمو النيل ، والدمامل الصيفية ٠

● اثر الصيف على مرض الكلى

تكثر حصوات الكلى فى الصيف نتيجة تراكم الاملاح فى البول بسبب العرق وقلة شرب السوائل والاسراف فى تناول بعض الماكولات الغنية باملاح الاكسالات مثل الفراولة والمشمش والمانجو والشمام ٠

والوقاية بالاكثار من تناول السوائل خصوصا قبل النوم وعند القيام من النوم ينصح بشرب كوبين من الماء لغسل الاملاح المتراكمه اثناء النوم ٠

وكذلك تكثر الالتهابات الصديدية بالمجارى البولية لذلك يجب عمل التحاليل والمزارع اللازمة ٠

● الصيف ومرض الروماتزم

مرضى الروماتزم والتهاب المفاصل يتاثرون بالتقلبات الجوية وثبت ان ارتفاع نسبة الرطوبة فى الايام الحارة تؤثر عليهم وكذلك كثرة العرق مع التعرض للمراوح والنوم فى الخلاء أو امام شبابيك مفتوحه تماما أو النوم على الارض وكذلك عدم الحركة مع الافراط فى المياه الغازيه والعصائر المثلجة ، يسببان السمنة وكذلك تحدث نكسة لمرضى الروماتويد خصوصا فى شهر أغسطس بسبب زيادة الرطوبة وينصح لمرضى الروماتيزم بعدم دفن السيقان فى الرمل لانه خطر على القلب والدورة الدموية ٠

ويطول النهار فى الصيف وبالتالى تكثر كمية الطعام وتزداد الحرارة فيزداد العطش ويكثر تناول العصائر والمياه الغازية علما بان الزجاجة تحتوى على حوالى ٣٠ جرام سكر بالاضافة الى فاكهة الصيف وما تحتويه من سكريات والايس كريم وهو سكر ودهون ، لذلك تكثر نسبة الغيبوبة السكرية خلال الصيف بين مرضى السكر ، بالاضافة الى حدوث التهابات جلدية ودمامل ٠

وتتلخص أهم النصائح لمرضى السكر فى الصيف فى اطفاء العطش

بالماء فقط والمحافظة على نظافة الجلد وعدم المشى حافيا ٠

● الصيف ومرض القلب

يجب على مريض القلب ان ينام جيدا فى الصيف ولكن بدون التعرض لتيارات هوائية ويجب أن يشرب المريض الماء مادام يشعر بالعطش ويجب الاقلال من استعمال كمية الادوية المدرة للبول تحت اشراف طبيبه المعالج ٠

وفى حالات معينة مثل ارتفاع ضغط الدم نمنع ونقلل من الملح فى طعام المريض ولكن مع وجود العرق يشكو من الهزال والضعف العام وتقلصات عضلات الساقين لذلك يمكن التساهل نسبيا فى كمية ملح الطعام ٠

اما مريض القلب فلا ينصح له باخذ حمام او السباحة الا والمعدة خالية أى بعد ثلاث ساعات على الاقل من تناول الطعام واذا كان مصابا بضيق الشرايين أو ارتفاع ضغط الدم فلا يسمح بالدش البارد اطلاقا ويفضل فى جميع حالات مرضى القلب استخدام الماء الفاتر فى الاستحمام ٠

● صدرك والصيف

يتأذى مرضى حساسية الصدر بالصيف نتيجة وجود الاتربة والغبار وخصوصا فى الاحياء الشعبية وزيادة رطوبة الجو وارتفاع درجة الحرارة لذلك يجب البعد عن المسببات ولاداعى للنزول للسباحة وعدم الاجهاد والسهر ويجب الامتناع عن التدخين ٠

● كيف تحافظ على صحتك

اولا : بالمنزل :

١ ـ تجنب الرطوبة بعدم التعرض لتيارات الهواء وعدم الجلوس امام المروحة مباشرة ٠

٢ ـ لا تندفع لشرب المياه المثلجة بعد مشوار أو مجهود كبير ٠

٣ ـ يجب على من يعملون فى جو حار مثل ربة المنزل او العمال عدم الخروج الى جو بارد مباشرة ويجب غسل الوجه واليدين بالماء البارد عدة مرات ٠

ثانيا : نظام الطعام

١ ـ تناول الوجبات الخفيفة وتجنب الدهنيات والاكثار من شرب السوائل ٠

٢ ـ الامتناع عن تناول الاطعمة المكشوفه او استعمال ادوات الاخرين ٠

٣ ـ الاهتمام بقواعد النظافة والصحة العامة

ثالثا : فى الخروج وعلى البلاج وحمامات السباحة ٠

١ ـ جفف جسمك بعد الخروج من البحر وحمام السباحة مباشرة وعدم استعمال فوط ومايوهات الغير ٠

٢ ـ عدم استعمال مستحضرات التجميل والروائح لتجنب الحساسية والالتهابات ٠

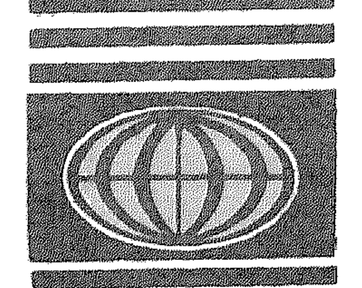
٣ ـ يجب عدم فتح العينين اثناء السباحة لتجنب تهيج العينين ٠

٤ ـ عند الاضطرار لاستعمال دورات المياه العامة يجب تغطية المقعد بورق تواليت قبل الجلوس عليه او استعماله ٠

٥ ـ عدم استعمال الباروكه لان ذلك يؤدى الى سقوط الشعر

٦ ـ عدم لبس شباشب أو جوارب الغير ٠

٧ ـ الاقلال من التدخين وتجنب الاماكن المزدحمة المغلقة ٠



نيويورك

● مذكرات السيد مونرو

رغم ان الكاتب الامريكي ارثر ميللر قد حقق شهرة كبيرة ككاتب مسرحي وروائي وسيناريست للعديد

ارثر ميلر والسيدة مونرو



من الافلام . فان الكثيرين يعتبرون « السيد مونرو » .. ليس فقط لانه ارتبط بالزواج خمسة اعوام من الممثلة الامريكية مارلين مونرو .. ولكن لانه عقب انفصاله عن الحسناء الشقراء وانتحارها لم يقدم عملا مميزا الا في اطار مسرحيته « بعد السقوط » التي استلهمها من حياة زوجته السابقة .. ثم في كتابه الاخير الذي يحمل عنوان « على مر الزمن » .. وهو عبارة عن سيرة ذاتية للكاتب حكى فيها عن علاقته بمسرحياته .. وخصص جزءا كبيرا عن السنوات الخمس التي عاشها الى جوار مارلين مونرو ..

في مشاجرة زيجية . قال ميللر يوما لزوجته « عندما تموتين لن يبقى منك سوى مجموعة صور تعبر عن الاثارة الجنسية » . وردت مارلين يومها ان كلماته لن تكون بنفس البلاغة التي تعبر بها هذه الصور التي لا تعجبه ..

ولم تكن مارلين تعرف ان ميللر سيموت ادبيا ببطء عقب انفصالها عنه ووفاتها منتحرة في عام ١٩٦٢ . وقد اختار الكاتب ان يتناول سيرة حياته في كتاب ضخم تكلم فيه عن علاقته بالاشخاص والاماكن ، الاشخاص اغلبهم من الفنانين والادباء مثل لورانس اوليفيه وايليا كازان وشتاينبك .. والاماكن مثل بولندا التي ولد فيها عام ١٩١٥ وحي مانهاتن بنيورك وبرودواي التي عرضت عليها مسرحياته العديدة مثل : « ابنائي جميعا » و « وفاة بائع متجول » و « مشهد من الجسر » ثم اماكن

اخرى قام بزيارتها منها بسكين ونيوشلهى وشيلى .

وقد اعترف ميللر فى سيرته الذاتية انه احد الاشخاص المصابين بالنرجسية . يحب الحديث عن نفسه لذا فان الكاتب اختار شكلا تقليديا لسيرته الذاتية فقسم فصول كتابه تبعا للسنوات التى عاشها . واعتبر ان الخمسينيات هى احلى سنوات الخصوبة .. وتحمل اجمل الذكريات .. وتقول مجلة لوبوان الفرنسية فى تعليقها على هذا الكتاب انه اشبه بالعبارة التى قالها يوما للممثل كلارك جيبل اثناء تمثيله لفيلم .. « غير المتكيفين مع المجتمع » : دعنا نتكلم عن غياب المعنى لحيواتنا وربما عن الطريقة التى وصلنا بها الى حيث نحن » ..

الربـــاط

● الثورة الثقافية فى المغرب

ماركو واخوته ..

هو عنوان المقال الطويل الذى نشرته مجلة « اسبرسو » الايطالية اخيرا حول الادب فى المغرب العربى وعنوان المقال ـ كما هو ظاهر ـ عبارة عن تحريف لغوى لاشهر افلام المخرج الراحل فيسكونتى المعنون « روكو واخوته » .. وماركو ـ وهى كلمة ايطالية تعنى المغرب ـ فى هذا المقال هو الكاتب المغربى المعروف الطاهر بن جلون .. اما اخوته فهم مجموعة الادباء المغاربة الذين يكتبون باللغة العربية او الفرنسية والذين سلطت عليهم الاضواء فى الفترة الاخيرة عقب فوز ابن جلون بجائزة



محمد شكرى وجان جينيه

جونكور فى شهر نوفمبر الماضى

يقول كاتب المقال ماريو فسورتوناتو ان « بن جلون » هو المعروف وحده بين المغاربة . لكن الادب والثقافة المغربية مليئتان بالحيوية فى السنوات الاخيرة . وتشهد حدثا ثوريا هاما .. وقد ذهب ماريو بنفسه الى مراكش والتقى بادبائها وفلاسفتها للتعرف على اوجه الحياة الفكرية المعاصرة هناك . فكان اول من التقاه الفيلسوف عبد الخالق سرحان ـ ٣٧ عاما ـ المدرس بجامعة القنيطرة . وهو مؤلف لروايتين منشورتين فى فرنسا احداهما تحمل عنوان « اطفال الازقة » ..

اما الكاتب الثانى الذى التقاه فهو عبد الكبير خطيبى وهو كاتب مقال وشاعر .. وذكر ان مكانته فى الادب المغربى اقرب الى مكانة رولان بارت فى فرنسا . وهو من المهتمين ببلورة مشاعر الحب والانسانية فى اعمالهم .

وقد راح الكاتب للالقاء العديد من الفنانين فى مجالات عديدة مؤكدا ان الثورة الثقافية فى المغرب لا تحدث فى مجال دون اخر .. فالفنان التشكيلى فريد بلقاهيا له نفس مكانة

الفنان السريالى بول كلى · وهو يمثل تيارا متجددا يضم كلا من الشاعر محمود مليحى ومحمد قاسيمى

وقد اشار ماريو ان اكثر الفنانين والمفكرين العرب فى المغرب لهم اكثر من نشاط · مثل محمد زفزاف وخير الدين ومحمد براده ·· حيث يكتبون فى مجالات متعددة ·· اما فى مجال السينما فان للمخرج احمد سنوسى نفس مكانة وودى الن فى السينما الامريكية · ومن الملاحظ ان الكاتب يستخدم مثل هذه التشبيهات للتقريب بين هذه الاسماء الجديدة عليه وبين اسماء معروفة فى الثقافة العالمية ·

وقد خصص الكاتب مساحة واسعة الحديث عن الروائى محمد شكرى الذى يعيش فى مدينة طنجة · وقد تأثر شكرى بحياته العائلية فكتب رواياته على شرف ابيه الذى قتل ابنه .. « ضد ابى · وضد كل الاباء الذين على شاكلته · سطرت روايتى الخبز الحافى » · وابرز ماريو ايضا تأثير الصداقات العديدة التى ارتبط بها محمد شكرى على حياته وشكل ادبه · مثل صداقته للكاتب الفرنسى المعروف جان جينيه والاديب الفرنسى بول بولز ·

لندن

امبراطوريات سينمائية والسينما الصينية

اذا كانت جوائز الاوسكار الاخيرة قد منحت فيلم « الامبراطور الاخير » لبرتولوتشى تسع جوائز · فانها تجاهلت تماما – ومن جديد – فيلم « امبراطورية الشمس » لستيفن سبيلبرج · وهو فيلم يتنافس – على مستوى الايرادات – امبراطورية برتولوتشى ·· كما ان احداثه تدور ايضا فى الصين ··

وحول هذا الفيلم وبمناسبة عرضه الاوربى الاول خصصت مجلة لونوفيل اوبسر فاتور ثمانى صفحات عبارة عن حديثين مع كل من ستيفن سبيلبرج ومؤلف الرواية : ج·ج بالارد ·· وتجىء اهمية هذا البحث مع بالارد انه الاول من نوعه فى الصحافة فلم يكن سوى شخص مجهول قبل ان ينشر روايته فى عام ١٩٨٥ · فبمجرد نشر « امبراطورية الشمس » حتى قفزت الى قمة المبيعات ·

وبالارد كاتب انجليزى مولود فى مدينة شنغهاى عام ١٩٣٠ ، وقد عاش سنوات طفولته اثناء الحرب العالمية الثانية فى معسكر يابانى · وحول هذه التجربة استمد احداث روايته · وعقب سنوات الحرب درس الطب · واهتم كثيرا بتاليف روايات تنتمى الى نوع الخيال العلمى · ومن بين كتبه ·· « العميل السرى المجهول » ·· ولقد اختار ان يكتب اسمه بالاحرف الاولى مثل بعض الكتاب المشاهير · واسمه كاملا هو : جيمس جراهام بالارد ·



امبراطورية الشمس

الرواية الجديدة التى اصدرها الروائى الفرنسى يان كيفيلك ـ ٣٨ عاما ـ تحت عنوان « امراة فى الافق» اثارت بعض التساؤلات حول الكاتب نفسه ‥ فهى الرواية الاولى التى ينشرها الكاتب عقب فوزه بجائزة جونكور فى عام ١٩٨٥ عن روايته « اعراس بربرية » ٠

كيفيلك هو بلاشك ظاهرة ادبية جديدة فى فرنسا ‥ فعندما كتب مقالات سياسيةومتابعات ادبية فىمجلة لونوفيل أويسرفاتور قبل أن يان لن تكون له ابدا اهمية ادبية الروائىهنرى كيفيلك ٠ واستمريان يعمل فىالصحافة الى ان طلع على القراء بروايته الاولى «السحر الاسود» عام ١٩٨٣ فاستقبلها النقاد بحفاوة شديدة ٠ لكن روايته الثانية التى نالت جائزة جونكور اكدت ان يان قد تفوق على ابيه ‥ بل على العديد من ابناء جيله مثل ميشيل برادو الذى قيل انه احد الموهوبين فى

تنبأنا فى رواياتنا بالعنف الذى يسود هذه الايام »

من المعروف ان احداث رواية « امبراطورية الشمس » تدور فى الصين من خلال صبى يعيش تجربة احتلال اليابان لجزء من ارض الصين فيتعلم الخوف ٠ والجوع والعنف والموت ٠ فيتم حبسه فى احد المعسكرات العسكرية « انه يعيش تجربة البكارة ولكن العالم حوله فقد بكارته » ٠

باريس

● لعنة الاباء ‥ والجوائز

وقد ظهر بالارد فى بعض اللقطات الخلفية من الفيلم الماخوذ عن روايته ويقول ان هذا قد حدث بالصدفة لانه كان يسكن قريبا من مكان التصوير ، وعن تجربته يتحدث قائلا : « عندما وصلت الى انجلترا فى عام ١٩٤٦ ، قادما من شنغهاى كنت اعرف اننى لن اعود اليها ابدا واننى يجب ان ارتب حياتى هنا ، وكانت مصادفة ان اكتب فى الخيال العلمى ٠ لم تكن الرواية الطبيعية بالنوع المطلوب فى انجلترا اثناء الخمسينيات ، وعلمتنى رواية الخيال العلمى كيف اقدم خيالى من اجل تصوير المناظر ٠ وقد جاء على وقت احسست فيه ان كل شىء قريب منى هو سريالى السمات ٠ ومع ذلك فقد ساعدتنى رواياتى ان اعبر عن الواقع بشكل مختلف مثلما حدث فى رواية « لندن غارقة » او « صدمة » ٠ لقد كانت سنوات الخمسينيات اقل عنفا ٠ ومع ذلك فقد



العالم في سطور

الادب المعاصر ..

اما روايته الجديدة « امراة فى الافق » ففيها يحاول الكاتب ان يخرج من اطار بنوته لاديب اخر فيكون ظلا لاسمه وشهرته .. والخروج ايضا من ظل الجسائزة التى نالها والتى يحاول الاخرون حبسه بداخلها .

والرواية الجديدة تدور على لسان عجوز روسية تدعى زينات قصتها مع المهجرة والحنين والعائلة . انها جدة لاسرة كبيرة .. اصابتها لعنة الموت فتوالت الحوادث المؤسفة تصطاد افرادها الواحد تلو الاخر . ومع هذا فلم تكف النساء عن التوالد .. ولم تتوقف عجلة الحياة .

والرواية ـ حسب طبيعة احداثها ـ مليئة بالكوارث والاحداث المحزنة كما تتخللها مشاهد الحب الرقيق ورغم صغر حجمها النسبى . فانها مشحونة بعشرات الشخصيات التى تروح وتجىء مثلما هى الحياة وكأنها اشباح خارجة من قبر مظلم فى احد الافلام الصامتة .. ثم ما تلبث ان تعود اليه مرة اخرى ..

يان كيفيلك



روما

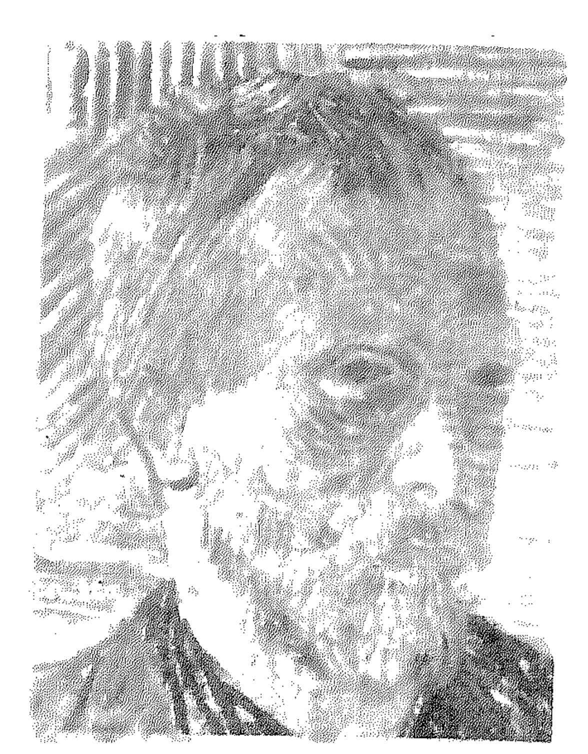
فان جوخ .. واللوحات المسحورة

فان جوخ سوبرستار :

هذا هو العنوان الدائم الذى التصق فى الاشهر الاخيرة بالفنان المهولندى المعروف فان جوخ .. وذلك بمناسبة حالة السعار البالغة المحمومة التى اصابت هواة مشترى اللوحات من اجل المزايدة على شراء لوحاته ..

حدثت هذه الحالة للوحات فان جوخ اكثر من غيره من الفنانين المعاصرين والقدامى .. وقد بدأت هذه الحالة منذ عام ونيف عندما بيعت لوحة من لوحاته باكثر من ٣٦ مليون دولار .. ومنذ ذلك الحين لم تهدأ حالة السعار لدرجة ان لوحة اخرى قد بيعت اخيرا باكثر من خمسين مليون دولار ..

فان جوخ الذى قيل عنه انه مجنون .. خاصة حين قطع اذنه من اجل امراة يحبها . وانتحر فيما بعد مصابا بالكآبة .. يبدو انه نقل هذا



فان جوخ .. صورة ذاتية

المجنون عبر تاثير اثيرى يشع من الموانه الى عقول المشترين فيرفعون اسعارهم من اجل اقتناء هذه اللوحات ..

وفى روما اقيم معرض اخر ضم لوحات اقل شهرة للفنان منها لوحة « عامل النسيج » و « آكلى البطاطس » و « حقل زهور الخشخاش » التى رسمها عام ١٨٩٠ . وقد زار هذا المعرض فى اسبوعه الاول اكثر من ٧٥ الف زائر . لم يجيئوا من روما وحدها . بل من جميع انحاء اوروبا مثلما يحدث لمباريات الكرة الدولية . وقد كشفت الصورة التى نشرتها مجلة اسبريسو الايطالية فى ٢٦ فبراير الماضى عن مدى الازدحام الذى شهده هذا الحدث الثقافى الهام ..

هافانا

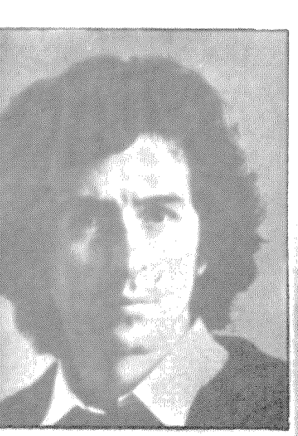
• الرجل الذى صنع جزيرة نموذجية

تحتفل كوبا هذا العام بمناسبة مرور ثلاثين عاما على اعتلاء فيدل كاسترو الحكم وبهذه المناسبة صدر كتابان عن كاسترو . الاول للباحث النفسى بيتر بورن تحت عنوان : مسيرة حياة فيدل كاسترو » . وتجىء اهمية الكتاب فى ان مؤلفه عمل مستشارا للرئيس الامريكى السابق جيمى كارتر .. اما الكتاب الثانى كاسترو . ثلاثين عاما من السلطة المطلقة » فهو من تاليف الصحفى تاد تسولك الذى سبق له ان كتب العديد من الكتب حول امريكا اللاتينية وقد اهتم الكاتبان بالحديث عن كيفية استيلاء كاسترو على السلطة . حين استطاع التغلب على اربعين الف جندى تابعين للدكتاتور باتستا بواسطة حفنة من الجنود . واستطاع كاسترو ان يقيم أول حكومة شيوعية لا تبتعد عن الولايات المتحدة سوى بضع مئات من الكيلو مترات .

وفى تعليق للكاتب البيروفى ماريو فارجاس يوسا حول الكتابين يقول : « عندما التقيت به اول مرة فى عام ١٩٦٦ . كنا نشكل مجموعة صغيرة من الكتاب . وتم اقتيادنا الى منزل صغير وجاءنا فيدل للمقابلة . وظل يتحدث طيلة اثنتى عشرة ساعة بدون توقف . وشرح لى احسن طريقة لتدبير المكان واخبرنا انه قد ابعد الشواذ عن العمل بالحقول . وان لديه نظرية فى انظمة الحكم العالمية ».

وفى الكتاب الذى اعده د . بورن تحدث عن الملابسات التى جمعت والدى كاسترو من اجل الزواج . كما تحدث ايضا عن العديد من القرارات السياسية التى اصدرها فى حياته . ويقول الكاتب ان كاسترو قد نجح ان يصنع من الجزيرة نموذجا لمجموعة دول العالم الثالث . وقد نجح كاسترو فى ان يفهم عقلية الاغلبية من ابناء شعبه . واهتم فى المقام الاول بالتعليم والصحة وتحديد الروح القومية .





برنار هنرى ليفى

ثورة الحجارة
فى عيون الفلسفة الجديدة

بقلم : محمود قاسم

فى السنوات الاخيرة ظهرت مدارس ادبية وفلسفية اغلب ابنائها من اليهود ومن ابرز هذه المدارس مايسمى بالفلسفة الجديدة التى ظهرت فى فرنسا بصفة خاصة مع منتصف السبعينيات واصحاب هذه المدرسة مصابون بحالات فصام فكرية واضحة تمليها عليهم ظروف عديدة .. فبحكم يهودية بعضهم . وكونهم من الشتات نجدهم يدافعون عن اسرائيل ويرونها الحلم الطوبوى الذى ينشده كل يهودى فى القرن العشرين .. وهم يدافعون عن الدول العبرية اينما ذهبوا ويعتبرون انفسهم لسان حالها فى العالم يتكلمون باسمها ويحاولون تحسين صورتها .. مهما ارتكبت من ارهاب وعدوان .

اما الوجه الثانى من الفصام فيتمثل فى ان هؤلاء الفلاسفة بحكم وضعهم الاجتماعى والفكرى فى الغرب يؤمنون بالدفاع عن حقوق الانسان اينما كان .. ومهما كانت هويته

ومع انفجار ثورة الحجارة فى الارض المحتلة بدت حالة الانفصام عند هؤلاء المفكرين دعاة التحرر فى اشد حالاتها فمنذ ديسمبر الماضى ووسائل الاعلام تبث يوميا الكثير من التفاصيل عن اطفال عزل ونساء ضعيفات وشيوخ يقفون صامدين امام عسكر الجيش الاسرائيلى الذى لايتورع عن مواجهة الحجارة برصاصات قاتلة فمات من الفلسطينيين العشرات على ايدى جنود الجيش الاسرائيلى وتحت سمع العالم وبصره .

بدت حالة الفصام هنا من ان هؤلاء المفكرين قد صدموا فيما بينهم فى ثورة الحجارة والتى لم تكن متوقعة فى هذا الوقت بالذات ثم جاءت الصدمة اكثر فى اساليب القمع الوحشية التى تمارس ضد الشعب الفلسطينى . ولم تكن وسائل القمع حالات طارئة . ولكنها تتكرر يوميا بأساليب اكثر بشاعة .. وبدا امام هؤلاء المؤمنين بالدفاع عن حقوق الانسان .. ان الانسان الفلسطينى هو احوج البشر الى الوقوف بجانبه والدفاع عنه .

وأنكشف فجأة الوجه الحقيقى لاسرائيل امام ابنائها والمدافعين عنها ، واصبحت امام العالم هى ذلك النجندى الجامد القلب الذى يحمل بيمينه مدفعا سريع الطلقات يصوبه تجاه الصبية والشباب ، وبيسراه يحمل هراوة غليظة ينهال بها وبكل عنف فوق رءوس الاطفال والنساء المطالبين بحقهم الآدمى .. والباحثين عن حق تقرير المصير .

● المفكرون صامتون

وقد الجمت ثورة الحجارة هؤلاء المفكرين دعاة التنوير والحرية .. وكان على الكثيرين منهم ان ينتظر بعض الوقت كى يعيد حساباته قبل ان يعلن موقفه مما يجرى فى الاراضى العربية المحتلة وقد طال الانتظار دون ان يعلن اى من الفنانين والادباء اليهود ـ دعاة التنوير والمدافعين عن حقوق الانسان ـ موقفهم وعندما اعلن الكاتب الامريكى ايلى فيسل ـ فاز بجائزة السلام فى عام ١٩٨٦ ـ رأيه جاء مخيبا للآمال .. واهتزت صورة اعمدة الفكر الحديث ـ وهو فكر شكلى ـ امام الجماهير الى ان طلع احدهم بعد ثلاثة اشهر من بدء الانتفاضة وكسر حاجز الصمت وقال كلاما كثيرا اذهل الاسرائيليين انفسهم .

هذا الكاتب يدعى برنار هنرى ليفى . وهو احد اعمدة مدرسة الفلسفة الجديدة .. ولعله انشط ابناء هذه المدرسة على الاطلاق .. فقد قام بالتنظير لهذه الفلسفة فى كتب عديدة وسعى لتطبيقها والدفاع عنها بشتى الوسائل وقد ارتبط ليفى فى اذهان الفكر الغربى بانه حامى حماه والمدافع عنه ضد خطر الشيوعية . والمتنبىء لمستقبله والممثل له ، ليس فقط فى عالم التنظير السياسى والفلسفى . بل لقد خاض مجالات الابداع فكتب الرواية .

وراح يناصر حركات التحرر الوطنى فى العالم فسافر الى افغانستان وكمبوديا وامريكا اللاتينية من اجل الدفاع عن افكار الفلسفة الجديدة ضد انصار الشيوعية .

وبصرف النظر عن صحة او اخطاء افكار ليفى فلاشك انه الشجاع الوحيد ضمن دعاة التحرر والدفاع عن حقوق الانسان الذى قال كلاما هاما يجب الوقوف عنده .. بينما ترى زملاءه الاخرين يلتزمون الصمت مثلما فعل اندريه جلوكسمان وماريك هالته . والذين اشتركوا فى العديد من التظاهرات للتنديد بالارهاب .. فاذا بهما حين يكتشفان قوى القمع الاسرائيلية فى مواجهة العرب يلتزمان الصمت .

● المطلق .. حير الفلاسفة

وبرنار هنرى ليفى يهودى من اصل عربى .. ولد فى اسرة ثرية فى ٥ نوفمبر عام ١٩٤٨ بقرية بنى صاف القريبة من وهران بالجزائر ويقول ليفى انه اكتشف وهو فى العاشرة من عمره انه من اسرة يهودية . وقد عرضه هذا الامر للمضايقات فقد كان زملاؤه فى المدرسة يعاملونه كقاتل للسيد المسيح وربما من هذه المواقف استمد ليفى موقفه المضاد للدين المسيحى بصفة خاصة .

ومنذ سنواته المبكرة وليفى يحلم ان يكون نجما فى المجال الذى يختاره وان يتحدث الناس عنه وهو يقدم لهم الافكار الجريئة والجديدة . وفى النصف الثانى من السبعينيات وجد ان مدرسة الفلسفة الجديدة هى الانسب مع ما يعتمل فيه من افكار فاعلن الانضمام اليها واسس جريدة يومية لم تصدر سوى ستة اعداد . وقد اعجب ليفى بكتابات الاديب الروسى المنشق سيرجى سولجنتسين واستمد من افكاره ضد الشمولية السوفييتية كتابه الاول « البربرية ذات الوجه الاوى » المنشور عام ١٩٧٧ والذى حقق نجاحا كبيرا لدرجة ان مجلة نيوزويك قد نشرت صورة ليفى على احد اغلفتها وهى سابقة ندرت فى حدوثها بالنسبة للكتاب الذين لايكتبون مباشرة بالانجليزية .

وعندما نشر ليفى كتابه الثانى « وصية الله » استطاع ان يؤكد انه المدافع الحقيقى عن ايدولوجية الغرب . واطلقت عليه تسمية « نبى الفلسفة الجديدة »

وفى كتابه « وصية الله » يرى ليفى ان الشمولية مرتبطة بنظرية نيتشه التى اعلن فيها عن موت المطلق .. وقد اصبح المطلق بمثابة جثة هامدة فى جسد القرن العشرين : « لم نحاول ان نكون احرارا الا منذ ان اصبحنا اقل ايمانا وهو اكتشاف توصل اليه فيدور دوستوفيسكى فى رواياته . فلو لم يكن الله موجودا فان كل شىء مباح . بدءا من الجريمة حتى الخطيئة . وفى هذا الكتاب حاولت ان احدد نقاط لمقاومة ظاهرة الشمولية . من خلال انتقادها وطرح اسئلة عن كيفية مواجهة اخطارها »

ويرى ليفى ان النازية لم تحارب اليهودية وحدها ، بل حاربت المسيحية ايضا فقد سعى النازيون الى انشاء كنيسة الرايخ ، وقد كره النازيون المطلق بصفة خاصة . ويؤمن ليفى ان هتلر قد قتل المطلق مثلما فعل الشموليون . وفى الاتحاد السوفييتى يوجد الان المتحف الوحيد للالحاد حيث تفرض فيه مسيرة



الاشتراكية على ضحاياها من اليهود والمسيحيين .

ويقول ليفى ايضا فى نفس الكتاب ان الماركسية هى اول فلسفة تطبيقية فى تاريخ الغرب . بعد ان اقنعت اتباعها ان المطلق قد انتهى . وان الانسان لم يخلق مصادفة وان غالبية البشر متفقة على سلوك الخير .

ومن اوجه الفصام عند ليفى انه بدوره يؤمن ان المطلق غير موجود ويرى ان القرن الثامن عشر وقد شهد حدثا هاما حين ولدت حقوق الانسان مكتوبة . ويروح ليفى الى ماهو أبعد من ذلك . فهناك اله عبرى . والهة غير عبرانيين .. « العهد الجديد هو ضرورة للهروب الى الامام وهو ضرورة للمغامرة الفكرية »

● الفلسفة حالة انفصامية

وفى كتابه «الايدولوجية الفرنسية » ١٩٨١ تحدث عن المذاهب الفاشية التى عرفت فى فرنسا مثل النازية والستالينية ورأى ان النازية لم تولد فى برلين وحدها . وان الستالينية لم تنشأ فى موسكو فقط ، بل ان فرنسا شهدت بؤرات لهذين المذهبين . واكد ان اليسار الفرنسى هو الذى ادخل هذه المذاهب الى البلاد لذا راح يهاجم الرئيس فرانسوا ميتران حين تم انتخابه اول مرة والف عنه كتابا يحمل عنوان « مسألة مبدأ » راح يقذعه بالعديد من أسباب الهجوم وفجأة وبدون تمهيد تراجع عن كل مواقفه ضد ميتران واعلن تاييده له .. لمجرد ان ميتران قد عين جاك لانج وزيرا للثقافة .

وفى احاديث الكاتب الصحفية يكشف عن عدم انتمائه الى وطن بعينه ويردد .. « أسكن فى فرنسا وانتمى الى العديد من الرجال والنساء والشباب الذين يعيشون فى نيويورك ولندن وميلانو وباريس . اذا كانت فرنسا مجموعة من الاراضى والاطيان فلست سوى ابنها وانا مرتبط بها من خلال اللغة والثقافة والفرنسة . مثل علاقتى بالأغنيات والكتب والاوراق التى اعرفها واحبها وارتبط بها وجودى . ولايمكن للمرء ان يكون فرنسيا دون ان تجرى وراءه جثث بشعة واشباح ماساوية »

الجدير بالذكر ان ليفى نال جائزة ميدتشى الادبية ـ التى تمنح للرواية التجريبية ـ عام ١٩٨٤ عن روايته الاولى « الشيطان فى الراس » وتدور حول رجل يهودى عاش فى فرنسا بين عامى ١٩٤٢ و١٩٨٢ وكان شاهدا على مادار فى العالم ابان هذه السنوات

● قنبلة الضفة .. موقوتة

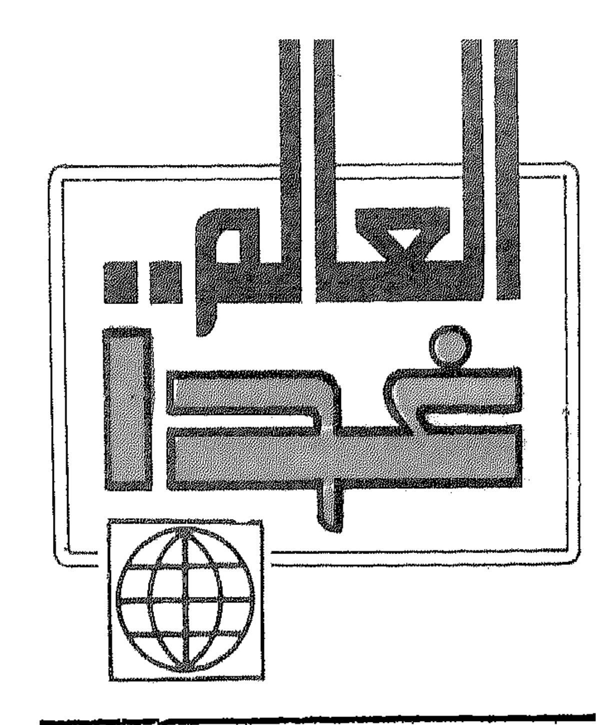
هذه هى بعض النقاط العامة حول مايسمى بالفلسفة الجديدة . وابناء هذه المدرسة ـ كما اشرنا ـ يصورو انفسهم دعاة الحق والخير والحرية اينما كانت الارض التى يناضلون فوقها وكثيرا ماعبروا فى وسائل الاعلام المختلفة عن ارائهم فى قضايا العالم المعاصرة التى لاتنتهى وخاصة مايتعلق منها بالسياسة وحقوق الانسان .

وفيما يخص القضية الفلسطينية ثم ثورة الحجارة اخيرا ، فان لبرنار هنرى ليفى العديد من الافكار الجريئة التى يجب الوقوف عندها وهى افكار اكثر وضوحا مما يدلى به زملاؤه من الفلاسفة الجدد فرغم انه يعلن عن عدائه لمنظمة التحرير الفلسطينية التى قامت بالعديد من العمليات الارهابية - حسب رأيه - فإنه فى الحديث الطويل الذى اجرته معه مجلة « لوى » عام ١٩٧٩ يرى ان التاريخ « علمنا التاريخ انه اذا كان لليهود الحق فى العودة الى فلسطين فان للفلسطينيين ايضا نفس الحق فى العودة » واشار ان المشكلة التى تواجه اسرائيل هى ان البعض يريد القاءها فى البحر .. واكد انه اذا كانت هناك دراما فلسطينية فهناك ايضا تراجيديا اسرائيلية .

وفى الحديث الذى ترجمته مجلة « حدث الخميس » تحت عنوان على اسرائيل ان تحرر الارض المحتلة .. اعلن ليفى ان الصحافة الفرنسية ارادت ان ترغم المثقفين الفرنسيين - وخاصة اليهود - على ادانة اسرائيل فيما يخص أحداث ثورة الحجارة وهى تشير اليهم باصابع الاتهام .. « وعندما نسمع عن مقتل شخصيات فلسطينية جديدة فلاشك ان الامور تتغير ونتخيل دولة الامل وجنودها اللاهثين واحاول ان اتحقق فى المعانى التى تكمن وراء هذه الاحداث . فهناك ناس يعرضون صدورهم للخطر . لقد رفضت دائما فكرة ان هناك موتى طيبين وموتى اشرار ولاشك اننى تأثرت - كيهودى - من مقتل يهود . ولكن ، وبحكم ايمانى بحقوق الانسان ، استطيع ان اؤيد قتل اكثر من ثمانين فلسطينيا فى مواجهات الاراضى المحتلة .

ويرى الكاتب انه اختار الحديث لصحيفة اسرائيلية من اجل المواجهة المباشرة مع القادة الاسرائيليين « قيل لنا ان مصير اسرائيل يتمثل - حتى الان - فى الاراضى المحتلة لانها مناطق حماية . واننا فى حاجة الى الامن . اليوم ، الامر يختلف فلقد اكتشفنا ان وجود هذه المناطق يشكل تهديدا ، واذا كان هناك خطر اليوم ، فهذا الخطر اسمه الضفة الغربية وغزة ، وعلينا الخروج من هذا الكمين باى ثمن ، وعلينا الا نقول مثل الياهو لوبيتش - عقب يونية ١٩٦٧ - ان حرروا الاراضى المحتلة . بل حرروا اسرائيل من الاراضى المحتلة .

واكد ليفى ان على اسرائيل اعادة الاراضى المحتلة الى اصحابها « يجب ان نخرج من الضفة الغربية على وجه السرعة . ودون قيد او شرط . واكد ان التاريخ عرف العديد من المشكلات السياسية التى لم تجد لها حلا . ومشكلة فلسطين الان هى احدى هذه المشاكل وقال ان زعماء اسرائيل يمسكون بأيديهم اسلحة غير آدمية . وقد نسوا شيئا هاما خسرته اسرائيل بثورة الحجارة . وهو الحرب الاعلامية المعروفة بقوتها وشدتها عن الحروب التقليدية فقد اغلق زعماء اسرائيل عيونهم واذانهم ولم يعودوا يسمعون سوى طلقات الرصاص ووقع الهروات فوق رءوس الفلسطينيين بينما العالم يسمع الصراخات ويرى الدماء تنسال .. وهكذا تغيرت ملامح الحلم الاسرائيلى فى وجوه ابنائه .. وايضا فى عيون الاخرين .



تكوين الجذور والتفريع والتزهير ، ولان حرمان النبات من المياه فى هذه الاطوار الحرجة يقلل من عدد السنابل فى وحدة المساحة ، وعدد الحبوب فى السنبلة الواحدة ، ولان حرمان القمح من الرى فى طور ما قبل النضج لم يكن له تأثير على المحصول كما اثبتت التجارب ..

ومن المفارقات التى اثبتتها التجارب زيادة المحتوى الغذائى للحبوب فى ظل نقص المياه مع بعض الانواع الجديدة

● زراعة القمح فى سيناء ●

خلال الاحتفال بموسم الحصاد فى منطقة الخطارة (محافظة الشرقية) صرح د . يوسف والى نائب رئيس الوزراء ووزير الزراعة واستصلاح الاراضى بأن الكمية المستوردة من القمح بقيت كما هى عليه منذ عام ١٩٨١ ، رغم زيادة السكان ٦ر٥ مليون نسمة . كما صرح بأنه سيتم تعميم زراعة الاراضى الصحراوية بالقمح من العام القادم ، بعد نجاح تجربة زراعة القمح فى الف فدان بالخطارة ، وانتهاء التجارب العلمية لاستنباط انواع جديدة من القمح ، المناسبة للزراعة فى مثل هذه الاراضى (جيزة ــ ٥٥) . وكشف عن الانتهاء من اعداد خطة قومية ، لتحقيق الاكتفاء الذاتى من القمح ، خلال خمس سنوات ، وذلك بزراعة الساحل الشمالى وسيناء بالنوع الجديد ..

هذا وقد توصل فريق علمى من كلية الزراعة بجامعة اسيوط الى خطط ارواء تمكن زراعة القمح فى الاراضى الصحراوية ، حتى اذا لم تتيسر المياه الا لرية واحدة ، بعد ٢٠ يوما من الزراعة ، وذلك لاهمية الرى عند

● حضارة الهامبورجر ●

بينما تشهد المطاعم الامريكية للاغذية السريعة انتشارا هائلا ، حتى فى الاتحاد السوفييتى وبولندا وغيرهما من البلدان الاشتراكية ، بينما تقدر هذه المطاعم حجم السوق التى ينتظرها فى هذه البلدان بعشرات ومئات الملايين من الدولارات .. بينما تشهد مطاعم ماكدونالد ويمبى هذا الانتشار المنقطع النظير تدور حرب شعواء ضدها فى المانيا الغربية ، للاضرار الصحية والاجتماعية والاقتصادية الناجمة عن نمط التغذية الذى تشيعه واعتمادا على الادبيات والدراسات التى تصدر فى الولايات المتحدة الامريكية ذاتها ..

فقد نشرت مجلة «ساينس دايجست» الامريكية ، فى هذا الصدد ، ان قطعة الهامبورجر الواحدة تحوى ١٠جم من الدهون ، يضاف اليها ١٠ جسم من الزيت موجودة فى البطاطس المقلية ، ١٠ جم فى مزيج الشيكولاته والكريمة (ما بعد الهامبورجر) .. الامر الذى يرفع نسبة الدهون فى الجسم بصورة لا تتناسب مع المتطلبات

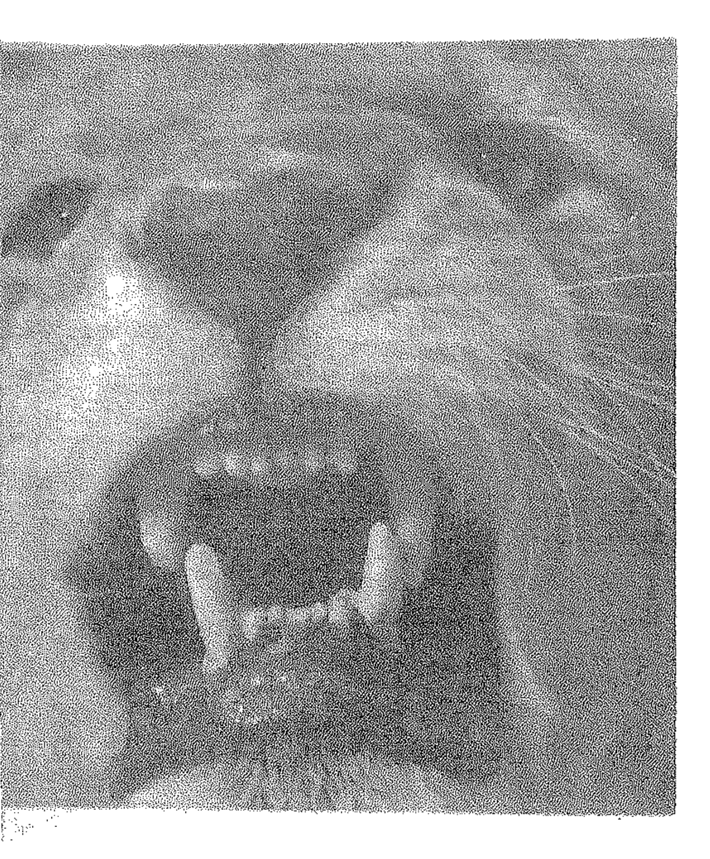
الصحية ، بالذات ومعظم هذه الدهون دهون حيوانية (بقر وخنازير) ، على عكس ما تشيع دعايات هذه المطاعم، مما يؤثر على الاوعية الدموية ، حتى لدى الاطفال فى الثانية أو الثالثة من اعمارهم .

وقد اثبتت الدراسات الامريكية انه مع اكتساب عادات التغذية السيئة منذ الطفولة تترسب الدهون على جدران الاوعية الدموية وتشيع ضيقها .. مما يؤدى الى وفاة الاحداث والشباب ما بين السابعة والرابعة والعشرين ..

ولا يقتصر التأثير السيىء للدهون والاحماض والاملاح على الاوعية الدموية وضغط الدم وعمل القلب ،بل يمتد الى امراض الجهاز الهضمى وبعض انواع السرطان ويتجاوز النواحى الطبية اذ ان شيوع التخلى عن الوجبات الاساسية يعرض المجتمع لاخطار جمة ، فالتجسه عن الابتعاد عن المنزل واهتزاز الترابط العائلى ، بانعكاساته على احوال الاطفال وصحتهم .. وذلك فضلا عن الخسائر المالية التى تتسرب خارج المانيا ويمكن اخذ فكرة عن ذلك اذا عرفنا ان تعاملات ماكدونالد مع المانيا تبلغ سنويا ٦٠٠ ـ ٧٠٠ مليون دولار (يصل مجمل تعاملاته ١٥ مليار دولار) .

● الانسان والنمر ●

باتت الارض تضيق بناسها فما بالك بالنمور ، بالذات والنمر الواحد يحتاج (قياسا على حجمه ونشاطه) الى مساحة حيوية تبلغ ٥٥ كم مربع

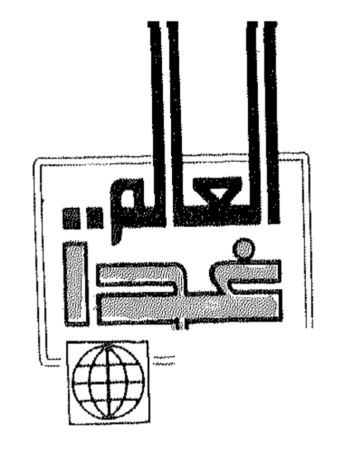


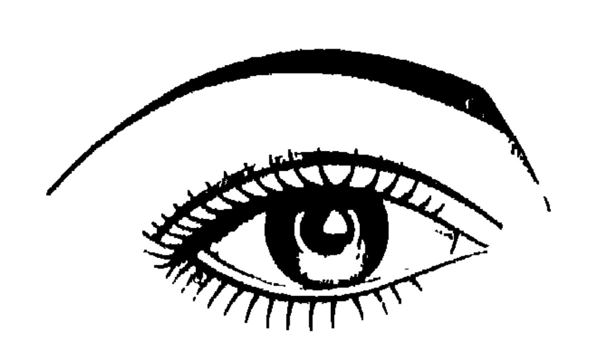
من الغابات (!) ويستهلك حوالى ٣ اطنان من اللحوم سنويا ..

المهم انه منذ عام ١٩٦٩ دخل النمر منطقة الخطر ، واصدر الاتحاد العالمى للمحميات الطبيعية صرخات الاستغاثة .. وكان بين من استجابوا لها انديرا غاندى ، التى اعتمدت خطة للحفاظ عليه (عملية النمر) سواء بمنع صيده او برعايته فى المعازل الطبيعية وحدائق الحيوان .

ومنذ بدء تنفيذ الخطة عام ١٩٧٢ اخذ عدد النمور (٢٦٨ نمرا فى ٩ محميات) الهندية فى التزايد ، فوصل عام ١٩٨٢ الى ٧٥٧ نمرا ، وصار يقدر اليوم بالالاف .

ومع ذلك ازداد اوار الصراع بين النمر والانسان . وبرغم ان النمر لا يأكل لحم البشر ، دون أن يعتدى الانسان عليه ، فان الحالة العصبية التى تعيشها الامهات مع الجوع والخوف على صغارها ، باتت تدفعها





اكثر فاكثر الى الانقضاض على من يقترب من عرينها ، عن قصد او عن غير قصد ، حتى رصدت حالات افترست فيها نمرات بعينها اكثر من ٥٠ شخصا فى عام واحد ..

والطريف ان الحكومة الهندية تعوض اهالى من يروح ضحية لنمرة بخمسة الاف روبيه ، بينما تبلغ قيمة جلد النمرة عند اصطيادها عشرة اضعاف هذا المبلغ الامر الذى مازال يغرى على المغامرة ..

المهم ان خطة انقاذ النمور من الانقراض ادت الى ازدياد عدد ضحايا النمور من البشر .. والمتوقع ان تستمر حالة الصدام ، مع تزايد عدد السكان ، وزحف الحضر على الغابات وبالتالى ضمور مواطن عيش النمور. الامر الذى سيحول النمور رغم كل الجهود الى حيوان متحفى يعيش اساسا فى حدائق الحيوان والمحميات ..

● تختار لون عينيها ●

بدأت العدسات اللاصقة التى ارتبطت مع المرأة بالاعتبارات الجمالية اكثر مما ارتبطت بتصحيح النظر .. بدأت طورا جديدا من سيرتها التزيينية ودخلت ترسانة الماكياج .. ذلك ان تكنولوجيا انتاج العدسات اللاصقة المرنة حققت حلما طالما راود « مفكرى » الموضة وخطوط الازياء (!) وهو ان يتماشى لون العينين مع ما قد ترغب المرأة فى ارتدائه من ثياب ..

وقد اتاحت هذه التكنولوجيا اخيرا عدسات بمقدورها تغيير لون العينين حسب الطلب وحسب الظروف. الامر الذى لن يجعل العيون العسلية والسوداء ، حكرا للجنوبيين ولا العيون الزرقاء والخضراء قصرا على الشماليين ، بل ويفتح الباب امام الوان مبتدعة وجديدة وجريئة كأن ترغب واحدة فى عيون حمراء واخرى فى عيون بنفسجية .. فضلا عن أن يصبح اللون الواحد للعينين فى فترتى المساء والسهرة ، ناهيك عن الصباح والظهيرة ، يصبح « موضة قديمة .. « أى والله ومن يعيش يرى »

ومن فضل القول ان العدسات الجديدة ستركز على راغبات الماكياج اكثر من المريضات ، مما يؤهلها لان تدر ذهبا على مخترعها وجدير بالذكر ان من يروجون لهذا الاختراع يؤكدون على ان لون العينين معها يبدو طبيعيا للغاية ، على خلاف اى محاولات سابقة ، وانه لن يكون بمقدور من لا يعرفون صاحبة الشأن ان يكتشفوا كنه عينيها ..

● التقشف يقتل أطفال العالم ●

ذكر تقرير صدر اخيرا عن منظمة الـ « يونسيف » ان ١٤ مليون طفل يلقون حتفهم سنويا رغم ان اسباب وفاتهم يمكن التغلب عليها ، فخمسة ملايين منهم مثلا يموتون بامراض الاسهال •• ويمكن فهم ابعاد الموقف اذا عرفنا ان نسبة الوفيات بين كل الف من المواليد الجدد لا تتجاوز ٨ اطفال فى السويد ، ١١ طفلا فى فرنسا ، بينها ترتفع فى مالى الى ٣٠٢ طفل •

وقبل ٥ سنوات كانت الامكانيات لا تفى الا بتطعيم ١٠٪ فقط من اطفال العالم الثالث ضد الامراض الستة القاتلة • وقد ارتفعت هذه النسبة ٥٠٪ ، ويتوقع توفير الامكانيات اللازمة لتطعيم الجميع عام ١٩٩٠ • وجدير بالذكر ان تطعيم كل اطفال الدول النامية لا يتكلف اكثر من ٥٠٠ مليون دولار لا تتجاوز ثمن عشر مقاتلات من طراز « ٢٨ »

وبين الاسباب التى تؤدى الى وفاة الاطفال انعدام النظافة • والفطام قبل الاوان ، وفقر التغذية ، وكلها عوامل تجعل اجسامهم نهبا لاى عدوى ميكروبية او فيروسية ••

وجدير بالذكر ان المجاعة الحالية التى تواجهها البلدان النامية كانت وراء النسبة المرتفعة من وفيات الاطفال ذلك ان تبنى هذه الدول اجراءات تقشفية يؤثر اول ما يؤثر على الاطفال ، اذ يلحق الضرر بانشطة رعايتهم صحيا واجتماعيا وتعليميا فيجرى اغلاق (لا انشاء) المدارس والمستوصفات و ••

هذا وقد قررت دراسة الـ « يونسيف » ان تدهورا لا يمكن قياسه ولا يمكن التنبؤ بعواقبه قد اصاب حياة الشباب فى ثلاثين بلدا ناميا ••

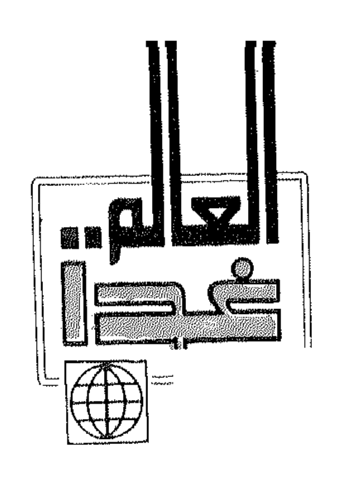
● شرطى من ورق ●

الشرطى الواقف فى هذه الصورة ليس من لحم ودم بل من ورق وان كان بحجم الجندى الطبيعى ••

الطريف أن الصورة استخدمت فى تجربة علمية تمت بمدينة تارينى الدانماركية واثبتت ان مجانين السرعة غالبا ما يخففون من سرعتهم بمجرد رؤية صورة الشرطى •

لهذا تقرر ، مع النجاح الكبير للتجربة ، استخدام مثل هذه الصورة، على نطاق واسع لردع مجانين السرعة ، وجدير بالذكر ان الصور لن تكون بديلا عن رجال الشرطة وانما عامل اضافى يعزز قوتهم ••





● عاصفة على آسيا الوسطى ●

آرال مهدد ، هذا البحر الواقع بين جمهوريتى كازكستان واوزبكستان قد يختفى نهائيا من على خريطة العالم تاركا وراءه صحراء بلا نقطة ماء .. لماذا ؟

لانه فقد ستين فى المائة من مياهه خلال ثلاثين عاما .

هبط مستواه اربعين قدما منذ تحويل مجرى نهرى اموداريا وسيرداريا فى اسيا الوسطى الى الجنوب وذلك لزراعة مساحات شاسعة من اوزبكستان نباتات متعطشة للماء كالقطن .

وفى بعض الاماكن انحسرت مياه البحر المهدد بالزوال حوالى اثنان وستون ميلا .

فاذا بموانى ومصبات ومصانع اسماك كانت مطلة على البحر تتحول الى اطلال .

واذا برياح عاتية تهب على ما تركه البحر المنحسر من املاح فتحملها سحبا ترابية مشبعة موادا كاوية تهلك كل ما تقع عليه من زرع وضرع .

واذا ببلاد نائية تركب الافيال كما الهند وباكستان مهددة هى الاخرى بان تتحول جناتها الى ارض خراب

وفى مواجهة هذه الكارثة الكبرى فكروا فى اعادة الحياة الى البحر المتحضر ، بتحويل بعض انهار سيبيريا بحيث تصب فيه بدلا من المحيط المتجمد الشمالى .

ولكن البعض يعترض على هذا التحويل مخافة ان ينتهى الامر بالكرة الارضية الى الدخول فى عصر جليدى جديد .

وردا على هذا الاعتراض يقول الاستاذ السوفييتى « اركن يوسيبوف » ان مشروع تحويل نهرى « اوب » و « ارتيش » لن يأخذ من مياههما الجارية الا حوالى ستة الى سبعة فى المائة .

وهذا القدر الضئيل لن يكون لتحويله تأثير ذو بال على عوامل الطبيعة .

ولا يزال الجدل حول ما ينتظر اسيا الوسطى من احوال مستمرا

● الكومبيوتر .. ينافس السكرتيرات ●

حول هذا الموضوع نشرت جريدة نيويورك تايمز تقريرا اشارت فيه ان مهنة السكرتارية سوف تشهد انكماشا واضحا فى السنوات القادمة . ليس بسبب اعتكاف السكرتيرات عن العمل ولكن لان الكومبيوتر سوف يلعب دورا هاما فى عالم ادارة الغد .. وبكفاءة اكثر فى تخزين المعلومات والقيام بمهام وظيفة السكرتيرة .. خيرا من النساء انفسهن .

وتقول فاى وتشن من معهد التحليل الاقتصادى بجامعة نيويورك ان موظفى



المكاتب كانوا يشكلون ١٨٪ من قوة العمل الامريكية عام ١٩٨٠ · لكن النسبة تتقلص وطبقا لمكتب احصائيات العمل فان عدد وظائف السكرتيرات وكتبة الاختزال والطباعين قد زادت بين عامى ١٩٨٢ و١٩٨٧ ·· وهى نسبة دون معدل الاستخدام المدنى الكلى ·

وترجع هذه التغييرات فى دور السكرتارية الى اوائل الثمانينيات حيث جاءت طريقة معالجة الكلمات اولا ثم الكومبيوتر الشخصى الى خفض اعمال مثل طباعة الرسائل وتصوير المذكرات ·

وشجع الكومبيوتر لذلك مديرى الشركات للقيام باعمال كانت تقوم بها السكرتيرات · فعلى سبيل المثال يستعمل عدد كبير من المديرين الكومبيوتر لكتابة او عمل مسودة لمذكرة او تقرير بدلا من املائها على السكرتيرة ثم يعطون فرص المعلومات الى السكرتيرة لوضع التقرير فى شكله النهائى ·

ومن احدث تقنيات المكاتب نظام الهاتف المزود بكومبيوتر الذى اخذ يقوم بعمل تلقى المكالمات الهاتفية والرد عليها وهو عمل كانت تقوم به السكرتيرات وترتفع نسبة مبيعات هذا النظام ٥٠٪

★ فى ظل الاوضاع المتناقضة التى تحيط بانتشار مرض نقص المناعة المكتسبة (الايدز) والتى تتراوح بين عدم وجود علاج وبين افلاس المؤسسات المتخصصة فى رعاية مرضاه ووسط أوضاع الصراع فى عالمنا المتوتر بدأت تدخل بين المتحاربين اتهامات خطرة بوجود ارهابيين (فدائيين) يعملون على نقل العدوى الى الجماعات المعادية بل ووجود شبكات تستخدم مثل هؤلاء « الفدائيين » ·

★ ستحصل مصر على عدد من المحطات السوفيتية المتطورة ، العاملة باشعة الليزر ، لرصد الاقمار الصناعية ، لتعمل فى اطار شبكة رصد الاقمار الصناعية التابعة لمعهد الارصاد الفلكية فى حلوان · ويجرى التدريب حاليا على ادارة مثل هذه المحطات ·

★ أعلنت وكالة الفضاء الامريكية اخيرا عن برنامج جديد لاستكشاف المجموعة الشمسية حيث سيتم اطلاق محطة فضائية جديدة (جاليليو) عام ١٩٨٩ لاجراء بحوث علمية حول عدد من الكواكب قبل وصولها الى المشترى اكبر واغرب كواكب المجموعة الشمسية فى ديسمبر ١٩٩٥ ·

من الجدير بالذكر ان المحطة ستعتمد على جاذبية الكواكب التى ستدرسها فى الطريق لتقليل ما تستهلكه من طاقة ·

★ فى العاصمة الصينية تسلم الدكتور سعد حسن استاذ الكيمياء التحليلية بكلية العلوم جامعة عين شمس جائزة احسن عالم كيمياء فى العالم الثالث (عشرة الاف دولار) لعام ١٩٦٨ · وكان العالم المصرى قد حصل على الجائزة التى تتنافس عليها ٥٠٠ من علماء الكيمياء بالعالم الثالث ·

مِنْ ذخائر الكُتُب العربيّة

التعريف بابن خلدون ورحلته.. شرقاً وغرباً

أهمّ سيرة ذاتية في التراث العربيّ

بقلم: مصطفى نبيل



●● لا يتناول هذا المقال ، آراء وأفكار العلامة عبد الرحمن ابن خلدون ، الذى قدم لأول مرة علماً جديداً أطلق عليه فيما بعد « علم الاجتماع » ، وإنما يتناول سيرته الذاتية التي سجلها فى كتابه « التعريف بابن خلدون ورحلته شرقاً وغرباً » .. عندما استعرض تجربته التى عاشها ، وملامح عصره خلال القرن الثامن الهجرى (الرابع عشر الميلادى) .

وكما كان رائداً وبارعاً كمؤرخ وكاتب فى علم الاجتماع ، كان رائداً فى فن السيرة الذاتية ، رغم أن كتاب « التعريف » اقل شهرة من « المقدمة » .

وتكاد تكون سيرته الذاتية أهم سيرة فى التراث العربى لندرة ذلك الفن الأدبى الذى عرفه الغربيون فيما بعد ، واصبح تراثا فكرياً أخصب آدابهم بآثار أدبية أمدت الدراسات الاجتماعية والتاريخية بمادة لاتنضب .

ولعل أبرز من قدم سيرته الذاتية بعد ابن خلدون هو الأمير أسامة ابن المنقذ فى كتابه « الاعتبار » وكتاب « الاحاطة » الذى كتبه لسان الدين الخطيب الذى كان صديقاً ومعاصراً لابن خلدون ، وسيرة المؤيد فى الدين داعى الدعاة الشيرازى ، وتوزعت شذرات من هذا الفن فى بطون الكتب العربية ، والتى اخذت شكل التراجم مع اهتمام بالانساب ، كما جاءت فى كتاب معجم الادباء لياقوت الحموى ..

وتميزت قصة حياة ابن خلدون بالصدق والصراحة حتى نجده يتناول بعض الأمور التى يحرص الناس عادة على اخفائها ، مثل ما دار فى لقائه بالغازى تيمورلنك ، وهنا نراه يقترب من فن الاعترافات الذى يغلب فيه الحرص على تقديم العبرة أكثر من الدفاع عن الذات ، وتقتصر سيرته فى أغلب صفحاتها على الحوادث العامة غير الشخصية ، ولاتقدم الكثير عن حياته اليومية أو الخاصة ، كتبها من يدعو الى اعمال العقل واستخدام المنطق ، والبحث عن أسباب الوقائع والأحداث كما عنى بالأخبار والمراسلات بينه وبين الامراء والعلماء ، ووصف بدقة أحوال بعض المجتمعات ، مثل تصويره الدقيق لحالة الفساد التى كانت تسوه شئون التقاضى ، عندما عمل قاضيا فى القاهرة ، ويسجل طريقة تبادل الهدايا بين الملوك والامراء ، ونجده لايكاد يتعرض لمشاعره وحالته العاطفية ، ولايتناول تلك التفاصيل العادية التى تتألف منها حياته ، وحياة كل فرد مهما كان شأنه ، ولم تتحكم عواطفه فيما خطت يده ، ونجده يتناول مثلا تلك الفاجعة المتعلقة بهلاك زوجته وأولاده فى ثغر

الاسكندرية ، فيغلب عنده الموضوعى الذاتى ...

حياة صاخبة

ويقدم لنا فى سيرته حياة حافلة بالحركة ، صاخبة ، مضطربة ، فياضة بالأحداث والمغامرات ، والتقلبات السياسية . يبحث ابن خلدون دائما عن الآفاق الجديدة والتجربة العميقة ، يتنقل بين ربوع المغرب والمشرق وبلاد الأندلس .

يعيش طفلا مرفها ، وصبياً طموحاً موهوباً ، وشاباً عنيداً وعالماً كبيراً ، وصعلوكا ووزيراً ، وقاضياً وسجينا .

يذكر فى التعريف : « أما نشأتى ، فإنى ولدت فى تونس فى غرة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة » أى ٢٧ مايو سنة ١٣٣٢ م ، وهو سليل أسرة عربية عريقة ، هاجرت الى الأندلس ، وكان أحد أجداده كريب بن خلدون من زعماء ثورات اشبيلية ، ولقى مصرعه فى تلك الثورة وعندها انتقلت الأسرة الى المغرب ، واحتلت مناصب هامة ، ولم يخل تاريخها من ثوار ومغامرين وعلماء ، تضم عائلته دائما رجال دولة بارزين ، وعلماء وشعراء موهوبين ، فالجد الثانى لابن خلدون ترأس الوزارة فى تونس ، ومات مقتولاً فى إحدى الثورات ، وتولى جده الوزارة أيضا .. وأما والده فقد آثر حياة العلماء ، يدفع أولاده الى التردد على مجالس العلماء .. « **تعلمت صناعة العربية على والدى** » وكان على ولده عبدالرحمن أن يحفظ القرآن الكريم ، ولم يبلغ الحلم ، **وأبدى شغفاً بالمعرفة فى وقت مبكر ، ومازال المسجد الذى تعلم وحفظ فيه القرآن معروفا فى تونس باسم مسجد القبة ..**

وعندما بلغ عبد الرحمن الثامنة عشرة من عمره عصفت به الأحداث مع هجوم الطاعون سنة ٧٤٩ هـ ، وانهار كل شىء مات أبوه وماتت أمه ، ومات أغلب من يتلقى عليهم العلم من شيوخه ، وهاجر من تبقى منهم الى المغرب الأقصى هرباً من براثن المرض فعجز عن متابعة دراسته وتغير مجرى حياته .. يذكر : « لم أزل منذ نشأت ، وناهزت ، مكبا على تحصيل العلم ، حريصاً على اقتناء الفضائل ، متنقلا بين دروس العلم والكتابة الى أن كان الطاعون الجارف ، وذهب بالأعيان والصدور ، وجميع المشيخة ، وهلك والداى .. »

ولا يتحرر فى سيرته الذاتية أبداً من التمرد ولامن البحث الدائب عن الآفاق الجديدة ..

عصر ابن خلدون

وقبل المضى معه فى وقائع حياته ، نتوقف عند ملامح عصره ، تعرض العالم الاسلامى فى القرن الرابع عشر الى نكسة فى تاريخ العرب السياسى ، وعاش بين المطرقة والسندان ، يواجه الزحف الصليبى على جناحه الغربى فى الأندلس والشام ، وزحف التتار على جناحه

الشرقى ، وكان بالنسبة لابن خلدون عصر قلق وتحدٍ .

ولكنه تجاوز محنة عصره ، وأبدع أهم ماكتب معالجاً مسألة العمران والنهضة .

أما ثقافة هذا العصر ، فيلاحظ أنها لم تكن مقصورة على ثقافة النقل .. بل تتخطاها الى اعمال العقل ، وترتبط بتطور العلوم ، وبالبناء السياسى والاجتماعى ، فازدهرت خلالها العلوم الطبيعية وخاصة الطب والرياضة والفلك ، ويعيش العالم الاسلامى وحدة ثقافية وفكرية ، ويذكر لنا كتاب التعريف أن ابن خلدون درس مؤلفات ابن سينا وفخر الدين الرازى ، ونصير الدين الطوسى ، والفيلسوف العربى ابن رشد ، ومن أهم أساتذته أبو عبدالله محمد بن ابراهيم الآبلى ، الذى حاز : « **المعرفة الشاملة ، والعلوم العقلية والنقلية** » والتى تشمل المنطق والعلوم الرياضية والعلوم الطبيعية والموسيقى » ، وعندما يذكر الكتب التى اطلع علها يفرد جانبا هاماً لكتاب الأغانى « **جمع فيه أخبار العرب وأشعارهم وانسابهم ، وايامهم ، ودولهم ، وجعل مبناه على الغناء فى المائة صوت التى اختارها المغنون للرشيد ـ ويضيف ابن خلدون ـ ولعمرى انه ديوان العرب ، وجامع أشتات المحاسن التى سلفت لهم فى كل فن من فنون الشعر ، والتاريخ ، والغناء ، وسائر الأحوال .. ولا يعدل به كتاب فى ذلك فيما نعلم وهو الغاية التى يسمو اليها كل اديب** »

لذلك لم يكن غريبا أن يتميز أسلوب ابن خلدون بالدقة والتحديد ، والسهولة ، والوضوح ، فأعاد للأسلوب العربى رونقه ، ويذكر فى كتابه التعريف : « **كان أكثر الرسائل يصور بالكلام المرسل .. وانفردت بأسلوب كان مستغرباً عندهم بين أهل الصنعة** »

● مرتع شباب ابن خلدون

وبقى المسرح الذى شاهد رحلة حياته الشاقة ..

قامت فى المغرب على أنقاض دولة الموحدين ، ثلاث دول ، توزعت بين التل والسهل ، والصحراء ، وأطلق ابن خلدون على التل « موطن البقر » ، والسهل ، « موطن الشاة » ، والصحراء « موطن الجمل » .

أفريقيا ، تونس اليوم أول قطر انتزع من دولة الموحدين ، قامت به الدولة الحفصية والتى كانت تمتد بين مدينة تونس وخليج قابس شرقا ، والمسيلة غرباً ، وتضم مدناً تاريخية مثل القيروان ، والمهدية ، وقسنطينة ، وبجاية .

وفى المغرب الأوسط .. قامت دولة أخرى هى امارة تلمسان التى استطاع بنو عبدالواد اقامتها على يد يغمراس بن زيان ، والتى يقع أغلبها فى جزائر اليوم .

وفى فاس المغرب الأقصى قامت دولة المرينيين والتى تبدأ من وجدة ووداى ملويه حتى المحيط الأطلنطى غرباً ، ومن شاطىء البحر الأبيض شمالاً حتى بلاد السوس جنوباً .

وكانت دولة بنى مرين هى أقوى الدول ، فاستطاع السلطان ابن الحسن ان يزحف شرقاً ويستولى سنة ٧٣٣ هـ على تلمسان وسائر المغرب الأوسط الذى كان بأيدى عبدالواد ، ثم استولى سنة ٧٤٨ هـ على أفريقيا (تونس) وانتزعها من يد بنى حفص ، واسترد من جديد ملك بنى

حفص واستوزر أبا محمد بن بارفراكين والذى فى عهده تولى ابن خلدون أول عمل وهو « كتابه العلامة » والذى يوضح لنا فى التعريف بقوله « وضع الحمد لله ، والشكر لله بالقلم الغليظ ، بين البسملة ومابعدها من مخاطبة أو مرسوم » .

وهكذا كانت دول المغرب العربى ، امارات متنازعة ، وحكاما ضعفاء ، ونظاما قبليا حاكما ، تقع بينها الحروب ، ولاتستقر دولها طويلا ، ولايتجاوز بقاء أمرائها بضع سنين أو بضعة شهور .

وكان على ابن خلدون ان يشق طريقه فى ظل هذه الظروف ، وأن يحاول استعادة مركزه داخل تلك التقلبات والمنازعات والأزمات السياسية .

يبلور أفكاره ومشاهداته فيما يسمى فن الحكم وعلم السياسة .

بدأ حياته السياسية بعد تعيينه فى « قلم الكتاب » استجابة لالحاح أخيه الأكبر ، ثم أصبح كبير الامناء بالديوان فى تونس ، وتزوج خلال هذه الفترة من ابنة قائد جيش الحفصيين محمد بن الحكم .

ورحل الى فاس هربا من الاضطرابات التى شهدتها أفريقيا ، والتحق فى بلاط السلطان أبوعنان .. يذكر : « على كره منى ، ان كنت لم أعهد مثله لسلفى ، وعكفت على النظر والقراءة ، ولقاء المشيخة من أهل المغرب والأندلس » .. وسرعان ماتولى الحجابة ، أى الأمانة العامة بلغةهذه الأيام ، وأخذ يشارك فى مجالس السلطان ويساهم فيما يدور فيها من مناظرات علمية .

• طغيان الشباب

ما الذى يرويه ابن خلدون خلال فتوته وشبابه ؟..

لا يمكن أن نغوص معه فى بحر المنازعات المحلية بكل تفاصيلها ، ونكتفى بالتوقف عند أبرز أحداث تلك الفترة ، والتى ساهمت فى تكوينه كمفكر فذ .

ساهمت بوضوح فترة عمله مع الأمراء والسلاطين فى التعرف على أقوى رجالات عصره المشتغلين بالحكم والسياسة ، فهو يحضر مجالس الحكام والعلماء ، ويشارك فى الأحداث بما يملكه ن ملاحظة ثاقبة وعقل نافذ ، وساعده ذلك على أن يمزج العلم بالواقع ، والأفكار بالوقائع ، وأن

وجذبته واستغرقته الدسائس السياسية ومؤامرات القصور وأخذ يترك أميرا للالتحاق بآخر أكثر قوة ، لعله عن طريقه يحصل على امكانيات أكبر وأوسع وأن يبلغ آفاقاً أرحب ، فنراه يترك عاهل تونس ويلتحق بسلطان فاس ، وينتهى به الأمر الى السجن الذى يمضى فيه واحدا وعشرين شهراً ، ولايفرج عنه إلا بعد وفاة السلطان أبوعنان ، ويبدأ بعدها دوره البارز كرجل دولة ، يتولى أعلى المناصب فى الدولة المارينية ، ويعيش فى ظل نفوذ صديقه عمر بن عبدالله ، ويتولى وظيفة كاتب السر والانشاء ، ويتولى « خطة

المظالم » أى القضاء الذى يصفه بقوله : « هى وظيفة ممتزجة من سطوة السلطنة ، ونصفة القضاء ، وتحتاج الى علو يد ، وعظيم رهبة ، تقنع الظالم من الخصمين وتزجر المعتدى »

وخلال كل هذه التقلبات لايكف عن الدرس والقراءة ، فكان يستغل كل الفرص المتاحة للاطلاع على خزائن الكتب الخاصة فى فاس وتلمسان وتونس وبجايه وغرناطة ..

ولكنه يحكى فى كتابه ، عن طغيان الشباب وطموحه ، يقول : « كنت أسمو بطغيان الشباب الى أرفع مما كنت فيه »

● حرية الفكر

ونتعرف فى سيرته الذاتية على واقعه زلزلة كيانه ترتبط بحرية المفكر وأزمة المثقف فى عصر ابن خلدون وهى الفجيعة المأساوية التى حلت بصديقه لسان الدين الخطيب ، ولاشك أن مأساة صديقه تركت أكبر الأثر على حياته كمفكر يعمل بالسياسة .

ارتبط الصديقان بعلاقات عميقة ، واهتمامات مشتركة رغم فارق السن بينهما ، فعبدالرحمن فى شرخ الشباب ولسان الدين فى طور الكهولة ، يتجاوز فارق العمر بينهما العشرين عاماً .

دفع لسان الدين الخطيب حياته ثمنا للمنازعات السياسية وهو المفكر والشاعر والفيلسوف والكاتب والمؤرخ .. وقدمت مأساته أمثولة للمفكرين والكتاب ، وكأن مأساة ابن الخطيب دعوة لهم جميعاً للانسحاب من الحياة العامة ، والاحتماء بالأبراج العاجية ، وتجنب التصدى للقضايا الحقيقية والاكتفاء بتناول المسائل الهامشية .

التقى ابن خلدون وابن الخطيب لأول مرة فى فاس ، وكان هذا اللقاء حدثا هاماً فى حياة كل منهما ، وقتها كان ابن خلدون من كبار رجال الدولة فى فاس ، وكان ابن الخطيب لاجئا اليها من غرناطة بعد أحد الانقلابات السياسية .

ومنذ هذا اللقاء الأول ، وهما يتبادلان المواقع ويحتمى كل منهما بالآخر ..

كان لسان الدين الخطيب يتفوق على ابن خلدون فى أسلوبه البيانى ، ويتفوق عليه ابن خلدون فى سرده وحسه التاريخى ، وسجل كل منهما سيرته الذاتية فى كتابيهما « الاحاطة » و « التعريف » ويحرص كل منهما على تسجيل تجربته للأجيال المتعاقبة فى ذلك العصر المضطرب .

● وترجم كل منهما حياة صاحبه

يذكر ابن خلدون فى ترجمته عن ابن الخطيب .. « بلغ فى الشعر والترسل حيث لايجارى فيهما ، وملأ الدولة بمدائحه انتشرت فى الآفاق قدماه » .. ويسلم بأنه لايقدر على مساجلة .. « ابن الخطيب فى الترسل اذ لم يكن شأوه يلحق فى ذلك » وهو عنده .. « امام النثر والنظم فى الملة الاسلامية غير مدافع » ..

ويشيد ابن الخطيب بدوره بصفات ابن خلدون ومواهبه ومقدرته العلمية والبيانية ، يقول : « جم الفضائل ، باهر الخصل ، رفيع القدر ، ظاهر الحياء ، أصيل المجد ، وقور المجلس ، عالى الهمة ، عزوف عن الضيم ، صعب المقادة ، قوى الجأش ، طامح لقنن الرآسة ، خاطب للحظ ، متقدم فى عدة فنون عقلية ونقلية ، متعدد المزايا ، سديد البحث ، كثير الحفظ ، صحيح التصور »

وتمضى الأيام وتزداد العلاقات بينها توثقا ، ويعود ابن الخطيب ظافراً الى غرناطة ويتبادلان الرسائل ، وفجأة يتعرض ابن خلدون فى المغرب لمحنة تشبه ماتعرض له ابن الخطيب من قبل ، ويفقد حظوته ونفوذه فى بلاط فاس ، فيشد رحاله الى الاندلس فى رمضان سنة ٧٦٤ هـ ، ويستقبله ابن الخطيب فى غرناطة .. ويحكى ابن خلدون قائلاً : « خرج الوزير لسان الدين الخطيب الى مكان نزلى ، ثم نظمنى فى علية أهل مجلسه ، واختصنى بالنجو فى خلوته ، والموكبة فى ركوبه ، والمواكلة والمطاية والفكاهة فى خلوات أنسه » ..

ومن ناحية أخرى بالغ سلطان غرناطة فى اكرامه ، وبعثه سفيراً الى ملك قشتالة بطره (بدرو) سنة ٧٦٥ هـ ـ ١٣٦٤ م ، وأدى مهمته بنجاح ، ولما عاد بالغ السلطان فى اكرامه فاستقدم أسرته من قسنطينه ، وعاش فترة نادرة مع أسرته .. ولكنه لم يلبث أن شعر بانقباض السلطان عنه ، واتهم ابن الخطيب فى ذلك التحول ، خشية منه على مكانته ونفوذه ، يذكر ابن خلدون : « **ثم لم يلبث الأعداء وأهل السعايات أن خيلوا الوزير ابن الخطيب من ملابستى للسلطان ، واشتماله علىَّ ، وحركوا له جواد الغيرة فتنكر ، وشممت منه رائحة الانقباض ... ولم يبق محل لاطالة الاقامة ولامناص من الرحيل** » .

ويدور الزمن دورته من جديد ، ويعود ابن خلدون لسابق قوته ونفوذه فى بلاد السلطان ابى عبدالله صاحب بجايه ، ويتآكل نفوذ لسان الدين الخطيب ، وتحرق كتبه فى ساحة غرناطة ، ويتهم بالزندقة ، فيلجأ الى فاس بعد أن يبعث رسالة شديدة اللهجة الى السلطان ، يدين فيها أعماله السياسية ، ويعكف فى فاس على البحث والتأليف ، وعندما يتوفى السلطان ويحل محله سلطان جديد يقبض على ابن الخطيب ، بتحريض من السلطان الجديد فى غرناطة ويدان فى محكمة خاصة بتهمة الزندقة !

ويروى ابن خلدون أن ابن الخطيب كتب اليه من محبسه « مستصرخاً ومتوسلاً » ويعمل على مساعدته فى محنته والوقوف الى جانبه ويخاطب فى شأنه أصدقاءه من أهل الدولة ونزماد بن عريف وابن ماسى ، ويبذل كل جهده لانقاذ صاحبه ولكن لم تنجح سعايته ، فسرعان ما يوفد السلطان ابن الاحمر الى فاس وزيره لسرعة التخلص من لسان الدين الخطيب .

ويدخل على ابن الخطيب فى سجنه ليلاً سليمان بن داود .. « ومعه بعض الأوغاد من حاشيته ومعهم بعض الخدم الذين جاءوا مع سفراء السلطان ويقتلونه خنقا فى محبسه ، ويدفن فى مقبرة باب المحرق فى أحد ابواب فاس » ، ولايكتفون بذلك .. بل يعودون فيخرجون جثته ويشعلون حولها النار ، ويحترق شعر رأس المفكر الكبير وتسود بشرته ، ويعاد الى حفرته قبل أن تأتى عليها النار .. وتنتهى

محنته ويدفع حياته ثمنا لحريته وتظل محنة المفكر مع المجتمع قائمة .

وهكذا لقى صديق ابن خلدون حتفه ، عام ٧٧٦ هـ ويعلق ابن خلدون على هذه المأساة بقوله : « هو الهالك لهذا العهد ، وشهيداً بسعاية أعدائه .. عجب الناس من هذه السفاهة التى جاء بها سليمان واعتدوها من هناته ! وعظم النكير منها عليه . وعلى قومه وأهل دولته » ..

ونتلمس فى سيرة ابن خلدون الذاتية ، مدى تاثير ماساة صديقه ، فيما اتخذه بعدها من قرارات والتى كان ابرزها ، انقطاعه للعلم وابتعاده عن الحياة السياسية .

ويمكن إجمال هذه المرحلة من حياته على النحو التالى ..

قضى ابن خلدون فى المغرب الاقصى ثمانى سنين . قضى منها فى سجن فاس نحو عامين ، ونحو ستة أعوام الى جانب ثلاثة أمراء ووزيرين .

ابو سالم بفاس وقد تولى فى عهده كتابة السر والانشاء والمراسيم ، ثم عمل مع عمر بن عبدالله بفاس فى ذات الوظائف السابقة .

حمل ابن خلدون خلال عمله العام ، قلق المفكر ، ورفضه للكثير من الأعمال السائدة ، وقد أخذ يردد فى سيرته الذاتية كثيرا رغبته فى التفرغ لكتبه وأوراقه ويعرض العديد من محاولاته فى هذا المجال ، يقول : « نزعت عن غواية الرتب ، وطال على اغفال العلم ، فاعرضت عن الخوض فى احوال الملوك ، وبعثت الهمة على المطالعة والتدريس »

فكان يرى فى المعارف شرطا هاما لانجاز الأعمال الاجتماعية والسياسية فى خدمة المجتمع ، ويرى فى العلم وسيلة ضرورية للتنظيم الذى يسبغ على السياسة خبرته ومعرفته ، وفى ظنى أن اعدام لسان الدين الخطب كان نقطة تحول أساسية فى حياته ، فبدأ يكثر الحديث عن زهده فى الوظيفة « متفادياً عن تجشم أهوالها » وزادت حاجته للانسحاب من ميدان السياسة ، والبعد عن دسائس رجال البلاط والتى وقع ضحيتها مراراً ، مما كان يستنزف قواه .

● مكيافيللي وابن خلدون ●

ويعتبر الكثيرون أن ثمة تشابها بين ابن خلدون ومكيافيللى ..

رغم أن ابن خلدون قد ظهر قبل مكيافيللى بأكثر من قرن من الزمان .. إلا ان كل منهما أتقن اللعبة السياسية المعقدة ، ولم توصل هذه اللعبة أيا منهما الى مقصده ، ويقدم ابن خلدون نفسه فى « التعريف » كمتكبر معتد بنفسه يريد أن يفهم الناس عنه ، أن فاجعة ما لم تزلزل فؤاده .

ويصل التشابه الى التطابق أحيانا ، ففى المرحلة الأولى من حياتهما ينغمس كلاهما فى العمل فى بلاط القصور ، ويعمل كل منهما مبعوثا دبلوماسيا يوفد اميره فى سفارات الى الخارج وكلاهما قضى النصف الثانى من حياته منكبا على الدراسة والبحث ، وكلاهما مر بتجارب تخلع القلب ، فعاصر ابن خلدون مأساة الوزير لسان الدين الخطيب الذى اتهم بالهرطقة نتيجة صراعاته السياسية ، ولقى مصرعه وأحرق جثمانه ، وعاش

ميكافيللى مأساة المصلح الدينى سافونا رولا الذى أعدم حرقاً فى فلورنسا بالتهمة ذاتها .
وكلاهما ترك وراءه عملاً فكريا هاما ،

● الانقطاع للعلم

هاهو ابن خلدون يصمم على العزلة والبحث ..
وينجح فى المرة الأولى فى الاعتزال فى رباط أبى مدين ، ويذكر .. « أقمت فى تلك الليلة فى الاعتقال فى تلمسان ، ثم أطلقنى من الغد ونزمار بن عريف ، فعمدت الى رباط الشيخ الولى أبى مدين ، ونزلت بجواره مؤثرا التخلى والانقطاع للعلم لو تركت له » .
ومرة أخرى يخرجه الصراع القائم من عزلته .. « فاستدعانى السلطان من خلوتى ، بعد أن أخذت فى تدريس العلم ، واعتزمت على الانقطاع ، فآنسنى ، وقربنى ، ودعانى .. فلم يسعنى الا اجابته » ثم اصبح موضع ريبة من أمرائها جميعاً ، فترك أسرته بفاس وغادر المغرب الى تلمسان وعكف فى قلعة ابن سلامة فى وهران بالجزائر .. للقراءة والتأليف ، ونجح أخيراً فى تحقيق عزلته ، وانتزاع نفسه من الدوامة التى كانت تشده .
ويذكر ابن خلدون : « وأنزلونى بأهلى فى قلعة ابن سلامة .. فأقمت بها اربعة أعوام متخليا عن الشواغل كلها ، وشرعت فى التأليف ..» وكان وقتها فى نحو الخامسة والأربعين من عمره ، ونعم بالهدوء والاستقرار ، وكتب كتابه العبر ، الذى قدم له ببحث عام فى العمران البشرى الذى اشتهر باسم « مقدمة ابن خلدون » والتى استغرق فى كتابتها بدون مصادر خمسة شهور ، مما جعله يغادر صومعته الى تونس ، يذكر : « رجعت الى تونس ، وآويت الى ظل ظليل من عناية السلطان وحرمته ، وبحثت عن الأهل والولد وجمعت شملهم فى مرعى تلك النعمة .. وألقيت عصا التسياد »
واذا كان ابن خلدون قد تخلى عن العمل مع الأمراء والسلاطين ، فلم يتخل الامراء والسلاطين عنه ، واذا كان قد قضى ثمانى سنوات متفرغاً للقراءة والكتابة ، منها اربع سنوات فى قلعة ابن سلامه ، وأربع سنوات أخرى فى تونس ، فحان له الرحيل فلم تعد ذرائعه كافية للاستمرار ، وها هو السلطان بعد أن صحب ابن خلدون فى احدى حملاته الحربية الى الجنوب يلح عليه لمصاحبته فى حملة أخرى الى الزاب ..
ويتوسل للسلطان أن يخلى سبيله لقضاء فريضة الحج ، « فأذن لى وخرجت الى المرسى ، والناس يتساءلون على اثرى من أعيان الدولة والبلد وطلبة العلم ..»
وتبدا مرحلة جديدة هامة فى حياة ابن خلدون ، عندما يقصد الى القاهرة مركز الفكر فى المشرق والمغرب ، ويقيم فيها اربعة وعشرين عاماً .. وينسج حياة اخرى ، نصحبه خلالها فى العدد القادم ..!!



كتاب الهلال
يقدم:
يوميات طبيب مصري
فلسطين النكبة الأولى ١٩٤٨
بقلم: د. حسان حتحوت
يصدر
٥ يونيه
١٩٨٨
روايات الهلال
تقدم:
الوقائع الغريبة في اختفاء
سعيد أبي النحس المتشائل
بقلم: اميل حبيبي
تصدر في
١٥ يونيه ١٩٨٨

دراسة الهلال

بعد الأقمار الصناعية

أفول عصر المواجهات الخائبة

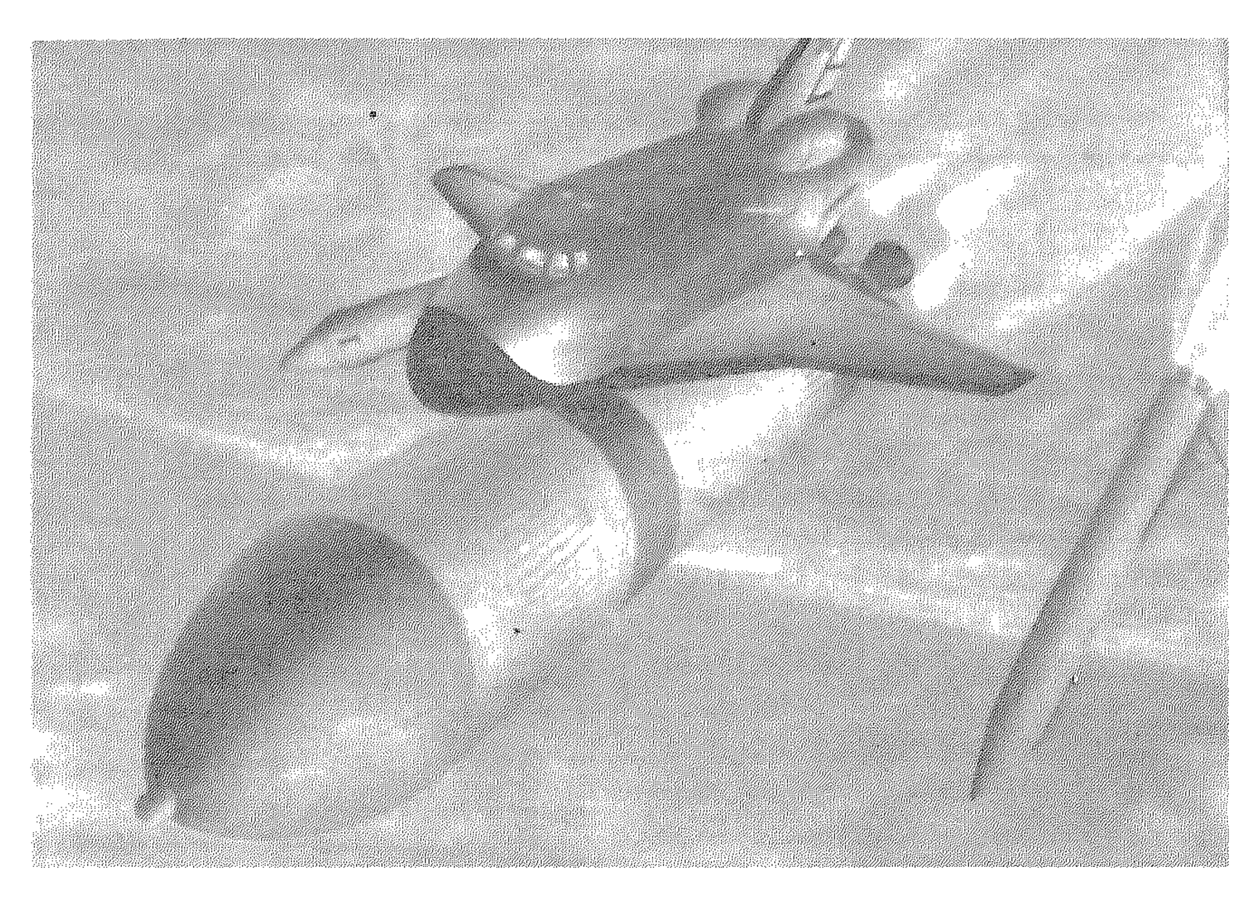
بقلم : محمد فتحى

بات بامكان قاطني بعض المدن العربية « في المغرب مثلا » اليوم ان يتلقوا ، مباشرة فى بيوتهم ، الارسال التليفزيوني لعدد من المحطات الاوربية القريبة .. وهذه ليست سوى بشائر تحول تتسارع وتيرته ، سيجعل حلم جهاز التلفاز الذى يعمل كالمذياع ، من حيث القدرة على التجوال بين ارسال محطات العالم المختلفة .يجعل هذا الحلم حقيقة ، عبر البث المباشر من الاقمار الصناعية .

وان كان ذلك يحمل ، بلا جدال ، خيرا كثيرا في طياته لاثراء ثقافة العرب القومية فانه يحمل بلا جدال ايضا ، مخاطر جمة .. ولعل أكثر مايثير الاسى مع هذا التطور ان يترك المواطن العربى لمواجهة مثل هذا الاخطبوط النافع / الضار ، اعزل حتى من اعلام وثقافة تصلبان عودة في مواجهة الاعصار .

كان الاتصال دوما واحدا من اكثر ادوات التفاعل الحضارى فعالية وقد قفزت فعالية الاتصال قفزة هائلة مع ظهور التلفاز، لكنه صاحبت انتشاره ازمة متعددة الجوانب • فالارسال التليفزيوني، يحتاج الى محطة تقوية بعد عشرات الكيلو مترات ، والى محطة لاعادة الارسال بعد مرات محدودة من التقوية • وقد فرض ذلك اقامة شبكات ارضية هائلة وباهظة التكاليف تنتظم مئات هذه المحطات ، فى محاولة لتوصيل الارسال الى ادانى والقاصى ولكن برغم المجهود الهائلة تظل مناطق مختلفة ، ولاعتبارات اقتصادية وفنية متعددة ، محرومة من مثل هذا الارسال •

وقد ظل تلفاز الاقمار الصناعية



حلما يداعب مخيلة الانسان منذ عام ١٩٤٥ ، حين تنبأ كاتب الخيال العلمي الشهير آرثر كلارك بأن يكون فيمقدرة قمر صناعي يطلق الى ارتفـــــاع ٣٥٩٠٠ كم ، حتى يتزامن دورانه مع دوران الارض حول محورها (مرة كل ٢٤ ساعة ، فيبدو معلقا فـــوق نقطة ثابتة منها ، أن يكـون بمقـدوره بث الارسال التليفزيونى الى مساحـة شاسعة من كوكبنا ٠

● بدون حارس بوابة

وبالفعل ظهر مع اطلاق الاقمـــــار الصناعية امكانية جديدة لتحســـين فاعلية وجودة الاتصالات وظهـــر أن بمقدور القمر على المدار المذكـــور ارسال اشارة يمكن أن تتلقاها فـورا (لانها تتحرك بسرعة الضوء كالموجات اللاسلكية) اية نقطة على امتـــداد ثلث مساحة الكرة الارضية (!) ومن هنا يمكن للاشارة أن تصل اية نقطة على كوكبنا ، باستخدام ثلاثة اقمار صناعية ، موزعة حول محيطها على نفس المدار ٠٠

وقد ثبت مع الزمن ان تســـكاليف استخدام الاقمار الصناعية ، على هذا النحو ، تقل عن تكاليف اســـتخدام وسائل الاتصال التقليدية ٠ كلمـــا تعدت المسافة التى نود أن يتم الاتصال عبرها ٢٠٠ كم ٠٠

وتجربة استخدام الاقمار الصناعية ليست غريبة على المشاهد العربى ، بالذات من خـــــلال نقل المباريات الرياضية المختلفة ٠٠ والذى يحدث فى مثل هذه الحالات أن تقوم المحطـــة الارضية ، التى يجرى الحدث بجوارها، بنقل وقائعه الى القمر الصناعى المعنى الذى يعيد بث ما استقبله الى محطة استقبال أرضية ، فى بقعة بعيدة من بقاع الارض ، فتتولى بدورها بقل هذه الوقائع الى محطة التلفاز المحلية لتبثها الى الجمهور ٠٠

لكن الجديد فى الآهد هذه الايام

هو ظهور اجيال جديدة قوية من الاقمار الصناعية يمكنها بث ارسالها ، عبر هوائيات متطورة ، مباشـــرة الى الجمهور ، بعيدا عن حـراس البوابة الذين يتمثلون فى محطات التلفـــاز المحلية ، الذين كان بمقدورهـــم ، ان ارادوا ، التحكم فيما يتلقونه قبـــل اذاعته .. وهكذا لن يمر وقت طويل حتى يكون ارسال مختـــلف البلدان والحضارات فى متنـــاول المواطن العربى ، مثله مثل مواطنى البـلدان الاخرى ، مباشرة ..

ولا اعتقد ان مطلعا على تـــاريخ البشرية وتاريخ العرب يمـــكن ان يرفض ظاهرة التفاعل الحضـــارى والحوار بين الحضـــارات ـ وحتى مجرد النهل من حضارات الاخرين ـ او ان يجهل ضرورتها فى تجديد دماء الثقافة العربية . لكن للامر مع تلفـــان الاقمار الصناعية وجوها اخـــرى ، تسلبه وجه التفاعل البرىء والبسيط السابق ، للاسف الشديد .

ولان مصطلحات من قبيل التبعيـــة الثقافية ، والغزو والامن الثقافيين ، صارت من المصطلحات سيئة السمعة، فى مجتمعنا العربى ، استاذن القارىء فى الابتعاد مؤقتا عن العرب ..

فى صيف ١٩٨٢ اجتمـــــع فى مكسيكوسيتى ما يـزيد على ٨٠٠ من قادة الثقافة فى ١٣٠ دولة ، خـــلال مؤتمر منظمة التربية والعلوم والثقافة، التابعة للامم المتحدة (اليونسـكو) وكان الاجتماع مكرسا للسياســـات الثقافية .. وكادت الرتابة تصـــيب الحضور بالملل كما هى العادة فى مثل هذه المؤتمرات ، لولا ان وقف جـــاك لانج وزير ثقافة فرنسا واغتال حالة الموات ، حين مضى يهاجم غاضـــبا الامبريالية الثقافية لدولة لم يحددها بالاسم ، وان كل من بالقاعة مقصده بوضوح .. أدرك لانج: « ان غالبية برامجنا التليفزيونية تتكون من نتاج نمطى مكرر ، يقضى على ثقافاتنـــا الوطنية ، وينشر اسلوبا محـــددا للحياة .. ان الامبريالية الماليـــة والثقافية لا تسعى الى السيطرة على الارض لان الاجدى ان تسيطر على الوعى وعلى التفكير ، فتسيطر على الحياة ..

ولا باس من ان نتـرك الوزير لانج مباشرة ، لاننا مااخترناه الا لتجنب مواطن الشبهات ، ناهيـك عن الدلالة البليغة للموقف ، ففرنسا دولة لهـــا نفوذ ثقافى واسع يمتد من افريقيا الى كندا .

المهـــم ان المجتمعين فى مؤتمـــر اليونسكو عرفوا انئذ الثقافة بانهـــا مجموع السمات التى يتميز بهامجتمع من المجتمعات ، روحيا وماديا وفكريا وعاطفيا ، الامر الذى يجعلها تتجاوز الفنون والاداب ، الى اساليب الحياة والحقوق الاساسية للانسان ، وطبيعة القيم والتقاليد والمعتقـــدات .. ومن تعريف الثقافة هذا ، بات الحـــديث يجرى بالضرورة عن « الهـــوية » او « الشخصية » الثقافية لهذا المجتمـــع او ذاك .

وقد تبنت الامم المتحـــدة (عام ١٩٨٦) مفاهيم مؤتمر الســـياسات الثقافية ، وقررت ان تكون السنوات ١٩٨٨ ـ ١٩٩٧ عقدا للنهوض الثقافى فى عالمنا ، يراعى فيه البعد الثقـــافى للتنمية ، كما يجرى تاكيد والشخصية، الثقافية لمختلف المجتمعات .. الخ .

وعلى هذا النحو فليس حـــديث الهوية والشخصية الثقافية مجـــرد حديث عربى او اقليمى ، وانما هـــو

وجهة عالمية • ولا يمكن ان يكون الامر مع هذه الوجهة غلوا من الاشتراكى جاك لانج ، او تعصبا مقيتا من البلدان المتخلفة فى الامم المتحدة لحضارتها وهواياتها ، ذلك أن الشكوى تتعدى هذه البلدان ، الى ثقافات اسكتلندا وايرلندا وويلز التى تنظر الى الثقافة الانجليزية بصفتها امبريالية ، بل والى تجمعات الارمن وسكان البلطيق ، ، على الجانب الاخر من الدنيا ، رغم سنوات طويلة من التربية والتوجيه الامميين ، على التعاون ونبذ كل النعرات الذاتية » •

ان النظرة المتفتحة للحديث عن التفاعل الثقافى ، مع ذلك كله ،لايمكن ان تستقيم الا اذا سلمنا بأن هناك من جانب ، هيمنة يمكن حتى ان تحس بوطأتها ثقافة بحجم الثقافة الفرنسية، وبأن هناك من الجانب الاخر احتياجا ملحا الى الثقافات القومية •

وحتى نتبين الابعاد الحقيقية للصورة فى ديناميتها لا بأس من اخذ الانتاج التليفزيونى الامريكى كمثال•• لقد كانت الولايات المتحدة تنتج ، وقت حديث جاك لانج (عام ١٩٨٢) ١٢٠ الف ساعة ارسال تليفزيونى ، وكان ذلك نتاج سوق اعلامية امريكية يبلغ حجمها ٢١٫١ مليار دولار • والولايات المتحدة تواصل تنمية هذه السوق بهدف الوصول بحجمها الى ١٠٢٫١ مليارات دولار (حوالى خمسة اضعاف) عام ١٩٩٠ •

واذا خلصنا الى الحديث عما يخصنا من هذه الظاهرة فاقل ما يمكن ان يقال فى هذا النتاج ، انه يعد لاشباع « رغبات » المشاهد الامريكى، الاوربى • ولا يتفق شكلا وموضوعا مع « احتياجات » مجتمعنا • هذا كما يفرض المنطق التجارى الذى يجرى وفقه هذا النتاج (فى افضل الاحوال) ان يختار المنتجون مضامينهم ساعين وراء جذب اكبر عدد من « الزبائن » ومن هنا الوجهة « الترفيهية » السائدة فيه • وليت انماط الترفيه السائدة هناك تتفق حتى مع انماط احتياجاتنا ، ذلك انها تشيع رياحا استهلاكية قاتلة ، وتجر وراءها قيما غربية ، اذ ان الامر لا يقف عند أى « بارفان » تستخدمه المرأة ، بل يتعداه الى القيمة التى يجرى الترويج لها من وراء استخدام « البارفان » ••

هذا كما ان التركيز الانتاجى المتزايد يمكن التكتلات الاعلامية – مع الاستنتاج الوفير – من بيع « سلعها » باسعار اقل بدرجة مذهلة ، مقارنة بتحمل اعباء الانتاج المحلى، ومحصلة ذلك استيراد معظم الدول العربية ما يزيد على ٥٠٪ من برامجها التليفزيونية من الخارج (تصل النسبة فى بعض البلدان الى ٨٠٪) وليت الامر يتوقف عند هذه النسبة ، اذ ان النسج على منوال هذا الوافد الغربى ، انتاجا وتذوقا ، هو الاساس فى النسبة الباقية ••

واعتقد انه لاخلاف على ان منظومة القيم التى تحكم هذا النتاج تختلف تماما عن منظومة القيم العربية فى ديناميتها ، وحتى اذا اختلفنا حول مدى فائدة (او خطورة تعريض جمهورنا لها فلابد وان نتفق على ان يكون الجمهور مسلحا بالقيم التى تعكس وجوده ومصالحه ، وتساعده على الابحار وسط اعاصير النتاج الوافد ••

ان التفاعل والحوار يتطلبان ان يكون للمرء هويته الخاصة ابتداء ، وهذه نقطة يصعب الاختلاف حولها ، والا كنا نغامر بالقاء انسان شل جهازه المناعى وسط محيط من الجراثيم النافعة والضارة ، فلا يلبث ان يقضى عليه – او على أهم مايصلب عوده – أوهن الضار من هذه الجراثيم ، مهما

كان كثرة وفائدة النافع منها ...

وان هناك فارقا بين حرية الفكر وحرية المرور دون قيود ، وبين حرية البعض فى املاء ثقافاتهم على الاخرين ومن هنا ضرورة تجاوز الدوران حول النفس استطلاعا للظاهرة ، الى مناقشة تأثيراتها ..

ولاجدال فى أن بعض البرامج الاوربية ستكون فى حد ذاتها نوعا من انواع التنويع بعيدا عن فضلة خير الانتاج الامريكى (ربما الاقل جودة)، الشائع فى تليفزيوناتنا • ولاجدال فى ان قطاعا من البث المباشر سيكون من الاعمال المتميزة مما سيشكل نافذة حضارية ترقى بمستوى المتلقى ..

لكن العبرة ليست فى التنويع او البرامج المميزة ، كما انها ليست فى كون « البرامج الفضائية » الحالية تستهدف المشاهد الاوربى بالدرجة الاولى ، او انها تذاع باللغات الاوربية ، او فى كونها برامج مبهرة تركز على ما هو رائع من الدراما والمنوعات والنقل الحى .. وليست فى ان الذين سيشاهدونها من الصفوة ، سواء بسبب ارتفاع تكلفة الهوائيات او بسبب اللغات التى تجرى بها ..

ولا يمكن ان تكون العبرة ايضا فى ان الاختراق قائم على قدم وساق، من خلال الاذاعات الموجهة واجهزة الفيديو • فالتلفاز (حتى العربى منه) بطبيعة ارساله الجذابة يلعب دورا فى تحديد جمهور الاذاعة وحصره فى مستويات معينة ، هذا كما ان تكلفة الفيديو تجعل جمهوره لا يقارن بجمهور التلفاز ، ناهيك عن ان الاختراق لا يبرر اسقاط مواجهته ومواجهة التمادى فيه ..

ولا مجال هنا للتهوين من تأثير التلفاز كما هى الحال فى المجتمعات الاكثر نضجا حيث المؤسسات التربوية والتعليمية والاعلامية الاخرى راسخة القدم ذلك ان تأثير التلفاز فى مجتمعنا لا يجىء من قوته النسبية تجاه هذه المؤسسات فحسب ، بل ايضا من الشلل الذى يفرضه عليها،وما يمارسه من « روشة » لجمهورها ..

ان البث المباشر بتقنياته وقيمه سيؤثر تأثيرا هائلا على جمهورنا ويمكن ان يعطينا مؤشرنا واضحا هنا حالة من اعجب الحالات ، التى نلتفت عنها قصدا ، هى مهرجان القاهرة السينمائى الدولى ، حيث تعرض الافلام دون ترجمة ، وتلقى اقبالا هائلا بتذاكر مضاعفة الثمن ، من جمهور لا يدرك ، بالضرورة ، سوى قشور مما يدور امامه ..

ولا يمكن ان تكون العبرة بكل ماسبق لان الاخطر على الاطلاق، اذا ماتوافرت الامكانية التقنية،ان يقفز الى الساحة بين يوم وليلة مالا يستهدف « سواد عيون » المتفرج الاوربى او الفن الراقى ، ومالا يتحدث بالضرورة بغير العربية ، وما لا يعتمد فى تمويله على مجرد الاعلانات التجارية ، ..

ولا احد منا يستطيع ان يجزم بشىء فى هذا الصدد ، لكن لا يمكن ترك امر مصيرى على هذا النحو رهن الارادة الكاملة لغيرنا ..

ولا يمكن الارتكان الى ان الخطر المصيرى الذى سيتعرض له التلفاز العربى سيستنفر كل طاقاته ، لمنافسة ستجىء بالقطع فى صالح المشاهد ، ولا يمكن ان تكون مواجهة ناجعة تلك التى نترك فيها المواطن العربى اعزل ، لكننا نلقيه وسط البحر ليتعلم من خلال التجربة كيفية مقالبة الاعاصير ..

ان الامر يحتاج الى نظرة تتجاوز ما هو تحت موطىء القدم ، وتتحلى بالعمق الاستراتيجى بعيدا عن الصدق والمواجهات الجزئية الفاشلة بالضرورة فأية نظرة وأية مواجهة تستقيم وواقع الحال يا ترى ؟

لعل احدى النعم التى تنطوى عليها النقمة القادمة تكمن فى افلاس سياسة المخطر والمنع والرقابة والوصاية .. تلك السياسة الخائبة التى نالت من وعى المواطن العربى ، ربما اكثر مما حمته ..

وقد يرى البعض الحل فى سياسة اعلامية وثقافية جديدة، تطور برامجنا وتجعلها اكثر تشويقا وجاذبية وحركة وتنوعا .. تراعى الترويح عن الشعب المكدود ، والتخفيف من وطأة حياته اليومية ، بالترفيه المتفتح الراقى ..

ولابد ان يرى البعض ضرورة فى ان تعكس هذه السياسة كل الاراء والاذواق ، وان تتيح فرصة الحوار بين كافة الاتجاهات . وان يكون السلاح الذى يحارب به التلفاز معركته هو محليته وشعبيته ، مما لا يمكن لخدمات وافدة أن تنافسه فيه ..

لكن كل ما سبق ، وان كان بين العناصر الصحيحة للمواجهة ، لا يمكن ان يفلح ، كما تعلمنا تجاربنا وتجارب الاخرين ، دون ان تتم المواجهة من خلال عقل ووجدان المواطن المتلقى الشريك — وليس المتفرج — ومن هنا تصبح النقطة المحورية هى احترام عقل هذا المواطن والعمل على تربية عوده القومى والنقدى وعدم الاكتفاء بروشتة — من روشة — وشغله بما هو مبتذل ومقيت ورخيص .. ومن هنا ضرورة التوجه الى عقل الجمهورية لا فى اطار شاشة التلفاز وحده وانما فى مناهج التعليم وسبل التربية و (كل مناحى الحياة) ولن يتأتى ذلك الا بتشجيع الابداع وتحرير المبدعين من القيود التى لا مبرر لها والا بالتصاق التلفاز بهموم الناس ليعبر عن احتياجاتهم ومشاكلهم وآمالهم ، والا بتحوله الى وسيلة للتواصل لا للقطيعة بينهم ..

وبدلا من الهروب من او الى : ماضينا او واقعنا او عالمنا ، لابد من الوعى بها جميعا كمرتكزات للمواجهة الناجحة ، بتربية الناس على الحق فى اعمال العقل والحق فى الابداع ، فقد كرم الله الانسان ونفخ فيه من روحه ليكون خليفته فى الدنيا وميزه بعقل اعلى من شأنه ، حتى جعل التفكير ، وبحق ، فريضة دينية .

وبدون مواجهة من هذا النوع ستحيط علامة استفهام كبيرة لا بوجود التليفزيون العربى فحسب وانما بمصير الانسان العربى ووعيه ..

تبقى نقطة لا يمكن تجاوزها فى هذا الصدد ذلك ان مصر ليست هى المؤهلة فقط لان تقود استراتيجية مواجهة من هذا النوع ، بل انه يستحيل بدونها حسم جهد فى هذا الاتجاه فالى جوار كونها تشكل ربع الحمل الاتصالى العربى (سوف ترتفع هذه النسبة الى ما يقارب النصف خلال عشر سنوات) فهى مالكة لمعظم الامكانات القادرة على انجاز هذه المهمة .

ولا يمكن ان نترك هذه النقطة دون التاكيد على ان المشروع الجماعى العربى صار مطلبا ملحا ، فى عالم اعجز الكيانات الصغيرة عن العيش مما حدا ببلدان فى حجم بريطانيا وفرنسا (وغيرهما) السعى الى اشكال من التكامل بالرغم من عدم امتلاكها معشار ما تملكه الامة العربية من مقومات التكامل ، بل والوحدة الثقافية .. ناهيك عن المخاطر المصيرية التى تتعرض لها ..



● السرقات الشعرية ●

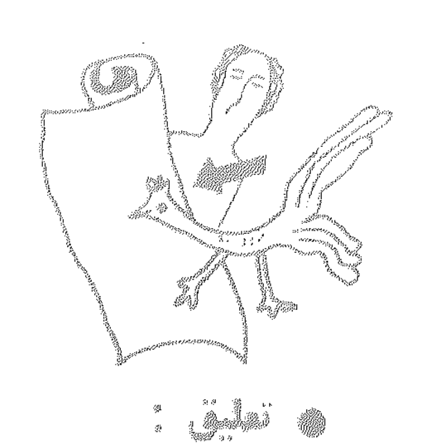
● انتشرت فى الفترة الاخيرة ظاهرة للسرقات الادبية وقد حظى شعرى المتواضع ، بقدر كبير من هذه السرقات وكان آخرها ما نشر فى « انت والهلال » فى عدد ابريل الماضى ، تحت عنوان « لماذا » وكـــان السارق هذه المرة هو محمود احمد المصلى ، فقد اخذ قصيدتى (أسئلة لا تبحث عن اجابة) واجرى عليها بعض التعديلات ونشرها باســـمه ، والحقيقة أن هذه القصيدة قد نشرت فى مجلة « الثقافة » عام ١٩٧٨ ثم نشرتها مجلة« مرآة الامة » الكويتية فى٢٨ نوفمبر ١٩٨٤ ٠٠ثم نشرت فى ملحق « ثقافة وفكر » لجريدة « الاتحاد » بأبى ظبى فى ٨٧/٣/١٩ ، وقصيدتى هذه منشورة أيضا فى ديوانى « عد لنا يا زمان القمـــر » الصادر عام ١٩٨٣ وضمن قصائد ديوانى « الطريق السهل مقفـــل » الصادر عن الهيئة العامة للكتاب عام ١٩٨٥ بعنوان« حصاد الشهر »٠

انا أعلم أن شاعرا فى بداية الطريق قد تعجبه صورة شعرية فيضمنها قصيدة له أو قد تعجبه فكرة قصيدة فيحاكيها أما أن تعجبه القصيدة كلها فيسرقها فهذا هو السائد هـــــذه الايام ٠٠ الاغرب من ذلك أن السارق قد تعجبه هذه اللعبة فيستمر فيها الى الابد كما فعـــل طالب من « دار العلوم » حيث أخذ قصيدتين من قصائدى ومجموعة قصائد لشعراء آخرين وأصدر ديوانا أسماه « ويبقى الامل » وبعد أن فضحنا أمره ضاع أمل السارق فى أن يصـــبح شاعرا ولم يبق الا الشعر !! ٠٠ الغريب أن طالب دار العلوم أخذ قصيدتى لـــماذا أنت يا سمراء تحتكرين احساسى ؟ ٠٠ وغيرها الى : لماذا أنت يا بيضاء تحتكرين احساسى ٠٠ ؟ لأنه من دمياط ، ودمياط هى بلد البيضاوات ٠

هكذا هداه تفكيره الساذج !! هذا الشاب اسمه خالد غازى !! حتى لا يفعلها مرة اخرى مع « مجلة الهلال » !!

عزت الطيرى
نجع حمادى ـــ مدرسة الزراعة

● شكرا جزيلا لسيادتكم اذ تفضلتم علينا بنشر قصيدتي فى عدد ابريل ·· كما نشكر لكم جهودكم الجليلة التى تشع ضياءا أو عبيرا من خلال الصرح ـ الهلال ـ كما نشكر كل القائمين عليها ·· وهاكم يا سيدى مقطوعة (ومضه !)وأخرى بعنوان (وقالوا !) وثالثة (قتلونى بالمجان !) راجيا من سيادتكم نقدها ونشرها ـ ان كانت تستحق النشر ـ حتى نسير على الطريق الصحيح ··



يا من تمشى مختالا
مزهو الريش !
من يوقف نزف الجرح
من يسرق مفتاح الصبح
من يقدر أن يمنحنى حق العيش ··

محمود أحمد المصلى
شربين ـ دقهلية

● تعليق :

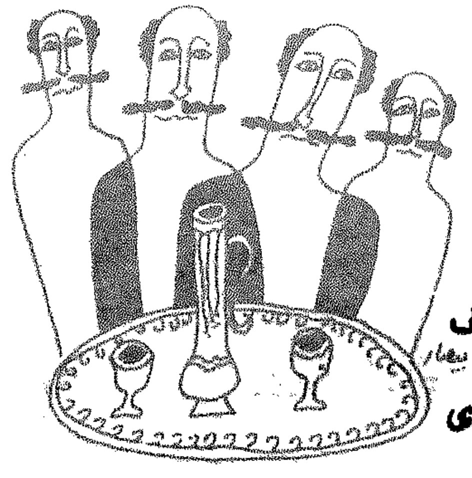
ـ اكتفينا بنشر مقطوعتك « ومضة » واحتفظنا بالمقطوعات الاخرى ، ونرجو أن تعترف بانك قد استوليت على قصيدة للشاعر عزت الطيرى اذا كنت قد استوليت عليها فعلا كما يقول هو فى رسالته التى تقرؤها هنا ·· فاذا كنت بريئا فنرجو ان تثبت براءتك ، لانسرقة الشعر والاعمال الادبية أسوأ من السطو على البيوت ، أو خطفحقائب السيدات والانسات فى الشوارع !

● فصل من الفصول ●

● يشرفنى أن أرسل قصيدة (أحزان فصل من الفصولالاربعة) عن أحوال العرب أتمنى أن أكون قد وفقت وتلقى القبول ·

كان حزينا ··
لكن الحزن الآتى لا نعرف من اى طريق سيجىء
كان اليما ··
لكن الالم الآتى مجهول وخطير
ـ فصل جاء ، جديد
والسادة ما زالوا فى حانات الرقص سكارى
ما زلنا
نبحث عن عنوان يؤوينا ··
عن شيخ ياخذنا للحلم الضائع
ويعلمنا كلمات تخرجنا من بطن الحوت
تنقذنا من انياب مفترسة





ويعلمنا ان نخطو ، بالقدم اليمنى
أن نخرج يوسف من ظلمات الجب
ليفسر احلاما تزعجنا
نقصده صديقا
كى يعطينا حمل بعير
ان الجدب سرى فى القلب فاوشك ان يتوقف
ـ فصل جاء ، جديد
والسادة ما زالوا فى حانات الرقص سكارى
ما زلنا نبحث عن

نبيل خالد
المنصورة

● تعليق :

ـ وانت أيضا يا عزيزى ، يتهمك عزت الطيرى بالسرقة الشعرية كما ترى فى رسالته المنشورة هنا ، فماذا تقول ؟! ٠٠ نرجو أن تكون تفعيلاتك هذه التى ننشرها لك فى هذه الصفحة بريئة من كل تهمة !٠٠

● المقطع الحزين ●

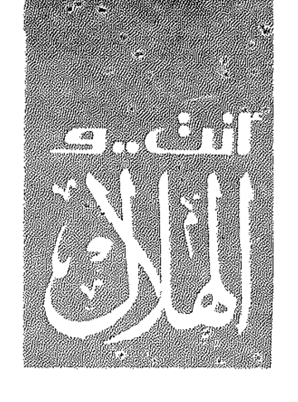
صرت وحدى عالقا بين الدروب الموحشة
« فى ارتعاش الشجر الواقف حزنا
واصفرار الورق الضائع فى الريح سنينا »
أستعير الوجه والقلب واشلاء الاريج
صرت وحدى والعصافير التى عادت أخيرا بارتعاشات الثلوج
يشرئب اللحن منا بالأسى والوشوشة
سيدى ٠٠
دع شرفتى ينسل منها نفسى ٠٠ ما أصعبه
دع فراشاتك تنساب معى
قلبى نافورة حزن وعطور طيبة
ها هى السحب التى حملتها بعض غنائى عاد منها قطرتان
قطرة ٠٠ قد غيرت لون المكان
قطرة ٠٠ لا أزل اتبعها بين عروقى المتعبه

« ايه يا هذى الغيوم الممطرة
علمينا ـ مرة ـ كيف نتم الدائرة »

اسماعيل محمد محمود السبع
الاسكندرية

● ايمن .. طفل الحجارة ●

اخوانى .. من يعرف ايمن ؟
ايمن طفل والعمر اقل .. يا سادة
من .. سبع سنين
مرسوم .. داخل عينيه
ارض .. فلسطين
مئذنة الاقصى تسكنه .. والقدس
وصلاح الدين
يجمع احجارا يغسلها بدموع القهر فتشتد .. وتصير أحدمن السكين
ايمن يلتقط حجارا ..
ويظل .. يبادل طلقات الاعداء عليه
تتوالى كالبرق الخاطف وتدوى كالرعد القاصف
يجرون اليه ولا يجرى
ايمن .. واقف !..
مرتجفا ؟! .. لا .. بل مبتسما للجرح النازف
تعلو الاصوات تحذره
ايمن ستموت ـ ايمن ستموت ! ..
يضحك ويقول : انا عارف !
ايمن اخذوه الى السجن
كى يجروا معه التحقيق
ضربوه .. سحلوه
طعنوه فى الجرح النازف
والجرح .. عميق
سالوه من قد حرضه
لمعت عيناه كنهر بريق
حرضنى احمد
من احمد ؟! ..
فأجاب : اخى
بعثوا عشرات كى تبحث عن هذا الثورى .. الاكبر .. احمد
ضباط تحمل اسلحة .. عربات .. ومئات العسكر ..
البيت محاصر : يا احمد فلتستسلم ..
البيت محاصر .. فلتخرج ..



احمد يخرج ..
كالشمس كوجه .. نبى
فى يد يحمل احجارا ..
والاخرى علم فلسطين
احمد طفل ..
والعمر اقل .. يا سادة ..
من خمس .. سنين ..

عبد العزيز جويدة
الجيزة ـ شارع الشرفا

● مشروع قومى حضارى ●

● لمناسبة مرور نصف قرن على صدور كتاب « مستقبل الثقافة فى مصر » للدكتور طه حسين تناول هلال فبراير الماضى قضايا الكتاب التى ما زالت مطروحة على الساحة .. وصحيح ان الدكتور طه اصدر كتابه فى لحظة تفاؤل تاريخى حسبما ذهب الدكتور فؤاد زكريا فى مقاله ، ولكن فى لحظات اليأس التاريخى ايضا خرج فينا من يرسم الطريق ، فصدر كتاب « نهضة مصر » للدكتور انور عبد الملك سنة ١٩٦٩ بعد هزيمة يونيو الفادحة بعامين فقط .. ولم يكن الاستاذ احمد بهاء الدين بعيدا بعد تلك الهزيمة ، فاعاد طبع كتابه « اسرائيليات » واضاف اليه ما بعد العدوان داعيا فيه الى اقامة الدولة العصرية والاخذ بالعلم والتكنولوجيا ، وتطوير العلاقات الانسانية والاجتماعية داخل المجتمع المصرى والعربى على اسس عصرية متخلصة من روح العشائرية والقبلية والتمسك بالاسلوب العلمى منهجا وتفكيرا ، وكانت كتابات الدكتور زكريا ابراهيم فى الصحافة المصرية والعربية فى لحظة اليأس التاريخى بعد حرب ١٩٦٧ نقدا ذاتيا وموضوعيا للانسان المصرى والعربى فى قضاياه اليومية من اساليب التفكير الى حرية المرأة مرورا بطرق التربية والتعليم ، وفى نفس الوقت ، وفى لحظة اليأس التاريخى اصدر الدكتور لويس عوض كتابه « تاريخ الفكر المصرى ١٩٦٩ تقصيا لاسباب الهزيمة من خلال استعراض تاريخى للحركة القومية والوطنية ، ومركزا على مشروعى البناء « الحضارى فى عصرى محمد على وحفيده اسماعيل . ثم يصدر كتابه « اقنعة الناصرية

السبعة ، بعد وفاة عبد الناصر نقدا وتقييما للمشروع القومي الحضاري في اطار التجربة الناصرية ٠

واذا كنا نحتفل بمرور خمسين عاما على صدور كتاب مستقبل الثقافة في مصر بما طرحه من قضايا ومناقشات ، فانه يبقى ومعه كل التراث الثقافي والفكري الذي خلفه الرواد من دعوات اصلاحية وثورية أسير عقول المثقفين وكتبهم ومراجعهم ودراستهم التاريخية وأبحاثهم الجامعية ما لم يترجم هذا التراث الى مشروع قومي حضاري معاصر يأخذ في الحسبان اللحظات التاريخية الخطرة التي تعيشها مصر ، والظروف الدولية المحيطة بمصر كمجتمع مفتوح يعيش في مفترق قارات الدنيا ٠

ان الخروج من المأزق والازمة التاريخية التي يعيشها المجتمع المصري يجب أن نمهد له بأن نتجاوز مرحلة الازمة المفتعلة بين الحداثة والمعاصرة ، أو بين التراث والفكر الحديث ٠٠ ينبغي أن نعيش عصرنا في اطار المشروع الحضاري دون أن نخلع جذورنا من تربتنا الوطنية والقومية ٠

وكم أود أن تكون مناسبة الحديث عن مستقبل الثقافة في ذكرى صدوره ، دعوة الى الجميع لتبني طرح المشروع القومي الحضاري لمصر المعاصرة ٠

عمرو عبد المنعم حمودة

● الى قائد ثورة الحجارة ●



تقـــدم
صعودا الى حجر المبتدا
وابتهالا بنافذة الصمت ٠٠ وهي تنسق رجع الصدى ٠٠
وانسلاخا اذا فر منها المدى ٠٠
للسماء سكون الخيام اذا الارض دارت
وللارض ظل الغمام اذا الشمس ثارت
وللريح طي المدى ، للعصافير همس النجيمات ٠٠
للظلمة الذكريات !!
تلذ بالبدايات واستجمع القطر ، صرنبتة الصبر ٠٠
تهدى الحمام الى ابحر النور اين استطارت
تقدم ٠٠ فطبع القلوب : تحقق ثم تصفق ثم تحلق ٠٠
وانشر جناحيك مبتئرا في الحجارة ٠٠
ملتمسا لنداك صدى !! ٠٠

عبد الرحيم الماسخ
نجع الماسخ ـ المراغة ـ سوهاج



● سخرية الادباء ●

● الادباء الساخرون لهم تقاليع طريفة يضللون بها قراءهم . وهذه بعض الاهداءات كتبها ادباء ساخرون فى الصفحات الاولى من كتبهم :

اهدى « جيروم » الكاتب الانجليزى الساخر كتابه « افكار فارغة فى ساعات فراغ للناس الفارغين » الى التى أهملها فلا تهملنى وأسيء اليها فلا تنتقم منى ، الى من لا تبحث عن اخطائى ولا تبذر نقودى ولا تصدعنى بالحديث عن نفسها اقدم هذا الكتاب بكل احترام واعتراف بالجميل .

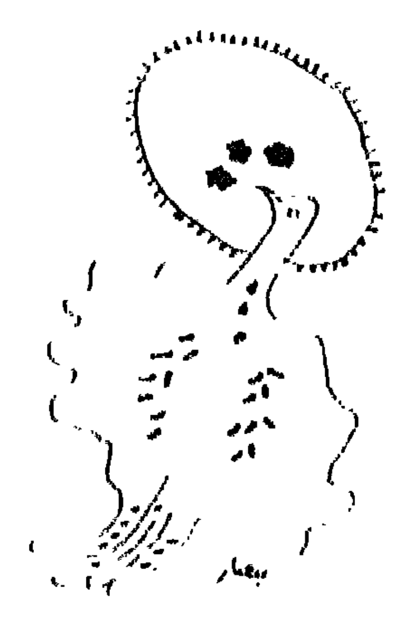
واهدى الكاتب « ودهورس » اولى رواياته الى : زوجتى العزيزة التى لولاها لتم الكتاب فى ربع المدة التى قضيتها فى اتمامه ».

كما أن الكتاب المصريين لا يقلون فى خفة السدم عن الكتاب الاوربيين فقد اهدى المازنى كتابه « حصاد الهشيم » الى القارىء قائلا: « فى هذا الكتاب اكثر من اربعين مقالا وانت تشتريه بعشرة قروش أى كل أربع منها بقرش » .

وقدم « توفيق الحكيم » كتابه أهل الفن الى : « الاسطى حميدة الاسكندرانية أول من علمنى معنى الفن » .

سمير ابو الحمد حافظ
الاسماعيلية

● لحظة تحول ●



حمامة . . . .
تعانق الرياح
وتنسج الهديل واحة
تحط فوق ارضها نسائم الصباح
فتستريح من عنا السفر
حمامة . . . .
وايكها المدى .. امها السماء .. صديقها القمر
حمامة . . . .
تقتات بالرحيل . أو بنسمة السحر
فكيف تستحيل الدنيا
ويصبح الهديل صرخة
والى سوف تستريح الصباح من عنا السفر

اذا الحمام مات قهرا او انتحر

كريمة احمد عبد المجيد
اسيوط

● مع الاصدقاء ●

● **محمد سليم محمد على حسين القشاط ـ شبين القناطر :**
ـ لماذا انت منفعل فى رسالتك الينا بدون ان يكون هناك سبب للانفعال ؟! .. اما قصيدتك فلنا ملاحظات على ما فيها من زحاف وتكلف فى بعض التراكيب ، ولا يتسع المجال هنا مع الاسف للكلام فى هذا .. نرجو أن تكون قصائدك القادمة اقل طولا ..

● **محمد ابراهيم الفرحاتى ـ كلية الهندسة بالمنصورة :**
ـ قصديتكم عن أطفال الحجارة ينقصها الوزن . ونشكركم كثيرا على تحيتكم للهلال .. ونرجو أن تتمكنوا من التغلب على عقبةالاوزان بالصبر والتمرين والشاعرية .

● **محمد العائش القوتي ـ تونس :**
ـ نشكركم على اهتمامكم بالعيد المئوى للهلال .. اما اشارتك الى رأى المؤرخ الفرنسى شارل اندريه جوليان من ان الشيخ محمد عبده استنبط مذهبه الاصلاح فى تونس خلال اقامته بها عام ١٨٨٥ فليس هذا رأيا صحيحا ، فقد كانت آراء الاصلاح معروفة فى مصر حتى قبل اقامة جمال الدين الافغانى بها ، وكان لهذه الآراء دور فى الثورة العرابية التى انتهت سنة ١٨٨٢ وكان الشيخ محمد عبده من دعاتها ونفى بسببها .. اما اشارتك الى الشيخ محمد بيرم التونسى الذى كان يصدر جريدة الاعلام فى الاسكندرية منذ بضعة وثمانين عاما ، فتجد توكيدا لها فى كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان فقد ذكر الشيخ بيرم ومؤلفاته فى الجزء الرابع ص ٢٦٢ .

● **عبد الله السمطى ـ القاهرة :**
ـ نشكركم على حسن ظنكم وننتظر رسائلكم القادمة .

● **جمال عطا ـ اسيوط :**
ـ نرجو أن يتيح لك الصبر وطول المرانة اقامة الاوزان .. ولا تنس اللغة وأن الشعر شعور واحساس عميق .

● **ايمان ابراهيم عبد المعطي ـ ميت الحلوج بدكرنس :**
ـ نعتذر اليك فقد كنا نظن أنك ما زلت طالبة ، ولكنك تقولين انك تخرجت فى الحقوق فنهنئك .. اما شعرك فما زالت الاوزان تنقصه مع الاسف .

● **نشكر ونحيي أصدقاءنا الكثيرين الذين لم نتمكن من الرد عليهم فى هذا العدد ، وبخاصة السادة : عبد العال عبد الصمد الشال .. عاصم فريد البرقوقى .. رفعت محمد بروبى .. اشرف أبو اليزيد هرمى ..**

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوى (١٢ عددا) فى جمهورية مصر العربية سبعة جنيهات و ٢٠٠ مليم ، وفى بلاد اتحادى البريد العربى والافريقى والباكستان عشرة دولارات أو مايعادلها بالبريد الجوى وفى سائر انحاء العالم عشرون دولارا بالبريد الجوى .

والقيمة تسدد مقدما لقسم الاشتراكات بدار الهلال فى ج . م . ع . نقدا أو بحوالة بريدية غير حكومية وفى الخارج بشيك مصرفى لامر مؤسسة دار الهلال .

وتضاف رسوم البريد المسجل على الاسعار الموضحة عاليه عند الطلب .

دار الهلال ـ ١٦ ش محمد عز العرب
القاهرة تليفون ٣٦٢٥٤٥٠ سبعة خطوط مجلة الهلال ت ٣٦٢٥٤٨١

رقم التلكس : 92703 HILAL U . N

وكيل الاشتراكات بالكويت السيد/ عبدالعال بسيونى زغلول الصفاه ـ ص.ب ٢١٨٣٣ ـ 13079 تليفون ٤٧٤١١٦٤

اسعار البيع للعدد العادى فئة ٦٠ قرشا :

سوريا	١٧٥٠	ق . س	ابوظبى	٦	دراهم
لبنان	٣٠٠	ليرة	مسقط	٦٠٠	بيسة
الاردن	٣٥٠	فلسا	تونس	١٤٠٠	مليم
الكويت	٣٠٠	فلس	المغرب	١٢٥٠	فرنكا
العراق	١٣٠٠	فلس	غزة والضفة	٦٠	سنتا
السعودية	٥	ريالات	داكار	٦٠٠	فرنك
السودان	١٢٥	ق . سودانيا	لندن	١٢٥	بنسا
البحرين	٨٠٠	فلس	ايطاليا	٢٥٠٠	ليرة
الدوحة	٦	ريالات	البرازيل	٥٠٠	سنت
دبى	٦	دراهم	اليمن الشمالية	١٣	ريالا